

المشاع
عفا الله عنه

شرح

كتاب الزم نبيك

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ . بَحِثْ تَلَوَتْ
فِي هَذَا الشَّيْءِ جَمِيعُ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مَعْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

لِلجَمْعِ الْأَوَّلِ

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وسلام على عباده الذين اصطفى

أما بعد : فهذا شرح ديوان المتنبي أخرجهُ بعد شرحي ديوان حسان
الذي أخرجته في العام الماضي ، ورآه القراء وعرفوا من مقدمته ما كابدت فيه

أبو الطيب المتنبي : هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي
الكندى الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة في محلة تسمى كندة ، فنسب
إليها ، وليس هو من كندة التي هي قبيلة ، بل هو جعفي القبيلة — بضم الجيم وسكون
العين — وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج — واسمه مالك — بن أدد بن زيد
ابن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان . نشأ بالكوفة — كما ترى — ويقال : إن أباه
كان سقاء بالكوفة ، ثم انتقل إلى الشام بولده ، ونشأ ولده بالشام ، وإلى هذا
أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال :

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ مِنَ النَّاسِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

عَاشَ حِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ وَحِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْحَيَاةِ

قدم الشام في صباه ، وجال في أقطاره ، وما زال إلى أن ادعى النبوة في بادية
الساوة ، وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم ، فخرج إليه لؤلؤ — أمير حمص نائب
الأخشيدي — فأسرّه وتفرق أصحابه وحبسّه طويلا ؛ ثم استتابه وأطلقه ، ومن ثم
سمى المتنبي ؛ ثم التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان — سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة —
وما زال منقطعاً له حتى وقع بين المتنبي وبين ابن خالويه — النحوي — كلام في
مجلس من مجالس سيف الدولة ، فوثب ابن خالويه على المتنبي ، فضرب وجهه بمفتاح
كان معه ، فشجّه ، وخرج ودمه يسيل على ثيابه ، ففضض ، وفارق سيف الدولة ،

وفي الحق : إني لم أعان في المتنبي ما عانيتُ في حسان — على بُعد ما بينهما —
وذلك أن المتنبي ربُّ المعاني الدقاق — كما قال — فلذهن في شعره جولان
وما دام هناك ذهنٌ يلف ، وذوقٌ يستدق ، وملكةٌ بيانية ، وبصرٌ
بمذاهب الشعر : أمكن إدراك ما يتراعى إليه مثل المتنبي ، ولو بشيء من

وذهب إلى مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، ومدح كافور الأخشيدي ، وكان
يقف بين يدي كافور ، وفي رجليه خفان ، وفي وسطه سيف ومنطقة ، ويركب
بحاجبين من مماليكه ، وهما بالسيوف والمناطق ، ولما لم يرضه كافور هجاء وفارقه
ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلاثمائة ، ووجه كافور خلفه رواحل إلى جهات شتى ،
فلم يلحق ، وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله ، فلما رأى تغالية في شعره وسموه
بنفسه ، خافه ، وعوتب فيه ، فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم
أما يدعى المملوك مع كافور ؟ لحسبكم ، ولما كان بمصر مرض وكان له صديق
يغشاه في علته ، فلما أبل انقطع عنه ، فكتب إليه : وصلتني - وصلك الله - معتلا
وقطعتني مبلا ، فان رأيت أن لا تشبب العلة لي ، ولا تكدر الصحة علي - فعلت
إن شاء الله . ولما رحل عن كافور قصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه
الديلمي ، فأجزل جائزته . (وكذلك مدح ابن العميد) ولما رجع من عند عضد الدولة
قاصداً بغداد ثم إلى الكوفة في شعبان لثمانية خلون منه - عرض له فاتك بن الجهلي
الأسدي في علة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضا جماعة من أصحابه ، فقاتلوه ، فقتل
المتنبي وابنه محمد وغلّاهم مفلح بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية ،
وقيل جبال الصافية - من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول - وذلك
يوم الأربعاء لست بقين - وقيل ثلاث بقين ، وقيل لليلتين بقيتا - من شهر رمضان
سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، ولما قل : رثاه أبوه القاسم مظفر بن علي الطبرسي بقوله :

لا رعى الله سِرْبَ هَذَا الزَّمانِ إِذْ دَهَانَا فِي مِثْلِ ذَاكَ اللِّسانِ
مَا رَأَى النَّاسَ ثَانِيَّ الْمُتَنَبِّي أَيُّ ثَانٍ يَرَى لِيَكْرِ الزَّمانِ
كَانَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَبِيرَةِ فِي جَيْشٍ وَفِي كِبَرِيَاءٍ ذِي سُلْطانِ
هُوَ فِي شِعْرِهِ نَبِيٌّ وَلَكِنْ ظَهَرَتْ مُعْجِزَاتُهُ فِي الْمَعَانِي
داه ملخصا من ابن خلكان ،

الجهل الذئب ، والتعب المريح ، ذلك إلى أن المتنبي مخدوم ، وشروحه متوافرة ، ومادته زاخرة ، فكان شرحه لذلك يكاد يكون هينا لينا ، لا إرهاق فيه لخاطر ، ولا إعناء لرؤية . وهنا قد يبدو لك أن تقول : وإذا كان المتنبي مخدوماً وشروحه متوافرة - كما تزعم - فعلام هذا الشرح وما حاجتنا إليه ؟ فعلى رسلك

شيء من أخلاقه وشماله

حدث على بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خلال محمودة ، وذلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث خلال مذمومة ، وذلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن . . . أما هذه الأخيرة - وهى أنه ما قرأ القرآن - فإن أظن الراوى يريد أنه ما قرأ القرآن تهجداً وتعبداً ، وإلا فإن مثل المتنبي في فضله وأدبه ودهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم ويتدارسه ويستظهره ! وأى قيمة لأديب لم يقرأ القرآن ؟ ! وقال ابن قزوين : كان المتنبي رجلاً ذاهية من اللسان ، شجاعاً ، حافلاً للآداب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه إلا بخله وشره على المال . .

أقول : وهذا بخل المتنبي هو على الحقيقة بما استتبعه طاحه وكبرياؤه وسموه إلى الرفعة والمجد والعلاء . وقد سئل في ذلك فقال : إن للبخل سبباً ، وذلك أنى أذكر - وقد وردت في صحابى من الكوفة إلى بغداد - فأتخنت خمسة دراهم في جانب منديل ، وخرجت أمشى في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع القاكهة ، فرأيت خمس بطيخات باكرة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت إليه وقلت : بكم هذه الخمس بطاطيخ ؟ . . فقال - بغير اكترأث - اذهب ، فليس هذا من أكلك ؛ فهاست معى وقلت : أيها الرجل : دع ما يعيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ؛ فلشدة ما جبنى به ما استلمت أن أعاطبه في المساومة ، فوفقت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الحان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال : يا مولاي : ها بطيخ باكرة بإجازتك أحمله إلى منزلك ، فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟ فقال : بخمسة دراهم ، فقال : بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ودعا له ، وعاد إلى دكانه

يا هذا . فالتنبي وإن كانت شروحه كثيرة إلا أنها كثيرة قلة . . ذلك أن المتنبي وإن كان من حسن حفظه أن شَرَحَهُ وعلق عليه ، ونقده وتمصب له وعليه ، نَيَّفَ وخمسون أديباً ، بَيَّنَّ أنَّ المتداول من شروحه إنما هو العُكْبَرى والواحدى واليازجى حَسْبُ : أمّا الواحدى : فلا تَهْ لَمْ يُطَبِّعْ إلا فى أورْبَةِ وفى الهند فقط ، كانت لذلك نسخه قليلة التداول فى أيدى الناطقين بالضاد لِنَدَرَتِهِ وغلاء ثمنه ، ومن ثَمَّ كان فى حكم غير المتداول . ثم هو - الواحدى - وَمِثْلُهُ العُكْبَرى كلاهما موضوعٌ ذاكَ الوَضْعَ الخلق البالى العقيم - بعثرة الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، وهكذا دَوَّالِيكَ - وَضَعٌ لا يَتَّفِقُ ومزاج هذا الجليل ، ولا سيما من يبتغى حفظ الديوان واستظهاره ، هذا إلى التحريف الكثير الذى أَلَمَ بالواحدى والعُكْبَرى معاً ، وهنا لا يسع المرء إلا أن يأسَفَ كل الأسف وتتقطع نفسه حَسَرَاتٍ جَرَاءَ

مسروراً بما فعل ؛ قتلت : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استمت على فى هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولا ! ! فقال اسكت : هذا يملك مائة ألف دينار ... وأنا لأزال على ماتراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار . . .

وقد كان أبو الطيب مغروراً إلى أقصى حدود الغرور ، وكان ذا طلاح وزهو وكبرياء ، بل كان لا يطاق غطرسة وشموخا وخيلاء ، ولا تنس قصته مع الخاتمي وما جره عليه هذا الكبر . وكان أبو الطيب مصاباً بذلك الداء : داء جنون العظمة . . . وكثيراً ما يصيب هذا الداء النوابغ والعبقريين حولك أن تجعله علة ، ولك أن تجعله معلولاً . . . وقد كان أبو الطيب عزهاة لا تطيبه النساء . . . وكان لا يشرب الخمر . . . وجملة القول أن أبا الطيب كان ذا شخصية من الشخصيات الغريبة ، وكان عظيماً ، وكان عبقرياً ، وكانت حياته لذلك زاخرة بكل ما يجلب له الحب والإشفاق والإجلال من قوم ، وبكل ما يجلب عليه الحسد والبغض والعداء من آخرين : شأن كل عبقري عظيم ، والله أعلم . .

ذلك الداء الخبيث العياء الذى ألمّ - ولا يزال يُلم - بالمطبوعات العربية - داء التصحيف والتحريف - حتى لا يكاد يسلم منه كتاب عربى ، فذهب بحال التأليف وشوّه خلقها وصار بها إلى حيث تنبوعها الأحداق ، وتتجافى عن قراءتها الأذواق ، ويتخاذل الذهن ، ويتراجع الفكر . ولست أدرى : ما مصدر هذا الداء ، ولأمن تقع عليه تبعه هذا الجرم : هل هو النسخ ؟ - بل الماسخ - [ولقد حاولت - أخيراً - أن أنسخ رسالة فى سرقات المتنبي بدار الكتب المصرية ، وكلفت أحد النساخين فى تلك الدار بنسخها ، ولما أتمّ نقل الكراسة الأولى ذهبت إليه وأخذنا نقابل مانسخ على الأصل ، فوجدت الأصل لا يكاد يوجد فيه بيت صحيح ، ووجدت مانسخ منه ضفتنا على إِبالة . . . فما كان إلا أن انصرفت نفسى عن المسألة برمتها] . . . أم هو الطابع وجهله وتهاونه ؟ !

ولقد لقيت الألقى فى تصحيح « بروفات » - أو تجارب - المتنبي ، ومن قبله حسان ، حتى لا أكون مغالياً إذا قلت : إنّ الجهد الذى يبذل فى سبيل التأليف أهون على المرء من الجهد الذى يقاسى فى سبيل التصحيح .

وتصوّر مقدار ما يعرف الإنسان من المضيض والامتعاظ حين يرى الكتاب - بعد هذا العناء الذى يبذل فى التصحيح - لم يسلم من الأغاليط . ولا تنس أن المؤلف قد لا يقطن إلى الخطأ المطبعى أثناء التصحيح ويمرّ به مرّاً ، وعذره فى ذلك واضح : وهو أنه إنما يقرأ ما فى ذهنه ، لا ما هو بين عينيه ؛ ومن هنا كان له - للمؤلف - هو الآخر نصيب من هذا الخطأ وإن كان عذره فى ذلك قائماً . . .

أقول : إنّ عيب الواحدى والمكبرى هو ما ذكرت : وضع لا يتفق وروح العصر ، وتحريف كثير شائع فى الكتابين ، ذلك إلى هفوات تلحق كلاً على حدّته ، وقصور أو تقصير أو إقصار يلمّ بساحته ؛ فإذا أردت أن تجتزئ

بالعكبرى - مثلاً - وتستغني به عن غيره فإنه لا يفتنى كل الفناء ، وكذلك الواحدى .
 ويَزِيدُ الواحدى على العكبرى أنه لا يحفل بتفسير المفردات ولا بالإعراب ، وبأنه
 لا يفسر كثيراً من الآيات ، فكأنه موضوع للفتن . ولذا لا يأتى الشادين . أما
 اليازجى أو اليازجيان - الشيخ ناصيف وابنه الشيخ إبراهيم - فهما - على فضلهما
 الذى لا ينكر ، وعلى ما طنطن به الثانى فى ذيل الشرح ، مما قد يخرج منه القارىء
 وهو مغمى يقيناً بأن هذا الشرح هو سيد الشروح ، وهو وحده الشرح الذى
 طَبَّقَ المنفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية ، أقول : إنهما - على الرغم من
 ذلك - يَصْدُقُ عليهما قول الواحدى فى ابن جني : وأما ابن جني فإنه من الكبار
 فى صناعة الإعراب والتصريف ، والحسنين فى كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه
 إذا تكلم فى المعانى تبلد حمارة ، وَلَجَّ به عثارة . . . نعم ، وحسبك أن ترجع إلى
 ما قالاه - أى اليازجيان - فى شرح هذا البيت على انسجامه ووضوحه وروعته :

لَحَا اللهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ
 فَكُلُّ بَعِيدٍ اَلْهَمُّ فِيهَا مُعَذِّبُ

قالا : يذم الدنيا . يعنى أنها دار شقاء حتى إن من لاهم له لا يخلو فيها من
 العذاب ، فما الظن بصاحب الهموم ؟ ! ولست أدري : كيف لم يفتننا إلى معنى هذا
 البيت وهو من الوضوح والجلاء - كما ترى - ؟ . . . على أنهما - فى شرحهما
 عامة ، لافى شرح هذا البيت - لم يجيدا عن الواحدى والعكبرى قِيدَ اُنْمُلَةَ ؛ فهما
 عمدتاها ، وعليهما معولها ، فإذا حاولا أن يَتَفَصَّيَا منها ، ويستقلَّ بالشرح
 دونهما ، ويأتيا بشيء من عندهما : زلت قدماهما ، وكباجواداها ، أو تبلد حماراها .
 ووقعا فى مثل ما وقعا فى هذا البيت . . .

ذلك : إلى أن القسم الذى تولى شرحه الشيخ ناصيف قصر فيه ومَرَضَ
 ولم يتعرض لشرح المعانى ، وإنما اقتصر على شرح المفردات ، وإلى أنهما

- اليازجين - تركا كثيراً من شعر المتنبي الذي يريان فيه خشكاً لوجه الأدب ، وإلى أنهما لم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر أصلاً ، وهذه جزئية من المزايا قد وفيناها حقها في هذا الشرح ...

على أننا لا نبخس الناس أشياءهم ، ولا ننكر خصائص الطبائع البشرية وما قد يعرفوها الخطرة بعد الخطرة : من الفتور والانتكاس ، وانفلاق الذهن ، وتبدل الحس ، وإظلام البصيرة ، وغرور الروح ، وخمود الذكاء ، حتى لقد يخفى أحياناً على العليم الأملئ وجه الصواب وهو منه على حبل الذراع وطرف التمام - كما يقولون - فيمتسف الطريق ، ويتخبط تخبط العشواء ...

وهذا ابن جني - الإمام العالم المجتهد الثبت الثقة ، بل فياسوف اللغة العربية ، العليم بخصائصها ، الطب البصير بدقائقها - تراه في شرحه على المتنبي على الرغم من ذلك ، ومن أنه كان معاصراً للمتنبي - متعصباً له محامياً عنه ، وكان إذا سأل المتنبي سائل عن معنى بيت من أبياته يقول : اسألوا الشارح - يعني ابن جني - . وكان ابن جني يراجع المتنبي في كثير من شعره ويستوضحه المعنى الذي يغزوه . ورغم ذلك تراه في كثير من المواضع - كما قال الواحدى - وقد تبدل حماره ، وبلغ به عثاره .

وهكذا تتبع جميع من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد - كابن فورج ، والعروصى ، والتبريزى ، وابن وكيع ، وابن القطاع ، وابن الأفلح - فوجدت لهم جميعاً بجانب حسناتهم سيئات ، وإلى سدادهم زلات وهفوات .

وهذا حقاً من غريب طبائع البشر ؛ فسبحان من تفرد بالكمال ! !
ولقد وجدت ذلك من نفسى : مع أن الطريق معبد ، والمادة متوافرة ؛ فقد أكون - فى بعض الأوقات - مستعجاً ، نشيطاً ، مهزوزاً . مُرْهَفَ الطُّبْعِ . مَصْقُولَ الذَّهْنِ ، صافى الحس ، منبسط النفس ؛ فأشرح ما أشرح - من قوافى المتنبي - فأتى بما أَرْضَى به عن نفسى ، ويعزوفى له من الطرب ما يستخفى ، وأكون

في أوقات أخرى متقبض النفس ، مظلم الحس ، مغلق الذهن ، قدما ، بليداً ، لا أكاد أذهنُ شيئاً ، وأكون مضطراً إلى العمل ؛ فأشرح - وأنا على هذه الحال - بعض الآيات ، ثم أعود في وقت أكون فيه على جام من نفسى إلى ما شرحت ، وأنظر ماذا قلت ، فأدهش : كيف يصدر هذا من رجل له بقية من فهم ؟ وأنهم نفسى ، حتى لا أكاد أصدق أن شيئاً من هذا نَدَّ به القلم ...

ثم لا تنس اختلاف القرائح والأفهام والنزعات ، وأن هذا ينزع في تفكيره نزعة لغوية ، وذلك نزعة نحوية ، وذلك نزعة فلسفية منطقية ، وآخر قد تأثر بالأدب والفن وحسن التخيل ، وأن هذا أصبح تمييزاً من ذاك ، وأنفذ بصيرة ، وأبعد مدارك ، وأصنى نفساً ، وألطف حساً ، وأكثر ألمعية ، إذا أذنت أذناه شيئاً شاء ما ذهنه . فإذا هم أراغوا تأويل بيت من آيات المعاني الدقاق : تشعبت آراؤهم ، وذهب كلٌّ في تأويله مذهباً قد يباين مذهب الآخر ، تبعاً لتباين قرائحهم ومحصولاتهم ، كما قال المتنبي :

وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْآذَانُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْعُلُومِ

وإليك شيئاً يحور إليه سر هذا التباين الذى نرى بين الشراح في تأويلاتهم لمثل شعر أبي الطيب . ذلك أن المتنبي كان رجلاً ما كرراً باقعة داهية ، فكان من دهائه يعمد إلى بعض المعاني التى سبق إليها فيحاول أن يبعد بها عن أصلها ويعمىها على الناظر فيها ويريفها ويديرها عن ذلك حتى لا يُفطنَ إلى أن غيره أبو عُذر هذا المعنى ، فيلجأ إلى التعمية والجمجمة والتعقيد والإبهام ؛ لأن تلك طريقته - كما سنبينه - فيجىء البيت متناثر اللحمة ملتاث التعبير ، لا يشف ظاهره عن باطنه ، ولا يتجاوب أوله وآخره ، حتى لكأنه ضرب من الرُّثَى ، فيظن بعض الشراح أن هناك معنى دقيقاً عميقاً فيكده ذهنه ، ويجهد فكره ، ويسافر في طلب المعنى أميالاً وهو لا يفوت أطراف بنائه ، وينضى إليه رواحله ذهنه وهو على حبل ذراعه ، فيعتسف ويشتط وينحرف عن جادة الصواب ، كما قال المتنبي :

أَبْلَغُ مَا يُطَلَّبُ النَّجَاحُ بِهِ السَّطِيعُ وَعِنْدَ التَّعَمُّقِ الزَّلَلُ

وهناك شيئاً يرجع إليه ذلك التعقيد الذي نراه في بعض شعر المتنبي . هو أن أبا الطيب له حساد كثيرون من أهل الفضل ومن فحولة الشعراء وأعيان البيان يتعثر بهم على أبواب سيف الدولة في حاب ، وتقع عينه عليهم أنى ذهب - في الشام وفي مصر وفي بغداد وفي فارس - وكانوا له بالمرصاد يتلصسون له الهفوة والمأخذ ، وكان كثير - ممن يمدحهم كذلك - شعراء أدباء - وناهيك بسيف الدولة وابن العميد - فكان لذلك كله - يحتمش لكثير من قصائده ويتعمل لها ، ويتنطس في ألفاظه ومعانيه ، ويحتفل ، ويعن في الاحتفال إلى ما وراء طبعه ؛ فيجىء بعض نظمه كزاً جافاً مقدماً حُرْمَ طُلُوة الطبع وروقه ، وفقد نصف الجمال الشعري .

وهنا لا نرى مندوحة من أن نعرض لشيء لم يفتن إليه أحد ، أو فطنوا إليه ولم يصِفوه ، أو وصفوه ولكن لم يصفوه الوصف الذي هو به أليق ، ذلك أن المتنبي - للأسباب التي أساقناها ، ولسبب آخر سنبينه - تراه في أكثر شعره ينقصه التعبير الشعري ، ويظهر لك ذلك إذا أنت وازنت بينه وبين إمامه في الصنعة والاحتفال بالمعنى - وهو أبو تمام .

وإني لأذكر كلمة لأحد نقدة العرب وهى : إنما حبيب أبو تمام كالتقاضى العدل : يضع اللفظ موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر ، والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع : يتحرى في كلامه ، ويتخرج خوفاً على دينه ، وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، كالشجاع الجرى : يهجم ما يريد ، ولا يبالي ما تلقى ولا حيث وقع ١٥ .

فأنت - إذا نظرت إلى أبي تمام تجد الفحولة والجزالة والقوة ، وترى المعانى الدقاق وترى الصنعة - من الجناس والمطابقة وما إليهما - وترى - مع ذلك كله -

التعبير الشعري : أى ترى النصاعة والإشراق ، ووضوح المعالم ، واطراد النظام ،
وتساوق الأغراض ، وإحكام الأداء ، والروعة ، والجمال ، والروح القوى الذى
يطالعك من بين فقره ، ومن هنا يفضل أبو تمام : أبا الطيب .

قال ابن الأثير : وهؤلاء الثلاثة - أبو تمام ، والبحتري ، والمتنبي - هم لات
الشعر ، وعزاه ، ومنأته ، الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته ،
وجعت بين الأمثال السائرة وحكمة الحكماء ؛ وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين
إلى فصاحة القدماء .

أما أبو تمام : فإنه رب معان ، وصيقل الباب وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى
مبتكر ، لم يمش فيه على أثر ، فهو غير مدافع عن مقام الإغراب ، الذى برز فيه
على الأضراب ، ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ، ولم أقل ما أقول فيه
إلا عن تنقيب وتنقيب ، فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه ، وراض فكره
برائضه ، أطلعته أعنة الكلام ، وكان قوله فى البلاغة ما قالت حذام ، نغذ منى
فى ذلك قوله حكيم ، وتعلم ، ففوق كل ذى علم عليم .

وأما أبو عبادَةَ البحتري : فإنه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى ، وأراد أن يشعر ففنى ،
ولقد حاز طرقي الرقة والجزالة على الإطلاق ، فبينما يكون فى شظف نجد إذ تشبث
بريف العراق ، وسئل أبو الطيب المتنبي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه فقال :
أنا وأبو تمام حكيمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف فى حكمه ،
وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ، فإن أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من
الصخرة الصماء ، فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء ، فأدرك بذلك بعد المرام ،
مع قربهِ إلى الأفهام ، وما أقول إلا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ، ورق
فى ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية .

وأما أبو الطيب المتنبي : فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام فقصرت عنه

خطاه ، ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه ، لكنه حظى في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأنماً ، ولا منه مثلاً : وذلك أنه إذا خاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها ، وأشجع من أبطالها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ، حتى تظن الفريقين قد تقابلا ، واللاحين قد تواصلوا ، فطريقه في ذلك تضل بسالكه وتقوم بمنذر تاركة ، ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ، ما أدى إليه عيانه ، وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ومهما وُصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء ، ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة :

لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنْ الْكَرَامَ بَأْسَخَاهُمْ يَدَا خَتَمُوا
وَلَا تُبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمَدَ الصَّمَمُ

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى ، وعين المعرفة التي ماضل صاحبها وما غوى ، وجدته أقساماً خمسة : خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره ، وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه ، غيره وخمس من متوسط الشعر ، وخمس دون ذلك ، وخمس في الغاية المتفجرة التي لا يُعبأ بها ، وعدمها خير من وجودها ، ولولم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها ؛ فإنها هي التي ألبسته لباس الملام ، وجعلت عِرضه غرضاً لسهام الأقوام « هـ كلام ابن الأثير .

وقد آن لنا أن نقول : إن هذا الذي يعاب على أبي الطيب ويظن أنه يتخونه ويشينه : هو على الحقيقة سر من أسرار شاعريته لأن مرجعه التوليد الذي لا يؤتاه إلا الشاعر المطلق .. فالكلام إنما هو من الكلام وإنما يستحق الشاعر هذا اللقب بالتوليد ، وبطريقته في التوليد تقوم طريقته في الشعر ؛ فمن ثمَّ يختلف الشعراء ويمتاز واحد من واحد وتبين طريقة من طريقة وإن تواردوا جميعاً على معنى واحد يأخذه الآخر منهم عن الأول .

ولقد يأتي مائة شاعر بالمعنى الذي لا يختلف في الطبيعة ولا في السياق ولا في الفهم ،

فيدرونه في مائة بيت تكون في مائة ديوان ، ومع ذلك ترى أحوالهم فيه متباينة ، وصناعاتهم في أخذه مختلفة ، وترام قد تناولوه بوجوه كثيرة مُتحقق فيه عمل أمرجتهم ، وتلقى عليه اختلاف أزمانهم ، وتجري به في طرق حوادثهم ، كأنه مع كل منهم قد ولد ونشأ^(١) فهو مع هذا قوى ، ومع الآخر جبار ، ومع الثالث ضعيف ، ومع رابع متهالك ؛ وتارة بدين ، وأخرى هزيل ، وثالثة بينهما ، وهكذا . ولولا ذلك لم يكن الكلام إلا تكراراً ؛ وبطل فيه عمل العقل ، وأصبح رثاً بالياً ؛ وزهبع الذاهبين الأولين ، ولم يبق فيه لشاعر إلا إقامة الوزن ، ولو كان هذا للنسخ لقب الشاعر من الأرض ، ولم تعد للبيان صناعة ، ولا بقيت في القرائح مادة إلهية من الإلهام .

وشأن المتنبي كالشأن في نوابغ الدنيا : فالشاعر النابغة لا يهر بإرادته ، ولا ينبغ بأن يخلق في نفسه مادة ليست فيها ، وإنما هو يولد مُهيئاً بقوى لا تكون إلا فيه وفي أمثاله ، وهو زائد بها على غيره ممن لم يرزق النبوغ — كما يزيد الجوهر على الحجر أو الفولاذ على الحديد ، أو الذهب على النحاس — ثم تتفاوت هذه القوى في النوابغ ؛ فتتنوع وتتباين ، وتعمل فيها أحوالهم وأزمانهم وحوادثهم ، ومن ثم يجتمع لكل منهم شخصية ؛ ويستقل منها بطريقة ومذهب ؛ فإذا تناول معنى من المعاني تناوله على طريقته : فإما حذف منه ، وإما زاد فيه ، وإما غير قلبه ، وإما صب على حذوه معنى جديداً يلم به أو يشبهه ، أو لا يكون فيه إلا أنه جاء على طريقته حسب . فكثيراً ما يقرأ النابغة كلاماً لغيره ، أو يتأمل خاطراً ، أو يشهد أمراً ؛ فإذا كل ذلك قد أوحى إليه وانعكس على مرآة ذهنه بعمان مبتكرة طريفة لا تشبه ما كان

(١) ومن هنا لا ينبغي لك أن تظن حين ترى في شرحنا هذا مثل قولنا — بعد شرح بعض الآيات — : إن هذا المعنى مأخوذ من قول فلان أو منقول منه أو ينظر إليه : أنا نقصد بذلك إلى أن أبا الطيب سرقه كما يسرق ضعاف الشعراء ، وإنما هو التوليد الذي هو من خصائص النوابغ : وإنما ذكرنا هذه الاشباه والنظائر : هو لتري كيف يكون التوليد . واتخاذ ما يحلو . .

بسبيله وجها من الشبه - لا قريباً ولا بعيداً - وليس فيها إلا أنها جاءت من ذلك الطريق ، وهو بعدُ لم يتعمل لها ولم يتكلف ولم يصنع شيئاً ، وإنما هو تلقى من ذهنه وتلقى ذهنه من قوة لا يدري ما هي ولا أين هي ؟

وكما يُختار النبي يُختار النابغة - وليس كل الناس أنبياء ، ولا كلهم نوابغ - ولا يصنع النبي أكثر من أن يتلقى عن الوحي ، وكذلك يتلقى النابغة عن البصيرة وهي تكون فيه هو وحده بمقام الملك من الملائكة أو الشيطان من الشياطين ، على حين تكون في سواه بمقام الإنسان من الناس ، فالرجل الذكي أشبه بإنسانين : أحدهما هو ، والآخر بصيرته ، وهو بذلك أقوى من غيره ، ولكن النابغة - وبصيرته أشبه بإنسان وملك ، أو إنسان وشيطان - فهو دائماً أقوى من القوة ، وهو دائماً متصل بشيء فوق الإنسانية .

وإذا تقرر هذا : فليس للنابغة اختيار فيما يأتي به ، وليس عليه إلا أن يأخذ ما يؤتاه كما يتبها له على طريقته ؛ ومن هنا ترى المتنبي يأتي أحياناً بالتعقيد المستكره واللفظ المتكلف ، وتراه يتعسف ويتخطب ويُسف ، ومع ذلك لا ينفي مثل هذا من شعره ولا يحذفه ، وهو قادر على أن يُغنى عنه وليس في حاجة إليه ، ولكنه بعض طريقته التي انطبع عليها ، فلا يستطيع حين يحبثه الردىء أن يجعله جيداً ، وليس إلا أن يأخذه كما هو ، لأنه هو الذى انبثق له عن الجيد ، كما تضرع النار من مادة . فإذا هي سُكِل ودخان ، ثم تضرعها من مادة أخرى فإذا هي لمب صاف يتألق ؛ ولو أنك أردتها من المادة الأولى كما تجيء من الثانية لأطفأتها وذهب دخانها ونارها معاً .

وهذا سر لم يقن به إليه أحد ممن كتبوا عن المتنبي ، فاشدّد يدك عليه ، وادرس المتنبي على هذه الطريقة ، فستجد نابغة في جيده ورديته ، وستجده لا يستطيع غير

المستطاع ، وستجد طريقته كأنما فرضت عليه فرضاً ، لأنه كذلك ألهم ، وعلى ذلك ركب طبعه ، وكان ظلامه ظلاماً لتسطع فيه النجوم .

أما الإفاضة في ترجمة المتنبي ونشأته وأخلاقه وما إلى ذلك ، فلا يأتي فيها أحد بمجديد وقد أصبح المتنبي - دون غيره من شعراء العربية - كأنه في غير حاجة إلى الترجمة ، إذ هو كالمقطعة من تاريخ الأدب ، فالكلام عنه متداول مشهور ، وهذا بعض ما اختص به ؛ فقد تحتاج مع شعر كل شاعر إلى ترجمته ، ولكنك لا تحتاج من أبي الطيب إلا إلى شعره ، وترى شعره ترجمة روحه ، ولذلك اجتزأنا في هذه الكلمة ببيان سره الشعري ، ثم أنت - بعد ذلك - في حقيقة الرجل : أى شعره وشرح شعره الذى تقدمه إليك . . .

وبعد ؛ فأما هذا الشرح فلا يلقيَنَّ في رُوعك أنه بذع في الشروح ، وأنه شيء مبتكر جديد ، وهل غادر الشُّراحُ مِنْ مَرَدَمٍ ؟ وإنما كل مزية هذا الشرح أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد شيء من التهذيب والتنقيح والتحوير ، أو بعد أن خلصت من عَكْرِها خلاص الخمر من نسجِ الفِدام - كما يقول أبو الطيب - وبذلك توافر فيه ما لم يتوافر لأى شرح من شروح المتنبي على حدته ، فليس يغنى عنه شرح ، ولكنه هو - بحمد الله - يغنى عن سائر الشروح ؛ فهو كما يقول أبو الطيب :

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

عبد الرحمن البربرقي

١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩ هـ

٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ م

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله .

« أما بعد » فلما أمضيتُ النية - سنة ١٣٤٩ هـ - سنة ١٩٣٠ م - على أن أضع شرحاً على ديوان أبي الطيب المتنبى ، وأخذتُ في معالجة هذا العمل - وكان الناشرُ إذ ذاك يحفزُني حفزاً ، ولا يكاد يُبلمنى رفقاً ، وكان يتناول مني « أصول » هذا الشرح دراكماً « أولاً بأول » ويقدمه إلى المطبعة نيتاً لم تنضِجْهُ نار التثبت والروية ، وأخيراً تمثل بالطبع ولم يمس على وضعه وطبعه أكثر من عشرة أشهر - لما حدث هذا طَفِقتُ أَقْلَبُ النظر في هذا الكتاب وأعيدُ الكرة ، الخطرة بعد الخطرة ، وكلما أنعمتُ النظر في الشرح بدا لي ما يسوء ويكبد ، ويحزُّ في الكبد ، من أخطاء مطبعية ، وتقصير في شرح بعض الأبيات ، وهنّيات من هذا القبيل ، شأن كل عمل لم يُتَرَيَّثْ فيه ، ولم يُوفَّ حقّه من الأناة والتحقيق فلم يك مني إلا أن صححتُ النسخة التي بين يدي ، وتناولتها بالتنقيح والتهديب ، والحذف والزيادة ، وتداركت جميع المآخذ ، حتى إذا قدر لهذا الشرح أن يعاد طبعه ، طبع على هذه النسخة .

وما زلت على هذه الحال مستمعاً بالصبر حتى نفدت نسخ هذه « الطبعة » ، ولم يك بُدٌّ من إعادة طبع هذا الديوان ، فكانت فرصة جميلة مؤاتية أحيتُ ميّت الأمل ، وحفزتني إلى استئناف العمل ، فكان أن وجهتُ عزمي إلى التوسع في هذا الشرح وجعله شرحاً وافياً من كل نواحيه ، شرحاً أورد فيه جميع تفاسير الشراح ، وأقوال النقاد ، وأستوعب مزاي كل الشروح ؛ وليس ذلك أثراً مني (٢٢ - المتنبى)

واستبدادا بالمتنبى . . ولكنه حب الكمال ، وما يسمونه المثل الأعلى . . . فلقد رأيت بعض الشراح قد اختصر الطريق ، واكتفى بتفسير الكلمات اللغوية ، وبعضهم قد جعل وَكْدَهُ الإعراب وما يتعلق بالآيات من جهة النحو والتصريف ، وآخرين قصرُوا عنايتهم على إيراد السرقات والأشباه والنظائر . بَيِّنْ أَن هذه الأشباه - ومثلها الشواهد النحوية التي أوردها العُكْبَرى ، ومن قبله الإمامان : أبو الفتح بن جنى ، والواحدى تحتاج - هي الأخرى - إلى الشرح والتفسير . . . ورأيت فى بعض عبارات القدامى من الشراح غموضاً يحتمل أن يوضح أو يستبدل به غيره ، مما يؤلم أذهان هذا الجيل . . فكان كلُّ أولئك مما حفزنى إلى الاحتفال والاحتشاد لهذا الشرح . . فكان أن أوردتُ فيه جميع تفاسير الشراح - من متقدمين ومتأخرين - وأقوال نقدة المتنبى - من متعصبين له ومتعصبين عليه - وأكثرت من إيراد الشواهد ، والأشباه والنظائر ، وشرحت ما غمض من هذه الشواهد والأشباه . ومن عبارات الشراح ، فضلاً عن تصحيح الأخطاء التى ألت بالشرح الأول ، حتى أربى هذا الشرح على الشروح كلها مجتمعة ، وحتى صار هذا الشرح شرحاً لمتنبى ، وشرحاً لشروح المتنبى . . .

على أننى لا أدعى أن الكمال الذى نَشَدْتُ قد تحقّق ، وحسبى أنى لم آل جهداً ، ولم أدخر وسعاً ، وإن كان جُهد المقلِّ ، وغاية المستطيع ؛ ورحم الله العباد الأصفهاني حين يقول : إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً فى يومه إلا قال فى غده : لو غيّر هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن . ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

« وأما بعد » فلمناسبة هذا الشرح الجديد ، والاحتشاد فيه ، والعمل على جملة مغنياً عما عداه : رأيت أن أتبسّط شيئاً فى سيرة المتنبى - ولا سيما ما كان منها عوناً على معرفة المناسبات والظروف التى قيلت فيها قوافيه - وكذلك رأيت أن أترجم

شراح المتنبي ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح ، وإتماماً للفائدة جمعت أمثال المتنبي
وَحِكْمَهُ وَالْحَقَّتْهَا بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ .

ولأننا نترامى بهذا كله إلى أن يكون هذا الكتاب - ديوان المتنبي وشرحه
ومقدماته - كفيلاً بتحقيق كل ما يصبو إليه دارس شعر المتنبي .

وإني أسأله - سبحانه - أن يهبه من السلامة ما يحقق له رضا المنصفين ،
ويُضْفِي عليه من القبول ما يُعْمِّمُ به انتفاع المتأدبين ، إنه سبحانه بذلك كفيل
وهو حسبنا ونعم الوكيل ؟

عبد الرحمن البرقوقي

١٣٥٧ هـ - سنة ١٩٣٨ م

سيرة المتنبى •

نسبه :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي البكندى الكوفى ، أو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفى . . الخ ، كما روى الخطيب وابن خلكان ، وروى بعض المؤرخين : أحمد بن محمد . . الخ .

وجعفى جد المتنبى : هو جعفى بن سعد العشيرة من مدحج من كهلان من قحطان ، وكندة التى ينسب إليها ، محلة بالكوفة ، وليست كندة القبيلة كما ظن بعضهم خطأ .

وكان والد المتنبى يعرف بمبدان السقاء ، يسقى الماء لأهل المحلة ، أما جدته لأمه فهى همدانية صحيحة النسب ، وكانت من صاحبات النساء الكوفيات وكان جيرانهم بالكوفة من أشرف العلويين ، وكان لأبى الطيب منهم خلطاء وأصدقاء .

ولم يذكر المتنبى فى شعره نسبه أو قبياته ، ولا أشار إلى والده أو جده ، وإنما ذكر جدته لأمه ، وكان يدعوها والدته ، فى أشعار منها :

أُمْنَسِي السُّكُونُ وَحَضْرَمَوْنَا ووالدتي وكندة والسبيعا

وقد روى الخطيب عن على بن الحسن عن أبيه قال : « سألت المتنبى عن نسبه فما اعترف لى به وقال : أنا رجل أخبط القبائل وأطوى البوادي وحدى ، ومتى انتسبت لم آمن أن يأخذنى بعض العرب بطائلة بينه وبين

قام بتلخيص هذا الفصل : هلال شتا ؛ وعمدته فى هذا التلخيص : كتاب دكرى ذ المتنبى ، للدكتور عبد الوهاب عزام .

القبيلة التي أنسب إليها . وما دمت غير منتسب إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم ويخافون لساني .

على أن المتنبي قد دافع عن نسبه هذا ، في القصيدة التي مطلعها :
لا تحسبوا ربكم ولا طلله أولَ حَيٍّ فراقكم قتله
وإن يكن لم يذكره ، وإنما أشاد بأباه له عظام ، في قصيدته هذه ، وفي مواضع أخرى من شعره ، دون أن يذكر رحله أو عشيرته أو قبيلته .
ولم يكن المتنبي يُعنى بأن يعرف عنه إلا أنه المتنبي ، لا يفخر بقبيلة ، إنما تفخر به القبيلة التي هو منها ، قال في إحدى قصائد الصبا :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسى نفرت لا بمجدودي
وقال في رثاء جدته لأمه :

ولو لم تكني بنت أكرم والد لكان أباك الضخم كونك لي أما

ويقول بعض مؤرخي الأدب العربي : إن بعض شعر المتنبي قد يدل على عصبية يمانية ، فأكثر مدحيه في أيامه الأولى من قبائل يمانية ، مدح شجاع ابن محمد الأزدي ، وعلى بن أحمد الطائي ، وغيرهم ، ومدح التنوخيين في اللاذقية . وقال للحسين بن إسحق التنوخي يمدحه - بعد أن هاج بعض الناس ونسب الهجاء إلى المتنبي - :

أبت لك ذمي نخوة يمنية ونفس بها في مازق أبدا ترمي

على أن ذلك الذي يكتم نسبه عن الناس فينسى الناس ذلك النسب ، والذي يختلف المؤرخون في تسمية آبائه ، ليس ذا نسب نابه على كل حال ، ثم إن خلط كنبدة التي ولد بها المتنبي ، بكندة القبيلة ، شيء يحقق خمول نسب شاعرنا الكبير وتفاوته ، وهو - على الرغم من كل أولئك عربي قح ، هريق في عروبه ، فلا يعيبه أن كان من بيت فقير .

أسرته :

ولقد اتفقت روايات المؤرخين على أن أبا المنبى كان سقاً ، وقد جهاه ابن لنكك
البصرى لما سمع بقدمه بغداد راجعاً من مصر فقال :

لكن بغداد جاء الفيت ساكنها نعلم في قفا السقاء تزدحم
وقال شاعر آخر :

أى فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشياً
عاش حيناً يبيع في الكوفة الما وحيناً يبيع ماء الحيا

وروى أن والد المنبى سافر به إلى الشام ، وتنقل به بين حضرها وباديتها
ومدرها ووبرها ، وردده في القبائل .

على أن الثابت الذى ينطق بأن والد المنبى لم يكن رجلاً نابه الشأن - كما يرجح
الرواة - أنه مات فما رثاه ولده بكلمة واحدة .

أما ولادة المنبى ، فلم يذكر الرواة عنها شيئاً ، ويرجح أنها ماتت في
حدثاته قبل سفره إلى الشام ، وأما جدته لأمه فقد تقدم ذكرها ، وهى
التي تفردت من بين أسرته جميعاً برثائه لها واحترامه الفخم . قال إبان
اعتقاله :

يبدى أيها الأمير الأريب لا لشيء إلا لآنى غريب
ولأمّ لها إذا ذكرتنى دم قلب فى دمع عين يذوب

وتلك هى جدته التى أخبرنا فى شعره - كما أخبرنا الرواة - أنها ماتت فرحاً
بكتاب جاءها منه بعد غيبة طويلة مؤنسة . وإنك لو اجد أثرها البليغ فى حياته
وسيرته ولامس ثورة نفسه وحزنه عليها فى قصيدته التى مطلعها :

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً فما بطشها جهلاً ولا كفها حلاً

وأجمع رواية أخبار المتنبي على أن مولده كان في محلة كندة ، إحدى محلات الكوفة ، سنة ثلاث وثلثمائة من الهجرة ، وهذا هو كل ما نعرفه من أخبار نشأته الأولى اللهم إلا النزر الذي لا ينقع غلة ، جاء في الإيضاح أنه « اختلف إلى كتاب فيه أولاد أشرف الطويلين ، فكان يتعلم دروس العربية شمرأ ولفة وإعرابا » وكان - إلى جانب ذلك - يختلف إلى الوراقين ليفيد من كتبهم ، وقد تميز منذ الطفولة بالذكاء وقوة الحفظ ، واشتهر بحبه للعلم والأدب ، وقد لزم الأدباء والعلماء وأكثر ملازمة الوراقين فكان علمه من دفاترهم .

ومما يستطرف هنا ما ذكره بعض الرواة عن قوة الحفظ في المتنبي ، وهي أن أحد الوراقين أخبره أن أبا الطيب كان عنده يوماً ، فجاءه رجل بكتاب نحو من ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ أبو الطيب الكتاب وأقبل يراجع صفحاته ، فلما ملّ صاحب الكتاب ذلك استعجله قائلاً : يا هذا لقد عطلتني عن بيعه ، فإن كنت تبني حفظه في هذه الفترة القصيرة ، فذلك بميد عليك . قال المتنبي : فإن كنت حفظته فإلى عليك ؟ قال الرجل : أصطيك . قال الوراق : فأمسك الكتاب أراجع صفحاته والفلان يتلوما به حتى انتهى إلى آخره ، ثم استلبه فجعله في كفه ومضى لشأنه .

وروى أن المتنبي صحب الأعراب في البادية فعاد إلى الكوفة هرباً صرماً ، أما مدة إقامته فيها فهي أكثر من سنتين ، قال العلوي : إنه أقام في البادية سنين ، وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أنه أقام فيها سنتين . ويرجح أن مغادرة المتنبي إلى البادية كانت سنة اثنتي عشرة وثلثمائة ، حينما أغار القرامطة على الكوفة ، ويرجح كذلك أنه غادر الكوفة مرة أخرى سنة خمس عشرة وثلثمائة عندما عاود القرامطة الغارة وهزموا جيش الخلافة ، وقد كان لذلك أثرٌ بيّنٌ في نفس المتنبي فاض في بعض أحاديثه وأشعاره .

وقد رحل المتنبي بعد ذلك إلى بغداد . جاء في «الصبح المنبى» : أن أبا الطيب قال : «وردت في صباى من الكوفة إلى بغداد» وإن لم يذكر المؤرخون موعد ذهابه إلى بغداد ، فمن الراجح أنه ذهب إليها سنة تسع عشرة وثلثمائة فقد جاء في النجوم الزاهرة في حوادث تلك السنة : أن القرامطة أغاروا على الكوفة فرحل أهلها إلى بغداد . فليس بعيداً أن تكون هجرة المتنبي إلى بغداد مع الراحلين إليها من أهل الكوفة ، ومن المحتمل أيضاً أن يكون المتنبي قد ذهب إلى بغداد قبل ذلك مرة أو مرات .

وبين — بعد ذلك — من سيرة المتنبي ، ومن روايات المؤرخين ، أن ثقافة الشاعر العربي لم تكن جماع ما تلقاه في كُتَّاب الكوفة ، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية ، وما تعلمه في بغداد بحسب ، بل لقد زاد على ذلك أنه هاجر إلى العلماء وصاحبهم ، فدرس على السكرى ونفطويه وابن دستويه، ولقى كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه ، ولقى بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي ، وأبا عمران موسى ، وأنه «طلب الأدب وعلم العربية ، ونظر في أيام الناس وتعاطى قول الشعر من حدائته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره ، وطاول شعراء وقته» .

رحلته إلى الشام :

وكانت رحلة أبي الطيب إلى الشام سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ، كما يقول المعري في رسالة الغفران : وفي دائرة المعارف الإسلامية : أنه رحل إلى بغداد سنة ست عشرة وثلثمائة ، ثم رحل بعد ذلك إلى الشام ، ويقول بعض شراح الديوان : إن القصيدة التي مطلعها :

ذِكْرُ الصَّبَا وَمَرَاتِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ يَوْمِ حِمَامِي

نظمها الشاعر في رأس عين ، وأرجأ قولها إلى أن لقي سيف الدولة

بأنطاكية ، ولا ريب أن مزور الشاعر برأس عين كان في إبان ذهابه إلى الشام ، وقد كان ذلك سنة إحدى وعشرين وثلثمائة ؛ فإن صح هذا ، يكون المتنبي قد رحل إلى الشام وسنه ثمانى عشرة سنة .

وقد وضع الواحدى فى شرحه القصيدة التى أولها :

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا والبين جَارَ على ضعفى وما عدلا

فى القصائد الشامية ، أى أنها وما بعدها إلى الكافوريات ، قيلت فى الشام ، أما ما قبلها ، فقيل فى العراق ، وليس ما قبلها بكثير .

ولم يبد شاعرنا الكبير حناناً إلى وطنه العراق ، الذى سلخ فيه ثمانى عشر سنة من عمره ، وإنما ذكره فى بعض قصائده ، وذكر أن وطن الإنسان هو الأرض التى حلَّ فيها فاتى خيراً وصحابة ، ويبدو أن وطنه ذلك قد نبأ به ، وضاق بأماله وأحلامه وطموحه .

ولم تكن رحلة المتنبي إلى الشام ومكثه به وقوله الشعر ، إلا فى طلب المجد والسؤدد ورفعة الشأن ، ولا ندرى أسافر إليها وحده ، أم سافر فى صحبة والده ؟ .

وجدير بنا ، قبل أن نمضى فى ترجمة شاعرنا إبان إقامته فى الشام - أن نلغ إلى الحالة السياسية بها فى هذه الفترة ، لما لها من أثر كبير فى حياة الشاعر وسيرته .

فلقد كانت الشام - على عهد المتنبي - مقسمة بين الأخشيدي وابن رائق ، ثم بين الأخشيدي وسيف الدولة . وقد استمرت المنازعات عليها منذ سنة ست عشرة وثلثمائة فى خلافة المقتدر بالله العباسي . وقد ولى محمد بن طنج على الرملة ، ثم أضاف إليه دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وكانت حلب فى أيدي ولاية يرسلون من بغداد ، ثم ولى محمد بن طنج مصر أيضاً ثم غزل عنها ، وفى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى عهد الراضى بالله العباسي عظم أمير ابن طنج ، فأعيدت ولايته على مصر ،

وامتد ساططانه على الشام كلها ، وخلع طاعة الخليفة ؛ فأرسل إليه ابن رائق ، فاستولى على الشام وولى ابن يزداد حلب ، ثم دمشق ، وكان الأخشيد قد استقر على الرملة ، فسير جيشاً يقوده كافور إلى الشام ، فهزم ابن يزداد واستولى على حلب ، ثم استقر سلطان الأخشيد على الشام كلها ، وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة استولى سيف الدولة على حلب ، وبقى الأخشيديون فى دمشق .

وقد مدح أبو الطيب من رجال هذه الوقائع مساور بن محمد الرومى ، والحسين بن عبد الله بن طنج ، وهو ابن أخى الأخشيد ، وطاهر العلوى ، قال فى مساور القصيدتين اللتين مطلماها :

جَلَّا كَابِي فَلَئِكَ التَّبْرِيحُ أَغْدَاءُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْخُ
(و)

أساور أم قرن شمس هذا أم ليث غاب يقدم الأستاذا
ويعنى الشاعر بلفظة «الأستاذ» : كافورا .

وكانت طريق أبى الطيب إلى الشام هى طريق الجزيرة ، فر برأس عين واتمى إلى منبج ، حيث أقام يمدح جماعة من رؤساء العرب ، وأول قصائده الشامية فى الديوان يمدح بها سعيد بن عبد الله الكلابى المنبجى — وهى القصيدة التى أشرنا إليها من قبل — ثم مدح الشاعر جماعة أخرى فى منبج وطرابلس وغيرها من بلاد الشام الشمالية .

ولا نحب أن نمضى قُدُماً فى سيرة الشاعر ، دون أن نقف بحادثة ادعائه النبوة ، وهى الحادثة التى أثرت أكبر التأثير فى صوغ سيرته فى كتب الأدب ، لنعلم أحقاً كان ذلك أم كذباً ؟ فإن كان كذباً فلماذا لقب بالمنبجى ؟ .

لا جدال فى أن أبا الطيب سجن بالشام فى أيام شبابه ، فقد أجمع على ذلك

رواة سيرته جميعهم - كما أنبأ به في شعره - أما سبب سجنه فذلك ما اختلف فيه الرواة بعضهم مع بعض ، وما اختلف فيه أبو الطيب ، مع رواة سيرته ، ويقول الخطيب البغدادي : إن أبا الطيب « لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسنى ، ثم ادعى بعد ذلك النبوة ، ، ثم عاد يدعى أنه علوى ، إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب في الدعويين ، وحبس دهرًا طويلا ، وأشرف على القتل ، ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق » ويقول أيضا رواية عن حَاقٍ يتحدثون : « إنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدي ، فقاتله وأسره ، وشرذ من اجتمع إليه من كلب وكلاب وغيرها من قبائل العرب ، وحبسه في السجن حبسًا طويلا فاعتل وكاد أن يتلف ، حتى سئل في أمره ؛ فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليها فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه إلى الإسلام .

ويروى للمعري في رسالة الغفران : أنه لما حصل في بنى عدى ، وحاول أن يخرج فيهم ، قالوا له - وقد تبينوا دعواه - : ههنا ناقة صعبة ، فإن قدرت على ركوبها أقررنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهى رائحة في الإبل فتحيل ، حتى وثب على ظهرها فنفرت ساعة ، وتكرت برهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشى المسحة ، وأنه ورد الحلة وهو راكب عليها ، فمجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وروى كذلك : أنه كان في ديوان اللاذقية ، وأن بعض الكتاب اقلبت على يده سكين الأقلام ، فجرحته جرحًا مفرطًا ، فقتل عليها أبو الطيب من ريقه وشدها عليها ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعد له أيامًا وليالي ، فقبل الكاتب ذلك وبرى الجرح ، فصاروا يعتقدون فيه النبوة ، ويقولون : إنه كعجي الأموات .

وفي الصبح النبى : أن أبا الطيب قدم اللاذقية بعد نيف وعشرين وثلاثمائة

فأكرمه معاذ ثم قال له : والله إنك لكتاب خطير تصلح لمناذمة ملك كبير . فقال : ويحك ! أتدري ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ؛ ثم تلا عليه جملة من قرآنه - وهو مائة وأربع عشرة عبرة - ثم أراه معجزة ، ففزع المطر عن بقعة وقف فيها ، فأصاب المطر ما حولها ولم تصبها قطرة ، فبايعه معاذ ، وعمت بيعته كل مدينة في الشام ، ثم إنه لما شاع ذكره ، وخرج بأرض سلمية من عمل حمص قبض عليه ابن علي الهاشمي ، وأمر النجار بأن يجعل في رجله وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف ، وقد كتب أبو الطيب من حبسه إلى الوالي :

بيدي أيها الأمير الأريب الخ

تلك بعض الروايات التي ألصقت بأبي الطيب دعوى النبوة ، وهي روايات واضحة الكذب واهية الأسانيد ، فأما أولها فدعوى النبوة فيها مقحمة إقحاماً تسبقها وتمقّبها دعوى العلوية ، فكأنما صح في ذهن جبهة الرواة أنه تنبأ لجمعوا في رواياتهم مصداق ما سمعوه وصح في أذهانهم ، وأما الثانية فهي رواية عن خلق يتحدثون ، وهذه مقطوع بطلانها مقضى بكذبها ، فأحاديث الخلق دائماً مزوقة الجوانب موشاة الحواشي ، بالكذب القصصى الشيق ، وأما رواية المعري فهي حديث خرافة أيضاً ، لا تقرر شيئاً ، إلا أنه قام بالمعجزات وأن الناس صدقوا به ، وذلك شيء بعيد الحدوث ، بل مستحيله أيضاً ؛ فلو أن المتنبي تنبأ فعلاً فمن المقطوع به أن أحداً من الناس لم يؤمن بنبوته ، وأما رواية معاذ فمناطقة بالكذب الصريح والتلفيق البين . لأن فيه قرآناً ومعجزات وتصديقاً بدعوته ، وحديثاً مفككاً يناقض أوله آخره .

والذى يسهل على التصديق ويدخل في نطاق الواقع من أيسر سبيل أن أبا الطيب لقب بالمتنبي لبعض أبيات من شعره ، ولتعاليه وتعاضله ، ففي الديوان قطعة جاء قبها « وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي على ما كان قد شاهد من تهوره فقال :

أيا عبد الإله معكاذ إلى خفي عنك في الهيجا مقامى .
وليس في هذه القطعة إلا المخاطرة ومصالوة الخطوب في سبيل ما يطمح إليه
من المجد والسؤدد ، وليس فيها ذكر لدعوى النبوة أو إشارة إلى خارق المعجزات
التي حفلت بها الرواية السابقة .

ويقول الثعالبي : إنه بلغ من كبر نفسه وبعد همته أنه دعا قوماً من رائيى نبله ،
على الحدائث في سنه ، والفضاضة من عوده ؛ وحين كاد يتم أمر دعوته ، تأذى خبره
إلى وإلى البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده .

وهذه رواية معقولة مقنعة مسيرة للمنطق والصدق . وقد روى الثعالبي بعد
ذلك أنه « يحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شزيمة بقوة أدبه وحسن كلامه »
وهو يقصد بذلك أن يشير إلى ما تجاذبه الناس من حديث التنبؤ ، وما لا كتبه
الأسن من خرافة قصصية مشوقة .

وروى الخطيب عن التنوخى : « فأما أنا فسألته بالأهواز سنة ٣٥٤ هـ عند
اجتيازها بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى التنبى ، لأنى أردت
أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابنى بجواب مغالط لى وهو أن قال : هذا
شئ كان في الحدائث » .

ويقول ابن جنى في شرحه : « وكان قوم قد وشوا به إلى السلطان في صباه
ونكذبوا عليه ، وقالوا له : قد افتاد له خلق كثير من العرب ، وقد غزم على أخذ
بلدك ، حتى أوحشوه منه فاعتقله ، وضيّق عليه ، فكتب إليه يمدحه » .

أما رأى ابن جنى في تلقيبه بالتنبى فهو قوله :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وذلك رأى يتميل إلى الأخذ به . فواضح من قصيدته في الاعتقال ومطلعها :

أَيَا خَدَدَ اللَّهِ وَرَدَّ الْخُدُودِ وَقَدْ قُدُّودَ الْحِسانِ الْقُدُودِ
إن التهمة التي ألصقت بالمتنبى لم تكن ادعاء النبوة ، وإنما كانت دعوى
أخرى تكشف عنها العقيدة ، ويعترف بها الشاعر ولا يحاول إنكارها ، وهي
اتهمه « بالعدوان على العالمين » أى بالخروج على السلطان .

ويصح كذلك أن يكون سبب تسميته بالمتنبى ذلك البيت :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ك مقام المسيح بين اليهود
وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشعر فيلقبوه بالمتنبى ، وفى أيامنا
هذه من أمثال ذلك كثير فى الصحف والمجلات ، فإذا أطلق عليه هذا اللقب
وذاع وسرى فى الناس ، ثم مضت مدة رجع فيها الناس إلى الاستقصاء استطاع
أصحاب الخيالات القصصية أن يخلقوا قصة طريفة يفسرون بها هذا اللقب ،
ويسندون فيها إليه ادعاء النبوة .

ونعود إلى سيرة المتنبى فنقول :

كان سجنه سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، أو فى السنة التى بعدها ، ويؤخذ ذلك
من أنه قال فى قصيدته التى أرسلها من سجنه إلى الوالى يمدحه :

فَوَلَّى بِأَشْيَاعِهِ الْخُرَشْنِيَّ كُشَاءَ أَحْسَ زَيْثِرِ الْأَسْوَدِ

والخرشنى هو : بدر الخرشنى والى حلب من قبل الخليفة العباسى ؛ وثابت
فى كتب التاريخ أن الأخشيد استولى على حلب سنة أربع وعشرين وثلاثمائة
بعد أن تركها الخرشنى إلى بغداد ، فإن كان أبو الطيب يقصد بهذا البيت نزوح
الخرشنى إلى بغداد ، قبل استيلاء الأخشيد على حلب ؛ فيكون سجنه فى هذه السنة
أو فى التى تليها .

ولقد ثبت أبو الطيب بالشام خمس عشرة سنة ، وهو دائم الترحال غير

مستقر على حال ، يقصد المملوحين ، فيضيون أمله ، فتشور نفسه ، وتتحكم
كبرياؤه ، ثم يعود فيسكت النفس الأبية ، ويمسك كبرياه بيده ، وتلجته
الحاجة الملحة إلى معاودة المدح . وقد مدح أثناء ذلك اثنين وثلاثين رجلا
بأربع وأربعين قصيدة ، ومنهم التوخيون باللاذقية ، وبدر بن عمار الأسدي
نائب ابن رائق في طبرية ، ومساور بن محمد الرومي وإلى حلب ؛ وقد لزم
التوخيين وابن عمار زمنا . وأكثر البلاد نصيبا من مدائحه : منبج ،
وأنطاكية ، واللاذقية ، وطبرية ، ومدح كذلك في طرابلس ، وطرسوس ،
وجبل جرش ودمشق ، والرملة .

وقد نظم في تلك المدة خمس قصائد لنفسه ، يعرب فيها عن مطامحه
ويفخر ويشور . وهي القصائد التي أبحاث عن آماله وأوخت عن أحلام
نفسه الكبيرة .

ولم يفد أبو الطيب من مديحه إلا العطاء النزر ، على كثرة ما بالغ واحتفل .
روى ياقوت في معجم الأديباء : أن المتنبي لما مدح محمد بن زريق
الطرسوسي بقصيدته :

هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجْتُ رَسِيْسًا ثُمَّ اقْنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيْسًا
وصله عليها بعشرة دراهم . فقليل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو
أم قبيح ، ولكن أزيده لقولك هذا عشرة دراهم ، فكانت صلته عليها عشرين
درهما . وروى الثعالبي : أن عليا بن منصور الحاجب أعطى أبا الطيب ديناراً
حينما مدحه بقصيدته :

بأبي الشمس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا
فسميت القصيدة الدينارية ، وروى كذلك أن أبا الطيب مدح بدون العشرة

والخمس من الدراهم ، ولكن الذى لا ريب فيه ، أن كبار المدوحين أعطوه عطاء
ضخماً ، يلاثم شعره ومكاته .

ولقد كان المتنبي فى عهده هذا ، يبنى المجد والسؤدد ، ويانهج بالملك ، ويبنى
صروح الآمال الجسام . قال فى صباه :

ومن يبيع ما أبغى من المجد والعلو تساوى الخايى عنده والمقاتل
وعند ما لاه معاذ الاذق على توعده قال :

أيا عبد الإله معاذ إني خفى عنك فى الهيجا مقامى

وكثير جداً من شعره ينحو هذا المنحى ويسلك هذا السبيل . وكان يرى الوسيلة
إلى الملك الكفاح والقتال ومصارعة الخطوب ، وقد جاء ذلك فى شعره فى غير
موضع ، فإذا عاقته الأيام عن ذلك ، وتوانى عن إدراك أحلامه المريضة ، لام
نفسه وأنها تأنيبا .

والذى يقرأ الديوان يدرك أن المتنبي كان يستعمل هذا الضرب من ذكر
الآمال وطلب المجد والسؤدد ، فى أول قصائده التى يمدح بها كما كان الشعراء
يستفتحون قصائدهم بالنسيب . وقد جرى على ذلك فى قصيدته التى مدح بها على
ابن إبراهيم التنوخى والتى مطلعها :

أحاد أم سداس فى أحاد ليلتنا للنوطة بالتناد

وكذلك فى قصيدته التى مدح بها المفيث بن على بن بشر العجلي ، والتى
مطلعها :

فؤاد ما تسليه للدام وعمر مثل ما تهب للثام

وبلغ من ولع شاعرنا بهذا اللون من ألوان الكلام ، وقلة مبالاته بالناس
أنه توعده بقتل المدوحين أيضاً ، وذلك فى قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله
الخصيبى .

وفي شعر المتنبي : أنه حارب في سبيل غايته ، وعارك وقتل ، ولا ندرى متى حارب
ومن قتل ، ولعل ذلك وهم وسوس به إليه شيطانه النافر الجامح :
ومن يجب أن ذلك الشاعر الطامح إلى الملك والسلطان ، الذي وسع صدره هذه
الآمال الكبار ، كان فقيراً معسراً لم ينل من حياته عيشاً رغداً ، يقول في إحدى
قصائده صباه :

أين فضلى إذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
ضاق صدرى وطال في طلب الرزق قياى وقل عنه قمودى
ويقول بعض القصيدة الدينارية :

اظمتنى الدنيا فلما جتها مستقيماً مطرت على مصائبها
ويقول الثعالبي : إن أبا الطيب كان يحشم نفسه أسفراً أبعد من آماله ،
لا يستقر ببلد ولا يسكن إلى أحد ، وكان من وفرة ماله في سبيل غايته من
مشقة ، وشح ماله من مكافأة ، وطول ما عانى ونصب ، يكره الدنيا ومن
فيها ، ويخالها بناسها حرباً عليه ، وليس يغيب عن ذهن ما قاله في تحقير الناس ، من
شعر ممن في الذم . قال :

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم وأحزمهم وغد
إلى آخر الأبيات .

وليس يخفى أنه كان مثالياً على الناس ، شديد الاعتداد بنفسه ، والإيمان بحقه
على أهل زمانه ، ونحسبه كان محققاً في ذلك ، وإلا لما حفل الناس به
إلى يومنا هذا ، ولما سعى إليه المدحون بدل أن يسعى إليهم . يقول في إحدى
قصائده صباه :

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يحذق فوق نفسه من مزيد
إلى آخر ما هو من هذا القبيل .

ولم يكن أبو الطيب يتغنى بالثورة والجد عبثاً ، ولا كان عاجزاً يمتنى نفسه بالقول
(٣٢ - المتنبي ١)

دون الفعل ، وإنما كان يسعى لآماله سعى الشيخ المجتهد ، فلقد هم بالثورة وترقب لها الفرص ، ثم سكت عن أشباه ذلك بعد أن بارح عتبة الصبا ، وأوغل في سنى الرجولة الحكيمة ، فتركزت آماله في عقله الباطن ، وراح يعمل على تحقيقها في هدوء ويقين وثقة بالنجاح ، وقد استمر يُمنّي النفس ، ويبسط أمامها سبل الأمل الباسم الخلاب ، حتى قتل الزمان هذا الأمل في رأسه وخياله . فأب صامتاً محتملاً يشكو نفسه مظل الزمان ، ولا يشكو لبني الإنسان ، فهو يراهم دونه بكثير .

تلك كانت حالة الشاعر في بلاد الشام ، منذ ألقى بها عصا التسيار ، حتى سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، بيد أنه على سوء حاله وإغراقه في شكوى الزمان ، قد سار ذكره ونبه شأنه ، وبسط شعره سلطانه على الناطقين بالضاد ، حتى رغب في مدائحهم الأمراء والحاكمين ، فدعاه الحسن بن عبيد الله بن طغج إلى الرملة ليمدحه - وهو أخو الأخشيدي كما قدمنا - ثم تيسر له سبيل الاتصال بأبي العشائر بن حمدان ، فهد له الوصول إلى سيف الدولة على بن حمدان ، الذي هباً له السعادة والمجد ، وأعاناه على الدخول في زمرة الخالدين ، وكان له على خطوب الأيام خير معين .

وكان لقاء الشاعر للحسن بن طغج في شعبان سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، إذ أرسل إليه رسوله بركوبة يركبها ، فامتتع الشاعر عليه ، فأقسم ألا يبرحه ، فدخل أبو الطيب فكتب قصيدة وعاد ومدادها لم يحف ، ثم ركب مع الرسول ، فدخل على ابن طغج فأنشده إياها وهي :

أنا لاثمي إن كنتُ وقت اللوأم علمت بما بي بين تلك المعالم .

وكان هذا أول شعر المتنبي أجيز عليه إجازة كبيرة . جاء في الإيضاح : « أن المتنبي حدث بأنه أعطى من أجلها ألف دينار ، وقد أقام الشاعر مدة عند ابن طغج ، وفي الديوان غير هذه القصيدة : أرجوزة قصيرة ، وثلاث وعشرون قطعة قصيرة

أكثرها بيتان ، وقد قيلت قطعتان منها بعد عشر سنين من هذا التاريخ ، حين مر الشاعر بالرملة قاصداً مصر وهما قوله :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى وقليل لك المديح الكثير

و

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

ومدح أبو الطيب في الرملة أيضاً أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى ، وفي شرح المعرى وشروح أخرى : أن ابن طفج سأل الشاعر مدح أبي القاسم مرات عدة ، وألح عليه في ذلك كثيراً فكان يمتنع ، ثم سأله الأمير قصيدة في أبي القاسم بدل قصيدة كان يريد لها لنفسه فرضى أبو الطيب ؛ ولما ذهب الشاعر إلى أبي القاسم ومعه حاشية ، وجده في فريق من أشراف قومه يجلس على سريرته ، وقد نزل لأبي الطيب عن سريرته ولقيه بعيداً ، وأقبل عليه يتحدث ويؤنس ويجلسه على سريرته ، ثم يجلس هو بين يديه ، وقد كان ذلك بدعاً في المديح حقاً ، فلم يسمع أحد قبـل أبي الطيب أن شاعراً جلس المدوح بين يديده ، وهذه القصيدة هي :

أعيدوا صباحى فهو عند الكواعب وردوا رقادى فهو لحظ الحباب

ويحمل بنا أن نشير هنا إلى أنه لما غلبَ العباسيون على أمرهم ، وأصبح الخلفاء في أيدي القواد والأمرء ، نشأت في قبائل العرب أربع دول : هي بنو حمدان بالموصل وحلب (٣١٧ — ٣٩٤ هـ) وبنو مرداس ، وبنو السيب ، وبنو مريد ، وإنما يعيننا من هذه الدول دولة بني حمدان التغلبيين ، التي أنجبت سيف الدولة الحمداني ، وتنسب هذه العشيرة إلى حمدان أحد رؤساء بني تغلب ، وهو ابن حمدون بن الحارث

ابن لقمان بن راشد ، يقول المتنبي :

وحدان حمدون ، وحمدون حارث وحارث لقمان ، ولقمان راشد

وكان للحمدانيين نفوذ وسلطان إبان الخلافة العباسية منذ سنة ٢٦٠ ، وولى أمراؤهم ولايات كثيرة ، وكان على سيف الدولة الحمداني يملك واسطاً وما حولها ، ثم أخذ لنفسه بسيفه مملكة من الأخشيديين في شمال الشام ، واستولى على حلب وحصص سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة كما تقدم وكانت له وقائع مع الأخشيديين ، وقد استولى على دمشق والرملة بعد موت الأخشيد ، ثم غلب عليهما ، فأصطاح مع الأخشيديين على أن تكون له حلب ولهم دمشق ، وتزوج بنت الأخشيد ، واستمر له الملك ولذريته حتى أخذه الفاطميون .

وفي تاريخه : أنه صمد للروم يحاربهم عن العرب ، فكانت له معهم وقائع قبل أن يملك حلب ، فلما استقر له الملك وبسط يده على المدائن كان عليه أن يحصى ذمار ملكه ، وأن يناضل عن بني دينه ولفته ، وأن يقيم عرشه على السيوف المسلطة والدماء المراقاة ، وقد استطاع أن يقف وحده عشرين عاماً شوكة وخازة في جسم الروم ، وسيفاً مشهوراً يزود عن العروبة والإسلام . لم تمض منها سنة واحدة إلا كان له فيها حروب ونضال ، فقدّر له النصر مرات عدة ، وأوغل في بلادهم سنة ٣٣٩ حتى قارب القسطنطينية وقدّر له كذلك أن يلتقى الهزائم المرة ، وكان شر هزائمه واقعة سنة ٣٥١ التي زحف فيها الروم على حلب ، فذبحوا فيها وقتلوا تقتيلاً ، ونهبوا دار الأمير وخربوها .

على أن سيف الدولة - الذي أصيب بفالج في يده ورجله سنة اثنتين وخسين وثلثمائة - لم يقعه ذلك عن حرب الروم ، فتأثر منهم واتصر عليهم في السنة التالية .

وكان ذلك الأمير الأديب الشاعر شجاعاً في انتصاره وهزيمته معاً ، ماضى

العزيمة ، عظيم البلاء ، وقد توفى في حلب سنة ست وخمسين وثلثمائة ، ودفن في ميفارقين .

وأضاف فتي الحرب والنضال إلى شجاعته وأدبه كرمًا وسماحة بالغة ، فكان مقصد العلماء والأدباء والشعراء ، وقبلة آمالم ومحط رحالم ، فيروى أنه لم يجتمع بيباب أحد من الملوك بعد الخلفاء مثل ما اجتمع بيبابه من شيوخ الشعر وفحول الأدب والعلم .

ومن قصده من الشعراء - غير أبي الطيب - أبو فراس ، وأبو العباس النائي ، وعلى بن عبد الله الناشئ ، والسرى الرقاء ، وكثيرون غيرهم ، وبلغت مدائمه عشرات الألوف من الأبيات ، اختار منها بعض الأدباء عشرة آلاف بيت وجمعوها في كتاب ، وصحبه من الأدباء كثيرون أيضًا منهم ابن خالويه وأبو علي الفارسي ، وأهداه أبو الفرج الأصفهاني كتاب الأغاني فأعطاه ألف دينار ، ولجأ إليه كذلك الفيلسوف الكبير أبو نصر الفارابي وعاش في كنفه ، وكان سخاؤه يشمل من بعد عنه ، وله شعر يدل على أنه شاعر مطبوع ، وتقد يدل على سلامة الذوق والعلم بلغة الضاد .

و بارح شاعرنا الرملة سنة ٣٣٦ قاصداً أنطاكية ، ماراً ببيعلبك ، وكان فيها على ابن عسكر ، فخلع عليه ، وسأله أن يقيم عنده ، فمدحه بأربعة أبيات ورحل إلى أنطاكية فمدح فيها أبا العشائر بالقصيدة التي مطلعها :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

ثم مدحه بثلاث قطع أخرى ، وأنشأ في أنطاكية كذلك أرجوزة أولها :

ما للمروج الخضر والحدائق يشكو خلاها كثرة العوائق

وذلك عند ما شهد الناج يكسو أديم الأرض ويفشى الربا والوهاد .

وأثناء إقامته في أنطاكية ، أغار عليها بانس المؤنسي - قائد الأخشيديين -

وفوجيء أبو العشائر فقاتل عن نفسه حتى بلغ حلب ، فقال المتنبي قصيدته :

إذا غمرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
ثم رجع أبو العشائر إلى أنطاكية ، وكان أبو الطيب عاد إلى الرملة ،
فلما سمع بقدمه خرج يقصده ، فلما غدا بطرابلس أراد إسحاق بن كيفلغ
على مدحه - وكان جاهلا - وكان بعض الناس قد أغروه به ، وقالوا : إنما يترك
مدحك استصفاً لك ، فلما راسله يستمدحه احتج أبو الطيب بيمين ألا يمدح
أحدًا إلى مدة ، فأخذ عليه الطرق حتى تنقضى المدّة ، فهجاه أبو الطيب بقصيدة
أملأها على من يثق به ، ولما ذاب الثلج عن لبنان خرج إلى دمشق ، واتبعه
ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً فأهجمهم ، ثم ظهرت القصيدة ، وقد أقذع فيها المتنبي
وأخش إلى جانب ما أودعها من الحكمة الرائعة .
ولما بلغ الشاعر أنطاكية ، لقي أبا العشائر ومدحه بقصيدتين وثمانى قطع .

وأراد الله للشاعر الكبير أن يلقى بمدوحه الكبير ، وأن يمتزج تاريخهما
على مر العصور والأيام ، فقد كان أبو العشائر بن حمدان والياً على أنطاكية
من قبل سيف الدولة ، فلما قدم الأمير أنطاكية سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ،
قدم أبو العشائر إليه أبا الطيب ، وأثنى عليه ، ولم يشأ أبو الطيب أن يمدح
الأمير إلا بعد أن اشترط عليه ألا ينشده وهو واقف ، وألا يقبل الأرض
بين يديه ، فقبل سيف الدولة شروطه ، وكانت مما تميز به المتنبي على الشعراء
جميعاً ، ومما أوحى به إليه نفسه الطموح التي لا تقبل الهوان ، فقد تموّد
أن يتخذ من مدحيه أصدقاء له وصحاباً . وكان سيف الدولة سميع النفس
كريم الخلق ، فمن الهين عليه أن يتخذ المتنبي صديقاً صدوقاً ، وأن يكون
هو له نعم الصاحب أيضاً ، فهو الشاعر المجيد الذي يستطيع أن يشيد بآثره ،
ويخلد بطولته ، كما رأى المتنبي أن سيف الدولة هو الأمير العربي الذي يحسد

بدرره الغوالى وآياته الخالدات ، بل إنه لشاعر المجد الذى يبنى مصاحبته شاعر
اللفظ والبيان ، قال المتنبي :

شاعر اللفظ خدنه شاعر المجد كلانا رب المعانى الدقاق

وقال :

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم
وصحب أبو الطيب سيف الدولة ثمانى سنوات ، نظم فيها اثنى عشر وخمسمائة
وألف بيت ، فى ثمانٍ وثلاثين قصيدة ، وإحدى وثلاثين قطعة : منها أربع
عشرة قصيدة فى وصف وقائعه مع الروم ، وأربع فى وقائعه مع العرب ، وخمس عشرة
فى المدح الجرد عن وصف الوقائع ، وخمس فى الرثاء ، ومن القطع اثنتان فى حوادث
الروم ، والباقي فى مقاصد مختلفة ، يضاف إلى كل هذا قصيدة :

ذكر الصبى ومراتع الأرام جلبت حمى قبل يوم حمى

نظمها الشاعر سنة إحدى وعشرين وثلثمائة فى ثلاثة وثلاثين بيتاً ، وألحقها
بمدائح سيف الدولة ، وقد اتفقت روايات المؤرخين على أنه قالها فى ذلك
التاريخ ، ولكن الدكتور عبد الوهاب عزام لا يميل إلى تصديق ذلك ،
مرتكناً على أسباب وجيهة ، يراها القارىء فى كتابه عن المتنبي الذى اعتمدنا عليه
فى تلخيص هذه السيرة .

وقد مدح الشاعر سيف الدولة غير ذلك بقصيدتين ، وعزاه عن أخيه بأخرى ،
وذلك بعد أن رجع إلى العراق .

وكان سيف الدولة يقد على شاعره أيما إغداق ، ويكرمه ويبالغ فى العطف
عليه وإكبار شأنه ، فكان يعطيه كل عام ثلاثة آلاف دينار ، وكان يمنحه غير
ذلك عطايا أخرى ومكافآت . قال المتنبي قطعه :

موقع الخليل من نذاك طفيف ولو أن الجياد فيها ألوف

حين سأله الأمير عن فرس يرسله إليه ، وقال قطعتة :
 اخترت دهماً تين يا مطر ومن له في الفضائل الخير
 حين خيرته في فرسين ، إحداهما دهماً والأخرى كيت ، وقال قطعتة :
 فطت بنا فعل السماء بأرضه خلع الأمير وحقه لم نقضه
 في خلع أنفذهما إليه ، وقال قطعتة :
 أيا رامياً يضي فؤاد مراره تربى عداه ريشها لسهامه
 وهو خارج إلى أقطاع أقطعه إياه الأمير في معرة النعمان ، وجاء في الشروح ذكر
 لهذا جمة منحها الأمير للشاعر بعد أن تصالحا إثر تنافرهما .
 وينطلق شعر المتنبي في سيف الدولة ، بالغبطة والرضا ، ويفيض بالشكر
 الأوفر ، يقول :

أسير إلى إقطاعه في ثيابه على طرفه من داره بحسامه
 وقد سكن أبو الطيب إلى صحبة الأمير الكريم ، وطاب له زمانه ، فسكت عن
 حديث الثورة والقتل الذي غمر شعره الأول وفاض في كل قصائده إلا قليلاً ، وكان
 يصحبه في أغلب حروبه ، فتكن من وصفها وصف الشاهد كما بين في الديوان .
 ثم . . . ثم أراد الله مرة أخرى أن يفرق بين الرجلين ، وأن يتم ما خطه
 في أم الكتاب . . . وذلك بعد ثمانى سنوات لبها الشاعر في كنف الأمير كانت
 أولى قصائده مدحه فيها :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه
 وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت آخر قصيدة في سنة خمس وأربعين
 وثلثمائة وهى .

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في إقدامك القسم
 وأما سبب فرقة الصديقين فهو حـد أكل قلوب شعراء سيف الدولة
 والمحيطين به غير أبى الطيب ، وهو كذلك ضيق الأمير ذرعاً بالشاعر

للمتعالى الذى لا يقول فيه القصيدة إلا بعد أن يطلبها ويستعجلها أشهراً طويلاً .
أجل : فلقد كان حول سيف الدولة شعراء كثر ينشدون الخير والنعمة ، وكانت
شمس المتنبي غالباً على شمسهم ؛ فلا غرو أن ينقموا عليه ويحسدوه ، سيما وهو
المتكبر للمتعالى ، الضارب فى ذرى الأنفة والكبرياء ، الفخور بشعره ، والمتفرد
وحده برضى الأمير وإيثاره . وذلك الشاعر الذى يقول :

أنا السابق الهادى إلى ما أقوله إذ القول قبل القائلين مقول

لا يستطيع أن يلقى من شاعر آخر حباً أو وفاء أو إخلاصاً .
على أن من غير الشعراء كثيرين كانوا ينقمون عليه كذلك ويحسدون مكانته
عند الأمير وعظمته بين الناس . قال المتنبي :

أزل حسد الحساد عنى بكيهم فأنت الذى صيرتهم لى حسداً
ولا مراة فى أن أولئك الشعراء قد غلبهم حسد أبى الطيب فبيتوا له المكائد
وناصبوه العداء ، يقول الشاعر العملاق :

وفى كل يوم تحت ضنبى شويعر ضيف يقاوينى قصير يطاول
ويقول غير ذلك كثيراً بين يديك فى صفحات الديوان .

هذ ، وكان سيف الدولة مفرماً بشعر أبى الطيب ، يود أن يسمع كل يوم قصيدة
له فى مدحه ، وكان الشاعر ينظم أربع قصائد فى كل سنة أو خمساً غير القطع ،
فكان الأمير يفض عليه . فنحن نرى فى الديوان قصيدة قيلت فى جمادى الآخرة
سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، وأخرى قيلت يوم الأضحى من تلك السنة ، وبين
التاريخين زهاء خمسة أشهر ، نظم الشاعر فيها سبع قطع وقصائد قصيرة يعتذر
فى اثنتين عن تأخير مدحه :

وجاء فى الصبح النبى : أن أبا فراس قال للأمير : « إن هذا المتشوق كثير
الإدلال عليك . وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن
أن تعقد مائتى دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره » .

وفي شرح ابن جنى : « وكان سيف الدولة إذا تأخر عن مدحه شق عليه ،
وأكثر أذاه ، وأحضر من لاخير فيه ، وتقدم إليه بالتعرض له في مجلسه بما
لا يحب ، فلا يجيب أبو الطيب أحداً عن شيء ، فيزيد ذلك في غيظ سيف
الدولة . . الخ »

وقويت النفرة بين الرجاين ، فأنشد الشاعر قصيدته المشهورة :
واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن يجسمى وحالى عنده ألم
وقد اضطرب الخجاس عند إنشاد هذه القصيدة ، وثار حاشية الأمير مطالبة
بدمه ، فرخص الأمير في ذلك ، حتى كاد الشاعر يهلك . يقول الشاعر
في السامري - وهو أحد كتّاب الأمير ، وكان قد طالب بدمه - :
أسامري ضحكة كل راء فطنت وكنت أغبي الأغبياء
إلى آخر الأبيات .

ولما خرج أبو الطيب بعد ذلك لقي عناء كبيراً من رجال سيف الدولة : وقد
أشهر سيفه فيهم حتى اخترقهم ولم يصنعوا به شيئاً ، وأرسل أبو العشار
جماعة من غلمانه وقتت في سبيل الشاعر ففرقهم بسيفه ولم يصبه منهم أذى
وفي ذلك يقول :

ومنتسب عندي إلى من أحبه وللنبل حولي من يديه حنيف
ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة مستخفياً فأقام عند بعض أصدقائه وراسل الأمير ،
فأنكر الأمير أنه أمر له بسوء ، وكتب الشاعر الأبيات :
ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً

فداه الوري أمضى السيوف مضارباً
ثم دخل الشاعر دار الأمير بعد تسعة عشر يوماً ودخل على الأمير
نفلع عليه ورحب به وسأله عن حاله ، فقال : رأيت الموت عندك أحب
من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله بقاءك ؛ ثم ركب الشاعر وأتبعه

الأمير هدايا فقال القصيدة :

أجاب دمي وما الداعي سوى طلل
دعا فلباه قبل الركب والإبل

على أن الشاعر كان يهدد بالفراق قبل ذلك ، فقد أشار إليه في القصيدة :
دروع لملك الروم هذى الرسائل يرُدُّ بها عن نفسه ويشاغل
وتبرم في قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب
وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب
وقد صرح الشاعر بكل ما في نفسه بعد أن رحل إلى كافور ، وفي قصائده التي
مدحه بها تعريض بسيف الدولة والمحدثين ، يراه القارىء واضحاً في الديوان ؛ من
ذلك قوله لكافور :

حيبتك قلبي قبل حبك من نأى وقد كان غداراً فكُن أنت وافيًا
على أنه لم يشأ أن يخفى ذلك عن سيف الدولة نفسه ، فقد صارحه به في
القصيدة التي أرسلها إليه من العراق إجابة لدعوته ، وذلك بعد أن مدحه
بقصيدتين ، وهى :

فهمت الكتاب أبر الكتب فسمعاً لأمر أمير العرب
من أجل ذلك فارق المتنبي سيف الدولة ، ولو أنه من المعقول أيضاً أن تكون
آماله الواسعة في السلطان هى التي حملته إلى مصر ، يبنى ما عر عليه في رحاب بنى
حمدان . ويقول ابن جنى : إن المتنبي قد اعترف بأن قصيدته :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك فى إقدامك القسم
كانت وداعاً . . . وياله من وداع .

ولم يكن سيف الدولة على علم بأن وجهة المتنبي بعد مبارحته إياه ستكون مصر ، فقد استأذنه الشاعر في الرحيل إلى إقطاعه فأذن له ، وكان أبو الطيب يبيت في نفسه أمراً : أن يبرح حدود مملكة سيف الدولة ، وأن ينشد بابا آخر غير بابيه . جاء في شرح المعري « فأجمع رأيه على الرحيل من حلب ، فلم يجد بلداً يأوى إليه أولى من دمشق ، لأن حصص من عمل سيف الدولة » وقال في الصبح المنبي ما يقارب ذلك . وواضح من هذا أن المتنبي لم يرض أن يستأذن سيف الدولة في الرحيل خوف ألا يأذن له ، ولا ريب أن سيف الدولة لم يكن ليأذن له . وقد يكون المتنبي أوجس خيفة من بطش الأمير ، فلا يبعد عليه ذلك وهو الذي عرض بفدرة - بعد - في إحدى الكافوريات وسار المتنبي من حلب إلى دمشق ، فانتقل من مملكة سيف الدولة الحمداني إلى مملكة أبي المسك كافور الإخشيدي . وقد لبث الشاعر في دمشق مدة ، ثم دعاه كافور إليه فسار إلى مصر ؛ ويذهب بعضهم إلى أن أبا الطيب لبث في دمشق متسلكتاً لا يريد الذهاب إلى كافور ، فلما دعاه كافور إليه مرتين لم يستطع إلا الذهاب ، وهم بذلك يضعون مقدمة للهجاء المرثى الذي هجا به الشاعر كافوراً بعد أن مدحه خبر مديح . . ولكن الواضح أن أبا الطيب لم يخرج من بلاد سيف الدولة إلا قاصداً أبا المسك كافوراً دون غيره ، ولذلك يروى أن والي كافور على دمشق أراده على مدحه - لما كان نازلاً ببلده - فلم يرض ذلك . وثابت أن أبا الطيب - لما نزل الرملة في طريقه إلى مصر ، ولقي فيها أميرها الحسن بن عبد الله بن طنج - لم يقل فيه مدحاً ، إلا قطعتين صغيرتين تقدم ذكرهما ، وهما :

ترك مدحيك كالهجاء لنفسى وقليل لك المدح الكثير

(و)

ماذا الوداع وداع الوداع الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد

وكن قد مدحه من قبل ، ويفلب على الظن أن الشاعر لم يشأ أن يمدح أحداً قبل كافور وهو في طريقه إليه ، وأنه كان سائراً إلى هناك عن عمد ، ونية مبيتة وأمر محزوم .

فأما كافور الأخشيدي هذا ، فلا مندوحة من أن نوجز تاريخه في لحظة خاطفة ، وهو تاريخ لا نخل القارىء إلا عالمًا به .

هو مولى أسود كان لمحمد بن طفج الأخشيد ، ومحمد بن طفج كان والياً من قبل المقتدر بالله العباسي على دمشق سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، ثم ضم إليه الراضى بالله مصر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، ولقبه بعد ذلك « الأخشيد » واستتب الأمر له ولذريته في مصر إلى عهد الفاطميين .

ويقول صاحب النجوم الزهراء : إن الأخشيد اشترى كافوراً بثمانية عشر ديناراً من بعض رؤساء مصر ، وأعتقه ، ثم رماه حتى جعله من كبار القواد ، لما رأى منه الحزم والعقل وحسن التدبير . ولما أضحى كافور قائد الجيوش الأخشيدي حارب ابن رائق ، ثم سيف الدولة في الشام ، وقد قدمنا أن أبا الطيب ذكره في مدحه لمساور بن محمد .

وعند ما توفى الأخشيد أخذ كافور البيعة لابنه أنوجور وعاد به إلى مصر . وقد ظن سيف الدولة أن موت الأخشيد يمكنه من دمشق ، فاستولى عليها وتقدم إلى الرملة ، ولكن كافوراً - وكان الحاكم الفعلى - سار إليه فهزمه وأخرجه من حلب ، ثم اصطالحا ، فأخذ سيف الدولة حلب ، وأخذ أنوجور دمشق . وتوفى أنوجور سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، فاجتهد كافور في أن يبقى الأمر لبني الأخشيد ، ونجح في ذلك ، إذ نال من الخليفة المنيع لله تولى لعل بن الأخشيد مكان أخيه ، على أن على بن الأخشيد لم يلبث أن مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وبقيت مصر أياماً بغير أمير - وكان أمرها في يد كافور - فاتفق أعيانها على تأميره ،

فأصبح بذلك هو السلطان - اسماً وفعلاً - حتى توفي سنة ست وخمسين وثلثمائة وعمره خمسة وستين سنة بعد أن حكم مصر وقسماً من الشام اثنتين وعشرين سنة .

وكان كافور الأخشيدي داهية في السياسة ، شجاعاً حكيماً ، استطاع أن يكسب صداقة العباسيين والفاطميين معاً ، ويقال : إنه هو الذي أخرج جيوش المعز لمصر حتى مات ، نغلى لها السبيل ، وإن حرّمه وكياسته جعلت منه سياسياً قديراً ، وداهية خطيراً ، وكان له - إلى هذا - بصير بالعبدية والأدب ، وكان محباً للعلماء والأدباء ، يقرب الشعراء ويمجّزهم ، وكان ديناً متواضعاً ، سخياً كثير الهبات والخلم والعطايا والصدقات .

ولا بأس من أن نقول إن كافوراً الذي عرفه التاريخ السياسي ، غير كافور الذي عرفه كثيرون من رواة تاريخ الأدب ؛ فن هؤلاء من صورته في أقبح الصور ، متأثراً بما لطّخه به أبو الطيب من صفات أدّوعها كل نقمة وبغضاء ؛ فن الخير أن نعرف الرجل على حقيقته ، ولا ننكر عليه مكائده وفطنته وكفايته ، لنسير في سيرة شاعرنا - بعد ذلك - سير المحاييد غير المحايي أو المتجنّي .

وقدم أبو الطيب مصر في جمادى الثانية سنة ست وأربعين وثلثمائة ، فأقام بها أربع سنين ونصف سنة ، حتى بارحها في ذى الحجة سنة خمسين وثلثمائة ؛ وقد مدح كافوراً حين قدم عليه بقصيدته :

كنى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب المنال أن يكن أمانياً
وختم مدائحه بقصيدة أنشدّها سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وبقي بعد ذلك سنة وشهرين لم ينشده شيئاً ، وبين فاتحة مدائحه وخاتمتها أربعة أشهر وثلث سنين مدح فيها النبي كافوراً بتسع قصائد وقطعتين ، فيها كلها سبعون وثلثمائة بيت ، وهو رابع ما مدح به سيف الدولة .

وكانت بنية أبي الطيب من ذهابه إلى أبي المسك ، أن يقطعه ضيعة أو إمارة ، وكان شديد الأمل في ذلك عظيم الرجاء ؛ ولكن رجاءه خاب ، وأملة تبخر وطواه الهواء - وسببين كل ذلك بعد - وظاهر في مدائح أبي الطيب الأولى لكافور ، أنه لم يكن كارها لمدحه ولا مسوقا إليه عن رهبة أو مثلها ، فهو يكشف في أولى قصائده عن حزنه من صديقه الأول الذي غدر به ، وهو سيف الدولة ، وعن أمله الواسع في صديقه الجديد كافور ، وقد رضى الوقوف بين يديه مبالغة في تعظيمه وابتغاء معوته . ولن ننسى أن نقول إن كافوراً عندما نزل أبو الطيب في مصر أخلى له داراً وكفله وأضافه وخلع عليه . وفي هذه القصيدة أشار الشاعر إلى سيف الدولة وإلى بنى حمدان في مواضع مختلفة ، وأطنب في مدح أبي المسك ، ثم لمح إلى غايته فلم يشأ أن يخفيها ، يقول :

إذا كسب الناس المعالي بالندى فإنك تعطي في ندادك المعاليا
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقين واليا
وفي الشهر التالي قال أبو الطيب قصيدته الثانية يهنئ بها كافوراً بدار بناها ، وهي التي أولها :

إنما التهنئات للأكفاء ولن يدني من البعداء
وأنا منك لا يهنئ عضو بالمرات سائر الأعضاء
وتلك كانت طريقة المتنبي في المدح ، لا يفضل نفسه والإشادة بها ، وإشراكها مع المدوح فيما يفتقد عليه من صفات طيبات .
وفي هذه القصيدة يقول الشاعر :

وفؤادى من الملوك وإن كان لسانى يرى من الشعراء
ويقول المعري : « ولما أنشده أبو الطيب حلف ليلفغه جميع ما في نفسه ، وإنه لا كذب ما يكون إذا حلف » .

ثم بعد شهرين ، قال أبو الطيب يمدح الأستاذ أبا المسك كافور قصيدته :
من الجآذِر في زى الأعارب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
وفيها يقول أيضاً :

إلى الذى تهب الدولات راحته ولا يمتن على آثار موهوب
ثم أنشد الشاعر كافوراً في عيد الأضحى قصيدته الرابعة :
أود من الأيام مالا توده وأشكو إليها بيننا وهى جنده

وفيها بين الشاعر عن آلام نفسه ، لأنه قصر عما ينتفیه ، وبدأ بالشكوى الخفية
والبيننة من مظل أبي المسك . ولا ريب أن كافوراً كان قد وعد الشاعر فعلاً
بولاية ، فهو هنا يستنجزه وعده ويسأله أن يحضره فيقول :
ووعدك فعل قبل وعد لأنه نظير فعال الصادق القول وعده

ثم بعد ثلاثة أشهر من ذلك قال الشاعر قصيدته الخامسة ، وكان فرس
المتنبى قد جرح فحزن عليه . فتبين كافور ذلك وأرسل له فرساً أدهم ،
وأول القصيدة :

فراق ومن فارقت غير مذم وأُمّ ومن يَمْتُ خير ميم
وفى هذه القصيدة يعاود الشاعر مدح سيف الدولة ، وذكر الحمدانيين بالخير ،
كأنما ضاق بكافور روعده ، وفى آخرها يقول :

ولو كنت أدرى كم حياى قسمتها وصيرت ثلثيها انتظارك فاعلم

ثم قال : الشاعر بعد ذلك قصيدة حكيمه مدح فيها كافوراً ، وذلك إثر شقاق
قال بين أبي المسك وبين الأمير أنوجوز انتهى بالصلح .

على أن حال أبي الطيب لا يطيب لها أن تسير فى طريق واحدة أو تستقر
على وتيرة ، فها هو يمل انتظار بغيته ، ويطلق الكيل فلا يستطيع اصطباراً

وها هو يقول - بعد أن أرسل إليه أبو المسك ستائة دينار ذهباً صلى أن تلميه عن رجائه - قصيدته :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وذلك في عيد الفطر سنة سبع وأربعين وثلاثمائة ، أى بعد مقام الشاعر بمصر سنة وشهرين ، وفي هذه القصيدة - كما بين من الديوان - يندم أبو الطيب على مبارحته سيف الدولة وقصده كافوراً ، ويعتب فيها على سيف الدولة وعلى بنى حمدان ، ثم يحتجها بمدح كافور لعله بأنها ستبلغه وإن لم ينشده إياها .

وهنا أخذت النفرة بين الرجلين مظهرًا واضحًا ، فقد سكت الشاعر عن المديح ، بعد أن كان يواصل قصائده غيرَ وإن ولا متمهل ، ثم يضطر بعد ذلك لإنشاده ، وذلك أن كافوراً كان قد ولى شبيباً العقيلي الخارجى عمان والبلقاء وما يليها ، فخرج على كافور وسار إلى دمشق في جيش كثيف ودخل المدينة ، وفي غمرة من المهرج والمرج ألقى شبيب ميثاقاً ، فارتاع جيشه ، وهرب جنده وتفرقوا ، ولم يعرف الناس كيف مات ، وجاءت الأخبار مصر فطالب كافور أبا الطيب بأن يذكر هذا في شعره فقال قصيدته التي مطلعها :

عدوك منموم بكل لسان وإن كان من أعدائك القمران

وذلك في جمادى الثانية سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ، وإنك لو اجد - من قراءة القصيدة - أن الشاعر الذى سكت عن مدح أبي المسك ثمانية أشهر ، ثم تقيه في هذه القصيدة ، لم يكن مادحاً ، وإنما كان كمن يقصد الهجاء وكأنما أراد أن يؤبّن القتل ويرثيه بدل أن يقتبط لمقتله .

ثم انقطع المتنبي بعد هذه القصيدة المريبة عن مدح أبي المسك سنة وأربعة أشهر ، وأصاحبه في أثناء ذلك حتى قال قصيدته :

(٤٢ - المتنبي ١)

ملومكما يحل عن الملام ووقع فعّاله فوق الكلام
وقد عرض فيها بكافور وبخله ومنعه عن الرحيل عن مصر ، وأعجب بها أهل
مصر برغم أنها ساءت كافوراً لما بلغت .

وفي أثناء ذلك أيضاً اتصل المتنبي بأبي شجاع فاتك الملقب بالجنون ، وقد كان
روميا وأسروربي في فلسطين ، ثم اغتصبه كافور من سيده بالرملة بلا ثمن فأعتقه
صاحبه ، فكان معه في عدة الممالك ، كريم النفس ، حر الطبع ، بعيد المهمة ،
ويقول المعري : إنه كان في أيام كافور مقبياً بالقيوم ، أنفة من الأسود وحياء من
الناس أن يركب معه ، وأنه مرض وأحوجته العلة إلى دخول مصر فدخلها ، وأن
أبا الطيب لم يتمكن من عيادته على أن فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسلام ،
وأنه لما لقي أبا الطيب في الصحراء أهداه هدية قيمتها ألف دينار ذهباً ، ثم أتبعها
هدايا بعدها ، ويقول ابن خلكان : إن القيوم كان أقطاعاً لفاتك ، وإن أبا الطيب
كان يسمع بكرمه وشجاعته ، ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور ، ثم استأذن
كافوراً في مدحه فأذن له ، ويروى أن ذلك كان بعد استقرار ما بين فاتك
والأستاذ كافور .

ويظهر أن الشاعر لم يرغب في مدح فاتك مع ما بينه وبين كافور من المنافسة
إلا ليأسه من أبي المسك ، وقد مدح أبو الطيب فاتكا في جمادى الثانية سنة
ثمان وأربعين وثلثمائة بقصيدته :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال
وفي هذه القصيدة تعريض بكافور .

ثم عاود أبو الطيب مدح كافور ، بعد أن انقطع عن ذلك ستة عشر شهراً كاملة ،
وبعد أن قال قصيدة الحمى التي تقدم ذكرها ، وبعد أن تعرض لكافور في مدح
فاتك ، ويرى بعض المؤرخين أن عودة أبي الطيب إلى مدح كافور كانت خارجة

عن إرادته ، فقد طالبه كافور بذلك فلم يستطع إلا إجابته ، وقد يكون تطلع كافور إلى مدح الشاعر قد أحيأ في نفسه الرجاء فعاد يلقي آخر سهم ، وينفض عن نفسه اليأس والإشفاق من أن يخيب ، وأما القصيدة فهي :

مُنَى كُن لِي إِنْ الْبَيَاضُ خَضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ

وفيها يتحدث الشاعر عن نفسه وعن آماله ، وعن وعد كافور له في غالب أبحاثها ، ويمدحه فيها باثني عشر بيتاً .

ثم بقى أبو الطيب بمصر بعد هذه القصيدة سنة وشهرين دون أن يمدح كافوراً فإما كان يلقاه إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لثلا يوحشه ، وكان الشاعر ضيف كافور مدة مقامه في مصر ، فكان ذلك هو الصلة بينهما بعد انقطاع الشاعر عن مدحه وحضور مجلسه .

وواضح غاية الوضوح من شعر المتنبي في كافور ، أنه لم يكن يبغى منه مالا نخسب ، بالغا ما بلغت قيمة ذلك المال ، وإنما كان يبغى ضيعة أو ولاية كما تقدم ، يقول :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشَفْلُكَ يَسْلُبُ

ولو أنه كان يطلب المال لأعطاه كافور فوق ما أعطاه ، ألوفا مؤلفة ، ونحسب أن كافوراً لم يدبر بذهنه أن يقطعه هذا الذي يريد ، وإن كان يعدده ويمطله فذلك شيء من التلطف والمداجاة ، وقال بعض الشراح : إنه قال لأبي الطيب : « أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلى النبوة ، فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع فمن يطيقك ؟ » ولا نخاله قال ذلك ، وإن كان من السهل أن يفكر فيه ، ويقول بعض الشراح أيضاً : إن كافوراً كان ينوى إقطاعه ما يريد ، وقد حلف له بذلك ، ولكن أموراً بدرت من الشاعر لم تلق رضاه ، منها أنه ذكر سواده في قصائده ، وكان كافور يكره ذلك غاية الكراهة ، ولا نظن ذلك سبباً

معقولا ، فقد ذكر الشاعر سواد المملوح في مواضع طرب لما كافور واحتز لها
وكان ذلك منذ أول عهد الشاعر بمدحه ، فلو أدرك منه امتعاضاً من هذا لما كرهه
في قصائده بعد ذلك .

وليس بعيداً أن يكون كافور كره من الشاعر إلحاحه في طلبه ومداومته على
التذكير بالوعد في لغة يصح أن تسمى توبيخاً وتأنيباً ، فصح في عزمه ألا ينيله طلبته ،
ثم إن تهادى الشاعر في أشباه ذلك ، وراثته لشبيب في القصيدة التي تقدم ذكرها ،
وتعريضه بكافور في قصيدة الحمى ، ومدحه لقاتك - كل أولئك كان سبباً في أن
يخيب أمل الشاعر في بيته ، وأن يحمل بينه وبينها سداً ، وكانت صراحة التنبؤ
وعلو نفسه ، يأيان له إلا أن يقول ما يحول بخاطره ، فلم يشأ إلا أن يقول ما قال ،
داخلاً في نطاق التوبيخ ، لا الاستعطاف والطلب الدليل .

وبما كان له أثرين في خيبة الشاعر في أمه في كافور ، أنه لم يشأ أن يمدح
الوزير ابن الفرات ، كما مدحه شعراء آخرون ، ليكون له عوناً يساعده على بلوغ
غايته ومبتغاه ، وكان الوزير ابن الفرات هذا ، وزيراً خطيراً من أسرة وزراء ومحدثاً
أديباً ميالاً لأهل العلم والأدب .

وكان أبو الطيب في آخر مقامه بمصر ، يود الرحيل ويبغى الفكاك من ذلك
النطاق المضروب ، فلقد طللما ردد ذلك في قصائده ، وقد طللما تبرم بمطل كافور
وضاق به ذرعاً . . ولكن كافوراً كان يمسكه عن الرحيل ويضع حوله العيون .

وليس خافياً أن كافوراً - لما نزل الشاعر بمصر - أنزله داراً ، وأغدق
عليه من ماله وأغرقه في عطائه ، وقد حسب أن ذلك يكفيه ، فلما طالبه
الشاعر بولاية أو ضيعة ، وعده إجابة طلبه ، ثم خاف كافور الشاعر ، حين
أدرك علو نفسه ، ولمس بُعد أمانيه ، وعلم ما حبل به ماضيه من حبس وأدواء

النبوة وما إلى ذلك ، وقد أدرك القارىء أن الشاعر بدأ يستعجل الوعد ، ويندد بالمأطلة ، بعد بقائه بمصر ثلاثة أشهر ليس غير ، وأدرك كذلك أنه سكت عن مديح كافور - بعد أن قال قصيدة شبيب والقصيدة الأخرى الأخيرة - سنة وشهرين ، وأنه ذكر الرحيل في شعره مراراً عدة ، كأنما كان كافور يحرص على ألا يفوته ، ابتغاء مدحه من ناحية ، واتقاء هجوه من أخرى . . . بل إنه لمن الثابت أن كافوراً منعه عن الرحيل منعاً ، ففى هجاء الشاعر له من بعد ما ينطق بذلك فى صراحة وبيان ، وجاء فى شرح المعرى وشروح أخرى : أن الشاعر كتب إلى كافور يستأذنه فى المسير إلى الرملة ليتنجز مآلاً بها ، وأراد أن يعرف رأيه فى مسيره فأجابه : لا ، والله ، أظال الله بقاءك ، لا تكلفك المسير ، ولكن نفذ رسولا يأتيك به ، فلما قرأ الجواب قال : آياتها التى أولها :

آخلف لا تكلفنى مسيراً إلى بلد أحاول فيه مالا

ولما ضاق صدر الشاعر الكبير بذلك الذى لقيه بمصر ، ولم يطق بعده اصطباراً ، رحل إلى الكوفة رحيل هارب لا رحيل مودع مشيع ، فلم يعد له ما يتعزى به بعد وفاة أبى شجاع فاتك ، الذى اتخذه صديقاً مؤناً طوال مدة بقائه بمصر بعد سكوته عن مديح كافور ، وكانت وفاة فاتك فى شوال سنة خمسين وثلثمائة ، وقد لبث الشاعر بعدها شهرين يدبر لرحيله ، جاء فى شرح المعرى وشروح أخرى « وقد أعد كل ما يحتاج إليه على مر الأيام فى لطف ورفق ولا يعلم به أحد من غلمانه ، وهو يظهر الرغبة فى المقام ، وطال عليهم التحفظ ، فخرج ودفن الرماخ فى الرمل ، وحمل الماء على الإبل فى الليل من النيل لعشر ليال ، وتزود لمشرين » .

وفى ليلة عيد الأنهى قال الشاعر قصيدته الحزينة الثائرة التى مطلعها :

عيد بأية حال علت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وقد هجا فيها كافوراً هجاء مرأ ، وعرض يامساكه إياه عن الرحيل .
وقد اتهم أبو الطيب غفلة كافور وانشغاله بالعيد وبما يصحب العيد من سنن ،
وهم بأخذ طريقه التي بَيَّت سلوكها . ولما اجتاز أبو الطيب بلبس نزل على عبد
العزیز بن يوسف القيسي فأضافه وأكرمه وسيره . وقد كتب إليه الشاعر أبياته
التي أولها :

جزى عرباً أمست بلبس ربهما بمسعاتها تقررُ بذاك عيونها
وكان الشاعر يعرف عبد العزیز من قبل ، وله فيه أبياته الثلاثة التي أولها :
لئن مرر بالفسطاط عيشى فقد حلا بعبد العزیز المـاجد الطرفین
ولا ريب في أن كافورا ثار لما بلغته القصيدة التي قالها الشاعر ليلة العيد ،
ولا ريب كذلك أنه غضب لرحيله وتوجس خيفة من هجائه المر الذي سوف
يلحق بعضه بعضاً . ويقول بعض الرواة : إن كافوراً أتبع الشاعر بالخليل والرجل ،
وكتب إلى عماله ليسدوا عليه الطرق .

وعبر أبو الطيب بموضع يعرف بنجدة الطير حتى خرج إلى مساء يعرف
بنحل بعد أيام ، فلقى عنده في الليل ركبا وخيلا صادرة عن كافور فأخذهم
وتركهم ، ولما قرب من النقاب رأى رائدين لبني سليم على قلوبين ، فركب
الخليل وطردهما حتى أخذها ، فذكر له أن أهلها أرسلوها رائدين ، فلما
أمنها استبقاها ورد عليهما متاعهما . وسار معهما حتى توسط بيوت بني سليم
آخر الليل ، فأكرمه ملاعب بن أبي النجم وذبح له ، ثم غدا فصار إلى النقع فنزل
بيادية من معن وسُنْبُس ، وهناك أكرمه عفيف المعنى وذبح له . ثم غدا من عنده
فسار يومه وبعض ليلته ، وعند الصباح دخل حِسَى . وهي أرض طيبة خصبة ،
وبها جبال شاهقة .

وكان بنو فزارة شاتين بها ، فنزل الشاعر بقوم من عدى فزارة ، وطالب له
المقام فلبث شهراً . ثم ظهر له فساد عبيده - وكان كافور قد كتب لمن حوله

من العرب ووعدهم - فأنفذ رسولا إلى فتى من بنى فزارة ثم من بنى مازن ،
وهم قوم يؤثر عنهم رعاية الجوار . ثم سار إليه في الليل ، والقوم لا يعلمون
رحيله ، ولا يشكون أنه يريد البياض ، فأخذ طريق البياض حتى بلغ رأس
الصوان فتوقف ، وأنفذ رسولا إلى عرب بين يديه . وأراد أحد عبيده أن
يخنونه فضرب أبو الطيب وجهه بالسيف ، وأمر الفلمان فقطعوه ، وفي ذلك العبد
قال أبو الطيب :

أعددت للغادرين أسيافاً . . . الخ
ويقول ارتجالاً في هجاء وردان :
إن تك طيء كانت لثاماً فالأثمهم ربيعة أو بنوه
إلى آخر الأبيات .

وكان رسول أبي الطيب قد عاد إليه وليس معه خبر عن العرب التي طلبها ،
فسار على بركة الله إلى دومة الجندل ، وذلك لإشفاقه من أن تكون
عليه عيون بحسنى تعلم أنه يريد البياض . وورد الشاعر البويرة بعد ثلاث
ليال ، ولما توسط الشاعر بسيطة - وهي أرض بقرب الكوفة - رأى بعض
عبيده ثوراً ، فقال : هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامه ، فقال : هذه نخلة ،
فضحك أبو الطيب وقال :

بسيطة مهلا سقيت القطارا تركت عيون عبيدى حيارى
إلى آخر الأبيات .

وورد العقدة بعد ليال ، واجتاز بينى جعفر بن كلاب وهم بالبرية فبات فيهم ،
ثم دخل الكوفة في شهر ربيع الثانى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة .
ولم يسلك أبو الطيب من مصر إلى الكوفة الطريق المعهودة ، فقد سار
« على الحلال والأحياء والمنافوز الجاهيل والمناهل الأواجن » كما يقول صاحب

الإيضاح ، وهو بذلك يؤيد ما ادعى في شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار .

وكانت أولى قصائد الشاعر في الكوفة هي التي أولها :
ألا كل ماشية الخيزلي فدى كل ماشية الهيدبي

وقد عدد فيها المواضع التي مر بها في سيره ، ونجر ، وهما كافوراً . . وقد استغرقت رحلته من الفسطاط إلى الكوفة ثلاثة أشهر . وكان رجوع الشاعر الفحل إلى بلده ومسقط رأسه بعد غيبة طويلة عدتها ثلاثون سنة .

ولم يستطع الشاعر - وقد بارح الديار المصرية - أن ينسى صديقه أبا شجاع فاتك ، ولا أن يحمر قلبه من التحسر عليه والأسى لفقده ، ولم يستطع كذلك إلا أن يفيض نقمة على كافور وكرامة وبغضاء . وقد رثى فاتك في ثلاث قصائد . أنشأ أولها بعد خروجه من مصر وأولها :

الحزن يقلق والتجمل يردع والدمع بينهما عصى طبع
وأنشأ ثانيتهما في الكوفة ، وقد أخرج تفاحة من الند عليها اسم فاتك ، وأولها :
يذكرني فاتكا حلمه وشيء من الند فيه اسمه
وأنشأ الثالثة سنة اثنتين وخسين وثلثمائة ، بعد خروجه من بغداد ، وأولها :
حتم نحن نساوى النجم في الظلم وما سراه على خف ولا قدم

وشاء الشاعر أن يهجو كافوراً أقذع الهجاء ، وأن يطلق من صدره جنوة مشتعلة من النقمة البالغة ، وذلك لأنه لم ينل عنده ما يبتغى ، ولأنه وعده فأخلفه ، ولأنه حبسه عن الرحيل ، ولأنه - في كل ذلك - أهله لشماتة الأعداء والحاسدين .

وقد ضمن الشاعر ثلاث قصائد - تضمنت أغراضاً أخرى - هجاء كافور

وهى قصيدة العيد التى تقدم ذكرها ، والقصيدة التى وصف فيها سيره من مصر إلى الكوفة ، والقصيدة العينية التى رثى بها فاتكا ، وقد تقدم ذكرها أيضاً . ثم ضمن هجاءه كذلك ، القطعة التى رثى بها فاتكا حين أذكرته به تفاحة الند .

وخصص الشاعر غير ذلك - لهجاء كافور - ست قطع فيها أربع وأربعون بيتاً . منها القطعة التى أولها :
أريك الرضا لو أخفت النفس خافيا وما أنا عن نفسى ولا عنك راضياً
ومنها القطعة التى أولها :

أنوك من عبد ومن عرسه من سلط العبد على نفسه
ومنها القطعة التى أولها :

وأسودَ أما القلب منه فضيق نخب وأما بطنه فرحيب
وقد نظمت فى شوال سنة خمسين وثلثمائة .
ومنها القطعة التى أولها :

لو كان ذا الآكل أزوادنا ضيفا لأوسعناه إحسانا
وقد نظمت حينها بالرحيل عن مصر .

وكانت العراق لما قدمها أبو الطيب فى أيدى بنى بويه ، وقد نشأت دولة بنى بويه هذه فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، فتعاون الإخوة الثلاثة : على والحسن وأحمد على التسلط فى فارس والعراق . واستولى أصغرهم أحمد على بغداد سنة أربع وثلثين وثلثمائة . فنحهم الخليفة المستكن بالله الولاية على مابأيديهم ، ولقب علياً عماد الدولة ، والحسن ركن الدولة ، وأحمد معز الدولة : وبقى ملك بنى بويه على العراق حتى سنة سبع وأربعين وأربعمائة حين استولى عليه السلاجقة .

ولم يكدمعز الدولة يملك في العراق أساييع ، حتى خلع الخليفة وسمل عينيه وولى مكانه الخليفة المطيع ، وانتقل بذلك الملك جملة من أيدي الخلفاء إلى أيدي البويهيين . وكان ذلك إيذاناً بالخراب والدمار وانتشار الظلم والظلمة والفوضى الآخذة بالعنان .

وقدم أبو الطيب العراق بعد ستة عشر عاماً من استيلاء معز الدولة عليها وأقام بالكوفة التي هجرها من قبل مراراً فراراً من القرامطة والأعراب ، فشهد بعد سنتين غارة بني كلاب عليها وشاركه في الحرب والدفاع عنها .

وكان يلي الوزارة الحسن بن محمد المعروف بالوزير المهلب . وكان أديباً شاعراً اجتمع حوله أدباء ، منهم القاضي التنوخي ، وأبو الفرج الأصفهاني وشعراء منهم السري الرفاء ، وكان جواداً مسرفاً كلفاً باللهو والمجون .

وقد لبث أبو الطيب بالعراق ثلاث سنين منذ قدمها حتى غادرها إلى فارس سنة أربع وخمسين - وكانت إقامته بالكوفة - وقد سافر في أثناء ذلك إلى بغداد مرة أو يزيد . ثم قدمها بعد في طريقه إلى فارس . ولا ندرى ما فعله بالكوفة إلا ما يحصل بقوله الشعر . ففي جمادى الثانية سنة ثلاث وخمسين هجراً ضبة بن يزيد العيني ، ويروى أن ابن يزيد العيني هذا جاء من سفاح ، يغدر بكل من نزل به وأكل معه وشرب . وكان أبو الطيب قد نزل بالطف بأصدقاء له وسارت خيلهم إلى هذا العبد واستركبوه فلزمه السير معهم ، فدخل العبد الحصن وأخذ يشتمهم أيما من وراء الحصن أقبح شتم ، ويسمى أبا الطيب ويشتمه . وأراد القوم أن يجيبوه بمثل ألفاظه ، وسألوا أبا الطيب ذلك فتكلف لهم على مشقة وعلم أنه لوسبه لهم معرضاً لم يفهم ولم يعمل فيه عمل التصريح فخطبه على ألسنتهم من حيث هو فقال . . الخ .

وفي هذه القصيدة أفدع المتنبي غاية الإقذاع . وفاض حقه فغمر القصيدة وأفعمها .

وجاء في شرح ابن جني : أن أبا الطيب أنكر إنشاد هذه القصيدة ، وقال الواحدى مثل ذلك .

ثم وقعت بعد ذلك حوادث بالكوفة اشترك فيها أبو الطيب وقاتل ، ومدح قائد الجيش الذى قدم من بغداد لصدا غارة الأعراب من بني كلاب على الكوفة . وكان أبو الطيب قبل قدوم ذلك القائد يقود الجيش المدافع عن المدينة لعدة أيام ، فلما حضر جيش بغداد كان بنو كلاب قد رحلوا عن الكوفة ، فنزل القائد وأخذ إلى أبي الطيب ثياباً نفيسة من ديباج وخز ، فأنشده هذه القصيدة في الميدان وهما على فرسيهما ، وذلك في ذى الحجة سنة ثلاث وخمسين ، وأول القصيدة :

كدعواك كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

وخرج أبو الطيب من الكوفة - قبل أن يبرحها إلى فارس - في شعبان سنة اثنتين وخمسين ، قاصداً بغداد ، وفيها لقي الوزير المهلبى ، ويرجح أنه أقام بها من جمادى الآخرة إلى شعبان ، أو قبل ذلك بقليل ، وقد نزل فيها بدار على بن حمزة البصرى اللغوى الذى روى ديوانه ، وبقي ضيفه إلى أن رحل عنها ، ولم يطل فيها مقامه .

وكان ببغداد معز الدولة بن بويه والوزير المهلبى .

وقد زار أبو الطيب المهلبى وجلس معه مرتين ، ولكنه لم يمدحه ، ولا هو مدح معز الدولة ، وقد كان أبو الطيب يود مدح المهلبى ، وأن يتخذة سيلاً إلى معز الدولة ، وإنما صده عن ذلك ما سمعه عنه من تماديه في السخف واستهتاره واستيلاء أهل الخلاعة عليه . وقد أغرى المهلبى بالمتنبى شاعراً ماجناً هو ابن حجاج فطلق بلجام دابته وقد تكأ كأ الناس عليه وأخذ ينشده :

يا شيخ أهل العلم فينا ومن يلزم أهل العلم توقيره

فلم يحفل به المتنبي وانصرف إلى منزله .
وقد كان الوزير المهلبى راغباً في مدح أبي الطيب ، مفيظاً مُحَنِّقاً من إغفاله إياه ،
وقد روى أنه أحضر على بن يوسف البقال فأنشده في حضرة المتنبي ، فقال المتنبي :
« ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال » .
ولما كان الوزير المهلبى وسيلة الشاعر إلى معز الدولة ، فإن الشاعر لم يجد
إلى معز الدولة من سبيل ، ولم يمدحه تبعاً لذلك .

ولم يشأ المهلبى أن ينسى إساءة الشاعر إليه وإغفاله إياه ، فأغرى به جماعة من
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، ومنهم ابن الحجاج ،
وابن سكرة الهاشمي ، والحاتمي . فلم يجبه المتنبي ولا حفل بهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمد الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرأً به الماء الزلالا

وقولي :

أني كل يوم تحت ضنبي شوير ضعيف يقاويني قصير يطاول

إلى آخر الأبيات .

وقولي :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فعي الشهادة لي بأني كامل

ومما كان بين أبي الطيب وبين أعوان المهلبى ما حكاه الحاتمي من مناظرته
لأبي الطيب ببغداد ، ولا ريب أن الحاتمي كذب في ذلك على خصمه وبالغ في دعواه
إرضاء للمهلبى ، وقد قال ياقوت عن الحاتمي هذا : إنه كان مبغضاً لأهل العلم ،
وفي الفترة التي أقامها الشاعر ببغداد ، قرى عليه ديوانه وسمعه جماعة ، منهم على بن
حمزة البصري ، وابن جني ، والقاضي أبو الحسن الحمالي .

وشاء الله أن يعلود قلب الشاعر الكبير الحنين إلى الأمير العربي
الجليل سيف الدولة بن حمدان ، فإنه لما سمع سيف الدولة بمخروج أبي الطيب
من مصر مرغماً كافوراً ، وبلوغه الكوفة ، كاتبه معرضاً برجوعه إلى حلب
ثم أهدى إليه هدايا متعاقبة . فأجابه أبو الطيب في شوال سنة اثنتين وخمسين
بقصيدته التي مطلعها :

مالنا كلنا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول

وفيها يبين حزن الشاعر ، ومعاودته مدح الأمير الهام . وقد قالها لما
بلغه خروج سيف الدولة - وهو مريض - للقاء الروم ورجوعهم عن
غزو طرسوس .

ثم توفيت أخت سيف الدولة الكبرى في جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين
وورد العراق خبرها ، فقال الشاعر في شعبان قصيدته :

يا أخت خير أخت يا بنت خير أب كناية بهما عن أشرف النسب

فكان لهذا الرثاء أبلغ الأثر في نفس سيف الدولة ، فأرسل إلى الشاعر هدية
ومالا وأماناً بخطه وكتاباً يستدعيه ، فكتب أبو الطيب في ذى الحجة سنة ثلاث
 وخمسين قصيدته التي مطلعها :

فهمت الكتاب أبرا الكتب فسمعا لأمر أمير العرب

وبعد أن عاد الشاعر إلى الكوفة ولبث فيها عاود الذهاب إلى بغداد ، في
طريقه إلى فارس قاصداً ابن العميد ، وقد بارح بغداد للمرة الثانية في صفر
سنة أربع وخمسين ، وذلك بعد مبارحته لها في المرة الأولى سنة وخمسة
أشهر . وقد أخذ طريق الأهواز وبها لقيه التنوخي . وبلغ أركان في الشهر
نفسه . فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ؛ فضرب
يده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض يتصلون بي وقصبت رب هذه
للدرة فما يكون منه ؟ ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته

إلى ابن العميد ودخل عليه وقال : مولاي أبو الطيب خارج البلد ، فثار من مضجعه ثم أمر حاجبه باستقباله . فركب واستركب من لقيه في الطريق ، فتلقوا الشاعر وقضوا حقه وأدخلوه البلد ، فدخل على أبي الفضل بن العميد فسلم له ، وطرح له كرسي عليه وسادة ديباج . وقال أبو الفضل : كنت مشتاقاً إليك يا أبا الطيب .

وقد أفرد أبو الفضل له داراً نزلها ، وكان يفضي أبا الفضل كل يوم ويؤاكله . وابن العميد هذا - كما لا يخفى - هو الأديب الكبير أبو الفضل ابن العميد - وزير عضد الدولة ، وقد كان أبو الفضل ناقماً على الشاعر من قبل لأنه لم يمدحه ، وكان يريد أن يخمل ذكره ، حتى إنه ليروى أن بعض أصحابه دخل عليه يوماً قبل دخول المتنبي فوجده واجماً - وكانت أخته قد ماتت - فظنه واجداً لأجلها ، فسأله الخبر ، فقال : إنه ليفيظني أمر هذا المتنبي واجتهادي في أن أخجل ذكره ، وقد ورد عليّ نيف وستون كتاباً في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
ويروى أن ابن العميد لم يرسل إلى المتنبي ليدعوه ، ولكن الذى لاريب فيه أنه فرح بمقدمه وطرب لمدحه ، فذلك كان أملاً من آماله وأمنية من أمنياته المسولات .

وقد لبث الشاعر شهرين عند ابن العميد ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذى جمعه ويتمجب من حفظه وغزارة علمه . ومدحه الشاعر بثلاث قصائد ، كانت أولها القصيدة التى مطلعها :

بادِهواك صبرت أم لم تصبرا وبكالك مالم يجر دمعك أو جرى
وكانت ثانيها القصيدة التى مدحه بها فى النوروز وهى التى أولها :

جاءَ نَيرُوزُنا وأنتَ مُرادُه وورَتَ بالذی أرادَ زَنادُه
وفیها يتواضع الشاعر ويتحذر ، كأنما أحس بأنه يخاطب بها أديباً كبيراً متميزاً
على غیره من المدوحین :

وبعد هذه القصيدة - وقبل القصيدة الثالثة - قطعتان قال الشاعر إحداها حين
ورد ، كتاب من أبي الفتح بن أبي الفضل ابن العميد وأولها :
بكتب الأنام كتاب ورد فدت يد كاتبه كل يد
وثانيتها قالها يصف مجرة رآها عند ابن العميد وأولها :

أحب امرئ حبَّ الأنفس وأطيب ما شمه معطسُ
ثم تأتي بعد ذلك القصيدة الثالثة ، التي يودع فيها الشاعر أبا الفضل ابن العميد
وهي التي مطلعها :

نسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا خفراً زادت به حمرة الخد
وما كاد المتنبي - بعد قصيدة الوداع - يتأهب للرحيل إلى أهله بالكوفة حتى
جاء ابن العميد كتاب من عضد الدولة في طلب المتنبي ، فأنبأه ابن العميد به فقال :
مالى وللدليم ؟ فقال أبو الفضل : عضد الدولة أفضل منى ، ويصلك بأضعاف
ما وصلتك به ، فأجاب : بأنى ملقى من هؤلاء الملوك أقصد الواحد بعد الواحد ،
وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النورين ويعطوننى عرضاً فانياً ، ولى ضجرات واختيارات
فيموقوننى عن سرادى فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبح الوجوه . فكتب ابن
العميد عضد الدولة بهذا الحديث ، فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام
والظمن .

وكان عضد الدولة بصيراً بالأدب ، له شعر جيد ، وكانت دولة بنى بويه عامة دولة
للأدب العربى ، فتولى الوزارة لهم ابن العميد والصاحب والمهلبى .

وسار المتنبي من أَرَّجان ، فلما كان على أربعة فراسخ من شيراز استقبله عضد
الدولة بأبى عمر الصباغ أخى صاحب كتاب حقائق الآداب ، ثم دخل البلد فأنزل

داراً مفروشة ، ولما نفذ غبار السفر واستراح ركب إلى عضد الدولة فحوسط الدار
واتهى إلى قرب السرير قبل الأرض واستوى قائماً ، وقال : شكرت مطية
حملتنى إليك ، وأملا وقف بى عليك .

وأنشأ أبو الطيب عند عضد الدولة ست قصائد وأرجوزة وقطعة ، وأولى هذه
القصائد هى :

أَوْهٍ يَدِيلُ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذَكَرَاهَا
وهى التى يعزى بها عضد الدولة فى وفاة عمته - وكانت قد توفيت ببغداد ، وثانية
القصائد هى التى أولها :

مَفَانِي الشَّعْبِ طَيِّبًا فِي الْمَفَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّيْسِ مِنَ الزَّمَانِ
وفىها يحمن الشاعر إلى العربية التى افتقدها فى فارس فاجد لها أثراً .
ووصل عضد الدولة الشاعر صلات كثيرة ، قدرت بأكثر من مائتى ألف درهم ،
ولما استأذنه فى المسير أمر أن يخلع عليه ويقاد إليه ويوصل بالمال الكثير - وقد ظهر
أثر ذلك فى شعر المتنبى .

وأقام أبو الطيب فى شيراز زهاء ثلاثة أشهر ، وقرىء عليه ديوانه ، ثم أنشد
قصيدة الوداع فى شعبان سنة أربع وخمسين ، وفيها يطلب فى شكر الأمير ، ويرغب
فى الرجوع إليه ، ويحمن إلى أهله ، ثم يتوقع أن شرأ سيصيبه فى طريقه ، وهى القصيدة
التى أولها :

فِدَى لَكَ مَنْ يَقْصُرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا صِلَكَ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ

وكان خروج أبى الطيب من شيراز ، فى الثامن من شعبان ، قاصداً ببغداد
فالكوفة ، وسار الشاعر بمراكبه وأحماله وغلتماته حتى بلغ الأهواز ، فقطع
بذلك واحداً وخمسين فرسخاً ، ثم سار خمسين فرسخاً أخرى حتى بلغ واسط
ونزل بها ، وبين واسط وبغداد زهاء أربعين فرسخاً ، كان على الشاعر أن

يحتازها قبل أن يصل مدينة السلام ، وعلى الطريق إليها بلاد ذكر منها في الروايات التي وردت عن مقتل أبي الطيب : النعمانية ، ودير العاقول ، والصافية ؛ فأما النعمانية فهي في وسط الطريق ، وهي قائمة اليوم على الشاطئ الغربي من دجلة ، وإلى الجنوب الشرق من « دير العاقول » وعلى مقربة منه دير قنّى أو (قنة) وهو يبعد عن الشاطئ قليلا ، وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخا . وأمام دير العاقول « الصافية » وهي على فرسخين جنوب شرقى دير العاقول .

وسار أبو الطيب من واسط قاصداً بغداد في طريقه إلى الكوفة في اليوم السابع عشر من رمضان ، وفي ذلك اليوم كتب عنه على بن حمزة البصرى - على روايته - القصيدتين الأخيرتين في شعره .

وبلغ جبّـل بعد أن قطع زهاء سبعة عشر فرسخا ، فنزل عند أبي نصر الجبّلى ، ثم أخذ طريقه حتى أصبح حيال النعمانية ، ثم سار فرجرايا على أربعة فراسخ من الجنوب الشرقى من دير العاقول ، وتقدم بعد ذلك حتى قارب الصافية وبينه وبين بغداد ستة عشر فرسخا ، وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدى خال ضبة بن يزيد الذى هجاه أبو الطيب ، وكان فاتك في نيف وثلاثين فارسا راحين وناشين ، ولا ريب أنه كان يتربص لأبى الطيب ، لينتقم لابن أخته ضبة ، وليستولى على ما يحمله معه من ثروة ، فقد روى أنه ومن معه كانوا ممن يقطعون طريق الحجاج .

وكان مع أبى الطيب ابنه محسد وغلمانه ، وقد وصفهم من قبل في قصيدة رثاء فاتك الميمية ، وفي قصيدة توديع ابن العميد ، ولا شك أن غلمانه هؤلاء كانوا أقل عدداً من عدوهم .

وقاتل الشاعر الشجاع حتى قتل ، وقتل ابنه ، ويقول صاحب الإيضاح : إنهم « قتلوا كل من معه » وإن كان ذلك يبدو بعيداً ، ويروى أن أبا نصر قال : « ولما صح خبر قتله وجهت من دفنه ودفن ابنه وغلمانه وذهبت دماؤهم هدراً » .
(م ٥ - المتنبى ١)

ومن المرجح أن اليوم الذى أودى فيه الشاعر هو يوم الأربعاء الثامن والعشرون من رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد رثى أبا الطيب من معاصريه ، أبو الفتح عثمان بن جنى بقصيدة أولها :
غاض القريض وأودت نضرة الأدب وصوحت بعد رى دوحة الكتب^(١)
ورثاه أبو القاسم المظفر بن على الطبسى بأربعة أبيات رواها الثعالبي فى اليتيمة وأولها :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا فى مثل ذاك اللسان
ورثاه ثابت بن هارون الرقى النصرانى ، وحرّض عضد الدولة على عقاب
من قتلوه بقصيدة أولها :
الدمر أخبث والليل أنكد من أن تعيش لأهلها يا أحمد

وقبل أن نختتم سيرة المتنبى ، نقول : إنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلثمائة ،
ولكننا لا ندرى متى تزوج ، وكان له عيال حنّ إليهم فى شعره وتشوق للقائهم ،
وقد ورد فى أخبار المتنبى ذكر لابنه محمد ، ولم يرد ذكر لغيره ، ويرجح أن
زوجه كانت من الشام .

ذلكم كان أبو الطيب المتنبى ، الشاعر الذى خُلد مع فنه الخالد وشعره
الشاعر ، ولا ريب أن القارىء أدرك من مجل سيرته ما كان يدين به من خلق
واضح الحدود ، بيّن المعالم ، فقد كان الشاعر - كما يبين فى شعره - متكبراً

(١) انظر ترجمة ابن جنى .

أيّاً معجباً بعيد الهمة ، وكان شجاعاً عظيم الإقدام ، وقد سيطرت عليه أخلاقه هذه ولعبت بحياته ، فجعلته متعالياً عن شعراء وقته عزوفاً عن مسايرتهم في اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وكان كذلك صادق القول صريحه ، قال على بن حمزة :
لأنه لم يكذب قط ، ومن آثار هذا أنه كان بنفر من التكلف ويفضل البداوة على التحضر .

وكان أبو الطيب عدا ذلك ، حاقداً على الناس ، يحقرهم ، ويطوى كشمه لهم على الموجدة والضيفنة ، وذلك أثر من آثار اعتداده بنفسه وطموحه إلى السؤدد ، ثم قصوره عن بلوغ أمله ، على أنه - برغم هذا - كان وفيّاً لأصدقائه محباً لهم متأسياً لفراقهم ، جازعاً لموتهم ، ثم كان في كل هذا حزين الطبع ، ثائراً ، يتنزى قلبه الماء وحسرة على ما أمل وفشل .

ومما أثر عن المتنبي أنه كان بخيلاً ، حريصاً على المال ليلبغ به غايته ، ويستعين به على تحقيق آماله الجسام ، وأحلامه الواسعة .

ولا نحسب الشاعر - ولم تسعده الحال في حياته على تحقيق مراده - إلا بالفاً المبالغ في ممساته ، وواجداً فوق ما أمل وأراد ، وكفاه خلوداً أن يظل على الأيام صاحب الذكر الدائم ، الباقي بقاء الضاد .

ترجمة المتنبي

« بقلم أحد معاصريه »

وقد استحسننا - لمناسبة كتاب إيضاح المشكل من شعر المتنبي الذي ورد ذكره في هذه السيرة ، لمصنفه أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني - أن نورد هنا ترجمة هذا الأصفهاني لأبي الطيب المتنبي . قال عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب : وهذه ترجمة المتنبي نقلتها من كتاب « إيضاح المشكل لشعر المتنبي من تصانيف أبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني » وهذا الإيضاح قاصر على شرح ابن جني لديوان المتنبي ، يوضح ما أخطأ فيه من شرحه . وهو من عاصر ابن جني ، وألف الإيضاح لبهاء الدولة بن بويه قال : « وقد بدأت بذكر المتنبي ومنشئه ومغتربه ، وما دل عليه شعره من معتقده إلى مختتم أمره ، ومقدمه على الملك - نصر الله وجهه - بشيراز وانصرافه عنه ، إلى أن وقعت مقتله بين ديرقنة ، والنعمانية واقتسام عقائله وصفايها . . حدثني ابن النجار ببغداد : أن مولد المتنبي كان بالكوفة في محلة تعرف بكيندة بها ثلاثة آلاف بيت ، من بين رواء ونساج .

واختلف إلى كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية^(١) شعراً ولغة وإعراباً ؛ فنشأ في خير حاضرة ، وقال الشعر صبيّاً ، ثم وقع إلى خير بادية - بادية اللاذقية ، وحصل في بيوت العرب ، فادعى الفضول الذي نزل به ، فنى خبره إلى أمير بعض أطرافها - فأشخص إليه من قيده وسار به إلى محبسه ، فبقى يعتذر إليه ويتبرأ مما وُسم به ، في كلمته التي يقول فيها :

فمالك تقبلُ زورَ الكلام وقدرُ الشهادةِ قدرُ الشهود
وفي جود كحك ما جُذت لي بنفسى ولو كنتُ أشقى نهود

(١) كذا في الأصل ويحمل أن تكون « العربية » .

وقد هجاه شعراء وقته ، فقال الضبي :

الزَّمْ مقالَ الشعرِ تَحْظُ بِقَرْبَةٍ وعن النبوة ، لا أبالك ، فانتزع
ترجيحَ دما قد كنت توجبُ سفكه إن التمتع بالحياة كمن ربح
فأجابه المتنبي :

أمرى إلى فإن سمحتُ بهجة كرمتُ على فإن مثلي من سمح
وهجاه غيره فقال :

أطلتَ يا أيها الشقي دَمَك بالهذيان الذي ملأت فك
أقسمتُ لو أقسم الأميرُ على قتلك قبل العشاء ما ظلمك
فأجابه المتنبي :

همك في أمرٍ تقلب في عين دوائر من صلبه قلبك
وهمتي في انتضاء ذى شطب أقد يوماً بحده أدمك
فأخسَ كلياً واقعد على ذنب وأظل بما بين أليتيك فك
وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صفه وقع إلى واحد يكنى أبا الفضل
بالكوفة من المتفلسفة فهوَّسه وأضله كما ضل ، وأما ما يدل عليه شعره
فتلون ، وقوله :

هون على بصر ما شق منظره فإنما يقظات العين كاللحم
مذهب السوفسطائية ، وقوله :

تتمتع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأمل كرمى تحت الرجام
فإن لثالك الحالين معنى سوى معنى انتباهك والنمام
مذهب التناسخ ، وقوله :

نحن بنو الدنيا فإنا نعا فإنا ما لابد من شرب

فهذه الأرواح من جَوِّه وهذه الأجسام من تَرْبِه
مذهب الفضائية . وقوله في أبي الفضل بن العميد :
فإن يكن المهديُّ مَنْ بَانَ هَدْيُهُ فهذا ، وإلا فالهدي ذَا ، فما المهدي
مذهب الشيعة . وقوله :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَأُخْلِفَ فِي الشَّجَبِ
قَعِيلٌ : تَخَلَّدُ نَفْسُ الْمَرْءِ بَاقِيَةً وَقِيلَ : تَشْرَكَ جِسْمُ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
فهذا من يقول بالنفس الناطقة ، ويتشعب بعضه إلى قول الحشيشية . والإنسان
إذا خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وأسلمه الله عزَّ وجلَّ إلى حوله وقوَّته ، وجد
في الضلالات مجالا واسعا ، وفي البدع والجهالات مناديجَ وفُسحا . ثم جئنا
إلى حديثه واتجاعه ، ومفارقته الكوفة أصلا ، وتطوافه في أطراف الشام ،
واستقرائه بلاد العرب ، ومقاساته للضرِّ وسوء الحال ، ونزارة كسبه ، وحقارة
ما يوصل به ، حتى إنه أخبرني أبو الحسن الطرائفي ببغداد — وكان لقي المتنبّي
دفعات في حال عسره ويسره — أَنَّ المتنبّي قد مدَّح بدون العشرة والخمسة من الدراهم
وأَنشد في قوله مصداقا لحكايته :

انصُرْ بِمُجُودِكَ أَلْفَاظًا تَرَكْتُ بِهَا فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مِنْ عَادَاكَ مَكْبُوتَا
فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحِلُ وَذَا الْوَدَاعِ ، فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِئْنَا
وأخبرني أبو الحسن الطرائفي قال : سمعت المتنبّي يقول : أوَّلَ شعر قلته وابتضت
أيامى بعده ، قولي :

أَنَا لَا نَمِي إِنْ كُنْتُ وَقْتَ اللَوَائِمِ

علمتُ بما بي بين تلك المعالم

فإني أُعْطِيتُ بِهَا بِدَمَشْقَ مِائَةِ دِينَارٍ . . . ثم اتصلَ بأبي العشائر ، فأقام
ما أقام ثم أهداه إلى سيف الدولة ، فاشتراط أنه لا ينشد إلا قاعداً وعلى الوحدة ، فاستحمله
وأجابه إليه . فلما سمع سيف الدولة شعره حكم له بالفضل ، وعدَّ ما طلبه استحقاقاً .

وأخبرني أبو الفتح عثمان بن جني : أن المتنبي أسقط من شعره الكثير وبقي ما تداوله الناس . . . وأخبرني الحلبي أنه قيل للمتنبي : معنى بيتك هذا أخذه من قول الطائي . فأجاب المتنبي : الشعر جاذبة ، وربما وقع حافر على حافر . وكان المتنبي يحفظ ديواني الطائيين ، وبستصحبهما في أسفاره ويحكما ، فلما قتل توزعت دقاته ، فوقع ديوان البحري إلى بعض من درس عليّ ، وذكر أنه رأى خط المتنبي وتصحيحه فيه . وسمعت من قال : إن كافوراً لما سمع قوله :

إِذَا لَمْ تَنْطُبْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وَلَايَةً لِّخُودُكَ يَكْسُونِي وَشُفْلُكَ يَسْلُبُ
يَلْتَمِسُ وَلَايَةَ صَيْدَاءَ . فَأَجَابَهُ : لَسْتُ أَجْسُرُ عَلَى تَوَلِيَّتِكَ صَيْدَاءَ ، لِأَنَّكَ
عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، تَحَدِّثُ نَفْسَكَ بِمَا تَحَدِّثُ ؛ فَإِنَّ وَلِيَّتَكَ صَيْدَاءَ ، فَمَنْ
يَطْلِقُكَ ؟ !

وسمعتُ أنه قيل للمتنبي : قولك لكافور :
فَارْمِ بِي حَيْثَا أَرَدْتَ فَإِنِّي أَسَدُ الْقَلْبِ آدِمِي الرِّوَاءَ
وَفَوَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَانِ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ
لَيْسَ قَوْلٌ مَمْدُوحٌ وَلَا مَمْتَنَعٌ ، إِنَّمَا هُوَ قَوْلٌ مُضَادٌّ ! فَأَجَابَ المتنبي إلى أن قال :
هذه القلوب ، كما سمعت أحدها يقول :
يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى قِصْدَ الْقَنَاءِ وَصَرَغِي رِجَالِي فِي وَغْيِ أَنَا حَاضِرُهُ
وأحدها يقول :

يَقْرَأُ بَعْنِي أَنْ أَرَى مِنْ مَكَانِهَا ذُرَا عَقْدَاتِ الْأَجْرَعِ الْمُتَقَاوِدِ

ثم أقام المتنبي عند سيف الدولة على التكرمة البليغة : في إسناء الجائزة ، ورفع المنزلة . ودخل مع سيف الدولة بلاد الروم ، وتأثّل حالاً في جنبته بعد أن كان حويّلة . وكان سيف الدولة يستحبُّ الاستكثار من شعره والمتنبي يستقله ، وكان

مَلَقَى مِنْ هَذِهِ الْحَالِ ، يَشْكُوها أَبَدًا ؛ وَبِهَا فَارَقَهُ حَيْثُ أُنْشِدَهُ :
وَمَا اتَّفَعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وآخِرُهَا :

بَأَى لَفْظَ يَقُولُ الشَّعِرَ زِعْنِفَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا هَجْمٌ
وَقَالَ فِي أُخْرَى :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهَوْ بِلُحْيَةٍ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ !
فَلَمَّا اتَّهَتْ مَدَّتُهُ عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَقْطَاعِهِ ؛ فَأَذِنَ لَهُ وَامْتَدَّ
بِاسْطِ عَنَانِهِ إِلَى دِمَشْقَ ، إِلَى أَنْ قَصَدَ مِصْرَ فَأَلَمَ بِكَافُورٍ ، فَأَنْزَلَهُ وَأَقَامَ مَا أَقَامَ ، إِلَّا
أَنْ أَوَّلَ شَعْرَهُ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى نَدَمِهِ لِفِرَاقِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ ، وَهُوَ :
كُنِيَ بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيًا وَحَسْبُ الْمَنَاسِيَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
حَتَّى اتَّبَعِي إِلَى قَوْلِهِ :

قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارَكَ غَيْرُهُ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاكِيَا
وَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْمَوْلَدِينَ بِبَغْدَادَ ، وَخَالَهُ أَبُو الْفَتْحِ يَتَوَزَّرُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ . أَنْ
سَيْفِ الدَّوْلَةِ رَسَمَ لِي التَّوْقِيعَ إِلَى دِيْوَانِ الْبَرِّ بِإِخْرَاجِ الْحَالِ فِيمَا وَصَلَ بِهِ الْمُتَنَبِّيُّ ،
فَفَرَجَتْ بِخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِ سَنِينَ .

ثُمَّ لَمَّا أُنْشِدَ الثَّانِيَةَ كَافُورًا خَرَجَتْ مُوجَّهَةً يَشْتَاكُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ . وَأَوَّلُهَا :

فِرَاقٌ ، وَمَنْ فَارَقْتَ غَيْرُ مَنْمَمٍ وَأُمٌّ ، وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرُ مُيَمَّمٍ

وَأَقَامَ عَلَى كَرِهِ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ وَرَدَ فَاتَكَ غَلَامُ الْأَخْشِيدِيِّ مِنَ الْيَوْمِ - وَهِيَ
وَبَيْتُهُ ، فَنَبَتْ بِهِ وَاجْتَوَاهَا - وَقَادُوا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي مَدْخَلِهِ إِلَى مِصْرَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ
جَنْبِيَّةٍ مُنْعَلَةٍ بِالذَّهَبِ ؛ فَسَمَاءُ أَهْلِ مِصْرَ بِفَاتِكَ الْجَنُونُ . فَلَقِيَهُ الْمُتَنَبِّيُّ فِي الْمِيدَانِ
عَلَى رِقْبَةٍ مِنْ كَافُورٍ فَقَالَ :

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تَهْدِيهَا وَلَا مَالٌ فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إِنْ لَمْ يُسْعِدِ الْحَالُ

فوصل إليه من أنواع صلاته وأصناف جوائز ما تبلغ قيمته عشرين ألف دينار ،
ثم مضى فأتك لسيله ، فرثاه المتنبي وذم كافوراً :

أيموتُ مثل أبي شجاعٍ فأتكِ ويعيشُ حاسدُهُ الخِصِي الأوكعُ !

فاحتال بعده في الخلاص من كافور ، فاتهم الفرصة في العيد — وكان رسم
السلطان أن يستقبل العيد بيوم ، وتمدّ فيه الخلع والحللات وأنواع المبار ، لرابطة
جنده وراتبة جيشه ، وصبيحة العيد تفرّق ، وثاني اليوم يذكر له من قبل ومن ردّ
واستزاد — فاهتبل المتنبي غفلة كافور ، ودفن رماحه برّاً ، وسار ليلته وحمل بفاله
وجماله وهو لا يألو سيراً وسرّى هذه الليلة مسافة أيام ؛ حتى وقع في تيه بني إسرائيل ؛
إلى أن جازه على الحلال والأحياء والمفاوز المجاهيل ، والمناهل الأواجن ، ونزل
الكوفة ، وقال يقصّ حاله :

ألا ، كل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدني

وفيها يقول :

ضربتُ بها التيه ضربَ القِما ر : إماماً لهذا ، وإما لهذا

ثم مدح بالكوفة دليّ بن لشكر وّز ، وأنشده في الميدان ؛ فحمله على فرس
بمركب ذهب .

وكان السبب في قصّده ، أبا الفضل بن العميد — على ما أخبرني أبو عليّ بن شبيب
القاشاني — وكان أحد تلامذتي ، ودرس عليّ بقاشان سنة ثلثمائة وسبعين وتوزّر
للأصبهيد بالجليل وأبوه أبو القاسم توزر لوشمكير بمرجان — عن العلوي العباسي نديم
أبي الفضل بن العميد الذي يقول فيه :

أبلغ رسالاتي الشريف ، وقلّ له : قدك انتدأريت في الفلواء

إن المعروف المطوّق الشاشي كان بمصر وقت المتنبي فعمد إلى قصيدته في كافور :

* أغالب فيك الشوق والشوق أغلب *

وجعل مكان أبا المسك أبا الفضل ، وسار إلى خراسان وحمل القصيدة ، أعنى قصيدة

المتنبى إلى أبى الفضل ، وزعم أنه رسوله ، فوصله أبو الفضل بألفى درهم ، واتصل هذا الخبر بالمتنبى ببغداد ، فقال : رجل يعطى لحامل شعري هذا ، فما تكون صلتها ؟ وكان ابن العميد يخرج في السنة من الرى خرجتين إلى أَرْجَان ، يجنبى بها أربع عشرة مرة ألفَ ألفِ درهم . فمما حديثه إلى المتنبى بمحصله بأَرْجَان ، فلما حصل المتنبى ببغداد نزل رَبَضَ حُميد ، فركب إلى المهلبى ، فأذن له فدخل وجلس إلى جنبه ، وصاعد خليفته دونه ، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، فأنشدوا هذا البيت :

سقى الله أمواها عرَفْتُ مكانها جُرَامًا ومَلَكُومًا وبَذَرًا فالعمرا
وقال المتنبى : هو جُرَابًا ، وهذه أمكنة قتلتها علماء وإنما الخطأ وقع من النقلة !
فأنكره أبو الفرج . قال الشيخ : هذا البيت أنشده أبو الحسن الأخفش صاحب سيبويه في كتابه جرامًا ، بالميم ، وهو الصحيح وعليه علماء اللغة ، وتفرق المجلس عن هذه الجلسة ، ثم عاوده اليوم الثانى وانتظر المهلبى إنشاده فلم يفعل وإنما صدّه ما سمعه من تماديه فى السخف ، واستهتاره بالهزل ، واستيلاء أهل الخلاعة والسخافة عليه ؛ وكان المتنبى مرَّ النفس صعبَ الشكيمة حادًا مجدًّا فخرج ، فلما كان اليوم الثالث أغروا به ابن الحجاج حتى علقَ لجامَ دابته فى صينية الكرخ وقد تكابسَ الناسُ عليه من الجوانب ، وابتدأ ينشد :

يا شيخَ أهلِ العلمِ فينا ومن يلزم أهلَ العلمِ توقيرُهُ
فصبر عليه المتنبى ساكنًا ساكتًا ، إلى أن نَجَزَها ، ثم خلى عنان دابته ، وانصرف المتنبى إلى منزله ، وقد تيقن استقرارَ أبى الفضل ابن العميد بأَرْجَان وانتظاره له فاستمدَّ للسير .

وحدثنا أبو الفتح عثمان بن جنى عن على بن حمزة البصرى قال : كنت مع المتنبى لما ورد أَرْجَان ، فلما أشرف عليها وجدها ضيقة البقعة والدور والمساكن ، فضرب بيده على صدره وقال : تركت ملوك الأرض وهم يتعبدون لى ، وقصدتُ

ربّ هذه المدرة ، فما يكون منه ! ثم وقف بظاهر المدينة وأرسل غلاماً على راحلته إلى ابن العميد ، فدخل عليه وقال : مولاي أبو الطيّب المتنبي خارج البلد - وكان وقت القيلولة ، وهو مضطجع في دسّته - فنار من مضجعه واستنبتته ، ثم أمر حاجبه باستقباله ، فركب واستركب من لقيه في الطريق ، ففصل عن البلد بجمع كثير ، فتلقوه وقضوا حقّه وأدخلوه البلد . فدخل على أبي الفضل ، فقام له من الدست قياماً مستويّاً ، وطرح له كرسى عليه تحدة ديباج ، وقال أبو الفضل : كنتُ مشتاقاً إليك يا أبا الطيّب ثم أفاض المتنبي في حديث سفره ، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذّ عنه ، وأخرج من كفه عُقيب هذه المفاوضة درجاً فيه قصيدته :

* بادِ هواك صبرت أو لم تصبرا *

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار ، وسيف غشاؤه فضة ، وقال : هذا عوضٌ عن السيف المأخوذ ، وأفرد له داراً نزلها ، فلما استراح من تعب السفر كان يعشى أبا الفضل كل يوم ويقول : ما أזורك إكباباً إلا لشهوة النظر إليك ! ويؤاكله ، وكان أبو الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه ، ويتعجب من حفظه وغزارة علمه ، فأظلمهم النبروز فأرسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي : كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب وما سمعته دونه ، فلم يُحرّ جواباً ، إلى أن حضره النبروز وأنشده مهتئاً ومعتذراً فقال :

هل لمُذرى إلى الهمام أبي الفضل قبولٌ ، سواد عيني مدادةٌ

فأخبرني البديهيّ ، سنة ثلثمائة وسبعين : أن المتنبي قال بأرجان : الملوك قروود يشبه بعضهم بعضاً ، على الجودة يعطون ، وكان حمل إليه أبو الفضل خمسين ألف دينار ، سوى توابعها ، وهو من أجود زمان الديلم وكذلك أبو المطرف وزير مرداويج ، قصده شاعر من قزوين فأنشده وأمله مادة نفقة يرجع بها إلى بلده ، فكتب إليه أبياتاً أولها :

أَقْلَامٌ بِكَفِّكَ أَمْ رِمَاحٌ وَعِزُّهُ ذَاكَ، أَمْ أَجَلٌ مُتَاحٌ

فقال أبو المطرف: أعطوه ألف دينار، وكذلك أبو الفضل البلعمي وزير بخارى أعطى المطراني الشاعر على قصيدته التي أولها:

* لَا شُرْبَ إِلَّا بِسِيرِ النَّأْيِ وَالْعُودِ *

خمس عشرة ألف دينار، وكذلك خلف صاحب سجستان، أعطى أبا بكر الحنبلي خمسة آلاف دينار على كلمة فيه، وكان سيف الدولة لا يملك نفسه، وكان يأتيه علوي من بعض جبال خراسان كل سنة فيعطيه رسماً له جاريًا على التأييد، فأثامه وهو في بعض الثغور، فقال للخازن: أطلق له ما في الخزانة، فبلغ أربعين ألف دينار، فشاطر الخازن وقبض عشرين ألف دينار، إشفاقاً من خلل يقع على عسكره في الحرب، وأخبرني بعض أهل الأدب أنه تعرض سائل لسيف الدولة وهو راكب، فأنشده في طريقه:

أَنْتَ عَلَيٌّ وَهَذِهِ حَلَبُ قَدْ فَتَى الزَّادُ وَاتَّهَى الطَّلَبُ

فأطلق له ألف دينار، وتعرض سائل لأبي علي بن إلياس وهو في موكبه فأمر له بخمسةائة دينار، فجاءه الخازن بالدواة والبياض، فوقع بألني دينار؛ فلما أبصره الخازن راجعه فيها فقال أبو علي: الكلام ربح، والخط شهادة، ولا يجوز أن يشهد علي بدون هذا . . . ثم إن أبا الطيب المتنبي لما ودّع أبا الفضل بن العميد، ورد كتاب عضد الدولة يستدعيه، فمرّقه ابن العميد فقال المتنبي: مالي وللديلم؟ فقال أبو الفضل عضد الدولة أفضل مني، ويصلك بأضعاف ما وصلتك به، فأجاب بأني مكنت من هؤلاء الملوك: أقصد الواحد بعد الواحد، وأملكهم شيئاً يبقى ببقاء النيرين، ويعطونني عرضاً فانياً، ولي ضجرات واختيارات، فيعوقوني عن مرادى، فأحتاج

إلى مفارقتهم على أقبح الوجود ! فكتاب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث .
 فورده الجواب بأنه مملك مراده في المقام والظن . فسار المتنبي من أرجان ، فلما
 كان على أربعة فراسخ من شيراز ، استقبله عضد الدولة بأبي عمر الصباغ أخى
 أبي محمد الأبهري صاحب كتاب حقائق الآداب . فلما تلاقيا وتسايرا ، استنشد
 فقال المتنبي : الناس يتناشدون فاسمعه . فأخبر أبو عمر أنه رُسم له ذلك عن المجلس
 العالي . فبدأ بقصيدته التي فارق مصر بها :

الأكل ماشية الخيزلي فدا كل ماشية الهيدبي

ثم دخل البلد فأنزل دارا مفروشة ، ورجع أبو عمر الصباغ إلى عضد الدولة
 فأخبره بما جرى ، وأنشده أبياتا من كلبته وهي :

فلما أئحنا ركزنا الرما ح حول مكارمنا والعللا

وبثنا نُقبل أسيفنا ونمسحها من دماء العدا

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى

وأني وفيت وأني آيت وأني عتوت على من عتا

فقال عضد الدولة : هونا ، يتهددنا المتنبي ! ...

ثم لما نفص غبار السفر واستراح ، ركب إلى عضد الدولة ؛ فلما توسط الدار
 انتهى إلى قرب السرير مصادمة ، فقتل الأرض واستوى قائما وقال : شكرت
 مطية حملتني إليك ، وأملا وقف بي عليك . ثم سأله عضد الدولة عن مسيره من
 مصر ، وعن علي بن حمدان ، فذكره وانصرف وما أنشده . فبعد أيام حضر السباط
 وقام بيده درج ، فأجلسه عضد الدولة وأنشد :

مغاني الشعب طيبا في المغاني

فلما أنشدها وفرغوا من السباط ، حل إليه عضد الدولة من أنواع الطيب
 في الأردية الأمان من بين الكافور والعنبر والمسك والعود ، وقاد فرسه الملقب

بالجروح - وكان اشترى له بخمسين ألف شاة - وبذرة دراهمها عدلية ، ورداء حشوه ديباج رومي مفصل ، وعمامة قومت بخمسمائة دينار ، ونصلا هندياً مرصع النجاد والجفن بالذهب . وبعد ذلك كان ينشده في كل حدث يحدث قصيدة ، إلى أن حدث يوم نثر الورد . فدخل عليه والمالك على السرير في قبة يحسّر البصر في ملاحظتها . والأتراك ينثرون الورد ، فقتل المتنبي بين يديه وقال : ما خدمت عيني قاي كالיום ؟ وأنشأ يقول :

قد صدق الورد في الذي زعما أنك صيرت نثره ديما
كأنما مأنح الهواء به بحر حوى مثل مائه عينا

فحمل على فرس بهركب ، وألبس خيلة ملكية ، وبذرة بين يديه محمولة . وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأموراً بالاختلاف إليه ، وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه ، فقال : كنت حاضره ، وقام ابنه يلتبس أجرة الغسال ، فأحد المتنبي إليه النظر بتحديد فقال : ما للصعلوك والغسال ! يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ، ويُنعّل فرسه ، ويفسل ثيابه ؟ ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة .

وورد كتاب أبي الفتح ذي الكفایتين بن أبي الفضل - وكان من أجواد زمان الديلم ، فرق في يوم واحد بشبذيز قرميسين ، ألفين وخمسمائة قطعة لإبريسم - ومضمونه كتاب الشوق إلى لقاء المتنبي وتشوقه إلى نظراته فأجابه المتنبي :

يكتب الأنام كتاب ورّد فدت يد كاتبه كل يد

فلما عاد الجواب إلى أبي الفتح ، جعل الأبيات سورة يدرسها ، ويحكم المتنبي بالفضل على أهل زمانه . . . فقال أبو محمد بن أبي الثبات البغدادي :

لوارد شعر كذوب البرد أتنا به خاطر قد جمد
فأقبل بمضغه بعضنا وهم السنابير أكل الغد

وقالوا : جوادٌ يفوق الجيادَ ويسبق من عفوه المقتصد
ولو وليَ النقد أمثاله لظلت خفافيشنا تنتقد

فاستخف أبو الفتح به وجره برجله ففارقهم وهاجر إلى أذربيجان ، والأمير
أبو سالم ديسم بن شاد كويه على الإمرة ، فاتصل به وحظى عنده على غاية الإكرام .
وقال عضد الدولة : إن المتنبي كان جيد شعره بالغرب فأخبر المتنبي به فقال
الشعر على قدر البقاع

وكان عضد الدولة جالساً في البستان الزاهر يوم زينته ، وأكابر حواشيه
وقوف . فقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكاري : ما يُعوز مجلس
مولانا سوى أحد الطائنين . فقال عضد الدولة : لو حضر المتنبي لناب عنهما
فلما أقام مدة مقامه وسمع ديوان شعره . ارتحل وسار بمراكبه وظهوره وأنقاله
وأحماله إلى أن نزل الجسر بالأهواز . وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف
بين السورين ، قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى ، وورد علينا المتنبي
ونزل عن فرسه ومقوده بيده ، وفتح عيابه وصناديقه لبلبل مسها في الطريق ،
وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة فخضرت أنا وقلت : قد أمت للشيخ
نُزلاً . فقال المتنبي : إن كان تمّ فآتيه . ثم جاءه فأتك الأسد بجمع وقال : قدم
الشيخ في هذه الديار وشرّفها بشعره ، والطريق بينه وبين دَيْرْقَنَة خشن قد
احتوشته الصمّالكة ، وبنو أسدٍ يسبّرون في خدمته إلى أن يقطع هذه المسافة
ويبر كل واحد منهم بثوب بياض . فقال المتنبي : ما أتى الله يدي هذا الأدم
وذباب الجراز الذى أنا متقلده فإني لا أفكر في مخلوق ! فقام فأتك ونفض ثوبه
وجمع من رتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج حسواً ، سبعين رجلاً
ورصد له ، فلما توسط المتنبي الطريق خرجوا عليه فقتلوا كل من كان في صحبته ،
وحمل فأتك على المتنبي وطعنه في يساره ونكسه عن فرسه . وكان ابنه أفلت إلا

أنه رجع يطلب دفاتر أبيه فقتع خلفه الفرسَ أحدُهم وجزَّ رأسه ، وصبوا أمواله
يتقاسمونها بطرُطورة :

وقال بعض من شاهده : إنه لم تكن فيه فروسيّة ، وإنما كان سيف الدولة
سلمه إلى النخاسين والرواضِ بحلب ، فاستجراً على الركض والخضر فأما استعمال
السلاح فلم يكن من عمله .

وجملة القول فيه : أنه من حفاظ اللغة ورواة الشعر ، وكل ما في كلامه من
(الفريب المصنف) سوى حرف واحد هو في (كتاب الجهرة) وهو قوله :

يَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ^(١)

وأما الحكم عليه وعلى شعره : فهو سريع الهجوم على المعاني ، ونمت الخليل
والحرب من خصائصه ؛ وما كان يرادّ طبعه في شيء مما يسمح به ، يقبل الساقط
الردى كما يقبل النادر البدع ، وفي متن شعره وهي ، وفي ألفاظه تعقيد وتعويض
أه كلامه مع بعض اختصار .

(١) من بيت هذا نصه :

وَأَمْضَى كَمَا يَمْضَى السَّنَانُ لِطَيْتِي وَأَطْوَى كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ

شرح المتنبي

وإليك تراجم بعض شرح المتنبي ، ممن ورد ذكرهم في هذا الشرح . . . وقولنا هنا : « شرح المتنبي » إنما هو ضرب من التسامح ؛ لأن منهم من لم يضع شرحا بالمعنى المتعارف ، أى أنهم لم يضعوا شروحا تامة كاملة ، وإنما تصدّوا لشرح بعض مشكلات الآيات . أو لنقد بعض الشراح فيما ذهبوا إليه من شرح وتفسير أو لسرقات المتنبي ، مثل أبى السعادات بن الشجرى ، وابن فورّجه ، وأبى الفضل العروضى . وابن وكيع ، والصاحب ابن عباد ، وأبى بكر الخوارزمى . ولم تبسط فى هذه التراجم . ولم نهج فيها منهجا تحليليا يخرج بنا عما قصدنا إليه منها وهو التعريف بمن تتمتع بأسمائهم فى هذا الشرح حتى تكون على بصيرة تامة بكل ما يتصل بهذا الشاعر المحظوظ ، ومن ثم لم نعد أن نسرّد لك فى هذه التراجم تاريخ مولد المترجم له وتاريخ وفاته وطرفا من أخباره وسيرته وتواليقه ومكاته العلمية وآراء الناس فيه .

ابن جنى

أظننى فى غير حاجة إلى التعريف بأن أبا الفتح عثمان بن جنى هو أول من شرح المتنبي ، فله بذلك فضل سبق ، ومن ثمّ كان حقيقا بأن نبدا بترجمته . . .

جاء فى معجم الأدباء لياقوت زوى وفیات الأعيان لابن خلكان ما تلخيصه :
أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى : كان أبوه جنى مملوكا روميا لسلیمان ابن فهد بن أحد الأزدي الموصلى - أقول : فهو إذن من أبناء يونان ، لامن (٦٢ - المتنبي ١)

أبناء عدنان .. وبعبارة أخرى : هو من أبناء الموالي ، شأنه شأن أكثر حملة العلم ،
ونوابغ الشعراء والأدباء في الإسلام — وإلى أصله أشار بقوله :

فَإِنْ أَصْبَحَ بَلَا نَسَبٍ فَعَلِمِي فِي الْوَرَى نَسَبِي
عَلَى أَنِّي أَوَّلُ إِلَى قُرُومٍ سَادَةٍ نُجَبِ
قِيَاصِرَةٍ إِذَا تَقَطُّوا أَرَمَ الدَّهْرُ ذُو الْخُطْبِ^(١)
أَوَّلَاكَ دَعَا النَّبِيُّ لَهُمْ كَفَى شَرَفًا دُعَاةَ نَبِي

ولد ابن جني بالموصل قبل الثلاثين والثلاثمائة للهجرة ، وتوفي يوم الجمعة لليلتين
بقيتا من صفر سنة ٣٩٢ هـ ببغداد . وكان أبو الفتح مُتَمَتِّعًا بإحدى عينيه ، وما أظرفه
حين يقول لأحد أصدقائه :

صَدُودُكَ عَنِّي وَلَا ذَنْبَ لِي دَلِيلٌ عَلَى نَبِيَّةٍ فَاسِدَةٍ
فَقَدْ وَحْيَاتِكَ مِمَّا بَكَيْتُ خَشِيتُ عَلَى عَيْنِي الْوَاحِدَةِ
وَلَوْلَا خَفَافَةُ الْأَ أَرَاكَ لِمَا كَانَ فِي تَرْكِهَا فَائِدَةٍ

وَحَدَّثُوا أَنَّهُ صَحَبَ أَبَا عَلِيٍّ الْفَارِسِيَّ^(٢) أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي

(١) أرم الرجل إرماما : سكت ، ويقال كله فسا ترمرم : أي مارد جوابا
وما ترمرم فلان بحرف : أي ما نطق ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها : كان لآل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحش ، فإذا خرج - أي رسول الله - لعب - أي
الوحش - وجاء وذهب ، فإذا جاء ربض ولم يترمرم مادام في البيت : أي سكن ولم يتحرك
(٢) كان أبو علي الفارسي إمام وقته في علم النحو ولد سنة ٢٨٨ هـ وتوفي سنة ٣٧٧
هـ ببغداد : وأقام بحلب عند سيف الدولة ، وكان قدومه عليه سنة ٣٤١ هـ وجرت بينه
وبين أبي الطيب المتنبئ مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة بن
بويه ، وحظي لديه وعلت منزلته حتى قال عضد الدولة : أنا غلام أبي علي في النحو
وقد صنف له كتاب الإيضاح والتكملة في النحو . يحكى أنه كان يوما في ميدان
شيراز يسير عضد الدولة فقال له : لم انتصب المستثنى في قولنا قام القوم إلا زيدا؟

صحبت له : أن أبا علي اجتاز بالموصل ، فر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يُقرىء النحو وهو شاب ، فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي : تَزَبَّتْ وأنت حَصِرِم . . . فسأل عنه ، فقيل له : هذا أبو علي الفارسي ، فلزمه من يومئذ ، واعتنى بالتصريف ، فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله ، وفروعه ، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه ؛ فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد ، فأخذ عنه كثير من أعلام العلماء . . . وحدث أبو الحسن الطرائفي قال : كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبّي كثيراً وينظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره ، أنفةً واستكباراً لنفسه ، وكان المتنبّي يقول في أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس . . . وسئل المتنبّي بشيراز عن قوله :

وكان ابناً عُدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْءَى حُرُوفِ انِّيْسِيَانِ^(١)

فقال : لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره . . . وكان لابن جني من الولد عليّ وعالٍ وعلاء ، وكلهم أدباء فضلاء قد خرّجهم والدهم وحسن خطوطهم ، فهم معدودون في الصحيحى الضبط وحسن الخط . . . ولابن جني شعر - ولكنه كسائر شعر العلماء - فنه :

فقال أبو علي : بفعل مقدر ، فقال له : كيف تقديره ؟ فقال : أستثنى زيدا ، فقال له عضد الدولة : هلا رفعتَه وقدرت الفعل امتنع زيد ؟ فانقطع أبو علي وقال له : هذا الجواب ميداني . . . ولما رجع إلى منزله وضع في ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه . . . وذكر في كتاب الإيضاح أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا . . . (١) من قصيدة يمدح بها عضد الدولة وولديه أبا الفوارس وأبا دلف ويذكر طريقه بشعب بوان . انظر القصيدة التي مطلعها :

مغانِي الشعبِ طِيًّا في المغانِي بمنزلة الريــــــــع من الزمان

غَرَالٌ غَيْرُ وَحْشِيٍّ حَكِي الْوَحْشِيُّ مُقْلَتُهُ
رَأَاهُ الْوَرْدُ يَجْنِي الْوَرَّ دَ فَاسْتَكْسَاهُ حُلَّتُهُ
وَشَمَّ بِأَنْفِهِ الرِّيحَا نَ فَاسْتَهْدَاهُ زَهْرَتَهُ
وَذَاقَتْ رِيحَهُ الصَّبَا ۚ فَاخْتَلَسَتْ نَكْهَتَهُ^(١)

وقال الباخريزي في دمية القصر : ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات ،
وشرح المشكلات ، ماله ، وما كنت أعلم أنه ينظم القريض ، أو يسبق ذلك
الجريض^(٢) حتى قرأت له مرثية في المتنبي أولها :

غَاضَ الْقَرِيضُ وَأَوْدَتَ نَضْرَةَ الْأَدَبِ
وَصَوَّحَتْ بِمَدْرِىٍّ دَوْحَةَ الْكُتُبِ^(٣)
مَا زِلْتَ تَصْحَبُ فِي الْجَلِّ إِذَا انْشَعَبَتْ
قَلْبًا جَمِيعًا وَعَزَمًا غَيْرَ مُنْشَعِبِ^(٤)
وَقَدْ حَلَبْتَ لَمَعْرِى الدَّهْرِ أَشْطَرُهُ
تَمْطُو بِهَيْئِهِ لَأَوَانٍ وَلَا نَصِيبِ^(٥)

(١) الصبأ من أسماء الخمر ، والنكهة رائحة الفم .

(٢) الرقيق الذى يغص به

(٣) صوح النبات ينس وتشقق ، والدوحة الشجرة العظيمة .

(٤) الجلى الأمر العظيم وجمعها جلال مثل كبرى وكبر ، وقلب جميع ورأى جميع
ويجتمع : شديد غير منتشر ، ومنشعب متفرق .

(٥) يقال حلب الدهر أشطره ، مارس الأيام وخبرها ، والمطر الجد والنجا .
فى السير ، ووان : متمهل ، ونصيب : تمب .

مَنْ لِلْهَوَاجِلِ يُخَيِّ مَيْتَ أَرْسُومِهَا
 بِكُلِّ جَائِلَةٍ التَّصْدِيرِ وَالْحَقَبِ^(١)
 قَبَاءَ خَوْصَاءَ مُحَمَّدٍ عَلَانَتِهَا
 تَنْبُو عَرِيكَتُهَا بِالْحِلْسِ وَالْقَتَبِ^(٢)
 أَمْ مَنْ لِبَيْضِ الظُّبَا تَوَكَّاهُنَّ دَمٌ
 أَمْ مَنْ لِسُنْمِ الْقَنَا وَالزَّغْفِ وَالْيَلْبِ^(٣)
 أَمْ لِلْجَحَافِلِ يَذْكِي جَمْرَ جَاحِمِهَا
 حَتَّى يَقْرُبَهَا مِنْ جَاحِمِ اللَّهَبِ^(٤)
 أَمْ لِلْمَحَافِلِ إِذْ تَبْدُو لَتَعْمُرُهَا
 بِالنَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالْأَمْثَالِ وَالْخُطَبِ
 أَمْ لِلصَّوَاهِلِ مُحَمَّرًا سَرَابِلَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا غَرَبَتْ مَعْرُوفَةُ الشُّهْبِ^(٥)
 أَمْ لِلْمَنَاهِلِ وَالظَّلْمَاءِ عَاطِفَةٌ
 يُوَاصِلُ الْكَرَّ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ^(٦)

-
- (١) الهواجل : الصحراوات ، وجائلة التصدير والحقب : أى ناقة هذه صفتها
 ويقال صدر بعيره إذا شده بحبل من حزامه إلى كركرته ، والحقب : حبل يشده الرجل
 فى بطنه .
 (٢) القباء من الخيل : الخيصة البطن . والأقب الضامر البطن : والحوصاء الغائرة
 العينين ، والجلس : كساء تجلجل به الدابة يوضع تحت البرذعة .
 (٣) القبا : أطراف السيوف ، والتوكاف مصدر وكف يستعمل فى السمع والمطر .
 إذا نزل ، وسمر القنا : الرماح ، والزغف : الدروع ، واليلب : الدروع اليمانية
 (٤) الجحفل الجيش العظيم .
 (٥) محمراً سراويلها : فالسراويل : الثياب . يقول : مضرجة بالدماء
 (٦) المناهل موارد الماء . والترب : طلب الماء ليلا .

أُم لِّلْقَسَاطِلِ تَعْتَمُ الْحُزُونُ بِهَا
 أُم مِّن لِّضَنْمِ الْهَزَبِ الضَّيْفِ الْحَرْبِ^(١)
 أُم لِّلْمُلُوكِ يُحْكِيهَا وَيُلْبِسُهَا حَتَّى تَمَاسُ فِي أَبْرَادِهَا الْقَشْبِ^(٢)
 بَاتَتْ وَسَادَى أَطْرَابُ تَوَرُّفِي لَمَّا غَدَوْتَ لَقَى فِي قَبْضَةِ الثُّوبِ^(٣)
 عُمِرْتَ خِدَنَ الْمَسَاعِي غَيْرَ مُضْطَهَدٍ كَالنَّصْلِ لَمْ يَدْنِسْ يَوْمًا وَلَمْ يُصَبِّ
 فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ سَلَامُ الْمَجْدِ مَا قَلِقْتَ
 خُوصُ الرَّاكِبِ بِالْأَكْوَارِ وَالشُّعْبِ

ومن شعر ابن جني :

رَأَيْتُ مَحَاسِنَ ضِحْكَ الرَّيِّعِ أَطَالَ عَلَيْهَا بُكَاءُ السَّحَابِ
 وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فِي لَيْتِي فَلَمْ لَا أَبْكِي رَيِّعَ الشَّبَابِ
 أَأَشْرَبُ فِي الْكَاسِ - كَلَّا وَحَاشَا - لِأَبْصَرَهُ فِي صَفَاءِ الشَّرَابِ

ومنه :

تَحَبَّبْتُ أَوْ تَذَرَّعْتُ أَوْ تَأَبَّى فَلَا وَاللَّهِ لَا أَزْدَادُ حُبًّا
 أَخَذْتُ بِبَعْضِ حُبِّكَ كُلِّ قَلْبِي فَإِنْ رُمْتُ الْمَزِيدَ فَهَاتِ قَلْبًا

قال ياقوت : وقرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي : قال لنا

(١) القساطل : جمع قسطل : الغبار المنعقد فوق الرأس في حومة الوغى ، والضنم العض أو النهش ، والهزبر الضيفم الحرب : الأسد .

(٢) تماس : بمجنف إحدى التامين . أى تماس وتغافل

(٣) اللقى ، الشيء الملقى في الطريق ونحوه .

أبوزكريا : رأيت بخط ابن جني : أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الفرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال : قرأ على أعرابي « طَيْبِي لَهُمْ وَحَسَنُ مَّأَبٍ » فقلت « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فقلت ثانياً « طُوبَى » فقال « طَيْبِي » فلما طال على قلت : « طُوطُو » فقال الأعرابي « طِي طِي » أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشدّ محافظة هذا البدوي عليها حتى أنه استكره على تركها فأبى إلا إخلاداً إليها ! ونحو ذلك قال عمرو الكلبي وقد أنشد بعض أهل الأدب :

بانت نعيمةً والدنيا مفارقةً وحال من دونها غيرانُ مزعوجُ
فقليل له : لا يقال مزعوج ، إنما يقال مُزَعَجٌ ، فجفا ذلك عليه ، وقال يهجو النحويين :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكرأ يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا كَلَنْتَ وهذا ليس منتصبا	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وَحَرَّضُوا بين عبد الله من حُخٍّ	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طُبِعوا
ما كل قولي مشروحا لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضي أرض لا تُشَبُّ بها	نار الجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جني : وعلى نحو ذلك فحضرني قديماً بالموصل أعرابي عَقِيلِي جَوْنِي تَمِيْعِي ، يقال له محمد بن العَسَافِ الشَّجَرِي ، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه ، فقلت له يوماً - شَفَقًا بفصاحته والتذاذاً بمطاولته ، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زَنْدٍ فِطْنَتِهِ : كيف تقول : « أكرم أخوك أباك » فقال كذاك ، فقلت له : أفتقول : « أكرم أخوك أبوك » فقال : لا أقول

« أبوك » أبدأ فقلت : فكيف تقول « أكرمنى أبوك » فقال كذاك ، قلت : أَلَسْتَ تَزْعُمُ أنك لا تقول « أبوك » أبدأ ؟ فقال « إيش هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام » فهل قوله اختلفت جهتا الكلام . إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان فى الأول مفعولاً ! فانظر إلى قيام معانى هذا الأمر فى أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم .

أخبرنى أبو على عن أبى بكر عن أبى العباس قال : سمعت عمارة بن عقيل ابن بلال بن جرير يقرأ : « وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ » فقلت له : ما أردت ؟ قال أردت سابقَ النهار ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال لو قلته لكان أوزن أى أقوى وأفصح ، فى هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء : أحدها : أنهم قد يراعون من معانيهم ما ينسبه إليهم ونحمله عليهم ، والثانى : أنهم قد ينطقون بالشئ وفى أنفسهم غيره ، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال : « أردت كذا » وهو خلاف ما لفظ به ، والثالث : أنهم قد ينطقون بالشئ وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً ، ألا تراه كيف قال : لو قلته لكان أوزن ، أى أقوى وأعرب .

قال ابن جنى : وسألت الشجرى صاحبنا ، هذا الذى قد مضى ذكره ، قلت له : كيف يا أبا عبد الله تقول : « اليوم كان زيد قائماً ؟ » فقال : كذلك ، فقلت : فكيف تقول « اليوم إن زيدا قائم ؟ » فأبأها ألبتة ، وذلك أن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها ، لأنها إنما تأتى أبدأ مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها وما بعدها عما قبلها قلت له يوماً ولابن عمّ له يقال له غصن — وكان أصغر منه سنّاً وألين لساناً : كيف تحقران « حمراء » فقالا : حميراء ، قلت : فصغراء قالوا : « صغبراء » قلت : « فسوداء » قالوا : « سويداء » واستمرت بهما فى نحو هذا ، فلما استويا عليه دست بين ذلك « علباء » فقلت « فعلباء » فأسرع ابن عمه على طريقته فقال : « عليباء » وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً

فقال له: « عَلَيَّيْ » وأشم الفتحة دائماً للحركة في الوقف ، وتلك عادة . . . قال ابن جنى : فسألته يوماً : يا أبا عبد الله ، كيف تجمع مُحرَّنجماً - وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله : يكسّر فيقول حَراجم أم يصححُ فيقول محرَّنجماتٌ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال : « وإيش فرقه حتى أجمعه ؟ وصدّق ، وذلك أن المحرَّنجم هو المجتمع : يقولها ماراً على شكيمته غير مُحسّسٍ لما أريده منه والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته ، قلت له : فدع هذا : إذا أنت مررت بإبل محرَّنجمةٍ وأخرى مُحَرَّنجمةً ، وأخرى محرَّنجمة . تقول : مررت بإبل ماذا ؟ فقال - وقد أحس الموضوع - « يا هذا هكذا أقول : مررت بإبل محرَّنجماتٍ » وأقام على التصحيح ألبته استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة المُصَّاقبتها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيروها لاسيما إذا كان فيها زيادة والزيادة قد تُعتدُّ في كثير من المواضع اعتداد الأصول حتى إنها لتلزم لزومها نحو : كوكب ، وحوشب^(١) ، وضَيون^(٢) ، وهزَ نَبَران^(٣) ، ودودرى^(٤) ، وقرنفلٌ ، وهذا موضعٌ يحتاج إلى إصفاء إليه وإرعاء عليه ، والوقت لتلاجه وتقارب أجزائه مانع منه ويعين الله فيما يليه على المعتقد للنوى فيه بقدرته ، وسألته يوماً كيف تجمع سرحاناً ؟ فقال : سراحين ، قلت : فدكاناً ، قال : دكانين قلت : فقرطاناً ، قال : قراطين ، قلت : فعثمان ، قال : عثمانون ، قلت ، هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟ فأبأها ألبته وقال : « إيش ذا ؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لفته ؟ والله لا أقولها أبداً . . . استوحش من تكسير العلم لكثارتها له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز فيه فعالين نحو : سكران وغضبان ...

(١) الأرنب أو ولد البقرة الذكر والثعلب الذكر (٢) السنور الذكر أو دوية تشبهه (٣) يقال : رجل هزبر وهزبران ، أى حديد وثاب (٤) الذي يذهب ويحى من غير حاجة .

ونكتفى بهذا المقدار من التعريف بأبي الفتح بن جنى شارح المتنبي ، وإذا أردت الزيادة والوقوف على فهرس مؤلفاته فارجع إلى معجم الأدباء ج ١٢ طبعة فريد الرفاعي .

الواحدى

وهذا الإمام أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى أحد شراح المتنبي هو - كما قال ياقوت وابن خلكان وغيرهما - الإمام المصنف المفسر النحوى أستاذ عصره ، وواحد دهره ، أنفق صباه ، وأيام شبابه فى التحصيل ، فأتقن الأصول على الأئمة ، وطاف على أعلام الأمة ، وتلمذ لأبى الفضل العروضى^(١) ، وقرأ النحو على أبى الحسن الضرير القهندزى ، ولازم مجالس الثعلبى^(٢) فى تحصيل التفسير . . . ثم أخذ فى التصنيف ، وقعد للإفادة والتدريس سنين ، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرأوا عليه وبلغوا محل الإفادة ، وكان حقيقاً بكل احترام وإعظام ، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم . قال الحسن بن المظفر النيسابورى : أبو الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى هو الذى قيل فيه :

قد جمع العالم فى واحد علمنا المعروف بالواحدى

(١) سيمر بك فى هذه الترجمة

(٢) قال ابن خلكان : أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم الثعالبى النيسابورى المفسر المشهور : كان أواخر زمانه فى علم التفسير وكان يقال له الثعالبى والثعالبى وهو لقب له وليس بنسب ، توفى سنة ٤٢٧ هـ وهو - طبعا - غير الثعالبى صاحب يتيمة الدهر

قال ومن غرر شعره :

أيا قادمًا من طوس أهلا ومرحبا بقيت على الأيام ما هبت الصبا
لعمري لئن أحيا قدومك مدنفًا بحبك صبا في هواك مُعذبا
يَظَلُّ أسيرَ الوجدِ نهبَ صبايةٍ ويمسى على بحرِ الفضا مُتقلبا
فكم زفرةٍ قد جَهِتَها لو زفرتها على سدِّ ذى القرنين أَمسى مُذوّبا
وكم لوعةٍ فاسيتُ يومَ تركتني ألأحِظُ منك البدرَ حينَ تغيّبا
وعادَ النهارُ الطلقَ أسودَ مُظَلِّبا وعادَ سنا الإصباحِ بعدك غَيِّبا
وأصبحَ حُسنُ الصبرِ عني ظاعنا وحَدَّدَ نحوى البينُ نابا ومُخلِّبا
فأقسمَ لو أبصرتَ طرفي با كيا لشاهدتَ دَمعا بالدماءِ مُخَضِّبا
مسالكُ لَهوٍ سُدَّها الوجدُ والجوى وروضُ سُروِرٍ عادَ بعدك مُجَدِّبا
فداؤك رُوحى يا ابنَ أكرمِ والدٍ ويامنَ فوادي غيرَ حُبِّيهِ قد أبى
وأنشدله :

شَوَّهَتِ الدنيا وَأَبَدَتِ عَوَارِها
وضاقت على الأرضُ بالرحبِ والسَّعةِ
وأظلمَ في عيني ضياءُ نهارها
لِتوديعِ من قد بان عني بأربعةِ
فَوادى وعيشى والمسرةِ والكرى
فإن عاد عادَ الكلُّ والأنسُ والدَّعةِ

وقال أبو الحسن الواحدى فى مقدمة البسيط : وأظننى لم آل جهداً
فى أحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمنا هذا وتسعه سنو عمري
على قلة أعدادها ، فقد وفق الله - وله الحمد - حتى اقتبست كل ما احتجت

إليه في هذا الباب من مَظَانَّه ، وأخذته من معادِنه ، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله ^(١) . وكان قد خنق التسعين في خدمة الأدب ، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروى عنهم كأبي منصور الأزهرى ، روى عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب ، وأدرك أبا العباس العامرى ، وأبا القاسم الأسدى ، وأبا نصر طاهر بن محمد الوزيرى ، وأبا الحسن الرُّخْبِجِى ، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة ، وسمع أبا العباس الأصم وروى عنه ، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمى على درسه عند غيبته . وله المصنفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو ؛ وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها ، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفى النهار ، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابنى شيخى — رحمه الله — يوماً وقال : إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه ، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذى تأتبه البعداء من أقصى البلاد ، وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار — يعنى الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى — قلت : يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذى تريد ، وإذا لم أجزم الأدب بمجد وتعب ، لم أرم فى غرض التفسير من كُتُب ، ثم لم أُغَيِّبْ زيارته فى يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحِمام .

(١) جاء فى بغية الوعاة : أحمد بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن مالك النمشلى الأديب أبو الفضل العروضى الصفار الشافعى : هو شيخ أهل الأدب فى عصره ، حدث عن الأصم وأبى منصور الأزهرى والطائفة ، وتخرج به جماعة من الأئمة منهم الواحدى .. إلى أن قال : جاز السبعين فى خدمة الكتب وأنفق عمره فى مطالعة العلوم وتدريس مؤدى نيسابور . ولد سنة ٣٣٤ ومات بعد سنة ٤١٦ .

وأما النحو فإني لما كنت في مبيعة صباى وشرح شيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير ، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه ، وأعلمهم بمضائق طرق العربية وحقائقها ، ولعله تفرس في ، وتوسم الخير لدى ، فتجرد لتخريجي ، وصرف وكذّه إلى تأديبي ، ولم يدخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه ، وسعدت به أفضل ما ساعد تلميذ بأستاذه ، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني ، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشككة ، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل ، وخصني بكتابيه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران ، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي ، وكان واحد دهره ، وبقعة عصره ، في علم النحو ، لم يلحق أحد مما سمعناه شأوه في معرفة الإعراب . ولقد صحبتته مدة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده .

وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى ، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران ، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري ، وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي ، وكنا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم ، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها ، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه ، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران ، وروى لنا كتب أبي علي الفسوي عنه^(١) وقرأت عليه بلفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه ، وسمع بقراءتي الخلق الكثير ، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله وكان خير العلماء

(١) هو أبو علي الفارسي .

بل ببحرهم ، ونجم الفضلاء ، بل بدرهم ، وزين الأئمة بل نغرم ، وأوحد الأمة بل صدرهم ، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الذى زفقت به المطايا فى السهل والأوعار وسارت به الفلك فى البحار ، وهبت هبوب الريح فى الأقطار .

فسارَ مَسِيرَ الشمسِ فى كلِّ بلدةٍ
وهبَ هُبوبَ الرِّيحِ فى البرِّ والبحرِ

وأصَفَّتْ عليه كافة الأمة على اختلاف نِحْلِهِمْ ، وَأَقْرَأُوا له بالفضيلة فى تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله ، فن أدركه وَصَحْبُهُ عَلِمَ أنه منقطع القرين ، ومن لم يدركه فلينظر فى مصنفاته ليستدلَّ بها على أنه كان بحراً لا يُنْزَفُ وَغَمراً لا يُسْبَرُ ، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء ، منها تفسيره الكبيرُ وكتابه المعنون بالكامل فى علم القرآن وغيرهما ، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التى وطأتها طال الخطب وَمَلَّ الناظرُ ، وقد استخرت الله العظيم فى جمع كتاب أرجو أن يمدنى الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نقتضى على غيرى إمامه ، ونعيت عليه إغفاله ، لا يدعُ لمن تأمله حارَّةً فى صدره حتى يخرج من ظلمة الرِّيبِ والتخمين ، إلى نور العلم واليقين ، هذا بعد أن يكون المتأملُ مرْتاضاً فى صنعة الأدب والنحو ، مهتدياً بطرق الحِجَاج ، مارحاً فى سلوك المنهاج ، فأما الجُدْعُ المُرخى من المقتبسین ، والرَّيْضُ الكَرَّ من المبتدئين ، فإنه مع هذا الكتاب كراويل غَلَقاً ضاع عنه المفتاح ؛ ومنخبط فى ظلماء ليل خانة المصباح :

يُحَاوِلُ فَتَقَّ غَيْمٌ وَهُوَ يَأْبَى كَعَيْنَيْنِ يُرِيدُ نِكَاحَ بَكْرٍ
ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مُجَالَةٌ الْوَقْتِ ، وَقَبْسَةُ الْعَجَلَانِ ،
وَتَذَكُّرَةٌ يَسْتَصْحِبُهَا الرَّجُلُ حَيْثُ حَلَّ وَارْتَحَلَ وَإِنْ أُنْسِيَ الْأَجَلَ ،

وَأَرْخَى الْعِطُولُ ، وَأَنْظَرَنِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّى يَتَلَفَعُ بِالْمَشِيبِ الْعِذَارُ أُرْدَفَتَهُ
بِكِتَابٍ أَنْضَجُهُ بِنَارِ الرَّوْيَةِ ، وَأَرَدَّدَهُ عَلَى رُوقِ الْفِكْرَةِ ، وَأَضْمَنَهُ عَجَائِبِ
مَا كَتَبْتَهُ ، وَلَطَائِفِ مَا جَمَعْتَهُ ، وَعَلَى اللَّهِ الْمَعُولُ فِي تَيْسِيرِ مَا رُمْتُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلَّمَا
قَعَدْتُ أَوْ قَتُ .

ابن فورجه

قال ياقوت - ونقله السيوطي في بنية الوعاة - : هو محمد بن حمد بن محمد بن عبد الله بن محمود بن فورجه - بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم - البروجردى ، أديب فاضل مصنف ، له كتاب الفتح على أبي الفتح ، والتجنى على ابن جنى ، يرد فيه على أبي الفتح بن جنى في شرح شعر المتنبي ، ومولده في ذى الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة ، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، ومن شعره :

أَيُّهَا الْقَاتِلِي بَعِينِيهِ رَفَقَا إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ ذَا مِنْ قَلَا كَا
أَكْثَرُ اللَّائِمُونَ فِيكَ عَتَابِي أَنَا وَاللَّائِمُونَ فِيكَ فِدَا كَا
إِنْ لِي غَيْرَةٌ عَلَيْكَ مِنْ أَسْمَى إِنَّهُ دَائِمًا يَقْبَلُ فَا كَا
هَذَا وَقَدْ ضَبَطَهُ ابْنُ شَاكِرٍ صَاحِبُ فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ . هَكَذَا : ابْنُ فَوْزَجَةَ فَقَالَ :
بِضَمِّ الْفَاءِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَفَتْحِ الزَّايِ وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ .

ابن القطاع الصقلي

قال ابن خلكان : هو أبو القاسم علي بن جعفر ... إلى آخر النسب قال : كان أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة . وله تصانيف نافعة منها كتاب الأفعال ، أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية ، وإن كان ذلك قد سبقه إليه . وله كتاب أبنية الأسماء ، جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه وله عروض حسن جيد ، وكتاب الدرّة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة ، وكتاب لمح الملح ، جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس . وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الإجادة ، ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة خمسائة وبالع أهل مصر في إكرامه ، وكان ينسب إلى التسهل في الرواية ومن شعره في ألثغ :

وشادِن في لسانه عُقْدٌ حَلَّتْ عُقُودِي وأوهنت جَلْدِي
عابوه جهلاً بها فقلت لهم أما سَمِعْتُمْ بالثَفْتِ في العَقْدِ
وله من قصيدة :

فلا تُنْفِدْنِ العَمرَ في طَلبِ الصِّبا ولا تَشْقَيْنِ يَوماً بِسُفْدَيِ ولا نَعَم
ولا تَنْدَبِنِ أَطْلالَ مِيةٍ بِاللُوى ولا تَسْفَعْنِ ماءَ الشُّؤنِ على رَسمِ
فإن قُصَّارَى المَراءِ إدراكَ حَاجةٍ وتبقى مَذماتُ الأحاديثِ والإِهمِ
ومن شعره في غلام اسمه حمزة :

يا مَنْ رَمَى النّارَ في فُؤادِي وَأَنْبَطَ العَينَ بِالْبَكا
إِسمُكَ تَصحيفُهُ بِقَلْبِي وَفِي ثَنائِكَ بَرٌّ دَائِي
أُرَدُّ سَلامِي فَإِنْ نَفْسِي لَمْ يَبْقَ مِنْها سَوى النِّماءِ

وارفق بصب أتى ذليلاً قد مزج اليأس بالرجاء

أنهكه في الهوى التجنى فصار في رقة الهواء

وله شعر كثير ، وتوفي بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى .

ابن الإفلح

كان هذا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا بن مفرج بن يحيى بن زياد بن عبد الله بن خالد بن سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري المعروف بابن الإفلح^(١) إماماً من أئمة النحو واللغة ، ترجمه ابن خلكان في بضعة أسطر ، وذكره ابن بسام عرضاً كذلك ، قال في بضعة أسطر لمناسبة تعرض ابن شهيد له في رسالة التوابع والزوابع إذ قال ابن شهيد : وأما أبو القاسم الإفلح فإنه من نفسى مكين ، وحببه بفؤادى دخيل ، على أنه متعامل على ، ومنتسب إلى . . . فقال ابن بسام قفلاً عن ابن حيان المؤرخ : كان ابن الإفلح الذى به عرض قد بذأ أهل زمانه بقرطبة في علم اللسان العربى والضبط لغريب اللغة في أشعار الجاهلية والإسلام والمشاركة في بعض معانيها ، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه ، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا أنشب فيه ، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه ، وعديم علم العروض ومعرفة مع احتياجه إليه وكال صناعته به ، فلم يكن له رسوخ فيه ، وكان لحق الفتنة البربرية ومضى الناس من حائر وظاعن ، فازدلف إلى الأمراء الكاثنين بقرطبة من آل حمود إلى أن نال الجلاء ؛ واستكتبه محمد بن

(١) الإفلح - بكسر الهمزة وسكون الفاء وكسر اللام وسكون الياء - المشتاة من تحتها وبعدها لام ثانية، هذه النسبة إلى الإفلح وهى قرية بالشام كان أصله منها ، (٧٢ - المتن ١)

عبد الرحمن المستكنى بعد ابن بُرْد ، فوقع كلامه نائياً عن البلاغة ، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين ، فلم يَجْرَ في أساليب الكتاب المطبوعين ، فزهد فيه ، وما بلغنى أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا شَرَحَهُ ديوان المتنبي لاغير ، ولحقته تهمة في دينه أيام هشام الروانى في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم والسامى والحار وغيرهم ، وطلب ابن الإفلحلى وسجن بالمطابق ، ثم أطلق وقال ابن خلكان : كان متصدراً بالأندلس لإقراء الأدب ، وكان حافظاً للأشعار ذا بصيرة للأخبار وأيام الناس ، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة ، وكان أشد الناس انتقاداً للكلام ، صادق اللهجة ، حسن المنيب ، صافى الضمير ، وكانت ولادته في شوال سنة ٣٥٢ ، وتوفى يوم السبت ١٣ ذى القعدة سنة ٤٤١ ، ودفن في صحن مسجد خرب عند باب عامر بقرطبة .

الصاحب بن عباد

هو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقانى . قال ابن خلكان : كان نادرة الدهر وأعموبة العصر في فضائله ومكارمه وكرمه ، أخذ الأدب عن أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوى صاحب كتاب المجمل في اللغة ، وأخذ عن أبي الفضل بن العميد وغيرها ، وقال أبو منصور الثعالبي في كتابه اليتيمة في حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرده بالغايات في المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، لأن همه قولى تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهدُ وضمي يقصر عن أيسر فواضله ومساغيه ... ثم شرع في شرح بعض محاسنه وطرف من أحواله .

وقال أبو بكر الخوارزمي في حقه : الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج من وكرها ، ورضع أفلاويق درّها ، وورثها عن آباءه كما قال أبو سعيد الرستمي في حقه :

وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ مَوْصُولَةً الْإِسْنَادَ بِالْإِسْنَادِ
يُرْوَى عَنْ الْعَبَّاسِ عَبَّاسٍ وَزَا رْتَهُ وَإِسْمَاعِيلَ عَنْ عِبَادٍ
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لَقِبَ بِالصَّاحِبِ مِنَ الْوُزَرَاءِ لِأَنَّهُ كَانَ يَصْحَبُ أَبَا الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ
فَقِيلَ لَهُ صَاحِبُ ابْنِ الْعَمِيدِ ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا اللَّقْبُ لَمَّا تَوَلَّى الْوِزَارَةَ وَبَقِيَ
عَلَمًا عَلَيْهِ .

وذكر أبو إسحاق الصابني في كتاب التاجي : أنه إنما قيل له الصاحب لأنه
صاحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب
واشتهر به ثم سمي به كل من ولي الوزارة بعده ، وكان أولا وزير مؤيد الدولة
أبي منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد أبي الفتح علي
بن أبي الفضل بن العميد ، فلما توفي مؤيد الدولة في شعبان سنة ثلاث وسبعين
وثلاثمائة بجرجان استولى على مملكته أخوه نضر الدولة أبو الحسن علي فأقر الصاحب
على وزارته ، وكان مبجلا عنده ومعظما نافذ الأمر ، وأنشده أبو القاسم الزعفراني
يوما أبياتا نونية من جملتها :

أَيَا مَنْ عَطَايَاهُ تَهْدِي الْفَنَى إِلَى رَاحَتِي مَنْ نَأَى أَوْدُنَا
كَسَوْتَ الْمُقِيمِينَ وَالزَّائِرِينَ كَيْسَى لَمْ نَخْلُ مِثْلَهَا مِمَّا كُنَّا
وَحَاشِيَةُ الدَّارِ يَمْشُونَ فِي صُنُوفٍ مِنَ الْخَزْ إِلَّا أَنَا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار من بن زائدة الشيباني أن رجلا قال له : احلني
أيها الأمير ، فأمر له بناق و فرس وبغل و حمار وجارية ، ثم قال : لو علمت أن الله
سبحانه وتعالى خلق مركوبا غير هذا لمثلك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بمائة
وقميص ، وعمامة ، ودراعة ، وسراويل ، ومنديل ، ومطرف ، ورداء ، وكساء ،

وجورب ، وكيس ، ولو علنا لباساً آخر يتخذ من الماز لأعطيناكم ، واجتمع عنده من الشعراء ما لم يجتمع عند غيره ومدحوه بِفَرْدِ المدائح ، وكان حسن الأجوبة رفع الضرابون من دار الضرب إليه رقعة في مظلة مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها : في حديد بارد ، وكتب بعضهم إليه ورقة أغار فيها على رسائله وسرق جملة من ألفاظه فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت إلينا ؛ وحبس بعض عماله في مكان ضيق بجواره ثم صعد السطح يوماً فاطلع عليه فرآه ، فناداه المحبوس بأعلى صوته ، فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فقال الصاحب : إخسوا فيها ولا تكلمون ، ونواذره كثيرة ، وصنف في اللغة كتاباً سماه المحيط وهو في سبعة مجلدات رتبته على حروف المعجم أكثر فيه الألفاظ وقُلِّل الشواهد فاشتمل من اللغة على جزء متوفر ، وكتاب الكافي في الرسائل وكتاب الأعياد ، وفضائل النيروز ، وكتاب الإمامة يذكر فيه فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويثبت إمامة من تقدمه ، وكتاب الوزراء ، وكتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي ، وكتاب أسماء الله تعالى وصفاته ، وله رسائل بديعة ونظم جيد فنه قوله :

وَشَادِنِ جَمَالَهُ تَقَصَّرُ عَنْهُ صِفَتِي
أَهْوَى لِتَقْبِيلِ يَدِي فَقُلْتُ قَبْلَ شَفَتِي

وله في رقة الخمر :

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتْ الخمرُ وَتَشَابَهَا فَتَشَاكُلُ الأمرُ
فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وحكى أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي : أن نوح بن منصور أحد ملوك بني سامان كتب إليه ورقة في السر يستدعيه ليفوض إليه وزارته وتدير أمر مملكته ، فكان من جملة أعذاره إليه : أنه يحتاج لنقل كتبه خاصة إلى أربعمائة جل ، فما الظن بما يليق بها من التحمل ؟ وأخباره كثيرة .

قال ابن خلكان : وكان مولده لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة سنة ست وعشرين وثلثمائة بأصطخر وقيل بالطالقان ، وتوفى ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالرى ثم نقل إلى أصبهان رحمه الله تعالى ودفن في قبة بمحلة تعرف بباب دزیه وهي عامرة إلى الآن وأولاد بنته يتعاهدونها بالتبويض .

قال أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر الأصهباني : رأيت في المنام قائلا يقول لي لِمَ لَمْ تَرِثَ الصَّاحِبَ مَعَ فَضْلِكَ وَشَمْرَكَ ؟ قُلْتُ أَتَجَمَّنِي كَثْرَةُ مَحَاسِنِهِ فَلَمْ أَذِرْ بِمَا أَبْدَأُ مِنْهَا ؟ وَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَقْصِرَ وَقَدْ ظَنَنْتُ بِي الْإِسْتِيفَاءَ لَهَا ، فَقَالَ أَجْزَ مَا أَقُولُهُ قُلْتُ قُلْ ، فَقَالَ :

* ثَوَى الْجُودَ وَالْكَافِيَ مَعًا فِي خَفِيرَةٍ *

قُلْتُ : * لِيَأْنِسَ كُلُّ مَنْهَا بِأَخِيهِ *

فَقَالَ : * هَا أَصْطَلَجَا حَتَيْنِ ثُمَّ تَعَانَقَا *

قُلْتُ : * ضَجِيعِينَ فِي لَحْدِ بِيَابِ دَزِيهِ *

فَقَالَ : * إِذَا ارْتَحَلَ الثَّالِوُونَ عَنْ مُسْتَقَرِّمِ *

قُلْتُ : * أَقْلَمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِيهِ *

ذكر هذا البياسي في حماسته ، ورأيت في أخباره أنه لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته غير الصاحب ، فإنه لما توفى أغلقت له مدينة الرى واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون خروج جنازته وحضر مخدومه نحر الدولة وسائر القواد وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الأرض ومشى نحر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياماً ، وورثاه أبو سعيد الرستمي بقوله :

أَبْعَدَ ابْنُ عِبَادَ يَهْشُ إِلَى الشَّرِّ أَخُو أَمَلٍ أَوْ يُسْتَأْخُ جَوَادُ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَا بِمَوْتِهِ فَمَا لَهَا حَتَّى الْمَعَادِ مَعَادُ

وتوفى والده أبو الحسن عباد بن العباس في سنة أربع أو خمس وثلاثين وثلثمائة رحمه الله تعالى ، وكان وزير ركن الدولة بن بويه ، وهو والد نخر الدولة ووالد عضد الدولة فناخسرو ممدوح المتنبي ، وتوفى نخر الدولة في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، ومولده في سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، والطلاقى - بفتح الطاء المهملة وبعد الألف لام مفتوحة ثم قاف - وبعد الألف الثانية نون : هذه النسبة إلى الطالقان ، وهو اسم لمدينتين إحداهما بخراسان والأخرى من أعمال قزوین ، والصاحب المذكور أصله من طالقان قزوین ، لا طالقان خراسان .

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - وهو كما قال ابن خلكان - ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ - قال ابن خلكان : كان أحد الشعراء المجيذين الكبار المشاهير ، وكان إماماً في اللغة والأنساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره . ويحكى أنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بآر جان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه : قل للصاحب على الباب أحد الأدباء ، وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فأذن له في الدخول ، فدخل عليه فعرفه وانبطط له ، وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر ، وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة ، وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشيء من نظمه فن ذلك قوله :

رَأَيْتُكَ إِنْ أَيْسَرْتَ خَيَّمْتَ عِنْدَنَا
مُقِيمًا وَإِنْ أَصْرْتَ زُرْتَ لِمَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ ضَوْؤُهُ
أَغْبَى وَإِنْ زَادَ الضَّيَاءُ أَقْلَمَا
ومن شعره أيضاً :

يَا مَنْ يُحَاوِلُ صَرْفَ الرَّاحِ يَشْرِبُهَا
وَلَا يَفُكُّ لِمَا يَلْقَاهُ قِرْطَاسًا
الْكَاثُ وَالْكَيْسُ لَمْ يُقْضَ امْتَلَاؤُهَا
فَقَرَّغِ الْكَيْسَ حَتَّى تَمْلَأَ الْكَاثَا
وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شبيب الخوارزمي :

أَبُو بَكْرٍ لَهُ أَدَبٌ وَفَضْلٌ وَلَكِنْ لَا يَدُومُ عَلَى الْوَفَاءِ
مَوَدَّتُهُ إِذَا دَامَتْ نَحْلِيلٌ فَمِنْ وَقْتِ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ
وملحه ونوادره كثيرة .

ولما رجع من الشام سكن نيسابور ، ومات بها في منتصف شهر رمضان
سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة ، وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه : أنه توفي سنة ثلاث
وتسعين وثلثمائة ، وكان قد فارق صاحب بن عباد غير راض بعمل فيه :

لَا تَحْمَدَنَّ ابْنَ عَبَادٍ وَإِنْ هَطَلَتْ يَدَاهُ بِالْجُودِ حَتَّى أُخْجَلَ الدَّيْمَا
فَإِنَّهُ خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ يُعْطَى وَيَمْنَعُ لَا بُخْلًا وَلَا كَرَمًا
فبلغ ابن عباد ذلك ، فلما بلغه خبر موته أنشده :

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ خُرَاسَانَ قَافِلٍ أَمَاتَ خَوَارِزْمِيكُمْ قِيلَ لِي نَعَمْ
فَقُلْتُ اكْتُبُوا بِالْجِصِّ مِنْ فَوْقِ قَبْرِهِ أَلَا لَعَنَ الرَّحْمَنُ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ

العميدى

« صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي »

قال ياقوت : أبو سعيد محمد بن أحمد بن محمد العميدى : أديب نحوى لفوى مصنف ، سكن مصر .

قال أبو إسحاق الحبال : أبو سعيد العميدى : له أدييات . . . مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، قال : وكان العميدى يتولى ديوان الترتيب ، وعزل عنه — كما ذكر الروذبارى — فى سنة ثلاث عشرة فى أيام الظاهر ، ووليه ابن معشر ، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر فى أيام المستنصر ، استخدم فيه عوضاً من ولى الدولة بن خيران الكاتب فى صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلى فى جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة . قال : وله تصانيف فى الأدب ، منها : كتاب تنقيح البلاغة فى عشرة مجلدات ، رأيته بدمشق فى خزانة الملك المعظم وعليه خطه ، وقد قرئ عليه فى شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكتاب الإرشاد إلى حلّ المنظوم والهداية إلى نظم المنشور ، وكتاب انتزاعات القرآن ، وكتاب العروض ، كتاب القوافى كبير .

قال على بن مشرف : أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود بن الدليل الصواف بمصر قال : أنشدنا أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى لنفسه :

إذا ما ضاق صدرى لم أجدلى مقرر عبادة إلا القرآنة
لئن لم يرحم المولى اجتهادى وقلة ناصرى لم ألق رافة

ابن وكيع

وهذا ابن وكيع هو - كما قال ابن خلكان والشعبي - أبو محمد الحسن ابن علي بن أحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي ، المعروف بابن وكيع التنيسي . . . شاعر بارع ، وعالم جامع ، قد برع أهل زمانه ، فلم يتقدمه أحد في أوانه ، وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام ، وله ديوان شعر جيد ، وله كتاب يَبَيِّن فيه سرقات أبي الطيب ، سماه المنصف ، وكان في لسانه عجمة ، ومن شعره :

سلا عن حبك القلب المشوق فما يصبو إليك ولا يتوق
جفاؤك كان عنك لنا عزاء وقد يُسَلِّي عن الولد العقوق
وله أيضاً :

إن كان قد بعد اللقاء فودّنا باق ونحن على النوى أحباب
كم قاطع للوصل يؤمن وده ومواصل بوداده يرتاب
وله أيضاً :

لقد شمت بقلبي لا فرّج الله عنه
كم لنته في هواه فقال لا بد منه
وقد ألمّ بهذا المعنى بعضهم فقال :
لا رعى الله عزمة ضمنت لي سلوة القلب والتصبر عنه
ما وفت غير ساعة ثم عادت مثل قلبي تقول لا بد منه

ومثله قول أسامة بن منقذ :

لا تستمرّ جلدًا على هجرانهم فقواك تضعف عن صدود دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم طوعًا وإلا عدت عودة راغم

وقال بعض الفقهاء : أنشدت الشيخ مرتضى الدين أبا الفتح نصر بن محمد
ابن مقلد القضاى الشيزرى المدرس كان بتربة الإمام الشافعى رضى الله عنه
بالقرافة لابن وكيع المذكور :

لقد قنعت همى بالبحول وصددت عن الرتب العاليه
وما جهلت طعم طيب العلا ولكنها تؤثر العافيه
فأنشدنى لنفسه على البديهية :

بقدر الصعود يكون الهبوط فإياك والرتب العاليه
وكن فى مكان إذا ما سقطت تقوم ورجلاك فى العافيه
ولابن وكيع أيضاً :

أبصره عاذلى عليه ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لى : لو هويت هذا ما لامك الناس فى هواه
قل لى إلى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواء
فظل من حيث ليس يدرى يأمر بالحب من نهاه

قال ابن خلكان : وكنت أنشدت هذه الأبيات لصاحبنا الفقيه شهاب الدين
محمد ولد الشيخ تقى الدين عبد المنعم المعروف بالخيلى ، فأنشدنى لنفسه فى المعنى :

لو رأى وجه حبيبي عاذلى لتفاصلنا على وجه جميل

وهذا البيت من جملة أبيات ، ولقد أجاد فيه وأحسن فى التورية ،
ولابن وكيع كل معنى حسن ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى
الأولى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بمدينة تنيس ، ودفن فى المقبرة الكبرى
فى القبة التى بنيت له بها رحمه الله تعالى . وو كيع بفتح الواو وكسر الكاف وسكون
الياء المثناة من تحتها وبعدها عين مهملة ، وهو لقب جدّه أبى بكر محمد بن خلف
وكان نائباً فى الحكم بالأهواز لميدان الجواليقى ، وكان فاضلاً نبيلاً فصيحاً من

أهل القرآن والفقه والنحو والسير وأيام الناس وأخبارهم ، وله مصنفات كثيرة ، منها كتاب الطريق وكتاب الشريف وكتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه وكتاب الرمي والنضال وكتاب المسكايل والموازين وغير ذلك ، وله شعر ك شعر العلماء ، وتوفي يوم الأحد لست بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثمائة ببغداد .

وقال ابن قانع : توفي عبدان الأهوازي سنة سبع وثلثمائة بعسكر مكرم رحمه الله تعالى ؛ والتنيسي بكسر التاء المثناة من فوقها وكسر النون المشددة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة نسبة إلى تنيس مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط .

الخطيب التبريزي

هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، قال ابن خلكان : كانت له معرفة تامة بالأدب ، من النحو واللغة وغيرهما ، قرأ على الشيخ أبي العلاء المعري . وأبى القاسم عبد الله بن علي الرقي ، وأبى محمد الدهان اللغوي وغيرهم من أهل الأدب ، وسمع الحديث بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله بن يوسف الدلال الساوي البغدادى وأبى القاسم عبد الله بن علي وغيرهم ، وروى عنه الخطيب الحافظ أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت صاحب تاريخ بغداد ، والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي ، وأبو الحسن سعد الخير بن محمد ابن سهل الأندلسي وغيرهم من الأعيان ، وتخرج عليه خلق كثير وتلمذوا له ؛ وذكره الحافظ أبو سعيد السمعاني في كتاب الذيل وكتاب الأنساب وعدد فضائله ثم قال : سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون

المقرئ يقول : أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان يَمْرُضُ الطريقة ، وذكر عنه أشياء . ثم قال : وذاكرت أنا مع أبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت عنه وكأنه ما أنكر ما قال ، ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يتقله ، وصنف في الأدب كتباً كثيرة مفيدة : منها شرح الحاشية وكتاب شرح ديوان المتنبي ، وكتاب شرح سقط الزند وهو ديوان أبي العلاء المعري ، وشرح المعاني السبع وشرح المفضليات ، وله تهذيب غريب الحديث ، وتهذيب إصلاح المنطق ، وله في النحو مقدمات حسنة والمقصود منها أسرار الصنعة وهي عزيزة الوجود ، وله كتاب الكافي في علم العروض والقوافي ، وكتاب في إعراب القرآن سماه الملخص رأيته في أربعة مجلدات وشروحه لكتاب الحاشية ثلاث أكبر وأوسط وأصغر ، وله غير ذلك من التأليف ، ودرس الأدب بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء المعري : أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهرى في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثربها البلل ، وهي ببعض الوقوف ببغداد وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب المذكور ، وكان الخطيب قد دخل مصر في عنوان شبابه قرأ عليه بها الشيخ أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي من اللغة ثم عاد إلى بغداد واستوطنها إلى المات .

وكان يَرَوِي عن أبي الحسن محمد بن المظفر بن محيرز البغدادى جملة من شعره ، فمن ذلك قوله على ما حكاه السمعاني في كتاب الذيل في ترجمة الخطيب وهي من أشهر أشعاره :

خليلى ما أحلى صبوحي بدجلة وأطيب منه بالمرأة غبوق

شربت على الماءين من ماء كرمه فكانا كبدرا ذائب وعقيق
على قرى أفق وأرض تقابلا فمن شائق حلوا الهوى ومشوق
فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يسقيني ويشرب ريقى
وقلت لبدر التم تعرف ذا الفتى فقال نعم هذا أخى وشقيقى
وهذه الأبيات من أملح الشعر وأطرفه والبيت الأخير منها يستمد من معنى
قول أبى بكر محمد بن عيسى الدائى المعروف بابن البانة الأندلسى فى مدح المعتمد
ابن عباد صاحب إشبيلية من جملة قصيدة طويلة :

سألت أخاه البحر عنه فقال لى شقيقى إلا أنه الساكن العذب
ما كفاه أنه جملة شقيق البحر حتى رجحه عليه فقال : الساكن العذب والبحر
مضطرب مالح ، وهذا من خالص المدح وأبدعه وأول هذه القصيدة :
بكت عند توديعى فما علم الركب أذاك سقيط الطل أم لؤلؤ رطب
وتابعها سرب وإنى لخطي نجوم الدياجى لا يقال لها سرب
وهى قصيدة طويلة . وللخطيب أيضاً :

فمن يَسَام من الأسفار يوما فإنى قد سئمت من المقام
أقنا بالمراق على رجال لثام ينتمون إلى لثام
وقال الخطيب : كتب إلى العميد الفياض :

قل ليحيى بن على والأفاويل فنون
غير أنى لست من يكذب فيها ويخون
أنت عين الفضل إن مد إلى الفضل عيون
أنت من عز به الفضل وقد كاد يهون
فقت من كان واتعبت لعمري من يكون
قد مضى فيك قران ومضى قبل قرون
وإذا قيس بك الكل فصحو ودجون

وإذا فقتش عنهم فالأحاديث شجون
 قد سمعنا ورأينا فسهول وحزون
 ووزناً بك من كما ث ققيل وقبون
 أين شيبان وأزْد كل ما زال ظنون
 إنك الأصل ومن دو نك في العلم غصون
 إنك البحر وأعيا ن ذوى الفضل عيون
 ليس كالسيف وإن حلل في الحكم جفون
 ليس كالقدح الملقى ليس كالبيت الحُجون
 ليس كجلدة وإن آ نَسَ هزل وبجون
 ليس في الحسن سواء أبدأ بيض وجون
 ليس كالأبكار في اللطف وإن راققتك عيون
 قلت للحساد كونوا كيف شئتم أن تكونوا
 سبق الزائد بالفضل فعزوا أو فمُونوا
 دُمت ما خالف في الحدّ حرّك وسكون
 وتلقاك المني ما قرّ بالطير الوكون
 إن ودّى لك عما يصم الودّ مصون
 ليس لي فيه ظهور تتنافى أو بطون
 بل لقلبي فيك صبّ بالمصافاة يكون
 غلق الرهن وقد تفلّس في الحب رهون
 ومن الناس أمين في هواه وخون

وقال ابن الجواليقي : قال لنال لنا شيخنا الخطيب أبو زكريا : فكتبت أنا إلى

العميد الفياض المذكور هذه الأبيات :

قل للعميد أخى العلا الفياض أنا قطرة من بحرك الفياض

شرفتني ورفعت ذكرى بالذى ألبستني من الثنا الفضاض
 ألبستني حل القريض تفضلا فرفلت منها في علا ورياض
 إني أتيتك بالحصى عن لؤلؤ أجزته من خاطر مرتاض
 وبخاطري عن مثل ذاك توقف ما إن يكاد يجود بالاباض
 العارض البحر الفطامط جدول أم درة تنقاس بالرضاض
 يا فارس النظم الرصع جوهرا والنثر يكشف غمة الأمراض
 يرى به الفرض البعيد وقد غدا فكري يقصر عن مدى الأغراض
 لا تلزمني من ثنائك موجيا حقا فلت لحقه بالقاض
 فلقد عجزت عن القريض وربما أعرضت عنه أيما إعراض
 أنم على يسط عذري إني أقررت عند نذاك بالإفاض

وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين
 بقيتا من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز
 رحمه الله تعالى ، وبسطام بكسر الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفتح الطاء
 المهملة وبعد الألف ميم .

العكبري

أما الإمام المُكَبَّرِي فهو أبو البقاء عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن
 أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الأصل البغدادي المولد والدار الفقيه
 الحنظلي الحاسب الفرضي النحوي الضرير الملقب بحب الدين ، أخذ النحو عن
 أبي محمد بن الخشاب وعن غيره من مشايخ عصره ببغداد ، وسمع الحديث من
 أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة

طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وغيرها ، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه ، وكان الغالب عليه علم النحو وصنف فيه مصنفات مفيدة وشرح كتاب الإيضاح لأبي على الفارسي ، وديوان المتنبي ، وله كتاب إعراب القرآن الكريم في مجلدين وكتاب إعراب الحديث لطيف ، وكتاب شرح اللّمع لابن جني وكتاب الباب في علل النحو وكتاب إعراب شعر الحماسة ، وشرح المفصل للزخشرى شرحاً مستوفى ، وشرح الخطب النبائية والمقامات الحريرية وصنف في النحو والحساب ، واشتغل عليه خلق كثير واتفقوا به واشتهر اسمه في البلاد وهو حيّ وبعد صيته وكانت ولادته سنة ثمان وثلاثين وخمسة وتوفي ليلة الأحد ثلث من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وستة بفقاد ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى . والعكبري بضم العين المهمة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة وبعدها راء هذه النسبة إلى عكبرا وهي بليدة على دجلة فوق بغداد بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

ابن الشجري

هو الشريف أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري البغدادى . قال ابن خلكان : كان إماماً في النحو واللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها كامل الفضائل متضلعا من الأدب صنف فيه عدة تصانيف ، فمن ذلك كتاب الأمالى ، وهو أكبر تأليفه وأكثرها إفادة أملاه في أربعة وثمانين مجلسا ، وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على أبيات من شعر أبي الطيب المتنبي تكلم عليها وذكر ما قاله الشراح فيها وزاد من عنده ما سَنَحَ له ، وهو من الكتب الممتعة ، ولما فرغ من إملائه حضر إليه أبو محمد عبد الله المعروف بابن

الخشب والتمس فيه سماعه عليه ، فلم يحبه إلى ذلك ، فعاداه وردّ عليه في مواضع من الكتاب ونسبه فيها إلى الخطأ ، فوقف أبو السعادات المذكور على ذلك الردّ فردّ عليه في ردّه وبين وجوه غلطه وجمعه كتاباً وسماه الانتصار ، وهو على صغر حجمه مفيد جداً وسممه عليه الناس ، وجمع أيضاً كتاباً سماه المحاسة ضاهى به حماسة أبي تمام الطائي ، وهو كتاب غريب مليح أحسن فيه ، وله في النحو عدة تصانيف : ما انفق لفظه واختلف معناه ، وشرح اللمع لابن جني ، وشرح التصريف اللوحي ، وكان حسن الكلام حلّ الألفاظ فصيحاً جيد البيان والتفهيم ، وقرأ الحديث بنفسه على جماعة من الشيوخ المتأخرين مثل أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد القاسم الصيرفي ، وأبي على محمد بن سعيد بن شهاب الكاتب وغيرهما . وذكره الحافظ أبو سعيد بن السمعاني في كتاب الذيل وقال : اجتمعنا في دار الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزيني وقت قراءتي عليه الحديث وعلقت عنه شيئاً من الشعر في المدرسة ثم مضيت إليه وقرأت عليه جزءاً من أمالي أبي العباس ثعلب النحوي .

وحكى أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري النحوي في كتابه الذي سماه مناقب الأدباء : أن العلامة أبا القاسم محموداً الزمخشري لما قدم بغداد قاصداً الحج في بعض أسفاره مضى إلى زيارة شيخنا أبي السعادات ابن الشجري فضيئنا معه إليه فلما اجتمع به أنشده قول المتنبي .

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغر الخبر الخبير
ثم أنشده بعد ذلك :

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قدر أي بصري

وهذان البيتان منسوبان إلى أبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي وينسبان (٨٢ - المتنبي ١)

إلى غيره أيضاً ؛ قال ابن الأنباري : فقال العلامة الزنجشري : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما قدم عليه زيد الخليل قال له : يا زيدا وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت دون ما وصف لي ، غيرك ؛ قال ابن الأنباري : فخرجنا من عنده ونحن نمجّب كيف يستشهد الشريف بالشعر والزنجشري بالحديث وهو رجل أعجمي ؟ وكان ابن الشجري نقيب الطالبين بالسكرخ نيابة عن والده الطاهر وله شعر حسن ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها الوزير نظام الدين أبا نصر المظفر بن علي ابن محمد بن جبير وأولها :

هذي السديرة والغدير الطافح	فاحفظ فؤادك إنني لك ناصح
يأسدرة الوادي الذي إن ضله	ساري هداه نشره المتفاح
هل عائد قبل المات لمغم	عيش تقضي في ظلالك صالح
ما أنصف الرشا الضنين بنظرة	لما دعى مضنى الصباية طامح
شط المزار به وبؤى منزلا	بصميم قلبك فهو دان نازح
غصن يعطفه النسيم وفوقه	قمر يحف به ظلام جائح
وإذا العيون تساهته لحاظها	لم يرو منه الناظر المتراوح
ولقد سررنا بالمعيق فشاقتنا	فيه مراتع للمها ومسارح
ظلنا به نبكي فكم من مضمهر	وجدا أذاع هواه دمع سافح
برت السنون رسومها فكأنما	تلك العراض المقفرات نواضح
يا صاحبي تأملا حيتما	وسقى دياركما المليك الرايح
أدعى بدت لعيوننا أم رب رب	أم خرّد أكفاهن رواجح
أم هذه مقل الصوار رنت لنا	خلل البراقع أم قنا وصفايح
لم يبق جارحة وقد واجهتنا	إلا وهن لها بهن جوارح
كيف ارتجاع القلب من أسراهوى	ومن الشقاوة أن يراض القارح
لو بله من ماء ضارج شربة	ما أثرت للوجد فيه لواقح

ومن ههنا يخرج إلى المديح فأضربت عنه خوف الإطالة ، ولم يكن المقصود إلا إثبات شيء من نظمه لتستدل به على طريقته فيه ؛ ومن شعره أيضاً :

هل الوجد خاف والدموع شهود وهل مكذب قول الوشاة جحود
وحتى متى تُفنى شئونك بالبكا وقد حدّ حدّاً للبُكاء لبُيدُ
ولمّا وإن خفّت قناتي كبرّة لذو مرّة في الثّائبات جليد

وفيه إشارة إلى أبيات لبّيد بن ربيعة العامري وهي :

تمنى ابتئى أبى يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مُضَر
فَقوموا فَنُوحاً بالذى تعلّمناه ولا تَحْمِشاً وجهاً ولا تحاماً شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضاع ولا خان العهد ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر
وإلى هذا أشار أبو تمام الطائي بقوله :

ظَعَنُوا فكَانَ بَكَاءَ حَوْلَ بَعْدِهِم ثم اِرْعَوَيْتِ وَذَاكَ حَكَمَ لَبِيدُ
وقال الشريف أبو السعادات المذكور ، أنشدني أبو إسماعيل الحسين الطغرائي لنفسه :

إذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً فكن عبداً لملكه مطيعاً
وإن لم تملك الدنيا جميعاً كما تهواه فاتركها جميعاً
هما سببان من ملك وترك ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
فمن يقنع من الدنيا بشيء سوى هذين عاش بها وضيعا

وكان بين أبي السعادات المذكور وبين أبي محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن حكيم البغدادي الحريري الشاعر المشهور تنافس جرت العادة بمثله بين أهل الفضائل فلما وقف على شعره عمل فيه قوله :

ياسيدى والذى يُعِيذك من نَظَمَ قَرِيضٍ يَصْدَا بِهِ الْفِكْرُ
مالك من جدك النبی سوى أنك ما ينبغى لك الشعر

وكانت ولادته في شهر رمضان سنة خمسين وأربعمائة وتوفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ودفن من القد في داره بالكرخ من بغداد رحمه الله تعالى . والشجرة بفتح الشين المعجمة والجيم وبعدها راء : هذه النسبة إلى شجرة وهي قرية من أعمال المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ؛ وشجرة أيضاً اسم رجل قد سمت به العرب ومن بعدها ، وقد انتسب إليه خلق كثير من العلماء وغيرهم ، ولا أدري إلى من ينتسب الشريف المذكور منهما ، هل هو نسبة إلى القرية أم إلى أحد أجداده كان اسمه شجرة ؟ والله أعلم .

القاضي الجرجاني

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قال ياقوت : كان أريباً أديباً كلاملاً ، مات بالرقي يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالرقي حينئذ ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال : ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين ، وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذاك فقيه منظر ، وأبو الحسن قد ناهض الحلم ، فسمعاً الحديث الكبير ، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذُكر في الدنيا^(١) . وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها ، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار

(١) يريد إلى أن مات ،

ابن أحمد ، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير
مجد الدولة ، وأبو الفضل العارض ، راجلين ، ووقع الاختيار بموته على أبي موسى
عيسى بن أحمد الديلمي ، فاستدعى من قزوين وولى قضاء القضاة بالرى
وله يقول صاحب بن عباد ؛ وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار على
قاضي الرى :

إذا نحن سلمنا لك العلم كله فدعنا وهذى الكتب نحسن صدورنا
فإنهم لا يرتضون مجيئنا بجزع إذا نفلت أنت شذورها^(١)

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره ، وكان إذا
ذكره فى كتبه تبخى به^(٢) وشمخ بأنفه بالانتماء إليه . وطوف فى صباه البلاد
وخالط العباد ، واقتبس العلوم والآداب ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره . وله
رسائل مدونة ، وأشعار مفضنة ، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة ؛
ومن شعره :

أفدى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه
الورد قد أينع فى وجنتى قلت : فى بالثم يجنيه

ومنه :

يقولون لى فىك اقتباس وإعما رأوا رجلا فى موقف النل أحجبا
أرى الناس من دانا هم هان عندهم ومن أكرمه غرة النفس أكرما
ومازلت منحازاً بمرضى جانبنا من الهم أعتد الصيانة ممنا
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وما كل برق لاح لى يستفزنى ولا كل أهل الأرض أرضاء منعميا

(١) الجرع : الحرر الباني .

(٢) أى قال : بخ بخ .

ولم أقضِ حق العلم إن كان كَلَمًا بدا طمعٌ صَيَّرَهُ لِي سَلَمًا
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخدُم من لاقيت لكن لأخدِمَا
أشقى به غرسًا وأجنيه ذِلَّةً؟ إذن فابتياعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس تعظما
ولكن أذلوه جهاراً ودنسوا مُحَيَّاه بالأطماع حتى تجهما
ومنه :

وقالوا : اضطرب في الأرض فالرزق واسع
فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حرٌّ يُمِينِي ولم يك لي كسب فن أين أرزق ؟
ومنه :

أحبُّ اسمه من أجله وسميَّه ويتبعه في كل أخلاقه قلبي
ويجتاز بالقوم العدا فأحبههم وكلهم طاولي الضمير على حربي
ومنه :

قد برَّح الشوق بمشتاقك فأؤله أحسن أخلاقك
لأنجفه وارع له حقه فإنه خاتم عُشاقك
وللقاضى عدة تصانيف منها : كتاب تفسير القرآن المجيد ، كتاب تهذيب التاريخ
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه ، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل
نيسابور :

أيا قاضياً قد دنت كُتُبُه وإن أصبحت داره شاحطة
كتاب الوساطة في حسنه لعقد معاليك كالواسطة
ومن شعره :

وماتطعمت لذة العيش حتى صرتُ للبيت والكتاب جالسا
ليس شيء أعز عندي من العلم مـ فلم أبتغي سواه أنيسا !!

إنما الذل في مخالطة الناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً
ومن سائر شعره قوله :

إذا شئت أن تستقرض المال منفقاً
على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها
عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر
فإن فعلت كُنتَ الغنيَّ وإن أبت

فكل متويع بعدها واسع العذر
وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي
ابن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار صاحب وذلك قبيل العيد فجاءني
رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان :

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديتُ عطراً مثلاً طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه
قال وسمعته يقول : إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه لي بمرجان أكثر
مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيقه بي وتواضعه لي ؛
فأنشدني :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدد من فعلك الحسن
فالمرء مطلوب ومكتسب وأعزه مانيل في الوطن
ثم قال : قد فرغت من هذا المعنى في العينية فقلت : لعل مولانا يريد قولي :
وشيدتُ مجدى بين قومي فلم أقل ألا ليت قومي يعلمون صنيعي
فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : « ياليت قومي يعلمون »
بما غفر لي ربِّي وجعلني من المكرمين » قال الثعالبي : القاضي أبو الحسن
علي بن عبد العزيز ، حصة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان

حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ، ونظم البحترى : وينظم عقد الإقتان ، والإحسان في كل ما يتعاطاه ، « وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره » وقد كان في صباه خاف الخضفر في قطع عرض الأرض ، وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرها ، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء عِلْماً ، وفي الكمال علماً ، ثم عرج على حضرة صاحب فائق بها عصا المسافر ، فاشتد اختصاصه به ، وحل منه محلاً بعيداً في رفقته ، قريباً في أسرته ، وسير فيه قصائد أخلصت على قصد ، وفرائد أتت من فردٍ ، وما منها إلا صوب العقل ، وذوب الفضل ، وتقلد قضاء جرجان من يده ، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته ، من الولاية والمُعْطلة ، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرى ، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى .

وعرض على أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب ، في معنى القاضى أبي الحسن نسخته بعد التصيد والتشبيب : قد تقدم من وصنى للقاضى أبي الحسن على بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش — دام علوه — من كتيبى ما أعلم أنى لم أؤدّ فيه بعض الحق ، وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل ، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، فأما موقعه منى : فالموقع الذى تخطبه هذه المحاسن وتوجه هذه المناقب ، وعادته معى ألا يفارقنى مقياً وظاعناً ومسافراً وقاطناً ، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصوير المقام كالإلمام . فطالبنى مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده ؛ فإن عنّ له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المتاد من فضله ، ليمجّل انكفاؤه إلى بما رسم — أدام الله أيامه — من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من

بَذَرَةٍ^(١) إن احتاج إلى الاستظهار بها ، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها ، فإن رأى الأمير أن يحمل من حظوظ الجسيمة عنده تعهد القاضى أبى الحسن بما يجعل رده فإنى ما غاب كالمُضِلِّ الناشد ، وإذا عاد كالغائم الواجد ، مل إن شاء الله .

ولما عمل الصاحب رسالته المروقة في إظهار مسلوى المتنبي ، عمل القاضى أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد في فصل الخطاب ، وأعرب عن تبهره في الأدب وعلم العرب ، وتمكنه من جودة الحفظ ، وقوة النقد ، فسار الكتاب مسير الرياح ، وطار في البلاد بغير جناح .

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المتقدم ذكرهما ، ومن شعره :

أُنْثِرْ عَلَى خَدَيَّ مِنْ وَرْدِكَ أَوْدَعْ فَمَنْ يَقَطِفُهُ مِنْ خَدِّكَ
إِرْحَمْ قَضِيبَ الْبَانِ وَارْفُقْ بِهِ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَنْقَدَّ مِنْ قَدِّكَ
وَقُلْ لِمِنيكَ — بِنَفْسِي هَا — يَخْفَتَانِ السَّقَمَ عَنْ عَبْدِكَ

وله :

وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا أَسْرُ بِمِنْ دَنَا مَخَافَةَ نَائِي أَوْ حِذَارِ صُدُودِ
قَدْ جَمَلْتُ نَفْسِي تَقُولُ لِمَقْلَتِي
وَقَدْ قَرَّبُوا — خَوْفَ التَّبَاعُدِ — جُودِي
فَلَيْسَ قَرِيبًا مَنْ يُخَافُ بِمَادِهِ وَلَا مَنْ يُرَجِّى قُرْبَهُ بِبَعِيدِ
وله يستطرد :

مَنْ عَاذِرِي مِنْ زَمَنِ ظَالِمٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْيٍ وَلَا رَاحِمٍ ؟

(١) الخفارة في الطريق .

يفعل بالإخوان أحداته فعل الهوى بالذيف الماهم
كأنما أصبح يرميهم عن جفن مولاى أبى القاسم
وقال يذكّر بغداد ويتشوقها :

يانسيم الجنوب بالله بلغ
قل لأحبابه فذاكم فؤاد
بنتم فالرقاد عندى سهاد
فعلى الكرخ فالقطيعة فالش
يا ديار السرور لازال يبنى
رب عيش صحبته فيك غرض
فى ليال كأنهن أمان
وكان الأوقات فيها كنوس
زمن مسعد ولف وصول
كل أنس ولذة وسرور
ما يقول المقيم المستهام
ليس يسو ومقلة لا تنام
مد نأيم والعيش عندى لمام
ط قباب الشعير منى السلام
بك فى مضحك الرياض غمام
وجفون الخطوب عنى نيام
من زمان كأنه أحلام
دائرات وأنهن مدام
ومنى يستلذها الأوهام
بعد ما بنتم على حرام

وله فى ذلك :

سقى جانبي بغداد أخلاف مزنة
فلى منهما قلب شجاني اشتياقه
سأغفر للأيام كل عظيمة
لئن قربت بعد البعاد مزارها

وله فى ذلك :

أراجعة تلك الليالى كمهدا
وصحبة أحباب لبست لفقدم
إذا لاح لى من نحو بغداد بارق
وإن أخلقتها الغاديات رعوها
إلى الوصل أم لا يرتجى لى رجوعها ؟
ثياب حداد يستجد خلعها
تجافت جفونى واستطير هجوعها !
تكلف تصديق النمام دموعها

سقى جانبي بغداد كل غمامة
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت
بها تسكن النفس النفور ويفتدي
يحن إليها كل قلب كأنما
فكل ليالى عيشها زمن الصبا
وكل فصول الدهر فيها ربيعها
يحاكى دموع المستهام هومها
لواظها ألا يداوى صريعها
بأنس من قلب المقيم نزعها
يشاد بحبات القلوب ربوعها

وله في ذلك :

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت
في كل يوم لعيني ما يؤرقها
ما زال يبعدني عنه وأتبعه
حتى أوت لي النوى من طول جفوته
وما البعاد دهاني بل خلاقه
لولا التحمل لم أنفك أندبه
دياره وأراني لست أصبحه
من ذكره ولقلبي ما يعذبه
ويستمر على ظلي وأعتبه
وسهلت لي سيلا كنت أربه
ولا الفراق شجاني بل تجنبه

وله في التخلص :

أو ما اثنت عن الوداع بلوعة
ومدامع تجري فتحسب أن في
ملأت حشاك صباة وغليلا ؟
آماقهن بنات إسماعيل

وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير :

ولما تداعت للغروب شموهم
تلقين أطراف السجوف بمشرق
فما سرن إلا بين دمع مضيع
كان فزادى قرن قابوس راعه
وقنا لتوديع الفريق المغرب
لهن وأعطاف الخلدور بمغرب
ولا فن إلا بين قلب معذب
تلاعبه بالفيلى المتناشب

وله في الصاحب من قصيدة :

وما بال هذا الدهر يطوى جوامحي على نفس محزون وقلب كثيب
تقسمي الأيام قسمة جائر على نفرة من حالها وشحوب
كأنني في كنف الوزير رغبة تقسم في جدوى أغرّ وهوب

وله من قصيدة في الصاحب :

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعاني وألفت خواطرك الألفاظ بعد شراحها
وإن نحن حاولنا اختراع بذيمة حصلنا على مسروقها ومعادها

وله في الصاحب من قصيدة ينهته بالبرء من المرض :

بك الدهر يبدي ظله ويطيب ويقلع عما ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربما ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أقوى كل يوم للسكرام روعة لما في قلوب المكرمات وجيب ؟
تقسمت العلياء جسمك كله فن أين فيه للسقام نصيب ؟
إذا أليمت نفس الوزير تألمت لما أنفس تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه حياتي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ولكنه في المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك السماء تغيمت وعما قليل تبسدي فصوص
تهلل وجه المجد وابتسم الندى وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
فلا زالت الدنيا بملكك طلبة ولا زال فيها من ظلالك طيب

وله :

على مهجتي تجنى الحوادث والدهر فأما اصطباري فهو ممتنع وعمر
كأنني ألاق كل يوم ينوبني بذنب وما ذنبي سوى أنني حر
فإن لم يكن هند الزمان سوى الذي أصيب به ذرعا ففندي له الصبر

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الفنى
وبينى وبين المال بايان حرما
إذا قيل : هذا اليسر عاينت دون
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم
وماذا على مثل إذا خضعت له
وله :

سقى الفئث أو دممى - وقلّ كلاما -
بحيث استرقّ الدّعصُ وانبسط النقى
أكثر من أوصافها وهى واحد
وفى ذلك الخلد للكلّ ظبية
إذا خطرات الريح بين سجوفها
تلقت بأنساء النصف لحاظنا
أفى مثل هذا اليوم يمرح طرفه
ومدت لإسبال السجوف بنانها

لها أربما ، جور الهوى بينها عدل
وحيث تنهى الحيف وانقطع الرمل
ولكن أرى أسماءها فى فى تحلو
لكل فؤاد عند أجفانها ذحل
أباحث لطف العين ما حطّر البخل
وقالت لأخرى : ما لمستهر عقل ؟
وأعداؤنا حول وحسادنا قبل ؟
فغازلنا عنها الشماثل والشكل

أبي العلاء المعري

وهل يتوقع منا قارئ هذه التراجم أن نترجم له شاعر الحكماء وحكيم الشعراء
أبا العلاء المعري ، وهو أعرف من أن يعرف ، وقد أحاط المتأدبون بسيرته
وعبقريته علماء ؟ وحسبنا أن ننبه هنا إلى أنه ولد سنة ٣٦٣ وتوفي سنة ٤٤٩ ،
وأنه وضع شرحاً لشعر المتنبي وسمّاه اللامع العززي . واختصر ديوان أبي تمام
وشرحه وسمّاه ذكرى حبيب ، وديوان ~~المتنبي~~ ^{المتنبي} ، وسمّاه « عيث الوليد » وديوان
المتنبي ، وسمّاه معجز أحمد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما أخذهم
من غيرهم وما أخذ عليهم ، وتولى الاختصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم .
قال ابن خلكان : وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، وأبوزكريا
التبريزي - أحد شراح المتنبي وقد ترجمنا له - وغيرهما ، والله أعلم .

« أمثال المتنبي وحكمه »

انظر أمثال المتنبي وحكمه في ذيل الجزء الرابع
من هذا الديوان

قافية الحمزة

قال - وقد طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لأبي ذر مهمل بن محمد الكاتب (*) :-

أَلْقَابُ أَعْلَمُ يَا عَذُولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُّ مِنْكَ بِجَفْنِهِ وَبِمَائِهِ ^(١)
فَوَمَنْ أَحَبُّ لَأَعْصِيَنَّكَ فِي الْهَوَى قَسَا بِهِ وَبِحُسْنِهِ وَبِهَائِهِ ^(٢)
أُحِبُّهُ وَأَحِبُّ فِيهِ مَلَامَةً إِنَّ الْمَلَامَةَ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ^(٣)

(*) وهذه هي أبيات أبي ذر المذكور . وكان شيخ سيف الدولة :

يَا لَا يَمْنِي كَفَّ الْمَلَامَ عَنِ الَّذِي أَضْنَاهُ طُولُ سَقَامِهِ وَشَقَائِهِ
إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سَقَامَهُ وَأَعِنِّهِ مُلْتَمِسًا لِأَمْرِ شِفَائِهِ
حَتَّى يُقَالَ بَأَنَّكَ الْخِلُّ الَّذِي يُرْجَى لِشِدَّةِ دَهْرِهِ وَرَخَائِهِ
أَوْ لَا ، فَدَعَهُ فَمَا بِهِ يَكْفِيكَ مِنْ طُولِ الْمَلَامِ فَلَسْتَ مِنْ نُصَحَائِهِ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِمَنْ غَضِبْتُ عَوَاضِلِي فِي حُبِّهِ لَمْ أَخْشَ مِنْ رُقْبَائِهِ
الشَّمْسُ تَطْلُعُ مِنْ أَمْرِئَةٍ وَجْهِهِ وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ مِنْ خِلَالِ قَبَائِهِ

(١) الضمير في مائه يعود على الجفن وضمير جفنه يعود إلى القلب ، وإضافة الجفن إلى القلب لأنه أمير الأعضاء المهيمن عليها جميعا . والمراد بمائه ذمومه يقول : القلب أدرى منك أيها اللأم بدائه وما أدركه من برح الهوى فهو يلتصق شفاؤه في البكاء ويأمر الجفن به * وإن شفاؤى عبء مهراقة * والقلب حقيق بأن يطاع لأن له السلطان الأكبر وأنت أيها العذول خليك بأن تعصى ولا اكتراث لنهيك .

(٢) الفاء للعطف والواو للقسم يقول : بحق من أحبه وبحق حسنه ونور وجهه لا أطمعتك أيها اللأم فيه .

(٣) الاستفهام في أحبه إنكارى . يقول : لا أجمع بين حبه وبين النهى عن حبه لأن الملامة معناها النهى عن حبه . وقد ناقض بذلك قول أبي الشيص :

(٩ - انتهى ١)

عَجِبَ الْوُشَاةُ مِنَ اللَّحَاةِ وَقَوْلِهِمْ
دَعِ مَا بَرَآكَ صَفَفْتَ عَنْ إِخْفَانِهِ (١)
مَا الْخَلُّ إِلَّا مِنْ أَوْدٍ يَقْبَلُهُ
وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ (٢)
إِنَّ الْمَعِينَ عَلَى الصَّبَابَةِ بِالْأَسَى
أُولَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وَإِخَائِهِ (٣)

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْسُ لِي الْلَوْمُ
وقال الواحدى : معنى قوله إن الملامة فيه من أعدائه أن صاحب الملامة أى اللائم
هو من أعداء هذا الحبيب حين ينهى عن حبه ، ومن أحب حبيبا عادى عدوه . وهذا
تكلف لا موجب له . فالتنبي يقول إن اللوم من أعداء حبيبه ، فلا يجمع بينه وبين حبه
إياه ، أى أنه لا يصنى للوم اللوام ولا يقبله .

(١) وقولهم عطف على اللحاة ، والوشاة جمع واش ، وهو النمام ، لأنه يشى الكذب
أى يزخرفه وينمقه من وشى الثوب . واللحاة جمع لاح وهو العاذل أى اللائم . يقول :
ليس هناك إلا واش أو لاح فاللحاة يقولون دع هذا الحب الذى لا تطيق كتمانها ،
والوشاة يتعجبون من قولهم هذا قائلين إذا لم يطق كتمانها كان عن تركه أعجز . يعنى :
إننى وإن كنت ضعفت عن إخفاء هذا الحب بيد أننى لا أتركه .

(٢) الخل والخليل الصديق ، والطرف العين ، وسوى إذا قصرته كسرتة وإذا
مددته فتحته . يقول : ليس الصديق إلا من لا فرق بينى وبينه فاذا وددت فكأنى أود
قبله وإذا نظرت فكأنى أنظر بعينه . والمعنى صديقك من واقفك فى كل شئ فيود
ما وددت ويرى ما ترى أو تقول : ما خلى إلا الذى يبلغ الغاية من المودة فكأنه يود
بقلى . وقال بعضهم : المعنى : ليس لك خليل إلا نفسك . وهو كقوله :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خَلِّى وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ

(٣) الصبابة رقة الشوق . والأسى الحزن . والإخاء الأخوة . وربها أى صاحبها
والضمير للصبابة . يقول : إن العاذل أراد أن يعينه على الصبابة ويخلصه منها مستعينا على
ذلك باللوم والزجر فأحزنه بذكر ما يسوؤه وكان أجدر فى إعائته بأن يرحمه ويرئى لحاله ويؤاخيه
فى بلواه أو تقول : إن الذى يعين على صاحب الصبابة بإيراد الحزن عليه بلومه إياه أولى
بأن يرحمه فيشفق عليه ويؤاخيه ويحتال فى طلب الخلاص له من ورطة الهوى . وهذا
فى عراض قول أبى ذر المتقدم

إِنْ كُنْتُ نَاصِحَهُ فَدَاوِ سِقَامَهُ

مَهْلًا فَإِنَّ الْعَذْلَ مِنْ أَسْقَامِهِ وَتَرَفُّقًا فَالَسَّمْعُ مِنْ أَعْضَائِهِ ^(١)
وَهَبِ الْمَلَامَةَ فِي اللَّذَاذَةِ كَالْكِرَى مَطْرُودَةً بِسَهَادِهِ وَبُكَائِهِ ^(٢)

وجعل إirاده الحزن عليه عوناً على معنى أنه لا معونة عنده إلا هذا كقولهم : عتابك السيف ، وحديثك الضرب . وقال الواحدى : يجوز أن يكون معنى قوله على الصبابة مع ما أنا فيه من الصبابة كقول الأعشى بمدح رجلا .

تَصَيَّفَتْهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ ^(١) قَائِدًا
أى أعطانى مع ما كنت أقاسيه من الزمانه قائدا يقودنى .

(١) يقول . دع اللوم أيها اللائم فإنى سقيم واللوم يزيدنى سقما على سقم وتُرفق فى لومك فإن السمع — والمراد الأذن — من أعضائى فلا تسمعها ما يزيدها سقما .

(٢) هب أى احسب ، والكرى التعاس والسهاد الارق . قال ابن جنى . المعنى اجعل ملامتك إياه فى التذاذ كهـا كالنوم فى لذاذته فاطردها عنه بما عنده من الأرق والبكاء أى لا تجمع عليه اللوم والسهاد والبكاء أى فكما أن السهاد والبكاء قد أزالا نومه فلنزل ملامتك إياه . وقال الواحدى تعقيا على ماذهب إليه ابن جنى : هذا كلام من لم يفهم المعنى إذ ظن زوال الكرى من العاشق وليس على ماظن ولكنه يقول للعاذل هبك تستلذ الملامه كاستلذاذك النوم وهو مطرود عنك بسهاد العاشق وبكائه فكذلك دع الملام فانه ليس بألذ من النوم أى فإن جاز ألا تنام جاز ألا تعذل « وأما بعد » فى الحق أن البيت من مشكلات الآيات ومن ثم اضطربت فيه كلمة الشراح . قال بعض المحققين . وذلك أن تفسير ابن جنى قوله مطرودة بقوله فاطردها لا يستقيم وشتان بين الأمر والوصف ، ولا يقال : إنه تناول معنى الأمر من قوله هب على تقدير هبها مطرودة لأن هب على تفسيره قد استوفى مفعوله من صدر البيت فلم يبق له دخل فيها يليه . وبقى قوله مطرودة حالا عن الملامه وإن شئت جعلته خبرا عن ضميرها محذوفا أى وهى مطرودة وعلى كليهما يكون فى معنى شبه جملة أو جزء جملة خبرية لا فى معنى جملة طلبية وقول الواحدى وهو مطرود أى النوم مقتضاه جعل مطرودة حالا عن الكرى والكرى مذكر لأنه مصدر كرى ولفظ مطرودة مؤنث فلا يصح كونها حالا

(١) الزمانه . العاهة .

لَا تَعْدُلُ الْمُشْتَاقَ فِي أَشْوَاكِهَ حَتَّى يَكُونَ حَشَاكَ فِي أَحْشَائِهِ ^(١)
 إِنَّ الْقَتِيلَ مُضَرَّجًا بِدُمُوعِهِ مِثْلُ الْقَتِيلِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ ^(٢)
 وَالْعِشْقُ كَالْمَعْشُوقِ يَمْدُبُ قُرْبَهُ لِلْمُبْتَلَى وَيَنَالُ مِنْ حَوَائِهِ ^(٣)
 لَوْ قُلْتَ لِلدَّفَنِ الْحَزِينَ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ لَاغْزَرَتُهُ بِفِدَائِهِ ^(٤)
 وَفِي الْأَمِيرِ هَوَى الْعُمَيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بَيَاسِهِ وَسَخَائِهِ ^(٥)

عنه . على أن جعل ملام العاذل في قول ابن جني أو نومه في قول الواحدى مطرودا بسهاد العاشق وبكائه مما يشكل وجهه ، وما أرى التنبى إلا أنه قد غلط في هذا البيت بأن سبق وهمه إلى أن الكرى يؤث على حد الهدى مثلا ، أو أراد أن يقول مطرودا فسبق خاطره إلى التأنيث باستدراج الوزن لأن المقام يقتضى أن يكون قوله مطرودة جاريا على الكرى كما هو تفسير الواحدى ، ويكون المعنى على نحو ما قال ابن جني أى احسب ملامتك لذينة عند العاشق كمنامه ، والنام مطرود عنه بالسهاد والبكاء ، أى فلتكن ملامتك كذلك .

(١) لا : ناهية . ويروى لاتعذر فتكون نافية . يقول : لا تلم العاشق حتى تحب مثل ما يحب وهذا من قول البحترى .

إذا شئت أن لا تعدل الدهر عاشقاً على كمدٍ من لوعةِ التَّيْنِ فَأَعْشَقِي
 (٢) مضرجا في الموضعين نصب على الحال ، والمضرج الملطخ بالدم من ضربت الثوب إذا صبغته بالحمرة . جعل دموع العاشق كالدماء والعاشق كالقتول تهويلا لأمر الهوى يقول : إن القتل إنما هو باستنزاف الدم ، فمن استنزف دمه من طريق الدمع كمن استنزف دمه من طريق الجراحات .

(٣) المبتلى العاشق الذي امتحن بالحب ، والحوباء النفس . والواو في قوله وينال واو الحال . يقول إن العشق حلو القرب كقرب المعشوق وإن كان ينال من نفس العاشق أى ينفقها . أى أن العشق قاتل وهو مع ذلك مستعذب .

(٤) الدنف ذو الدنف أى المرض الملازم . وأغرته أى بعثته على الغيرة ، وقوله بفدائه أى بفدائك إياه فأضاف المصدر إلى المفعول . يقول : لو قلت للدنف ليت مابك من برج الهوى بى لغار من ذلك ضنا بمحبوبه وخشية أن يحل أحد محله برغم ما يلاقيه .
 (٥) وفى أى وقاه الله ، والبأس الشجاعة والسخاء البذل . يدعو له بالسلامة من

يَسْتَأْسِرُ الْبَطْلَ الْكَمِيَّ بِنَظَرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فَوَائِدِهِ وَعَزَائِهِ ^(١)
إِنِّي دَعَوْتُكَ لِلنَّوَائِبِ دَعْوَةً لَمْ يُدْعَ سَامِعُهَا إِلَى أَكْفَائِهِ ^(٢)
فَأَتَيْتَ مِنْ فَوْقِ الزَّمَانِ وَتَحْتِهِ مُتَّصِلًا وَأَمَامِهِ وَوَرَائِهِ ^(٣)
مَنْ لِلسُّيُوفِ بِأَنْ تَكُونَ سِمِيحًا فِي أَصْلِهِ وَفِرْنَدِهِ وَوَفَائِهِ ^(٤)

الهوى لأنه ليس مما يزال بالشجاعة والبذل ، والأمير وإن كان من الشجاعة والجلود بحيث يدفع كل أمر شديد بيد أن الهوى اللطيف من ذلك .

(١) يستأسر أى الهوى أى يجعله فى الأسر ، والبطل ، الشجاع ، والكمى لابس السلاح ، والعزاء التجلد يقول : إن الهوى يأسر البطل الشجاع المستلهم سلاحه بمجرد نظرة فيملك عليه أمره ويعصف بصره وجلده على الرغم من بطولته فلا يترك بين فوائده والعزاء سبيلا . وهذا ينظر إلى قول جرير .

يَصْرَعُنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنْ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا ^(٢)
النواب الشدائد ، وسامعها سيف الدولة . والأكفاء جمع كفء وهو القرن والنظير . يقول : إني دعوتك لدفع الشدائد عنى ولست بهذه الدعوة أدعوك إلى نظرائك لجلادها لأنك فوق الشدائد وأشد بطشا منها .

(٣) المتواصل الذى له صلصلة وحفيف من وقع الحديد وقد طابق بين فوق وتحت وأمام ووراء يقول : دعوتك لدفع نوب الزمان عنى فأحطت به دونى وحلت بينه وبين الوصول إلى وحيثنى بذلك منه ، وهذا قريب من قول أبى نواس :

تَفَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَقَمَّيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي ^(٤)
ضمير تكون للسيف أى بأن تكون السيف سميحا ، أى مثل سميها وتقول : من له بكذا أى من يتكفل له به أو من يضمنه له ونحو ذلك . وفرند السيف جوهره ووشيه وهو ما يرى فيه شبه مدب النمل أو شبه الغبار استعاره هنا للمدوح وهو سيف الدولة والمراد مكارمه ومحاسنه والأصل النجار والحسب والوفاء معروف . يقول : من يكفل للسيف التى شاركت سيف الدولة فى التسمية بأن تكون مثله فى أصله ومناقبه وفعاله وفى وفائه ، وهذا كقوله .

* تظن سيوف الهند أصلك أصلها *

طَبَعَ الْحَدِيدُ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعِ مِنْ آبَائِهِ^(١)
واستزاده سيف الدولة فقال أيضاً :

عَذَلُ الْعَوَازِلِ حَوْلَ قَلْبِ التَّائِهِ وَهَوَى الْأَحْبَةِ مِنْهُ فِي سَوْدَائِهِ^(٢)

(١) طبع الحديد فعل ونائب فاعل واسم كان ضمير يعود إلى الحديد ومن أجناسه جار ومجرور في موضع نصب خبر كان وعلى مبتدأ والمطبوع صفة له ومن آبائه في موضع رفع خبر ، والمطبوع المصنوع وعلى اسم سيف الدولة وهو على بن أبي الهيثم بن حمدان التغلبي . يقول : إن السيوف مصنوعة من الحديد فهي تنزع إلى أصلها الذي صنعت منه أما سيف الدولة الشريف ابن الشريف المرق له في الكرم فإنه ينزع إلى أصله في المجد والفعال ، فهي وإن شاركت في الاسم تخالفه في الأصل وشتان ما بينهما .

(٢) يعني بالتائه نفسه . وعذل العوازل مبتدأ وحول قلب التائه خبر والعذل اللوم والعوازل جمع عاذلة أما العاذل فجمعه عذال وعذل ، والتائه المتحير وسوداء القلب وسويداؤه العلقة السوداء التي في جوفه كأنها فلذة كبد ، يقول : إن لوم اللوام حوال قلبي وهوى الأحبة قار في سويدائه ، وإذا لا يصل اللوم إلى قلبي وهذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم .

تَغَافَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورٌ

وقد روى بدل قلب التائه قلبي التائه على أن التائه صفة لقلبي ، وليس هناك لأنه لا يقال تاه قلبه . وقال قوم : المعنى أن قلبي يتيه على عذلهم ، من التيه بمعنى الكبر ، قال الواحدى : ليس بمستحسن ، هذا وقد قال العكبري : عيب على أبي الطيب قوله التائه والقصيدة مهموزة كلها واعتذر له قوم بأنه لم يرد التصريح^(١) لأن الهاء في القافية أصلية وقد جعل قوم ممن رتبوا الديوان على الحروف هذه القطعة في حرف الهاء لجهلهم القوافي وقد جعلها ابن جنح والخطيب التبريزي في أول حرف الهمزة فاقترينا بفعلهما والقوافي خمس يجمعها مكبرف كل حرف لقافية ، وهي متكوس ومتدارك ومتراكب ومتواتر

(١) التصريح تنقية المصراع الأول مأخوذ من مصراع الباب . قال العلماء : المصراعان بابا القصيدة بمنزلة المصراعين اللذين هما باب البيت قالوا : وإنما وقع التصريح في الشعر ليدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصيدة وإما قصة .

ومترادف ، فالتكاوس^(١) أربع حركات بين ساكنين كقوله .

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَ *^(٢)

والتدارك^(٣) حركتان بين ساكنان كما في هذه القصيدة والمتراكب^(٤) ثلاث حركات بين ساكنين كقول المتنبي :

* بِمِ التَّغَلُّلِ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ *

والتواتر^(٥) حركة واحدة بين ساكنين كقوله - أى التنبي - :

(١) مأخوذ من تكاوس النبت والشجر التف وتراكب لكثرة الحركات فيه كأنها التفت .

(٢) هو للمعاج . والجبر خلاف الكسر يقال جبر العظم والفقير واليتيم وجبر العظم بنفسه . وقد جمع المعاج في هذا بين التعدى واللازم .

(٣) قال ابن سيده والتدارك من الشعر كل قافية توالى فيها متحركان بين ساكنين وهى متفاعلين ومستعملين ومتفاعلين وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فعل ، فاللام في فعل ساكنة ، وفعل إذا اعتمد على حرف متحرك نحو فعول فل اللام من فل ساكنة والواو من فعول ساكنةسمى بذلك لتوالى حركتين فيها ، وذلك أن الحركات من آلات الوصل وأماراته فكان بعض الحركات أدرك بعضها ولم يعقه عنه اعتراض الساكن بين المتحركين .

(٤) للتراكب كل قافية توالى فيها ثلاثة أحرف متحركة بين ساكنين وهى مفاعلتين ومفتعلن وفعلن لأن فى فعلن نونا ساكنة وآخر الحرف الذى قبل فعلن نون ساكنة وفعل إذا كان يعتمد على حرف متحرك نحو فعول فعل اللام الآخرة ساكنة والواو فى فعول ساكنة .

(٥) التواتر كل قافية فيها حرف متحرك بين حرفين ساكنين نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن ومفعولن وفعلن وفعل إذا اعتمد على حرف ساكن نحو فعولن فل وإياه عنى أبو الأسود بقوله :

وقافية حذاء سهل رويها كسرد الصناعات ليس فيها تواتر
أى ليس فيها توقف ولا فتور .

يَشْكُو الْعَلَامُ إِلَى اللّوَأَمِّ حَرَّةُ وَيَصُدُّ حِينَ يَلْمَنَ عَنْ بُرْحَانِهِ^(١)
وَبِمَهْجَتِي يَا عَاذِلِي الْمَلِكُ الَّذِي أَسْخَطْتُ كُلَّ النَّاسِ فِي إِرْضَانِهِ^(٢)

* صِلَةُ الْمَجْرِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ *

والمترادف^(١) اجتماع ما كنين كقوله - أى المتنبي :-

لَا تَحْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى مَشُورَةُ الضَّفِيرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ

أقول : وهذا كله من المكبرى لأنه أورد هذه الأبيات قبل الأبيات السالفة ظناً منه أنها هي التي قالها المتنبي باديء ذي بدء حين طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات أبي ذر ، ولكن الذى تحقق لدينا هو أن المتنبي قال الأبيات السابقة أولاً ثم أزدفها بهذه الأبيات التالية وإذن ينهار هذا المأخذ الذى توركه بعضهم على المتنبي وانهار معه الدفاع عنه .

(١) البرءاء الشدة وتباريح الشوق توجهه . وتقول : لقيت منه برءاء بارحاً أى شدة وأذى ، ويقال للمحموم الشديد الحمى أصابته البرءاء . يقول : إن اللوم يشكو حرارة قلبى إلى اللوأم كأنه يقول لمن : لا تبعثنى إليه لآنى أخشى برءاء قلبه وإذا انتفى أعرض اللوم عن قلبى خشية أن تلتفحه ناره يعنى بذلك أن قلبه لا يقبل اللوم واللوم لا يطبق أن يصل إلى قلبه لما يضطرم فيه من حرارة الحب . فالضمير فى حره وبرءاءه للقلب فى البيت السابق . وليس يخفى ما فى هذا البيت من لطف التخيل وبديع التمثيل .

(٢) الباء فى بمهجتى للتفدية ، والمالك يجوز فيه الرفع والنصب ، إذ لك أن تجعل بمهجتى خبراً مقدماً والمالك مبتدأ ولك أن تجعل الملك مفعولاً لفعل محذوف تقديره أفدى ويريد بالملك سيف الدولة والمهجة الروح وأراد بقوله : يا عاذلى يا من يعدلنى فليس لك أن

(١) المترادف كل قافية اجتمع فى آخرها ساكنان وهى متفاعلان ومستفعالان ومفاعلان ومفتعلان وفاعلتان وفعلتان ومفعولان وفاعلان وفعلان ومفاعل وفعل ، سمي بذلك لأن غالب العادة فى أواخر الأبيات أن يكون فيها ساكن واحد رويًا مقيداً كان أو وصلًا أو خروجاً فلما اجتمع فى هذه القافية ساكنان مترادفان كان أحد الساكنتين ردف الآخر ولا حقاً به .

إِنْ كَانَ تَدَّ مَلَكَ الْقُلُوبَ فَإِنَّهُ مَلَكَ الزَّمَانَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ ^(١)
 الشَّمْسُ مِنْ حُسَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ قُرْنَائِهِ وَالسَّيْفُ مِنْ أَسْمَائِهِ ^(٢)
 أَيْنَ الثَّلَاثَةُ مِنْ ثَلَاثِ خِلَالِهِ مِنْ حُسْنِهِ وَإِبَائِهِ وَمَضَائِهِ ^(٣)
 مَضَتِ الدُّهُورُ وَمَا أَتَيْنَ بِمِثْلِهِ وَلَقَدْ أَتَى فَمَجَزَنْ عَنْ نَظَرَائِهِ ^(٤)

تقول كان ينبغي أن يقول يا عاذلي لأنه قال العواذل في الأول ، إذ المراد كما قلنا يامن يعذلي ومن تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وهذا اقتضاب عدل به عن النسيب إلى الدبيح . يقول : إني يالأمي أفدى بنفسى الملك الذى لم أسمع فيه لوم من هو أشد لوما منك فلم أتركه وآت غيره وأسخطت لوامى جميعا فى سبيل مرضاته .

(١) الباء فى بأرضه بمعنى مع يقول : غير عجيب أن يملك هذا الملك القلوب ويستولى حبه عليها مادام قد ملك الزمان بما يحتويه من الكائنات يصرفه على مشيئته وقال بعضهم : أراد بالهباء الأفلاك التى تنسب إليها السعود والنحوس أى أن ذلك يجرى على مقادير مشيئته لأنه يجعل أصحابه فى السعود ، وأعداءه فى النحوس .

(٢) والنصر من قرنائهِ ، أى أنه أينما توجه فهو منصور والسيف من أسمائه لأنه يعرف بسيف الدولة .

(٣) الخلال جمع خلة وهى الخصلة ، والإباء أن يأبى الذل ولا يرضاه والثلاثة الشمس والنصر والسيف ، يقول : أين حسن الشمس من حسنه وأين النصر من إبائهِ ؟ أى أنه أشد إباء للذل من النصر لأن النصر حليفه وصاحب النصر يأبى الذل وأين مضاء السيف من مضائه ؟

(٤) يقول : لم يأت الزمان بمثله فيما مضى فلما أتى عجزت الدهور عن أن تأتى له بنظير ، ولا يروعنك مثل هذه الأبيات فإن الشعر يجب أن يكون أسمى من أن يسف إلى مثل هذا القلوه ، والتنبى كثيراً ما يلجأ فى شعره إلى الإفراط ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الشعراء .

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي ، وكان قوم قد هَجَوْهُ ، وغزوا الهجاء
إلى أبي الطيب فكتب إليه يعاتبه ، فكتب أبو الطيب إليه :

أَتُنْكِرُ يَا ابْنَ إِسْحَاقَ إِخَايَ وَتَحْسَبُ مَاءَ غَيْرِي مِنْ لَمَانِي ^(١)
أَأَنْطِقُ فِيكَ هُجْرًا بَعْدَ عَلَمِي بَأَنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ ^(٢)
وَأَكْرَهُ مِنْ ذُبَابِ السَّيْفِ طَعْمًا وَأَمْضَى فِي الْأُمُورِ مِنَ الْقَضَاءِ ^(٣)
وَمَا أُرْبِتَ عَلَى الْعِشْرِينَ سِنِي فَكَيْفَ مَلَلْتُ مِنْ طُولِ الْبَقَاءِ ^(٤)
وَمَا اسْتَفْرَقْتُ وَصْفَكَ فِي مَدْيَحِي فَأَنْقُصَ مِنْهُ شَيْئًا بِالْهَجَاءِ ^(٥)
وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ أَيْعَمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ ^(٦)

(١) الاستفهام للتعجب وإسحاق مصروف للضرورة والإخاء المصادقة وتحسب تفتح عنه وتكسر أى تظن والماء والإناء استعارة للقول والقائل يقول متعجبا : أتتكر مؤاخاتي إياك وتظن أن ما هجيت به صادر مني ؟

(٢) الهجر : القبيح من الكلام ، ويقال : هجر الرجل إذا هذى وأصله ما يقوله المهوم إذا نالت منه الحمى ؛ يقول : لا أنطق فيك القبيح بعد علمي أنك خير الناس ، وهذا مبالغة .

(٣) أكره وأمضى معطوفان على خير في البيت السابق وطعما تمييز وذباب السيف حده . يقول : وأنت أكره طعما على العدو من طرف السيف وأتقذ فيما تريد من الأمور من القضاء ، وهذا من مبالغات المتنبي المعروفة .

(٤) ما حرف نفي وأربت زادت ، والسن العمر ، ومللت سئمت . يقول : وما زادت سنى على العشرين فكيف أمل طول البقاء بالتعرض لهجائك إذ أنى بتعرضي لهجائك ألقى بنفسى إلى التهلكة .

(٥) وما عطف على ما قبله ، واستفرت استوفيت ، يقول : ولم أستوف إلى الآن أوصاف مدحك فكيف أنقصها بهجائك بل أنا باستقامتها أولى مني بالأخذ في الهجاء .
(٦) يقول : وقدر أنى هجوتك وكأننى بذلك كمن يقول هذا النهار ليل فكيف يتأتى هذا وفعلك لا يخفى على أحد كضياء الشمس ، وهل يعنى العالمون عن الضياء .

تَطِيعُ الْخَالِيسِدِينَ وَأَنْتَ مَرَّةً جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وَهُمْ فِدَائِي ^(١)
وَهَاجِي نَفْسِهِ مَنْ لَمْ يُعَيِّزْ كَلَامِي مِنْ كَلَامِهِمْ الْهَرَاءُ ^(٢)
وَأَنْ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ تَرَانِي فَعَمْدِلَ بِي أَقْلٌ مِنَ الْهَبَاءِ ^(٣)

(١) مرة لغة في امرؤ . يقول : تصنى إلى الحساد وتنزل على تهمتهم إياي بهجائك وأنت أسمى من أن يهجوهم مثلي لأنني فداء له لماله من الأيادي ، أما هؤلاء الحساد فهم فداء لي لأنني أولى بالبقاء منهم وهم ممن لا غناء فيهم ، وقد ذهب السراح أكثرهم إلى أن جملة جعلت فداءه دعائية جعلت وصفا لمرة وهو نكرة على تقدير محذوف ، أي مستحق لأن أسأل الله أن يجعلني فداءه على حد قول الراجز :

مَا زِلْتُ أَسْتَعِي بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظُّلَامُ وَاخْتَلَطُ ^(*)

* جَاءُوا بِضِيحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذُّنْبَ قَطُ *

أي جاءوا بضريح يقول : من رآه هل رأيت الذنوب قط .

(٢) من لم يميز مبتدأ مؤخر وهاجي نفسه خبر مقدم ، والهراء الكلام الساقط الذي لا خير فيه . قال ذو الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطَقٌ رَخِيمُ الْخَوَاشِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ

يقول : إن من لم يفرق بين كلامي وبين كلامهم الساقط فإنما يهجو بذلك نفسه وأنت أفطن من ألا تميز بينهما وإلا كنت قد هجوت نفسك .

(٣) أن تراني مؤول بمصدر اسم أن ، ومن العجائب جار ومجرور خبرها وتعديل عطف على تراني وأقل صفة لموصوف محذوف أي شيئا أقل من الهباء ، وعدله به ساواه وأقل أخس ، والهباء ما يرى في شعاع الشمس من دق التبار قل الشاعر :

بَرَّانِي الْهَوَى بَرَّى اللَّدَى وَأَذَابَنِي صَدُودُكَ حَتَّى صَرْتُ أَنْحَلَ مِنْ أَمْسِ

فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أَرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ النَّرِّ فِي أَلْقِ الشَّمْسِ

يقول : من العجب أن تراني وتعرفني ثم تسوى بيني وبين خسيس أدق من الهباء يريد غيره من الشعراء .

* الضيغ اللبن المخلوط شبه لون الضيغ بلون الذئب والذئب يقال له أبو مذقة لأن لونه يشبه لون المذق وهو الضيغ .

وَتُنْكِرَ مَوْتَهُمْ وَأَنَا سُهَيْلٌ طَلَعْتُ بِمَوْتِ أَوْلَادِ الزَّنا^(١)

وقال يمدح أبا علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي الكاتب ، وكان يذهب إلى التصوف (*)

أَمِنْ أَزْدِيَّارِكُ فِي الدُّجَى الرُّقْبَاءُ إِذْ حَيْثُ أَنْتِ مِنَ الظَّلَامِ ضِيَاءُ^(٢)

(١) سهيل نجم تزعم العرب أنه إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر للوت والزنا عد ويقصر ، يقول : ومن العجائب أن تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم يموتهم كما يطلع سهيل ومن ثم يموت أولاد الزنا حسداً لي .

(*) قال بعض أفاضلنا المعاصرين في فصل من كتاب له ما ملخصه « هذه القصيدة تتبنا بأن الشاعر قد أقبل يمدح أبا علي الأوراجي من بعيد وقد جاز إليه جبل لبنان . . . وأكبر الظن أن الأوراجي هذا كان متصلاً بعمل من أعمال ابن رائق قريبا من بدر بن عمار في طبرية أو بعيداً عنه بعض الشيء في دمشق . فأقبل المتنبي من شمال الشام إلى جنوبها بعد أن جلت عنه جنود الإخشيد حتى انتهى إلى صاحبه هذا فمدحه بقصيدتين أحدهما هذه المزمية ، والأخرى أرجوزة طردية « انظر الأرجوزة التي يقول في مطلعها .

ومنزّل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات المهطل

وللمزمية فيما أرى مكانة خاصة من شعر المتنبي فهي القصيدة الوحيدة التي يعتمد فيها الشاعر إلى المذهب الرمزي ليرضى بمدوحه الذي كان يذهب مذهب التصوف وهي من هذه الجهة قيمة لأنها تبين عن علم المتنبي — في الخامسة والعشرين من عمره — بمذاهب التصوفة في الكلام ومنهجهم في الرمز والإيماء ولأنها تظهر لنا الشاعر الفقي وقد ملك ناصية الفن حقاً ؛ إلى أن قال : ولست أدري أكان الأوراجي هذا قريبا أم بعيداً من بدر بن عمار ولكن المتنبي أقام معه حيناً على كل حال كما تدل على ذلك طرديته ثم اتصل من طريق الأوراجي هذا فيما أرى ببدر فلا تسل عن فرحته وابتهاج نفسه بالنقطة والرضى اه ملخصاً .

(٢) أمن فعل والرقباء فاعل ، وازديارك مفعول مقدم وإذ تعليلية وأنت ضياء مبتدأ وخبر أضيفت حيث الظرفية إلى جملتهما ومن في من الظلام للبدل ويروى : إذ

قَلَقُ الْمَلِيحَةِ وَهِيَ مِسْكٌ هَتَكَهَا وَمَسِيرُهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ ذُكَاةٌ^(١)

حيث كنت . . . قال الواحدى : فتكون ضياء مبتدأ محذوف الخبر ، أى ضياء هناك وكان تامة فى معنى حصلت ووقعت فليس لها خبر ، وقال آخرون ضياء مبتدأ وحيث كنت من الظلام خبره وإذ مضافة إلى هذه الجملة ومن الظلام حال من حيث تقديره إذ ضياء بمكان كونك وحصولك من الظلام ويجوز رفع حيث على الابتداء ونقله عن الظرفية . . . والازديار افتعال من الزيارة والدجى الظلمة يقول : إن الرقباء قد أبنوا أن تزورين ليلا لأنك إذا زرتنى فى الظلام أضاء بك وأنار لأنك ضياء يهتك الظلام وإذا ذاك تقتضين وهذا ينظر إلى قول على بن جبلة المصوك :

بَأبَى مَنْ زَارَنِي مُكْتَتِمًا حَذِرًا مِنْ كُلِّ وَاشٍ فَرِعَا
طَارِقًا نَمَّ عَلَيْهِ نُورُهُ كَيْفَ يُخْفِي اللَّيْلُ بَدْرًا طَلَمًا
رَصَدَ انْطِلَوةَ حَتَّى أَمَكَّتْ وَرَعَى السَّامِرَ حَتَّى هَجَمَا
كَابَدَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلَّمَ حَتَّى وَدَّعَا

(١) قلق مبتدأ وهتكها خبره ومسيرها عطف على قلق محذوف الخبر للعلم به ، والواو فى وهى مسك وهى ذكاة للحال . والمراد بقلقها اضطرابها وحركتها والسك طيب من دم دابة كالظبي تدعى غزال المسك ، وهتكها أى اتهاكها ، وذكاة اسم للشمس لا ينصرف . يقول : إن المليحة مسك فإذا تحركت انتهك سترها وانفضح بتضوع رائحتها ، وهى شمس فإذا سارت ليلا رآها الناس . ومثل هذا المعنى كثير فى شعر المحدثين قل البحرى :

وَحَاوَلْنِ كِتْمَانَ التَّرَحُّلِ فِي الدُّجَى فَنَمَّ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَضَوَّعَا
وقال :

وَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَلَشِيئًا وَجَرَسُ الْخَلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيًا

وقال أبو المطاع ابن ناصر الدولة :

ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مِنْ زِيَارَتِنَا وَقَدْ دَجَا اللَّيْلُ خَوْفَ الْكَاشِحِ الْحَنِقِ
ضَوْءُ الْجَبِينِ وَوَسْوَاسُ الْخَلِيِّ وَمَا يَفُوحُ مِنْ عَرَقِ كَالْعَنْبَرِ الْعَبْقِ

أَسْفَى عَلَى أَسْفَى الَّذِي دَلَّهْتَنِي عَنْ عَلَيْهِ فَبِهِ عَلَى خَفَاءُ^(١)
وَشِكَايَتِي فَقَدْ السَّقَامَ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ^(٢)

هَبِ الْجَبِينِ بِفَضْلِ الْكُمِّ تَسْتَرُهُ وَالْحَلَى تَنْزَعُهُ مَا الشَّانُ فِي الْعَرَقِ
هذا وقد قال ابن فوزه : الهتك مصدر متعد ولو اتى بمصدر لازم بأن قال
انتهاكها لكان أقرب إلى الفهم ولكنه راعى الوزن . قال : وقوله وهى مسك زيادة
على كثير من الشعراء إذ لم يجعل هتكها من قبل الطيب الذى استعملته بل جعل المسك
نفسها فكأنه من قول امرئ القيس :

* وجدت بها طيبا وإن لم تَقْلَيْبِ *

وقول الآخر :

دُرَّةٌ كَيْفَا أُدِيرَتْ أَضَاءَتْ وَمِشَمٌّ مِنْ حَيْثَا شَمَّ فَاحَا

ومثله قول بشار :

وتوق الطيب ليلتنا إنه وَاشِ إِذَا سَطَمَا

(١) أسفى على أسفى مبتدأ وخبر وخفاء مبتدأ ، وبه من فيه جار ومجرور خبره
والأسف الحزن ، والدله الذى أذهب المشق عقله وأذهله . يقول : إني آسف على أن
شغلتنى عن معرفة الأسف حتى خفى على ما هو إذ عصفت بلبى يعنى : إني أحزن لذهاب
عقلى لما لقيت فى هواك من البرح والشدة حتى لقد خفى على حزنى الذى إنما يدرك
باللب وليس لى الآن لب ، أو تقول : إنه كان يتأسف على زمان وصالحها فلما أمعت فى
المجر ذهب ليه حتى صار لا يعرف الأسف فأخذ يأسف على ذلك الأسف لأنه كان إذ ذاك
عاقلا أما الآن فلا عقل له .

(٢) الشكية والشكاة والشكوى والشكاية واحد . يقول : إنما أشكو عدم السقم
لأن السقم إنما كان حين كانت لى أعضاء يعروها السقام فأحسه بأعضائى فإذا طاحت
الأعضاء من جراء الجهد الذى أدركنى فى هواك لم يبق ثم ما ينزل به السقم ، وهذا
المعنى أوضحه البسى بقوله :

وَلَوْ أَبْقَى فِرَاقَكَ لِي فُؤَادًا وَجَفْنَا كُنْتُ أَجْزَعُ مِنْ مُسَاهِدِي
وَلَكِنْ لَا رُقَادَ بِفَيْرِ جَفْنِي كَمَا لَا وَجَدَ إِلَّا بِالْفُؤَادِ

مَثَلْتُ عَيْنِكَ فِي حَشَايَ جِرَاحَةً فَتَشَابَهَا كِلْتَاهُمَا نَجَلَاءَهُ (١)
 نَفَذْتُ عَلَى السَّابِرِيِّ وَرُبَّمَا تَنْدَقُ فِيهِ الصَّفْدَةُ السَّمَرَاءُ (٢)
 أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَارُوحَتُ وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنِّي الْجُوزَاءُ (٣)

« وأما بعد » فلا تنس أن أبا الطيب إنما يقول هذه القصيدة لرجل يعرف أنه يذهب مذهب المذهب المتصوفة ومن ثم تراه يهيج منهمجهم في العبارة والتفكير وبالحرى ما يشبه أن يكون رمزاً وغموضاً .

(١) جراحة مفعول ثانٍ لمثلت أو تميز . وقوله : فتشابهها أى العين والجراحة ولم يقل تشابهها حملاً على المعنى كأنه قال فتشابه الأمران كما قال .

إن الساحة والمروءة ضمناً قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
 ومثلت صورت والجراحة الجرح والنجلاء الواسعة يقول : لما نظرت إلى صورت في قلبي مثال عينك جرحاً واسماً فتشابهت عينك وذلك الجرح في الاتساع .
 (٢) نفذت أى العين والسابري الدرع المحكمة الدقيقة النسج نسبة إلى سابور ويقال للثياب الرقيقة سابرية ، قال ذو الرمة :

لَجَاءَتْ بِسَجِّ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرِيٌّ مُشْبَرِقٌ

والصعدة القناة التي تنبت معتدلة فلا تحتاج إلى تقويم يقول — إذا كان يريد بالسابري الدوع — اخترقت عينك الدرع إلى قلبي فلم تحصنه الدرع من نظرتها مع أنها تحصنه من الرمح . وإذا كان المراد بالسابري الثياب يكون المعنى أن عينك نفذت إلى قلبي فجرحته وربما كان الرمح يندق قبل وصوله إلى السكاني من الشجاعة والشجاع موقٍ والاول أظهر .

(٣) صخرة الوادى فى العادة صلبة بما يتعاورها من السيول ، ومن ثم جعلت مثلاً فى الثبات لأن السيول تجرف ما حولها ولا تستطيع اقتلاعها والجوزاء من أبراج الفلك ، يقول : إذا زوحت لم يدر على إزالتي عن موضعي كصخرة الوادى وإذا نطقت كنت فى علو المنطق كالجوزاء وقال الواحدى : ويقال إن الجوزاء بيت عطاردي فيكون المعنى : منى تستفاد البراعات ويقتبس الفضل كما أن الجوزاء تعطى من يوله فيها البراعة والنطق .

وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى النَّبِيِّ فَعَاذِرُ أَنْ لَا تَرَانِي مُقَلَّةٌ عَمِيَّاهُ^(١)
شَيْمُ اللَّيَالِي أَنْ تُشَكَّكَ نَاقَتِي صَدْرِي بِهَا أَفْضَى أَمِ الْبَيْدَاهُ^(٢)

(١) النبي : الغافل القليل الفطنة ، وقوله فعاذر : أى فأننا عاذر فهو خبر عن محذوف ، والمقلة : العين ، يقول : إذا خفي مكانى على النبي فلم يعرف قدرى ولم يقر بفضلى فأننا عاذر له لأنه كالأعمى الذى لا يرى الأشياء والأعمى معذور فكذلك النبي الجاهل . وهذا المعنى ينظر إلى قول ذى الرمة يمدح عمر بن هبيرة :

حَتَّى بَهَرْتُ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمِهِ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا^(١)

(٢) صدرى يريد أصدرى ، لحذف همزة الاستفهام لدلالة أم البيداء عليها والبيداء الفلاة سميت كذلك لأن الشأن فيمن سلكها أن يبيد ، والشيمة العادة وشككه حمله على الشك ، وأفصى من الفضاء وهو الاتساع ، يقول : عادة الليالى أن تبعد على طلبى فترمى بطول الأسفار حتى تحمل ناقتى على الشك فى ، أصدرى بها لو جعل مكان البيداء أم البيداء أفصى ؟ لما ترى من سعة صدرى وأناأتى وتجلى وصبرى على المشقات والأسفار ، وهذا المعنى هو الظاهر وهو ما ذهب إليه ابن جنى ، ولكن الواحدى كما قال العكبرى نقلا عنه لم يرتضه ، قال : هذا إنما يصح لو لم يكن فى البيت بها ، وإذا رددت الكناية « أى الضمير فى بها » إلى الليالى بطل ما قل لأن المعنى : صدرى بالليالى وحوادثها وماتورده على من مشقة الأسفار وقطع المفاوز أوسع من البيداء وناقى تشاهد ما أقاسى من السفر وصبرى عليه فيقع لها الشك فى أن صدرى أوسع أم البيداء وعلى هذا أفصى أفعل كما يقال أوسع ، وقال قوم : إن الكناية تعود على الناقة ومعنى أفصى بها أى أدى بها إلى الهزال صدرى أم البيداء ؟ فمرة تقول : أى الناقة لولا سعة صدره من حيث الهمة وبعد

(١) قبله :

مازلت فى درجات الأمر مرتقيا تنمى وتسمو بك الفرغان من مضرا
قال ابن برى : الذى أورده الجوهري وقد بهرت وصوابه حتى بهرت أى علوت
كل من يفاخره فظهرت عليه ، وقوله على أحد : أحد ههنا بمعنى واحد لأن أحدا
المستعمل بعد النفي فى قولك : ما أحد فى الدار لا يصح استعماله فى الواحد .

فَتَبَّيتُ نُسَيْدُ مُسَيْدًا فِي نَيْبَا إِسَادَهَا فِي التَّمَهَةِ الْإِنْضَاءُ^(١)
أَنْسَاعُهَا تَمْقُوطَةٌ وَخِيفُهَا مَنَكُوحَةٌ وَطَرِيقُهَا عَذْرَاءُ^(٢)

الطلب لما أتعبني بالسفر ومرة تقول البيداء هي التي تذهب لحمي وتودي بي إلى الهزال وعلى هذا أفنى فعل ويجوز أن يكون اسما وإن عادت الكناية إلى الناقة . والمعنى أن ناقتي قوية نجية يضن بثلمها وهي ترى إتمامي إياها واستنادي عليها في الأسفار فتقول صدرى أوسع بي حيث طابت نفسه في إهلاكى أم البيداء ؟ أى لولا أن له صدرا في السعة كالبيداء لم تطب نفسه بإهلاكى . قل الواحدى : والقول هو الأول وهو رد الكناية إلى اللبالي « هذا » وتشبيه الصدر بالبيداء في السعة معنى قد اعتوره الشعراء .
قال أبو تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضق عن أهله بلد
وقل البحرى :

كريم إذا ضاق الزمان فإنه يضل الفضاء الرحب في صدره الرحب
(١) الإسَاد إيمان السير أو سير الليل خاصة والنبي الشحم والسمن والإنضاء مصدر أنضأ ينضيه إذا هزله والمهمة الصحراء ومسدا حال من ضمير تشد العائد على الناقة وهو اسم فاعل فاعله الإنضاء وأسأدا مأخوذ من مطلق عامله مسدا وتقدير البيت تبئت هذه الناقة تشد مسدا الإنضاء في نيبا إسأدا مثل إسأدا في المهمة يقول : تبئت ناقتي تسير سائرا في جسدها الهزال مثل سيرها في الصحراء . وهذا للمعنى ينظر إلى قول أبي تمام .

رَعْنَةُ الْفَيَافَى بَعْدَ مَا كَانَ حَبَبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرِّوْضِ يَنْهَلُ سَابَكُهُ
(٢) الأنواع جمع نسع وهو سير كهيئة العنان يشد به الرجل ، والمفط المد وذلك كناية عن عظم بطن الناقة حين امتدت أنساعها فطالت ، وخفافها منكوحه أى مثقوبة بالحصى وكفى بهذا عن وعورة الطريق ومنكوحه أى مدمية من الحصى واستمرار النكاح لوطئها الأرض وإدماء الحصى إياها . وطريقها عذراء أى لم تسلك قبلها وأصل العذراء التي لم تقتض . ومن طريق ما ذكره الصراح هنا ما أورده العكبرى قال : قال الشيخ أبو محمد عبد النعم بن صالح النحوى عند قراءتي عليه هذا الديوان ومذوّلت إلى هذا البيت : سألتى لللك الكامل أبو العالى محمد بن أبي بكر
(١٠ - التتّى ١)

يَتَلَوْنَ الْحَرِيتُ مِنْ خَوْفِ التَّوَى فِيهَا كَمَا يَتَلَوْنَ الْحَرِيَاءَ^(١)
 بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي قَسِيٍّ مِثْلُهُ شَمُّ الْجِبَالِ وَمِثْلُهُنَّ رَجَاءُ^(٢)
 وَعِقَابُ لُبْنَانَ وَكَيْفَ يَقْطَعُهَا وَهُوَ الشَّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ^(٣)

ابن أيوب ملك البزار المصرية والشام والحرمين عن هذا البيت في قوله وطريقها عذراء
 قُطِلَتْ لَهُ : يريد أنها صعبة لم تسلك ، فقال لي : هذا يدل على أن المدوح لا يعرف ولا له
 ذكر ولا نائل لأن الطريق إليه عذراء لم تطرق والمدوح إذا كان له عطاء وذكر
 ويعرفه القاصد ، كانت الطريق إليه لا تنقطع . . . ولقد أحسن في هذا النقد .

(١) الحريت الدليل صمى خريتا لاهتدائه في الطرق الحفية كخريت الإبرة كأنه
 يعرف كل ثقب في الصحراء ، والتوى الهلاك ، والحرباء دوية على شكل سام أبرص
 ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس وتكون معها كيف
 دارت وتلون ألوانا بحر الشمس . يقول : إن هذه الأرض طريقها صعبة يتلون الدليل
 فيها خوف الهلاك كما يتلون الحرباء ويتميز لونه فهو يدور يمينا وشمالا لطلب الطريق
 وفي هذا المعنى يقول هدية :

يَظَلُّ بِهَا الْمَاهِي يَقْلِبُ طَرَفَهُ مِنَ الْمَوْلِ يَدْعُو وَيَلْهُو وَهُوَ لَاهِفٌ

ويقول الطرماح :

إِذَا اجْتَابَهَا الْحَرِيتُ قَالَ لِنَفْسِهِ أَتَمَّاكَ بِرَحْلِي حَائِنٌ بَعْدَ حَائِنٍ

(٢) شَمُّ الْجِبَالِ : يدل من « قوله مثله » ، ونصب مثلهن على الحال لأنه نعت
 للشكرة المرفوعة قدم عليها فنصب على الحال كقولك : فيها قائما رجل ، وكقول
 ذي الرمة :

وَحَتَّ الْعَوَالِي وَالْقَنَا مُسْتَظِلَّةً ظِلَاءُ أَعَارِشِهَا الْعُيُونُ الْجَادِرُ

يقول بيني وبين هذا المدوح جبال مرتفعة مثله ورجاء عظيم كهذه الجبال .

(٣) وعقاب عطف على شَمُّ الجبال ، وعقاب جمع عقبة وهي المرتقى الصعب من
 الجبل والباء في بقطعها متعلقة بمحذوف تقديره : وكيف أقوم بقطعها أو كيف الظن
 مثلا : وكيف استفهام في المعنى الإنكارى ، وواو « وهو الشتاء » للحال والضمير ضمير الشأن

لَبَسَ الثَّلُوجُ بِهَا عَلَى مَسَالِكِي فَكَأَنَّهَا بِيَاضِهَا سَوْدَاهُ^(١)
وَكَذَا الْكَرِيمِ إِذَا أَقَامَ بَيْلَدَةً . سَالَ النَّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ^(٢)
جَدَّ الْقَطَارُ وَلَوْ رَأَتْهُ كَمَا تَرَى بُهِتَتْ فَلَمْ تَنْبَجْسِ الْأَنْوَاءَ^(٣)

يقول : وكذلك يني وبينه عقاب جبل لبنان وكيف أستطيع قطعها والوقت شتاء
وصيفها مثل الشتاء فكيف شتاؤها ؟

(١) لبس الشيء ولبسه عماه ، قال تعالى : « وللبسنا عليهم ما يلبسون » والضمير
في بها للعقاب والضمير في كأنها للثلوج أو للمسالك وباء بياضها متعلقة بمعنى كأن أى
التشبيه ، يقول : إن الثلوج في هذه الجبال أخفت على طرفي فلم أعتد لكثرة بياضها
فكأنها اسودت اسوداد الليل إذ ضللت فيها لأن الأسود لا يهتدى فيه ، وهذا معنى حسن
كما ترى .

(٢) النضار الذهب ، والنضار أيضا الخالص من كل شيء ، وقام الماء جمد ومعنى
هذا البيت متصل بالذي قبله لأنه يقول يياض الثلوج يعنى فقام مقام السواد ، والبياض إذا
عمل عمل السواد فقد قضى العادة كذلك الكريم إذا أقام بيلدة قضت العادة فيكون
الذهب سائلا والماء جامدا ، وإعنا قال هذا لأنه أتاه في الشتاء عند جمود الماء . يقول :
إن الكريم إذا أقام بيلدة أعطى المال وتحرق في الكرم حتى لكان المال ماء سائل
فما رأى للماء هذا الكرم وقف متبلدا متبلدا جامدا ، وهو تخيل بدیع .

١٣. الأنواء فلعل رأته ويجوز أن ترتفع الأنواء برأت وبهت وتبجس على التنازع
ولعل ترى يود على اقطار ، ويروى بدل ترى رأى : أى اقطار ولكن ترى أحسن
لأن اقطار مؤنثة ، والقطار جمع قطر ، وقطر جمع قطرة وهى المطر ، وبهت
دهشت وتحيرت ، وتبجس تنجس ، والأنواء جمع نوء وهو سقوط نجم من الغرب وطلوع
وقبه من الشرق وهى منازل اقمر والعرب تنسب إليها الأمطار يقولون : سقينا بنوء
كذا . ويريد بجمود القطار الثلوج يقول : إن المطر جمد لما رأى كرم هذا للمدوح
ولو رأته الأنواء كما رآه المطر لتحيرت ودهشت ولم تنجس فلم تأت بمطر استظلما لما
بأته وخجلا من جوده .

فِي خَطِّهِ مِنْ كُلِّ قَلْبٍ شَهْوَةٍ حَتَّى كَانَ مِدَادُهُ الْأَهْوَاءَ ^(١)
وَلِكُلِّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ حَتَّى كَانَ مَغْنِيهِ الْأَقْدَاءَ ^(٢)
مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءَ ^(٣)
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْقَوَائِي جَوْلَةٌ فِي قَلْبِهِ وَلَاذْنُهُ إِصْفَاءٌ ^(٤)
وَإِغَارَةٌ فِيمَا احْتَوَاهُ كَأَنَّمَا فِي كُلِّ بَيْتٍ فَيُلْقَى شَهْبَاءُ ^(٥)

(١) اللداد الحبر ، والأهواء جمع هوى بالقصر وهو صوبة القلب يصفه بحسن الخط يقول : كأن مداده من أهواء الناس فهم يحبون خطه ويميلون إليه شغفاً به وافتاناً بحسنه ، ويجوز أن يكون هذا كناية عن وصفه بالجلود يقول : لا يوقع إلا بالنوال ولذلك يهوى الناس إلى خطه ، ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طاعة الناس له أى أن كتبه تقوم مقام الجيوش لأن الناس يتقاعنن إليه غريزة وطبعاً ، ولعل الأقرب أن الناس لحبهم إياه وشغفهم برؤيته يهاتفون على كل ما يكتبه لأن فيه بعض ما يشتهون على حد قولهم : المكتبة نصف المشاهدة .

(٢) قرة العين كناية عن السرور ، قرت عينه بردت ، ودمع الفرح بارد والأقضاء جمع قذى وهو ما يقع في العين والشراب من تراب ونحوه والغيب الغيبة ، يقول : كل عين تسر بقربه ورؤيته وتأذى بغيته فكان غيبته قذى للعين .

(٣) من بمعنى الذى خير ضمير محذوف يرجع إلى المدحوح وتقدير البيت : هو الذى يهتدى فى الفعل إلى ما لا يهتدى الشعراء إليه فى القول حتى يفعل هو فضمير يفعل يعود إلى من ، والشعراء فاعل يهتدى ، يقول : إنما يقتدى الشعراء فيما يقولون من المدائح بأفاله من للكارم والسامع العظام فإذا فعل هو تعلموا من فعله القول فحسكوا ما فعله .

(٤) القافية القصيدة لأن بعضها يقفو بعضاً أى يتبعه أو تسمية للكل باسم البعض ، يقول : إن الشعراء توارد عليه بالمدائح بالتوالى فهو لا ينفك عن الإصفاء جبا للشعر وارتياحاً إلى إعطاء الشعراء .

(٥) إغارة عطف على جولة ، وما احتواه أى جمعه واقتناه من مال والفيلق الكنية من الجيش أتمه فقال شهباء باعتبار معنى الجمع وكل جمع مؤنث والشهباء التى غلب بياضها على سوادها ، بغير صافية الحديد ، يقول : وللقوائى كل يوم إغارة على ماله حتى لكان كل بيت كثيفة تنهب ما احتواه .

مَنْ يَظْلِمُ اللُّؤْمَاءَ فِي تَكْلِيفِهِمْ أَنْ يُصْبِحُوا وَهُمْ لَهُ أَكْفَاءُ^(١)
وَنَدِيمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَيَضِدُّهَا تَقْبِينُ الْأَشْيَاءِ^(٢)

(١) من بمعنى الذي خير مبتداً محذوف تقديره هو الذي يظلم الخ والثلثم الحسيس الأصل والنفس ضد الكريم ويصبحوا هنا تامة والجملة بعد حال والأكفاء النظراء والأمثال ، يقول : إن اللثام يحاولون التشبه به حسداً له وهم لا يقدرّون على ذلك فكانه ظلمهم ، إذ كلّمهم أن يمثّلوه ولكنهم لم يستطيعوا ، قال الواحدى ما معناه : ليس في هذا كبير مدح ولقد كان أبلغ في المدح أن يقول : السكرماء بدل اللؤماء على أن مثل هذا المعنى وهو أنه أفضل من اللؤماء ولا يقدرّون أن يكونوا ، مثله بما لا يليق بذهبه في إشارته البالغة . وروى الخوارزمي نظم بالنون ، وقال : إذا كلّفنا اللثام أن يكونوا أكفاء له فقد ظلّمناهم في تكليفهم ما لا يطيقون .

(٢) ذامه كذمه ، وقوله ونديمهم مما يؤنس ما ذهب إليه الخوارزمي في روايته البيت السابق من نظم بالنون ، يقول المتنبي : ونحن نذم اللثام ولولا لم ما عرفنا فضله لأن الأشياء إنما تتبين بأصدادها فلو كان الناس كلهم كراماً لم يعرف فضله ، وهذا المعنى قد تعاوره كثير من الشعراء قال بشار :

وَكَنَّ جَوَارِي الْحَيِّ مَا دُمْتَ فِيهِمْ قِبَاحًا فَلَا غَيْبَ صِرْنٍ مِلَاحًا
وقال أبو تمام :

وَلَيْسَ يَعْرِفُ طَيْبَ الْوَصْلِ صَاحِبُهُ حَتَّى يُصَابَ بِنَايٍ أَوْ يَهْجُرَ إِنْ
وقال :

وَالْحَادِثَاتُ وَإِنْ أَصَابَكَ بُؤْسُهَا فَهُوَ الَّذِي أَنْبَأَكَ كَيْفَ نَعِيمُهَا
وقال :

سَمِعَتْ وَنَهْنَاهَا عَلَى اسْتِنْمَاجِهَا مَا حَسَلَهَا مِنْ نَفْصَةٍ وَجَمَالٍ
وَكَذَلِكَ لَمْ تَفْرِطْ كِتَابَةً عَاطِلٍ حَتَّى يُجَاوِرَهَا الزَّمَانُ بِحَالٍ
وقال البحتري :

وَقَدْ زَادَهَا أَفْرَاطَ حُسْنِ جَوَارِهَا خَلَائِقَ أَصْفَارٍ مِنَ الْمَجْدِ خُيِّبَ
وَحُسْنُ دَرَارِي السُّكُوكِ أَنَّ تَرَى طَوَّالِعَ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ غَيْبِ

مَنْ نَفَعَهُ فِي أَنْ يَهَاجَ وَضَرَهُ فِي تَرْكِهِ لَوْ تَطَّنُ الْأَعْدَاءُ^(١)
 فَالْسَّلَامُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجْبُرُ الْهَيْجَاءُ^(٢)
 يُعْطَى فَيُغْطَى مِنْ لَهْيِ يَدِهِ اللَّهُ وَتُرَى بِرُؤْيَا رَأْيِهِ الْآرَاءُ^(٣)
 مُتَفَرِّقُ الطَّعْمَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقَوَى فَكَأَنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ^(٤)

يبد أن التنبى صرح بالمعنى وهو أن مجاورة المضادة هي التي تثبت حسن الشيء وقبحه (١) من بمعنى الذي بدل من الأول يقول : وهو الذي إذا هاجه أعداؤه واستاروه للحرب استباح أموالهم وحرعهم فانتفع بذلك وإذا تركوه لم ينتفع فاستضر بذلك فلو غطن أعداؤه لهذا منه لساووه فتسبوا إلى مضرتهم .

(٢) السلم بفتح السين وكسرها ضد الحرب ، والجناح بمعنى اليد والعضد استعاره للمال لأنه موطن القوة ، والنوال العطاء وما من قوله ما تجبر مفعول يكسر والجبر ضد الكسر والهيجاء من أسماء الحرب وهذا البيت مفرع على البيت السابق يقول : إنه في الحرب يأخذ مال أعدائه يعطيه عفاته في السلم وبذلك يكون السلم سبباً في نقص أمواله والحرب سبباً في توافرها ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع

(٣) اللهى العطايا الجزيلة جمع لهوة بضم اللام وهي في الأصل القضة من الجبوب يلقيها الطاحن في فم الرحى فشبهت العطية بها ، يقول : إنه يعطى عفاته العطاء الجزل الكثير حتى يعطوا غيرهم من هذه العطايا فيصير سائله مسئولاً وهو من جودة الرأي وسداده بحيث إذا نظر الناس إلى رأيه تعلموا منه سداد الآراء .

(٤) يقول : فيه حلاوة لأوليائه ومرارة لأعدائه فهو متفرق الطعمين مختلفهما فكأنه السراء والضراء ولكن مع ذلك مجتمع القوى غير متفرق العزائم فأفضاله تصدر عن عزم جميع ورأى مستحصد والتشبيه بالسراء والضراء في اللين والشدّة مترتب على المعنى الأول وأصل هذا المعنى للبيد :

مُفَقِّرٌ مُرٌّ عَلَى أَعْدَائِهِ وَعَلَى الْأَذْنَيْنِ حُلٌّ كَالسَّل

« مقرر أي مر » وقال النابغة الجعدي :

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْدَايَا

وَكَاثُهُ مَا لَا تَشَاءُ عُدَاتُهُ مُمَثِّلًا لَوْفُودِهِ مَا شَاءُوا^(١)
يَا أَيُّهَا الْمُجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ إِذَا لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاةُ^(٢)
أَحْمَدُ عُنَاتِكَ لَا فُجِعْتَ بِفَقْدِهِمْ فَلَتَرَكُ مَا لَمْ يَأْخُذُوا بِإِعْطَاءِ^(٣)
لَا تَكْثُرُ الْأَمْوَاتُ كَثْرَةَ قِلَّةِ إِلَّا إِذَا شَقِيتَ بِكَ الْأَحْيَاءُ^(٤)

وأخذه السيب بن علس قال :
هُمُ الرِّبِيعُ عَلَى مَنْ صَافَ أَرْحُلُهُمْ وَفِي الْعَدُوِّ مَنَاكِيدٌ مَشَائِمُ
وقال علاثة :

وكنتم قديماً في الحروب وغيرها ميامين للأدنى لأعدائكم نُكْدُ
(١) ما ، في الشطرين موصولة وهي في الأول خبر كان ، وممثلاً منصوب على الحال يقول : وكأنه صور على ما يكرهه أعداؤه من إرغاسهم ومعلمهم على الحمد حال مثله لمن يفد عليه رجاء نواله كما يشاءون فيكون عند ظنهم به ويحقق آمالهم فيه .
(٢) المجدى عليه المعطى وروحه نائب فاعل المجدى والاستجداء الاستعطاء ، يقول يامن روحه معطى له من العفاة إذ ليس يطلبها منه أحد منهم ، فكأنهم قد جادوا بها عليه ، يعنى أنه لو سئل روحه لبذله لتخرقه في الجود فإذا لم يسأل فكأنه وهب روحه وهذا من قول مسلم بن الوليد وضمنه أبو تمام إحدى قصائده .

ولو لم يكن في كفه غير رُوحِهِ لجلدَ بها فليتنق الله سائلُهُ
(٣) هذا البيت إتمام معنى البيت قبله وتأكيده والعفاة جمع عاف وهو طالب المعروف وقوله لا فُجِعْتَ بفقدهم دعاء له واللام في قوله فلتترك لام الابتداء ، يقول : اشكر هذا لعفائك لا أفعك الله بفقدهم لأنك تحب العطاء والسؤال . ويروى لا فُجِعْتَ بخمدهم أى لا قطع الله شكرهم عنك .

(٤) اضطربت أقوال الشراح في هذا البيت ، فذهب للمرى والواحدى إلى أن المعنى : لا تكثر الأموات كثرة يقل بها عدد الأحياء إلا إذا شق الأحياء بفضبك وتلك أيام فإذا غضبت عليهم وقتلتهم عصفت بهم فزدت في الأموات زيادة ظاهرة ونقص الأحياء نقصاً يئناً ، وإليك نص عبارة أبي العلاء : شقوا به أى بقتله أيام وأن الأحياء إذا شقيت بك كثر الأموات وتلك الكثرة تؤدي إلى القلة ، إما لأن الأحياء يقولون بمن

وَالْقَلْبُ لَا يَنْشَقُّ عَمَّا تَحْتَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِهِ لَكَ الشَّحَنَاءُ^(١)
لَمْ تُسَمَّ يَاهَرُونَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَوْ تَرَعَتْ وَتَارَعَتْ اِسْمُكَ الْأَسْمَاءُ^(٢)
فَقَدَوْتَ وَاسْمُكَ فَيْكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءٌ^(٣)

موت منهم وإما لأن اللبث يقل في نفسه ، وقال ابن جنى : شقيت بك أى شقيت بفقدك
أى لا تصير الأموات أكثر من الأحياء إلا إذا مات المدوح ، يقول : إنك نعمة على
الأحياء وفقدك شقاء لهم ، وهذا على حد قول القائل :

لَعَمْرُكَ مَا الرَّزِيَّةُ فَقْدُ مَالٍ وَلَا شَاءَ تَمُوتُ وَلَا يَمُوتُ
وَلَكِنَّ الرَّزِيَّةَ فَقْدُ شَخْصٍ يَمُوتُ بِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

ومنه قول الآخر :

وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكًا هَلَكًا وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمًا

ويكون قوله : كثرة قلة ، معناه أنك وإن كنت قليلا فى العدد فأنت كثير فى

القدر والشرف

(١) الشحنة العداوة ، قال ابن جنى : يريد ، لا يتصدع قلب أحد حتى يعاديك
فيضمرك لك العداوة فإذا تأمل ما جنى على نفسه من عداوتك انشقق قلبه فمات خوفا
وجزعا ، وقال الواحدى تعليقا على ابن جنى : ولم يفسر قوله عما تحته والمعنى عما فيه من
الغل والحسد أى أنه وإن أضمر لك الغل والحسد لم ينشقق قلبه فإذا أضمر لك العداوة
انشقق قلبه وبأن أنه عدو لك ، والمعنى بعبارة أخرى : لا يضمرك القلب أمرا يتصدع به
وينشقق حتى تحمل عداوتك فيه . فإذا جلت ضائق بها وانشقق عنها لشدة ما ناله من
الخوف والجزع .

(٢) اقترعت تسامعت ، يقول : تقارعت الأسماء عليك فكل اسم أراد أن تسمى به
افتخارا بك وتشرفا فلم تسم بهذا الاسم حتى تقارعت الأسماء ، وقال للمرى : أراد
بالاسم الصيت .

(٣) الواو فى قوله واسمك واو الحال وفيك صلة مشاوك . أى لم يشارك اسمك فيك
اسما آخر إذ لا يكون للانسان أكثر من اسم ، والناس كلهم فى ماله سواء قد تساوا
فى الأخذ منك لا تخص أحدا دون غيره بالعطاء . هذا قول الواحدى وغيره . وقال

لَعَمَّتْ حَتَّى الْمَدْنُ مِنْكَ مِلَاءً وَلَقَّتْ حَتَّى ذَا النُّسَاءِ لِقَاءً^(١)
وَجَلَدَتْ حَتَّى كِدَتْ تَبْخُلُ حَائِلًا لِلنُّنْهَى وَمِنْ السُّرُورِ بُكَاءً^(٢)
أَبْدَأَتْ شَيْئًا مِنْكَ يُعْرِفُ بَدْوَهُ وَأَعَدَّتْ حَتَّى أَنْكَرَ الْإِبْدَاءُ^(٣)
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ وَالْمَجْدُ مِنْ أَنْ تُسْتَزَادَ بَرَاهُ^(٤)
فَإِذَا سُلِّتَ قَلًا لِأَنَّكَ مُخَوِّجٌ وَإِذَا كُنِمْتَ وَشَتَّ بِكَ الْآلَاءُ^(٥)

المعري : يريد بالاسم المصيبة أى لم يشركك فى صيتك أحد ، يقال . فلان قد ظهر اسمه فى اناس أى صيته قد كره لا يشاركه فيه أحد وإنما مالك الناس فيه سواء غنيهم وفقيرهم (١) اللام فى لعمت واقعة فى جواب قسم محذوف على إضمار قد بعدها والمدن جمع مدينة وملاء جمع ملأى ومنك متعلق بملاء وقت تجاوزت وذا انتهاء أى هذا انتهاء واللواء الحقيق الحسيس يقول : لقد عم برك وشاع ذكرك حتى امتلأت بك البلاد وسبقت ثناء اثنين عليك حتى أصبح هذا الثناء بعد حقيرا فى جانب ما تستحقه وهذا البيت يسمى مصرعا لأنه قفى فيه المصراع الأول كما يفعل فى أول القصائد .

(٢) حائلا متحولا ، والنهى أى لأجل الانتهاء ، ومن السرور خبر وبكاء مبتدأ والجملة استئنافية يقول : ولقد بلغت من الجود أقصاه حتى كدت تحول عن آخره حين تهايت إليه وتعود إلى البخل إذ ليس من شأنك أن تقف فى الكرم عند غاية وليس هناك جود بعد أن بلغت نهايته ، ومثل ذلك السرور إذا اشتد تحول إلى بكاء .

٣ ابدأت أحدثت وجددت ، وأعدت كررت ، ومنك متعلق يعرف أو يدؤه ، يقول : أحدثت من الكرم ما لا يعرف ابتداءه إلا منك لعظم ما أتيت به ثم أتيت ذلك من الزيادة فيه بما عفى على الأول وأنساه لأنك فى كل وقت تخلق فنا من الكرم ينسى به الأول .

(٤) ناكب : عادل ، يقال . نكب عن الطريق إذا عدل عنه ، وبك متعلقة بناكب أو بتقصير ، وبراه برىء يقع على الجمع والواحد والذكر والمؤنث ، يقول : إن الفخر قد أعطاك مقادته وأركبك ذروته وبلغك غايته فلم يقصر بك عن غاية والمجد برىء من أن يستزيدك لأنك فى الغاية منه .

(٥) الوشى فى الأصل النخبة والمراد هنا دلت ، والآلاء النعم والعطايا وكتمت

وَإِذَا مَدَحْتَ فَلَا لِسْكَيبَ رَفْعَةٍ لِلشَّاكِرِينَ عَلَى الْإِلَهِ ثَنَاءً^(١)
وَإِذَا مَطَرْتَ فَلَا لِنَاكَ مُجِدِّبٍ يُسْقِي الْخَصِيبُ وَيُمْطِرُ الدَّامَاءَ^(٢)
لَمْ تَخْشِكِ نَائِكَ السَّحَابُ وَإِنَّمَا حَمَّتْ بِهِ فَصَيَّبَهَا الرُّحَضَاءُ^(٣)

حييت ، يقول . إذا سئلت فليس لأنك أحوجت الناس إلى السؤال ولكن ذلك لكي تعرف تفاصيل حاجاتهم أو لكي يتشرفوا بسؤالك ، كما قال أبو تمام

ما زلتُ مُنْتَظَرًا أُعْجُوبَةٌ زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤْلًا يَحْتَاجُ شَرْفًا
وَإِذَا كُنْتُ أَى حَيِّتْ عَنْ أَنْظَارِ النَّاسِ دَلَّتْ عَلَيْكَ نَعْمَكَ وَصَانَعَكَ قَصْدُ
إِلَيْكَ الْعَفَاةِ كَمَا قَالَ :

مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يَحْجَبْهُ لَمْ يَحْجَبْ عَنْ نَاضِرٍ
(١) الرِّفْعَةُ الْاسْمُ مِنَ الْارْتِفَاعِ وَالشُّكْرُ عِرْفَانُ الْإِحْسَانِ وَإِنْ شُئْتُ قَلْبُ مَقَابِلَةِ
النِّعْمَةِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالنِّيةِ فَيُثْنَى عَلَى النِّعْمِ بِلِسَانِهِ وَيَذِيبُ نَفْسَهُ فِي طَاعَتِهِ وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ
مَوْلَاهَا . وَلِلشَّاكِرِينَ خَيْرٌ مَقْدَمٌ وَثَنَاءٌ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ وَعَلَى الْإِلَهِ مُتَعَلِّقٌ بِثَنَاءٍ ، يَقُولُ : وَلَقَدْ
بَلَغْتَ مِنَ الرِّفْعَةِ غَايَةَ لَا زَيْدَهَا مَدْحٌ مَادِحٌ وَلَكِنْ تَمْدَحُ لَتَجِزَ الْعَفَاةُ وَلِيَعِدَّ الشَّاعِرُ فِي
جَمَلَةٍ مَدَاحِكَ كَلَامًا كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى يَثْنِي عَلَيْهِ لِيَسْتَحِقَّ أَجْرًا وَمَثْوًى لَا أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ
مَحْتَاجٌ إِلَى ثَنَائِهِ .

(٢) الْجَدْبُ الْمَلْهُ ضِدُّ الْجَصْبِ . وَالدَّامَاءُ الْبَحْرُ عَلَى فِعْلَاءٍ قَالَ الْأَفْوَى الْأَوْدَى
وَاللَّيْلُ كَالدَّامَاءِ مُسْتَشْعِرٌ مِنْ دُونِهِ لَوْ نَا كَلُونِ السُّدُوسِ^(١)
يقول : إِذَا مَطَرْتَ فَلَيْسَ ذَلِكَ لِإِجْدَابِ مَحَلِّكَ وَلَكِنْ كَمَا يُمْطِرُ الْمَكَانَ الْجَصِيبُ
وَالْبَحْرُ وَهِيَ غَيْرُ مُحْتَاجِينَ إِلَى الْمَطَرِ وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْحَرِيِّ .

وَالْبَحْرُ يُمَطِّرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ
(٣) النَّائِلُ الْعَطَاءُ ، وَالسَّحَابُ جَمْعُ سَحَابَةٍ وَجَمْعُ السَّحَابِ سَحَبٌ فَيَكُونُ سَحَبٌ
جَمْعُ الْجَمْعِ قَالَ تَعَالَى . « حَقٌّ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثَقُلَا » وَالرُّحَضَاءُ الْعِرْقُ أَوْ الْحَمَى يَقُولُ :
لَيْسَتْ تَحْكِي السَّحَابَ بِمَائِهَا عَطَاكَ لِلتَّابِعِ فَإِنَّهُ أَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا وَأَغْزَرُ وَلَكِنَّهَا حَمَّتْ
حَسَدًا لَكَ ، فَمَا يَنْصَبُ مِنْ مَطَرِهَا إِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ حَمَاهَا وَهَذَا يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

(١) السُّدُوسُ : الطِّيلَسَانُ

لَمْ تَلَقْ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلَّا بِوَجْهِ لَبْسٍ فِيهِ حَيَاةٌ ^(١)
 فَبِأَيِّمَا قَدِيمٍ سَعَيْتَ إِلَى الْفَلَاحِ أَدُمُ الْهَيْلَالَ لِأَخْمَصِيكَ حِدَاةً ^(٢)
 وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وَقَايَةُ وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاةً ^(٣)
 لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى الَّذِي مِنْكَ هُوَ عَقِمْتَ بِمَوْلِدٍ تَسْلِمُهَا حَوَاةً ^(٤)

إن السحابَ لتستحي إذا نظرتُ إلى نَدَاكَ ففاسسته بما فيها
 قال البديعون . وفي هذا البيت حسن التعليل لصفة لا يظهر لها في العادة علة وقد عللها
 بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء المدوح ، ومن هذا الباب قول بعضهم .

رَأَى الزَّنُّ مَا تُعْطِي فَصَمَّ عَلَى الْأَسَى فَوَادَا كَأَنَّ الْبَرْقَ فِيهِ لَهِيْبُ
 (١) يقول : لا حاجة إلى الشمس مع ضيائك ونورك ومن ثم كان طلوعها وقاحة
 وقلة حياء منها ، واستعار للشمس وجها للمشاكلة .

(٢) الأدم . جمع أديم وهو ظاهر كل شيء ، والأخمس باطن القدم ومارِق من
 أسفلها وتجاوَى عن الأرض وقيل خصر القدم وقد يراد بها انقدم كلها وقوله فبأيما قدم .
 استقحام معناه التعجب وما زائدة . يتعجب من سعيه إلى العلياء وبلوغه منها حيث لم يبلغ
 أحد ، ثم دعا له بأن يكون وجه الهلال نلأ لقدميه . يعنى أن قدما بلغ سعيها هذا المبلغ
 تستحق أن يكون الهلال نلأ لها

(٣) الحمام . الموت يدعو له ، يقول : ليكن الزمان وقاية لك من عواديهِ أَى
 لِمَلِكِ الزَّمانِ بها دونك ولِمَتِ الموتُ فداء لك من نفسه . وكل هذا كما ترى مبالغة
 في الدعاء .

(٤) اللذ : لفة في الذي وتسكن الواو من هو ضرورة ، أو على لفة ، والعقم عدم الولد
 يقول : لو لم تكن من هذا الوري الذي كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأفضل أهله
 لكنت حواء في حكم العقيم التي لم تلد ولكنها بك صارت ذات ولد ، والشرط الأول
 ردى . ولكن الثاني جميل على أنه يلاحظ أن النبي يخاطب — كما أسلفنا — رجلا يذهب
 مذهب الصوفية .

وغنى المغنى فى دار الأمير أبى محمد الحسن بن عبيد الله بن طنج فأحسن فقال:

مَاذَا يَقُولُ الَّذِي يُفَنِّى بِأَخَيْرِ مَنْ تَحْتَ ذِي السَّمَاءِ ^(١)

شَغَلَتْ قَلْبِي بِلَحْظِ عَيْنِي إِلَيْكَ عَنْ حُسْنِ ذَا الْفَنَاءِ ^(٢)

وبنى كافور داراً بإزاء الجامع الأعلى على البركة ، وطالب أبا الطيب

بذكرها فقال :

إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ وَلِمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبَعْدَاءِ ^(٣)

وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِى عَضْوُ بِالْمَسَرَّاتِ سَائِرِ الْأَعْضَاءِ ^(٤)

مُسْتَقِلٌ لَكَ الدِّيارَ وَلَوْ كَأَن نَحْنُ مَا أَجْرُ هَذَا الْبِنَاءِ ^(٥)

وَلَوْ أَنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَسْوَاحِ فِيهَا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءِ ^(٦)

أَنْتَ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تَهْنِى بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ ^(٧)

(١) و (٢) الاستهزاء للمعجب ، وذى السماء أى هذه السماء ، يقول : لا أدرى

ما يقول هذا التهنئة لأن قلبى وجوارحى مشتتة بك وبالنظر إلى حسنك عن حسن غناء هذا المغنى

(٣) و (٤) يدنى من الدنو أى يقترب ، وأنا منك مبتداً وخبر ، ولا يهنى عضو

كلام مستأنف يقول : إنما يهنى الرجل نظراؤه والذين يتقربون إليه من الأجانب وأنا

منك ، أى أنا وأنت كإنسان واحد وإذا ألم بإنسان فرح وعراه سرور اشتكرت فى ذلك

جميع أعضائه فلم يهنى بعضها بضا . قال الواحدى : وهذا طريق التمنى يدعى لنفسه

المساهمة والكفاءة مع المدوحين فى كثير من المواضع وليس ذلك للشاعر فلا أدرى

لم احتمل ذلك منه ؟ (٥) و (٦) مستقل خبر مبتداً محذوف . أى أنا مستقل ، ويروى أستقل والآجر .

الطوب المشوى ، ويخر . من خري الماء . يقول : أنا أستقل لك الديار وإن بنيت

بالنجوم بدل الآجر — ولو أن الماء من فضة ، وذلك لرفعة قدرك وعلو شأنك .

(٧) محلة أى منزلة تميز ، وأن تهنى ، فى موضع نصب بإسقاط حرف الجر أى من أن تهنى

وَلَكَ النَّاسُ وَالْبِلَادُ وَمَا بَنَرَ حُ بَيْنَ الْقَبَرَاءِ وَالْخَضَرَاءِ^(١)
وَبَسَاتِينُكَ الْجِيَادُ وَمَا تَخْلِيلُ مِنْ سَمَهْرِيَّةٍ سَمَرَاءِ^(٢)
إِنَّمَا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِسْكِ بِمَا يَبْتَنِي مِنَ الْعِلْيَاءِ^(٣)
وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي أَنْسَلَخَتْ عَنْهُ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ^(٤)
وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ الْيَبِيضُ لَهُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ^(٥)
وَبِمِسْكَ يَكْنَى بِهِ لَيْسَ بِالْمِسْكِ وَلَكِنَّهُ أَرْبِجُ النَّشَاءِ^(٦)
لَا بِمَا يَبْتَنِي الْخَوَاضِرُ فِي الرِّبِّ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النَّسَاءِ^(٧)

(١) و (٢) القبراء : الأرض . والخضراء : السماء . وفي الحديث : ما أقلت القبراء ولا أطلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر . والسمرية . الرماح يقول : أنت أعلى منزلة من أن تنها بمكان والبلاء كلها والناس وكل ما بين السماء والأرض ملك لك ونزعتك إنما هي الخيل وما تعله من الرماح فهي بساتينك . جعل الرماح على الخيل كالحلل على الشجر .

(٣) يقول : إنما غره بما يبتنى من العلياء ، لا بما يبتنى من الدور كما قال :

بَنَى الْبِنَاءَ لَنَا مَجْدًا وَمَكْرُمَةً لَا كَالْبِنَاءِ مِنَ الْآجُرِّ وَالطِّينِ

قالوا : والعلياء إذا فتحت عينها مدت ، وإذا ضمت قصرت .

(٤) و (٥) وبأيامه . عطف على قوله بما يبتنى ، وكذلك قوله وبما أثرت ، وأنسلخت مضت ؛ والهيجاء الحرب ؛ والصوارم السيوف . يقول : إنما غر أبي المسك بما يبتنى من العلياء وبأيامه التي مضت والمعروفة بالفتوح وقتل الأعادي ، ولم يكن له إذ ذاك دار إلا ساحة الحرب ، وبها شاد عزه وعلياه .

(٦) وبمسك . عطف كذلك على بما يبتنى . ويكنى به صفة مسك ، وليس بالمسك صفة أخرى ؛ والأربيج فوحان الطيب . يقول : وإنما يفخر بالمسك الذي يكنى به والذي ليس هو المسك المعروف ، وإنما هو كناية عن طيب النشاء والذكر الجميل والصيت الحسن . « هذا » وهو معلوم أن كافور الأخشيدي كان يقال له أبو المسك .

(٧) يبتنى الخواضر . أي أهل الخواضر ، جمع حاضرة ، خلاف البادية . والريف .

نَزَلَتْ إِذْ نَزَلَتْهَا الدَّارُ فِي أَحْسَنَ مِنْهَا مِنَ السَّنَا وَالْمَنَاءِ (١)
 حَلَّ فِي مَنبِتِ الرِّيحِ مِنْهَا مَنبِتُ الْمَكْرُمَاتِ وَالْآلَاءِ (٢)
 تَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ يَشْفِي مَنِيرَةً سَوْدَاءَ (٣)
 إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَفَضِيكَ يُرَى بِكُلِّ ضِيَاءِ (٤)
 إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيَضَاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيَضَاضِ الْقَبَاءِ (٥)

المكان الحصب الكثير الزرع والحضرة . وطبي . يستعمل . قال كبير .

لَهُ نَقْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَشَطَّ الْجَالِسُ شَمْتٌ

« يعنى كثير أنها من جلد مدبوغ طيب الريح . والعمل يسكون العين مؤتة ؛
 ولكن كثيرا فتحها لا تفتح ما قبلها . أى إن حركتها حركة إقبال » يقول المتنبي :
 إنما يفتخر أبو الماسك بما تقدم من ابتناء العلياء وقتله الأعسداء وطيبه التناء . لا بما
 يبتنى المتحضرون من المنازل ولا بالمسك الذى يستعمل قلوب النماء

(١) السنا ، المقصور : الضوء والنور . والمدود الثرف والرفعة ؛ يقول : إن هذه
 الدار حين نزلتها نزلت منك فيمن هو أفضل منها رفعة ونوراً ، فكأنك أنزلت الدار
 في دار أجمل منها وأجل : أى تجملت بك هذه الدار وتزينت بقربك .

(٢) الرياحين : جمع ريحان جمع ريحانة ، والريحان كل نبت طيب الريح من
 أنواع الشوم ؛ والآلاء : النعم ، والمعنى ظاهر .

(٣) ذرت الشمس : بدت أول طاعها . قال الواحدي : يريد أنه في سواده مشرق
 فهو يشرقه في سواده يفضح الشمس ، يجوز أن يريد شهرته وأنه أشهر من الشمس
 ذكرآ . أو يريد . نقاءه من العيوب ، ويقال للشهور : منير وللقى من العيوب منير ؛
 ويدل على صحة ما ذكر البيت التالى .

(٤) أخبر أنه أراد بأنارته ضياء المجد ، وضياؤه شهرته ونقاؤه مما يلج به . وأن
 ذلك الضياء أتم من كل ضياء ، فهو يرى : أى يستبين بكل ضياء .

(٥) القباء : الثوب ، يقول : إنما الجلد بمنزلة اللباس فلا قيمة لياضه وإنما المولى
 عليه يياض النفس ونقاؤها من العيوب ، وهذا المعنى ينظر إلى قول سحيم عبد بن
 الحساس :

كَرَمٌ فِي شَجَاعَةٍ وَذَكَاءٌ
مَنْ لَبِىضِ الْمُلُوكِ أَنْ تُبْدِلَ اللَّوْنُ
فَتَرَاهَا بَنُو الْحُرُوبِ بِأَعْيَا
يَا رَجَاءَ الْعَمِيقِ فِي كُلِّ أَرْضٍ
وَلَقَدْ أَفْنَيْتَ الْمَفَاوِزَ خَيْبَلِي
فَارَمَ بِي مَا أَرَدْتَ مَعِي فَأَنِي
وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَا
فِي بَهَاءٍ وَقُدْرَةٍ فِي وَقَاءٍ^(١)
نَ بَلَوْنِ الْأُسْتَاذِ وَالسَّحْنَاءِ^(٢)
نَ تَرَاهُ بِهَا غَدَاةَ اللَّقَاءِ^(٣)
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي
قَبْلَ أَنْ نَلْشَقِي وَزَادِي وَمَائِي^(٤)
أَسَدُ الْقَلْبِ آدَمِي الرُّوَاءِ^(٥)
نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعْرَاءِ^(٦)

إِنْ كُنْتَ عَبْدًا فَنفسي حُرَّةٌ كَرَمًا أَوْ أَسْوَدَ اللَّوْنِ إِنِّي أَيْضُ الْخُلُقِ
(١) أَي لَكَ كَرَمٌ فِي شَجَاعَةِ الْح. يقول : إِنَّكَ كَرِيمٌ شَجَاعٌ ، ذَكَى الطَّبَعُ ، بِهِ
الْمَنْظَرُ ، ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَا تَرِيدُ ، وَافٍ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ فَمَا تَقُولُ .
(٢) وَالسَّحْنَاءُ : السَّحْنَةُ أَي الْمَنْظَرُ وَالْهَيْئَةُ ، وَالْأَعْيَانُ : مِنْ جُمُوعِ الْعَيْنِ
كَطَيْرٍ وَأَطْيَارٍ ؛ وَفِي أَكْثَرِ الْكَلَامِ عَيُونٌ وَأَعْيُنٌ . يقول : إِنْ الْمُلُوكَ الْبَيْضَ الْأَلْوَانِ
يُودِدُونَ أَنْ يَبْدُلَ أَلْوَانَهُمْ بِلَوْنِكَ وَسَحْنَاتِهِمْ بِسَحْنَتِكَ لِيَرَاهُمْ أَهْلُ الْحَرْبِ بِالْعَمِيقِ الْخَيْبَلِ
رَوْنِكَ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْأَسْوَدَ مَسِيَّبٌ فِي الْحَرْبِ وَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ أَثَرُ الْخَوْفِ وَلَكِنْ مَنْ
يَكْفُلُ لَهُمْ هَذِهِ الْأَمْنِيَّةُ ؟
(٣) الْمَفَاوِزُ : الصَّحَارَاةُ الْمُهْلِكَةُ ؛ وَصِمَتْ مَفَاوِزًا عَلَى سَبِيلِ الْفَالِ بِالسَّلَامَةِ كَمَا
قِيلَ لِلدَّيْعِ سَلِيمٌ . يقول : لَقَدْ أَفْنَيْتَ الْمَفَاوِزَ — الَّتِي جَبَّتْهَا إِلَيْكَ — خَيْبَلِي وَزَادِي
وَمَائِي . يَذْكُرُ طَوْلَ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ صَمِدٌ إِلَيْهِ مِنْ شَقَّةٍ جَيِّدَةٍ :
(٤) وَالرُّوَاءُ : الْمَنْظَرُ وَالشَّارَةُ . يقول : اسْتَكْفَنِي مَا شِئْتُ مِنْ أَيِّ أَمْرٍ
عَظِيمٍ تَقْدَفُ بِي إِلَيْهِ فَإِنْ قَلْبِي قَلْبُ الْأَسَدِ شَجَاعَةٌ وَإِنْ كُنْتُ آدَمِي الصُّورَةِ وَفُؤَادِي فُؤَادِ
الْمُلُوكِ عَزَمًا وَرَأْيًا وَدَهَاءً وَإِنْ كَانَ لِسَانِي لِسَانُ شَاعِرٍ . قِيلَ : إِنْ أَبَا الطَّيِّبِ يَقْصِدُ بِهَذَا
الْتَعْرِضَ إِلَى طَلَبِ وَلَايَةِ مَنْ كَافُورٌ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ لَمَّا أُنْشِئَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ أَقْسَمَ لَهُ أَنْ
يَلْفَنَهُ مَا فِي نَفْسِهِ .

وقال يذكر خروجه من مصر وما لقي في طريقه ويهجو كافورا :
 ألا كل ما شية الخيزلي فدا كل ما شية الهيدبي^(١)
 وكل نجاة بجاية خوف وما بي حسن المشي^(٢)

(١) الخيزلي : مشية للنساء فيها استرخاء وثقل وتفكك ، قال الفرزدق :
 حوارية تمشي الضحى مرجحة وتمشي المشي الخيزلي رخوة اليد^(١)
 والهيدبي : ضرب من مشي الخيل فيه جد وسرعة ، من قولهم أهدب الظلم إذا
 أسرع . يقول : فدت كل امرأة تمشي الخيزلي كل فرس تمشي الهيدبي : يريد أنه ليس
 من أهل الغزل والعشق والتشب بالنساء وإنما هو من أهل السفر . ومن ثم كان مولها
 بالخيول ، وهذا من قول أبي تمام :

يروي بالكعاب الرود طلمة ناثري وبالعرمس الوجناء غيرة آيب^(٢)
 (٢) وكل : عطف على كل ما شية الهيدبي . والنعاة : الناقة السريعة تنجو بمن ركبا
 قالوا : ولا يوصف بذلك البعير . وبجاية : منسوبة إلى بجاة وهي أرض بالنوبة تعرف
 نوبها بالسرعة ، وقيل : قبيلة من البربر تنسب إليها هذه النوق قال الطرناح :
 بجاية لم تستدر حول مشير ولم يتخون درها صب آفن^(٣)

(١) حوارية يريد الشديدة البياض النقية ، ومرجحة : يريد سميكة ثقيلة فإذا مشت
 بقيت في مشيتها . ورخوة اليد : أي مرسلتها ومن أمثال العرب : أرخ يدك واسترخ
 إن الزناد من مرخ ، يضرب لمن طلب حاجة إلى كريم يكفيك عنده اليسير من الكلام
 (٢) الكعاب : الجارية الناهد : والرود : الشابة الحسنه الشباب ، والعرمس : الناقة
 الصلبة ، والوجناء : الناقة العظيمة الوجتين أو العظيمة :

(٣) المثبر : مثال المجلس الموضع الذي تلد فيه الناقة من الأرض وكذلك المرأة
 وأكثر ما يقال في الإبل : ومثبر الناقة أيضا حيث تنحر وتخنون : تنقص ، والآفن :
 الذي يحلب الناقة في غير وقت الحلب ، أو الذي يستخرج جميع ما في ضرعها ، والمثبر
 اللبن ، وضب الناقة : حلبها بالكف .

قالوا : وكان أهل بجاية هذه يتطاردون على النوق في الحروب وغيرها ، وكانت النوق تنمطف معهم كيما أرادوا ، فإذا وقعت الحرب في رمية عطف الناقة إليها فأخذها ، وإن وقعت في غير رمية عطفها إليها فأخذها فكانت نوقهم تنمطف معهم حيث أرادوا .

حكى ابن جني عن المتنبي قال : يرى الرجل من أهل بجاية بالحربة فإذا وقعت في الرمية طار الجمل إليها حتى يأخذها صاحبها .

ويقال : خنف البعير في مشيه إذا سار قلب خف يده إلى وحشيه وناقة خوف قال الأعشى :

وَأَذَرْتُ بِرِجْلَيْهَا النَّفْيَ وَرَاجَعْتُ
يَدَاهَا خِنَافًا كَيْتًا غَيْرَ أَحْرَدًا^(١)

وقال في الصحاح : خنف البعير يخنف خنفا وخنافا . لوى أنته من الزمام ، والخناف الذي يميل رأسه إلى الزمام ويفعل ذلك من نشاطه ومنه قول أبي وجزة :

قَدْ قُلْتُ وَالْعَيْسُ النَّجَائِبُ تَفْتَلِي
بِالْقَوْمِ عَاصِفَةً خَوَانِفَ فِي الْبَرَى^(٢)

والخنف من الإبل اللينة اليدين في السير والشئ جمع مشية كسدره وسدر يقول : لا أنظر إلى حسن مشى النساء وما بي شهوة إلى ذلك وإنما نزاعى وميل إلى كل ناقة خفيفة المشى ، أو تقول : إن قوله وما بي حسن المشى كلالستدراك على قوله خوف أى لست أصفها بالخنف استحسانا لمشيتها لأنى لست أنظر إلى حسن المشى ولكنى أستمع بها على نيل الرغائب يدل على ذلك البيت التالى .

(١) يقال بعير أحرد وناقة حرداء ، وذلك أن يسترخى عصب إحدى يديه من عقل أو يكون خلقه حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(٢) البرى : جمع برة ، وهى الحلقة فى أنف البعير واغلت الدابة فى سيرها ارتفعت فجاوزت حسن السير .

وَلَكِنَّهُنَّ حَبَالُ الْحَيَاةِ وَكَيْدُ الْعُدَاةِ وَمَيْطُ الْأَذَى^(١)
 ضَرَبْتُ بِهَا التِّيَةَ ضَرْبَ الْقِمَا رِيًّا لِهَذَا وَإِمَّا لِهَذَا^(٢)
 إِذَا فَرَعْتُ قَدَمَهَا الْجِيَادُ وَيِيضُ السُّيُوفِ وَسُمُرُ الْقَنَا^(٣)
 فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكَبِهَا عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنْهُ غَنَى^(٤)
 وَأَمْسَتْ تُخَضِّرُنَا بِالنَّقَا بِي وَادِي الْمِيَاهِ وَوَادِي الْقُرَى^(٥)

(١) العداة : الأعداء ، والميط : الدفع . يقول : لست آبه للشئ سواء أكان مشى نساء أم مشى إبل ، ولكن ولوى بالإبل إنما هو لأنها حبال الحياة يتسبب بها إلى الرزق والخروج من المهالك ، وبها تكاد الأعداء ويدفع الأذى .

(٢) اتية : هناتيه بنى إسرائيل ، وهو الذى بين القارم وأيلة ، وهو الذى سلكه حين هرب من مصر إلى العراق ، والإشارة إلى الفوز والهلاك . يقول : ضربت بها انفلاة مخاطر كما يضرب المقامر بالسهم وهو لا يدري ما يقسم له من غم أو غرم ، كذلك أنا سلكت بناقى انفغار ملقيا بنفسى بين الفوز وبين الهلاك . فالعاقبة إما هذا وإما هذا .

(٣) قدمتها : أى تقدمتها . وقوله ييض السيوف وسمر القنا ، من المقابلة الجميلة ، يقول : إذا فزعته هذه الناقة تقدمتها الخيل — لأنهم كانوا يحبون الخيل ويركون الإبل ، فاذا لاقوا الأعداء ركبوا الخيل — فإذا كان هناك ما يخيفها تقدمنا بالخيل وبالسيف والرمح للذود عنها .

(٤) نخل : ماء معروف ، يقول : فمرت ناقتى بهذا الموضع وفى ركبانها — يعنى نفسه وأصحابه — غنى عن العالم : أى عن خفارة أحد ، لأنهم يخفرون أنفسهم بسلاحهم ، وغنى عن هذا الماء لأنهم ذوو جلد وصبر ولا يبالون الظما .

(٥) النقاب : موضع يتشعب منه طريقان ، طريق إلى وادى المياه ، وطريق إلى وادى القرى . ونامن تخيرنا مفعول أول ، ووادى المياه : مفعول ثان ، وأسكن الياء ضرورة ، يقول : لما بلغنا النقاب قدرنا السير ، إما إلى وادى المياه ، وإما إلى وادى القرى ، فجعل هذا التقدير منهم كأن الإبل خيرتهم فقالت : إن شئتم سلكتم هذا الطريق وإن شئتم سلكتم الطريق الآخر ؛ وهذا على المجاز والاتساع ، قال العكبرى : وقيل

وَقُلْنَا لَهَا أَيْنَ أَرْضُ الْعِرَاقِ فَقَالَتْ وَنَحْنُ بِتَرْبَانَ هَا^(١)
وَهَبْتَ بِحَسْمَى هُبُوبَ الدَّبُورِ رِ مُسْتَقْبِلَاتٍ مَهَبَّ الصَّبَا^(٢)
رَوَاىِ السِّكْفَافِ وَكَبَدِ الْوَهَادِ وَجَارِ الْبُيُورَةِ وَادِى الْغَضَى^(٣)
وَجَابَتْ بِسَيْطَةِ جَوْبِ الرِّدَا ءَ بَيْنَ النَّعَامِ وَبَيْنَ الْمَهَا^(٤)

فى التخيير تأويلان : أحدهما أن الهوادى من الحيل والإبل إذا وصلت مفرق طريقين تلفتت إليهما لتؤذن بالحث على سلوك أحدهما ، وهذا كأنه تخيير ؛ والثانى : أنه على سبيل المجاز ، كما قيل :

* يشكوا إلى جلى طول الشرى *

لم يرد حقيقة الشكوى ، وإنما أراد صار إلى حال يشتكى من مثلها .

(١) تربان هنا : موضع يبعد عن المدينة نحو خمسة فراسخ ؛ وها : حرف تنبيه ، يقول : وقُلْنَا للإبل أين أرض العراق ؟ — لأننا كنا نريدها — فقالت — ونحن تربان — ها هي ذه : أى دانية ، يريد أن هذه الإبل سريعة قوية على السير إلى حد أن هذه المسافة الترامية ليست فى نظرها شيئاً مذكوراً ، وقال ابن جنى : تربان من أرض العراق .

(٢) هبت : أى الإبل ، يريد نشطت فى سيرها ، شبه العيس بالريح على وجه الاستعارة لأنها أقبلت من الغرب إلى المشرق كما تقابل الدبور الصبا ، لأن الدبور تهب من الغرب ، والصبا تقابلها من مطلع الشمس ، وحسمى : موضع بالبادية ، يقول : وهبت فى هذا الموضع هبوب الريح الغربية مستقبلة جهة الشرق .

(٣) رواى : أى قواصد ، حال من ضمير النوق ، وأسكن الباء ضرورة ؛ وهذه كلها أسماء مواضع ، ووادى الغضى : بدل من جار البويرة ، يقول : إن وادى الغضى جار للبويرة قريب منها .

(٤) بسيطة موضع بين الكوفة ومكة من أرض نجد ، وجابت : قطعت والمها : بقر الوحش ، يقول : وقطعت النوق هذا الموضع كما يقطع الرداء ، سائرة بين النعام والمها ، لأنها مواضع خالية من الأناس ، ومن ثم تألفها الوحوش .

إِلَى عُقْدَةِ الْجُوفِ حَتَّى شَفَتْ بِمَاءِ الْجُرَاوِيِّ بَعْضَ الصَّدَى^(١)
وَلَا حَ لَهَا صَوْرٌ وَالصَّبَاحُ وَلَا حَ الشَّفُورُ لَهَا وَالضُّحَى^(٢)
وَمَسَى الْجُمَيْيِّ دِثْدَاؤُهَا وَغَادَى الْأَضَارِعَ ثُمَّ الدَّنَا^(٣)
فَيَالِكَ لَيْلًا عَلَى أَعْكُشٍ أَحَمَّ الْبِلَادِ خَفِيَ الصَّوَى^(٤)
وَرَدْنَا الرُّهَيْمَةَ فِي جَوْزِهِ وَبَاقِيهِ أَكْثَرُ مِمَّا مَضَى^(٥)

(١) عقدة الجوف : مكان معروف . والجراوى : منهل . قال الشاعر :

أَلَا لَا أَرَى مَاءَ الْجُرَاوِيِّ شَافِيًا صَدَاىَ وَإِنْ رَوَى غَلِيلَ الرَّاكِبِ
والصدى : العطش . يقول : جابت النياق بسيطة إلى عقدة الجوف حتى شفت
عطشها بماء الجراوى .

(٢) قال الواحدى : صور اسم ماء ، والصحيح أنه صورى . ذكر ذلك أبو عمرو
الجرى ، والشفور : موضع بالسماوة قال العكبرى : هو موضع بالعراق ، تقول العرب :
إذا وردت شفورا فقد أعرت ؛ ثم قال : وهو مشتق من قولهم بلاد شافرة ، إذا لم
يكن لها من يحميها ، والصبح والضحي : إما منصوبان على معنى المية ، وإما مرفوعان
على أنهما معطوفان على ما قبلهما ، يقول : وظهر لها صور مع وقت الصبح ، وظهر لها
الشفور مع وقت الضحي .

(٣) الجميى والأضارع والدنا : مواضع . والدثداء : سير سريع أرفع من الحجب
يقول : لما كان وقت المساء بلغ سيرها الجميى ، وفي العداة بلغ الأضارع والدنا .
(٤) أعكش : موضع قرب الكوفة ، وأحم وخنى : صفتان لليل ، وليلا تميز ؛
ويالك تعجب ، والأحم : الشديد السواد ، والصوى : أعلام من حجارة تنصب في
الطريق ليهتدى بها ؛ يتعجب من شدة ظلام الليل على هذا المكان حتى اسودت البلاد
وخفيت أعلام الطريق .

(٥) الرهيمه : موضع قرب الكوفة . والجوز فى الأصل : الوسط ؛ والمراد به هنا
صدر الليل لقوله : وباقه أكثر ؛ والضمير فى الموضعين ليل ، يقول : وردنا هذا المكان
صدر الليل وباقه أكثر مما مضى منه ، وقال بعضهم : ضمير جوزه لأعكش ، والرهمه

فَلَمَّا أَتَيْنَا رَكَزْنَا الرُّمَّا حَ فَوْقَ مَكَارِمِنَا وَالْمَلَا^(١)
وَبَنَيْنَا نُقْبَلُ أَسْيَافَنَا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِدَا^(٢)
لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى^(٣)
وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَا^(٤)
وَمَا كُفُّ مِنْ قَالٍ قَوْلًا وَفَى وَلَا كُفُّ مِنْ سِيمٍ خَسَفًا أَبَى^(٥)

ماء وسط أعكش : أي وردنا هذا الماء « رهيمة » وسط هذا المكان « أعكش » وقد بقي من الليل أكثر مما مضى منه . وقال الخطيب التبريزي : بعض من لا علم له بالعربية يظن أن هذا البيت مستحيل ؛ لأنه يوم أنه لما ذكر الجوز وجب أن تكون القسمة عادلة في النصفين ، وليس الأمر كذلك ولكنه جعل ثلث الليل الثاني كالوسط وهو الجوز ثم قال : وباقيه أكثر ، كأنه ورد ، والثلث الثاني الذي كالوسط ، وهو الجوز قد مضى ربه وبقي ثلاثة أرباعه ؛ وهذا أبين وأوضح ، ويجوز أن يكون الضمير في باقيه ليل أو للجوز .

(١) يقول : لما ألقينا عصا التسيار واستقر بنا النوى في الكوفة وأنحنا ركابنا بها وركزنا الرماح — شنشنة من يترك السفر — كانت رماحنا مراكوزة فوق مكارمنا وعلانا لما كان منا من فراق الأسود « كافور » وقتال من قاتلنا في الطريق وظفرونا بمن عادانا ، فكل هذا مما يدل على المكارم والعلا فظفرت مكارمنا بما فعلنا ، فكأننا نزلنا عليها .

(٢) يقول : بننا قبل أسيافا لأنها أظفرتنا بأعدائنا ونجتنا من المهالك بغيرها أن تقبل وترفع فوق الرؤوس . ويروى بدل بننا ثبنا ، أي رجنا قبل الح .
(٣) لتعلم مصر : أي أهل مصر . والعواصم : بلاد قصبها إنطاكية ، وهي من حلب إلى حماه . وآل في الفتى للاستغراق . أي الكامل الفتوة .

(٤) وفيت ، أي لسيف الدولة إذ رجع إليه ، أو تقول : وفيت أي بماقلته من أنى سأترك مصر على رغم كافور وهذا هو الأظهر . وأبيت . أي ضم كافور ؛ وعتوت . أي تجبرت على من تجبر على .

(٥) سامه الأمر : كلفه إياه أو أكرهه عليه . والخسف : الضيم والذل ؛ وسامه خسفا : أذله .

وَلَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مِنْ آلَةٍ وَرَأَى يَصْدَعُ صَمَّ الصَّفَا^(١)
 وَمَنْ يَكُ قَلْبُ كَقَلْبِي لَهُ يَشُقُّ إِلَى الْعِزِّ قَلْبَ التَّوَى^(٢)
 وَكُلُّ طَرِيقٍ أَتَاهُ الْفَتَى عَلَى قَدَرِ الرَّجُلِ فِيهِ الْخَطَا^(٣)
 وَنَامَ الْخَوِيدُ عَنْ لَيْلِنَا وَقَدْ نَامَ قَبْلُ عَمَى لَا كَرَى^(٤)
 وَكَانَ عَلَى قُرْبِنَا يَنْنَا مَهَامِهِ مِنْ جَهْلِهِ وَالْعَمَى^(٥)
 لَقَدْ كُنْتُ أَحْسِبُ قَبْلَ الْخَصَى أَنَّ الرُّؤُوسَ مَقَرُّ النُّهَى^(٦)
 فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى عَقْلِهِ رَأَيْتُ الثَّهْمَ كُلَّهَا فِي الْخَصَى^(٧)

(١) يصدع صم الصفا . يشق الحجارة القوية وينفذ فيها ، وآلة القلب العقل وما يستتبعه من الرأي والعزم والأناة . يقول : لا بد للقلب من عقل يستظهر به ورأى ماض يصدع به الأحداث والكروب ، ولو تضامنت تضام الصخر . (٢) التوى الهلاك وأصله هلاك المال يقال : توى ماله إذا هلك واستعار للتوى قلبا ليقابل بين قلبه وقلب التوى يقول : ومن له قلب كقلبي في الإقدام ومضاء العزيمة يشق قلب الهلاك ويخوض شداًئه حتى يصل إلى العز . (٣) يقول : وكل طريق يسلكه الإنسان تتسع خطواته فيه بمقدار طول رجليه ؛ وهذا مثل معناه على قدر همة الطالب يكون سعيه . وخص الرجل من بين الأعضاء لذكره الخطا . جمع الخطوة - بضم الخاء - وهي ما بين القدمين

(٤) الخويدم : صغير خادم ، يريد كافورا . والكرى : النوم والنعاس . يقول : نام كافور عن ليلنا الذي خرجنا فيه من عنده ، وكان قبل ذلك نائماً غفلة وعمى ولم يك نائماً النوم المعروف ، وهذا كقول الآخر :

وَحَبَّرَنِي الْبَوَّابُ أَنْكَ نَائِمٌ وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَائِمٌ

(٥) مهامه : اسم كان ؛ وبيننا خبرها ؛ يقول : ولما كنت قريباً منه كان بيني وبينه مع هذا القرب صحراوات من جهله وعماه ، وبذلك كنت كأني بعيد عنه ؛ لأن الجاهل لا يزداد علماً بالشيء وإن قرب منه

(٦) و (٧) انتهى : العقول ، جمع نهية ، سميت العقول كذلك لأنها تنهى عن كل

وَمَاذَا بِمِصْرَ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ وَلَكِنَّهُ ضَحِكٌ كَالْبُكَاءِ^(١)
 بِهَا تَنْبِطُ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ يُدْرَسُ أَنْسَابَ أَهْلِ الْفَلَائِ^(٢)
 وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ يَنْصَفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَذْرُ الدُّجَى^(٣)
 وَشِعْرُهُ مَدَحَتْ بِهِ الْكَرَكَدْنَ بَيْنَ الْقَرِيضِ وَبَيْنَ الرُّقَى^(٤)

ما هو قبيح يقول : كنت أظن قبل أن أرى كافوراً أن الرؤوس مقر العقول فلما رأيت عقله وما به من أفن عدلت عن ظني وقلت إن العقول كلها في الحصى ، فإنه لما حصى ذهب عقله وحقق .

(١) يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التي تستدعي الضحك ، ثم قال : لكن ذلك الضحك كالبكاء ، كما قالوا : وشر البلية ما يضحك .

(٢) يبين ما بمصر من المضحكات ، والنبطى واحد النبط ، وهم جيل من العمم ينزلون البطائح بين العراقيين ، قال المعري :

أَيْنَ امْرُؤُ الْقَيْسِ وَالْعَذَارَى إِذْ مَالَ مِنْ تَحْتِهِ الْغَبِيطُ
 اسْتَنْبَطَ الْعَرَبُ فِي الْمَوَاصِي بَعْدَكَ وَاسْتَعْرَبَ النَّبِيطُ

والسواد سواد العراق ؛ والفلا : جمع فلاة ، والمراد بها البادية ؛ وأهل البادية هم العرب . قال الواحدى : يريد بالنبطى السوادى أبا انفضل بن حنزابه وزير كافور ، وقيل : أبا بكر المادرائى النسابة ، وذلك مضحك لأنه ليس من العرب وهو يعلم أنساب العرب

(٣) المشفر فى الأصل شفة البعير ، يقول : وبمصر أسود - يريد كافورا - عظيم الشفة حتى لكأنها قدر نصفه ، يموهون عليه ويشبهونه بالبدر ، والبدر هو ماهو جمالا وإشراقا ، والأسود هو ما هو قبحا وإظلاما ؛ ومع ذلك يصدقهم ويتنبط بتكذابهم .

(٤) الكركدن بتشديد الدال والعامة - كما فى القاموس - تشدد النون : هو حيوان من ذوات الحوافر عظيم الجثة ، قصير القوائم ، كثيف الجلد ، طى أُنقه قرن واحد ؛ ولبعض أنواعه قرنان الواحد فوق الآخر ويسمى الرميس ، يقول : ورب شعر مدحت به هذا الأسود الذى يشبه الكركدن فى عظم الجثة وقلة الغناء والخير وهذا الشعر هو شعر من وجه ورقية أرقبه به وأحتال لأجلب ماله من وجه آخر .

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَذْحًا لَهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْوًا الْوَرَى^(١)
وَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ بِأَضْنَانِهِمْ فَأَمَّا بَرْقٌ رِيَّاحٌ فَلَا^(٢)
وَتِلْكَ صُمُوتٌ وَذَا نَاطِقٌ إِذَا حَرَّ كَوْهُ فَتَا أَوْ هَذَى^(٣)
وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٤)

وعاب قوم عليه علو الخيام ، فقال^(*) :

لَقَدْ نَسَبُوا الْخِيَامَ إِلَى عَلَاءٍ أَبَيْتُ قَبُولَهُ كُلَّ الْإِبَاءِ^(٥)
وَمَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلثَّرِيَّا وَلَا سَلَّمْتُ فَوْقَكَ لِلِسَّمَاءِ^(٦)

(١) قال ابن جني : إذا كانت طباعه تنافي طباع الناس كلهم سفلا ثم مدح فذلك جهولهم ؛ لأن فيه إرغامهم ومدحا لمن ينافي طباعهم . وقال غيره : يعني لم يكن ذلك الشعر مدحا له ولكنه في الحقيقة كان هجاء الخلق كلهم حيث أحوجوني إلى مثله .

(٢) يقول : قد ضل ناس بعبادة الأصنام لا اعتقادهم فيها أنها تنفع وتضر وهذا مشاهد ، وقد يكون أدنى إلى أن يعقل ولكن أن يضل ناس بَرْق رِيَّاح - يعني كافورا - وينقادوا إليه ويعظموه فذلك ما لم أره إلا في مصر وأهلها - والزق أسود ، وإذا كانت مملوءا ريحا فلا غناء فيه ومن هنا كان التشبيه

(٣) تلك : أي الأصنام ، وذا : أي زق الرياح ، أي كافور

(٤) هذا هو بيت القصيد ، يقول : من لم يعرف قدر نفسه غرورا وإعجابا وذهابا بها خفيت عليه عيوبه ، فرأى الناس من عيوبه ما لا يرى واستبجوا منه ما استحسن ، وإنه لبلاء عظيم . .

* كان سيف الدولة قد نزل آمد فكثر المطر ودعا أبا الطيب فدخل عليه وهو على الشراب فقيل له : إنه قد عيب عليه قوله لسيف الدولة :

لَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَلْتَ لَكَ الْخَيْلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْخِيَامُ

لأن الخيام تكون فوق سيف الدولة فقال هذه الأبيات ارتجالا :

(٥) و (٦) يقول : إن الذين عابوا على هذا القول نسبوا الخيام إلى الرفعة والعلاء وما إلى هذا قصدت ؛ وإنى أبى ذلك كل الإباء لأنى لا أسلم بأن تكون الثريا والسما

وَقَدْ أَوْحَشْتَ أَرْضَ الشَّامِ حَتَّى سَلَبْتَ رُبُوعَهَا ثَوْبَ الْبَهَاءِ^(١)
تَنْفَسُ وَالْعَوَاصِمُ مِنْكَ عَشْرُ^(٢) فَتَعْرِفُ طِيبَ ذَلِكَ فِي الْهَوَاءِ^(٣)
وقال يهجو السامري^(*) :

أَسَامِرِيْ ضُحْكَةً كُلُّ رَاءٍ فَطِنْتَ وَأَنْتَ أَغْنَى الْأَغْيَاءِ^(٣)

فوقك وهما ما هما علوا وارتفاعا ؛ فكيف أسلم بأن تكون الحيام فوقك ؟ يريد أن ريتك فوق كل شيء ؛ فليس ثم شيء يعلوك رتبة وقدرًا :

(١) يقول : لما زابت الشام وفارقتها أوحشتها فسلبتها بذلك ثوب الجلال الذي كانت تشتمل به بمقامك فيها ؛ فلما غادرتها غادرها جلالها وأنسها .

(٢) يقول : إذا تنفست والعواصم على عشر ليالي منك عرف أهلها والقيمون بها طيب نفسك في الهواء وهذا المعنى مأخوذ من قول أبي عينة :

تَطِيبُ دُنْيَانَا إِذَا مَا تَنَفَّسْتَ كَأَنَّ فَتَيْتَ الْمِسْكَ فِي دُورِنَا هَبًا

وتنفس — يحذف إحدى التائين — أى تنفس ، والعواصم بلاد منها حلب وفسرين وإنطاكية وهى عاصمتها سميت كذلك لأنها كانت تعصم أهلها بما عليها من الأسوار . وقوله منك عشر : أى على مسيرة عشر ليال .

• أنشد المتنبي سيف الدولة يوما قوله :

واحرّ قلباه ممن قلبه شميم

وانصرف ؛ فاضطرب المجلس ؛ وكان فيه بنطى من كبار كتابه يقال له أبو الفرج السامري فقال لسيف الدولة : ألقه فأخذ لك رأسه ؟ فقال المتنبي هذه الأبيات يهجو بها .

(٣) يقول : يا سامري يا من يضحك منه كل من رآه كيف فطنت إلى ما أنشدته

وأنت أغنى الأغنياء ، والسامري نسبة إلى سامري بلد بناء المعتصم قرب بغداد ، وكان لما أخذ في بناءه ثقل ذلك على عسكره فقالوا ساء من رأى فلما انتقل بهم إليها سر كل منهم برؤيتها ، فقيل سر من رأى ، ثم حرف اللفظان على السنة العامة سامرا وسمرى والضحكة : الذى يضحك منه ، أما الضحكة بفتح الحاء فهو الكثير الضحك .

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتَ عَنِ الْهَجَاءِ^(١)
وَمَا فَكَّرْتُ قَبْلَكَ فِي مُحَالٍ وَلَا جَرَّبْتُ سِتْفِي فِي هَبَاءِ^(٢)

(١) يقول : حين وجدت نفسك أحقر من أن تمدح تعرضت للهجاء كأنك لا تدري أنك كذلك أحقر من أن تهجى ، لأن مثلك لا يأبه له الشعراء ولا يروونه أهلاً حتى للهجاء .

(٢) المحال : ما عدل به عن وجهه يقول : وكيف يخطر لي أن أهجوك وما فكرت قبلك في باطل حتى أكثرته له ، أى ماهجوت قبلك مثلك ولا حاك في صدري ذلك ، وهل يليق بمثل أن يجرب سيفه في قطع الهباء ؟ ! وأحسب هذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمدحُ فيكَ كما علمت جليلُ
فأذهبْ فأنْتَ طليقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عِزَّتِكَ بِهِ وَأَنْتَ ذليلُ

وقول الآخر :

قَلَّ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْى تَشَا وَأَبْرَقَ يَمِينَا وَأَرْعَدَ شِمَالَا
نَجَا بِكَ لَوْمُكَ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَا

وقول بعضهم :

إِنِّى لَا كَرُمَ نَفْسِي أَنْ أُكَلِّفَهَا هَجَاءَ جَرْمٍ وَمَا يَهْجُومُ أَحَدُ
مَاذَا يَقُولُ لِمَنْ كَانَ هَاجِيَهُمْ لَا يَبْلُغُ النَّاسُ مَا فِيهِمْ وَإِنْ جَهَدُوا

قافية الباء

وقال يمدح سيف الدولة وهو يسايره إلى الرقة وقد اشتد المطر بموضع يعرف
بالشديين :

لَعَنِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْكَ حَظٌّ تَحَيَّرُ مِنْهُ فِي أَمْرِ عُجَابٍ ^(١)
حَالَةً ذَا الْحُسَامِ عَلَى حُسَامٍ وَمَوْقِعُ ذَا السَّحَابِ عَلَى سَحَابٍ ^(٢)
وزاد المطر فقال :

تَجِفُّ الْأَرْضُ مِنْ هَذَا الرَّبَابِ وَيَخْلُقُ مَا كَسَاهَا مِنْ ثِيَابٍ ^(٣)
وَمَا يَنْفَكُ مِنْكَ الدَّهْرُ رَطْبًا وَلَا يَنْفَكُ غَيْثُكَ فِي انْسِكَابٍ ^(٤)
تُسَايِرُكَ السَّوَارِي وَالْعَوَادِي مُسَايِرَةَ الْأَحْبَاءِ الطَّرَابِ ^(٥)
تُفِيدُ الْجُودَ مِنْكَ فَتَحْتَذِيهِ وَتَفْجِزُ عَنْ خِلَاتِكَ الْعِذَابِ ^(٦)

(١) و (٢) يقول : ترى عيناي منك كل يوم شيئا عجيبا تتحير منه . وذلك أني
أرى سيفاً يحمل سيفاً وسحاباً يمطره سحاب ، والحالة التي يحمل بها السيف ، والحسام
الأول هو السيف ، والثاني هو سيف الدولة .

(٣) و (٤) الرباب السحاب الأبيض ويخلق يرث ويلى . يقول : أنت أفضل من
السحاب لأن الأرض تجف من مطر السحاب وثيابها التي كساها بها الغيث وهي
نبات الأرض تبلى - وذلك عند هيجه - ولكن ذكرك لا ينفك الدهر رطبا
به فأنت خالده وجودك دائم الانسكاب لا ينقطع وقال الواحدى : يريد برطوبة الدهر
لينه وسهولته والمعنى يطيب عيش أهل الدهر بك فكأن الدهر رطب ينقاد ويلين
لهم كما قال البحرى :

أشرقن حتى كاد يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطُبُنَ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدِلُ
فجعل الصخر يكاد يجرى للينه برطوبة الزمان .

(٥) و (٦) السوارى السحب السارية ليلا ، والعوادي السحب المنتشرة

وأمره سيف الدولة بإجازة هذا البيت :

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفْرِ اعْتَرَضُ الدِّمَى فَلَمْ أَرِ أَحَدًا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ ^(١)
فقال :

فَدَيْنَاكَ أَهْدَى النَّاسِ سَهْمًا إِلَى قَلْبِي وَأَقْتَلَهُمْ لِلدَّارِعِينَ بِلَا حَرْبٍ ^(٢)

نهارا . والطراب جمع طروب ، وهو الذى يطرب . ويحركه الشوق وتفيد تستفيد واحتذاه اقتدى به وفعل مثله ، والخلائق ، الأخلاق . يقول : إن السحب تسير معك كما يسير الحبيب الطروب مع حبيبه وذلك كي تستفيد الجود منك فتأتى بمثله بيد أنها تعجز عن التخلق بأخلاقك العذبة الجميلة .

(١) غداة النفر يريد غداة تفرق الحجاج من منى ويقال يوم النفر وليلة النفر لليوم الذى ينفر الناس فيه من منى قال بعضهم .

أما والذى حَجَّ الْمَلِئُونُ بَيْتَهُ وَعَلَّمَ أَيَّامَ الذَّبَائِحِ وَالنَّخْرِ
لَقَدْ زَادَنِي لِلْفَمْرِ حُبًّا وَأَهْلِهِ لَيَالٍ أَقَامَتُهُنَّ لَيْلَى عَلَى الْفَمْرِ
وَهَلْ يَأْتُمْنِي اللَّهُ فِي أَنْ ذَكَرْتُهَا وَعَلَّتْ أَصْحَابِي بِهَا لَيْلَةَ النَّفْرِ
وَسَكَنْتُ مَا بِي مِنْ كَلَالٍ وَمِنْ كَرَى وَمَا بِالْمَطَايَا مِنْ جُنُوحٍ وَلَا فَتْرِ
وأعترض : أستقبل ، والدنى : جمع دمية وهى التماثيل تشبه بها الحسان .

(٢) فديناك دعاء ؛ والخطاب للحبيب ، وأهدى نادى باسقاط حرف النداء قال الواجدى : أهدى من قولهم هديت هدى فلان أى قصدت قصده ومنه الحديث : واهدوا هدى عمار . أى اقصدوا قصده وسيروا سيرته . يقول : يا أقتد الناس سهما إلى قلبى يريد أن عينه تصيب قلبه بلحظها ولا تحطئه ، ويا أقتل الناس للابسى الدروع من غير حرب أى أنه يقتلهم بحبه فلا تحصنهم الدروع ولا يحتاج معهم إلى الزال ولك أن تجعل أهدى وأقتل منصوبين على التمييز وأهدى من الهداية ، وإليك ما قال العلامة العكبرى النحوى الكوفى فى تعليقاته على هذا البيت قال : أفضل إذا كان للتفضيل فبينه وبين أفضل التعجب مناسبة وذلك أنه يقال هذا أقول من هذا وما أقوله ويمتنع أن يقال هذا أحمر من هذا أى أشد حمرة كما يمتنع أن يقال : ما أحمره أى ما أشد حمرة

تَفَرَّدَ بِالْأَحْكَامِ فِي أَهْلِ الْهَوَى
فَأَنْتَ جَمِيلُ الْخَلْفِ مُسْتَحْسَنُ الْكِذْبِ^(١)
وَإِنِّي لَمَنْعُ الْمَقَاتِلِ فِي الْوَعَى
وَإِنْ كُنْتُ مَبْذُولَ الْمَقَاتِلِ فِي الْحُبِّ^(٢)

وفعل التعجب يبنى من ثلاثة أفعال ثلاثية، فعل بفتح العين، وفعل بكسرهما، وفعل بضمهما ولا يبنى إلا من فعل قد سمي فاعله ولا يجوز أن يبنى من فعل غير مسمى الفاعل فيقال ما أضرب أخاك لأنه مأخوذ من ضرب أخوك ثم وقع التعجب من كثرة ضربه فإذا قلت ضرب أخوك لا يصح أن يقال ما أضرب أخاك وأنت تريد ما أشد الضرب الذي ضربه أخوك؛ وأهدى يجوز أن يكون من هدت الوحش^(١) إذا تقدمت فيكون اسما منصوباً على التمييز فيكون أفعل من فعل له فاعل ويكون الفعل للسهم ويجوز أن يكون الفعل للمخاطب من قولهم هديته الطريق فإذا حمل على ذلك فسهما منصوب بفعل مضمّر يدل عليه أهدى لأن فعل التعجب لا يجوز أن ينصب مفعولاً وكذلك أفعل الذي للتفضيل وعلى ذلك حمل قوله :

أَكْرَهُ وَأَتَمَّى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مِنَّا فِي اللَّقَاءِ الْقَوَانِسَ^(٢)

فنصب القوانس بفعل مضمّر تم الكلام عند قوله وأضرب منا ثم أضمر فعلاً نصب به القوانس تقديره يضرب القوانس فيكون من جنس الكلام .

(١) الخلف ترك الوفاء بالوعد وهو اسم من الإخلاف يقول : إن للهوى أحكاماً تخالف سائر الأحكام لأن الخلف في الوعد غير جميل والكذب غير مستحسن وكلاهما جميل مستحسن من الحبيب * وكل ما يفعل المحبوب محبوب *

(٢) يقول : إني من الشجاعة بحيث لا يصاب مقتلى في الحرب ولكني مع ذلك يصاب مقتلى في الحب فلست أستطيع اللطاع عن هوى في ميدان الهوى وهذا من قول أبي تمام :

(١) يقال هدت الإبل والوحش والحيل تهدي إذا تقدمت وهاديات الوحش

أوائلها وهي هوائها

(٢) القوانس : جمع قونس مقدم البيضة من السلاح

وَمَنْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ بَيْنَ جُفُونِهِ

أَصَابَ الْحُدُورَ السَّهْلَ فِي الْمُرْتَقَى الصَّعْبِ^(١)

« وقال يعزیه عن عبده يمالك التركي وقد مات بحلب سنة أربعين وثلاثمائة :

لَا يُحْزِنُ اللَّهُ الْأَمِيرَ فَإِنِّي سَأَخْذُ مِنْ حَالَاتِهِ بِنَصِيبِ^(٢)

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى بَكَى بَعِيُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبِ^(٣)

كَمْ مِنْ دَمٍ يَفْجِرُ الْجَيْشَ اللَّهُمَّ إِذَا بَانُوا تَحَسَّكُمُ فِيهِ الْعِرْمَسُ الْأَجْدُ

« جيش لهم : كثير يلتم كل شيء ، والعرمى الناقة الصلبة الشديدة ، والأجد يضم الهزمة والجبم الناقة القوية الموثقة الخلق . يريد أبو تمام الناقة التي تحمل الحبيب ، والمراد الحبيب نفسه »

(١) يقول : ومن كان له عين بين جفنيه كعينك فتنة وسحرا ملك قلوب الناس بأهون سعى فقلوه أصاب الخ أى وجد المرتقى الصعب حدورا سهلا وهذا تمثيل معناه سهل عليه ما يشق على غيره

(٢) قوله لا يحزن . دعاء له . يقول . لا أحزن الله . الأمير فإن حزنه يستتبع حزنى أشاركى إياه فى أحواله فلا أصابه الله يحزن لثلاث أحزن ؛ والمعنى واضح وجميل . ومن ثم كان قد صاحب هذا البيت - بقوله . لا أدري لم لا يحزن الله الأمير إذا أخذ أبو الطيب بنصيب من القلق - فى غير موضعه . ويجوز فى يحزن الجزم بلا والرفع على أنه خبر وضع موضع الإنشاء ، ورواية سأخذ هي رواية ابن جنى وعليها مضينا ، وفى رواية : لآخذ .

(٣) يقول : لا أبكاك الله لأنك إذا بكيت حزنا بكى جميع الناس لبكائك وحزنوا لحزنك لأن من سر جميع الناس ثم بكى لحزن أصابه ساء مصابه الذين سرهم فكأنه يبكى بعيونهم ويحزن بقلوبهم . وفى البيت حذف لا يخفى ، فهو من قيل * علفتها تبنًا وماء باردا * قال الواحدى : ولك أن تجعل الباء فى بعيون للتعدية أى أبكأها . والمعنى أنهم يسعدونه على البكاء جزاء سرورهم كما قال يزيد الملهبى :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعًا فِي سُرُورِكُمْ فَلَهُنَا إِذْ حَزَيْتُمْ غَيْرُ انْصَافٍ

وَأَمْنِي وَإِنْ كَانَ الدِّفِينُ حَبِيبَهُ حَبِيبٌ إِلَى قَلْبِي حَبِيبٌ حَبِيبِي^(١)
 وَقَدْ فَارَقَ النَّاسُ الْأَحِبَّةَ قَبْلَنَا وَأَعْيَا دَوَاهِ الْمَوْتِ كُلَّ طَبِيبٍ
 سَبَقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنَعِنَا بِهَا مِنْ جَنَّةٍ وَذُحُوبٍ^(٢)
 تَمَلَّكَهَا الْآتِي تَمَلَّكَ سَالِبٍ وَفَارَقَهَا الْعَاضِي فِرَاقَ سَلِيبٍ^(٣)
 وَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَصَبْرٍ الْفَتَى لَوْلَا لِقَاءُ شُعُوبٍ^(٤)

(١) الدفين المدفون ، وحبيب حبيبي مبتدأ مؤخر ، وحبيب إلى قلبي خبر مقدم ،
 والجملة خبر إني يقول : إني أحب كل من يحبه ومن ثم كان المدفون الذي يحبه حبيبا
 إلى قلبي وإن كان غريبا مني .

(٢) يقول : لقد سبقنا غيرنا إلى هذه الدنيا فلو عاش هؤلاء الذين سبقونا ولم يموتوا
 لغصت بنا الدنيا وضائق علينا الأرض حتى لا نستطيع الذهاب والرجاء لشدة الزحام
 وإنما يستقيم أمر الدنيا بموت المتقدم وحياة المتأخر . وجيئة مصدر جاء يجيء مجيئا
 وجيئة وكذلك الذهوب .

(٣) يقول : تنتقل الدنيا من قوم إلى قوم فيتملكها الحى تملك السالب ويتخلى
 عنها الميت تخلى المسلوب ؛ وعبرة الواحدى : يريد بالآتى الوارث بعد الموت وبالماضى
 الموروث أى أن الذى تملك الإرث كأنه سالب سلب الموروث ماله . والميت كأنه مسلوب
 سلب ما كان فى يده وهذا المعنى — كما قال العكبرى — مأخوذ من قولهم إنما فى أيديكم
 أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الأولون .

(٤) شعوب من أسماء النية وهى معرفة لا تنصرف ولا تدخلها الألف واللام، سميت
 كذلك لأنها تشعب أى تفرق . يقول : لولا الموت لم يكن لهذه المعانى فضل وذلك أن
 الناس لو أمنوا الموت لما كان للشجاع فضل على الجبان لأنه قد أيقن الخلود فلا خوف
 عليه من إقدامه فى الحرب وإذن لا يحمى على شجاعته ، وكذلك لا فضل للجواد على
 البخل . والصابر على المكروه لا فضل له على الجازع لأن فى الخلود وتنقل الأحوال
 فيه من عسر إلى يسر ومن شدة إلى رخاء ما يسكن النفوس . ويهون البوس .

وَأَوْفَى حَيَاةِ الْغَابِرِينَ لِصَاحِبِ حَيَاةِ أَمْرِي خَاتَمُهُ بَعْدَ مَسِيْبِ (١)
لَأَبْقَى يَمَّاكَ فِي حَشَاىَ صَبَابَةٍ إِلَى كُلِّ تَرْكِي النَّجَارِ جَلِيْبِ (٢)
وَمَا كُلُّ وَجْهِ أَبْيَضٍ بِمُبَارَكٍ وَلَا كُلُّ جَفْنٍ ضَمِيْقٍ بِنَجِيْبِ (٣)
لَيْنٌ ظَهَرَتْ فِيْنَا عَلَيْهِ كَاَبَةٌ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيْبِ (٤)
وَفِي كُلِّ قَوْسٍ كُلُّ يَوْمٍ تَنَاضُلٍ وَفِي كُلِّ طَرَفٍ كُلُّ يَوْمٍ رُكُوبِ (٥)

(١) الغابر من الأضداد يكون بمعنى الماضي وبمعنى الباقي ، والمراد هنا الأول . يقول : إن الحياة لابد من أن تغدر بصاحبها فهي لا محالة وإن طالت مفارقتها ولكن أوطاها له تلك التي تصحبه إلى وقت المشيب فلا تزياله حتى يطول استمتاعه ويستوفي لذة العيش ولكنها مع ذلك إلى انقضاء . وقال الخطيب التبريزي : يريد أن الدنيا تغترم الشباب لذة الوفاء فإذا أبقتهم كان قصارها أن تفنهم فلا وفاء لها ولا رغبة فيها ؛ وهو تفسير حسن .

(٢) لأبقى . جواب قسم محذوف . أى والله لقد أبقى ؛ وعماك اسم مملوك سيف الدولة وهو تركي ؛ والنجار الأضل ، وجلب مجلوب من بلد إلى آخر . يقول . لقد أبقى يماك بموته في قلبي صباة وميلا إلى كل تركي أى إلى كل من هو من جنسه

(٣) النجيب الكريم « ضد اللثيم » والفاضل النفيس في نوعه . يقول : إن يماك ترك في قلبي هذا الليل إلى جنسه لذلك الشبه الذى بينه وبينهم وإن لم يكن كل من أشبهه في الصورة يشبهه في اليمين والنجابة ، فالبيت كالاستدراك على البيت السابق ، فهو يقول في الأول : إنه يحب لأجله الترك لأنه منهم والترك يوصفون ببياض الوجوه وضيق الجفون ثم قل : إنه ليس كل تركي مباركا ولا كل تركي نجيا كالمرثي وإذن فهو يحبهم لأنهم يشبهونه في الصورة وإن لم يشبهوه في اليمين والنجابة .

(٤) و (٥) القضيْب السيف القاطع وقيل : اللطيف الدقيق ، والتناضل الترامي بالسهم . قال المكبري : في الحرب وغيرها وذلك أن القوم يتناضلون في الحرب بسهامهم رمى بعضهم بعضا وفي غير الحرب يتناضلون بسهامهم لينظروا أيهم أحسن رميا ؛ والطرف الفرس الكريم . يقول : إنه كان شجاعا من أهل القتال وكان حسن الرمي وقت الزوال وكان فارسا يحسن الركوب للغارة والطمعان ومن ثم حزنه عليه السيوف والقسى والحيل فلا عجب إذ حزنا نحن عليه . واللام في قوله لأن ظهرت لام القسم

يَعِزُّ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلَى بِمَادَةٍ وَتَدْعُو لِأَمْرِ وَهُوَ غَيْرُ مُجِيبٍ ^(١)
وَكُنْتُ إِذَا أَبْصَرْتُهُ لَكَ قَائِمًا نَظَرْتُ إِلَى ذِي لَبْدَتَيْنِ أَدِيبٍ ^(٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْعَلَقَ النَّفِيسَ قَدَّتَهُ فَمَنْ كَفَّ مِتْلَافٍ أَغْرَ وَهُوبٍ ^(٣)
كَأَنَّ الرَّدَى عَادَ عَلَى كُلِّ مَا جِدَ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْ بَجَدِهِ بِعُيُوبٍ ^(٤)

دخلت على حرف الشرط وآتى بجواب القسم ولم يأت بجواب الشرط ، ومثله كثير في القرآن الكريم ، وفي الشعر .

(١) وتدعو عطف على يخل ، وكان الوجه فتح الواو ولكنه سكنها للضرورة . يقول : إنه يشق على يمالك أن يغير عاداته في خدمتك وأن تدعوه لأمر فلا يجيبك .
(٢) ذى لبدين أى أشد واللبدة الشعر المترابط على كتف الأسد . يقول : وكنت إذا رأيته قائما بين يديك رأيت منه أمداً وفقى أدبياً أى إنه كان جامعاً بين الأدب في الخدمة وقوة الأمد لدى الناس ، وانتهاء في كنت وأبصرته ونظرت رويت مبنية على الضم للمشكك وعلى الفتح للمخاطب .

(٣) العاق هو النفيس من كل شيء ، وهو خبر يكن وجلة قعدته حال ؛ والتلاف الذى يتلف أمواله سخاء وجوداً والأغر الشريف يقول : فإن يكن يمالك العلق النفيس قد قعدته فإنما ذهب من كف رجل يتلف الأموال ويهبها ولا يبالي بما ذهب منه ، ومن روى تكن بالناء فهو على الخطأ لسيف الدولة ويكون العلق منصوباً على الاشتغال أو بفعل مضمر دل عليه قوله قعدته ، والتقدير ، فإن تكن قعدت العلق النفيس .

(٤) الردى الموت ، وعاد ظالم معتد . ولتراد بالماجد — وهو الكامل الشرف — سيف الدولة ، وعوذه علق عليه العوذة وهى الرقية يتقى بها السوء . يقول : إن الشريف لا يسلم من حدثان البصر ونوائبه حتى يحصل لشرفه رقية من العيوب وأنت لا عيب فيك ، ومن هنا أصابك الدهر بمن تحب ، وهذا كقول الشاعر :

شَخَصَ الْأَنْأَمُ إِلَى كَالِكَ فَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْبٍ وَاحِدٍ
وقول الآخر :

قد قلت حين تكاملت وغدت أفضأله زينا من الزين
ما كان أخوج ذا الكمال إلى عيب يوقيه من العين
« كان زائدة ، وذا الكمال . أى هذا الكمال » .

وَلَوْلَا أَيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا
وَلَلَّتْكَ لِلْإِحْسَانِ خَيْرٌ لِمُحْسِنٍ
وَإِنَّ الَّذِي أَمْسَتْ نِزَارٌ هَبِيدَهُ
كَفَى بِصَفَاءِ الْوَدِّ رَقًا لِمِثْلِهِ
غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَهُ بِذُنُوبٍ^(١)
إِذَا جَعَلَ الْإِحْسَانَ غَيْرَ رَبِيبٍ^(٢)
غَفَى عَنْ أَسْتِعْبَادِهِ لَغَرِيبٍ^(٣)
وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ مَفْخَرًا لِلْيَبِيبِ^(٤)
أَجَلٌ مُثَابٍ مِنْ أَجَلٍ مُثِيبٍ^(٥) فَمَوْضَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَجْرُ إِنَّهُ

(١) يعتذر عن ذنوب الدهر وإساءته بالتنبيه إلى سابق إحسانه ، أى أن من شيمة الدهر أن يحسن تارة ويسوء أخرى . يقول : ولولا أن الدهر أحسن إلينا بجمعه بيننا ما كنا نعرف إساءته بتفرقه بيننا فإحسانه عرفنا إساءته . والآيدى : النعم
(٢) بعد أن اعتذر عن الدهر عاد إلى ذمه يقول : وإذا أن الدهر شاب إحسانه بالإساءة فلم يتم إحسانه بتربيته وتعده وإعماجه فترك المحسن إحسانه أجل به من ذلك وأفضل أى أن كل محسن لم يتم إحسانه فتركه خير وأمثل ، وهذا كقوله :
أَبْدَأَ تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا

واللام في قوله وللتك لأم الابتداء ، وربيب تام من رب عمله أصلحه ونماه وآتمه .
(٣) يقول : إن سيف الدولة ملك العرب بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركي ، وخس نزاراً لأنه أبو القبائل الأشراف كقرش وغير قرش ؛ فالمراد بنزار سائر العرب .

(٤) الباء في قوله بصفاء وبالهرب زائمة ، وصفاء والقرب في محل رفع بكفى ، والرق العبودية ، واللييب المائل . يقول : إن سيف الدولة استبد العرب بمصافاته إياهم وإقباله عليهم بالود ومثله إذا صافى إنساناً استرقه بكثرة الإحسان إليه . وإن لم ييتمه كما يتتاع العبد ، وهذا هو الرق والاستعباد

(٥) يدعو له بأن يعوضه الله الأجر من عااك فإن الأجر أجل ثواب من أجل مثيب وهو الله سبحانه وتعالى ، أو تقول فإن سيف الدولة أجل عبد يثب من الله فضعير إنه إما عائد على الأجر ومثاب مصدر بمثابة الثواب أو عائد على سيف الدولة ويكون مثاب مفعولاً من الإثابة .

فَتَى الْخَيْلِ قَدْ بَلَ النَّجِيعُ نَحْوَرَهَا يُطَاعِنُ فِي ضَنْكِ الْمَقَامِ عَصِيبُ^(١)
يَعَافُ خَيْسَامَ الرِّيطِ فِي غَزَوَاتِهِ فَمَا خَيْمُهُ إِلَّا غُبَارُ حُرُوبِ^(٢)
عَلَيْنَا لَكَ الْإِسْعَادُ إِنْ كَانَ نَافِعًا بِشَقُّ قُلُوبٍ لَا بِشَقِّ جُيُوبِ^(٣)
فَرُبَّ كَيْتِبٍ لَيْسَ تَنْدَى جُفُونُهُ وَرُبَّ كَثِيرِ الدَّمْعِ غَيْرُ كَيْتِبِ^(٤)

(١) فتى الخيل أى هو « سيف الدولة » فتى الخيل وجلة قد بل النجيع نحورها حال من الخيل ، والنجيع الدم ، وضنك صفة موصوف محذوف أى فى يوم ضيق المقام فالضنك الضيق وعصيب أى شديد واعصوب اليوم والشر اشتد . ويوم عصيب وعصيب شديد وليلة عصبب كذلك ولم يقولوا عصببة ، ولعله مأخوذ من قولك عصب القوم أمر إذا ضمهم واشتد عليهم ويقال لأمعاء الشاة إذا طويته وجمعت ثم جلست فى حوية من حوايا بطنها عصب واحدها عصيب والعصيب أيضاً الرثة تعصب بالأمعاء فتشوى قال حميد بن ثور يصف نساء نشأن بالبادية :

أُولَئِكَ لَمْ يَذَرِينَ مَاسَمَكُ الْقَرْيَ وَلَا عُصْبُ فِيهَا رِثَاتُ الْعَارِسِ^(١)
يقول : إن سيف الدولة أجل مثاب لأنه إذا بلت السماء نحو الخيل فهو فتاها الثابت على الطعان فى مثل ذلك اليوم .

(٢) الريط جمع ريطرة وهى اللامدة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ، وقيل كل ثوب لين رقيق ، ويعاف يكره ، والحيم جمع خيمة يقول : إنه يكره الاستغلال بالحيام للتخذة من النسيج وإنما يستظل بغبار الحروب .

(٣) الإسعاد الإعانة . يقول : إن كانت إعانتنا إليك على هذه الرزية نافعة مجدية أعناك بشق القلوب لا بشق الجيوب وهذا من قول حبيب :

شَقَّ جُيُوبًا مِنْ رِجَالٍ لَوْ اسْطَأَّ عَوَالِشَقُوا مَا وَرَاءَ الْجُيُوبِ
وجيب القصيص ما اتشح منه على النحر .

(٤) يقول : ليس بالسكاه يعلم الحزن ، قرب محزون عصى السمع فلا يبكى ورب بك

(١) العاريس جمع عمروس والعمروس والطمروس الحروف والصب جمع عصيب وهو ما عرفت .

تَسْبَلْ . يَفْكُرْ فِي أُمْنِكَ فَإِنَّمَا بَكَيتَ فَكَانَ الضُّحْكُ بَعْدَ قَرِيبٍ ^(١)
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ نَفْسُ الْكَرِيمِ مُصَابَهَا يُخْبِثُ ثَنَتْ فَاسْتَدَّ بَرْنَهُ بِطَيْبٍ ^(٢)

تنسكب دموعه وليس يحزون . قال الصكبرى : وأخذ هذا البيت مما أنشده أبو طى
في آخر تكملة إيضاحه :

وما كلُّ ذِي لُبٍّ يَوْمِيكَ نَصَحَهُ وما كلُّ مُوْتٍ نَصَحَهُ بَلِيْب
(١) في أيك بفتح الباء كما رواها ابن جنى ، يريد في أبويك ، وهى لغة للعرب
صحيحة فإن بعض العرب يقول في ثنية أب أبان كما قالوا أبوان وفى الإضافة أيك وإذا
جمعت بالواو والنون قالوا : أبون ، قال الشاعر :

فَلَسَا تَيِّبَيْنِ أَصْوَاقَتَنَا بَكَيْنَ وَقَدَّيْنَا بِالْأَيْبَانَا ^(١)

وعلى هذا قرأ بعضهم : إله أيك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق . يريد جمع أب أى أينك
لحذف النون للإضافة يقول : تسلى عن هذا المفقود بالتفكير فى مصابك بأبويك قد
يكبت لفقدها ثم ضحكك بعد ذلك بمدينة وكذلك حزتك لأجل هذا المصاب سيذهب
عن قريب . وعبرة بعض الشراح : تفكر فى آباءك الذين ذهبوا فكل أحد سيذهب
كذهابهم فلا يجب الحزن . وفى معناه :

فَقَضَى لِلْسُومِ عَازِلَتِي فَإِنِ سَيَكْفِينِي التَّجَارِبُ وَانْسَابِي

« يريد لا أنتسب إلا إلى مفقود » ومثله قول لبيد :

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعَكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ
(٢) للصاب هنا مصدر كالإصابة ، والمراد هنا بالحث الجزع وبالطيب الصبر ،
ويقال بات فلان خبيت النفس : أى ثقيلها كره الحال وفى حديث هرقل : فأصبح
يوما وهو خبيت النفس ، أى ثقيلها كره الحال ومنه الحديث : لا يقولن أحدكم خبيت
نفسى ، أى ثقلت وغثت كأنه كره اسم الحث وفاعل ثنت يعود على النفس أى صرفت
الحث ، أو تقول ثنت أى اثنت يقول :

(١) يصف نساء سبعين فوفد عليهن من قومهن من يفاديهن فبكين إليهم وفدينهم
بأبائهن سرورا بوفودهم عليهن .

وَلِلَّوَّاجِدِ الْكَرُوبِ مِنْ زَفَرَاتِهِ سُكُونُ عَزَاهُ أَوْ سُكُونُ لُغُوبٍ ^(١)
وَكَمْ لَكَ جَدًّا لَمْ تَرَ الْعَيْنُ وَجْهَهُ فَلَمْ تَجْزِ فِي آفَاكِهِ بِغُرُوبٍ ^(٢)
فَدَتِكَ نَفُوسُ الْخَاسِدِينَ فَإِنَّهَا مُصَدَّبَةٌ فِي حَضَرِهِ وَمَغِيبُ
وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَحْسُدُ الشَّمْسَ نُورَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْنِي لَهَا بِضَرِيبٍ ^(٣)

إذا استقبل الكريم إصابة الدهر إياه بالجزع راجع عقله بعد ذلك فاعتصم بالصبر لعله أن الجزع لا يفيد. قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء لم يحزن لورود الفجائع لعله أنه من كونها فهان عليه ذلك ليجز السكل عن دفع ذلك .

(١) الواجد المحزون ، والزفرة تصيد النفس بعد مده ، واللغوب الإعياء . يقول : لا بد للمحزون من سكون فلما أن يسكن عزاء وإلا سكن إعياء ، فالعاقل من يتعزى ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

أَتَصْبِرُ لِلْبَلَاءِ عَزَاءً وَحِسْبَةً فَتُؤْجِرَ أَمْ تَسْلُو سُلُوَ الْبَهَائِمِ
ويقول محمود الوراق .

إذا أنت لم تَسْلُ اصْطِبَاراً وَحِسْبَةً سَلَوْتَ عَلَى الْأَيَّامِ مِثْلَ الْبَهَائِمِ

(٢) كم ههنا خبرية بمعنى كثير والواجب خفض تمييزها ولكنه نصب جدا هنا لوجود فاصل بينها وبين معمولها فبطل الخبر . وغروب جمع غرب وهو السمع يقول : كم لك من جد لم تره عينك فلم تبك عليه فهب هذا مثلهم لأنه قد غاب عنك ، والغائب عن قرب كالغائب الذي طال عليه العهد . قال الخطيب : وهذا للمعنى مدخول لأن أجداده لم يرهم ولم يعرفهم ويمالك قد رآه وعرفه ورثاه . أقول : وقد الخطيب واضح وفي محله كما ترى .

(٣) من يحسد مبتدا مؤخر ، وفي تعب خبر مقدم ، ونورها بدل من الشمس أو مفعول ثانٍ ليحسد ، وأسكن الياء من يأتي ضرورة . وأكثر ما يكون ذلك في الياء والواو . والضريب النظير يقول : مثل حسادك معك مثل من يريد أن يأتي للشمس بنظير وهذا في تعب لازب لأنه يعالج الحال وكذلك حسادك لأنه لا نظير لك كالشمس .

وقال يمدحه ويذكر بناء مَرَعَشَ سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رِبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَرْبًا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْقَرْبَا^(١)
وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا فَوَإِذَا لِمِرفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَا^(٢)
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَفْسِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا^(٣)
نَذِمُ السَّحَابَ الْفُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا^(٤)
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا^(٥)

(١) يخاطب ربيع الحبيب ويدعو له . وقوله من ربع تميز ، ومن زائدة ، والربع المنزل متى كان وبأى مكان كان ، أما المربع ومثله المربع والمربع فهو للوضع الذى ينزل فيه أيام الربيع يقول : فديناك أيها الربع من أحداث الدهر ونوابه برغم أنك زدتنا وجدا بما جئت من ذكرى الحبيب الذى كان فيك كالشمس يخرج منك ويعود إليك وكنت له كالشرق حين يظهر وكالغرب حين يختبئ .

(٢) يتعجب من معرفته آثار ديار الحبيب بعد أن سلبه قلبه وعقله ولم يدع له سبيلا إلى إدراك الأشياء ، ويدع روى بالياء وبالتاء ، فمن روى بالياء فهو على لفظ من ، ومن روى بالتاء حمله على المعنى لأن المقصود بمن ، امرأة .

(٣) الأكوار جمع كور وهو رحل البحر ، وأن نلم مؤول بمصدر مجرور بمن محذوفة صلة كرامة أى كرامة عن أن نلم بركبانا ، ونلم نزل يقول : لما أتينا هذا الربع نزلنا عن رواحلنا وترجلنا كرامة للحبيب — الذى كان فيه ثم زايله — وتقديسا له أن نزل بربعه راكبين وقد أوضح هذا المعنى السرى الرفاء بقوله :

حُيِّتَ مِنْ طَلَلٍ أَجَابَ دُثُورُهُ يَوْمَ الْعَقِيقِ سَوَّالَ دَمْعِ سَائِلِ

نَحْنُ وَنَزَلَ وَهُوَ أَعْظَمُ حَرَمَةٍ مِنْ أَنْ يُذَالَ بِرَاكِبٍ أَوْ نَاعِلِ

(٤) السحاب جمع ، ومن ثم جاز وصفه بالقر : أى البيض : وإنما قال القر لأنها كثيرة الماء يقول : نذم السحاب لأنها عفت الربع وغيرت معاله بما ينهل منها من المطر وإذا طلعت عليه أعرضنا عنها وأشحنا بوجوهنا عتبا عليها لتعفيتنا الرسوم وفعلها بها ما فعلت .

(٥) هذا البيت متصل بالذى قبله يقول : نحن نذم السحاب لما تفعل بالربع ولا حق

وَكَيْفَ التَّذَاذِي بِالْأَصَائِلِ وَالضُّحَى إِذَا لَمْ يَمُدْ ذَلِكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّ^(٥)
ذَكَرْتُ بِهِ وَصَلًا كَانَ لَمْ أَفُزْ بِهِ وَعَيْشًا كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثَبًا^(١)

لنا في هذا الذم لأن من صحب الدنيا وطال امتراسه بها تعلبت أحوالها عليه حتى يرى ما اطمأن إليه من صفاتها ونعيمها قد تغير وحال عما كان عليه كأن لم يغب بالأمس ، وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِيَبَّ تَكَشَّفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : ليس ترداد حركات الفلك إلا تحيل الكائنات عن حقائقها .

(١) يقول : كيف ألتذ بالعشايا والغدايا إذا لم أستشق ذلك النسيم الذي كنت أجده من قبل : يعنى نسيم الحبيب ونسيم أيام الشباب والوصال ، والأصائل جمع أصيل على غير قياس وهو ما بين العصر إلى المغرب — والضحى قال الجوهري : مقصور تؤنث وتذكر ، فمن أنت ذهب إلى أنه جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتفر وهو ظرف غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى إذا أردت به ضحا يومك لم تنونه . وقال ابن برى : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : وهو حين تشرق الشمس ثم بعده الضحاء ثمودود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، وقيل : الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار .

(٢) يقول : تذكرت بهذا الربع وصلا قصرت أيامه حتى كأنه لم يكن لسرعة انقضائه ، وعيشا وشيك الانقطاع كأني قطعت بالوثوب ، ووثب قفز وطفز ، ومن قولهم وثب إلى الشرف وثبا : أى وصل إليه دفعة واحدة . قال ابن جنى : يريد قصر أوقات السرور ، ومن بدع ما قيل في قصر أوقات السرور قول الوليد بن يزيد :

لَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَغْيِيرًا لَمَّا صَنَعْتَ نَامَتْ وَقَدْ أَسْهَرْتَ عَيْنِي عَيْنَاهَا

فالليل أطول شيء حين أفقدها والليل أقصر شيء حين ألقاها

والشعراء أبدآ يذكرون قصر أوقات السرور وأيام اللهو ، وسرعة زوالها وانقضائها فمن ظريفه قول بعض العرب :

وَفَتَانَةٌ الْعَيْنَيْنِ قَتَالَةٌ الْهَوَى إِذَا نَفَعَتْ شَيْخًا رَوَّاعُهَا شَبَابٌ^(١)
لَهَا بَشَرُ الدَّرِّ الَّذِي قُلِّدَتْ بِهِ وَلَمْ أَرْ بَدْرًا قَبْلَهَا قُلِّدَ الشُّبُهَاتُ^(٢)

ليلي وليلي نفي نومي اختلافهما حتى لقد تركاني في الهوى مثلاً
يجودُ بالطولِ ليلي كلما نخلت بالطول ليلي وإن جادت به بخلا
وفي هذا البيت من الجنس الذي ترى ما يعجز عنه . وقال البحرى :
فَلَا تَذْكُرْ أَعْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ تَقْضَى وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ ذَلِكَ الْمَصْرُ
وما أبدع ما يقول الرضى :

يَا لَيْلَةَ كَادَ مِنْ تَقَاصُهَا أَنْ يَفْتَرَّ فِيهَا الْمَشَى بِالسَّحَرِ
وقال بعضهم :

فَلَمَّا لَنَا عِنْدَ دَارِ أَبِي نَعِيمٍ يَوْمٌ مِثْلُ سَالِفَةِ الذَّبَابِ
شبهه في القصر بعنق الذباب ، ومثله لجرير :

وَيَوْمٌ كَأَبْهَامِ الْقِطَاةِ مَزِينٍ إِلَى صِبَاهِ غَالِبٍ لِي بَاطِلُهُ
وما أحسن قول إبراهيم بن العباس :

لَيْلَةٌ كَادَ يَلْتَقِي طَرَفَاهَا قِصْرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْمِيلَادِ
ويقول متمم بن نويرة :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ تَنْبِتْ لَيْلَةٌ مِمَّا

(١) النفع تضوع رائحة الطيب يقال نفع الطيب ونفعت رائحة الطيب وعدى
النفع على المعنى كأنه قال إذا أصابت روائحها شيخاً شب ، وفاتنة عطف على وصلا في
البيت قبله : أى وذكرت به فتانة يقول : وذكرت امرأة تفتن عيناها ويقتل هواها إذا
فغمت روائحها شيخاً تصابي وعاد شاباً وهذا مثل قول الصنوبرى :

بِلَفْظٍ لَوْ بَدَأَ لِخَلِيفٍ شَيْبٍ لِفَارَقِهِ وَعَادَ إِلَى شَبَابِهِ

(٢) البشر جمع بشرة وهى ظاهر الجلد ، والدَّرُّ اللَّأْيَاءُ الْعِظَامُ ، والشهب الدرارى
من النجوم ؛ يقول : إن لونها مثل لون الدر الذي تقلده ، وهى كالدر حسناً وجالاً ،
وقلائدها كدرارى النجوم ولم أرقبها بدراً قلد النجوم .

فَمَا شَوْقٍ مَا أَبْقَى وَيَالِي مِنَ النَّوَى وَيَادَمْعَ مَا أَجْرَى وَيَا قَلْبَمَا أَصْبَى^(١)
لَقَدْ لَمِبَ الْبَيْنَ الْمَشْتَبَهَا وَي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضُّبَا^(٢)
وَمَنْ تَكُنِ الْأَسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحًا وَمَطْعَمُهُ غَضْبًا^(٣)

(١) ويالى : يروى وبالى بالموحدة ، والنوى البعد . يقول : فياشوقى ما أبهاك
فلست تنفد ويا من لى بمنعنى من ظلم الفراق ويادعى ما أجراك وياقلبي ما أفساك وأشوقك
وقد حذف كما ترى يا آت الإضافة من شوق ودمع وقلب تخفيفاً لأن الكسرة تدل عليها
ولك أن تقرأ شوق ودمع وقلب مبذية على الضم على أنها مفردة أى غير مضافة إلى ياء
التسكيم وحذف الكاف للنسوبة من أبقى وأجرى وأصبي للمخاطبة التى قبلها بالدعاء .
وقوله ويالى استغناء قال العكبرى قوله ويالى يحتمل أن يكون أراد اللام المفتوحة التى
للاستغناء كأنه استغاث بنفسه من النوى ، ويحتمل أن يكون أراد اللام المكسورة التى
للمستغاث من أجله كأنه قال : يا قوم اعجبوا لى من النوى .

(٢) البين البعد ، والمشت الفرق ، والضب حيوان من الزحافات معروف يضرب
به المثل فى الحيرة ، يقال : أحمير من ضب لأنه إذا خرج من جحره لا يهتدى إليه عند
أوجهه يقول : لعب الفراق بشملنا وزودنى الضلال والحيرة فلا أهتدى إلى وجهه وليس
إلى لقاء الحبيب من سبيل ، وقيل إن المراد كما أن الضب لا يتزود فى المفازة لأنه لا يحتاج
إلى الماء أبداً فكذا لم يزودنى الفراق شيئاً أى أنه لم يودع حبيته وفارقها من غير
وداع ولا التقاء فيكون التوديع زاداً كما قال بعضهم :

زَوَّدَ الْأَحْبَابُ لِلْأَحْبَابِ ضِحًّا وَالتَّزَامًا

وَسُلَيْمَى زَوَّدَنِي يَوْمَ تَوَدَّعِي السَّقَامَا

وقال ابن فوزه : يريد زودنى الضلال عن وطنى الذى خرجت منه فما أوفى إلى
العود إليه والاجتماع مع الحبيب والضب يوصف بالضلال وقلة الاهتمام وعبارة الواحدى
يجوز أن يكون المعنى أن الضب مكانه المفازة فلا يتزود إذا انتقل منها بقوله : أنا فى البين
مقيم إقامة الضب فى المفازة وليس من عادة المقيم أن يتزود فالسير والبين كأنهما منزل
لإلنى إياها .

(٣) الضواري المضرة واللولعة بالصيد . يقول : من كان من نسل الشيطان وكان
آبؤه كالأسد كان هو كذلك وعاش عيشة الأسود وإذن يكون الليل له نهراً فلا تعوقه

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِ الْعَلَا أ كَانَ تَرَانَا مَا تَنَاولْتُ أَمْ كَسْبًا^(١)
فَرُبَّ غُلَامٍ عَلمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا^(٢)
إِذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلْكَةٍ كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفُ وَالسَّكْفُ وَالْقَلْبَا^(٣)
تِهَابُ سَيْفِ الْهِنْدِ وَهِيَ حَدَائِدُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ نِزَارِيَّةً عُرْبَا^(٤)

الظلمة عن بلوغه مآربه . وكان مطعمه مما يأخذه من أعدائه قهراً ، قال ابن جني : قوله
يكن ليله صباحاً من قول الآخر :

فَبَادِرِ اللَّيْلَ وَلَدَّاتِهِ فَإِنَّمَا اللَّيْلُ نَهَارُ الْأَرِيبِ

(١) كأنه يعتذر من الغضب الذي ذكر في البيت السابق . يقول : إذا أدركت معالي
الأمر فلست أبالي بعد إدراكها أ كان ما يحصل في يدي إرثاً أم كسباً فالتراث المال
الموروث : قال بعض الشراح : وكان الوجه أن يقول أترانا كان لأن الهمة لا يليها إلا
المستول عنه فأخره لإقامة الوزن .

(٢) قرب غلام يعني نفسه يقول : إن المرء يمكنه أن يعلم نفسه المجد وإن لم يكن له
من يعلّمه كما علم سيف الدولة نفسه الطعن والضرب ومجالد الأبطال بشجاعته وحذقه ،
ويروى * كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الضَّرْبَا * أي كما علم أهل دولته الطعان والنزال .
والرواية الأولى أظهر ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي ، وقيل لا يكون إلا
بالآباء والظاهر أنه مأخوذ من قولهم مجدت الإبل إذا شبت وامتلات بطونها علفاً
وأعجدها راعها ويقال من هذا أعجد فلان عطاءه ومجده إذا كثره ، ولما كان من أساس
المجد كثرة المسائر والمسامي كان مأخوذاً من ذلك .

(٣) يقال : كفيته الأمر أعنته عليه وقت به دونه ، وقد استكفاني أمره فكفيته
وعدها هنا بالباء على تضمينه معنى استعانت به يقول : إن الدولة إذا استعانت به في أية
 مهمة أو نازلة كفها وبلغت به وحده ما تريد فكان سيفاً لها على أعدائها وكفا تضرب
بها وقلبا تفتح به الأهوال ؛ قال العكبري : يريد بهذا أن يفضل على سيف الحديد فإنه
لا يعمل بنفسه ولا يعمل إلا بضارب ، وسيف الدولة يعمل بنفسه .

(٤) يقول : إن السيف تهاب مع أنها حديد لا عقل لها ولا قوة إلا بالضارب بها
 فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية ؟ أي تقطع بنفسها دون
استعانة بغيرها ، وسيف الدولة عربي نزاری ، فيكون أحق بالخوف منه .

وَيُرْهَبُ نَابُ اللَّيْثِ وَاللَّيْثُ وَحَدَهُ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ اللَّيْثُ لَهُ صَحْبًا^(١)
وَيَخْشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَيْنَ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَبَا^(٢)
عَلِيمٌ بِأَمْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللَّسَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكَتَبَا^(٣)
فَبُورِكَتَ مِنْ غَيْثٍ كَانَ جُلُودَنَا بِهِ تُنْفِثُ الدِّيَابَجَ وَالْوَشَى وَالْعَصْبَا^(٤)
وَمِنْ وَاهِبٍ جَزَلًا وَمِنْ زَاجِرٍ هَلَا وَمِنْ هَاتِكَ دِرْعَاوَمِينَ نَاطِرٍ قُصْبَا^(٥)
هَنِيئًا لِأَهْلِ الثَّغْرِ رَأْيُكَ فِيهِمْ وَأَنْتَ حِزْبُ اللَّهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبَا^(٦)

(١) يقول : إن الليث يرهب إذا كان وحده فلا يجترئ أحد على مواجهته فكيف إذا كان معه ليث آخرون ؟ يريد سيف الدولة وأصحابه .

(٢) عباب البحر تراكم أمواجه وشدتها ويغشى يغطي وعب زخر وتدفق وقد سمى الفرس الشديد الجرى والنهر الشديد الجريان يعبوا من ذلك يقول : والبحر تخاف أمواجه وهو مكانه فكيف الظن بمن إذا زخر وماج عم البلاد .

(٣) التي جمع لثة يقول : هو عليم بخفيات الديانات واللغات ، يعلم منهما ما لا يصل إليه غيره ، وله في ذلك خطرات تفضح العلماء وكتبتهم لأنهم لم يبلغوا في العلم ما يجرى على خاطره .

(٤) يقال : بورك وبورك لك وبورك فيك وبورك عليك يدعو له بالبركة والنماء ومن غيث تميز والديابج فارسي معرب وهو الثوب الذي سدها ولحته حرير والوشى الثوب فيه ألوان شتى والعصب ضرب من برود اليمن يقول : إنك تخلع علينا هذه الثياب فكأنك غيث تمطر علينا فتبت جلودنا هذه الثياب فبارك الله عليك غيثا .

(٥) الجزل الكثير وهلا اسم صوت تزجر به الخيل والقصب المني والجمع أُنصاب ؛ وفي الحديث : الذي يتخطف رقاب الناس يوم الجمعة كالجار قصبه في النار قيل اسم للأعماء كلها ، وقيل : هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء يقول : وبوركت من رجل يهب المطاء جزلا ويزجر الخيل يستحثها ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ويشق الأمعاء فينثرها .

(٦) رأيك مرفوع بفعله وفعله هنيئًا وأصله ثبت رأيك هنيئًا لهم لحذف الفعل وأقيم الحال « هنيئًا » مقامه فصارت تعمل عمله ، وحزب الله منادى أو منصوب على الاختصاص يقول : ليهنهم حسن رأيك فيهم وأنت صرت لهم حزبا — أى أعوانا وأنصاراً — في حال أنك حزب الله .

وَأَنْتَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَبَّهٗ فَإِنْ شَكَ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبًا^(١)
 فَيَوْمًا بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمْ وَيَوْمًا بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجُدْبَا^(٢)
 سَرَايَاكَ تَتَرَى وَالْدُّمُسْتَقُ هَارِبُ وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى^(٣)
 أَنَّى مَرَعَشًا يَسْتَقْرِيبُ الْبُعْدَ مُقْبِلًا وَأَذْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا^(٤)
 كَذَا يَتْرُكُ الْأَعْدَاءُ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَّا وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيَّتُهُ رُعْبَا^(٥)

(١) وأنت عطف على وأنتك حزب الله في البيت السابق والضمير في فيها وفي بساحتها للأرض وأرجعه إلى غير المذكور على حد قوله تعالى « كل من عليها فان » ورعت أفزعت وربب الدهر صروفه وحوادثه . يقول : هنيئاً لأهل الثغر أنتك صرت لهم حزبا وأنتك فعلت في الأرض أفعالا أفزعت الدهر وصروفه ، فإن شك الدهر في قولى فليحدث في الأرض خطبا . يعنى أن الناس آمنون من تصارييف الدهر فليس في استطاعته أن يمسم بسوء هية لك .

(٢) عنهم : أى عن أهل الثغر . والجذب : القحط .

(٣) السرايا جمع سرية وهى الجماعة من الجيش سميت كذلك قيل لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السرى أى النفيس وقيل لأنهم ينفذون سرا وخفية وتترى متواترة متتابعة وبينها فجوات وفترات قال تعالى « ثم أرسلنا رسلا تترى » وهو معلوم أن بين كل رسولين فترة قال الجوهري تترى فيها لفتان تلتون ولا تلتون فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها ألف تأنيث وهو أجود وأصلها وترى من الوتر وهو الفرد ومن نونها جعلها ملحقة والمراد هنا القى يخلف بعضها بعضا ونهى أى منهوبة والدستق اسم لقائد الروم .

(٤) مرعش حصن من أعمال ملطية ؛ يقول : أتى الدستق هذا الثغر مهزوزاً نشيطاً مبتهجا يجد البعيد قريبا فلما أقبلت عليه ولى مدبراً وهو يرى القريب بعيداً خوفاً وذعراً أن تدركه ، قال العكبرى : ولقد أحسن القائل الناظر إلى هذا المعنى :

والله ما جشتم زائراً إلا رأيت الأرض تطوى لي
 ولا اثنى عزيمى عن بابكم إلا تمثرت بأذلي

(٥) يقول : كذا من أقدم على الحرب وهو يكره الجلاذ جينا يترك أعداءه ويخيم

وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللَّقَانِ وَقُوفُهُ صُدُورَ الْعَوَالِي وَالْمُطَهَّمَةِ الْقَبَا^(١)
مَضَى بَعْدَ مَا التَفَّ الرَّمَا حَانَ سَاعَةٌ كَمَا يَتَلَقَّى الْهَذَبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهَذَبَا^(٢)
وَلَسِكَتُهُ وَلَّى وَلِلطَّنِّ سَوْرَةٌ إِذَا ذَكَرَتْهَا نَفْسُهُ لَمَسَ الْجُنْبَا^(٣)
وَحَلَّى الْعَذَارَى وَالْبَطَارِيقَ وَالْقُرَى وَشُعَثَ النَّصَارَى وَالْقَرَائِينَ وَالصُّلْبَا^(٤)

عن اللقاء وينكس على عقبيه وكذا يرجع عن الحرب من لم يغم سوى الرعب : أى
أن المستقعد مرعوباً فكان الرعب له بمنزلة القنينة لغيره .

(١) اللقان تمر ميلاد الروم « الأناضول » والعوالى من الرماح ما دخل في السنان
إلى ثلثه والحيل للمطهمة الثامة الخلق والقب جمع أقب وهو الضاصر البطن ووقوفه فاعل
رد ؛ قال الواحدى : كان المستقعد أقام باللقان فلما أقبل سيف الدولة انهزم . يقول :
فهل أغنى عنه وقوفه وهل رد عنه الرماح والحيل الحسان الضامرة .

(٢) يريد بالرمحين رماح الفريقين فتى الجمع كما قال أبو النجم :

بين رماحين مالك ونهشل

والهذب : أشجار العيون ، يقول : انهزم بعد أن تشاجرت الرماح ساعة كما تختلط
الأهداب الأعلى والأسافل عند الرقاد وهذا مثل قول بعضهم :

بأ التقينا بمحمد ربّي إلا مثل ما تلتقى جفون السليم

(٣) السورة الحدة يقول : ولكته انهزم وللطن في أصحابه حدة إذا تذكرها
لمس جنبه قائلا : هل أصابه شيء منه ؟ أى أنه انهزم مدهوشا مرعوبا لا يدرى ما حاله
وهل أصابته طعنة نافذة ؟ قال بعض الشعراء : إنه هرب وبقي من دهشه لا يدرى
ما صنع فكان يمس جنبه هل يجد روحه بين جنبيه من الدهول والفرع وهذا من
قول أبي نواس :

إذا تفكرت في مَـوَائِ لَه مَسَّيْتُ رَأْسِي هَلْ طَارَ عَن بَدَنِى

(٤) العذارى جمع عذارى وهى البكر من النساء والبطاريق جمع بطريق وهم
قواد الروم والشعث جمع أشعث وهو المغبر الرأس والمراد بهم هنا الرهبان والقرايين جمع
قريان وهو ما يتقرب به إلى الله والمراد هنا خاصة الملك والصلب جمع صليب وسكن اللام
على لنة تميم يقول : إنه انهزم وترك هؤلاء ولم يلتفت إليهم لهول ما رأى .

أَرَى كُلَّنَا يَبْنِي الْحَيَاةَ لِنَفْسِهِ حَرِيصًا عَلَيْهَا مُسْتَهَامًا بِهَا صَبًّا^(١)
فَحُبُّ الْجَبَانِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الثَّقَى وَحُبُّ الشُّجَاعِ النَّفْسَ أَوْزَدَهُ الْحُرِّيَا^(٢)
وَيَخْتَلِفُ الرِّزْقَانِ وَالْفِعْلُ وَاحِدٌ إِلَى أَنْ يُرَى إِحْسَانُ هَذَا لِذَا ذَنْبًا^(٣)

(١) المستهام الذى ملك عليه العشق أمره فهم على وجهه ، والصبابة رقة الشوق :
يقول : كل منا يطلب الحياة عاشقا لها محبا حريصا عليها .

(٢) يقول : كل من الجبان والشجاع سواء فى حب النفس وإن اختلف فعلهما
فالجبان جبا لنفسه وإبقاء على حياته اتقى الحرب وترك القتال والشجاع إنما أقدم على
الحرب دفاعا عن نفسه وذودا عن مهجته لأنه يخاف على نفسه العدو إن هو قعد عن
الحرب أو لأنه إذا أرى من نفسه الشجاعة تحاماه الناس واتقوه فكان فى ذلك بقاؤه
كما قال الحماسى — الحصين بن الحمام — :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
وتقول الحسناء .

نُهِنَ النَّفْسُ وَهَوْنَ النَّفْسُ يَوْمَ الْكُرْهِةِ أَبْقَى لَهَا

وروى أن الصديق رضى الله عنه قال لخالد بن الوليد — وقد ودعه لحرب أهل
الردة — : احرص على الموت توهب لك الحياة ، ومعناه إما أن الشجاع مهيب مرهوب
لا يحام حوله ، وإما أن ذكره يبقى بعده فيكون كأنه حى كما قال حبيب :

سَلَفُوا يَرَوْنَ الذِّكْرَ عُقْبًا صَالِحًا وَمَضُوا يَعْدُونَ الثَّنَاءَ خَسِلُودًا

وإما أنه إذا استشهد صار حيا كما قال تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل
الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » قال المكبرى : وهذا البيت من الحكمة ،
قال الحكيم : النفس للتجوهرة تأبى مقارنة الدل كل الإباء وترى فناءها فى طلب العز
حياتها : والنفس الدنيئة على الضد من ذلك ، وروى بدل النفس الحرب .

(٣) قال الواحدى . يقول : إن الرجلين ليفعلان فعلا واحدا فيرزق أحدهما بذلك
الفعل ويحرم الثانى حتى كأن إحسان المرزوق ذنب للمحروم ومثاله ذلك أن يحضر الحرب
اثنان ينفهم أحدهما ويحرم الآخر لحضور الحرب إحسان من الغائب ذنب للمحروم وكلاهما
فعل فعلا واحداً وكذلك مسافران مثلا سافرا فربح أحدهما وخسر الآخر فيعد السفر
من الراجح إحسانا يحمد عليه ومن الخاسر ذنبا يلام عليه وهذا كما أنشده ابن الأعرابى :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ويعطى المني من حيث يحرم صاحبه
وفي هذا — أسعدك الله — من الدلالة على القضاء وكونه ولعبه بالإنسان وعلى الحظ
وأثره في تصرفات الناس مالا سبيل إلى إنكاره ونورد هنا بعضاً مما قاله الشعراء مما
يتصل بهذا الباب وهو باب واسع جداً . قال رهين الحبسين :

لا تَطْلُبَنَّ بِالْأَلِّ لَكَ رُتْبَةً قَلَمُ الْبَالِغِ بَغِيرَ حَظٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السَّامِكَانَ السَّمَاءَ كَلَامَهَا هَذَا لَهُ رُوحٌ وَهَذَا أُغْزَلُ
وقال :

سَيَطْلُبَنِي رِزْقُ الَّذِي لَوْ طَلَبْتُهُ لَمَا زَادَ وَالْدُّنْيَا حُظُوظَ وَإِقْبَالُ
إِذَا صَدَقَ الْجَدُّ افْتَرَى الْعَمُّ لِلْفَتَى مَكَارِمَ لَا تُكْرَى وَإِنْ كَذَبَ الْخَالُ
« الجد هنا الحظ والعم الجماعة . وتكرى من أكرى الزاد إذا نقص ، واقتري
كذب والخال الخيلة » . ويقول أبو تمام :

يُنَالُ الْفَتَى مِنْ دَهْرِهِ وَهُوَ جَاهِلٌ وَيُكْدَى الْفَتَى فِي دَهْرِهِ وَهُوَ عَالِمٌ^(١)
وَلَوْ كَانَتْ الْأَرْزَاقُ تَأْتِي عَلَى الْحِجَا إِذَنْ هَلَكْتَ مِنْ جَهْلِهِنَ الْبَهَائِمُ
ويقول أبو إسحاق الصبائي :

إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ صِنَاعَةً فَأَجَبْتَ أَنْ تَدْرِيَ الَّذِي هُوَ أَحْدَقُ
فَلَا تَتَفَقَّدْ مِنْهُمَا غَيْرَ مَا جَرَتْ بِهِ لَهَا الْأَرْزَاقُ حِينَ تَفَرَّقُ
لَخَيْثُ يُكُونُ الْجَهْلُ فَالرِّزْقُ وَاسِعٌ وَحَيْثُ يُكُونُ الْعِلْمُ فَالرِّزْقُ ضَيِّقُ
وقال الإمام الشافعي :

لَوْ أَنَّ بِالْحَلِيلِ الْفَتَى لَوْ جَدْتَنِي بِنَجُومِ أَفْلَاكِ السَّمَاءِ تَعْلَقُ
لَكِنَّ مِنْ رُزْقِ الْحِجَا حُرْمَ الْفَتَى ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَى تَفْرُقُ

(١) أكدى الرجل خاب ولم يظفر بشيء وأصله من حافر البئر ينتهى إلى كدية
أى صخرة صلبة — فلم يمكنه الحفر فتركه .

فَأَضَحَّتْ كَأَنَّ السُّورَ مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ إِلَى الْأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبُ وَالتُّرَابُ (١)
تَصُدُّ الرِّيحَ الْهَوَجُ عَنْهَا مَخَافَةً وَتَنْزَعُ مِنْهَا الطَّيْرُ أَنْ تَلْقُطَ الْحَبَّ (٢)

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَحْرُومًا أَنَّى مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ فَفَاضَ فَصَدَّقِ
أَوْ أَنْ مَحْظُوفًا غَدَاً فِي كَفِّهِ عُدَّ فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْهِ فَخَفَّقِ
وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ بُوُسُّ اللَّيْبِ وَطَيْبُ عَيْشِ الْأَحْقِ
وَالْإِشَارَةُ فِي قَوْلِ الْمُتَنَبِّ هَذَا وَلِذَا لِلْمَرْوُوقِ وَالْمَحْرُومِ الْمَقْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ
وَيُخْتَلَفُ الرِّزْقَانِ .

(١) فَأَضَحَّتْ أَيُّ قَلْعَةٍ مَرَعَشٍ يَقُولُ — كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْخَطِيبِ وَتَابِعَهُ جَمَاعَةٌ
مِنَ الشَّرَاحِ — : إِنْ هَذِهِ الْقَلْعَةُ لَعُلَّوْهَا فِي الْجَوِّ كَأَنَّهَا ابْتَدَتْ بِهَا مِنَ الْجَوِّ فَأَسْتِ هُنَاكَ
فَنَشَقَّتْ الْكَوَاكِبُ وَالتُّرَابُ : يَعْنِي الَّذِي ارْتَفَعَ مِنْهَا إِلَى الْجَوِّ حَوَالِهَا فَكَأَنَّهَا مَقْلُوبَةٌ أَسْفَلَ
فِي السَّمَاءِ وَأَعْلَى حَائِطِهَا إِلَى الْأَرْضِ. وَرَوَى ابْنُ جَنِّي مِنْ فَوْقِ رِفْعِ الْقَافِ وَبَدْوُهُ بِالرَّفْعِ
أَيْضًا جَعَلَ فَوْقَ مَعْرِفَةٍ وَبَنَاءٍ كَقَبْلٍ وَبَعْدٍ وَأَرَادَ فَوْقَهُ فَلَمَّا حَذَفَ الْمَاءَ بَنَاءَ كَقَبْلٍ وَبَعْدٍ
وَرَفْعَ بَدْوُهُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ : عَلَى رِوَايَةِ ابْنِ جَنِّي لَا يَسْتَقِيمُ لَفْظُ الْبَيْتِ وَلَا
مَعْنَاهُ لِأَنَّهُ — أَيُّ الْمُتَنَبِّ — يَقُولُ : أَضَحَّتْ هَذِهِ الْقَلْعَةُ — يَعْنِي مَرَعَشًا — كَأَنَّ سُورَهَا
مِنْ فَوْقِ بَدْنِهِ أَيُّ مِنْ أَعْلَى ابْتِدَائِهِ قَدْ شَقَّ الْكَوَاكِبُ بَعْلُوهُ فِي السَّمَاءِ وَشَقَّ التُّرَابُ
بِرْسُوخِهِ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ كَقَوْلِ السَّمَوَالِ :

لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُهُ مِنْ نَجِيرِهِ مَنِيْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَالْيَلِ

رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَاءُهُ إِلَى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يَرَامُ طَوِيلٌ

(٢) تَصُدُّ تَعْرِضُ وَالْمَوْجُ جَمْعُ هَوَجَاءٍ وَهُوَ الرِّيحُ الْحَمَاءُ الَّتِي تَارَةً تَأْتِي مِنْ هُنَا
وَتَارَةً تَأْتِي مِنْ هُنَا وَعَنْهَا مُتَعَلِّقٌ بِتَصَدُّ وَمَخَافَةٍ مَفْعُولٌ مِنْ أَجْلِهِ وَأَنْ تَلْقُطَ فِي مَوْضِعٍ
نَسَبَ عَلَى حَذْفِ حَرْفِ الْجُرْأَيِ مِنْ أَنْ تَلْقُطَ : يَقُولُ : إِنْ الرِّيحُ الْهَوَجُ تَعْرِضُ عَنْهَا
مَخَافَةً أَنْ تَعْجِزَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى أَعْلَاهَا وَكَذَلِكَ الطَّيْرُ تَحْسُ مِنْ نَفْسِهَا الْعِجْزَ عَنِ
الْارْتِقَاءِ إِلَيْهَا وَالتَّقَاطُ الْحَبُّ مِنْ ذَرَايَا وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْحَسَنِ الْجَرَجَانِيُّ : يَرِيدُ أَنَّ
الرِّيحَ لَا تَدْنُو مِنْهَا خَوْفًا مِنْ تَثْقِيفِ سِيَاسَتِهِ وَالطَّيْرُ لَا تَقَعُ عَلَيْهَا خَشْيَةً أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهَا

وَتَرَدَّى الْجِيَادُ الْجُرُودُ فَوْقَ جِبَالِهَا وَقَدْ نَدَفَ الصَّنْبُرُ فِي طَرَقِهَا الْمُطْبَا^(١)
كُنِيَ عَجَبًا أَنْ يَمَجَّبَ النَّاسُ أَنَّهُ بَنَى مَرَعَشًا تَبَا لَا رَأْيَ لَهُمْ تَبَا^(٢)

إذا هي التقطت الحب ما توجه حال التناول من دون إذن ، وهذا المعنى منقول من قول حبيب :

فَقَدْ بَثَّ عَبْدُ اللَّهِ خَوْفَ انتقامِهِ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا تَدِبُّ عَقَارُبُهُ
وهو كقول الآخر :

وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها للجن سارى
(١) تردى من الرديان وهو ضرب من العدو ترجم فيه الجياد الأرض بموافرها ،
والجرود اقصار الشعر وهو من آيات العتق والكرم ، والصنبر السحاب البارد الريح
في غيم وأيضاً اسم اليوم الثانى من أيام العجوز قالوا وهى سبعة أيام وأنشدوا لابن أحرر
وقيل لابن شبل الأعرابي :

كُسِعَ الشَّتَاءُ بِسَبْعَةِ غُرٍ أَيَّامَ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْرِ
فَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُهَا وَمَضَتْ صِنْ وَصَنْبُرٌ مَعَ الْوَبْرِ
وَبَأَمِيرٍ وَأَخِيهِ مُؤْتَمِرٍ وَمُعَلَّلٍ وَمُطْفِئِ الْجُمْرِ
ذَهَبَ الشَّتَاءُ مُؤَلِّيًا هَرَبًا وَأَتَتْكَ وَافِدَةٌ مِنَ النَّجْرِ^(١)

يقال إن عجوزاً كان لها سبعة أولاد خرج كل واحد منهم فى يوم من هذه الأيام
فقتله البرد . والعطب القطن والعطب مثله كسر وعسر .
قال الشاعر :

كَأَنَّهُ فِي ذُرَى عَمَائِهِمْ مُوَضَّعٌ مِنْ مَنَادِفِ الْمُطَبِّ
يقول : خيلك تعدو فوق جبال هذه القلعة وقد امتلأت طرقها بالثلج الذى كأنه
قطن ندفه فيها برد الشتاء وصقيعه .

(٢) أن يعجب فاعل كنى وعجبا تمييز وتبا : أى خسرا وهلاكاً . يقول : من العجب

(١) السكسح شدة اللز ، يقال كسعه بكذا وكذا إذا جله تابجاً له ومذهبا به والسهلة
العجوز . والنجر : الحر . وكل شهر فى صميم الحر ناجر للعطش الذى يسببه
(١٣ — انتهى ١)

وَمَا الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْأَنَامِ وَبَيْنَهُ إِذَا حَذَرَ لَلْحَذُورَ وَاسْتَنْصَبَ الصَّنْبَا^(١)
لَأَمْرٍ أَعَدَّتْهُ الْخِلَافَةُ لِلْعِدَا وَتَمَتَّتْهُ دُونَ الْعَالَمِ الصَّارِمِ الْمَضْبَا^(٢)
وَلَمْ تَتَفَرَّقْ عَنْهُ الْأَسِنَّةُ رَحْمَةً وَلَمْ يَتْرَكِ الشَّامُ الْأَعَادِي لَهُ حُبًّا^(٣)
وَلَكِنْ تَقَاهَا عَنْهُ غَيْرَ كَرِيمَةٍ كَرِيمٍ الثَّنَا مَا سُبَّ قَطُّ وَلَا سَبًّا^(٤)
وَجَيْشٌ يُنْقَى كُلُّ طَوْدٍ كَأَنَّهُ خَرِيقُ رِيَّاحٍ وَاجَهَتْ غُصْنَا رَطْبًا^(٥)

أن يجب الناس عن بني هذه القلعة وتباً لأرائهم حين لم يدركوا أنه يقدر على كل ما يقصد إليه فكيف يتعجبون من قادر يبلغ ما يريد ؟

(١) يقول : وأى فرق بينه وبين غيره وأية منزلة يمتاز بها عما سواه إذا كان يغشى ما يخشاه غيره أو كان ممن يستعصب الصعب ؟ إنما يفصل عن الأغيار ويفضلهم لأنه لا يغشى شيئاً ولا يستعصب عليه أمر مهما كان .

(٢) الصارم المصعب : السيف القاطع يقول : إن الخلافة ما أعدته لأعدائها وسمته سيف الدولة دون غيره إلا لأمر عظيم ، وذلك أنه بلغ من الشجاعة والحزم والسياسة مبلغاً لم يبلغه أحد .

(٣) يقول : إن أعداءه لم يخيموا عن لقائه وانهزموا أمامه رحمة له وإشفاقاً ولم يجلوا عن الشام حجة له ورغباً ولكنهم فعلوا ذلك فرقا وفزعا وهذا المعنى كقول مروان بن أبي حفصة :

وما أحجم الأعداء عَنْكَ بَقِيَّةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْعَمًا

(٤) قوله غير كريمة حال أى نبى هذه الأسنة عنه في حال كونها غير كريمة كريم انثناء الخ والمراد نبى أصحابها يقول : لم تتفرق عنه أعداؤه ولا تركوا الشام حباله وإنما تقام عن الشام أذلاء صاغرين أنه رجل كريم انثناء ماسبه أحد لأنه لا يفعل ما ياسب عليه ولا سب أحداً لأدبه وكرمه . وانثناء ممدود ولكنه قصره هنا ضرورة اسم من أثنى عليه إذا وصفه بخير أو شر ولكنه غلب في الملح ويروى الثنا وهو قريب من الثنا وقوله كريم الثنا تجريد على إضمار محذوف أى تقاهها منه رجل كريم الثنا الخ .

(٥) قوله وجيش عطف على كريم الثنا . والطود الجبل العظيم والحريق الريح الشديدة كأنها الإعصار يقول : وتقاهها عنه جيش إذا مر بجبل كان لكثرة كآنه جبل

كَأَنَّ نُجُومَ اللَّيْلِ خَافَتْ مُفَارَهُ فَمَدَّتْ عَلَيْهَا مِنْ عَجَاجَتِهِ حُجَبًا^(١)
فَمَنْ كَانَ يُرْضَى اللُّؤْمُ وَالْكَفَرُ مُلْكُهُ
فَهَذَا الَّذِي يُرْضَى الْمَكَارِمَ وَالرَّبَا^(٢)

آخر قصار به الجبل جبلين وهذا معنى قوله : يثني كل طود ، ثم قال : وهو مع هذه
لكثرة والكثافة إذا لاقى عدواً كان لشدة كأنه عاصف من الريح لقي غصنا رطباً
فصنعه وحطمه وعبارة التراجيح أن هذا الجيش إذا مر بجبل شقه نصفين لكثرت
له صلصلة تسمع كالريح الحريق إذا مرت بنصف رطب قال الشاعر :

كَأَنَّ هُبُوبَهَا خَفَقَانُ رِيحٍ خَرِيقٍ بَيْنَ أَعْلَامٍ طَوَالٍ

وهذه العبارة من الغرض بحيث تحتاج هي الأخرى إلى شرح . . .

(١) مفاراه أى إغاراته والعجاجة الغبار يقول : إن غبار هذا الجيش حجب السماء
حتى لم تبد النجوم فكأن النجوم خافت إغاراته عليها فاحتجبت عنه بذلك الغبار حتى
لا يراها ، وقد أخذ هذا المعنى الجبل الحيمس يعنى فقال :

نَفَى وَاضِحَ التَّشْرِيقِ عَنْ أَرْضِ رَبِيعِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ عَجَاجَةٍ مُصَدِّمٍ^(١)

(٢) يقول : إذا كان هناك من الملوك من يرضى اللؤم والكفر بأن ينزل على
حكمها ويصل ما يقتضيه فهذا يرضى المكارم بعبوده وسخائه ويرضى الله بجهاده
في سبيله . وقال الشريف بن العجورى فى أماليه : الإشارة فى قوله فهذا إلى الملك لا إلى
المدوح لأمرين : أحدهما أنه لو أراد المدوح لقال فأتت الذى ترضى لأن الخطاب
فى مثل هذا أمدح والآخر أنه أشار إلى الملك فجعل الإرضاء له لأن الإرضاء الأول مسند
إلى الملك فوجب أن يكون الإرضاء الثانى كذلك لأن وجه الإشارة إليه أن قوله ملكه
قد دل عليه كما توجهت الإشارة فى الضمير إلى الصبر من قوله تعالى « ولئن صبر وغفر
إن ذلك » لدلالة صبر عليه وكما عاد الضمير إلى الملك من قول القطامى :

مِ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ مِ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةَ الْأُولَى

(١) رجل مصدم : محرب . من التضادم

وقال فيما كان يجري بينهما من معاتبة مستعجلاً (*) :

قال: وكان الوجه لأبي الطيب أن يقول في المقابلة يرضى المكارم والإيمان ليقابل بالإيمان الكفر كما قابل بالمكارم اللؤم ولكن لما اضطرت القافية وضع لفظ الرب موضع الإيمان فكان ذلك في غاية الحسن لأن المراد في الحقيقة إرضاء أهله وإرضاء أهله تابع لإرضاء الله تعالى.

(*) مستعجلاً : مستعجلاً . قال الواحدى : لما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة وقف له رجاله في طريقه ليقتالوه فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم سل سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يقدموا عليه ونعى ذلك إلى أبي العتاش فأرسل عشرة من خاصته فوقفوا ياب سيف الدولة وجاء رسوله إلى أبي الطيب فصار إليه حتى قرب منهم فضرب أحدهم يده إلى عنان فرسه فسل أبو الطيب السيف فوثب الرجل أمامه وتقدمت فرسه الحيل وعبرت قطرة كانت بين يديه واجهرهم إلى الصحراء فأصاب أحدهم نحر فرسه بسهم فارتفع أبو الطيب السهم ورمى به واستقلت الفرس وتباعد بهم ليقطعهم عن إمداد إن كان لهم ثم كر عليهم بعد أن فنى النشاب فضرب أحدهم ققطع الوتر وبعض القوس وأسرع السيف إلى ذراعه فوقفوا عنه واشتغلوا بالمضروب فصار وتركهم فلما يشعروا منه قال له أحدهم في آخر الليلة نحن غلمان أبي العتاش ولذلك قال : ومنتسب عندى إلى من أحبه . . ثم عاد أبو الطيب إلى المدينة في الليلة الثانية مستخفياً فأقام عند صديق له والمراسلة بينه وبين سيف الدولة وسيف الدولة ينكر أن يكون قد فعل ذلك أو أمر به وعند ذلك قال هذه الآيات وجاء في الصبح النبي ما يأتي : قال أبو فراس الحمداني يوماً لسيف الدولة : ان هذا المتشدد — يعنى للتنبى — كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن أن تفرق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأمر سيف الدولة من هذا الكلام وعمل فيه وكان التنبى غائباً وبلغته القصة ولما حضر دخل على سيف الدولة وأنشده :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباً فداء الورى أمضى السيوف مضارباً

الآيات — قال : فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته — فخرج للتنبى من عنده متخيراً وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالوا في الوقعة في حق للتنبى واقطع أبو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي أولها

• • • • •
* وَاَحَرَّ قَلْبَاهُ مِنْ قَلْبِهِ شَبْمٌ *

ثم جاء وأنشدها وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه بقوله :

مَالِي أَكْتَمَ حَبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدْعَى حَبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمِّ

إِلَى أَنْ قَالَ :

قَدْ زَرْتَهُ وَسَيْوْفَ الْهِنْدِ مَغْمَدَةً وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسَّيْوْفَ دَمَ
فَهْمِ جَمَاعَةٍ بَقَلَهُ فِي حَضْرَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ لَشْدَةً إِدْلَالَهُ وَإِعْرَاضِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ عَنْهُ
فَلَمَّا وَصَلَ فِي إِنْشَادِهِ إِلَى قَوْلِهِ :

يَا أَعْدِلْ النَّاسَ إِلَّا فِي مَعَامِلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

قَالَ أَبُو فِرَاسٍ قَدْ مَسَخَتْ قَوْلَ دَعْبِلٍ وَادْعِيَّتِهِ وَهُوَ :

وَلَسْتُ أَرْجُو اتِّصَافًا مِنْكَ مَا ذَرَفَتْ عَيْنِي دُمُوعًا وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

فَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

أَعْيَذُهَا نَظَرَاتُكَ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فَيَمِينَ شَحْمَهُ وَرَمَ
فَعَلِمَ أَبُو فِرَاسٍ أَنَّهُ يَعْنِيهِ فَقَالَ وَمَنْ أَنْتَ يَا دَعْبِي كُنْدَةً حَتَّى تَأْخُذَ أَعْرَاضَ أَهْلِ الْأَمِيرِ
فِي مَجْلِسِهِ ؟ فَاسْتَمَرَ الْمُتَنَبِّي فِي إِنْشَادِهِ وَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَالَ :

سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسَنَا بِأَنْتَى خَيْرٍ مِنْ تَسْمَى بِهِ قَدَمُ

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتَ كَلَامِي مِنْ بِهِ صَمَمُ

فَزَادَ ذَلِكَ أَبُو فِرَاسٍ غِيظًا وَقَالَ قَدْ سَرَقْتَ هَذَا مِنْ عَمْرُو بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الْعَبْدِ

حَيْث يَقُولُ :

أَوْضَحْتَ مِنْ طَرَقِ الْأَدَابِ مَا اشْتَكَلَتْ دَهْرًا وَأَظْهَرْتَ إِغْرَابًا وَإِبْدَاعًا

حَتَّى فَتَحْتَ بِأَعْجَازٍ خَصَصْتَ بِهِ لِلْعَمَى وَالْعَمِّ أَبْصَارًا وَأَسْمَاعًا

وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ :

الْخِيلَ وَاللَّيْلَ وَالْبِيدَاءَ تَعْرِفُنِي وَالسَّيْفَ وَالرَّمْحَ وَالْقُرْطَاسَ وَالْقَلَمَ

قال أبو فراس وماذا أبقيت للأمير إذا وضعت نفسك بكل هذا ؟ تمدح الأمير بما سرقتك من كلام غيرك وتأخذ جوائز الأمير ؟ أما سرقت هذا من قول المهيم بن الأسود النخعي الكوفي المعروف بابن العريان العباني :

أعاذلتي كم مهمسه قد قطعته أليف وحوش ساكنا غير هائب
أنا ابن الفلا والطن والضرب والشري مجرد المذاكي والقنا والقواضب
حليم وقور في البسلاد وهيبتي لما في قلوب الناس بطش الكتاب
فقال التنبي :

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
فقال أبو فراس وهذا سرقتك من قول محفل المجلى :

إذا لم أميز بين نور وظلمة بعيني فالعيمان زور وباطل
ومثله قول محمد بن أحمد بن أبي مرة الكشي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمى والبصراء
وخبر سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها فضربه
بالدواة التي بين يديه فقال للتنبي في الحال :

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم
قال أبو فراس وهذا أخذته من قول بشار :

إذا رضيتم بأن نجحن وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر
ومثله قول ابن الرومي :

إذا ما الفجائن أكسبنني رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قال أبو فراس وأعجبه بيت التنبي ورضى عنه في الحال
وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار ثم أردفها بألف أخرى فقال التنبي :

جاءت دنائيرك مختومة عاجلة ألفا على ألف
أشبهها فملك في فيلق قلبته صفا على صف

من القصيدة الميمية :

أَلَا مَا لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ عَاتِبًا فِدَاهُ الْوَرَى أَمْضَى السُّيُوفِ مَضَارِبًا^(١)
وَمَا لِي إِذَا مَا اشْتَقْتُ أَبْصَرْتُ دُونَهُ تَنَافًى لَا أَشْتَقُهَا وَسَبَابًا^(٢)
وَقَدْ كَانَ يُدْنِي مَجْلِسِي مِنْ سَمَائِهِ أَحَادِثُ فِيهَا بَذَرَهَا وَالْكُؤَاكِبُ^(٣)
حَنَانِيكَ مَسْئُولًا وَكَبِينِكَ دَاعِيًا وَحَسْبِي مَوْهُوبًا وَحَسْبُكَ وَاهِبًا^(٤)

(١) فداه الورى : دعاء . وعاتباً حال ، وأمضى السيوف خبر مبتدأ محذوف : أى هو أمضى السيوف مضارباً ، أو تقول إنه منصوب على اللوح ومضارباً تميزاً ومضارب السيوف حدودها . يقول : ما لسيف الدولة غضبان ؟ أى لم غضب ؟ وما سبب غضبه ؟ فلست أعرف لى ذنباً يوجب ذلك ، ثم دعاه ، ثم قال لا سيف أمضى منه مضرباً .

(٢) التنافى جمع تنوفة وهى المفازة ، والسباب جمع مسبب وهى الفلاة القفر . يقول : ما لى إذا اشتقت إليه أبصرت بينى وبينه فلوأت بعيدة مترامية الأطراف من عتبه وتجافيه واستيحاشه ؟

(٣) أراد بالسماء مجلسه ، جعله كالسماء رفعة له وجعله كاليد ومن حوله من ندمائه وأهل مجلسه كالكواكب ؛ وعبرة الخطيب التبريزى : شبه مجلسه بالسماء وجعله بدرأ وحوله كواكب ، فهو كقوله أيضاً :

أَقْلَبُ مِنْكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ ظَلَمْتَ كَوَاكِبَهَا خَصَالًا

(٤) حنانيك كلمة موضوعة موضع المصدر استعملت مثناة كأنه حنان بعد حنان أى تحننا بعد تحنن ، ومثلها ليك من لب به إذا لزمه ، وحسبى وحسبك خبران مبتدأهما محذوفان : أى . وأنت حسبى وأنا حسبك والنصبون كلها على الحال وقيل : على التمييز . يقول : تحنن على تحننا بعد تحنن إذا كنت مسئولا ولك الإجابة إذا كنت داعياً وكفى بى موهوباً : أى إننى أشكر من يهينى وأشيد بذكره وكفى بك واهباً ، أى : أنك أشرف الواهبين ولست أحتاج إلى واهب آخر بعد هباتك .

أَهَذَا جَزَاءُ الصَّدَقِ إِنْ كُنْتُ صَادِقًا
 أَهَذَا جَزَاءُ الْكَذِبِ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا^(١)
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي كُلُّ ذَنْبٍ فَإِنَّهُ
 نَحَا الذَّنْبِ كُلِّ الْمَخْرُجِ مِنْ جَاءِ تَائِبًا^(٢)
 وقال وقد عرض على سيف الدولة سيوف مذهب وفيها سيف غير مذهب فأمر

بإذهابه :

أَحْسَنُ مَا يُخَضَّبُ الْحَدِيدُ بِهِ وَخَاضِيَةُ النَّجِيعِ وَالْفَضْبُ^(٣)

(١) قال الواحدى : أى إن كنت صادقاً فى مديحك فليس ماتعاملنى به جزاء لصدقى . وإن كنت كاذباً فليس هذا جزاء الكاذبين ، لأنى إن كذبت قد تجملت لك فى القول فتجمل لى أنت أيضاً فى المعاملة .

(٢) يقول : إن كان ذنبى ذنباً ليس بعده ذنب فالتوبة من الذنب محو ليس بعده محو ؛ وهذا المعنى مأخوذ من الحديث الشريف : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(٣) الذى صرح عن التنبى : وخاضيه — على التثنية — وهو عطف على ما : أى وأحسن خاضيه ، والنجيع الدم . يقول : إن هناك خضابين الذهب والدم وأحسنهما الدم ، وهناك خضبان الصناعة والغضب — لأن خضبه بالذهب لا يكون إلا صناعة الصيقل ، وخضبه بالدم إنما يكون بسبب الغضب الباعث على الجلاد بالسيف — وأحسن الخاضبين الغضب ، وروى : وخاضيه — بكسر الباء — على أنه جمع خاضب قال ابن جنى : وخاضيه عطف على ما ، وجمع الخاضبين جمع تصحيح لأنه أراد من يعقل ومالا يعقل كقوله تعالى « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمضى على بطنه » الآية : كأنه خلط الجميع وكفى عنهم بما يكفى به عمن يعقل : وذكر الغضب مجازاً وأراد صاحبه . وقال ابن فورجه : خضض خاضيه على القسم أى وحق خاضيه وجعل الغضب خضاباً للحديد لأنه يخضبه بالدم على سبيل التوسع وحسن ذلك لأن الغضب يحمر منه الإنسان ، وهذا كقولك أحسن ما يخضب الحدود الحمرية والحجل لأن الحجل يصبغ الحمر ، فلما كانت الحمرية تابعة للحجل جمعتهما تأكيذاً ؛ كذلك لما كان النجيع تابعا للغضب جمعتهما وهو يريد للدم وحده ويكون الغضب تأكيذاً للنجيع : أتى به للقافية .

فَلَا تَشِينَنَّهُ بِالنُّضَارِ فَمَا يَجْتَمِعُ الْمَاءُ فِيهِ وَالذَّهَبُ^(١)

وتشكى سيف الدولة من دمل فقال فيه :

أَيَذْرَى مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ وَهَلْ تَرَقَى إِلَى الْفَلَكَ الْخُلُوبُ^(٢)
وَجِسْمُكَ فَوْقَ هَبَّةٍ كُلِّ دَاءٍ فَقُرْبُ أَقْلَهَا مِنْهُ عَجِيبُ^(٣)
يُجَمِّسُكَ الزَّمَانُ هَوًى وَحُبًّا وَقَدْ يُؤْذَى مِنَ اللَّقَةِ الْخَبِيبُ^(٤)
وَكَيْفَ تَعْلِكَ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَأَنْتَ لِعِلَّةِ الدُّنْيَا طَيِّبُ^(٥)

(١) شأنه عابه ، والنضار الذهب . يقول : لا تشنه بالأذهاب فإنه إذا أذهب — ولا يكون ذلك إلا بعد إسمائه — ذهبت سقايته أى ماؤه .

(٢) أراه : أفزعته وأوقع به شيئاً يشك في عاقبته : أخيراً يكون أم شراً ؟ يقول : هل يدرى هذا الدمل أى الناس قد ألقى ؟ وهذا استمهام تعجب واستعظام ، ثم قال متعجباً : وهل رقى خطوب الدهر وأحداثه إلى الفلك ؟ جملة كالللك لمحو قدره ورفعة شأنه .

(٣) الضمير في أكلها يعود إلى كل داء : كما في قوله تعالى « وكل في فلك يسبحون » أو تقول إن الضمير يعود على المجموع المستفاد من المعنى : أى أكل الأدوية يقول : إن جسمك لا ينبغي أن تنال منه الأدوية ، فمن العجب أن يقربك أكل الأدوية . وجعل للأدواء همة مجازاً .

(٤) التجميش : شبه للمغازلة والللاعية بين الحبيبين ؛ قال أبو العباس ثعلب : قيل للمغازلة تجميش من الجش وهو الكلام الحفى وقيل من الجش الذى هو ضرب من الحب لجشها بأطراف الأصابع ؛ واللقة : الهبة ، وأصلها ومق . يقول : إن الذى ألم بك إنما هو تجميش من الزمان لحبه إياك وتعلقه بك لأنك جماله وأمثل أهله ، وقد يكون الحب سبباً لإيذاء المحبوب .

(٥) يقول : أنت طيب الدنيا الذى تشفى أدواءها فتقوم للمعوج وتطرد الظلم والغيث والفساد فكيف تملك وأنت طيبها ؟

وَكَيْفَ تَتُوبُكَ الشَّكْوَى بِدَاءِ وَأَنْتَ الْمُسْتَغَاثُ لِمَا يَنْوُبُ^(١)
 مَلَيْتُ مُقَامَ يَوْمٍ لَيْسَ فِيهِ طِعَانٌ صَادِقٌ وَدَّ صَيبُ^(٢)
 وَأَنْتَ الْمَلِكُ تُمْرِضُهُ الْحَشَايَا لِهِمَّتِهِ وَتَشْفِيهِ الْحُرُوبُ^(٣)
 وَمَا بِكَ غَيْرُ حُبِّكَ أَنْ تَرَاهَا وَعِثْرَهَا لِأَرْجُلِهَا جَنِيبُ^(٤)
 مُجَلَّحَةٌ لَهَا أَرْضُ الْأَعَادِي وَلِلشُّعْرِ الْمُنَاحِرُ وَالْجَنُوبُ^(٥)

(١) يقول : وكيف تلم بك الشكوى وبك يستغاث مما ينوب من نوائب الدهر فتنيث وترفع الشكوى ؟

(٢) و (٣) مقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، يفتح ويضم . وصيب : مصبوب ويقال ماء صيب وصب كما تقول ماء سكب وماء غور ، قال دكين بن رجاء :

تَنْضَحُ ذِفْرَاهُ بِمَاءِ صَبٍّ مِثْلِ الْكَحِيلِ أَوْ عَقِيدِ الرَّبِّ^(١)
 والحشاياء جمع حشية معدولة عن المحشوة وهى الفرش المحشوة . يقول : لقد اعتدت الطعان والجلاد وسفك دم الأعداء ولبعد همتك لا ترى شفاء لك إلا فى ممارسة الحروب ولا آلم ولا أجلب للأدواء من الجلوس على الفرش المحشوة أو النوم عليها ومن أجل ذلك تمل الإقامة يوماً واحداً لا تخرج فيه للغزو ولا يكون فيه طعن صادق ودم مصبوب .

(٤) الضمير فى تراها للخيل وإن لم يحجر لها ذكر لتقدم ما يدل عليها ؛ والعشير مثال درهم الغبار ، والجنيب الذى تقوده إلى جنبك . يقول : ما بك مرض غير نزاعك إلى ملاقاته العدو بخيل يتبع الغبار قوائمه كأنه جنب تقوده ، أى أنك انقطعت عن ذلك فنال منك جبه كما ينال الحب من العاشق إذا انقطع عن رؤية معشوقه .
 (٥) مجلحة حال ثانية للخيل والحال الأولى جملة وعثرها لأرجلها جنب ، ومجلحة

(١) الذفرى الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن وهما ذفريان والكحيل النفط الذى تطلى به الإبل الجرباء ، ورب السمن والزيت : ثقله الأسود ، وعقيدته ما غلظ منه .

قَرَطَهَا الْأَعْنَةَ رَاجِعَاتٍ فَإِنَّ بَعِيدَ مَا طَلَبْتَ قَرِيبٌ^(١)
أَذَا دَلَهُ هَذَا بَقَرَاطُ عَنْهُ فَلَمْ يُعْرِفْ لِصَاحِبِهِ ضَرْبٌ^(٢)
يَسْتَفِ الدَّوْلَةَ الْوُضَاءُ تُمْنِي جُفُونِي تَحْتَ شَمْسٍ مَا تَنْيَبُ^(٣)

مصممة ماضية شديدة الأقدام ؛ و يروى محجلة ، و على هاتين الروايتين يكون لها خبرا مقدما عما بعده ؛ و يروى الحواري محجلة أى قد أحلت لها أرض العدو فهى تطؤها ؛ و الممر الرماح ؛ و للناهر جمع منحر وهو موضع النحر من الحلق ؛ و الجنوب جمع جنب وهو ما يلى الإبط إلى الكشح . يقول : وما بك مرض غير أن ترى الحيل على تلك الحال وأن تراها مصممة ماضية أحلت لها أرض الأعادى تطؤها و تحتاحها و أحلت للرماح حناجرهم و جنوبهم تنفذ فيها .

(١) الأعنة جمع عنان سير اللجام ، و قرط الفارس عنان فرسه أرخاه حتى يجعله فى قداله للحضر^(١) فيصير لأذنه بمنزلة القرط يقول : أرخ لها الأعنة لترجع إلى بلاد الأعادى فإنها لا تبعد عليها إذا طلبتها لسرعتها .

(٢) الهزمة للاستفهام المحض أو للتقرير ، و ذا اسم إشارة ، و هذا زل . والضرب النظير ، و بقرط الطبيب اليونانى المشهور . يقول : أهذا الداء — داء ولوعه بالحرب إلى حد أن فيها شفاء وأنه لو قعد عنها يوما فخير ومرض — أهذا داء معضل لم يهتد إليه بقرط وليس لصاحبه نظير لأنه لا يعرف أحد يمرض لترك الحرب ، و يروى إذا داء على أن إذا أداة شرط و داء فاعل لفعل محذوف يؤخذ من لازم ما بعده أى إذا خفى داء أو إذا أعضل داء ونحو ذلك ؛ و قوله فلم يعرف جواب إذا . والفاء زائدة على مذهب البصريين ، فيكون الفعل بعدها مستقبلا . يقول: الداء الذى لم يذكره بقرط لا نظير لصاحبه بين الناس لأنه لو كان له نظير لسبق مثله فذكره الأطباء و يروى إذا داء — بجر داء — على أن الهزمة للنداء و ذا بمعنى صاحب : أى يا صاحب الداء الذى هذه صفتة .

(٣) الوضاء ضم الواو وتشديد الضاد : الشديد الوضاءة ؛ أى الحسن من صيغ البالغة كحسان وكبار . يقول : إنه ينظر منه إلى شمس لا تنيب لأنه موجود ليل نهار بخلاف الشمس .

(١) القذال ما بين الأذنين من مؤخر الرأس ، والحضر : الجرى .

فَاغْزُو مِنْ غَزَا وَبِهِ اقْتِدَارِي وَأَرْمِي مَنْ رَمَى وَبِهِ أُصِيبُ
وَالْحُسَادِ عُدْرُ أَنْ يَشْحُوا عَلَى نَظَرِي إِلَيْهِ وَأَنْ يَذُوبُوا^(١)
فَإِنِّي قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَكَانٍ عَلَيْهِ تَحْسُدُ الْحَدَقَ الْقُلُوبُ^(٢)
وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب
معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالفبارات والخمرات فأوقع بهم وملك
الحريم فأبقى عليه فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة - وأنشده إياها في
جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

بَغِيرِكَ رَاعِيًا عَيْثَ الذَّائِبُ وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ^(٣)
وَتَمَلِّكَ أَنْفَسَ الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَكَيْفَ تَحُوزُ أَنْفُسَهَا كِلَابُ^(٤)
وَمَا تَرَكَوكَ مَعْصِيَةً وَلَكِنْ يُعَافُ الْوَرْدُ وَالْمَوْتُ الشَّرَابُ^(٥)

(١) أن يشحوا أى فى أن يشحوا : أى أنى أعذر الحساد فى شحهم ؛ أى بخلمهم
بالنظر إليه .

(٢) يقول : إن القلوب تحسد العيون على نظر المدح فإذا حسده على ذلك أحد
فهو معذور .

(٣) راعيا وصارما منصوبان على التمييز ، وأصل العبث اللعب ، ويقال عبث به إذا
ابتذله واستباح حرمة ، والصارم السيف القاطع ، والضراب بمعنى المضاربة ؛ شبهه
بالراعى وشبه هؤلاء الثأثرين بالذئاب . يقول : إن الذئاب تعبث بغيرك فى حال رعيه
وسياسته وبلم الضراب غيرك فى حال قطعه : أى إذا كنت أنت الراعى لم تعبث الذئاب
بسواك وإذا كنت أنت الصارم لم يملك الضرب ؛ والمعنى إذا كنت أنت الحافظ لرعيك
لم يحم حولهم أحد بما يضرهم خوفا منك .

(٤) طرأ أى جميعا نصب على الحال . يقول : أنت تملك أنفوس الإنس والجن جميعا
فكيف يكون لهذه القبيلة — قبيلة بنى كلاب — أن تملك أنفسها ؟

(٥) معصية نصب على أنه حال أو مفعول لأجله ، ويعاف يمقت ويتحاشى ، والورد
ورود الماء والواو فى قوله والموت الشراب : للحال . يعتذر لهم يقول : إنما تركوك

طَلَبْتَهُمْ عَلَى الْأَمْوَاءِ حَتَّى تَخَوْفَ أَنْ تُفَنِّشَهُ السَّحَابُ^(١)
فَبِتْ لَيَالِيَا لَا نَوْمَ فِيهَا تَحْبُ بِكَ الْمَسُومَةُ الْعِرَابُ^(٢)
يَهْزُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبِيهِ كَمَا نَفَضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ^(٣)
وَنَسَّالُ عَنْهُمْ الْفَلَوَاتِ حَتَّى أَجَابَكَ بِمَعْضُ وَهُمْ الْجَوَابُ^(٤)
فَقَاتَلَ عَنْ حَرَمِهِمْ وَفَرَّوْا نَدَى كَفَيْكَ وَالنَّسْبُ الْقُرَابُ^(٥)

وانهزموا حين طلبتهم خوفا منك لا عصيانا وعمردا عليك لأنهم إذا ثبتوا أوردوا أنفسهم موارد التلف والهلاك .

(١) يقول : تقيت أمواه البادية في طلبهم حتى خشي السحاب أن تفتشه تطلبهم لديه لما فيه من الماء .

(٢) خب الفرس أسرع ؟ وقيل : الحبيب أن يتقل الفرس أيامه جميعاً وأياسره جميعاً وقيل هو أن يراوح بين يديه ورجليه وكذلك البعير ؛ والمسومة الخيل المعلقة بعلامات تعرف بها : وقال أبو زيد في قوله تعالى « والخيول المسومة » : الخيل المسومة ، المرسله وعليها ركاباتها وهو من قولك سومت فلاناً إذا خلطته وسومه ، أى وما يريد والعرب العريية . يقول تعدو بك الخيل العربية المعلقة في طلبهم لاتعرف النوم .

(٣) العقاب طائر من الجوارح يطلق على الذكر والأنثى قوى الخالب له منقار أعقف . شبهه - وهو في قلب الجيش والجيش حوله يضطرب للسير - بعقاب تهز جناحها وتحركهما لدى طيرانها .

(٤) الفلوات الصحاوى ، جعل طلبه إيام في الفلوات كالسؤال عنهم وجعل الظفر بهم كالجواب وليس ثم سؤال ولا جواب . وإنما لاستمارة رائمة . يقول : ما زلت تتبع آثارهم في الفلوات حتى أدركتهم في إحداها .

(٥) ندى كفيك فاعل قاتل ، والواو من وفروا للحال : أى والحال أنهم قد فروا وأصل الحرم ما يحمي الرجل ويذود عنه ؛ والمراد هنا النساء ، والقربا القريب . يقول : إنهم فروا أمامك وهربوا وظفرت بحريمهم فما كان منك إلا أن أحسنت إلى الحرم وحات دون سبيه وصنته فكان جود كفيك والنسب القريب الذى بينك وبينهم قاتلا دون حريمهم .

وَحَفِظْتُكَ فِيهِمْ سَلَفِي مَعْدَةً وَأَنْهُمْ الْعَشَائِرُ وَالصَّحَابُ^(١)
 تُكَفِّفُ عَنْهُمْ صُمَّ الْعَوَالِي وَقَدْ شَرِقَتْ بِظُهُنِهِمُ الشَّعَابُ^(٢)
 وَأَسْقَطَتِ الْأُجْنَةُ فِي الْوَلَايَا وَأُجْهِضَتِ الْحَوَائِلُ وَالسَّقَابُ^(٣)
 وَعَمَرُوا فِي مَيَّامِنِهِمْ عُمُورٌ وَكَعَبُ فِي مَيَّاسِرِهِمْ كِعَابُ^(٤)

(١) يقول : وقاتل عنهم حفظك فيهم سافى معد — يريد ربيعة ومضر لأن سيف الدولة ينتهي إلى ربيعة لأنه من تطلب وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنهم من قبيل ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان — وأنهم عشائرهم وأنهم أصطباك .

(٢) تكفف تكف ، والصم الصلاب ، والعوالي صدور الرماح ، وشرقت غصت والظعن جمع ظئنة وهي المرأة ما دامت في الهودج ثم كثر حتى قيل للمرأة ظئنة وإن لم تكن في هودج . والشعاب جمع شعب وهو الطريق في الجبل . يقول : إنك تكفف عنهم الرماح إشفاقا عليهم وقد فروا وغصت بظلماتهم شعاب الجبال .

(٣) الأجنة جمع جنين وهو الولد في بطن أمه ، والولاياء جمع ولية وهي شبه البرذعة تحمل على سنام البعير أو كساء يحمل تحت البرذعة وقيل كل ماولى ظهر البعير من كساء أو غيره فهو ولية ، وأجھضت أسقطت والحوائل جمع حائل : الأنثى من أولاد الإبل ؛ والسقاب جمع سقب الذكر منها . يقول : لشدة فزعهم والهول الذي ألم بهم أجھضت النساء في البراذع : أى على ظهور الإبل وأسقطت نوقهم أولادها ذكورا وإناثا .

(٤) عمرو قبيلة منهم ذهب ذات اليمين وتفرقت فصارت عمورا وكعب ذهبت ذات اليسار وتفرقت فصارت كعابا . يريد أنهم لما انهزموا تفرقوا فصارت عمرو وعمورا وكذلك كعباً ؛ وفي هذا المعنى يقول كعب بن مالك :

رَأَيْتُ الشَّعْبَ مِنْ كَعْبٍ وَكَانُوا مِنْ الشَّنَانِ قَدْ صَارُوا كَعَاباً^(١)

(١) يريد أن آراءهم تفرقت وتضادت فكان كل ذى رأى منهم قبيلة على حدة فلذلك قال صاروا كعابا .

وَقَدْ خَذَلَتْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَهَا وَخَاذَلَهَا قُرَيْظُ وَالضَّبَابُ^(١)
 إِذَا مَا سِرَتْ فِي آثَارِ قَوْمٍ تَخَاذَلَتْ الْجَمَاجِمُ وَالرَّقَابُ^(٢)
 فَمَدَّنَ كَمَا أَخَذَنَ مُصَكَّرَاتٍ عَلَيْهِنَّ الْقَسَالِيدُ وَالْمَلَابُ^(٣)

(١) هؤلاء بطون بني كلاب ، وأنت أبا بكر على معنى القبيلة أو العشيرة . يقول :
 إنهم لما اتهموا خذل بعضهم بعضا لتشاغلهم بأرواحهم .
 (٢) قال ابن جني : التخاذل التأخر ، وإذا تأخرت الجمجمة والرقبة تأخر الإنسان :
 أى لما سرت وراءهم تأخرت رموسهم لإدراكك إياهم وإن كانت في الواقع قد أسرع
 واستبعد العروضي هذا للمنى قال : تخاذل الجماجم والرقاب هو أن يضربها بالسيف
 فيقطعها ويفصل بينهما فتساقط فكان كل واحد منهما خذل صاحبه . وقال الواحدى :
 الذى أراه غير هذا ، يقول : إن الرءوس تتبرأ من الأعناق والأعناق تتبرأ منها خوفاً
 منك فلا يبق بينهما تعاون . وهذا المنى أرادته الجوارزى فقال :

وكنت إذا نهدت لغزو قوم وأوجبت السياسة أن يبيدوا
 تبرأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يعتذر الحديد
 وطلقت الجماجم كل نخذ وأنكر صحبة العنق الوريد

وعبارة بعض الشراح إذا نوت رقابهم الثبات نوت جماجمهم التأخر لشدة خوفها من
 سيفك وكذلك عند المكس فيكاد كل فريق منهما يطلب صبيغ الفرار بنفسه ويترك الآخر .
 (٣) للملاب : ضرب من الطيب ، فارسي معرب . قال الجوهري : كالخلوق ، قال
 جرير يهجو نساء بني تميم :

ولو وطيئت نساء بني تميم عَلَى تَبْرَاكِ أَخْبِثَنَّ التُّرَابُ
 تَطَلَّى وَهِيَ سَيِّئَةُ الْمَرْءِ بَضْنُ الْوَبْرِ تَحَسَّبُهُ مَلَابُ^(١)

يقول : لما ظفرت ببني كلاب أخذت نساءهم إلى أما كنهن مكرمات مصونات من
 من الابتذال ، عليهن قلائدهن وطيهن لم يضع منهن شيء فالضمير في عدن وما بعده

(١) تبراك : ماء لبني العنبر ، والصن بالكسر : بول الوبير ينثر للأقوية وهو
 متن جداً .

يُثَبِّتَكَ بِالَّذِي أُوتِيتَ شُكْرًا وَأَيُّنَ مِنَ الَّذِي تُؤَلِّي الثَّوَابَ^(١)
وَلَيْسَ مَصِيرُهُنَّ إِلَيْكَ شَيْئًا وَلَا فِي صَوْنِهِنَّ لَدَيْكَ عَابٌ^(٢)
وَلَا فِي قَدْحِهِنَّ بَنِي كِلَابٍ إِذَا أَبْصَرْنَ غُرَّتَكَ أَغْتَرَابٌ^(٣)
وَكَيْفَ يَتِمُّ بِأَسْكَ فِي أَنْاسٍ تُصَيِّبُهُمْ قِيُولُكَ الْمَصَابِ^(٤)

يعود على النساء وإن يجر لهن ذكر اعتمادا على ما ذكر في البيت : فقاتل عن حريمهم وفروا . . . البيت .

(١) أثابه كافأه ، وأوليت أنعمت . يقول : إنهن يشكرن لك ما أوليتهن من الإحسان ولكن إحسانك أعظم وأجل من أن يكافأ .

(٢) يقول : ليس في مصيرهن إليك وصونهن لديك أى عيب لأنهن يكرامن إياهن كأنهن عند أهلهن وأزواجهن .

(٣) القرة الوجه . يقول : لا غربة عليهن إذا زأينك ؛ إذ لا فرق بينك وبين أزواجهن وأقاربهن .

(٤) البأس الشدة ؛ والمصاب مصدر ميمي بمعنى الإصابة . يقول لا يتم فيهم بأسك وشدتك لأنك حين تصيبهم بمكروه ينال ذلك منك فبإصابتك إياهم كأنك تصيب نفسك وهذا المعنى قديم تعاوره الشعراء كثيرا : قال قيس ابن زهير العبسي :

فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدْتُ بِهِمْ غَلِيلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي
وَقَالَ الْحَمَاسِي — الْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ الْجَرْمِي — :

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أُمَيْمَ * أَخِي فَإِذَا رَمَيْتُ يُصَيِّبُنِي سَهْمِي
وَلَنْ عَفَوْتُ لَأَعْفُونَ جَلَلًا وَلَنْ سَطَوْتُ لَأَوْهِنَ عَظْمِي^(١)
وَقَالَ الْعَدِيل :

وَإِنِّي وَإِنْ عَادِيَتَهُمْ أَوْ جَفَوْتَهُمْ لَتَأْلَمَ مَا عَلَتْ أَوْ كَبَادَهُمْ كَبْدِي
وَقَالَ الْخَميري :

فَإِنَّكَ — حِينَ تَبْلُغُهُمْ أَذَاةً وَإِنْ ظَلَمُوا — لَتُحْتَرَقَ الضَّمِيرُ

(١) أميم : مرخم أميمة ، وهو منادى وأخى مفعول قتلوا .

تَرْفُقْ أَيُّهَا اللَّوَى عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ^(١)
وَلَهُمْ عَيْدُكَ حَيْثُ كَانُوا إِذَا تَدْعُو لِجَادِئَةٍ أَجَابُوا^(٢)
وَعَيْنُ الْمُخْطِئِينَ هُمْ وَلَيْسُوا بِأَوَّلِ مَعْشَرٍ خَطِئُوا فَتَابُوا^(٣)

(١) يقول : ارفق بهم وإن جنوا فإن من رفق بمن جنى عليه كان ذلك الرفق عتاباً لأن الصفع عن الجاني يجعله عبداً لك * وما قتل الأحرار كالغفو عنهم *
(٢) و (٣) الخطأ والخطاء ضد الصواب ، تقول أخطأ بخطيء إذا سلك سبيل الخطأ ؛ أما الخطأ بكسر الحاء فهو الذنب ؛ تقول خطأ بخطيء خطأ وخطأة كقطة ؛ والاسم الخطيئة كفعيلة ؛ ولك أن تشدد الياء لأن كل ياء ساكنة قبلها كسرة ، أو واو ساكنة قبلها ضمة وهما زائدتان للدلالة للألحاق ولاهما من نفس الكلمة فإنك قلبت الهمزة بعد الواو واوا وبعد الياء ياء وتدغم وتقول في مقروء مقرو وفي خيء خيء بتشديد الواو والياء ؛ وجمع الخطيئة خطايا . وكأن الأصل خطائي بهمزة على فاعل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لأن قبلها كسرة واستقلت والجمع ثقيل وهو مع ذلك معتل فقلبت الياء ألفاً ثم قلبت الهمزة الأولى ياء لخفاها بين الألفين . وقال أبو عبيدة : خطيء وأخطأ بمعنى واحد ، وهما لثان ؛ قال امرؤ القيس :

يَا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطِئْتُ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَلَّاحِ^(١)

وقال غيره : الخطيء من أراد الصواب فصار إلى غيره والخطيء من تمعدلنا لا يبنى وتخطأه وتخطأه أي أخطأه ؛ قال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَيْلِفًا خُلِّتِي جَابِرًا بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلِ^(٢)
تَخَطَّاتِ النَّبْلُ أَحْشَاءُهُ وَأَخَّرَ يَوْمِي فَلَمْ يَعَجَلِ

(١) خطئ أي أخطأ ، يريد الخيل وإن لم يجر لها ذكر على حد قوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » وهند هذه امرأة أبيه لم تلد لأبيه جبر شيئا ، خلف عليها امرأة القيس وخرج في طلب بني كاهل فأوقع بجى من بني كنانة وهو يظن أنهم من كاهل ، وكاهل بطن من بني أسد ، والحلال السيد في عشيرته الشجاع الضخم المروءة .
(٢) الحلقة الصديق ، الذكر والأنثى والواحد والجمع في ذلك سواء .

(١٤ - التبي ١)

وَأَنْتَ حَيَاتُهُمْ غَضِبْتَ عَلَيْهِمْ وَهَجَرُ حَيَاتِهِمْ لَكُمُ عِقَابٌ^(١)
 وَمَا جَهِلْتَ أَيَادِيكَ الْبَوَادِي وَلَكِنْ رُبَّمَا خَفِيَ الصَّوَابُ^(٢)
 وَصَكَمَ ذَنْبٌ مَوْلَدُهُ دَلَالٌ وَكَمْ بَعْدَ مَوْلَدِهِ اقْتِرَابُ^(٣)
 وَجُزْمٌ جَرَّةٌ سُفْهَاءُ قَوْمٍ وَحَلٌّ بِغَيْرِ جَارِمِهِ الْعَذَابُ^(٤)

يقول : إن كانوا عخطين فليسوا أول من أذنب وقد تابوا والتوبة تجب « تقطع » ما قبلها وهم عبيدك حيث كانوا إذا دعوتهم للموت أجابوك . يعتذر عنهم إلى سيف الدولة .
 (١) يقول : أنت الذي بك بقاؤهم فإذا غضبت عليهم وهجرتهم فقد هجرتهم الحياة ولا عتاب أكثر من هجر الحياة .

(٢) أيديك نعمك والبوادي خلاف المدن ؛ يريد أهل البوادي ، والبوادي : فاعل جهلت ؛ وأيديك مفعوله ، وقال المكبري : سألت شيخنا أبا محمد عبد النعم النحوي عند قراءته عليه عن هذا البيت وقلت له يجوز أن يكون البوادي نعتاً للأبادي والبوادي في نصف البيت ، فسكاته عن الوقف وهو موضع وقف ، كقولك أجب الداعي ؛ وقد يوقف على قوله تعالى « يومئذ يبعثون الداعي » بالسكون ، ويكون فاعل جهلت مضمرّاً فيها . فقال لي : أنت مقرأ وقد قست ، ومع هذا أنت حفي^(١) ، فصوب ما قلت ؛ ويكون البوادي على هذا : السابقات التي بدت إليهم . يقول : إنهم لم يحبلوا بحياتك سوابق نعمك ، ولكن قد يخفى الصواب على المرء فيأتي غيره .

(٣) يقول : قد يتولد الذنب من الدلال فيأتي المدل بالذنب يظنه دلالاً ، وقد يكون البعد سببه القرب . يعتذر عنهم : أي أنهم أدلوا عليك لفرط إحسانك إليهم فأتوا في ذلك بما صار ذنباً وجناية منهم .

(٤) الجرم : الذنب ؛ والسفه : خفة الحلم أو تقيضه . يقول : وكم جرم جناه سفهه فزل العذاب بغيره ؟ وهذا المعنى قد طرقة الشعراء كثيراً قال :

رَأَيْتُ الْحَرْبَ يَحْنِيهَا رِجَالٌ وَيَصْنَلِي حَرَّهَا قَوْمٌ بَرَاءٌ
 وقال :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به إن القى بآبن عم السوء مأخوذ

(١) لعله يريد الحق بمعنى المستقصى في السؤال .

قَانْ هَابُوا بِجُرْمِهِمْ عَلِيًّا فَقَدْ يَرْجُو عَلِيًّا مِنْ يَهَابٍ^(١)
وَأِنْ يَكْ سَيْفَ دَوْلَةٍ غَيْرِ قَيْسٍ فَمِنْهُ جُلُودُ قَيْسٍ وَالثَّيَابُ^(٢)
وَتَحْتَ رَبَابِهِ نَبْتُوا وَأَثْوَا وَفِي أَيَّامِهِ كَثُرُوا وَطَابُوا^(٣)

وقال النابغة :

وَحَمَلْتَنِي ذَنْبَ أَرْمِيهِ وَتَرَكْتُهُ كَذِي الْعُرِّ يُسْكُو غَيْرُهُ وَهُوَ رَائِعٌ^(١)
وقال البحتري :

نصد حياء أن نراك بأعين جنى الذنب عاصيها فلم مطيعها
وأروع الجميع — وقه التل الأعلى — قوله جل شأنه : « واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة » .
(١) علي : اسم سيف الدولة . يقول : إن خلفوه بسبب جرمهم فإني رجى الفزع عنده
كما يهاب ، لأنه جواد مهيب .
(٢) يقول : إن يك سيف الدولة من تطلب لا من قيس فهو ولي نعمتهم ؛ لأن
جلودهم نبتت بإحسانه إليهم ، واكتست بما خلع عليهم من ثياب .
(٣) الرباب : غيم يضرب إلى السواد ؛ يرى كأنه دون السحاب ؛ قال عبد الرحمن
ابن حسان :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوبَيْنَ السَّحَابِ نَلْمُ تَلْقَى بِالْأَرْجُلِ
وَأَثْوَا : تقووا وكثروا ، من أث النبات : كثروا ونف ، وهو أثيث ، ويقال كذلك
شعر أثيث ، وامرأة أثينة : كثيرة اللحم ، ونسوة أثاث ، قال رؤبة :
وَمِنْ هَوَايَ الرَّجُحُ الْأَثَاثُ تَمِيلُهَا أَجْزَاؤُهَا الْأَوَاثُ
« الرجح : جمع رجاح ، وهي الثغلة العجيذة ، والأواث : اللينات : فكان
الأصابع تسوخ فيها من لينها وكثرة لحمها . يقول : إنهم نشأوا في نعمته وقروا وعزوا

(٢) المر : قروح مثل القوباء ، تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوامها يسيل
منها مثل الماء الأصفر فسكوى الصباح لثلا تعديها للراض .

وَتَحْتَ لَوَائِهِ ضَرَبُوا الْأَعَادِي وَذَلَّ لَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ الصَّعَابُ (١)
وَلَوْ غَيْرَ الْأَمِيرِ غَزَا كِلَابًا ثَنَاهُ عَنْ شُمُوسِهِمْ ضَبَابُ (٢)
وَلَأَقَى دُونَ نَابِهِمْ طَعَانًا يُبْلَقُ عِنْدَهُ الذُّنْبُ الْغَرَابُ (٣)
وَحَيْلًا تَقْتَنِذِي رِيحَ الْوَاوِي وَيَكْفِيهَا مِنَ الْمَاءِ السَّرَابُ (٤)

بإحسانه كالنبات الذي نما بماء السحاب ، فاستعار السحاب للاخسان ، والنبات
للمحسن إليه .

(١) يقول : باتساعهم إليه وإلى خدمته تمكنوا من أعدائهم واتقاد لهم من العرب
من لا يتقاد لأحد :

(٢) قال الواحدى : يذكر قوتهم وشوكتهم ، وأن غير سيف الدولة لو أتاها لما
ظفر بهم ، وكفى بالشموس عن النساء وبالضباب عن المحاماة دونهم : لأن الضباب يستر
الشمس ويحول دون النظر إليها . قال : ويجوز أن يكون هذا مثلاً معناه لو غزاهم
غيره لكان له ما يشغله بما يلقى قبل الوصول إليهم وإباحة حريمهم : أى أنه كان يستقبله
من قليلهم ما يمنعه من الوصول إلى الذين هم أكثر منهم ؛ فجعل الضباب مثلاً للرعاع ،
والشموس مثلاً للسادة ، وقال ابن الإفلح : يريد شمس كل يوم يقاتلهم فيه .

(٣) ولأق : عطف على ثناه ، والثانى : جمع ثاية : كآى وآية ، وهى حجارة
تجعل حول البيت يأوى إليها الراعى ليلاً ، وفيها مبارك الإبل ومرابض الغنم . يقول :
لو غزاهم غيره لثناه ضباب عن شمسهم وللاقى دون وصوله إلى هذه الحجارة حرباً يكثر
فيها القتل حتى يجتمع عليهم الذئب والغراب طلباً للحوم اقتلى ، فكيف له بالوصول إلى
استباحة حريمهم ؟ وقد تورك بعضهم على التنبى أن الذئب لا يأكل إلا ما اقترسه ، بخلاف
الضبع والكلب ؛ وأشد في ذلك :

ولكل سيدٍ معشرٍ في قومه دُعْرٌ يُدْنِسُ عِرْضَهُ وَيُعِيبُ
لولا سواه تجزرت أوصاله عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذِّيبُ
« الدعر : الحائش الذى يعيب أصحابه » .

(٤) وخيلاً : عطف على طعانا . والواوى : جمع مومة ، وهى اللقازة يقول : وكان
يلاقى خيلاً تعودت قطع اللقاز على غير علف وماء حتى كأن غذاءها الريح وماءها
السراب لأنها هراب مضرة معودة قلة العلف والماء .

وَلَكِنْ رَبُّهُمْ أَسْرَى إِلَيْهِمْ فَمَا نَفَعَ الْوُقُوفُ وَلَا الذَّهَابُ^(١)
وَلَا آسَلُ أَجَنٍّ وَلَا نَهَارٌ وَلَا خَيْلٌ حَمَلَنَ وَلَا رِكَابٌ^(٢)
رَمَيْتَهُمْ بِبَحْرِ مِنْ حَدِيدٍ لَهُ فِي الْبَرِّ خَلْفَهُمْ عُبَابٌ^(٣)
فَسَّاهُمْ وَبُسَطَهُمْ حَرِيرٌ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسَطَهُمْ تُرَابٌ^(٤)
وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاقَةٌ كَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابٌ^(٥)
بَنُو قَتْلَى أَيْكَ بِأَرْضٍ نَجْدٍ وَمَنْ أَتْبَقَى وَأَبْقَتْهُ الْحِرَابُ^(٦)
عَفَا عَنْهُمْ وَأَعْتَقَهُمْ صِفَارًا وَفِي أَعْنَاقِ أَكْثَرِهِمْ سِخَابٌ^(٧)

(١) رب كل شيء : مالكه ، ويقال أسرى إذا سار ليلا ، وسرى إذا سار نهراً وقيل هما لغتان تستعملان بمعنى واحد . يقول : إنك سرت إليهم فما نفعم الوقوف في ديارهم للذود والدفاع ، ولا الذهب للهرب ، لأنهم إن وقفوا قتلوا ، وإن هربوا أدركوا .

(٢) الركاب : الإبل . يقول : ولم ينفعهم ليل يستترون تحته ، ولا نهار يكشفونك فيه ، ولا خيل وإبل تحملهم للهرب ، فهم لميتك تلددوا حائرين حين طلبتهم فلم ينج بهم شيء من ذلك .

(٣) العباب : معظم الماء وكثرته ، جعل جيشه بحراً من حديد لكثرة لابسى الحديد فيه . ثم جعلهم يموجون خلفهم في سيرهم ، فكأنهم بحر يمد عبابه وراءهم .

(٤) يقول : طردهم ليلاً وهم يقرشون الحرير آمنون فيبتهم وقتلهم حتى جدلوا على على الأرض وأصبحوا وفرشهم التراب بعد الحرير ؛ وقال للمرى : يريد نهبهم فلم يترك لهم شيئاً يعمدون عليه سوى التراب .

(٥) يقول : وصار الرجال كالنساء ، ذلاً واستخذاءً واثقيداً .

(٦) بنو : خبر مبتدأ محذوف : أي هم بنو قتلَى أَيْكَ ؛ ومن أتقى : عطف عليه ، وفاعل أتقى : ضمير يعود على أَيْكَ : يشير إلى ما كان من أبى الهيجاء والد سيف الدولة مع بنى كلاب ، وذلك أنه لما هم بالحج كان أوقع بهم في أرض نجد وقتك بهم . فهو لاء هم أبناء أولئك وبقيتهم .

(٧) السخاب : قلادة من قرنفل ونحوه ليس فيها من الجوهر شيء يلبسها الصبيان ،

وَكُلُّكُمْ أُنَى مَا نَى أَبِيهِ فَعَلَّ كَلِّكُمْ عَجَابٌ (١)
كَذَا فَلَيْسَ مِنْ طَلَبِ الْأَعَادِي وَمِثْلُ سُرَاكَ فَلَيْكُنِ الطَّلَابُ (٢)

وجمها سخب . يقول : إن أباك قتل آباءهم وعفا عن الأبناء فأعتقهم وهم صغار يلبسون السخاب فاشوا عتقاه سيفه .

(١) يقول : كلا كما فعل فعل أبيه ، فهم تقيوا آباءهم في التمرد والعصيان وأنت أخذت أخذ أبيك في الفرو والفران ؛ ففعلهم حين عصوك عجيب ، إذ لم يجتروا بآبائهم ؛ وفعلك أيضاً عجيب إذ صفت عنهم وأجيت على باقيهم وأنى ما نى فلان أى فعل فعله وأخذ إخذه ، والفعال — بفتح الفاء — فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعال ، وفلان لثيم الفعال ، ولك أن تكسر الفاء على أنه جمع فعل .

(٢) يقول : مثل هذا الفعل فليعمل من يطلب الأعادي ، وليكن طلابه مثل هذا السرى الذي سرت حتى بلغت مرادك ، فقوله كذا في موضع نصب بقوله فليس ، والفاء إنما تعطف أو تكون جواباً . فإذا تقدم المفعول أو الخبر جاءوا بها ليحلوا أن الخبر وضع في غير موضعه ، وبعض الكوفيين تأول أخاك فاضرب : أنه منصوب بفعل مضمر تقديره أقصد أخاك فاضرب ، وهذا يحسن في المفعول ، وأما في الخبر فيعد . . وقوله مثل سراك نصب لأنه خبر فليكن .

وقال يرئى أخت سيف الدولة ، وقد توفيت بميافارقين وورد خبرها إلى الكوفة
فكتب أبو الطيب بهذه المرية إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة :

- (١) يَا أختَ خَيْرِ أَيْخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ آبٍ كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ (١)
(٢) أَجَلُ قَدْرِكَ أَنْ تُسَمَّى مُؤَبَّنَةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَكَ لِلْعَرَبِ (٢)
(٣) لَا يَمْلِكُ الطَّرِبُ الْحَزُونَ مَنْطِقَهُ وَدَمَعُهُ وَهَمَا فِي قَبْضَةِ الطَّرِبِ (٣)

(١) نصب كناية على الصدر ، كأنه قال كنت كناية . يقول : يا أخت سيف الدولة
ويا بنت أبي الهيجاء ، وهو المراد بأشرف النسب ، فكفى عن ذلك ، يريد أن نسبا
من أشرف الأنساب ، فإذا كنت بهما عرفت لأنهما خير الناس : فإذا قلت يا أخت
خير أئخ وبانت خير أب عرفت .

(٢) مؤبنة : حال من الياء في تسمى : أى حال كونك مؤبنة : أى مريئة من
التأبين ، وهو الثناء على الميت . يقول : أنت أجل من أن أعرفك باسمك بل وصفك
يعرفك بما فيك من المحاسن والمحامد التى ليست في غيرك ، وهذا ينفى عن تسميتك ،
كما قال أبو نواس :

فَهِى إِذَا سُمِّيَتْ لَقَدْ وَصِفَتْ فَيَجْمَعُ الْاسْمُ مَعْنَيْنِ مَعًا

(٣) الطرب : صفة من الطرب ، وهو خفة تمرى عند شدة الفرح أو الحزن والهم .
قال النابغة الجعدي فى الهم :

سَأَلْتَنِي أَمْسَى عَنْ جَارَتِي وَإِذَا مَا حَيَّى فَوَالْبِ سَأَلْ
سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَايِسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدُّغْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ
وَأَرَانِي طَرِبًا فِي إِزْرِمِ طَرَبَ الْوَالِهَ أَوْ كَالْخَتَبِلِ

« الواله : اتناكل ، والختبل : الذى اختبل عقله : أى جن » يقول المتنبي : من استخفه
الحزن غلبه على لسانه ودمعه فلا يملكهما ، لأنهما إذ ذاك يكونان فى قبضة الطرب
أى الحزن - يصرهما كما يشاء .

- (٤) غَدَرْتَ يَا مَوْتَ كَمْ أَفْنَيْتَ مِنْ عَدَدِ
 بَيْنَ أَصَابَتِ وَكَمْ أَسَكَّتْ مِنْ لَجَبِ (١)
 وَكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا فِي مُنَازَلَةٍ وَكَمْ سَأَلَتْ فَلَمْ يَبْخُلْ وَلَمْ تَخْبِ (٢)
 طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (٣)
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقتُ بِاللَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي (٤)

(١) اللجب : الضجيج واختلاط الأصوات ؛ وجيش لجب عرمرم : أى ذوجلبة وكثرة ، وبجر ذو لجب إذا سمع صوت أمواجه ، وأصله كل صوت عال يقول : غدرت يا موت بسيف الدولة إذ أخذت أخته وأنت تغنى به العدد الكثير وتهلك الجيوش وتسكت ضجيجهم ، وإذا كان عونك على الإفناء كان من حقدك أن ترى ذمته ولا تنجمه بأخته ، وقيل معنى البيت : أنه مات بموتها خلق كثير ، وسكت لجبهم وترددهم في خدمتها ، أو أنهم سقطوا عن برها وصلاتها ، فكأنهم ماتوا . قال الواحدى : وجه غدر الموت أنه أظهر إهلاك شخص وأخسر فيه إهلاك عالم كان يحسن إليهم فهلكوا بهلاكه . هذا معنى : كم أفنيت من عدد ؛ وهذا كقول القائل :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه ببيان قوم تهدما
 وكقول ابن المقفع :

وأنت تموت وحدك ليس يدري بموتك لا الصغير ولا الكبير
 وتقتلنى فتقتل بى كريماً يموت بموته بشر كثير

(٢) يقول : وكَمْ صَحَبَتْ أَخَاهَا يَا مَوْتَ فِي غَزَوَاتِهِ وَطَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَمَكِّنَكَ مِنْ إِهْلَاكِكَ مِنْ أَرَدْتَ فَأَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ وَمَكَّنَكَ بَسِيْفِهِ عَنْ أَرَدْتَ ؛ وَهَذَا كَقَوْلِهِ الْآخَى فِي قَافِيَةِ اللَّامِ :

شريك المنايا والنفوس غنيمَة فكل ممات لم يمته غلول

(٣) الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وخبر تنازعه كل من طوى وجاءنى يقول : لما جاءنى هذا النى وطوى الجزيرة حتى ورد على فى الكوفة رجوت أن يكون كذبا وتعلت بهذا الرجاء .

(٤) يقول : حتى إذا صبح الخبر ولم يبق رجاء فى أن يكون كذبا غصصت بالدمع

- (٨) تَمَثَّرَتْ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسِنَهَا
وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)
كَانَ فَسَلَةً لَمْ تَمَلَأْ مَوَاقِبَهَا (٩)
وَلَمْ تَرُدِّ حَيَاةً بَعْدَ تَوَلِيَّةٍ (١٠)
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ مَذْنُومَتٍ (١١)
يُظَنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُنْتَهَبٍ (١٢)
وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ (١)
دِيَارَ بَكْرٍ وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبْ (٢)
وَلَمْ تُفِثْ دَاعِيَا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ (٣)
فَكَيْفَ لَيْلُ فَتَى الْفَتَيَانِ فِي حَلَبِ (٤)
وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبٍ (٥)

لغلبة البكاء وكثرة الدموع حتى كاد السمع يشرق بي : أى حتى صرت بالقياس إلى الدموع كالشيء الذى ينفس به فى القلة . والشرق بالدمع أن يقطع الانتحاب نفسه . وحصل المعنى : كاد السمع لإحاطته بي أن يكون كأنه غص بي .

(١) لم يلحق الباء فى به بالهاء واكتفى بالكسرة ضرورة ، والبرد جمع بريد — وسكن الراء على لغة تميم — والبريد : كلمة فارسية أصلها بريدته دم : أى محذوف الدنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها ، ثم سمي الرسول الذى يركب دواب البريد بريداً . يقول : لهول هذا الخبر تلجلجت به الألسنة فى الأفواه ، وتعثرت الرسل الحاملة له فى الطرق ، ورجفت أيدي الكتاب فى كتابته .

(٢) فسله : كناية عن اسم للرثية ؛ وهو خولة . يقول : مضت فكأنها لم تكن تلك التى ملأت جيوشها ديار بكر ، والتي كانت تهب وكانت تخلع فانطوى ذلك بموتها .

(٣) بالويل : متعلق بداعيا ؛ وتولية : أى ذهاب وإدبار : مصدر ولى ، والويل : الهلاك ، والحرب : ذهاب المال ، حرب الرجل ، سلب ماله ، والداعى بالويل والحرب الذى يصيح : واويلاه ، واحرباه . يقول : ولقد كانت ترد حياة الملهوف بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتفيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب .

(٤) يقول : طال ليل أهل العراق منذ أتاها . نعيمها حزنا عليها ، فكيف ليل أخيها سيف الدولة فى حلب ؟ قال العكبرى : ليس لهذا البيت معنى طائل ، وفيه سهاجة . . .

(٥) أراد : أيلظن ، غذف حرف الاستفهام ، والضمير لسيف الدولة ، ويروى بالتاء على الخطاب . يقول : أظن أنى غير حزين .

- (١٣) بَلَى وَحُرْمَةٌ مِّنْ كَانَتْ مُرَاعِيَةً لِّحُرْمَةِ الْمَجْدِ وَالْفُضَّادِ وَالْأَدَبِ (١)
 (١٤) وَمِنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْزُوثٍ خَلَّاتِهَا وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْزُوثَةٌ النَّشَبِ (٢)
 (١٥) وَهَمَّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةً وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ (٣)
 (١٦) يَغْلَنَ حِينَ تَحْيَا حُسْنَ مَبْسِمِهَا وَلَيْسَ يَغْلَمُ إِلَّا اللَّهُ بِالنَّشَبِ (٤)

(١) بلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله سواء كان مجردا أم مقرونا بالاستفهام . يقول : بلى فؤادى ملتهب ودمى منسكب بحق حرمة من كانت تراعى حرمة هذه الأمور ، فقوله وحرمة الخ : قسم .

(٢) ومن مضت : عطف على من كانت - في البيت السابق - . والخلائق : جمع خليفة بمعنى الخلق ، والنشب : المال . يقول : وبحرمة من ماتت ولم تورث أخلاقها ، لأنه لا يوجد بعدها من يشبهها فيها وإن كان مالها موروثا

(٣) أترابها : لدااتها ونظيراتها في العمر : جمع ترب - بكسر التاء - للذكر والمؤنث . يقول : همها منذ صباها منصب في العلا وتدير الملك بينها أقرانها همهن في اللهو واللعب ، وهذا من قول حمزة بن يفيص :

فهمكُ فيها جسام الأمور وهم لدااتك أن يلعبوا

(٤) النشب : قيل هو تعزيز أطراف الأسنان ، وقيل صفاؤها وتقاؤها وقيل تغليجها ، وقيل طيب نكهتها ، وقال الجرمي : سمعت الأصمعي يقول : النشب برد الفم والأسنان ، فقلت إن أصحابنا يقولون هو حديثها حين تطلع ، فيراد بذلك حديثها وطراوتها لأنها إذا أتت عليها السنون احتسكت ، فقال : ما هو إلا بردها ، وقول ذي الرمة

لمياه في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

يؤيد قول الأصمعي ، لأن اللثة لا تكون فيها حدة . يقول : إن أترابها إذا جئن إليها رأين حسن مبسمها ولا يعلم ما وراء شفتيها من النشب إلا الله لأنه لم يذقه أحد ، قال الواحدي : وأساء في ذكر حسن مبسم أخت ملك وليس من العادة ذكر جمال النساء في مرأتهن . قال ابن جني : كان المتنبي يتجاسر في ألفاظه جدا وفي معنى بيت المتنبي

لا والذي تسجد الجباه له مالي بما ضم ثوبها خبر

ولا بفيها ولا هممت بها ما كان إلا الحديث والنظر

(١٧) مَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الطَّيِّبِ مَفْرَقَهَا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ (١)
(١٨) إِذَا رَأَى وَرَآهَا رَأْسَ لَا يَبِ رَأَى الْقَانِعَ أَعْلَى مِنْهُ فِي الرُّتَبِ (٢)

(١) مفرقها : موضع افتراق الشعر من الرأس ؛ وهو مبتدأ خبره مسرة قال ابن جنى : وحسرة خبر إما عن مفرقها أو عنها تقديره : الميتة حسرة في قلوب البيض واليلب إلى أن قال : والأجود أن يجعل مفرقها خبر للسرة ، أو مسرة خبره ، والجملة خبر مبتدأ محذوف : أي وهي مسرة في قلوب الطيب مفرقها ، وهي حسرة في قلوب البيض واليلب ، واليلب : اللدع الجمانية تتخذ من الجلود ، أو جلود يخرز بعضها إلى بعض تلبس على الرعوس خاصة تحت البيض ؛ واحدها يلبة ، قال عمرو بن كلثوم :

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلْبُ الْيَمَانِيُّ وَأَسْيَافٌ يَقْنُنُ وَيُنْحَنِنُنَا

قال الجوهري : ويقال اليلب ما كان من جنس الجلود ولم يكن من الحديد ومنه قيل للبدق يلب . قال الشاعر :

عَلَيْهِمْ كُلُّ سَافِيَةٍ دِلَاصٍ وَفِي أَيْدِيهِمُ الْيَلْبُ الْمُدَارُ

قال : واليلب في الأصل ذلك الجلد قال أبو دهل الجحى :

دِرْعِي دِلَاصٌ شَكَّهَا شَكُّ عَجَبٍ وَجَوْبُهَا الْقَاتِرُ مِنْ سَيْرِ الْيَلْبِ

«عجوبها : أي ترسها وجوب قاتر : أي ترس حسن التقدير ، والبيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد . يقول : إن الطيب يسر باستعمالها إياه والبيض واليلب يتحصران بتركها لبسهما ، لأنهما من ملابس الرجال ، واستعار لهما قلوبا مجازاً لوصفه لهما بالمسرة والحسرة .

(٢) القانع : جمع مقنع ومقنعة ، وهو ما تقنع به المرأة رأسها ، وتقدير الشطر الأول : إذا رأى البيض أو اليلب رأس لابس ورآها ، فضمير رأى للبيض واليلب ، وأفرد الضمير لأنهما مترادفان ، فكأنهما شيء واحد . يقول : إذا رأى البيض رأس لابس ورأى هذه المرأة وهي تلبس للقانع رأى القانع أعلى رتبة منه فازداد حسرة على تركها إياه وحرمانه ذلك .

(١٩)

وَإِنْ تَكُنْ خُلِقْتَ أَنْتَى لَقَدْ خُلِقْتَ

كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْتَى الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ^(١)

(٢٠)

وَإِنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْقُلُبَاءُ عَنْصُرَهَا فَإِنَّ فِي الْخُمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَنْبِ^(٢)

(٢١)

فَلَيْتَ طَالَعَةَ الشَّمْسِينَ غَائِبَةً وَلَيْتَ غَائِبَةَ الشَّمْسِينَ لَمْ تَغِبْ^(٣)

(٢٢)

وَلَيْتَ عَيْنَ الَّتِي آبَ النَّهَارُ بِهَا فِدَاهُ عَيْنَ الَّتِي زَالَتْ وَلَمْ تَتُوبْ^(٤)

(٢٣)

فَمَا تَقَلَّدَ بِالْيَاقُوتِ مُشَبَّهًا وَلَا تَقَلَّدَ بِالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ^(٥)

(١) الحسب : شرف الآباء أو اللعال الصالح : أى شرف الفعل وأنشد ثعلب .

* وَرُبَّ حَسِيبٍ الْأَصْلُ غَيْرُ حَسِيبٍ *

أى له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو . يقول : إن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنتى .

(٢) تغلب : قبيلة سيف الدولة . والغلباء : فى الأصل الغليظة الرقة . وللمراد العزيزة الآية الممتعة ، وعبارة الواحدى : الغلباء : الغلاظ القلوب ، نعمهم بفظ الرقة لأنهم لا يذلون لأحد ولا ينفادون له . يقول : هى وإن كانت من تغلب — تلك القبيلة المعروفة بالمر والمنة — يد أن لها مع ذلك من الفضائل ما تنافس به عنهم وتفضلهم ، كالحجر أصلها العنب ، ولكن فى الحجر من المزايا ما ليس فى العنب ، ومن ثم تفضله ، وهذا مثل قوله : فإن المسك بعض دم الغزال .

(٣) جعلها وشمس النهار شمسين ثم قال : ليت طالعتما — وهى شمس النهار — غائبة وليت غائبتما — وهى المرئية — لم تغب . يقول : إن فى حياتها منافع جمّة ، فليتها بقيت وقعدنا الشمس .

(٤) آب : رجع . يقول : وليت عين الشمس فداء عين المرئية التى غابت ولم ترجع .

(٥) الهندية : السيوف ، والقضب : جمع قضيب ، وهو اللطيف الدقيق من السيوف . يقول . ليس لها شبيه ، لا من النساء ولا من الرجال .

٢٤ وَلَا ذَكْرَتْ جَبِيلًا مِنْ صَنَائِعِهَا
٢٥ قَدْ كَانَ كُلُّ حِجَابٍ دُونَ رُؤْيَيْهَا
٢٦ وَلَا رَأَيْتِ عُيُونَ الْإِنْسِ تَذَرُكُهَا
٢٧ وَهَلْ سَمِعَتْ سَلَامًا لِي أَلَمْ يَهَا
٢٨ وَكَيْفَ يَبْلُغُ مَوْتَانَا الَّتِي دُفِنَتْ
(١) إِلَّا بَكَيْتُ وَلَا وَدُّ بِلَا سَبَبٍ (١)
فَمَا قَنِعْتُ لَهَا يَا أَرْضُ بِالْحُجُبِ (٢)
فَهَلْ حَسَدَتْ عَلَيْهَا أُعْيُنَ الشُّهْبِ (٣)
قَدْ أَطْلَتْ وَمَا سَلَّمْتُ مِنْ بَكْبِ (٤)
وَقَدْ يُقَصِّرُ عَنْ أَحْيَانِنَا الْغَيْبِ (٥)

(١) الصنائع : جمع صنعة ، وهى الإحسان واليد . يقول : إذا ذكرت صنائعها بكيت لمحبتي إياها ، وسبب محبتي هو صنائعها لى وإحسانها إلى وروى ابن جنى بلا ود ولا سبب أى ليس بكأى لود أو سبب سوى صنائعها التى أولت ، فهى تذكرنى فأبكي .

(٢) يقول : كانت محبوبة عن الأعين بأوفى حجاب فأجبت الأرض أن تكون من حجبها فانضمت عليها ، فكانت الأرض لم تقنع بما حولها من الحجاب حتى حجبها بنفسها .

(٣) يقول : لم تكن عيون الناس تصل إليها ، فهل حسدت الكواكب يا أرض على النظر إليها فواريتها عنهن ؟

(٤) قال الواحدى : يقول للأرض : هل سمعت سلاما لى أتاها ؟ يريد أنه يجيز إليها السلام والدعاء وسأل الأرض عن بلوغ سلامه إليها ثم قال : وقد أطلت التأين والرؤية وتجهيز السلام عليها ولم أسلم عليها من قرب ، لأنها ماتت على بعد منه ، ولك أن تقول : إن المعنى بعبارة أخرى : هل سمعتى يا أرض أسلم عليها ؟ أى هل رأيتى قريبا منها فحسدتى على قربها فقد أطلت اليوم من السلام عليها ولم أسلم من قرب ؟ قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى معنى هذا البيت ، فجعل الاستفهام فيه إنكرا وقال . يقول : قد أطلت السلام عليها وأنا جيد عنها ، فهل سمعت يا أرض سلامى قريبا منها ؟

(٥) التيب : جمع غالب ، مثل خدم وخادم . يقول : كيف يبلغ السلام أمواتنا للمدفونين وهو قد يقصر عن بلوغ أحيائنا الفائين ؟ وكأن هذا مبنى على معنى البيت السابق : أى أن سلامه لم يكن يبلغها فى حياتها للبعد الذى بينهما ، فكيف يبلغها بعد موتها ؟ والظاهر أن الكلام على عمومته ، وليس فيه — كما ذهب بعضهم — تعرض بسيف الدولة ، وأن يقصر سلامه دونه .

- (٢٩) يَا أَحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أَوْلَى الْقُلُوبِ بِهَا
 وَقُلْ لِصَاحِبِهِ يَا أَنْفَعَ الشُّعْبِ (١)
 وَأَكْرَمَ النَّاسِ لَا مُسْتَنْبِئًا أَحَدًا مِنْ الْكِرَامِ سِوَى آبَائِكَ النَّجَبِ (٢)
 قَدْ كَانَ قَاتَمَتِكَ الشَّخْصَيْنِ دَهْرُهُمَا وَعَاشَ دُرُّهُمَا الْمَفْدِيُّ بِالذَّهَبِ (٣)
 وَعَادَ فِي طَلَبِ الْمَتْرُوكِ تَارِكُهُ إِنَّا لَنَنْفُلُ وَالْأَيَّامُ فِي الطَّلَبِ (٤)

(١) أولى القلوب بها : هو قلب أخيها — أى سيف الدولة — والضمير فى لصاحبه يعود على أولى القلوب ، وصاحبه هو سيف الدولة . يقول : يا أحسن الصبر زر قلب سيف الدولة الذى هو أولى القلوب بمودتها والجزع عليها ، وقل لصاحب هذا القلب يا أنفع السحب : أى أن عطاءه أهنا لأنه بغير أذى ، والسحاب قد يؤذى سيله وتهلك صواعقه .

(٢) وأكرم الناس : عطف على أنفع السحب ، والنجب : جمع نجيب ، وهو الكريم من كل شئ . ورجل نجيب : أى كريم فاضل بين النجاية ، والنجية مثال الحمزة النجيب ، يقال هو نجبة القوم إذا كان النجيب منهم ، وأنجب الرجل : أى ولد ولداً نجيباً . قال الأعشى :

أَنْجَبَ أَرْمَانَ وَالِدَاءُ بِهِ إِذْ تَجَلَّاهُ فَنَعَمَ مَا نَجَلَا

« وسيمر بك شرح هذا البيت فى موضع آخر » وامرأة منجبة ومنجاب : أى تلد النجباء يقول : وقل له يا أكرم الناس غير مستثن أحدًا سوى آبائك الكرام . قال العكبرى : وهذا لفظ منكسر يدخل فيه الأنبياء ومن دونهم . أقول : وهى إحدى مبالغات التنبي القبيحة .

(٣) لا يريد بالشخصين : أخيه . ماتت إحداهما — وهى الصغرى — وبقيت الكبرى ، فكانت كدردى بذهب ، جعل العكبرى كالدر ، والصغرى كالذهب .

(٤) المتروك : هو الدر ، والتارك : الدهر . يقول : وبعد ذلك عاد الدهر يطلب الكبرى وأخذها . لأن الأيام لا تغفل عن طلب ما تركته . وهذا البيت والذى قبله كأنهما من قول الأعرابي :

وَقَاتَمَتْنِي دَهْرِي بَنَى مَشَاطِرًا فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

٣٣ مَا كَانَ أَقْصَرَ وَقْتًا كَانَ بَيْنَهُمَا

كَأَنَّهُ الْوَقْتُ بَيْنَ الْوَرْدِ وَالْقَرَبِ^(١)

٣٤ جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْأُحْزَانِ مَغْفِرَةً

فَحُزْنٌ كُلُّ أَحَى حُزْنٍ أَخُو الْغَضَبِ^(٢)

٣٥ وَأَنْتُمْ نَفَرٌ تَسْخُو نَفُوسَكُمْ بِمَا يَهَبْنَ وَلَا يَسْخُونَ بِالسَّيِّئِ^(٣)

٣٦ حَلَلْتُمْ مِنْ مُلُوكِ النَّاسِ كُلِّهِمْ مَحَلٌّ شُمُرُ الْقَنَا مِنْ سَائِرِ الْقَصَبِ^(٤)

٣٧ فَلَا تَتَلَكَّ اللَّيَالِي إِنْ أَيْدِيهَا إِذَا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بِالْقَرَبِ^(٥)

(١) الورد : إتيان الإبل الماء ، والقرب : سير الليل لورد الغد ، وذلك أن القوم يرعون الإبل وهم في ذلك يسرون نحو الماء . فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجّلوا نحوه ، فتلك الليلة ليلة القرب . يقول : إن أحليهما كانا متقاربين جداً حتى إن المدة التي بينهما كانت لقصرها كأنها المدة التي بين الورد والقرب ؛ وهي ليلة .
(٢) يقول : غفر الله لك أحزانك لأن الحزن للصيبة أخو الغضب على القدر حيث لم يحجر بمراد الإنسان ، والغضب على القدر مما يستغفر منه .

(٣) يسخون : أى النفوس ، ووزنه يغلن ، فالواو لام الفعل ، والنون علامة الإضمار وجمع التانيث ، وهو مثل « إلا أن يفون » أى النساء ، ويروى تسخون — بلفظ خطاب الذكور — والسلب : ما يؤخذ من القتل من ثياب وسلاح ، وفي الحديث الصحيح : من قتل قتيلاً فله سلبه . يقول : إنما تحزن لأن الدهر سلبك المروية وأتم قوم أهل غزاة وأنتة ، تجودون بالذى تعطونه عن طيب نفس ، ولا تجودون بما يؤخذ منكم قهراً ، وهذا المعنى كقول القائل :

لَا جَزَعًا بَلْ أَنْفًا شَابَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ

(٤) القنا : عيدان الرماح . يقول : أتم بين الملوك كالقنا بين سائر القصب والقنا يفضل سائر أنواع القصب ، وكذلك أتم تفضلون سائر الملوك .

(٥) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال تتخذ منه القسي ، والقرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار . يدعو له يقول : لا أصابتك الليالي بسوء ، فإنها تطلب القوى بالضعيف .

وَلَا يُعِينُ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ
وَلَا يَنْصُرُكَ فِي الْحَرْبِ (١)
وَإِنْ سَرَزَنْ بِمَحْبُوبٍ فَجَعَنْ بِهِ
وَقَدْ أَتَيْتَكَ فِي الْحَالَتَيْنِ بِالْمَجَبِ (٢)
وَرُبَّمَا أَحْسَبَ الْإِنْسَانُ غَايَتَهَا
وَفَاجَأَتْهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مُحْتَسَبِ (٣)
وَمَا قَضَى أَحَدٌ مِنْهَا لُبَانَتَهُ
وَلَا أَتَتْهُ أَرْبٌ إِلَّا إِلَى أَرْبٍ (٤)
تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا أَتَّفَاقَ لَهُمْ
إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَأُخْلَفَ فِي الشَّجَبِ (٥)
فَقِيلَ تَخْلُصْ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً
وَقِيلَ تَشْرِكْ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْمَطْلَبِ (٦)

٣٨

٣٩

٤٠

٤١

٤٢

٤٣

(١) الحرب ذكر الجباري (١) وجمعه خربان ، يدعو له أن لا تعين الليالي من عاداء
فإنهن يصدن القوى بالضعيف ، وهو بسبب من معنى البيت السابق .
(٢) يقول : إن سرتك الأيام بوجود ما تحبه فجئتك بفقدته إذا استردته وقد أرينك
العجب حيث سررتك بها ثم فجئتك بفقدتها فكانت سببا للسرور والنعيم ، وهذا عجب
أن يكون شيء واحد سببا للسرور والنعيم .
(٣) يقول : قد يحسب الإنسان أن المحن قد تناهت فلم به شيء لم يكن في حسبانته ،
وإذن لا تؤمن فجعات الدهر .
(٤) اللبانة : الحاجة ؛ والأرب : الغرض ، فهما متقاربان ، يقول : لم يقض أحد
حاجته من الدنيا لأن حاجات الإنسان لا تنقضي ، فإذا فرغ من أرب انتهى إلى أرب
آخر ، وذلك كما يقول أمية بن أبي الصلت :

تموت مع المرء حاجاته وتبقى له حاجة ما بقي

(٥) و (٦) الشجب : الهلاك ، والخلف : الاختلاف ، والمراد بالنفس : الروح .
يقول : جرى خلف الناس في كل شيء ولم يتفقوا إلا على الهلاك : أي أن منتهى كل
حيوان أن يموت فيهلك ، ثم اختلفوا في حقيقة الهلاك : ففريق يقول : إن الروح تسلم
من الهلاك ولا تنفك بقاء الأجسام — وهؤلاء هم القرون بالث — وفريق يذهب
إلى أن الروح يفنى كالجسم — وهؤلاء هم الدهريون ومن يقول بقدم العالم .

(١) الجباري : طائر أكبر من الدجاج الأهلي وأطول عنقا ، وهو أنواع كثيرة ،
ويضرب به المثل في البلاء فيقال : أبله من الجباري ؛ قيل : لأنه إذا غر عشه ذهل
وحضن يفض غيره .

(٤٤) وَمَنْ تَفَكَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهْجَتِهِ أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالْتَعَبِ (١)

وأنفذ إليه سيف الدولة كتاباً بخطه إلى الكوفة يسأله المسير إليه ، فأجابه بهذه الأبيات وأنفذها إليه في ميفارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة (٢) :

فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَبْرَّ الْكُتُبِ قَسَمًا لِأَمْرِ أَمِيرِ الرَّبِّ (٣)
وَطَوَّعًا لَهُ وَأَبْتَهَاجًا بِهِ وَإِنْ قَصَّرَ الْفِعْلُ عَمَّا وَجَبَ (٤)
وَمَا عَاقَبِي غَيْرُ خَوْفِ الْوُشَاةِ وَإِنَّ الْوِشَايَاتِ طُرُقُ الْكَذِبِ (٥)

(١) للهجة : الروح . يقول : من فكر في الدنيا وأنه مفارقتها ألته أتعبه هذا الفكر لما يجد في ذلك من الأسف على الدنيا والخوف على روحه ، ثم رأى في الوقت نفسه أن ذلك قضاء حتم لا يستطيع الفرار منه ، فيرى نفسه بين حالين من التعب والعجز .

(٢) هذه القصيدة من المتقارب ، وتقطعها فصول أربع مرات ، دخله القصر فصار فصول فصول فصول فعل ، وقد ارتكب أبو الطيب فيها سنادات توجيه ، وهو المخالفة في حركة ما قبل الروي المقيد ، ومن الناس من لا يعبده سناداً اكتفاء باتفاق الروي .

(٣) (٤) سما وطوعا وابتهاجا : ثلاثها مصادر دلت على أفعالها : أى سمعت أمرك سما ، وطعت طاعة ، وابتهجت بكتابتك ابتهاجا ، والابتهاج : الفرح يقال بهج بالشيء وله - بالكسر - بهاجة وابتهج : سر به وفرح . قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رِدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ فَقَدْ تَطَايَرُ مِنْهُ لِلْبَيْلَى خِرَقُ

يقول : إني سامع لأمرك ، مطيع له ، مبتهج بكتابتك بيد أن فعلى في طاعتك لا يبلغ ما يجب ، إذا أننى قصرت بتخلفي عن الهوى إليك .

(٥) الوشاة . جمع واش ، وهو النمام . يقول : لم يمنعني من النهوض إليك غير خوفي الوشاة ، فإن الوشايات من طرق الكذب فلا يأمنها البريء .

(١٥ - المتن ١)

وَتَكْثِيرِ قَوْمٍ وَتَقْلِيلِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ يَبْنَسَا وَالتَّحْبَبُ^(١)
وَقَدْ كَانَ يَنْصُرُهُمْ سَمْعُهُ وَيَنْصُرُنِي قَلْبُهُ وَالْحَسَبُ^(٢)
وَمَا قُلْتُ لِلْبَدْرِ أَنْتَ اللَّجَيْنُ وَلَا قُلْتُ لِلشَّمْسِ أَنْتَ الذَّهَبُ^(٣)
فَيَقَاقَ مِنْهُ الْبَعِيدُ الْأَنَاءَ وَيَغْضَبَ مِنْهُ الْبَطَلُ الْغَضَبَ^(٤)
وَمَا لَأَقْنِي بَلَدٌ بَعْدَ كُمْ وَلَا أَعْتَظُّ مِنْ رَبِّ نِعْمَايَ رَبِّ^(٥)

(١) وتكثير قوم وتقليلهم : أى تكثيرهم معائبنا وتقليلهم مناقبنا ، والتقريب ضرب من العدو : يقال قرب الفرس : إذا رفع يديه معا ووضعهما معا فى العدو ، والتحبب : السرعة ، وقيل هو أن يراوح الفرس بين يديه ورجليه فى العدو يقول : وعاقبى أيضاً خوف تكثير قوم معائبي وتقليلهم مناقبي وسميهم بيننا بالفساد .

(٢) يقول : إنه كان يصنى إليهم ويسمع منهم ، بيد أن قلبه كان على أية حال معي بعضه فى ذلك شرفه ، فعد إصغاءه إليهم نصرا لهم . ونزاعه إليه نصرا له .

(٣) و (٤) اللجين : الفضة ، والأناء : الحلم والرفق والتثبت ، وبعد الأناء كناية عن كونه لا يستخف من أول وهلة . وقوله فيقلق : جواب النفي فى البيت الأول ، والضمير فى منه يعود على المصدر المفهوم من قوله قلت : أى فيقلق من قولى هذا . يقول إننى لم أنقصك مما تستحق من المدح شيئا كما ينقص البدر بتشبيهه باللجين والشمس بتشبيهها بالذهب : أى لم أهجك فتسخر على ولم آت فى حقك ما يوجب أن ينزعج لمثلك فى بعد أناته وبطء غضبه .

(٥) لا قنى : أمسكنى وحبسنى ، يقال منه : فلان لا يليق ببلد ، أى ما يمتسك ولا يليقه بلد : أى لا يعسكه . قال الأصمى للرشد : ما ألاقنى أرض حتى أنتيك يا أمير المؤمنين : أى ما ثبت بها ، ويقال فلان ما يليق بكفه درهم : أى ما يحتبس ، وما يليق هو درهما : أى ما يحبسه ولا يلصق به . قال الشاعر :

كفك كفى ما تليق درهما وأخرى تعط بالسيف الدما

ورب نعمى : صاحب نعمتى ، ووقف على الباء من قوله رب - وهى موضع نصب - ضرورة للقافية ، وخففها - وحكمها التشديد - لوقوعها روياء . يقول : ما أخذت عوضا منك ، ولا أمسكنى بلد بعدكم ، ولا أعجبني ، ولا لى مستقر إلا عندكم . إذ لا أصيب

وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَمَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَهُ وَالْقَبَّ (١)
وَمَا قِئْتُ كُلَّ مُلُوكِ الْبِلَادِ فَدَعِ ذِكْرَ بَعْضِ بَيْنِ فِي حَلَبِ (٢)
وَلَوْ كُنْتُ سَمَيْتُهُمْ بِأَسْمِهِ لَكَانَ الْحَدِيدَ وَكَانُوا أَنْخَشَبِ (٣)
أَفَى الرَّأْيِ يُشَبِّهُ أُمَ فِي السَّخَا أُمَ فِي الشَّجَاعَةِ أُمَ فِي الْأَدَبِ (٤)
مُبَارَكُ الْأَسْمِ أَغْرُ الْقَبِ كَرِيمُ الْجُرْشِيِّ شَرِيفُ النَّسَبِ (٥)
أَخُو الْحَرْبِ يُخْدِمُ مِمَّا سَبَى فَنَاهُ وَيَخْلَعُ مِمَّا سَلَبَ (٦)

مثلكم ، وكيف آخذ عوضاً ممن أنعم علي ؟ وهذا مثل قوله :

ومن اعتاض منك إذا افترقنا وكل الناس زور ما خلا كا

(١) الأظلاف : جمع ظلف ، وهو من البقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم للإنسان والحف للبعير ، والحافر للفرس والبغل والجمار ، والتعب والتعب : للبقرة والديك ماتدلى تحت حنكهما . جعل الجواد مثلاً لسيف الدولة ، والثور مثلاً لمن لقي بعده من الملوك ؛ وهذا كقول خداس بن زهير :

ولا أكون كمن ألقى رحالته على الجمار وخلي صهوة الفرس

قال الخطيب : ذكر الركوب هنا فيه جفاء ، ولا تخاطب الملوك بمثل هذا

(٢) و (٣) بمن في حلب . متعلق بقست ، وقوله فدع ذكر بعض : معترضة بينهما يقول : لم أقس كل الملوك به فضلاً أن أقس به بعضهم ، ولو أنا شبهتهم به وسميتهم سيوفاً - كما يسمى هو سيف الدولة - لكانوا سيوفاً من خشب ، وكان هو سيفاً من حديد : يعني أن مدحه إياه حقيقة ، ومدحه إياهم مجازاً ، إذا لا شبه بينهم وبينه .

(٤) هذا استفهام إنكار يقول : ليس يشبهه أحد من الملوك في شيء من ذلك .

(٥) مبارك الاسم ، لأن اسمه على . وهو مشتق من العلو . محبوب مطلوب ، ولأنه سمى على بن أبي طالب ، وهو من هو ؟ وأغر اللقب ، لأنه سيف الدولة ، وقد اشتهر هذا اللقب فهو أغر : أي متعالم مشهور أبلغ . وكريم الجرشي : أي النفس ؛ وشريف النسب . لأنه من ربيعة ، وهم كرام أشراف . وكلمة الجرشي : من قبيح ألفاظ المتنبي .

(٦) أخو الحرب : أي عرفت به وعرف بها فصار لها أخاً ؛ وقناه : فاعل سبي : أي رماحه . يقول : هو أخو الحرب وصاحبها ، فإذا أعطى أحداً خادماً فهو مما سباه

إِذَا حَازَ مَالًا فَقَدْ حَازَهُ فَتَى لَا يُسِرُّ بِمَا لَا يَهَبُ^(١)
وَأَنْتَى لَا تُنْبِعُ تَذْكَارَهُ صَلَاةَ الْإِلَهِ وَسَقَى السُّحْبُ^(٢)
وَأَنْتَى عَلَيْهِ بِآلَانِهِ وَأَقْرَبُ مِنْهُ نَأَى أَوْ قَرُبُ^(٣)
وَأَنْتَى فَارَقْتَنِي أَمْطَارُهُ فَأَكْثَرُ غُذْرَانِهَا مَا نَضَبُ^(٤)
أَيَا سَنَفَ رَبِّكَ لَا خَلْقِهِ وَيَاذَا الْكَارِمَ لَاذَا الشُّطْبُ^(٥)

بنفسه ، لا بما اشتراه ، لأن ماله كله جميعاً من سبائهم ؛ وإذا خلع على إنسان ثوباً فهو مما سلبه من أعدائه . يريد كثرة نكاته في الأعداء .

(١) فتى : فاعل حازه من باب التجريد . يقول : إذا جمع مالا لا يسر منه بما يدخر ، ولكن بما يهب ، وهذا كقول البحري :

لَا يَتَمَطَّى كَمَا احْتَجَّ الْبَخِيلُ وَلَا يَحِبُّ مِنْ مَالِهِ إِلَّا الَّذِي يَهَبُ^(٢)
يقول : كلما ذكرته دعوت له بهذين ، فقلت له صلى الله عليه وسقى أرضه السحاب ؛ والصلاة من الله الرحمة ، وقد جرى العرف بقصر الصلاة على الأنبياء ؛ ولكن الشعراء يدينهم المبالغة وتعظيم المدح ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً . وقد قال ابن الرقاع :

صَلَّى الْإِلَهِ عَلَى أُخْرَى وَدَعَتْهُ وَأَتَمَّ نَعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

وقال الراعي :

صَلَّى عَلَى عَزَّةِ الرَّحْمَنِ وَأَبْنَتْهَا لَيْلَى وَصَلَّى عَلَى جَارَاتِهَا الْآخِرِ^(٣)
يقول : أنتى عليه بما وصل إلى وإلى غيرى من نعمه ، وأقرب منه بالموالاة والمحبة : أقرب محلته أم جدت .

(٤) الغدران : جمع غدير ، وهو البقية من الماء تبقى بعد السيل : من غادره تركه ، قال الخطيب التبريزي : سمى الغدير غديراً لعنيين : أحدهما لأن الغيث تركه ، والثاني لأنه يندر بأهله فينضب عنهم عند الحاجة . ونضب الماء . غار في الأرض وجد . وما : من قوله ما نضب : نافية . يقول : إذا كان به قد انقطع عني فإن ما سبق إلى منه باق كالغدران تبقى بعد المطر .

(٥) الشطب — بضم الشين والطاء ، وفتح الطاء — جمع شطبة وهي الطرائق

وَأَبْعَدَ ذِي هِمَّةٍ هِمَّةً وَأَعْرَفَ ذِي رُنْبَةٍ رُنْبَةً^(١)
وَأَطْعَنَ مَنْ مَسَّ خَطِيئَةً وَأَضْرَبَ مَنْ بِحْسَامٍ ضَرْبَ^(٢)
بِذَا أَلْفَظِ نَادَاكَ أَهْلُ الثُّغُورِ فَلَبَّيْتُ وَاللَّهَامُ تَحْتَ الْقُضْبِ^(٣)
وَقَدْ يَتَسَوَّاهُ مِنَ لَذِيذِ الْحَيَاةِ فَمَعَيْنٌ تُعُورُ وَقَنْبٌ يَجِبُ^(٤)
وَعَرَّ الدُّمُسْتَقَ قَوْلُ الْعَدَاةِ أَنْ عَلِيًّا ثَقِيلٌ وَصَبُ^(٥)
وَقَدْ عَلِمْتَ خَيْلَهُ أَنَّهُ إِذَا هَمَّ وَهُوَ عَلِيلٌ رَكِبَ^(٦)

التي في متن السيف ؛ وسيف مشطب ومشطوب : فيه طرائق ، وكذلك ثوب مشطب .
يقول : لست ميلا كسائر السيوف . فأنت سيف الله لاسيف الناس . وأنت صاحب
المكارم لاسيف فيه طرائق من سيوف الحديد .

(١) و (٢) أبعد وأعرف وأطعن وأضرب : منصوبة على النداء المضاف ، والخطية :
الرمح . يقول : يا أبعد الناس همّة ويا أعرف الناس برتب الرجال وطبقاتهم فتمطى كلا
منهم المزة التي يستحقها ، ويا أطعن من مس رحا . وأضرب من ضرب بسيف .

(٣) قوله بهذا : أي بأطعن وأضرب ، والثغور : مواضع الخفاة من فروج البلدان ؛
والهام : الرؤوس ، والقضب : السيوف القواطع . يقول إن أهل الثغور نادوك بقولهم
يا أطعن من طعن بخطية ، ويا أضرب من ضرب بحسام فأجبتهم ورؤسهم تحت سيوف
الروم تكاد تطيرها .

(٤) غارت العين : دخلت في الرأس : أي من شدة الرعب ، والوجب خفقان
القلب . يقول : إنك أجبتهم حين نادوك وقد يتسوا من الحياة ، فهم في خوف ورعب
واضطراب حتى أخذتهم .

(٥) الدمستق : قائد الروم ، والعداة : جمع عاد بمعنى عدو ، والثقل : الشديد
المرض ، والوصب : المرض . يقول إنما اجتأ الدمستق على أهل الثغور لأنه اغتر بما
أرجف به الأعداء من أنك مريض لا تستطيع إغايتهم :

(٦) يقول : وما كان ينبغي للدمستق أن يقتل لأن سيف الدولة إذا هم بالعارة وهو
عليل ركب إلى أعدائه كما تعلم خيله من عادته .

أَتَاهُمْ بِأَوْسَعٍ مِنْ أَرْضِهِمْ طَوَالَ السَّبَبِ قِصَارَ الْعُسْبِ^(١)
تَغَيَّبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغَيَّبْ^(٢)
وَلَا تَعْبُرُ الرِّيحُ فِي جَوْهِ إِذَا لَمْ تَخْطَ الْقَنَا أَوْ تَنْسِبْ^(٣)
فَفَرَّقَ مَدْنَهُمْ بِالْجِيُوشِ وَأَخْفَتِ أَصْوَاتَهُمْ بِاللَّجَبِ^(٤)
فَأَخْبِتْ بِهِ طَالِبَا قَهَرُهُمْ وَأَخْبِتْ بِهِ تَارِكَا مَا مَلَّكَ^(٥)
نَأَيْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِاللَّقَاءِ وَجِثْتَ فَقَاتَلَهُمْ بِالْهَرَبِ^(٦)

(١) أَتَاهُمْ : أى الدمستق ، وبأوسع : أى بغير أوسع ، وطوال وقصار منصوبان على الحال ؛ والسبب : شعر الناصية والعرف والذنب ؛ والعسب جمع عسيب ، وهو منبت الذنب . يقول : أَتَاهُمُ الدَّمَسْتُقُ بِغَيْلٍ مَوْضِعُهُمَا مِنَ الْأَرْضِ أَوْسَعُ مِنْ أَرْضِ الرُّومِ ؛ يصف عسكر الروم بالكثرة . ثم وصف خيلهم بأنها من جياذ الخيل ، لأن طول شعر الذنب وقصر عظمه ، مما يستحب في الخيل .

(٢) يقول : إذا علا جيشه الشواهيق — أى الجبال العالية — غطاها لكثرتها فغابت فيه ، وإذا تخلل جوانبها ظهرت صفاراً بالإضافة إليه وإلى سعة وانتشاره حولها .
(٣) تخط — بخذف إحدى التاءين — أى تتخطى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لكثرة رماح هذا الجيش وتضايق ما بينها غصن الهواء بها فلا تجد الريح منفذاً إلا أن تتخطى الرماح : أى تكون أعلى طريقاً منها أو تثب من فوقها .

(٤) اللجب : كثرة الأصوات واختلاطها . يقول : أَتَاهُمُ مِنَ الْجِيُوشِ بِمَا عَمَّ بِلَادَهُمْ فَكَأَنَّمَا أَغْرَقَهَا ، وَأَخْفَى أَصْوَاتَهُمْ بِأَصْوَاتِ جِيُوشِهِ لِكَثْرَتِهَا وَارْتِفَاعِهَا .

(٥) أخبت به : صيغة تعجب : أى ما أخبته في الحالين ، ويروى الثاني ؛ وأخبت به تاركا ، من الخينة ؛ وطالبا وتاركا : حالان . يقول : ما أخبته حين يحاول قتله لأنه استدبر في ذلك سيف الدولة خسة منه وجبناً ، وما أخيه إذ ترك هذه المحاولة وولى هارباً يطلب النجاة .

(٦) يقول : لما كنت بعيداً عن أهل النخور أَتَاهُمُ قَاتِلُهُمُ بِالْمُبَارَزَةِ ، فَلَمَّا جِثْتَ جَعَلَ الْمَرْبُ مَوْضِعَ الْقِتَالِ : أى حمى نفسه بالهرب ، فكأثما قاتلهم به كي ينجو .

وَكَانُوا لَهُ الْفَخْرَ كَمَا أَتَى وَكُنْتَ لَهُ الْعُذْرَ كَمَا ذَهَبَ^(١)
 سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ مَنَایَاهُمْ وَمَنْفَعَةُ الْفَوْتِ قَبْلَ الْعَطَبِ^(٢)
 فَخَرُّوا نَحْلَاقِهِمْ سُجْدًا وَلَوْ لَمْ تُغِثْ سَجَدُوا لِلصُّلْبِ^(٣)
 وَكَمْ ذُذَّتْ عَنْهُمْ رَدَى بِالرَّدَى وَكَشَفَتْ مِنْ كَرْبٍ بِالْكَرْبِ^(٤)
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ إِنْ يَعُدَّ يَعُدُّ مَعَهُ الْمَلِكُ الْمُقْتَصِبِ^(٥)

(١) يقول : إنه كان يفخر بأن قصدهم وصمد لقتالهم ، فلما ارتد عنهم هارباً كنت عذراً له في ارتداده لأنه لا يقوم لك ، ومثلك من يفر منه يعذر .

(٢) يقول : إنك أدركتهم قبل أن يعصف بهم فأغشتمهم قبل أن يعطوا ، وإعما ينفع الفوت إذا كان قبل العطب والهلاك ، أما بعد ذلك فلا قيمة للفوت ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول أبي تمام :

وَمَا تَنْفَعُ مَنْ قَدْ مَاتَ بِالْأَمْسِ ظَلَامًا إِذَا مَا سَمَاءُ الْيَوْمِ طَالَ انْهَمَارُهَا
 وقول البحري :

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغَيْثَ لَيْسَ بِنَافِعٍ لِلنَّاسِ مَا لَمْ يَأْتِ فِي إِبَّانِهِ

(٣) الصلب : جمع صليب ، وهو ذلك الذي يتخذه المسيحيون في بيوتهم ويعلمهم على شكل المصلوب . يقول : أما أقذمتهم وفر الدمستق سجدوا لله شكراً ، ولو لم تنقذهم لسجدوا لصلبان الأعداء خوفاً منهم .

(٤) يقول : كم دفعت عنهم الهلاك يا هلاكك من بنى هلاكهم ؟ وكَمْ كَشَفَتْ عَنْهُمْ الْكَرْبَ بِالْكَرْبِ الَّتِي أَنْزَلْتَهَا بِأَعْدَائِهِمْ ؟

(٥) المعتصب : أى التوج الذى يعتصب التاج برأسه . يقول : وقد زعم الروم أن الدمستق سيعود ومعه الملك الأعظم ، وعبر عن مجيء الملك بالعود مع أنه لم يكن قبل ذلك قصدهم - للشاكلة بين الفعلين ، على أن عاد قدير اد بها الإتيان لأول مرة كما قال :

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَحْسَنَ مَرَّةً إِلَى فَقَدْ عَادَتْ لَهَا ذُنُوبُ
 أَيْ أَتَتْ .

وَيَسْتَنْصِرَانِ الَّذِي يَمْبُدَانِ وَعِنْدَهُمَا أَنَّهُ قَدْ صُلبُ^(١)
لِيُدْفَعَ مَا نَالَهُ عَنْهُمَا فَيَا لِرَّجَالٍ لِهَذَا الْعَجَبِ^(٢)
أَرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الشَّرِكِينَ إِمَّا لِعِجْزٍ وَإِمَّا رَهَبٍ^(٣)
وَأَنْتَ مَعَ اللَّهِ فِي جَانِبٍ قَلِيلُ الرِّقَادِ كَثِيرُ التَّعَبِ^(٤)
كَأَنَّكَ وَخَدَكَ وَحَدَّثَهُ وَدَانَ الْبَرِيَّةُ بَابْنٍ وَأَبٍ^(٥)
فَلَيْتَ سُيُوفَكَ فِي حَاسِدٍ إِذَا مَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِمْ كَيْبُ^(٦)
وَلَيْتَ شَكَاتَكَ فِي جَنْبِهِ وَلَيْتَكَ تَجْزِي بِبُغْضٍ وَحُبٍ^(٧)
فَلَوْ كُنْتَ تَجْزِي بِهِ نِلْتُ مِنْكَ أَضْعَفَ حَظٍّ بِأَقْوَى سَبَبٍ^(٨)

(١) يقول : إن المستحق والملك يستنصران السيد المسيح ويسألانه النصرة على المسلمين وهما يعتقدان أن المسيح صلبته اليهود وقتلته .

(٢) عنهما : صلة يدفع . يقول : ويطلبان أن يدفع السيد المسيح عنهما ما ناله من القتل في اعتقادهم ، ثم تعجب من هذا وقال : وكيف يستطيع أن يدفع عنهما الهلاك وهو لم يستطع الدفاع عن نفسه ؟ ولام فيا للرجال : مفتوحة ، لأنها للمستغاث به ، ولام لهذا : لام التعجب ، وهي مكسورة ، أنشد سييويه لقيس بن ذريح :

تَكْنَفْنِي الْوِشَاءُ فَأَرْجُو فِي النَّاسِ لِلْوِشَى الطَّاعِ

(٣) يقول : أرى المسلمين قد هادنوا الشركين واجتمعوا معهم وتركوا قتالهم ، وذلك : إما عجزاً عنهم ، أو خوفاً منهم .

(٤) يقول : وأنت مع الله في جانب آخر تنزل على أمره بالجهاد فلا تنام عنه ، وقد جانبت غيرك من المهادنين والمواعدين .

(٥) يقول : كأنك وحدك الموحد لله تعالى ، وسائر الناس يدينون بدين النصارى الذين يقولون بالابن والأب .

(٦) ظهرت عليهم : ظفرت بهم وغلبتهم ، وكشب كآبة : حزن وظهرفيه الانكسار يقول : ليت الحاسد الذي يكتب لظفرك بالروم يقتل بسيفك .

(٧) و (٨) أراد بالشكاة : المرض الذي يشكوه ، وقوله تجزي به : أى بالحب أو البغض ، على أن الواو في قوله وحب : بمعنى أو . ولك أن ترجع الضمير إلى البغض

وقال في صباه ارجع لا وقد عذله أبو سعيد المجيمري (*) على تركه لقاء الملوك :

أَبَا سَعِيدٍ جَنْبِ الْقَتَابَا قَرُبٌ رَأَى خَطَأَ صَوَابَا^(١)
فَإِنَّهُمْ قَدْ أَكْثَرُوا الْحَجَابَا وَأُسْتَوْفَقُوا لِرَدَّنَا الْبَوَابَا^(٢)
وَأِنْ حَدَّ الصَّارِمِ الْقِرْضَابَا وَالذَّابِلَاتِ الشُّمْرُ وَالْعَرَابَا
يَرْفَعُ فِيمَا بَيْنَنَا الْحَجَابَا^(٣)

والحب جميعا ، لأن كليهما من أفعال القلب ، فكأنهما شيء واحد . والسبب : الوسيلة ، يقول : ليت المرض الذي تشكوه في جسم الحاسد وليتك تجزى من أبغضك ينفذه ومن أحبك بهبه كي أنال نصيبا من الحب ، إذ لو جزيتني على حبى لك - وهو أقوى سبب ، لأن حبى إياك أكثر من حب غيرى - نلت منك أقل حظ ، يشكو إعراضه عنه وأنه أقل الناس حظا منه مع أنه أشد حبا له . وعبرة ابن جنى : لو تناهيت في جزائك إياى على حبى إياك لكان ضعيفا بالإضافة إلى قوة حبى لك قال أبو الفضل العروضى : وهذا لا يقوله مجنون لبعض نظرائه ولن هو دونه فكيف ينسب التنبي سيف الدولة إلى أنه لو احتشد وتكلف في جزائه لم يبلغ كنهه ؟ وهذا الذى لاحظته العروضى لم يوفق فيه .

* هو أبو سعيد النبجى من بنى المجيمر ، قبيلة بمنج من طيء .

(١) رأى خطأ : يروى راء خطأ ، وذلك على حد قولهم : ضارب عمرو وضارب عمرا ويروى بدل هذين * قرب رأى أخطأ الصوابا * يقول : أبعد عني يا أبا سعيد عتابك فلا تماثبنى ، لأنك ترى الخطأ في زيارة الملوك صوابا ولست على رأيك :
(٢) فإنهم : أى الملوك .

(٣) القرضاب : السيف القاطع ؛ والذابلات : الرماح اللينة ؛ والعراة الحيل العرية . يقول : إنما يتوصل إلى الملوك ويهتك الحجاب الذى أقاموه على أبوابهم بالسلاح والخروج عليهم لا بغير ذلك ؛ وهذا بعض ما يشف عن طموح التنبي وآماله السكار

وقال في صباه ارجعوا لبعض الكلابيين وهم على شراب :

لَأَحْبَبِّي أَنْ يَمْلَأُوا بِالصَّافِيَاتِ أَلَا كُوبًا^(١)
وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَبْذُلُوا^(٢) وَعَلَى أَنْ لَا أَشْرَبَا
حَتَّى تَكُونَ الْبَاتِرَا تِ الْمُسِمَعَاتِ فَأَطْرَبَا^(٣)

وقال يرثى محمد بن إسحاق التنوخي وينفى الشامة عن بنى عمه (*) :

لَأَيِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ فِيهِ نُعَاتِبُ وَأَيَّ رَزَايَاهُ يَوْتِرُ نَطَالِبُ^(٤)

(١) الصافيات : جمع صافية ، وهى الخمر ؛ والأكوب جمع كوب ، وهو القدح لا عروة له .

(٢) أى يجودوا بالشراب

(٣) الباترات . السيوف اقواطع ؛ يريد : أنه لا يطرب إلا على صليل السيوف ؛ وهذا أيضا إحدى هنواته التى تدل على بعدهمته ، ولا سيما إذا لوحظ أنه مما قله فى صباه ، مثل الأبيات التى قبلها .

* لما مات محمد بن إسحاق هذا رثاه المتنبي بأبيات مطلعها :

إنى لأعلم والليبيب خبير

وستأتى ، ثم استزاده بنوعم المبت فقال هذه الأبيات :

غاضت أنامله وهن بحور

وستمر بك ، ثم سأله أن ينفى الثلاثة عنهم فقال :

الآل إبراهيم بعد محمد إلا حنين دائم وزفير

وترأها فى قافية الراء ، ثم سأله زيادة فى نفي الشامة عنهم فقال هذه الأبيات التى

نحن بصددها

(٤) اللام فى قوله لأى : حشو ورفر لتقوية العامل ، على حد قوله تعالى « إن كنتم

للزُّبَيَّا تَعْبُرُونَ » أى أى صرُوف الدهر نعاب ؛ والوتر : التأثر . يشكو الدهر يقول :

إن صرُوف الدهر ورزاياه كثيرة متوافرة ، فلا يمكن معابقتها ولا طلب التأثر منها .

مَفَى مَنْ قَدَدْنَا صَبْرُنَا عِنْدَ فَقْدِهِ
 وَقَدْ كَانَ يُعْطَى الصَّبْرَ وَالصَّبْرُ عَارِبٌ^(١)
 يَزُورُ الْأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ أَسْنَتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الْكَوَاكِبُ^(٢)
 فَتُسْفِرُ عَنْهُ وَالسُّيُوفُ كَأَنَّمَا مَضَارِبُهَا مِمَّا أَتَفَلَّلْنَ ضَرَائِبُ^(٣)
 طَلَعْنَ شُمُوسًا وَالْعُمُودُ مَشَارِقُ لَهْنٍ وَهَامَاتُ الرِّجَالِ مَغَارِبُ^(٤)

(١) العازب : البعيد ، يقول : إنه كان في حياته إذا فقد الناس الصبر في الشدائد
 بينهم ويحسن إليهم حتى يصبروا على ما ينوبهم بما ينالون منه ، وقد روى يعطى - بفتح
 الطاء - فيكون معناه أنه كان يصبر في المواطن التي كان يصعب فيها الصبر .
 (٢) العجاجة : الغبار ؛ والاسنة : أطراف الرماح . جعل الغبار المرتفع في الهواء
 سماء ، وجعل الأسنة لامة فيها كالسكواكب ، وهذا من قول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا كَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَلَقْنَا سَمَاءَ فَوْقَنَا بِنَجُومِهَا سَيْوُفًا وَنَعْمًا يَقْبِضُ الطَّرْفُ أَقْنَمًا
 وَقَالَ آخَرُ :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءَ فَوْقَهَا جَعَلَتْ أَسْنَتَنَا نَجُومَ سَمَائِهَا
 (٣) تسفر : تنجلي ، ومضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف وطبته وانفلتن :
 اتلتن ؛ والضرائب : جمع ضريبة ، وهي الشيء المضروب بالسيف يقول : إن هذه
 العجاجة تنجلي عنه ، وقد تللت سيوفه من كثرة الضرب حتى صارت كأنها مضروبة
 لاضاربة ، والعرب من عادتهم الفخر بفل سيوفها قال النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيْوْفَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
 وَفِي هَذَا الْبَيْتِ — بَيْتِ النَّابِغَةِ — مِنَ الْبَدِيعِ تَأْكِيدُ الْمَدْحِ بِمَا يَشْبَهُ الْقَدَمَ

(٤) الهامات : الرؤوس . يقول : إن سيوفه طلعت من أعماقها كالشمس في بريقها
 ثم غربت في رؤوس المضروبين ، فصارت رؤوسهم مغارب لها ، وهذا من قول أبي نواس
 في الحمير :

طَالَمَاتِ مَعَ الشُّعَاةِ حَلِينَا فَإِذَا مَا غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فِينَا

مَصَائِبُ شَتَّى جُمِعَتْ فِي مُصِيبَةٍ وَلَمْ يَكُنْهَا حَتَّى قَفَّتْهَا مَصَائِبُ^(١)
 رَثَى ابْنُ أَبِيْنَا غَيْرُ ذِي رَحِمٍ لَهُ فَبَاعَدَنَا مِنْهُ وَنَحْنُ الْأَقَارِبُ^(٢)
 وَعَرَّضَ أَنَا شَامِتُونَ بِمَوْتِهِ وَإِلَّا فَزَارَتْ عَارِضِيهِ الْقَوَاضِبُ^(٣)
 أَلَيْسَ عَجَبِيًّا أَنَّ بَيْنَ ابْنِ أَبِي لِنَجْلِ يَهُودِيٍّ تَدْبُ الْعَقَارِبُ^(٤)
 إِلَّا إِمَامًا كَانَتْ وَفَاةُ مُحَمَّدٍ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ لَيْسَ لِلَّهِ غَالِبٌ^(٥)

(١) شتى : متفرقة ؛ وقفتها : تبعثها . يقول : إن مصيبتنا به ليست واحدة وإنما هي لعظمها كأنها مصائب شتى ، ولم يكن ذلك حتى تبعثها مصائب أخرى ، وهى اتهام للفاسدين إيانا بأننا شامتون بموته .

(٢) قوله غير ذى رحم له : يروى ، غير ذى رحم لنا . يقول : إن هناك أجنبياً لا يمت إليه أو إلينا بأصرة قرابة يظهر الأسف على فقد ابن أبينا — يريد ابن عمنا — فأبعدنا عنه باتهامه إيانا بالثماتة ونحن أقرباؤه ، فموته إنما يحزننا نحن لا غيرنا .

(٣) عرض أنا شامتون : أى عرض فى مرثيته بأننا شامتون ، والتعريض الإشارة إلى الغرض من غير تصريح ، والعارضان : جانباً اللحية ؛ والقواضب السيوف القاطعة . وقال الواحدى : قوله ، وإلا فزارت يحوز أن يكون من كلام المعرض حكى عنه ما قال كأنه قال : هم شامتون بموته ، وإلا فزارتنى السيوف : أى قتلت بها إن لم يكن الأمر على ما أقول ، فيكون هذا تأكيداً لما ذكر من ثماتهم ؛ ويحوز أن يكون من كلام الذين ينفون الثماتة عن أنفسهم . يقول : إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارِضيه بالسيوف ، فيكون هذا تأكيداً لنفى الثماتة ، وأن الأمر ليس على ما ذكر .

(٤) أن بين بنى أب : أى أنه بين بنى أب ، فاسم إن هو ضمير الشأن ، والنجل : الولد ، وديب العقارب : كناية عن الخيعة . يقول : أليس عجباً أن تدب عقارب يهودى بين بنى أب أى إخوة فيوقع بينهم العداوة ؟ يريد هذا الذى كان يمتى بينهم بالخيعة ، وجعله ابن رجل يهودى مبالغة فى أجنبيته عنهم ويريد بوصفه يهودى أنه خبيث دساس .

(٥) يقول : برغم أنه كان يغلب جميع الناس لم يقدر على الامتناع من الموت ، فدل ذلك على أنه ليس لله غالب ، وهذا من قول أبى تمام .

كُفِّ قَتْلُ مُحَمَّدٍ شَاهِدٌ أَنَّ الْعَزِيزَ مَعَ الْقَضَاءِ ذَلِيلٌ

وقال يمدح المفيث بن علي بن بشر العجلي :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَا لِأَهْلِهِ وَشَقَى أُنَى وَلَا كَرَبَا^(١)
حُجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَتَى الْفِرَاقُ لَنَا مِنَ الْقَوْلِ وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَا^(٢)
سَقَيْتُهُ عِبْرَاتٍ ظَنَنْهَا مَطْرًا سَوَائِلًا مِنْ جُفُونِ ظَنَنْهَا سُحْبَا^(٣)
دَارُ الْمَلَمِّ لَهَا طَيْفٌ تَهْدَدُنِي لَيْلًا فَمَا صَدَقَتْ عَيْنِي وَلَا كَذِبَا^(٤)

هذا وقال العكبري — تعليقاً على قوله : أن ليس — : أن هي الخففة من الثقيلة ، ولا تدخل إلا على الاسم ؛ ولا تدخل على الفعل حتى يحجز بينه وبينها حاجز لدخولها على الأسماء ، كقوله تعالى « ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم » تقديره : أنه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ؛ وكقوله تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » تقديره : أنه سيكون ؛ فلا بد من حرف يحجز بينها وبين الفعل ؛ وقد دخلت هنا على ليس — وهي فعل بلا حاجز — وذلك لضعف ليس عن الأفعال ؛ ولأنها غير متصرفة كتصرف الأفعال ؛ ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ماسعى » .

(١) أنى : أى كيف وأنى بمعنى كيف كثير . قال تعالى : « أنى يحيي هذه الله بعد موتها » . وكرب : من أفعال المقاربة ، تقول كرب أن يفعل كذا : أى كاد وقارب ؛ يقول : إنه بكى في أطلال الأحبة بدمع قضى ما وجب لهم وشفاه بما ألم به من وجد ، ثم رجع عن ذلك وقال : وكيف أظن أن بكأتى قضى ما يجب وشقى ما فى نفسى من لوعة وهو لم يقض الحق ولم يشف الوجد ولا قارب أن يقضى ، يريد أنه قاصر عن ذلك . وفى هذا البيت من البديع ما يسمونه الرجوع ؛ وهو العود إلى الكلام السابق بالنقض والإبطال ، وهو كثير فى كلام الشعراء ، ومنه قول زهير :

قِفْ بِالْدَّيَارِ الَّتِي لَمْ يَقِفْهَا الْقِدَمُ بَلَى وَغَيَّرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالْدِّيمُ
(٢) عاج بالمكان : وقف به . يقول : غطفنا على هذا الربع لنزوره فأذهب ما كان بقى من عقولنا بعد الفراق بتجديده ذكرى الأحية فضلاً عن أن يرد علينا ما كان قد ذهب منها لدى الفراق .

(٣) يقول : سقيت هذا الربع دموعاً سوائل ظننا مطراً من جفون ظننا سحبا .
(٤) دار الملم لها طيف : أى هذا الربع هو دار التى ألم طيف لها ، فدار : خبر

نَأَيْتُهُ فَدَنَا أَدْنَيْتُهُ فَنَأَى جَشَّتُهُ فَنَبَا قَبْلَتُهُ فَأَبَى ^(١)
 هَامَ الْفُؤَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتَ يَتَنَا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمْدُدْ لَهُ طُنْبًا ^(٢)
 مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا مَظْلُومَةُ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبَا ^(٣)

مبتدأ محذوف ، والألف واللام — فى الملم — بمعنى التى ؛ وطيف : فاعل ملم ولها حال
 مقدمة من قوله طيف . يقول : إن هذا الربع هو دار المرأة التى زارنى لها طيف .
 أوعدنى ليلا . أى هددنى بالمهجر فما صدقت عينى لأنها رأت خيالا لأن ذلك كان رؤيا ،
 ولا كذب الطيف فى تهديده لأنه هجرنى بعد ذلك ، إذ لم أتم بعدها .

(١) نَأَيْتُهُ بَاعَدْتُهُ : وىروى أَنَأَيْتُهُ : أى أَبْعَدْتُهُ ؛ ودنا : قرب ، وجشته : غالزته
 وداعيته ، ونبا : تجافى وتباعد ؛ وأنبيته أنا : دفعته عن نفسى ؛ وفى المثل :

الصدق ينبى عنك لا الوعيد

أى أن الصدق يدفع عنك الغائلة فى الحرب دون التهديد ؛ ونبا السيف : إذا لم يعمل
 فى الضريبة ؛ ونبا بصرى عن النبىء ونبا به منزله : إذا لم يوافقه ؛ وأبى : امتنع ، يقول :
 كلما أردت من هذا الطيف شيئا قابلنى بضده ، وهذا قريب من قوله :

* صدت وعلمت الصدود خيالها *

(٢) الهيام : أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه ؛ والطنب : جبل الخباء
 والسرادق ونحوهما ، قال ابن جنى ، يقول : ملكت قلبى بلا كلفة ومشقة ، فكانت كمن
 سكن بيتا لم يتعب فى إقامته ولا مد أطنابه . وقال الواحدى : وأحسن من هذا أن يقال :
 اتخذت بيتا من قلبى فزنته ، والقلب بيت بلا أطناب ولا أوتاد .

(٣) يقول : هى مظلومة القد — إذا شبه بالنصن ، لأنه أحسن منه — وهى
 مظلومة الريق — إذا شبه بالعلل لأنه أحلى منه ؛ والضرب — وهو العسل الأبيض
 الغليظ — يذكر ويؤنث ؛ قال أبو ذؤيب الهذلى فى تأنيته :

وما ضَرَبَ بيضاءَ يَأْوِي مَلِيكُهَا إِلَى طُنْفٍ أَعْيَا بِرَاقٍ وَنَازِلٍ
 بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا إِذَا جِثَ طَارِقًا وَأَشْهَى إِذَا نَامَتْ كَلَابُ الْأَسَافِلِ ^(١)

(١) يَأْوِي مَلِيكُهَا : أى يعسوبها ؛ ويعسوب النحل : أميره ؛ والطنف : حيد يندر

بَيْضَاءُ تُطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حُلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا^(١)
كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْيِي كَفَّ قَابِضِهِ شُعَاعُهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبًا^(٢)
مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرَبُّبِنَهَا فَقُلْتُ لَهَا
مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا^(٣)
فَاسْتَضَحَّكَ ثُمَّ قَالَتْ كَالْمُعِيثِ يُرَى
لَيْثَ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عِجْلِ إِذَا أَنْتَسَبَا^(٤)

(١) الحلة : الثوب ؛ ومطلوبا : منصوب على الحال أو التمييز . يقول ؛ إنها لأنها
ولين حديثها تطمع العاشق في نفسها ، فإذا حاول ذلك محاول عز عليه مطايع لمعتها وصياتها ؛
ومثل هذا قول بعضهم :

يُحْسِنَ مِنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ دَوَانِيَا وَيَهِنُ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارُ^(١)
(٢) يعي : يعجز ، والضмир في قابضه للشعاع ؛ وشعاعها فاعل يعي ، والطرف :
النظر ؛ ومقتربا : حال . شبهها بشعاع الشمس في قربها من الطرف وبعده عن القبض
عليه ؛ وهذا كما يقول ابن عينية :
وَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
ويقول الطرماح :

هِيَ الشَّمْسُ لَمَّا أَنْ تَغِيبَ لَيْلَهَا وَغَارَتْ فَمَا تَبْدُو لَعِينِ نَجْمُهَا
تَرَاهَا عُيُونُ النَّاطِرِينَ إِذَا بَدَتْ قَرِيبًا وَلَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَرُومُهَا
وأجمل من هذا قول العباس بن الأحنف :

هِيَ الشَّمْسُ مَسْكَنُهَا فِي السَّمَاءِ فَمَرَّ الْفَوَادَ عَزَاءً جَمِيلًا
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْهَا الصُّفُودَ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ إِلَيْكَ النُّزُولُ
(٣) و (٤) القرب : المساوى لغيره في العمر ؛ ويقال للذة ؛ والشادن : من الظباء

من الجبل قد أعيا بمن يرقى ومن ينزل ؛ وقوله كلاب الأسافل : يريد أسافل الحمى لأن
مواشيهم لا تبني معهم ؛ فرعاتها وأصحابها لا ينامون إلا آخر من ينام لاشتغالهم بحلبها .

جَاءَتْ بِأَشْجَعٍ مِّنْ يُسْعَى وَأَشْمَحَ مِّنْ
أَعْطَى وَأَبْلَغَ مِّنْ أَمَلَى وَمَنْ كَتَبَا^(١)
لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي مُفَقِّدٍ لَمْ تَشَى
أَوْ جَاهِلٍ لَصَحَا أَوْ أُخْرَسَ خَطْبَا^(٢)
إِذَا بَدَا حَجَبَتْ عَيْنَيْكَ هَيْبَتُهُ
وَلَيْسَ يَحْجُبُهُ سِتْرٌ إِذَا أُحْتَجَبَا^(٣)

الذي قوى وترعرع واستنقى عن أمه ؛ يريد به المحبوبة ؛ واستضحك : بمعنى ضحك ،
والغيث : اسم المدوح ، وكالغيث : أى أنا كالغيث ، والليث : الأسد ، والشرى : موضع
تكثر فيه الأسود ، وعجل : قبيلة المدوح . يقول : مرث بن أبي نزيه تربيها قتل لها : أنت
من الظباء وترباك من العرب ، فكيف اتفقت هذه المجانسة بينك وبينهما ؟ فضحكت
ثم قالت : لانهجب من ذلك فإني كالغيث : تراه من الأسود ، وهو مع ذلك من عجل ؟
وكذلك أنا : تراني من الظباء وأنا عريية . وفي هذين البيتين من البديع ما يسمونه حسن
التخلص ، وهو الخروج مما ابتدئ به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود مع رعاية
للإلمام بينهما .

(١) أى جارت هذه المحبوبة بذكر رجل هذه أوصافه : وقيل جاءت هذه القبيلة
التي هي عجل بمن هذه أوصافه .

(٢) يقول : إن خاطره لتوقده لو كان في زمن^(١) لشي ، أو في جاهل لصحا من
جهله وصار عالما . أو في أخرس لقد رطى النطق .

(٣) يقول في الشطر الأول : إذا ظهر للناس حجب هيبته عيونهم عن النظر إليه
لشدة هيبته ، وهذا كقول الفرزدق :

يُبْفِي حَيَاءً وَيُبْفِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَنِسُ

(١) الزمن ذو الزمالة : أى العاهة ، وهو هنا في معنى التمتع .

يَاضُ وَجْهِ يُرِيكَ الشَّمْسَ حَالِكَةً
وَدُرُّ لَفْظِ يُرِيكَ الدَّرَّ تَحْشَلِبَا^(١)
وَسَيْفُ عَزَمِ تَرُدُّ السَّيْفَ هَبْتُهُ رَطْبُ الْفِرَارِ مِنَ التَّأْمُورِ مُخْتَضِبَا^(٢)

وقوله أيضاً :

وَإِذَا الرُّجَالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأْيَتَهُمْ خُضَعَ الرِّقَابُ نَوَاكِسَ الْأَبْصَارِ^(١)
ويقول أبو نواس :

إِن الْعِيُونَ حُجِبْنَ عَنْكَ لِهَيْبَةٍ فَإِذَا بَدَوْتَ لَهُنَّ نُكُسْنَ نَاطِرُ
ويقول في الشطر الثاني : إذا احتجب وراء الستور ظهر نور وجهه من ورأها
فلم تستطع حجبها ، وهذا كقول القائل :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ نَلِوَةٍ هَيْبَاتٍ لَسْتَ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
وقال ابن جني : هذا يحتمل تأويلين : أحدهما أن حجابها قريب لما فيه من التواضع
فليس يقصر أحد أراده دونه وإن كان محتجبا ؛ والآخر أنه وإن احتجب فهو كلا
محتجب لشدة يقظته ومراعاته الامور . وعبرة الخطيب : الذي أراده المتنبي أن حسنه
وبهائه لا يحجب شيئا ، والبيت الذي يليه يشهد له

(١) الحالك : الشديد السواد ؛ والمخشب : خرز أبيض يشبه الدار ، والعرب
تسميه الخضض ؛ أما المخشب فهي كلمة بنطية . يقول : إن نور وجهه يغلب نور الشمس
حتى ترى إذا قابلها كأنها سوداء ، وأن لفظه أحسن من الدر حتى يرى الدر إذا نطق
كأنه خرز .

(٢) هبته : مضاهة ؛ والفرار : الحد ؛ والتأمر : دم القلب . قال أوس بن حجر .

أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي سُجَيْمٍ أَوْجَعُوا أَيْبَاتَهُمْ تَأْمُورَ نَفْسِ الْمُنْذِرِ
« أي مهجة نفسه وكانوا قتلوه » يقول المتنبي : إن مضاء عزمه يصير السيْف رطب
الحد من دم الأعداء .

(١) خضع : جمع خضوع أي خاضع ونواكس جمع شاذ ويروى منكسى : نواكسى أي
مطاطئ رؤسهم منكسى أبحارهم إجلالاً له وهيبة وللنحو بين في نواكس كلام طريف فانظره
(١٦ — المتنبي ١)

عُمِرُ الْعَدُوُّ إِذَا لَقَاهُ فِي رَهْجٍ أَقْلٌ مِنْ عُمَرٍ مَا يَحْوِي إِذَا وَهَبًا^(١)
تَوَقَّهُ قَمَتِي مَا شِئْتَ تَبْلُوهُ فَكُنْ مُعَادِيَهُ أَوْ كُنْ لَهُ نَشَبًا^(٢)
تَحْلُو مَذَاقَتَهُ حَتَّى إِذَا غَضِبَا حَالَتْ فَلَوْ قَطَرَتْ فِي الْمَاءِ مَا شَرِبَا^(٣)

(١) الرهج : الغبار ، وأرهج الغبار : أثاره . يقول : إذا لقي عدوه في غبار الحرب قصر عمره حتى يكون أقصر من عمر المال عنده إذا أخذ في العطاء .
وفال ابن القطاع : يريد أن عمر العدو حين يلاقيه قريب ، كما أن عمر المال عنده قريب حين يدخل إليه فلا يكاد حتى يهبه ؛ وليس يريد أن عمر العدو أقل من عمر المال ، وإنما يريد المساواة والمقارنة وأنهما لا يتيقنان . وقوله إذ وهبا : أي إذا أراد أن يهب .
(٢) تبلوه : أراد أن تبلوه ، لحذف أن وبقي عملها . قال العكبري : تبلوه : اتصّب بإضمار أن ، وهو على مذهبنا ، فإن أهل الكوفة نصبوا بها مقدرة ، وأبى ذلك البصريون ؛ وحجتنا ما قرأ به عبد الله بن مسعود : « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدوا إلا الله » فأعمل أن مقدرة ؛ وحجتنا أيضا قول عامر بن الطفيل :
* وَمَنْهَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَفْسَلَهُ *

فنصب أفعله بأن المقدرة . والنشب : السال . يقول : احذره ولا تحم حوله بالعداء ، فإن أردت اختباره فكن عدوه أو مالا في يده حتى ترى ما يحل بك من الإباداة والإفناء ، وفي معنى هذا البيت قول مسلم بن الوليد :

تَظَلُّمُ الْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ مِنْ يَدِهِ لَا زَالَ لِلْمَالِ وَالْأَعْدَاءِ ظِلَامًا
وما أحلى قول أبي نواس :

لَيْتَ مِنْ كَانَ عَدُوِّي كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ مَالًا

(٣) حالت : تغيرت ، وجعل المذاقة مما يقطر اتساعا . يقول : هو عذب الأخلاق فإذا غضب تغيرت فأضنت مرة فلو أمكن أن يمزج الماء بها لم يطق أحد شربه ؛ يعني أن فيه حلاوة لأولياته ومرارة لأعدائه ، وفي الماء يروى في البحر قال العكبري : وأراد بالبحر ههنا العذب ، قال الله تعالى « مرج البحرين » يريد الملح والعذب ؛ وأهل مصر والصعيد كلهم يسمون النيل : البحر . هذا وفي البيت تصريح ، وهو ما يحسن استعماله للخروج من قصة إلى قصة كما أسلفنا .

وَتَنْبِطُ الْأَرْضُ مِنْهَا حَيْثُ حَلَّ بِهِ
وَتَحْسُدُ أَنْخِلُ مِنْهَا أَيُّهَا رَكِبًا^(١)

(١) الغبطة والحسد : كلاهما بمعنى التمني ، بيد أن الغبطة أن تتمنى مثل حال المغبوط من غير أن تريد زوالها ولا أن تتحول عنه ، والحسد أن تتمنى مثل نعمته على أن تتحول عنه ؛ فالغبطة أخف . تقول منه غبطته بما نال أغبطه غبطا وغبطة فاغبط هو كقولك منعته فامتنع ، وحبسته فاحتبس . قال حريث بن جبلة العذري :
وينا المرء في الأحياء مُغْبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ
وغبطت الكباش أغبطه غبطا : إذا حبست إلیته لتنظر أبه طرق أم لا؟^(٢) وغبط الشاة والناقة : حبسها لينظر منهما من هزالها . قال رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من سليم :

إِذَا تَجَلَّيْتَ غَلَاَقًا^(٣) لَتَعْرِفَهَا لَاحَتْ مِنَ اللَّوْمِ فِي أَعْنَاقِهَا الْكُتُبُ
إِنِّي وَأَنْتِي ابْنَا غَلَاَقٍ لَيَقْرَيْنِي

كغايطِ الْكَلْبِ يَنْفِي الطَّرْقَ فِي الذَّنْبِ

وقد سئل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل يضر الغبط ؟ قال : لا ، إلا كما يضر العضاة الخبط ، أراد صلوات الله عليه أن الغبط لا يضر ضرر الحسد ، وأن ما يلحق الغايط من الضرر الراجع إلى نقصان الثواب دون الإحباط بقدر ما يلحق العضاء من خبط ورقها الذي هو دون قطعها واستئصالها ، ولأنه يعود بعد الخبط ورقها : فهو وإن كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الإثم . وأصل الحسد : القشر ؛ وأصل الغبط : الجس ؛ والشجر إذا قشر عنها لحاؤها يبست ، وإذا خبط ورقها استخلف دون يدي الأصل ، وضمير منها : للأرض ، وضمير به : لحيث حل الذي يقع مغفولا به لتببط ، وضمير منها الثانية : للخليل ، وأيها : مفعول تحسد يقول : إن الأرض تببط بعضها البعض الذي يحل فيه ، والخليل يحسد بعضها البعض الذي يركبه . قال ابن جني : وجعل الغبطة للأرض لأنها وإن كثرت بقاها فهي كالكان الواحد لاتصال بعضها ببعض

(١) الطرق : — الشحم أو السمن .

(٢) غلاق : — كشداد رجل أبو حى .

وَلَا يَرُدُّ فِيهِ كَفَّ سَائِلِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَيَرُدُّ الْجَحْفَلَ اللَّجِبَا^(١)
وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ أَفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا^(٢)
مَالٌ كَانَ غَرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكُلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا^(٣)

والجلى ليست كذلك لأنها متفرقة فاستعمل لها الحسد ، والبيت مأخوذ من قول
أبي تمام :

مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةٌ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
(١) الجحفل : الجيش العظيم ، واللجب : المختلط الأصوات . يقول : إنه جواد
شجاع لا يستطيع أن يرد سائله ، ولكنه يرد وحده الجيش العظيم .
(٢) قوله من قبل يصطحبا : أراد من قبل أن يصطحبا ، فحذف أن وأبقى عملها ،
يقول : إذا اتقى الديناران لديه تفرقا قبل اصطحابها ، فهما يلتقيان مجتازين لامصطحبين
وقال الواحدى : يجوز نصب الدينار وصاحبه ويكون معناه كلما لقي المدوح الدينار
مصاحباه ، وما أجمل ما يقول النضر بن جؤية بن النضر فى هذا المعنى :

قَالَتْ طَرِيفَةُ مَا تَبْقَى دِرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفَ فِيهَا وَلَا خَرْقُ
إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دِرَاهِمُنَا ظَلَّتْ إِلَى طَرُقِ الْمُرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ لِلْمَضْرُوبِ صُرْتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
حَتَّى يَصِيرَ إِلَى نَذْلٍ يُخْلِدُهُ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمِرُقُ
(٣) المجتدى : السائل ، ونعيب الغراب : صاحبه ، والبين : الفراق يقول : هذا

المال كان غراب البين يرقبه ، فكما جاء مجتد صاح فيه ففترق ثمنه ، وعبرة الواحدى
إن ماله يرقبه غراب البين ، فإذا جاء السائل فرق المدوح ماله ، فكان غراب البين
نعب فى مال المدوح بالتفريق ، وما ذكر من رقبة الغراب ونعبيه بيان ومثال لتفريقه
المال عند مجيء السائل ، والأصل فى هذا أن العرب تقول : غراب البين إذا صاح فى
ديار قوم ففرقوا ، أما ما قاله ابن جنى من أن المعنى : كما أن غراب البين لا يفتر عن الصياح . كذلك
هذا لا يفتر عن العطاء : فهو بعيد ، ومن الذى قال إن الغراب لا يفتر عن الصياح ؟
هذا وقالوا إنما حسنت الإضافة فى غراب البين لأنه اسم مشترك يقع على أشياء ، فمنها
غراب الفأس : أى حدما . قال الشماخ يصف رجلا قطع نبعة :

بَحْرٌ عَجَابُهُ لَمْ تَبْقَ فِي سَمَرٍ وَلَا عَجَائِبُ بَحْرِ بَدَهَا حَجَبًا^(١)
لَا يُفْنِعُ ابْنٌ عَلِيَّ نَيْلٍ مَنْزِلَةٍ يَشْكُو مُحَاوِلَهَا التَّقْصِيرَ وَالتَّعْبَا^(٢)
هَزَّ اللِّوَاءَ بَنُو عِجْلِ بِهِ فَفَدَا رَأْسًا لَهُمْ وَغَدَا كُلُّهُمْ ذَنْبًا^(٣)

فَانْتَحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدِّ غُرَابَهَا عَدُوٌّ لَأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

« أَى أَمَالِ عَلَى النُّبَّةِ فَأَسَا ذَاتَ حَدِّ ، غُرَابَهَا — أَى حَدِّهَا — مُشَارِزُ : أَى مُعَادِ أَوْسِيءِ الْخَلْقِ ، وَالْمُشَارِزَةُ هِيَ الْمُشَارَسَةُ ، وَمِنْهَا الْغُرَابُ : قَذَالُ الرَّأْسِ يُقَالُ شَابَ غُرَابُهُ : أَى شَعَرَ قَذَالَهُ . وَالْغُرَابَانِ مِنَ الْفَرَسِ وَالْبَعِيرِ حُرْفَا الْوَرَكَيْنِ الْأَيْسَرِ وَالْأَيْمَنِ اللَّذَانِ فَوْقَ الذَّنْبِ حَيْثُ التَّقَى رَأْسَا الْوَرَكِ الْيَمْنَى وَالْيَسْرَى ، قَالَ الرَّاجِزُ .

يَا عَجَبًا لِلْمُعْجَبِ الْمُعْجَابِ خَمْسَةُ غُرَبَانِ عَلَى غُرَابِ

(١) السمر : السامرة ، وهو حديث الليل ، وأصله أنهم كانوا يسمرون في ظل القمر ، وأصل السمر : ظل القمر ، والسمرة مأخوذة من هذا ، وسمر يسمر سمرًا وسمورًا لم ينم : وهو سامر ، وهم السمار ، والسامر أيضًا السمار ، وهم القوم يسمرون . قال الأزهري : وقد جاءت حروف على لفظ فاعل وهي جمع ، فمنها الحامل والسامر والباقر والحاضر ، والحامل للابل ويكون فيها الذكور والإناث ، والسامر : الجماعة من الحى يسمرون ليلا ، والحاضر الحى النزول على الماء ، والباقر : البقر فيها الفحول والإناث ، قالوا : والسامر أيضا : الموضع الذى يجتمعون للسمر فيه ، وأنشدوا :

• وَسَامِرٌ طَالٌ فِيهِ اللَّهْوُ وَالسَّمَرُ •

وابنا سمر الليل والنهار لأنه يسمر فيهما . يقول : هو بحر له عجائب في باب الفضل والاشجاعة لأنها كيهما عجائب البحار ولا ما يتحدث به السمار ، إذ هي بالقياس إليها كالشئ المؤلف لغرابة ما يبدو منه ويتحدث عنه ، وعبرة ابنى جنى : تشاغل الناس بالتعجب من فضائل هذا الرجل عن عجائب الأسفار والبحار

(٢) ههاولها : أى طالها ، وأصله طلب الشئ بالحيلة . يقول : لا يقنع المدوح أن ينال المنزلة العظيمة التى يشكو طالها قصوره عنها وتعبه فى تحصيلها ، إذ هو دائما يطمح إلى ما يجيز عنه الطالبون .

(٣) اللواء الراية ، وبنو عجل : قبيلة المدوح . يقول : حركوا اللواء باسمه — أى

التَّارِكِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَهْوَنَهَا
وَالرَّاكِبِينَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا صُمِبَا^(١)
مُبْتَزِّي خَيْلِهِمْ بِالْبَيْضِ مُتَّخِذِي
هَامِ الْكِمَاةِ عَلَى أَرْمَاحِهِمْ عَذَابًا^(٢)

جعلوه سيدهم وقائدهم — فاذا حركوا رايتهم حركوها باسمه ، فصار سيدهم وصاروا هم به مادة الناس ، فهو رأس بني عجل فصاروا بذلك سادة الناس ، وصار الناس أذنانا لهم وتبعوا .

(١) نصب التاركين على المدح بإضمار أعنى أو أمدح . يقول : إنهم — بعد مهمتهم — يتركون ما هان من الأمور وسهل وجوده ، ويرومون الصعب الشاق منها ، وفي هذا يقول الطهوي :

وَلَا يَرْعَوْنَ أَكْنَافَ الْهُوَيْنَا إِذَا حُلُّوا وَلَا رَوْضَ الْمُدُونِ^(١)

(٢) البيض : السيوف ، والهام : الرؤوس ، والكمأة : الأبطال المدججون في السلاح والعذب : جمع عذبة وهي الریش الملق في طرف الرمح . يقول : إن سيوفهم تحول دون خيلهم أن يصل إليها أحد بطعن أو ضرب : إما لمنازلتهم دونها ، أو لحذقهم بالضرب ، فتكون لها بمنزلة البراقع . والمعنى أنهم يحمونها بالسيوف لا بالبراقع والتجافيف . وعبرة أبي الفضل العروضي : أن سيوفهم مكان البراقع لحيلهم فلا يصل العدو إلى فرسانهم . وقوله متخذى هام الكمأة : معناه أنهم يأخذون رؤوس الأبطال بأطراف رماحهم ، فتكون مع شعورها بمنزلة العذب التي تعلق بالرمح . وقال جرير في هذا المعنى :

كَأَنَّ رُءُوسَ الْقَوْمِ فَوْقَ رِمَاحِنَا

غَدَاةَ الْوَغَى تَيْجَانُ كِسْرَى وَقِصْرَا

وقال مسلم بن الوليد :

يَكْسُو السُّيُوفَ نَفُوسَ النَّاكِثِينَ بِهِ وَيَجْعَلُ الْهَامَ تَيْجَانًا لِقَنَا الذُّبُلِ

(١) الهدون : الدعة والسكون .

إِنَّ النَّبِيَّةَ لَوْ لَاقَتْهُمْ وَقَفَتْ خَرَقَاءَ تَتَبِعُهُمُ الْإِفْدَامَ وَالْمَرْبَا^(١)
مَرَاتِبٌ صَعِدَتْ وَالْفِكْرُ يَتَّبِعُهَا فَجَازَ وَهُوَ عَلَى آثَارِهَا الشُّبُهَا^(٢)
مَحَامِدُ نَزَفَتْ شِعْرِي لِيَتَمَلَّأَهَا فَالَ مَا امْتَلَأَتْ مِنْهُ وَلَا نَضَبَا^(٣)
مَكَارِمُ لَكَ فَتَ الْعَالَمِينَ بِهَا مَنْ يَسْتَطِيعُ لِأَمْرِ قَائِتٍ طَلَبَا^(٤)

وقال أبو تمام :

أَبْدَلَتْ أَرْوُسَهُمْ يَوْمَ الْكَرِيهِهِ مِنْ

قَنَا الظَّهْمُورِ قَنَا الْخَطِيئُ مُدْعِمَا

مِنْ كُلِّ ذِي لِمَةٍ غَطَتْ ضِفَائِرُهَا صَدَرَ الْقَنَاةِ فَقَدْ كَادَتْ تُرَى عِلْمَا

(١) الخرقاء : الحقاء ، مؤنث الأخرق . يقول : لولا قتلهم النية يوم الوغى للبطت بالأرض

خوفا وفزعا لاتبعه لها رأى في السلامة فهي تهم الإقدام وتهم الحرب خشية الإدراك :
أى تقدر أنها إن هربت أدركت . قال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْوَعٍ تَرْتَاعُ الْمُنُونُ لَهُ إِذَا تَجَرَّدَ لَانِكْسُ وَلَا حَذِرُ

وقال أيضاً :

شَوْسٌ إِذَا خَفَقَتْ عُقَابُ لَوَاهِمِمْ ظَلَّتْ قُلُوبُ الْمَوْتِ مِنْهَا تَحْقِيقُ

(٢) الشهب : الكواكب . يقول : إن لهم مراتب عالية علت في السماء فصارَتْ أَعْلَى

من الكواكب ، لأن الفكر الذى يتبعها جاز الكواكب ولم يلحقها .

(٣) نزفت : استنفدت ، وآل : عاد ورجع ؟ ونضب : جف . قال الواحدى :

جعل اقتضاء المحامد أن تنظم بالشعر نزفا وجعل الشعر — لكونه مقتضى — مزوفا .

يقول : لم تتلى هذه المحامد من شعري : أى لم تبلغ الغاية التى تستحقها من شعري ،

ولا شعري فنى ، فأنا أبدا أمدحهم : ويان ذلك أن لهم محامد استخرجت شعري لينظم

تلك المحامد كلها فلم تنحصر بالشعر ولم يفن الشعر يريد كثرة محامدهم وكثرة مدائمه لم

يعنى أنه سيعود إلى استيفاء مدائحهم ، وجعل الشعر كالماء ينزف ، واستغراق محامدهم

في الشعر كلثها بالماء ، ولما جعل الشعر . كالماء جعل فناءه نضوبا .

(٤) يقول : لك مكارم سبقت بها العالمين فليس فى مكنة أحد إدراكها ومن يستطيع

إدراك أمر قائم ؟

لَمَّا أَقَمْتَ بِأَنْطَاكِيَّةِ اخْتَلَفْتَ إِلَى الْخَبِيرِ الرُّكْبَانُ فِي حَلَبَاً^(١)
 فَسِرْتُ نَحْوَكَ لَا أَلْوَى عَلَى أَحَدٍ أَحْتُ رَاحِلَتِي الْفَقْرَ وَالْأَدْبَاً^(٢)
 أَذَاقَنِي زَمَنِي بَلَوَى شَرِقتُ بِهَا لَوْ ذَاقَهَا لَبَكَّى مَا عَاشَ وَأَنْتَحَبَاً^(٣)
 وَإِنْ عَمَرْتُ جَعَلْتُ الْحَرْبَ وَالِدَةً وَالسَّمْهَرِيَّ أَخَا وَالشَّرِيفَ أَبَا^(٤)
 بَكْلًا أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُنْتَسِمًا حَتَّى كَانَ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَاً^(٥)
 قُحَّ يَكَادُ صَهِيلُ الْخَيْلِ يَقْذِفُهُ عَنْ سَرَجِهِ مَرَحًا بِالْقَرْوِ أَوْ طَرَبَاً^(٦)

(١) و (٢) اختلفت : ترددت وجاءت مرة بعد أخرى ، والمراد بالركبان : القصاد الذين صعدوا إلى الممدوح فأبوا بالهبات والعطايا ، ولا ألوى لا أعرج . يقول : لما أقمت بأنطاكية جاءتني ركبان الغاة — الذين قصدوا إليك وأنا في حلب — فها عثمت أن سرت نحوك لا أعرج في سيرى ولا أقف ، حتى وصلت إليك محمولا على راحلتين من فقرى الذى يحفزنى إلى بابك طلبا لجذواك وأدبى الذى تسببت به إليك .

(٣) شرقت : غصصت ، وضمير ذاقها : للزمن . وقوله ما عاش . أى مابق وامتد . والاتحاب : رفع الصوت وتردده بالبكاء . يقول : أذاقنى الدهر من الفقر والغربة شيئا لو ذاقه هو لبكى وانتحب مدة حياته ولم يستطع عليه صبرا لأنه الغاية فى الشدة ، فكيف أصبر أنا عليه ؟

(٤) عمرت : عشت ، والسّمهرى : الرمح ، والشرفى : السيف ، كنى بهذه القربات عن ملازمة هذه الذكورات . يقول : إن عشت وتنفس بى العمر لازمت الحرب حتى أدرك طلبى . هذا ويقال عمر الرجل بكسر الميم يعمر عمرا وعمارة وعمرا ، وعمر — بالفتح — يعمر ويعمر : أى عاش وبقي زمانا طويلا ومنه قولهم : أطال الله عمرك وعمركوما وإن كانا مصدرين بمعنى ، إلا أنه استعمل فى القسم أحدهما وهو المفتوح .

(٥) و (٦) الأشعث : المفبر من طول السفر ولقاء الحروب ؛ والقح : الخالص : أى العربى الخالص النسب ؛ وقح : نعت لأشعث ، والمرح : النشاط . يقول : للازمت الحرب بكل رجل قد طال تمرسه بالحروب والأسفار حتى تراه يرمى بنفسه فى التهلكة كأن القتل حاجة له يبتغيها ويتهاك عليها ، وإذا هو سمع صهيل الخيل استخفه ذلك حتى يكاد يطرحه عن السرج لما يجد من النشاط والطرب ؛ وروى ابن حنبل عن صهيل الخيل

فَالْمَوْتُ أَعْدَرُّ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبِرُّ أَوْسَعُ وَالْدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا^(١)

سهيل الجرد - جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر - وذلك مما يحمده في الخيل، ويروى بدل مرحا بالغزو : مرحا بالعز . ومن جيد ما قيل في معنى البيت الأول قول أبي تمام :
مُسْتَرْسِلِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
وقول البحتري :

مُسْتَرْسِرِينَ إِلَى الْحَتُوفِ كَأَنَّمَا وَفَرْقٌ بَارِضٍ عَدُوِّهِمْ يُتَنَهَّبُ

(١) يقول : الموت أعذر لي من أن أعيش ذليلا ، فاذا قتلت في طلب العالي قام الموت بعذري ، والصبر أجمل ، لأن الجزع عادة اللثام ، والبر أوسع لي من بلد يضيق بي رزقه فأنا أسافر وأضطرب في مناكب الأرض ؛ والدنيا لمن غلب وزاحم لا لمن لزم عقرداره ، قل العكبري : وهذه الأبيات التي أتى بها في آخر القصيدة خارجة عما هو فيه لأنه يمدح رجلا ، ويذكر أنه قد قصده وأن الزمان قد أذاقه بلوى وشدة ، وقد جاء يستجدي منه ثم يذكر الشجاعة منه وطلب الملوك وأخذ البلاد . . . وأين أبو الطيب والملوك ؟ رحم الله امرأ عرف قدره . . . ولقد أحسن ابن دريد فيما قال :

من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسيحات الخلق
وقد غاب عن العكبري - رحمه الله - خلائق التنبي وأنه لا يمدح الناس إلا لمدح نفسه وبنوه بما تنطوى عليه من الطامع والآمال الكبار والنزاع إلى الطعن والنزال .

وقال يمدح على بن منصور الحاجب *

بأبي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِبًا اللَّابِسَاتُ مِنَ الْحَرِيرِ جَلَابِبًا^(١)
الْمُنْهَبَاتُ قُلُوبِنَا وَعُقُولُنَا وَجَنَاتِهِنَّ النَّاهِبَاتِ النَّاهِبَا^(٢)
النَّاعِمَاتُ الْقَاتِلَاتُ الْمُحْيَا تِ الْمُبْدِيَاتُ مِنَ الدَّلَالِ غَرَائِبَا^(٣)
حَاوِلُنْ تَفْدِيَتِي وَخَفِنْ مُرَاقِبَا فَوَضَعْنِ أَيْدِيَهُنَّ فَوْقَ تَرَائِبَا^(٤)

* قيل: إنه لم يجزء على هذه القصيدة إلا ديناراً واحداً ، ولذلك سميت بالدينارية .
(١) الباء للتفدية ؛ والشموس : إما مرفوعة على أنها مبتدأ محذوف الخبر والتقدير :
الشموس مفديات بأبي ؛ وإما منصوبة على أنها مفعول فعل محذوف والتقدير : أفدى
الشموس بأبي ؛ والجَانِحَاتُ : السَّائِلَاتُ ؛ والجَلَابِبُ : جمع جلباب ، وهو ما يلتحف
به من الثياب ، وأصله جلايب : قال تعالى « يدين عليهم من جلايبهن » فحذف الياء
ضرورة ، كنى بالشموس عن النساء ، وبغروبهن . عن بعدهن . وعبرة الواحدي :
لما سمهن شموماً كنى عن بعدهن بالغروب ، لأن بعد الشموس عن العيون لا يكون إلا
بالغروب ، وقد بين في آخر البيت أن الشموس : النساء الحسنات ؛ إذ قال : اللابسات الخ .
وقال ابن جني : غبن عنك في الحدور .

(٢) المنهبات : اسم فاعل ، وجناتهن : مفعول أول ؛ وقلوبنا : مفعول ثان ،
وعقولنا : عطف عليه ؛ والناهبات : صفة لوجناتهن ؛ ولك أن ترفع وجناتهن على أنها
فاعل المنهبات : أي اللاتي أنهبت وجناتهن قلوبنا ، فيكون قد اقتصصر على مفعول واحد ؛
ويقال أنهبت الشيء إذا جعلته نهباله . يقول : اللواتي جعلن قلوبنا وعقولنا نهبالاً لوجناتهن
يسبينها بحسنهن ، ثم وصف الوجنات بأنها تنهب الناهب : أي الرجل الشجاع المغوار
الذي ينهب الناس . بعد أن أبلى البلاء الحسن في الحرب ، وهذا من قول أبي تمام :

سَلَبْنَ غِطَاءَ الْحَسَنِ عَنْ حُرٍّ أَوْجُهُ تَغْلُ لِبَّ السَّالِيهَا سَوَالِبَا

(٣) الناعمات : أي اللينات المفاصل ، والقاتلات : أي بهجرهن ، والحيات :
بوصلهن ، والمبديات : أي المظهرات من الدلال عجائب ، والدلال : جرة المرأة على
الرجل في تكسر وتفتيح .

(٤) الترائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : حاولن أن يقلن لي تفديك بأنفسنا
فوضعن أيديهن على صدورهن إشارة إلى ذلك خوف الرقيب . وقال ابن جني : أشرن

وَبَسَمَنَ عَنْ بَرْدٍ خَشِيتُ أَذِيهِ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي فَكُنْتُ الذَّائِبَ^(١)
يَا حَبْدًا الْمُتَحَمِّلُونَ وَحَبْدًا وَإِ لَثَمْتُ بِهِ الْفَزَالَهَ كَاعِبًا^(٢)
كَيْفَ الرَّجَاءُ مِنَ الْخُطُوبِ تَخْلُصًا مِنْ بَعْدِ مَا أُنْشَبَنَ فِي مَخَالِبًا^(٣)

إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة . جعل ابن جني هذه الإشارة تحية وتسليما ، وقال الواحدى : طلبن أن يقلن تفديك بأنفسنا وخفن الرقيب ، فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة : أى أنفسنا تفديك ؛ وهذا أولى من قول ابن جني لذكر التفدية فى البيت ، ولم يقل حاولن تسليمى ؛ لأن الإشارة بالسلام لا تكون بوضع اليد على الصدر . وقال ابن فورجه : وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضع أيديهن فوق ترائهن تسكيناً للقلوب من الوجيب . قال الواحدى : وليس كما قال — ابن فورجه — ، وصدر البيت ينقض ما قبله . هذا وبديع قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى :

أَضَعَى يَحَانِبُنِي مُجَانِبَةُ الْعِدَا وَيَبِيتُ وَهُوَ إِلَى الصَّبَاحِ نَدِيمٌ
وَيَمُرُّ بِي خَوْفَ الْوُشَاةِ وَلَفْظُهُ شَتْمٌ وَحَشْوٌ لِحَاضِهِ تَسْلِيمٌ
(١) أراد بالبرد : أستانهن التى تشبه البرد فى نقائها ، وقوله خشيت أذيه : أى أن أذيه . يقول : إني كنت أخاف على ثورهن أن تذوب من حرارة أنفاسي ، فلما رحلن ذبت أنا من شوق إليهن ، ومن هذا الباب قول الصنوبرى :

وَضَاحِكٍ عَنْ بَرْدٍ مُشْرِقٍ أَبَا حَنِيهٍ دُونَ جُلَاسِي
فَكَلَّمَا قَبْلَتُهُ خِفْتُ أَنْ يَذُوبَ مِنْ نِيرَانِ أَنْفَاسِي
وقول بعضهم :

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ يُذِيبَ مَفَاصِلِي مَنْ لَوْ جَرَى نَفْسِي عَلَيْهِ لَذَابَا
(٢) المتحملون : المرتحلون ؛ والمراد بالفزالة إما الشمس وإما الحيوان المعروف ، والكاعب : الذى بدا ثديها للنهود . يقول : قبات غزالة فى صورة كاعب من النساء .
(٣) الخطوب : الأمور الثقالة ، وتخلصا : مفعول الرجاء ، أعمله مع اقترانه بأل وهو ضعيف ، أنشد سيويه :

أَوْ حَدَّثَنِي وَوَجَدَنَ حُزْنَآ وَاحِدًا مُتَّاهِيًا فَعَجَلَنَهُ لِي صَاحِبًا^(١)
وَنَصَبَنِي غَرَضَ الرِّمَآةِ تُصِيبُنِي مَحْنُ أَحَدٍ مِنَ الشُّيُوفِ مَضَارِبًا^(٢)
أُظْلِمَتْنِي الدُّنْيَا فَلَمَّا جِئْتُهَا مُسْتَسْقِيًا مَطَرَتْ عَلَيَّ مَصَائِبًا^(٣)
وَحُبِيتُ مِنْ خَوْصِ الرُّكَّابِ بِأَسْوَدٍ
مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّي رَاكِبًا^(٤)
حَالًا مَتَى عَلِمَ ابْنُ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبًا^(٥)

ضعيفُ النِّكَايَةِ أعداءه يَحَالُ الْفِرَارُ يُرَآخِي الْأَجَلَ^(١)

وَأَنْشَبَ : عَلَنَ ، وَالْخَالِبُ : جَمْعُ الْخَلْبِ — بِكَسْرِ الْمِيمِ — وَهُوَ السَّيْفُ وَجَوَارِحُ
الطَّيْرِ بِمِزْلَةِ الظُّفْرِ لِلإِنْسَانِ يَقُولُ : كَيْفَ أَرْجُو التَّخْلُصَ مِنَ الْخَطُوبِ بَعْدَ أَنْ نَالَتْ مِنِّي
وَتَقَدَّرَ فِي حَكْمِهَا ؟

(١) أَوْحَدَنِي : أَيْ الْخَطُوبُ — أَيْ صِيرَنِي وَاحِدًا . يَقُولُ : تَرَكْتُ الْخَطُوبَ
وَحِيدًا بَعْدَ أَنْ فَرَقْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَخِيَّةِ ، وَجَعَلَتْ مَآخِجِي بَدَمَ مَا أَجِدُهُ مِنَ الْحُزَنِ الْتَاهِي
الَّذِي هُوَ وَاحِدُ الْأَحْزَانِ ، وَهُوَ حُزْنُ الْفِرَاقِ .

(٢) الْغَرَضُ : الْمَهْدَفُ يَرْمِي بِالسَّهَامِ ؛ وَمَضَارِبًا : تَمْيِيزُ جَمْعِ مُضْرَبٍ — بِفَتْحِ الرَّاءِ
وَكِسْرِهَا — حَدَّ السَّيْفِ . يَقُولُ : إِنْ الْخَطُوبُ نَصَبَتْهُ هَذَا لِلْمَحْنِ .

(٣) أُظْلِمَتْنِي مِنَ الظُّلْمِ : الْعُطْشُ : فَأَصْلُهَا أَظْلَمْتُ ، فَأَبْدَلْتُ الْهَمْزَةَ أَلْفًا ثُمَّ حَذَفْتُهَا .
يَقُولُ : كَانَ حَظِّي مِنَ الدُّنْيَا الْحَرَمَانِ . فَلَمَّا التَّمَسْتُ عَطَاءَهَا أَفْرَغَتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبَ .

(٤) قَوْلُهُ مِنَ خَوْصِ الرُّكَّابِ : أَيْ بَدَلًا مِنْ خَوْصِ الرُّكَّابِ ، وَالْخَوْصُ جَمْعُ الْخَوْصَاءِ ،
وَهِيَ النَّاقَةُ الْفَائِرَةُ الْعَيْنَيْنِ مِنَ الْجَهْدِ وَالْإِعْيَاءِ ، وَالرُّكَّابُ : الْإِبِلُ ، وَالْدَارِشُ : ضَرْبٌ
مِنَ السَّخْيَانِ ، وَهُوَ جِلْدُ أَسْوَدَ : يَقُولُ أَعْطَيْتُ عَوْضًا مِنَ الْإِبِلِ خُفَا أَسْوَدَ ، فَأَنَا
رَاكِبٌ مَاشٍ .

(٥) حَالٌ : خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ : أَيْ هَذِهِ حَالٌ ، وَيُرْوَى حَالًا — بِالنَّصْبِ — عَلَى

(١) يَهْجُو رَجُلًا يَقُولُ : هُوَ ضَعِيفٌ عَنْ أَنْ يَنْكِيَ أَعْدَاءَهُ وَجِبَانٌ عَنْ أَنْ يَثْبِتَ لِقَرْنَهُ
وَلَكِنَّهُ يَلْبِغُ إِلَى الْفِرَارِ وَيَخَالُهُ مُؤَخَّرًا لِأَجَلِهِ .

مَلِكٌ سِنَانُ قَنَاتِهِ وَبَنَانُهُ يَتَبَارَيَانِ دَمًا وَعُرْفًا سَاكِبًا^(١)
يَسْتَصْفِرُ الْخَطَرَ الْكَبِيرَ لَوْفِدِهِ وَيَظُنُّ دِجْلَةَ لَيْسَ تَكُنِي شَارِبًا^(٢)
كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمٍ مَا صَنَعْتَ لَظَنَكَ كَاذِبًا^(٣)

إضمار عامل محذوف : أى أشكو أو أذم . يقول : إن حالى هذه لو علم بها ابن منصور تلافاها بإحسانه وحال دون إساءة الزمان ، فيكون إحسانه بمنزلة توبة الزمان إلى ومثل هذا لأبى تمام قال :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فَيَّ وَقَدْ يُرَى بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَى مِنْهَا تَائِبُ
وَقَالَ أَيْضًا :

عَصَبٌ إِذَا هَزَهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
(١) السنان : نصل الرمح ، والبنان فى الأصل : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا الكف ، ويتباريان : يفعل كل منهما ما يعارض به صاحبه . ودما : تميز أو منصوب على نزع الخافض : أى فى دم ، والعرف : المروف والمراد به الجود ، والساكب : المنسكب . يقول : إن سنان رعمه يقطر دما من الأعداء ، وكفه تسكب جوداً على الأولياء . وهذا من قول البحرى :

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ سَيْفُهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ دَمًا وَنَجِيمًا
(٢) الخطر : الأمر الخطير : أى العظيم . يقول : إنه يستصفر الشيء العظيم لمن يقصده ويتبعج إليه لكرمه ويظن — لكثرة عطائه — أن نهر دجلة — ذلك النهر العظيم — ليس يكنى شاربا . ومثل هذا قول أبى تمام وزاد الشكر :

فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ مَا حَبَوْتَ مِنَ اللَّهِ زَرًّا وَأَصْفَرَ مَا شَكَرْتُ جَزِيلًا
(٣) كرما : مفعول مطلق : أى كرم كرما ، أو مفعول له عامله . يظن فى البيت قبله يقول : لو حدثته بما يصنع من الأفعال الجسام لظنك كاذبا لخروج تلك الأفعال عن طوق القدرة . قال الواحدى — ناقدًا — : وقد أساء فى هذا ، لأنه جعله يستعظم فعله وفضده يمدح ، وإنما يحسن أن يستعظم غيره مافعل كما قال أبو تمام .

تَجَاوَزَ غَايَاتِ الْعُقُولِ رَغَائِبُ تَكَادُ بِهَا لَوْلَا الْعِيَانُ تُكَذِّبُ
وَقَالَ الْبَحْرَى :

سَلْ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَزُرْهُ مُسَالِمًا وَحَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ مُحَارِبًا^(١)
 فَالْمَوْتُ تُعْرِفُ بِالصِّفَاتِ طِبَاعُهُ لَمْ تَلَقْ خَلْقًا ذَاقَ مَوْتًا آيِبًا^(٢)
 إِنْ تَلَقَهُ لَا تَلَقْ إِلَّا قَسْطَلًا أَوْ جَحْفَلًا أَوْ طَاعِنًا أَوْ ضَارِبًا^(٣)
 أَوْ هَارِبًا أَوْ طَالِبًا أَوْ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا أَوْ هَالِكًا أَوْ نَادِبًا^(٤)

وَحَدِيثٌ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطُ حُسْنِهِ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوْضُوعٌ

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذر ، ومسالما ومحاربا : حالان . يقول : سل عن شجاعته لتعرفها بالخبر ولا تحاول أن تعرفها بالمشاهدة والتمرس بها وإلا هلكت : أى لا تحاول أن تعرفها بالقتال ، فإنك إن قاتلته قتلت ، وقد ضرب البيت التالى مثلاً لذلك .
 (٢) يقول : فإن الموت يعرف بالوصف لا بالتجربة ، إذ لم نجد مخلوقاً مات ثم رجع فيخبرنا عن حقيقة الموت ، وإذن فالموت إن عرف بالمشاهدة أهلك أlette ، وكذلك شجاعة المدوح ، وقوله خلقاً : أى مخلوقاً ، مفعول أول لتلق ، وآييا : مفعول ثان .
 (٣) انقسطل هنا : غبار الحرب ؛ وهو انقسطل ، والقسطال والقسطول والقسطلان والقسطل — بالصاد — كاه . الغبار الساطع . وقال الجوهري : القسطال لغة فيه كأنه محدود منه مع قلة فلال في غير المضاعف ؛ وأشد أبو مالك لأوس بن حجر يرثى رجلاً :

وَلْنِعَمَ رِفْدُ الْقَوْمِ يَنْتَظِرُونَهُ وَلْنِم حَشْوُ الدِّرْعِ وَالسِّرْبَالِ

وَلْنِم مَأْوَى الْمُسْتَضِيفِ إِذَا دَعَا وَالْخَيْلَ خَارِجَةً مِنَ الْقَسْطَالِ

وقال آخر :

* كَأَنَّهُ قَسْطَالٌ رِيحُ ذِي رَهَجٍ *

الجحفل : الجيش العظيم . يقول : إنه لا ينفك عن هذه الأشياء

(٤) تبين لأحوال الناس معه . يقول : فلا ترى إلا هارباً من جيشه ، أو طالباً رفته ، أو راغباً في إحسانه ، أو راهباً من بأسه ، أو هالكا بسيفه ، أو نادباً على قتيل له من الأسرى الذين أسرم . وقال الواحدى : ويجوز أن تكون هذه أحوال المدوح : أى تلقاه هارباً من الدنيا ، وطالبا للعلی ، وراغباً فى المكارم ، وراهباً من الله تعالى . وهالكا : أى مهلكا — كما قال العجاج :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْجِبَالِ رَأَيْتَهَا فَوْقَ السُّهُولِ عَوَاسِلًا وَقَوَاضِيَا^(١)
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى السُّهُولِ رَأَيْتَهَا تَحْتَ الْجِبَالِ فَوَارِسًا وَجَنَائِبًا^(٢)
وَعَجَاجَةً تَرَكَ الْخَلْدِيدُ سَوَادَهَا زَنْجًا تَبَسَّمُ أَوْ قَذَالًا شَائِبًا^(٣)

وَمَهْمَهُ هَالِكٍ مَنْ تَعَرَّجَا^(١)

ونادبا : من يبارزه من الندب . وهذا تعسف من الواحدى كما ترى .
(١) و (٢) العواسل : الرماح ، والقواضب : السيوف ، والجنايب : جمع الجنيبة ،
وهى التى تقاد إلى جنب الفارس . يقول : عمت جنوده السهل والجبل ، فإذا نظرت إلى
الجبال رأيتها رماحا وسيوفا ، وإذا نظرت إلى السهول رأيتها فوارس وجنايب :
أى غصت بهما .

(٣) وعجاجة . بالنصب . عطف على ما تقدم : أى ورأيت عجاجة ، أو
بالجر على إضمار رب ، والعجاجة : الغبار ، وتبسم - بحذف إحدى التائين - أى تبسم ،
والقذال : جماع مؤخر الرأس من الإنسان والفرس فوق فأس القفا ، وقال ابن الأعرابي :
القذال : مادون القمحدوة إلى قصاص الشعر ، قال الأزهري : اقمحدوة ما أشرف على
القفا من عظم الرأس ، والهامة فوقها ، والقذال دونها مما يلي المقد ، ويقال : القذالان
ما اكتنف فأس القفا عن يمين وشمال ، والزنج - بفتح الزاى وكسرهما - جيل من
السودان ، وهم الزنوج يقول : إن بريق الأسلحة فى سواد الغبار يشبه تبسم الزنج أو شيب
القذال ، ولحمود الوراق :

حتى تبدى الصبح يتلو الدجى كالحليشى افتر للضحك
ولأبى نواس :

لما تبدى الصبح من حجابهِ كطلعةِ الأشمط من جلابهِ
وهذا التشبيه متداول كثير فى الشعر :

(١) تمامه : هائلة أهواله من أدجا . قال فى اللسان : هالك بمعنى مهلك لغة تميم
كما يقال : ليل غاض أى مغض ، وقال الأصمى فى قوله ، هالك من تعرجا : أى هالك
المتعرجين إن لم يهذبوا فى السير : أى من تعرض فيه هلك .

فَكَأَنَّكَ كَيْسَى النَّهَارُ بِهَا دُجَى لَيْلٍ وَأَطْلَمْتَ الرِّمَاحُ كَوَاكِبًا^(١)
 قَدْ عَسْكَرْتَ مَعَهَا الرِّزَايَا عَسْكَرًا وَتَكْتَبَتْ فِيهَا الرِّجَالُ كِتَابًا^(٢)
 أَسَدٌ فَرَانِسُهَا الْأَسُودُ يَقُودُهَا أَسَدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسُودُ نَعَالًا
 فِي رُبْتَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَسَمَّوَهُ عَلَى الْحَاجِبِ^(٣)
 وَدَعَوَهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذَّرًا وَدَعَوَهُ مِنْ غَضَبِ الثُّفُوسِ الْفَاصِبِ
 هَذَا الَّذِي أَفْنَى الثُّنَّارَ مَوَاهِبًا وَعَدَاهُ قِتْلًا وَالزَّمَانَ تَجَارِبًا^(٤)
 وَغَيْبُ الْمَذَالِ فِيهَا أَمَلُوا مِنْهُ وَلَيْسَ يَرُدُّ كَفًّا خَائِبًا^(٥)

(١) شبه بياض الحديد في ظلمة المعالجة بكواكب في ليل . يقول : كأن النهار ألبس تلك المعالجة ظلمة ليل ، وكأن الرماح أطلعت من أستها كواكب ، وأطلعت هي كواكب في تلك الظلمة . فقوله : أطلعت إما قرأتها بصيغة المعلوم على أنه من فعل الرماح ، وإما بصيغة المجهول لما كلة قوله كسى ، وهذا المعنى من قول صريع الغواني :
 فِي عَسْكَرٍ شَرِيقِ الْأَرْضِ الْفَضَاءُ بِهِ كَاللَّيْلِ أَنْجَمُهُ الْقُضْبَانُ وَالْأَسْلُ
 وقول بشار :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَمْسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
 (٢) عسكرت : تجمعت ، وتكتبت : تجمعت كتاب ، والكتائب : جمع كتيبة .
 الفرقة من الجيش - وعسكرا وكتائب : حالان . يقول : إن المصائب تجمعت مع تلك المعالجة كأنها عسكر تقع بالمدو ، وتكاثر فيها رجال المدوح حتى صارت كتائب .
 (٣) هذا مثل قول ابن الرومي :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَاءُ صَاعِدًا دَرَى كَيْفَ يَرَقَى فِي الْمَعَالَى وَيَصْعَدُ
 وقوله على : أراد عليا ، فاضطره الوزن إلى حذف التنوين ، وسوغ له ذلك سكونه وسكون اللام في الحاجب : ومثلا كثير ، وذلك كقراءة من قرأ « قل هو الله أحد »
 الله « بغير تنوين ، حذفه لا لقاء الساكنين .

(٤) الثنار : الذهب ، ومواهبها وما بعده : تميز . يقول : إنه أفنى الذهب بالعطاء ، والأعداء بالقتل ، والزمان بالتجارب : أى أنه حصل له من التجارب ما يعرف به ما يأتي فيما يستقبل من الزمان ، فكأنه أفنى الزمان لأنه لا يحدث عليه شيئا لا يعرفه .
 (٥) وغيب : عطف على « هذا الذي أفنى » في البيت قبله ، وذكر السكف وإن كان

هَذَا الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ حَاضِرًا مِثْلُ الَّذِي أَبْصَرْتُ مِنْهُ غَائِبًا^(١)
كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ يَهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا^(٢)
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا جُودًا وَيَبْقَى لِلْبَعِيدِ سَحَابًا
كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَفْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

الأصح تأنيثها - على معنى الضو ، أو على إرادة السائل : أى لا يرد سائلا ، أو للراد خائبا صاحبها . وبعد : فإن أكثر ما استعمل العرب الكف مؤنثة على أنها بمعنى اليد ، فهم يقولون هذه كف واحدة ، وقال بشر بن أبى خازم :

لَهُ كَفَانٌ كَفٌّ كَفٌّ ضُرٌّ وَكَفٌّ فَوَاضِلٌ خَصِلٌ نَدَاها
وقال الأعشى :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ وَأُخْرَى إِذَا مَا ضُنَّ بِالْمَالِ تُنْفِقُ
وقالت الحنساء :

فَمَا بَلَغَتْ كَفٌّ أَمْرِي مُتَنَاوِلٍ بِهَا الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلُ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ
أما قول الأعشى :

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًّا مُخَضَّبًا
فانه أراد الضو ، وقيل هو حال من ضمير يضم ، أو من هاء كشيحه .

(١) أبصرت - بناء للتكلم - يعنى التنبى نفسه ، ويروى على الخطاب وحاضرا وغائبا على الروایتين : حال من فاعل أبصرت ، ومثل : يجوز فيه الرفع والنصب ، فالرفع قال ابن جنى : هذا مبتدأ أول ، والذى : مبتدأ ثان ، ومثل : خبر الذى ، والجملة خبر هذا ، والمآل على هذا من الجملة التى هى خبر عنه المآل فى منه . والنصب يحمل هذا ابتداء ، والذى : خبره ، ونصب مثل أبصرت . يقول : إنه يرى عطاءه حينما كان حضره أو غاب عنه ، ومثله لأبى تمام :

شَهِدْتُ جَسِيَّاتِ الثَّلَا وَهُوَ غَائِبٌ وَلَوْ كَانَ أَيْضًا حَاضِرًا كَانَ غَائِبًا

(٢) الثاقب : اللقىء . يقول : حينما كنت ترى عطاءه قد غمر الناس - قريبهم
(١٧ - التنبى ١)

أُمُهَجْنُ الْكُرْمَاءِ وَالزَّرَى بِهِمْ وَتَرَوْكَ كُلَّ كَرِيمٍ قَوْمٍ عَاتِبًا^(١)

وبعدهم - كما ترى ضوء القمر حيثما كنت من البلاد ، والبيتان التاليان في معنى هذا البيت : يريد أنه عام النفع ، ومثل هذا لأبي تمام :

قَرِيبُ النَّدَى نَائِي الْمَحَلِّ كَأَنَّهُ هِلَالُ قَرِيبِ النُّورِ نَائِي مَنَازِلِهِ
وللبحتري :

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْغُلُوِّ وَضَوْؤُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبٍ
وله أيضا :

عَطَاءُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ عَمَّ قَمَرِيبُ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهُ وَمَشْرِقُ
وقال العباس بن الأحنف :

نِعْمَةٌ كَالشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ ثَبَتَ الْإِشْرَاقُ فِي كُلِّ بَلَدٍ

(١) أمهجن : أى يا مهجن ، فالهمزة للدعاء ، وهجته : قبحه ، قال صاحب اللسان : المهجنة من الكلام ما يعيبك ، والمهجين : العربى ابن الأمة لأنه معيب ، ولهذه المناسبة نقول : إن المهجنة فى الناس والحيل إنما تكون من قبل الأم ، فإذا كان الأب عتيقا والأم ليست كذلك : كان الولد هجينا . قال الراجز :

الْعَبْدُ وَالْمُهَجِّنُ وَالْفَلَنْقَسُ ثَلَاثَةٌ فَأَيُّهُمْ تَلَسُّ

والأقواف : من قبل الأب ، أو الذى أمه عتيقة وأبوه ليس كذلك . روى الرواة أن روح بن زبناح كان قد تزوج هند بنت النعمان بن بشير فقالت - وكانت شاعرة - :

وَهَلْ هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرِيْبَةٌ سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَنَفْلُ

فَإِنْ تُنَجِّتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ يَكُ إِقْرَافٌ فَمِنْ قَبْلِ الْفَحْلِ

وأزرى به : عابه ، قال فى اللسان : الإزراء : التهاون بالشئ ، يقال أزريت به : إذا قصرت به ، وحقرته ، وهوته ، وزريت عليه ، وزرى عليه زريا ، وزراية ، ومزرية ، ومزارة ، وزريانا : عابه وعاتبه . قال الشاعر :

يَا أَيُّهَا الزَّارِي عَلَى عُمَرٍ قَدْ قَلَّتْ فِيهِ غَيْرَ مَا تَقْلَمُ

وقال الآخر :

وَأِنِّى عَلَى لَيْلَى لَزَارٍ وَإِنِّى عَلَى ذَاكَ فَمَا يَبْنَا مُسْتَدِيمًا

شَادُوا مَنَاقِبَهُمْ وَشِدَّتْ مَنَاقِبَا وَجِدَتْ مَنَاقِبُهُمْ بِهِنْ مَنَاقِبَا^(١)
كَبَيْتِكَ غَيْظَ الْحَاسِدِينَ الرَّائِبَا إِنَّا لَنَخْشِرُ مِنْ يَدَيْكَ عَجَائِبَا^(٢)
تَذِيرُ ذِي حُنْكَ يُفَكِّرُ فِي غَدٍ وَهَجُومُ غَيْرٍ لَا يَخَافُ عَوَاقِبَا^(٣)

أى عاتب ساخط غير راض، وزرى عليه عمله : إذا عابه وعنفه ، وترك مبالغه في تارك ، وهو مضاف لكل - الذى هو مفعوله الأول - وعابا مفعول ثان ، وروى عابا . يقول : إنك هجنت الكرماء لتقصيرهم عن بلوغ كرمك وتركهم عاتبين عليك لما يظهر من كرمك المزرى بهم أو عاتبين على أنفسهم حيث لم يفعلوا ما فعلت ، أو تركتهم عاتبين لك حسدا .

(١) شادوا : بنوا ورفعوا ، وتشيد البناء : إحكامه ورفع ، والبناء للشيد بالشديد الطول ، أما الشيد فهو : اللبى بالشيد ، والشيد كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط . قال عدى بن زيد :

شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَسًا فَلَطِيرٍ فِي ذَرَاهُ وَكُورُ

هذا ما عليه أكثر أهل اللغة ، ومنهم من يجعل للشيد وللشيد بمعنى ، وما يتفرع عن هذه المادة قولهم : أشاد بذكره : أى نوه به ورفع قدره ، وقال أبو عمرو : أشدت بالئى : عرفته . والمناقب : المفاخر ، والمثالب : المخازى والمعايب . يقول : لفضل مناقبك على مناقبهم صارت مناقبهم كالمثالب ، وهذا كقول أبى تمام :

مَحَاسِنُ مِنْ تَجَدَّدَتْ مَتَى يَفْرُوْنَ بِهَا مَحَاسِنَ أَقْوَامٍ تَكُنْ كَالْمَعَايِبِ

(٢) ليك : أى إجابة لك بعد إجابة ، ونصبه على المصدر ، وغيط الحاسدين : منادى ، والراتب : الثابت القيم ، ونحبر : نشاهد ونعلم . قال الواحدي : أظهر الإجابة إشارة إلى أنه ببناء مناد . أى كأن المدوح يناديه بلسان كرمه للتويه به . وسماه غيط الحاسدين إشارة إلى أنه قد بالغ في غيظهم حتى صار يعرف بذلك . قال الخطيب : وصرع البيت لا تنقله من المدح إلى الإجابة .

(٣) تدير : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك تدير . وروى تدير وهجوم : منصوبين ، على أن تدير بدل من معائب - فى البيت السابق - وهجوم : عطف عليه . وخنك : جمع حنكة ، وهى الخبرة والتجربة ، وضده الغر : أى الذى لم يجرب الأمور ولا يفكر فى العواقب . يقول : إنك تدبر ملكك تدير مجرب مختبر مفكر فى العواقب . وإذا

وَعَطَاهُ مَالٌ لَوْ عَادَهُ طَالِبٌ أَنْفَقْتُهُ فِي أَنْ تُلَاقِيَ طَالِبًا^(١)
خُذْ مِنْ ثَنَائِي عَلَيْكَ مَا أَسْطِيعُهُ لَا تُلْزِمْنِي فِي الثَّنَاءِ الْوَاجِبَ^(٢)
فَلَقَدْ دَهَشْتُ لِمَا فَعَلْتَ وَدُونَهُ مَا يَدْهَشُ الْمَلِكَ الْخَفِيفُ الْكَاتِبَ^(٣)

هجت في الوغى هجت هجوم النمر : أى أنك تفعل كلا في موضعه ، فتدبر الملك تدبير
مجرّب بصير بأعقاب الأمور ، وتقدم في الحرب إقدام النمر ؛ وهذا من قول أبى تمام :
وَمَجْرَبُونَ سَقَاهُمْ مِنْ بَاسِهِ فَإِذَا لُقُوا فَكَانَهُمْ أَغَارُ
وقوله :

كَهْلُ الْأَنَامِ فَتَى الشَّدَاتِ إِذَا غَدَا لِلْحَرْبِ كَانَ الْمَاجِدَ الْفَطْرِيفَا
وقال البحتري :

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيمَةٌ إِقْدَامٌ غِرٌّ وَاعْتِرَاضٌ مَجْرِبٍ
(١) وعطاء : عطف على تدبير ؛ وعداء : تجاوزه . يقول : إذا لم يأتك طالب
أنفقت مالك في البحث عن طالب تعطيه .

(٢) أسطيعه : هو أستطيعه ، وبهما جاء التثنييل الحكيم . يقول : إني إنما أثنى
عليك بقدر ما أستطيع ، لا بقدر ما يجب لك وما تستحقه ، لأنه فوق طاقتي ، فاعذرنى
في ذلك ، ثم بين عذره في البيت التالى . وقد قصر أبو الطيب الثناء في قوله ثنائى - وهو
ممدود - ضرورة . قال العكبرى : حكى ابن سعد عن أبى الطيب - وهو على بن سعد ،
وليس هو محمد بن سعد صاحب الطبقات ، لأن ذلك قديم الوفاة . توفى بعد المائتين ،
وأبو الطيب ولد سنة ثلاث وثلثمائة - قال سمعت أبا الطيب يقول : ما قصرت ممدوداً
في شعرى إلا هذا الموضع - خذ من ثنائى - وذلك أنه رأى بخط أبى الفتح - ابن جنى - :
* وقد فارقت دارك واصطفاك *

بكسر الطاء - هذا وقد قال أهل اللغة : إن الثناء ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم
أى أنه يستعمل في الخير والشر ، وأنشدوا :

أُثْنِي عَلَىَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَثَلِ رِيحِ الْجَوْرِبِ

وخصى بعضهم به اللدح .

(٣) دهش : تخير ، ومثله شده . قال صاحب اللسان : دهش دهشا ، فهو دهش

وقال يمدح بدر بن عمار ارتجالاً وهو على الشراب والفاصكة والرجس حوله :
 إِنَّمَا بَدْرُ بْنُ عَمَّارٍ سَحَابٌ هَاطِلٌ فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ^(١)
 إِنَّمَا بَدْرُ رَزَايَا وَعَطَايَا وَمَنَايَا وَطِعَانٌ وَضِرَابٌ^(٢)
 مَا يُجِيلُ الطَّرْفَ إِلَّا حِدَتَهُ جُهِدَهَا الْأَيْدِي وَذَمَّتْهُ الرِّقَابُ^(٣)

ودهش فهو مدهوش ، وحكرها بضمهم وأدهشه الله وأدهشه الأمر ودهش الرجل — بالكسر — دهشاً : تهيّر ويقال : دهش وشده ، والله العاليه : دهش ، على فعل ، والملك الحفيظ : هو الوكيل بالإنسان يكتب حسنه وسياته . يقول : لقد تهيّرت أمام أفعالك فلا أقدر أن أحسبها وأنتى بها ، وأقل من ذلك ما يهيّر الملك للوكل بك ، لأنه لم ير مثله من غيرك ، ولأنه لكثرة يجرى عن كتابته .
 (١) يقول : هو تفاع ضرار ، مثله في ذلك مثل السحاب الذى ينهل بالمطر وتنقص منه الصواعق ، فيه حياة لقوم ، وهلاك لآخرين . قال الواحدى : هذه الأيات مضطربة الوزن ، وهى من الرمل ، وذلك لأنه جعل العروض فاعلاتن ، وهو فى الأصل فى الباءة ، ولكن لم يستعمل العروض هنا إلا مخدوفة السبب على وزن فاعلن كقول عبيد :
 مِثْلَ سَحْقِ الْبُرْدِ عَفَّ بِمَذَكِ الْقَطْرِ مَفْنَاهُ وَتَأْوِيْبُ الشَّمَالِ^(١)
 غير أن هذا البيت الأول صحيح الوزن ، لأنه مصرع ، فبعت عروضه ضربه .
 (٢) جملته هذه الأشياء مبالغة لكثرة وقوعها منه حتى صاروا يهاها كالشيء الواحد ، على حد قول الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَمَتْ حَتَّى إِذَا دُكِرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
 « تصف الخنساء وحشية تطلب ولها مقبلة ومدبرة ، فجعلها إقبالا وإدبارا لكثرتها منها »

(٣) الطرف — بفتح الطاء — العين ؛ والجهد — بالضم — الطاقة ، أما بالفتح فهو المشقة ، وقيل هما لفتان : كالشهد والشهد ، والأيدى : فاعل حذته . يقول : إنه لا يجيل رفه إلا على إحسان وإساءة ، فله فى كل طرفة ونظرة إحسان تحمده الأيدى جهدها لأنه

(١) السحق : الثوب الخلق الذى انسحق وبلى ؛ كأنه بعد من الاتفاع به

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَزْجُو الذَّنَابُ^(١)
 فَلَهُ هَيْبَةٌ مَنْ لَا يُتْرَجَّى وَلَهُ جُودٌ مُرْجَى لَا يَهَابُ^(٢)
 طَاعِنُ الْفُرْسَانِ فِي الْأَخْدَاقِ شَزْرًا
 وَعَجَّاجُ الْحَرْبِ لِلشَّمْسِ نِقَابُ^(٣)
 بَاعِثُ النَّفْسِ عَلَى الْمَوَلِ الَّذِي لَيْسَ لِنَفْسٍ وَقَعَتْ فِيهِ إِيَابُ^(٤)
 بِأَبَى رِيحِكَ لَا تَرْجِسُنَا ذَا وَأَحَادِيثُكَ لَا هَذَا الشَّرَابُ^(٥)

يملؤها بالعطاء ، وذهب اليازجى إلى أن الطرف بكسر الطاء - أى الفرس الكريم .
 قل : يقول التنبى : إنه ما أجال فرسه فى الحرب إلا ملأ أيدى أوليائه من الغنائم فحمدته
 جهدها ؛ وضرب رقاب أعدائه فدمته . . .

(١) يقول : لا يقتل أعدايه ليستريح منهم لأنه آمن جانبهم لعجزهم عن أذاه فلا يهجمه
 بقاؤهم ، ولكنه قد عود الذئاب أن يطعمها لحوم القتلى ، فهو إنما هو يقتل الأعداء خشية
 أن يخلف رجاء الذئاب ، وهو لم يتعود أن يخيب راجيا ؛ وهذا كقول مسلم :
 قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقَنَ بِهَا فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ

(٢) يقول : إنه مهيب كل الهيبة ، وجواد غاية فى الجود ، فإنه يهاب هيبة من لا يرجى
 العفو عنده ، وبجود جود سمح كريم يرجى إحسانه ولا تخشى مهايته .

(٣) الطعن الشزر : ما كان عن يمين وشمال ، والعجاج : الغبار ، والنقاب : ماستر
 به المرأة وجهها . يصفه بالخذق فى الطعن . يقول : إنه يصيب أحداق الفرسان والجو
 مظلم بغبار الحرب الذى كأنه نقاب للشمس يسترها ، وهذا كقوله :

* يضع السنان بحيث شاء محاولا *

(٤) يقول : إنه يحمل نفسه على ركوب الأمر العظيم الهائل الذى لا خلاص لمن
 وقع فيه

(٥) بأبى : تفدية . قال الواحدى : يريد أن ريحه أطيب من ريح الزرجس « الذى
 بين يديه » وحديثه ألد من الشراب ، وليس هذا بما يمدح به الرجال : أى وإنما يخاطب
 بمثله المحبوب . .

لَيْسَ بِالْمُنْكَرِ إِنْ بَرَزْتَ سَبْقًا غَيْرُ مَدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعَرَابِ^(١)

وجلس بدر بن عمار يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال أبو الطيب :

أَلَمْ تَرَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْجِيُّ عَجَائِبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّحَابِ
تَشْكِي الْأَرْضُ غَيْبَتَهُ إِلَيْهِ وَتَرْشِفُ مَاءَهُ رَشْفَ الرُّضَابِ؟^(٢)
وَأَوْهَمُ أَنَّ فِي الشُّطْرَنْجِ هَمِّي وَفِيكَ تَأْمَلِي وَلَكَ انْتِصَابِي^(٣)

(١) برز : بذ وسبق ، وسبقا : مفعول مطلق ، كأنه قال إن سبقت سبقا ، والعرب : الخيل العربية . يقول : ليس بمستكر أن تسبق الناس وتبذم لأنك أهل ذلك ، كما أن كرام الخيل لا تدفع عن السبق . هذا وكان الوجه أن يقال غير مدفوعة عن السبق العرب ، كما تقول هند غير مصروفة ، ولكنه ذكر ضرورة كأنه أراد العرب جنس غير مدفوع . قال ابن جني : كان يجوز له أن يقول غير هذا ويقول : لا تدفع عن السبق العرب — بالتاء والياء — فأجرى غير مجرى لا ، وأجرى مدفوع مجرى يدفع ضرورة ؛ وقد يترن البيت بأن يقول :

* قط لا يدفع عن سبقِ عرب *

أقول : وابن قط لا يدفع عن سبق عرب من غير مدفوع عن السبق العرب ؟ ولكنه النحو والنحويون .

(٢) تشكى — بحذف إحدى التائين — أي تشكى ؛ وإليه : متعلق بتشكى ، والضمير في غيبته وفي إليه : للسحاب ؛ والرشف : اللص ، وأصله أن تستقصي مافي الإناء حتى لا تدع فيه شيئا ، والرضب : الريق . يريد بيان ما ذكره في البيت السابق من العجائب . يقول : إن الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها ، وعند لقائه ترشف مائه كما يرشف العاشق ريق المعشوق .

(٣) يقول : إني أنما أتأمل في محاسنك لافي الشطرنج ، وأنتصب جالسا لأراك لا لأراه . والشطرنج فارسي معرب من شدرنج ، ومضاه — كما قال العكبري — من اشتغل به ذهب عناؤه باطلا . وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب جرد حل : وهو الضخم من الإبل : هذا وقد قال ابن جني : إن هذه الآيات لم أقرأها عليه ، وشعره عندي أجود منها ، وقال غيره هي مقروءة عليه بمصر وبشداد .

سَأْمُضِي وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي مَغِيبِي لَيْلَتِي وَغَدَا إِذَا بِي^(١)

وقال في لعبة أحضرت مجلس بدر على صبورة جارية وأدبرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها وكانت ترقص بحركات :

يَا ذَا الْمَالِ وَمَعْدِنِ الْأَدَبِ سَيِّدَنَا وَأَبْنِ سَيِّدِ الْعَرَبِ
أَنْتَ عَلِيمٌ بِكُلِّ مُعْجَزَةٍ وَلَوْ سَأَلْنَا سِوَاكَ لَمْ يُجِبْ^(٢)
أَهْذِهِ قَابِلَتِكَ رَاقِصَةً أَمْ رَفَعْتَ رِجْلَهَا مِنْ التَّصَبِّ؟

وقال يمدح على بن محمد بن سيار بن مُكرم التميمي ، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه ، وكان له وكيل يتعرض للشعر ، فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده ، فتلقاه وأجلسه في مجلسه ، ثم كتب إلى عليّ يقول :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَاقٌ ضُرُوبًا فَأَعْذَرُهُمْ أَشْفَهُمْ حَبِيبًا^(٣)
وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الْأَعَادِي فَهَلْ مِنْ زَوْرَةٍ تَشْفِي الْقُلُوبَا؟^(٤)

(١) يقول: إنني سأمضي وأغيب عنك ليلة واحدة ثم أعود إليك .

(٢) بكل معجزة : أى بكل مسألة يعجز الناس عن يانها والإجابة عليها ، فلو سئل عنها غيره أجبل « انقطع » قال العكبري : هذه أبيات رديئة عملها ارتجالاً في معان ليست هناك .

(٣) الضروب : الشكول والأصناف ؛ وأشفهم : أفضلهم . يقول : شكول الناس على اختلافهم يحبون شكول المحبوبات على اختلافها ، وأحقهم بأن يعذر في العشق والحب من كان محبوبه أفضل ، وهذا كالتمهيد للبيت التالي . هذا وقد ذهب بعض التراج إلى أن ضروباً : حال ، كأنه قال : الناس عشاق مختلفين في عشقهم . ولكن الأجود أن يكون منصوباً بوقوع الفعل عليه وهو العشق : أى ضروب الناس يعشقون ضروباً .

(٤) السكن : ما تسكن نفسك إليه وتهواه . يقول : فالذي أحبه أنا وتسكن إليه نفسي هو قتل أعدائي ، فهل من زيارة لهذا الحبيب ؟ أى هل أظفر بذلك وأتمكن منه حتى أشفي قلبي كما يشفي قلب المحب زورته الحبيب ؟

تَنْظُرُ الطَّيْرُ مِنْهَا فِي حَدِيثٍ تَرُدُّ بِهِ الصَّرَاصِرَ، وَالنَّيْمِيَا^(١)
 وَقَدْ لَبِسَتْ دِمَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ حِدَادًا لَمْ تَشُقَّ لَهَا جُيُوبًا^(٢)
 أَدَمْنَا طَعْنَهُمْ وَالْقَتْلَ حَتَّى خَلَطْنَا فِي عِظَامِهِمِ الْكُعُوبَا^(٣)
 كَأَنَّ خِيُولَنَا كَانَتْ قَدِيمًا تُسْقَى فِي قُحُوفِهِمِ الْحَلِييَا^(٤)
 فَمَرَّتْ غَيْرَ نَافِرَةٍ عَلَيْهِمْ تَدُوسُ بِنَا الْجَمَاجِمَ وَالْتَرِيَا^(٥)
 يُقَدِّمُهَا وَقَدْ خُضِبَتْ شَوَاهَا فَتَى تَرْمِي الْحُرُوبُ بِهِ الْخُرُوبَا^(٦)

(١) ترد : أى تردد : والصراصر : جمع صرصرة ، وهو صوت النسر والبازي ونحوهما ، والنصيب : صوت الغراب . يقول : هل من سبيل إلى وقعة تكثر فيها القتل فيجتمع عليها الطير فيصرصر النسر وينب الغراب ؟ جل صياح الطيور المبتعدة على القتل كأنه حديث يتحدث به .

(٢) وقد لبست : أى الطير ؛ وعليهم : متعلق بحدادا ؛ والحداد : الثياب السود تلبس عند الصيية ؛ والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق اقميص ؛ وعند العامة : كيس يغط في جانب الثوب من الداخل ويحمل فمه من الخارج . يقول : إن هذه الطير تغوص في دماء القتل فتتلطخ بها وتنجف عليها فتسود وتصير كأنها ثياب حداد على القتل . يبدأنها لم تشق على هؤلاء القتلى جيوبا كما تعمل ربات الحداد . هذا وقد روى دماؤهم — بالرفع — فيكون للمعنى أن الدماء اسودت على القتلى ، فكأنها لبست ثوبا غير ما كانت تلبس من الحرمة .

(٣) الكعوب : جمع كعب ، وهو ما بين الأنوبتين من القناة . يقول : لم نزل نطعنهم حتى كسرنا كعوب الرماح فيهم فاختلطت في أبدانهم بعظامهم .

(٤) و (٥) اتقحوف : جمع قحف — بكسر القاف — وهو العظم الذى فوق الدماغ ؛ والجحمة : العظم الذى فيه الدماغ ؛ والتريب : عظم الصدر ، والجمع : اثرائب : موضع القلادة من الصدر . يقول : كأن خيلنا كانت في صفها تسقى اللبن في أقحاف رؤسهم فألفتهم حتى صارت تدوس جماجمهم وصدرهم ونحن عليها لاتفر منهم ... وقد جرت عادة العرب بأن تسقى اللبن كرام خيولها .

(٦) الشوى من الحيل : قوائمها . يقال : فرس عبل الشوى ، والشوى من الآدميين اليدان والرجلان ؛ وقبل اليدان والرجلان والرأس ، وكل ما ليس مقتلا ؛ ومن هذا

شَدِيدُ الْخُزُونَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أُمُّ أُصَيْبًا^(١)
أَعَزَمِي طَالَ هَذَا اللَّيْلُ فَانْظُرْ أَمِنْكَ الصُّبْحُ يَفْرَقُ أَنْ يَثُوبًا؟^(٢)
كَأَنَّ الْفَجَرَ حَبٌّ مُسْتَزَارٌ يَرَايَ مِنْ دُجْنَتِهِ رَقِيبًا^(٣)

قولهم : رماء فأشواه : أى أصاب شواه ، ولم يصب مقتله ، قال الهذلى :
فإن من القول التى لا شوى لها إذا زلّ عن ظهر اللسان انفلاتها
« أى إن من القول كلمة لا تشوى ولكن تقتل » وقال الفراء فى قوله تعالى
« كلا إنها لظى » نزاعة للشوى — : الشوى اليدان والرجلان وأطراف الأصابع
وقحف الرأس : ويقال لجلدة الرأس شواة ، وقد توسعوا فى الشوى فاستعملوه فى كل
من أخطأ غرضا وإن لم يكن له شوى ولا مقتل — وقد رويت خضبت — بالبناء
للمعلوم ، والضمير للخيـل — ، يقول : إن هذه الخيل يقدمها إلى الحرب — وقد خضبت
قوائمها بالدم — ففى قد طال تمرسه بالحروب — يعنى نفسه — فكلمها فرغ من حرب :
خاض حربا أخرى .

(١) الخزوانة فى الأصل : ذبابة تطير فى أنف البعير فيشمع لها بأنفه ، واستعيرت
للكبر . وتتمر . صار كالتمر غضبا . وقوله أصاب ، أى أصاب — بهمزة التسوية —
يقول : إذا غضب على أعدائه وقتلهم لا يبالي أقتلهم أم قتله .
(٢) الهمزة فى أعزى : للداء ، ويفرق : يخاف ، ويثوب : يرجع ، يقول .
— مخاطبا عزمه — انظر يا عزمى هل علم الصبح بما أنا عازم عليه من الاقتحام فتأخر
خشية أن يصاب فى جملة أعدائى ؟ وعبرة ابن فورجه : أراد : لعظم ما عزمت عليه
ولشدة ما أنا عليه من الأمر الذى قتت به ، كأن الصبح يفرق من عزمى ، ويغشى أن
يصبه بمكروه ، فهو يتأخر ولا يثوب .

(٣) الحب : المحبوب : ويراعى : يراقب وينتظر ، والدجنة الظلمة ، والدجنة من
النـيم المطبق تطبيقا والريان المظلم الذى ليس فيه مطر ، يقال : يوم دجن ويوم دجنة
— وكذلك الليلة على وجهين بالوصف والإضافة ، — والدجنة : الظلمة جمعها دجن
ودجنات ، والداجنة : المطرة المطبقة نحو : الديمة ، والضمير فى دجنته : ليل . شبه الفجر
بحبيب قد طلب إليه زيارة محبه وهو يراعى من ظلمة الليل رقيبا فتأخر زيارته خوف
الرقب — يريد طول الليل ، وأن الفجر ليس يطلع ، فكأنه حبيب يخاف رقيبا .

كَأَنَّ نُجُومَهُ حَلَّى عَلَيْهِ وَقَدْ حُذِيتْ قَوَائِمُهُ أَجْبُوبًا^(١)
كَأَنَّ أَلْجَوَّ قَاسَى مَا أَقَاسَى فَصَارَ سَوَادُهُ فِيهِ شُحُوبًا^(٢)
كَأَنَّ دُجَاهُ يَمُخِّذُهَا سُهَادَى فَلَيْسَ تَغْيِبُ إِلَّا أَنْ يَغْيِبَا^(٣)
أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي
أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذُّنُوبَا^(٤)

(١) الجيوب : وجه الأرض ومنها ، من سهل أو حزن أو جبل ، وقيل الأرض الغليظة ، وقيل: الأرض الغليظة من الصخر لا من الطين ، ولا يجمع . والحلى : ما تزين به من الذهب والفضة وغيرها ، وجمعها حلى : مثل ثدى وثدى ، وقد تكسر الحاء لمكان الياء مثل عصى . قال الفارسي : وقد يجوز أن يكون الحلى جمعا وتكون الواحدة حلية كهدية وهدى ؛ وحذيت قوائمه الجيوب : أى جعل الجيوب حذاء لقوائمه . يقول : كأن النجوم حلى على الليل فليست تتأرقه ، وكأن الأرض قد جعلت حذاء له فلا يستطيع أن يمشى لثقل الأرض على قوائمه .

(٢) الشحوب : تغير اللون من هزال ونحوه ، والضмир من سواده ليل ، ومن فيه : للجو . يقول : كأن الجو كابد ما أكابد من طول الوجد فاسود لون الليل وصار سواده شحوبا : أى كأن الليل اسود لأنه دفع إلى مادفت إليه فصار السواد بمنزلة الشحوب

(٣) الدجى : جمع دجية ، وهى الظلمة ، والسهاد : السهر . يقول : إن سهاد يطول والليل يطول معه ، فكأن سهاد يجذب ظلمة الليل ، فهى لا تنقضى إلا بانقضائه ، وسهاد لا ينقضى ، وكذلك ظلمة الليل .

(٤) يقول : إني أقلب أجفاني فى ذلك الليل ، ولكثرة تقلبي إياها كأتى أعد على الدهر ذنوبه ، فكأن أن ذنوب الدهر كثيرة متوافرة لاتكاد تنفى . كذلك تقلبي أجفاني كثير لا يفتى ، فلا نوم هناك . ولك أن تقول : أقلب أجفاني فى ذلك الليل وأنا أرى نجومه كأتى أعد بها ذنوب الدهر التى هى مثلها فى العدد . وهذا المعنى ينظر إلى قول ديك الجن :

أَنَا أَحْصَى فِيكَ النُّجُومَ وَلَكِنْ لِدُّنُوبِ الزَّمَانِ لَسْتُ بِمُحْصِيٍّ

وَمَا لَيْلٌ بِأَطْوَلَ مِنْ نَهَارٍ يَظَلُّ بِلَحْظِ حُسَادِي مَشُوبًا^(١)
وَمَا مَوْتُ بِأَبْغَضَ مِنْ حَيَاةٍ أَرَى لَهُمْ مَعِيَ فِيهَا نَصِيبًا^(٢)
عَرَفْتُ نَوَائِبَ الْحَدَثَانِ حَتَّى لَوْ اُنْتَسَبْتُ لَكُنْتُ لَهَا نَقِيبًا^(٣)
وَلَمَّا قَلَّتِ الْإِبِلُ اُمْتَطَيْنَا إِلَى ابْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ اُخْطُوبًا^(٤)
مَطَايَا لَا تَذِلُّ لِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهَا أَحَدٌ رُكُوبًا^(٥)
وَتَرْتَعُ دُونَ بَنَاتِ الْأَرْضِ فِينَا فَمَا فَارَقْتُهَا إِلَّا جَدِيدًا^(٦)
إِلَى ذِي شَيْمَةٍ شَفَعْتُ فَوَادِي فَلَوْلَاهُ لَقَلْتُ بِهَا النَّسِيبًا^(٧)

(١) بلحظ حسادى أى بلحظى حسادى . يقول : ليس لىلى وإن طال بأطول من نهار يشوبه - أى يخالطه - أن أنظر فيه إلى حسادى وأعدائى .
(٢) يقول : إذا كان لحسادى نصيب معى فى الحياة وشاركونى فيها وعاشوا كما أعيش فليس الموت بأبغض إلى من تلك الحياة : أى أنه لا تحول له الحياة حتى يقتل حساده .
(٣) الحدثنان : حوادث الدهر ونوبه ؛ ويقال : انتسب الرجل إلى فلان : إذا نسب نفسه إليه ؛ والنقيب : الخبير بأحوال القوم وأنسابهم . يقول : لكثرة ما أصابنى من نوائب الدهر صرت عارفاً بها حتى لو كان لها أنساب لكنت أنا نقيبها .
(٤) يقول : لما أعوزتنا الإبل وقعدناها لقلة ذات اليد أدتني المحن والشدائد إلى المدوح ، فكأنها كانت مطايا ركنهاها إليه .

(٥) و (٦) رمت الإبل : رعت فى بحبوحة وخصب ؛ والجذب : ضد الخصب ؛ ومكان جديب : لا نبات فيه . يقول : إن الخطوب مطايا لا يبنى أحد ركوبها ، وهى لا ترعى نبات الأرض ، إنما ترعانا وتناال منا . فما فارقتها عند وصولى إليك إلا جديداً لأنها رعتنى وأنت على فلم تترك منى شيئاً .

(٧) الشيمة : الخلق ؛ وتقول : شفقتى جبا وشفقتى ؛ والمعنى تيمنى وبلغت منى ، وشفقتى : من شفاف القلب ، وهو غلافه ، أو سويداؤه . والنسيب : التشبيب بالنساء فى الشعر . يقول : إن أخلاق المدوح شفقتى بحسبها . فلو لا مهابته واحتشامه لغزلت بها كما يتغزل العاشق بمعشوقه .

تُنَازِعُنِي هَوَاهَا كُلُّ نَفْسٍ وَإِنْ لَمْ تُشَبِّهِ الرَّشَّ الرَّبِّيَا^(١)
عَجِيبٌ فِي الزَّمَانِ وَمَا عَجِيبٌ أَتَى مِنْ آلِ سَيَّارٍ عَجِيبَا^(٢)
وَشَيْخٌ فِي الشَّابِّ وَلَيْسَ شَيْخًا يَسْمَى كُلُّ مَنْ بَلَغَ الْمَشِيْبَا^(٣)
قَسَا فَلَأَسْدُ تَفْرَعُ مِنْ قَوَاهُ وَرَقَّ فَفَنَحْنُ نَفْرَعُ أَنْ يَذُوبَا^(٤)
أَشَدُّ مِنَ الرِّيَّاحِ الْهُوجِ بَطْشًا وَأَسْرَعُ فِي النَّدَى مِنْهَا هُبُوبَا^(٥)
وَقَالُوا ذَاكَ أَرْمَى مَنْ رَأَيْنَا فَقُلْتُ رَأَيْتُمْ الْفَرَضَ الْقَرِيْبَا^(٦)

(١) الضمير في هواها : للشيمة ؛ والرشأ : ولد الظبية إذا تحرك ومشى ؛ والربيب للربي . يقول : إن كل نفس تعشق أخلاقه كما أعشقها أنا . فهي محبوبة إلى كل إنسان ، وإن لم يكن بينها وبين الرشأ شبه ، لأنها من الرجولة والفضل بحيث تسمو عن شبهها بالظباء التي تشبه بها الحسان .

(٢) عجيب : خبر مبتدأ محذوف يعود إلى المدحوح ؛ وعجيبا : خبر ما العاملة عمل ليس . يقول : هو عجيب في الزمان ، وليس ما يأتي من آل سيار عجيبا ، لأنهم الغاية في المجد والكرم .

(٣) وليس شيخا إلخ : أي ليس كل من بلغ الشيب يسمى شيخا ؛ فشيوخا : مفعول ثان مقدم ليسمى ؛ وكل : يجوز أن يكون اسم ليس ، أو نائب فاعل يسمى على طريق التنازع . يقول : هومع أنه شاب — في حكمة الشيوخ وجودة رأيهم ورجحان ألبابهم ؛ ورب إنسان غيره بلغ للشيب ولكنه لا يستحق أن يسمى شيخا لتخلفه ونقصه .

(٤) قوله من قواه : يروى من يديه . يقول : قسا قلبه في الحروب حتى لتخاف الأسد بطشه وسطوته وهو مع ذلك في مجلسه قد رقق طبعًا وكرما حتى لتخاف أن يذوب ؛ ويقال فلان يذوب ظرفا : إذا لان جانبه ، واحلوت شيمته .

(٥) الهوج : جمع هوجاء : وهي الشديدة العصف في حمق وطيش . والبطش : الأخذ بقوة ؛ والندى : الجود ؛ وبطشا وهبوبا : نصبا على التميز ؛ وقال آخرون : هما مصدران وقعا موقع الحال . يقول : هو لدى الوغى أشد بطشا من هوج الرياح ، ولدى الجود أسرع منها في العطاء .

(٦) الفرض : الهدف يرمى بالسهم . يقول : إن الناس يقولون : إنه أرمى من رأيناه

وَهَلْ يُخْطِي بِأَسْهُمِهِ الرَّمَايَا وَمَا يُخْطِي بِمَا ظَنَّ الْغُيُوبَا^(١)
 إِذَا نُكِبَتْ كِنَانَتُهُ اسْتَبْنَا بِأَنْصُلِهَا لِأَنْصُلِهَا نَدُوبَا^(٢)
 يُصِيبُ بِيَعِضِهَا أَفْوَاقَ بَعْضٍ فَلَوْلَا الْكَسْرُ لَا تَصَلَتْ قَضِيْبَا^(٣)
 بِكُلِّ مُقَوِّمٍ لَمْ يَنْصِ أَمْرًا لَهُ حَقٌّ ظَنَّنَاهُ كَيْبَا^(٤)
 يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ الْقَوْسِ مِنْهُ وَبَيْنَ رَمِيهِ الْهَدَفَ أَلْمِيَا^(٥)

رمى السهام ، قلت : إنكم رأيتموه وهو يرمى الغرض القريب منه . فكيف لو رأيتموه
 يرمى الغرض البعيد ؟

(١) الرمايا : جمع رمية ، اسم لكل ما يرمى بالسهم من غرض أو صيد . يقول :
 إنه صائب الفكرة فهو يرمى المغيثات بسهام ظنه فيصيبها لثقوب فكره ، فكيف لا يصيب
 المحسات بسهامه ؟

(٢) و (٣) الكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام ؛ ونكبت : قلبت على رأسها
 لينثر ما فيها ؛ واستبنا : تبينا ورأينا : والندوب في الأصل : آثار الجروح ؛ والمراد هنا
 مطلق الأثر ؛ والأفواق : جمع فوق ، وهو موضع الوتر من السهم . يقول : إذا نثرت
 كِنَانَتُهُ وأفرغ ما فيها من السهام رأينا لنصوله آثاراً في نصوله لسرعة رميه ورميه إياها
 على طريقة واحدة حتى يدرك بعضها بعضاً من غير أن يميل عنه ويصيب اللاحق منها
 فوق السابق ، فلولا أن ينكسر النصل بالفوق لاتصل بعضها ببعض وصارت مستوية
 كالقضيْب . وكان الوجه أن يقول : بأفوقها لأنصلها ندوبا بدليل البيت الثاني ، ولأن
 النصال إذ ذاك لا تقابل ، اللهم إلا إذا كان يريد بالأنصل : السهام ، لا الحديد بخصوصه .
 (٤) بكل مقوم : بدل من قوله ببعضها : أي يصيب بكل سهم هذه صفته . يقول :
 إن سهمه يتجه كيف شاء ، فكأنه عاقل يأمره فيطيع .

(٥) النزع : جذب الوتر للرمى ؛ وضمير منه : للسهم ؛ والرمى المرمى ، فهو فيل
 بمعنى مفعول ؛ والهدف : بدل من رميه . يقول : إذا جذب الوتر ورمى السهم رأيت منه
 نارا بين القوس والهدف ، وذلك أن حفيف السهم في سرعة صوره يشبه حفيف النار
 في التهاها ؛ والعرب إذا وصفت شيئاً بالسرعة شبهته بالنار ؛ ومنه قول العجاج يصف
 سرعة مشي الحمار والأتان :

أَلَسْتَ ابْنَ الْأَوَّلَى سَعِدُوا وَسَادُوا وَلَمْ يَلِدُوا أَمْرًا إِلَّا نَجِيًّا^(١)
وَنَالُوا مَا أَسْتَهْوَا بِالْحَزْمِ هَوْنًا وَصَادَ الْوَحْشَ تَمْلَهُمْ دَيْبِيًّا^(٢)
وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرَابِ طِيًّا^(٣)
أَيًّا مَنْ عَادَ رُوحُ الْمَجْدِ فِيهِ وَعَادَ زَمَانُهُ السَّالِي قَسِيًّا^(٤)

كَأَنَّمَا يَسْتَضْرِمَانِ الْعَرْجَا^(١)

(١) الأولى بمعنى الدين : والاستفهام للتقرير أى أنت ابن أولئك ، وسعدوا ؛ من السعادة ؛ والنجيب : الكريم .

(٢) يقول : وأنت ابن الذين أدرکوا بحزمهم ما طلبوا في رفق وأناة وتؤدة فأدرکوا الصعب البعيد بأهون سبب ودون جهد ونصب . وجعل الوحش مثلا للمطلوب البعيد ؛ ودبيب النمل مثلا لرفقهم ولطف تأنيهم .

(٣) يقول : إن الطيب الذى يتضوع من الرياض ليس لها في الحقيقة ولكنه شيء أفادته من دفن آباءه في التراب ، وهذا من قول أبي تمام :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فِطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

(٤) الضمير في زمانه : للمجد ، والقشيب الجديد ، قال ابن جني : معناه أن روح المجد انتقل إليه فصار هو المجد مبالغة ، وقال غيره : إن روح مجد آباءه انبعث فيه فعاد إلى عالم الظهور ، وتجدد زمانه بعد انقضائه ، وقال آخرون : معناه يا من عاد به روح المجد في المجد ، أى أن المجد كان ميتاً فعاد به حياً وعاد الزمان الذى كان باليا جديداً به ، وقد نظر إلى هذا المعنى بعضهم فقال :

سَأَلْتُ النَّدَى وَالْمَجْدَ حَيَّانٍ أَتَمَّا وَهَلْ عَشْتُمَا مِنْ بَعْدِ آلِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَا نَعَمْ مَتَنَا جَمِيعًا وَضَمْنَا ضَرْيَحَ وَأَحْيَانَا دَيْسَ بْنِ مَزِيدٍ

(١) العرفج شجر معروف سريع الاشتعال بالنار ، ولهبه شديد الحرارة ، ويبالغ بحمته فيقال : كأن لحيته ضرام عرفة .

تَبِمَنَى وَكَلِّكَ مَادِحًا لِي وَأُنْشِدَنِي مِنَ الشَّعْرِ الْغَرِيْبِ^(١)
فَاجْرَكَ إِلَاهُ عَلَى عَلِيلٍ بَعَثَ إِلَى السَّيْحِ بِهِ طَبِيبًا^(٢)
وَلَسْتُ بِمُنْكَرٍ مِنْكَ الْهَدَايَا وَلَكِنْ زِدْتَنِي فِيهَا أَدِيْبًا
فَلَا زَالَ دِيَارُكَ مُشْرِقَاتٍ وَلَا دَانَيْتَ يَا شَمْسُ الْغُرُوبَا^(٣)
لَا صَبِيحَ آمِنًا فِيكَ الرَّزَايَا كَمَا أَنَا آمِنٌ فِيكَ الْعُيُوبَا^(٤)

(١) تبمنى قصدنى ، قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا المجد كرم بن الفضل رحمه الله
قال : سمعت والدى أبا بشر قاضى القضاة يقول : أخبرنى أبو الحسين الشافى للقلب بالمشوق
قال : كنت عند اللتني فجاءه هذا الوكيل فأنشده هذه الأبيات :

فَوَادَى قَدْ انْصَدَعَ وَضُرْسَى قَدْ انْقَلَع
وَالْيَالَى عَلَى قَدْ انْهَوَى وَمَا رَجَعَ
يَا حَبْ ظَبَى غَنَجٍ كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنْ طَلَعَ
رَأَيْتَهُ فِي بَيْتِهِ مِنْ كَوَّةٍ قَدْ اطْلَعَ
فَقُلْتُ تَهْ تَهْ تَهْ وَتَهْ فَقَالَ لِي مَرَّ يَالْكَع
هَاتِ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ ثُمَّ قَطْعَ
وَضَعْ بِكَفَى وَفِي جِيبِي أَدْعُكَ أَنْ تَضَعْ

فهذا الذى عناه للتنبي بقوله : وأنشدنى من الشعر الغريب .

(٢) آجره الله : أثابه ؛ جعل نفسه كالسيح ؛ وهذا الشاعر كليل قد جاء ليداوى
السيح الذى يحى الموت ويبرئ الأكمة والأبرص ، وإذا فلا حاجة به إلى طبيب ؛ ولا سيما
إذا كان الطبيب عيلا .

(٣) جعله شمسا لشرفه وعموم منفعة ، يدعوه بأن لا تزال دياره مشرقات بنوره
وبأن لا يشرف على الغروب : أى لا يموت .

(٤) لأصبح : تعليل للدعاء السابق : يقول : أنا آمن عليك من العيوب فإتينا
لا تهرمك ، ولكن الذى أخشاه أن نرزا فىك ، فأنا أدعو الله أن يهلك الرزايا لأصبح
آمنا فىك المذورين معا .

وقال يصف مجلسين لأبي محمد الحسن بن عبد الله بن طنج ، قد انزوى أحدهما
عن الآخر ليرى من كل واحد منهما ما لا يرى من صاحبه :

لِلْجُلْسَانِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَهُمَا مُقَابِلَانِ وَلَكِنْ أَحْسَنَ الْأَدَبِ^(١)
إِذَا صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالِ ذَا رَهْبًا وَإِنْ صَعِدْتَ إِلَى ذَا ، مَالِ ذَا رَهْبًا^(٢)
فَلَمْ يَهَابْكَ مَا لَا حِسَّ يَرُدُّهُ إِنِّي لَأَنْصِرُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا عَجَبًا^(٣)

وقال وقد استقل في القبة ونظر إلى السحاب :

تَعَرَّضَ لِي السَّحَابُ وَقَدْ قَفَلْنَا فَقُلْتُ لَيْتَكَ إِنْ مِى السَّحَابَا^(٤)
فَإِسْمُ فِي الْقُبَّةِ الْمَلِكِ الْمَرْجَى فَأَسْكَتَ بَعْدَ مَا عَزَمَ أَنْسِكَابَا^(٥)
وأشار إليه طاهر العلوى بمسك وأبو محمد حاضر فقال :

أَلَطِيبُ مِمَّا غَنِيَتْ عَنْهُ كَفَى بِقُرْبِ الْأَمِيرِ طَيْبًا
يَبْنِي بِهِ رَبُّنَا لِلْمَالِ كَمَا بِكُمْ يَنْفِرُ الذُّنُوبَا^(٦)

(١) و (٢) يقول : إن هذين المجلسين — وإن كان قد ميز كل منهما في وضعه عن
الآخر — مقابلان بعضهما لبعض ولكنهما أحسن الأدب تميزا فإنك إذا صعدت إلى
أحدهما جلست عليه مال الآخر عنه هية لك .

(٣) يقول : إذا كان مالا حس له ولا عقل يهابك فما الظن بغيره ؟

(٤) و (٥) قفلا : رجنا ، وإليك بمعنى اكفف ، وشم أمر من شام البرق إذا
نظر إليه يرجو المطر ، وتقول عزم فلان الأمر وعزم عليه إذا هم به ، وقوله قسم — البيت
— يأمر السحاب بأن ينظر إلى الأمير يرجو مطره كما ترجو الناس من السحاب مبالغة
في جود الأمير حتى صار السحاب مفتقرا إلى سقيه ، ثم قال : إنه لما قال ذلك للسحاب
أمسك عن الانسكاب بعد أن هم به حياء من جوده .

(٦) ضمير به للأمير . والخطاب في بك لمطاهر العلوى ، وهو من نسل الزهراء كريمة
سيدتنا رسول الله عليه وسلم ، ومن ثم قال : كما بك ينفر الذنوبا .

(١٨ — الثاني)

وقال وقد استحسّن عين باز في مجلسه :

أَيَا مَا أَحْيَيْسِنَهَا مُثْلَةً وَلَوْلَا الْمَلَاَحَةُ لَمْ أَعْجَبِ^(١)
خَلُوقِيَّةٌ فِي خَلُوقِيَّهَا سُوَيْدَاهُ مِنْ عِنَبِ الثَّعْلَبِ^(٢)
إِذَا نَظَرَ الْبَاَزُ فِي عِطْفِهِ كَسْتُهُ شُعَاعًا عَلَى الْمَنَكِبِ^(٣)

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين العلوى^(*) :

أَعِيدُوا صَبَاحِي فَهَوَ عِنْدَ الْكَوَاعِبِ
وَرُدُّوا رُقَادِي فَهَوَ لِحَظُ الْخَبَائِبِ^(٤)

(١) التصغير في ما أحيسنها : مبالغة في الاستحسان ؛ وقوله لم أعجب : أى لم أقل ما أحيسنها : أى لولا حسنها لم أقل ذلك .

(٢) خلوقية : نسبة إلى الخلق ضرب من الطيب أصفر اللون — وفي خلوقها : خبر مقدم ، وسويداء : مبتدأ مؤخر يقول : هذه القلة صفراء مثل لون الخلق يتوسط صفرتها إنسان — إنسان عين — أسود كأنه الحبة الصغيرة من عنب الثعلب .

(٣) يقول : إذا التفت الباز إلى جانبه اكتسى من نور مقلته شعاعا .
* قالوا : إن الأمير أبا محمد بن طعج لم يزل يسأل المتنبي أن يخلص أبا القاسم طاهراً العلوى بقصيدة من شعره وأنه قد اشتى ذلك ، وأبو الطيب يقول : ما قصدت إلا الأمير ولا أمدح سواه ؛ فقال أبو محمد : عزمت أن أسألك قصيدة تنظمها في فاجلها فيه . وضمن له عنده مئات من الدنانير فأجاب . قال محمد بن القاسم الصوفى : فسرت أنا والمطلبي برسالة طاهر إلى أبى الطيب فركب معنا حتى دخلنا عليه وعنده جماعة من الأشراف ، فلما أقبل أبو الطيب ، نزل طاهر عن سريرته والتقاء مسلماً عليه ؛ ثم أخذ يده فأجلسه في المرتبة التي كان فيها ، وجلس هو بين يديه وتحدث معه طويلاً . ثم أنشده أبو الطيب غلغ عليه — للوقت — خلعا نفيسة . قال على بن القاسم الكاتب : كنت حاضرا هذا المجلس ، فما رأيت ولا سمعت أن شاعرا جلس المدوح بين يديه مستمعاً لمدحه غير أبى الطيب ؛ فإني رأيت هذا التريف قد أجلسه في مجلسه وجلس بين يديه فأنشده هذه القصيدة .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى التى بداندباها للنهود ، والخبائب : جمع خبيبة ولحظ الخبائب أى رؤيتهن . قول : أصبح دهرى ليلا كله بعد ظن الأجرة فليس هناك

فَإِنَّ نَهَارِي لَيْلَةٌ مُدْهِمَةٌ عَلَى مُقَلَّةٍ مِنْ بَعْدِكُمْ فِي غِيَابٍ^(١)
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الْجُفُونِ كَأَنَّمَا عَقَدْتُمْ أَعَالِي كُلِّ هَذَبٍ بِحَاجِبٍ^(٢)
وَأُخْسَبُ أَنِّي لَوْ هَوَيْتُ فِرَاقَكُمْ
لَفَارَقْتُهُ وَالْأَمْرُ أُخْبِتُ صَاحِبٍ^(٣)

صباح إلا بردهن ، وقد نفي عن الكرى فلا رقاد إلا برؤيتهن ، والمعنى ردوهن على حق يرتد صباحى ورقادى .

(١) مدهمة: شديدة السواد ، والغياب : الظلمات ، وهذا البيت كالتعليل لما ذكره في البيت السابق . يقول : لما رحلت لم أبصر بعدكم شيئا : أى بكيت حتى عميت ، فأض نهارى ليلا حالك السواد . وعبرة الواحدى : يريد أن جفونه مختومة بعدهن لم تفتح ، وإذا انطبقت الجفون فالنهار ليل . وقال التبريزى : هذا معنى البيت الأول : أى غلب عنى الكواعب فغاب صباحى بعدهن ، لأن الدنيا تظلم فى عين المهزون ، فردوا رقادى فقد كنت أراهم فى نومي وقد فقدتهم منذ فارقت الرقاد . رالعرب إذا وصفت الأمر الشديد شبهت النهار بالليل لإظلام الأمر .

(٢) بعيدة : بدل من مقلة — فى البيت السابق — ومن روى بعيدة بالرفع فهى خبر ابتداء محذوف أى هى بعيدة ، والهدب : الشعر النابت على أشجار العين ولكن المراد بأعلى كل هذب : ما نبت على الجفن الأعلى فهو عام قد خصص . ونص عبارة الواحدى : إذا حمل قوله كل هذب على العموم فالحاجب ههنا بمعنى المانع لأننا إذا حملنا الحاجب على المهود كان مغمضا لأن هذب الجفن الأسفل إذا عقد بالحاجب حصل التغميض ، وإذا حملنا الحاجب بمعنى المانع صح الكلام : وإن حملنا الحاجب المهود حملنا قوله كل هذب على التخصيص ، وإن كان اللفظ عاما ، وهذا مثل قول الآخر :

وَرَأْسِي مَرْفُوعٌ لِنَجْمٍ كَأَنَّمَا قَفَاهُ إِلَى صُلْبِي بِخَيْطٍ مُخَيَّطٍ
يقول : إن عينيه لا تطبقان وتباعدت أجفانه حتى لكان أعلى أهدابها قد عقدت بالحاجبين ، وهذا مثل قول بشار بن برد :

جَفَتَ عَيْنِي عَنِ التَّغْمِيزِ حَتَّى كَأَنَّ جُفُونَهَا عَنْهَا قِصَارُ
(٣) يقول : إن الدهر مولع بمخالفتى حتى لو هويت فراقكم لواصلتمونى : يعنى أن

فَيَاكَلَيْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَبِّي مِنْ الْبُؤْسِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْمَصَائِبِ ^(١)
 أَرَاكَ ظَنَنْتَ السَّلَكَ جِسْمِي فَمَقَّتْهُ عَلَيْكَ بِدْرٌ عَنْ لِقَاءِ التَّرَائِبِ ^(٢)
 وَلَوْ قَلَمَ أَلْقَيْتُ فِي شَقِّ رَأْسِهِ مِنْ الشُّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبِ ^(٣)

من أهواء يعد عني ، ومن أجتوبه يقرب مني لسوء صحة الدهر إياي ، قوله لفارقه :
 أي لفارقت الفراق مضطراً بحكم الدهر — وفي هذا يقول بعضهم :

أَرَى مَا أَشْتَهِي يَفْرُؤُنِي وَمَا لَا أَشْتَهِي إِلَيَّ يَأْتِي
 وَمَنْ أَهْوَاءُ يُبْغِضُنِي عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاءُ يَشْبَثُ فِي لَهَائِي
 كَأَنَّ الدَّهْرَ يَطْلُبُنِي بِثَارٍ فَلَيْسَ بِسُرٍّ إِلَّا وَفَائِي

وقال المكبري : قوله لفارقه : كان الوجه أن يقول لفارقي ، لكنه قلبه لأن من
 فاركك فقد فارقه ، وهذا من باب القلب . ثم قال : وكان حقه أن يقول أخبت
 الأصحاب لأنه أراد خبت من يصعبه ؛ وإذا كان اسم الفاعل في مثل هذا يجوز فيه
 الإفراد والجمع كقوله تعالى « ولا تكونوا أول كافرين » أي أول من يكفر :
 وأنشد الفراء :

وَإِذَا هُمْ طَمِعُوا فَأَلَامُ طَاعِمِهِ وَإِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرُّ جِيعِ
 فَأَتَى الْأَمْرَيْنِ جِمَا :

(١) يقول : ليت أحبتي واصلوني مواصلة المصائب ، وليت المصائب بعدت
 عني بعدم . يعني أن المصائب ملازمة له فهو يتعنى أن تكون أحبته كذلك وهذا كما
 قال أيضاً :

ليت الحبيب الماحري هَجَرَ الكرى من غير جرم واصلني صلة الضنا
 (٢) أراك أظنك ، والسلك الحيط الذي ينظم فيه الدر وغيره ، وقوله عليك بدر
 يريد بدر عليك تقدم الجار والمجرور ، والترايب موضع القلادة من الصدر يقول :
 أظنك حسبك السلك الذي في قلادتك جسمي لمشايبته إياه في الدقة خلعت بينه وبين
 ترايبك بالدر للنظوم فيه لكلا يلامس صدرك ، أي أن ولوعك بمشاقق حملك على منافرة
 كل ما يشاكلني ، يشكو مخالفتها إياه ورغبتها عن وصاله وهو من معاني التنبئ البديعة .
 (٣) يقول : لشدة مقيى نعلت حتى لم يبق لي جنان يحس به فلو ألقيت في شق

تُخَوِّفُنِي دُونَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ وَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْعَارَ شَرُّ الْعَوَاقِبِ ^(١)
وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أَغْرَى مُحَجَّلِي يَطُولُ اسْتِغَايَ بَعْدَهُ لِلنَّوَادِبِ ^(٢)
يَهُونُ عَلَى مِثْلِي إِذَا رَامَ حَاجَةً وَتُقَوِّعُ الْعَوَالِي دُونَهَا وَالْقَوَاضِبِ ^(٣)
كَثِيرُ حَيَاةِ اللَّزْءِ مِثْلُ قَلِيلِهَا يَزُولُ وَبَاقِي عَيْشِهِ مِثْلُ ذَاهِبِ ^(٤)

قلم ، لم يخبر بي خط كاتب ، وهذا من مبالغات الشعراء ، وقد اقتنوا في هذا المعنى كل الاقتنان فمن ذلك قول بعضهم :

ذُبْتُ مِنَ الْوَجْدِ فَلَوْ زُجَّ بِي فِي مُقَلَّةِ الْوَسْطَانِ لَمْ يَنْتَبِهْ
وقول الآخر :

فَأَسْتَبِقِ مَا أَقْبَيْتَ لِي فَلَقَائِي يَوْمًا أَقِيكَ بِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ
مِنْ مُهْجَةٍ ذَابَتْ أَسَى فَلَوَانِهَا فِي الْعَيْنِ لَمْ تَمْنَعْ مِنَ الْإِغْفَاءِ

(١) قال الواحدى : الذى أمرت به هو ملازمة البيت وترك السفر ، والذى خوفته به هو الهلاك ؛ وتقدير اللفظ : تخوفنى بشئ دون الذى أمرت به : أى تخوفنى بالهلاك وهو دون ما تأمر به من ملازمة البيت ، لأن فيها عارا ، والعار شر من البوار ؛ والضмир فى تخوفنى . للحبيبة ، أو العاذلة : وعبلرة ابن جنى : تخوفنى الهلاك وهو عندى دون العار الذى أمرتنى بارتكابه .

(٢) يقول : لا بد لى من يوم مشهور أكثر فيه قتل الأعادى فأسمع بعده صياح النوادب عليهم ؛ والأغر فى الأصل : الذى فى وجهه بياض ، والمحجل : قال أبو عبيدة : المحجل من الحجل أن تكون قوائمه الأربع يضا يبلغ البياض منها ثلث الوطيف أو نصفه أو ثلثيه بعد أن يتجاوز الأرساغ ولا يبلغ الركبتين ، المرقوين — وأغر محجل كما ترى من صفات الحجل — استعارها لليوم ؛ يريد يوما مشهورا يمتاز عن الأيام كما يمتاز الفرس بالفرقة والتجليل .

(٣) العوالى : صدور الرماح : أى الأسنة ؛ والقواضب : السيوف القواطع يقول : مثلى إذا رام أمرا لم يبال أن يكون دون الوصول إليه رماح وسيوف : يريد أنه يتوصل إليه وإن كان دونه حروب وأهوال .

(٤) كثير : مبتدأ ، ومثل : خبر أول ؛ ويزول : خبر ثان ؛ يحث على الشجاعة

إِلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ مِمَّنْ إِذَا اتَّقَى
عُضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعُقَارِبِ ^(١)
أَتَانِي وَعِيدُ الْأَذْيَاءِ وَأَنْتَهُمْ أَعْدُوا لِي السُّودَانَ فِي كَفْرِ عَاقِبِ ^(٢)
وَلَوْ صَدَقُوا فِي جَدِّهِمْ لَخَذَرْتُهُمْ فَهَلْ فِي وَحْدِي قَوْلُهُمْ غَيْرُ كَاذِبِ ^(٣)

والإقدام وينهى عن الجبن . يقول : إن طول العمر وقصره سيان لأن نهاية كل منهما الزوال ، وما بقي من العيش لا حق بما ذهب فهو في حكمه ، وإذن لا وجه للحرص على الحياة . وقال ابن الرومي :

رَأَيْتُ طَوِيلَ الْعُمُرِ مِثْلَ قَصِيرِهِ إِذَا كَانَ مُنْقَضَهُ إِلَى غَايَةٍ تَرَى
قَالَ الْعَكْبَرِيُّ : وهذا من كلام الحكماء قل الحكم : أواخر حركات الفلك كأوائها وناشئ العالم كلاله في الحقيقة لا في الحس :

(١) إليك : اسم فعل بمعنى كفى . يقول : كفى عني فإنني لست ممن إذا خشي الهلاك صبر على الدل والهوان . جعل الأفاعي مثلا للهلاك لأنها تقتل بسماها دفعة واحدة ، والعقارب مثلا للدل والهوان لأن لسعها لا يقتل ولكنه يتكرر ، فيكون أطول عذابا ، وأمر آلاما وإليك كلمات الشراح . قل ابن جني : لست ممن إذا تخوف عظيمة صبر على مذلة وهوان ، فشبب الأفاعي بالعظيمة والعقارب بالدل . وقال الواحدى : جعل عض الأفاعي لكونه قاتلا مثلا للهلاك وجعل لسع العقارب مثلا للعار لأنه لا يقتل قال ابن فورجه تعليقاً على هذا : من بات فوق العقارب أدته بكثرة لسعها إلى الهلاك كما لو نهشته الأفعى ، إنما يريد أن العار أيضا يؤدي الإنسان ذا المجد إلى الهلاك لتعير الناس إياه بل هو أشد لأنه عذاب يتكرر والهلاك دفعة واحدة فجعل الأفاعي مثلا للهلاك والعقارب مثلا للعار .

(٢) الأدعياء جمع دعى وهو المنتسب إلى غير أب يريد بهم هنا جماعة يدعون نسب على رضى الله عنه أرادوا به سوءاً وأعدوا له جماعة من السودان ليقتلوه . وكفر عاقب قرية بالشام من أعمال حلب .

(٣) يقول : لو كانوا قد صدقوا في دعوى انتسابهم إلى المصطفى صلى الله عليه وسلم لجاز صدقهم في الوعيد أيضا فخذرتهم ، ولكنهم إذ كذبوا في نسبهم علمت أنهم لا يصدقون فهل يكون قولهم في وحدي صادقا ؟

إِلَى لَعْمَرِي قَصْدُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ
بَأَى بِلَادٍ لَمْ أَجِرْ ذَوَاتِي
كَأَنَّ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ
فَلَمْ يَبْقَ خَلْقٌ لَمْ يَرْدَنْ فَنَاءَهُ
فَتَى عَمَّتُهُ نَفْسُهُ وَجُدُوهُ
كَأَنِّي عَجِيْبٌ فِي عُيُونِ الْمَجَابِ (١)
وَأَيُّ مَكَانٍ لَمْ تَطَّأهُ رَكَابِي (٢)
فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظُهُورِ الْمَوَاهِبِ (٣)
وَهُنَّ لَهُ شِرْبٌ وَرُودَ الْمَشَارِبِ (٤)
قِرَاعَ الْأَعَادِي وَأُبْنِذَالَ الرَّغَائِبِ (٥)

(١) يعرض بالذين توعدوه . يقول : لا عجب من قصدهم إلى بهذا الوعيد فإني لا أزال أتعثر بالعجائب حتى لكأنها بذلك تتعجب من صبري وأنا في وعلو همي فهي تيمموني وتنسل إلى من كل حذب .

(٢) ذؤابة النمل ما أصاب الأرض من المرسل على القدم لتحركه ، ويروى بدل ذؤابتى ذؤائبي ، يصف نفسه بكثرة الأسفار يقول : إنني لم أدع موضعاً من الأرض إلا جولت فيه .

(٣) الكور : الرجل ، وطاهر هو طاهر بن الحسين العلوي الذي قال فيه المتنبي هذه القصيدة . وهذا البيت من أبدع ما قيل في حسن التخلص . يقول : كما أن مواهب المدوح لم تدع مكاناً إلا أنه كذلك أنا لم أدع مكاناً إلا أتيت ، فكأنني امتطيت ظهور مواهبه .

(٤) يقول : لم يبق أحد لم ترد مواهب المدوح داره كما ترد الناس المشارب مع أن مواهبه شرب للناس فكان حقها — كما هي العادة — أن يردّها الشاربون ولكنها هي ترد الشاربين ، فقوله يردن أي المواهب وهو من ورود الماء ، والفناء الساحة والنزل ، والضمير فيه للخلق والشرب المورد وحظ الوارد من الماء ، وورود : مفعول مطلق ليردن مضاف إلى مفعوله . وعبارة الخطيب التبريزي : كأنهم قد وردن عليه ورود الناس المشارب لينتفعوا بها : يعني أن هذه منفعة للخلق الذي ترد إليه كما ينفع الماء وارده . وقريب من معنى البيت قول القائل

إذا سألوكم شكرتهم عليه وإن سكتوا سألتهم السؤالا

(٥) الابتذال : مثل البذل ، والرزائب : جمع رغبة ، وهي الشيء المرغوب فيه . يقول : إن شجاعته وسخاءه غريزتان موروثتان ؛ والأعادي : يروى العوالي ، وهي صدور الرماح .

فَقَدْ غَيَّبَ الشَّهَادَ عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ
وَرَدَّ إِلَى أَوْطَانِهِ كُلِّ غَائِبٍ ^(١)
كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ أَغْرَضَ أَعْنَاهُ مِنْ خُطُوطِ الرِّوَابِجِ ^(٢)
أَنَاسَ إِذَا لَاقَوْا عِدَى فَكَأَنَّمَا سِلَاحُ الَّذِي لَاقَوْا غُبَارُ السَّلَاحِ ^(٣)

(١) الشهاد : جمع شاهد ، بمعنى حاضر . يقول : إنه غيب عن وطنه كل من ليس من دينه السفر لأن سخاءه يدعوهم إليه ، وردهم إلى الأوطان بعد أن غمهم بنصه وأغدق عليهم العطاء فاستغنوا عن السفر إلى غيره .

(٢) الندى : مبتدأ ، وأعن : خبر ؛ وأصل البنان : أطراف الأصابع ، والمراد بها هنا : الأكف . وقد روى بدل في بنانهم : في أكفهم ؛ والمدوح من ولد السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج على ابن أبي طالب ، ومن ثم قال : كذا الفاطميون . يقول : إن الجود لا يفارقهم حتى إن خطوط الروابج قد يمكن أن تمحي منها والجود لا يمحي من أكفهم ، وهذا وثقت فرق بين الفاطميين وبين العلويين ؛ فالفاطميون هم أولاد فاطمة من ولدها الحسن والحسين ، فكل فاطمي هو من ولد الحسن والحسين ؛ وأما العلويون فهم من ولد على يدخل فيهم الفاطميون وغيرهم كأولاد العباس بن علي وعمر بن علي ومحمد بن علي بن الحنفية ، والروابج : واحدها رابجة ، وهي مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع وقيل هي ظهور السلايات وقيل هي ما بين البراجم من السلايات وقيل هي مفاصل الأصابع ثم البراجم ثم الأشاجع التي تلي الكف ؛ وقال ابن الأعرابي : الرابجة البقعة للمساء بين البراجم ، والبراجم الشنجات في مفاصل الأصابع في كل أصبع ثلاث برجات إلا الإبهام .

(٣) السلاهب : جمع سلهب ، وهو الفرس الطويل . يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث يعد سلاح أعدائهم في نظرهم كأنه غبار خيلهم لا يباؤون به ولا يكثرثون ، بل يشقونه لا يرتدون عن أعدائهم : وخص السلاهب لأنها أسرع وغبارها رقيق وألطف . وقال الواحدي : يجوز أن يكون السلاهب خيل المدوحين ويقال : فرس سلهب أي ماض ، ولذا قال الجوهري : السلهب من الخيل الطويل على وجه الأرض ، ومنه قول الأعرابي في صفة الفرس : وإذا عدا اسلهب ، وإذا قيد اجلعب ، وإذا اتصب اتلاب . « اسلهب : امتد ، واجلب انبسط ولم يتقبض : واتلاب : أقام صدره ورأسه »

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجَعَتْهَا دَوَايِ الْهُوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ ^(١)
 أَوْلَيْكَ أَحَلَى مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ وَأَكْثَرُ ذِكْرًا مِنْ دُحُورِ الشَّبَابِ ^(٢)
 نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا أَبْنَهُ بَيَوَاتِرِ مِنَ الْفِعْلِ لَا قَلَّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ ^(٣)
 وَأَبْهَرُ آيَاتِ التَّهَامِي أَنَّهُ أَبُوكَ وَأَجْدَى مَا لَكُمْ مِنْ مَنَاقِبِ ^(٤)

(١) الضمير في نواصيها : للسهاب ؛ وهي جمع ناصية ، مقدم شعر الرأس ؛ ومنه نواصي الناس أى أشرافهم . قالت أم قبيس الضبية :

وَمَشْهَدٌ قَدْ كَفَيْتُ الْغَائِبِينَ بِهِ فِي مَجْمَعٍ مِنْ نَوَاصِي النَّاسِ مَشْهُودٌ
 وَجَعَتْهَا : أى جئن القسي : أى بلغت السهلاب القسي ؛ والهوادي الأعناق .

ودواي : حال ؛ وأسكن الياء ضرورة . يقول : إنهم استقبلوا رماة أعدائهم بوجوه خيلهم فلم تثن حتى وصلت إليهم ، وقد رميت أعناقها دون أعطانها وأعجازها لأنها صممت على الإقدام لا تنحرف يمنة ولا يسرة ، ولهذا لم تصب سهام الأعداء إلا أعناقها وصلت سائر أعضائها ، وفي سبيل هذا المعنى يقول بعضهم :

شَكَرْتُ جِيَادَكَ مِنْكَ بَرْدَ مَقِيلِهَا فِي الْحَرِّ بَيْنَ بَرِاقِعٍ وَجِلَالِ
 فُجِرَتْكَ صَبْرًا فِي الْوَعَى حَتَّى أَثْنَتْ جَرْحِي الصَّدُورِ سَوَالِمَ الْأَكْفَالِ
 (٢) الشباب : جمع شبابة ، وهو أيضاً جمع شبة : مثل ضرة وضرائر ؛ أما الشابة فجمعها شواب . تقول : نسوة شبائب وشواب ، قال الراجز :

مَجَازًا يَطْلُبْنَ شَيْئًا ذَاهِبًا يَخْضِعْنَ بِالْخَنَاءِ شَيْئًا شَائِبًا
 * يَقُلْنَ كَنَّا عَرَّةً شَبَابِيَا *

يقول : هم أحلى في القلوب من الحياة إذا أعيدت على صاحبها ، وذكرهم أكثر على الألسنة من ذكر أيام الشباب .

(٣) يريد بلى : على بن أبى طالب كرم الله وجهه . لأن المدوح علوى ؛ والبواتر : السيوف القواطع : والفل ؛ التلم والمضارب : جمع مضرب ، حد السيف . يقول : أتيت من الفعال ما عززت به فعال أليك ، فكان ذلك منك بمنزلة النصر له ، وقد سلمت أفعالك من الصوب فكانت كأنها سيوف قواطع لا فلول في مضاربها .

(٤) التهامي : يريد به سيدنا رسول الله . قال ابن جني : قد أكثر الناس القول

في هذا البيت ، وهو في الجملة شنيع الظاهر ، وقد كان يتعسف في الاحتجاج له والاعتذار منه بما لست أراه مقنعا . ومع هذا فليست الآراء والاعتقادات في الدين مما يقدح في جودة الشعر وردائه . يقول المتنبي : إن أبهر آيات النبي أنه أبوك ، وكونه أباك هو أجدى مناقبكم معشر الفاطميين . أو هو إحدى مناقبكم الكثيرة - على رواية إحدى بدل أجدى - وروى بعضهم البيت هكذا

وأكبر آيات التهامي آية

أبوك : يعني أن علي بن أبي طالب أبا المدوح هو أكبر آيات سيدنا رسول الله ؛ وهو حسن لو كانت الرواية صحيحة . وقال العروضي : هذا بيت حسن المعنى ، مستقيم اللفظ ، حتى لو قلت إنه أمدح بيت في الشعر لم أبعد عن الصواب ؛ ولا ذنب له إذا جهل الناس غرضه واشتبه عليهم ؛ ومعنى البيت : إن كفار قريش كانوا يقولون إن عمدا صنبور - أي منفرد أبتر لا عقب له - فإذا مات استرحنا منه ، فأُتزل الله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - أي الكثير ، ولست بأبتر كما قالوا ؛ ما شئت لك : فهو الأبتر فقال المتنبي أنتم من معجزات النبي وآية لتصديقه وتحقيق قوله تعالى وذلك أجدى مالكم من مناقب ، ثم قال : فلن قيل : الأنساب إنما تتعقد بالأباء والأبناء لا بالأمهات والبنات كما قال الشاعر :

بَنُونَا بَنُو أَبْنَانَا - وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ (١)

قلنا : هذا خلاف حكم القرآن العزيز ، قال تعالى « ومن ذريته داود وسليمان - إلى قوله - ويحيى وعيسى » فجعل عيسى من ذرية إبراهيم ولا خلاف أن عيسى من غير أب وأما قوله التهامي ؛ فإن الله أنزل في التوراة على موسى : إني باعث نبيا من تهامة من ولد إسماعيل في آخر الزمان ؛ وأمر موسى أمته أن يؤمنوا به إذا بعث ودل عليه بآيات أخر ، فأنكر اليهود نبوته . فقال صلى الله عليه وسلم : أنا النبي التهامي الأمي الأبطلحي ، فلا أدري كيف تمموا على المتنبي لفظة افتخر النبي بها .

(١) قيل إنه للفرزدق ؛ وبنونا خبر مقدم ؛ وبنو أبناثنا مبتدأ مؤخر أي أن بني أبناثنا مثل بنينا .

إِذَا لَمْ تَكُنْ نَفْسُ النَّسَبِ كَأَصْلِهِ
فَمَاذَا الَّذِي تُفْنِي كِرَامُ الْمَنَاصِبِ^(١)
وَمَا قَرَّبَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَبَاعِدِ وَلَا بَعَدَتْ أَشْبَاهُ قَوْمٍ أَقَارِبِ^(٢)

(١) النسب : ذو النسب الشريف ، والمنصب : الأصول . يقول : إذا لم تكن نفس النسب مشابهة لأصله في الكرم لم ينفعه الانتساب إلى أصل كريم . يعني : إن كرم الأصل لا ينفع مع لؤم النفس . وكثيراً ما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال :
وَمَا يَنْفَعُ الْأَصْلُ مِنْ هَاشِمٍ إِذَا كَانَتْ النَّفْسُ مِنْ بَاهِلِهِ
وقال أبو يعقوب الحريري :
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَحْمِ الْقَدِيمَ بِحَادِثٍ مِنْ الْمَجْدِ لَمْ يَنْفَعَكَ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ
وقال البحرى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى حَسَبًا حَتَّى يَرَى فِي فَعَالِهِ حَسَبَهُ

(٢) الأشباه : جمع شبه بمعنى شبيهه والبيت كالتثنية لما ذكره في البيت السابق . يقول : إن صحة النسب لا تتحقق إلا بمشابهة الفروع للأصول ؛ فإذا ادعى قوم نسباً وهم أشباه لقوم أباعد عن أهل ذلك النسب فليسوا لهم بأقارب ، وكذلك القول في الأقارب وهذا تعريض بالذين ذكرهم من الأعداء . وإليك عبارة الواحدى : لم أجد في هذا البيت بياناً شافياً ولا تفسيراً مقنعاً وكل تفسير لا يساعده لفظ البيت لم يكن تفسيراً للبيت والذي يصح في تفسيره أنه يقول : الأشباه من الأباعد لا يقرب بعضهم من بعض لأن الشبه لا يحصل القرب في النسب والأشباه من الأقارب لا يبعد بعضهم من بعض لأن الشبه يؤكد قرب النسب . هذا إذا جعلنا الأشباه الذين يشبه بعضهم بعضاً كقوله :

* الناس ما لم يروك أشباه *

فإن جعلنا الأشباه جمع الشبه من قولهم بينهم شبه : فعنى البيت : لم يقرب شبه قوم أباعد أى لا يتقاربون في الشبه ولا يشبه بعضهم بعضاً ولا يبعد شبه قوم أقارب ؛ يريد أنهم إذا تقاربوا في النسب تقاربوا في الشبه . أقول وهذا لعمرى من الواحدى غريب : وغريب أن يلف هذا اللف والمعنى منه قريب ؛ وتحرير لفظ البيت : إن الذين يشبهون قوماً أباعد لا يكونون أقارب والذين يشبهون قوماً أقارب لا يكونون أباعد .

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ فَمَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ^(١)
يَقُولُونَ تَأْيِيرُ الْكَوَكِبِ فِي الْوَرَى

فَمَا بَالُهُ تَأْيِيرُهُ فِي الْكَوَكِبِ^(٢)

عَلَّا كَتَدَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ تَسِيرُ بِهِ سَيْرَ الذَّلُولِ بِرَاكِبِ^(٣)
وَحَقٌّ لَهُ أَنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًا وَيُذْرِكَ مَالَهُ يُذْرِكُوا غَيْرَ طَالِبِ^(٤)

(١) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداء على بن أبي طالب رضي الله عنه . يقول :
إذا لم يكن العلوي تقياً ورعاً كطاهر — وهو المدحوح — كان حجة لأعداء أبي تراب ،
لأنهم يستدلون بنقصه على نقص أبيه : وهذا من قوله عليه السلام الولد سر أبيه ، وفي
المثل من أشبه أباه فما ظلم وقل بعضهم ؛

شريف أصله أصل شريف ولكن فعله غير الحيد

كأن الله لم يخلقه إلا لتنمطف القلوب على يزيد

(٢) يقول : إن الناس تقول : إن الكواكب تؤثر في الخلق — يريد ما يذهب
إليه النجمون من السعد والنحس — ولكن المدحوح يؤثر في الكواكب ، إذ يجعل
النحوس بحكم النجوم سعيداً بما يفيض عليه من نعمته ؛ وكذلك يجعل السعيد بحكم النجوم منحوساً
بما ينزله به من نعمته ، فلا يستطيع الكواكب أن تحول دون ما يريد . وقال ابن فورج :
تأثيره في الكواكب إثارته الغبار حتى لا تظهر وحتى يزول ضوء الشمس وتظهر
الكواكب بالنهار . هذا ولك أن تجعل قوله تأثير الكواكب مبتدأ محذوف الخبر
تقديره يقولون تأثير الكواكب حق أو كائن ولك أن تجعل الخبر الجار والمجرور أي
قوله في الورى :

(٣) الكتد : مجتمع الكتفين من الإنسان ، والذلول المتقادة التي تذلل لراكبها .
يقول : إنه استوى على ظهر الدنيا فانقادت له انقياد الدابة الذلول لراكبها تسير به إلى كل
غاية قصدها . هذا ومن روى علا فعلاً ماضياً نصب به كتد ؛ ومن خفض كتد على
الجاره فهي متعلقة بمحذوف تقديره ركب على كتد .

(٤) يقول : خلق به أن يسبق الناس في سبيل المعالي وهو لا يتكلف لذلك جهداً ،
ويدرك ما لم يدركوه من غير ما طلب وسعى ؛ يعني أنه بلغ ما بلغه بشرف نسبه وما طبعه

وَيُحْدِثُ عَرَانِينَ لِلْمُلُوكِ وَلِأَهْلِهَا
يَدٌ لِلزَّيْمَانِ الْجَمْعُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
هُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ
يَرَى أَنَّ مَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ
لَمْ يَدْمِمْ فِي أَجَلِ الْمَرَاتِبِ^(١)
لِتَقْرِيقِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ^(٢)
وَشِبْهُمَا شَبَّهْتُ بَعْدَ التَّجَارِبِ^(٣)
بِأَقْتَلِ مِمَّا بَانَ مِنْكَ لِيَأْتِبِ^(٤)

الله عليه من الفضل وعلو المعة ، وهذا مالا يكتسب ويدرك بالسي والاجتهاد . هذا وقد قال الفراء : حق لك أن تفعل ذلك وحق وإني لمحقوق أن أفعل كذا فإذا قلت حق قلت لك وإذا قلت حق قلت عليك ومعنى قول من قال حق عليك أن تفعل وجب عليك (١) العرانيين : الأنوف ، وعرانين : مفعول ثان ليحدثي ؛ والمفعول الأول : نائب فاعل يحدثي - الذي يعود على المدحوح . يقول : وجدير به أن تجعل عرانيين الملوك أحذية له يطؤها بقدميه ، ولو هو فعل ذلك لكنت في أجل المراتب لأنها تتصرف بوطائه . (٢) يد : خبر مقدم ؛ والجمع : مبتدأ مؤخر ؛ واليد : النعمة ؛ ومعنى البيت مأخوذ من قول أبي تمام :

إذا العيسُ لَأَقْتَبِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّوَائِبِ
(٣) هو ابن رسول الله لأنه ابن السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ، وابن وصيه لأنه ابن سيدنا علي كرم الله وجهه ، وسيدنا علي هو وصي سيدنا رسول الله . وقوله وشبههما : أي وهو شبههما ، وقوله شبَّهْتُ بعد التجارب : كلام مستأنف . يقول : شبَّهْتُ بهما بعد تجربي واختباري إياه ، فليس تشبيهي عبثا . (٤) اسم أن مخنوف هو ضمير الشأن ؛ وما الأولى : نافية بمعنى ليس ، والثانية : بمعنى الذي ، والتقدير : يرى أنه ليس الذي ظهر من الإنسان لضارب بالسيف كالعنق ونحوه بأقتل له مما ظهر لظعن عائب . يقول : إنه يرى العيب أشد من القتل ، وهذا من قول أبي تمام :

فَقَى لَا يَرَى أَنَّ الْفَرِيصَةَ^(١) مَقْتَلٌ وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْعِيوبَ الْمُقَاتِلُ
وَقَالَ ابْنُ جَنَى : مَا الْأُولَى زَائِدَةٌ ، وَالثَّانِيَةُ بِمَعْنَى الَّذِي ؛ وَاسْمُ أَنْ مُضَرٌّ فِيهَا .

(١) الفرصة : لحمة عند تنفض الكتف في وسط الجنب عند منبض القلب وهما فرستان ترتعدان عند الفرع .

أَلَا أَيُّهَا الْمَالُ الَّذِي قَدْ أَبَادَهُ تَعَزَّ فَهَذَا فِعْلُهُ فِي الْكَتَائِبِ^(١)
لَمَلَّكَ فِي وَقْتٍ شَغَلَتْ فُؤَادَهُ
عَنِ الْجُودِ أَوْ كَثُرَتْ جَيْشَ مُحَارِبِ^(٢)
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حَدِيقَةً
سَقَاهَا الْحَجَى سَقَى الرِّيَاضَ السَّحَابِ^(٣)

(١) تعز : يروى تسل ، والكتائب : جمع كتيبة ، وهي الفرقة من الجيش .
يقول : تأس أيها المال الذي أباده المدوح ، فليست وحدك المباد على يده ، ولك الأسوة
بأعدائه الذين أبادهم مثلك قتلا وأسراً .

(٢) يقول : لملك أي هذا المباد شغلت فؤاد المدوح يوماً ما عن السخاء بفتنتك
أو أطمعت الأعداء في محاربتة رغبة فيك ، فاستحققت عقوبته بسبب ذلك فأبادك . كأنه
يلتمس للمال ذنباً عند المدوح حتى استوجب أن يفعل به فعله بالعدو .

(٣) الحديقة : الروضة قد أحرق بها حاجز ، والمراد بها هنا : القصيدة ، والحجى :
العقل ؛ جعل العقل ساقياً لها ، لأن المعاني التي فيها إنما تحسن بالعقل ، فجعل العقل
ساقياً كما تسقى السحاب . وقوله : سقى الرياض السحاب : أراد سقى السحاب الرياض ،
فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول وهو من شواذ الاستعمال وقد جاء كثيراً في
الشعر - كقول أبي حية الفيمري :

كَأَخْطُ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيَّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ^(١)
وَقَوْلَ عَمْرَةَ ائْتُمِعِي تَرْمِي ابْنِهَا :
هَمَّا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَحَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْوَةَ فَدَعَا هُمَا^(٢)

(١) يقول : إن رسم هذه الدار دقيق متناسب كخط الكتاب الذي كتبه ماهر
حاذق في الكتابة ؛ وخص اليهودي لأنه من أهل الكتاب ، وقيل : المراد التشبيه
في عدم الانتظام . وقوله يقارب : أي يدنى الكتابة بعضها من بعض ؛ ويزيل : أي
يلعد ما بينها . وكف : مضاف إلى يهودي ، وفصل بينهما يوما ، وهو الشاهد .
(٢) من أبيات في باب الرثاء من حماسة أبي تمام . فصل بين المضاف والمضاف

فَحَيِّتَ خَيْرَ ابْنٍ تَخْلِدُ أَبِهَا لَا شَرَفَ بَيْتٍ فِي لَوْمَى بْنِ غَالِبٍ^(١)

وقول جرير :

تَسْقِي امْتِيحًا تَدَى السَّوَاكَ رِيْقَتَهَا كَمَا تَضْمَنَ مَاءُ الْمُرْنَةِ الرَّصَفَ^(٢)
وقول الأعشى في كلمة يمدح بها سلامة ذا فائش :
أُنْجَبَ أَيَّامَ وَالِدَاهُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَفَعِمَ مَا نَجَلَا^(٣)

(١) خير أب : منادى ، أو حال ، وبها : أى بالحديقة المعنى بها القصيدة ؛ وكان من عاداتهم أن يحبوا بالزهور والرياحين ؛ ويجوز أن يكون الضمير في بها : للأرض ؛ وإن لم تذكر ؛ قال الخطيب التبريزي : إذا كان الضمير للأرض كان أمدح . ويعنى بخير ابن : الممدوح ، وبخير أب : سيدنا رسول الله ، وبأشرف بيت : هاشم بن عبد مناف ، إذ أن بيته أشرف ولد لؤى بن غالب .

إليه بقوله : في الحرب ، يعنى أنهما كانا غوثا لمن لاغوث له ؛ ونبوة السيف كلاله ، والمراد هنا : الشدة .

(١) وقوله :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ عَنْ شَيْءٍ يَرُوقُهُمْ إِلَّا أَرَى أُمَّ عَمْرٍو فَوْقَ مَا وَصَفُوا
كَأَنَّهَا مُرْنَةٌ غَرَّاهُ وَاضِحَةٌ أَوْ دُرَّةٌ لَا يُوَارِي ضَوْءَهَا الصَّدَفُ
والامتياع : الاستياع ؛ والندى : البلل ؛ والمرنة : السحابة البيضاء ، والرصف : جمع رصفة - حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، وماؤها أرق وأصفى من غيره وامتياحا ظرف : أى وقت امتياح أو حال . أى ممتاحة ، والسواك : مفعول أول لتسقى ، وندى : مفعول ثان مضاف إلى ريقها ؛ وقد فصل بينهما بالسواك .

(٢) أنجب الرجل . ولد ولد أنجبا ، ونجلاه : ولده ، ووالده : فاعل أنجب وأيام : ظرف لأنجب ؛ وبه : متملق بأنجب ؛ وأيام : مضاف إلى إذ ؛ وقد فصل بينهما بقوله : أيام ، وبه .

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة : وهى من محاسن شعره :

مَنِ الْجَاذِرُ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ حُمْرَ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَايِبِ ^(١)
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شُكَّا فِي مَعَارِفِهَا فَمَنْ بَلَكَ بِتَنْسِيهِدٍ وَتَعْذِيبِ ^(٢)

(١) من : استفهام ، والجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ، تشبه بها النساء فى حسن العيون . والأعاريب : جمع أعراب ، وهم سكان الحيام والوبر . وقوله فى زى : حال من الجاذر ؛ والعامل فيها معنى الاستفهام ؛ وحمر الحلى : حال بعد حال والجلابيب : جمع جلباب - اللحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها - قالت جنوب أخت عمرو ذى الكلب ترميه ، وكان قد قتل :

تَمْشِي النَّسُورُ إِلَيْهِ وَهِيَ لَاهِيَةٌ مَشَى الْمَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْجَلَايِبُ ^(١)

يقول : من هؤلاء النسوة ، الشبهات بالجاذر : وهن فى زى الأعاريب ، ومتحليات بالذهب الأحمر ، ومتحطيات النياق الحمر ، ومشمعات فى اثياب الحمراء - - - يعنى أنهن من نساء الملوك ، لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم ، والنياق الحمر أكرم النياق لدى العرب .

(٢) شكا : مفعول لأجله : يقول - - - مخاطبا نفسه - : إن كنت تسأل عنهن لشك بدا لك فى معرفتهن ، فمن الذى امتحنك بالسهر والعذاب ؟ يعنى أنهن دلهنك بمجهن حتى صرت مسهدا معذبا ، فكيف لا تعرفهن ؟ وإنما استفهم عنهن لقوة شبههن بالجاذر حتى كأنهن جاذر لا نساء ؛ وهذا من باب تجاهل العارف كما قال ذو الرمة :

أَيَا ظَبِيَّةَ الْوَعْءَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ وَبَيْنَ النَّقَا أَأَنْتِ أُمُّ أُمِّ سَالِمٍ ^(١)

(١) قوله وهى لاهية : يريد أن النسور آمنة منه لا تخافه لكونه ميتا ، فهى تمشى إليه مشى المذارى .

(١) جلاجل : روى حلاحل - ملحاء للضمومة - وقال ابن برى : روت الرواة هذا البيت فى كتاب سيويه : جلاجل - بضم الجيم لا غير -

لَا تَجْزِي بِي بَضَى بَعْدَهَا بَقْرٌ
تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ^(١)
سَوَائِرِ رَبِّمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا مَنِيعَةً بَيْنَ مَطْمُونٍ وَمَضْرُوبِ^(٢)
وَرَبِّمَا وَخَدَتِ أَيْدِي اللَّطَى بِهَا عَلَى نَجِيعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ^(٣)

(١) المراد بالبقر : النساء التي وصفها : يدعو لمن يقول : لا جزيني مقابل الضنا الذي حل بي بعد فراقهن ضنى مثله كما يجزى دموعي دموعا مثلها : يعني لا أورثن الله السقام بعدى كما أورثنى بعدهن ، وإن كن قد بكين لفراقى كما بكيت لفراقهن . قوله لا تجزى : دعاء مجزوم بالدعاء ، لأنه بلفظ النهى ؛ فحكه في الجزم حكم النهى كقول مالك بن الرب من كلمة يرى بها نفسه :

يَقُولُونَ لَا تَبْعِدْهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا^(١)

والباء في قوله بضى : للمقابلة ، وبى : صفة لضى : أى ضنى حال بي أو واقع بي ، وبقر : فاعل تجزى : أى لا تجزى بقر بضى حل بي ضنى يحل بهن ؛ وبعدها : أى بعد فراقها والهاء : راجعة إلى قوله بقر ، وإن كانت متأخرة ، وجاز ذلك لأنها فاعل والفاعل رتبته التقديم ؛ فإذا أخر جاز تقديم الضمير العائد عليه ، لأن النية به التقديم ، وقوله : تجزى دموعي الخ صفة لبقر ؛ وقوله مسكوبا : بدل من دموعي : أى تجزى دموعي مسكوبا منها بمسكوب من دموعها ، وتعبيره يقر ههنا : غير لائق .

(٢) سوائر : أى هن سوائر ، والهوادج : مراكب النساء على الإبل . يقول : إنهن من قومهن في عز ومنعة ، فمن تصدى لمن طعن أو ضرب ، فسارت هوداجهن ما بين مطمون ومضروب .

(٣) الوخذ : ضرب من سير الإبل ، وهو سعة الخطو في المشى . والنجيع الدم . يقول : ربما سارت بهن مطاياهن على دم مصبوب من الفرسان . يريد أنهن في منعة ، دونهن طعان وضراب و قتال ، فالبيت في معنى البيت السابق .

(١) الاستفهام : في قوله : وأين الخ بمعنى النفي ، ولذا وقعت «إلا» بعده .

(١٩ — المتن ١)

كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٍ
 أَذَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذِّيبِ^(١)
 أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْفَتِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِى بِي^(٢)
 قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِمِهِمَا
 وَخَالَفُوها بِنَقْصِ وَيْضٍ وَتَطْنِيبِ^(٣)
 جِيرَانُهَا وَهُمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا وَصَحْبُهَا وَهُمْ شَرُّ الْأَصَاحِبِ^(٤)
 فَوَادُّ كُلِّ حُبِّ فِي بُيُوتِهِمْ وَمَالُ كُلِّ أَخِيذٍ لِلَّيْلِ مَحْرُوبِ^(٥)

- (١) يصف جرأته في زيارة الحباب بعد أن ذكر منتهن يقول - مخاطبا نفسه - كم قد زرتهم زيارة لم يشعر بها أحد كزيارة الذئب الغنم يقع فيها ، ويذهب بما يذهب منها على غفلة من الراعى . وقوله : وقد رقدوا ، جملة معترضة بين أذى ومن زورة الذيب .
- (٢) جمع في هذا البيت بين خمس مطابقات : الزيارة والانشاء والسواد والبياض والليل والصبح والشفاعة والإغراء ولوى . وأنفى : أى أعود ، وأغراء به : ضرا به وحضه عليه . يقول : أزورهم والليل لى شفيع لأنه يستترى عنهم ، وأنصرف وكأن الصبح يغرى بى ، إذ يشهرنى ويدلم على مكافئ . وهذا البيت - كما ترى - من معجزات المتنبي .
- (٣) يقول : إن هؤلاء الأعراب قد وافقوا الوحش في سكنى البرارى وخالفوها في أن لهم خياما ، يهدمونها لدى الرحيل وينصبونها لدى الإقامة ؛ أما الوحش فلا خيام لها ، يريد أنهم ممن يسكنون البادية ، والمرايع المسارح التى ترتع فيها الوحوش وتسرح ؛ والتقويض : الهدم ؛ والتطنيب : شد الخيام بالأطناب .
- (٤) يقول : هم جيران الوحوش ، بيد أنهم يسيئون جوارها لأنهم يصيدونها ويذبحونها ، وقوله وهم شر الجوار : أى وجوارهم شر الجوار - على حد قوله تعالى « ولكن البر من آمن بالله » والأصاحيب : جمع أصحاب ؛ جمع صحب اسم جمع لصاحب .
- (٥) أخيد : أى مأخوذ ؛ والمهروب : الذى ذهب كل ماله . يقول : إن فيهم الجمال والشجاعة : فساؤهم ينهب القلوب ، ورجالهم ينهب الأموال وقال التبريزى : يريد أنهم ملكوا قلوب الرجال - أى بالسفهاء - وأموال الأعداء .

مَا أَوْجُهُ الْحَضَرِ الْمُسْتَحْسَنَاتُ بِهِ كَأَوْجُهُ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَائِبِ^(١)
حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطَرُّيَةٍ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبٍ^(٢)
أَيْنَ الْمَعِزُّ مِنَ الْآرَامِ نَاطِرَةٌ وَغَيْرُ نَاطِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطَّيِّبِ^(٣)

(١) الرعايب : جمع رعبوية ، وهى المرأة التارة السمينة : والضمير فى به : للحضر
يقول : ليست الأوجه للمستحسنات بالحضر كأوجه نساء البدو يفضل نساء البدو على نساء
الحضر ، وبين السبب فى البيت التالى .

(٢) الحضارة - بكسر الحاء ، أو فتحها - الإقامة بالحضر ؛ والبدواة : الإقامة فى
البدو ؛ والتطرية : المعالجة . تقول : طرى الطيب : خلطه بالأفاويه ، وطرى الطعام :
خلطه بالتوابل . يذكر السبب فى تفضيل البدويات على الحضريات . يقول : إن حسن
أهل الحضارة متكلف مجلوب بالحيلة والملاج أما حسن البدويات فهو خلقه ، لا يعرفن
التكلف والحسن المجلوب بالاحتيال .

(٣) المعيز : اسم لجماعة المزم - كالكلب والعبيد - قال العكبرى : المعيز : اسم
للمعزى ، وهو خلان الضأن ، وهو اسم جنس ، تقول المزم والمعيز والأمعوز ، وواحد
المزم : ماعز : مثل صعب . وصاحب ؛ والأنثى ماعزة وهى العزم والجمع مواعز .
والمزم بالفتح والمزم بسكون العين لفتان فصيحان قرأ أهل الكوفة . ونافع بسكون العين ،
وقرأ الباقر بفتحها . وقال سيويه : معزى منون مصروف ، لأن الألف لللاحق -
لا للتأنيث - وهو ملحق بدرهم على فاعل ، لأن الألف للملحقة تجرى مجرى ما هو من
نفس الكلمة ، يدل على ذلك قولهم : معيز وأريط - فى تصغيرى معزى وأزطى - فى
قول من نون فكسروا ما بعد ياء التصغير كما قالوا دريهم ، ولو كانت للتأنيث لم يقلبوا
الألف ياء ، كما لم يقلبوها فى تصغير جلى وأخرى . وقال اللراء : للمعزى مؤتة وقال
بعضهم : مذكرة ، وحكى أبو عبيد أن العرب كلها تنون للمعزى فى النكرة ، والآرام :
لطبائى الخالصة البياض . وقوله ناظرة حال : أى فى حال نظرهن وامتداد أعناقهن ، أو
فى حال إقبالهن . وقال بعض الشعراء : ناظرة : تميز ، وليست اسم فاعل ، والتقدير
من حسن الآرام عيوننا . شبه نساء الحضر بالمعيز ، ونساء البدو بالآرام . يقول : أين
تقع المعيز من الطبائى فى الحسن والطيب أكانت مقبلة أم معرضة ؟ فالطبائى تفضلها حيواناً
وغير حيوان .

أَفْدَى فِلسَاءَ فَلَاةٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا
مَضْغَ الْكَلَامِ وَلَا صَنِغَ الْحَوَاجِبِ ^(١)
وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً أَوْ ذَا كَهْنٍ صَقِيلَاتِ الْعَرَاقِبِ ^(٢)
وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً
تَرَكَتْ لَوْ نَ مَشِيْبِي غَيْرَ مَحْضُوبٍ ^(٣)

(١) يريد بظباء الفلاة : البدويات نساء الأعراب . ومضغ الكلام : ترك إبطائه ، كأن التكلم يمضغ شيئاً : يقول : هن فصحات مبيّنات ، لا يمضغن كلامهن غنجاً وتغنجاً كنساء الحضرة ، ولا يمضغن حواجهن طلباً للزينة مثلهن ، والحواجيب : جمع حاجب أشجع الكسرة فتولد عنها ياء كما قال الفرزدق :

* نَفَى الدَّنَائِرِ تَنْقَادَ الصَّيَارِفِ ^(١)

(٢) مائلة : شاخصة ؛ ويروى مائلة ، والأولى أظهر . والعراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل . يقول : وليست البدويات كالحضريات يجلبن حسنهن بأن يدخلن الحمام فيخرجن منه وقد شددن خصورهن فشخصت أوراكنهن من تحتها وصقلن عراقيبهن .

(٣) أصل التموه : الطلى بماء الذهب أو الفضة ، ثم استعمل بمعنى التدليس والتزوير . وقوله : من هوى ، متعلق بقوله تركت . يقول : ومن أجل أني لا أحب إلا كل امرأة لا تموه جمالها تركت ياض شبيبي دون خضاب : أي لم أموه شبيبي كما لم يموهن حسنهن .

(١) صدره :

* تَنَفَّى يَدَاهَا الْخَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ *

يصف ناقة تسرع في الهواجر فيقول إن يديها لشدة رفعها الحصى تنفيانه فيقرع بعضه بعضاً ويسمع له صليل كصايل الدنانير ينتقدها الصيرف فينفي رديتها عن جدها وخص المهاجرة لتعذر السير فيها والشاهد في الصياريف وروى بدل الدنانير الدراهم فيكون الشاهد في الصياريف والدراهم

وَمِنْ هَوَى الصَّدَقِ فِي قَوْلِي وَعَادَتِهِ
رَغِبْتُ عَنْ شَعْرِ فِي الرَّأْسِ مَكْذُوبٍ^(١)
لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ
مِنِّي بِحِلْيَةِ الَّذِي أُعْطَتْ وَتَجَرَّبِي^(٢)
فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْمٍ بِمَا نَفَسَ قَدْ يُوجَدُ الْحِلْمُ فِي الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ^(٣)
تَرْعَرَعَ الْمَلِكُ الْأَسْتَاذُ مَكْهَلًا قَبْلَ الْاِكْتِهَالِ أَدِيًّا قَبْلَ تَأْدِيبِ^(٤)

(١) رغب عن الشيء : زهد فيه . والضمير في قوله : وعادته ، يرجع إلى الصدق وهو عطف على هوى . يقول : ومن أجل أني أحب الصدق وقد تعودته لم أجل شعر رأسي مكذوبا : أي مسودا بالحناب ، إذ هو غير لونه . فقوله : ومن هوى ، متعلق برغبت ، ويروى بدل قوله عن شعر في الرأس : عن شعر في الوجه .
(٢) يقول : إن حدثان الدهر ونوائبه أخذت مني الشباب وأعطيني الحلم والتجارب ، فوددت لو أنها باعت ما أخذت مني بما أعطت : أي ردت على الشباب واستردت الحلم . والحلم العقل والأناة . وهذا من قول علي بن جبلة :
وَأَرَى اللَّيَالِيَ مَا طَوَّتْ مِنْ قَوْتِي زَادَتْهُ فِي عَقْلِي وَفِي أَفْهَامِي
وقول ابن المعتز :

وَمَا يُفْتَقِصُ مِنْ شَبَابِ الرِّجَالِ يُرَدُّ فِي نَهَايَا وَالْبَاهِيَا
(٣) الحدأة : حدأة السن والشباب . يريد أنه كان حليما قبل تحليم الحوادث إياه . يقول : إن حدأة السن لا تحول دون الحلم ، فالمرء قد يكون حليما في الشباب كما يكون حليما في الشيب — كما قال أبو تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
(٤) ترعرع الصبي : نشأ وشب ، والأسْتَاذ : لقب كافور ؛ وهي كلمة فارسية ، من معانيها : للمعلم ، والدبر ، والعالم . يريد التنبي أن يؤكد بهذا البيت معنى البيت السابق ، وفيه من البديع حسن التخلص . يقول : إن كافورا نشأ على الاكتهال — أي حلم الكهول — قبل أن يكهل سنا ، وعلى الأدب قبل أن يؤدب : أي أنه ترعرع على ذلك

مَجْرَبًا فَمِمَّا مِنْ قَبْلِ تَجْرِيبَةٍ مُهَذَّبًا كَرَمًا مِنْ غَيْرِ تَهْذِيبٍ^(١)
 حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نَهَائَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَآآتٍ وَتَشْيِيبٍ^(٢)
 يُدَبِّرُ الْمَلِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنَ إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالْثُّوبِ^(٣)
 إِذَا أَتَتْهَا الرِّيَّاحُ النَّكْبُ مِنْ بَلَدٍ
 فَمَا تَهْبُ بِهَا إِلَّا بِتَرْتِيبٍ^(٤)

طبعاً دون أن يفيد من كر الغداة ومر العشي، وهذا دليل على أن الحداثة ليست بمائة من حلم.

(١) قال صاحب اللسان: رجل مجرب كمضرس — بالفتح — جرب في الأمور وعرف ما عنده، كأن الأمور جربته وأحكمتها؛ ومجرب — بالكسر — عرف الأمور وجربها. ثم قال: إلا أن العرب تكلمت به بالفتح. يقول المتنبي: نشأ كافور مجرباً قبل أن يجرب — لما جبل عليه من الفهم — مهذباً قبل أن يهذب — بما طبع عليه من الكرم — ففها وكرما: مفعول لها.

(٢) التشيب في الأصل: ذكر أيام الشباب: وهو يكون في ابتداء القصاد، ثم سمي ابتداء كل أمر تشييباً، وإن لم يكن فيه ذكر أيام الشباب، ويريد بنهاية الدنيا: الملك، لأنه لا شيء إلا والملك فوقه يقول: إن كافوراً أصاب الغاية القصوى من دنياه وهو الملك، ومع ذلك لا تزال همته في بداية أمرها: أي أنه بعيد مرتقى المهمة.

(٣) يريد فسحة رقعة ملكه وتراعى حدودها إلى هذه الأطراف، لا أنها داخلة في مملكته، لأن كافوراً لم يكن من ملكه عدن ولا العراق ولا أرض الروم — الأناضول — ولا الثوب، إنما مملكته تحد بهذه البلاد؛ إذ كانت مصر والحجاز والشام لحسب.

(٤) يقول: إنه لهيئته وعظمته في النفوس وغيرها إذا هبت الرياح الموح في بلاده هبت مستوية رزينة مرتبة إعظاماً له وإجلالا، والرياح مثل أراد به البالغة في إعظام الناس إياه وتسكهم التمرد عليه حتى لو كانت الرياح تعقل لاستوت واطردت مهابة له. وعبرة الخطيب اتبريزي: يعظم أمره وسياسته، ولم يرد الرياح بعينها، بل يريد أن الناس له هائبون، حتى الرياح إذا هبت هبت بترتيب واستواء هية له. فالضمير في أتنها: يعود على الملك بمعنى المملكة والنكب: جمع نكباء، وهي الرياح تهب في غير استواء.

وَلَا تُجَاوِزُهَا شَمْسٌ إِذَا شَرَقَتْ إِلَّا وَمِنْهُ لَهَا إِذْنٌ بِتَغْرِيبِ^(١)
يُصْرِفُ الْأَمْرَ فِيهَا طِينُ خَاتَمِهِ وَلَوْ تَطَلَّسَ مِنْهُ كُلُّ مَكْتُوبٍ^(٢)
يَحِطُّ كُلُّ طَوِيلٍ الرَّمَحِ حَامِلُهُ
مِنْ سَرَجٍ كُلِّ طَوِيلٍ الْبَاعِ يَقْبُوبُ^(٣)
كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يُوسُفَ فِي أَجْفَانٍ يَقُوبُ^(٤)
إِذَا غَزَتْهُ أَعَادِيهِ بِمَسْئَلَةٍ فَقَدْ غَزَتْهُ بِجَيْشٍ غَيْرِ مَغْلُوبٍ^(٥)

(١) هذا البيت في معنى الذى سبقه . يقول : ولا تغرب الشمس عن مملكته بعد أن تشرق إلا بإذنه ، وكل هذا مبالغة .

(٢) طلس الكتاب : طنسه ومحاها ، كطرسه . يقول : إن أمره يمثل مطاع في بلاده حتى لو كتب مكتوباً بأمر من الأمور وختم مكتوبه هذا بالطين — كما هي عادتهم إذ ذاك — ثم انمحي كل ما كتب ولم يبق إلا الخاتم امثل أمره بمجرد رؤية الخاتم إعظماً وإجلالاً . وخاتم : يقال بفتح التاء وكسرهما ، وفيه خاتام وخيتام .

(٣) يحط : ينزل ويضع ، وحامله : فاعل يحط ، والضمير في حامله : يعود إلى الخاتم ، واليعبوب : الفرس السريع الجرى . يقول : إن حامل خاتم كافور ينزل الفارس البطل الطويل الرمح من سرج الفرس السريع الجرى: أى أن الفارس إذا رأى خاتم كافور سجد له إعظماً فنزل عن فرسه ، وللعنى أنه نافذ الأمر مطاع ، وعبرة الواحدى : لم يعرف ابن جنى هذا . فقال مرة : يقتل حامل خاتمه كل فارس فينزل له عن سرج فرسه ومرة : يحط حامل كتابه أعداءه عن سروجهم ، وليس البيت من القتل ولا من إنزال الأعداء في شيء ؛ وللعنى : يريد تقاض أمره واتساع قدرته ، وقال ابن القطاع : الهاء يعود على كافور : أى إذا رآه الأبطال انحطوا .

(٤) يقول : إنه يسر ويتبجح إذا سمع سؤال سائل — يستجديه — ابتهاج يعقوب حين رأى قميص يوسف ، وذلك لكرمه وجوده

(٥) يقول : إنه لا يرد السائل أياً كان ، فلو صمدت إليه أعداؤه سائلة مستجدية نالت مطلوبها ، فكانت غزته بجيش لا يئلب .

أَوْ حَارَبْتُهُ فَمَا تَنْجُو بِتَقْدِمَةٍ مِمَّا أَرَادَ وَلَا تَنْجُو بِتَجْبِيبٍ^(١)
 أَضْرَتْ شَجَاعَتُهُ أَفْصَى كِتَابِهِ عَلَى الْحِمَامِ فَمَا مَوْتُ بِمَرْهُوبٍ^(٢)
 قَالُوا هَجَرْتَ إِلَيْهِ الْغَيْثَ قُلْتُ لَهُمْ
 إِلَى غُيُوثٍ يَدِينُهُ وَالشَّائِبِ^(٣)
 إِلَى الَّذِي تَهَبُّ الدُّوَلَاتُ رَاحَتَهُ وَلَا يَمُنُّ عَلَى آثَارِ مَوْهُوبٍ^(٤)

- (١) التقدمة : التقدم ؛ والتجيب : الحرب . قال صاحب اللسان : التجيب النصار ، وجب الرجل تجيباً إذا فر وعرد ، وفي الحديث : التمسك بطاعة الله إذا جيب الناس عنها كالكار بعد الفار : أى إذا ترك الناس الطاعات ورغبوا عنها . يقال جيب الرجل . إذا مضى مسرعاً فاراً من شيء . يقول : إذا قصدته أعداؤه محاربين ، لم ينجوا من إرادته فيهم فلا يفيدهم الإقدام لأنهم لا يقدرُونَ عليه ولا الحرب لأنه يدركهم لاهمالة .
- (٢) أضرت : من الضراوة ، وهى الدربة والعادة ، تقول : ضرى فلان بكذا : لزمه واعتاده ، وضراه ، بكذا : ألهمه به ؛ وفى الأثر : إن للنعم ضراوة كضراوة الحمر : أى إن له عادة طلبة لأكله كمادة الحمر مع شاربها ، ويريد بأقصى كتابه الجبناء الذين لا يشهدون اقتال ؛ والحمام : اللوت . يقول : إن شجاعته عودت الجبناء من رجالة لقاء الموت وجراتهم عليه فليس للموت مرهوباً عندهم .
- (٣) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر ؛ وأل فى الشائب تقوم مقام الضمير : أى إلى غيوث يديه وشأبيهما . يعرض التنبي - فيما يظهر - بسيف الدولة ، يقول ؛ يلومنى الناس على هجرى الغيث - يعنى سيف الدولة - وهم واهمون فى هذا اللوم ؛ لأننى تركت غيثاً إلى غيوث : أى أننى فارقت كريماً إلى من هو أكرم ... وقال ابن فورجه : أراد أن مصر لا تعطر فيقول : لا منى الناس فى هجرى بلاد الغيث ، فقلت تعوضت عنها غيوث يديه . وهذا تصف من ابن فورجه ، بدليل البيت التالى .
- (٤) يقول : إني هجرت إلى من يعطى القطاء الجزيل ويهب الهبات الخطيرة ولا يتبع هبته بالن . وهذا تعريض بين سيف الدولة . والدولات : جمع دولة وهو ما يتداول ، فيكون مرة لهذا ومرة لتلك ؛ فتطلق على المال والغلبة ؛ والمراد هنا : المال الجزل أو الولايات والممالك .

وَلَا يَرُوعُ بِمَغْدُورٍ بِهِ أَحَدًا وَلَا يُفَزِّعُ مَوْفُورًا بِمَنْكُوبٍ^(١)
 بَلَى يَرُوعُ بِذِي جَيْشٍ يُجَدِّلُهُ ذَا مِثْلِهِ فِي أَحَمِّ النَّقْعِ غَرِيبٍ^(٢)
 وَجَدْتُ أَنْفَعَ مَالٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ مَا فِي السَّوَابِقِ مِنْ جَرَى وَتَقَرِيبٍ^(٣)
 لَمَّا رَأَيْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ تَغْدِرُ بِي وَفَيْنَ لِي وَوَفَتْ صُمُّ الْأَنْيَابِ^(٤)
 فَنَنْتَ الْمَالِكُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهَا مَاذَا لَقِينَا مِنَ الْجُرْدِ السَّرَاحِبِ^(٥)

(١) راعه : خوفه وأفزعه ؛ وبه : صلة مغدور ؛ والموفور : الذي لم يصب في ماله ولم يؤخذ منه شيء ، والمنكوب : ضده . يقول إنه لا يذدر بأحد كي يروع به غيره ولا ينكب أحداً فيتحفه أو يسلب ماله ليفزع به للموفور الذي لم ينكب . يعنى أنه حسن السيرة في رعيته ، عادل لا يظلم أحداً بحال .

(٢) يقول : لا يذدر بأحد « إلى آخر البيت السابق » وإنما يروع صاحب جيش بصاحب جيش آخر يصرعه على الأرض : أى ينكل بصاحب جيش ليحتر به صاحب جيش آخر ، وهو - أى كافور - في جيش أسود النبار قد علاه سواد الحديد . وبلى : حرف جواب تختص بالنفي وتفيد إبطاله ، ويجدله أى يصرعه على الجدالة وهى الأرض - وحيلة يجدله : صفة لدى جيش ؛ وذامثله : مفعول يروع ذا جيش ، مثل جيشه . وقوله في أمم : أى في جيش أمم النقع : أى أسود النبار ؛ والغريب : الشديد السواد ، ومعنى جيش غريب : أسود الحديد . وقال ابن جنى : إذا رآه ملك وقد صنع بملك آخر ما صنع فإنه يخافه ويحذره .

(٣) يقول : إني وجدت ما في الخيل من عدو وجرى أنفع الأشياء التى ادخرتها لأنها حملتني إلى كافور وأخرجتني من بين الغادرين بى كما بين ذلك في البيت التالى . فالسوابق الخيل والتقريب ضرب من العدو

(٤) : لما رأت الخيل حدثان الدهر ونوبه تغدربى - يريد الناس - وفى لى بحملها إياى عن موطن النذر إلى كافور ؛ وكذلك وفى لى الرماح لأنى استظهرت بها على الوصول إلى مصر . فصم الأنابيب . الرماح ، والصم . الصلاب ، والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين العقدتين من الرمح وما شاكلة .

(٥) يقول : إن خيلنا قطعت المفاوز وفاتها حتى لو كان لها - أى للمفاوز - قائل لقال ماذا لقينا من هذه الخيل إذ جابتنا بسرعة وذلت الصعب منا ونجت من عوائلنا ،

تَهْوِي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَتْ مَذَاهِبُهُ لِلْبَسِ ثَوْبٍ وَمَا كَوَّلٍ وَمَشْرُوبٍ^(١)

فالمراد بالمهالك: الفاوز ، والجرد : القصيرة الشعر ، وذلك بحمد في الخيل، والسراحيب: جمع سرحوب ، وهو الفرس الطويل . وعبرة ابن جني : ضجت للفاوز من سرعة خيل وقوتها ، وقال ابن فورجه : إذا أطلقت المهالك لم يفهم منها الفاوز ، وإنما تفهم الأمور المهلكة : يعني أن هذه الخيل لم يعلق بها شيء من الهلاك حتى تصببت المهالك من نجاتها بسلامتها منها .

(١) تهوى : أى تسرع ؛ وقوله بمنجرد : يعني نفسه ، والمنجرد : الجاد في الأمور الماضية فيها لا يرد شيء ؛ وقوله ليست مذاهبه : أى ليست رحلاته للبس ثوب أو ليست أسفاره لهذا . يقول : إن هذه الخيل تسرع برجل جاد ليست أسفاره طلاباً لثل كسوة أو طعام ، وإنما طلبته المعالي . وهذا كقوله :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وقديما تعاور الشعراء هذا المعنى ، قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذْنِي مَعِيشَةٍ كَفَانِي - وَلَمْ أَطْلُبْ - قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْمَى لِجَدِّ مُؤَثِّلٍ وَقَدْ يَذْرِكُ الْجَدَّ الْمُؤَثِّلُ أَمْثَالِي^(١)
وقال حاتم الطائي :

لَحَا اللَّهُ صُعُوكَا مُنَاهُ وَهَمُّهُ مِنْ الدَّهْرِ أَنْ يَلْقَى كَبُوسًا وَمَطْعَمًا^(٢)
وقال آخر :

وَلَيْسَ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لِشَرْبِ صَبُوحٍ أَوْ لِشَرْبِ غَبُوقٍ
وَلَكِنْ فِتَى الْفِتْيَانِ مِنْ رَاحٍ وَاعْتَدَى لَضَرْ عَدُوٍّ أَوْ لِنَفْعِ صَدِيقٍ

(١) ما - في قوله ما أسى - مصدرية ومجد مؤنل قديم له أصل ، والثائل اتخاذ أصل مال ، وقيل المؤنل : المجموع وقيل : المستمر المثبت
(٢) لحاه الله : قبجه وأهلكه . من لحوت العود ، إذا قشرته ، والصعلوك : الفقير الذي لا مال له ، وصعاليك العرب : ذؤبانتها .

يَرَى النُّجُومَ بِمَعْنَى مَنْ يُحَاوِلُهَا كَأَنَّهَا سَلَبٌ فِي عَيْنِ مَسْلُوبٍ (١)
 حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى نَفْسٍ مُحَجَّبَةٍ
 تَلْقَى النُّفُوسَ بِفَضْلِ غَيْرِ مُحْجُوبٍ (٢)
 فِي جِسْمٍ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ
 خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الْأَعَاجِبِ (٣)
 فَالْحَمْدُ قَبْلُ لَهُ وَالْحَمْدُ بَعْدُ لَهَا وَلِلْقَنَاءِ وَإِلَادِ الْجَى وَتَأْوِيهِ (٤)

(١) السلب : الشيء المسلوب . يريد أنه بعيد مرتقى الهمة . يقول : إنه لطموحه وبعد همته يطمع في إدراك النجوم ، فهو ينظر إليها بعين من يحاول تناولها حتى لكأنها شيء قد سلب منه فلا يستريح أو يحصل عليه ، شأن المسلوب لا تطيب نفسه أو يرجع إليه ما سلب منه .

(٢) يقول : حق ، وصلت إلى ملك محجب — لأن الملوك محجبون لا يتناولون أنفسهم للناس — يريد أنه وإن كان محجبا فإن نواله دان قريب لمن طلبه غير محجوب عنه ، ويجوز أن يريد بالنفس همته ، وأنها محتجبة عن الناس لا يبلغها كل أحد ، بدليل قوله في البيت التالي : في جسم أروع ، وما أبدع قول أبي تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بِمَقْصُوفٍ عَنْكَ لِي أَمَلًا إِنَّ السَّمَاءَ تُرْجَى حِينَ تَحْتَجِبُ
 وقوله يقول مسلم :

كَذَلِكَ الْغَيْثُ يُرْجَى فِي تَحَجُّبِهِ حَتَّى يُرَى مُسْفَرًا عَنْ وَابِلٍ لِلْمَطَرِ

(٣) في جسم : صفة لنفس — في البيت السابق — أو حال منها ، والأروع هنا : الشهم الذكي انفراد وفي غير هذا الموضع الذي يروعه حسنه ؛ والخلائق : الأخلاق . يقول : إذا نظر إلى أخلاق الناس وما هي عليه من الحسة والدناءة : ضحك منها هزوا واستصغارا ، لأنه أسمى منهم نفسا وعقلا .

(٤) له : أى لكافور ؛ ولها أى للخيل ، والإدلاج : سير أول الليل ، والتأويب : سير عامة النهار . يقول : إني أحمدك وأحمد خيلي ورماحي وإدلاجي وتأويبي إذ بلغتني إليك — كما ذكر في البيت التالي .

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُورُ نِعْمَتَهَا وَقَدْ بَلَّغْتَنِي بِي يَا كُلَّ مَطْلُوبٍ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيَبٍ^(١)
أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ^(٢)

(١) الغاني : المستغنى . يقول : أنت مشهور الاسم إذا ذكر اسمك عرفت به ، فلم يحتاج معه إلى وصف أو ذكر لقب ، وهذا كما يروى ، أن رؤبة بن العجاج أتى البكري النسابة فقال : من أنت ؟ قال : أنا رؤبة بن العجاج ، فقال : قصرت وعرفت ، فقال رؤبة يفتخر بذلك :

وقد رفع العجاجُ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِاسْمِي إِذَا الْأَنْسَابُ طَالَتْ يَكْفِينِي
(٢) الضمير — في قوله به — يرجع إلى الحبيب ، ولو أمكنه أن يرده إلى الخطاب لكان أحسن ، وهذا أبلغ . يقول : إني أحبك وأنت حبيب لى ، وإني أعود بك من أن لا تحبني ، لأن من نكده الدنيا أن تحب من لا يحبك كما قال القائل :

وَمِنْ الشَّقَاوَةِ أَنْ تُحِبَّ وَلَا يُحِبُّكَ مَنْ تُحِبُّهُ

وقال يمدحه في شوال سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (*) :

أَغْلَبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ ^(١)

أَمَّا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بِأَنْ أَرَى بَغِيضًا تُنَائِي أَوْ حَبِيبًا تُقَرِّبُ ^(٢)

* قالوا : إن كافوراً كان قد تقدم إلى الحجاب وأصحاب الأخبار ، فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولى أبا الطيب ناحية من الصعيد ، وينفذ إليه قوماً يعرفونه بذلك فلما كثر ذلك وعلم أن التنبي لا يثق بكلام سمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً ، فقال أبو الطيب هذه القصيدة يمدحه بها .

(١) يقول : إن بيني وبين الشوق مغالبة لأجلك ، والغلبة للشوق : إذ هو يغلب صبرى ، وإنى أعجب من هذا المجر لتراخيه وطوله ، على أن الوصل لو واقفنا كان أعجب منه لأن من شيم الأيام التفريق . وقال الواحدى : الأغلب الغليظ الرقة الذى لا يطاق ولا يغالب ، فكأنه قال : إن الشوق صعب شديد ممتنع .

(٢) تنائى تفاعل ، من النأى . وهو البعد ، يقال نأى وأنأيته على أفعلى ؛ ولكنه نقله إلى فاعل ، كما يقال أبعدته وبعادته وروى الواحدى تنأى بالتشديد يقول : إن الدهر مولع بتقريب من أبغضه وإبعاد من أحبه ، أفلا يغلط مرة فيبعد البغض ويدنى الحبيب ؟ وجعل ذلك غلطاً من الدهر ، لأنه خلاف ما يأتى به الدهر ؛ وأصل هذا المعنى من قول مضرس :

لَعَمْرُكَ إِنِّى بِالْخَلِيلِ الَّذِى لَهُ عَلَى دَلَالٍ وَاجِبٌ لِمُفْجَعٍ

وإِنِّى بِالْمَوْلَى الَّذِى لَيْسَ نَافِعِى وَلَا ضَائِرِى فَقْدَانَهُ لِمُتَعِّ

ويقول الطرماح :

يُفَرِّقُ مِنَا مِنْ نَحْبٍ اجْتِمَاعِهِ وَيَجْمَعُ مِنَا الدَّهْرُ بَيْنَ الضَّغَائِنِ

ويقول الآخر :

عَجِبْتُ لِنُطْوِجِ النَّوَى مِنْ أَحِبِّهِ وَإِدْنَاءِ مَنْ لَا يُسْتَلَذُّ لَهُ قُرْبُ

وقال المحدث :

وَمَنْ أَهْوَاهُ يُبَغِّضُنِى عِنَاداً وَمَنْ أَشْنَاهُ شِصُّنِى لَهَاى

وَلِلَّهِ سَرِيرِي مَا أَقْلَ تَنِيَّةَ عَشِيَّةَ شَرْقِيَّ الْحَدَالِي وَغُرْبِي^(١)
 عَشِيَّةَ أَحْنَى النَّاسِ بِي مَنْ جَفَوْتُهُ وَأَهْدَى الطَّرِيقَيْنِ الَّتِي أُتَجَبَّ^(٢)
 وَكَمْ لِفِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ^(٣)
 وَقَاكَ رَدَى الْأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِمْ وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلَالِ الْمُحَجَّبِ^(٤)

(١) التنية التلبث والتحك قال الشاعر :

قِفْ بِالْأَدْيَارِ وَمُوقِفَ زَائِرٍ وَتَأَيَّ إِنَّكَ غَيْرُ صَاغِرٍ

وتنية : منصوبة على التميز ، وأراد ما أقله تنية ، لحذف لضيق اللقاه والحدالي : موضع بالشام ، وغرب : جبل هناك معروف ، والحدالي : مبتدأ وشرقي : ظرف خبره ، وأصله شرقيي — ثلاث ياءات — لحذفت الثانية من ياء النسبة للتخفيف . يتجرب من سرعة سيره ويقول : ما كان أسرع سيري وأقل لبنة عشية كان هذان المكانان على جانبي الشرقي : يعني عند رحيله من حلب .

(٢) يريد بأحنى الناس به : سيف الدولة . وعشية : بدل من عشية في البيت السابق — وأحنى : أفضل تفضيل — من حنى به حفاوة : إذا بالغ في إكرامه وإطافه — يقول : إن سيف الدولة كان أحنى الناس بي جفوته وغادرته ، وكانت أهدى طريق هي التي أعود فيها إليه فعدلت عنها إلى مصر . قال ابن جني : كان يترك القصد ويتصف خوفًا على نفسه .

(٣) المانوية : أصحاب ماني — القائل بالنور والظلمة ؛ وأن الخير كله من النور والشر كله من الظلمة — يخاطب نفسه يقول : كم للظلمة من نعمة عندك تبين أن المانوية الذين ينسبون الشر إليها كاذبون وليس الأمر على ما زعموا وقد بين تلك النعمة في البيت التالي .

(٤) الردى : الهلاك ؛ والسرى : السير ليلا ، يقول : إن ظلام الليل وقاك فائلة الأعداء وأنت تسير فيما بينهم ليلا فلا يصرونك وزارك فيه المحبوب آتيا لم يخش الرقيب إذ حبه عن عيونه وقال ابن فورجه : الطيف قد يزور نهاراً ، فيكون كقول ابن المعتز :

لَا تَلْقَ إِلَّا لَيْلِي مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالشمسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَاد

هذا وقد ذكر شر النور في البيت التالي

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَأَيْتُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقَرُّبُ^(١)
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَغَرَّ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكَبُ^(٢)
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرِ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ^(٣)
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءِ أُذُنِي عِنَانَهُ فَيَطْفَأُ وَأُرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْعَبُ^(٤)
وَأُصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ وَأُنْزِلُ عَنْهُ مِثْلُهُ حِينَ أُرْكَبُ^(٥)

(١) يقول : ورب يوم طال على طول ليل العاشقين استترت فيه خوفاً من الأعداء أراقب غروب الشمس لأخرج من السكين وآمن على نفسي . فالواو واو رب ؛ وكنته : أى كنت فيه ، وأيان بمعنى متى

(٢) يقول : إنه كان في مسيره يراعى أذنى فرسه يحفظ نفسه بهما ، وذلك أن الفرس إذا أحس شيئاً من بعيد نصب أذنيه حياله فيعلم الفارس أنه أبصر شيئاً . ثم وصف فرسه فقال : كأنه في سواده قطعة من الليل وكأن النمرة في وجهه كوكب من كواكب الليل قد بقى بين عينيه ، وهذا من قول أبي داود :

وَلَهَا جَبْهَةٌ تَلَأُلَا كَالشَّفَرَى أَضَاءَتْ وَغُمَ مِنْهَا النُّجُومُ

والنمرة : البياض في جبهة الفرس وباق : حال من الليل ، وسكن الياء ضرورة ثم حذفها لالتقاء الساكنين ؛ وقوله كوكب : أى كوكب - من كواكبه - أى كواكب الليل .

(٣) الإهاب : الجلد ؛ والرحيب : الواسع . يقول : إن هذا الفرس رحيب الصدر رحيب الإهاب ، ومن ثم كان واسع الخطو سريع الجرى ؛ إذا لو كان ضيق الصدر كان خطوه قصيراً ، وكذلك إذا كان ضيق الجلد ضاق عن مديديه ، ولهذا ترى الحمار يضيق إهابه عن مديديه ، وإذا فنى إهاب هذا الفرس فضلة عن جسمه تجيء وتذهب على صدره الرحيب .

(٤) يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس فإذا أدنيت لجامه إلى يجذبه وثب وطنى مرحاً ونشاطاً ، وإذا أرخيت لجامه لعب برأسه . فالمراد بطفيان الفرس : شدة النشاط والروح ، والعنان : سير اللجام .

(٥) قفبته : أتبعته ، ومثله حال من الضمير في عنه ، وحين أركب : حال من الضمير

وَمَا الْخَيْلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ

وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مِّنْ لَا يُجْرِبُ^(١)

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغِيبٌ^(٢)

لَحَا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاحًا لِّرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ^(٣)

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً فَلَا أَشْتَكِي فِيهَا وَلَا أَتَقَتَّبُ^(٤)

وَبِي مَا يَذُودُ الشُّغْرَ عَنِّي أَقْلُهُ وَلَكِنَّ قَلْبِي يَا أَبْنَةَ الْقَوْمِ قُلْبٌ^(٥)

في مثله . يقول : إذا طردت به وحشا لحقه فصرعته - قتلته - وإذا نزلت عنه بعد الصيد كان مثله حين أركبه فلم يدركه لقب ولم ينقص من جريه ونشاطه شيء ، مثل ما كان حين الركوب كما قال ابن المعتز

تَخَالُ آخِرُهُ فِي الشَّدِّ أَوَّلُهُ وَفِيهِ عَذْوٌ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ

(١) يقول : إن الخيل بمثابة الصديق قليلة لدى التجربة والامتحان كثيرة في عين من لم يجرب ، فبالطريقة تعرف السكودان من السوابق ، كما أن الصديق يعرف بالتجربة ماعنده من صدق الود أو مذقه ، وحاصل للمعنى أن الجياد من الخيل قليلة ، كما أن الصديق الذي يستحق الصداقة قليل .

(٢) الشيات : الألوان - جمع شية - يقول : إن مزايا الخيل فيها وراء ألوانها من جريها وعدوها وطباعها ، فإذا لم ترم منها إلا حسن ألوانها وأعضائها لم تر حسنها ومزاياها .

(٣) لحاه الله : دعاء عليه : أى قبحه ولعنه ، وأصله من لحوت العود إذا قشرته ، ومنأخا : نصب على التمييز . يذم الدنيا ويدعو عليها . يقول : بشئ المنزل الدنيا ، فإن من كان بعيد مرتقى الهمة كان أشد نصبا فيها .

(٤) يقول : ليتنى أعلم هل تخلو لى قصيدة من شكاية الدهر وعتابه بأن يبلغنى المراد وأنال منه ما أطلب فأترك الشكاية ؟

(٥) يذود : يدفع ويطرد ؛ وأقله : فاعل يذود ؛ وفلان قلب حول بصير عارف ذو حيلة قلب الأمور . روي أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه قال فى مرضه الذى مات فيه لا بنيه : إنكم لتبكيان حولاً قلباً إن سلم من هول المطلاع . يقول المتنبي : إن

وَأَخْلَقُ كَافُورٍ إِذَا شِئْتُ مَذَحَهُ
وَلَمَّا لَمْ أَشَأْ تُنْصَلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ^(١)
إِذَا تَرَكَ الْإِنْسَانَ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمِّمُ كَافُورًا فَمَا يَتَقَرَّبُ^(٢)
فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْئَالَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
وَنَادِرَةً أَخِيَانٍ يَرْضَى وَيَنْضَبُ^(٣)

بى من هموم الدهر وما انصب على من حدثانه ونوبه ما أقله يمنع الشعر ويلهى الخاطر عنه ولكن قلبى حسن التقلب للأمر ؛ فلا يضيق بنوازل الدهر ولا تخدعهمها خطراته ، وقوله يا ابنه القوم فان العرب من عادتهم أن يخاطبوا النساء فسمت سمتهن ، وإنما قال يا ابنه القوم إشارة إلى كثرة أهلها ، وقال ابن جني : هو كناية عن قولهم يا ابنه الكرام .
(١) يقول : إن خلأني كافور من الظهور وانباهة بحيث تنبئ عنه لما هو إلا أن تلى على فأكتب ولا أحتاج إلى جلب معنى أو جلب منقبة فأمدحه شئت أو أبيت إذ لم أت بشيء من عندي ، وإنما هي أخلاقه تلى على . وقد أخذ الصاحب بن عباد هذا المعنى فقال :

وما هذه إلا وليدة ليلة يفور لها شعر الوليد وينضب
على أنها إملاء مجدك ليس لي سوى أنه يُبلي عليّ وأكتبُ
(٢) يمم قصد يقول : إذا اغترب الإنسان وفارق أهله وصمد إلى كافور آنسه ببطايه وتفقد إياه حتى كأنه بين أهله لم يفارقهم ؛ وفي هذا المعنى يقول الأول :

نزلت على آل المهلب شاتياً غريباً عن الأوطان في زمن المحل
فأزال بي إكرامهم وافتقارهم وإلطفهم حتى حبتهم أهلي
ويقول أبو تمام :

هم رَهْطٌ مَنْ أَمْسَى بِمِيدٍ رَهْطُهُ وَبَنُو أَبِي رَجُلٍ بَغِيرِ بَنِي أَبِي
(٣) يقول : إن أفضاله مفعمة غللا وحكمة ونوادر غريبة ترى ذلك له في حال رضاه وغضبه لا يخلو منها في حال وكل من نظر إلى أفضاله استشف منها العقل والساد وأصالة الرأي . والنادرة : الشيء النادر القريب ، ورواها ابن جني بلدة : أي بديهة .
(٢٠ — التي ١)

إِذَا ضَرَبْتَ فِي الْحَرْبِ بِالسَّيْفِ كَفَّهُ
تَبَيَّنْتَ أَنَّ السَّيْفَ بِالْكَفِّ يَضْرِبُ^(١)
تَزِيدُ عَطَايَاهُ عَلَى اللَّبْثِ كَثْرَةً وَتَلْبَثُ أَمْوَاهُ السَّحَابِ فَتَنْضَبُ^(٢)
أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَا لَهُ
فَإِنِّي أَغْنَى مِنْذُ حِينَ وَتَشْرَبُ^(٣)
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارٍ كَفِّي زَمَانِنَا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارٍ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ^(٤)

(١) يقول : إن سيفه يعمل بكفه لا بنفسه فإذا نظرت إلى مضاء سيفه وأثره في
الوغي استبان لك أن سيفه إنما يستظهر بكفه على القطع ، لا أن كفه يستظهر بالسيف
لأن القطع إنما يحصل بقوة الكف لا بجودة السيف الماضي في يد الضعيف لا يؤثر
شيئاً — كما قال البحرى :

فَلَا تُفْلِحَنَّ بِالسَّيْفِ كُلِّ غِلَاثِهِ

لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ — لَا السَّيْفَ — يَقْطَعُ^(١)

(٢) يقول : إن جوده أفضل من جود السحاب لأن عطاياه إذا مكثت عندك لم
تنضب لأنه يعطى الجزيل الذى لا ينفد ، أو لأنه يوالى هباته ويمدها بغيرها . أما ماء
السحاب فهو إذا مكث في الأرض وأقام حيناً نضب وذهب في الأرض وجف مكانه ،
وقوله على اللبث : أى مع اللبث : حال من عطاياه ؛ وللبث : المكث ؛ ونضب الماء :
ذهب في الأرض .

(٣) يعرض المتنبي بتقاضى ما يؤمل . يقول : إني أغنى منذ حين : أى أطربك
بمدحى ، وأنت تشرب على غنائى : أى تلتذت سماع مدحى ، ومع ذلك تحرمنى الشراب ،
فهل في الكأس فضلا أثرها ؟ أى هلا أعطيتنى ما يتوقمه مثلى من مثلك ؟ يعرض
بطلب ولاية — كما صرح بذلك بعد .

(٤) يقول : إنك إذ تعطينى تعطينى على ما يليق بالزمان ويتفق وكرمه ، وأنا إنما
أطلب ما توجه همتك ويقتضيه كرمك .

(١) قوله فلا تغلين بالسيف : يقال غالى بالشئ وأغلى به إذا اشتراه بضمن غال ؛
وغالى به وغلاه : سام فأبسط وجاوز الحد .

إِذَا لَمْ تَنْطَبِ ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ^(١)
يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيدِ كُلُّ حَبِيبَةٍ حِذَائِي وَأُبْكِي مَنْ أَحِبُّ وَأُنْدُبُ^(٢)
أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنَقَاءَهُ مُغْرِبُ^(٣)
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمُنْكَ أَوْهُمْ
فَإِنَّكَ أَهْلِي فِي فُؤَادِي وَأَعْزَبُ^(٤)

(١) ناطق به كذا: أسنده إليه؛ والضيفة: ما نسميه الآن «عزبة». يقول: إذا لم تقطعني ضيعة أو تفوض إلى ولاية فإن ما تكسوني إياه بجودك — أى ما يحسنه جودك من الآمال — تسلبني إياه باشتغالك عن تحقيق تلك الآمال.

(٢) يقول: أرى كل الناس في هذا العيد فرحين مبتهجين يضاחקون من يحبون أمامي؛ أما أنا ففعل العكس منهم: أبكى من أحب وأنديه — كما يندب الميت — لأنه بعيد عني. يقصد المتنبي أن يخرى الأسود بإعطائه ما يطلب لقاء هذه الألاق التي يلاقيها من جراء اغترابه.

(٣) العنقاء المغرب قيل: العقاب، وقيل: طائر ضخيم ليس بالعقاب؛ وقيل: كلمة لا أصل لها: كالقول، وقال ابن الكلبي: كان لأهل الرس نبي يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له دمع، مصعده في السماء ميل فكان ينتابه طائفة كأعظم ما يكون، لها عنق طويل، وكانت تقع منقضة، فكانت تنقض على الطير فتأكلها فجاعت وانقضت على صبي فذهبت به، فسميت عنقاء مغرباً، لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت على جارية «وليدة» ترعرعت، وضمتها إلى جناحين لها صغيرين — سوى جناحيها الكبيرين — ثم طارت بها فشكوا ذلك إلى نبيهم. فدعا عليها. فسلط الله عليها آفة فهلكت. فضربتها العرب مثلاً في أشعارها: يقولون ألوت به العنقاء للمغرب، وطارته به النقاء: يريدون هلاكه أو ذهابه إلى حيث لا يرجع. قال:

ولولا سليمان الخليفة حلقت به من يد الحجاج عنقاء مغرباً

ومغرب — من أغرب في البلاد: ذهب وأبعد. يذكر المتنبي تشوقه إلى أهله، وبعد ما بينه وبينهم. بحيث لا يرجو لقاءهم.

(٤) يقول: إني أوتر لقاءك على لقاءهم حين لا يتيسر لقاء كما معاً لأنك أحب

إلى منهم.

وَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلَّى الْجَمِيلَ مُحِبٌّ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ^(١)
يُرِيدُ بِكَ الْحَسَادُ مَا اللَّهُ دَافِعٌ وَسُمُرُ الْعَوَالِي وَالْحَدِيدُ الْمُدْرَبُ^(٢)
وَدُونِ الَّذِي يَبْتَغُونَ مَا لَوْ تَخَلَّصُوا
إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ عِشْتَ وَالطُّفْلُ أَشِيبُ^(٣)
إِذَا طَلَبُوا جَزَاكَ أُعْطُوا وَحُكِّمُوا
وَإِنْ طَلَبُوا الْفَضْلَ الَّذِي فِيكَ خُيَّبُوا^(٤)

(١) أولاء جيلا : صنعه إليه . يقول : إنما أحببتك وآثرتك على أهلي لما أسديت
إلى من الجميل ، وطابت لى الإقامة بساحتك لما أقيمت فيها من العز كما قال البحري :
وأحب أوطان البلاد إلى الفتى أرضٌ ينالُ بها كريم المطلب
ومعنى بيت المتنبي مبنى على ما ذكره في عجز البيت السابق .
(٢) والحديد المدرب : أى الحديد ، ومنه لسان ذرب : أى حاد - يريد السيف -
يقول إن الحساد يريدون بك السوء ، فلا ينالون ما يبتغون ، لأن الله يدفعه عنك ثم
الرماح والسيف .

(٣) يقول : ودون وصول الحساد إلى الذى يبتغون - من الثبات الأمر عليك -
أحوال أى أحوال من جراء بأسك وبطشك هى أمر عليهم من الموت ، ولو هم تخلصوا
منها إلى الموت لبقيت أنت وشاب أطفالهم لشدة ما يقاسون . وقد روى الجماعة بدل إلى
الموت : إلى الشيب . قال الواحدى : أى دون الذى يطلب الحساد - من زوال
ملكك وفساد أمرك - للموت وهو قوله ما لو تخلصوا منه - أى الموت - أى أنهم
يموتون قبل أن يروا فيك ما يطلبون ، ولو لم يموتوا عشت أنت وشاب طفلهم لشدة
ما يرون وصوبة ما يلحقهم وما يقاسون منك . وقال ابن جنى : دون ما يريدون من
السوء للموت الذى لو تخلصوا منه إلى الشيب لشاب طفلهم ، ولكنهم لا يتخلصون
من الموت إلى الشيب بل يقتلهم .

(٤) يقول : إذا طلبوا عطايك أعطيتهم وجعلت لهم الحكم فيما يطلبون فينالون كل
ما يقرحون ، أما إذا حاولوا أن يحصلوا على الفضل الذى آتاك الله فإنهم لا يدركونه ،
لأنه لا ينال بالاكتمساب ، وإنما ذلك شئ آثره الله به . وعبرة ابن جنى : إن راموا
فضلك منتهى منه . قال ابن فورجه - معقبا على عبارة ابن الفتح : كيف يقدر الإنسان

وَلَوْ جَازَ أَنْ يَمْحُوا عُلَاكَ وَهَبْتَهَا وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَيْسَ يُوهَبُ^(١)
وَأَظْلَمُ أَهْلِ الظُّلْمِ مَنْ بَاتَ حَاسِداً لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَائِهِ يَتَقَلَّبُ^(٢)
وَأَنْتَ الَّذِي رَبَّيْتَ ذَا الْمُلْكِ مُرْضِعاً وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِوَاكَ وَلَا أَبٌ^(٣)
وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ الْعَرِينِ لِشِبْلِهِ وَمَالِكَ إِلَّا الْهِنْدُوَانِيَّ^(٤) مَخْلَبُ^(٥)
لَقِيتَ الْفَنَاءَ عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ
إِلَى الْمَوْتِ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْعَارِ تَهْرَبُ^(٥)

أن يمنع آخر من أن يكون في مثل فضله ؟ وإنما الله القادر على ذلك . وقد أتى به المتن
على ما لم يسم فاعله فأحسن .

(١) يقول : لست تؤذي من بغل وشح ، فلو كانت العلى توهب لوهبتها ، ولكنها
لا توهب . والأصل في هذا المعنى قول الأول :

وإن يَتَقَسِّمَ مَالِي بَيْنِي وَنِسْوَتِي فلن يَقْسِمُوا خُلُقِي الْكَرِيمَ وَلَا فَضْلِي
ولله قول أبي تمام :

فَانْفَحْ لَنَا مِنْ طِيبِ خِيَمِكَ نَفْعَةً إن كانتِ الأخلاقُ مما يُوهَبُ^(١)
(٢) يقول : إن هؤلاء الحاسدين يتقلبون في نعمائك ، فما كان ينبغي لهم أن يحسدوك ،
لأن أشد الظالمين ظمناً من قلب في نعمة إنسان ثم بات يحسده على تلك النعمة .

(٣) ذو الملك : هو علي بن الأخشيد صاحب مصر الذي رباه كافور بعد أبيه . يقول :
أنت الذي ربّيته وقت عنه بحفظ ملكه وهو طفل مريض ، فكنت له أباً وكنت له أمّاً
قوله ربّيت ذا الملك : أي صاحب هذا الملك : قالوا : ولو قال للتنبي وأنت الذي ربّي
لكان أحسن ، ولكنه قال ربّيت كما قال كثير :

وأنت التي حبّيت كل قصيرة إلى وما تدري بذاك القصائر
(٤) يقول : وكنت لدى الملك كالأسد لشبله تذود عنه وتحميه بسيفك الذي هو
لك بمنزلة الخلب للأسد يحمي أشباله به ؛ والعرين : الأجمة ، والشبل : ولد الأسد ،
والهندواني : السيف الهندي ، والطلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان .
(٥) يقول . ذبت عنه الرماح ولقيتها بنفسك دونه ، حمية له وحفاظاً وكرماً

(١) الحيم : الخلق وقيل سعة الخلق ، والحيم الأصل

وَقَدْ يَتْرَكُ النَّفْسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ وَيَخْتَرِمُ النَّفْسَ الَّتِي تَهَيَّبُ^(١)
 وَمَا عَدِمَ اللَّاقُوكَ بَأْسًا وَشِدَّةً وَلَسَكِنَّ مَنْ لَا قُوَا أَشَدُّ وَأَتَجَبُ^(٢)
 ثَنَاهُمْ وَبَرَقُ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ صَادِقُ^(٣)
 عَلَيْهِمْ وَبَرَقُ الْبَيْضِ فِي الْبَيْضِ خُلِبُ^(٤)
 سَلَتْ سُيُوفًا عَلَّتْ كُلَّ خَاطِبٍ
 عَلَى كُلِّ عُودٍ كَيْفَ يَذْعُو وَيَخْطُبُ^(٥)

لأنك من الشجاعة والإباء بحيث تهرب في الحرب من العار إلى الموت : أى تلقى بنفسك إلى التهلكة ، وتنتام « تختار » ذلك على الهزيمة . فالتقا : الرماح . والهيجا : الحرب — تمد وتقصر ،

(١) يقول : إن الموت قد يترك الشجاع للقدام الذى لا يهابه ولا يباله ، ويلقى نفسه إلى التهلكة ، وقد يدرك الجبان الهياة الذى يهاب الموت ويغشاه . فالضمير في يترك : للموت . ويخترم : أى يهلك .

(٢) يقول : وإن الذين يلاقونك في الحرب لم يعدموا بأسا وشدة : أى هم شجعان أشداء ، بيد أنك أشد منهم وأتجب ، ومن ثم تبطش بهم . ومثل هذا لفر ابن الحارث :

سَقِينَاهُمْ كَأْسًا سَقَوْنَا بِمِثْلِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

(٣) البيض - بالكسر - السيوف ، وبالفتح : جمع يضة ، وهى الخوذة من حديد . والبرق الخلب : الكاذب الذى لا مطرفه يقول : لقد هزمتهم وصرفتهم عنك وسيوفك تفرع خوذهم ، فكان لكل من السيوف والخوذ برق في الآخر ، غير أن برق السيوف في الخوذ صادق لأنها تقطع الجناح فتسيل دماؤهم بعده ، أما برق الخوذ في السيوف ، فهو خلب كاذب لأنها تبرق ولا تسيل الدم فليس لها أثر . وعجالة ابن جنى : يريد أن لمع السيوف صادق لأن السيف إذا ضرب به قطع وبلغ البيض ، وبرق البيض - الخوذ - لا يصدق على السيوف لأنه لا أثر لللمع البيض في السيوف ، فشبّه بالبرق الخلب الذى لا مطرفه ، والأول تأثيره كالبرق الصادق الذى فيه المطر :

(٤) العود هنا : النبر . قال ابن جنى : يقول ، لما رأى الناس ما صنعت سيوفك بأعدائك أذعنوا لك بالطاعة فدعوا لك على منابرهم رغبة ورهبة . وقال بعض الشعراء :

وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ النَّاسُ أَنَّهُ إِلَيْكَ تَنَاهَى الْمَكْرُمَاتُ وَتُنْسَبُ^(١)
وَأَيُّ قَبِيلٍ يَسْتَحِثُّكَ قَدْرُهُ مَعْدُ بْنُ عَدْنَانَ فِدَاكَ وَيَعْرُبُ^(٢)
وَمَا طَرَبَى كَمَا رَأَيْتُكَ بِدَعَا لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ^(٣)
وَتَعَذَّلْنِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمَّتِي كَأَنِّي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مُذْنِبُ^(٤)

يريد أن سيفك تعلم الخطباء الخطبة باسمك في الدعاء : يعنى أنك أخذت البلاد بسيفك ،
فصار كل خطيب بلد يخطب باسمك : أى يدعو لك .

(١) تناهى - بحذف إحدى التائين - أى تتناهى . يقول : إنك فى غنى عن
الأنساب التى يذكرها النسابون لغيرك ، لأن المكرمات تنتهى إليك وتعزى - إذ
كنت أصلاً لها - إليك ؛ وحسبك هذا شرفاً يغنيك محموده عن النسب . ولاحظ أن
هذا شبه غمز فى كافور قد يكون مقصوداً للمتنبى الداهية ، وقد يكون غير مقصود ،
ومن هنا قال التبريزى : ليس هذا مما يمدح به ، ولا سيما الملوك ، لأنه أشبه بنى النسب
عنه . على أن هذا المعنى ينظر إلى قول ابن طاهر :

خَلَاتِقُهُ لِلْمَكْرُمَاتِ مَنَاسِبٌ تَنَاهَى إِلَيْهَا كُلُّ مُجْدٍ مُؤْتَلٍ
وقوله عما ينسب الناس ، فالناس : فاعل ينسب ؛ والتقدير عما ينسبه الناس : أى
عن النسب الذى ينسبه الناس .

(٢) يقول : ليس هناك من يستحق أن تنسب إليه ، لأنك فوق كل أحد . قال
التبريزى : هذا سخرية منه وقد كان المتنبي يقول لو قبلت مدحى فيه كان هجاء .
(٣) فأطرب : عطف على أرجو . يقول : ليس طربى عند رؤيتك بدعا لائى
كنت أرجو أن أراك فأطرب على الرجاء . قال الواحدي : هذا اليت يشبه الاستهزاء به
لأنه يقول : طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على وؤية القرد وكل ما يستملح
ويضحك منه . . . قال ابن جني : لما قرأت على أبى الطيب هذا البيت قلت له ما زدت
على أن جعلت الرجل أبازنة - وهى كنية القرد - فضحك !

(٤) يقول : إن شعري وهمي يلوماني على أن لم أقصدك قبل غيرك ولم أقصر مدحى
عليك ، فكانت أذنبت بمدحى غيرك ، فكنت أهلاً لأن الأم . وهذا المعنى من
قول أبى تمام :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُذْنِبًا يَوْمَ أَتَحِي سَوَاكَ بِأَمَالِي فَجِئْتُكَ تَائِبًا

وقال الواحدي : المصراع الأول هجاء صريح لولا الثانى . قال الخطيب التبريزى :

وَلَكِنَّهُ طَالَ الطَّرِيقُ وَلَمْ أَزَلْ
أَقْنَسُ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ وَيُنْهَبُ^(١)
فَشَرْقَ حَتَّى لَيْسَ لِلشَّرْقِ مَشْرِقٌ
وَعَرَبَ حَتَّى لَيْسَ لِلْعَرَبِ مَغْرِبٌ^(٢)
إِذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ
جِدَارٌ مُمَلًى أَوْ خَبَاءٌ مُطَنَّبٌ^(٣)

ليس في البيت هجاء ومعناه أن همته عدلته كيف قنع بغيره ؛ والقوافي لم صرفها في مدح غيره ؛ وشهدله بذلك بقية البيت . أقول : إن الخطيب لم يقل شيئا ؛ ومالا حظه الواحدى صحيح .

(١) يقول : ولكنه طال طريق إليك ، نجيت كثيرا من البلدان حتى وصلت إليك وكنت في غضون ذلك أطالب بقول الشعر ومدح الناس ، فكان شعري لذلك كأنه ينهب نهبا . يتندر التنبي إلى كافور عن مدح غيره .

(٢) يقول : فشرق كلامي حتى بلغ أقصى الشرق حيث لا مشرق وراء ذلك ، وكذلك غرب حتى بلغ أقصى الغرب . وهذا من قول أبي تمام :

فَفَرَبْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ ذِكْرَ مَشْرِقٍ وَشَرَقْتُ حَتَّى قَدْ نَسِيتُ الْمَغَارِبَا
(٣) مطنب : أى مشدود الأطناب . يقول : إذا قلت شعرا لم يمتنع من وصوله إلى ما وراءه حائط قائم مرتفع ولا خيمة مشدودة بالأطناب . يريد أن شعره قد عم الأرض حتى شمل الحضر سكان الدر ، والبدو سكان الوبر . وهذا كقوله :

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ مِنْ مَقَوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخَضْنَ الْبَحَارَا

وقال يمدحه ، وأنشده إياها في شوال سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وهي آخر ما أنشده ، ولم يلقه بعدها :

مَنْ كُنَّ لِي أَنْ الْبَيَاضَ خَضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِضِ الْقُرُونِ شَبَابُ^(١)

(١) لك أن تقول أن البياض خضاب مؤولة بمصدر مبتدأ مؤخر ، ومنى : خبر مقدم ، وكنى لي : وصف لمنى ؛ وللى : جمع منية ؛ والقرون : ضفائر الشعر ، قالقيس : وهل مالت عليك قرون ليلى كليل الأحصانة في نداها

يقول : إن مشيبي هذا وكون البياض خضاباً لي يخفى به سواد شعري منى كانت لي قديماً : يعنى أنه كان يتمنى الشيب من قديم ليخفى شبابه بايضاض شعره لأنه أوفر وأجل في العين . وجمع اللى نظراً إلى أن ذلك قد تكرر منه مرة بعد أخرى ، فصارت كل مرة منية ، وسمى البياض بالشيب خضاباً لإخفاء السواد به ، كما أن السواد الذى يخفى البياض يسمى خضاباً .

(هذا) . ولا علينا في أن نورد هنا تحقيقاً نحويًا للعلامة العكبرى لمناسبة إعراب * منى كنى لي أن البياض خضاب *

قال العكبرى:

منى نكرة وهى مبتدأ ، وقد يفيد الابتداء بالنكرة إذا أخبرت عنها بجملة تتضمن اسماً معرفة ، كقولك امرأة خاطبتنى ، وكذلك إن أخبرت بظرف مضاف إلى معرفة كقولك رجل خلفك ؛ وإنما منع الابتداء بالنكرة لأن النفس تنبّه بالمعرفة على طلب الفائدة ، وإذا كان الخبر عنه مجهولاً كان الخبر حقيقاً باطراح الإصغاء إلى خبره لأنه لا يعرف من أخبر عنه وشرط الكلام إذا كان الابتداء نكرة أن يتضمن الخبر اسماً معرفاً أو أن يتقدم الخبر : كقولك لزيد مال ؛ لأن الغرض في كل خبر أن يتطرق إليه بالمعرفة ويصدر الكلام بها ، وهذا موجود ههنا لأنك وضعت زيدا مجروراً لتخبر عنه بأن له مالا قد استقر ، فقولك لزيد مال في تقدير زيد ذو مال ، فالابتداء الذى هو مال هو الخبر في الحقيقة ، وزيد هو المبتدأ فى المعنى ، وقوله كنى لي مفيد ، لأن فى ضمن الخبر ضمير للتكلم ، وهو أعرف المعارف ؛ ولو قال منى كنى لرجل لم يحصل بذلك فائدة لخلوه من اسم معروف وقوله إن البياض يحتمل الرفع والنصب ؛ فالرفع على إضمار ابتداء

كأنه قال إحداهن أن البياض لأنه قد أخبر أن ذلك أيام شيبته بقوله ليالى عند البيض وأما النصب فعلى إضمار تمنيت لدلالة منى عليه كما أضمر تتبع فى قوله تعالى « قل بل ملة إبراهيم » وإذا قيل إن التنى مما لم يثبت كالرجاء والطمع فلا يقع على أن الثقلة لأنها للتحقيق ، فهى أشبه باليقين ، وإنما يقع التنى وما شاكلة على أن الخفيفة لأنها تخلص الفعل للاستقبال ، فهى أشبه بالطمع والرجاء والتنى من حيث تعلقت هذه المعانى بما يتوقع ، ومنه قول لبيد :

تنى ابتئى أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر^(١)

قيل لا يمتنع وقوع التمنى على أن الثقلة ، كما لم يمتنع وقوع وددت عليها ووددت وتمنيت بمعنى واحد . وفى التزليل : « وتودون أن غير ذات الشوكة » الآية ويجوز أن يكون منى : منصوبة نصب الظروف ؛ والجملة التى هى كن وأن واسمها وخبرها نعت لها ، فتعلق أن بما قبلها كأنه قال فى منى كن لى أى فى جملة منى ، كما قالوا : أحقا أنك ذاهب وأكبر ظنى أنك مقيم يريدون فى حق وفى أكبر ، وإذا أردت معنى الظرفية فى منى فلك فى أن مذهبان : فمذهب سيويه والاختش والكوفيين رفع أن بالظرف ، وكل اسم حدث يتقدمه ظرف يرتفع عند سيويه بالظرف ارتفاع الفاعل ، وقد مثل ذلك بقوله غدا الرحيل وأحقاً أنك ذاهب ، قال : حملوه على أفى حق أنك ذاهب ، وإذا كان هذا مذهب سيويه ومن معه فالنية تقارب الظن ، فيحسن أن تقول أكبر منى أنك ذاهب ، فتنبأ أكبر بتقدير فى ، وأنشد :

أحقاً بنى أبناء سلمى بن جندل تهذؤكم ليأى وسط المجالس^(٢)

(١) من أبيات لبيد قالها قرب وفاته وبعد

فقوماً فقولا بالذى تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضع ولا خان عهداً ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(٢) هذا البيت للأسود بن يعفر شاعر جاهلى ، وهو من أبيات راجعها وراجع سببها فى الأغاني وفى خزائن الأدب فى شواهد المبتدأ والخبر . وبنى منادى مضاف لما

لَيْلِي عِنْدَ الْبَيْضِ فَوَدَّأَيْ فِتْنَةً وَفَخَرُّ ذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ^(١)
فَكَيْفَ أَذْمُ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَهِي
وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ^(٢)
جَلَا اللَّوْنُ عَنْ لَوْنٍ هَدَى كُلَّ مَسْلَكٍ
كَمَا أَنْجَابَ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ ضَبَابٌ^(٣)

والمذهب الآخر مذهب الخليل ، وذلك أنه يرفع أسماء الحدث بالابتداء ، ويخبر عنه بالظرف التتقدم حكاة عنه سيويه قال : وزعم الخليل أن التهديد هنا بمنزلة الرحيل في غد وأن أن بمنزلة وموضعها كموضعه .

(١) البيض : النساء ، والفودان جانباً الرأس ؛ والغاب : هو العيب . يقول : إن تمنى الشيب كان في الليالي التي كان شعر رأسه فيها لدى النساء فتنة لحسن شعره وسواده ، ولكن يفخرن بوصل ؛ بيد أن ذلك الفخر عيب عندي ، لأنني ممن يعفت عن النساء ويرغب عن صالحهن .

* وَالشَّيْبُ أَوْقَرُ وَالشَّبِيْبَةُ أَنْزَقُ *

وقوله ليالي : منصوب بفعل مضمر دل عليه منى كأنه قال تمتت ذلك ليالي فوداي عند النساء فتنة وليالي مضاف إلى الجملة بعده ، وقد فصل بالظرف وهو قبيح
(٢) يقول : فكيف أذم الشيب اليوم ، وقد كنت آتمناه وأشتهيه ؛ وكيف أدعو لنفسي وأطلب لها ما إذا أجبت إليه شكوته : يعني لا ينبغي أن أشكو الشيب انتهاء وقد دعوته ابتداء . وقد سمت في هذا سمت ابن الرومي في قوله :

هِيَ الْأَعْيُنُ النَّجْلُ الَّتِي كُنْتُ تَشْتَكِي مَوَاقِعَهَا فِي الْقَلْبِ وَالرَّأْسِ أَسْوَدُ
فَالْكَ تَأْسَى الْآنَ لِمَا رَأَيْتَهَا وَقَدْ جَعَلَتْ مَرْمِيَّ سِوَاكَ تَعَدُّ

(٣) جلا : زال وانكشف — من قولهم جلا القوم عن منازلهم : إذا ارتحلوا .
وانجباب : انكشف ، والاضباب : ما يصعد من الأرض إلى السماء ، مثل الدخان : الواحد ضبابة ؛ ويقال أضب يوما : أي صعد فيه الضباب يقول : إن يياض الشيب كان

بعده ، وتجد في الحزانة تحميها وافيها لهذا الموضوع الذي تعرض له الإمام المكي فراجعه إن شئت

وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ
 وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْدِ مِنْهُ حِرَابٌ^(١)
 لَمَا ظَفَرَتْ إِنْ كُلَّ ظَفَرٍ أَعْدَهُ
 وَتَابَتْ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْقَمْرِ نَابٌ^(٢)
 يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا
 وَأَبْلُغُ أَقْصَى الْمُنْصَرِ وَهِيَ كَكَابٌ^(٣)
 وَإِنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِي صُحْبَتِي
 إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ^(٤)
 غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفِزُّنِي
 إِلَى بَلَدٍ سَأَفَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ^(٥)

كأنه كامن في السواد ، فلما زال السواد عنه بدا وانكشف ، فاهتدى صاحبه إلى كل طريق من الرشد والخير : كالنهار إذا جلا عنه الضباب اهتدى السالك في ضوئه .
 (١) لما ذكر أنه كان يتمنى الشيب — والشيب فيه الضعف والعجز — ذكر أن همته لا تشيب ولا ينال منها الضعف بشيب جسمه ، ولو أن الشرات البيض في وجهه كانت حرابا . والهاء في قوله منه : للجسم .
 (٢) يقول : إن كل ظفري ولم يبق في فمي ناب من الكبر ، فحق لا يكل ظفرها ولا يذهب نابها ، قال العكبري : قوله أعده في موضع جزم ، جواب الشرط ، واختار سيبويه في المضاعف الرفع في موضع الجزم
 (٣) غيرها استثناء ، والكعاب : الحارية يبدو ثديها للنهود . يقول : إن نفسي شابة أبدا لا يغيرها الدهر ، وإن تغير جسمي .
 (٤) يقول : إذا خفيت النجوم بالسحاب فلم يهتد للطريق اهتدى بي أصحابي وكنت لهم كالنجم الذي يهتدى به ، يريد أنه خربت خيرا بالفلوات . والصحبة : اسم جمع بمعنى الأصحاب ، وروى تهتدى صحبتي به .
 (٥) يستفزني : يستخفي ويحركني . يقول : إني غير مولع بالأوطان وجميع البلاد عندي سواء ، فإذا غادرت وطني لم يستخفي حب الرجوع إليه .

وَعَنْ ذَمْلَانَ الْعَيْسِ إِنْ سَاحَتْ بِهِ وَإِلَّا فَنِي أُكُوَارِهِنَّ عُقَابٌ^(١)
وَأَصْدَى فَلَا أَبْدَى إِلَى الْمَاءِ حَاجَةً وَلِلشَّمْسِ فَوْقَ الْيَعْمَلَاتِ لُعَابٌ^(٢)
وَلِلسَّرْمِيِّ مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِي إِلَيْهِ شَرَابٌ^(٣)
وَلِلْخُودِ مِنِّي سَاعَةٌ ثُمَّ بَيْنَنَا
فَلَاةٌ إِلَى غَيْرِ الْقَاءِ تُجَلِّبُ^(٤)

(١) التملان : ضرب من السير ؛ والعيس : الإبل . وقوله : إِنْ سَاحَتْ بِهِ ، كلام مستأنف وجواب الشرط محذوف للعلم به تقديره : سرت عليها ؛ والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والعقاب : الطائر المعروف . يقول : وأنا غني كذلك عن سير الإبل ، فإن سمحت به سرت عليها ، وإلا فإنني كالعقاب : أجوب الفياقي دون أن أحتاج إلى ما يعملني

(٢) yeemalat : النياق النجبة المتملة للطبوعة على العمل ؛ ولعاب الشمس : ما يراه المسافر من أشعة الظهيرة كأنه خيوط تتدلى فوق رأسه . يقول : وأعطش في الفياقي الحارة التي يشتد فيها حر الشمس ويسيل لعابها فوق الإبل ، فلا أبدى حاجتي إلى الماء تصبرا وتجهداً وحزماً، وهذا من قول أبي تمام :

جَدِيرٌ أَنْ يَكُرَّ الطَّرْفُ شَرْراً إِلَى بَعْضِ الْمَوَارِدِ وَهُوَ صَادِي

(٣) النديم : الذي ينادمك ويجالسك على الشراب . يقول : إنه كتوم للأسرار يضع السرح حيث لا يطلع عليه النديم ولا يصل إليه الشراب مع تغلغله في البدن كما قال مسكين الدرمي :

يُظَلُّونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسَرْمٌ إِلَى صَخْرَةٍ أَعْيَنَ الرِّجَالُ انْصِدَاعَهَا

وقد نظر التنبي في هذا البيت إلى قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود

تَغْلَغُلُ حُبٌّ عَثْمَةٌ فِي فَوَادِي وَبَادِيَةٍ مَعَ انْخِلَافِي يَسِيرُ

تَغْلَغُلُ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ . وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورٌ

(٤) الخود من النساء : الشابة الناعمة . وتجلب : تقطع . يقول : إنما أصحب

للرأة قدرا يسيرا ثم أسافر عنها ، فيكون بيني وبينها فلاة أقطعها إلى غير لقاءها . أو تقول : ثم أبتعد عنها ، وأمن في الابتعاد .

وَمَا الْعِشْقُ إِلَّا غِرَّةٌ وَطَمَاعَةٌ يُعَرِّضُ قَلْبُ نَفْسُهُ فَيَصَابُ^(١)
وَعَبِيرُ فُؤَادِي لِلْفَوَانِي رَمِيَّةٌ وَغَيْرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ^(٢)
تَرَكَنَا لِأَطْرَافِ الْقَنَا كُلِّ شَهْوَةٍ
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِمَا^(٣)
نُصَرِّفُهُ لِلطَّعْنِ فَوْقَ حَوَادِرِ قَدْ انْقَصَفَتْ فِيهِنَّ مِنْهُ كِمَابُ^(٤)

(١) الغرة : الغرور . يقول : إن عشق النساء غرور بهن وطمع في وصلهن . إذا وقفا في قلب العاشق عرض نفسه للعشق فيصاب به . ويرى قصاب — بضمير النفس — فيكون المعنى : إن دواعي العشق تقع أولا في القلب ، ثم تنقاد النفس لهوى القلب ، لأنه يشتهوها ويغلبها على رشدتها .

(٢) الفوانى : الحسان ؛ والرمية الطريدة التي ترمى . يقول : إن قلبي لا تصفيه النساء بسهام الحافظين إذلا أصبو إليهن ، وإنما أنا عزهاة عزوف النفس عنهن ، وكذلك لا أحب الحمر ومعاقرتها فبناني ليست مطايا للزجاج : أى لا أحمل كأس الخمر يدي . ويرى للرخاخ — جمع رخ — فيكون المعنى : ولست ممن يلعب الشرطج . قال ابن فورجه : يرد على هذه الرواية : البنان ركاب القندس وأما الرخ فالبنان راكبة له في حال حملها ، وأيضا فإنه كلمة أعجمية لم تستعملها العرب القدماء ولا الفصحاء ، والتزهد عن شرب الخمر أليق بالتزهد عن القزل من اللعب بالشرطج .

(٣) اللعب : الملاعبة ومنه حديث جابر : مالك وللعداري ولعابها ؟ والتلاعب — بالفتح — اللعب ، صيغة تدل على تكثير المصدر . ويقال رجل تلعب — بكسر التاء — وتلاعب وتلعب : كثير اللعب . يقول : تركنا شهواتنا للرمح : أى لالذة لنا إلا فيها ، يريد أنه فطم نفسه عن الملاهي ، وقصرها على الجد في طعان الأعداء .

(٤) نصرفه : أى القنا ؛ والحوادر : الخيل الغلاظ السمان . وتروى حوادر — بالحاء المعجمة — أى كأنها أصابها الخدر لما لحقها من التعب والجراحات ورويت حوادر — بالحاء المهملة والذال المعجمة — يعنى خيلا تحذر الطعن لأنها معودة ومن ثم تميل عنه . والكما : العقد بين أنابيب الرمح . يقول — على رواية حوادر — : نصرف الرماح وننقلها من حال إلى حال فوق خيل غلاظ سمان قد ألفت الطعن وانكسرت فيها كعاب من القنا ؛ وهذا من قول الجاهلي :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَابِحٍ
وَحَيْرٌ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ^(١)
وَبَحْرٌ أَبُو الْمَسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُجَابٌ^(٢)
تَجَاوَزَ قَدْرَ اللَّذِجِ حَتَّى كَانَتْهُ بِأَحْسَنِ مَا يُنْفَى عَلَيْهِ يُعَابٌ^(٣)

وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَمَسَهَا الْقَنَا لَبِيقًا بِتَصْرِيفِ الْقَنَا بَنَانِيَا
هذا ورواية حواضر هي رواية ابن جنى ، وقد تقدما بعض الشراح بقوله : كيف
يصنفها بالحدرد وقد وصفها بانكسار الرماح فيها ؟ وقد دافع بعضهم عن هذه الرواية
بقوله : يجوز على رواية ابن جنى هذه أن يكون حواضر أى تميل عن الطمن وتحدرد
بكثرة ما قد طوعن عليها ، فقد عرفت كيف تحيد عن الطمن . وقوله انقصت فهن
من الطمن كعاب ، يجوز أن يكون فى أول ما طوعن عليها وهى فى غرة من الطمن
فلما كثر الطمان عليها وألفته طارت تحدرد وتبطله بميلها عنه . ويجوز أن يكون المراد
تحدرد الطمن وتحيد عنه . ومن كثرة الفرسان الذين يقاتلونها يصيبها من الطمن قليل
وتسلم لحدرها من طمن كثير .

(١) الدنى : جمع دنيا ، والسابح : الفرس السريع الجرى يقول : إن سرج الفرس
هو أعز مكان لأنه يمتطى لطلب المعالى أو محاربة الاعداء لدفع شرم ، أو للهرب من
الضيم واحتمال الدل ، وأن الكتاب هو خير جليس لأنه مأمون الجانب فلا أذى ولا شر
ولا يحتاج فى مجالسته إلى مؤنة فضلا أنه يفاد من آذابه وكل ما يحتويه والله قول القائل :

مَا تَطَلَّمْتُ لَذَّةَ الْعَيْشِ حَتَّى صِرْتُ فِي وَحْدَتِي لِكُتْنِي جَلِيسًا
(٢) بحر : خبر مقدم ، وأبو المسك : مبتدأ مؤخر . والخضم : صفة له ، والخضم :
الكثير للماء ، وزخر البحر : طمى وامتد ، والعباب كثرة الموج وارتفاعه . يقول .
وأبو المسك الخضم بحر يربو على كل بحر جوداً وعطاء ، وهذا كقول الشاعر :

دَعَانِي إِلَى عَمْرِ جُودِهِ وَقَوْلِ الْعَشِيرَةِ بَحْرٍ خَضَمٍ

وروى : وبحر أبى المسك ، على أن بحر : مبتدأ مضاف إلى أبى المسك والخضم خبره :
أى أن بحر المسك هو البحر الخضم . وروى ابن جنى وبحر - بالجر - عطفا على جليس :
أى وخير بحر أبو المسك .

(٣) يقول : هو فوق كل مدح يثنى عليه به ، فإذا بالفت فى حسن الثناء عليه استحق

وْغَالِبَهُ الْأَعْدَاءَ ثُمَّ عَنَّا لَهُ كَمَا غَالَبَتْ بَيْضَ السُّيُوفِ رِقَابُ^(١)
وَأَكْثَرُ مَا تَلَقَّى أَبَا الْمُسْكَ بِذِلَّةٍ إِذَا لَمْ تَصْنِ إِلَّا الْحَدِيدَ ثِيَابُ^(٢)

قدره فوق ذلك ، فيصير ذلك الثناء الحسن كأنه عيب لقصوره عن استحقاقه ، وهذا كقول البحترى :

جل عن مذهب المديح فقد كما د يكون المديح فيه هجاء
وقال ابن جنى : هذا من اللدح الذى كاد أن يقلب لإفراطه هجوا ، وهذا ضد قول
أبي نواس :

وكلهم أثنوا ولم يعملوا عليك عندى بالذى عابوا

(١) عنوا : خضعوا وذلوا : قال تعالى : وعنت الوجوه للحي القيوم « من العنوة »
وهى القهر . يقول : وحاول الأعداء غلبه ثم عجزوا عن غلبته فخضعوا له وانقادوا
كل رقاب إذا غلبت السيوف آضت مغلوبة

(٢) بذلة : تمييز ؛ اسم من الابتذال ؛ وهو أن يترك المرء صيانة نفسه يقول :
وأكثر ما تلقاه مبتذلا نفسه لم يحصنها بالدرع حين لا يصون الأبدان شيء من الثياب إلا
الحديد : أى إبان اشتداد الوغى وتكاثر الجيش عليه يعنى أنه لشجاعته وإقدامه لا يتوقى
الحرب بالدرع والحديد . فالحديد مستثنى مقدم من الثياب . وهذا كما قال الأعشى :

وإذا تكون كتيبة ملمومة شهباء يخشى الذائدون نهالها

كنت القدم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما أبطالها^(١)

هذا ، وقد ذهب ابن جنى إلى غير ما أوردناه قال : إذا لبست الأبطال الثياب فوق
الحديد خشية واستظهاراً ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلا للطنن فجعل الثياب كما ترى
تصون الحديد . قال العروضى يرد عليه : أظن أبا الفتح يقول قبل أن يتدبر ؛ وإنما التفتي
جعل الصون للحديد لا للثياب . يريد إذا لم يصن انثياب إلا الحديد يعنى الدروع ، وإنما
يريد التفتي لانه المستثنى وأنشد بيت الكمي .

ومالى إلا آل أحمد شيعه ومالى إلا مذهب الحق مذهب

(١) كتيبة ملمومة مجتمعة : وشهباء لما فيها من يياض السلاح والحديد ، ونهالها
عطاشها ، والجنة ما وراراك من السلاح ، وأبطالها مفعول تضرب ، ومعلما : حال .
ورجل معلم إذا علم مكانه فى الحرب بعلامة أعلمها . وسيأتى شرح البيتين .

وَأَوْسَعُ مَا تَلْقَاهُ صَدْرًا وَخَلْفَهُ رِمَاءٌ وَطَعْنٌ وَالْأَمَامَ ضِرَابٌ^(١)
وَأَنْفَذُ مَا تَلْقَاهُ حُكْمًا إِذَا قَضَى قَضَاءَ مُلُوكِ الْأَرْضِ مِنْهُ غِضَابٌ^(٢)
يَقُودُ إِلَيْهِ طَاعَةَ النَّاسِ فَضْلُهُ وَلَوْ لَمْ يَقْضِهَا نَائِلٌ وَعِقَابٌ^(٣)
أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوحٌ ضَيِّفَمٍ وَكَمْ أَسَدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابٌ^(٤)

ومعنى البيت : أكثر ما يليق هذا المدوح في الحرب بإذلا نفسه لم يحصنها بدرع كما تفعل الأبطال ، وذلك لشجاعته وإقدامه ، ومن ثم لا يتوقى الحرب بالدرع . . . وهذا الذى قاله العروضى هو الذى قلناه .

(١) يقول : وأوسع ما يكون صدرا إذا حى الوطيس وأحاط به العدو من كل جانب وكان خلفه الرماء والطعن وأمامه الضراب . ققوله وأوسع : مبتدأ ؛ وقوله وخلفه رماء : جملة حالية قامت مقام خبر أوسع ، والرماء : الرمي ، والضراب : الضرب ؛ ولكنهما تدلان على المفاعلة ، والأمام : منصوب على الظرفية ؛ وقال ابن جني : المعنى : أوسع ما يكون صدرا إذا تقدم في أول السكتية يضرب بالسيف وأصحابه من ورائه بين طاعن ورام . فجعل ابن جني الرماء من أصحاب المدوح ، وليس في هذا مدح ، لأن كل أحد إذا كان خلفه من يرمى ويطن من أصحابه فصدرة واسع وقلبه مطمئن ، وإنما أراد - كما قلنا - خلفه رماء وأمامه طعن من أعدائه . يعنى : إذا كان في مأزق متضايق في الحرب ، وقد أحاط به العدو من كل جانب لم يضق صدره وإنما تراه أوسع ما يكون صدرا .

(٢) يقول : إذا أراد أمرا لا يرضى به سائر الملوك فذلك الأمر أنفذ أحكامه لأنهم لا يقدرُونَ على خلافه وقد استقادوا له : أى أعطوه مقادتهم . فهما أبرم أمرا نفذ وإن غاضبهم فيه .

(٣) النائل : العطاء . يقول : لو لم يطعمه الناس رغبة في عطائه ولا رهبة لعقابه لأطاعوه محبة وإجلالا لما اختصه الله به من الفضل

(٤) يقول : أنت أسد قوة وبطشا ، وهمتك همه الأسود - والأسد موصوف بجاءو الهمة ، فهو لا يأكل من فريسة غيره كما قال الشاعر :

وكانوا كأنفِ الليثِ لا شَمَّ مرغما ولا نالَ قط الصيدِ حتى يُعْمَرَا^(١)

(١) أى أنه لا يطعم إلا بما صاده بنفسه .

وقد قال أبو تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكِرِيهَةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

ثم قال المتنبي - وأراد ما عداه من الملوك - : وكم من أسد دنىء النفس ساقط الهمة ؟ أى كم من ملك يشبه الاسد فى قوة بطشه ولكن روحه روح كلب ؟ هذا وللعلامة العكبرى هنا كلمة فى النادى أوردتها لمناسبة إعرابه «أيا أسدا» رأينا أن نوردتها لنفسها ولأننا أخذنا على أنفسنا أن لا نقفل شيئا مما أوردته جميع السراخ . قال العكبرى : أيا أسداً : هو نداء منكر ينتصب بفعل مضمر ، ولو رفع ونون لكان أجود ؛ لأنه خصصه ؛ والنكرات إذا خصصت كان حكمها فى النداء كحكم المفرد العلم : قال الله تعالى « يا خيال أوبى معه » فلما خصصها بالنداء كان حكمها حكم العلم المفرد ؛ والطير من رفعه جملة . عطفنا على الجبال ، ومن نصبه - وهو المشهور - فله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون عطفاً على موضع الجبال لأنها فى موضع نصب ؛ الثانى : أن تكون الواو بمعنى مع ؛ الثالث : أن يكون مفعولاً عطفاً على ما قبله وهو قوله تعالى « ولقد آتينا داود منا فضلاً » ؛ واختلف البصريون وأصحابنا الكوفيون فى النادى ؛ فقال البصريون : هو مبنى على الضم وموضعه نصب ، لانه مفعول . وقال أصحابنا : بل هو معرب مرفوع بغير تنوين ، وحببتنا أنا وجدناه لا يصحبه ناصب ولا رافع ولا خافض ووجدناه مفعولاً فى المعنى ولم نخفضه لثلاث يشبهه بالمضاف إلى ياء التكلم ؛ ولم تنصبه لثلاث يشبهه مالا ينصرف فرفعناه بغير تنوين ليكون بينه وبين ما هو مرفوع برفع صحيح فرق . وأما المضاف فنصبناه لأننا وجدنا أكثر الكلام منصوباً مخملاً على وجه من النصب لأنه أكثر استعمالاً من غيره . وحجة البصريين على أنه ليس بمعرب بل هو مبنى - وإن كان يجب فى الأصل أن يكون معرباً - أنه أشبه كاف الخطاب ، وهى مبنية فكذلك ما أشبهها من هذه الأوجه ، فوجب أن يكون مبنيًا ؛ ووجه آخر : وهو أنه وقع موقع اسم الخطاب ، لأن الأصل فى قولك : يا زيد ، يا إياك ، ويا أنت . لأن النادى لما كان مخاطباً كان ينبغى أن يستغنى عن ذكر اسمه ويؤتى باسم المخاطب ، فيقال يا إياك ؛ ويا أنت ، فلما وقع الاسم النادى موقع الخطاب : وجب أن يكون مبنيًا ؛ كما أن اسم الخطاب مبنى . قالوا وبنينا على الضم لوجهين ، أحدهما : أنه لا يغلو إما أن يبنى على الفتح أو على الكسر أو الضم ، بطل أن يبنى على الفتح لأنه كان يلتبس بما لا ينصرف ، وبطل أن يبنى على الكسر

وَيَا آخِذًا مِنْ دَهْرِهِ حَقَّ نَفْسِهِ وَمِثْلَكَ يُعْطَى حَقَّهُ وَيَهَابُ^(١)
لَنَا عِنْدَ هَذَا الدَّهْرِ حَقُّ يَلْطُهُ وَقَدْ قَلَّ إِعْتَابُهُ وَطَالَ عِتَابُهُ^(٢)
وَقَدْ تُحْدِثُ الْأَيَّامُ عِنْدَكَ شَيْمَةً وَتَنْعِمِرُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ يِيَابُ^(٣)

لأنه كان يلتبس بالمضاف إلى النفس ، وإذا بطل أن يبنى على الفتح والكسر وجب أن يبنى على الضم ؛ والوجه الآخر: أنه يبنى على الضم فرقاً بينه وبين المضاف إليه لأنه إن كان مضافاً إلى النفس كان مكسوراً ، وإن كان مضافاً إلى غيرها كان منصوباً ، فبنى على الضم لئلا يلتبس بالمضاف ، وقلنا إنه مفعول لأنه في موضع نصب لأن تقدير يازيد أدعو زيدا ، وأنشد زيدا ، فلما قامت «يا» مقام أدعو : عملت عمله ، فدلّت على أنها قامت مقامه من وجهين : أحدهما أنها تدخلها الإمامة نحو يازيده والإمالة لا تدخل الحروف ، وإنما تدخل الاسم والفعل . والثاني أن لام الجر تعلق بها نحو يازيد وبالعمر ، فإن هذه اللام لام الاستغاثة وهي حرف جر ، فلم تكن قد قامت مقام الفعل : لما جاز أن يتعلق بها حرف الجر ، لأن الحرف لا يتعلق بالحرف .

(١) يقول : إن الدهر يخشاك ويهابك ولا يجترى . على أن يتقصك حقا ، ومن ثم تأخذ منه كل حقوقك . يعنى : لا تجحفك الأيام شيئا لمنعتك .

(٢) يَلْطُهُ : يحجده ويمطّل به ومنه قول يحيى بن يعمر في رواية : أنشأت تَلْطُها : أى تمنحها حقها من المهر ، ويروى تَلْطُها وأصله لَطَطْتُ حقه إذا جودته وربما قالوا تلطيت حقه لأنهم كرهوا اجتماع ثلاث طآآت فأبدلوا من الأخيرة ياء كما قالوا من اللعاع تلّيت^(١) . ويقال ألطه على أى أعانه أو حمّله على أن يَلْطُ حقى . يقال : مالك تعينه على لَطْطِهِ . وأعتبه : أزال عتبه أى أَرْضاه . يقول : لنا عند الدهر حق يحجده ويماطل في قضائه ، وقد طال عتابنا له ، فلم يزل عتبنا : أى لم يرضنا بقضاء الحق .

(٣) الشيمة : العادة والخلق ، وتنمر : مطاوع عمرت المكان : إذا صيرته عامراً أهلاً ، والياب : الخالي ليس به أحد . يقول : إن الأيام قد تغيرت شيمتها لديك ، إذ أنها ترضى المعائب وتسالم أهل الفضل ، فلا يلحفهم منها سوء لزولهم في كنفك وجوارك وهذا خلاف عاداتها من اضطهاد ذوى الفضل ، والأوقات تصير عامرة لهم : بأن يدركوا

(١) اللعاع : هو المندباء ؛ بقل معروف يؤكل ، وتلى اللعاع : أكله

وَلَا مُلْكَ إِلَّا أَنْتَ وَالْمُلْكُ فَضْلَةٌ كَأَنَّكَ سَيْفٌ فِيهِ وَهُوَ قِرَابٌ^(١)
أَرَى لِي بِقُرْبِي مِنْكَ عَيْنًا قَرِيرَةً وَإِنْ كَانَ قُرْبًا بِالْبَعَادِ يُشَابُ^(٢)
وَهَلْ نَافِعِي أَنْ تَرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا
وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابٌ^(٣)
أَقُلُّ سَلَامِي حُبٍّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ وَأَسْكُتُ كَيْمَا لَا يَكُونُ جَوَابٌ^(٤)
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فُطَانَةٌ سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابٌ^(٥)

مطلوبهم مع أنها عند غيرك خراب لا تسعف : يعنى إن أظفرتنى الأيام بطلوبى لديك
فلا عجب فإنها تحدث شيمة غير شيمتها مهابة لك وإجلالا

(١) القرب : قرب السيف وهو عمده . يقول : إنما الملك في الحقيقة والواقع
هو أنت ، لا ذلك السؤدد الذى أنت فيه والذى نلته بعلو همتك وسداد رأيك ، فهو
بالمقاييس إليك نافلة وفضلة ، وكأنه قرب وأنت فيه السيف والزية كلها للسيف
لا للقرب . ويروى بدل قوله كأنك سيف : كأنك نصل .

(٢) و (٣) قرت عينه : بردت ، وهو كناية عن السرور ، وضمير كان : يعود إلى
القرب ، ويشاب : يمزج ويخلط . يقول : إن عيني قريرة بقربك وأنا مبتهج بذلك لأنى
بلغت ما كنت أود من لقاءك وإن كان هذا القرب مشوباً بالبعد ، لأنى لم أنل منك
ما كنت أرجوه من الصنعة إلى ، وهل ينفعنى أن لا حجاب بيننا وما أرجيه منك محبوب
عنى ؟ وهذا كلام بديع يفزو التنبى به — وبما بعده — الإشارة إلى ما يتوقعه من كافور
من الحصول على ولاية من الولايات .

(٤) حب : مفعول له ، كأنه قال : لحب ماخف عنكم . يقول : لإيثارى التخفيف
عنكم أقلل التسليم عليكم وأسكت عن الكلام كى لا أحوجكم إلى الإجابة : هذا ولك
أن تصب يكون : على إعمال كى ، وتكون ما : زائدة ، وأنت ترفعها على أنها لا تعمل ،
وتكون ما : مصدرية .

(٥) يقول : إن فى نفسى حاجات لا ينبعث بها لسانى وأنت من الفطانة بحيث
تدركها دون أن أذكرها ، فسكوتى عنها يقوم مقام الإفصاح عنها . وهذا كما يقول أمية
ابن أبى الصلت :

وَمَا أَنَا بِالْبَاقِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيفٌ هَوَى يُبْنِي عَلَيْهِ ثَوَابٌ^(١)
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أَدُلَّ عَوَازِلِي عَلَى أَنْ رَأَيْتُ فِي هَوَاكَ صَوَابٌ^(٢)

أَذْكَرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَبَاؤُكَ إِنْ شِئِمَّتْكَ الْحِبَاءُ^(١)
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرَّةَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الثَّنَاءُ
ويقول أبو تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقَاضَيْتُهُ بِقَرِّكَ التَّقَامِي
ويقول أبو بكر الخوارزمي :

وَإِذَا طَلَبْتُ إِلَى كَرِيمٍ حَاجَةً فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ
فَإِذَا رَأَاكَ مُسَلِّمًا عَرَفَ الَّذِي حَمَلْتَهُ وَكَأَنَّهُ مَلَزُومُ

(١) يريد أن يستدرك على نفسه ، يقول : أنا لا أطلب ما طلبته منك رشوة على حبي إياك ، لأن الحب الذي يطلب عليه ثواب ضعيف . فقوله ضعيف : خبر مقدم ، وهوى : مبتدأ مؤخر ، ثم ذكر السبب في البيت التالي . هذا : والرشوة ؛ ضم الراء ، وفتحها ، وكسر ها ، والجمع رشى ، ورشى . قال سيبويه من العرب من يقول : رشوة ورشى ، ومنهم من يقول : رشوة ورشى ، والأصل : رشى ، وأكثر العرب يقول : رشى . ورشاه يرشوه رشواً : أعطاه الرشوة ، وارتشى منه رشوة : إذا أخذها . قال البرد : الرشوة مأخوذة من رشا الفرج إذا مد رأسه إلى أمه لئزقه . وقال ابن الأثير عند ذكره الحديث : لعن الله الراشئ والمرشئ والرائش : الرشوة ، والرشوة الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة ، وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء ؛ فالرائش من يعطى الذي يعينه على الباطل ، والمرشئ : الآخذ ، والرائش : الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا .

(٢) يقول : وإنما أردت بطلب ما طلبت أن أعرف اللائى يلتنى على قصدى إليك أنى كنت مصيباً في هواك ، وأنتك تفضل على وتبغنى ما أرجيه منك .

(١) الحباء : ما يحبو به الرجل صاحبه وبكرمه به ، أو هو العطاء بلامن ولاجزاء ويروى حباؤك إن شيمتكم الحياء .

وَأَعْلِمَ قَوْمًا خَالَفُونِي فَشَرُّوْا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَنَرْتُ وَخَابُوا^(١)
 جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيكَ أَنْتَ وَاحِدٌ وَأَنْتَ كَيْتٌ وَالْمُلُوكُ ذُبَابٌ^(٢)
 وَأَنْتَ إِنْ قُوِيْتَ صَحَّفَ قَارِيءٌ ذُبَابًا وَلَمْ يَخْطِئْ فَقَالَ ذُبَابٌ^(٣)
 وَإِنْ مَدِيحَ النَّاسِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَمَذْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابٌ^(٤)

(١) يقول : وأردت أن أعلم الذين خالفوني وصمدوا إلى غيرك من الملوك أني قد ظفرت بقصدي إليك ، وأنهم أخفقوا بعدولهم عنك إلى سواك . وهذا كقول البحترى :

وأشهدُ أني في اختيارِيك دُونَهُمْ مُؤَكَّدِي إِلَى حَظِّي وَتُتْبِعِ رُشْدِي
 والتشريق والتغريب في البيت تمثيل أراد به تحقيق المخالفة ، ولعله أراد به الحقيقة .
 (٢) يقول : إن الخلاف جارٍ في كل شيء إلا في أنك واحد مناز عن الأشكال ؛ وفي أنك أسد ، والملوك بالقياس إليك ذباب ، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :
 لو أن إجماعنا في فضل سُودَدِهِ في الدينِ لم يَخْتَلِفِ فِي الْأُمَةِ اثْنَانِ
 ويقول البحترى :

وَأَرَى النَّاسَ مَجْمَعِينَ عَلَى فَضْلِكَ مِنْ بَيْنِ سَيِّدٍ وَمَسُودٍ
 فالخلف بمعنى الاختلاف وأنك واحد بدل اشتغال من الكاف في قوله فيك .
 (٣) يقول : إذا صحف القاريء لدى هذه المقايسة لفظ الذباب — المذكورة في البيت السابق — فقال وإنك ليث والملوك ذباب : لم يخطيء ولم يعد الصواب في هذا التصحيف ، لأن من عداك من الملوك كذلك .
 (٤) الكذاب : الكذب ، يقال كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً .
 قال الشاعر :

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ
 وأنشدوا :

نَادَتْ حَالِمَةٌ بِالْوَدَاعِ وَأَذْنَتْ أَهْلَ الصَّفَاءِ وَوَدَعَتْ بِكَذَابِ
 ورجل كاذب وكذاب وتكذاب وكذوب وكذوبة وكذبة مثال همزة وكذبان

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَلِمَالُ هَيْنٍ وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَهُ كُلُّ يَوْمٍ بِلَدَةٍ وَصَحَابُ^(١)
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةٌ فَمَا عَنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ^(٢)

وكاذبان وكاذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبان وكذب وكذب . قال الشاعر :

فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنِّي قَدْ بَعَثْتُكَ
وَالْكَذِبُ : جَمْعُ كَاذِبٍ ، مِثْلُ رَأَى وَرَكَع . قَالَ أَبُو دَاوُدَ الرُّوَاسِيُّ :

مَتَى يَقُولُ تَنْفَعُ الْأَقْوَامَ قَوْلُهُ إِذَا اضْمَحَلَّ حَدِيثُ الْكَذِبِ الْوَلَعَةُ
أَلَيْسَ أَقْرَبَهُمْ خَيْرًا وَأَبْقَدَهُمْ شَرًّا وَأَسْمَحَهُمْ كَفًّا لِمَنْ مُنِعَهُ
لَا يَحْسُدُ النَّاسَ فَضَّلَ اللَّهُ عَنْهُمْ إِذَا تَشَوَّهَ نَفْسُ الْحَسَدِ الْجُشْمَةُ

« الولعة جمع والع وهو الكاذب » يقول : إن الناس يمدحون بالحق وبالباطل لأن
بعضه يكون كاذباً : أما أنت فمدحك الحق الصراح لا كذب فيه وهذا كقول أبي تمام :

لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِ حَقِّ فَلَمْ آتَمِّ وَلَمْ أَتَحَوَّبْ^(١)
وَلَوْ امْتَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِيقُ

عَنِّي لَهُ صِدْقُ الْمَقَالَةِ أَكْذِبُ

(١) يقول : لولاك لكان كل بلد بلدي وكل أهل أهلي : أي لولاك لم أقم بمصر
وكنْتُ لا أزال مُهَاجِرًا فِي الْأَرْضِ أَتَقَلُّ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ وَمِنْ نَاسٍ إِلَى نَاسٍ ، لِأَنَّ جَمِيعَ
الْبِلَادِ وَجَمِيعَ النَّاسِ لَدَيَّ سِوَاكَ .

(٢) يقول : وَلَكِنَّكَ جَمِيعَ الدُّنْيَا الْحَبِيبَةُ إِلَيَّ وَالَّتِي انصَبَتْ عَلَيْهَا آمَالِي ، فَإِنْ

(١) الرواية قد بعته - يعني جملة - وقبله :

قَدْ طَالَ إِضَاعَى الْخَدَمِ لَا أَرَى فِي النَّاسِ مِثْلِي فِي مَعْدٍ يَخْطُبُ
حَتَّى تَأْوِبَتِ الْبُيُوتُ عَشِيَةً فَحَطَطْتُ عَنْهُ كُورَهُ يَتَثَابُ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنِّي قَدْ بَعَثْتُكَ

(٢) فَلَانِ يَتَحَوَّبُ مِنْ كَذَا : أَيْ يَتْرُكُ الْحَوْبَ ، وَهُوَ الْإِنِّمُ ، كَيْتَأَمُّ : أَيْ :

يَتْرُكُ الْإِنِّمَ .

وصرة في صباه برجلين قد قتلوا جرذاً وأبرزاه يُعجبان الناس من كبره فقال :

لَقَدْ أَصْبَحَ الْجُرْذُ الْمُسْتَفِيرُ أَسِيرَ الْمَنَابَا صَرِيحَ الْقَطَبِ^(١)
رَمَاهُ الْكِنَانِيُّ وَالْعَامِرِيُّ وَتَلَاهُ لِلْوَجْهِ فِعْلَ الْعَرَبِ^(٢)
كَلَا الرَّجُلَيْنِ أَتَلَا قَتَلَهُ فَأَيُّكُمَا غَلَّ حُرَّ السَّلَبِ^(٣)
وَأَيُّكُمَا كَانَ مِنْ خَلْفِهِ فَإِنَّ بِهِ عَصَةً فِي الذَّنْبِ

حاولت الذهاب عنك كان ذلك ذهاباً إليك ، وكذلك الدنيا : من أراد السفر عنها سافر إليها ، إذ ليس من سبيل إلى الخروج عنها . فقوله حبيبة حال من الدنيا وإلى متعلق بحبيبة . وقوله فما عنك : أى فمالي ذهاب عنك إلا إليك . وأورد العكبرى حبيبة — بالرفع — وقال إنها مبتدأ ، وإلى : خبر ، وقال ابن جني : التقدير هى إلى حبيبة . يريد أن حبيبة خبر مبتدأ محذوف . وقال : إن المعنى يريد أنك السلطان ، والسلطان هو الدنيا ، يعنى أنت جميع الدنيا ، فإن ذهبت عنك عدت إليك ، فإن الحى لا بد له من الدنيا . وهذا قريب مما قلناه .

(١) الجرذ : ضرب من الفأر ، والمستفير : الذى يطلب الغارة على ما فى البيوت وغيرها .

(٢) تلاه صرعا ، يقال تله يتله تلا فهو متلول ، وتليل : صرعه ، قال تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين » أى صرعه كما تقول كبه لوجهه . يقول : رماه هذان الرجلان اللذان أحدهما من بنى كنانة والآخر من بنى عامر ، وصرعاه لوجهه ، كما تفعل العرب بالقتيل .

(٣) اتلا : تولى وبأشر ، وغل : خان من الغلول : الحياة فى المغام ، والسلب ، ما يسلب من ثياب القتيل وسلاحه وما إليهما ، وحره جيده . يقول : لقد اشتركتما فى قتله فأيكما انفراد يجيد سلبه وخانه فى ذلك ، وهذا كله من باب التهكم والسخرية ولمناسبة كلا وكلتا تقول : ذهب الكوفيون إلى أن كلا وكلتا فهما تثنية لفظية ومعنوية فأصل « كلا » كل ، خففت اللام وزيدت الألف للتثنية ؛ وزيدت التاء فى كلتا للتأنيث ، والألف فهما كالألف فى قولك الزيدان ، وحذفت نون التثنية منهما للزومهما الإضافة وذهب البصريون إلى أن فهما إفراداً لفظياً وتثنية معنوية والألف فهما كألف رحا

وعصا . وحجة الكوفيين النقل والقياس ؛ فالنقل قول الشاعر :

فِي كِلْتَا رِجْلَيْهَا سُلَامَى زَائِدَةٌ كِلْتَا هَا قَدْ قُرْنَتْ بِوَاحِدَةٍ^(١)

فإفراده كلت يدل على أن كلتا تشية ؛ والقياس أنها تنقلب إلى الياء جرأ ونصبا إذا أضيفت إلى الضمير ، نحو : رأيت الرجلين كليهما والمرأتين كليتهما ، ومردت بكليتهما ، فلو كانت الألف في آخرهما كألف عصا ورعا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفاها نحو رأيت عصاهما ومردت برحاهما . فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان دل على أن تشيتهما لفظية ومعنوية ، وحجة البصريين : أن الضمير يعود إليهما تارة مفرداً حملا على اللفظ ، وتارة مثنى حملا على المعنى ؛ فرد الضمير مفرداً كقوله تعالى « كِلْتَا الْجَبْتَيْنِ آتَتْهُمَا كِلَاهُمَا » وكقول جرير :

كِلَا يَوْمَيْ أَمَامَةِ يَوْمٍ صَدَّةٍ وَإِنْ لَمْ نَأْتِهَا إِلَّا لِمَامَا

فقال يوم بالإفراد ، وأما رد الضمير مثنى حملا على المعنى فكقول الفرزدق :

كِلَاهُمَا حِينَ جَدَّ الْجُرَى بَيْنَهُمَا قَدْ أَقْلَمَا وَكَلَا أَنْفِيهِمَا رَابِي^(٢)

(١) قيل : إن هذا البيت من رجز يصف به نعامه ، فضمير رجليها يرجع إلى النعام ، والسلاحي : عظم في فرسن البعير وعظامه صفار طول أصبع أو أقل في اليد والرجل ، والجمع سلاميات ، والفرسن للبعير بمنزلة الحافر للفرس ، والضمير في كلتاها : للرجلين ، والمصراع الثاني : تأكيد للأول ، وقوله قرنت بواحدة : أى من السلاميات .
(٢) من أبيات الفرزدق في جرير ؛ وكان جرير روج بنته أم غيلان من عبيدة ابن أخى امرأته وكان منقوص العضد فغلمها منه أى طلقها فقال الفرزدق :

مَا كَانَ ذَنْبُ الَّتِي أَقْبَلْتَ تَعْتَلُّهَا حَتَّى اتَّحَمَتْ بِهَا أُسْكُفَةُ الْبَابِ

كِلَاهَا

يا ابن المراغة جهلا حين تجعلها دون القلوص ودون البكر والناث

تعتلها : تجذبها جذبا غنيا ، والضمير لأم غيلان بنت جرير وفي رواية : ما بال لومكها أى لومك إياها ، والأسكفة ، عتبة الباب : أى حتى أدخلتها عتبة بابك ، وكلاهما أى كل من ابنة جرير وزوجها ؛ وجد الجرى : أى اشتد ، وأقلما : أى أقلما

وقال يهجو ضبة بن يزيد العتي (*):

مَا أَنْصَفَ الْقَوْمُ ضَبَّةً . وَأُمُّهُ الطَّرْطُبَةُ^(١)

فقال : قد أقلعا حملا على المعنى - وقال رابى حملا على اللفظ - وقالوا : الدليل على أن فيهما إفراداً لفظياً أنك تضيفهما إلى الثنية . فتقول : جاءنى كلا أخويك ، ورأيت كليهما ؛ وكذلك حكم كلنا فى المضر والمظهر ، فلو كانت الثنية منهما لفظية لما جاز إضافتهما إلى الثنية لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه ويدل على أن الألف لا تكون فيهما للثنية أنها تمال فى قراءة حمزة والكسائى . وإذا أردت التوسع فى هذا الباب فارجع إلى كتب النحاة وإلى لسان العرب * كان ضبة هذا فيمن كان مع الخارجى الذى نجم فى بنى كلاب وهو المشار إليه فى القصيدة التى مدح بها دلب بن لشكروز بالكوفة - وسبب هذه الأبيات القبيحة أن قوماً من أهل العراق قتلوا أبا ضبة هذا وسبوا امرأته - أم ضبة - وفسقوا بها ، وكان ضبة غداراً بكل من نزل به ، واجتاز به أبو الطيب فى جماعة من أشرف الكوفة ، فامتنع منهم ، وأقبل يحاهر بشتهم ، فأرادوا أن يحيوه بمثل ألفاظه القبيحة ، وسألوا ذلك أبا الطيب فتكلفه لهم على كراهة وقال هذه القصيدة وهو على ظهر فرسه . قال الواحدى : كان المتنبي إذا قرئت عليه هذه القصيدة ينكر إنشادها - أقول : ولولا أن يقال إننا تصرفنا فى الديوان وأن هذا الديوان أدركه الحداج - إذا حذفنا منه بعض شعر المتنبي فيسوء الناس بنا الظن - لما أثبتنا هذه الأبيات التى ينبو بها السمع .

(١) يقول : ما أنصف القوم هذا الرجل إذ فعلوا بأبيه وأمه ما فعلوا ، والطرطبة : القصيرة الضخمة ، وقيل المسترخية التدين أو الطويلة التدين قال الشاعر :

لَيْسَتْ بِقَتَاتَةٍ سَبْهَلَةٍ وَلَا بِطَرْطُبَةٍ لَهَا هُلبٌ^(١)

عن الجرى ؛ ورأى من الربو وهو النفس العالى المتابع ، وهذا تمثيل يقول : إن بنت جرير وزوجها قد افتراقا حين حصلت الألفة بينهما ولم يمضيا على حالهما كفرسين جدا فى الجرى ووفقا قبل الوصول إلى الغاية :

(١) ألقاة النجوم من التت وهو النجمة والكذب الميأ ، ويقال للفارغ النشط الفرح سهلا ، وروى عن عمر أنه قال ، إنى لأكره أن أرى أحداً سهلا لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة . وكل فارغ سهلا ، والهاب ما غلظ من الشعر .

رَمَوْا بِرَأْسِ أَبِيهِ وَبَاغُوا أَلَامَ غُلَّةٍ^(١)
 فَلَا يَمْنُ مَاتَ فَخْرٌ وَلَا يَمْنُ نِيكَ رَغْبَةٍ^(٢)
 وَإِنَّمَا قُلْتُ مَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا تَحِبُّهُ^(٣)
 وَحِيلَةَ لَكَ حَتَّى عُدِزْتُ لَوْ كُنْتُ تَيْبَةً^(٤)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّمَا هِيَ ضَرْبَةٌ^(٥)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْقَذْرِ إِنَّمَا هُوَ سُبَّةٌ^(٦)
 وَمَا عَلَيْكَ مِنَ الْعَا رِإْنِ أُمَّكَ قَحْبَةٌ^(٧)
 وَمَا يَشُقُّ عَلَى الْكَلْبِ أَنْ يَكُونَ ابْنُ كَلْبَةٍ
 مَا ضَرَّهَا مِنْ أُنَاهَا وَإِنَّمَا ضَرَّ صُلْبُهُ

(١) يقال باك الحمار الأتان : نزا عليها ، والنلبة : النعابة جملهم كالخير في غشياتها بفحش .

(٢) يقول : فلا يغر له بأبيه ولا يرغب بأمه أيضاً عما فعل بها .

(٣) يقول : وإِنَّمَا قُلْتُ مَا أَصْفُوكَ رَحْمَةً بِكَ لِمَا أَصَابَكَ مِنَ الْقَتْلِ وَالْعَارِ لَا حُجَّةَ لَكَ وَغَيْرُهُ عَلَيْكَ . يريد شدة ما وصل إليه حتى صار بالرحمة أحق منه بالكراهة ، وليلحظ أن ضبة هذا من النباء بحيث لم ير للتنبى بدا من أن يسلك معه هذا السلك ، قد صرح باسمه . . . وإيضاً كان يكنى أن يقول ما أنصف الناس ضبة وأمه الطرطبة ، ولا يقول بعد ذلك : وإِنَّمَا قُلْتُ رَحْمَةً لَا حُجَّةَ .

(٤) تيه بكسر التاء - مضارع ، وبه : بمعنى أبه وبألى واكثره ، وتروى لو كنت تنبه . أى تعطن . يقول : وقلت ذلك حيلة لك حتى يذرك الناس فيما أم بك إذا سمعوا قولى هذا وعرفوا أنك مظلوم .

(٥) و(٦) و(٧) مافى الآيات الثلاثة استفهام إنكارى ، وهى فى البيتين الأولين : ضمير الشأن ، والسبة : العار يسب به ، والقحبة : البنى ، والفاسدة الفاجرة . وهذا من أبى الطيب استهزاء واستهجان لضبة . يقول : لا يعلق بك من قتل أهلك عار ، إِنَّمَا ذَلِكَ ضَرْبَةٌ وَقَتٌ بِأَيْكَ فَمَاتَ مِنْهَا ، والندرسبة تسب به ، فما عليك منه ؟ ولا عار عليك من لجور أمك .

وَخَوْفُ كُلِّ رَفِيقٍ أَبَاتَكَ اللَّيْلُ جَنَبَهُ^(١)
 كَذَا خُلِقَتْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يُفَالِبُ رَبَّهُ^(٢)
 وَمَنْ يُفَالِي بِذِمَّةٍ إِذَا تَعَوَّدَ كَسْبَهُ
 أَمَا تَرَى الْخَلِيلَ فِي النَّخْلِ سُرْبَةً بَعْدَ سُرْبَةٍ^(٣)
 عَلَى نِسَائِكَ تَجَلُّو فَعُولَهَا مِنْذُ سَنَبِهِ^(٤)
 وَهَنْ حَوْلَكَ يَنْظُرُ نَ وَالْأَحْيَرَا حُ رَطْبِهِ^(٥)
 وَكُلُّ غُرْمُولٍ بَغْلٍ يَرَيْنَ يَحْسُذَن قُنْبِهِ^(٦)
 فَسَلْ فُؤَادَكَ يَا ضَبَّ أَيْنَ خَلَفَ عُجْبِهِ^(٧)
 وَإِنْ يَخْنُكَ لَعْمَرِي لَطَالَمَا خَانَ صَحْبِهِ^(٨)
 وَكَيْفَ تَرْغَبُ فِيهِ وَقَدْ تَبَيَّنَتْ رُغْبِهِ^(٩)

(١) وخوف : عطف على قاتلا - في البيت السابق - أى ويا خوف كل رفيق الخ .
 يقول : هو من القدر بحيث إذا بايته رفيق في السفر لا يأمن أن يغدر به إذا نل .
 (٢) يقول : إن الله خلقه مجبولا على القدر والسفال ، ومن ثم لا يزال على ما جبله
 الله عليه لا يستطيع اناس تهذيبه ، لأن الله جل شأنه لا يغالب .
 (٣) و (٤) السرية : الجماعة من الخيل ، وفحولها : كناية عن غرمولها . والسنبه :
 الحين والقطعة من الزمان .

(٥) الأحيراح : تصغير أحرأح - جمع حر ، وأصله حرج - الفرج
 (٦) القب : وعاء القضب من ذوات الحافر .
 (٧) ضب : ترخيم ضبة . يقول : أسأل فؤادك يا ضبة أين ترك ما كان فيه من
 العجب والكبر ؟ يعنى حين احتبأ وامتنع منهم بالحسن وهو يسمع الشتم فلا يخرج إليهم .
 (٨) و (٩) يقول : إن خانك فؤادك - أى خذلك في هذا الموقف فلم يطاوعك
 على الإقدام علينا خوفا ورهبا - فلست أول من خان قلبه ، لأنه تعود خيانة
 أصحابه .

مَا كُنْتُ إِلَّا ذُبَابًا نَفَثْتَ عَنَّا مِذْبَةً^(١)
وَكُنْتُ تَفْخَرُ تِيهَا فَصِرْتَ تَفْصِرُ رَهْبَةً
وَإِنْ بَعْدُنَا قَلِيلًا سَحَلْتَ رُمَحًا وَحَرَبَةً^(٢)
وَقُلْتَ لَيْتَ بَكْنِي عِنَانَ جَرْدَاءَ شَطْبَةٍ^(٣)
إِنْ أَوْحَشْتِكَ الْمَعَالِي فَأَيْهَا دَارُ غُرَبَةٍ^(٤)
أَوْ آتَسْتِكَ الْمَخَازِي فَأَيْهَا لَكَ نِسْبَةٍ^(٥)
وَلَاِنْ عَرَفْتَ مُرَادِي تَكَشَّفَتْ عَنْكَ كُرْبَةٍ^(٦)
وَلَاِنْ جَهِلْتَ مُرَادِي فَأَيْتَهُ بِكَ أَشْبَهُ^(٧)

(١) يقول : إنك حين اختبأت وتحصنت منا جئنا ما كنت إلا ذباباً طردناه بمذبتنا
فهرب ، وروى «عنه» بدل عنا ، والضمير في عنه وفي فيه : يرجع إلى العجب : يعنى
كيف تريد العجب وقد علمت شؤمه وكنت كالذباب يقتل بالمذبة . وذهب ابن جني إلى
أن الضمير يعود إلى القلب فقال : يريد بقيت بلا قلب .
(٢) يقول : وإذا بعدنا عنك فأمنت . عاودك العجب فحملت السلاح ، وهذا
مثل قوله :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطمن وحده والنزّالاً

(٣) العنان : سير اللجام ، والجرداء من الحيل : القصيرة الشعر ؛ والشطبة : الطويلة .
(٤) و (٥) يقول : إذا استوحشت من المعالي فلا بدع في ذلك ، لأنك غريب عنها ،
أما المخازي فإنك تتأنس بها لما بينك وبينها من النسب والقربة .
(٦) يقول : إن مرادى أن أنه إلى ما فيك من الندر والشع ، فإن عرفت مرادى
هذا : سررت بما قلت ، لأنه لا يقصدك إنسان بسؤال أو قرى بعد ما أشعث من خلاك
وقال ابن جني يقول : أنت مع ما أوضحته من هوائك غير عارف به لجهلك فإذا عرفت
أنه هباء زالت عنك كربة لمعرفتك إياه . . وهذا كلام من لم يعرف معنى البيت كما
قال الواحدى .

(٧) فان الجهل بك أشبه لأنك لست بمن يفهم .

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة بِعَمَّتِهِ وقد توفيت ببغداد :

آخِرُ مَا لِلْمَلِكُ مُعْزَى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَرَ فِي قَلْبِهِ ^(١)
لَا جَزَعًا بَلْ أَتْفَا شَأْبَهُ أَنْ يَقْدِرَ الدَّهْرُ عَلَى غَضَبِهِ ^(٢)
لَوْ دَرَّتِ الدُّنْيَا بِمَا عِنْدَهُ لَأَسْتَحْيَتِ الْأَيَّامُ مِنْ عَتْبِهِ ^(٣)
لَعَلَّمَا تَحَسَّبُ أَنَّ الَّذِي لَيْسَ لَدَيْهِ لَيْسَ مِنْ حِزْبِهِ ^(٤)
وَأَنَّ مَنْ بَغْدَادُ دَارُهُ لَهُ لَيْسَ مُقِيمًا فِي ذَرَى عَضْبِهِ ^(٥)
وَأَنَّ جَدَّ الْمَرْءِ أَوْطَانُهُ مَنْ لَيْسَ مِنْهَا لَيْسَ مِنْ صُلْبِهِ ^(٦)

(١) هذا خبر معناه الدعاء . يقول : جعل الله هذا الحادث آخر ما يعزى به الملك فلا يصاب بشيء بعده . والملك تخفيف الملك . وهذا ، مبتدأ مؤخر وآخر : خبر مقدم .
(٢) جزعا : مفعول له ، عامله أثر ، والأنف الحمية والاستنكاف ، وشابه خالطه .
يقول : لم يؤثر هذا الحادث في قلبه لأنه جزع له فإنه شجاع لا عهد له بالجزع ، ولكنه أخذته الحمية والأتفة حين رأى الدهر قد استطاع أن يتطرق حماء ويستبيح حريمه ويغتصبه من يعزى عليه

(٣) يقول : لو كانت الدنيا تدرى ما يحوزه من الفضل لأخذها الحياء من عتبه عليها ولكفت عنه أذاها ، وقيل : إن المعنى لعل الأيام لم تعلم من غاب عن حضرته من أهله وأسرته ، ولو علت لما عرضت لشيء من أسبابه . وقد دل البيت التالي على ذلك .
(٤) يتندر عن الأيام . يقول : لعل الدنيا ظنت أن عمته — وقد توفيت في بغداد بعيدة عنه — لما لم تكن عنده لم تكن من أسرته فسقط عليها .

(٥) الذرى : الكنف ، والعضب : السيف القاطع . يقول : ولعل الدنيا ظنت أن عمتك لما كانت ببغداد ولم تكن بحضرتك لم تكن ممن يحميه سيفك فلذلك عرضت لها وأخذتها .

(٦) يقول : ولعلها ظنت أن جد الإنسان بلده ، فمن لم يكن من أهل بلده فليس من صلب جده : يعنى أن عمته لما كانت في غير وطنه ظنت الأيام أنها ليست من عشيرته ومن ثم اجتأت عليها ولم ترع حقه . ويروى : وأن حد الرء — بالحاء — فيكون المعنى أن حريمه وطنه ، فمن لم يكن مستوطنا معه لم يكن من عشيرته .

أَخَافُ أَنْ تَفْطَنَ أَعْدَاؤُهُ فَيَجْفِلُوا خَوْفًا إِلَى قُرْبِهِ ^(١)
لَا بُدَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ ضَجْعَةٍ لَا تَقْلِبُ الْمُضْجَعِ عَنْ جَنْبِهِ ^(٢)
يَنْتَسِي بِهَا مَا كَانَ مِنْ عُجْبِهِ وَمَا أَذَاقَ الْمَوْتَ مِنْ كَرْبِهِ ^(٣)
نَحْنُ بَنُو الْمَوْتَى فَمَا بَالُنَا نَعَا فَمَا لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ ^(٤)
تَبَخَّلْ أَيْدِينَا بِأَرْوَاحِنَا عَلَى زَمَانٍ هِيَ مِنْ كُنْبِهِ ^(٥)

(١) أجفل : أسرع في الهرب ، يقول : إني أخاف - إذ قلت هذا - أن تفتن أعداؤه إلى أن الأيام لا ترزأ كل من كان في حماه وقربه فيسرع إلى حضرته خوفا من الأيام وطلبا للسلامة بحصولهم في ذمته واشتغالهم بعزه .

(٢) يقول : لا بد للإنسان من اضطجاع في القبر لا يتقلب معه المضطجع أى يبقى كذلك أبد الدهر ، ولو قال لن - بدل لا - لكان أحسن ؛ لأن لن تدل على التأييد .

(٣) يقول : ينسى الإنسان تلك الضجعة تبه وإعجابه بنفسه وما أذاقه الموت من البرح والكرب عند احتضاره : أى ينسى تلك الضجعة كل ما لاقاه في حياته وفي مماته .

(٤) يقول : نحن أبناء الموتى لأن آباءنا كلهم ماتوا فلا بد لنا أن نرد الموت كما وردوه ؛ فما بالنا نكره ما لا بد منه ؛ وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

أَلَا يَا ابْنَ الدِّينِ فَتَوَّا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا بَادُوا لَتَبَقَى
وأصله قول متم بن نويرة :

فَعَدَدْتُ آبَائِي إِلَى عِرْقِ الثَّرَى فدعوتهم فعددت أن لم يسموا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ وَلَا حَالَةَ أَنْتَى للحادثات فصل ترانى أجزع ؟

وروى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمرو بن عبيدة يعزبه عن أبيه : «أما بعد» فإننا أناس من أهل الآخرة ، أسكننا في الدنيا أمواتاً آباء أموات ، وأبناء أموات فالعجب لمت يكتب إلى ميت يعزبه عن ميت والسلام .

(٥) يقول : إننا نحرص على أرواحنا ضنا بها على الزمان مع أنها بما كسب الزمان لا من كسبنا نحن ، وقد فسر ذلك في البيت التالى ؛ قال العسكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان تناشؤ الأرواح من كرور الأيام فما لنا نعا رجوعها إلى أما كتبها .

فَهَذِهِ الْأَذْوَاحُ مِنْ جَوْهَرٍ وَهَذِهِ الْأَجْسَامُ مِنْ تَرْبَةٍ (١)
لَوْ فَكَّرَ الْعَاشِقُ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الْقَدَى بَنِيهِ لَمْ يَنْسِبِهِ (٢)
لَمْ يُرَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي شَرْقِهِ فَسَكَّتِ الْأَنْفُسُ فِي غَرْبِهِ (٣)
يَمُوتُ رَاعِي الضَّأْنِ فِي جَهْلِهِ مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِي طَبِّهِ (٤)
وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى عُصْرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سِرِّهِ (٥)
وَعَايَةُ الْفَرْطِ فِي سِلِّهِ كِفَايَةُ الْفَرْطِ فِي حَزْنِهِ (٦)

(١) يريد أن الإنسان مركب من جوهر لطيف - هو الروح - وجوهر كثيف - هو البدن - فجعل اللطيف من الهواء ، والكثيف من التراب . قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : اللطائف سماوية والكثائف أرضية ، وكل عنصر عائد إلى عنصره ، « هذا » ؛ وليس ثم مجال للكلام على الروح وذكر المذاهب الفلسفية فيه ، لأن هذا إما هو تفسير لشعر المتنبي حسب .

(٢) يقول : لو فكر العاشق الاستهام فيما تصير إليه محاسن معشوقه من البلى والفناء لأقلع عن عشقه ولم تملك تلك المحاسن قلبه . ولك أن تجعل هذا مطرداً في كل معنى من معاني الحياة فتقول : لو فكر الحريص التهاك على جمع المال في منتهى ذلك وأن مصير هذا المال إلى الزوال أو أنه ماثت عنه لا محالة : لما تهالك على جمعه ، وهلم . قال العسكري : وهو من قول الحكيم : النظر في عواقب الأشياء يزيد في حققتها ؛ والعشق عمى الحس عن درك رؤية المعشوق .

(٣) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وهذا مثل : معناه . أن كل حادث لا بد أن ينتهي إلى الزوال : كالشمس من رآها طالعة لم يشك في غروبها .

(٤) قوله : في جهله وفي طبه ، حالان . يقول : إن الموت حتم على رقاب العباد لا ينجو منه إنسان : أكان شريفاً أم وضيعاً ، عاقلاً أم جاهلاً . فيموت الراعي الجاهل كما يموت الطبيب الحاذق .

(٥) السرب : النفس . يقول : وربما زاد راعي الضأن عمراً على عمر جالينوس ، وكان آمناً على نفسه منه ؛ لأن الطبيب لعله وتقديره لضروب الأدوية وارتباط الأسباب بالسيئات يبقى دائماً قلقاً خائفاً كثير الوسواس .

(٦) يقول : من بالغ في السلم والموادة كمن بالغ في الحرب والمعاداة والتعريض بالخطر

فَلَا قَصَى حَاجَتَهُ طَالِبٌ فَوَادُهُ يَخْفِقُ مِنْ رُغْبِهِ ^(١)
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِشَخْصٍ مَضَى كَانَ نَدَاهُ مُنْتَهَى ذَنْبِهِ ^(٢)
 وَكَانَ مِنْ عَدَدِ إِحْسَانِهِ كَأَنَّهُ أَفْرَطَ فِي سَبِّهِ ^(٣)
 يُرِيدُ مِنْ حُبِّ الْعَلَى عَيْشَهُ وَلَا يُرِيدُ الْعَيْشَ مِنْ حُبِّهِ ^(٤)
 يَحْسِبُهُ دَافِنُهُ وَخَسَدُهُ وَتَجِدُهُ فِي الْقَبْرِ مِنْ صَحْبِهِ ^(٥)
 وَيُظْهِرُ التَّذَكُّيرُ فِي ذِكْرِهِ وَيُسْتَرُّ التَّائِبُ فِي حُجْبِهِ ^(٦)

كلاهما إلى الموت . قال المكبري : وهذا من قول الحكيم : آخر إفراط التوقي أول موارد الخوف ؛ ويقال أفرط : إذا أسرف وجاوز الحد ؛ وفراط بتشديد الراء : قصر . وفي الحديث « لا يرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً » .

(١) يقول : لا أدرك حاجته من يهرب الموت ، يعني إذا كان لا متدوحة عن الموت فلم يخافه الإنسان ؟ يبحث على الشجاعة والإقدام ، ويدعو على الهياة الجبان . والضمير في رعبه : للفؤاد :

(٢) هذا ضرب من المدح الذي يشبه الثم ، يقول : أستغفر الله لشخص مضى كان جوده هو غاية ذنبه : أي لا ذنب له أستغفر الله له لأجله إلا جوده ؛ يعني للرؤية عمدة عند الدولة .

(٣) يقول : وكان يكره ذكر إحسانه تناسياً للمعروف ، فمن أحصى فواضله وأياديه كان عنده كمن أسرف في سبه .

(٤) يقول : إنه كان يحب أن يعيش لكسب للعالي لا لحب العيش : فالضمير في عيشه : للرثى ، والتقدير : يريد عيشه من حب العلى ، ولا يريد العيش من حب العيش .

(٥) يقول : إن الذي يدفنه يظن أنه يدفنه وحده ، وهو قد دفن معه المجد والعفاف والبر وسائر فضائله التي هي أصحابه لا تفارقه .

(٦) يقول : إنها في حبها وخدرها أنثى على الحقيقة ، وليس ثم إلا الصون والعفاف وما إليهما مما هو شيمة المخدرات ، أما إذا ذكرت أفعالها ومسايعها — من طلب للعالي وإيثار المعروف وإغاثة للملهوف — فهناك التذكير حقاً ، لأن مثل هذه الأفعال إنما هي من شيم الرجال .

أُخْتُ أَبِي خَيْرٍ أَمِيرٍ دَعَا فَقَالَ جَيْشٌ لِلْقَنَا لَبَّ^(١)
يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ مَنْ رُكْنُهَا أَبُوهُ وَالْقَلْبُ أَبُو لَبَّ^(٢)
وَمَنْ بَنُوهُ زَيْنُ آبَائِهِ كَانَتْهَا النَّوْرُ عَلَى قُضْبِهِ^(٣)
فَخَرًّا لِدهْرِ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَمَنْجَبٍ أَصْبَحْتَ مِنْ عَقْبِهِ^(٤)
إِنَّ الْأَمْسَى الْقِرْنُ فَلَا تُحْيِهِ وَسَيُفْكَ الصَّبْرُ فَلَا تُنْفِيهِ^(٥)

(١) أخت : خبر مبتدأ محذوف : أى هى أخت ، ولبه : أحبيه ، يقول : هى أخت
ركن الدولة الذى هو أبو عضد الدولة خير أمير دعا إلى نفسه ، فقال الجيش للمراح
أحبيه : أى يدعو الجيش فيحيه بالسلاح . ويجوز أن يكون المعنى : أن عضد الدولة
خير أمير دعاه جيش فقال للقنا لب الجيش . يعنى أنه يجب الصارخ ويثبت للثبوت .

(٢) يريد أن عضد الدولة أفضل من أبيه ركن الدولة وضرب لها للثل بالقلب
واللب — أى العقل — فجعل اللب مثاله والقلب مثلاً لأبيه ، والقلب ، وإن كان
أبا اللب — أى مصدره — إلا أن اللب أشرف من القلب ، فكذلك عضد الدولة
أفضل من أبيه ركن الدولة ، وإن كان ركن الدولة أباه : قال ابن جنى : لولا حذف
المتنبي ماجراً على هذا .

(٣) النور : الزهر ؛ والقضب : جمع قضيب . يقول : إن أبناء عضد الدولة زين
لآبائهم ، وليسوا بزین له هو ، لاستغنائهم بمزية علائهم عن أن يزين بأبنائهم : يعنى أن أبناءك
يزينون آبائك كما يزين النور القضب .

(٤) غفراً : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، واللام فى قوله لدهر : لبيان الفاعلية ؛
كما فى قولهم : تباً لزيد ؛ وللمنجب : الذى يلد النجباء : وعقب الرجل : أولاده . يقول :
ليفتخر الدهر بكونك من أهله ، وليفخر أبوك الذى صار منجباً بكونك من عقبه .

(٥) الأسمى هنا : الحزن ، وهو مقصور مفتوح ، والقرن : من قارنك ومائلك فى
السن أو القوة والشجاعة ؛ وبنا السيف : إذا لم يقطع ويعمل فى الضريبة . يقول : إن
الحزن — أى حزن عضد الدولة على عمته — بمنزلة القرن المغالب لك فلا تحيه بإعائته
على نفسك : وأن الصبر الذى تغالب به الحزن بمنزلة السيف فلا تجعله نايًا كليلاً . أى
لا تضعه فيغلبك الحزن .

مَا كَانَ عِنْدِي أَنْ بَذَرَ الدُّجَى يُوحِشُهُ الْفَقُودُ مِنْ شُبهِ^(١)
 حَاشَاكَ أَنْ تَضَعُ عَنْ حَمَلٍ مَا
 تَحْمِلُ السَّائِرُ فِي كُتُبِهِ^(٢)
 وَقَدْ حَمَلَتِ الثَّقَلُ مِنْ قَبْلِهِ فَأَغْنَتِ الشَّدَّةُ عَنْ سَخْبِهِ^(٣)
 يَدْخُلُ صَبْرُ الرَّءِ فِي مَذْهِبِهِ وَيَدْخُلُ الْإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ^(٤)
 مِثْلُكَ يَنْبِي الْحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غُرْبِهِ^(٥)
 إِنَّمَا لِإِبْقَاءِ عَلَى فَضْلِهِ إِنَّمَا لِنَسْلِمَ إِلَى رَبِّهِ^(٦)

(١) جعله كالبدر ، وأهله وعشيرته كالنجوم حول البدر . يقول : ما كان ينبغي أن
 تتمم للفقد أحدهم لأن البدر يستغنى بنوره عن الكواكب .

(٢) أراد بالسائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفاتها . يقول : حاشاك أن تضع عن
 حمل ما أطاق حمله الرسول : أى إذا كان الرسول أطاق حمل ذكر وفاتها فأنت أشد
 إطاقة له ، قال الواحدى : وهذا فى الحقيقة ضرب من المغالطة ، وإنما أراد تسكينه
 فتوصل إلى ذلك من كل وجه :

(٣) يقول : إنك قد حمات الثقل من الأمور قبل هذا الحادث فأغثت قوتك عن
 جر ذلك الثقل — وذلك أن حامل الثقل إذا عجز عن حمله جره على الأرض ، كما قال
 عتاب بن ورقاء :

وَجَرَّهُ إِذْ كُلَّ عَنْ حَمَلِهِ وَنَفْسُهُ مِنْ حَفْظِهِ عَلَى شَفَا

واللغى : أنك صبور على تحمل الشدائد فلا تجزع عن حمل هذا الرزء .

(٤) الإشفاق : الخوف والجزع ، والتلب ، الدم — ثلثه : فمه وعابه . يقول :
 إن الصبر مما يمدح به الإنسان والجزع مما يعاب به . يريد : أن يحسن الصبر لديه ليرغب
 فيه ، ويقبح الجزع ليجتنبهه .

(٥) الصوب : القصد والناحية ؛ والغرب : مجرى الدمع . يقول : مثلك يقدر على
 صرف الحزن والتغلب عليه بالصبر إذا قصدك ؛ ومثلك يسترد الدمع عن مجراه إلى قراره .

(٦) إيماء : لئمة فى إيماء . يقول : يفعل ذلك إيماء إبقاء على فضله لئلا يضيع فضله
 بالجزع ، وإيماء لتسليم الأمر إلى الله ، ورعا وتقوى .

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلَكَ أَخْفِي بِهِ سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلَا مُشْبِهٍ^(١)

وقال في صباه يهجو القاضي الذهبي :

لَمَّا نُسِبْتَ فَكُنْتَ أَبْنَا لِفَيْرِ أَبٍ
مُمٌّ أَمْتَحِنْتَ فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَدَبٍ
سُمِّيتَ بِالذَّهَبِيِّ الْيَوْمَ تَسْمِيَةً
مُشْتَقَّةً مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ لَا الذَّهَبِ^(٢)
مُلَقَّبٌ بِكَ مَا لُقِّبْتَ وَنِكَ بِهِ
يَا أَيُّهَا اللَّقْبُ الْمُلْقَى عَلَى اللَّقَبِ^(٣)

-
- (١) يقول : لم أعن بقولي : مثلك يثنى الحزن عن صوبه — إنساناً آخر غيرك . لأنك الفرد الذي لا مثل له ، ولكن المثل قد يذكر في الكلام صلة ويراد به عين ما أضيف إليه كقوله تعالى : « ليس كمثل شيء » — يريد إنما أردت نفسك لا غيرك .
- (٢) هذا البيت جواب لما في البيت الأول . يقول : لما لم يعرف لك أب ولم يكن لك أدب تعرف به : سميت اليوم بالذهبي : أي أن هذه النسبة مستحدثة لك ليست بموروثة واشتقاقها من ذهاب العقل ، لا من الذهب : أي إنما قيل لك الذهبي لنهاب عقلك .
- (٣) ويك : هي ويملك ، حذف اللام لكسرة الاستعمال . يقول : إن الذي لقبك به هو ملقب بك : أي أنت شين وعار للقبك ، فلقبك ملق على لقب — أي على عار وخزي — قال الواحدى : ومثل هذا الكلام لا يستحسن ولا يستحق التفسير ولا يساوى الشرح ، ولو طرح أبو الطيب شعر صباه من ديوانه كان أولى به ، وأكثر الناس لم يرو هذه القطعة ولا القطعة التي أولها :

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا سريع العطب

وقال يهجو وردان بن ربيعة الطائي ، وقد كان أبو الطيب نزل به في أرض
حِصَى مُنْصَرَفَه من مصر ؛ فاستغوى وردان عبيد أبي الطيب ، فجعلوا يسرقون له
من أمتعته ؛ فلما شعر أبو الطيب بذلك ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه
وأمر الظعان فأجهزوا عليه :

لَحَا اللَّهُ وَرَدَانَا وَأَمَّا أَنْتَ بِهِ
لَهُ كَسَبُ خَنْزِيرٍ وَخَرْطُومٌ ثَعْلَبٌ^(١)
فَمَا كَانَ فِيهِ الْغَدْرُ إِلَّا دَلَالَةً
عَلَى أَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْأُمِّ وَالْأَبِ^(٢)
إِذَا كَسَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَنٍ عِزِّهِ
فَيَأْلُومَ إِنْسَانَ وَيَأْلُومَ مَكْسَبَ^(٣)
أَهَذَا اللَّذِيًّا بِنْتُ وَرَدَانَ بِنْتُهُ
هُمَا الطَّالِبَانِ الرُّزْقَ مِنْ شَرٍّ مَطْلَبٍ^(٤)

(١) الخنزير يأكل العذرة ، وكذلك بنات وردان ، وهي دويبة كريهة الريح .
تألف الأماكن العذرة في البيوت - ولاتفاق الاسمين جملة كالخنزير في أكل العذرة ،
ويريد بقوله : له خرطوم ثعلب ، أنه نأى الوجه . فوجهه خرطوم الثعلب ، وهو أنه
ولم له ؛ ولجأه الله . قبحه ولمنه .

(٢) يقول : إن غدره بي دلالة على أنه ورث الغدر من أمه وأبيه : يعنى
أنهما كانا غادرين ، والغدر موروث له . لاعتى كلاله ؛ وأحسن من هذا ما رواه
ابن جني .

* على أنه فيه من الأم بالأب *

أى أن غدره بي دلالة على أن أمه غدرت فيه بأبيه ، فجاءت به لغير رشده .

(٣) الممن : التبرج - قرفه بأنه ديوث يقود إلى امرأته ويجعل ذلك كسباً له .

(٤) يقول - تجاهلا واستهزاء - : أهذا هو الذى تنسب إليه بنت وردان -

لَقَدْ كُنْتُ أَنِنِي الْفَدَرَ عَنْ تَوْسٍ طَيِّءٍ
فَلَا تَعْدِلَانِي رَبِّ صِدْقٍ مُكْذَبٍ (١)

هذه الحشرة الحفيرة القذرة ؟ - ثم قال : هو وهي يلتمسان الرزق من شر مطلب : هي تطلبه من الحشوش - أما كن العذرة - وهو يطلبه من هن عرسه . واللذيا : تصغير الذي (٣) التوس والسوس : الأصل . يقول : لقد كنت أقول أن طيئاً لا تعذر وأن آباءهم ليسوا بخدارين ، فلا تلوماني إن قلت : إن هذا قد غدر لأنه ليس من الأصل الذي يدعى إليه من طيء . وقوله : رب صدق مكذب : يعني أنه كان صادقاً في نفي الغدر عن طيء وإن كذبه الناس لأجل وردان بادعائه أنه من طيء . يريد أنه صادق ، وأن وردان ليس من طيء .

قافية التاء

وأنفذ إليه سيف الدولة قول الشاعر :

رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا
فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ^(١)

(١) الحلة : الحاجة والفقر ، ويقال : في الدعاء للميت : اللهم اسدد خلته : أى الثمة التى ترك . وأصله من التخلل بين الشيئين . قال الأصمى : يقال للرجل إذا مات له ميت اللهم اخلف على أهله ، واسدد خلته : يراد الفرجة التى ترك بعده من الخلل الذى أبقاه فى أموره ، وفى المثل . الحلة تدعو إلى السلة ، والسلة : السرة . ورجل محل ومخل وأخل وخليل : معدم فقير ؛ قال زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبةٍ يقول لا غائب مالى ولا حرمٍ

يعنى بالخليل المحتاج الفقير المحتل الحال ، والحرم : الممنوع ، وقوله : من حيث يخفى مكانها يريد : من حيث لا يدركها لحاظ غيره ، وقد أدمج فى هذه الكلمة نزاهة نفسه وصيانة عرضه . وقوله : فكانت قذى عينيه : أبرع كلمة فى معنى الاهتمام بالحاجة ، وتجلت انكشفت وزالت ، والقذى : ما يقع فى العين من غبار ونحوه ، والبيت لعبد الله ابن الزبير الأسدى وقبله :

سأشكرُ عمرًا ما تراخت منيتي أيا دى لم تمنن وإن هى جلت

فتى غيرُ محبوبٍ الفنى عن صديقه ولا مظهرُ الشكوى إذا النمل زلت^(١)
قيل أنه زار عمرو بن عثمان بن عفان يوما ، فنظر عمرو فرأى تحت ثيابه ثوباً رثاً - وهذا هو مغزى قوله : رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فدعى وكيله وقال

(١) قوله سأشكر : فإن العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيداً ولا تريد التنفيس فيه ، ولم تمنن : لم يتبعها من ؛ وزلت نعله : يريد زلت قدمه فى مزلق الدهر فلا يجد مركباً بقيه مصرع السوء .

وسأله إجازته ، فقال أبو الطيب والرسول واقف ارتجالاً :

لَنَا مَلِكٌ لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ هُمُ تَمَاتُ لَحْيٌ أَوْ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ ^(١)
وَيَكْبُرُ أَنْ تَقْذَى بَشْيُهُ جُفُونُهُ إِذَا مَا رَأَتْهُ خَلَّةٌ بِكَ فَرَّتْ ^(٢)
جَزَى اللَّهُ عَنِّي سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ فَإِنَّ نَدَاهُ الْغَمْرَ سَتِيْفِي وَدَوْلَتِي ^(٣)

وقال في صباه عند وداعه بعض الأمراء :

أَنْصُرْ بِجُودِكَ الْفَاطِمَةَ تَرَكَتُ بِهَا

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَنْ عَادَاكَ مَكْبُوتًا ^(٤)

اقترض لنا مالا ، فقال: هيات . ما يعطينا التجار شيئاً . قال: فأربحهم ماشاءوا ، فاقترض له عشرة آلاف درهم ، فوجه بها إليه مع تحت ثياب فقال هذه الأبيات .
(١) هم : مبتدأ ، ومات : خبر ، ويطعم : يذوق . يقول : لنا ملك لا يذوق النوم ، إذ ليس بصاحب لهو ، وإنما هم الحرب والجود ؛ فميت بقتاله الأعداء ، ويعجب بنواله الأولياء .

(٢) هذا كارد على قوله : فكانت قذى عينه . يقول : هو أكبر من أن تقذه جفونه — أي يتأذى بشيء — فمضى رأته خلة فرت وزالت ولا تمكث حتى يراها ويقذى بها : أي أن صاحب الخلة متى رأى هذا الملك — سيف الدولة — استغنى بتأميله قبل أن يرى خلته ، ومن ثم كان أكبر من أن يرى شيئاً يتأذى به .

(٣) حذف مفعول جزى للتعميم : أي جزاء عن كل خير ، ونداء : أي جوده ، والغمر : الكثير ، وماء غمر : كثير مغمق ، ويقال رجل غمر الرداء وغمر الخلق : أي واسع الخلق كثير المعروف سخى ، وإن كان رداؤه صغيراً قال كثير :

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقَتْ لِمُضْحَكْتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

وكله على المثل :

(٤) مكبوتاً ذليلاً . قال الجوهري : الكبت : الصرف والإذلال . يقال : كبت الله العدو : أي صرفه وأذله ، وكبته : أي صرعه لوجهه . وفي القرآن الكريم « كتبوا كما كبت الذين من قبلهم » . وفيه أيضاً « أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » وقال الفراء : كتبوا أي غيظوا وأحزنوا يوم الحندق كما كبت من قاتل الأنبياء قبلهم . قال الأزهرى : وقال

فَقَدْ نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مَرْتَحَلِي وَذَا الْوَدَاعُ فَكُنْ أَهْلًا لِمَا شِيتَا^(١)

وقال مرتجلا يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي :

فَدَنَّاكَ الْخَلِيلُ وَهِيَ مَسُومَاتٌ وَبَيْضُ الْهِنْدِ وَهِيَ مُجَرَّدَاتٌ^(٢)

وَصَفَّتُكَ فِي قَوَافٍ سَائِرَاتٍ وَقَدْ بَقِيَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ صِفَاتٌ^(٣)

أَفَاعِيلُ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ دُهُمٌ وَفِعْلُكَ فِي فِعَالِهِمْ شِيَاتٌ^(٤)

من احتج للفراء : أصل الكبت : الكبد ، قلبت الدال تاء — أخذاً من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد — فكأن الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها. ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . يقول : انصر بعباياك قصائدني التي مدحتك بها والتي غاظت أعداءك في الشرق والغرب حتى تركتهم أذلاء . ومن نصره إياها أن يصدقها فيما وصفه به من الجود ويعطيه حتى يزيده منها .

(١) نظرتك : أي انتظرتك ؛ والمرتحل : الارتحال . يقول : لقد انتظرت عطاءك حتى قرب ارتحالي عنك ، وهذا وقت وداعي إياك فاختر : إما أن تجود فتكون أهلاً للمدح ، أو تمنع وتحمي فتكون أهلاً للذم . وهذا كقول أحمد بن أبي فنن :

حَانَ الرَّحِيلُ فَقَدْ أَوْلَيْنَا حَسَنًا وَالْآنَ أَخْذُوجُ مَا كُنَّا إِلَى زَادٍ

(٢) مسومات : معلمات بعلامات تعرف بها . يقول : فدتك الخيل والسيوف في

الحرب حتى تفنى هي وتبقى أنت ، إذ يبق الخيل لنا ما بقيت .

(٣) فاعل كثرت : ضمير انقوافي ، وفاعل بقيت : صفات . يقول : لقد وصلتك

بقصائد كثيرة ، يد أنه — مع كثرتها — بقيت صفات لك لم أحط بها .

(٤) أفاعيل : جمع أفعال ، جمع فعل ، والدم : السود ، والشيات : جمع شية ،

وهي لون يخالف بقية لون الجلد كالغرة والتحجيل . يقول : إن أفعال الناس

من قبلك سود بالقياس إلى فعلك ، وفعلك متميز منها تميز الشية من اللون الأسود :

أو هي — أفعالهم — تزين بفعلك تزين الأدم بالغرة والتحجيل — كمال يقول

أبو تمام :

قَوْمٌ إِذَا اسْوَدَّ الزَّمَانُ تَوَضَّحُوا فِيهِ وَغُودِرَ وَهْوَ مِنْهُمْ أَبْلَقُ

وقال يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران :

سِرْبٌ مُحَاسِنُهُ حُرْمَتُ ذَوَاتِهَا ذَانِي الصِّفَاتِ بَعِيدُ مَوْصُوفَاتِهَا^(١)
أَوْفَى فَكُنْتُ إِذَا رَمَيْتُ بِمُقَلَّتِي بَشْرًا رَأَيْتُ أَرْقَى مِنْ عِبْرَاتِهَا^(٢)
يَسْتَأْقُ عَيْسَهُمْ أَنِ بِنِي خَلْفَهَا تَتَوَهَّمُ الزَّفَرَاتِ زَجَرَ حُدَاتِهَا^(٣)
وَكَانَهَا شَجَرٌ بَدَتْ لِكِنُّهَا شَجَرٌ جَنَيْتُ الْمَوْتَ مِنْ ثَمَرَاتِهَا^(٤)

ومعنى البيت من قول أبي تمام أيضاً :

حتى لو أن الليالي صُوِّرَتْ لَفَدَتْ أفعاله الغرُّ في آذَانِهَا شَفَا^(١)

(١) السرب : القطيع من الظباء والقطا وما إليهما ، والمراد هنا : جماعة النساء ، وسرب : خبر مبتدأ محذوف : أى الذى اشتاقه أو أصفه مثلا ، وذواتها : صواحبها . يقول : إن هذا السرب قد حرمت رباه محاسنه لما حيل بينى وبينهن ، وهو قريب الصفات لأن صفاته — أى محاسنه — لا تزال نصب عيني وطى ذكر منى ، ولكن الموصوفات بهذه الصفات — أى أشخاص النساء — بعيدة عني .

(٢) أوفى : أى السرب : أى أشرف ، والبشر : جمع بشرة . وهى ظاهر الجلد . يقول : إن هذا السرب أشرف على — لما سار — من مكان عال ، أو علا هوادجه للمسير ، فكان بصرى إذا وقع على بشرته رأى شيئا أرق والطف من دموع القفلة ، ولك أن تجعل الضمير فى عبراتها : للبشر . ويراد بالعبرات : العرق الذى يسيل من البشرة ، ويكون المراد أنهم عرقن من الجهد والإعياء ، وروى الخوارزمى : نشزا ، وهو ما ارتفع من الأرض . يقول : إذا نظرت إلى النشز الذى أوفى عليه السرب رأيتَه لطول البعد كأنه سراب ؛ والسراب أرق من العبرات . ويكون الضمير للمقلة .

(٣) يستاق : يسوق . والعيس : الإبل ، والحداد الذين يسوقون الإبل . يقول : إن الإبل كانت تسمع أنينى خلفها فتسرع فى سيرها لأنها تظن زفرائى أصوات الحدادة تزجرها لتسرع ، فسائقها — على الحقيقة — أنينى وزفرائى .

(٤) العرب تشبه الإبل عليها هوادجها بالنخل والشجر والسفن .

(١) الشنف كفلس — وحرکه ضرورة — ما يعلق فى أعلى الأذن

لَا سِرَتْ مِنْ إِبْلِ لَوَائِي قَوْفَهَا لَمَحَتْ حَرَارَةُ مَذْمَعِي سِمَاتِهَا^(١)
وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ هَذِي الْمَا وَحَمَلْتُ مَا حَمَلْتُ مِنْ حَسَرَاتِهَا^(٢)
إِنِّي عَلَى شَفْنِي بِمَا فِي خُرْمَا لَأَعِفُّ عَمَّا فِي سَرَاوِيلَاتِهَا^(٣)

يقول : كأن هذه الإبل شجر ، يد أني جنب الموت من ثمراتها ، لأنها كانت سبب فراق أحبه ، وروى ابن جني : بلوت للرم من ثمراتها . وبلوت : اختبرت وذقت وهذا من قول أبي نواس :

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلُوتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ

(١) لا سرت : دعاء ، ومن إبل . تميز : وقوله لمحت : من الهو : واللام : جواب لو . والمدامع في الأصل : مجرى الدمع من العين ، والمراد بها هنا : الدموع والسبات : جمع سمة ، وهي أثر الكي على الجلد . يدعو على الإبل أن لا تسير لأنها فرقت بينه وبين من يحب ، ثم قال : ولو كنت من ركاب هذه الإبل لكأنت حرارة دمي تمحو آثار وسمها ، وقوله : لو أني : حرك الواو الساكنة من لو بحركة الهمزة وحذفها وهو كثير مستعمل في كلامهم .

(٢) الما : بقر الوحش ، والمراد : النساء للشبهات بالمها لحسن عيونهن . وهذا دعاء أيضاً . يدعو أن يكون حاملاً ما حملته هذه الإبل من الجائب ، وأن تحمل الإبل ما حملته هو من حسرات فراقهن .

(٣) الخمر : جمع خمار . وهو ما تغطي به المرأة رأسها ، والسراويلات : جمع سراويل ، فارسي معرب ، وهو ذلك اللباس الذي يستر النصف الأسفل من الجسم . وقال سيويه : سراويل واحدة ، وهي أعجمية عربية ، فأشبهت من كلامهم ما لا ينصرف في معرفة ولا نكرة ، فهي مصروفة في النكرة ، وإن سميت بها رجلا لم تصرفها ، وكذلك إن حققتها اسم رجل ، لأنها مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف مثل عناق ومن النحويين من لا يصرفها في النكرة . ويزعم أنها جمع سراويل وسروالة ، وينشد :

عليه من اللؤم سروالة فليس يرق لمستعطف^(١)

(١) قيل : إن هذا البيت مصنوع وقيل قائله مجهول : قال السيرافي : سروالة : لغة في السراويل . وقوله من اللؤم : كان في الأصل صفة لسروالة . فلما قدم عليه صار حالاً منه واللؤم : شح النفس ودناءة الآباء .

وَتَرَى الْفُتُوَّةَ وَالْمُرُوَّةَ وَالْأُبُوَّةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَاتِهَا^(١)

ويجتمع في ترك صرفه بقول ابن مقبل يصف اثور الوحشي :

أَتَى دُونَهَا ذَبُّ الرِّيَادِ كَأَنَّهُ فَتَى فَارِسِيٍّ فِي سِرَاوِيلَ رَامِحٍ^(٢)

قال صاحب ابن عباد : كان الشعراء يصفون للآزر تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ؛ حتى تغطي هذا الشاعر للطبوع . . . إلى التصريح . . . وكثير من العهر عندى أحسن من هذا العفاف . قال بعضهم : هذا مما عابه الأصحاب على المتنبي . . . ، وإنما قال المتنبي عما في سرايلاتها ؛ جمع سربال ، وهو القميص ، وكذا رواه الخوارزمي . يريد المتنبي : إن مع حي لو جهن أعف عن أبدانهم ، ومثله لنفطويه — أحد أئمة النحو وتليذ ثلث — :

أَهْوَى النِّسَاءَ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهَا . . . وليس لي في خَنَا مَا بَيْنَنَا وَمَا سَرُّهُ
وَمَا أَرُوعُ قَوْلِ الْبَاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

لَا يُضْمِرُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفُّ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسَقُ النَّظَرِ

(١) كل مليحة : فاعل ترى ، والفتوة وما عطف عليها : مفعول أول ترى ؛ وضراتها : مفعول ثان . والفتوة : الكرم والسخاء ، والروة والمروة الإنسانية ، والأبوة هنا الأئمة وعزة النفس والأبوة أيضاً : الآباء — مثل العمومة والحوولة — وكان الأصمعي يروي قول أبي ذؤيب :

لَوْ كَانَ مِدْحَةٌ حَتَّى أَنْشَرْتُ أَحَدًا أَحَبُّ أَبَوَتِكَ الشَّمِ الْأَمَادِيحِ
وغيره يرويه .

• أَحْيَا أَبَا كُن بِالْمِلَى الْأَمَادِيحِ

يقول : إن هذه المعاني تحول بينه وبين الخلوة بالحسان فكأنها ضرائر لمن ، وقد زاد ذلك تبياناً في البيت التالي .

(٢) الضمير في دونها : لأتاه ، ودون : بمعنى قدام ؛ وذب الرياد : اثور الوحشي :

قال القالي : يقال فلان ذب إذا كان لا يستقر في موضع ؛ ومنه قيل للثور الوحشي : ذب الرياد . شبه الشاعر ما على قوائم اثور الوحشي من الشعر بالسراويل — وهو من لباس الفرس — ولذا شبهه بفتى فارسي أو شبه قرنه بالرمح ، ولذا قال رامح .

هُنَّ الثَّلَاثُ الْمَانِمَاتِي لَدِّي فِي خَلَوَتِي لَا انْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا ^(١)
وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا ثَبَتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتِهَا ^(٢)
وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتَ وَخَشِي كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا ^(٣)
أَقْبَلْتُهَا غَرَرَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا ^(٤)
الْثَّابِتِينَ فَرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّمَنُ فِي لَبَاتِهَا ^(٥)

(١) يقول : إن الفتوة وما بعدها هي التي تكفه عن لذاته في خلوته لاخوفه من عواقب هذه اللذة : يعنى أنه لو لم يكن للذة عواقب آتمة يخشها لاجتنبها بما طبع عليه من الفتوة والروءة والأنتة . قال المكبرى : وهذا من قول الحكيم : النفوس المتجوهرة تترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً أقول : وفيه شيخ المرة إذ يقول : - وإن كان أعظم ولتفعل النفس الجميل لأنه خير وأفضل لأجل ثوابها

(٢) الواو : واو رب ، والجنان القلب . يقول : رب مطالب فيها الهلاك أتيتها وقلبي هو هو على حاله لم يتغير كأنني لم آتيتها ولم أر أهوالها . يصف نفسه بالشجاعة ورباطة الجأش وأنه لا يبالى بالأخطار .

(٣) المقانب : جمع مقنب - الطائفة من الخيل تجتمع للفرار ، وغادرتها : تركتها ، وأقوات : مفعول ثان لغادرتها . يقول : ورب جيش من الفرسان لقيته بمثله من صحبي فتركته قوتاً للوحوش التي كانت قوتاً له ، يصيدها ويذبحها ويأكلها ، وجمع الوحش على عادة العرب في أكلهم مادب ودرج .

(٤) أقبلتها : أى المقانب التي أهلكها : يقال أقبلته الشيء : أى وجهته إليه وجعلته قبالة مما يليه ، والغرر : جمع غرة ، وهى البياض يكون في وجه الفرس ، والأيدى هنا النعم . شبه بياض غرر خيله بنعم الممدوحين ، ويد النعمة توصف بالبياض مجازاً . وقد جرت العادة في جمع يد النعمة بالأيدى وفي يد العضو بالأيدى ، ولكن التنبي وضع هذه مكان تلك في موضعين : أحدهما هذا البيت . . . وقال ابن القطاع - في قوله أقبلتها غرر الجياد : جعلتها تقبل غرر جيادها التي أوصلتهم إلى أعدائهم وشفّت صدورهم منهم كأنها أيدى بنى عمران للمعادة الثقيل ، ويقال أقبلت الرجل يد فلان : أى جعلته يقبلها . وفي البيت من البديع حسن التخلص كما ترى .

(٥) يصفهم بالإقدام والشجاعة والحدق بركوب الخيل ، يقول : إنهم يثبتون في ظهور الخيل ثبات جلودها عليها حال كونهم في معمرة الحرب والطمعن متابع في لباتها ،

الْعَارِفِينَ بِهَا كَمَا عَرَفْتَهُمْ وَالرَّاكِبِينَ جُدُودَهُمْ أُمَاتِهَا^(١)
فَكَأَنَّمَا تُنْجَتُ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا^(٢)

وفروسة أى — أى حذقا — تمييز ، والتابطين : فى موضع خفض على النعت أو البدل من بنى عمران ، ويجوز أن يكون فى موضع نصب على المدح ؛ ومن روى والطعن — بالرفع — فالواو واو الحال ، ومن رواه بالخفض فمعناه يثبتون فى ظهورها ثبوت الطمن ؛ والتقدير: كجلودها كالطمن : واللبات جمع لبة ، وهى النحر .

(١) كان الوجه أن يقول والراكب جدودهم أماتها : أى والذين ركب جدودهم أماتها ، إلا أن هذا على لغة من يقول : قاموا إخوتك وذها أخواك ، والأمات : جمع أم لما لا يقل ، وتجمع للعائل أمهات ، هذا هو الغالب ، ويجوز العكس . قال الواحدى : **والذى يذكره الناس فى معنى البيت أن هذه الخيل تعرفهم وهم يعرفونها ، لأنها من تتأبجهم تناسلت عندهم ، فجدود المدوحين كانوا يركبون أمهات هذه الخيل ؛ وسباق الأبيات قبله يدل على أنه يصف خيل نفسه لاخليل المدوحين بنى عمران — وهو قوله : أقبلتها غرر الجياد — وإذا كان كذلك لم يستقم هذا المعنى ، إلا أن يدعى مدع أنه قاتل على خيل المدوحين فإنهم يقودون الخيل إلى الشعراء . قال ابن فورجه : **والذى عندى أنه يصف معرفتهم بالخيول ولا يعرفها إلا من طال مراقبته لها ، والخيول تعرفهم أيضاً لأنهم فرسان . هذا كلامه . ولم يوضح ما وقع به الإشكال ، وإنما يزول الإشكال بأن يقال الجياد اسم جنس فى قوله : غرر الجياد أراد جياد نفسه ، وفيما بعده أراد جياد المدوحين . والجياد تم الخيلين جميعاً . وقوله : والراكبين جدودهم أماتها : يريد أن جدودهم كانوا من ركاب الخيل ، يعنى أنهم عريقون فى الفروسية طالما ركبو الخيل ، فهذه الخيل مما ركب جدودهم أمهاتها . ويشبه هذا قول شيخ المعرة :****

يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرفُ العربُ زجر الشاء والعكر
« العكر : جمع عكرة : القطعة من الإبل : أى أنهم ملوك ما اعتادوا إلا ركوب الخيل وزجرها ولم يكونوا رعاة شاء وإبل . »

(١) **هجت** = بالباء للمجهول — ولدت ، قال الأزهري: يقال تنجت الناقة إذا ولدت فى متوجة ؛ وأتجت إذا حملت ، فهى تتوج ، ولا يقال متج ، وتنجت الناقة : إذا ولدتها ؛ والناجم للإبل كالقابلة للنساء ، وعبرة الجوهرى فى الصحاح : تنجت الناقة على

إِنَّ الْكِرَامَ يَلَا كِرَامَ مِنْهُمْ مِثْلُ الْقُلُوبِ يَلَا سُوَيْدَاوَاتِهَا^(١)
تِلْكَ النَّفُوسُ النَّالِيَاتُ عَلَى الْعَلَى وَالْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا^(٢)
سَقَيْتُ مَنَابِتَهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى يَبْدَى أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا^(٣)

مالم يسم فاعله تنتج ، وقد تنجها أهلها : تنجا . قال الكميّ :

وقال المذمّرُ لِلنَّاسِ مَتَى ذُمِّرْتَ قَبْلِي الْأَرْجُلُ^(١)

والتّوج من الحيل وجميع الحافر الحامل ، وقد أُنْتُج . وبمعهم يقول : تُنتج ، وهو قليل ؛ أما ابن الأعرابي فقد قال تُنتج الفرس والناقة : ولدت وأُنْتُج : دنا ولادها ، كلاهما فعل مالم يسم فاعله - ولم أسمع تُنتج ولا أُنتج على صيغة فعل الفاعل . . والصهوة : مقعد الفارس . يقول : كأن الحيل ولدت تحتهم قائمة مستعدة للجري ؛ وكأنهم ولدوا راكبين على ظهورها يصفهم بطول إلفهم للفروسية وطول مراسهم ركوب الحيل .

(١) السويداوات جمع سويداء - حبة القلب - يقول . إن الكرام من الحيل إذا لم يكن عليها فرسان من هؤلاء المدوحين كالقلب دون سوداء . وقال بعض الشراح : يعنى أنهم زبدة الكرم ولبابه . فهم من الكرام بمنزلة السويداء من القلب .

(٢) يقول : إنهم يغلبون الناس على العلى فيحرزونها دونهم ، والمجد يغلبهم على شهواتهم ؛ فلا يمكنهم من الشهوات المركبة في بني آدم خشية العيب والشين .

(٣) أراد منابت هذه النفوس : آباء المدوحين ، وجعل أبا أيوب أكرم نبات تلك للنبات : يعنى أن نفسه أشرف هذه النفوس . ولما جعلهم منابت أثبت لهم السقيا التي تحيي الأرض ، وجعل النبات يسقى للنبات على عكس العادة تفننا وإغرابا في الصنعة . يقول : إن آباء المدوحين الذين أحيوا الناس بمجودهم قد حي مجدهم بمجود هذا المدوح الذي هو خير أبنائهم . وروى بدل يبدى : بندى - بالنون - وعبرة ابن جني : لا أزال لله ظله عن أهله وذويه . قال ابن فورجه : ليس الغرض أن يدعو لقومه بدوام إفضاله عليهم ، ولكن الغرض تعظيم شأنه وعظاته .

(١) المذمّر : الذي يدخل يده في حياء الناقة لينظر أذكر جنينها أم أنثى ؟ متى بذلك لأنه تلمس المذمّر فيعرف ما هو . والمذمّر : هو الكاهل والصق وما حوله إلى الذفرى . وهو الذي يذمره المذمّر . يقول الكميّ : إن التذمير إنما هو في الأعناق لا في الأرجل .

لَيْسَ التَّعَجُّبُ مِنْ مَوَاقِبِ مَالِهِ بَلْ مِنْ سَلَامَتِهَا إِلَى أَوْقَاتِهَا^(١)
عَجَبًا لَهُ حِفْظُ الْعِنَانِ بِأَتَمِّ مَا حِفْظُهَا الْأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِهَا^(٢)
لَوْ مَرَّ بِرَكْضٍ فِي سَطُورِ كِتَابَةٍ أَخَصَى بِحَافِرِ مُنْهَرِهِ مِجَابَاتِهَا^(٣)
يَضَعُ السَّنَانَ بِحَيْثُ شَاءَ مُجَاوِلًا حَقِّي مِنَ الْأَذَانِ فِي أَخْرَاسِهَا^(٤)
تَكْبُورًا وَرَاءَكَ يَا ابْنَ أَحَدٍ قُرْحُ
لَيْسَتْ قَوَائِمُهُنَّ مِنْ آلَاتِهَا^(٥)

- (١) يقول : لسا تعجب من كثرة عطاياه وواهيه ، وإنما تعجب كيف سلت أمواله من بذله وتفرقه إلى وقت بذلها ؟ إذ ليس من عادته أن يسك شيئاً .
(٢) العنان . سير اللجام ، وروى : حفظ العنان : بإضافة حفظ إلى العنان ، والبيت في معنى البيت السابق : يتعجب منه كيف حفظ العنان بأتم ما عاداتها أن تحفظ الأشياء ؟ يريد أنه شعاع يكثر ركوب الخيل في الحرب ، وأنه جواد معطاء .
(٣) يصفه بالفروسية ، وأن فرسه يطاوعه في جميع حركاته ، فلا يضع حافره إلا حيث أراد ؛ وخص الميم لأنها أشبه بالحافر من سائر حروف المعجم .
(٤) مجاولاً : من الجولان ، وروى محاولاً : من المحاولة . وهي الطلب والأخوات : جمع خرت ، وهو الثقب . يقول : إنه من الخدق في الطمن بحيث يضع رجمه في ثقب الأذن متى أراد .

(٥) القرع : جمع القارخ من الخيل ، وهو ما أتى عليه خمس سنين ، وهو إذ ذاك يكون في جن نشاطه وقوته . والضمير في آلاتها : يعود إلى القرع : أي أن قوائمه لا تصلح أن تكون آلات لها في لحاقك ، وهذا مثل . يقول : إنك سبقت الناس في المكارم ، فإذا أراد غولهم وكبارهم اللحاق بك كبت وسقطت وراءك ولم تستطع اللحاق بك لصعوبة مسالكك . ولك أن ترجع الضمير - من آلاتها - إلى وراء ، وهي مؤنثة أي ليست قوائمه من آلات الجرى وراءك . وإليك عبارات الشراح ، قال ابن جنى : لو تبعتك هذه القرع لكبت وراءك ولم تحملها قوائمه لصعوبة مسالكك . وقال الواحدي : يجوز أن تكون الهاء عائدة إلى القرع : أي أنها إذا تبعتك لم تعنها قوائمه فليست من آلاتها ، وهذا مثل ، يريد أن الكبار والفحول إذا راموا لحاقك في مدى الكرم : عثروا وكبوا ولم يلحقوك ، والمعنى أن سبيلك في العلى يخفى على من تبعتك فيعثر وإن

(٢٣ - التني ١)

رَعَدُ الْفَوَارسِ مِنْكَ فِي أَبْدَانِهَا أَجْرَى مِنَ الْعَسَلَانِ فِي قَنَوَاتِهَا^(١)
لَا خَلْقَ أَنْتُمْحُ مِنْكَ إِلَّا عَارِفٌ
بِكَ رَأَى نَفْسَكَ لَمْ يَقُلْ لَكَ هَاتِيهَا^(٢)

كان قويا كالقارح من الخيل . وقال ابن القطاع : المعنى ليست قوائم هذه الخيل من الآلات وراءك : أى ليست مما يكون خلفك فتطردك .

(١) الرعد : جمع رعدة ، والعسلان : الاهتزاز والاضطراب ؛ والقنوات - جمع قناة - الرمح . يقول : إن الارتعاد في أبدان الفرسان من جراء خوفك أظهر وأسرع جريا من الاهتزاز في رماحهم .

(٢) راء : مقلوب رأى ، كما قالوا : ناء ونأى . يقول ليس أحد أسمع منك إلا من كان عارفا بك وبما طبعك الله عليه من الكرم والجود ثم رآك ولم يسألك أن تهبه نفسك ، إذ لو سألك إياها لجدت بها ، فكان تركها لك جودا عليك بها ، وهذا من قول أبى تمام :

ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتيق الله سائله

وإليك تحفة نغمية للعلامة العكبرى أوردها مناسبة قول المتنبي : لا خلق : قال العكبرى : ذهب البصريون إلى النكرة التى مع لا مبنية على الفتح كقولك لا رجل فى الدار ، وتقديره : لا من رجل ، فلما حذف «من» من اللفظ وركبت مع لا : تضمنت معنى الحرف ، فوجب أن يبنى ، وبنيت على حركة لأن لها حالة تمكن قبل البناء ، وبنيت على الفتح لأنه أخف الحركات . وذهب أصحابنا إلى أنها نكرة معربة منصوبة بلا ، وحجتنا أنه اكتفى بها عن الفعل ، لأن التقدير فى قولك : لا رجل فى الدار ، أى لا أجد رجلا ، فاكثفوا بلا : من الفعل العامل ، كقولك : إن قمت قمت وإلا فلا ؛ تقديره وإن لم تقم فلا أقوم ؛ فلما اكتفوا بلا من الفعل العامل : نصبوا النكرة به ، وحذفوا التنوين بناء على الإضافة ، ووجه آخر : أن «لا» تكون بمعنى غير : كقولك زيد لا عاقل ولا جاهل : أى غير عاقل وغير جاهل ، فلما جاءت هنا بمعنى ليس نصبوا بها ليخرجوها من معنى «غير» إلى معنى «ليس» ووجه آخر : إنما أعملوها النصب لأنهم لما أولوها بالنكرة - ومن شأن النكرة أن يكون خبرها قبلها ، نصبوا بها من غير تنوين لما حدث فيها من التغير . كما رفعوا النادى بغير تنوين لما حدث فيه من التغير . . . ويقال : هات يا رجل ، بكسر التاء أى

غَلَتِ الَّذِي حَسَبَ الْعُشُورَ بِآيَةٍ تَرْتِيلُكَ الشُّورَاتِ مِنْ آيَاتِهَا^(١)
 كَرَّمٌ تَبَيَّنَ فِي كَلَامِكَ مَائِلًا
 وَبَيَّنَ عِتْقُ الْخَيْلِ فِي أَصْوَاتِهَا^(٢)
 أَغْيَا زَوَالُكَ عَنْ مَحَلِّ نِلْتَهُ
 لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا^(٣)

أعطى ، وللاثنين هاتيا : مثل آتيا ، وللجمع هاتوا ، وللرأهاتيا بالياء وللرأتين هاتيا وللنساء هاتين مثل عاطين . وتقول هات لا هاتيت وهات ، إن كانت بك مهاتاة ، وما أهاتيك . كما تقول ما أعاطيك ، ولا يقال منه هاتيت ولا ينهى بها . وقال الخليل : أصل هات من آتى يؤاتى . قلبت الألف هاء .

(١) غلت : هو غلظ ، يقال فى الحساب خاصة . والعشور : جمع عشر - بفتح العين - الطائفة المعروفة من القرآن الكريم تقرأ مرة واحدة . والترتيل : التبيين فى القراءة وبآية : متعلق بملت ؛ وترتيلك : مبتدأ ؛ ومن آياتها : خبره ؛ والجملة استئنافية . يقول إن الذى عد أعشار القرآن قد غلظ وفاته آية لم يعدها ، وهى ترتيلك للسرور ، فإن هذا الترتيل معجزة فى الإتقان وحسن الأداء : فهو آية من الآيات ينبى أن تلحق بآيات التنزيل فيزيد آية إلى آياته ، ومعجزة إلى معجزاته .

(٢) مائلا : ظاهرا ؛ والعنق : الكرم ؛ وعنتت الفرس تعنق وعنتت عتقا : سبقت الخيل فنجت ، وفرس عاتق : سابق ، ورجل متاق الوسيقة إذا طرد طريدة سبق بها وأنجأها ، وفرس متاق الوسيقة . قال الأصمى : وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجأها وسبق بها . قال أبو المثلث يرثى صخرا :

حامي الحقيقة نسال الوديقة معتاق الوسيقة لانكس ولا واني

« الوسيقة : القطيع من الإبل يطردها الطارد » يقول : من سمع كلامك عرف منه كرمك وطيب عنصرك ، كما أن الفرس الكريم إذا سهل عرف عتقه بصيله . وإنما يعرف كرمه من كلامه ؛ لأن كلامه يدور على أمر بالعطاء ووعد بالإحسان وما إلى ذلك مما يدل على طيب أعراقه ومحاسن أخلاقه .

(٣) أعيا الشيء : أعجز طالبه . والهالة ، الدائرة حول القمر . يقول : لقد بلغت مكانا عليا من المجد والشرف ، فأنت فيه كالقمر فى علو المنزلة وهولك كالهالة . فلست تزايله ،

لَا نَعْذُلُ الْمَرَضَ الَّذِي بِكَ شَائِقٌ
 أَنْتَ الرَّجَالُ وَشَائِقٌ عِلَاتُهَا^(١)
 فَإِذَا نَوَتْ سَفَرًا إِلَيْكَ سَبَقَتْهَا فَأَصَفْتَ قَبْلَ مُضَافِهَا حَالَاتِهَا^(٢)
 وَمَنَازِلُ الْحُمَى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا مَا عُذِرْهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا^(٣)
 أَعْجَبَتْهَا شَرَفًا فَطَالَ وَقُوفُهَا لِتَأْمُلِ الْأَغْضَاءَ لَا لِأَذَاتِهَا^(٤)

كما أن القمر لا يزال هائله . قال النراج : وجمع القمر - وإن كان في المعنى واحداً - باعتبار ظهوره في كل شهر ، فحسن الجمع .

(١) شاقه : حمله على الشوق، وشائق : خبر مقدم ، وأنت : مبتدأ مؤخر ، والرجال مفعول شائق ، والتقدير : أنت شائق الرجال وعلاقتها . يقول : لأنوم المرض الذي ألم بك ، لأنك أنت تشوق الرجال وتشوق علاقتها : يعنى أن المرض الذي بك لا يلام على إسمائه بك . فإنك شوقت الرجال إلى زيارتك وشوقت علاقتها أيضاً ، فهي تزورك مثلهم وتنقل إليك عنهم شوقاً إليك . قال العكبري : وقد كان المدوح مريضاً حين مدحه المتعجب بهذه القصيدة .

(٢) المضاف : مصدر بمعنى الإضافة : يقول : إذا نوت الرجال السفر إليك سبقتها علاقتها فجاءت قبلها شوقاً فأصفت حالات الرجال - أى علاقتها المذكورة - قبل أن تضيفهم ، لأنها وصلت إليك قبلهم . ويروى بدل سبقتها - بالنون - سبقتها - بالياء - يعنى إذا أراد الرجال سفراً إليك : سبقتها بإضافة أحوالها قبل إضافتك إياها : يريد إقامة العذر للمرض الذي نزل به . وقال ابن القطاع : معناه إذا نوت الرجال سفراً إليك أعددت لها أموراً ، فكأنك ضيفت أحوالها قبل نزولها بك .

(٣) خيراتها . جمع خيرة مؤنث خير أى أفضل ، والضمير للجسوم . يقول : إن الحمى إنما تنزل على الأجسام ، فإذا تركت جسمك - الذى هو أفضل الأجسام - وألمت بغيره فما عذرهما في ذلك ؟ «هذا» ويقال حمى وحمى . قال الضباب بن سبيع لعمرى لقد برّ الصَّبَابُ بنوهُ و بعض البنين حَمَّةٌ وسُعَالُ

(٤) يقول : لقد أعجبت الحمى بما رأيت فيك من خصال الكرم والشرف فأطالت إقامتها بك لتأمل أعضائك المشتملة على تلك الخصال ، لا لتؤذيك . والأداة : مصدر

- وَبَذَلَتْ مَا عَشِقْتُهُ نَفْسُكَ كُلَّهُ حَتَّى بَذَلَتْ لِهَذِهِ صِحَّتَهَا^(١)
 حَقُّ الْكُؤَاكِبِ أَنْ تَزُورَكَ مِنْ عَلٍ
 وَتَقُودَكَ الْأَسَادُ مِنْ غَائِبَاتِهَا^(٢)
 وَالْجِنُّ مِنْ سُرَاتِهَا وَالْوَحْشُ مِنْ فُلُوتِهَا وَالطَّيْرُ مِنْ وَكُنَاتِهَا^(٣)
 ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً
 كُنْتُ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أُنْبِيَائِهَا^(٤)
 فِي النَّاسِ أَمْثَلُهُ تَدُورُ حَيَاتُهَا كَمَا تَهَا وَمَمَاتُهَا كَحَيَاتِهَا^(٥)

أذى ، فتكون من إضافة المصدر إلى فاعله : أى لتأمل الأعضاء لا لتأذى بها الأعضاء .

(١) لهذه : أى للحمى ، والضمير فى صحتها للنفس . يقول : إنك بذلت كل ما أحبته نفسك ، حتى بذلت لهذه الحمى صحتك . يريد أنه جواد يجود بكل شيء بحبه .

(٢) من عل : من فوق . يقول : حق الكواكب أن تزورك عائدة لك لأنها شريكتك فى العلو ، وكذلك الأساد لأنها تشبهك فى الشجاعة .

(٣) والجن : عطف على الأساد . يقول : إن جميع هذه الأجناس تتألم لعلتك ، لعموم نفعك ، فلو قدرت على عيادتك لجاءت إليك عائدة . والسترات : جمع سترة ، والوكنات : جمع وكنة ، عش الطائر . زاد الجوهري فى جبل أو جدار : والوكر مثله ، وقال الأصمى : الوكنة والوكن : مأوى الطائر فى عش ، والوكر - بالراء - ما كان فى غير عش . وقال أبو عمرو ابن العلاء : الوكنة والأكنة - بالضم - مواقع الطير حيثما وقعت على حائط أو عود أو شجر ؛ وتوكن : تمكن ، ووكن انطائر : دخل فى الوكن ووكن يفضه : حضنه .

(٤) يقول : قد استأثرت - دون سائر الناس - بالنائب والمحمد . فكنت منهم بمنزلة البيت البديع البشكر الفرد من القصيدة .

(٥) أمثلة : جمع مثال - أى صور ، وتدور صفة لأمثلة . وحياتها : مبتدأ . وكماتها : خبره . يقول : إنهم أشباه الناس وليسوا بناس فى الحقيقة تدور بين الوجود والعدم ، وحياتها كماتها : فى أنه لا غناء فيها ولا نفع ، ومماتها كحياتها : فى عدم اللبالة به .

هَبْتُ النِّكَاحَ حِذَارَ نَسْلِ مِثْلِهَا
 حَتَّى وَفَرْتُ عَلَى النِّسَاءِ بَنَاتِهَا^(١)
 فَالْيَوْمَ صِرْتُ إِلَى الَّذِي لَوْ أَنَّهُ
 مَلَكَ الْبَرِيَّةِ لَأَسْتَقَلَّ هِبَاتِهَا^(٢)
 مُسْتَرْخَصٌ نَظَرُ إِلَيْهِ بِمَا بِهِ
 نَظَرْتُ وَعَثْرَةُ رِجْلِهِ بِدِيَاتِهَا^(٣)

-
- (١) يقول : خفت - إن تزوجت - أن يكون لى نسل مثل هذه الأمثلة ، فتركت البنات موفورة على الأمهات ، لم أزوج واحدة منهن .
- (٢) يقول : لو كانت الخليقة ملكاً له ثم وهبها لاستقل ذلك بالقياس إلى كرمه . ومن روى وهب البرية : كان المعنى أنه لو عم البرايا بالهبات لاستقلها . والبرية : الخلق تقول : براه الله يبروه بروا أى خلقه . ويجمع على البرايا والبريات : من البرى . وهو التراب . هذا . إذا لم يهمز ، ومن ذهب إلى أن أصله الهمز : أخذه من برا الله الخلق يبرؤهم : أى خلقهم ، ثم ترك فيها الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .
- (٣) نظر : مبتدأ مؤخر ؛ ومسترخص ، خبره مقدم ولك أن تجعل مسترخص خبر مبتدأ محذوف ، ونظر فاعل مسترخص وعثرة رجله : روى بدلها غير رجله : أى غبار رجله . والديات : جمع دية عن دم القتل . يقول : لو اشترت البرية نظرها إليه بأعينها التى بها لكان رخيصةً ولو فدت عثرة رجله بمثل أثمان دياتها لكان ذلك رخيصةً أيضاً : أى أن دية عثرته أكثر من ديات الخلائق .

قافية الجيم

وقال يمدح سيف الدولة ، وقد صف الجيش في منزل يعرف بالسنبوس وركب
قاصداً سمندو :

لَهَذَا الْيَوْمِ بَعْدَ غَدٍ أَرِيحُ وَنَارٌ فِي الْعَدُوِّ لَهَا أُجِيجُ^(١)
تَبَيَّتْ بِهَا الْحَوَاصِنُ آمِنَاتٍ وَتَسَلَّمُ فِي مَسَالِكِهَا الْحَجِيجُ^(٢)

(١) الأريح : الرائحة الطيبة ؛ والأجيج اشتعال النار وتلهبها : أجت النار توج
وتنج أجيجا. وكذلك اتبعت : على افتملت ، وتأججت ؛ وقد أججها تأججاً ، وأجج
بينهم الشر أوقده ؛ والأجوج : المضيء . قاله ابن العلاء ، وأنشد لأبي ذؤيب يصف برقاً :

يُضِيءُ سَنَاهُ رَاتِقًا مُتَكَشَفًا أَغَرَ كِمِصْبَاحِ الْيَهُودِ أَجُوجُ^(١)

يقول : سيكون لهذا اليوم — الذي سرت فيه للحرب — أنباء طيبة تسر الأولياء ،
ونار حرب يضطرم لهيبها على الأعداء ، وعبرة ابن جني : يأتي خبر طيب يسر المسلمين
ويسوء المشركين .

(٢) الحواصن : العقيقات ؛ وتروى الحواصن — أى النساء الرييات لأطفالهن —
وتروى : الحواضر — أى نساء أهل الحضر — يقول : إن نار هذه الحرب
تأمن بها النساء من السبي ، ويسلم الحجاج في مسالكهم فلا يتعرض لهم الروم إذ تنتصر
عليهم ، فالضمير في مسالكها : للجميع ؛ والحجيج : الحجاج : جمع حاج ، ومثله غاز
وغزى وناج ونجى ، وناد وندى — للقوم يتناجون ويجمعون في مجلس — وللعادين
على أقدامهم عدى ، والضمير في بها : للنار ومن روى به : فالضمير للأجيج .

(١) يصف سبحانه متابعا ؛ والهاء في سناه : تعود على السحاب ، وذلك أن
البرقة إذا برقت انكشف السحاب ؛ وراتقا : حال من الهاء في سناه ، ورواه الأصمعي
راتق متكشف ، فجعل الراق : البرق .

فَلَا زَالَتْ عُدَانُكَ حَيْثُ كَانَتْ فَرَائِسَ أَيُّهَا الْأَسَدُ الْمَهِيجُ^(١)
عَرَفْتُكَ وَالصُّفُوفُ مُمَيَّاتٌ وَأَنْتَ بَقِيرِ سَيِّفِكَ لَا تَمِيجُ^(٢)
وَوَجْهُ الْبَحْرِ يُنْفَرُ مِنْ يَمِينِهِ
إِذَا يَسْجُو فَكَيْفَ إِذَا يَمُوجُ^(٣)

(١) المهيج : الذى هاجه غيره ؛ وفرائس : خبر زالت . لما ذكر الأسد استعار له الفريسة فقال : لا زالت عدنانك أيها الأسد فرائس لك في حيثما كانت .

(٢) لا تميج : لا تبالى . وكان أبو الطيب مع سيف الدولة في بلاد الروم . فلما صف الجيش كان أبو الطيب متقدماً ، فالتفت فرأى سيف الدولة خارجاً من الصفوف يدير رماحاً ، فعرفه وجاء إليه وسأله وأنشده . يقول : عرفتك والصفوف معبأة من حولك وأنت لا تبالى إلا بسيفك . يشير إلى أنه لا يحتفل بجنده وبتعبته ، وأنه شجاع لا يبا إلا بسيفه ، هذا . ويقال عبأت الجيش عبأ وعبأتهم تعباً ، وقد يترك الهمز فيقال عبثهم تعباً : أى رتبهم في مواضعهم وهيأتهم للحرب ؛ وقد قلنا : لا تميج بمعنى لا تبالى . قال صاحب اللسان : الميج شبه الاكثرات ، وأنشد :

وَمَا رَأَيْتُ بِهَا شَيْئاً أَعِيجُ بِهِ إِلَّا التَّمَامَ وَالْأَمَوْدَ النَّسَارَ

قال ابن سيده : ما عاج قوله عيماً وعيجوجة : لم يكثر له أو لم يصدق ؛ وما عاج بالدواء عيماً : أى ما انتفع ، وما أعيج من كلامه شئ : أى ما أحبأ به ؛ وبنو أسد يقولون ما أعوج بكلامه : أى ما ألفت إليه ؛ أخذوه من عجت الناقة . ويقال : ما عجت بخبر فلان ، ولا أعيج به : أى لم أشتف به ولم أستيقنه . قال ابن العلاء : العياج الرجوع إلى ما كنت عليه .

(٣) يسجو : يسكن تموجه ، قال تعالى « والليل إذا سجا » أى سكن بالناس ، ومنه البحر الساجى ، قال الأعشى :

فَإِذَا بَنَّا إِنْ جَاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ سَاجٌ لَا يُوَارِي الدَّهَامِصَ^(١)
وليلة ساجية : إذا كانت ساكنة البرد والريح والسحاب غير مظلمة .

(١) الدهاميص والدعاميص : جمع دعووص : دوية صغيرة تفوس في الماء ، وكثيراً ما تكون في المستنقعات .

بأَرْضِ تَهْلِكُ الْأَشْوَاطُ فِيهَا
 إِذَا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكْضِ الْفُرُوجُ^(١)
 تَحَاوِلُ نَفْسَ مَلِكِ الرُّومِ فِيهَا
 فَتَفْدِيهِ رَعِيَّتُهُ الْمَلُوجُ^(٢)
 أَبَالْفُتُورَاتِ تُوعِدُنَا النَّصَارَى
 وَنَحْنُ نُجُومُهَا وَهِيَ الْبُرُوجُ^(٣)
 وَفِينَا السَّيْفُ حَمَلَتْهُ صَدُوقُ^(٤)
 إِذَا لَاقَى وَغَارَتْهُ الْجَبُوجُ^(٥)
 نَعُوذُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ بَأْسًا
 وَيَكْثُرُ بِالِدُّعَاءِ لَهُ الضَّجِيجُ^(٥)

قال الحارثي :

يا حبيذا القمراء والليل الساج وطُرقٌ مثلُ مُلاءِ النساجِ
 وامرأة ساجية : فاترة الطرف . وهو معنى حسن في النساء ؛ وناقاة سجواء : ساكنة
 عند الحلب ؛ وسجى الميت غطاءه ، والمتسجى : التغطى ، من الليل الساجي ، لأنه يغطي
 بظلامه وسكونه . يقول : إن البحر يعرف وهو ساكن فكيف إذا ماج وتحرك ؛ وضرب
 هذا مثلاً له إشاراً يدير رمحاً بيده ؛ فشبهه بالبحر المائج .
 (١) الشوط : الطلق من العدو ، قال في اللسان : الشوط الجري مرة إلى غاية ؛
 والجمع أشواط . وقد عدا شوطاً : أى طلقاً ؛ والفروج : ما بين قوائم الفرس . يقول :
 عرفتك بأرض واسعة يتلاشى فيها السير ، وإن كانت تملأ ما بين القوائم عدواً لطلوها
 (٢) تحاول : تطلب ، والضمير للخطاب ، والضمير من فيها للأرض ؛ والملاج : الجافي
 الغليظ من كفار العمم . يقول : تريد أن تأخذ نفس ملك الروم في هذه الأرض
 فتفديه أصحاب الملاج إذ تنهيم وتستأصلهم .
 (٣) الفُتُورَات : الشدائد . يقول : أتهدنا النصارى بالحرب ونحن أبناؤها لا تقارقها ؟
 كما لا تقارق النجوم منازلها .
 (٤) لج في الأمر لجباً ولججاً ولجاجة : تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه . يقول :
 وفينا سيف الدولة الذي إذا حمل على الأعداء صدق في حملته ، ماجن وما خام عن اللفاء
 وإذا أغار عليهم لجت غارته ودامت ، فلا يثنى حتى يستأصلهم ويهصف بهم .
 (٥) الأعيان : العيون ، جمع عين ، قال يزيد بن عبد اللذان :

رَضِينَا وَالْأَمْسَقُ غَيْرُ رَاضٍ
بِمَا حَكَمَ الْقَوَاضِبُ وَالْوَشِيحُ^(١)
فَإِنْ يُقَدِّمُ فَقَدْ رُزْنَا تَمَنِّدُو
وَإِنْ يُخْجِئُ فَمَوْعِدُهُ الْخَلِيجُ^(٢)

ولكننى أغدو على مُفَاضَةٍ دِلَاصٍ كَأَغْيَانِ الْجِرَادِ الْمُنْظَمِ^(١)
وبأسا : أى شدة وشجاعة ، وهو مفعول له - أى لبأسه - كما تقول نعوذه بالله
حسنا : أى لحسنه . وقال ابن جنى : بأسا أى خوفا - من قولهم لا بأس عليك - وهو
أصح فى التركيب ، إلا أن الأول أليق بالمعنى : يقول : نعوذ الممدوح بالله من أن تصيبه
العيون لدى رؤية بأسه ، لأننا لا نخاف عليه غير ذلك .

(١) الدمستق : قائد جيش الروم ؛ والقواضب : السيوف القواطع والوشيح :
عيدان الرماح ، ووشجت العروق والأغصان . اشتبكت ؛ والواشجة الرحم المشتبكة ،
وقد وشجت به قرابة فلان ، والاسم الوشيح . يقول : رضىنا بما حكمت به السيوف
والرماح فى الحرب ، ولكن الدمستق لم يرض بذلك ، لأنها حكمت لنا بالفوز والظفر
فرضينا ، وحكمت عليه بالهزيمة والفشل فلم يرض . هذا : والأوجه أن يكون الدمستق
مبتدأ ، خبره : غير راض ، والجملة حال ، وبما حكم : متعلق برضىنا .

(٢) تمنندو : قلعة بالروم يقال هى المروقة اليوم بيلغراد ؛ والخليج : خليج
القسطنطينية . يقول : فإن أقدم على قتالنا فقد قصدنا بلاده ، وإن هرب وخام عن
لقاتنا لحقناه إلى الخليج .

(١) مفاضة دلاص : يريد درعا .

قافية الحاء

وقال يعتذر إليه وقد تأخر مدحه عنه فظن أنه عاتب عليه :

أَذْنَىٰ أُبْنِسَامٍ مِّنْكَ تَحْيَا الْقَرَاحُ
وَتَقْوَىٰ مِنَ الْجَنَمِ الضَّعِيفِ الْجَوَارِحِ ^(١)
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَقْضِي حُقُوقَكَ كُلَّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُرْضِي سِوَى مَنْ تُسَامِحُ ^(٢)
وَقَدْ تَقَبَّلُ التُّذْرَ الْحَفِيَّ تَكْرُمًا
فَمَا بَالُ عُذْرِي وَاقِفًا وَهُوَ وَاضِحٌ ^(٣)

(١) القراح : الطباع - يقال فلان جيد الطبيعة : إذا كان ذكي الطبع ؛ وجيد القريحة : إذا كان له نظر وفهم ومعرفة ؛ وقيل القريحة : خالص الفريضة - من قولهم ماء قراح : أى خالص - وقريحة البئر : أول ما يخرج من مائها ؛ ورجل قراحان : إذا لم يصبه جدري ولا طاعون يراد خالص الجسد . والجوارح : الأعضاء - اليدان والرجلان والعينان وأنهم والأذن - وميت كذلك لأن أصل الجرح الاكتساب ، والاكتساب يقع بهذه الجوارح من خير وشر . قال تعالى « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » أى كسبتم . وقال « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » أى اكتسبوها . يقول : إذا ابتسمت إلى إنسان انشرح صدره وحي طبعه وقويت جوارحه وإن كان ضعيف الجسم ، لأنه يفرح والفرح يقوى القلب والجسم . يشير بذلك إلى عذره فى تأخر مدحه لأنه كان معتلا .

(٢) يقول : إن حقوقك أكثر من أن يقدر أحد على القيام بقضاؤها ، ومن ذا الذى يرضيك بقضاء حقوقك غير الذى تسامحه وتتساهل معه ؟

(٣) تكرما : مفعول لأجله ، وواقفا : حال من عذرى . يقول : إنك لكرمك تقبل العذر الحفى . فما بال عذرى واقفا لا يلتفت إليه وهو واضح ؟

وَأِنْ مُحَالًا - إِذْ بِكَ الْعَيْشُ - أَنْ أُرَى
وَجِسْمُكَ مُتَقَلِّدٌ وَجِسْمِي صَالِحٌ (١)
وَمَا كَانَ تَرْكِي الشُّفْرَ إِلَّا لِأَنَّهُ
تَقَصَّرَ عَنِ وَصْفِ الْأَمِيرِ الْمَذَامُحِ
وقال في صباه وقد بُلِّغَ عن قومٍ كلامًا :

أَنَا عَيْنُ الْمَسْوَدِ الْجَحْجَاحِ هَيَّجَتْنِي كَلَابُكُمْ بِالنَّبَاحِ (٢)
أَيَكُونُ الْمِجَانُ غَيْرَ هِجَانٍ أَمْ يَكُونُ الصُّرَاحُ غَيْرَ صُرَاحٍ (٣)

(١) يقول : إذا كان عيشنا بك فمن المحال أن تغفل ولا أشارك في غفلتك . وهذا من قول أبي تمام :

وإن يحدِّدَ عِلَّةً نَعْمُ بها حتى تَرَانَا نُعَادُ فِي مَرَضِهِ
قال العكبري : قوله إن محالا : جعل اسم إن نكرة للضرورة لأنها تدخل على
الابتداء والخبر ، ولا يجوز أن يكون المبتدأ نكرة إلا في مواضع ليست هذه منها .
(٢) المسود : الذي جعله قومه سيذا . والسيد : الكريم . ولا توصف به المرأة ؛
وجمع الجحجاح بججاجح ، قال الشاعر :

ماذا يبدر فالتقنقل من مَرَاذِبِ جَجَاحِجِ
وإن شئت ججاجيح ، وإن شئت ججاججة ، والماء عوض من الياء المحذوفة لا بد
منها أو من الياء ، ولا يجتمعان . ويظهر أن الجمع في الحقيقة : ججاجيح ، لا الججاجح ،
وإنما حذفت الياء من البيت - ماذا يبدر الخ - ضرورة قوله ابن بري . يقول : أنا نفس
الججاجح - السيد الكريم - أنا تقي وأغضبتني سفهاؤكم بسفها . ولما سماهم كلاباً
سمى كلامهم نباحا . ويروى - بدل هييجتي - هيجتي : أي تسبتي إلى المهينة . يدل
على ذلك البيت التالي .

(٣) الميجان : الرجل الكريم الحسب النقي ، وامرأة هجان : كريمة من نسوة هجان
وهي الكريمة الحسب التي لم تفرق فيها الإمامة تعريفا . وقول على كرم الله وجهه :
هذا جنائى وهيجانه فيه إذ كل جان يده إلى فيه
معناه : خياره وخالفه ، وأنشد أبو الهيثم :

جَهْلُونِي وَإِنْ عَمَرْتُ قَلِيلًا نَسَبَتْنِي لَهُمْ رُمُوسُ الرِّمَاحِ^(١)

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

جَلَلًا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرَّشْلِ الْأَغْنُ الشَّيْحُ^(٢)

وإذا قيل من هِجَانٍ قَرِيش كُنتَ أَنْتَ الْفَتَى وَأَنْتَ الْهِجَانُ
وكل ذلك مأخوذ من الإبل ؛ والهجان من الإبل : البيض الكرام . قال عمرو ابن
كثوم في معلقته :

ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَذْمَاءُ بَكْرِ هِجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا
« يصف امرأة يقول : تريك ذراعين ممتلئتين لحما كذراعي ناقة طويلة العنق لم تلد
بعد ، بيضاء اللون ، فقوله : لم تقرأ جنينا : أى لم تضم في رحمها ولدا » .
قال أهل اللغة : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ؛ يقال : بعير هجان وناقة هجان ،
وربما قالوا : هجان . قال ابن أحرر :

كَأَنَّ عَلَى الْجِمَالِ أَوَانَ خَفَتْ هِجَانٌ مِنْ نِعَاجِ أَوَارِعِنَا
والصرح : الخالص النسب . يقول : إن الكريم الخالص النسب لا يصير غير كريم
وغير خالص النسب : يعنى أن هجو الهاجى لا يؤثر فيه : لأنه ذكر في البيت الأول
شكواه من السفهاء واللثام ، وذكر في هذا البيت أن سفهم لا يقدر في نسبه ولا يغيره .
(١) يقول : إن أولئك المائبين قد جهلوا قدرى ونسبى وأصلى ، فإن عشت قليلا
عرفتهم الرماح نسبى ، إذ يرون غنائى وحسن بلائى . يتوعددهم ويهددهم بالقتل . وهجارة
الواحدى : يحتفل أنه أراد إذا طاعنتهم ورأوا حسن بلائى استدلوا بذلك على كرم نسبى .
(٢) الجلل : الأمر العظيم ؛ وجللا : خبر « فليك » مقدم . والتبريح : الجهد والشدّة ،
والرشا : ولد الظبية ، والأغن : الذى فى صوته غنة ، وهو من أوصاف الظباء . والشيح
نبات طيب الرائحة . يقول : ليكن تبريح الهوى عظيما مثل ما حل بى وإلا فلا ! ثم قال :
أتظنون غداء من فعل بى هذا الفعل الشيح شأن مثله من ظباء الصحراء ؟ إنما غداؤه
قلوب العشاق ينحلهم ويهزلهم فيورثهم هذا التبريح كما قال بعضهم :

يَرَعَى الْقُلُوبَ وَتَرْتَعَى السِّفْزِلَانُ فِي الْبِيدَاءِ شَيْحَهُ

هذا : - وإليك ما أورده سائر الشراح زيادة على ما أورده . قال العكبري : يريد أن من كان في شدة فليك كما أنا - تعظيما لما هو فيه من الشدة - وتم الكلام هنا ، ثم استأنف قولاً آخر متعباً من حسن المشبه أى كأنه ظي في حسنه ، ووقع الشك لوقوع الاشتباه كقول قيس :

فمينالك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

وقوله أغذاء : هو استفهام معناه الإنكار ، يريد أن الرشا الذى يهواه إنس لا وحش فيغذى بالشيخ ، وقال ابن جني : المصراعان متباينان ، فذلك أفرد كل واحد بمعنى ، وقال أصحاب المعاني : قد يفعل الشاعر مثل هذا في التشبيب خاصة ليدل به على ولوه وشغفه عن تقويم خطابه ؛ كقول جبران العود :

يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي دُونَ بَرْدَعِي وَالْقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ بِالْبَيْنِ مَشْغُولٌ
ثُمَّ اغْتَرَزْتُ عَلَى نِضْوَى لَأُبْعَثَهُ إِثْرَ الْحُمُولِ الْفَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولٌ^(١)

(١) جاء في اللسان والقاموس وشرحه : جبران العود شاعر من نيمر قال الجوهري : واسمه المستورد ، وقد غلظه الأصاغنى . وقال : إنما اسمه عامر بن الحارث - وهو شاعر إسلامي - ولقب بذلك لقوله .

عَمَدْتُ لِعَوْدٍ فَالتَّحِيْتُ جَرَانَهُ وَلَلْكَيسُ أَمْضَى فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
خُذَا حَذْرًا يَا خُلَّتِي فَإِنِّي رَأَيْتُ جِرَانَ الْعَوْدِ قَدْ كَادَ يَصْلَحُ

يخاطب امرأته . وأراد بجران العود - والعود البعير المسن - سوطاً قد من جلد عنق عود نحره ، وهو أصلب مايكون ، ليضرب به امرأته ، وكاتنا قد نشرنا عليه . والجران . باطن العنق الذى يضعه البعير على الأرض إذا مد عنقه لينام ، والتحيت أخذت ؛ والكيس ، حسن الثأني في الأمور ، وبإخلاقى يروى يا جارتى ؛ وقوله فإننى الخ : يقول : فإنى رأيت السوط قد قارب صلاحه للضرب ، وقوله يوم ارتحلت الخ فالبرذعة المجلس الذى يلتقى تحت الرحل ، ويكنى عن الزوجة بالبرذعة ، ومستوهل . فازع ، واغترزت . وضعت رجلى فى الغرز ، وهو الركاب . والنضو . البعير الذى أنضاه السفر ، والحمول . الإبل ، ومعقول : أى لم يحلل عقله دهشاً .

يريد أنه لشغل قلبه لم يدر كيف يرحل ، ولم يدر أن بعيره معقول ؛ وفي كلامه ما يدل على ولعه بما ذكر من حاله ، وعلى هذا يحمل قول زهير :

* قف بالديار التي لم يَعْفُهَا الْقِدَمُ

ثم قال :

* بلى وغيّرها الأرواحُ والديمُ *

وقال القاضى الجرجاني : بين الصراعين اتصال لطيف ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه بين أن الذى أورثه ذلك هو الرشا الذى شكله على شكل الغزلان فى غذائه . وإليك بعد هذا تحفة نحوية للعلامة العكبرى قال : قوله : فليك : حذف النون لسكونها وسكون انتاء فى التبريح ، ولم يكن حذفها كحذفها من قوله تعالى « ولم تك شيئا » وقوله :

لم يَكْ شىء يا إلهى قبلكما

لأنها قد ضارعت بالخروج والسكون والفتنة حروف المد حذفت كما تحذفن وهى هنا فى قول المتنبي قوية بالحركة ، لأن سيلها أن تحرك ، فكان ينبغى أن لا يحذفها ، لكنه لم يعتد بالحركة فى النون لما كانت غير لازمة ضرورة ؛ ومثله :

لم يَكْ الحق سوى أن هاجَهُ رَسَم دار قد تعفى بالسرَر (١)
وقد حذفت النون من لكن فى الشعر ضرورة ، أنشد سيويوه .
فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ (٢)

(١) جاء فى لسان العرب أنه للحسن بن عرفة ، جاهلى ، والسرر لعله يريد الموضع الذى هو على أربعة أميال من مكة قال أبو ذؤيب :

بَآئِهِ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَابُ وَبَيْنَ الْحُحُونِ وَبَيْنَ السَّرَرِ
(٢) للنجاشى الشاعر وقوله :

وَمَاءٌ قَدِيمٌ الْعَهْدِ بِالْوَرْدِ آجِنٌ يُخَالِ رُضَابًا أَوْ سَلَاةً مِنَ الْعَسَلِ
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذُّبَّ يَعْوَى كَأَنَّهُ ضَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ

لَعِبَتْ بِمِشْيَتِهِ الشُّمُولُ وَغَادَرَتْ
صَنَامًا مِنَ الْأَصْنَامِ لَوْلَا الرُّوحُ (١)
مَا بِالْهُ لَأَحْظَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ وَفُوَادِيَّ لِلْجُرُوحِ (٢)

وإذا جاز حذف النون من لكن — وقد حذف منها نون أخرى — جاز أن تحذف من قوله: فليك التبرج. وفيه قبح من وجه آخر: وهو أنه حذف النون مع الإدغام وهو غريب جدا، لأن من قال في بنى الحارث بلحارث لم يقل في بنى التجار بتجار . . . والأغن الذى فى صوته غنة، وهو صوت من الحيشوم، والأغن: الذى يتكلم من قبل خياشيمه، وواد أغن: كثير العشب لأنه إذا كان كذلك ألفه الذباب، وفى أصواته غنة؛ ومنه قيل للقرية الكثيرة الأهل والعشب: غناء، وأما قولهم: واد مغن: فهو الذى صار فيه صوت الذباب ولا يكون الذباب إلا فى واد غضب معشب؛ وأغن السقاء: إذا امتلأ ماء.

(١) الشمول: الحجر. يقول: إن الحجر رنحته قتيل فى مشيته وزادت فى حسنه حتى تركته كأنه صنم لولا أنه ذو روح. وفى هذا البيت نظر إلى قول ديك الجن: ظَلَلْنَا بِأَيْدِينَا نَتَمَتِّعُ رُوحَهَا فَتَأْخُذُ مِنَّا أَقْدَامِنَا الْخَرُّ نَارَهَا وقد جرت عادتهم بأن يشبهوا الحسان بالدمى والأصنام ناظرين إلى أن مصورها أبدعوا فى تجميلها واقتنوا فى تزويقها حتى صاروها كأنها الجمال مائلا. ويرى بذلك — وغادرت — وجردت: أى صيرته بحيث يجرده منه صنم لحسنه. هذا: وإنما سميت الحجر شمولا؛ قيل لأنها تشمل بريحها الناس؛ وقيل شبهت بالنمل من الريح لأنها تعصف باللب كما تعصف النمل. (٢) يقول: إن فؤادى هو المجرع بنظرى إليه، فما بال وجناته قد احمرت وظهر الدم فيها وفؤادى هو الأجدد بذلك؟ وفى هذا المعنى يقول كشاجم:

فقلت له يا ذئب هل لك فى أخى يُوامى بلا منّ عايك ولا يُجَل
فقال هداك الله للرشد إنما دَعَوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعَ قَبْلِي
فلمست بآتيه (البيت)

والعسل: جمع عسل كأعسال. والضليع: القوى الشديد؛ والمعوج، والضروب فى ضلعه، والظاهر أن هذا هو المراد.

وَرَمَى وَمَا رَمَتْ يَدَاهُ فَصَابَنِي سَهْمٌ يُعَذِّبُ وَالسَّهَامُ تُرْمَعُ (١)
قُرْبَ الْمَزَارِ وَلَا مَزَارَ وَإِنَّمَا يَنْدُو الْجَنَانُ فَتَلْتَقَى وَيَرُوحُ (٢)
وَفَشَتْ سَرَائِرُنَا إِلَيْكَ وَشَفَّنَا تَعْرِيفُنَا فَبَدَا لَكَ التَّصْرِيحُ (٣)

أَرَاهُ يُدْمَى خَدَهُ وَهُوَ جَارِحِي بِعَيْنَيْهِ وَالْجُرُوحُ أَوْلَى بَأْنِ يَدَمِي
وقوله تضرجت : أى تلطخت بالدم . يريد احمرت خجلا ، وأصله من انضرج : إذا
انشق ، كأنه قد انشق جلده فظهر الدم ؛ وفي انضرج بمعنى الشق يقول ذو الرمة
يصف نساء :

* ضَرَجَنَ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرْمَةٍ *

أى شققن . وتضرج الثوب الثوب : انشق ، وتقول : تكاد تضرج من اللذ : أى
تنشق ؛ ومنه انضرجت له الطريق : أى اتسعت ؛ وانضرج ما بين القوم : تباعدا بينهم ،
وتضرجت عن البقل لفاثته : إذا انتعشت .

(١) كان الوجه أن يقول : ومارمت يدها ولكنه على لغة من يقول قما أخواك ،
وصابه : لغة فى أصابه ؛ يقول : رمانى بلحظه فأصابنى منه سهم ليس كالسهم المعروف يقتل
فتريح ، وإنما يعذب من أصابه .

(٢) المزار الأول : مكان الزيارة ، والثانى : مصدر بمعنى الزيارة . والجنان : القلب .
يقول : إن دارك أيها الحبيب قرية منى ، ولكن لاصيل إلى الزيارة خشية الرقاء ،
وإنما تلاقى بالقلوب ، فيندو قلبى إليك ويروح أى أذكرك غامضك فى قلبى ؛ فكأننا قد
التقينا . كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِنِّ لَمْ نَلْتَقِ
ومثله لأبى الطيب :

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبْدَاءُ قُلُوبٍ تَلْقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلْقَى

(٣) السرائر : بمعنى الأسرار المكتومة . وشفه : أغله . يقول : إن كتمان الهوى
اقتصارنا فيه على التعريف قد أسقمنا وهزلنا ، فذلك هزالنا البادى على ما تجبه الضلوع من
الوجد ، فقام ذلك مقام التصريح .

لَمَّا تَقَطَّعَتِ الْجُمُولُ تَقَطَّعَتْ نَفْسِي أَسَى وَكَأَنَّهُنَّ طُلُوحٌ ^(١)
وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا
حُسْنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينِ قَبِيحٌ ^(٢)
فَيْدٌ مُسَلَّمَةٌ وَطَرْفٌ شَاخِصٌ
وَحَشَى يَذُوبُ وَمَذْمَعٌ مَنُفُوحٌ ^(٣)
يَجِدُ الْحَمَامُ وَلَوْ كَوَجْدِي لِأَنْبَرِي
شَجَرُ الْأَرَاكِ مَعَ الْحَمَامِ يَنْوَحُ ^(٤)

(١) الجمول : الأجمال على الإبل ، ويريد بها الإبل التي حملتها ، والطلوح : جمع طلح ، وهو شجر أسفله دقيق وأعلاه كالقبة ، تشبه به الإبل عليها الهوداج . يقول : لما تفرقت الجمول سائرة وكأنها طلوح تقطعت نفسي وجداً وحزناً .
(٢) يقول : كشف الوداع محاسن الحبيب عند الفراق ، فصار الصبر الجميل عنها قبيحاً . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :
وقد كان يدعى لابسُ الصبر حازماً فأصبح يدعى حازماً حين يجزعُ
ويقول العتي محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات ومنه أخذ أخذ أبو تمام :
والصبر يُحمدُ في المواطن كلها إلا عليك فإنه مذموم
وقوله حسن العزاء الخ : تقديره حسن العزاء قبيح ، وقد جلين : أى المحاسن :
فأفحم بين المبتدأ والخبر جملة فعلية .

(٣) المراد بالدمع : الدمع . يصف حال الوداع . يقول : لو ترانا عند الوداع ونحن على هذه الحال لرحمتنا ، فهناك يدتشر بالسلام ، وطرف شاخص إلى وجه المودع ، وقلب يذوب حزناً على الفراق ، ودمع مصبوب .

(٤) يجد : من الوجد . وقوله ولو كوجدى : أى ولو كان وجده كوجدى لأنبرى الخ والأراك : شجر معروف . يقول : إن الحمام يحزن عند فراق إلفه ، ولو كان وجده كوجدى لرق له الشجر وانبعث يبكي معه وينوح رحمة ورقة ؛ وقوله لأنبرى ، يريد لاندفع وأخذ . ويقال : برى له يبرى برى وأنبرى : عرض له : وباراه عارضه ، وباريت فلاناً مباراة : إذا كنت تفعل مثل مايفعل .

وَأَمَقٌ لَوْ خَدَتِ الشَّمَالُ بِرَاصِيهِ

فِي عَرْضِهِ لِأَنَّاخَ وَهِيَ طَلِيحٌ^(١)

نَازَعَتْهُ قُلُوصَ الرَّكَّابِ وَرَكَبُهَا خَوْفَ الْهَلَاكِ حُدَاهُمُ الْقَسْبِيحُ^(٢)

لَوْلَا الْأَمِينُ مُسَاوِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ مَا جُشِّمَتْ خَطَرًا وَرُدَّ نَصِيحُ^(٣)

(١) وأمق : الواو واو رب . يصف مهمها طويلا . والأمق : المكان الطويل . والوخد . ضرب من السير ؛ وخذت هنا . أسرع . والطيح : المعى ، يقال طلع البعير أعيا : فهو طليح ، وأطلحته أنا وطلحته : حصرته ، ويقال ناقة طليح أسفار . إذا جهدها السير وهزلها ؛ وإبل طلع وطلائح ، والطلع - بالكسر - المعى من الإبل ، يستوى فيه الذكر والأنثى ، والجمع أطلاق . قال الخطيئة يصف إبلا وراعيا :

إِذَا نَامَ طَلِيحٌ أَشْمَتَ الرَّأْسَ خَلْفَهَا هِدَاهُ لَهَا أَنْفَاسُهَا وَزَفِيرُهَا

« يقول الخطيئة . إن هذه الإبل تنفس من البطنة تنفساً شديداً فيقول . إذا نام راعيا عنها وندت تنفست ، فوقع عليها وإن بعدت » يقول : لو أسرع ربح الشمال في ذلك المهمة وعليها راكب لأناخ ذلك الراكب وزل والشمال معية ، وإذا كانت الشمال تعي فيه فكيف الإنسان أو الناقة ؟ وإنما ذكر العرض ليدل على السعة لأن العرض أقل من الطول .

(٢) القلص - جمع قلووس - الناقة الفتية . والركاب الإبل . يقول : خاصمت هذا المهمة على الإبل ، فهو يأنى إلا أن ينال منها ويصف بها بطوله ومشقته ، وأنا أنى إلا أن أستبقها لمسيرى . ثم قال : وكان ركاب هذه الإبل - لحوفهم الهلاك - يسبحون الله ويسألونه النجاة ، فكان التسبيح حذاء للابل مكان الغناء الذى تهدى به . وقل ابن جنى : نازعته أخذت منه - من الأمق . أى المهمة - بقطي إياه وأعطيته ما نال من الركاب ؛ قل الواحدى : ليس المعنى على ما قال ابن جنى ؛ لأن المتنازع فيها هى القلص ، فالبلد يفتنيها ويأخذ منها وهو يستبقها . والمعنى . إني أحب إبقاءها ، والأمق يجب إبقاءها بالمتنازعة فيها كقول الأعشى :

* نَازَعْتَهُمْ قُصْبُ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا *

أى أخذت منهم وأعطيتهم ، وهم أخذوا منى وأعطوني .

(١) جشمت : كلفت . يقول : لولا المدوح ما عرضنا إبلنا لهذا الخطر ، ولا رددنا

الناصح الذي كان ينصح لنا وينهانا عن ركوب هذه الأهوال . وإليك درة نحوية للعلامة المكبرى ، قال : لولا الأمير : الأمير مرتفع بالابتداء عند البصريين ، وعندنا أن الاسم مرفوع بها ، لأنها نائبة عن الفعل الذي لو ذكر لرفع الاسم كما تقول لولا زيد لجئت ، تقديره لو لم يمنعني ، إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا لا على لو فصارا بمنزلة حرف واحد . كقولهم : أما أنت منطلقاً انطلقت معك . تقديره إن كنت منطلقاً انطلقت معك . قال الشاعر :

أبا خراشةً أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأسكلهم الضيع^(١)

أى إن كنت ذا نفر ، حذف الفعل وزاد «أما» عوضاً عنه ، والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لئلا يجمع بين الموض والموض ، وكقولهم أما لا فاعل هذا ، تقديره إن لم تفعل ما يلزمك فاعل هذا ، حذف الفعل لكثرة الاستعمال وزيدت ما على أن عوضاً عنه فصارتا بمنزلة حرف واحد . ويجوز إيمانها لأنها صارت عوضاً عن الفعل ، كما أمالوا بلى ويا فى النداء ، والشواهد كثيرة على أن الفعل بعدها محذوف ، واكتفى الاسم بلولا ، ويدل على أن الاسم بعدها يرتفع بدون الابتداء أنها إذا وقع بعدها «أن» انفتحت كقولك : لولا أن زيدا منعني ، قل الله تعالى :

(١) البيت لعباس بن مرداس السلى الصحابى ، وأبو خراشة كنية خفاف بن ندية ، وندبة أمه - وهو صحابى جليل وأحد فرسان قيس وشعراؤها ، وهو ابن عم الحنفاء . وبعد البيت :

والسلم تأخذ منها ما رضىت به والحرب يكفيك من أنقامها جرُع
وتقر الرجل رهطه ، ويقال لمدة من الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، والمراد بالضبع السنة المجدية ، وأصله أن الناس إذا أجذبوا ضمفوا عن الانتصار وسقطت قوام فعاتت فيهم الضباع والذئاب فأكلتهم . يقول : يا أبا خراشة إن كنت عزيزا بقوم كثيرا لم فإن قومي ليسوا بأذلاء ، ثم قال : إن السلم أنت فيها وادع تال من مطالبك ما تريد ، أما الحرب فإنها على العكس من السلم ، وأراد بأنقامها : أوائلها يحرضه على الصلح ويثبته عن الحرب .

وَمَتَى وَنَتْ وَأَبُو الْمَظْفَرِ أُمَّهَا فَأَتَاكَ لِي وَلَهَا الْحِمَامَ مُتَبِعٌ^(١)
شِمْنَا وَمَا حُجِبَ السَّمَاءُ بِرُوقِهِ وَحَرَمِي يَجُودُ وَمَا مَرَّتُهُ الرِّيحُ^(٢)

« فلولا أنه كان من السبعين » ولو كانت في موضع الابتداء لوجب أن تسكر ، فلما فتحت دل على صحة قولنا . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون لولا : أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان محتصاً و « لولا » يختص بالاسم دون الفعل ، وقد يختص بالفعل والاسم . قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ حَمِدْتَهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عَذْرَى بِمَحْدُودٍ^(٣)
ونحن نقول : إن هذا البيت على معنى لولا أني حددت ، فصارت مختصة بالاسم دون الفعل .

(١) ضمير ونت : للابل أي تواتت وفترت ؛ وأما قصدها : أي مقصودها وقوله فأتاح لي الخ دعاء وأتاح الله الشيء قدره . يقول : إذا تواتت الإبل في سيرها وهذا المدح مقصودها فالمتخير خير لي ولها . يعني : الموت خير لنا إن تخلفنا عنه .
(٢) شمنا : فعل وفاعل ، وبروقه : مفعوله ، وما حجب السماء . جملة مترضة وشام البرق : نظر إليه يرجو المطر . وقوله : وحرى ، أي وشمنا سحاباً حرى أن يجود : أي

(١) أورد عبد القادر البغدادي هذا البيت في أبيات هذائصها :
قَالَتْ أَمَامَهُ لَمَّا جُنْتُ زَائِرَهَا هَلَّا رَمَيْتُ بِيَعُضِ الْأَسْهُمِ السُّودِ
لَا دَرَّ دَرَكٌ إِنِّي قَدْ رَمَيْتُهُمْ لَوْلَا حُدِدْتُ وَلَا عَذْرَى لِمَحْدُودِ
إِذْهُمْ كَرَّ جُلُ الدَّبِيِّ لَا دَرَّ دَرُّهُمْ يَفْزُونَ كُلَّ طَوَالِ الْمَشْرِ تَحْدُودِ
فَمَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجِيدِ
قال قيل إنها لراشد بن عبد الله السلمي الصحابي ؛ وقيل للجموح - أحد بني ظفر من سليم بن منصور - وحددت أي حرمت ومنعت ؛ وقد حد الرجل عن الرزق : إذا منع منه ، وهو محدود . يقول : قد رميت واجتهدت في قتالهم ولكنني حرمت النصر عليهم ، ولا يقبل عذر المحروم . والعذري : اسم بمعنى اللعذرة ، والرجل : القطة من الجراد والدبي : أصفر الجراد ، والطوال : الطويل .

مَرْجُوْهُ مَنَفَعَةٍ مَّخَوْفُ أَذِيَّةٍ مَّغْبُوقُ كَأْسٍ مَّحَامِدٍ مَّصْبُوحٌ^(١)
 حَقِيقٌ عَلَى بَدْرِ اللَّجَيْنِ وَمَا أَتَتْ بِإِسَاءَةٍ وَعَنِ الْمُسَى صَفُوحٌ^(٢)
 لَوْ فَرَّقَ الْكَرَمُ الْمَفْرَقُ مَالَهُ
 فِي النَّاسِ لَمْ يَكْ فِي الزَّمَانِ شَحِيحٌ^(٣)
 أَلَفَتْ مَسَامِعُهُ لِللَّامِ وَغَادَرَتْ سِمَةً عَلَى أَنْفِ الثَّنَامِ تَلُوحٌ^(٤)

جديرا به أن يجود — أى يمطر — . ومرتته الريح : استدرته وأصله فى الناقة يمسح
 ضرعها لتدر . يقول : شمتا بروق للمدوح : أى رجونا عطاءه والسماء لم يحجبها الغيم ،
 ونظرنا منه إلى سحاب حقيق بالجود : أى بالمطرو وإن لم تمره الريح . يفضلته على السحاب
 لأن السحاب يحجب جمال السماء ولا يجود إلا إذا استدرته الريح ، أما المدوح
 فليس كذلك .

(١) المغبوق : الذى يسقى بالعنى ؛ والمصبوح : الذى يسقى صباحا . يقول : إنه يحمّد
 فى كل وقت ، فكأنه يسقى كأس المحامد غبوقا وصبوحا .
 (٢) البدر : جمع بدرة ، وهى عنبر آلاى درهم . واللجين : الفضة . والمعنى ظاهر .
 (٣) يقول : لو فرق فى الناس كرمه الذى يفرق ماله لصار الناس كلهم أسخياء .
 وهذا ينظر إلى قول منصور الفقيه :

أَقُولُ إِذَا سَأَلُونِي عَنْ سَمَاحَتِهِ وَلَسْتُ تُمِّنُ يُطِيلُ الْقَوْلَ إِنْ مَدَحَا
 لَوْ أَنَّ مَا فِيهِ مِنْ جُودٍ تَقَسَّمُهُ أَوْلَادُ آدَمَ عَادُوا كُلُّهُمْ سُمَحَا
 وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ — وَإِنْ كَانَ مِنْ بَابٍ آخَرَ — :
 لَوْ قَسَمَ اللَّهُ جُزْءًا مِنْ مَحَاسِنِهِ فِي النَّاسِ طَرَأَ لَتَمَّ الْحَسَنُ فِي النَّاسِ
 وَيَقُولُ أَبُو تَمَامٍ :

لَوْ اقْتَسِمَتْ أَخْلَاقُهُ الْفُرُ لَمْ تَجِدْ مَعِيًّا وَلَا خَلْقًا مِنَ النَّاسِ عَائِبَا
 (٤) يقول : إن مسامحه أهملت وأسقطت لوم من يلومه على الجود ، فلم يبال به
 ومضى على سخائه ، وروى ابن جنى : ألفت — من الألفة — أى أن مسامحه — لكثرة
 ما سمعت اللوم — ألفته واعتادته فصار شيئا مألوفا لا قيمة له عنده ، وغيره بمن أطاعوا
 التلاثم وأصفت مسامعهم إليه صاروا لثاماً يرى عليهم أثر اللوم كما ترى السمة على الأنف .

هَذَا الَّذِي خَلَّتِ الْقُرُونُ وَذَكَرُهُ
وَحَدِيثُهُ فِي كُتُبِهَا مَشْرُوحٌ^(١)
أَلْبَابَنَا بِجَمَالِهِ مَبْهُورَةٌ وَسَحَابُنَا بِنَوَالِهِ مَفْضُوحٌ^(٢)
يَفْشَى الطَّمَانُ فَلَا يَرُدُّ قَنَاتَهُ
مَكْسُورَةٌ وَمِنْ الْكَمَامَةِ صَحِيحٌ^(٣)

(١) المراد بخلت ههنا : تخلو ؛ وآتى بالماضي : للتحقيق — على حد قوله تعالى « آتى أمر الله » — يقول : هذا الذي تمضى القرون والأدهار ويبقى ذكره ويخلد في الكتب والأسفار . قال الواحدى : المعنى : أن الكتب مشحونة بذكر الكرم ونعت الكرام وأخلاقهم ، وهو المعنى بذلك ؛ إذ الحقيقة منها له ، فذكره إذا في الكتب مشروح . « هذا » : وقوله وذكره وحديثه إلخ . قال العسكرى : قال ذكره وحديث مشروح ولم يقل مشروحان لأن الذكر والحديث واحد ، وقيل هما جملتان : حذف الأولى لدلالة الثانية عليها ، وهذا مثل قوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » ، وهذا مذهب سيويه ، وأنشد :

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ^(١)
وذهب البرد إلى أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وتقديره : والله أحق أن يرضوه ورسوله . وقال قوم : بل الضمير عائد على المذكور ، كقول رؤبة :
فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلُّيعُ الْبَهَقِ^(٢)
أى كأن المذكور :

(٢) الألباب : العقول ؛ والنوال : العطاء . والمعنى ظاهر .
(٣) يقول : يخوض الحرب فلا يرد رماحه إلا بعد أن لا يبقى من الأبطال صحيح .

(١) لقيس ابن الحظيم [راجع معاهد التنصيص ج ١ ص ٦٧] .
(٢) من أرجوزته التي مطلعها :

وَقَاتِمُ الْأَعْمَاقِ خَاوِيُ الْمَحْتَرِقِ *

[راجع أرجوز العرب للبكرى ، « وخزانة الأدب » للبغدادى ج ١ ص ٩٠] .

وَعَلَى التُّرَابِ مِنَ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ وَعَلَى السَّمَاءِ مِنَ الْعَجَاجِ مُسُوحٌ^(١)
يَخْطُو الْقَتِيلَ إِلَى الْقَتِيلِ أَمَامَهُ رَبُّ الْجَوَادِ وَخَلْفَهُ الْبَطُوحُ^(٢)
قَمَقِيلٌ حُبٌّ مُحِبٌّ فَرِحَ بِهِ وَمَقِيلٌ غَنِيظٌ عَدُوٌّ مَقْرُوحٌ^(٣)
يُخْنِي الْمَدَاوَةَ وَهِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ نَظَرُ الْعَدُوِّ بِمَا أَمَرَ يَبُوحُ^(٤)

وهذا من قول الفرزدق :

بأيدى رجالٍ لم يَشِيمُوا سِيُوفَهُمْ ولم تكثرُ القتلى بها حينَ سُلَّتِ
« أى لم يغمدوها إلا بعد أن كثرت بها القتلى »^(١) قال الواحدى : وقوله مكسورة
حشو : أراد أن يطابق بينها وبين الصحيح ، لأنه لا فائدة من أن ترد القناة من الحرب
مكسورة ، ولو ردها صحيحة لم يلحقها نقص ، والسكاة : جمع كى : الشجاع التسمى
أى التغطى بسلاحه ؛ إذ أنه كى نفسه : أى سترها بالدرع وخلافه .

(١) المجاسد : جمع الجسد ، وهو المصبوغ بالجساد : أى الزعفران ؛ والسوح : جمع
مسح ، وهو ما ينسج من الشعر الأسود . يقول : لكثرة ما يسفك من الدم صبغت
الأرض به حتى كأن عليها مجاسد ، واسودت السماء بالقبار فكان عليها مسوحا .
(٢) رب الجواد : فاعل يخطو ، يعنى الفارس . يقول : قد اكتظت المعركة بالقتلى ،
فترى الفارس يخطو من قتيل إلى قتيل ، ويخلف وراءه فارسا مبطوحا - أى قتيلًا أيضا -
ومجوز أن يكون المراد برب الجواد : للندوح .

(٣) القيل : القام . المستقر ؛ قال تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن
مقلا » وقال ابن رواحة :

اليوم نصر بكم على تنزيله ضربا يزِيلُ الهامَ عَنْ مَقِيلِهِ
« الهام : جمع هامة ، وهى أعلى الرأس ؛ ومقيله : موضعه ، مستعار من موضع
القائلة » ومقيل الحب ، ومقيل الغيظ : القلب . يقول : إن قلب محبة فرح به مبتهج ،
وقلب عدوه مقروح مكتئب .

(٤) فاعل يغنى ضمير العدو ، يقول : إن عدوه يغنى العدو خوفًا منه . يد أن

(١) قال المبرد : « وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله : لم يشيموا لم
يغمدوا ولم تكثر القتلى ، أى لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سلت .

يَا أَبْنَ الَّذِي مَا ضَمَّ بُرْدُ كَابْنِهِ شَرْقًا وَلَا كَالْجُدِّ ضَمَّ ضَرِيحٌ^(١)
نَفْدِيكَ مِنْ سَيْلٍ إِذَا سُوِّلَ النَّدَى
هَوْلٍ إِذَا اخْتَلَطَا دَمٌ وَمَسِيحٌ^(٢)

العداوة لا تخفى ، لأن نظر العدو إلى من يعاديه يظهر ما بقلبه من العداوة . قال ابن الرومي :

تَحْبِرُنِي الْعَيْنَانِ مَا الْقَلْبُ كَاتِمٌ وَلَا جِنٌّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
« لا جن : لا خفاء » وقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص انشقى :
تَكَاشِرُنِي كَرَاهَا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوَى^(١)
وقال الآخر :

خَلِيلِي لِلْبَغْضَاءِ عَيْنٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ
(١) البرد : شكل من الثياب . والكاف - من قوله كانه - بمعنى مثل : صفة لموصوف محذوف ، هو مفعول ضم : أى ما ضم برد أحدآ مثل ابنه ولا ضم قبر مثل الجد . وشرقا : تمييز . والضريح : القبر كله ؛ وقيل الشق في وسط القبر ، واللحد في جانبه ، وسمى كذلك لأنه يشق في الأرض شقا ، وكل ماشق فقد ضريح . قال ذو الرمة :
ضَرَحْنِ الْبُرُودَ عَنْ تَرَائِبِ حُرَّةٍ وَعَنْ أَعْيُنٍ قَتَلْنَا كُلَّ مُقْتَلٍ
يقول : ليس في الأحياء مثلك شرفا ، ولا في الأموات مثل جد أهلك في الشرف .
(٢) المسيح : العرق ؛ سمي مسيحا لأنه يمسح إذا صب . قال الراجز :

يَا رَيْيَهَا وَقَدْ بَدَأَ مَسِيحِي وَابْتَلَّ ثَوْبَايَ مِنَ النَّضِيحِ
« ياريها : يروى ناديتها » وقوله : هول ، أى وهول . فهو عطف على سيل . وكان الوجه أن يقول إذا اختلط دم ومسيح ، ولكنه قال اختلط - على لغة من يقول : قاما أخواك - يقول : أنت سيل عند العطاء : أى مثل المطر ، وهول عند القتال إذا سالت الدماء وامتزجت بالعرق .

(١) مطلع أبيات جيدة في بابها يعاتب فيها يزيد هذا ابن عمه - [أمالى القالى ج ١ ص ٦٨ . والحزانة ج ٣ ص ١١٨ ملفية] وفي الأغاني : ودوى صدره مرض وضمن

لَوْ كُنْتَ بَحْرًا لَمْ يَكُنْ لَكَ سَاحِلٌ
أَوْ كُنْتَ غَيْثًا ضَاقَ عَنْكَ اللَّوْحُ ^(١)
وَحَشِيتُ مِنْكَ عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
مَا كَانَ أَنْذَرُ قَوْمَ نُوحٍ ^(٢)
عَجَزُ بَحْرٍ فَاقَهُ وَوَرَاءَهُ رِزْقُ الْإِلَهِ وَبَابُكَ الْمَفْتُوحُ ^(٣)
إِنَّ الْقَرِيضَ شَجَرٌ بَعْطَفِي عَائِدٌ
مِنْ أَنْ يَكُونَ سَوَاءَكَ الْمَدُوحُ ^(٤)

(١) الغيث : السحاب فيه مطر . واللوحي : الهواء بين السماء والأرض .
والمعنى ظاهر .

(٢) يقول : لو كنت غيثا لحشيت منك الطوفان الذي أنذر به نوح قومه . بقوله
وحشيت : عطف على قوله ضاق - في البيت قبله - .

(٣) يقول : من العجز أن يقاسى الحر الفاقة مع وجود رزق الإله ، وبابك الذي
لا يحجب عنه طالب : يعنى أن الله قد وسع بك الرزق على الناس ، فمن لم يصمد إليك
ملتسماً الرزق فذلك لعجزه ، كما قال أبو تمام :
خَابَ أَمْرُؤُا بِخَسِّ الْخَوَادِثِ رِزْقُهُ وَأَقَامَ عَنْكَ وَأَنْتَ سَعْدُ الْأَسْعَدِ
وما أجمل قول بعضهم :

وَعَجَزُ بَذَى أَدَبٍ أَنْ يَضِيقَ بَعِيشَتِهِ وَسُعُ هَذِي الْبِلَادِ
وعجز : خبر مقدم عن فاقة ، وبحر : متعلق بفاقة ، والضمير في وراءه : للحر ؛
قال العكبري : عجز ابتداء ، وقد تفيد النكرة ؛ وخبره : فاقة ، فالباء متعلقة بفاقة ؛
ويحوز أن تكون فاقة ابتداء ، والخبر عجز مقدم عليه ، وتقديره فاقة بحر عجز ؛ فعلى
هذا تكون النكرة قد تقدم عليها خبرها ؛ وقيل : بل عجز خبر ابتداء محذوف دل عليه
المعنى ، تقديره : القعود عن قصدك عجز بحر ؛ وفاقة ابتداء ثان خبره محذوف تقديره :
به فاقة . قال : ووراءه أى قدامه ، قال تعالى « وكان وراءهم ملك » أى قدامهم -
من الأضداد .

(٤) شج : حزين . والعطف : الجانب . وبعطفي : متعلق بعائد ، وعائد : لاجيء ،

وَذِكْرِي رَائِحَةَ الرِّيَاضِ كَلَامُهَا تَبْنِي الثَّنَاءَ عَلَى الْحَيَا فَتَفُوحُ^(١)
جُهْدُ الْمَقِلِّ فَكَيْفَ بَابْنِ كَرِيمَةٍ تُولِيهِ خَيْرًا وَاللِّسَانُ فَصِيحُ^(٢)

والقريض : الشعر ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرضه : إذا قلته ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :
حال الجريض دون القريض ؛ « الجريض : النقص ، قاله للنعمان بن المنذر حين أراد
قتله فقال له أنشدني من قولك » وقوله سواءك : فسواك إذا فتحت مدت ، وإن كسرت
قصرت . يقول : إن الشعر لاجيء إلى مستعير بي من أن أمدح به غيرك ؛ إذ لا يستحقه
أحد سواك .

(١) الحيا : المطر . يقول : إن الرائحة الطيبة من الرياض بمنزلة الكلام لها ،
تحاول أن تثني على المطر الذي أحياها فتسطع رائحتها فتكون بذلك قد أثنت على المطر .
وهذا من قول ابن الرومي يصف روضة :

شَكَرْتُ نِعْمَةَ الْوَلِيِّ عَلَى الْوَسْءِ مَيِّ نَمَّ الْعِهَادِ بَعْدَ الْعِهَادِ^(١)
فَقِي تُبْنِي عَلَى السَّمَاءِ ثَنَاءً طَيِّبَ النَّشْرِ شَائِعًا فِي الْبِلَادِ
مِنْ نَسِيمٍ كَأَنَّ مَسْرَاهُ فِي الْخَلْدِ شَوْمَ مَسْرَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ
وأخذه السرى الرفاء فقال :

وَكُنْتُ كَرَوْضَةٍ سُقِيتْ سَحَابًا فَأَثْنْتُ بِالنَّسِيمِ عَلَى السَّحَابِ

(٢) جهد المقل : أى ذلك جهد المقل . والجهد : الطاقة والوسع ، والمقل الذى
قلت ذات يده . وتولية : تعطيه . يقول : إن رائحة الرياض جهد المقل لأنها لا تستطيع النطق ،
فكيف ظنك بي إذا أحسنت إلى وأنا شاعر فصيح ؛ أى أننى لا أغادر شعرك
والثناء عليك . والجهد - بالفتح والضم - قال العكبرى ؛ وقال الفراء بالضم ، الطاقة ،
وحجته قراءة الجمهور : « والذين لا يجدون إلا جهدهم » . والجهد - بالفتح - من
قولهم أجهد جهدك فى الأمر : أى ابلغ غايتك ، ولا يقال أجهد جهدك - بالضم - والجهد
بالفتح - المشقة ، يقال : جهد دابته وأجهدا : إذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها ،
وأجهد فى كذا : أى جد فيه وبالغ .

(١) الوسمى : مطر الربيع الأول ، لأنه يسم الأرض بالنبات ؛ والولى المطر يأتي
بعد الوسمى ويليه . والعهاد : جمع عهد ، وهو مطر بعد مطر .

وقال يصف لعبة على صورة جارية :

جَارِيَةٌ مَا لِحُسْمِهَا رُوحٌ بِالْقَلْبِ مِنْ حُبِّهَا تَبَارِيحٌ^(١)
فِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تُشِيرُ بِهَا لِكُلِّ طَيْبٍ مِنْ طَيْبِهَا رِيحٌ^(٢)
سَأَشْرَبُ الْكَأْسَ عَنْ إِشَارَتِهَا وَدَمْعُ عَيْنِي فِي اتِّخُدِّ مَسْفُوحٌ^(٣)

وأراد الانصراف من عند سيف الدولة ليلا فقال :

يُقَاتِلُنِي عَلَيْكَ اللَّيْلُ جِدًّا وَمُنْصَرَفِي لَهُ أَمْضَى السَّلَاحِ^(٤)

(١) التباريح : الشدائد . يقول : إن القلوب تحبها للطف صورتها . وجارية - كما قال العكبري - ابتداء ، وروح اسم ما المشبه بليس ؛ والجار والمجرور الخبر . وقوله تباريح : ابتداء خبره المقدم عليه : وهو الجار والمجرور ، وحرف الجر يتعلق بالاستقرار ، ومن حبا : يتعلق بالابتداء .

(٢) يقول : إن كل طيب يستفيد طيب الرائحة من هذه الطاقة ؛ لأنها أطيب الأشياء ريحا .

(٣) يقول : إنني سأشرب الكأس امتثالا لإشارتها ، برغم أني أكره الخمر : ومن ثم سيسيل دمي على خدي استنشاعا للخمر .

(٤) منصرفي : مصدر ميمي بمعنى انصرافي . قال الواحدي : إن الليل يقول له انصرف ، وهو يميل إلى مجلس الأمير وإطالة اللبث فيه ويعصى الليل وبذلك حصل تنازع وجعل ذلك قتالا . ثم قال : وإذا انصرفت فقد أعتته على نفسي . ويجوز أن يكون المعنى : إن الليل برده ندماء وتفريقه جلساء يعمل على الخلو به ، فأنصرافي أمضى سلاح له وأعون على مراده . وقال العكبري — في قوله منصرفي — يريد انصرافي ، وإذا زاد الفعل على الثلاثي استوى فيه المصدر واسم الزمان والمكان ، وإذا كان متعديا ساوت هذه الأشياء لفظ المفعول ، فالمنصرف يقع على المصدر ، والموضع الذي ينصرف عنه ، وعلى الوقت الذي يقع فيه ذلك ، وانصرف فعل لا يتعدى إلى مفعول فلو بني مثل هذه الأشياء مثل اجتذب ونحوها — مما هو على أربعة أو أكثر — استوت فيه الأشياء الأربعة المصدر

لَأَنِّي كُلَّمَا فَارَقْتُ طَرَفِي بَعِيدٌ بَيْنَ جَنَفِي وَالصَّبَاحِ^(١)

وجرى حديث وقعة أبي الساج مع أبي طاهر صاحب الأحساء ، فذكر أبو الطيب ما كان فيها من القتل ، فقال بعض الجلساء ذلك وجزع منه ، فقال أبو الطيب لأبي محمد بن طنج ارتجالا :

أَبَاعْتُ كُلَّ مَكْرُمَةٍ طُمُوحٍ وَفَارِسَ كُلَّ سَلَمَةٍ سُبُوحِ^(٢)

والزمان والسكان والمفعول ، يقال جبل مجتذب ومجذب من مجتذبى جملك أى اجتذابى وهذا مجتذب جملك أى الموضع الذى يجتذب فيه والوقت الذى كان فيه الاجتذاب .

(١) البيت تعليل لقوله : ومنصرفى له أمضى السلاح . يقول : لأننى كلما فارقت عيني ، ولم أرك ، لم أتم من شوقى إلى لقاءك ، فطال ليلى وبعد ما بين جفنى والصبح : هذا ؛ ويجوز رفع بين على إخراجها عن الظرفية وجعله مبتدأ وخبره بعيد . قال العكبرى : ويجوز أن يكون فاعلا يبعد ؛ كقول الشاعر :

كَأَنَّ رِمَاحَهُمْ أَشْطَانُ بَثْرٍ بَعِيدٍ بَيْنَ جَالِيهَا جَرُورِ^(١)

ويجوز نصبه على الظرفية وتقدير المبتدأ محذوفاً : أى بعيد ما بين جفنى ؛ قال الواحدى : ولو قال بين عيني الصباح لكان أظهر ، لأن الصباح إنما يرى بالعين لا بالجنف .

(٢) الباعث : الهوى — من بعث الله الميت : إذا نشره — والطموح : الجحوى ، وهى العزيمة المتعمدة . والسلبية : الطويلة من الخيل : والسبوح : التى تسبح فى جريها . يقول : يا معي كل مكرمة تستصعب على غيرك ، ويا فارس الخيل الشديداً الجرى .

(١) الأشطان : جمع شطن ، وهو الخيل الطويل الشديد القتل الذى يستقى به وتشد به الخيل ؛ والجال : كل ناحية من نواحي البئر من أسفلها إلى أعلاها ؛ والجروور البئر البعيدة القمر ، وبين : قال ابن منظور : البين ههنا الوصل ، قال لأن البين فى كلام العرب من الأضداد ؛ إذ يكون بمعنى الفارقة ويكون الوصل كما فى هذا البيت

وَطَائِعَ كُلِّ نَجْلَاءٍ غُمُوسٍ وَعَامِصَ كُلِّ عَذَالٍ نَصِيحٍ^(١)
 سَقَانِي اللَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ يَوْمًا دَمَ الْأَعْدَاءِ مِنْ جَوْفِ الْجُرُوحِ^(٢)
 وأرسل أبو العشائر بازياً على حَجَلَةٍ فأخذها فقال المتنبي :
 وَطَائِرِي تَتَّبِعُهُمُ اللَّيَالِي عَلَى آثَارِهَا زَجَلُ الْجَنَاحِ^(٣)
 كَأَنَّ الرَّيْشَ مِنْهُ فِي سِهَامٍ عَلَى جَسَدٍ تَجَسَّمُ مِنْ رِيَّاحٍ^(٤)

(١) النجلاء : الواسعة ، والغموس : التي تغمس المطعون في الدم . يقول : إنه كان يطمئن كل طمئة واسعة تغمس صاحبها المطعون في الدم ، ويعصى كل من يعذله في الجود والإقدام .

(٢) يقول : أمكنني الله من الأعداء حتى أهرق دماهم وآتي عليهم ، والعرب تقول شربنا دم بني فلان يريدون قتلناهم وأرسلنا دماهم على الأرض كالنماء . هذا : وسقى وأسقى لغتان فصيحتان نطق بهما القرآن الكريم قال تعالى : « وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً » وقال جل شأنه « وسقام ربهم شراباً طهوراً » .

(٣) المراد بالطائرة : الحجلة ، والحجلة : واحدة الجبل ؛ طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين يعيش في الصرود العالية يستطاب لجمه . والرجل ذو الصوت ؛ وأراد بالزجل : جناح البازي — يعني خفيف جناحيه في الطيران . قال العكبري : من رفع زجل يكون الكلام تاماً في النصف الأول ؛ ويرتفع على لا ابتداء ؛ والخبر ، الجار والمجرور وهو متعلق بالاستقرار وقال الواحدى : من نصبه نصبه على الحال إذا جعل المنايا البازي لأنه سبب منايا الطير ، وتتبعها هي وتتبعها . ورواها العكبري تتبعها وقال : يقال تبعته وأتبعته وتتبعته . ثم قال : تبعته القوم إذا كنت خلفهم ومروا بك فمضيت معهم وكذلك أتبعتم وهو أفتلعت وأتبعته القوم على أفعلت إذا كانوا قد سبقوك فلحقهم وأتبعته غيرى يقال : أتبعته الشيء فتبعه ، وقال الأخفش : تبعته وأتبعته بمعنى . مثل ، ردفته وأردفته .

(٤) جعل قصب ريشه سهاما لاستوائها وسرعة مرها ، وجعل جسده جسماً من رياح لسرعة انقضاضه على الصيد ، فالضمير منه : يعود على زجل الجناح ، وفي سهام متعلق بمحذوف تقديره ظهر في سهام ، وعلى جسد : في موضع الصفة ، ومن رياح : متعلق بتجسم .

كَانَ رُؤُوسَ أَفْلَامٍ غِلَاطٍ مُسَخَّنَ بَرِيشٍ جُوجُورَ الصِّحَاحِ^(١)
فَأَقْصَمَهَا بِحُجْنٍ تَحْتَ صُفْرِ لَهَا فِئْلُ الْأَسِنَّةِ وَالصِّفَاحِ^(٢)
فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ وَإِنْ حَرَصَ النَّفُوسُ عَلَى الْفَلَاحِ^(٣)

(١) الجُوجُورُ: الصدر . شبه سواد صدره بآثار مسح رؤوس أفلام جبر غلاظ في ثوب أبيض ؛ وروى ابن جني : غلاظا — نصباً على النعت للرؤوس — وهو أجود ، لأن المراد غلظ الرؤوس حتى يكون أثر الجبر عريضاً ؛ والصحاح : جمع صحيح ، وروى الصحاح — بفتح الصاد — على النعت للجُوجُور أو للریش على اللفظ لا المعنى .

(٢) أقصمها : قتلها قتلا وحيأً سريعاً . والحجن : جمع أحجن ، وهو المعوج — يريد محالبه — والصفر : أصابعه ؛ والأسنة : نصال الرماح ؛ والصفايح : السيوف ، يريد أن البازي قتل هذه الحجلة قتلاً سريعاً . هذا : ويقال مات فلان قصاً إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه ، وضربه فأقصه أى قتله مكانه ، وأقصه بالرمح وقصه : طعنه طعناً وحيأً . والقصاص داء يأخذ الغنم ليلبشها أن تموت ؛ وفي الحديث : من أشرط الساعة موتان يكون في الناس كقص الغنم . والحجن : بالتحريك الاعوجاج ، وصقر أحجن الخالب : معوجها ، والمجن : الصولجان لاعوجاجه .

(٣) لكل حي : خبر مقدم ، ويوم موت : مبتدأ مؤخر ، والفلاح : البقاء والفوز والنجاة ، والفلاح السحور ومنه : حتى خفنا أن يفوتنا الفلاح أى السحور لأنه به بقاء الصوم ، وحى على الفلاح أى أقبل على النجاة .

قافية الدال

وقال يمدح سيف الدولة ، ويرثي ابن عمه أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،
وقد توفي في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

مَا سَدِكَتِ عِلَّةٌ بِمَوْرُودٍ أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدَ^(١)
يَأْنَفُ مِنْ مَيْتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ^(٢)
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتِ عَلَى غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِجِ الْقُودِ^(٣)
بَعْدَ عِثَارِ الْقَنَا بِلَبَّتِهِ وَصَرْبِهِ أَرْؤُسِ الصَّنَادِيدِ^(٤)

(١) سدك الشيء بالشيء : لزمه ؛ والعلة : المرض ؛ والمورود المضموم في لغة أهل
البحر وقد وردته الحمى فهو مورود قل ذو الرمة :

* كَأَنِّي مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَوْرُودِ *

والورد يوم الحمى إذا أخذت صاحبها لوقت ، ويقال : أكل الرطب موردة ، أى محمة
وقال أعرابي لآخر : ما أمار إفراق المورود ؟ فقال : الرضاء . ويروى بمولود .
يقول : ما لزم علة مورودا أكرم من هذا الرجل .

(٢) أصدق المواعيد : الموت . يقول : إنه يأنف من موته على الفراش لأنه شجاع
أخو حروب ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَوْ لَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَنْ لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدْقِ الْخَزَنِ
(٣) القود : الطوال من الخيل . يقول : مثله في شجاعته وملايسته الحروب ينكر

موته على غير السروج : أى في غير الحروب . يحكى عن خالد بن الوليد أنه قال وهو
يحتضر : ليس في جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية وها أنا ذا أموت
موت الحمار ، فلا نامت أعين الجبناء .

(١) يقول : مثله ينكر موته على الفراش بعد أن كانت الرماح تتعثر بصدده في
الحرب ، وبعد ضربه رؤس الأبطال . وتعثر الرماح بصدده : إصابتها إياه ، وجعله

وَحَوْضِهِ نَعْمَرُ كُلِّ مَهْلَكَةٍ لِلدَّمْرِ فِيهَا قُوَادُ رَعْدِيدٍ^(١)
 فَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مُصِيرٌ وَإِنْ بَكَيْنَا فَفَيْرٌ مَرْدُودٍ^(٢)
 وَإِنْ جَزَعْنَا لَهُ فَلَا حَاجِبَ
 ذَا الْجَزْرِ فِي الْبَحْرِ غَيْرُ مَقْهُودٍ^(٣)

مطمعونا إشارة إلى أن قرنه يخاف جانبه فيقاتله بالرمح ، وجعله ضاربا إشارة إلى أنه لا يخاف أن يدنو من قرنه . والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع ، ومنه الصناديد من الأمور وهي الشدائد والدواهي ، وكان الحسن يقول : نعوذ بالله من صناديد القدر — أى من دواهي ونوائبه العظام القوالب — ومن جنون العمل — وهو الإعجاب — ومن ملغ الباطل ، وهو التجتر فيه .

(١) النمر : الكثير ، والمراد هنا أصعب مواضع الحروب ، والدمر : الشجاع والرعيد : الجبان . يقول : وبعد خوضه كل حومة في الحرب صعبة إذا خاضها الشجاع خاف خوف الجبان .

(٢) صبر : جمع صبور . يقول : فإن صبرنا على تقدمه فإن الصبر عادة لنا وإن بكينا لم يردده علينا البكاء ، فلا تقع في البكاء ولا غناء . وإن شئت قلت : فخير مردود . أى لم يرد علينا البكاء : أى لا نصاب به ، لاستحقاقه ذلك وشدة الفجعة به .

(٣) شبه بالبحر وشبه موته بالجزر . يقول : وإن جزعنا لموته فلا حجب ، لأن مثل هذا الجزر لم يعد في البحر إذ المهود في البحر إذا جزر أن يتراجع مأوه حسب ، ولكن لم يعد فيه أن يجزر حتى ينضب ويحف . والمعنى : قد تقع للصائب ، ولكن لم تعد مثل هذه المصيبة ، وهذا كقول أعشى باهلة :

فإن جَزَعْنَا فمثل الشر أَجَزَعْنَا وإن صَبَرْنَا فَإِنَّا معشر صَبْرُ
 أخذه أبو تمام فقال :

فلئن صَبَرْتُ فَأنت كوكبٌ مَفْشَرٍ صَبَرُوا وَإِن تَجَزَعَ ففَيْرٌ مَفْنَدٍ
 وأخذه الحريرى فقال :

ولو شِئْتُ أَنْ أبِكَي دَمَا لبِكِتِهِ عليه ولكن ساحة الصبر أوسعُ

(٢٥ — التي ١)

أَيْنَ الْمَبَاتِ الَّتِي يُفَرِّقُهَا عَلَى الزَّرَافَاتِ وَالْوَاحِدِ^(١)
 سَالِمُ أَهْلِ الْوَدَادِ بَعْدَهُمْ يَسْلَمُ لِلْحُزْنِ لَا لِتَخْلِيدِ^(٢)
 فَمَا تَرْجَى النَّفْسُ مِنْ زَمَنِ
 أَحْمَدُ حَالِهِ غَيْرَ مَحْمُودِ^(٣)
 إِنَّ نَيْوَبَ الزَّمَانِ تَعْرِفُنِي
 أَنَا الَّذِي طَالَ عَجْمُهَا عُودِي^(٤)
 وَفِي مَا قَارَعَ الْخُطُوبَ وَمَا آتَنِي بِالْمَصَائِبِ الشُّودِ^(٥)

(١) الزرافات : الجماعات ؛ والمراد بالواحد : الأفراد ، كأنه أخذها من مواحيد الجبال ، وهى أكبات منفردات كل واحدة باثثة عن الأخرى . يقول : إن العطاء انقطع بعوته وانقطع ما كان يعطى الجماعات والأفراد من المبات .
 (٢) يقول : إن الذى يسلم من القوم المتحايين بعد ذهاب أصحابه إنما يسلم ليحزن لفقدهم ، لا ليخلد ، لأنه يتبعهم ، وإن تأخر أجله عن آجالهم .
 (٣) قال ابن جني : أحمد حاله أن يبقى بعد صديقه وذلك غير محمود لتعجل الحزن : خلفاء الموت والحياة ، أى وإذا كانت الحياة وهى أحمد حالى الزمان غير محمودة لأنها تقطع بالحزن على الراجلين ، فماذا ترجى من الزمان ؟ وقال الواحدى : أى لارضاء عند زمان أحمد حاله البقاء وهو غير محمود لأن معجبه بلاء ومؤجله فناء ، وإن شئت قلت أحمد حاله البقاء ، ومن بقى شاب ، والشيب مكروه مذموم . فيكون كما قال محمود الوراق :

يَهْوَى الْبَقَاءَ فَإِنْ مَدَّ الْبَقَاءُ لَهُ وَسَاعَدَتْ نَفْسُهُ فِيهِ أَمَانِيهَا
 أَبْقَى الْبَقَاءُ لَهُ فِي نَفْسِهِ شُغْلًا مِمَّا يُرَى مِنْ تَصَارِيفِ الْبَلَايَا

(٤) عجم العود : عضة ليعرف أصلب هو أم رخو ؟ وعجبت عوده : بلوت أمره وخبرت حاله . قال :

أَبَى عُودُكَ الْمَجْجُومُ إِلَّا صِلَابَةً وَكَفَّاكَ إِلَّا نَائِلًا حِينَ تُسَالُ

يقول : قد طالبت صبحى للزمان ، وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .
 (٥) يقول : فى من الجلادة والبصر ما يقارع الخطوب ويدافعها عن توهينى ، ومن

مَا كُنْتَ عَنْهُ إِذِ اسْتَفَانَكَ يَا سَيْفَ بَنِي هَاشِمٍ بِمَغْمُودٍ^(١)
يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ يَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ طُرّاً يَا أَصِيدَ الصَّيْدِ^(٢)
قَدْ مَاتَ مِنْ قَبْلِهَا فَأَنْشُرْهُ وَقَعُ قَنَا خَلَطٌ فِي اللَّغَاذِيدِ^(٣)
وَرَمَيْكَ اللَّيْلَ بِالْجُنُودِ وَقَدْ
رَمَيْتَ أَجْفَانَهُمْ بِتَنْشِيدِ^(٤)

طول إلفق للحن ما نفى عن الجزع وصيرني آنس بالمصاب . وعلى هذا يكون : وما آنسى
عظفا على ما قارع ويجوز — كما قال العكبرى — أن تكون ما — في وما آنسى —
تعبياً . وعبرة الواحدى : في ما يقارع الخطوب ويؤنس بالمصاب العظام ، وهو علمه
بثواب المصابين كما قال صلى الله عليه وسلم « ليودن أهل العافية يوم القيامة لو أن جلودهم
قرضت بالمقاريض . . . لما يرون من ثواب أهل البلاء » . والذى آنسه بالمصاب رأيه
الذى يريه المخرج منها . . . والخطوب جمع خطب : الشدة تلقى الإنسان . والمصيبة
إذا عظمت قيل : مصيبة سوداء .

(١) يقول : لما استفانك وهو فى أسر بنى كلاب أغثته واستغذنه من أيديهم ولم
تكن سيفاً مغموداً عنه .

(٢) يا أصيد الصيد ، يا ملك الملوك . وأصل الصيد : داء يأخذ البعير فى عنقه
فلا يستطيع معه أن يلتفت يمنة أو يسرة ، واستعمل فى الملك والرجل العظيم صاحب
النخوة ، وأصيد أفعل وصف لا أفعل تفضيل والصيد جمعه قال العكبرى : وأصيد
الصيد ههنا بمعنى ملك الملوك ولا يكون هنا أعظمهم صيداً لأن ذلك يفتح كما يفتح
أعور العور أى أشد هم عوراً ، لأن الخلق والعاهات لا يستعمل فيها أفعل ولما أفعله .

(٣) اللغاذيد : لحامات بين الحنك وصفحة العنق ، وأنشره : أحياء ، قال تعالى « ثم
إذا شاء أنشره » ، وقنا الخط : الرماح والخط : موضع بالجمامة تنسب إليه الرماح وجعل
أسره قبل ذلك موتاً قبل هذه الموتة . يقول : لقد مات قبل هذه الموتة بأسر الخارجى
إياه ، فأنشرته من ذلك الموت بطعن الرماح فى لغاذيد الأعداء حتى استغذته منهم .

(٤) يقول : وأنشره سيرك ليلا يجنودك لاستنقاذه وقد سهروا خشية هجومك عليهم ،
فكأنك رميت عيونهم بالسهل ، ورميت الليل بالجنود إذ سرت فيه يجنودك ، فقوله :
ورميك ، عطف على وقع القنا .

فَصَلِّبْنَهُمْ رِيعَالَهَا شُرَبًا (١)
تَحْمِيلُ أَعْمَادُهَا الْفِدَاءَ لَكُمْ (٢)
وَرِيحُهُ فِي مَنَاخِرِ السَّيِّدِ (٣)
فِي شَرْفٍ شَاكِرًا وَتَسْوِيدِ (٤)
مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ (٥)

(١) الهاء — في ريعالها — كناية عن الخيل ، وإن لم تذكر ، والريعال : جمع رعلة القطعة من الخيل ، والضمير للجنود ، والشرب : جمع شارب ، وهو الضامر . والثبت : جمع ثبة ، وهى الجماعة ، والبايد : الفرق ، ولا واحد لها من لفظها . يقول : انصبت عليهم الخيل صباحا زراطلت ووحدا .

(٢) انتقد الدرام : قبضا ، والأخايد : جمع أخدود ، وهو الشق فى الأرض ، كنى بما تحمل الأعماد عن السيوف : أى حملوا إليهم السيوف فى الأعماد وجعلوها فداء . لأنهم استنقذوه بها ، ولما جعل السيوف فداءً جعل الضرب بها مقبوضا كما تقبض الدرام والدنانير التى تدفع عادة فى الفداء . يعنى : إن فداء أبى وائل كان ضرباً أثر فيه تأثير الأخدود فى الأرض : أى نالتهم جراح واسعة كأنها الأخايد .

(٣) الفراش : عظام رفاق تلى خف الرأس ، والهام : الرؤوس . والسيد : الدب . يقول : إن هذا الضرب يقع فى عظام رؤوسهم فتستنشق الدباب والوحوش منه رائحة تلها فتأنى لأكل لحومهم .

(٤) يقول : إن الحياة التى وهبها له بعد تخليصك إياه من الأسر والقتل أفناها فى بناء الشرف والسيادة شاكرًا لك تلك النعمة — نعمة الحياة — التى أنعمت عليه بها . ويجوز أن يكون التسويد إقراره بسيادة سيف الدولة ، وشاكرًا : حال من ضمير أفنى ، والتسويد : مصدر سوده أى جعله سيدياً .

(٥) المنجود : المكروب ؛ ويقال استنجدنى فأنجذته : أى استعان بى فأعنته ، واستنجد الرجل أى قوى بعد ضعف أو مرض ، ويقال للرجل إذا ضرى بالرجل واجترأ عليه بعد هيئته إياه : قد استنجد عليه ، وكان المرئى قد أصابته جراحة فى الحرب فبقى فيها إلى أن مات . يقول : أفنى بقية حياته سقيم جسم بسبب هذه الجراحة ، مكروباً لتلك الجراحة ، وهو مع ذلك عون للمكروب .

ثُمَّ غَدَا قَيْدَهُ الْحَمَامُ وَمَا تَخْلَصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودٍ^(١)
 لَا يَنْقُصُ أَلْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ مِنْهُ عَلَى مُضَيِّقُ الْبَيْدِ^(٢)
 تَهَبُ فِي ظَهْرِهَا كِتَابَتُهُ هُبُوبٌ أَرْوَاحَهَا الْمَرَاوِدِ^(٣)
 أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْ أَسْمِهِ كَتَبَتْ سَنَابِكَ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ^(٤)
 مَهْمَا يُعَزُّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ^(٥)

(١) الحمام : الموت ، والصفود : القيد . يقول : بعد أن خلصته من أسر العدو غدا أسيراً للموت . ومن قيد بالموت وصفده لم يتخلص منه : هذا ، وجملة قيده الحمام : مبتدأ وخبر في موضع نصب كأنه قال ثم غدا هو ، وروى قده الحمام ، والقيد : الغل والقيد ، وروى قده الحمام أى غدا الحمام قده .

(٢) يقول : من هلك من عشيرتك لا ينقص به عدلك لأن الفلوات تضيق باتباعك ومن معك من الجيوش : ومن — في قوله من عدد — زائدة ، وعدد : مفعول ينقص ومنه على : مبتدأ وخبر صفة لعدد ، وعلى هو سيف النبوة .

(٣) الضمير — في ظهرها — للبيد ، وأرواحها : رياحها ، والمراد : الرياح تجيء وتذهب . قال ذو الرمة :

يَا دَارَ مَيَّةٍ لَمْ يَتْرَكْ بِهَا عِلْمًا تَقَادُمُ الْعَهْدِ وَالْهَوُجُ الْمَرَاوِدُ

يقول : إن جيوشه تطلع على الفلوات وتنتشر فيها انتشار الرياح عند هبوبها . يريد أن جيوشه كثيرة فهي تم البيد كما تمها الرياح عند هبوبها ، وهذا على حد قوله :

إِذَا سَارَ فِي مَهْمَةٍ عَمَّهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ

(٤) أراد بأول حرف من اسمه : العين ، لأن اسمه على . والسنبك : طرف الحافر ، والجلاميد : الصخور . يقول : إن حوافر الخيل لشدة وقمها على الصخور كانت تطبع فيها أثراً يشبه حرف العين في استدراته وفراغ وسطه .

(٥) يقول : مهما عزاه معز بهذا البيت ، فلا عزاء بجوده وشجاعته : أى لا تقدها فالفتى : فاعل يعز ، والأمير : منصوب بوقوع العزاء عليه ، وتقديره : مهما يعز معز الأمير ، والضمير في به : للبيت . وروى — يعز الفتى الأمير — على أن الأمير صفة للفتى ، والفتى : نائب فاعل يعز البننى لما لم يسم فاعله .

وَمِنْ مَنْ بَقَاؤُهُ أَبَدًا حَتَّى يُعْزَى بِكُلِّ مَوْلُودٍ^(١)

وقال يمدحه ، ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزو خرشنة ، ويذكر الواقعة :

عَوَازِلُ ذَاتِ الْخَالِ فِي حَوَاسِدُ
وَإِنْ ضَجِيعَ الْخُودِ مِنِّي لَمَاجِدُ^(٢)
يَرُدُّ يَدَا عَنْ تَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ
وَيَنْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدُ^(٣)

(١) يقول : أمنيته أن يبقى على الدوام حتى يتقدمه كل من ولد فيعزى بهم قال ابن جني : وهذا دعاء حسن ، كما يقال للعزى : جملك الله وارث الجماعة ، وهو أجود في المعنى من قولهم : لا أعاد الله إليك مصيبة أبداً .

(٢) الخود : المرأة الناعمة الحسنة الخلق . يقول : إن اللواتي يعذلن هذه المرأة - التي هي صاحبة الخال على خدها - في لأجل محبتها إياي هن حواسد لها على ، لأنها ظفرت مني بضجيع ماجد .

(٣) يرد : أى الضجيع ، والطيف : الخيال في النوم . يقول : إننى أعف عنها مع كوني قادراً على ترك العفاف ، وقد صار ذلك سجية لى حتى صرت أعف عن طيفها أيضاً إذا زارنى في نومي . يصف نفسه بالعفة والرغبة عن مغازلة النساء ، كما قال هذبة :

وَلَمَّا لَأْخُلِي لِلْفَتَاةِ فِرَاشَهَا وَأَصْرِمُ ذَاتَ الدَّلِّ وَالْقَلْبُ آلِفُ
قال ابن جني : لو قدر على أن يقول موضع قادر : يقظان أو مستيقظ لكان أجود في الصناعة ، ولكنه لم يقدر . قال أبو الفضل العروضى : هذا النقد - نقد ابن جني - غير جيد ، وذلك أنه لو قال يقظان أو ساهر : لم يزد على معنى واحد ، وهو الكف في حالة النوم واليقظة ، وإذا قال قادر : زاد في المعنى أنه تركها صلف نفس وحفظ مروءة لا عن عجز ورهبة ، ولو أن رجلاً ترك المحارم من غير قدرة لم يأنم ولم يؤجر ، وإذا تركها مع القدرة صار مأجوراً . قال : والعجب من أبى الفتح يقصر فيما فرض على نفسه من التفسير ويخطئ ثم يتكافى النقد ، وقال في قوله وهو راقد : إن الراقد قادر أيضاً

مَتَى يَشْتَنِى مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى
 مُحِبٌّ لَهَا فِي قُرْبِهِ مُتَبَاعِدٌ^(١)
 إِذَا كُنْتَ تَحْشَى الْعَارَ فِي كُلِّ خَلْوَةٍ
 فَلَمْ تَتَصَبَّأَكَ الْحَسَنُ الْخَرَائِدُ^(٢)
 أَلَحَّ عَلَى السُّنْمِ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَمَلَّ طَيْبِي جَانِبِي وَالْعَوِيدُ^(٣)

أن يتحرك في نومه ويصيح ، وليس هذا بشيء ، ولم يقله أحد ، والقدرة على الشيء أن يفعله متى شاء ، فإن شاء فعل وإن شاء ترك ، والنائم لا يوصف بهذا ولا الغشى عليه ولا يقال للنائم إنه مستطيع ولا قادر ولا مريد ، وأما عصيانه الهوى في طيفها فليس باختيار منه في النوم ، ولكنه يقول لشدة مائتت في طبعي وغريزتي صرت في النوم كالجارى على عادتي .

(١) اللاعج : المحرق ، يقال : هوى لاعج ، لحرقه الفؤاد من الحب ، ولعج الحب والحزن فؤاده يلعج لعجا ، استحر في القلب ؛ ولعجه الضرب ، آلمه وأحرق جلده ، قال عبد مناف بن ربح الهذلي .

ماذا يَغْيَرُ ابْنَتِي رُبْعٌ عَوِيْلُهُمَا لَا تَرْقُدَانِ وَلَا بُؤْسَى لِمَنْ رَقَدَا
 إِذَا تَأَوَّبَ نَوْحٌ قَامْتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيمًا يَسْبِتُ يَلْعَجُ الْجِلْدَا
 « يغير : ينفع ؛ أى لا يغنى بكاؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئا ، والسبت : جلود البقر المدبوعة واحتاج إلى حركة اللام من الجلد فكسره » والحشا : ما اضطمت عليه الضلوع . وقوله في قربه : حال من فاعل متباعد . يقول : متى يجد الشفاء من الشوق المحرق محب لهذه المحبوبة إذا دنا منها بشخصه نأى عنها بعفائه ؛ وعبرة ابن جنى : يريد متى تشفى مما بك وأنت كلما قدرت امتنعت ؟

(٢) تصباك ، تدعوك إلى الصبوة ، والخرائد : الحيات . ينكر على نفسه صبوته إلى الحسان مادام يخشى العار في الخلوة بهن . يقول : إذا كنت في الخلوة بهن تتأذى عنهن وتعف ، فمالك ولعشق الحسان والزراع إلهن ؟

(١) ألح عليه : لازمه . ويقال : ألح عليه بالمسألة ، وألح الرجل على غريمه في التقاضى إذا واظب ؛ وسحاب ملحاح : دائم ، وألح السحاب بالمكان : أقام به مثل ألح ؛ وألحت

مَرَزْتُ عَلَى دَارِ الْحَبِيبِ فَحَمَمْتُ
 جَوَادِي وَهَلْ تَشْجُو الْجِيَادَ الْمَاهِدُ^(١)
 وَمَا تُنْكِرُ الدِّمَاهُ مِنْ رَسْمِ مَنَزِلٍ
 سَقَتَهَا ضَرْبَ الشَّوْلِ فِيهَا الْوَلَايِدُ^(٢)
 أَهْمُ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَانَتْهَا تَطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأَطَارِدُ^(٣)

الناقة وألح الجمل : إذا لزما مكانهما فلم يبرحا كما يحرن الفرس ؛ وكله من اللزوق .
 والعوائد : جمع عائدة ، وهى التى تعود المريض . يقول : لارمنى السم فلا يفارقنى حتى
 لقد ألفتته ، وقد ملئى طبيبي وعوائدى لشدة ما بى من السم .

(١) يقال : فرس جواد للذكر والأنثى . والحممة : دون الصهيل ، كالتمنع .
 وشجاء يشجوه : إذا أجزنه ؛ وأشجاء إذا غصه . والمعاهد جمع معهد ، وهو الموضع
 الذى عهدت به شيئا ، وتسمى ديار الأجرة : معاهد . يقول : مررت على دار الحبيب
 فحممت جوادى حينئذ لأنها عرقها . ثم استفهم متعبا فقال : وهل الديار تشجى
 العجاوات كما تشجى الإنسان ؟ ! وقد أخذ أبو الحسن التهاى هذا وزاد
 عليه فقال :

بَكَيْتُ فَحَمَمْتُ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جِيَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا
 ثُمَّ زَادَ السَّرَى الرَّفَاءَ عَلَى هَذَا فَقَالَ :

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَتُرْزِمُ نَاقَتِي وَتَصْهَلُ أَفْرَاسِي وَيَدْعُو حَمَامُهَا

(٢) ما : استفهام إنكارى والفرس الدهاء : السوداء . والضرب : اللبن الخائر
 يغلب من عدة لقاح . والشول : النياق التى بعد عهدها بالتاج لجف لبنها . والوليدة :
 الجارية التى تخدم . نفى التعجب ورجع عنه . يقول : كيف تنكر الفرس الدهاء رسم
 منزل أقامت به تسقى الولائد فيه لبن النياق فألفتته ؟ وقال الواحدى : « ما » ههنا نفى .

(٣) عن كونه : أى عن حصوله . يقول : أريد الأمر الخطير وأحاول فعله والليالى
 تدافنى عنه وتحول بينى وبينه ، فكانها بذلك تطاردنى عن الوصول إليه ، وأنا
 أطاردها عن حيلولتها بينى وبينه .

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ^(١)
وَتُسْعِدُنِي فِي غَمْرَةٍ بَعْدَ غَمْرَةٍ سُبُوحٌ لَهَا مِنْهَا عَلَيْهَا شَوَاهِدُ^(٢)
تَثْنَى عَلَى قَدْرِ الطَّعَانِ كَأَنَّمَا مَفَاصِلُهَا تَحْتَ الرِّمَاحِ مَرَاوِدُ^(٣)
مَحْرَمَةٌ أَكْفَالُ خَيْلٍ عَلَى الْقَنَا مُحَلَّةٌ لَبَّاتُهَا وَالْقَلَائِدُ^(٤)

(١) وحيد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا وحيد؛ ويروى وحيدا - على أنه حال من ضمير أم - يقول: إن مطلوبي عظيم، ومن ثم لا أجد من يساعدنني على ما أطلب، لأن المطلوب إذا كان عظيما قل من ينهض بالمساعدة عليه، والخلان: جمع خليل: كـرغيف ورغفان (٢) الغمرة: الشدة « والسبوح: الفرس التي كأنها تسبح في جريها، يقول: وتصفى على توارد الصمات في الحروب فرس سبوح يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها وفي الشطر الثاني من كثرة التكرار - وهو قوله لها منها عليها - ما قد يعاب به ولها خبر مقدم عن شواهد؛ والجملة: صفة؛ وعليها: متعلق بشواهد؛ ومنها: حال، (٣) الراود: جمع مروود، وهو حديدة تدور في اللجام - من راد يرود: إذا ذهب وجاء. يقول: إن هذه السبوح - للين مفاصلها - تميل مع الرماح كيفما اتجهت شبه مفاصلها في سرعة استدارتها - إذا لوى عنانها لدى الطعان - يسبح المروود بدور مع حلقاته كيفما أديرته، كما قال كشاجم:

وَإِذَا عَطَفَتْ بِهِ عَلَى مَوْرُودِهِ لِتُسْدِيرِهِ فَكَأَنَّهُ يَرْكَارُ^(١)

وهنا قال الواحدي: أخطأ القاضى - يريد القاضى أبا الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني - في هذا البيت، وزعم أن هذا من القلوب، وقال: إنما يصح المعنى لو قال كأنما الرماح تحت مفاصلها مراود؛ وعنده أن الزود مثل المسكحلة، شبه الرماح في مفاصلها بالليل في الجفن يفعل فيها كما يفعل الليل في العين، وهذا فاسد، لأنه يخص الفاصل، وليس كل الطعن في الفاصل لأنه قال تثنى على قدر الطعان، وإذا كانت الرماح ومفاصلها كالليل في الجفن فلا حاجة إلى تشبيهها.

(٤) اللبات: أعالي الصدور. ومحلة القلائد: أي مواضع القلائد من الأعناق.

(١) البركار والبيكار: آلة ذات ساقين لرسم الدوائر - البرجل -

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمُهَنْدُ فِي يَدِي مَوَارِدَ لَا يُصْدِرْنَ مَنْ لَا يُجَالِدُ^(١)
وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَحْمِلِ الْقَلْبُ كِفَةً
عَلَى حَالَةٍ لَمْ يَحْمِلِ الْكَفَّ سَاعِدُ^(٢)
خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ^(٣)
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ^(٤)

يقول : إنه يغوض الحرب فتتال الرماح من صدور خيله وأعناقها ولا تتال من أعجازها لأنه لا يهرب منها .

(١) يقول : وأورد نفسي في الحرب — وسيفي في يدي — موارد مهلكة لا يصدر وأردها حيا ما لم يكن جلدا شجاعا مثلي — أو ما لم يقاتل مثلي — وعبارة ابن جني : من وقف مثل موقفي في الحرب ولم يكن شجاعا جلدا ، هلك . هذا : والواو في والمهند : والحوال ، والمهند : السيف الهندي ، أو السيف المشحود .

(٢) يقول : إن قوة الضرب إنما تتكون بالقلب لا بالكف ، فإذا لم تقو الكف بقوة القلب : لم تقو بقوة الساعد وقوله : على حالة : صلة يحمل .

(٣) يقول : إن من عداه من الشعراء يدعون الشعر ، والقصائد له ، لأن كلامهم لا يستحق أن يسمى شعرا . ولعله يريد أنهم يأخذون شعره ويدعونه لأنفسهم : وإذن : فهو الشاعر في الحقيقة ، أما غيره فهو شاعر باتحال شعره . وعبارة الواحدى : يريد كثرة من يرى من الشعراء الدعين وأن له التحقيق باسم الشاعر لأنه هو الذى يأتي بالقصائد لا هم . قال ابن جني : لو قال : فكلم منهم الدعوى ومنى القصائد لكان أحسن وأشد مبالغة ، لأنها تدل على كثرة فعلهم .

(٤) في هذا البيت من البديع حسن التخلص . يقول إنه في الشعراء كسيف الدولة في السيوف ، فكل منهما منقطع النظير — وإن كاله أشباه ونظائر في التسمية — وهذا كما يقول الفرزدق :

وقد تلتقى الأسماء في الناس والكفى كثيرا ولكن فرّقوا في الخلائق

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَنَجِ فِي الْحَرْبِ مُنْتَضِي
وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَامِدٌ^(١)
وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِدٌ^(٢)
أَحَقُّهُمْ بِالسَّيْفِ مَنْ ضَرَبَ الطَّلَى وَبِالْأَمْنِ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ^(٣)

(١) انتضى السيف سله وجرده . يقول . إنه ليس كسيوف الحديد التي تنتضي وتغمد ، وإنما ينتضيه في الحرب كرم طبعه وما آثره الله به من الشجاعة والأفة ، ويغمد ما تعود من العفو والإحسان . هذا : وكما يقال : انتضى السيف . يقال : نضاه أيضاً ، ونضا الخضاب : ذهب لونه ونصل ، ونضوت البلاد : قطعها . قال تأبط شراً ولكنني أروى من الخمر هامتي وأنضوا الفلأ بالشاحب أنتشل^(١)
(٢) يقول : لما رأيت الناس دونه في المنزلة تيقنت أن الدهر ناقد لهم يعطى كلاً على قدر ما يستحقه ، وهذا على خلاف ما يفعل الدهر ، لأن الدهر يرفع من لا يستحق ، ويحط من يستحق ، فهو على العكس مما قال المتنبي .

(٣) الطلى : الأعناق ، وهذا كالشرح لما ذكره في البيت السابق يقول : إن أحق الناس بأن يتقلد السيف أو يكون صاحب سيف وإمارة : من كان ضارباً للأعناق - أى شجاعاً - وأحقهم بأن يأمن جانب عدوه من هانت عليه الشدائد وغمرات الحروب . وعبارة بعض الشعراء : لا يستحق أن يحمل سيفاً إلا من يضرب به الأعناق : وقوله وبالأمن : يروى وبالأمر : أى يتولى أمور الناس ، أو بمنصب الإمارة . هذا : وقد أسلفنا أن الطلى : الأعناق ، وقيل : أصول الأعناق . الواحدة طلية ، ويقال الطلاء أيضاً ، وأطلى الرجل والبعر إطلاء فهو مطل : مالت عنقه للموت أو لغيره قال :

وَسَائِلُهُ تَسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا فَقُلْتُ لَهَا وَقَعْتُ عَلَى الْخَبِيرِ

تَرَكَتُ أَبَاكَ قَدْ أَطْلَى وَمَالَتْ عَلَيْهِ الْقُشْعَانُ مِنَ النَّسُورِ

وفي الحديث « ما أطلى نبي قط » أى مامال إلى هواه وأصله من ميل الطلاء أى

(١) يعنى بالمتشلسل الرجل المتخذ لقليل اللحم الخفيف ، والشاحب - على هذا - يريد به الصاحب ، وقيل : يريد به السيف . قال الأصمى : هو سيف يقطر منه الدم ، والشاحب : الذى أخلق جفنه .

وَأَشَقُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا الرُّومُ أَهْلَهَا بِهَذَا وَمَا فِيهَا لِمَجْدِكَ جَاحِدٌ^(١)
 شَنَنْتَ بِهَا الْفَارَاتِ حَتَّى تَرَكَتَهَا وَجَفَنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدٌ^(٢)
 مُحَضَّبَةٌ وَالْقَوْمُ صَرَعَى كَأَنَّهَا وَلَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ مَسَاجِدُ^(٣)
 تَنَكَّسَهُمُ وَالسَّابِقَاتُ جِبَالُهُمْ وَتَطْفَنُ فِيهِمُ وَالرَّمَاحُ الْمَسْكَائِدُ^(٤)

الأعناق إلى أحد الشقين ؛ والطلاء : ما طبع من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه ، وبعض العرب تسمى الحمر : الطلاء . يريد بذلك تحسين اسمها لا أنها الطلاء بينها . وفي الحديث : « يشرب ناس من أمق الحمر يسمونها بغير اسمها » يريد أنهم يشربون النبيذ للسكر الطبوخ ، ويسمونه طلاء تخرجاً من أن يسموه خمرأ . والطلاء : القطران ، وكل ما طليت به ، والطلا : الولد من ذوات النطف والحف والجمع أطلاء .

(١) يقول : إن أشقى بلاد الله البلاد التي أهلها الروم ، وشقاؤها إنما هو بهذا : أى بكونك تضرب الطلى ولا تكثر لعمرات الحروب ، ومع هذا فهم كلهم معترفون بمعبدك ولا يمحذون ما أنت عليه من الشجاعة والإقدام .

(٢) شن الفارة : صبا عليهم وفرقها من كل وجه ؛ والفرنجة : قرية بأقصى بلاد الروم . يقول : صليت الفارة على بلاد الروم فشاع خوفك فيهم جميعاً حتى بات الذي في أقصى بلادهم لا ينام خوفاً وإن كان بعيداً عنك .

(٣) يقول : إن هذه البلاد ملطخة بدمائهم كأنها مساجد مغلقة — أى مطلية بالخالق : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران — وهم مقتولون طريحون فيها كأنهم سجد على الأرض ، وإن لم يسجدوا حقيقة . فقوله : محضبة — بالرفع — خبر ابتداء محذوف ، ومن نصبه جعله حالا من الضمير في تركتها . والقوم صرعى : يروى والخيول صرعى ، وصرعى : جمع صريع : أى طريح ، ومساجد : خبر كان ، والجملة المعترضة : حال .

(٤) يقول : تنزلهم منكوسين من جبالهم التي تحصنوا بها ، فهي لهم بمنزلة الخيول السابقة . وتأتى عليهم بكيدك : يعنى أنه يكيد لهم حتى ينزلوا فيوقع بهم فيقوم فيهم كيدك مقام الرماح . ولك أن تقول والسابقات جبالهم : أى أنك تنزلهم منكوسين من خيولهم التي كأتها الجبال يستعصمون بها فتكسهم عنها . وعبرة الواحدى : تطعنهم برماح من كيد وتنزلهم عن خيولهم منكوسين ؛ ونكسه : قلبه ، والسابقات : الخيول .

وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكَدَى
 كَمَا سَكَنَتْ بَطْنُ التُّرَابِ الْأَسَاوِدُ^(١)
 وَتُضْحِي الْحُصُونُ الشَّمَخَرَاتُ فِي الذُّرَى
 وَخَيْلُكَ فِي أَعْنَاقِهِنَّ قَلَائِدُ^(٢)
 عَصَفَنَ بِهِمْ يَوْمَ اللَّقَانِ وَسَقَنَهُمْ^(٣) بِهَنْزِيْطٍ حَتَّى أَيْبَضَ بِالسَّيِّ آمِدُ^(٤)
 وَالْحَقْنُ بِالصَّفَصِ سَابُورَ فَانْهَوَى وَذَاقَ الرَّدَى أَهْلَاهُمَا وَالْجَلَامِدُ^(٥)

(١) الهبر : تقطيع اللحم ؛ والكدى : جمع كدية ، وهى الأرض الصلبة . وأصلها فى البئر يصل إليها الحافر فيقف عندها لصلابتها ، فيقال : أكدى أى انقطع ، قال تعالى « وأعطى قليلا وأكدى » قيل أى وقطع القليل ؛ وقيل أمسك عن العطية وقطع ، قالوا : وأصله من الحفر فى البئر ، يقال للحافر إذا بلغ فى حفر البئر إلى حبر لا يمكنه من الحفر : قد بلغ إلى الكدية ، وعند ذلك يقطع الحفر . والأساود : الحيات العظيمة : يقول : وتعمن فى تقطيعهم بالسيوف وقد اكتمنوا تحت الصخور وفى المغاور والكهوف كما تكن الحيات فى التراب .

(٢) الشمخرات : المرتفعات . والذرى : أعلى الجبال . يقول : وتضحي الحصون العالية الشائعة فى رؤوس الجبال وخيلك محيطة بها إحاطة القلائد بالأعناق وروى ابن جنى : القلائد - بالتعريف -

(٣) اللقان : وهزيط من بلاد الروم ، وآمد : بلد بالثغور مما يلي الروم بينها وبين ديار بكر . يقول : عصفت بهم خيلك وأنت عليهم هلاكا يوم أغرت عليهم بهذا السكان وساقهم أسارى حتى أبيضت أرض آمد بكثرة من حصل بها من الأسارى من الجوارى والفلان ، فالضمير فى عصفت للخيل ، وتطلق الخيل ويراد بها الفرسان .

(٤) الصفصا وسابور : حصان منيعان للروم ، وانهى : هوى وسقط . يقول : وألحقن - أى الخيل - أحد الحصنين بالآخر فى التخریب حتى سقط مثله ، وهلك أهل الحصنين وحجارتها ، لأنه أحرقهما بالنار فصارت الصخور رماداً ، فجعل ذلك هلاكا وقوله : وانهى . قال الواحدى : هو غريب فى القياس ، لأن انفل إنما يبنى مما التلاى منه تمتد ، وهذا غير متمد ؛ وفى النصيح من الكلام : هوى قال تعالى « والنجم إذا هوى » .

وَعَلَسَ فِي الْوَادِي بَيْنَ مُشَيَّعٍ مُبَارَكُ مَا تَحْتَ اللَّثَامِينَ عَابِدُ^(١)
 فَتَى يَشْتَهِي طُولَ الْبِلَادِ وَوَقْتِهِ تَضِيقُ بِهِ أَوْقَاتُهُ وَالْمَقَاصِدُ^(٢)
 أَخُو غَزَوَاتٍ مَا تُغِبُّ سَيُوفُهُ رِقَابُهُمْ إِلَّا وَسِيحَانُ جَامِدُ^(٣)
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَا لَمْ يَشْفَتْنَهَا وَالْثُدَى النَّوَاهِدُ^(٤)
 تُبْكِي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقُ فِي الدُّجَى وَهُنَّ لَدَيْنَا مَلَقِيَّاتٌ كَوَاسِدُ^(٥)

(١) غلس : سار غلسا ، أى آخر الليل ؛ وبين : أى بالحيل ، والمشييع : الجريء ، المقدام ، وما تحت اللثامين : الوجه ، واللثام : ما يكون على الوجه . والتلم عادة العرب في أسفارها ؛ وعنى باللثام الثانى : ما يرسله على الوجه من حلق العنقر . ومبارك الوجه عابد لله ، هو سيف الدولة .

(٢) يقول : إنه يتمنى أن تكون البلاد أوسع مما هى والزمان أطول . لأن الأوقات تضيق بما يريد ، وما يقصد إليه من البلاد يضيق بهمه وجيوشه ؛ وهذا كقوله الآتى :

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هِمَمٌ مِلْءُ فُؤَادِ الزَّمانِ إِحْدَاهَا
 فَإِنْ أَتَى حَظُّهَا بِأَزْمَنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمانِ أَبْدَاهَا

وعبارة ابن جنى : يشتهى طول البلاد والزمان ليظهر ما عنده من الفضل والكمال وهو مع ذلك تضيق به أوقاته ومقاصده : أى تضيق عن همته .

(٣) أغب فلان القوم وغب عنهم : إذا جاءهم يوما وغاب عنهم يوما ، وسيحان . نهر يلاذ الروم ، وهو غير سيحون . يقول : هو مقيم على غزو الروم لا تفارق سيوفه رقابهم إلا إذا اشتد البرد وجدت أنهارهم ، لأن ذلك يحول دون غزوه إياهم .

(٤) الظبا - جمع ظبة - حد السيف . واللمى : سمرة فى الشفة تستملح . ونهد الثدى : ارتفع . يقول : إنه عصف بالروم وآتى عليهم حتى لم يبق منهم إلا النساء ، فقد حمها المعنى النسوى من حد السيف ، وقد أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :

فَمَا أَبْقَيْتَ إِلَّا مُحْطَفَاتٍ حَمَى الْإِخْطَافُ مِنْهَا وَالنُّهْدُ

« الإخطاف : الضمور » .

(٥) البطاريق : قواد الروم . يقول : إنه أسر بنات البطاريق فهم سيكون عليهن

بِذَا قَصَصَ الْإِيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ قَوَائِدُ^(١)
وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنَّكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمُوقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدُ^(٢)
وَأَنَّ دَمًا أَجْرَيْتَهُ بِكَ فَأَخِرَ وَأَنَّ فَوَادًا رُغْتَهُ لَكَ حَامِدُ^(٣)
وَكُلُّ يَرَى طُرُقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى وَلَكِنَّ طَبَعَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ قَائِدُ^(٤)
نَهَبَتْ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ لَهُنَّتِ الدُّنْيَا بَأَنَّكَ خَالِدُ^(٥)

ليلا ، وهن لدينا في دار الإسلام مطروحات ذليلات لا يرغب فيهن ، وبكاه : بمعنى بكاه
والتشديد للمبالغة .

(١) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

مَا إِنْ تَرَى شَيْئًا لَشَيْءٍ حَيًّا حَتَّى تُلَاقِيَهُ لَأَخَرٍ قَاتِلًا

وهو معنى قديم ، ولكن التنبؤ صاغة أبعد صياغة وأوجز .

(٢) موموق : محبوب . والمقة : المحبة ، وفيهم : صلة موموق ، وعلى : بمعنى مع ،
والشاكد : المعطى ، شكده يشكده ويشكده شكدا : أعطاه أو منحه ، والإقدام : الشجاعة .
يقول : أنت على قتلك إياهم محبوب فيما بينهم حتى لكأنك تعطيمهم شيئا ، وذلك من
شرف الشجاعة لأن الشجاع محبوب حتى عند من يقتله .

(٣) يقول : ومن شرف الإقدام أن الدم الذي تسفكه يفخر بأنه سفك يديك ، وأن
القلب الذي تخفيه يحمذك إعجابا بشجاعتك ، كما يقول القائل :

فَإِنْ كُنْتُ مُقْتُولًا فَكُنْ أَنْتَ قَاتِلِي فَبَعْضُ مَنَايَا الْقَوْمِ أَكْرَمُ مِنْ بَعْضِ

(٤) يقول : إن كل أحد يعرف طرق الشجاعة والكرم ، لأنه لا خفاء بهما ،
يد أنه إنما يسلك طريقهما من قاداته نفسه إليهما وكان مطبوعا عليهما . يعنى أنك أنت
محبول عليهما ، ومن ثم تفودك نفسك إليهما .

(٥) قال الواحدي : هذا من أحسن ما مدح به ملك ، وهو مدح موجه — أى
ذو وجهين — وذلك أنه مدحه في الصراع الأول بالشجاعة وكثرة قتل الأعداء فقال :
نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ما لوعشته لكأنت الدنيا مهتأة يقاتلك فيها خالداً ، وهذا
هو الوجه الثاني في المدح — أنه جملة جمالا للدنيا تنها الدنيا يقاتله فيها ، ولو قال : ما لو
عشته لبقيت خالداً : لم يكن المدح موجها . وقال الربيعي : المدح في هذا من وجوه :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاهُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ^(١)
وَأَنْتَ أَبُو الْهَيْجَاءِ ابْنُ حَمْدَانَ يَا ابْنَتَهُ تَشَابَهُ مَوْلُودَ كَرِيمٍ وَوَالِدُ^(٢)
وَحَمْدَانَ حَمْدُونَ وَحَمْدُونَ حَارِثٌ وَحَارِثٌ لُقْمَانٌ وَلُقْمَانٌ رَاشِدُ^(٣)

أحدها : أنه وصفه بنهب الأعمار لا الأموال . الثاني : أنه كثر قتلاه بحيث لو ورث أعمالهم خلد في الدنيا . الثالث : أنه جل خلوده صلاحاً لأهل الدنيا بقوله لهنت الدنيا . الرابع : أن قتلاه لم يكن ظالماً في قتلهم لأنه لم يقصد بذلك إلا صلاح الدنيا وأهلها فهم مسرورون ببقائه ، فلذلك قال لهنت الدنيا : أى أهل الدنيا ، وقال ابن جني : لو لم يمدحه إلا بهذا البيت لكان قد أبقى ما لا يمحوه الزمان .

(١) يقول : أنت للملك بمنزلة السيف ؛ ولكن الضارب بك هو الله ، وأنت للدين راية الله سبحانه الذي عقدها وأحكمها .

(٢) أبو الهيجاء : كنية عبد الله بن حمدان ، والد سيف الدولة . والهيجاء : الحرب تمد وتقصّر — يقول : يا ابن أبي الهيجاء أنت أبو الهيجاء . يريد قوة الشبه بينهما ، حق كأنه هو . وذلك قوله * تشابه مولود كريم ووالد *

(٣) هؤلاء آباء سيف الدولة . يقول : أنت تشبه أباك ، وأبوك يشبه أباه ، وأبوه أباه . . الخ ، أى أن كل واحد من آبائك يشبه أباه في كرمه وسائر محاسنه ، وقد عاب صاحب هذا البيت قال : لم نزل نستحسن جمع الأسامي في الشعر ، كقول الشاعر :

إِنْ يَتْلُوكَ فَقَدْ ثَلَّثَ عُرُوشَهُمْ بِقَتِيلَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ

واحتذى هذا الفاضل حذوم فقال : وأنت أبو الهيجا — البيتين — وهذا من الحكمة التي ذكر أرسطو وأفلاطون لهذا الخلف الصالح . قال ابن فورجة أما سبك البيت فأحسن سبك : يريد أنت تشبه أباك ، وأبوك كان يشبه أباه ، وأبوه أباه . فأنت أبوك إذ كان فيك أخلاقه ، وأبوك أبوه — إلى آخر الآباء — فليت شعري : ما الذي استقبحه ؟ فإن استقبح قوله : وحمدان حمدون : فليس في حمدان ما يستقبح من حيث اللفظ ، بل والمعنى ، كيف يصنع والرجل اسمه هكذا وهكذا آباؤه ؟ وبعد : فلعلامة المكبري هنا كلمة لمناسبة ترك للتبني صرف حمدون ثبتها هنا — حسباً شرطنا على اتقنا في هذا الترح — قال المكبري الكوفي : ترك صرف حمدون وحارث ضرورة ، وهو جائز عندنا ، غير جائز عند بعض البصريين ، وواقنا الأخفش وابن برهان

والفارسي ، وحبشنا : إجماعنا على جواز صرف ما لا ينصرف في الشعر ضرورة ، فلذلك جوزنا ترك صرف ما ينصرف في الشعر ، وقد جاء كثيراً في أشعارهم . قال الأخطل : —

طَلَبَ الْأَزَارِقَ بِالْكَتَائِبِ إِذْ هَوَتْ بِشَبِيبٍ غَائِلَةُ النَّفْسِ غَدُورٌ^(١)

فترك صرف شبيب ، وهو منصرف ، وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَرْزَهُ بِحُسْنِ يَوْمٍ تَوَاكَلِ الْأَبْطَالُ^(٢)

فلم يصرف حنينا ، وهو مصروف ؛ وقال الفرزدق :

إِذَا قَالَ غَاوٍ مِنْ تَنُوخٍ قَصِيدَةً بِهَا جَرَبٌ عُدْتُ عَلَى يَزُوبَرَا^(٣)

فترك صرف زوبر وهو منصرف ، وقال الآخر :

وَالِ ابْنِ أُمِّ أَنَاسٍ أَرْحَلُ نَاقِي عَمْرٍو قَتْلِبُغٍ حَاجِي أَوْ تَرْحِفُ^(٤)

(١) من قصيدة للأخطل يذكر فيها ما جرى بين سفيان بن الأبرد نائب الحجاج ،

وبين شبيب بن يزيد رأس الأزارقة — طائفة من الخوارج — وفاعل طلب : يعود

على سفيان المذكور ، والأزارق : مفعول ؛ وغائلة : فاعل هوت ؛ وغدور :

بدل من غائلة .

(٢) تواكل الأبطال : أى تغاضلهم وانكالمهم على غيرهم .

(٣) يروى هذا البيت لابن أحرر ، هكذا :

* وَإِنْ قَالَ غَاوٍ مِنْ مَعْدَةٍ قَصِيدَةً *

ويقال أخذ الشيء بزوبره : أى بحميمه فلم يدع منه شيئاً ، فهو يقول : نسبت إلى

بكلها ولم أقلها ، وقيل بزوبرا : أى كذباً وزوراً .

(٤) بعده :

مَلِكٌ إِذَا تَزَلَّ الْوُفُودُ بِبَابِهِ عَرَفَ أَمْوَارِدَ مَرْبَدٍ لَا يُنْزَفُ ،

وقد صححنا هذين البيتين على كتاب سيويه ، وشارح شواهد الإمام الشنتمرى

الأندلسى . وقد نسبهما صاحب اللسان لبشر بن أبى خازم ، وأخطأ النساخ فورد في

اللسان على غير هذه الصورة الصحيحة . وورد في سيويه أناس — بالتثنية — وهو

خطأ . وعمرو : بدل من ابن أم أناس ، وملك : بدل من عمرو ؛ وترحف — يقال

(٢٦ — التنبى ١)

= وعمرو هو ابن حجر الكندي - فترك صرف أناس ، وهو منصرف وأم أناس هي بنت ذهل بن شيان ، وقال الآخر :

أؤملُ أن أعيشَ وأن يومي بأولٍ أو بأهـونَ أو جُبَارٍ
أو الثاني دُبَارَ فإن يفتنى فمؤنسٍ أو عروبةٍ أو شيارٍ

فترك صرف مؤنس ودبار ، وهما مصروفان ، فهذه أسماء الأيام في الجاهلية : أول : الأحد ، وأهون : الاثنين ، وجبار : الثلاثاء ، ودبار : الأربعاء ، ومؤنس : الخميس ، وعروبة : الجمعة ، وشيار : السبت ، وقول الآخر :

قالت أُمَيْمَةُ ما لثابت شاخصاً عارى الأشاجع ناحلاً كالنصل^(١)

فترك : صرف ثابت ، وهو مصروف ، وقول العباس بن مرداس السلي :

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في جمع^(٢)

وهذه الرواية جاء في الصحيحين ، وليس بعد الصحيحين شيء يرجع إليه ؛ وقول الآخر :

وقائلة ما بال دؤمر بعدنا صحاً قلبه عن آل ليلى وعن هـندٍ

فترك صرف دؤمر ، وشواهدنا كثيرة ، وأما القياس فاذا جاز حذف الواو التحركة للضرورة كبيت الكتاب :

أزحف البعير أعيا فجر فرسه — ما قابل الحافر — يمدح عمرو بن هند الملك ، وأم أناس بعض جداته ؛ والوارد : مناهل النساء المورودة . شبه بها عطايه ، وجعله كالبحر الزبد لسكرة جوده ، ومعنى يزف : يستنفذ ماؤه .

(١) الأشاجع : مفاصل الأصابع ، واحدها أشجع . وعارى الأشاجع : أى خفيف اللحم ، وقيل : الأشاجع رؤوس الأصابع : وقيل : عصبها . والنصل : السيف .

(٢) من أبيات لا بن مرداس . يعاتب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعطى رجلاً من المؤلفة قلوبهم أكثر مما أعطاه ؛ ومنهم عينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس : [راجع سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٤٠ التجارية ، والخزائن ج ١ ص ١٤٥ ط السلفية]

أُولَئِكَ أَنْيَابُ الْخِلَافَةِ كُلُّهَا وَسَايَرُ أَمْلَاكِ الْبِلَادِ الزَّوَائِدُ^(١)
 أَحْبَبْتُ بِاشْمَسَ الزَّمَانِ وَبَدَرَهُ وَإِنْ لَأَمْنِي فِيكَ الشَّعْيُ وَالْفِرَاقُ^(٢)
 وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَضْلَ عِنْدَكَ بَاهِرٌ وَلَيْسَ لِأَنَّ الْعَيْشَ عِنْدَكَ بَارِدٌ^(٣)

فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَلَّ رِخْوُ الْمِلَاطِ نَجِيبٌ^(١)

فجواز حذف النون للضرورة أولى ، والواو من هو متحركة ، والتتوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك ، ولهذا الذي ذكرناه ، وصحته ، واقفنا أبو علي وأبو القاسم بن برهان ، ولم ينكره أبو بكر بن السراج . وحجة البصريين أن الأصل في الأسماء : الصرف . فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، والتبس ما ينصرف بما لا ينصرف .

(١) الزوائد من الأسمان : التي تنبت خلف الأضراس . يقول : إن هؤلاء الذين ذكرهم هم للخلافة بمنزلة الأنياب ، تمتع الخلافة بهم امتناع السبع بنابه ، أما بقية الملوك فهم بمنزلة الزوائد ، لا حاجة للخلافة بهم .

(٢) السبي : نجم خفي من بنات نعل الصغرى ؛ ومنه المثل — أريها السبي وتربى القمر — والفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ، فهما فرقدان ، وإنما جمع على إرادة كل نجم يشبههما . جعله بين الملوك كالشمس والبدر ، وغيره من الملوك كالنجوم الخفية ؛ يقول : إني أميل إليك بهوى وإن لأمنى فى ذلك من لا يبلغ منزلتك . وعبرة ابن جنى : جعله بالنسبة إلى أعدائه كالشمس والقمر إلى السبي والفرقدين .

(٣) الباهر : البارع قال ذو الرمة .

(١) قال الإمام الشنتمرى شارح شواهد سيديوه — : يصف الشاعر بغيراً ضل عن صاحبه فيش منه وجعل يبيع رحله ، فيتنا هو كذلك سمع منادياً يبشر به — إنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن . والملاط ماولى العضد من الجنب . ويقال للعضدين : ابنا ملاط . ووصفه برخاوته لأن ذلك أشد لتجافى عضديه عن كركرته صدره أو زوره — وأبعد له من أن يصيه ناكث أو ماسح أو ضب ؛ وهذه كلها آفات وأعراض تلحقه إذا حك بعضده كركرته — ومعنى يشرى : يبيع . وهو من الأضداد .

فَإِنَّ قَلِيلَ الْحُبِّ بِالنَّعْلِ صَالِحٌ وَإِنَّ كَثِيرَ الْحُبِّ بِالْجَهْلِ فَاسِدٌ^(١)

وقد بهزت فلا تخفى على أحدٍ إلا على أكرم لا يعرف القمر^(١)
وعيش بارد : رغد هنيء يقول : إن ذاك الحب إنما هو لظهور فضلك على غيرك
لا لطيب العيش عندك ؛ إذ أن العيش قد يطيب عند غيرك ولكن لا يظهر فضله ظهور
فضلك فلا يستحق الحب ، وعبرة ابن جني : محب لك لفضلك لا للخير الذي
أصيبه عندك .

(١) الجهل : الحق . قال العكبري : يريد : أنا أحبك بعقل فينتفع بي ؛ وغيري
يحبك بجهل فلا ينتفع به . ثم قال : ولو قال المتنبي بالعلم صالح ، لكان أمدح وأحسن
في صناعة الشعر ، لأن الجهل ضد العلم والعقل ضد الحق :

(١) تقدم أنه من أبيات يمدح بها ذو الرمة عمر بن هيرة . وقبله :
مَا زِلْتُ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مَرْتَعِيًّا تَنْبِي وَتَسْمُوكُ الْفُرْعَانَ مِنْ مُضَرًّا
[وروى : حتى بهرت] .

انتهى الجزء الأول ، ويليه - بعون الله وتوفيقه - الجزء الثاني وأوله :
وقال يمدح سيف الدولة بعيد الأضحية الخ
لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

فهرست الجزء الأول

صفحة

- ١٥٦ ماذا يقول الذي يغنى ... ذى السماء
١٥٦ إنما التهنئات للأكفاء
١٦٠ ألاكل ماشية الحيزلى
١٦٨ لقد نسبوا الحيام إلى علاء
١٦٩ أسامرى ضحكة كل راء

قافية الباء

- ١٧١ لمبق كل يوم منك حظ ... عجاب
١٧١ تحف الأرض من هذا الرباب
١٧٢ فدينك أهدى الناس سها إلى قلبى
١٧٤ لا يحزن الله الأمير فإنى ... بنصيب
١٨٢ فدينك من ربع وإن زدتنا كربا
١٩٩ ألا مالسيف الدولة اليوم عاتبا
٢٠٠ أحسن ما يحضب الحديد به والغضب
٢٠١ أيدرى ما أراك من يرب
٢٠٤ بغيرك راعيا عبث الذئاب
٢١٥ يا أخت خير أنخ يا بنت خير أب
٢٢٥ فهمت الكتاب أبر الكتب
٢٣٣ أبا سعيد جنب العتاب
٢٣٤ لأحق أن علاؤا ... الأكوبا
٢٣٤ لأى صروف الدهر فيه نعاب
٢٣٧ دمع جرى قفضى فى الربيع ما وجبا
٢٥٠ بأبى الشموس الجانحات غواربا

صفحة

- ٣ مقدمة الطبعة الأولى
١٧ » » الثانية
٢٠ سيرة المتنبي
٦٨ ترجمة المتنبي بقلم أحد معاصريه
٨١ شراح المتنبي — ابن جنى
٩٠ الواحدى
٩٥ ابن فورجه
٩٦ ابن القطار الصقلى
٩٧ ابن الإقليل
٩٨ الصاحب ابن عباد
١٠٢ أبو بكر الخوارزمى
١٠٤ العميدى — صاحب الإبانة عن
سرفات المتنبي
١٠٥ ابن وكيع
١٠٧ الخطيب التبريزى
١١١ العسكري
١١٢ ابن الشعري
١١٦ القاضى الجرجانى
١٢٦ أبو العلاء المعرى

قافية الهمة

- ١٢٩ القلب أعلم يا عدول بدائه
١٣٤ عدل العواذل حول قلب اتائه
١٣٨ أتسكر يا ابن إسحاق إخوانى
١٤٠ أمن ازديارك فى الدجى الرقباء

صفحة

- ٣٤٥ أنصربجودك ألقاظا تركت بها مكبوتا
٣٤٦ فدتك الحيل وهى مسومات
٣٤٧ سرب محاسنه حرمت ذواتها

قافية الجيم

- ٣٥٩ لهذا اليوم جد غد أريج

قافية الحاء

- ٣٦٣ بأذى ابتسام منك تحيا القرائح
٣٦٤ أنا عين السود الجحجاج
٣٦٥ جلا كما بى فليك التبريح
٣٨٠ جارية ما لجسمها روح
٣٨٠ يقاتنى عليك الليل جدا. السلاح
٣٨١ أباعث كل مكرمة طموح
٣٨٢ وطائرة تنبعها المنايا ... الجناح

قافية الدال

- ٣٨٤ ماسدكت علة بمورود
٣٩٠ عواذل ذات الخال فى حواسد

صفحة

- ٢٦١ إنما بدر بن عمار سحاب
٢٦٣ ألم ترايها الملك المرحى... السحاب
٢٦٤ ياذا للعالى ومعدن الأدب
٢٦٤ ضروب الناس عشاق ضروبا
٢٧٣ المجلسان على التميز بينهما. الأدبا
٢٧٣ تعرض لى السحاب وقد قفلنا. السحابا
٢٧٣ الطيب مما غنيت عنه... طيبا
٢٧٤ أيا ما أحيسنها مقلة... أعجب
٢٧٤ أعيدوا صبا حى فمرو عند الكواعب
٢٨٨ من الجآذر فى رى الأرايب
٣٠١ أغلب فيك الشوق والشوق أغلب
٣١٣ متى كن لى أن البياض خضاب
٣٢٨ لقد أصبح الجرذ الستير. العطف
٣٣٠ ما أنصف القوم ضبه
٣٣٥ آخر ما للك معزى به
٣٤١ لما نسبت فكنت ابنا لغير أب
٣٤٢ لحا الله وردانا وأما أنت به. ثعلب

قافية التاء

- ٣٤٥ لنا ملك لا يطعم النوم هم. ليت

شرح ديوان المتنبي

وَصَّعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَّنَّا نَظْمَ هَذِهِ الطَّبَعَةِ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيْقَابِ . بِمَحِثِ تَلَاوُثِ
فِي هَذَا الشَّيْءِ بِمَجْمُوعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنَّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَمَهَارَ ذَلِكَ مُفِيدًا عَنْ مَجْمُوعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثاني

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح سيف الدولة ويهنته بعيد الأنهى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ،
أنشده إياها فى ميدانه بحلب وهما على فرسيهما :

لِكُلِّ أَمْرِي مِنْ دَفَرِهِ مَا تَعَوَّدَا

وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّمُنُ فِي الْمِدَا^(١)

وَأَنْ يُكَذِّبَ الْإِرْجَافَ عَنْهُ بَضْدُهُ وَيُغْنِي بِمَا تَنْوِي أَعَادِيهِ أَسْعَدَا^(٢)

وَرُبُّ مُرِيدٍ ضَرُّهُ ضَرٌّ نَفْسُهُ وَهَادٍ إِلَيْهِ الْجَيْشُ أَهْدَى وَمَا هَدَى^(٣)

وَمُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَفْرِفِ اللَّهُ سَاعَةً رَأَى سَيْفُهُ فِي كَفِّهِ فَتَشَّهَدَا^(٤)

(١) يقول : كل امرئ يعمل باداته ، وما تعودت وتربى عليه ، لا يتكلفه ، وعادة هذا اللمدوح أن يفرز أعداءه ويقتلهم ويطعنهم برمح ، جعله سيفاً ووصفه بالطمن ، فكانه جعله سيفاً ورمحاً .

(٢) وأن يكذب : عطف على الطمن - فى البيت السابق - ويمشى : عطف على يكذب ، وسكن الياء ضرورة . والإرجاف : توليد الأخبار الكاذبة التى يكون معها اضطراب فى الناس . يقول : وعادته أن يكذب إرجاف عادته عنه بضد إرجافهم ؛ فهم يرجفون بقصوره وفشله وهو يكذبهم بوفوره وولجه ، وهم ينوون معارضته فيتحرشون به فيكون ذلك سبب ظفره بهم ، إذ يملك رقابهم وأموالهم فيصير أسعد مما كان . ويروى بدل « تنوى » تحوى : أى أنه أملك لما فى أيديهم منهم ، لأنه متى أراد احتواء .

(٣) ضره : مصدر ، وهو مفعول مرید . يقول : ورب عبدو أراد أن يضره فضر نفسه بتحرشه به ، وقاد إليه الجيش بنية الإيقاع به ، فكان الجيش غنيمته له ، فكانه أهدي إليه هدية وضل بذلك عن القصد . قوله أهدي : من الهدية ، وما هدى : من الهداية . وعبارة العكبرى : رب قاصد أن يضره فعاد الضرر عليه ، ورب هاد : أى قائد إليه الجيش ليهديه الطريق فأضله بقصده له ، فصار مهدياً إليه - من الهدية - لأنه ضمن الجيش فيكون غنيمته له ، فيكون الهادى مضلاً ومهدياً إليه ليضمه .

(٤) يقول : ورب كافر متكبر عن الإيمان بالله رآه والسيف فى يده . فأمن وآتى بكلمة الشهادة : إما خوفاً منه ، وإما ظناً بأن دينه الحق حين رأى نور وجهه وكمال وصفه .

هُوَ الْبَحْرُ غَضٌ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِناً عَلَى الدَّرِّ وَأَخَذَهُ إِذَا كَانَ مُزْبِداً^(١)
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحْرَ يَفْشُرُ بِالْفَتَى وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّداً^(٢)
تَنْظِلُ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ تَفَارِقُهُ هَلَكِي وَتَلْقَاهُ سُجَّداً^(٣)
وَتُنْحِي لَهُ الْمَالَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَيَقْتُلُ مَا يُنْحِي التَّبَسُّمُ وَالْجُداً^(٤)

(١) يقول : إنه نفاع ضرار ، فمن جاءه مسالماً ظفر بإحسانه ، ومن جاء مغاضباً عرض نفسه للتهلكة ، مثله في ذلك مثل البحر : إذا سكن البحر أمكن ركوبه والنوص على ما فيه من الجواهر ، وإن جاش وقذف بالزبد وجب الحذر منه . وعبرة الخطيب التبريزي : لا تأتاه وهو غضبان .

(٢) يقال عثر الدهر بفلان : نسكه . يقول : إن البحر يعثر براكبه أي يهلكه عن غير قصد وعمد ، أما المدحوح فإنه يهلك أعداءه متعمداً . وهذا المعنى قريب من قوله في إحدى قوافيه السابقة :

وَيُخَشَى عُبَابُ الْبَحْرِ وَهُوَ مَكَانُهُ فَكَيْفَ بَعْنُ يَفْشَى الْبِلَادَ إِذَا عَابَا
وقال ابن جنى : المعنى : ليس إغناء البحر من يغنيه عن قصد ، وهذا يغني من يغنيه عن تعمد . قال : ويعثر : قد يأتي في الخير والشر ، فرد عليه الواحدى : وقال فيه خطأ من وجهين ، لأن العرب لا تقول عثر الدهر بفلان إلا إذا أسابه بنسكة . ومعنى يعثر بالفتى : يهلكه من غير قصد ، لأن العثر بالشيء لا يكون عن قصد ، فهو يقول : البحر يفرق عن غير قصد ، وهذا يهلك أعداءه عن قصد وتعمد . وليس يمكن أن تحمل عشرة البحر بالفتى على إغنائه .

(٣) يقول : من تمرّد عليه وفارقه من الملوك هلك ، ومن ساله منهم خضع له وسجد ، لأنه سيدهم .

(٤) الصوارم : السيوف ؛ والقنا : الرماح ؛ والجدا - مقصوراً - العطاء . يقول : إنه يأخذ بشجاعته وإقدامه وطعنه وضربه مال الأعداء ثم يغنيه بالعطاء عند التبسم والنشاط إذا جاءه العفاة ، وهذا كما قال أبو تمام :

إِذَا مَا أَغَارُوا فَاحْتَرَوْا مَالَ مَقْشَرٍ

أَغَارَتْ عَلَيْهِ فَاحْتَرَتْهُ الصَّنَائِعُ

ذَكَى تَظْنِيهِ طَلِيْعَةً عَيْنِهِ
وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَضْعِيَّاتِ بِخَيْلِهِ
لِذَلِكَ سَمَّى ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ
سَرِيَتْ إِلَى جِيحَانٍ مِنْ أَرْضِ آمِدٍ
يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا تَرَى غَدًا^(١)
فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَا وَرَدًا^(٢)
مَمَاتًا وَسَمَاءُ الدُّمُسْتَقِ مَوْلِدًا^(٣)
ثَلَاثًا لَقَدْ أَذْنَاكَ رَكُضٌ وَأَبْعَدًا^(٤)

(١) التظنى : أصله التظنن ، قبلت النون الثانية ياء ، ومعناه الظن ، وطليلة الجيش
الريشة تتقدم أمامه تستطلع طلع العدو ؛ والضمير - في قوله ماترى غدا - للعين .
يقول : إنه من الذكاء والنفاد وثقوب البصيرة بحيث يرى ظنه الشيء قبل أن تراه عينه ،
كالطليلة تتقدم أمام الجيش ؛ ثم أوضح فقال : يرى قلبه في يومه بظنه ماتراه عينه غدا .
وهذا من قول أوس بن حجر :

الْأَمْسِيُّ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَن قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وعبارة ابن جني : هو لصحة كلامه وصحة ظنه إذا ظن شيئا رآه بعينه لا محالة
(٢) يقول : إنه يصل بخيله إلى الغابات البعيدة التي يتعذر الوصول إليها حتى لو كان
قرن الشمس - وهو أول ما يبدو منها عند طلوعها - ماء لبلغه وأورده خيله ، شجاعة
واقداما . وهذا مبالغة .

(٣) لذلك : أى لأجل ماقلته في البيت السابق ، ويومه : أى اليوم الذى أسر
فيه ، والضمير فى سماء - إلى اليوم . يقول : لكون سيف الدولة على ماوصفت من
الشجاعة والإقدام وما إليهما لم يثن حتى أدرك الدمستق وابنه ، ففر الدمستق جريحا
وأخذ ابنه أسيرا ، ومن ثم سمي الابن ذلك اليوم مماتًا ، لأنه وقد أسر يثنس فيه من
الحياة ، وسمى أبوه هذا اليوم مولدا لأنه نجح فيه من أخطار المنية فصار كيوم ولدته أمه .
والحاصل أن ذلك اليوم كان مماتًا لابن حيلة للأب .

(٤) جيحان : نهر يلاذ الروم : وآمد : بلد بالشعر . يقول : بلغت جيحان من
آمد فى ثلاث ليال - وهى مسافة بعيدة لا تقطع فى مثل هذه المدة - وبذلك أذناك
الركض من جيحان - على بعده من محل قيامك - وأبعدك عن آمد - على قرب عهدك
بمغادرتها - وعبارة ابن جني : أذناك سيرك إلى النهر وأبعدك من آمد ، قال
الواحدى ناقدا : وهذا - أى كلام ابن جني - لا يفيد معنى ، لأن كل من سار ، هذا
وصفه ، ولكنه يريد : وصلت إلى جيحان بسيرك ثلاثا من أرض آمد ، وهذه مبالغة

قَوْلِي وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجِيُوشَهُ جَمِيعًا وَلَمْ يُعْطِ الْجَمِيعَ لِيُحْمَدَا^(١)
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرَفِهِ وَأَبْصَرَ سَيْفَ اللَّهِ مِنْكَ مَجْرَدًا^(٢)
وَمَا طَلَبْتَ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ وَلَكِنْ قُسْطَنْطِينُ كَانَ لَهُ الْفِدَا^(٣)
فَأَصْبَحَ يَحْتَابُ الْمُسُوحَ خَفَافَةً وَقَدْ كَانَ يَحْتَابُ الدَّلَاصَ الْمُسَرَّدَا^(٤)
وَيَمْشِي بِهِ الْعُكَّازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا وَمَا كَانَ يَرْضَى مَشَى أَشْقَرَ أَجْرَدَا^(٥)
وَمَا تَابَ حَتَّى غَادَرَ الْكُرَّ وَجْهَهُ جَرِيحًا وَخَلَّى جَفْنَهُ النَّعْمُ أَرْمَدَا^(٦)

لا يقطعها أحد يسير في ثلاثة أيام ، ويفهم من هذا أنك وصلت إلى هذا النهر من آمد في ثلاث ليال على ما بينهما من البعد .

(١) يقول : فانهزم الدمستق وترك ابنه وجيوشه أسرى في يدك ؟ ولم يك ذلك إعطاء منه يتنقى أن تحمده عليه لأنه إنما تركهم قهرا وعجزا .

(٢) عرضت : ظهرت واعترضت ؟ والطرف العين . وقوله : منك تجريد يقول : بلاراك كنت قيد عينه لعظمك في نفسه فشغلها بتوقيع بطشك فلم ير حوله سواك وحلت بذلك بينه وبين الحياة فصار في حكم الميت في تخاذل الحواس ، لأنه أيقن هلاكه ورأى منك سيف الله مشهورا مجردا عليه .

(٣) الأسنة : نصال الرماح ؛ وقسطنطين : هو ابن الدمستق . يقول : إن الرماح لم تكن لتطلب غير الدمستق ، ولكن ابنه كان فداء له ، لأن الجيش اشتغل بأسره وأسر من معه ، فانهزم الدمستق ذلك ونجا بنفسه .

(٤) المسوح : ثياب تنسج من الشعر . ويحتابها : يقطعها ويدخل فيها ؛ والدلاص : الدرع البراقة الصافية ؛ والمسرود : المنظوم للنسوج بعضه في بعض ، يقول : إنه ترك الحرب خوفا منك وترهب ولبس المسوح بعد أن كان يلبس الدروع .

(٥) العكاز : عصا في طرفها زج ، يقول : وصار يمشي في دير الرهبان على العكاز تائبا من الحرب بعد أن كان لا يرضى مشى الحيل السراع - لأن الجواد الأشقر عند العرب أسرع الحيل - بعد أن يش ونال منه الهم . والأجرد : القصير الشعر .

(٦) غادر : ترك ؛ والكُرَّ : عطف القرن على قرنه في الحرب ؛ والنعم : غبار الخوافر ؛ يقول : إنه لم يترك الحرب إلا بعد أن ترك كر الفرسان - في الطعن والضرب -

فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلَيَّ تَرَهَّبُ تَرَهَّبَتِ الْأَمْلَاقُ مَتْنِي وَمَوْحِدًا^(١)
وَكُلُّ أَمْرِي فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ بَعْدَهَا
يُعِيدُ لَهُ نَوْبًا مِنَ الشُّعْرِ أَسْوَدًا^(٢)
هَنِيئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ وَعِيدٌ لِنَ سَمِي وَضَحَى وَعِيدًا^(٣)

وجهه جريحاً ، وبعد أن رمدت عينه من غبار الجيش ، يعنى أنه اضطر إلى ذلك بكثرة ما أصابه من الجراحات والأدواء .

(١) الأملاك : الملوك : يقول : إن ترهبه هذا لا ينجيه من سيف الدولة ، ولو كان ذلك ينجيه لترهبت سائر الملوك اثنين اثنين وواحدا واحدا . « هذا » وقوله وموحداً — بفتح الحاء — هو أحد ما جاء من مفعل المعتل الفاء مفتوح العين .

(٢) بعدها : أى بعد فطة المستق ؛ ويروى بعده ، فيكون الضمير له . يقول : لو كان ينجى من على ترهب لكان كل امرئ من أعداء سيف الدولة يعد له مسوحاً يترهب فيها فينجو منه .

(٣) سمى : أى ذكر اسم الله ، يعنى عند ذبح الضحايا ، يقول : لهنك العيد الذى أنت عيده : أى تحمل فيه محل العيد فى القلوب — إذ أن العيد مما يتهيج به الناس ، فكذلك هذا العيد يتهيج بك ، كما قال :

جاء نَوْرُوزَنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ

ثم قال :

وَأَنْتَ عِيدٌ لِنَ سَمِي وَضَحَى وَعِيدٌ

أى أنت عيد لكل مسلم . هذا : وقد قال ابن جنى : ارتفع العيد بفعل محذوف ، وأصله: ثبت العيد هنيئاً لك ، لحذف الفعل وأقام الحال مقامه ، فرفض العيد كما يرفضه الفعل . وهذا هو الصحيح ؛ وانتصب هنيئاً عند قوم ؛ على مذهب قولهم : ثبت لك هنيئاً — وقيل: بل هو اسم وضع موضع المصدر . كأنه قيل : هنأك هنيئاً ، وربما وضعوا اسم الفاعل فى هذا الموضع ، كما روى عن بعض نساء العرب وهى ترقص ابناً لها :

قُمْ قَائِمًا قُمْ قَائِمًا قَمِيتَ عَبْدًا نَائِمًا
وَعُشْرَاءَ رَائِمًا وَأَمَّةَ مُرَاغِمًا

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِبَسِّكَ بَعْدَهُ تَسْلَمُ مَحْرُوقًا وَتُغْفَى مُجَدَّدًا^(١)
فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى
كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا^(٢)

[ناقة رائم عاطفة على ولدها وعبد مراغم مضطرب على مواله . تريد : قم قياما]
(١) اللبس : ما يلبس ، استعاره للأعياد ، فأجراها مجرى اللبوسات . يقول :
لا زلت تلبس الأعياد التكررة عليك في الدهر ، فإذا مضى عيد أذاك عيد بعده جديد ،
فصار الماضي خلقا واتقادا جديدا . هذا : والأعياد جمع عيد . قال الجوهري : إنما جمع
أعياد بالياء للزومها في الواحد . وقيل للفرق بين أعواد الخشب وبينه ؛ وسمى العيد
عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد ، وعيد المسلمون : شهدوا عيدهم ، والعيد ؛ ما اعتادك
من هم أو شوق أو فرح ونحوه . قال الشاعر :

* والقلب يعتاده من حُبِّها عيد
وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :

أُمِسِّي بِأَسْمَاءِ هَذَا الْقَلْبِ مَقْمُودَا إِذَا أَقُولُ صَحًّا يَعْتَادُهُ عِيدَا^(١)
كَأَنْتِي يَوْمَ أُمِسِّي مَا تُكَلِّمُنِي ذُو بُغْيَةٍ يَلْتَفِتُنِي مَا لَيْسَ مَوْجُودَا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِزْلَانٍ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لَنَا شَبَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِلْدَا
(٢) وبديع قول أبي تمام في هذا المعنى :

وَيَضْحَكُ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفِهِ كَانَ أَيَّامُهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ

قال ابن جني في شرحه هذا البيت - بيت التنبؤ - : في البيت نظر ، وهو أنه خص
العيد وحده - دون الأيام - بما ذكر من الشرف وكان ينبغي أن تكون أيامه كلها
كذلك لأن جميعها مشتمل عليه ثم قال : والجواب : أن العيد قد اجتمع فيه أمران :
أحدهما - وهو الأظهر - اشتتاله على سيف الدولة والآخر كونه عيداً : فصار له مزية على
غيره مما ليس بعيد . قال العكبري بعد أن أورد كلام ابن جني . هذا : ويجوز أن يقال

(١) قوله يعتاده عيداً فعيداً في موضع الحال تقديره يعتاده السكر عائداً ، ففي قوله
يعتاده ضمير السكر دل عليه قوله صحا ، وقوله : شبه العينين والجيدا ، أراد وشبه الجيد
لغذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضَلَ الْعَيْنُ اخْتَهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا^(١)
فَيَاَعْجَبًا مِنْ دَائِلِ أَنْتَ سَيِّفُهُ أَمَا يَتَوَقَّى شَفَرَتِي مَا تَقْلَدُ^(٢)

إنما جله في الشرف كيوم النحر لأنه من أشرف الأيام. وقال أهل التفسير في قوله تعالى « يوم الحج الأكبر » قيل هو يوم النحر ؛ ومنه الأثر : أن يهوديا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لو علينا معشر اليهود نزلت : « اليوم أكملت لكم دينكم » لا تخذناه عيداً ، فقال عمر . إني لأعلم أى يوم نزلت وفي أى ساعة نزلت . . . يوم النحر . . . وهو عندنا من أشرف الأيام . . . فلهذا خص النبي هذا اليوم بالشرف في الأيام كشرفه - أى المدوح - في الورى .

(١) هو : ضمير الشأن ؛ والجد : الحظ والبخت . يقول : إن الجد له فعله حتى في التساويين ، مثل العين والعين . واليوم واليوم : قترى العينين تفاضلان . فصيح إحداها وتسم الأخرى ، مع أنهما تجمعهما بنية واحدة ؛ وترى اليوم يسود اليوم ، وكلاهما ضوء شمس . يعنى : أن يوم العيد كسائر الأيام في الصورة ، ولكن الجد مازه من سائر الأيام فجعله يوم فرح وسرور ؛ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تَثْرَى كَمَا تَثْرَى الرِّجَالُ وَتُعْدِمُ
حِظَّ بَعَاوَرُهُ الْبِقَاعَ لَوَقْتَهُ وَادِّ بِهِ صِفْرُهُ وَآخِرُ مُقْعَمُ

[ثرا الرجل يثرى : فهو ثر ، وأثرى يثرى : فهو مثر]

(٢) الدائل : صاحب الدولة . أخرجه مخرج تامر ولابن ، يريد به الخليفة وشفرتا السيف . حده ، يقول : أما يخشى الخليفة - وقد تقلدك سيفاً له - أن تكون سيفاً عليه ، فلا يأمن جانبك ؟ ولا يخفى ما في هذا البيت وما بعده من التعريض الذى خفى سببه . وقال ابن القطاع : صف هذا البيت فروى دائل - بالذال المهملة - من الدولة ، ولا معنى للدولة فيه ، والصحيح بالذال المعجمة ، وهو الرجل التقليد سيفه المتبخر في مشيته . والدائل : السيف الطويل أيضاً ، وكذلك الفرس الطويل الذنب ؛ فإن كان قصيراً وذنبه طويل قيل ذيل الذنب . والدائل : الدرع الطويلة . قال النابغة :

وَكُلُّ صَمُوتٍ ثَلْثَةٌ تُبْعِيَّةٌ وَنَسْجُ سُلَيْمٍ كُلُّ قَضَاءٍ دَائِلٍ^(١)

(١) الصموت : الدرع التى إذا صبت لم يسمع لها صوت : والثلة : الدرع الساجنة

وَمَنْ يَجْعَلِ الضَّرْغَامَ بَازًا لِيَصِيدَهُ تَصِيدُهُ الضَّرْغَامُ فِيمَا تَصِيدُ^(١)

والذائل : الطويل من كل شيء .

(١) الضرغام : الأسد . يقول : من اتخذ الأسد بازاً يصيد به آتى عليه الأسد فصاده . وقد ضرب هذا مثلاً للمعنى السابق . يعنى أنك فوق من تضاف إليه . وفى هذا المعنى يقول دعبل :

فَكَانَ كَالْكَلْبِ ضَرَّاهُ مُكَلَّبُهُ لِيَصِيدَهُ فَنَدَا يَصْطَادُ كَلَابَهُ
ومن هذا الباب البيت المشهور :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي^(١)

هذا : وقوله تصيده الضرغام رواها ابن جنى : يصيره الضرغام . قال ابن جنى : قلت له - أى للمتنبى - جعلت من شرطاً صريحاً ، فهلا جعلتها بمنزلة الذى ولم تضمن الصلة معنى الشرط حتى لا تتركب الضرورة ، كقوله تعالى « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » الآية . فقال : هذا يرجع إلى معنى الشرط والجزاء وأنا جئت بلفظ الشرط لأنه أبلغ وأردت الفاء - فى يصيره - ثم حذفها . . . والذى قاله جازئ ، والوجه الذى قلت له أولى . وسيبويه يرى فى هذا التقديم والتأخير ، فتقديره على مذهبه : يصير الضرغام من يجعله بازاً فيما تصيده ؛ واكتفى بهذا القول عن جواب الشرط ومثله :

يَا أَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ يَا أَقْرَعُ إِنَّكَ إِنْ يُصْرَعُ أَخُوكَ تُصْرَعُ

والتقدير : أنك تصرع إن يصرع أخوك . انتهى كلام ابن جنى ؛ وقال العكبرى : وأما قول المتنبى : أردت الفاء ثم حذفها ، فجازئ حسن قد جاء فى الكلام الفصح ومنه الحديث : قال سعد بن مالك : مرضت عام الفتح فعادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

أو الواسعة ، وتبعية ، نسبة إلى تبع - أحد ملوك اليمن - وقوله ونسج سليم : يعنى سليمان ابن داود عليهما السلام ، والقضاء من الدروع : التى فرغ من عملها وأحكمت .

(٢) استد : استقام . قال الأصمى : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء ؛ قال ابن

برى : رأيت هذا البيت فى شعر عقيل بن علفة يقوله فى ابنه عميس حين رماه بسهم وبعدة :

فَلَا ظَفِرَتْ يَمِينُكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلَّتْ مِنْكَ حَامِلَةُ الْبَنَانِ

رَأَيْتُكَ تَخْضُ الْحِلْمَ فِي مَخْضِ قُدْرَةٍ وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمَهْدَاً^(١)
وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا^(٢)
إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ
وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا^(٣)
وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْمَلَا
مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^(٤)
وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً كَمَا قُتِلَتْهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَتَحَدَا^(٥)

قلت يارسول الله : إن لي مالا وليس لي من يرثني إلا ابنة لي فأصدق بنصف مالي ؟
قال : لا ، قلت : فالثلث ؟ قال : الثلث ، واثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير
من أن تذرهم عالة يسكفون الناس * التقدير : فهو خير ، لحذف الفاء .

(١) المهند : السيف ، يقول : رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجز
ولا تقصير ، ولو شئت لجعلت القتل بالسيف مكان الحلم .

(٢) الحر : الكريم ، ضد اللئيم ؛ والكاف - من قوله كالعفو - اسم بمنزلة مثل
فاعل قتل ، ومن لك بالحر أى من تكفل لك به ونحوه ، واليد : النعمة ؛ ويحفظ :
يروى يعرف : أى يقدر العفو عنه . يقول : إن العفو عن الكرام قتل لهم ، فمن صفح
عن حر استرقه بهذا الصفح . فيذل له وينقاد ، كما قال بعضهم :

غُلَّ يَدَا مُطْلَقَهَا وَاسْتَرَقَ رِقْبَةَ مُمْتَقَهَا

ثم قال : ومن يتكفل لك بالكريم الذى يحفظ النعمة ويراعى حقها ؟

(٣) هذا البيت تأكيد لما سبقه . يقول : إن الكريم يقدر الإكرام حتى قدره ،
فإذا أنت أكرمت الكريم صار كأنه مملوك لك ، أما اللئيم فإنك إذا أكرمته زاد عتوا
وجرأة عليك .

(٤) بالعلی : متعلق بمضّر . يقول : ينبغي أن يعامل كل إنسان حسبما يستحق ، فمن
استحق العطاء لم يستعمل معه السيف ، ومن استحق القتل لم يكرم بالعطاء ، ومن قتل
هذا أضر بعلاؤه وهدم أركان دولته .

(٥) المحدث : الأصل ؛ والنصوبات - في البيت - تمييز . يقول : أنت أعرف

يَدِقُّ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيُتْرَكُ مَا يَخْفَى وَيُؤْخَذُ مَا بَدَأُ^(١)

بمواقع الإساءة والإحسان من كل إنسان ، لأنك فوق كل أحد في الرأي والحكمة ، كما أنك فوقهم بالحال — إذ كنت أميراً — وبالنفوس — إذ كنت أعلام همه — وبالأصل — إذ كنت من أصل شريف .

(١) بدا : ظهر . يقول : إن ما تفعله أدق من أن تقف عليه الأفكار وتستوضحه فهي تتناول ما ظهر لها منه ، فتجول فيه ، وتترك ما خفي منه لرأيك ، لأنه لا تصل إليه ، وتقف دونه — يشير إلى تصرفاته مع الخليفة — وهذا المعنى هو الأظهر والأوجه والانسب بما تقدم هذا البيت من الآيات ؛ ولكن أئمة الشراح قد اعتسفوا ، وصرفوا النظر عن الآيات التي تقدمت ، ففسروا البيت كأنه قائم بنفسه ... قال بعضهم : إن ما ابتدعه من للكلام يدق على أفكار الشعراء فيذكرون ما ظهر منها ، ويتركون ما خفي وقال آخرون : إن اللقطين بسيف الدولة في الكلام ، يأخذون ويتركون ما خفي . أقول : ولو أراد ذلك لما أتى بالأفكار ، ولقال : يدق على الكلام . وقال ابن جني : هذا البيت مثل قول عمار الكلابي :

ما كلُّ قولٍ مشروحاً لكم نخذوا ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
قال ابن فورجه : عمار الكلابي محدث لحنه ، وقد أدرك زماننا ، وهو رجل بدوي أمي لحانة ، وهذا البيت من آيات أولها :

ماذا لقيتُ من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلتُ قافيةً بكرةً يكونُ لها	معنى خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنٌ وهذا ليس مُنتصباً	وذاك خفضٌ وهذا ليس يرتفعُ
وحَرَضُوا بين عبدِ اللهِ من حُقي	وبين زيدٍ فطالَ الضربُ والوجعُ
قلتُ واحدةً فيها جوابهمُ	وكثرةُ القولِ بالإيجازِ تنقطعُ
ما كلُّ قولٍ مشروحاً لكم نخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
حتى يصيرَ إلى القومِ الذين غَدوا	بما غُذيتُ بهِ والقولُ مجتمعُ
فيرفوا منه معنى ما أُوهُ بهِ	حتى كأنى وهم في لفظهِ شرعُ
كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقيهم	وبين قومٍ على أعراهم طبعوا

أَرْلَ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدًا^(١)
 إِذَا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُقْعَدًا^(٢)
 وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْهَرِي حَمَلْتَهُ فَرَيْنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدًا^(٣)

وَبَيْنَ قَوْمٍ رَأَوْا شَيْئًا مُعَايِنَةً وَبَيْنَ قَوْمٍ حَكَمُوا بِمَعْضِ الَّذِي سَمِعُوا
 إِنِّي غُذِيتُ بِأَرْضٍ لَا تُشَبُّ بِهَا نَارُ الْجَوْسِ وَلَا تُبْنَى بِهَا الْبَيْعُ

قد نقله أبو الطيب إلى الدح ، وأقام دقة صنيعه في اقتناء الكارم مقام دقة معنى الشعر ، وأقول : وكل هذا بعيد عن غرض المتنبي كما قلت .

(١) السكت : الإذلال . يقول : أنت الذي غمرتني بنعمك حتى صرت محسدا ونجم
 لي حساد يحسدوني ويقصدونني بالسوء فأكفي شرهم بإذلالهم ورد كيدهم في نحورهم ،
 وإعراضك عنهم ، ومعنى المصراع الثاني من قول أبي الجوربة العبدى :
 فَمَا زِلْتَ تُعْطِينِي وَمَالِي حَاسِدٌ مِنَ النَّاسِ حَتَّى صِرْتُ أَرْجَى وَأَحْسَدُ
 وقال بعده أبو نواس :

دَعْنِي أَكْثَرُ حَاسِدِي بِرِخْلَةٍ إِلَى يَدِي فِيهِ انْخِصِبُ أَمِيرُ
 وقال البحتري :

وَالْبَسْتَنِي الثَّمَنِي الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي عَلَى فَأُضْحَى نَارِحَ الْوَدِّ أَجْنِبَا

(٢) فيهم : متعلق برأيك ؛ والهام : الرؤس . يقول : إذا قوى ساعدي حسن رأيك
 فيهم بأن آنست منك إعراضا عنهم ، كان ذلك خذلانا أى خذلان لهم ، فلو ضربتهم إذ
 ذاك بسيفي وهو في غمده لقطع وأصمى ، وروى بدل فيهم : في يدي ، وبدل بسيف .
 بنصل ، فيكون المعنى : أنك إذا كنت حسن الرأي في ، فما أبالي بالحساد ، والقليل من
 إنكارك عليهم يكفيني ؛ وهذا من قول أبي تمام :

يَسُوهُ الَّذِي يَسْطُو بِهِ وَهُوَ مُقْعَدٌ وَيَفْضَحُ مِنْ يَسْطُو بِهِ غَيْرَ مَقْعَدٍ

(٣) السمهري : الريح . ومعروضا . أى عمولا بالعرض ، وذلك يكون حين لا يقصد
 به الطعن : ومسدا : موجها إلى اللطعون . يقول : أنا زين لك في السلم . أمدحك
 وأشيد بك ذكرك ، وشجى لا يتزعج في حلق أعدائك ، أذود عنك وأنافع بلساني وأكيد

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُؤَاةٍ قَلَائِدِي
 إِذَا قُلْتُ شِعْراً أَضْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِداً^(١)
 فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشْعِراً وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مُغَرِّداً^(٢)
 أَجِزَنِي إِذَا أَنْشَدْتَ شِعْراً فَإِنَّمَا بِشِعْرِي أَنْتَكَ لِلْمَذْحُونِ مُرَدِّداً^(٣)

أعداءك بقوارع لساني . فأنا لك كالرمح : إن حملته بالعرض كان زينا لك ، وإن حملته مسدداً راع أعداءك .

(١) جعل شعره في حسنه كالقلائد التي يتقلدها ، يقول : إن الدهر من رِوَاةٍ شعري لأن الناس جميعا يروونه ويتناشدونه في كل وقت ، فكان الدهر كله إنسان ينشد شعري ، ويروي بدل قلائدي : قصائدي .

(٢) يقول : إن شعري ينشط الكسلان إذا سمعه ، فيسير على سماع شعري مجداً مشيحاً ، وإذا سمعه من لا يغني استراح إليه وطرب وغنى به مغرداً ، وللرَّاد أن شعره سار في الآفاق حتى لم يبق من لا يرويه وينشده ولو لم يكن من رِوَاة الشعر . والتغريد : رفع الصوت للتطريب . أو تقول : إن شعره لحسنه أولع الناس بحفظه وروايته ، فسيره في الآفاق من لا يريم مكانه ، وغنى به من لاعادة له بالفناء لشدة طربه به واهتزازة .

(٣) يقول : إذا أنشدك شاعراً فاجعل جائزته لي ، لأن الذي أنشدت إنما هو شعري أنتاك به المادحون يرددونه عليك . يعني أنهم يسلخون معاني أشعاري فيك ، ويأخذون ألفاظي فيأتون بها إليك . كما قال بشار :

إِذَا أَنْشَدَ سَحَادٌ قُلَّ أَحْسَنَ بَشَارُ

وقال أبو هفان :

إِذَا أَنْشَدَ كَمِ شِعْراً فَقُولُوا أَحْسَنَ النَّاسُ

وقال أبو تمام في غير هذا المعنى :

فَمَهْمَا تَكُنْ مِنْ وَقْعَةٍ بَعْدُ لَا تَكُنْ رِسْوَى حَسَنِ مِمَّا فَعَلْتَ مُرَدِّدِ

هذا : والجائزة العطية ، ويقال أصل الجوائز : أن قطن بن عبد عوف من بني هلال ابن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر ، فرز به الأحنف في جيشه غازياً إلى خراسان فوقف لهم على قطرة . فقال أجيروهم ، فجعل ينسب الرجل ، فيعطيه على قدر حسبه . قال الشاعر :

وَدُعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَأَنْتِي
 أَنَا الصَّائِحُ الْمَخِيءُ وَالْآخِرُ الْمَدَى ^(١)
 تَرَكْتُ الشَّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُفْعَاكَ عَسْجَدًا ^(٢)
 وَقَيْدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيْدًا ^(٣)
 إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغَنَى وَكُنْتُ عَلَى بَعْدِ جَعْلِنِكَ مَوْعِدًا ^(٤)

فِدَى لِلْأَكْرَمِينَ بَنِي هِلَالٍ عَلَى عِلَاتِهِمْ أَهْلِي وَمَالِي
 هُمْ سَخَّوْا الْجَوَازِ فِي مَعْدٍ فَصَارَتْ سُنَّةٌ أُخْرَى لِلْيَالِي

وقال بعض أهل اللغة : أصل ذلك أن أميراً واقف عدوا بينهما نهر ، فقال : من جاز هذا النهر فله كذا ، فكلما جاز منهم واحد أخذ جائزة ، وقيل : إنما سميت جائزة لأنها تجوز لصاحبها ؛ من قولك : هذا يجوز وهذا يمتنع .
 (١) الصدى : الصوت الذى يحيك من الجبل وغيره ، كأنه يحكى قولك ومياحك ، وهذا مثل . يقول : لا تحفل بشعر غير شعري ، فإن شعري هو الأصل ، وغيرى كالصدى له .
 (٢) السرى : سير الليل ؛ والعسجد : الذهب . يقول : لقد أثريت بما توالى على من نعمائك ، حتى لو شئت لآخذت لحلى نعال الذهب ؛ ومن ثم تركت السير إليك لغيري من المعوزين القترين ، ليسيروا إليك كما سرت ، ويحظوا كما حظيت .
 (٣) فى ذراك : فى كنفك . يقول : إنما أقت عندك جبالك ، لأنك قيدتني بإحسانك وهذا كما قال أبو تمام :

وَتَرَكِي سُرْعَةَ الصَّدْرِ اغْتِبَاطًا بَدْلُ عَلَى مُوَاقَعَةِ الْوُرُودِ
 وقال أيضا :

هَمِي مُعَلِّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابَهَا مَفْلُوَةٌ - إِنْ الْوَفَاءُ إِسَارُهَا
 (٤) يقول : إذا طلب الإنسان إلى أيامه أن تغنيه وكنت بعيداً عنه ؛ وعدنه بالغنى لدى وصوله إليك ، وعبرة الواحدى : الدهر يحيل عليك ، فن اقترح عليه الغنى يشير عليه بإتيانك ، ومن هذا قول أبي تمام :

شَكُوتُ إِلَى الزَّمَانِ نُحُولَ حَالِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ

وقال بمصر وهو يريد سيف الدولة :

فَارَقْتُكُمْ فَإِذَا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ قَبْلَ الْفِرَاقِ أَذَى بَعْدَ الْفِرَاقِ يَدُ^(١)
إِذَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَعَانَ قَلْبِي عَلَى الشَّوْقِ الَّذِي أَجِدُ^(٢)

(١ و ٢) ما — من قوله فإذا ما كان — اسم موصول بمعنى الذى ، مبتدأ وخبره :
يد — فى آخر البيت — وأذى : خبر كان . يقول : غادرتكم فإذا جفاؤكم الذى كنت
أحسبه أذى قبل الفراق قد صار نعمة بعده . وعبرة ابن جني — وثقلها
الواحدى — : الأذى بعثى على مفارقتكم ، فصار الأذى يداً لأنه كان سبباً
للفرقه . ثم قال المتنبي : إذا تذكرت الحال التى كانت بيننا فتشوقت إليكم ذكرت ذلك
الجفاء فأعان قلبى على الشوق فلا يغلبه شوق إليكم . هذا هو ما ذهب إليه ابن جني
والواحدى ، ولكن الإمام العروضى قال : إن هذا غلط ، وإنما معنى البيت الأول :
ما كنت أحسبه عندكم أذى كان إحسانا إلى جنب ما ألقاه من غيركم ، وذلك كما
قال الآخر :

عَتَبْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا هَجَرْتُهُ وَجَرَبْتُ أَنْوَامًا بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ
ثم قال : إذا تذكرت ما بينى وبينكم من صفاء المودة أعاننى ذلك على مقاومة
الشوق إذا علمت أنكم على العهد والوفاء بالمودة .

وقال في سباه يمدح محمد بن عبيد الله العلوي المشطب :
 أَهْلًا بَدَارَ سَبَاكَ أَغِيدُهَا أَبْعَدُ مَا بَانَ عَنْكَ خُرْدُهَا^(١)
 ظَلَّتْ بِهَا تَنْطَوِي عَلَى كَيْدٍ نَضِيجَةٍ فَوْقَ خِلْبِهَا يَدُهَا^(٢)

(١) سباه : أسره بحبه ؛ والأغيد : اناغم التثني لنا ؛ والمراد : الحبيبة . وذكر طي
 معنى الشخص . والخرد : جمع خريدة ، وهي البكر التي لم تمس ، أو الحية . لما دعا
 للدار — التي سباه من كان بها — بأن تكون مأهولة قال : أبعد شيء فارقك جوارى
 هذه الدار الناعمات الأبرار ؛ بقوله : أهلا ، منصوب بمضمر ؛ والتقدير : جعل الله أهلا
 بتلك الدار : أي جعلها عامرة بالأهل ، وهو في الحقيقة دعاء لها بالسقيا لأن عادة الشعراء
 إذا وقفوا على ديار أحبابهم حيوها بالسلام ودعوا لها بالسقيا ورجوع الأهل ، كقول جرير :
 سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ رَبَابُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مِّنْ حَلٍّ بِالرَّمْلِ^(١)

« أي من أجل حب من حل بالرمل » وقوله أبعد : روى أبعد ؟ — على أنه
 استفهام — ويكون المعنى : أبعد ما بان عنك خردها ولم زدك عند رحيلها زاداً تدعو
 لها ، وروى أبعد — بالنصب — على أنه حال من الأغيد ، والعامل في الحال : سباك .
 يريد سباك أبعد ما بان عنك : أي أنه أسرك بحبه ، وهو على البعد منك . قال الواحدى
 والرواية الصحيحة أبعد ما بان . أقول : وهي التي أثبتناها في هذا الديوان .

(٢) ظلت : أصله ظلت ، فحذفت إحدى اللامين تخفيفاً ؛ وحلب الكبد : غشاؤها
 ويدها : مبتدأ ؛ والخبر : الظرف المقدم عليه ، والجملة : نعت آخر لكبد . وقال العكبري
 يدها ارتفعت بنضيجة ، إذ أنها تعمل عمل الفعل ، كما تقول : مررت بامرأة كريمة
 جارتها ، ثم قال : وجعل البدنضيجة وأضافها إلى الكبد لأنها دام وضعا على الكبد ،
 فأنضجت بما فيها من الحرارة ؛ فلهذا جاز إضافتها إلى الكبد . والعرب تسمى الشيء باسم
 غيره إذا طالت صلبته إياه ، كما قالوا لفناء الدار : العذرة^(٢) وإذا جاز تسميته باسم
 ما يصحبه كانت الإضافة أهون . يقول : ظلت بتلك الدار تثني على كبدك التي أنضجت
 حرارة الوجد واصما يدك فوقها ، والمخزون يفعل ذلك كثيراً لما يجد في كبده من
 حرارة الوجد ، كأنه يخاف أن تنشق كما قال الحماسي :

(١) الجون : السحاب الأسود ، والرباب . ما كان دون السحاب ، ومستهل : منهل .
 (٢) العذرة : الغائط . قال اللغويون : إنما سمى فناء الدار عذرة لأنها كانت تلقى

بأفنية الدار

يَا حَادِي عِيرَهَا وَأَحْسِنِي أَوْجَدُ مَتَا قَبِيلَ أَقْدَهَا^(١)

وَأَذْكُرُ أَيْامَ الْحَيِّ ثُمَّ أَنْتَنِي عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا^(٢)
وقال الآخر :

لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يَحْشُوا مُذْرِكَا وَضَمُّوا أُنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ
(١) العير : الإبل التي تحمل عليها الميرة ، و يروى عيسها : وهي كرام الإبل ، وقوله
قبيل أقدها : أراد قبيل أن أقدها ، فلما حذف أن : عاد الفعل إلى الرفع كبيت
الكتاب — كتاب سيويه — :

* أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمِيُّ أَخْضَرُ الْوَعْيِ^(٣) *

(١) للصمة بن عبد الله القشيري من أبيات جميلة أولها :
حَفَنْتَ إِلَى رَبِّيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَرَارِكَ مِنْ رَبِّيَا وَشَقْبَا كَمَا مَعَا
فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِمًا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَتَمَّا
قَفَا وَدَعَا تَجَدَّأً وَمَنْ حَلَّ بِالْحَيِّ وَقَلَّ لِنَجْدٍ عَفْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا
بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ مَا أَطْلَبَ الرُّبَا وَمَا أَحْسَنَ لِلْمُصْطَافِ وَالْمُتْرَبَا
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَشَرَ أَعْرَضَ دُونَنَا وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَمْحَنُّ نَزْعَا
بَكْتُ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتَهَا عَنْ الْجَهْلِ بَدَا الْحِلْمُ أَسْبَلْتَا مَعَا
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْأَصْفَاءِ لَيْتَا وَأَخَذَا
وَأَذْكُرُ أَيْامَ الْحَيِّ [البيت]
وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحَيِّ بِرَوَاجِعِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ هِينِكَ تَدْمَعَا
الشعب : الحي ؛ والبشر : جبل ، وأعرض : أبدى عرضه وجانبه ، وبنات الشوق
نوازعه . ونزعا جمع نازع أى مشتاق ، والبيت صفحة العنق ، والأخذع : عرق فيها .
(٢) صدر بيت لطرفة بن العبد من مطلقته ، وعجزه :

* وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِي ي *

وبعده :

قِنَا قَلِيلًا بِهَا عَلَى فَلَا أَقْلَ مِنْ نَظَرٍ أَزُودُهَا^(١)

وقوله راحسبني إلخ : جملة اعتراضية . دعا الحاديّين ، ثم ترك ما دعاهما له فذكره في البيت التالي ، وآتى بهذه الجملة المعترضة الجميلة . قال المكبري : نادى الحاديّين ، وحذف ما ناداهما له ؛ وذكره فيما بعد البيت ، وهذا مما يسمى الاعتراض : اعترض له كلام آخر هو من شأنه وقصته ، ولو كان كلاما ليس من قصته وشأنه فسد ، وإذا كان منه كان جائزاً . كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جمّة أسنة قوم لا ضِعَافٍ ولا عُزْلٍ

فصل بين الفعل والفاعل بما هو من نصته ، لأن إدراك الأسنة من جملة الحوادث .

(١) يقول — للحاديّين اللذين يعدوان عيها أو عيسها — : احبسها على قليلا لأنظر إليها وأزود منها نظرة فلا شيء أقل منها . وقريب من هذا المعنى قول ذي الرمة :

وإن لم يكن إلا معراج ساعة قليلاً فإني نافع على قليلها^(٢)

وروى بعضهم أقل — بالرفع — على أن « لا » بمنزلة ليس ، كيبت الكتاب :

من قرء عن يبرائها فأنا ابن قيس لا براح^(٣)

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرهما بما ملكت يدي

[يقول طرفه : بأمن يلومني على حضور الحزب لئلا أقتل ، وعلى أن أتق مالى في اللذات : ما أنت بخلدى إن نزلت على حكمك ، وإذن دعني أسبق الموت بالتمتع باتفاق مالى ... يعني أن الموت لا يدم منه ، فلا معنى للبخل وترك اللذات] .

(١) قبله :

ألم على الدار التي لو وجدتها بها أهلها ما كان وحشاً مقيماً

ألم : إزلاً ، ووحشاً موحشاً ، والقليل : النوم في الظهيرة ؛ والمرج : التعريج وهو الإقامة . وقليلها : مبتدأ ؛ ونافع : خبره . والمعنى ظاهر .

(٢) من أبيات لسعد بن مالك — شاعر جاهلي من شعراء الحماسة — وأول الأبيات :

يا بؤس للحرب التي وسعت أراهم فاستراحوا

وبعد :

والحرب لا يبق لي حيا حيمها التخيل والمزاح

فَفِي فُؤَادِ الْحَبِّ نَارُ جَوَى أَحْرَهُ نَارِ الْجَحِيمِ أَبْرَدُهَا^(١)
شَابَ مِنَ الْحَجَرِ فَرَقٌ لِنَتِهِ فَصَارَ مِثْلَ الدَّمَقْسِ أَسْوَدُهَا^(٢)
بَانُوا بِخُرْعُوْبَةٍ لَهَا كَقَلِّ يَكَادُ عِنْدَ الْقِيَامِ يُعَمِدُهَا^(٣)

يريد : ليس عندى براح .

(١) عنى بالحب : نفسه ، والجوى : الحرقه وشدة الوجد من عشق أو حزن ، والجحيم : النار العظيمة الشديدة التوقد . وكل نار توقد على نار : جحيم ؛ وجحمت النار : اضطربت وكثر جمرها ولهبها وتوقدها ؛ ومكان جاحم : شديد ؛ قال الأعشى :

يُعَمِدُونِ لِلْمِجَاءِ قَبْلَ لِقَائِهَا غَدَاةَ احْتِضَارِ الْبَاسِ وَالْمَوْتِ جَاحِمُ
يقول : إن نار الجوى أشد حرارة من نار الجحيم ؟

(٢) اللبة من الشعر : ما ألم بالنكس . وجاوز شحمة الأذن ، ويسمى الشعر القليل في الرأس : وفرة ، فإذا كثر عن ذلك : قيل حمة ، فإذا ألم بالنكس : قيل لمة . والفرق حيث يفرق الشعر من الرأس . والدمقس : الحرير الأبيض ؛ وأسودها . مسودها يقول : لعظم ما ألم به من هجر الحبيب أبيض شعره حتى صار ما كان أسود من لته أبيض .

(٣) الخرعويته : الشابة اللينة النظيرة ؛ وقوله يكاد : يريد قرب من ذلك ، وكاد : فعل وضع لمقاربة الفعل ، وإثباته نفي في المعنى ، فأراد : قرب من ذلك ولم يفعل . قال الثعوبون . كدت أفعل : معناه عند العرب قاربت الفعل ولم أفعل ، وما كدت أفعل : معناه فعلت بعد إبطاء . يقول : ذهبوا بامرأة ناعمة إذا قامت يكاد ردقها يقعدا لكثرة ما عليه من

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَفَّاحُ

يَا بُوْسَ لِلْحَرْبِ - يقول : يَا بُوْسَ الْحَرْبِ ، ومعنى وضعت أراهم حطهم وأسقطتهم فلم يكن لهم ذكر في هذه الحرب فاستراحوا من مكابذتها كالنساء . وقوله : فَأَنَا ابْنُ قَيْسِ أَيْ أَنَا المشهور في النجدة لما سمعت ؛ والبراح : مصدر برح الشيء براحا ، إذا زال من مكانه والجاحم : المكان الشديد الحر ، والتخيل : التكبر ، من الخلاء . يقول : إنها تزيل نخوة النخو ، وذلك أن أصحاب الغناء يتكرمون عن الخلاء ويغتنال للتشبع ، فلذا جرب فلم يحمدا افتضح وسقط ؛ والمراح - بكسر الميم - النشاط .

رَبِّحِيْلَةَ أَسْمَرَ مُقَبَّلَهَا سَبَخَلَةَ أَيْبَضَ مُجَرَّدَهَا^(١)
يَا عَاذِلَ الْعَاشِقِينَ دَعِ فِتْنَةً أَضْلَهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرْشِدَهَا^(٢)
لَيْسَ يُحِيكَ الْمَلَامُ فِي هِمَمٍ أَقْرَبُهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدَهَا^(٣)

اللحم . وهم يصفون المرأة بثقل العجيزة وكثرة لحمها . وقد تعاور هذا المعنى شعراء العربية كثيراً ؛ قال ذو الرمة :

تَنَوُّهُ بِأَخْرَاجِهَا قَلَالِيًا قِيلُمُهَا وَغَشِيَّ الْهَوَيْنَا عَنْ قَرِيبٍ فَتَبَهَّرُ^(١)
ويقول أبو العتاهية :

بَدَّتْ بَيْنَ حُودٍ قِصَارٍ أَنْطَى تُجَاهِدُ يَالْمَشَى أَكْفَالُهَا
وقال أبو دلالة :

وَقَدْ حَاوَلْتُ نَحْوِي الْقِيَامَ لِحَاجَةٍ فَأَثْقَلَهَا عَنْ ذَلِكَ الْكَفْلُ النَّهْدُ

(١) الربيلة والسبعة : من نعوت النساء ، وهي الجسيمة الطويلة العظيمة . والمقبل موضع التقييل ، وهو الشفة ، وتحمدها فيها السمرة . قال ذو الرمة :

لَمِيَاءُ فِي شَفَتَيْهَا مُحْمَرَةٌ لَعَسُ وَفِي اللَّثَاتِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبُ

والمجرد : ما تعرى من الثوب ، وهو الأطراف وصفها بسمرة الشفة وبياض اللون ، وخص المجرد لأنه إذا ابيض المجرد - الذي تصيبه الريح والشمس ، وهو الذي يظهر للرائين - كان سائر بدننا - الذي لا تصيبه الريح ولا الشمس - أشد بياضاً .

(٢) الفتنة : الجماعة ، يريد العاشقين . يقول : يا من يلوم العشاق على عشقهم دع لومك قوما أضلهم الله في الهوى حتى تهلكوا فيه واستولى عليهم حتى استبد بهم ، فكيف ترشدهم بعد ذلك ؟ أي أنهم لا يصفون إلى لومك ، لما بهم من ضلال العشق .

(٣) أحاك فيه النوى وحاك : أثر . يقول : إن لومك لا يؤثر في هم أقربها منك في تقديرك أبدها عنك في الواقع : أي أن الذي تظنه ينجم فيه لومك هو الأبعد ما تظن :

(١) قوله : تنوء بأخراها يقول : إن أخراها - وهي عجزتها - تنيش : أي تسقطها إلى الأرض لضخمها وكثرة لحمها في أردافها ، ومن ثم كان قيامها إذا هي قامت ، بعد لأي أي بعد مشقة وجهد وإبطاء .

بِشْرِ اللَّيَالِي سَهَرْتُ مِنْ طَرَبِي شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيتُ بِرَقْدُهَا^(١)

(١) يذم الليالي التي لم ينم فيها لما أخذه من القلق وخفة الشوق إلى الحبيب الذي يرقد الليالي ساليا لا يجد من أسباب السهر ما كان يجده هو . وابن الخلى من الشجى ؟ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وإليك ما أورده العكبري في شرح هذا البيت قال : المقصود بالتم محذوف ، وهو
نكرة موصوفة بسهرت ، والمعاند إليه من صفته محذوف أيضاً ، والتقدير ليل سهرت
فيها ؛ ومثله في الكتاب العزيز (ومن آياته يريكم) تقديره آية يريكم بها البرق خوفاً ، وقد
جاء في الشعر حذف النكرة المجرورة الموصوفة بالجملة في قول الراجز :

مَالِكٌ عِنْدِي غَيْرُ سَهْمٍ وَحَجَرٌ وَغَيْرُ كِبْدَاءٍ شَدِيدَةٍ الْوَتَرِ

* تَرْمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ^(١) *

يريد بكفي رجل خذفه وهو ينويه ؛ وقوله من طربي : مفعول له ، وهو بمعنى اللام ،
كما تقول جئت من أجلك ولأجلك ، وأكرمتها لخافة شره ومن مخافة شره ؛ وشوقا :
يحتمل أن يكون مفعولا لأجله عمل فيه طربي فيكون الشوق علة للطرب ، والطرب علة
للسهر ، ولا يعمل سهرت في قوله شوقا لأنه قد تعدى إلى علة فلا يتعدى إلى أخرى إلا
بماطف ، كقولك أفت سهرنا وخوفاً ، وسرت طربنا وشوقاً . ويحتمل أن ينصب بمحذوف
كأنه قل شقت شوقاً ، وشاقتني انتذكر شوقاً ، وشقت فعل مالم يسم فاعله ، كما يقول المملوك
قد بمت ، أي باعني مالكي ، وكقول الجارية — وقد سئلت عن المظر — غشنا ماشئنا :
أي أغائنا الله ، وقوله : إلى من ، يتعلق بالشوق لأنه أقرب للذكر إليها ، وإن شئت
علقت به بالطرب إذا نصبت شوقاً بالطرب ، وإن نصبت به بالمحذوف لم تعلقه بالطرب ، لأنك
تفصل بشوق وهو أجنبي من الطرب وصلته ، وكان الوجه أن يقول : يرقد فيها ، كما تقول

(١) قوس كبداء : غليظة القبض تملأ الكف . وقوله ترمي . يروي جادت من الجودة
وقل ابن جني : يروي أيضاً بفتح ميم «من» أي بكفي من هو في الرمي من أرمي البشر ،
وكان على هذا زائفة . وعلى هذا لا شاهد فيه .

يوم الجمعة خرجت فيه . ولا تقول خرجته إلا على سبيل التوسع في الظرف لجعله مفعولا به على السمة كقوله :

* ويوم شهدناه سُلَيْمًا وعامرًا^(١) *

ففي البيت أربعة حذف : حذف المقصود بالدم — وهو ليال — وحذف من سهرت فيها ، وحذف الضمير من سهرت ؛ فكأنه يقول سهرتها . والرابع حذف من يرقد فيها . وروى سهرت وسهرت — بالراء والبدال — وقد فرق أهل اللغة بينهما فقالوا : السهر — بالراء — في كل شيء ، وبالبدال للدغ والعاشق . واستدلوا بقول النابغة :

* يُسَهِّدُ مِنْ نَوْمِ الْمَشَاءِ سَلِيمُهَا^(٢) *

وبقول الأعشى :

* وَبِتُّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهِّدًا^(٣)

(١) عجزه :

قَلِيلٌ سِوَى الطُّغْنِ النَّهَالِ نَوَافِلُهُ *

شهدناه : أى شهدنا فيه ؛ وسليم وعامر قيلتان من قيس غيلان ؛ والنوافل هنا : الغنائم يقول : يوم لم يغم فيه إلا النفوس لما أوليناهم من كثرة الطغن والنهال المرتوية بالدم . وأصل النهل : أول الشرب ، والعلل : الشرب بعد الشرب ، والطغن هنا جمع طغنة :

(٢) عجزه :

* لِحَلِي النَّسَاءِ فِي يَدَيْهَا قِمَاقِمِ *

يقال فلان يسعد : أى لا يترك أن ينام .

(٣) صدره :

* أَلَمْ تَفْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا *

وهذا البيت مطلع أبيات يمدح بها شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبمعه :

وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهْدَا

وقوله: بش: اختلف أصحابنا والبصريون في نعم وبش، فقال أصحابنا هما اسمان، وقال البصريون: بل هما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وواقفهم من أصحابنا: علي بن حمزة المقرئ. حجتنا على أنهما اسمان أن حرف الجر يدخل عليهما لما قد جاء عن العرب أنها تقول ما زيد بنعم الرجل. قال حسان بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه:

أَلَسْتُ بِنِعَمٍ الْجَارُ يُؤَلِّفُ بِيَدَتَهُ لَذَى الْعَرَفِ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَمُعْدِمًا^(١)
وحكى عن بعض قصحاء العرب أنه قال: نعم السير على بش العير، وقل الفراء: إن أعرابيا بشر بأننى قليل له نعم المولود مولودتك، فقال: والله ما هى بنعم الولد، نصرها بكاء وبرها سرقة. فدخل حرف الجر عليهما دل على أنها اسمان. وحجة أخرى: أن حرف النداء يدخل عليهما وهو لا يدخل إلا على الأسماء في قولهم: يا نعم المولى ويا نعم النصير: ولا يجوز أن يقال المقصود بالنداء محذوف للعلم به والتقدير فيه: يا الله نعم المولى. فحذف النادى لدلالة حرف النداء عليه، كما يحذف حرف النداء لدلالة النادى عليه، فإن قيل ذلك، فجوابنا: النادى إنما يقدر محذوفا إذا ولى حرف النداء فعل أمر. وما جرى مجراه، كقراءة علي بن حمزة والحسن ويعقوب والأعرج «ألا يا اسجدوا» نديره: يا هؤلاء اسجدوا. وكقول ذى الرمة:

أَلَا يَا أَسْلَمَى دَارِمَى عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِمَجْرَعَاتِكَ الْقَطَرِ^(٢)
وكقول الآخر:

أُمْسَلَمْ يَا أَسْمَعَ يَا ابْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا سَائِسَ الدُّنْيَا وَيَا جَبِلَ الْأَرْضِ^(٣)

إلى آخر الأبيات. وقوله ليلة أرمدنا: يريد ليلة أرمدنا — أى عيناه — أى أصحابها رمد، وهورج العين، والسليم: الملدوغ، والمسهد: الذى منع النوم، والحلة: الصداقة ومهدد: اسم امرأة.

(١) قوله يولف بيته لذى العرف: أى يجعله مألفاً لذى العرف أكان غنياً أم فقيراً.

(٢) مى: هى محبوبته، وعلى: بمعنى مع، ومنهلاً: منصباً، والجرعاء: مؤنث الأجرع: الموضع المختلط ترابه بالخصى؛ والقطر: المطر. يدعو لها بالخصب.

(٣) هذا البيت لأبى نخيلة يمدح به مسلمة بن عبد الملك. وقد أورده القالى على الوجه الآتى:

أراد يهَذَا : وشواهد كثيرة ، وإنما اختص هذا دون الخبر بفعل الأمر ، لأن النادى مخاطب ، والأمور أيضاً مخاطب ، فحذفوا الأول من مخاطبين اكتفاء بالثانى ، ولاخلاف أنه نعم المولى خبر ؛ فيجب أن لا يقدر النادى محذوفاً ، فدل على أن النداء لا يكاد ينفك عن الأمر ، أو ما جرى مجراه من الطلب والنهى ، ولذلك لا يكاد يوجد فى كتاب الله نداء ينفك عن أمر أو نهى ، ولهذا لما جاء الخبر فى قوله تعالى « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له » شفعه الأمر — وهو استمعوا له — فلما كان الأمر والنداء جملتى خطاب جاز أن يحذف النادى من الجملة الأولى ، وليس كذلك فإنعم المولى ، لأن نعم : خبر ، فلا يجوز أن يقدر النادى محذوفاً ، ودليل آخر على أنها إسمان ، أنها لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الأفعال ، لأنك لا تقول : نعم الرجل غداً ولا أمس ولا بشس الرجل غداً أو أمس ، ودليل آخر : أنها غير متصرفين ، والتصرف من خصائص الأفعال ودليل آخر : أنها لم يكونا فعلين حاضيين لأنه يجوز دخول اللام عليها فى خبر أن ، تقول إن زيدا نعم الرجل وعمرأ لبس الغلام . وهذه اللام لا تدخل على الماضى ، وهى تدخل على الاسم ، وعلى الفعل المضارع ، فدل على أنها إسمان . ودليل آخر : أنه قد جاء عن العرب نعيم الرجل وليس فى أفعال العرب فعيل ، فدل على أنها إسمان . وحجة البصريين اتصال الضمير المرفوع بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف . وحجة أخرى : اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التى لا يقلبها أحد فى الوقف هاء كما قلبوها فى رحمة وشجرة ، وذلك قولهم نعمت الجارية ، وهذه التاء يختص بها للفعل الماضى .

أَسْلَمَ إِنِّى يَا ابْنَ كَلٍّ خَلِيفَةً وَيَا فَارِسَ الْمَلِيجِ يَا قَمَرَ الْأَرْضِ
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ اللَّتْقِ

وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضَى
وَأَلْقَيْتَ لَمَّا أَرَأَيْتُكَ زَائِراً عَلَى لِحَافٍ سَابِغِ الطُّولِ وَالْعَرَضِ
وَنَوَّهْتَ مِنِّى ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً
وَلَكِنْ بِنَفْسِ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ

وإذن لا شاهد فيه :

أَحْيَيْتَهَا. وَالْذُمُوعُ تُنَجِّدُنِي شَوْوْنَهَا وَالظَّلَامُ يُنَجِّدُهَا^(١)
لَا نَاقِي تَقْبَلُ الرَّدِيفَ وَلَا بِالسُّوطِ يَوْمَ الرَّهَانِ أَجْهَدُهَا^(٢)

(١) إحياء الليل : سهره ، وأنجده : أعانه ؛ والشئون : قبائل الرأس ، وهى مجارى الدموع ، والضمير فى أحيتها وينجدها : لىالى ، والضمير فى شئونها الدموع . يقول : كان الدموع من الشئون إمداد ، وللىالى من الظلام إمداد ، يعنى أن تلك اللىالى طالت وطال البكاء فيها ، ويجوز أن يكون الضمير فى ينجدها عائدا إلى الشئون ، وذلك أن من شأن الظلام أن يجمع المموم على العاشق وفى اجتماعها عون للشئون على تكثير البكاء . يبين هذا قول قيس المجنون :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا صَمَّ أَزْرَارُ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقِ^(١)
(٢) الرهان : السباق ، وأجهد الدابة وجهدها : حملها فى السير فوق طاقتها يقول : إن نأقنى — ويريد نعله — لا تقبل الرديف — وهو الذى يرتد فى خلف الراكب — وإذا راھنت عليها لم أجدها بالسوط ؛ وهذا كما قال فى قافية قد تقدمت :

وَحُبِّيْتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَفَدَوْتُ أُمِّشِي رَاكِبَا
وهذا الذى من قول أبى نواس :

إِلَيْكَ أَبَا الْمُبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى عَلَيْهَا امْتَطَيْنَا الْحَضْرَمَى الْمَلْسَنَا
فَلَانُصْ لَمْ تَعْرِفْ حَنِينًا إِلَى طَلَا وَلَمْ تَذَرِ مَا قَرَعَ الْفَنِيْقُ وَلَا الْهِنَا^(٢)
ومثله قول الآخر :

رَوَّاحِلَنَا سَيْتٌ وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ نُبْجَسُ الْمَاءَ فِي كُلِّ مَنْهَلٍ

(١) أراد بالأطفال : الأحزان المتولدة عن الحب . والبنائق : جمع بنية ، وهى طوق اثوب الذى يضم النحر وما حوله ، وإذا أنشد البيت :

* كَمَا ضَمَّ أَزْرَارَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

كما هو فى أصله ، فالبنائق : العرى التى تدخل فيها الأزرار :

(٢) نعل حضرمى : إذا كان ملسنا وهو الذى فيه طول ولطافة على هيئة اللسان والطلا : الولد من ذوات الظلف ، وانقرع : الجرب ، والفنيق ، الفعل المكرم . من الإبل الذى لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهناء : امطران . تقول هنأت البعير : إذا طليته بالهناء وهو امطران .

شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمِشْفَرُهَا زَمَامُهَا وَالشُّوعُ مِقْوَدُهَا^(١)
أَشَدُّ عَصْفِ الرِّيحِ يَسْبِقُهُ تَحْتَى مِنْ خَطْوِهَا تَأْيِدُهَا^(٢)
فِي مِثْلِ ظَهْرِ الْمِجَنِّ مُتَّصِلٍ بِمِثْلِ بَطْنِ الْمِجَنِّ قَرَدَدُهَا^(٣)

(١) الشراك : سيرانعل ؛ والكور : رحل الناقة ؛ والمشفر من الناقة : بمنزلة الشفة من الإنسان ؛ وزمام النعل : ما تشد إليه شسوعها ، وهى السور التى تكون بين خلال الاصابع ، والمقود : الحبل الذى تقاد به الدابة . جعل شراك نعله بمنزلة الرحل للناقة ، وزمامها بمنزلة للمشفر لها ، والشسوع بمنزلة المقود .

(٢) عصف الرياح : شدة هبوبها ومن روى بضم العين فهو جمع عصفوف يقال ربح عاصف وعصفوف : بمعنى ، والجمع عصف . ويريد بقوله تأييدها : تأنيها وتأييدها . يقول : أهون سيرناقتى — يعنى نعله — يسبق أشد مير الرياح . يصف المتنبي نفسه بأنه شديد العدو منتعلا ، وقال الواحدى فى قوله تأييدها : التأيد تفعل من الأيد ، وهو التقوى ، وليس المعنى على هذا ، وإنما أراد التعلل من الاتئاد وهو الترفق واللين ، ولم يحسن بناء التعلل منه ، وحقه تأودها ، وقال ابن القطاع : يقال آد الشيء يئيد أيدياً : إذا قوى . ولو قال تأودها لكان قد بالغ ، وآد الشيء يئود أوداً : إذا أنقل . وفى كلام العرب ما آذك فهو لى آند : أى ما أنقلك فهو لى مثقل ، فيكون المعنى أشد عصف الرياح يسبقه ثقل سيرها . وهذا غاية المبالغة ، وكذلك لو قال : تأودها لكان أيضاً قد بالغ ، فالتؤد والتؤيد الترفق . يقال : وأد يئد وأدا . والتاء — فى التؤدة — مبدلة من واو ، مثل تخمة ، فيكون المعنى : أشد عصف الرياح يسبقه ترفق سيرها ؛ وهذا هو المبالغة . وقيل : إن التأيد فى بعض اللغات الترفق ، وأنشد الحليل فى ذلك :

تَأْيِدٌ عَلَى هَذَاكَ الْمَلِيكَ فَإِنْ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

أى ترفق :

(٣) فى مثل ظهر المجن : أى يسبقها تأييدها فى مفازة مثل ظهر المجن . فمثل نعت للحدوف : أى فى مفازة أو فلاة ، والمجن : الترس ، ومتصل نعت سبى لمفازة المخذوفة . وقرددتها : فاعل متصل ، وتروى متصل — بالرفع — على أنها خبر مبتدأ مؤخر ، وهو قرددتها ، والقردد : الأرض المرتفعة الغليظة أو أرض فيها نجاد ووهاد . قال ابن جنى شبه الأرض بظهر المجن لما كانت خالية من النبات ، وظهر المجن نأتى ، وبطنه لاهطى .

مُرْتِمَاتٌ يَنَّا إِلَى ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ غِيْطَانَهَا وَقَدْ فَدَّهَا^(١)
إِلَى فَتَى يُصْدِرُ الرِّمَاحَ وَقَدْ أَهْلَكَهَا فِي الْقُلُوبِ مُورِدَهَا^(٢)
لَهُ أَيْدٍ إِلَى سَابِقَةٍ أَعَدَّ مِنْهَا وَلَا أَعَدَّهَا^(٣)

فهو كالصعود والحدور أى أن هذه المفازة محدبة مثل ظهر الحن يتصل ما ارتفع منها بأما كن منخفضة مثل بطن الحن : يعنى أنها ذات جبال ووهاد .

(١) مرتميات : خبر مقدم ، وغيطانها : مبتدأ مؤخر ؛ وتروى مرتميات — بالنصب — صفة لمفازة ، وغيطانها ، فاعل مرتميات : والغيطان ؛ جمع غائط ، وهو الطمئن من الأرض . والفدغ : الأرض الغليظة المرتفعة . يقول : إن هذه المفاوز غيطانها وفدغها ترمينا إلى المدوح بقطعنا إياها بالسير ، فكأنها تلقينا إليه ،

(٢) إلى فتى : بدل من ابن عبيد الله . ويصدر الرماح : ينزع من الطمون من الملعون . وأهلها : سقاها . وموردها — بضم الميم — على أنه اسم فاعل — وهو المدوح — فاعل أهلها ؛ ويروى بفتح الميم على معنى المصدر ، فيكون المعنى أهلها في القلوب ورودها : يعنى أنها وردت قلوب الأعداء ؛ والأولى أجود . يقول : ينزع الرماح وقد سقاها من دماء قلوب الأعداء . وعبرة الواحدى : يرجعها ويردها وقد سقاها بموضع ورودها في قلوب الأعداء دماءهم .

(٣) الأيادى : النعم ، وإلى : صلة سابقة ، أو صلة الأيادى مضمنة معنى الإحسان ، كأنه قال : له إحسان إلى ، لأنه يقال لك عندى يد ، ولا يقال لك إلى يد ، والعرب تصل الفعل بالمعنى لا باللفظ : قال تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » والمعنى لطف بي . وقوله أعد منها : يريد أنى غذى نعمته ، وريبب إحسانه ، فنفى من جملة نعمه ؛ فأنا أعد منها ، وقال ابن جنى : أنا بعضها ، كما قال الحماسى :

لَا تَلْتَفِنِ بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِى فَإِنِّى بَعْضُ أَيْدِيكَ

يريد أنه وهب له نفسه ؛ وتروى : أعد منها : أى أنه يعد بعض أيديه ، ولا يأتى على جميعها عدا لكثرتها ، وهو قوله ولا أعددها . كأن هذا من قوله تعالى « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » أى لا تعدوا جميعها . ومن قوله تعالى « وأحصى كل شيء عددا » .

يُعْطَى فَلَا مَطْلَةَ يُكْدَرُهَا بِهَا وَلَا مَنَّةٌ يُنْكَدُهَا^(١)
خَيْرٌ قُرَيْشٍ أَبَا وَأَجْدُهَا أَكْثَرُهَا نَائِلًا وَأَجْوَدُهَا^(٢)

(١) الضمير في بها : للمطلة ، وفي يكدرها وينكدها : للأيدى ؛ ويروى مطله ومنه ، وبه بدل بها . يقول : إنه لا يمطل قبل العطاء ولا يمن بده . وينكدها : أى ينقصها ويقلل خيرها ؛ وكان يقال : المنة تهدم الصنيعة ؛ وقد مدح المولى جل وعز قوما فقال : « ثم لا يتبون ما اتفقوا منا ولا أذى » وقال الشاعر :

أَفْسَدْتُ بِالْمَنِّ مَا قَدَّمْتُ مِنْ حَسَنٍ لَيْسَ الْكَرِيمُ إِذَا أُعْطِيَ يَمْنَانٌ
وعبارة العكبرى : يقول : له أيد لا يكدرها مطل ولا ينكدها من ؛ ولم يرد أن له مطلا لا يكدرها ، ومنا لا ينكدها ، وإنما أراد انتقاء المطل والمن عنه البتة ، ومن هذا قول امرئ القيس :

* عَلَى لَاحِبٍ لَا يَهْتَدِي بِمَنَارِهِ

لم يرد أن فيه منارا لا يهتدى به ، ولكنه نفى أن يكون به منار . والمعنى : لا منار يهتدى به . ومثله قوله الآخر في وصف مغارة :

لَا تَفْزَعُ الْأَرْنبَ أَهْوَالُهَا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ

لم يرد أن بها أربنا لم يفرع ولا ضبا ، ولكنه نفى أن يكون فيها حيوان . وعبارة الواحدى : يعطى فلا مطله بالأيدى يكدرها : أى أنه لا يمطل إذا وعد إحسانا ، ولا يمن بما يعطى فينسكه .

(٢) يقول : إن أباه خير قريش ، لأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو خيرهم أباً ، لأنه ليس فهم أحد أبوه أفضل من أبى المدوح . والنائى : العطاء ، وأباً ونائلاً : منصوبان على التمييز ؛ والمراد بقريش : القبيلة ، ومن ثم قال : أمجدها وأجودها والمجد قيل هو الأخذ من الشرف والسود : ما يكتنى ، وقال ابن السكيت : الشرف والمجد يكونان بالآباء ، يقال رجل شريف ملحد : أى له أباه متقدمون في الشرف . قال : والحسب والكرم^(١) يكونان في الرجل ، وإن لم يكن له أباه لهم شرف ، فأجودها : أسخطها .

(١) المراد بالكرم هنا : ضد الثؤم .

أَطْعَمَهَا بِالْقَنَاءِ أَصْرَبَهَا بِالسَّيْفِ جَجَجَاحُهَا مُسَوِّدَهَا^(١)
 أَفْرَسُهَا فَارِسًا وَأَطْوَلُهَا بَاعًا وَمِنَوَارُهَا وَسَيِّدُهَا^(٢)
 تَاجُ لَوْيٍّ بَنٍ غَالِبٍ وَبِهِ سَمًا لَهَا فَرَعُهَا وَتَحْتُهَا^(٣)
 شَمْسُ ضُحَاهَا هَلَالٌ لَيْلَتِهَا دُرٌّ تَقَاصِيرُهَا زَبَرٌ جَدُهَا^(٤)
 يَأْلَيْتَ بِضَرْبَةٍ أَنْيَحَ لَهَا كَمَا أَنْيَحَتْ لَهُ مُحَمَّدُهَا^(٥)

(١) الججججججج : السيد الشريف ، وقد تقدم الكلام عليه ، والسود : الذى سوده قومه . قال الواحدى : ذكر القنأة والسيف مع الطعن والضرب تأكيداً للكلام ، كما قال تعالى « يطير بمنحاه » وكما يقال : مشيت برجلي ، وكلمته بمعنى (٢) فارساً : حال . أى هو أفرسها إذا ركب فرسه ، وأكد الكلام بذكر الحال لأن أفرس يكون من الفرس والفراصة . وطول الباع مما يمدح به الكرام . يقال فلان طويل الباع : إذا امتدت يده بالكرم . ويقال للثيم : ضيق الباع ؛ والغوار : الكثير الغارة .

(٣) لوى : أبو قريش . يقول : هو لهم بمنزلة التاج ، به يتشرفون ويتزينون ، وبه علا فرعهم وأصولهم : أى الأبناء والآباء ، والحدت : الأصل ؛ وقوله لها : أتى بها لقيم الوزن ، أو ليؤكد الإضافة ، وإلا فقوله سما فرعها : كلام تام حسن .

(٤) انتقاصير : القلائد التى تعلق على القصرة ؛ والقصرة : اصل العنق ، مفردة ؛ تقصار وتقصارة . يقول : هو فيها بينهم كالشمس فى النهار ، والهلل فى الليل ، والفر والزبرجد فى القلادة . أى هو أفضلهم وأشهرهم ، وبه زينتهم وغرهم ، قال العكبرى : ويجوز أن يكون أراد أحسنهم لأن الشمس أكثر ما يكون نورها وحسنها عند الضحى وهلال ليلتها ، لأنهم يعتمدون عليه ، ويتطلعون إليه ، كما يتطلع إلى الهلال ليلة يستهل فيها . يريد أن أعين الناس تنظر إليه إذا ركب وخرج إلى الناس كما تنظر إلى الهلال عند بدوه .

(٥) كان هذا الممدوح قد أصابته ضربة على وجهه فى بعض الحروب ، قال العكبرى كان محمد بن عبيد الله هذا الممدوح قد واقع قوماً من العرب بظاهر الكوفة وهو شاب دون العشرين قتل منهم جماعة وجرح فى وجهه فكسته الضربة حسناً ، يقال : ليت الضربة التى قدر لها محمدنا — يعنى الممدوح — كما قدرت الضربة له ، كانت بى : أى

أَثَرَ فِيهَا وَفَى الْحَدِيدِ وَمَا أَثَرَ فِي وَجْهِهِ مُهَنْدُهَا^(١)
فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيَّنَّهَا بِمِثْلِهِ وَالْجِرَاحُ تَحْسُدُهَا^(٢)

ليتفى كنت فداءه من تلك الضربة فوقعت بى دونه . ويجوز — كما قال الواحدى — أن يكون الممدوح أتاح وجهه للضربة حيث أقبل للحروب وثبت حتى جرح ، فمنى أبو الطيب رتبته فى الشجاعة ، وأضاف محمداً إلى الضربة إشارة إلى أنها كسته الحد فأكثر حتى صار هو محمداً بها .

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند . يقول : إن الضربة والسيف قصدا إهلاكه فردها عن قصدها ، فذلك تأثيره فيها . فقوله : وما أثر فى وجهه مهندها : أى لم يشنه ولم يجه فلم يؤثر تأثيراً قبيحاً ، وإنما زاده حسنا ، لأن الضربة على الوجه شعار للغوار ، والعرب يقتخرون بذلك . قال الحصين بن الحمام المرى :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمِي كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَاءُ^(١)
والطعن والضرب فى الظهر عندهم مسبة وفضيحة . قال الشاعر :

وَلَكِنَّمَا يَحْزَى أَمْرُؤُا يَكْلُمُ اسْتَهُ قَنَا قَوْمِهِ إِذَا الرَّمَّاحُ هَوِينَا
ولك أن تقول : إنه أثر فى الضربة والسيف ضعفا بإرعاش يد الضارب لهيبته واستعظام الإقدام عليه ، فلم يؤثر السيف فى وجهه أثرا يعتد به ، أو لم يصرفه عن المضى فى القتال :

(٢) يقول : إن هذه الضربة عدت نفسها سعيدة حين رأت أنها قد تزينت بحصرها فى وجهه ، وحسدتها بemie الجراحات ، إذ لم تصب موضعا كريما مثل هذا . وقوله : بمثله يريد به ، والثلث : صلة ، تقول مثلى لا يفعل هذا ، أى أنا لا أفعله . قال الشاعر :

يَا عَاذِلِي دَغْنِي مِنْ مِثْلِكَ مِثْلِي لَا يَقْبَلُ مِنْ مِثْلِكَ

(١) الكلوم : الجروح ، وقيل البيت :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أُنْقَدَمَا
وبعده :

نَفَلْتُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَزَّ وَأَكْرَمًا

وَأَيُّقِنَ النَّاسُ أَنَّ زَارِعَهَا بِالْمَكْرِ فِي قَلْبِهِ سَيَحْصِدُهَا^(١)

معناه أنا لا أقبل منك ، ومن هذا قوله تعالى « ليس كمثل شيء » والنبطة حسن الحال ، أو هي النعمة والسرور . تقول غبطته بما نال أغبطه غبطاً وغبطة فاغبط هو ، كقولك منعته فامتنع وجبسته فاحتبس ؛ قال حريث بن جبلة الهذلي :
وَيْنَمَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ مُغْتَبِطٌ إِذَا هُوَ الرَّمْسُ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ^(٢)
قال الجوهري : أنشدته مغتبط — بكسر الباء — أى مغبوط ، أى والاسم النبطة وهي حسن الحال .

(١) الضمير في قلبه : يعود إما إلى الزارع — أى الضارب — أى زرعها بمكر في قلبه ، وإما إلى المدحوح : أى أن الضارب قد زرع هذه العداوة في قلبه . يقول : إن هذه الضربة جاءت مماكرة وغدراً ، لا سواحية وكفاحاً ، وأن ضاربها قد بذل بذراً خبيثاً لا بد حاصده : أى ملاق جزاءه عليه من المدحوح .

(١) قلبه :

فَاسْتَقْدِرَ اللَّهُ خَيْرًا وَأَرْضَيْتَ بِهِ فِينَا الْعُسْرُ إِذْ دَارَتْ مَيَاسِيرُ
وبسده :

يَبْكِي عَلَيْهِ غَرِيبٌ لَيْسَ يَهْرَفُهُ وَذُو قَرَابَتِهِ فِي الْحَيِّ مَسْرُورٌ
حَتَّى كَأَن لَّمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهُ وَالْدَّهْرُ أَيْتَمًا حَالِ دَهَارِيرُ

[قوله استقدر الله خيراً : أى اطلب منه أن يقدر لك خيراً . وقوله : فبينما العسر فالعسر مبتدأ ، وخبره محذوف ، تقديره : فبينما العسر كأن أو حاضر . إذ دارت مياسير ؛ أى حدثت وحدثت ، والياسير : جمع ميسور ؛ والرمس : القبر ، والأعاصير : جمع إعصار وهي الريح تهب بشدة . وقوله : كأن لم يكن إلا تذكرة ، فيكون تامة ، وتذكره فاعل بها ، واسم كأن . مضمر ، تقديره كأنه لم يكن إلا تذكرة ، والهاء — في تذكره — على الهاء المقدرة ، والدهر : مبتدأ ، ودهارير : خبره ، وأيتما حال : ظرف ، والعامل فيه : ما في دهاريير من معنى الشدة . وقولهم : دهر دهاريير أى شديد كقولهم : ليلة ليلاء . وقيل : الدهاريير ، جمع الدهور ، أراد أن الدهر ذو حالين من بؤس ونعم . وقال الزمخشري : الدهاريير : تصارييف الدهر ونوائيه ، مشتق من لفظ الدهر ، ليس له واحد من لفظه ، كمبايد] .

أَصْبَحَ حُسَادُهُ وَأَنْفُسُهُمْ يُحْدِرُهَا خَوْفُهُ وَيُصْعِدُهَا (١)
تَبْكِي عَلَى الْأَنْصِلِ الْقُمُودُ إِذَا أَنْذَرَهَا أَنَّهُ يُجَرِّدُهَا (٢)
لَعَلَّهَا أَنَهَا تَصِيرُ دَمًا وَأَنَّهُ فِي الرِّقَابِ يُفْعِدُهَا (٣)
أَطْلَقَهَا فَالْعَدُوُّ مِنْ جَزَعٍ يَذُمُّهَا وَالصَّدِيقُ يَحْمَدُهَا (٤)

(١) الواو — في وأنفسهم — واو الحال . يقول : إنه رمى حده بالقيم المقعد . فهم لا يستقرون على حال من القلق خوفاً منه وذعراً ، وهذا كما قال :

أَبْدَى الْقِدَاةُ بَكَ السَّرُورَ كَأَنَّهُمْ فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمُقِيمُ الْمُقْعَدُ
(٢) و (٣) يقول : إذا أنذر القمود — جمع غمد — بتجريد السيوف بكت القمود على السيوف لعلها أن السيوف للذكورة مستغمد في دماء الأعداء حتى تلتطخ بها وتصير كأنها دم ، وأن للمدح سيجعل الرقاب غموداً لها بدلاً منها . وهذا المعنى تعاورة الشراء من قديم . قال عنترة :

وَمَا تَذَرِي جُرْيَةَ أَنَّ نَبْلِي يَكُونُ جَفِيرَهَا الْبَطْلُ النَجِيدُ (١)

وقال حسان :

وَنَحْنُ إِذَا مَا عَصَنَّا السِّیَوفَ جَعَلْنَا الْجَاهِجَ أَغَادَهَا

وقال الحماسي :

مَتَابِرُهُنَّ بَطُونُ الْأَكْفِ وَأَغَادُهُنَّ رُؤُوسُ الْمُلُوكِ (٢)

ويقول ابن الرومي :

كَسَاهُمُ الْعِزُّ إِنْ عَرَوْا مَنَاصِلَهُمْ فَمَا لَهَا غَيْرَ هَامِ الصَّيْدِ أَجْفَانُ

(٤) يقول : أطلق الأنصل فذمها العدو خوفاً وجزعاً منها ، وحمداً الصديق لحسن

بلائها في العدو .

(١) الجفير : الكنانة والجبعة التي تجعل فيها السهام .

(٢) قبله :

وإِنَّا لَتُصْبِحُ أَسِيفَنَا إِذَا مَا اضْطَبَحْنَ يَوْمَ سَفُوكِ

(اضطبحن : شربن وقت الغداة ، وجعل اليوم سفوكاً لأن السفك يقع فيه . وقوله

(٣ — ٢) المتني

تَنْقَدِحُ لِلنَّارِ مِنْ مَضَارِبِهَا وَصَبَّ مَاءَ الرَّقَابِ يُخْمِدُهَا (١)
إِذَا أَضَلَّ الْهَمَامُ مَهْجَتَهُ يَوْمًا فَأَطْرَافُهُنَّ تَنْشُدُهَا (٢)
قَدْ أَجْمَعْتَ هَذِهِ الْخَلِيقَةَ لِي أَنْتَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا (٣)
وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا شَيْخَ مَعْدَةٍ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا (٤)

(١) يقول : إنها من شدة الضرب تهوى إلى الأرض فتندح منها النار فيخمدها ما ينصب من السماء عليها .

(٢) الهمام هنا : الملك العظيم ، والمهجة : الروح ، ونشد الضالة : طلبها ليعرف مكانها يقول : إذا قتل ملك ولم يعرف قاتله ، فأعما سيفوفه هي التي تطلب مهجته منها ، لأن سيوف المدوح قوائل لللوك ؛ أو تقول : إن سيوف المدوح هي التي تثار له ، و يروى بدل تنشدها : منشدها اسم مكان : أى أن سيوفه هي المكان الذي تطلب مهجة المقتول منه ، لأن سيوفه — كما قلنا — قوائل لللوك ؛ و يروى فأطرافهن ينشدها — بنصب أطرافهن — وينشدها — بالياء المثناة التحتية — أى ينشدها في أطرافهن .

(٣) الخليفة : الخلائق والخلق . يقول : إن هذه الخلائق قد أجمعوا موافقين لي أنك أوحدهم فضلا ونسبا وشجاعة وكرما . وقال الواحدى : يجوز أن يكون على التقديم والتأخير : أى أوحدها لي : أى أوحدها إلى إحساناً وإفضالا ، ولا يكون في هذا كثير مدح ويجوز أن يكون أجمعت فقالت لي والقول يضر كثيرا ، كقوله تعالى « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا » أى ويقولان : ربنا تقبل .

(٤) وأنت : مخففة من أنك ضرورة ، والمحتلم : الغلام بلغ مبلغ الرجال ، وهو حال من التاء في كنت ، وشيخ معد : خبر كان ، والضمير في أمردها : لمعد ؛ وقوله : وأنت أمردها : عطف على الحال : أى عتلتا أمرد . يقول : وأنت بالأمس حين كنت غلاما أمرد كنت شيخ معد يرجعون إلى رأيك ، فكيف اليوم مع علو السن ووفور العقل ؟ هذا : وهامى ذه طرفة نغومة للعلامة العكبرى قال : قوله وأنت : أراد أنك بالتشديد ، تخفف ضرورة مع الضمير ، كقول الآخر :

منابرهن : أراد أنها إذ تنتضى فكانها تخطب واعظة للأعداء زاجرة لهم . يقول : إن سيوفنا تصير إذا شربت الصبوح من دم الأبطال في يوم سفوك للدماء بهذه الحالة)

فَلَوْ أَنَّكَ فِي يَوْمِ الرَّخَاءِ سَأَلْتَنِي طَلَاكَ لَمْ أَبْغَلْ وَأَنْتَ صَدِيقٌ^(١)
وإنما يحسن التخفيف مع الظاهر كقوله :

وَصَدَّرْتُ مُشْرِقُ النُّعْرِ كَانَ مُدْيَاهُ حُقَّانٌ^(٢)

لأن الضائر ترد الأشياء إلى أصولها ، وإذا خففت مع الظهور فتعملها في مقدر ، وهو ضمير الشأن ، وترفع بعدها الجملة خبراً عنها ، تقول : علمت أن زيد قائم ، ومنه « وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين » و « أن لعنة » : في قراءه نافع وعاصم وأبي عمرو وقنبل ، وإذا وليها الفعل لم يجمعوا عليها مع النقص الذي دخلها وحذف اسمها ، أن يليها ما يجوز أن يليها وهي مثقلة فكان الأحسن أن يفصل بينها وبينه بأحد أربعة أحرف : السين ، وسوف ، ولا ، وقد ؛ فتقول : علمت أن سيقوم ، وسوف يقوم ، وأن لا يقوم ، وقد يقوم ، قال تعالى « علم أن سيكون منكم مرضى » قال جرير :

زَعِمَ الْفَرْدُوقُ أَنْ سَيَقْتُلُ مَرِيضًا أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرِيضُ^(٣)

(١) بعده :

فَإِذَا رَدَّ تَرْوِيحٍ عَلَيْهِ شَهَادَةٌ وَلَا رُدُّ مِنْ بَعْدِ الْحَرَارِ حَقِيقٌ

ويروي قرقاك - بدل طلاقك - وصديق : فعيل للواحد والجمع والمؤنث ، والحرار مصدر حر بحر من باب تمب : أي صار حراً ، والمراد بالرخاء : قيل لزوم العقد ، والرخاء السعة : أي وقت إمكانه ، ولم أبغل : أي به : أي بل كنت أجيبك إليه . وقوله فما رد الخ : أي لو سألتني ذلك في وقت يقبله ، وهو ما قبل العقد لعلت ، ولكنه في وقت لا يقبله ، وهو بعد لزوم العقد لأنه لا يرد تزويج بعد إتمام شروطه ولزومه بالشهادة ، كما لا يرد بعد العتق حقيق إلى الرقب .

(٢) مشرق : مضى ، والنحر موضع القلادة من الصدر ؛ وحقان : تثنية حق ، وهو الوعاء المنحوت من العاج وغيره . يقول : إن هذا الصدر مضى أعلاه ، وكأن الثدين فيه حقان في الاستدارة والصغر .

(٣) مربع - بكسر الميم - لقب وعوة أبي سعيد راوى جرير ، وكان الفوزدق قد حلف ليقتله ، ومطلع القصيدة :

بِأَنَّ الْخَلِيطُ بِرَأْمَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَامًا رَفَعُوا لِبَيْنِ تَجَزَعُ

فَكَمْ وَكَمْ نِيْمَةٌ مَّجَلَّةٌ رَبَّيْتَهَا كَانَ مِنْكَ مَوْلَاهَا^(١).

وقال أمية بن أبي الصلت :

وقد علمنا لو أن العِلمَ ينفعنا أن سوف يُتبع أولانا بأخرانا
وأما قوله تعالى « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » جاء بغير حرف من هذه الحروف
الأربع ، فذلك لأن ليس صيغة في الفعلية لعدم تصرفها ؛ وقد جعلها أبو علي حرفاً زمانياً ،
ثم رجع عن ذلك . وقوله محتمل : حال ، والعامل في الحال : كان ، قال أبو الفتح وجماعة
من أهل الصناعة : من جعل كان لا تعمل في الأحوال : فغير مأخوذ بكلامه ، لأن
الحال فضلة في الخبر منكورة ، فرائحة الفعل تعمل فيها لما ظنك بكان ، وهي فعل
متصرف يعمل الرفع والنصب في الاسم الظاهر والضمير ، وليست كان في نصبها الأحوال
بأسوأ حالا من حروف التنبيه والإشارة ؛ قال الشريف ابن الشجري : قال العمري : كان
لا تعمل في الحال ، ويعمل العامل في الحال وأنت بالأمس : أي الفعل للضمير الذي عمل
في قوله وأنت بالأمس قال : وهذا سهو من قائله ، لأنك إذا علقت قوله بالأمس
بمحذوف ، فلا بد أن يكون بالأمس خبراً لأن أو لكان ، لأن الظرف لا يتعلق
بمحذوف ، إلا أن يكون خبراً أو صفة أو حالا أو صلة ؛ ولا يجوز أن يكون خبراً لأن
ولا لكان ، لأن ظروف الزمان لا تكون أخباراً عن الجثث ولا صفات ولا صلات
ولا أحوالاً لها ، فإذا استحال أن يتعلق بالأمس بمحذوف علته بكان ، وأعملت كان
في محتمل . وقوله : شيخ معد : خبر كان .

(١) مجللة : شاملة من جمل المطر الأرض : طبقها ؛ وربيتها : تهديتها بأن قربتها
بأمثالها ؛ وكان منك مبدؤها : أي ابتداءها ، أي أنك ابتدأتني بالصنيعة ثم ربيتها فلم
تكن واحدة تنسى على طول العهد ، بل متعددة متوافرة . وقوله قصبة : قال العكبري
رويت - نصبا وسجرا - : فمن نصب أراد الاستئجار ، ومن جر أراد الخبر ، وهذا
الأجود ، لأنه أراد الخبر عن كثرة ماله .

وآخرها :

ورأيت نَبْلَكَ يا فَرَزْدَقَ قَصْرَتْ

ورأيت قَوْسَكَ ليس فيها مِزْنَعٌ

وَكَمْ وَكَمْ حَاجَةً سَمَحَتْ بِهَا أَقْرَبُ مِنِّي إِلَيَّ مَوْعِدُهَا^(١)
وَمَكْرُمَاتٍ مَشَتْ عَلَى قَدَمِ الْبِرِّ إِلَى مَنْزِلِي تُرَدِّدُهَا^(٢)
أَقْرَ جِلْدِي بِهَا عَلَى فَلَا أَقْدِرُ حَتَّى لَمَاتِ أَجَدُهَا^(٣)
فَقَدْ بِهَا لَا عَدِثُهَا أَبَدًا
خَيْرُ صَلَاتِ الْكَرِيمِ أَعُوذُهَا^(٤)

(١) سمحت بها : أى قضيتها لى ؛ وموعدها : أى موعد قضائها : أى أن موعد قضائها أقرب إلى من نفسى . يريد قصر الوعد وسرعة الإنجاز . وقال الخطيب التبريزى هو من كلام الصوفية ، وهذا يدل على أنه كان متصرفا فى أفانين الكلام .
(٢) المكربة : ما يكرم به الإنسان من بر والطف ، يريد بها هنا ثيابا أهداها إليه ، ولذلك يقول فى البيت التالى : أقر جلدى بها على . وقوله على قدم البر : استعارة جملة بارعة . وقال الواحدى : قوله على قدم البر : أى أن حاملها كان من جملة الهدية لأنه كان غلاما للمدوح . ويجوز أن يراد أنها على أثر بر سابق ، وتردها : أى تعيدها إلى وتكررها على . ويروى تردها على الصدر .
(٣) أى اعترف جلدى بها لظهورها على . فكانته باكتسائه بها ناطق مقرر ، كما قال الناشء الأكبر :

لَوْلَمْ يَبُحْ بِالشَّكْرِ لَفُظِي نَحْبَرْتُ يَمِينِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَشَمَائِلِي
(٤) أعودها : أكرها عوداً . يطلب منه إعادة العطية .

وقال أيضاً في صباه :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قُتِلَ شَهِيدٌ
بِيبَاضِ الطَّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ^(١)
وَعُيُونِ الْمَهَا وَلَا كَمُيُونٍ فَتَكَتَ بِالْمَتِيمِ الْعَمُودِ^(٢)

(١) الطلا : الأعناق ؛ وشهيد : صفة لقتيل . وأصل الشهيد : من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم توسع فيه فأطلق على من مات غرقاً أو حرقاً وما إليهما . وجعل المتنبي من قتله الحب شهيداً ، وقد رووا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « من عشق فعم ثم مات مات شهيداً » هذا : وقد قال العكبري : كم : كلمة موضوعة للعدد ؛ وذهب أصحابنا إلى أنها مركبة ، وذهب البصريون إلى أنها مفردة ، حجتنا أن أصلها ما زيدت عليها الكاف لأن العرب تصل الحرف في أوله وآخره ، ثم وصلته من أوله نحو هذا ، وبما وصلته في آخره نحو « إما تريني ما يوعدون » فكذلك كم : زادوا الكاف على ما ، فصارتا كلمة واحدة ، وكان الأصل أن يقال في كم مالك ؟ : كما مالك ؟ إلا أنه حذف الألف لكثرة الاستعمال ، ونظير « كم » لم ، لأن الأصل في لم : ما ، فزيدت عليها اللام ، فصارتا كلمة واحدة ، وحذفت الألف لكثرة الاستعمال ، وسكنت الليم ، فقال : لم . فعلت ؟ وزيادة الكاف كثيرة . قال الله تعالى « ليس كمثل شيء » أى ليس مثله ، وحكى عن بعض العرب أنه قيل له : كيف تصنعون الأقط ؟ قال كمين ، قال الراجز .

* لَوَاحِقَ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَقَقِ *

أى الملق وهو الطول ؛ ووجه البصريين أن الأصل هو الإفراد ، والتركيب فرع ، ومن تمسك بالأصل خرج عن عهدة المطالبة بالدليل ، ومن عدل عن الأصل اقتصر إلى إقامة الدليل لعدوله عن الأصل ، واستصحاب الحال أحد الأدلة المعتبرة .

(٢) المهيا : جمع مهاة ، وهى بقر الوحش ، تشبه عيون النساء بعيونها فى حسنهما وسعتها . وقتكت : قتلت بقتة ، والمتيم : الذى استعبده الحب ؛ والعمود : الذى أضناه الحب وأوجعه ، وعنى بالمتيم العمود : نفسه ، يقول : كم قتيل قل بعيون أحبته التى هى كعيون المهيا ، وليست تلك العيون التى قتله كالعيون التى قتلتى وقتكت بى فإنها لا تشبه بغيرها ؟

دَرَّ دَرَّ الصَّبَا أَيْامَ تَجْرِيرِ ذُبُولِي بَدَارِ أُمْلَةٍ عُودِي^(١)
عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعُقُودِ^(٢)
رَامِيَاتٍ بِأَسْنَمِهِمْ رِيَشَهَا الْهُدَى بُ تَشْقُ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْجُلُودِ^(٣)

(١) البر : اللبن ؛ ويقال لمن يدعى له : در دره : أى كثر خيره ، لأن الخير فى ذلك عند العرب . ويقال لمن يدعى عليه لادر دره . وأيام : منادى ؛ وتجريرو الذى يول : كناية عن النشاط واللهو لأن النشاط أو النشوان يحرق ذيله ولا يرفعه . ودار أملة : موضع بظهر الكوفة . يتعنى أن تعود هذه الأيام له .

(٢) قوله عمر ك الله : قال العكبرى - نقلا عن الجوهري صاحب الصحاح - وكثيرا ما يعتمد عليه - هو مصدر ، يقال : أطال الله عمر ك وعمر ك - بالفتح والضم - وهما وإن كانا مصدرين بمعنى : إلا أنه استعمل أحدهما فى القسم - وهو المفتوح - فإذا دخلت عليه اللام رفعت بالابتداء - فقلت لعمر الله ، واللام لتوكيد الابتداء ، والخبر محذوف ؛ والتقدير لعمر الله قسمي ، فإن لم تأت باللام نصبت نصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمر ك الله ما فعلت كذا ، ومعنى لعمر الله وعمر الله : أحلف ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عمر ك الله فكأنك قلت بتعمير ك الله : أى بإقرارك له بالبقاء . وقول عمر بن أبى ربيعة :

أَيُّهَا الْمَنْكَحُ الثَّرِيَا سُهَيْلَا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

يريد : سألت الله أن يطيل عمر ك ، لأنه لم يرد القسم بذلك ، وسهيل تورية ، وكذلك الثريا ، وهما رجل وامرأة ، ولم يرد النجمين ، وهو فى قول المتنبي مصدر ، معناه : سألت الله أن يعمر ك تعميرا . . . يخاطب المتنبي صاحبه وشبه النساء بالدور .

(٣) راميات : صفة لدور - فى البيت السابق - والمراد بالأسهم : العيون . والهدب الشعر الذى على أشفار الأجفان : شبهه بريش السهم . يقول : إن هذه الأسهم تنفذ إلى القلوب فتشقها دون أن تشق الجلد . بخلاف الأسهم المعروفة . قال كثير :

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ رِيَشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يُصِيبْ

ظَوَاهِرَ جِلْدِي وَهُوَ فِي الْقَلْبِ جَارِحٌ

وقال جميل :

وَمَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ يَدٌ وَنَمَرَ الْعُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ

يَتَرَشَّفَنَّ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ^(١)

بَأَوْشَكَ قَتْلَا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي نَوَافِدَ لَمْ تُعَلِّمْ لَهْنُ خُرُوقِ^(٢)
(١) رشف الريق وترشفه : مصه . وقوله أحلى من التوحيد : أى كلمة التوحيد .
ويروى حلاوة التوحيد : أى هن فيه كحلاوة التوحيد . قال ابن جنى : يروى أن المتنبي
أنشده هكذا : هن فيه حلاوة التوحيد . وقالوا - للتخلص من هذه المبالغة المفرطة -
إن التوحيد نوع من عمر العراق . . والوجه أن يقال إن مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ في
مذهب الشعراء ؛ على أن أفعل قد لا يراد به تفضيل الأول على الثاني في كل المواضع ،
وهنا مثلاً قد يراد أن هذا الترشف بلغ المبالغ في الحلاوة حتى ليشبه حلاوة كلمة التوحيد ،
وقد جاء مثل هذا كثيراً في كلام العرب ، وعبرة الواحدي : كنى بمصن ريقى لحبهن
إيائى ، فكانت الرشفات في فمى أحلى من كلمة التوحيد ، وهى لا إله إلا الله ، وهذا
إفراط وتجاوز حد ؛ وقال ابن القطاع ذهب كثير من الناس إلى أن لفظة أفعل من كذا
توجب تفضيل الأول على الثاني في جميع المواضع ، وذلك غلط ، والصحيح أن أفعل

(١) بين هذين البيتين بيتان هما :

لَهُ مِنْ خَوَافِي النَّسْرِ حُمْ نِظَائِرٌ وَنَصْلٌ كَنَصْلِ الزَّاعِبِ فَتِيقُ
عَلَى نَبْعَةِ زَوْرَاءَ أَيْمًا خِطَامُهَا فَمَتْنٌ وَأَيْمًا عُودُهَا فَمِيتِقُ

صاب السهم نحو الرمية يصوب فهو صائب إذا قصد ولم يجر ، والتابل : ذو النبل وعمر
العقدتين ؛ يريد وترا أحكت عقدتا طرفيه ، وأصل المر : الحبل الشديد القتل . وقوله
من خوافى النسـر : يريد ريش السهم ، وريش النسـر أجود للسهم من ريش كل طائر ،
والحم جمع أحم ، وهو الأسود ، وجعلها نظائر في مقاديرها لأن ذلك أقصد للسهم .
وقوله كنصل الزاعبى : أى كنصل الرمح الزاعبى . قال الأصمى : الزاعبى هر الذى إذا
هر فكأن كعوبه يجرى بعضها بعض للينه وتثنيه ، من قولهم : من يزعب بحمله إذا
مر به مرآ سهلا . وقوله فتيق : يريد حاداً رقيقاً . وقوله على نبعة : يريد قوساً ، وأكرم
القسى ما كان من النبع - شجر معروف - وقوله بأوشك قتلاناك : أى بأسرع . وزوراء
أى معوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافاً كان سهمها أمضى . وأيما : يريد أما ،
وخطام القوس : وترها ، ومتن : أى ذو صلابة وقوة . وقوله وأيما : عودها فتيق
يصف كرم هذه القوس وعتقها .

كُلُّ خُمْصَانَةٍ أَرْقَ مِنْ الْخُمْسِ بِقَلْبٍ أَقْسَى مِنَ الْجَلْمُودِ^(١)

يجيء في كلام العرب على خمسة أوجه : أحدها أن يكون الأول من جنس الثاني ولم يظهر لأحدهما حكم يزيد على الأول به زيادة يقوم عليها دليل من قبل التفضيل ، فهذا يكون حقيقة في انفضل لا مجازا ، وذلك كقولك : زيد أفضل من عمرو ، وهذا السيف أصرم من هذا . والثاني : أن يكون الأول من جنس الثاني ، ومعتلا للعاق به ، وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة بالدليل الواضح ، فهذا يكون على المقاربة في التشبيه لا التفضيل ، نحو قولك : الأمير أكرم من حاتم وأشجع من عمرو ؛ وبیت التنبي من هذا القبيل : أى ترشفن من فمى رشفات هن قريب من التوحيد . والثالث : أن يكون الأول من جنس الثاني أو قريبا منه ، والثاني دون الأول ، فهذا يكون على الإخبار المحض ، نحو قولك : الشمس أضوأ من القمر ، والأسد أجراً من النمر . والرابع : أن يكون الأول من غير جنس الثاني وقد سبق للثاني حكم أوجب له الزيادة واشتهر الأول من جنسه بالفضيلة ، فيكون هذا على سبيل التشبيه المحض ، والترض أن يحصل للأول بعض ما يحصل للثاني ، نحو قولك : زيد أشميع من الأسد وأمضى من السيف . والخامس : أن يكون الأول من غير جنس الثاني والأول دون الثاني في الصفة جدا ، فيكون هذا على المبالغة المحضة ، نحو قامته أتم من الرمح ووجهه أضوأ من الشمس ، وجاء في الحديث : « ما أقلت النبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لمجة من أبى ذر » ذهب من لا يعرف معانى الكلام إلى أن أباذر أصدق العالم أجمع ، وليس الأمر كذلك ، وإنما نبى عليه الصلاة والسلام أن يكون أحد أعلى منه رتبة في الصديق ، ولم ينب أن يكون في الناس مثله في الصديق ، ولو أراد ما ذهبوا إليه لقال : أبو ذر أصدق من كل من أظلت وأقلت . وروى الأكثر : أحلى من التوحيد ؛ ومن روى حلاوة التوحيد أراد هى عندى مثل حلاوة التوحيد ، فحذف المضاف ورفع .

(١) الخمصانة — بفتح الحاء وضمها : الضامرة البطن . وعنى برقتها : نومتها وصفاء لونها ؛ وقوله بقلب الخ : أى مع قلب أصلب من الحجر . يقول : أجسامهن ناعمة وقلوبهن قاسية . وقوله كل : قال البكبرى : يجوز فيه الرفع على البدل من الضمير في ترشفن ، وعلى هذا يرفع أرق : حملا على كل . ويجوز نصبه ، وهو في موضع خفض نمتا لخمصانة ، ويجوز نصب كل حملا على التعت لبدورا ، فيكون بدل تبیین .

ذَاتِ فَرْعٍ كَأَنَّما ضُرِبَ الْعَنْبَرُ فِيهِ بِمَاءٍ وَزِدِ وَعُودٌ^(١)
 حَالِكٌ كَالْعُدَافِ جَثْلٌ دَجُوجِيٌّ أَثِيثٌ جَفَدٌ بِلَا تَجْعِيدٍ^(٢)
 تَحْمِلُ الْمِسْكَ عَنْ غَدَائِرِهَا الرِّيحُ وَتَقْفَرُ عَنْ شَنِيبٍ بَرُودٍ^(٣)
 جَمَعَتْ بَيْنَ جَنْمِ أَحْمَدَ وَالسَّقَمِ وَبَيْنَ الْجُفُونِ وَالْتَسْهِيدِ^(٤)
 هَذِهِ مُنْجَحِي لَدَيْكَ لِحْيَتِي فَأَنْقِصِي مِنْ عَذَابِهَا أَوْ فَرِيدِي^(٥)
 أَهْلُ مَا بِي مِنَ الضَّنَى بَطْلٌ صَيْدٌ بَتَضْفِيفِ طَرَقٍ وَبِجِيدٍ^(٦)

(١) ذات : صفة أخرى لمحصانة ؛ والفرع : شعر الرأس . وضرب : خلط ، وقوله
 وعود ؛ - في آخر البيت - متعلق بمحذوف : أى ودخن بعود ، لأن ماء العود لا طيب
 له ، وإنما تفوح رائحته بالاحتراق ؛ وهذا مثل قولهم :

* عَلَقْتَهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا *

قال الشريف بن الشجرى فى أماليه : قوله وعود : برى ودخان عود ، لأن العود
 لا ماء له . يقول المتنبي : إن شعرها طيب الرائحة ، فكأنه خلط بهذه الأنواع من
 الطيب .

(٢) حالك : نعت فرع : والحالك : الشديد السواد . والعداف : الغراب الأسود .
 والجثل : الكثير الملتف ؛ والدجوجى : المظلم ؛ والأثيث : الكثيف ؛ وقوله جعد بلا
 تجعيد : أى خلق جعدا من غير أن يجعد .

(٣) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة . وتقفر : تبسم ، وعن شبيب : أى عن
 شعر شبيب ، والشنب : البياض والبريق وتخزى أطراف الأسنان ، وقيل طيب نكهتها ؛
 وقيل تفليجها ؛ والبرود : البارد . ويروى عن شتيت ، وشعر شتيت : مفرق مفليج ،
 يقول : إنها طيبة الريح فكان الريح إذا مرت بها تحمل المسك من غدايرها .
 (٤) أحمد : يعنى نفسه ؛ والتسديد : السهر . يقول : جمعت بين جسمى والسقام وبين
 جنونى والسهاد .

(٥) المهجة : دم القلب ، وتوضع موضع الروح ؛ والحين : الهلاك . يقول : هذه
 روحى أسلمها إليك ، ولكن لأجل هلاكى ، فإن شئت فأنقصى من عذابها بالوصل ،
 وإن شئت زديها عذاباً بالمعبر . وقال العكبرى : إن جعل هذه إشارة : فليدك يتعلق
 بمعنى الإشارة ، وإن جعلها نداء - بحذف النداء - كان متعلقا بالاستمرار .

(٦) أهل : مبتدأ ؛ وبطل : خبره . أى يستحق ما بى من الضنى بطل الخ والطرة :

كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدِّمَاءِ حَرَامٌ شُرْبُهُ مَا خَلَا دَمَ الْعَنْقُودِ^(١)
فَاسْتَقِيهَا فِدَى لِعَيْنَيْكَ نَفْسِي مِنْ غَزَالٍ وَطَارِفِي وَتَلِيدِي^(٢)
شَيْبُ رَأْسِي وَذِلَّتِي وَنَحْوِي وَدُمُوعِي عَلَى هَوَاكَ شُهُودِي^(٣)

شعر الجبهة ؛ وتصنيفها : تسويتها — وهذا البيت كالعلة لما قال في البيت السابق . يقول :
افعل ما شئت فأني أهل لذلك ومستحق له ، لأن الرجل الشجاع إذا صادته المرأة بتصنيف
طرتها وحسن عنقها فهو أهل لما حل به . ويحتمل أنه إنما قال هذا كالتشبي من نفسه
واللائم لها على هذا المشق . وقال ابن القطاع : قوله أهل مابي الخ : معناه أنا أهل مابي
وحقيق به وأنا بطل صيد وعبرة ابن جني : أنا أهل ذلك وحقيق بحسن ما رأيت وأنا
بطل صيد الخ .

(١) دم العنقود : الخمر ؛ وروى : أبنه العنقود . قال الواحدى : وليس الأمر على
ما قاله ، لأن شرب الخمر لا يخل ، إلا أن يريد بدم العنقود : الضير ، أو مالا يسكر من
للطبوخ . . . أقول : إن مثل هذا إنما يقوله الفقهاء وأشباه الفقهاء ، وكلام المتنبي سائق في
مذهب الشعراء ، وهو من قبيل قول أبي نواس :

فِي تَجْلِسِ ضَحِكَ السَّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

أى حلت الخمر المحرمة . والمعنى — ان المجال بلغ من البهجة والراح والانبساط الغاية
التي لا بعدها . قال العكبرى : وسُميت الخمر لما لأنها تسيل من العنقود كما يسيل دم المقتول
وقال : قوله ما خلا : إذا قلت جاء القوم ما خلا زيدا : فليس إلا النصب ، وإذا قلت جاء
القوم خلا زيدا : كان الجر لا غير ، وقال ابن جني : إذا أسقطت «ما» جررت ، وكان أقوى
من النصب ، لاحتماله إياه .

(٢) طارفي وتليدي : معطوفان على نفسى ؛ وقوله من غزال : تخصيص له بالفداء
من جملة الغزلان ؛ ومثله أفيديك من رجل . والطارف — ومثله الطريف — ما استحدث
عندك من مال ؛ والتاليد — ومثله التليد — ما كان عن إرث الآباء . يقول : استقي
الخمر فأنما أفيديك بنفسى وما أملك . قال العكبرى : أنت الضمير في استقيها ؛ لأنه أراد
بالدم الخمر ، وذكر ضمير عينيك ، والأفعال بعد ، لقوله من غزال على لفظه لا معناه ،
لأن المراد بالغزال المشوقة وتقدير الكلام : فدى لعينيك من غزال نفسى وطارفى وتليدي
(٣) شيب رأسى : مبتدأ ، وما بعده : عطف عليه ؛ وشهودى خبره ، وعلى هواك :

متعلق بشهودى . وهذا من قول الآخر :

أَيَّ يَوْمٍ سَرَزْتَنِي بِوَصَالٍ لَمْ تَرْغَبِي ثَلَاثَةَ يَوْمٍ بِصُدُودٍ (١)
 مَا مُقَامِي بِأَرْضٍ نَحْلَةً إِلَّا كَمُقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ (٢)
 مَقَرَّشِي صَهْوَةً الْحِصَانِ وَلَكِنْ قَبِيعِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ (٣)
 لِأُمَّةٍ فَاضَةٍ أَضَاءَ دِلَاسٌ أَخْكَتْ نَسْجَهَا يَدَا دَاوُدَ (٤)
 أَنْ فَضْلِي إِذَا قَبِيعْتُ مِنَ الدَّهْرِ بِعَيْشٍ مُعْجَلٍ التَّنْكِيدِ (٥)
 ضَاقَ صَدْرِي وَطَالَ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
 قِرِّي قِيَامِي وَقَلَّ عَنْهُ قُودِي (٦)

أَوْ مَا كِفَاكَ تَغْيِيرِي وَنَحُولُ جَسَدِي شَاهِدَا

(١) أي منصوب على الظرفية : أي في أي يوم . وراعه : أفزعته . يقول : لم تمرني يوما بالوصول إلا رعتني ثلاثة أيام بالصد والإعراض . وقال العسكري : أي نصب ، وهو استفهام خرج مخرج النفي ، كما تقول لمن يدعي أنه أكرمك : أي يوم أكرمتني قط .
 (٢) المقام بمعنى الإقامة ؛ ونحلة : قرية لبني كلب قرب بعلبك . يقول : إن أهل هذه القرية أعداء لي ، كما كانت اليهود أعداء للسيد المسيح . قال الواحدى : وبهذا البيت لقب بالثني ، لتشبيهه نفسه بالسيد المسيح في هذا البيت ، وبصالح عليه السلام فيما بعده .
 (٣) للفرش : موضع الفراش . ومقرشي الخ : في موضع الحال ، والصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . والحصان : الفرس الفحل . والمسرودة : الدرع المنسوجة من الحديد . يقول : إنني شجاع ، مكاني ظهر الفرس ، وثيابي الدروع : أي أنني أبدأ بهذه القرية على هذه الحالة ثقيظا وتأهباً .

(٤) لأمة : درع ملثمة الصنعة ، بدل من قوله مسرودة : وفاضة : سائفة ؛ يقال درع فاضة : أي تفيض على جسم لابسها فتعمه . والأضاة : الغدير ؛ شبه الدرع به لبريقها وصفائها ؛ والدلاس : البراقة اللينة للساء ؛ ودرع دلاس وأدرع دلاس ، الواحد والجمع على لفظ واحد ، وداود : هو سيدنا داود ، أول من عمل الدرع ، كما قال جل شأنه : «وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ» . يقول : قبضي لأمة محكمة النسيج من صنع داود الخ .

(٥) يقول : إذا قنعت من الدهر بعيش قد عجل لي نكده وأبطأ على خبره ، فأين فضلي ؟ يعني إذن لأفضل لي ، فكانه قد خفي فليس يرى . ثم قال - في البيت الثاني - : لقد تصببت في طلب الرزق ولم أحصل من ذلك بطائل ، ومن ثم ضاق صدري لكثرة ما نصبت وطال سفرى وقل قمودى عن السفر .

أَبَدًا أَفْطَحُ الْبِلَادَ وَتَجْمِي فِي نُحُوسٍ وَهَمَّتِي فِي سُودٍ^(١)
وَلَمَلِي مُؤَمِّلٌ بَفَضَ مَا أَبْلَغُ بِاللُّطْفِ مِنْ عَزِيزٍ حَمِيدٍ^(٢)
لِسِرِّي لِبَاسُهُ خَشِنُ الْقَطَنِ وَمَرْوِيٌّ مَرْوٍ لَيْسُ الْقُرُودِ^(٣)
عِشْ عَزِيزًا أَوْ مِتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ^(٤)

(١) يقول : إنه طموح ، بعيد الهمة ؛ دائب السى وإن قل حظه من الرزق كما قال أبو تمام :

هَمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ وَجَدْتُ أَلْفَ لِلْحَضِيضِ فَهَوَ حَضِيضٌ
وقال الآخر :

وَلِي هَمَّةٌ فَوْقَ نَجْمِ السَّمَاءِ وَلَكِنْ حَالِي تَحْتَ التَّرَى
فَلَوْ سَاعَدَتْ هَمَّتِي حَالَتِي لَكُنْتُ تَرَى غَيْرَ مَا قَدْ تَرَى

(٢) يقول : لعل العزيز الحميد سبحانه وتعالى مبلغني فوق ما أرجوه ، فيكون ما أرجوه الآن بعض ما سأبلغه . أو تقول : إن الكلام على القلب : أى لعل بلطف العزيز الحميد أبلغ بعض ما أرجوه . وعبرة الواحدى يقول : لعل راج بعض ما أؤمله بلطف الله ؛ ثم قال : وفيه وجه آخر ، وهو أن المرجر محبوب ، والمكروه لا يكون مرجوا . بل يكون محذورا ، فهو يقول : لعل راج بعض ما أبلغه وأدركه من فضل الله : أى ليس جميع ما أبلغه مكروها ، بل بعضه مرجو ومحبوب . وقال ابن القطائع : أؤخذ في قوله ولعل مؤمل الخ ؛ إذ كيف يؤمل بعض ما يبلغ ؛ وإعنا وجه الكلام أن يقول : ولعل أبلغ بعض ما أؤمل ، وليس كذلك ، بل المعنى : ولعل أبلغ آمالى ، وأزيد عليها حتى يكون ما أؤمله بعض ما أبلغه وقيل معناه : أنا أؤمل أكثر ما أطلب ، فلعل بالغ بعض ما أؤمله ، لأن ما أؤمله بعض ما أبلغه أو لأن ما أؤمله لا يبلغ إليه أحد .

(٣) السرى : للباقد الشريف . وللروى : ثياب رقاق تنسج بمرى - وهى بله بغارس - يقول : لعل بالغ بعض ما أؤمله بلطف الله لسرى - يعنى نفسه - يتكشف في لباسه قلبه القطن الحشن - والعرب تمدح بخشونة اللبس واللطم ، وتيب الترف والنعيم أما الثياب الرقيقة فهى لبس اللثام - وروى بسرى : أى أبلغه بإقدام هذا السرى وهمة .
(٤) البنود : الأعلام الكبيرة ، وخفق البنود : اضطرابها . يقول : إما أن تعيش عزيزاً محتتماً من الأعداء ، أو تموت موت الكرام في الحرب ، لأن القتل في الحرب يدل على شجاعة للقتول ، والقتل خير من العيش في ذل .

- فَرُّهُوسُ الرِّمَاحِ أَذْهَبُ لِلْفَيْظِ وَأَشْفَى لِفِلِّ صَدْرِ الْخُقُودِ^(١)
 لَا كَمَا قَدْ حَيَّتَ غَيْرَ حَمِيدٍ وَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ قَبِيدٍ^(٢)
 فَاطْلُبِ الْعِزَّ فِي لَطْفِي وَذَرِ الذَّلَّ وَلَوْ كَانَ فِي جَنَانِ الْخُلُودِ^(٣)
 يُقْتَلُ الْعَاجِزُ الْجَبَانُ وَقَدْ يُفَجِّرُ عَنْ قَطْعِ بَحْنِقِ الْمَوُودِ^(٤)
 وَيُوقِي الْفَتَى الْخَشْوَ وَيَذْخُو ضَنْ فِي مَاءِ لَبَةِ الصَّنْدِيدِ^(٥)
 لَا يَقْوِي شَرَفُ بَلِّ شَرَفُوَابِي وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لَا بِمَجْدُودِي^(٦)

(١) الغل : الحقد . يقول : إذهاب الفيظ بالرماح أكثر من إذهابه بالسلم ، وأشفى لغل صدر الخقود من أعدائه . وقال العسكري : تقول ذهبت بالفيظ ولا تقول ذهبت بل أذهت ، والوجه أن يقول أشد إذهاباً لفيظ ، لأن أفل لا يبنى من الإفعال إلا في ضرورة الشعر . ولكنه جاء على حذف الزوائد ؛ ولو قال بالفيظ لاستغنى .

(٢) يقول : عش عزيزاً أو مت في الحرب كريماً ولا تمس كما عشت إلى الآن ذمياً لا تستطيع أن تصطنع الناس فيحمدوك ؛ فإذا أنت مت وجدوا مثلك كثيراً فلا يفتقدونك ولا يكثرئون لموتك ، لأنهم إنما يبالغون من له إقدام وشجاعة وأفاعيل يذكرونها . . . هذا ؛ ويقال حي يحيى حياة وحى - بالإدغام - وقوله تعالى «ويحيى من حي بين يمينه» قال الفراء : كتابها على الإدغام ياء واحدة هي أكثر القراءات .

(٣) لطفى : من أسماء جهنم وهي معرفة لا تنصرف ، والكلام بكلمة مبالغة في طلب العز والبعد من الذل ، وإلا فلا عز في جهنم ولا ذل في الجنة .

(٤) البحنق : خرقه قنع بها الرأس وتشد تحت الحنك . يقول : قد يقتل العاجز الجبان ، فليس العجز والجبن من أسباب البقاء ، فلياك والعجز والجبن حبا للبقاء .

(٥) الخش : الجريء على الليل والدخال في الأمور والحروب ؛ وخوض : بالغ في الخوض . واللبنة : أعلى الصدر ؛ وماؤها : دمها ، والصنديد : السيد الشجاع . والبيت تسكته لما ذكره في البيت السابق . يقول : كما أن العاجز الجبان قد يقتل بسلم الشجاع الموقر وقد خاض في الحروب حتى غاص في دماء الصناديد ، يحث على الإقدام كما نهى عن الجبن فيما قبله .

(٦) هذا كما قال القائل :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوْدَتْ عِصَامًا وَعَلَّتَتْهُ الْكَرَّةُ وَالْإِقْدَامَا

وَبِهِمْ فَخَرُّ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّاءَ
 دَ وَمَوْذُ الْجَانِي وَعَوْتُ الطَّرِيدِ ^(١)
 إِنْ أُكِّنَ مُعْجَبًا فَمُعْجَبٌ عَجِيبٌ
 لَمْ يَجِدْ قَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدٍ ^(٢)

وَصِيرَتْهُ مَلِكًا مُهَامَاً حَتَّى عَدَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا ^(١)

وقال عامر بن الطفيل :

وإني وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامِرٍ وفارِسِها المشهورِ في كلِّ مَوْكِبٍ
 فما سَوَدَتْني عامِرٌ عَنْ وِرَاثَةِ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَتَمُّوْبَامَ وَلَا أَبِ
 وَلَكِنِّي أَهْمِي حَمَاهَا وَأَتَقِي أَذَاهَا وَأُرِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكَبٍ ^(٢)
 قال الواحدى : لو اقتصم للثني على هذا البيت لكان الأُم الناس نسا . لكنه
 قال بعده البيت التالى .

(١) كل من نطق الضاد : العرب ، لأن الضاد لا توجد في غير العربية . يقول :
 على أنه بقوى نغر العرب جميعا ، وبهم عوذ الجاني : أى أن من نجى جناية وخاف على
 نفسه لجأ إلى قومه ليأمن على نفسه ، وبهم غوث الطريد - وهو الذى نفي وطرد - أى
 أنه يستغيث بهم فيغيثونه وينصرونه .

(٢) للمعجب : الذى يعجب بنفسه . والعجيب : الذى يعجب غيره . يقول : إن
 كنت معجبا بنفسى فهذا المعجب صادر من رجل عجيب لا يرى لأحد منزلة يمتاز بها عليه ،
 فليس عجبى إذا بمنكر .

(١) عصام : هو حاجب الثمان بن اللندر ، وهو عصام بن شهر الجرمي ، وفي المثل
 كن عصاميا ولا تكن عظاميا . يريدون به قول عصام هذا ، والمعطامى . الذى يفتخر
 بأبائه ويتكلم على مجدهم .
 (٢) أممو : من السمو ، وهو العلو والارتفاع ؛ وقوله بمنكب : يريد أرى من
 رماها بجماعة رؤساء من الفوارس ، والمنكب : رأس العرفاء . وقيل أعوان العرفاء
 من النكبة ، وهى العرافة .

أَنَا تَرْبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِ وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحُسُودِ^(١)
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَذَارِكُهَا اللَّهُ هُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي شُعُودِ^(٢)

(١) رب الإنسان : من ولد معه في وقت ، والندى : الجود ، والنمام : جمع سم .
يقول : أنا أخو الجود ولدنا معا ، وأنا رب القوافي ومبدعها ، إذ لم أسبق إلى مثلها ،
وأنا قاتل أعدائي كما يقتل السم ، وأنا غيظ حسادي ، لأنهم يتمنون مكاني فلا يدركونه
فيقتاظون .

(٢) تداركها الله : جملة معترضة ، وهي إما دعاء لها : أي تداركهم الله بالإصلاح ونجاحهم
من لؤمهم ، أو دعاء عليهم : أي أدركهم الله بالإهلاك لأنجو منهم . هذا ونمود قبيلة من
العرب الأول واختلف القراء في إعرابه في كتاب الله : فمنهم من صرفه : ومنهم من
لم يصرفه ، فمن صرفه : ذهب إلى الحى لأنه اسم عربي مذكر سمى بمذكر ؛ ومن لم
يصرفه : ذهب به إلى القبيلة ، وهي مؤنثة .

وأهدى إليه عبيد الله بن خلكان - من خراسان - هدية فيها سمك من سكر ولوز في غسل ، فرد إليه الجامة وكتب عليها هذه الأبيات بالزعران :

أَقْصِرْ فَلَنْتَ بِزَائِدِي وَدَا
بَلَّغَ لَلدَى وَتَجَاوَزَ الْحَدَا^(١)
أَرْسَلْتَهَا مَمْلُوءَةً كَرَمًا
فَرَدَدْتُهَا مَمْلُوءَةً خَمَدَا^(٢)
جَاءَتْكَ تَطْفَحُ وَهِيَ فَارِغَةٌ
مَشْنَى بِهِ وَتُظْهِرُهَا فَرْدَا^(٣)
تَأْبَى خَلَاقُكَ الَّتِي شَرَفَتْ
أَنْ لَا تَحْنَنَّ وَتَذْكُرُ الْعَهْدَا^(٤)

(١) أقصر عن الشيء : إذا كف عنه وهو قادر عليه ، وقصر عنه : إذا عجز عنه ، وقصر فيه : إذا لم يبلغ ، والضمير في بلغ : للرد ، والجملة استئناف . يقول : إن ودى إليك قد بلغ الغاية وتجاوز الحد بحيث لا يقبل الزيادة ، فكف عن البر فإنك لا تزيدني بذلك ودا . وهذا من قول ذي الرمة :

وما زال يغلو حُبُّ مَيَّةَ عِنْدَنَا وَبَزْدَادُ حَتَّى لَمْ نَجِدْ مَا يَزِيدُهَا

(٢) أرسلتها أى الجامة . ومملوءة حمدا : يريد ما كتبه إليه على جوانبها .

(٣) طفع الإناء : امتلأ . وتطفح : حال : أى طافحة : ومشنى : حال أخرى ، والضمير في به : للحمد ، أى الأبيات التى عليها يقول : جاءتك الجامة طافحة بالحمد وإن كانت فارغة مما كان فيها ، وقد شفعتها بالحمد - لأنه كتب هذه الأبيات على جوانبها - فصارت بذلك شيئين لا شيئاً واحداً كما تظنها .

(٤) الخلائق : ما خلق عليه الإنسان . يقول : إن أخلاقك الشريفة تأبى عليك أن لا تشاق إلى أوليائك وتذكر عهودهم ؛ قال العكبرى : قوله أن لا تحن : أن هاهنا هى الخففة من الثقلة ، ودخلت لاتنصل بينها وبين الفعل ، فلهذا رفع تحن وتذكر ؛ ومثله قراءة أبى عمرو وحمة والكسائى فى قوله تعالى « وحسبوا ألا تكون فتنة » بالرفع ، (٤ - التنتي ٢)

لَوْ كُنْتُ عَصْرًا مُنْبِتًا زَهْرًا
كُنْتُ الرَّيِّعَ وَكَانَتْ الْوَرْدَا^(١)

* *

وروى جماعة هذا الحرف — أن لا تمن وتذكر — بالنصب ، وجعلوا أن هي الناصبة ، ولم يعتدوا بلا ، كقراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم .

(١) اسم كانت : ضمير الحلائق . يقول : لو كنت زمانا ينبت الأزهار لكنت زمان الربيع ، وكانت أخلاقك الورد : أى أنك بين الرجال كالربيع بين الأزمنة ، وأخلاقك بمنزلة الورد من الأزهار . هذا : والعصر ، والعصر ، والعصر ، والعصر : الدهر . قال امرؤ القيس فى العصر :

الْأَعْمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي الْمَصْرِ اخْلَى
والجمع : أعصر وأعصار وعصر وعصور . قال العجاج :

* وَالْمَصْرِ قَبْلَ هَذِهِ الْمَصُورِ *^(١)

والمصراع : الليل والنهار . قال حميد بن ثور :

وَلَنْ يَلْبَثَ الْمَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبَا — أَنْ يَدْرَكَمَا مَاتِمَا^(٢)

(١) أول هذا الرجز :

جَارِي لَا تَسْتَنْكِرِي عَذِيرِي سِيرِي وَإِشْفَاقِي عَلَى بَعِيرِي

العذير : الأمر الذى يحاوله الإنسان فيعذر فيه : أى لا تستنكرى ما أحاوله معذورا فيه . وسيرى عطف يان له ، أو بدل منه . وجارى : منادى مرخم : أى بإجارية . (راجع الرجز فى أراجيز العرب للبكرى) .

(٢) قبله :

أرى بضرى قد رابنى بعد صحة وحسبك داء أن تصح وتسلم

أى أن الصحة والسلامة مؤديتان إلى الهرم ، وهو الداء الذى لا دواء له .

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجي :

الْيَوْمَ عَهْدُكُمْ فَأَيْنَ الْمَوْعِدُ هَيْهَاتَ لَيْسَ لِيَوْمٍ عَهْدُكُمْ غَدُ^(١)

(١) يقول ـ مخاطباً أحبته ـ : اليوم ألقاكم مودعا ، فمتى يكون اللقاء بعد هذا الفراق ؟ ثم استأنف فقال : هيهات ـ أى بعدما أطلب ـ ليس لهذا اليوم ـ يوم لقائكم للوداع ـ غد : أى لا أطمع فى أن أعيش بعد فراقكم ، فلا غدى بعد هذا اليوم . وأين ، وإن كانت سؤالا عن المكان : إلا أن المراد بها هنا ما يراد بهى : أى السؤال عن الزمان . وهيهات : كلمة تبعيد ؛ قال جرير :

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهَيْهَاتَ خِلٌ بِالْعَقِيقِ نُحَاوِلُهُ^(١)
والثناء مفتوحة ، مثل كيف ، وأصلها هيهاء ؛ وكذلك وقف عليها أحمد البرى عن ابن كثير والكسائى بالهاء رداها إلى الأصل وقد كسرهما جماعة من العرب ؛ قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاداً حتى صارت فى القفار :

يُصْبِحُنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَاتٍ مُقْتَرَضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتٍ

* هَيْهَاتَ مِنْ مُصْبِحِهَا هَيْهَاتَ^(٢)

وقد أبدلوا الهاء الأولى منهازمة فقالوا أيهات كهراق وأراق ؛ قال الشاعر :

* أَيِهَاتَ مِنْكَ الْحَيَاةُ أَيُّهَا تَا *

وقال الجوهري فى صحاحه : قال الكسائى من كسر التاء وقف عليها بالهاء ، ومن فتحها وقف عليها بالتاء ، وإن شاء بالهاء ، قل أبو محمد عبدالله بن برى النحوى فى أخذه على الجوهري : قال أبو على الفارسى : من فتح التاء وقف بالهاء ، لأنه اسم مفرد ، ومن كسر وقف عليها بالتاء ، لأنه جمع لهيات المفتوحة وقال الاخفش : يجوز فى هيات أن تكون جماعة ، فتكون التاء التى فيها تاء الجمع التى للتأنيث ، ولا يجوز ذلك فى اللات .

(١) نحاوله : يروى نواصله ، والعقيق . اسم واد بالمدينة ، والحل : الصديق .

وهيات : اسم فعل بمعنى بعد .

(٢) يقال رجل أتاوى : إذا كان غريبا فى غير بلاده . فقوله يصبحن أتاويات : أى

غريبة من صواحبه لتقدمهن وسبقهن ، ومعتراضات : أى نشيطة لم يكسلهن السفر ، غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن .

الْمَوْتُ أَقْرَبُ مِخْلَبًا مِنْ بَيْنِكُمْ وَالْعَيْشُ أَبْعَدُ مِنْكُمْ لَا تَبْعُدُوا^(١)
 إِنَّ الَّتِي سَفَكَتْ دَمِي بِجَفُونِهَا لَمْ تَذَرِ أَنَّ دَمِي الَّذِي تَتَقَلَّدُ^(٢)
 قَالَتْ وَقَدَرَأْتُ أَصْفَرَ أَرَى مَنْ بِهِ وَتَنَهَّدَتْ فَأَجَبْتَهَا الْمُتَنَهَّدُ^(٣)
 فَضَّتْ وَقَدْ صَبَغَ الْحَيَاءُ بَيَاضَهَا لَوْ نِي كَمَا صَبَغَ اللَّجَيْنَ الْمَسْجِدُ^(٤)

والعزى ؛ لأن لات و كيت لا يكون مثلها جماعة ، لأن التاء لاتراد في الجماعة إلا مع الألف ؛ فإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقى الاسم على حرف واحد .

(١) المِخْلَبُ : للمفترس من السباع وجوارح الطير ، واستعاره للموت لأنه يهلكه الحيوان كأنه يفرسه . يقول : إذ ترمعون الفراق فإن الموت سيدركني قبل أن تفارقوني فرعاً من البين . والحياة تكون عنى أبعد منكم . وقوله لا تبعدوا : دعاء لهم : أى لا بعدتم عنى ولا فارقتمنى أبداً ، ومن رواه يفتح العين فهو من البعد - بفتحين - بمعنى الهلاك : أى لا تهتككم ولا تجعت بكم . قال تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعدت عمود » أما بضم العين فهو من البعد - بمعنى البين والفراق - وقوله غلبا : يروى مطلباً ، ومعناه أطلب الموت قبل فراقكم : أى لو غيرت بينها لطلبت الموت ولم أطلب فراقكم .

(٢) يقول : إن التي عصفت بي وأنت على وقتلتني يعيونها لم تدر أن دمي في عنقها وأنها بابتها ياتم قتلى . يقال تقلد الإثم ونحوه : أى لزمته تبعته . وتقلد الأمر : أخذه في عنقه ، وأصله من القلادة ، ومنه تقليد القضاة القضاء : أى جعله في أعناقهم . وكذلك تقليد الولاية .

(٣) يقول : لما رأته أصفرار وجهي - وجداً بفراقها - قالت من به ؟ أى من فعل به هذا الذي أراه ؟ أو من الطالب به ؟ وتنهَّدت : أى علاصدها لشدة تنفسها ، وزفرت استعظاما لما رأته - فأجبتها وقلت : الذي فعل بي هذا - أو الطالب بي - هو المتنهَّد أى أنت . وقال العكبري : يجوز أن يكون قالت : جواباً لظرف محذوف : أى لما رأته أصفراراً قالت ؛ ويجوز أن يكون خبر إن - في البيت قبله - ويكون عبر البيت : لم تدر الخ - جملة في موضع نصب على الحال .

(٤) اللجين : الفضة ؛ والمسجد : الذهب ؛ وقوله : وقد صبغ الحياء بياضها لوني غدى الصبغ إلى مفعولين ، لأنه يضمن معنى الإحالة ؛ كأنه قال : أحال الحياء بياضها لوني . يقول : إنها استحيت فاصفر لونها ، كأنها فضة قد منها ذهب . قال الواحدي : إن الحياء لا يصفر اللون بل يحمره . ولكن هذا الحياء كان محتلطاً بالحروف ، لأنها خافت

فَرَأَيْتُ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي قَرِّ الدُّجَى مُتَأَوِّدًا غُصْنَ بَيْ يَتَأَوَّدُ^(١)
عَدْوِيَّةً بَدْوِيَّةً مِنْ دُونِهَا سَلَبُ النُّفُوسِ وَنَارُ حَرْبٍ تُوَقَّدُ^(٢)
وَهَوَاجِلٌ وَصَوَاهِلٌ وَمَنَاصِلٌ وَذَوَابِلٌ وَتَوَعَّدُ وَتَهْدُدُ^(٣)
أَبْلَتْ مَوَدَّتَهَا اللَّيَالِي بَعْدَنَا وَمَشَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ وَهُوَ مُقَيَّدُ^(٤)

الفضيحة على نفسها ، أو خافت أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، أو خافت أن تطالب بدمه ، فاستشمارها خوف ما جنت من القتل غلب سلطان الحياء فأورث صفرة .

(١) قرن الشمس : أول ما يدومها وهو أصفر ، وقرن الشمس : مفعول أول لرأيت ؛ والمفعول الثاني : الظرف بعده ؛ ومتأودا : أى متايلا ، حال من قر ؛ وغصن : مبتدأ ؛ ويتأود : خبره ؛ والضمير في به : للقمر ؛ والجملة : بدل من متأودا : أى حال كونه متأودا يتأود به غصن ؛ ويجوز أن يكون غصن : فاعل متأودا ، ويتأود : نعت لغصن : أى حال كونه متأودا به غصن يتأود . يقول : إنها لما اصفر لونها كانت تلك الصفرة في ياضها كالشمس إذا حلت في القمر الذي يعيل به غصن قامتها : يعنى أن قامتها تمايل بوجهها في حال مشيتها . وقال ابن جني : قد جمعت بين حسن الشمس والقمر ، وجعل قامتها غصنا متايلا شبيها بالقضيب لاعتداله وتمايله وتثنيه . يريد كانت كالقمر في ياضها فلما اصفرت خيلا صارت الصفرة في ياضها كقرن الشمس .

(٢) عدوية : أى من بنى عدى ، وبدوية : نسبة إلى البادية ، أو البدو - على غير قياس - وعدوية : خبر مبتدأ محذوف : أى هى عدوية ؛ أو قاتلى عدوية ، ومن دونها : خبر مقدم ، وسلب النفوس : مبتدأ مؤخر . يقول : إنها من قومها في منعة ، قبل الوصول إليها تسلب أرواح طالبيها وتوقد نيران الحروب ، فمن حاول الوصول إليها صلى بنار الحرب . (٣) وهواجل الخ : عطف على سلب النفوس - في البيت السابق - والهواجل : جمع هوجل ؛ وهو اللعازة لا أعلام بها والصواهل : الخيل والناصل : السيوف ، والذوابل الرماح . يقول : دون الوصول إليها هذه الأشياء ، قال العسكبرى : والهواجل أيضاً التوق ويجوز أن يريد بها التوق ، ليكون أليق بالبيت ، لأن ذكر التوق مع الخيل أشبه من ذكر الأرض مع الخيل .

(٤) أبلت : من البلى ، ومشى عليها : أى على مودتها . يقول : آبلها بعد العهد وأنساها مودتها إيانا . وقوله ومشى عليها الدهر وهو مقيد : مبالغة في الإبادة : أى وطشها وطأ تقيلا كوطء القيد ، وذلك أن القيد لا يقدر على خفة الشئ ورفع الرجلين ، فهو يطا

بَرَحْتَ يَأْمَرُضَ الْجَفُونَ بِمَرَضٍ مَرَضَ الطَّبِيبُ لَهُ وَعَيْدَ الْمَوَدِّ (١)
فَلَهُ بَنُو عَيْدِ الْقَزِيزِ بْنِ الرِّضَا وَلِكُلِّ رَكْبٍ عَيْسُهُمُ وَالْفَدَفَدُ (٢)

وطأ ثقيلا . وقال ابن جني : هذا مثل واستعارة ، وذلك أن المقيد يتقارب خطوه ، فهو يريد أن الدهر دب إليها فقيرها . قال الواحدى : وهذا فاسد بقوله عليها ، ولو أراد ما قال : لقال ومشى إليها الدهر ، كما قال أبو تمام :

فِي أَحْسَنِ الرُّسُومِ وَمَا تَمَشَّى إِلَيْهَا الدَّهْرُ فِي صُورِ الْبِعَادِ

(١) برح به الأمر وأبرح به : جهده واشتد عليه . وأراد بالمرض : نفسه . والعود الذين يزورون المريض خاصة ، يقول : لقد برحت به الجفون الذوابل ، واشتد عليه ما يلاقيه من جراء حبها حتى مرض طبيبه وزواره - حين هالهم مرضه - رحمة له ورثاء لحاله . وقد ذهب ابن جني إلى أن المعنى : برحت : تجاوزت الحد ، وعنى بالمرض : جفنها ، ومرض الطبيب وعيد العود مثل : أى تجاوزت يامرض الجفون الحد حتى أحوجت إلى طبيب وعود ، يبالغ في شدة مرض جفنها . . . قال ابن فورجة - يتقده - : أبرح جنى في التعسف ، ومن الذى جعل مرض الجفون متناهايا ، وإنما يستحسن من مرض الجفون ما كان غير مبرح ، كقول أبي نواس :

ضَعِيفَةٌ كَرُّ اللَّحْظِ تَحْسَبُ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمٍ

ولو أراد تباينه لقال تحسبها في برسام (١) ، أو تزع روح . . إلى أن قل والدليل على كون المرض هو التنفي : قوله بعد :

* فَلَهُ بَنُو عَبْدِ الْقَزِيزِ بْنِ الرِّضَا *

وقوله يَأْمَرُضَ الْجَفُونَ : يروى يامرض الجفون - بكسر الراء - وهو قليل في الاستعمال ، إنما يقولون فلان مريض ، والقياس لا يمنع من قولك : رجل مرض كسقم قل الأعشى :

يَقْضَى بِهَا الْمَرْءُ حَاجَاتِهِ وَيَشْفَى عَلَيْهَا الْفُؤَادُ السَّقِيمَ

(٢) فله : أى للمرض المذكور - وهو التنفي - والعيس : كرام الإبل ، والفدقد : المنفازة . يقول : إن هؤلاء الممدوحين هم الذين ينتجعهم ويلبغ بهم آماله ، بينما سائر الناس من الراكبين المسافرين الذين يقصدون غير هؤلاء ليس لهم إلا الإبل والصحراء : أى لا يحصلون من سفرهم على شيء سوى التعب وجوب الطريق . وقال ابن جني : يريد أنه

(١) البرسام : التهاب الصدر .

مَنْ فِي الْأَنْامِ مِنَ الْكِرَامِ وَلَا تُقْلَ
مَنْ فِيكَ شَامٌ سِوَى شَجَاعٍ يُفْصَدُ^(١)
أَعْطَى قُلْتُ لُجُودِهِ مَا يُقْتَتَى وَسَطًا قُلْتُ لِسَيْفِهِ مَا يُؤْلَدُ^(٢)

اختار هؤلاء القوم دون الناس وترك المقاصد لمن يريدونها من الركبان . وقال ابن القطاع : يريد أنهم يهودون على كل أحد فكأنهم يعطون لكل ركب ركابهم وأرضهم .
(١) من : استفهام ، معناه الإنكار ؛ وشام : أى ياشام . يقول : ليس فى الخلق كلهم كريم يصمد إليه غير شجاع ، ولا تقل : من فيك ياشام ؟ أى لا تخص الشام وحدها بهذا الكلام ، لأنه ليس أوحدها حسب ، بل هو أوجد جميع الخلق وتقدير الكلام : من فى الأنام من الكرام يقصد سوى شجاع ، ولا تقل ياشام من فيك ، فإنه أوجد الدنيا كلها ، لا واحد الشام ، ووجه آخر : أن معناه الاستفهام ، وقد حذف منه الفعل ، كأنه قال : قل باسمع من فى الأنام من الكرام ؟ ولا تقل ذلك للشام ، لأنه قد علم أنه ليس من يقصد إلا هذا المدوح . هذا : والشام تذكر وتؤنث . قال ابن برى : شاهد التأنيث قول جواس بن القمطل :

جِئْتُمْ مِنَ الْبِلَادِ الْبَعِيدِ نِيَاظُهُ وَالشَّامُ تُنْكَرُ كَهَامَا وَفَتَاهَا
(كهلها وفَتَاها : بدل من الشام) وشاهد التذكير قول الآخر :

يَقُولُونَ إِنَّ الشَّامَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَمَنْ لِي إِنْ لَمْ آتِ بِمَخْلُودٍ ؟
وقال ابن جنى : الشام مذكر ، وأجاز تأنيثه فى الشعر ، والنسبة إليها شامى ، وشام على فعال ، ولا تقل شام ، وما جاء فى ضرورة الشعر فمحمول على أنه اقتصر من النسبة على ذكر البلد ، وشاهد شام فى النسبة قول أبى الدرداء ميسرة :

فَهَاتِنَاكَ النِّجْمُومُ وَهَنْ خُرْسٍ يَنْجُنَ عَلَى مُعَاوِيَةَ الشَّامِ
وامرأة شامية ، وشامية - مخففة .

(٢) لجوده : خبر مقدم ، وما يقتنى : مبتدأ مؤخر ، وكذا سيفه مايولد ويقتنى : من القنية والادخار ، وسطا : قهر ، والسطو : القهر بالبطش . يقول : لما أخذ فى العطاء أكثر حتى قلت فى نفسى : إنه سيعطى جميع ما يقتنيه الناس ، ولما سطى على الأعداء أكثر اقتتل حتى قلت : إنه سيقتل كل مولود ، فتكون المقتنيات جميعاً لجوده ، والنسل كله لسيفه قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أعطى فقلت لجوده محاطبا : لا يقتنى أحد مالا

وَتَحَيَّرَتْ فِيهِ الصَّفَاتُ لِأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبَعْدُ (١)
 فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ كُلِّ مَفْصِلَةٍ يَذْمُنُ مِنْهُ مَا الْأُسْنَةُ تَحْمَدُ (٢)
 نَقَمٌ عَلَى نَقَمِ الزَّمَانِ يَصُبُّهَا نَعَمٌ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي لَا تَجْحَدُ (٣)
 فِي شَأْنِهِ وَلِسَانِهِ وَبَنَانِهِ وَجَنَانِهِ عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَقَّدُ (٤)

لأنهم يستغنون بك عن الجمع والادخار ، وسطا قللت لسيفه : انقطع النسل ، فقد أفنيت العباد . ووجه آخر : أعطى قللت : جميع ما يقتنى الناس من جوده وهباته ، وسطا قللت لسيفه ما يولد بمد هذا : يشير إلى إبقائه على من أبقى مع اقتداره على الإفاء ، فجعلهم طلقاء وعقلاء . قال ابن جني : ظاهره وباطنه : هجاء — يعنى المصراع الثانى — وأحسن منه قول أبى تمام :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ إِنَّ لَمْ تَتَّبْ أَنَّهُ لِلْسَيْفِ مَا تَلِدُ
 فجعله على المشركة وما ولدت ، واحتاط بأن قال إن لم تتب ؛ وأبو الطيب قاله على الإطلاق على العلماء والأشراف والملوك — فكأنه هجا الرجل وجعله يقتل من صادف بلا معنى يوجب القتل .

(١) يقول : إن أوصاف المادحين له حارت ، كيف تحصي فضائله : لأنها وجدت طرائق المدوح ومسالكه التى تحمد وينوه بها بعيدة على الأوصاف ، لا تدركها .
 (٢) المترك : ساحة القتال ؛ والمفرية : المشقوقة . يقول : إنه يقطع كلى أعدائه ، فالكلى تدم منه ما تحمده الأُسنة ، وهو الإصابة فى الطعن وجودة الشق ، والكلى تدم هذا لأنه مناف للرحمة ، والأُسنة تحمده لأنه بذلك أحسن استخدامها . وقال الواحدى : الناس يرون الكللى مشقوقة فيذمون له إذا لا رحمة له ، ويرون الأُسنة منكسرة فيحمدونه لشجاعته ، فأضاف الحمد والذم إلى الكللى والأُسنة لأنهما السبب :

(٣) نعم : مبتدأ ، خبره : نعم ، وعلى — الأولى — متعلقة بصبا : والجملة نعت نعم ، وعلى — الثانية — متعلقة بمستقر محذوف نعت نعم : يقول : إن النعم التى يصبا المدوح على الأعداء — مضافة إلى نعم الزمان — هى نعم على الأولياء مضافة إلى نعمه التى لا تجحد ، يعنى اعتراز أوليائه بذلة أعدائه وما يستفيدونه من الفنائم بنسبتهم .

(٤) الشأن : الحال والأمر ، والبنان : الأنامل ، والجنان : القلب . يقول : فى أحواله كلها إذا تفقدتها عجب ، لأنها لم تكمل فى أحد سواء ، فأبى خصاله رأيت حمدتها .

أَسَدٌ دَمُ الْأَسَدِ الْهَزْبَرِ خِضَابُهُ مَوْتُ فَرِيصٍ الْمَوْتُ مِنْهُ تُرْعَدُ^(١)
 مَا مَنِيحٌ مُذْ غَبَتِ إِلَّا مُفْلَةٌ سَهَدَتْ وَوَجْهَكَ نَوْمُهَا وَالْإِمْدُ^(٢)
 فَالْلَيْلُ حِينَ قَدِمْتَ فِيهَا أَبْيَضُ وَالصُّبْحُ مُنْذُ رَحَلَتْ عَنْهَا أَسْوَدُ^(٣)
 مَا زِلْتَ تَذْنُو وَهِيَ تَعْلُو عِزَّةً حَتَّى تَوَارَى فِي ثَرَاهَا الْفَرْقَدُ^(٤)
 أَرْضٌ لَهَا شَرَفٌ سِوَاهَا مِثْلُهَا لَوْ كَانَ مِثْلُكَ فِي سِوَاهَا يُوجَدُ^(٥)

(١) أسد : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هو أسد ، ودم الأسد : مبتدأ ، وخضابه : خبر ، وموت - كذلك - خبر مبتدأ محذوف : أى هو موت ، والجملة بعده نعت له ، والهزبر : الشديد ؛ والفريص : جمع فريصة ، وهى لمة عند الكنف تضطرب عند الخوف . يقول : هو شجاع يطلخ بدم الأسد حتى يصير كالخضاب له ، وهو موت لأعدائه ، حتى ليخافه الموت وترتعد منه فرائضه .

(٢) الإمد : نوع من الكحل . يقول : ليست منيح - وهى بلد المدوح ، وعلى مرحلتين من حلب - مذ غبت عنها إلا كالقطة الساهدة ، ووجهك لها بمنزلة النوم والكحل - وهما اللذان تصلح بهما العين - يعنى أن صلاح منيح بحضورك .

(٣) هذا من قول أبى تمام :

وَكَاثَتْ وَلَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا أَبْيَضُ فَأَضَحَّتْ وَلَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا أَسْوَدُ

(٤) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به ، وبجانبه آخر أخفى منه ؛ فهما فرقدان ؛ قال قائلهم :

وَكُلُّ أَحْ مَفَارِقِهِ أَخُوهُ لَعَنَرُ أَيْبِكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ

يقول : مازلت تقرب من هذا البلد ، وكلما قربت منه ازداد رفعة بقربك حتى صار ثراه فوق الفرقدين رفعة وعلاوا .

(٥) أرض : خبر عن محذوف : أى هى أرض ؛ وسواها : مبتدأ ، خبره مثلها . وقال بعض الشراح : خبره لها شرف ، والضمير فى لها : يرجع إلى سواها ، ومثلها : نعت شرف ، وهو على حذف مضاف : أى مثل شرفها . يقول : هى أرض لها شرف ، وسواها لها شرف مثل شرفها ، لو وجد فيها مثلك : أى إنما شرفها بك ؛ فلو وجد مثلك فى غيرها لسواها هذا الغير فى الشرف .

أَبْدَى الْعِدَاءُ بِكَ السُّرُورَ كَأَنَّهُمْ
فَرَحُوا وَعِنْدَهُمُ الْمَقِيمُ الْمُقْعِدُ^(١)
قَطَعْتَهُمْ حَسِداً أَرَاهُمْ مَا بِهِمْ
فَتَقَطَّعُوا حَسِداً لِيْنِ لَا يَحْسُدُ^(٢)
حَتَّى أَنْتَنُوا وَلَوْ أَنَّ حَرَّ قُلُوبِهِمْ
فِي قَلْبِ هَاجِرَةٍ لَذَابَ الْجِلْدُ^(٣)
نَظَرَ الْعُلُوجُ فَلَمْ يَرَوْا مِنْ حَوْلِهِمْ
لَمَّا رَأَوْكَ وَقِيلَ هَذَا السَّيِّدُ^(٤)
بَقِيَتْ جُمُوعُهُمْ كَأَنَّكَ كُلُّهَا
وَبَقِيَتْ بَيْنَهُمْ كَأَنَّكَ مُفْرَدُ^(٥)

(١) يقول : إن أعداءك أظهروا السرور بقدمك خوفا منك لا ابتهاجا بك ،
وعندهم من الحسد والخوف ما يقيمهم ويقعدهم : أى يزعجهم ويقلقهم .
(٢) قطعتم حسدا : أى أنهم حسدوك فماتوا بشدة حسدكم إياك ، فكانك قطعتم
أرباباً . وقوله أراهم ما بهم : أى أراهم الحسد ما بهم من التقصير عنك والنقص دونك ،
فتقطعوا من الحسد لمن لا يحسد أحدا ، لأنه ليس فوقه أحد فيحسده ، ولأن الحسد
ليس من أخلاقه . فقوله حسدا : هو تميز ؛ وفاعل أراهم : ضمير الحسد .
(٣) اثنتوا : رجعوا ؛ والجلد : الصخر ، والهجرة : نصف النهار عند اشتداد
الحر وحمارة القيظ ؛ وقيل شدة الحر . يقول : حق انصرفوا عنك وعن مباهااتك
عالمين بتخلفهم عنك وفي قلوبهم من حرارة الحسد والموجدة مالهو كان في هاجرة لذاب
الحجر . وقوله ولوان : حرك الساكن وأسقط الهمزة كقراءة ورش . « ومن
اظلم » ونحوه .

(٤) العليج - فى الأصل - حمار الوحش السمين القوى ، أطلقوه على الغليظ الضخم
الجافى من كفار العجم ؛ والمراد هنا : قواد الروم . يقول : لما نظروا إليك ورأوا
هيبتك وأنتك سيد القوم ، لم يروا من حولهم من ساداتهم : أى لم يخطر لهم سيد من
ساداتهم على بال ، أوقد شغلوا بالنظر إليك عن النظر إلى غيرك ؛ فصاروا كأنهم لا يرون
أحدا سواك ممن حولهم ، ورأوا منك مادهم على سيادتك ، فقانونا هذا هو السيد .
لا سواء من ساداتهم .

(٥) هذا البيت مترتب على ما قبله : يقول : إنك كنت وحدك مثلهم جميعا ، لأنك
وحدك اغترقت أعينهم وشغلتها عن غيرك وصار غيرك كأنه لا وجود له بجانبك ، بحيث لو
فقدوا كنت كل من بذلك المكان ، فأنت مفردا مثلهم جميعاً . وهذا المعنى ينظر لقول
أبى نواس :

لَهْفَانِ يَسْتَوِي بِكَ الْغَضَبَ الْوَرَى
 لَوْ لَمْ يُنْهِنِكَ الْحَجَى وَالشُّوْدُ^(١)
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ تَسِرْ إِلَيْكَ رِكَابُنَا
 فَالْأَرْضُ وَاحِدَةٌ وَأَنْتَ الْأَوْحَدُ^(٢)
 وَصُنِ الْحَسَامَ وَلَا تَذِلْهُ فَإِنَّهُ
 يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ^(٣)

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد
 وعبرة الواحدى : اللغى أنهم لصغرهم في جنبك كأنهم لا وجود لهم : وإذا قدوا
 كنت أنت كل من بذلك السكان ، ثم حقق هذا اللغى بالمصراع الثانى ، وأتى بكاف
 التشبيه دلالة على أن هذا تمثيل لا حقيقة ، ومعنى لا وجوداً :

(١) لهفان : حال من التاء في بقيت بينهم ؛ وأصل اللفف : حرارة الجوف من
 شدة وكرب ونحو ذلك . والراد باللففان هنا : الملتئ غصبا . ويستوى : يستعمل ،
 من الوباء ، وأصله يستوى ، تخفف للضرورة . والورى : فاعل يستوى ، والحجى :
 العقل ؛ والسؤدد : السيادة . ونهيه : كفه ورده . من النهى . يقول : بقيت غضبان
 حتى استوى الناس الغضب الذى بك : أى ظنوه وباء مهلكا لهم ، لو لم ينك سؤددك
 وحملك عن إهلاكهم .

(٢) يقول : كن في أى موضع شئت من البلاد ، فإننا ننتجمك ونصمد إليك ، فإن
 الأرض التى تغدو وروح عليها واحدة ليس هناك أرض غيرها ، وأنت أو حدها لا نظير
 لك فيها ، وأذن لا مندوحة عن السفر إليك وإن طال ، لعدم وجود غيرك ممن يستأهل
 أن يصمد إليه . وقال ابن جنى : فالأرض واحدة : أى ليس علينا للسفر مشقة لإلغنا إياه
 قال العروضى : ليت شعرى : أى مدح للممدوح فى أن يآلف للتنبى السفر .

(٣) الإذالة : الامتهان والابتذال ؛ وصنه استره . والجماجم : جمع جمجمة ؛ وهى
 قحف الرأس . يقول : لقد أكثرت من القتل ، فأغمد سيفك وكفى ما حصل ، فإن
 سيفك يشكو يدك من كثرة ضربها به ؛ والجماجم التى حطمتها . تشهد له . وقال ابن جنى
 صنه فإنه به يدرك الثأر ، وتحمى به الثمار . قال ابن فورجه : كيف أمن أن يقول
 ما أذنته إلا لإدراك الثأر ، وإحساء الثمار ؟ وهذا تعليل لو سكت عنه كان أحب إلى أبى

يَبْسَ النَّجِيعُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُجَرَّدٌ مِنْ غَمْدِهِ وَكَأَنَّمَا هُوَ مُنْمَدٌ^(١)
 رِيَانٌ لَوْ قَذَفَ الَّذِي أَسْقَيْتَهُ لَجَرَى مِنَ الْمُهْجَاتِ بَحْرٌ مُزِيدٌ^(٢)
 مَا شَارَكَهُ مَنِيَّةٌ فِي مُهْجَةٍ إِلَّا وَشَفَرْتُهُ عَلَى يَدَيْهَا يَدٌ^(٣)
 إِنَّ الرِّزَايَا وَالْعَطَايَا وَالْقَنَا حُلْفَاءُ طَى غَوْرُوا أَوْ أُنْجَدُوا^(٤)
 صِخْ يَا جَلْهُمَةَ تَحْنَبُكَ وَإِنَّمَا أَشْفَارُ عَيْنِكَ ذَابِلٌ وَمُهَنْدٌ^(٥)

الطيب ، وإِنَّمَا العنى : أكثرت القتل فحسبك وأغمد سيفك ، فقال : صن سيفك ، وإِنَّمَا يريد أغمده .

(١) النجيع الدم . يقول : إن الدم حمد على سيفك حتى صار كالغمد له ، فبرى وهو مجرد كأنه منممد . . وهذا من قول البحترى :

سُلبوا وأشرفت الدماء عليهم مُحَمَّرَةٌ فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُسْلَبُوا
 ومن قول الآخر :

وفرقت بين ابني هُشَيْمٍ بَطْعَنَةً لها عائدٌ يكسو السَّيْلِبَ لِإِزَارًا^(١)
 (٢) ريان - بالنصب - حال ، العامل فيه ببس ؛ وبالرفع : خبر مبتدأ محذوف .
 يقول : سيفك ريان فلو مع ما سقيته من دماء قلوب الأعداء لجرى منه بحر مزيد .
 يعنى أنك أكثرت به القتل .

(٣) النية : الموت ؛ والبهجة : الروح ؛ وشفرت حده . يقول : لم يشترك سيفه والنية في سفك دم إلا كان سيفه يداً ليد النية : أى أنها تستعين به كما يستعين العامل بيده في العمل . وعبرة ابن جنى : يعنى أن لسيفه الأثر الأقوى الأظهر في القتل .

(٤) الرزايا : جمع رزية ؛ وهى المصيبة . والقنا : الزماح ؛ والحلفاء : جمع الحليف وهو الصديق المخالف . وغوروا : تزلوا الغور ، وهو المنخفض من الأرض ، وأنجدوا : تزلوا النجد ، وهو الأرض المرتفعة . يقول : إن هذه الأشياء لا تفارقهم أينما تقفوا ويمموا : أى أنهم حيثما كانوا رزايا ومصائب لأعدائهم ، وعطايا لأوليائهم ، كما قال أبو تمام :

فَإِنَّ الْمَنَايَا وَالصَّوَارِمَ وَالْقَنَا أَقَارِبُهُمْ فِي الرَّوْعِ دُونَ الْأَقَارِبِ
 (٥) جلهمة : اسم طيء . وطىء لقب له . واللام : لام الاستغاثة . والواو - فى

(١) عند العرق : خال فلم يكذب بقاء ، وهو عرق عتيد . ودم غناد يسيل جانبا

مِنْ كُلِّ أَكْثَرٍ مِنْ جِبَالِ تِهَامَةٍ قَلْبًا وَمِنْ جَوْدِ الْغَوَادِي أَجُودٌ^(١)

وإنما - للحال ، وأشفار العين : منابت الأهداب . يقول : إذا صحت يا جليمة أسرع إليك وأحدث بك ، فهابك كل أحد ، حتى إذا نظرت إلى أي إنسان بعينيك فكأنك أشرعت إليه رماحا وسللت عليه سيوفا . فقامت أشفار عينيك مقام الدابل - الرمح - والمهند - السيف . وقال الواحدى : كان الأستاذ أبو بكر يقول : يريد أنهم يتسارعون إليك ويملاؤن الدنيا عليك رماحاً وسيوفا . . هذا كلامه . وتحقيقه : حيثما يقع بصرك رأيت الرماح والسيوف فتصلاً من كثرتها عينيك ، وتحيط بعينيك إحاطة الأشفار بها ؛ وهذا ينظر إلى قول بعضهم :

وإذا دُعوا لِنَزَالِ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَتَرُوا شَعَاعَ الشَّمْسِ بِالْخِرْصَانِ
[الخِرْصَان : الرماح ؛ والخِرْصَان : الدروع] وقال سلامة بن جندب :

إِنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِحٌ فَرَعٌ كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ

« يقول سلامة : إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجدى نصرته ، يقال : قرع لثقل الأمر غلبته : إذا جد فيه . والظنبوب : هو طرف العظم اليابس من الساق ؛ فالشاعر حل قرع الصوت على ساق الخف في زجر الفرس قرعا للظنبوب »

(١) الجود : المطر الغزير ؛ والغواذى : السحاب المنتشرة صباحا . يقول - يصف رجال جليمة - : من كل رجل أكر قلبا من الجبال - يريد قوة قلبه وشدة - وأجود من مطر السحاب . وقوله أجود : خير مبتدأ محذوف : أى وهو أجود من جود الغواذى وقلبا : تمييز . هذا : وتهامة اسم مكة . وقال الجوهري : تهامة ، بلد : والنسبة إليها تهامى وتهام ، إذا فتحت التاء لم تشدد . كما قالوا يمان وشأم ، إلا أن الألف فى تهام من لفظها والألف فى يمان وشأم عوض من ياء النسبة قال ابن أحرر :

وَكُنَّا كَأَبْنَى سُبَاتٍ تَقَرِّقًا سَيَّوًى ثُمَّ كَانَا مُنْجِدًا وَتِهَامِيَا

وَأَلْقَى التَّهَامِي مِنْهَا بِلَاطَانِهِ وَأَحْلَطَ هَذَا لَا أَرِيْمُ مَكَانِيَا^(١)

وقوم تهامون : كما قالوا يمانون . وقال سيويه : من الناس من يقول تهامى ويمانى وشأمى - بالفتح - مع التشديد ؛ وقد قلنا : الجود : المطر الغزير تقول : جاد المطر

(١) السبات : الدهر ، ولطاته : ثقله ، وأحلط هذا : أى أقام ، أو خلف مجتهداً ، ولا أريم مكانيا : لا أبرحه .

يَلْقَاكَ مُرْتَدِيًا بِأَحْمَرَ مِنْ دَمٍ ذَهَبَتْ بِخُضْرَتِهِ الطَّلَى وَالْأَكْبَدُ^(١)
 حَتَّى يَشَارَ إِلَيْكَ ذَا مَوْلَاهُمْ وَهُمْ الْمَوَالِي وَالْخَلِيقَةُ أُعْبِدُ^(٢)
 أَنَّى يَكُونُ أَبَا الْبَرِيَّةِ آدَمَ وَأَبُوكَ وَالثَّقَلَانِ أَنْتَ مُحَمَّدُ^(٣)
 يَفْنَى الْكَلَامُ وَلَا يَحِيطُ بِوَصْفِكَ
 أَيُّحِيطُ مَا يَفْنَى بِمَا لَا يَفْنَى^(٤)

يجود جودا فهو جائد ، والجمع جود ، مثل صاحب وصحب ، وقد جادت الأرض فهي مجودة : أى أصابها مطر جود : قال الراجز :

أَرْعَيْتَهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا الصِّلَّ وَالصَّفْصِلَ وَالْيَعْضِيدَا
 وَالْخَازِبَازِ السِّنْمَ الْمَجُودَا بِحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

الصل : نبت ، وكذلك الخازباز ، والصفصل ، واليعضيد : شجر ونبت سئم مرتفع وهو الذى خرجت سمنته ، رهو ما يعلو رأسه كالسنبل ، وعامر ومسعود : راعيان (١) بأحمر : أى بسيف أحمر . والباء متعلقة بيلقاك ، أو بمرتدياً ؛ ومن دم : صفة أحمر ، وخضرة السيف : لون فرده ، والطلّى : الأعناق . يقول : يلقاك كل منهم متقلدا سيفاً قد تلتطخ بدم الأعناق والأكباد ، فأحمر واستترت خضرته ، وذهبت بها الطلّى والأكبد . هذا : والأكبد : جمع كبد ؛ وقيل هو على هذا الجمع جمع كبد كعبد وأعبد وجمع كبد - بكسر الباء : أكباد وكبود كوتد وأوتاد .

(٢) يقول : حتى يشير الناس إليك فيقولوا هذا مولى طيء : أى رئيسهم وسيدهم ، وهم سادة الخلق والخلق عبيدهم . ويروى بدل « حتى » حى أى هم حى يشير الخلق إليك بأنك سيدهم وهم سادوا الناس .

(٣) وأبوك : مبتدأ ، ومحمد - خبره ، والثقلان أنت : جملة معترضة : يقول : كيف يكون آدم أباً الورى وأبوك محمد الطائى وأنت انتقلان . أى أنك جميع الإنس والجن ، جمع الله فيك ما فرقه فيهما من الفضل والكمال . روى أن أباً تمام قال لابن أبى داود - لما اعتذر إليه - أنت جميع الناس . ولا طاقة لى بنضب جميع الناس ؛ فقال له : ما أحسن هذا المعنى ! فمن أين أخذته . قال من قول أبى نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنَكِرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

(٤) ينفد : ينفى : قال ابن جنى : لو اتفق له أن يقول ما ينفى بما لا ينفى ، أو ما ينفد

وقال وقد وثنى به قوم إلى السلطان فكتب إليه من الحبس :
 أَيَا خَدَدَ اللَّهُ وَرَدَّ أُنْدُودٍ وَقَدَّ قُدُودَ الْحَسَانِ الْقُدُودِ^(١)
 فَهَنْ أَسْلَنَ دَمَا مُقْلَبِي وَعَذَّبَنَ قَلْبِي بِطُولِ الصَّدُودِ^(٢)

بملا ينفد : لكان أحسن في صناعة الشعر ، وقد أتى بالمعنى مع اختلاف اللفظ ، وهو حسن جيد ، لأن ينفد : بمعنى ينفى .

(١) التخديد . الشق ، والقذ . القطع طولا . والحسان القدود ، إضافة لفظية ، مثل الحسن الوجه . يدعو على ورد الحدود أن يشققه الله فيزول حسنه ، وأن يقطع قدود الحسان القدود ؛ قال ابن جني . وهو دعاء على التعجب والاستحسان ، كقول جميل .

رمى الله في عيني بُثِينَةً بِالْقَذَى وفي المرء من أنيابها بالقوادح^(١)
 قال الواحدى . وهذا المذهب بعيد من قول أبي الطيب ، لأنه أخرجه في معرض المجازاة لما ذكر فيها بعد . يريد جازاهن الله جزاء بما صنعن به بالتخديد والقذ قال . وهنا مذهب ثالث ، وهو إعماد دعا على تلك المحاسن لأنها تيمته ، فإذا زالت زال وجهه بها ، وحصلت له السلاوة ، كما قال أبو حفص الشهرزورى .

دعوت على ثفره بالقلح وفي شعر طرته بالجلح^(٢)
 لعل غرامي به أن يقل فقد برحت بي تلك الملح
 قال العكبرى : والذي ذكره ابن جني أحسن ، لأن الحب لا يدعو على محبوه أبدا ، والذي أنشده الواحدى للشهرزورى ليس هو مما صدر عن حب : لأن الحب الصادق يقف عند المعاني لا عند المحاسن .

(٢) يقول : من أبكين عيني حتى بضت دما : وعذبني قلبي بنار الصد وهو عذاب

(١) يقال . قد أسرع في أسنانه القوادح . جمع قاذحة ، وهى الجرائم التى تأكل السن ، أو سواد يظهر في الأسنان .

(٢) القلح صفرة في الأسنان ، ووصف يركبها ، والجلح : ذهاب الشعر من مقدم الرأس .

وَكَمْ لِلْهَوَى مِنْ قَتَى مُدْنَفٍ وَكَمْ لِلنَّوَى مِنْ قَتِيلٍ شَهِيدٍ^(١)
فَوَاحِشَرَتَا مَا أَمَرَ الْفِرَاقَ وَأَعْلَقَ نِيرَانَهُ بِالْكَبُودِ^(٢)

— لو علمت — أليم . هذا : ولك أن تجعل دما : مفعولا ثانيا لأسلن ومقلق مفعولا
أول ، ولك أن تجعله تمييزا مقدما ، قال العكبري النحوي الكوفي : وهذا جائز
عندنا ، وعند المازني والبرد من البصريين ، ومنعه باقيهم كقولك تصبب عرقا زيد
حجبنا نقل وقياس ، أما النقل فقول الشاعر :

أَتَهْجُرَ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطْلُبُ^(١)

تقديره : وما كان الشأن والقصة تطيب سلمى نفساً ، فدل على جوازه ، وأما القياس
فإن هذا العامل فعل متصرف ، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الأفعال المتصرفة ، ألا ترى
أن الفعل إذا كان متصرفاً — نحو ضرب زيد عمرا — يجوز تقديم معموله عليه ، فتقول :
عمرا ضرب زيد ؟ وحجة البصريين أنه لا يجوز تقديمه على العامل فيه ، وذلك أنه فاعل
في المعنى . فإذا قلت : تصبب زيد عرقاً فالتصبيب هو العرق ، وكذلك لو قلت حسن زيد
غلاما : لم يكن زيد حظ في الفعل من جهة المعنى ، بل التفاعل في المعنى هو الغلام فلما
كان هو الفاعل في المعنى لم يجوز تقديمه .

(١) يقول : كم للهوى من شاب نال منه المرض كل الليل ، وكم للفراق من قتيل
شهيد ! يعني أن الحب يسقم ، والفراق يقتل ، وقال بعض الشراح : كم للفراق من قتيل
قد عف عن الحنا ، فكان موته لذلك شهادة ، هذا : والدنف : المرض للآزم الحاضر
ورجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : براه المرض حتى أشفى على الموت ؛ فمن قال : دنف لم
يشته ولم يجمعه ولم يؤثته ، كأنه وصف بالمصدر ، ومن كسر ثنى وجمع وأنت : فقال رجل
دنف — بالكسر — ورجلان دنفان ، ورجال أدناف ، وامرأة دنفة ، ونسوة دنفات
وقد دنف المريض — بالكسر — أى ثقل ، وأدنف ، مثله ؛ وأدنفه ، يتعدى
ولا يتعدى ؛ والشهيد — في الأصل — من قتل مجاهداً في سبيل الله ، ثم اتسع فيه
فأطلق على كل من يقتل مأجوراً .

(٢) الكبود : جمع كبد .

(١) للمخبل السعدي ، وسلي جاءت ليلى في بعض الدواوين ، والرواية الصحيحة

في البيت وما كان نفس بالفراق تطيب .

وَأَغْرَى الصَّبَابَةَ بِالْمَاشِقِينَ وَأَقْتَلَهَا لِلْمُحِبِّ الْقَمِيدِ^(١)
وَأَلْمَجَ نَفْسِي لِغَيْرِ أَتْلَحَا بِحُبِّ ذَوَاتِ اللَّمَى وَالنُّهُودِ^(٢)
فَكَانَتْ وَكُنَّ فِدَاءَ الْأَمِيرِ وَلَا زَالَ مِنْ نِعْمَةٍ فِي مَزِيدِ^(٣)
لَقَدْ حَالَ بِالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعُودِ^(٤)
فَأَنْجَمُ أَمْوَالِهِ فِي النَّحُوسِ وَأَنْجُمُ سُؤْلِهِ فِي الشُّعُودِ^(٥)

(١) أغرى من غرى بالشيء : إذا أولع به . والصبابة : رقة الشوق ، والعميد : كالممود الذي أضناه العشق وهذه .

(٢) ألمج بالشيء يلهج لهجا : أولع به ؛ والحنا : الفحش ، وكلام خن ، وكلة خنية ؛ وقد خنى عليه - بالكسر - وأخنى عليه في منطقته : أخفى . قال أبو ذؤيب :

وَلَا تَحْنُوا عَلَيَّ وَلَا تَشْطُوا بِقَوْلِ الْفَخْرِ إِنْ الْفَخْرُ حُوبُ

(لا تشطوا : لا تبعثوا ولا تجوروا ؛ يقال : شط وأشط ؛ والحبوب : الهلاك والإثم والوحشة) وقوله بحب : متعلق بألمج ؛ واللمى : سمة في الشفة . يقول : ما أولع نفسي بحب السمر الشفاء ، الناهدات ، لغير الفحش والفجور .

(٣) كانت : أى نفسى - المذكور . فى البيت السابق - واسم كن : يعود على ذوات اللمى ، وفى مزيد : خبر زال . يدعو للمدوح ، يقول : كانت نفسى وأجباتى اللاتى وصفتهن ، فداء له ، ولا زال فى مزيد من النعم .

(٤) يقول : لا وعيد عنده للأعداء - وإنما يناجزهم بالسيف - ولا وعد عنده للأولياء - وإنما يبادرهم بالسيف والعطاء ، فهو يجعل ما ينوى فعله ، علما منه بما تؤول إليه الأمور ، وإقداماً منه على مطالبه ، وإذن حال سيفه بينه وبين الوعيد وحال سيئه - بمحصوله عاجلاً - بينه وبين الوعود . هذا : والوعيد التهديد ، وهو يستعمل فى الشر خاصة . والوعور : جمع وعد . وهو - وإن كان يستعمل الخير والشر : إلا أن المراد به هنا : الخير .

(٥) تفریع على عجز البيت السابق . يقول : إن أمواله فى نحوس لأنه يفرقها ويسخو بها ، وسؤاله فى شعود لأنه يذل أمواله لهم فيتنعمون بها ، ويتألون منه ما يقترون عليه ، وهذا كما يقول أبو تمام :

طَلَمْتُ عَلَى الْأَمْوَالِ أَنْحَسَ مَطْلَعِ

وَعَدَّتْ عَلَى الْأَمْوَالِ وَهَى سُودُ

(هـ النني ٢)

وَلَوْ لَمْ أَخَفْ غَيْرَ أَعْدَائِهِ عَلَيْهِ لَبَشَّرْتُهُ بِالْخُلُودِ (١)
رَمَى حَلَبًا بِنَوَاصِي الْخَيْلِ وَسُمِرَ يُرْقَنَ دَمًا فِي الصَّعِيدِ (٢)
وَبَيْضِ مُسَافِرَةٍ مَا يُقَمِّنَ لَافِي الرِّقَابِ وَلَا فِي الْعُمُودِ (٣)
يَقْدَنَ الْفَنَاءَ غَدَاةَ اللَّقَاءِ إِلَى كُلِّ جَيْشٍ كَثِيرٍ الْقَدِيدِ (٤)
قَوْلِي بِأَشْيَاعِهِ الْخَرَشْنِي كَشَاءِ أَحْسَنَ بَرَارِ الْأَسُودِ (٥)
يُرُونَ مِنَ الذَّغْرِ صَوْتَ الرِّيحِ صَهِيلَ الْجِيَادِ وَخَفَقَ الْبُنُودِ (٦)

(١) يقول : إني إنما أخاف عليه الدهر ونوبه التي لا ينجو منها أحد ، فأما أعداؤه فإنهم لا يصلون إليه بسوء فلو لم يكن خوفي عليه إلا من جهة أعدائه لبشرته بالخلود .
(٢) النواصي : جمع ناصية ، وهي شعر مقدم الرأس ؛ والسمر : الرماح والصعيد : وجه الأرض . يعني : أنه وجه إليها الجيش ورماحاً تريق دماء أعدائه على الأرض . وفي رواية : بنواصي الجياد .

(٣) البيض : السيوف . يقول : إنه لكثرة حروبه وغزواته لا تزال سيوفه تنتقل من الرقاب إلى الأجناف - العمود - ومن الأجناف إلى الرقاب ، فليست لسيوفه إقامة في شيء من ذلك ، ولهذا جعلها مسافرة .

(٤) يقدن : أي الرماح والجياد والسيوف .

(٥) ولي : أدبر ؛ وأشياع الرجل : أتباعه ومشايخه الذين يطيعونه ؛ والشاء : جمع شاة ، وإنما قال أحسن على لفظه ، لأمعناه ، فلفظه الواحد ، وزئير الأسد صوته ، والخرشني هو بدر الخرشنى ، أحد قواد الدولة العباسية ، وقد كان والياً لحلب ، وهو منسوب إلى خرشنة - بلد من بلاد الروم - يقول أدبر ومعه جنوده وأتباعه كالغتم حين تسمع صوت الأسد .

(٦) يرون - بضم الياء - أي يظنون ويخيل إليهم ؛ والضمير : للخرشني وأتباعه ؛ والذعر : الخوف والفرع ؛ وصوت الرياح : مفعول أول ؛ وصهيل الجياد : مفعول ثان ؛ والبُود : الرايات ، وخفقتها : اضطرابها . يقول : إنهم لشدة خوفهم - وهم هاربون - كانوا يظنون صوت الرياح صهيل خيل المدوح وراءهم وخفق راياتهم . وهذا من قول جرير :

مَا زِلْتُ تَحْسَبُ كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَهُمْ خَيْلاً تَكْرَهُ عَلَيْكُمْ وَرِجَالاً

فَمَنْ كَالْأَمِيرِ ابْنِ بِنْتِ الْأَمِيرِ أَوْ مَنْ كَأَبَائِهِ وَالْجُدُودِ^(١)
 سَعَوْا لِلْمَعَالِي وَهُمْ صَبِيَّةٌ وَسَادُوا وَجَادُوا وَهُمْ فِي الْهُودِ^(٢)
 أَمَّا لِكَ رَقِيٍّ وَمَنْ شَأْنُهُ هَبَاتُ اللَّجَيْنِ وَعَتَقُ الْعَبِيدِ^(٣)
 دَعْوَتِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا وَالْمَوْتُ مِنِّي كَحَبْلِ الْوَرِيدِ^(٤)
 دَعْوَتِكَ لَمَّا بَرَّانِي الْبَلَاءُ وَأَوْهَنَ رِجْلِي ثِقْلُ الْخُلْدِيدِ^(٥)
 وَقَدْ كَانَتْ مَشِيهُمَا فِي النَّعَالِ فَقَدْ صَارَ مَشِيهُمَا فِي الْقِيُودِ
 وَكُنْتُ مِنَ النَّاسِ فِي مَحْفِلٍ فَهَذَا أَنَا فِي مَحْفِلٍ مِنْ قُرُودِ^(٦)

(١) من : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا أحد مثله ولا مثل آبائه وجدوده .
 وقال ابن بنت الأمير لأن جده لأنه كان أميراً أيضاً : يعنى أن الإمارة انحدرت إليه
 من أبويه .

(٢) يقول : إنهم ورثوا المجد والسؤدد والجود عن آبائهم فحكم لهم بالمجد والجود
 والسؤدد وهم صغار على ما عهد من أجدادهم وآبائهم . هذا : والمعالي : جمع معلاة .
 وهى كسب الشرف . قال ابن برى : ويقال فى واحدة المعالى : معلوه ، والصبية : جمع
 صبي ؛ والمهود : جمع مهد ؛ وهو مضجع الطفل .

(٣) الرق العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ؛ والعنق الحرية ، وهو
 اسم من عتق العبد إذا خرج عن الرق . يقول : يامن يملك نفسى عبودية ويا من شأنه
 أن يهب الفضة ويعتق العبيد : دعوتك إلى آخر ما يلى ، وقوله ومن شأنه - بفتح الميم -
 اسم بمعنى الذى ، وشأنه : مبتدأ ، خبره : هبات . ورواها ابن جنى ، ومن شأنه ، جعلها
 جارا ومجرورا : فيكون خبرا مقدما ، وهبات : مبتدأ مؤخر .

(٤) الوريد : عرق فى العنق يضرب مثلا فى شدة القرب ، يقال : هو أقرب إليه
 من جبل الوريد .

(٥) البلاء : الامتحان ، والغم يلى الجسم ، وبراء : هزله وأنخله ؛ وأوهنه :
 أضعفه والبلاء يروى البلى : أى الفناء .

(٦) المحفل : الجماعة يجتمعون فى موضع ، وعنى بالقرود : المسجونين معه من
 اللصوص وأصحاب الجنايات الشقى الشكول . يقول : كنت أجالس أهل الفضل فصرت
 أجالس أوباش الناس .

تُعَجِّلُ فِي وُجُوبِ الْحُدُودِ وَحَدَى قُبَيْلِ وَجُوبِ الشُّجُودِ (١)
 وَقِيلَ عَدَوْتَ عَلَى الْعَالَمِينَ بَيْنَ وَلَادِي وَبَيْنَ الْقُودِ (٢)
 فَمَا لَكَ تَقْبَلُ زُورَ الْكَلَامِ وَقَدَرُ الشَّهَادَةِ قَدَرُ الشُّهُودِ (٣)
 فَلَا تَسْمَعَنَّ مِنَ الْكَاشِحِينَ وَلَا تَعْبَأَنَّ بِمَحَكِ الْيَهُودِ (٤)
 وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْوَى أَرَدْتُ وَدَعْوَى فَعَلْتُ بِشَأْنِ بَعِيدِ (٥)
 وَفِي جُودِ كَفِّكَ مَا جَدْتُ لِي بِنَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ أَشَقَى ثَمُودِ (٦)

- (١) تعجل : أى أتعجل ؟ . فهو استفهام إنكارى - على تقدير الهمة - ويحتمل أن يكون خبراً ، والحدود : جمع الحد ، وهو العقوبة . وحدى : عطف على وجوب . يقول إنما يجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم يجب على الصلاة بعد ، فكيف أحد ؟ قال ابن جني : وليس يريد أنه في الحقيقة صبي غير بالغ ، وإنما يصغر أمر نفسه عند الوالى ، ألا ترى أن من كان صبيّاً لا يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف ؟
- (٢) عدوت - من العدوان - أى البنى . والولاد : الولادة . يقول : ادعى على الناس - وأنا طفل لم أستطع الجلوس وحدى بعد - أنى جرت وخرجت على الناس ...
- يعنى أن الناس مفترون . يدفع بهذا عن نفسه الظنة .
- (٣) يقول : إن الناس إنما شهدوا على زوراً فلم تقبل شهادتهم ، وقدر الشهادة على قدر الشاهد : إن كان الشاهد عدلاً : قبلت شهادته ، وإن كان من السفلة السقاط : ردت .
- (٤) الكاشح : العدو الذى يضمر العداوة فى كسحه . ويقال ما عبأت به : أى ما باليت . وقوله بمحك اليهود : أى لجأهم ، وروى بمخل : وهو الكيد والسعاية . قال ابن جني : جعل خصومه يهوداً ولم يكونوا فى الحقيقة يهوداً ..
- (٥) دعوى - فى الموضعين - مضافة إلى الجملة المحكية ، والشأ والشوط والمسافة والغاية ، والباء متعلقة بفارقاً . يقول : إن بين دعوى من يقول : أردت أن أفعل كذا ودعوى من يقول : فعلت كذا ، بونا بعيداً فافرق بينهما لأنهم إنما ادعوا على أنى أردت أن أفعل ولم يدعوا على أنى فعلت ، وبينهما فرق ظاهر ، وكانوا قد وشوا به أنه يريد أن يأخذ البلد .
- (٦) ما - من قوله ما جدت لى - مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مبتدأ مؤخر وفى جود كفيك : خبر مقدم وأشقى ثمود : هو «قدار» عاقر ناقة صالح . يقول : إن جودك لى بنفسى هو فى جملة عطايا كفيك .

ونام أبو بكر الطائي وهو ينشد فقال :

إِنَّ الْقَوَافِي لَمْ تُنِكَ وَإِنَّمَا
مَحَقَّتْكَ حَتَّى صِرْتَ مَا لَا يُوجَدُ^(١)
فَكَانَ أَذْنُكَ فَوْكَ حِينَ سَمِعْتَهَا وَكَأَنَّهَا مِمَّا سَكِرْتَ الْمُرْقَدُ^(٢)

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :

مُحَمَّدُ بْنُ زُرَيْقٍ مَا نَرَى أَحَدًا
— إِذَا فَقَدْ نَاكَ يُعْطَى قَبْلَ أَنْ يَعِدَا
وَقَدْ قَصَّ دُنُوكَ وَالتَّرْحَالُ مُقْتَرَبٌ
وَالدَّارُ شَاسِعَةٌ وَالزَّادُ قَدْ نَفِدَا^(٣)
فَخَلَّ كَفَّكَ تَهْنِي وَائِنْ وَابِلَهَا
إِذَا اكْتَفَيْتُ وَإِلَّا أَغْرَقَ الْبَلَدَا^(٤)

(١) يقول : إن الشعر لم يكن سبب نومك هذا ، ولكن السبب أنك حسدتنى على شعري ، فمحقتك وأبطل وجودك حتى صرت كالعدم .

(٢) المرقد : ما إذا شربه الإنسان غلبه النوم . يقول : حين سمعت شعري ، نمت فكان ما سمعت منه بأذنك مرقد شربته بفيك ؛ وقوله مما سكرت : أى من أجل سكرك : أى خدرك وتفترق : فما ؛ مصدرية .

(٣) الترحال ؛ الرحيل ؛ والشسوع ؛ البعد ؛ ونفد ؛ فرغ .

(٤) همى الماء ؛ سال ، وثناه صرفه ورده ، والوابل ؛ المطر الغزير ؛ يقول : أطلق يديك هامية بالعطاء ، واصرف عني معظم مطرها إذا اكتفيت ، يعنى أن فى قليل عطائها غناء وكفاية ، ولا حاجة إلى كثيرها الذى هو كالوابل يفرق البلد .

وقال يمدح أبا عبادة بن يحيى البحرى :

ما الشَّوقُ مُقْتَنِمًا مِنِّي بذا الكَمَدِ حَتَّى أَكُونَ بِلاَ قَلْبٍ وَلَا كَبِدٍ ^(١)
ولا الدِّيارُ الَّتِي كَانَ الحَبِيبُ بِهَا تَشْكُو إِلَيَّ وَلَا أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ ^(٢)

(١) الكمد : الحزن مع الهم : يقول : إن شوقى إلى الأحبة لا يقنع منى بهذا الحزن الذى أنا فيه حتى يحرق كبدى ويوله عقلى فأصير مجنوناً ذاهب العقل .

(٢) اضطربت كلمة الشراح فى تأويل هذا البيت : فقال بعض الشراح : يعنى أن دار الحبيب لا تشكو إلى إذ لا نطق لها ، ولا أنا أشكو فيها إلى أحد إذ لم يبق بها ساكن ومن شأن المحزون أن يتأسى بسمع شكوى غيره ويرتاح إلى بث شكواه ، لأن الشكوى إذا ظهرت خف المصاب . وقال ابن جنى : المعنى لم يبق فى فضل للشكوى ، ولا فى الديار لأن الزمان أبلاها ، قال ابن فورجه : ذهب ابن جنى إلى أن تقدير الكلام : ولا الديار تشكو إلى ، وقد علم أن الديار كلما كانت أشد دثوراً وبلى : كانت أشكى ، لما تلاقى من الوحشة بفراق الأحبة ، فكيف جعل الديار لا فضل فيها للشكوى ؟ وشكواها ليست بحقيقية وإنما هى مجازية ، وإنما تكون على ما ذكر لو أن شكواها حقيقية وكانت تقصر عنها لضعفها وبلاها ، كما يصح ذلك فى العاشق ، كقول البيهقي .

لم يبقَ لى رَمَقَ أشكو إليك به وإنما يتشكى من به رَمَقَ
وأيضاً لو كان كما ادعى لم يكن لعطف هذه الجملة على قوله « ما الشوق ، مقتنماً » معنى
ولما عطفها عليها دل على أنها منها ؛ وإنما يعنى : لا الشوق يقنع منى بهذا الكمد ، ولا الديار التى كان الحبيب بها تقنع منى به . وتم الكلام بقوله : الحبيب بها ، ثم ابتدأ فقال هذه الديار تشكو إلى وحشتها بفراق أهلها ، ولا أنا أشكو إلى أحد : إما لجلدى ، أو لأنى كتوم لأسراى ، فيكون قد نظر إلى قول القائل :

فإنى مثْلُ ما تجدينَ وَجْدَى ولكنى أَسِرٌّ وَتُغْلِبِينِ

قال الواحدى : يمكن توجيه المعنى من غير أن يتم الكلام فى الصراع الأول ، وهو أن يكون : ولا تقنع الديار التى كان الحبيب بها يشكو إلى : أى يطلعنى على أمره ، وأنا لا أفنى سرى ، على رواية يشكو - بالياء - ومن روى بالتاء كانت الديار الشاكية : يريد بلسان الحال مادفت إليه من الوحشة والخلاء ، فتشكو : يريد به الحال لا الاستقبال ولا أشكو إلى أحد ، لأنه ليس بها غيرى .

ما زالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدْقِ يُنْجِلُهُمَا
وَالشَّقْمُ يُنْجِلُنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي ^(١)
وَكُلَّمَا فَاضَ دَمْعِي غَاضَ مُصْطَابِرِي ^(٢)
فَأَيْنَ مِنْ زَفَرَاتِي مَنْ كَلِفْتُ بِهِ ^(٣)
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَا ^(٤)
وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ

(١) الودق : الطر ، وهزيم الودق ؛ يريد سبحانه هزيم الودق ، وهو الذي لا يستمسك كأنه منهزم عن مائه : ويقال غيث هزيم ومنهزم ، وأكثر ما يستعملان في صفة السحاب . وهو الذي لرعده صوت : يقال سمعت هزيمة الرعد ، ولا يستعمل في صفة الودق . وفي معنى البيت يقول محمد بن بكار الموصلي :

يَا مَنْزِلًا ضَنْ بِالسَّلامِ سَقَيْتَ صَوْبًا مِنَ الْغَمَامِ
مَا تَرَكَ الْمَرْءُ مِنْكَ إِلَّا مَا تَرَكَ السَّقْمُ مِنْ عِظَامِي

ويقول ابن وهب :

لَيْسَا الْبَلِي فَكأنمَا وَجَدَا بَعْدَ الْأَحْيَةِ مِثْلَ مَا أَجَدَا

وقال البحتري :

حَمَلَتْ مَعَالِمُهُنَّ أَعْبَاءَ الْبَلِي حَتَّى كَأَنَّ نَحْوَهُنَّ نَحْوِي

(٢) غاض : نقص ؛ والمصطبر : الاصطبار ؛ والجلد : القوة والصبر . يقول : كأن دموعي جارية من جلدي ، لأنني كلما بكيت نقص صبري ، فكان دموعي من صبري .
(٣) الزفرات : الأنفاس الحادة ؛ وكلف به : أولع ؛ ومن زفراتي : متعلق بمعنى أين ، تقديره : أبعد حبيبي من زفراتي أم قريب ؟ . يقول : أين من عشقته وأولعت به من معرفة ما بي من الشوق إليه والحسرة على فراقه ؟ وأين تقع من صولتك أيها الممدوح صولة الأسد ؟ أنكر أن يعرف الحبيب حاله ، وأن تكون صولة الأسد كصولة الممدوح . وفيه من البديع حسن التخلص .

(٤) يقول : لما رجعت كفتك - وقد وضعت الدنيا وأهلها في الكفة الأخرى - علمت أن الرزانة للفضل ، لا للأشخاص : أي إذا رجع الواحد على الكثير كان ذلك الكثير قليلا بالمقياس إلى ذلك الواحد الراجح . قال البحتري :

مَا دَارَ فِي خَلَدِ الْإِيَّامِ لِي فَرَحٌ أبا عُبَادَةَ حَتَّى دُرَّتْ فِي خَلْدِي ^(١)
 مَلَكٌ إِذَا امْتَلَأَتْ مَالاً خَزَائِنُهُ أَذِقَهَا طَعْمَ مُكَلِّ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ ^(٢)
 مَا صِيَ الْجَنَانِ يُرِيدُ الْحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ بِقَلْبِهِ مَا تَرَى عَيْنَاهُ بَعْدَ غَدٍ ^(٣)
 مَاذَا الْبَهَاءُ وَلَاذَا الثُّورُ مِنْ بَشَرٍ وَلَا السَّمَّاحُ الَّذِي فِيهِ سَمَّاحُ يَدٍ ^(٤)

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتتْ لَدَى المجدِّ حَتَّى عُدَّ أَلْفُ بَوَاحِدٍ
 (١) الخلد : البال والروع . يقول : لم يقع في قلب الأيام أن تسرنى حتى وقعت
 أنت في قلبي أن أصمد إليك . والمعنى : ما أقبلت على الدنيا حتى أملتك وقصدتك . وهذا
 ينظر إلى قول الآخر :

إِنْ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِسَلْمِي لَزَمَانٌ بِهِمْ بِالْإِحْسَانِ
 (٢) الشكل : فقد الأم ولدها . جعل الجزائن كالأم ، والمال كالولد . يقول : إذا
 امتلأت خزائنه بالمال فرق بينه وبينها ، فكأنها أم فقدت ولدها ؛ وهذا كقول
 أبي نواس :

إِلَى فَتَى أُمِّ مَالِهِ أَبْدًا تَسْعَى بِحَيِّبٍ فِي النَّاسِ مَشْقُوقٍ
 (٣) الماضى : النافذ ؛ والجنان : القلب ؛ والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
 فيه بالثقة . يقول : إن حزمه في الأمور يريه في يومه ما يكون بعد الغد ، فيرى بقلبه
 ما تراه عينه بعد غد : يعنى أنه يفتن إلى الأشياء قبل حدوثها كما قال أوس بن حجر :
 الْأَلْمِيءُ الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
 ويقول أبو تمام :

وَلِذَاكَ قِيلَ مِنَ الظَّنُّونِ جَلِيَّةٌ حَقٌّ وَفِي بَعْضِ الْقُلُوبِ عُيُونٌ ^(١)
 ولقد كرر المتنبي هذا المعنى في شعره . والمراد بهذا كله : صحة الحدس وجودة الظن .
 (٤) ماذا : أى ليس هذا البهاء ولا هذا النور الخ . فماذا : مركبة من ما النافية وذا
 الإشارية ؛ والبهاء : الحسن ؛ وسماح : من رفعه فهو على جعل «ما» تيمية ؛ ومن رواء
 بالنصب جعله خبرا لما ، وهى مشبهة بليس . يقول : أنت أجل من أن تكون بشراً ،

(١) من مدحة له في الواثق . ولذلك : أى لأننا كنا رأينا فيه الخلافة وتفرسناها فيه .

أَيُّ الْأَكْفِ تُبَارِي الْغَيْثَ مَا اتَّفَقَا حَتَّى إِذَا افْتَرَقَا عَادَتْ وَلَمْ يَعُدْ^(١)
 قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مُضَرٍ
 حَتَّى تَبَخَّرَ فَهُوَ الْيَوْمَ مِنْ أَدَدٍ^(٢)
 قَوْمٌ إِذَا أَمْطَرَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمْ
 حَسِبَتْهَا سُحْبًا جَادَتْ عَلَى بَلَدٍ^(٣)
 لَمْ أَجِرْ غَايَةَ فِكْرِي مِنْكَ فِي صِفَةٍ
 إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ^(٤)

لأن ما نشاهده فيك من الحسن والنور لا يكون في بشر ، وليس سماحك سماح يد ، وإنما هو سماح غيث وبحر . وكل هذا مبالغة ، وفي معناه :

يَجْلُ عَنْ التَّشْبِيهِ لَا الْكُفَّ بَلَّةٌ وَلَا هُوَ ضَرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مَخْذُومٌ
 (١) باراه : عارضه وفعل مثل فعله . وقوله ما اتفقا : ما : مصدرية : أي مدة اتفاقهما ؛ وقد وقعت الجملة موقع الحال ، وضمير الثاني : يرجع إلى أي الكف والغيث ؛ يقول : أي كف سوى كف هذا المدحوب تبارى الغيث في الجود ما اتفقا ما طرين ، وإذا افترقا بإقلاع السحاب عادت الكف إلى عاداتها ولم يعد الغيث : يريد أن الغيث يمطر ثم ينقطع ، وكفه تجودولا ينقطع جودها ، فهي تزيد على الغيث . والمعنى أنها تعود إلى الجود وشيكا ، أما الغيث فلا يعود عوده ، لأنه قد ينقطع زماناً طويلاً .
 (٢) مضر : هو ابن نزار بن معد بن عدنان . وتبحر . انتسب إلى بني بختر ؛ وهم حى من طيء من عرب اليمن . وأدد : ابن قحطان أبو اليمن : يقول : كنت أظن المجد مضرباً حتى شله المدحوب إلى بني بختر ، فهو اليوم يبحر أددى .
 (٣) يريد بالموت : الدم ، لأن سفوح الدم يسبب الموت ، وإذا أمطرت السيوف الدم فقد أمطرت الموت . شبهها - وهي تمطر الدم - بالسحب تجود بالمطر .
 (٤) يقول : لم أفكر في صفة من صفاتك إلا وجدت غايتها لا تنتهي كغاية الدهر .

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

أَحَادُ أُمِّ سُدَّاسٍ فِي أَحَادٍ لِيُئِلَّتَنَا الْمُنُوطَةُ بِالتَّنَادِ^(١)

(١) أحاد : يريد أحاد ، خذف همزة الاستفهام للضرورة - وإن لم يكن بالفصح - وأحاد من الأبنية التي سمعت عن العرب ، ومثلها ثناء ، وثلاث ، ورباع ، وقاسه المولدون إلى العشرة ، قال الكمي :
فَلَمْ يَسْتَرِثُوكَ حَتَّى رَمَيْتَ فَوْقَ الرَّجَاءِ^(١) خِصَالاً عَشَاراً

(١) فوق الرجاء أى فوق الرجاء الذي كانوا يرجون أنك تبلغه

» من قصيدة للكميت يمدح بها أبان بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وقبله .

رَجَوَكَ وَلَمْ يَبْلُغِ الْعُمُرَ سَنَكَ وَلَا نَبْتَ فَيْكَ اتْفَارَا

لَأُدْنِي خَسَا أَوْ زَكَ مِنْ سَنِكَ إِلَى أَرْبَعِ قَبَقُونَ^(١) انتظارا

يقول : تبينا فيك السؤدد لسنة أو سنتين من مولدك فرجوا أن تكون سيداً أميراً مطاعاً رفيع الذكر ولم تبلغ عشر سنين . وقوله ولا نبت فيك اتفارا أى أنفرت ولم تنبت أسنانك بعد .

قال أهل اللغة : إذا سقطت روائح الصبي قيل ثغر فهو مشغور ، فإذا نبقت قيل : انفر ، وأصله انفر ، فقلت انشاء تاء ، ثم أدغمت .

وقوله : لأدنى خسا أوزكا ، فالخسا بفتح الحاء : الفرد « والزكا » بفتح الزاى : الزوج و « خسارة » و « زكا » يونان ولا يونان .

والمعنى : أنهم رجوك أن تكون كذلك لأقل ما يعبر عنه بخسا وزكا ، وهو سنة أو سنتان ، إلى أن صار لك أربع سنين ، فظهر للناس مادهم على ما رجوه منك وتفرسوك عند كمال سنك .

وقوله : فبقون ، أى : انتظروك ، يقال : بقوت الشيء إذا انتظرتة .

وانتظاراً منصوب بـ « بقون » لأنه فى معنى انتظروك انتظارا ، ومعنى يسترثوك يحدونك راثاً أى بطيئاً ، من « الريث » وهو البطء .

ورميت زدت ، يقال رمى على الحسين وأرمى ، أى زاد .

يقول : لما نشأت نشء الرجال ، أسرعت فى بلوغ الغاية التى يطلبها طلاب المعالى ، ولم يقنعك ذلك ، حتى زدت عليهم بشر خصال ، فقت السابقين وأياست الذين راموا أن يكونوا لك لاحقين

ولا يستعمل أحاد في موضع الواحد ، فلا يقال هو أحاد - أى واحد - إنما يقولون جاءوا أحاد : أى واحداً واحداً ، وكذلك سداس. واللييلة : تصغير ليلة ، والمراد بالتصغير ههنا : التعظيم ، على حد قول لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُونِيهِ تَصْفَرُ مِنْهَا الْأَنَامِلُ^(١)

(يعنى لبيد : الموت الذى هو أعظم الدواهي) والتنادى : يوم القيامة ، سمى كذلك لأن النداء يكثر في ذلك اليوم. قال الواحدى : أراد واحدة أمست في واحدة وست في واحدة - إذا جعلتها فيها كالشيء في الظرف ولم ترد الضرب الحسابى - سبع ، وخص هذا العدد لأنه أراد ليالى الأسبوع ، وجعلها اسبوعاً ليالى الدهر كلها لأن كل أسبوع بعده أسبوع آخر إلى آخر الدهر. يقول : هذه اللييلة واحدة أم ليالى الدهر كلها جمعت في هذه اللييلة الواحدة حتى طالوت وامتدت إلى يوم القيامة ؟ وعبارة بعض الشراح : يقول : إن هذه اللييلة منوطة بيوم القيامة ، فهي لطولها بمنزلة ليالى الدهر كلها ، إلا أن كل واحدة من تلك الليالى طويلة أيضاً حتى كأنها ست ليال في ليلة - أى سبع ليال - يعنى أن ليلته دهر بلياليه ، وكل ليلة منه أسبوع ، وهى نهاية البالغة في الطول . وقال ابن جني : يريد : ينادى أصحابه بما يهتم به ، ألا ترى إلى قوله :

✽ أفكر في معاقرة النايا ✽

وعلى هذا استطال اللييلة التي عزم في صباحها على الحرب ، شوقاً إلى ما عزم عليه ، وإنما حقر اللييلة لعظم طولها ؟ ومنه قول الحباب بن المنذر الأنصاري .

(١) قبله :

أَلَا تَسْأَلَانِ الْمَرْءَ مَاذَا يَحْأُولُ أَنَحْبُ فَيَقْضَى أَمْ ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ

أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ أَلَا كُلُّ ذِي لَبٍّ إِلَى اللَّهِ وَاسِلٌ

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

وقوله أنحب فيقضى ، فأنحب المنذر . يقول : أشيء أوجه على نفسه فهو بسى في قضائه أم ضلال ؟ .

كَأَنَّ بَنَاتِ نَعَشٍ فِي دُجَاهَا خَرَائِدُ سَافِرَاتٍ فِي حِدَادٍ^(١)
أَفْكَرُ فِي مُعَاقَرَةِ النَّأْيَا وَقَوْدِ الْخَلِيلِ مُشْرِقَةً لِهَوَادِي^(٢)

* أَنَا جُذَيْلُهَا الْحَكْلُكَ وَعُذَيْقُهَا الْمَرْجَبُ^(١)

أقول : وهذا البيت على غموضه وقبحه وأخطائه - لا يخرج عن معنى قوله :
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحُشْرِ آخِرُهُ
(١) بنات نعش : كواكب معروفة . وقوله في دجاءها : حال من بنات نعش ، عاملها
معنى التشبيه ، والضمير في دجاءها : لقوله ليلتنا . والخرايد : العذارى لم يمسسن ، أو
الحيات الطويلات السكوت ؛ والسافرات : الكاشفات عن وجوههن ؛ والحداد : ثياب
سود تلبس عند الحزن ؛ وقوله في حداد متعلق بسافرات ، أو حال من الضمير المستتر
فيها . شبه بنات نعش - وهى مضيئة في سواد الليل - بالحسان السافرات في اثياب السود
قال ابن جني : لما شبهن ببياض النجوم في سواد الليل كان حقّه أن يذكر جوارى أيضا .
والخرد ليس من البياض في شيء ، إلا أنه في الأمر الغالب إنما يكون للبيض دون السود
الآ ترى أن السود فيهن التبذل ؟ وأراد شيئا ، فذكر ما يصحبه مستدلا عليه ، فشبه
بنات نعش في ظلمة الليل بوجوه جوار سافرات في ثياب سود . قال الواحدى : ولملّه
أراد أن الحياء يكون في البيض دون السود ، والبيت من قول ابن المعتز :

وَأَرَى الثَّرَيَّا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا خُرُودٌ تَبَدَّدَتْ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ

(٢) معاقرة للنأيا : أى ملازمتها ، وأن يكون معها في عقر دارها ، وهو للمترك ،
يعنى ملازمة الحروب ، ومشرفة الهوادي : أى طوال الأعناق حال ، وهى نكرة ، لأن
اسم النمل إذا كان بمعنى الحال والاستقبال : لم يعرف بالإضافة إلى المعرفة ، لأن الإضافة
فيه ينوى بها الاتصال . يقول : طالت على هذه الليلة مما أفكر في الحرب ، وقود الخيل
إلى الأغداء .

(١) الجذل ههنا : الأصل من الشجرة ، تحتك به الإبل فتشتق به : أى قد جرتنى
الأمر ، ولّى رأى وعلم يشتق بهما ، كما تشتق هذه الإبل الجربى بهذا الجذل ؛ والعذيق .
تصغير عذق - بالفتح - وهو النخلة ، والترجيب : إرفاد النخلة من جانب لجنبها من
السقوط : أى أن لى عشيرة تضدنى وتمعننى وترفدنى .

زَعِمُ لِلْقَنَا الْخَطِيَّ عَزَمِي بَسَفِكَ دَمَ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي ^(١)
إِلَى كَمْ ذَا التَّخَلُّفُ وَالتَّوَانِي وَكَمْ هَذَا التَّمَادِي فِي التَّمَادِي ^(٢)
وَشُغْلُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي يَبْدِيعُ الشُّعْرِ فِي سُوقِ الْكَسَادِ ^(٣)
وَمَا مَاضِيَ الشَّبَابِ بِمُسْتَرَدٍّ وَلَا يَوْمٌ يَمُرُّ بِمُسْتَعَادٍ ^(٤)
مَتَى لَحِظْتُ بَيَاضَ الشَّيْبِ عَيْنِي فَقَدْ وَجَدْتُهُ مِنْهَا فِي السَّوَادِ ^(٥)

(١) زعيم : أى كفى ، خبر مقدم عن عزى . واقنا : الرماح . والخطى - النسوب إلى الخط - موضع باليمامة ؛ وقوله دم الحواضر والبوادي : أى دم سكانهما ، وهما جمع حاضرة وبادية ، والحاضرة : اسم يقع على المدن والقرى والريف ، ومساواها البادية ، وهى الصحراء . يقول : عزى كفى بسفك دم الناس جميعاً : حاضرم والباد .

(٢) التماذى فى الأمر : بلوغ مداه ، والتماذى فى التماذى : أن يتتابع تماذيه . يقول : إلى كم أتأخر عما أطلبه من المعالى وأقصر فى ذلك ؟ وإلى كم أتماذى فى التقصير تماذياً متتابعاً ؟

(٣) كسد الشيء : لم ينفق لقلة الرغبة فيه . يقول : وإلى كم أشغل نفسى عن طلب المعالى بنظم الشعر فى مدح من لا قيمة عنده للشعر :
(٤) هذا كما قال :

* ولكن ما يمضى من العيش فانت *

يريد التحضيض على طلب المعالى : أى أطلب الأهم فالأهم ، فإن أيامك لنهب عمرك . وروى ابن حنئ بمستفاد - بدل بمستعاد .

(٥) يقول : متى رأت عيني بياض الشيب فى شعري فكأنى وجدته فى سوادها كراهية له ، وإذا أبيض سواد العين عمى صاحبها ، فكأنه يقول الشيب كالمعى ؛ وعجالة ابن جنى : كأن مافى وجهه من الشيب ثابت فى عينيه ؛ وعجالة الخطيب التبريزى : إذا لحظت بياض الشيب ، فكأنما لحظت به بياضاً فى العين ، ولا يمكنه أن يلحظ سواد عينيه إلا فى المرأة ، ولولا أنه بين سواد العين للحل على سواد القلب لاحتماله ذلك . وهذا من قول أبى دلف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيضاء قَدْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي نَاضِرِ الْبَصَرِ
وَيَقُولُ أَبُو تَمَامَ :

لَهُ مَنَظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضُ نَاصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

مَتَى مَا زِدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهِي فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَرْضِي يَادِي^(١)
 أَرْضِي أَنْ أَعِيشَ وَلَا أَكْفَى عَلَى مَا لِلْأَمِيرِ مِنَ الْيَادِي^(٢)
 جَزَى اللَّهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ^(٣)
 فَلَمْ تَلَقَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنِّي وَفِيهَا قُوْتُ يَوْمٍ لِلْقُرَادِ^(٤)
 أَلَمْ يَكْ يَنْتَنَّا بَلَدًا بَعِيدٌ فَصَيَّرَ طُولُهُ عَرْضَ النَّجَادِ^(٥)
 وَأَبْعَدَ بُسْدَنَا بَعْدَ التَّدَانِي وَقَرَّبَ قُرْبَنَا قُرْبَ الْبِعَادِ^(٦)

(١) يقول : إذا بلغ الشباب نهايته ، فزيادة العمر بعد ذلك وفور نقصان لما هناك من ضعف الشيخوخة ؛ وهو معنى بديع تعاوره الشعراء ، قال عبد الله بن طاهر :
 إذا ما زَادَ عُمرُكَ كَانَ نَقْصًا ونقصانُ الحياةِ مَعَ التَّامِّ
 وقال آخر :

إذا اتَّسَقَ الْهَلَالُ وَصَارَ بَدْرًا تَبَيَّنَتِ الْحَقَاقُ مِنَ الْهَلَالِ
 (٢) الأيادي : النعم . يقول : كيف أَرْضَى بِحَيَاتِي وَلَا أَجْزَى الْمَدُوحِ عَلَى مَا لِعِنْدِي
 من سالف النعم التي أسداها إلى ؟

(٣) المزاد : جمع مزادة ، وهي قرية الماء . يقول : إن إِبْلِنَا قَدْ أَضْنَاهَا السَّيْرَ ، وَهَزَلَهَا
 حَتَّى تَرَكَهَا كَالْمَزَادِ الَّتِي كَانَتْ مَعَنَا وَنَفَدَ مَاؤُهَا ، بَجَفَتْ لَطُولُ السَّفَرِ ، وَعِبَارَةُ ابْنِ جَنَى :
 يريد : قد هزلها وأضناها السير حتى صارت كالزاد البالي ، لحذف الصفة ، قال ابن فورجه
 لا دليل على حذف الصفة ، وإنما أراد كالزاد التي نَحْمِلُهَا فِي مَسِيرِنَا إِذْ قَدْ خَلَّتْ مِنَ الْمَاءِ
 وَالزَادُ لَطُولُ السَّفَرِ . وَالْأَلْفُ وَاللَّامُ - فِي الْمَزَادِ - لِلْعَهْدِ ، وَالْمَعْنَى : إِنْ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ أَذْهَبَ
 لِحُومِ الْمَطَايَا ، وَأَفْنَى مَا تَزُودُنَا مِنْ مَاءٍ وَزَادَ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمَطَايَا لَحْمٌ ، وَلَا فِي الْمَزَادِ زَادٌ .
 (٤) العنسي : الناقة الصلبة . والقُرَادُ : دويبة تلزق بالابل ونحوها - كالقمل
 للإنسان - يقول : لم تصل ناقتي إلى هذا المدوح إلا بعد أن أنضاهما السير حتى لم يترك
 فيها من الدم ما يقوت القُرَادَ :

(٥) الضمير في صير : للمسير . والنجاد : حمائل السيف ، والمراد بالبلد هنا : المفازة
 يقول : إن المسير أدنانى إليه حتى لم يبق بيني وبينه إلا مقدار عرض حمائل السيف .
 وهو غاية القرب ؛ والعرب تقدر في القرب : بقباب القوس وحمائل السيف .
 (٦) الضمير في الفعلين للمسير ، والمصدر الاول - في كل من الشطرين - مفعول به

فَلَا حِشَّةُ أَعْلَى مَحَلِّي وَأَجْلَسَنِي عَلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ (١)
تَهَلَّلَ قَبْلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَالَّتِي مَالَهُ قَبْلَ الْوَسَادِ (٢)
تَلَوْمُكَ لِي عَلَى لَفْزِ ذَنْبٍ لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ (٣)
وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ هَبَاتِكَ أَنْ يُنْقَبَ بِالْجَوَادِ (٤)

والصدر الثاني : مفعول مطلق . يقول : إن السير أبعد ما كان بيننا من البعد ، فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا ، وقرب قربنا ، فجعله مثل قرب البعاد الذي كان بيننا : أي قربني إليه بحسب ما كان بيني وبينه من البعد ، فجعل البعد بعيداً عني وجعل القرب قريباً مني . وحاصل المعنى : أننا كنا في غاية البعد فصرنا في غاية القرب . قال العكبري : قال الحكميم أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام ، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تدانت الأجسام ، ثم قال العكبري : وأخذت المعنى فقلت :

وَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ قَلْبُهُ عِنْدَكَ نَازِحٌ وَكَمْ مِنْ بَعِيدٍ قَلْبُهُ بِكَ مُفْرَمٌ
(١) يقول : رفع منزلي في مجلسه حتى نلت من الرفعة ما كأني به فوق السموات السبع . والشداد : التقنية المحكمة الصنعة .
(٢) تهلل : تلاً وأوجه واستبشر برؤي . والوساد : ما يتسكا عليه . ومثل هذا قول الآخر :

إِذَا مَا أَنَاهُ السَّائِلُونَ تَوَقَّدَتْ عَلَيْهِ مَصَائِيحُ الطَّلَاقِ وَالْبِشْرِ
والمصراع الثاني من قول علي بن جبلة :
أَعْطَيْتَنِي يَا وَلِيَّ الْحَمْدِ مُبْتَدَأًا عَطِيَّةً كَافَاتٍ مَذْحِي وَلَمْ تَرْنِي
مَا شِئْتُ بَرَقَكَ حَتَّى نِلْتُ رَيْقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتُ بِالْجُدْوَى تَبَادَرْنِي
فَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى شُكْرَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلْقِيحُ مَذِجٍ وَنَجْوَى شَاعِرٍ فَطِنِ
شُكْرٍ لَتَعْجِيلِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ مَنِّ عِنْدِي وَشُكْرٍ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

(٣) زريت على العباد : أي حقرت أفعالهم ومناقهم بزيادتك عليهم .
(٤) هباتك . فاعل تجود ، وأن يلقب : مؤول بمصدر في موضع نصب بإسقاط حرف الجر . يقول : إن هباتك لا تجود على أحد بلقي الجواد لأنه لا يستحق هذا اللقب غيرك لأن جودك فوق كل جود .

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الْإِسْلَامُ تَخَشَّى إِذَا مَا حُلْتَ حَاقِبَةً ارْتَدَّادٌ^(١)
كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عُمُونَ ، وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رُقَادٍ^(٢)
وَقَدْ صُفَّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادٍ^(٣)

(١) حلت : تحولت وتغيرت . يقول : إنك تدين بالسخاء وتستفده كما تدين بالإسلام وتعد تحولك عنه كأنه الردة ، فتخاف هذا التحول كما تخاف الردة التي عقابها القتل ودخول النار . وهذا كقول أبي تمام :

مَضَوْا وَكَأَنَّمَا الْمَكْرُمَاتُ لَدَيْهِمْ - لِكثْرَةِ مَا أَوْصَوْا بِهِمْ - شَرَائِعِ
ثُمَّ قَلْبُهُ قَقَالٌ :

كَرَّمٌ تَدِينُ بِمَحْلُوهٍ وَيَمُرُّهُ فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْحِيدِ
(٢) الهام : الرؤوس ، والهيجا : من أسماء الحرب ؛ تمد وتقصر ، وطبع السيف : طريقه وعمله . جعل الرؤوس في الحرب كالعيون ، وجعل سيوفه كالرقاد . يقول : إن سيوفك لاتقع إلا على الهام ولا تغل إلا في الرؤوس : كالنوم محله في الجسد : العين . أو تقول : إن سيوفك ألقت الرؤوس ألقت الرقاد للعين ، فلا تغل إلا فيها ، وعبرة الخطيب التبريزي : سيوفك كالرقاد ، فلا تمنع منه العيون ، بل تطأ عليها : حبت أم كرهت .
(٣) الأسننة : نصال الرماح . ويخطر : إما بضم الطاء على إرادة المموم ، وإما بكسرها على إرادة الرماح . يقول : إن أسنتك لاتقع إلا في قلوب أعدائك ، كأنها المموم لاهل لها غير القلوب ، والبيت منقول من قول أبي تمام :

كَأَنَّهُ كَانَ تَرَبَّ الْحَبِّ مُذْ زَمَنِ فَلَيْسَ يَحْجُبُهُ خِلْبٌ وَلَا كَيْدٌ^(١)
وفي معنى البيت يقول دجبل في سيدنا علي :

كَأَنَّ سِنَانَهُ أَبْدًا ضَمِيرٌ فَلَيْسَ لَهُ عَنِ الْقَلْبِ انْقِلَابٌ
وَصَارِمُهُ كَبَيْعَتُهُ بِحُمٍّ فَوْضِعُهَا مِنَ النَّاسِ الرَّقَابُ^(٢)

(١) الخلب : حجاب القلب ، وقيل حجاب ما بين القلب والكبد ، ومنه قيل للرجل الذي يحبه النساء إنه لخلب نساء : أي يحبه النساء .

(٢) خم — بضم الخاء ، وقيل بفتحها — موضع بالجلفة ، بين مكة والمدينة ، قضبت فيه عين هناك .

وَيَوْمَ جَلَبَتْهَا شُعَثَ النَّوَاصِي مُعَقَّدَةَ السَّبَابِبِ لِلطَّرَادِ (١)
وَحَامَ بِهَا الْمَلَاكُ عَلَى أَنْاسٍ لَهُمْ بِاللَّادِقِيَّةِ بَنَى عَادِ (٢)
فَكَانَ الْغَرْبُ بَحْرًا مِنْ مِيَاهٍ وَكَانَ الشَّرْقُ بَحْرًا مِنْ جِيَادِ (٣)
وَقَدْ خَفَقَتْ لَكَ الرَّايَاتُ فِيهِ
فَظَلَّ يَمُوجُ بِالْبَيْضِ الْحِدَادِ (٤)

ويقول منصور النمرى :

وَكُنْ مَوْقِعُهُ بِمُجْمَعَةِ الْفَتَى سُكْرُ الْمَدَامَةِ أَوْ نُعَاسُ الْمَاجِعِ
ويقول مهلهل :

الطَّاعِنُ الطَّمَنَةَ النُّجْلَاءُ تَحْسَبُهَا نَوْمًا أَنَاخَ بِحَفْنِ الْعَيْنِ يُفْهِمُهَا
بِلَهْذَمٍ مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ صِيغَتُهُ فَلَيْسَ يَنْفَكُ يَجْرِي فِي مَجَارِيهَا

(١) الضمير في جلبتها : للخيول ، وإن لم يجر لها ذكر . لدلالة القرائن عليها ؛
والأشعث : الغبر ، والنواصي : جمع ناصية ، وهى شعر مقدم الرأس وجعلها شعث
النواصي لمواصلة السير عليها والحرب والغارة ؛ والسباب : شعر العرف والذنب . وهذا
الشعر يعقد عند الحرب ، كما قال :

عَقَدُوا النَّوَاصِيَ لِلطَّمَانِ فَلَا تَرَى فِي الْخَيْلِ - إِذْ يَمْدُونَ - إِلَّا أَنْزَاعًا

وقوله ويوم إلخ : أى أذكرك ذلك اليوم ، قال العكبرى : المعنى ويوم جلبت الخيل
للقتال مغبرة من كثرة الطراد عليها ، وقد عقدت نواصيها وأذناها ، يومئذ ظفرت
بمطلوبك من الأعداء .

(٢) حام : دار ، من قولهم : حام الطير حول الماء : أى دار حوله ليشرب منه ؛
والباء في بها : متعلقة بحام والضمير : للخيول ، والبني الظلم : يقول : دار الهلاك
بخيالك على أناس بغوا باللاذقية وظلموا ظلم عاد وعصوا عصيانهم .

(٣) يقول : إن الأعداء وقعوا بين بحرين : أحدهما من الجانب الغربى ، وهو بحر
الماء — لأن اللاذقية على ساحل البحر — والآخر من الجانب الشرقى ، وهو جيش
المدوح ، شبه الخيل بالبحر لكثرتها ولما فيها من بريق الأسلحة .

(٤) فيه : أى في بحر الجياد ، والبيض : السيوف ، والحداد : الرقاق ، يقول
اضطربت الأعلام في هذا البحر — بحر الجياد — وتحركت لك — لا عليك —
فظل ذلك البحر يموج ويتحرك بالسيوف .

لَقَسَّوْكَ بِأَكْبَدِ الْإِبِلِ الْأَبَايَا فَسَقْتَهُمْ وَحَدَّ السَّيْفِ حَادٍ^(١)
 وَقَدْ مَزَّقْتَ ثَوْبَ النِّعَى عَنْهُمْ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُمْ ثَوْبَ الرِّشَادِ^(٢)
 فَمَا تَرَكَوْا الْإِمَارَةَ لِاخْتِيَارٍ وَلَا انْتَحَلَوْا وِدَادَكَ مِنْ وِدَادٍ^(٣)
 وَلَا اسْتَفَلَوْا زُهْدٍ فِي التَّعَالَى وَلَا انْقَادُوا سُورًا بِاِقْيَادٍ^(٤)
 وَلَكِنْ هَبَّ خَوْفُكَ فِي حَشَائِهِمْ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي رَجُلِ الْجِرَادِ^(٥)
 وَمَاتُوا قَبْلَ مَوْتِهِمْ فَلَمَّا مَنَنْتَ أَعَدْتَهُمْ قَبْلَ الْمَعَادِ^(٦)
 غَمَدَتِ صَوَارِمًا لَوْ لَمْ يَتُوبُوا مَحْمُوسَةً بِهَا نَحْوُ الْمَدَادِ^(٧)

(١) الأبَايَا : جمع الآية ، أى الآية الممتعة . يقول : لتوك عاصين غليظة أكبادهم
 كما كباد الإبل التى تأبى على أربابها ولا تنقاد لهم ، فذللتهم وسقمتهم أمامك كما تساق
 الإبل ، وحادهم الذى يسوقهم هو حد سيفك ، والإبل توصف بغلظ الكبد كما قال :
 * لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

(٢) يقول : أخرجتهم من صلال العصية إلى رشد الطاعة . وفيه من البديع المقابلة
 بين النى والرشاد .

(٣) استعمل الشيء : ادعاه . يقول : إنك اضطرتهم إلى ترك الإمارة فتركوها
 خوفاً ، وادعوا حبك ادعاء ، لا لأنهم يودونك حقيقة .

(٤) استفلوا من السفال : أى تسفلوا وانخطوا ؛ وانقادوا : أطاعوا .

(٥) هب : ثار واضطرب . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . والرجل من الجراد
 القطعة منه . يقول : إنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك رغبة في فعله ولكن لأن ريح الخوف
 عصفت بهم وفرقتهم كما تفرق الريح رجل الجراد .

(٦) يقول : ماتوا خوفاً منك قبل أوان موتهم ، فلما مننت بالعمو عنهم كان ذلك
 إحياء لهم قبل يوم البعث : وهذا منقول من قول أبى تمام .

مَعَادِ الْبُعْثِ مَعْرُوفٌ وَلَكِنْ

نَدَى كَفَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعَادِي

(٧) الصوارم : السيوف القواطع . والمداد : الخبر ، بقول : سللت عليهم سيوفاً ،
 فلما عفوت عنهم أعمدتها ، ولو لم يتوبوا وينقادوا لك لهُونهم نحو المداد .

وَمَا الْغَضَبُ الطَّرِيفُ وَإِنْ تَقَوَّى
بِمُنْتَصِفٍ مِنَ الْعُكْرَمِ التَّلَادِ (١)
فَلَا تَقْرُوكَ أَلْسِنَةُ مَوَالٍ تَقْلِبُنَّ أَفْئِدَةً أُعَادِي (٢)
وَكُنْ كَالْمَوْتِ لَا يَرْنِي لِبَاكِ بَكَى مِنْهُ وَيَرَوَى وَهُوَ صَادٍ (٣)
فَإِنَّ الْجَرْحَ يَنْفِرُ بَعْدَ حِينٍ إِذَا كَانَ الْبِنَاءُ عَلَى فَسَادٍ (٤)
وَإِنَّ الْمَاءَ يَجْرِي مِنْ جَمَادٍ
وَإِنَّ النَّارَ تَخْرُجُ مِنْ زِنَادٍ (٥)

(١) الطرّيف : المستحدث . وانتصف منه : استوى حقه ، والتلاد : القديم . يقول
إن الغضب الحادث وإن كان قويا نزاعا إلى الانتقام لا يغلب الكرم القديم الذى يقتضى
العفو والصفح ، فلا ينتصف منه باستيفاء حق الانتقام .

(٢) موال : جمع مولى ، وهو الولي والصديق . يقول : إن ألسنتهم تظهر لك
المودة والمحبة وقلوبهم تغمر لك العداوة ، يريد لا تغتر بذلك ، لأن تلك الألسنة الموالية
تقلبها أفئدة معادية .

(٣) رثى له يرثى : إذا رحم : وأنسدى : العطشان . يقول : كن قاسياً عليهم
كالموت لا يرحم الباكي من خوفه ؛ ويروى بما يشرب من الدماء وهو مع ذلك عطشان
لحرصه على الإهلاك . وقال ابن جني : كأنه لطلبه الشرب بعد الرى صاد ، أى لطلب
النفس ؛ ومعنى يروى : ينال مالهو أدركه لروى ؛ وفي معناه :

* كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِىٌّ وَلَا شَيْعُ *

(٤) نفر الجرح : هاج وورم بعد البرء . وقوله إذا كان البناء على فساد : أى إذا
ثبت اللحم على ظاهره وله غور فاسد . يقول : إنهم يطوون العداوة فى أنفسهم إلى أن
تمكنهم الفرصة . وهذا من قول البحرى :

إِذَا مَا الْجَرْحُ رُمَّ عَلَى فَسَادٍ تَبَيَّنَ فِيهِ تَقْرِيطُ الطَّيِّبِ
قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : إذا كان البناء على غير قواعد كان الفساد
أقرب إليه من الصلاح .

(٥) الجماد : الصخر ؛ والزناد : جمع زند ، وهو العود الذى تقدح بالنار .
يقول : إن العداوة تكمن فى اللوداد كمن النار فى الزناد والماء فى الجماد . كما قال
نصر بن سيار :

وَكَيْفَ يَبِيْتُ مُضْطَجِعًا جَبَانٌ فَرَشْتَ لَجْنِبِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ (١)
 يَرَى فِي النَّوْمِ رُمَحَكَ فِي كَلَاهُ وَيَخْشَى أَنْ يَرَاهُ فِي الشَّهَادِ (٢)
 أَشْرْتَ أَبَا الْحَسَنِ بِمَذْحِ قَوْمِ
 نَزَلْتُ بِهِمْ فَسِرْتُ بِغَيْرِ زَادِ (٣)
 وَظَنُّونِي مَدَحْتُهُمْ قَدِيمًا وَأَنْتَ بِمَا مَدَحْتُهُمْ مُرَادِي (٤)

وَإِنَّ النَّارَ بِالزَّانِدِينَ تُورِي وَإِنَّ الْفِعْلَ يَقْدُمُهُ الْكَلَامُ
 وكل هذا تحذير له من أعدائه ، أن لا يفعل عنهم ، وإن لم يكونوا أكفاء له .
 وعبرة ابن جني : الأشياء تكن وتستتر ، فإذا استترت ظهرت .
 (١) يريد بالجبان : عدوه ؛ والقناد : شجر له شوك . يقول : إن خوفه إياك
 يحول دون نومه ، كما لو فرشت له شوك القناد ، وعبرة بعض الشراح كيف يبيت عدوك
 مضطجعا . وكما ألقى جنبه للنوم وجد نفسه يتقلب على مثل شوك القناد ، من خوفك .
 يعني : أنه لا يزال متيقظا لك لا يأخذه نوم عن محاولة الكيد لك ودفع خوفك عنه .
 (٢) يقول : لشدة ارتياعه وذعره يراك في نومه كأنك طعنت كليتيه برمحك ، فهو
 يخشى أن يرى ذلك في اليقظة ، كما قال أشجع السلي :
 وَطَى عَدُوَّكَ يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصْدَانِ ضَوْءِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ
 فَإِذَا تَنَبَّ رُعْتَهُ وَإِذَا غَفَا سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيْوْفُكَ الْأَحْلَامِ

ولقد قصر أبو الطيب في تعبيره عن اليقظة بالسهاد ، لأن السهاد امتناع النوم ليلا ،
 ولا يسمى المتصرف بالنهار ساهدا .
 (٣) و (٤) يقول : مدحت قوما أشرت على — يا أبا الحسين — بأن أمدحهم ،
 فما كان إلا أن فارقتهم دون أن يزودوني شيئا ، وظنوا أني كنت أمدحهم وأثنى عليهم
 بذلك المديح ، مع أني إنما كنت أعنيك أنت بذلك المدح والثناء . وفي هذا المعنى
 يقول أبو نواس :

وإِنْ جَرَتْ الْأَلْفَاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي تَنْفَعِي
 ويقول كثير :

مَتَى مَا أَقْلُ فِي آخِرِ الدَّهْرِ مِدْحَةً فَمَا هِيَ إِلَّا لِابْنِ لَيْلَى الْمَكْرَمِ
 وقد ذهب إليازجي — بعد أن اعترف بأن الرواية أشرت : بفتح الشين والياء

وَإِنِّي عَنْكَ بَعْدَ غَدٍ لَعَادٍ
وَقَلْبِي عَنْ فَنَائِكَ غَيْرُ غَادٍ^(١)
مُحِبُّكَ حَيْثُمَا اتَّجَهْتُ رِكَابِي
وَضَيْفُكَ حَيْثُ كُنْتُ مِنَ الْبِلَادِ^(٢)

— إلى أن الأظهر أن تكون بكسر الشين وضم التاء ، من الأشهر ، وهو الفرح بالشيء والاعتزاز به ، كأنه يقول : إني اغتررت بمدحهم فلم أنل منهم شيئاً ، وهو حسن في ذاته ، إلا أنه يفتقر إلى ثبوت .

(١) العدو الذهاب صباحاً ، ثم كثر حتى استعمل في مطلق الذهاب : أي وقت كان والفناء : الساحة والمزل . يقول : إني مرتحل عنك ، وقلبي مقيم عندك . قال العكبري وما أحسن ما قال عن فنائك ولم يقل عنك . وهذا كقول أبي تمام :

مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَعْتُ رِكَابِي فِي الْبِلَادِ
(٢) يقول : حيثما توجهت فأنا محبك ، وحيثما كنت فأنا ضيفك ، لأنني إنما آكل مما أعطيتني وزودتني ، وهذا من قول أبي تمام :

وَمَا سَافَرْتُ فِي الْأَفَاقِ إِلَّا وَرَيْنَ جَدِّكَ رَاحِلَتِي وَزَادِي

وقال يمدح بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، وهو يومئذ يتولى حرب طبرية
من قبل أبي بكر محمد بن رائق سنة ٣٢٨

أَحْلَمًا نَرَى أُمَّ زَمَانًا جَدِيدًا أُمُ الْخَلْقِ فِي شَخْصٍ حَتَّى أُعِيدَا^(١)
تَجَلَّى لَنَا فَأَضَاءَنَا بِهِ كَأَنَّا نُجُومٌ لَقِينَا سُوءًا^(٢)
رَأَيْنَا بِيْذِرٍ وَأَبَاءَهُ بِيْذِرٍ وَلُودًا وَبَذْرًا وَلِيدًا^(٣)

(١) أم الأولى : متصلة معادلة للهمزة على معنى أى ، كأنه قال : أى هذين نرى ؟
فهو الآن مدح وقوع أحدهما لا محالة ؛ فجرى ذلك مجرى قولك أزيداً ضربته أم عمرأ :
أى لست أشك فى ضربك أحدهما ، ولكن أيهما هو . وأم — الثانية — منقطعة ،
وهى للاضراب — بمعنى بل — مع الاستفهام ؛ والخلق : مبتدأ ؛ وجملة أعيدا : خبر
يتعجب من جمال زمان المدوح . يقول : أهذا الذى نراه حلم أم صار الزمان جديداً ؛
فهو غير ما نعهده ؟ وانقطع الاستفهام ثم قال : بل أعيد الخلق — الذين ماتوا من قبل
— فى شخص رجل حتى — وهو المدوح — أى جمع فيه ما كان لهم من الفضائل
والكآرام وسائر المعاني المحمودة ، فكأنهم أعيدوا فى شخصه ، كما قال أبو نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ

(٢) أضاء : يكون لازماً ومتعدياً . يقول : ظهر لنا هذا المدوح فسرنا به فى
الضوء : يعنى أعدتنا سعادته ، كالنجوم التى تسعد بروجها ،

(٣) ولوداً : أى والدآ ؛ ووليداً : أى مولوداً . يقول : رأينا برؤية بدر بن عمار
بدرأ مولوداً ، وبرؤية آبائه والدآ لبدر ؛ وعبارة الواحدى : رأينا برؤية بدر وآبائه
والدآ للقمر وقرأ مولوداً . جعله فى الضياء . والشهرة والعلو والحسن كالقمر ، والقمر
لا يكون مولوداً ولا والدآ ، فجعله كالقمر المولود وآباه كالوالد للقمر ، وعنى بالبدرين
الآخرين : قمرين ، ولو أراد بهما اسم المدوح : لم يكن فيه مدح ولا صفة . قال :
ويقال الإشارة فى هذا إلى أن المدوح فيه معانى البدور من الضوء والحسن والكمال
لا معانى بدر واحد . وعبارة ابن جنى : رأينا هذا المدوح وآباه قد ولد منه قمر فى
الحسن ، فكأنه قد صار للقمر والدآ ؛ ورأينا هذا المدوح قرأ وليداً ، والبدر
لا يكون والدآ ولا مولوداً حقيقة ، ولكنه أراد الإغراب وحسن الصنعة فكأنه قال
أنت قمر وأبوك أبو القمر .

طَلَبْنَا رِضَاهُ بِتَرْكِ الَّذِي رَضِينَا لَهُ فَتَرَكْنَا السُّجُودَ^(١)
 أَمِيرُ أَمِيرٍ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بِخَيْلٍ بَأْنٍ لَا يَجُودُ^(٢)
 يُحَدِّثُ عَنْ فَضْلِهِ مُكْرَهَا كَانَ لَهُ مِنْهُ قَلْبًا حَسُودًا^(٣)
 وَيُقَدِّمُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَفِرَّ وَيَقْدِرُ إِلَّا عَلَى أَنْ يَزِيدَ^(٤)

(١) يقول : رضينا أن نسجد له لا مستحقاه غاية الخضوع منا له ؛ فلم يرض ذلك ؛ فتركنا ما رضينا له — وهو السجود — طلباً لرضاه .

(٢) أمير خبر مبتدأ محذوف أى هو أمير ؛ وأمير الثانى خبر مقدم والندى مبتدأ مؤخر . أى هو أمير ، الندى أمير عليه ، أى ملك عليه أمره فلا يعصيه ، أى لا يكون بخيلاً البتة ؛ ثم قال : وهو جواد بكل شئ إلا بأن يترك الجود ، فإنه لا يجود بهذا الترك والصراع الأول من قول النمرى :

وَقَفْتُ عَلَى حَالِيكَمَا فَإِذَا النَّدَى عَلَيْكَ — أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ — أَمِيرٌ
 وَقَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

إِلَّا إِنْ النَّدَى أَضْحَى أَمِيرًا عَلَى مَالِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ

(٣) يقول : لا يحب أن يمدحه أحد بحضرته تنزهاً عن ذلك المدح ، كأن له من نفسه قلباً يحسده ، فلا يحب إظهار فضله ومناقبه ، كما قال :

أَنَا بِالْوُشَامِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُ تَأْتِي النَّدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَكْرُهُ
 وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

وَكَاثِمًا نَافَسْتُ قَدْرَكَ حَظُهُ

وَحَسَدْتُ نَفْسَكَ حِينَ أَنْ لَمْ تُحْسَدِ

اجتمع التنبي وأبو تمام في حسد النفس والقلب ؛ فأبو تمام يقول كأنك نافست قدرك وحسدت نفسك فطفت تباهى في الشرف ، وتزيد على كل غاية تصل إليها ، وإن كنت مفرداً فيها ليس لك فيها شريك ؛ وأبو الطيب يقول : كأن قلبك يحسبك على فضائلك ، فهو يكره أن تشتغل بذكرها ، وهذا نوع آخر من المديح لكنهما اجتماعاً في حسد النفس والقلب .

(٤) يقول : يقدم على كل عظيم إلا على الفرار في الحرب ، فهو أهول عنده من كل

كَأَنَّ نَوَالَكَ بَعْضُ الْقَضَاءِ فَمَا تُعْطِي مِنْهُ نَجْدُهُ جُدُوداً^(١)
وَرُبَّتِمَا حَمَلَتْهُ فِي الْوَعَى رَدَدَتْ بِهَا الذُّبْلَ السَّمْرَ سُوداً^(٢)
وَهَوْلٍ كَشَفَتْ وَنَضَلٍ قَصَفَتْ وَرُمَحٍ تَرَكْتَ مُبَاداً مُبِيداً^(٣)
وَمَالٍ وَهَبْتَ بِلَا مَوْعِدٍ وَقِرْنٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِ الْوَعِيدُ^(٤)

كل هول ؛ ويقدر على كل صعب إلا على أن يزيد على ما هو عليه من علو الشأن وجلال
القدر ، فإنه لا غاية له ورأه ، وهذا من قول أبي تمام :

فلو صورتَ نفسك لم تَزِدْهَا على ما فيك من كرم الطبع
(١) النوال : العطاء ؛ والجُدود : جمع جد ، وهو البخت والسعد . يقول : كأن
عطاءك مشتق من القضاء ، فإذا وصلت أحداً يبر سعد يبرك فصار برك حظاً له . قال
الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أن القضاء سعد ونحس ، ونوالك سعد كله ، فهو
أحد شقي القضاء .

(٢) التاء - في ربّما - للتأنيث وما زائدة ، والذبل : جمع ذابل ؛ والذبل السمر :
الرماح . يقول : رب حملة لك على أعدائك في الحرب رددت بها رماحك السمر سوداً :
أى لطحنتها بالدماء حتى جفت عليها فاسودت ، والدم إذا جف اسود .

(٣) وهول : عطف على حملة . يقول : ورب هول كشفته عن صجك بنجذتك ،
ورب سيف كسرت به قوة ضربتك ، ورب رمح أتلفته بالطنن في الأضلاع وقد أتلف
نفس الملعون . فقوله مباداً مبيداً : حالان من الرمح ، ومثل هذا المعنى في السيف
قول البعيث :

وَأِنَّا لَنُعْطِي الْمَشْرِفِيَّةَ حَقَّهَا فَتَقَطَّعُ فِي أَيْمَانِنَا وَتَقَطَّعُ
ويقول أبو تمام :

وما كنتَ إلا السَّيْفَ لاقِي ضَرِيبةً فَتَقَطَّعَهَا ثُمَّ انْتَنَى فَتَقَطَّعَهَا
(٤) القرن : الكفو في الحرب ، يقول رب مال وهبته بغير موعد ، بل تعطيه
ابتداء ؛ ورب كفؤ لك في الحرب : سبقت إليه من غير تهديد ، وهذا كقوله :
لقدْ حالَ بالسَّيْفِ دُونَ الْوَعِيدِ وَحَالَ عَطَايَاهُ دُونَ الْوَعْدِ

بِهَجْرٍ سِيُوفِكَ أَعْمَادَهَا تَمَتَّى الطَّلَى أَنْ تَكُونَ الْقُمُودَا^(١)
إِلَى الْهَامِ تَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ تَرَى صَدْرًا عَنْ وَرُودٍ وَرُودَا^(٢)
قَتَلْتَ نَفُوسَ الْعِدَا بِالْحَدِيدِ حَتَّى قَتَلْتَ بَيْنَ الْحَدِيدَا^(٣)
فَأَنْقَذْتَ مِنْ عَيْشِهِنَّ الْبَقَاءَ وَأَبْقَيْتَ مِمَّا مَلَكَتِ النَّفُودَا^(٤)
كَأَنَّكَ بِالْفَقْرِ تَبْنِي الْغِنَى
وَبِالْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ تَبْنِي الْخُلُودَا^(٥)

(١) الطلا : الأعناق ، والعمود : جمع غمد ، جفن السيف . يقول : إن سيوفك لأنها لاتقتر عن ضرب الأعداء وممارسة الحروب - تبقى أبدأ هاجرة أعمادها ، ومن ثم تسمى الاعناق أن تكون أعمادا لها حتى تنال من الهجر مانالت الأعماذ : أى حتى تهجرها السيوف ولا تجتمع معها أبدا . وهو معنى دقيق رائع .

(٢) الهام : الرؤوس يقول : إن سيوفه لاتعود إلى أعمادها أصلا فقد هجرتها إلى الرؤوس لأنها أبدأ تصدر عن رأس لترد رأسا غيره ، فيكون صدورها عما وردت عليه ورودا على مثله . قوله إلى الهام : متعلق بهجر في البيت السابق - أى بهجر سيوفك أعمادها إلى الهام ، ويكون البيت مضمنا . ولك أن تجعلها متعلقة بتصدر الواقعة حالا : أى صادرة عن مثل ما هجرت إليه : والصدر - فى الأصل - صدور الشاربة عن الماء بعد الرى ، والورود عكسه ؟ وصدرا وورودا : مفعولان لترى ، وورود : متعلق بصدر : (٣) يقول : مازلت تقتل الناس بالسلاح حتى قتلت السلاح بين : أى كسرتة وثلمته وهذا مثل قول أبى تمام :

وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّمْرُ
(٤) أنقذت : أفنيت ؟ والنفود : الفناء ؛ والضمير فى عيشهن : لنفوس الأعداء وأفنيت بقاء نفوس الأعداء : أى أهلكهم بإحلال آجالهم ، وأبقيت نفود المال الذى تملك : أى أتلفته حتى لم يبق منه إلا العدم . يقول : إنك أهلكك أعداءك وفرقت أموالك .

(٥) يقول : لإفراط سرورك بالعطاء وبذل المال كأنك تبني بذلك الغنى ؛ لأنك تسر بما تعطيه سرور غيرك بما يأخذه . فكأن الفقر عندك هو الغنى ، وكأن الموت فى الحرب خلود فلا تنفك تسعى إليه .

خَلَائِقُ تَهْدِي إِلَى رَبِّهَا وَآيَةُ تَجْدٍ أَرَاهَا الْعَبِيدَ^(١)
 مُهَذَّبَةٌ حُلُوةٌ مُرَّةٌ حَقَرْنَا الْبَحَارَ بِهَا وَالْأُسُودَ^(٢)
 بَعِيدٌ عَلَى قُرْبِهَا وَضَفْهَُا
 تَقُولُ الظُّنُونُ وَتُنْضِي الْقَصِيدَ^(٣)
 فَأَنْتَ وَحِيدُ بَنِي آدَمَ وَلَسْتَ لِفَقْدِ نَظِيرٍ وَحِيدًا^(٤)



(١) فاعل أراها : ضمير يعود إلى الرب . يقول : هذه خلائق — يعني ما ذكر في الآيات السابقة — يستدل بها على قدرة خالقها ؛ إذ هي أخلاق عجبة لا يقدر عليها إلا الله الواحد اأقادر ، وهي آية مجد أراها الله عباده حتى يستدلوا بها على المجد والعلاء أو تقول : هذه خلائق من الكرم والفضل والإقدام ومحاسن الشيم تدل على ربها : أى صاحبها ، وهو المدوح ، وتدعو إلى معرفته ؛ وآية مجد أراها العباد كي يهتجوا منهجه .

(٢) يقول : هذه الخلائق مهذبة لاعيب فيها ، حلوة للأولياء بما تنبثق به عليهم من النعماء ، مرة على الأعداء بما تنصب عليهم من النعمة والأواء ؛ ولقد حقّرنا بها الأسود والبحار لأنك تربو عليهما في الشجاعة والسخاء .

وقال ابن جني : حلوة : فكل أحد يشقها ويستحسنها ، ومرة : لأن الوصول إليها صعب لبذل المال والمخاطرة بالنفس ، وحقّرنا البحار لإفراط سخائك والأسود لإفراط إقدامك .

(٣) بعيد : خبر مقدم ؛ ووصفها مبتدأ مؤخر ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وغالها أهلكه . وأنضاء : هنزله . يقول . إن وصف أخلاقك بعيد مع قربها منا ، لأننا نراها ، ولكن لا نقدر على وصفها ؛ إذ أن الظنون تهلك دون إدراك غايتها ، ويهزل الشعر إعياها قبل الوصول إلى حقيقتها .

(٤) يقول : أنت وحيد لأنه وجد لك نظير قديما ثم فقد ، وإنما لأنه لم يوجد لك نظير ألبتة في بني آدم . وعبرة الواحدى : لم تصر وحيدا ، لأنك فقدت نظيرا كان لك ، بل أنت وحيد لم تزل ، والوحدة لازمة لك ، فهي صفة لك ، وقال غيره : أنت وحيد بني آدم في كل خلائقك ، ولست بواجد لك نظيرا ، فلست مفردا من قعدك للنظير ، فأنت غير منفك من هذه الحال : أى أنت وحيد لم تزل

وقال لما استعظم قوم ما قاله في آخر مرثية جدته :

يَسْتَعْظِمُونَ أَيْيَاتًا نَأَمْتُ بِهَا لَا تَحْسُدَنَّ عَلَيَّ أَنْ يَنْأَمَ الْأَسَدُ (١)
لَوْ أَنَّ نَمَّ قُلُوبًا يَفْقَهُونَ بِهَا أَنْسَاهُمُ الذُّعْرُ مِمَّا تَحْتَهَا الْحَسَدُ (٢)

وقال يمدح محمد بن سيار بن مكرم التميمي :

أَقْلُ قَمَالِي بَلَّةَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ

وَذَا الْجَدُّ فِيهِ نِلْتُ أُمَّ لَمْ أَنْلَ جَدُّ (٣)

(١) آيات : تصغير آيات ، صغرها تحقيرا لها . ونأم الأسد زار : والأسد مفعول تحسدن ، ويعنى بالأسد نفسه . يقول : إنهم يستعظمون آياتا هي عندي حقيرة . ثم قال لا تحسدن الأسد على زاره .

(٢) ثم : بمعنى هناك ، والإشارة إلى حيث هم : أى لو أن لهم أو معهم قلوبا ، والضمير - في قوله تحتها - للآيات ، والحسد : مفعول أنساه . يقول : لو كان لهم قلوب يعقلون بها ما تضمنته آياتي من الوعيد لأنساهم الذعر منها الحسد .

(٣) للفعال هنا : مصدر فعل فعلا : كذهب ذهابا ؛ والفعال : اسم للفعال الحسن من الجود والكرم ونحوه . وبلة : اسم فعل بمعنى دع ، وأكثره منصوب به ، والجـد - بالكسر - الاجتهاد ، وبالفتح : الحظ ؛ يقول : أقل فعلى مجد دع أكثره : أى إذا عرفت أن الأقل مجد ، أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . يعنى أنى لأفعل فعلا إلا وممرماى المجد ، فكل أفعالى - قليلها وكثيرها - إنما هي في سبيل المجد وهذا الجـد والإشاحة في سبيل المجد ، وترك التواني في ذلك يعد حظا لى سواء نلت مطلوبى أم لم أنل ، لأن ذلك آية علو النفس وبعد الهمة ، وحسبى ذلك حظا . وعبرة الواحدى : معنى المصراع الأول من هذا البيت : أنى لا أفعل شيئا إلا ومنغزى المجد ، وإياه أطلب ولو صرح بالأقل لقال : نوى وأكلى وشربى للمجد ؛ ولو صرح بالأ أكثر لقال : تقريرى بنفسى وركوبى المهالك ؛ وشهودى الحرب كله مجد أى لأجل المجد وتحصيله . يقول : إذا عرفت كون الأقل مجدا أغناك ذلك عن تعرف الأ أكثر . وقوله وذا الجـد ، معناه أن الجـد في طلب المجد جد معجل ، لأن استعمال الجـد في الأمور جد ، لأنه يستمر عادة باستعمال الجـد في الأمور .

سَأَطْلُبُ حَتَّىٰ بِالْقَنَاءِ وَمَشَايِخٍ . كَانَتْهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَّمَمُوا مُرْدٌ^(١)
 يُقَالُ إِذَا لَاقَوْا خِفَافٍ إِذَا دُعُوا كَثِيرٍ إِذَا شَدُّوا قَلِيلٍ إِذَا عُدُّوا^(٢)
 وَطَعْنُ كَانَ الطَّعْنُ لَا طَعْنَ عِنْدَهُ وَضَرْبُ كَانَ النَّارَ مِنْ حَرِّهِ بَرْدٌ^(٣)
 إِذَا شِئْتُ حَفَّتْ بِي عَلَى كُلِّ سَابِجٍ رِجَالٌ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي فَيْمَ شَهْدٍ^(٤)
 أَدُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أَهْيَلُهُ فَأَعْلَمُهُمْ قَدَمٌ وَأَخْزَمُهُمْ وَغَدٌ^(٥)

(١) يقول : سأطلب حتى بالقاء ومشايخ . فلا يفارقهم اللثام ولا ترى لحام ، فكأنهم مرد والثام في الحرب عادة العرب ، لثلا تسقط عما عليهم . وقال الواحدى : كنى بالقنا عن نفسه ، وبالمشايخ عن أصحابه . يعنى أنه يطلب حقه بنفسه وبغيره ، وأراد أنهم محسكون مجربون ؛ ولذلك جعلهم مشايخ . هذا : والمشايع جمع شيخ ، وكذا مشيخة ومشيغة وأشياخ وشيوخ . والثام : ما يجعل على الوجه من فاضل العمامة .

(٢) يقال وما بعده : نعت لمشايخ . ومراده بكونهم ثقالا : شدة وطأنهم على العدو ، أو ثباتهم لدى اللقاء ، وكنى بالحفة عن سرعة الإجابة إذا دعوا للنجدة ، وبالكثرة عن سد الواحد مسد الجماعة : أى أنهم - على قلتهم في العدد - يغنون غناء السواد الأعظم . وعبارة ابن جنى : وصفهم بالقلة ، لأنهم إذا انتصفوا من أعدائهم وغلبوهم في قلة عددهم فهو أغر لهم من الكثرة .

(٣) وطعن عطف على القنا . والضمير - في عنده - يعود إلى الطعن الأول ، وجملة لا طعن عنده . في موضع رفع خبر كان . يقول : وأطلب حتى بطعن شديد كان كل طعن غيره بالقياس إليه لاشئ ، وبضرب حار كان حر ، النار بالإضافة إليه برد ، وكل هذا مبالغة .

(٤) السابج : الفرس السريع الجرى . يقول : إنه مطاع في قومه ، ففى شاء أحاطت به رجال يستعذبون طعم الموت كما يستعذب العسل : وقوله : فى فيها ، أراد : فى أفواهاها ، فأوقع الواحد موقع الجمع .

(٥) صغر الأهل تحقيراً لهم . والقدم : العي فى ثقل وقلة فهم . والوغد : الأحمق الخسيس .

وَأَكْرَمَهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَمُهُمْ قِرْدٌ^(١)
وَمِنْ نَكْدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى
عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَةٍ بَدُ^(٢)

(١) وأكرمهم كلب : أى خسة الكلب . وأبصرهم عم : أى أبصرهم بالأمر - من البصرة - أعمى القلب ، وأسهدهم فهد : أى أسهرهم وأيقظهم ينام نوم الفهد - وبه يضرب الثل في كثرة النوم . وفي حديث أم زرع : وصفت امرأة زوجها ، فقالت إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عما عهد ، تصف زوجها باللين والسكون إذا كان معها في البيت ، شبهته بالفهد إذا خلا بها ، وبالأسد إذا رأى عدوه ؛ ثم قالت : ولا يسأل عما عهد كرمًا ، منه وحسن خلق . والقرد يضرب به الثل في الجبن والحذر ويقال : إن القرد لا ينام إلا وفي كفه حجر ، ولا ينام الليل حتى يجتمع إليه الكثير .

(٢) النكد : قلة الخير ، والمراد بالخر : الكريم - ضد اللثيم - يقول : من نكد الدنيا أن الكريم لا يجد مندوحة من إظهار الصداقة فيها لعدوه مع علمه أنه له عدو ، ليأمن شره ويدفع غائلته .

قال ابن جنى : لو قال : مامن مناداته ، لكان أشبه ؛ والذي قاله أحسن في اللفظ وأقوى في المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده . وفي قوة المعنى : أن المداجي : المسائر للعداوة وقد يسائر للعداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهل يعانى من ذلك أمرًا عظيمًا ؛ ونكدًا في الحياة ، فهو أسوأ حالا من المداجي . وقال الخطيب التبريزي : إنما أراد بهذا السلطان الذي لا بد من صداقته بإخلاص القول والنية ، فبأيها أدخل دخل منه الضرر ، وهذا الذي يقوله الخطيب أشبه بمذهب المتنبي . هذا : وقوله : أن يرى مؤول بمصدر مبتدأ خبره من نكد . وقوله بد : اسم «ما» المشبهة بليس ، ومن صداقته : خبر . قال العكبري : وأراد مامن إظهار صداقته خذف المضاف . وفي الواحدى - بعد هذا البيت - هذان البيتان :

فَيَانَكَدِ الدُّنْيَا مَتَى أَنْتَ مُقْصِرٌ عَنْ الْخُرِّ حَتَّى لَا يَكُونَ لَهُ ضِدٌّ
يَرُوحُ وَيَفْدُو كَارَهَا لَوْصَالِهِ وَتَضْطَرُّهُ الْأَيَّامُ وَالزَّمَنُ النَّكَدُ
وَلَا يَوْجِدَانِ فِي سَائِرِ نَسْجِ الدِّيَوَانِ .

بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا مَلَالَةً

وَبِي عَنْ غَوَائِنِهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ^(١)
خَلِيلَايَ دُونَ النَّاسِ حُزْنَ وَعَبْرَةً عَلَى فَقْدٍ مَنْ أَحْبَبْتُ مَا لَهَا فَقَدْ^(٢)
تَلَجَّ دُمُوعِي بِالْجَفُونِ كَأَنَّمَا جَفُونِي لَعْنَتِي كُلِّ بَاكِيةٍ خَدُّ^(٣)

(١) بقلبي : خبر مقدم عن ملالة ؛ والضمير في منها : للدنيا ؛ والغواني : جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بجملها عن الزينة . يقول : لقد مللت الدنيا وإن لم أستوف حظي منها ، لما أراه من قبيح صنعها ، من مثل الإساءة إلى أهل الفضل وقعودها بهم عما يستحقونه ، ومن ثم كان بقلبي منها ملالة ، وبني إعراض عن نساؤها ، وإن كنت من الشباب بحيث يرغب في وصالي ، والله أبو العلاء المعري حين يقول :

وَقَدْ غَرَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا فَهَلْ زَمَنِي مُعْطٍ حَيَاتِي لِفَرْغٍ بَعْدُ مَا غَرَضْتُ^(١)

(٢) جعل الحزن والعبرة خليلين له دون الناس ؛ لأنهما يلزامانه ولا يفارقانه ، فكأنهما خليلان له . يقول : فقدت من كنت أحبه وصاحبي لفقده حزن وعبرة لست أفقدها . وقوله : دون الناس حال مقدمة عن التكرتين بعدها ، وعلى فقد : صلة الحزن ، أو العبرة على التنازع ، وجملة مالهما فقد : صفة .

(٣) يقال لج به الحزن ونحوه : لزمه : فلم يزايله ، وى تلج : من قولهم ألح السحاب بالمكان : إذا أقام به ، يقول : لا تغلو جفوني من الدموع فكأن جفوني خد كل باكية في الدنيا . يعنى أن ما يسيل من جفونه مثل الذى يسيل على خد كل باكية ، يريد المبالغة في كثرة ما يجرى من جفونه . ولعل الأقرب أن يكون المراد : لست أخلو من بكاء ودموع ، كما لا تغلو الدنيا من باكية تجرى دموعها .

(١) غرضت : ضجرت وشممت . والغر : الذى لم يجرب الأمور ؛ وقبل البيت :

إِذَا الْفَتَى ذَمَّ عَيْشًا فِي شَبَابِهِ فَمَا يَقُولُ إِذَا عَصَرَ الشَّبَابَ مَضَى
وَقَدْ تَعَوَّضْتُ مِنْ كُلِّ بَمِشْبِهِ فَمَا وَجَدْتُ لِأَيَّامِ الصَّبَا عِوَضًا
وبعدا البيت وبعده :

جَرَبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِي فَمَا تَرَكْتُ لِي التَّجَارِبُ فِي وَدِّ أَمْرِي غَرَضًا

وَأَمْنِي لَتَمُنِّيَنِي مِنَ الْمَاءِ نُفْبَةً ، وَأَصْبِرُ عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصْبِرُ الرَّبْدُ^(١) ،
وَأَمْضِي كَمَا يَمْضِي السَّنَانُ لِطَيْتِي ، وَأَطْوِي كَمَا تَطْوِي الْمَجْلَحَةُ الْعُقْدُ^(٢) ،
وَأَكْبِرُ نَفْسِي عَنْ جَزَاءِ بَغْيِيَةِ ، وَكُلُّ أَعْتِيَابٍ جُهْدُ مَنْ مَالَهُ جُهْدُ^(٣) ،
وَأَرْحَمُ أَقْرَامًا مِنَ السِّبْيِ وَالْغَبَا ، وَأَعْذِرُ فِي بُغْيِي لَأَنَّهُمْ ضِدُّ^(٤) ،
وَيَمْنَسْنِي مِمَّنْ سِوَى ابْنِ مُحَمَّدٍ أَيَادٍ لَهُ عِنْدِي تَضِيقُ بِهَا عِنْدُ^(٥)

(١) و (٢) النوبة : الجرعة من الماء . والربد : النعام : يقال ظليم أربد ونعامة ربداء . وذلك لما في لونها من الغيرة . يضرب بها المثل في الصبر على العطش ، والطية المكان الذي تطوى إليه الراحل ويتوى القصد إليه وأطوى : أجوع ومعناه أطوى بطن عن الزاد . والمجلحة : الذئب المصممة . يقال جلع الذئب على القوم : إذا حمل عليهم غير مبال ، وإنما يفعل ذلك عند السعار وشدة الجوع . والعقد : جمع الأعقد ، وهو الذي في ذنبه عقدة ، وقيل : الذي انقعد لحمه ضمراً وهزالاً . يصف المتنبي نفسه بالجلد والمضاء والإشاحة في أموره ، وعدم إسفافه ، وقلة مبالاته بالشرب والطعم ، شنشنة النفوس الطموح الكبيرة التي لا يهتمها بر البدن والاحتفال به .

(٣) الغيبة : الاسم من الاغتيال ، وهو الوقوع في عرض الغائب ؛ والجهد : الطاقة يقول : إني أكبر نفسي أن أجازي عدوى بالاغتيال ، لأن ذلك طائفة من لا طاقة له بمواجهة عدوه ومحاربتة . ولله قول أياس ابن قنادة :

نَعَابُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأِينَا وَنَشْتُمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ

(٤) أصل الی : العجز عن الحجة ؛ والی في الكلام : الحصر . والغبا : الغباوة . أي قلة الفطنة . يقول : إذا رأيت أناساً من أهل الی والعباء رحمتهم وأشفقت عليهم ، وإذا أبصرت عذرتهم ، لأنهم أضداد الی بسبب ما يبتلى من التباين ، والضد يفضض ضده .

هذا ومفعول أعذر - كما قال العكبري - محذوف ، والمفعول محذوف كثيراً كقوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي شيئاً .

(٥) الأيادي : النعم ؛ يقول : يمنعني من الانصراف إلى غيره ماله عندي من النعم التي يضيق لفظ عند عن أن يجعل ظرفاً لها لكثرتها وتوافرها إذ لا يسمعها مفهوم هذا اللفظ .

تَوَالَى بِلَا وَعْدٍ وَلَكِنْ قَبْلَهَا شَمَائِلُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ بِهَا وَعْدٌ^(١)
 سَرَى السَّيْفُ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ صَاحِبِي
 إِلَى السَّيْفِ مِمَّا يَطْبَعُ اللَّهُ لَا الْهِنْدُ^(٢)
 فَلَمَّا رَأَى مُقْبِلًا هَزَّ نَفْسَهُ إِلَى حُسَامٍ كُلِّ صَفْحٍ لَهُ حَدٌّ^(٣)

هذا ، وقال العكبري : رفع عند - وهي لاتستعمل إلا ظرفا - لأنه حمل الكلام على المعنى فكأنه قال : يضيق بها المكان ؛ وكقول الرجل لصاحبه ينازعه في الأمر : كذا عندي . فيقول الآخر : أولك عند ؟ أى أولك فهم ؟ فجعلها اسما ، وعند : أوسع من أخواتها الظروف لأن القائل إذا قال فوق وتحت ووراء وقدام فقد خص جهة من الجهات المذكورة ، وإذا قال : الخير عند فلان ، احتمل الكلام أن يكون في كل الجهات . قال : وقال يونس يوما في كلامه : عند ، فقال أبو عبيدة : أيقال عند ؟ فقال : نعم ، يقال عند وعند وعند وعند . وقال أبو عبيدة : ما كان عندي ذلك ، فقال له أولك عند ؟ وقاله الطائي :

وما زال منشورا عَلَى نَوَالِهِ وَعندي حَتَّى قَدِ بَقِيَتْ بِلَا عِنْدِ

(١) توالى - بحذف إحدى التاءين - أى توالى . ويرى : توالى . والضمير للأيدى ؛ وشمائله : أى أخلاقه ، اسم لكن ، وخبرها وعد . وفي البيت تقديم وتأخير وتحرير الكلام : ولكن شمائله قبلها وعد بها من غير وعد ، أى أن هذه النعم تتتابع منه ابتداء من غير أن يسبقها وعد ولكن سبق العهد بكرم أخلاقه وماله من عوائد الجود يقوم مقام الوعد بها وإن لم يعد .

(٢) صاحبي : بدل من السيف يقول . سريت إليه ومعى السيف يصحبني في طريق فكان مسرى سيفي إلى سيف آخر - يعنى الممدوح - إلا أن سيفي مما طبعت - أى عملته - الهند ، أما هذا السيف فهو مما طبعه الله .

(٣) حسام - أى سيف قاطع - فاعل هز ؛ أو بدل من ضميره على جعل الفعل للممدوح ، وصفع السيف جانبه ، وله نعت صفع . يقول : لما رآنى مقبلا عليه هز نفسه للقائى كما يهز السيف . وقوله كل صفح له حد ، من أحسن الكلام : أى كل وجه من صفحيه حد ينفذ فى أعدائه ، فهو يقطع بصفحه كما يقطع بحده .

فَلَمْ أَرَقَبْلِي مَنْ مَشَى الْبَحْرُ نَحْوَهُ
وَلَا رَجُلًا قَامَتْ تَعَانِقُهُ الْأُسْدُ^(١)
كَأَنَّ الْقَيْسِيَّ الْعَاصِيَّاتِ تَطْلِعُهُ هَوَىٰ أَوْ بِهَا فِي غَيْرِ أَنْمَلِهِ زُهْدُ^(٢)
يَكَادُ يُصِيبُ الشَّيْءَ مِنْ قَبْلِ رَمِيهِ وَيُمْكِنُهُ فِي سَهْمِهِ الْمُرْسَلِ الرَّدُّ^(٣)
وَيُنْفِذُهُ فِي الْقَعْدِ وَهُوَ مُضَيِّقٌ مِنَ الشَّعْرَةِ السُّودَاءِ وَاللَّيْلِ مُسَوِّدُ^(٤)
بِنَفْسِي الَّذِي لَا يُزْدَهِي بِحَدِيقَةٍ ، وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الذَّرَائِعُ وَالْقَصْدُ^(٥)

(١) قال الواحدى : تحقيق الكلام : فلم أرقبلى من مشى نحوه رجل كالبحر فى الجود ، وعانقه رجل كألسد فى الشجاعة .

(٢) أراد بالعاصات : القسى الشديدة التى تستعصى على النازع فلا يستطيع جذبها يقول : إنما تطليه إذا جذبها حباً له أو زهدا فى غير أنامله .

(٣) ويمكنه عطف على يصيب . يقول ، إن الإصابة لمساعدتها إياه تكاد تسبق رمية ، ويكاد السهم لاقياده له يرجع من طريقه إليه ؛ وهذا مبالغة فى وصف اقتداره على الرمي .

(٤) وينفذه : عطف أيضاً على يصيب ؛ قال أبو العلاء : وإذا عطفته على «يكاد» ففيه سرف وفيه إغرابات التنبي فى شعره ويقوى ذلك أيضاً أن يكون أراد به فى الحقيقة يصيت عقد الشعرة ، والقعد : العقدة . يقول : ويكاد ينفذ سهمه فى العقدة الضيقة من الشعرة السوداء فى الليل المظلم ، وكل هذا من المبالغة التى تعد غلوا .

(٥) أزداهاء : استخفه : والذرائع : الوسائل . يقول : أفدى بنفسى الممدوح الذى هو من الفطنة وثقوب البصيرة بحيث لا يغتر بأعدائه الذين يتقربون إليه بثقى وسائل الود والولاء وقلوبهم مطوية على البغض والحسد واللوجدة . وقال ابن جنى : هذا هجو كأنه قال : بنفسى غيرك أيها الممدوح ، لأنى أزدهيك بالخدعة وأسخر منك بهذا القول ، لأن هذا مما لا يجوز مثله . قال : وهذا مذهبه فى أكثر شعره ، لأنه يطوى المدح على هجاء حذقا منه بصنعة الشعر ، كما كان يقول فى كافور من أبيات ظاهرها مدح وباطنها هجاء : قال ابن فورجة - يرد على ابن جنى - : إنما قل ذلك فى مذائح كافور استهزاء به ، لأنه كان عبداً أسود لم يكن يفهم شيئاً ، ولم يفهم ما ينشده ، فأما على بن محمد ابن سيار فمن صميم بنى تميم ، عربى لم يزل يمدح وتتأبه الشعراء ، وليس فى هذا البيت ما يدل (٧ - التنبي ٢)

وَمَنْ بَعْدَهُ قَرُّهُ وَمَنْ قُرْبُهُ غِنَى ، وَمَنْ عَرَضُهُ حُرٌّ وَمَنْ مَالُهُ عَبْدٌ^(١)
وَيَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ مُبْتَدِئًا بِهِ . وَيَمْنَعُهُ مِنْ كُلِّ مَنْ ذِمُّهُ حَمْدٌ^(٢)

على أنه يعنى غيره بل يعنيه به . يقول : بنفسى أنت ، ووصفه وأتبع ذلك بأوصاف كثيرة على نسق واحد لو كان كلها وصفا لغيره كانت هذه القصيدة خالية من مدحه ، وليس في إنفاذ الرضى في عقدة من شعره في ليل مظلم أول محال ادعى للدوح ، وما هذا إلا هوس عرض له فقذفه .

(١) ومن عرضه حر : أى لا مغمز فيه عزيزة الحر ، ومن ماله عبد : أى ممتن مبذول في سبيل المجد . وفي البيت من الطباق مالا يخفى :

(٢) يقول : إنه يعطى المستحقين وذوى القدر قبل أن يسألوه ، ويمنع معروفه عن كل ساقط لئيم ؛ إذا ذم أحداً كان ذمه حمداً له لدلالة ذلك على أنه لا يشاكله . وعبارة ابن جنى : يصنع المعروف مع المستحقين ، ويعطى من له قدر ومن يزكو عنده المعروف ويمنعه من كل ساقط . إذا ذم أحداً فقد مدحه ، يصفه بالتيقظ ومعرفة ما يأتى وما يدع . قال ابن الشجرى - لما ذكر كلام ابن جنى هذا - : لا يخلو من أحد معنيين . أحدهما أنه يورى عن الذم الصريح بكلام يشبه المدح ، أو يريد أن يضع المدح الصريح موضع الذم . وليس يلحقه بهذين عيب ولا يستحق أن يحرم معروفاً ؛ والمعنى غير ما ذهب إليه ، وذلك أنه وصف المدوح بالتيقظ ومعرفة ما يأتى وما يدع فيضع الصنائع في مواضعها فيعطى ذوى الأقدار قبل أن يسألوه ، كما قيل : السخى من جاد بماله تبرعا ، وكف عن أموال الناس تورعا ، ويمنع ماله من كل ذىء ؛ إذا ذمه الناس فقد مدحوه ، الذم له مقام المدح لغيره ، يعنى أنه يقل عن المدح والمجاء كما قال :

صَفَرْتُ عَنِ الْمَدِيحِ فَقُلْتُ أَهْجَى كَأَنَّكَ مَا صَفَرْتُ عَنِ الْمَجَاءِ

والذم : مضاف إلى المفعول ، والمفاعل محذوف ، والتقدير من ذم الناس إياه حمد ، كقوله تعالى «لقد ظلمك بسؤال نعجتك» أى بسؤاله ؛ وابن جنى ذهب إلى أن الذم مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف . ففسر على هذا التقدير ، فأفسد المعنى لأنه أراد من ذمه الناس حمد . ومن في قوله نكرة والجملة بعده نعت له فكأنه قال : من كل إنسان ذمه حمد ولا يجوز أن يكون بمعنى الذى لأن «كلا» لا يضاف إلى معرفة ، إلا أن يكون مما يصح تبيينه ، كقولك رأيت كل البلد ، ولا تقول لقيت كل الرجل الذى أكرمته ؛ فإن قلت : كل رجل أكرمته : حسن ذلك ، وصحت إضافته إلى المفرد النكرة ، كما تصح إضافته إلى الجمع المعرفة ، نحو لقيت كل الرجال الذين أكرمتهم .

وَيَحْتَقِرُ الْحَسَادَ عَنْ ذِكْرِهِ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ مَا خُلِقُوا بَعْدُ^(١)
وَتَأْمَنُهُ الْأَعْدَاءُ مِنْ غَيْرِ ذَلَعٍ ،
وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الَّذِي يُذْنِبُ الْحَقْدُ^(٢)
فَإِنْ يَكُ سَيَّارُ بْنُ مُكْرِمٍ أَنْقَضَى فَإِنَّكَ مَا الْوَرْدُ إِنْ ذَهَبَ الْوَرْدُ^(٣)

(١) يقول : إنه يحتقر حساده فيعرض لأعين عتبه أو مؤاخذتهم حسب ، بل حتى عن أن يجرى ذكرهم له على لسان لأنهم لديه والعدم سواء . وعبارة بعض الشراح : يحتقر الحساد عن أن يتكلم فيهم ، وإذا لم يذكرهم كانوا كأنهم معدومون لم يخلقوا بعد ، لأن من لم تذكره لم يذكره الناس وذل قدره .

(٢) على قدر خبر مقدم ؛ والحقد : مبتدأ مؤخر . بقول إن أعداءه يأمنون جانبه لا لأنه ضعيف ذليل لا يستطيع إيذاءهم ، ولكن لأن الحقد يكون على قدر الذنب ، فإن كان حقيراً لم يحقد عليه ، وإذا لم يحقد عليه أمن الذنب : يعني أنه يحتقر أعداءه ولا يكثر لهم لأنهم ليسوا هناك ، وقال ابن جني : ليس يؤاخذ الذنب بقدر جرمه وإنما يؤاخذ على قدر الذنب ولا قدر عنده لمن أجرم ، فهو لا يعبأ بأحد من أعدائه ، لأنه أكبر قدراً من أن يعاقب أمثاله .

(٣) يقول : إن كان جديك قد مات فإن فضائله ومحاسنه باقية فيك فلم يفقد إلا شخصه كماء الورد يبقى بعد الورد وهو خلاصته ؛ وقد أخذ السري الرفاء هذا المعنى فقال :

يُنْحِي بِحُسْنِ فَعَالِهِ أَفْعَالِ وَالِدِهِ الْخُلَاحِلِ^(١)
كَالْوَرْدِ زَالَ وَمَاؤُهُ عَبَقُ الرِّوَامِخِ غَيْرُ زَائِلٍ

هذا : وقد كرر المتنبي تفضيل الفرع على الأصل في غير موضع فقال :

* فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعِنَبِ *

وقال :

* فَإِنَّ الْمِسْكَ بَفَضْ دَمِ الْفَزَالِ *

(١) الخلاحل : السيد في عشيرته ، والشجاع والتام .

مَضَى وَبَنُوهُ وَأَنْفَرَدَتْ بِفَضْلِهِمْ وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِعَتْ وَاحِدٌ فَرْدٌ^(١)
لَهُمْ أَوْجُهُ غُرٌّ وَأَيْدٍ كَرِيمَةٌ وَمَعْرِفَةٌ عِدٌّ وَالسِّنَّةُ لُدٌّ^(٢)

(١) يقول : مضى جديك وبنوه وبقيت وحدك منفردا بفضائلهم جميعا . فأنت واحد صورة ، جماعة معنى ، كالألف الذى هو واحد فى الصورة ، جمع فى المعنى . وفى هذا المعنى يقول البحرى :

وَلَمْ أَرْ أَمْثَالَ الرَّجَالِ تَفَاوَتْ إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدٍ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا وَاحِدٌ كَقَبِيلَةٍ يُعَدُّ وَأَلْفٌ لَا يُعَدُّ بِوَاحِدٍ

هذا : وقد أنت الألف فى قوله جمعت على معنى الجماعة ، وعطف وبنوه على الضمير المرفوع . وهو مذهب الكوفيين . ومنه أهل النصرة . قال العكبرى النحوى السكوفى وحجتنا بحجته فى الكتاب العزيز ، وفى أشعار العرب : فى الكتاب العزيز « ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » أى فاستوى جبريل ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فعطف وهو على الضمير المستكن فى استوى ، فدل على جوازه ؛ وفى الشعر قول عمر بن أبى ربيعة

قُلْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُهُرٌ تَهَادَى كَنْعَاجِ الْفَلَا تَعْتَفْنَ رَمْلًا
فعطف على الضمير المرفوع فى أقبلت من غير تأكيد . وقال الآخر :

وَرَجَا الْأَخْيَاطُ فِي سَفَاهَةٍ رَأْيُو مَا لَمْ يَكُنْ وَأَبٌ لَهُ لَيْنٌ أَلَا

فعطف على الضمير المستكن فى يكن من غير تأكيد ؛ وحجة البصريين أنه قد جاء فى الكتاب العزيز بالتوكيد نحو « امكن أنت وزوجك الجنة » ، و « اذهب أنت وربك » و « يراكم هو وقبيله » . وقالوا : لا يخلو إما أن يكون مقرا فى الفعل ، أو ملفوظا به ، فإن يك مقدرآ - نحو قمت قام وزيد - فكأنه قد عطف اسما على فعل وإن كان ملفوظا به - نحو قمت وزيد - فالتاء تنزل منزلة الجزء من الفعل ، فصار كعطف الاسم على الفعل .

(٢) لم : أى لآل سيار الذين انفرد المدوح بمناقبهم . والنمر : جمع أغر ، وهو الأبيض الشرق ، والعرب تتمدح ببياض الوجه ، وإنما يريدون بذلك النقاء والطهارة مما يعاب ، كما أنهم يكونون عن العيب والفضيحة بسواد الوجه ؛ وأيد كريمة : أى بالعطاة ومعرفة عد : أى قديمة كثيرة لاتقطع مادتها كالماء العد : أى الغزير الذى لاتقطع

وَأَرْدِيَّةٌ خُضْرٌ وَمُلْكٌ مُطَاعَةٌ ، وَمَرْكَوْزَةٌ مُنْمَرٌ وَمُقَرَّبَةٌ جُرْدٌ^(١)
وَمَا عِشْتَ مَا مَاتُوا وَلَا أَبَوَاهُمْ تَمِيمُ بْنُ مَرْثٍ وَأَبْنُ طَابِخَةَ أَدُ^(٢)
قَبْتَضُ الَّذِي يَبْدُو الَّذِي أَنَا ذَاكِرٌ
وَبَقِضُ الَّذِي يَخْفَى عَلَى الَّذِي يَبْدُو^(٣)
أَلَوْمٌ بِمَنْ لَامَنِي فِي وَدَادِهِ
وَحَقٌّ نَخِيرِ الْخَلْقِ مِنْ خَيْرِهِ الْوُدُ^(٤)

مادته . واللذ : جمع الألد ، وهو الشديد الخصومة . يريد السنة قوية في موطن الكلام
(١) خضرة الرداء : يكنى بها عن السيادة ، وذلك أن الخضرة عندهم أفضل الألوان
لأن خضرة النبات تدل على الخصب وسعة العيش . والملك : السلطان ، يذكر ويؤنث
ولذا قال مطاعة . أو تقول : إنه أراد الملكة . ومركوزة سمر : أي رماح تركز في
الأرض وتنصب ، والمقربة : الخيل تربط قزينة من البيوت ولا ترسل إلى المرعى للحاجة
إليها أو للخل بها ، والجرد : القصار الشعر .

(٢) يقول : مادمت حياً فلم يمت أحد من آبائك ومن تقدمهم في النسب لأن جميع
محاسنهم موجودة فيك فهم حينئذ بك أحياء لأموات . فما الأولى : شرطية زمانية ، وما
الثانية : نافية . وكان الوجه أن يقول : فما ماتوا ، ولكنه حذف انفاء ضرورة كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهَا

وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللَّهِ مِثْلَانِ

أراد فإله يشكرها . وتميم بن مرث ، وأد بن طابخة : قيلتان مشهورتان من العرب ،
إليهما ينتسب المدوح . وتميم وماعطف عليه : بدل تفصيل .

(٣) يقول : إن الذي أذكركه وأشيد به من فضائله هو بعض ما يظهر لي والذي
يظهر لي هو بعض ما كان خافياً علي ، يعني أنه قد بقي من تلك انفضائل ما لم يعلمه ، وبقي
بما علمه ما لم يذكره . يريد كثرة فضائله . فبعض في الشطين خبر مقدم عن الموصول الثاني
(٤) يقول : من لامني في وده لمته بما وصفت من فضله فيبين أنه خليف بمودتي .

لأنه خير الأمراء وأنا خير الشعراء ، وجدير بخيرة الناس أن يود بعضهم بعضاً . وحق
له كذا - بضم الحاء - إذا كان جديراً به ، وقد تقدم الكلام على ذلك .

كَذَا فَتَنَحَّوْا عَنْ عَلِيٍّ وَطَرَفِهِ
 بَنِي اللُّؤْمِ حَتَّى يَنْعَبَرَ لِلْمَلِكِ الْجَعْدُ^(١)
 فَمَا فِي سَجَايَاكُمْ مُنَازَعَةُ الْعَلَى
 وَلَا فِي طِبَاعِ التُّرْبَةِ الْمَسْكُ وَالنَّدُ^(٢)

وودع صديقاً له يقال له أبو البهي فقال ارتجالاً عند مسيره عنه :

أَمَّا الْفِرَاقُ فَإِنَّهُ مَا أَعْهَدُ هُوَ تَوَامِي لَوْ أَنَّ بَيْنَنَا يُولَدُ^(٣)

(١) كذا : أى كذا هو كما وصفت ، فتنحوا عن طريقه حتى يعبر فإنكم لستم ممن يجاريه في طرق المجد ؛ وبني اللؤم : أى يابني اللؤم . والجعد الكريم . شبه بالثرى الجعد ، وهو اللين الندي ، وإذا قيل فلان جعد اليدى أو جعد الأنامل ؛ أرادوا أنه بخيل لثيم لا يفيض حبه . وأنكر الأصمعي الجعد بمعنى الكريم ، قال : زعموا أن الجعد : السخي ، وأنا لا أعرف ذلك ، وإنما الجعد : البخيل .
 (٢) يقول : ليس في طبائعكم أن تنازعوه العلى ، كما أنه ليس في طبع التراب أن يفوح بالمسك والند .

(٣) التوأم : ما يكون مع غيره في بطن واحد . فتلد المرأة اثنين ، أو الشاة أو غيرها ويقال للاثنين إذا ولدا في بطن : هما توأمان ؛ وفي التأنيث توأمة وتوأمتان ، والجمع توأم وتوأم . قال عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي مَرْحَةٍ يُحْذَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ^(١)

(١) مدح ممدوحه بأربع خصال كرام : أحدها أنه جعله بطلاً : أى شجاعاً . الثاني : أنه جعله طويلاً شبهه بالسرحة - وهى الشجرة الكبيرة - الثالث أنه جعله شريفاً للبهه نعال السبت . الرابع أنه جعله تام الخلق نامياً ، لأن التوأم يكون أنقص خلقاً وخلقاً وقوة وعقلاً ، والسبت الجمل المدبوغ .

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّنَا سَنُطْبِعُهُ
لَمَّا عَلِمْنَا أَنَّنَا لَا نَخْلُدُ^(١)
وَإِذَا الْحَيَادُ أَبَا الْبَيْتِ تَقَلَّنَا
عَنْكُمْ فَأَرَادُوا مَارَكِبَتُ الْأَجُودُ^(٢)
مَنْ خَصَّ بِالذَّمِّ الْفِرَاقَ فَإِنِّي
مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئًا يُحْمَدُ^(٣)

وقال يمدح الحسين بن علي الهمداني :

لَقَدْ حَازَنِي وَجْدٌ بِمَنْ حَازَهُ بَعْدُ
فَيَا لَيْتَنِي بَعْدَ وَيَا لَيْتَهُ وَجْدٌ^(٤)
أَسْرُ بَتَجْدِيدِ الْهَوَى ذِكْرُ مَا مَضَى
وَإِنْ كَانَ لَا يَبْقَى لَهُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ^(٥)
سُهَادٌ أَتَانَا مِنْكَ فِي الْعَيْنِ عِنْدَنَا
رُقَادٌ وَقَلَامٌ رَعَى سَرُّبَكُمْ وَرَدُ^(٦)

يقول : أما الفراق فهو شيء أعهد من قديم ، حتى لو أنه مما يولد لقلت : هو توأمي : أي لا أنفك من فراق حبيب ، فلو كان الفراق مولودا لحكمت بأنه توأمي . وقال الواحدى : يجوز أن يكون المعنى : حقيقة الفراق ما أعهد من فراقك ؛ يعنى إن وجد فراق هذا الحبيب ، فقد وجد فراق كل أحد ، حتى كأن الفراق فراقه هو : لا فراق غيره (١) يقول : لما علمنا أن خلودنا في هذه الدنيا محال : علمنا أن الفراق حتم علينا لازب ، فلا مندوحة لنا عن الاتقياد لحكمه : إن عاجلا وإن آجلا : وعبرة الواحدى : لما كنا نموت وتنفى ، علمنا أننا نتقاد للفراق .

(٢) أبا البهى : أى يابأ البهى — وهى كنية الممدوح — يقول : إذا تقلنا الخيل عنكم وباعدت ما يبتنا فإن أجودها حينئذ أردوها . لأنه يكون أسرع في إبعادنا عنكم . (٣) يقول : من يخص الفراق بالذم من بين سائر أشياء هذا الدهر ، فأنا الذى لا أرى في الدهر شيئا محمودا : يعنى أن كل الأشياء مذمومة عندي لا أحسن الفراق دون غيره . (٤) يقول : لقد ضمني واشتمل على وجد بحبيب قد ضمه البعد واشتمل عليه ، فيا ليتني بعد لأحوزه فأكون معه ، وباليته وجد ليحوزني ويتصل بي : أى فنجتمع ولا نفرق . (٥) الصلْد : الشديد الصلب . يقول إننى أسر بأن الهوى يجدد لى ذكر ما مضى من أيام الوصال ولذاذتها ، وإن كان هذا الذكر مما يذوب له الحجر الأصم تأسفا عليه وحينئذ إليه .

(٦) فى العين وعندنا : صلة رقاد . والقلام : نبت من الحمض يكون فى السباخ . قال ابن البيطار فى مفرداته عن أبى حنيفة الدينورى القلام تسميه الأنباط قاقلى ، وهو من الحمض ، والناس يأكلونه مع اللبن ، والسرب — بالفتح المال الراعى ، وبالكسر : القطيع

مُثَلَّةٌ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ تَفَارِقِي ،
 وَحَتَّى كَأَنَّ الْيَأْسَ مِنْ وَضْلِكَ الْوَعْدُ^(١)
 وَحَتَّى تَكَادِي تَمْسَحِينَ مَدَامِي ، وَيَعْبَقُ فِي ثَوْبِي مِنْ رِيحِكَ الْنَدُّ^(٢)
 إِذَا غَدَرْتَ حَسَنَاءَ وَفَتْ بِمَهْدِهَا فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا يَدُومَ لَهَا عَهْدُ^(٣)
 وَإِنْ عَشِيقَتُكَ كَانَتْ أَشَدَّ صَبَابَةً ،
 وَإِنْ فَرِكَتُ فَاذْهَبْ فَمَا فِرَ كُهَا قَصْدُ^(٤)

يقول : إن السهاد إذا كان لأجلكم لد في أعيننا كالرقاد ؛ واقلام : الذي ترعاه ماشيتكم طيب عندنا كأنه ورد ، يعنى : لحي إياكم أستلذ الألم ويحسن في عيني ما ليس بالحسن .
 (١) مثلة : خبر عن محذوف : أى هى - المخاطبة - مثلة ، يقول : أنت مصورة فى خاطرى حتى لكأنك حاضرة عندى لم تفارقينى ، وحتى كأن بأسى من وصلك وعدمنك بالوصل
 (٢) يقول : وحتى تكادى - لتخيلك حاضرة بجانبى - تمسحين مداامى بيدك فيعقب طيبك فى ثوبى . قال ابن جنى ، ومثله :

* لَيْتَنُ بَعُدْتُ عَنِّي لَقَدْ سَكَنْتُ قَلْبِي *

(٣) يقول : إذا غدرت الحسناء لم تعد سجاياها ؛ لأن شغفتها الغدر ؛ وقد وفّت بالمهد : إذا غدرت ؛ لأن عهدها أن لا تبق على عهد ؛ فوفاؤها - إذن - غدر .
 (٤) فركت المرأة زوجها تفركه فركا : أبغضته : فبى فارك وفروك ، وكذلك فركها زوجها ، والفرك - بكسر الفاء - البغض . قال رؤبة :

فَعَفَّ عَنْ أَسْرَارِهَا بَعْدَ الْفَسْقِ وَلَمْ يُضْفِهَا بَيْنَ فِرْكِ وَعَشْقِ

قال اللغويون : إن هذا الحرف يختص بالمرأة وزوجها ؛ ولم يسمع فى غير الزوجين .
 ورجل مفرك : لا يحظى عند النساء . وامرأة مفركة لا تحظى عند الرجال ، أنشد ابن الأعرابي :

مُفَرَّكَةٌ أَزْرَى بِهَا عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَوْ لَوَطَّتْهُ هَيَّيَانُ مُخَالَفِ^(١)

(١) مخالف : أى مخالف عن الجودة . يقول : لو لوطخته بالطيب ما كانت إلا مفركة لسوء مخبرتها ، كأنه يقول : أزرى بها عند زوجها منظر هيئان : أى يهاب ويفزع من

وَإِنْ حَقَّدَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا رِضَى وَإِنْ رَضِيَتْ لَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِهَا حِقْدٌ
كَذَلِكَ أَخْلَاقُ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا يَصِلُ بِهَا الْمَادَى وَيَخْفَى بِهَا الرُّشْدُ^(١)
وَلَكِنْ حُبًّا خَامَرَ الْقَلْبَ فِي الصَّبَا يَزِيدُ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ وَيَشْتَدُّ^(٢)
سَقَى ابْنُ عَلِيٍّ كُلَّ مَزْنٍ سَقْتَكُمْ مُكَافَأَةً يَفْدُو إِلَيْهَا كَمَا تَفْدُو^(٣)

يقول : إن المرأة إذا عشقت كان عشقها أشد من عشق الرجال ؛ لأن النساء أرق طبعاً وأقل صبراً ؛ وإذا أبغضت : جاوزت الحد كذلك في البغض ، وفي هذه الحالة لا تطمع في تلافى بغضها ، واذهب وشأنك ، لأن بغضها ليس عن قصد منها وإنما هي مغلوقة على أمرها - وقال الواحدي : وإن شئت قلت : فاذهب في ذلك، الفرك .

(١) يقول : هذه هي أخلاق النساء ، يدأنهن مع ذلك يسحرن ألباب الرجال حتى يضل بهن من يهدى غيره ويخفى عليه الرشد فيبتلى بهن . وعبرة ابن جني : يخلصن في أول الأمر فإذا تمكن من قلوب الرجال نكصن عن وصلهن ، وهذا كالتهميد لما سيحذره عن نفسه في البيت التالي . كأنه يقول : وإنى مع طغي بأخلاق النساء وتحذيرى منهن لم أصن قلبي عن هواهن ووقعت في شراكهن .

(٢) قلنا : إن هذا كالاعتذار عن حبه إياهن بعد ما أبان مساوئ أخلاقهن . يقول : وسكن جبا خالط قلبه في زمن الصبا واستحكم فيه قبل أن تحكه التجارب فلم يقدر بعدها على تركه ، لأنه قد ألفه حتى صار ديدناً له .

يزداد ويشتد على كره الغداة ومر العشى . وخامر : خالط .

(٣) يدعو للسحب التي سقت قوم المحبوبة بأن يسقيها جود المدوح مكافأة لها على ما فعلت ، فيفدو إليها بالسقيا كما تفدو هي إليهم ، جعل المدوح يسقى السحاب لأنه أكثر منها ندى . وفي البيت من حسن التخلص ما لا يخفى . هذا : والمزن جمع مزنة وهي المطرة ؛ قال أوس بن حجر :

ألم تر أن الله أنزل مِرْنَةً وعُفْرُ الظُّبَاءِ فِي الْكُنَاسِ تَقَمُّعٌ^(١)

دنا منه ، أي أت منظر هذه المرأة شيء يتحاشى فهو يفرغ ؛ وقيل : إنما الهيمان المخالف هنا ابنه منها ، إذا نظر إلى ولده منها أبغضها ولو لطخته بالطيب .

(١) يقال : تقمعت الظبية : إذا لسعتها القمعة ودخلت في أنفها فحركت رأسها من ذلك ، والقمعة ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب ، وقيل : يركب رموس الدواب فيؤذيها

لَتَرَوِي كَمَا تَرَوِي بِلَادًا سَكَنَتْهَا وَيَنْبِتُ فِيهَا فَوْقَكَ الْفَخْرُ وَالْمَجْدُ^(١)
 بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ وَيَخْرُقُ مِنْ زَحَمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ^(٢)
 وَتُلْقِي وَمَا تَذْرى التَّبَانُ سِلَاحَهَا لِكَثْرَةِ إِيْمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَبْدُو^(٣)
 ضَرْوبٌ لِهَامِ الضَّارِبِ الْهَامِ فِي الْوَعَى خَفِيفٌ إِذَا مَا أَثْقَلَ الْفَرَسَ اللَّبْدُ^(٤)
 بَصِيرٌ بِأَخْذِ الْحَمْدِ مِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ وَلَوْ خَبَاتُهُ بَيْنَ أَنْيَابِهَا الْأَسَدُ^(٥)
 بِتَأْمِيلِهِ يَنْفَى الْفَتَى قَبْلَ نَيْلِهِ وَبِالذَّعْرِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَنْدِ يَنْقُدُ^(٦)

واللزنة أيضاً : السحابة البيضاء ، وسقى وأسقى : لغتان فصيحتان .

(١) يقول : لترتوي السحاب بنداها كما تروى بلادك بمطرها ، وينبت فوقك الفخر والمجد ، لأن عطايك تورث المجد والشرف فتشرف السحاب بما تنال من جدواه ، ويكون الفخر والمجد ثابتين فيها لما شربت من سقياء ، قاله ابن جني والواحدى والعكبرى .
 (٢) بمن : متعلقة بتروى ، أو ينبت : أى لتروى السحاب بهذا المدح أو ينبت به الفخر : أى بجوده أو بسببه ، والبرد : الثوب . يقول : إن الناس يوم ركوبه تشخص أبصارهم إليه لحسن منظره وجلالة قدره . ويكثر زحامهم حوالبه حتى تتخرق ثيابهم . وزحم ، مصدر زحمه ، ومصدر زاحمه ، زحام .

(٣) يقول : لشغلهم بالنظر إليه والإيماء نحوه يلقون ما في أيديهم ولا يشعرون به ، قال الواحدى : كأن هذا مقتبس من قوله تعالى « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن »
 (٤) الهام : الرؤوس . والوعى : الحرب والبد : ماتحت السرج . يقول : إنه شجاع ضروب لرؤوس الأبطال ميدان القتال ، خفيف مسرع إلى الوعى أو خفيف لحذقه بالفروسية حتى لا يشعر الفرس بثقله وهو قد بلغ منه الجهد إلى حد أنه يجد لبدته ثقيلا .

(٥) يقول : إنه يتسبب إلى إحراز الحمد بكل الأسباب من إحسان وإقدام وما إليهما ، بصير بكسبه من حيث يعجز عنه غيره ، فلو لاح له الحمد في فكي الأسد لأحرزه حبا فيه .

(٦) النيل : العطاء ؛ والمهند : السيف الهندى ؛ وتأمله : متعلقة بيفى ؛ وبالذعر متعلق بينقد . يقول : إذا أمله الإنسان استغنى بذلك الأمل قبل أن يأخذ عطاءه لأنه لا ينجب مؤملا . وإذا خافه إنسان تقطع من خوفه قبل أن يقتله بسيفه .

وَسَيُنْفِي لَأَنْتَ السَّيْفُ لَا مَا تَسْلُهُ

لِيَضْرِبَ وَبِمَا السَّيْفُ مِنْهُ لَكَ الْغَمْدُ^(١)
وَرُحِي لَأَنْتَ الرَّمْحُ لَا مَا تَبْلُهُ نَجِيمًا وَلَوْلَا الْقَدَحُ لَمْ يُثَقِّبِ الزَّنْدُ^(٢)
مِنَ الْقَاسِمِينَ الشُّكْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِأَنَّهُمْ يُسَدُّوْنَ إِلَيْهِمْ بَأْنَ يُسَدُّوْا^(٣)
فَشُكْرِي لَهُمْ شُكْرَانِ شُكْرٌ عَلَى النَّدَى
وَشُكْرٌ عَلَى الشُّكْرِ الَّذِي وَهَبُوا بَعْدُ^(٤)
صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ حِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهَا فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو^(٥)

(١) الواو في قوله وسيفي : للقسم ، وبما السيف منه : خبر مقدم عن الغمد ،
و المير في منه : يعود إلى ما . يقسم بسيفه تعظيما له ، يقول : إني أقسم بسيفي على أنك
إذا سللت سيفاً لضرب فأنت السيف في الحقيقة ، لاهو ، لأن مضاء إنما هو بك .
ولما جعله سيفاً جعل غمده من الحديد الذي السيف منه يعنى الدرع ، والمعنى : إذا لبست
الدرع كنت فيه كالسيف ، وكان لك كالغمد . وعبرة ابن جني : لأنت السيف ، لا الذي
تسله الأعداء . أى أنت في الحقيقة سيف لا الذي يطبع من الحديد ، فإذا لبست الدرع
والجوشن كنت كالسيف ، وكانا لك كالغمد .

(٢) التجميع : الدم ، ونجماً : تميز ، والزند : ما يقتدح به ؛ ويثقب : يورى ناراً
يقول : وحق رحي لولاك ولولا جودة طعنك لم يعمل الرمح شيئاً كما أنه لولا قدح
القادح لم يور الزند .

(٣) قوله من القاسمين : أى هو من القوم القاسمين . وأسدى إليه : أحسن ؛
وأسدى إليه معروفاً اتخذه عنده . يقول : هو من القوم الذين يشكروننى على الاخذ
والقبول كما أشكرهم على الإنعام . إذا أحسنوا إلى أحد فقبل إحسانهم ع واذلك إحساناً
منه إليهم يستحق الشكر على حد قول زهير :

* كَأَنَّكَ تُعْضِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ *

(٤) جملاً ، شكرهم له على أخذ عطائهم هبة ثانية منهم له ، فهو يشكرهم على العطاء
وعلى الشكر الذي هو عطاء ثان . وفي هذا المعنى يقول أبو يعقوب الحريرى :

كَأَنَّ عَلَيْهِ الشُّكْرَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ يُقَلِّدُ نِيهَا بِأَدْيَا وَيَمِيدُهَا

(٥) صيام : أى واقفة ، تقول صام الفرس : إذا وقف . يقول : إن خيلهم واقفة

وَأَنْفُسُهُمْ مَبْدُولَةٌ لَوْفُودِهِمْ ، وَأَمْوَالُهُمْ فِي دَارٍ مِنْ لَمْ يَفِدْ وَفَدٌ^(١)
 كَهَانَ عَطِيَّاتِ الْحَسَنِ عَسَاكَرٌ فِيهَا الْعَبْدَى وَالْمَطْهَمَةُ الْجُرْدُ^(٢)
 أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَيْسَ الْعَلَا
 رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّمْعَ الْخَلْدُ^(٣)
 وَغَالِ فُضُولَ الدَّرْعِ مِنْ جَنَابَتِهَا عَلَى بَدَنٍ قَدْ الْقَنَاءَ لَهُ قَدْ^(٤)
 وَبَاشَرَ أَبْكَارَ الْمَكَارِمِ أَمْرَدًا ، وَكَانَ كَذَا أَبَاؤُهُ وَهُمْ مُرْدُ^(٥)
 مَدَحْتُ أَبَاهُ قَبْلَهُ فَشَفَى يَدِي
 مِنَ الْعَدَمِ مَنْ تَشَفَى بِهِ الْأَعْيُنُ الرَّئِمْدُ^(٦)

بأبوابهم ؛ وهى كأنها تعدو فى قلوب أعدائهم لشدة خوفهم ، يعنى أنهم يخوفون وإن لم يقصدوا أحداً .

(١) الوفود : جمع وفد ، بمعنى زائر . يقول : إنهم غير معجوبين عمن يقصدهم من الوادين ، وأمواهم ترد على من لم يأتهم لأنهم يعيشونها إليهم ، فأموالهم مبدولة للحاضر والغائب .

(٢) العبدى : جمع عبد ؛ والمطهمة : الخيل الحسان التامة الخلق ؛ والجرد : القصار الشعر . يقول : عطاياه كالعساكر فيها كل شيء ، حتى العبيد والخيل .

(٣) جعل المدوح قرأ وأباه شمساً ، يريد رفعهما وشهرتهما ، وجعل القمر ابن الشمس إشارة إلى أن نور القمر مستفاد من نور الشمس . يقول : قد لبس العلى ثوباً ثم خاطبه وقال تمهل حتى ينبت الشعر فى وجهك : أى حتى تكبر ؛ يعنى أنه قد بلغ ما بلغ وهو صغير لم يبلغ حد الرجولية .

(٤) غالها : ذهب بها : أى رفعها من الأرض ؛ وفضول الدرع : ما يفضل منها عن البدن إذا كانت واسعة ، وهو جمع فضل ؛ وجناباتها : جوانبها ، والقناة : عود الرمح يقول : إنه من ذوى البسطة فى الجسم قد ملأ الدرع فلم يبق منها ما يفضل عن بدنه ، وقده مع ذلك طويل معتدل كقند القناة ، ليس بأقص ولا بأحدب .

(٥) أبكار المكارم : أى التى لم يسبقه أحد إليها . يقول : إنه باشر المكارم وتخلق بها وهو بعد ناشئ أمرد ، وكذلك كان يفعل أباه .

(٦) من فى قوله من تشفى به : فاعل شفى : من باب وضع الظاهر موضع المضمرة أو بدل من ضميره ؛ جعل الدم — أى القمر — كالداء الذى يطلب له الشفاء ، وأن

حَبَانِي بِأَثْمَانِ السَّوَابِقِ دُونَهَا خَفَافَةً سِيرِي إِنَّهَا لِلنَّوَى جُنْدُ^(١)
وَشَهْوَةً عَوْدٍ إِنَّ جُودَ يَمِينِهِ ثَنَاءً ثَنَاءً وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ^(٢)
فَلَا زِلْتُ أَلْقَى الْخَاسِدِينَ بِمِثْلِهَا ، وَفِي يَدِهِمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِي الرِّفْدُ^(٣)

أبا الممدوح شفاه بجوده وعطائه وأن من نظره إليه — أى إلى أبي الممدوح — قوت عينه بما يشاهد من بشره وطلاقة وجهه حتى لو كان به رمد لشفى وهذا كما يقول ابن الرومي :
يَا رَمِدَ الْعَيْنِ قُمْ قِبَالَتَهُ فَدَاوِ بِاللَّحْظِ نَحْوَهُ رَمَدَكَ

هذا : والعدم والعدم إذ ضمنت الأول : سكنت الثاني ، وإن فتحته فتحت الثاني :
كالسقم والسقم ، والرشد والرشد والحزن والحزن والرمد جمع رمة ، ورمد الرجل :
هاجت عينه فهو رمد وأرمد .

(١) حبانى : أعطانى ؛ والسوابق : الخيل ، ودونها : حال من السوابق . يقول :
أعطانى أثمان الخيل — أى المال الذى تشتري به الخيل السوابق — ولم يعطنى
الخيل غفافة أن أسير عليها وأفارقه ، لأن الخيل يجربها تعين على السفر والبعد فهى من
أسباب الفراق وأعوانه . وقوله : إنها ، لك أن تقرأها بكسر الهمزة على الاستئناف
ويكون الكلام قد تم بسيرى ؛ وفتحتها على تقدير اللام : أى حبانى بذلك لأنها .

(٢) شهوة : عطف على غفافة . وبها : صلة الجواد ، والضمير للأثمان أو لقوله
ثناء ؛ لأنها عطايا ثناء : أى مثنى مثنى . يقول : حبانى بأثمان السوابق شهوة عود منه إلى
حبانى مرة أخرى قبل انصرافى لأن جوده مثنى وإن كان هو فردا لانظير له .

(٣) بمثلها : أى بمثل أثمان الخيل ، أو بمثل عطايه المذكورة في قوله : ثناء ثناء —
كما سبق — . يدعو لنفسه يقول : لازلت أثيراً لديه محظوظاً عنده ألتقى عطايه وألقى بها
حسادى فأفطر قلوبهم ، فلا يكون لهم إلا أن يموتوا بغيظهم . وىروى غيظ بدل غيظ : أى
فراغ من غاض الماء إذا نقص وجف والرفد — بالكسر — العطاء والصلة ، وبالفتح : المصدر
رفده رفده رفداً أعطاه ؛ ومنه الرفادة وهى شئ كانت قریش تترافد به فى الجاهلية
فيخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته ، فيجمعون من ذلك مالا عظيماً أيام الرسم فيشتركون
به للحاح الجزر والطعام والزيب للنبيذ ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضى أيام
موسم الحج ، وكانت الرفادة والمقاية لبنى هاشم ؛ والسدانة واللواء لبنى عبد الدار ،
وكان أول من قام بالرفادة هاشم بن عبد مناف ، وسمى هاشماً لشمه الثريد : والرافدان
دجلة وانهرات . قال الفرزدق يعاتب يزيد بن عبد الملك فى تقديم ابن المثنى عمر بن
هيرة الفزارى على العراق ويهجوهم .

وَعِنْدِي قَبَاطِيُّ الْهُمَامِ وَمَالُهُ وَعِنْدَهُمْ مِمَّا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْدُ^(١)
يَرُومُونَ شَأْوِي فِي الْكَلَامِ وَإِنَّمَا يُحَاكِ الْفَتَى فِيمَا خَلَا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ^(٢)
فَهُمْ فِي جُوعٍ لَا يَرَاهَا ابْنُ دَايَةِ ، وَهُمْ فِي ضَجِيجٍ لَا يُحِسُّ بِهَا الْخَلْدُ^(٣)
وَمِنِّي أَسْتَفَادَ النَّاسُ كُلَّ غَرِيْبَةٍ ؛
فَجَازُوا بِتَرْكِ الدَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ خَمْدُ^(٤)

بَعَثَتْ إِلَى الْعِرَاقِيِّ وَرَافِدِيٍّ فَرَارِيًّا أَحْذُ يَدِ الْقَمِيصِ^(١)

(١) القباطي : جمع قبطية . وهي ثياب بيض تعمل في مصر ؛ والجحد : إنكار الشيء مع العلم به . يقول : ولا زال عندي ثياب المدوح وماله ، وعند حاسدي إنكار ما ظفرت به من نعمته ؛ يقولون : لم يعطه ولم ينل جميع ما يدعي حسداً لي وسترأ لما فضلت به عليهم ، وقال ابن جني في معنى المصراع الأخير : هذا دعاء عليهم بأن لا يرزقوا شيئاً حتى إذا قيل لهم : هل عندكم خير أوبر من هذا المدوح ؟ قالوا : لا ، فذلك هو الجحد وليس شيء .

(٢) الشأو : الغاية : يقول : إن هؤلاء المتشاعرين يحاولون أن يبلغوا غايقي في الشعر وهم بالقياس إلى كالتفرد بالقياس إلى الإنسان ، يحاكيه في جميع أفعاله ما خلا المنطق فإنه يعجز عنه وكذلك هم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل كلامي .

(٣) ابن داية : هو الغراب ، يقع على داية البعير - الدبر - فينقرها قال الشاعر :

إِنْ ابْنُ دَايَةِ الْفِرَاقِ لَمْ يُولَعْ وَبِمَا كَرِهْتُ لِدَائِمُ التَّنْمَلَبِ

وهو يوصف بمدة البصر . والخلد : نوع من الفأر أعمى ، يضرب به المثل في قوة السمع . يقول : هم في جوع قليلة ، لا يصبرها الغراب مع حدة بصره ، ولا يسمع أصواتهم الخلد مع حدة سمعه . والمعنى أنهم غاية في الحقارة ودقة الشأن ، حتى لو أن ذلك كان في أجسامهم ، ما رأى جموعهم الغراب ، أوفى أصواتهم ، ما سمعها الخلد .

(٤) قوله فجازوا : أمر من المجازاة . يقول : مني استفاد الناس كل شعر بارع رافع بديع واستحلوه . ثم انتفت إلى خطابهم وقال : فإن لم تجازوني بالحمد على تصاندي فليكن

(١) يصفه بالغلول وسرعة اليد . وقوله أخذ يد القميص : أراد أخذ اليد ، فأضاف إلى القميص حاجته ، وأراد خفة يده في السرقة . وقيل : إن الأخذ الملقطوع ، يريد أنه قصير اليد عن نيل العالي ، فحمله كالأخذ الذي لا شعر لذنبه .

وَجَدْتُ عَلِيًّا وَابْنَهُ خَيْرَ قَوْمِهِ
وَهُمْ خَيْرُ قَوْمٍ وَأَسْتَوَى الْخُرُ وَالْعَبْدُ^(١)
وَأَصْبَحَ شِعْرِي مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ
وَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الْعَقْدُ^(٢)

جزأى مشكم ترك ذى ا يريد جماعة الشعراء الذين يسرقون كلامه ثم ينتقصونه ويصفون
إناءه . وقال ابن جنى : قوله لجازوا : هو كما تقول هذا الدرهم يجوز على خبث نقده :
أى يتسامح به ، فغايتهم أن لا يذموا ، فأما أن يحمدا فلا ... قال العروضى - ينتقدم -
قضيت العجب ممن يغنى عليه مثل هذا ، ثم يدعى أنه أحكم سماع تفسيره منه ، وإنما
يقول : الناس استفادوا منى كل شعر غريب وكلام بارع ، ثم رجع إلى الخطاب فقال :
لجازونى على فوائدى بترك الذم إن لم يحمداونى عليها .

(١) على : أبو الممدوح ؛ وابنه : الحسين ، والضمير فى قومه : لعل ؛ يقول : هو
وابنه خير قومه ، وقومه خير قوم فى الدنيا ، وبعد ذلك يستوى الأحرار والعبيد فى
انحطاط الجميع عن منزلتهم ، وهذا كقول أبى تمام :

مُتَوَاطِئُ عَقَبَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَلَا وَالْجِدِّ نُمَّتَ نَسْتَوَى الْأَقْدَامُ
(٢) منها : حال من مكانه ، وفى مكانه : خبر أصبح ، والضمير : للشعر ؛ يقول :
وأصبح شعري من على وابنه فى المكان الذى ينبغى أن يكون فيه ، لأنها أهل لأن
مدحا به فزاد حسنه ، كما أن العقد إذا حصل فى عنق الحسناء ازداد حسنه . وهذا
كقوله أيضاً .

وقد أطال ثنائى طول لابيهِ إن الثناء على التنبالِ تَنَبَالُ

[التنبال : القصير]

وساير أبا محمد بن طنج وهو لا يدرى أين يريد ؛ فلما دخل كفر ديس قال :

وَزِيَارَةٍ عَنْ غَيْرِ مَوْعِدٍ كَالْفُضِي فِي الْجَفْنِ الْمَسْدِ^(١)
مَعَجَتُ بِنَا فِيهَا الْجِيَا دُمَعَ الْأَمِيرُ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٢)
حَتَّى دَخَلْنَا جَنَّةً لَوْ أَنَّ سَاكِنَهَا مُخَلَّدٌ
خَضِرَاءُ خَمْرَاءُ التَّرَا بِكَانَهَا فِي خَدِّ أَغِيدٍ^(٣)
أَحْبَبْتُ تَشْبِيهَا لَهَا فَوَجَدْتُهُ مَا لَيْسَ يُوجَدُ^(٤)
وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْخَلْقَا ثِقِي فَهِيَ وَاحِدَةٌ لِأَوْحَدٍ^(٥)

* *

(١) المسد : الذى منع النوم لئلا هم . يقول : اتفقت لنا زيارة هذه القرية بئنة فكأن لطيفها كالنوم فى جفن الساهد .

(٢) المعج : أن يعتمد الفرس على إحدى عضادى العنان : مرة فى الشق الأيمن ، ومرة فى الشق الأيسر ، وقيل : ضرب من السير لين سهل ، قال الشاعر :

يَصِلُ الشَّدَّ بِشَدٍّ فَإِذَا وَنْتَ الْخَلِيلُ مِنَ الشَّدِّ مَعِجٌ

(٣) شبه خضرة نباتها على حمرة ترابها بحضرة العذار على حمرة خد أغيد ، والأغيد الوسنان المائل العنق اللين الأعطاف ، وهو من أوصاف الغلمان الحسان . قل الواحدى والغيد لا ينبىء عن الحمرة ، لكنه أراد أغيد مورد الخد حيث شبه الحضرة على الحمرة بما فى خده ، كما قال الشاعر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَاءِ أَيْدَى جَوَارِ بَتْنِ نَاعِمَاتٍ

يريد أن أيدى الإبل انخضبت من الدم ، كما أن أيدى الجوارى الناعمات حمر بالخصاب ، وليست النومة من الخصاب فى شيء .

(٤) يقول : أحبت أن أشبهها بشيء فوجدت التشبيه معدوماً . ويجوز أن يراد بالتشبيه الشبه به : يقول : أردت مشبها لها فكان مستحيل الوجود ، يريد أنها لا نظير لها .

(٥) أى هى واحدة فى الحسن لأوحد فى المجد .

وهم بالنهوض قاعده أبو محمد فقال :

يَا مَنْ رَأَيْتُ الْحَلِيمَ وَغَدَاً بِهِ وَحُرَّ الْمُلُوكِ عَبْدَاً^(١)
مَالَ عَلَى الشَّرَابِ جِدَاً ، وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ أَهْدَى^(٢)
فَإِنْ تَفَضَّلْتَ بِانْصِرَافِي عَدَدَتُهُ مِنْ لَدُنْكَ رِفْدَاً^(٣)

وأطلق أبو محمد الباشق على سماناة فأخذها فقال :

أَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ بَلَغْتَ الْمُرَادَاً ، وَفِي كُلِّ شَأْنٍ شَأَوْتَ الْعِبَادَاً^(٤)
فَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ لَمْ يَسُدْ ، وَمَاذَا تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ سَادَاً^(٥)
كَانَ الشَّمَانِي إِذَا مَا رَأَتْكَ تَصَيْدُهَا تَشْتَهِي أَنْ تُصَادَاً^(٦)

(١) الوغد : الرذل الدنيء الضعيف العقل ؛ والوغد : خادم القوم ، وقيل : الذي يخدم بطعام بطنه ، تقول منه : وغد الرجل - بضم الغين - ومنه الوغد : قذح من سهام الميسر لا نصيب له يقول : رأيت العاقل اثبت الرزين به رذلا دنيئاً أحق ، وأحرار الملوك غبيداً ، يعنى شرفه وسيادته .

(٢) يقول : إن الشراب - شراب الراح - قد نال منه ، وأنه أراد النهوض فمنعه ، ثم قال : وأنت أعرف بكل شيء وأهدى الناس إلى الكرام .

(٣) رِفْدَاً : أى إنعاماً ، يريد : أنا أحمد لا أنصرف ، فإن تفضلت بانصرافي عدته منك عطية .

(٤) الشأو : الغاية ؛ وشأه : سبقه .

(٥) يقول : لم تدع من السيادة شيئاً يناله من لم يسد ، ولا شيئاً يذكر لمن ساد

(٦) الشمانى : الطائر المعروف فى مصر بالسمان ، يكون واحداً ويكون جمعا

ويقال فى الواحدة أيضاً سماناة . وتصيدها - بحذف إحدى التامين - أى تصيدها يقول : إن الشمانى استسلمت للباشق ، فكأنها تشهى أن تضاد لتفتخر بحصولها فى يدك .

(٨ - الخنفي ٢)

واجتاز أبو محمد ببعض الجبال ، فأثارت الغلمان خَشْفًا ، فتلقفته الكلاب ،

فقال :

وَشَامِخٍ مِنَ الْجِبَالِ أَتَوَدِ فَرَدِ كَيَافُوحِ الْبَعِيرِ الْأَصِيدِ^(١)
يُسَارِ مِنْ مَضْيِقِهِ وَالْجَلْدِ فِي مِثْلِ مَتْنِ الْمَسَدِ الْمُعْقَدِ^(٢)
زُرْنَاهُ لِلْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يُعْهَدِ لِلصَّيْدِ وَالنَّزْهَةِ وَالتَّمَرُّدِ^(٣)
بِكُلِّ مَسْقِي الدِّمَاءِ أَسْوَدِ مُعَاوِدِ مُقَوِّدِ مُقْلَدِ^(٤)
بِكُلِّ نَابٍ ذَرَبٍ مُحَدَّدِ عَلَى حِفَافِي حَنَكٍ كَالْمَبْرَدِ^(٥)
كَطَالِبِ الثَّارِ وَإِنْ لَمْ يَحْقِدِ يَقْتُلْ مَا يَقْتُلُهُ وَلَا يَدِي^(٦)

(١) وشامخ : أى ورب جبل شامخ : أى عال ؛ والأتود : المتقاد طولاً ، والأصيد : الملتوى العنق لداء ، والصيد : داء يصيب أعناق الإبل . يريد أن هذا الجبل مرتفع فى اعوجاج ، فشبهه بيافوخ البعير الأصيد لعلوه واعوجاجه .

(٢) الجلد : الصخر . والسد : الجبل من ليف . يقول : إن السائر فى هذا الجبل يسير منه فى طريق ضيق ذى صخور ، قد تخرج واشتبك بعضه فى بعض فأشبه لذلك ما بين قوى الجبل المعقد .

(٣) لك أن تقرأ يعهد : بضم الياء - على المجهول - وبفتحها : على أنه من فعل الجبل . والمراد بالتمرد : طغيان النشاط . وقوله للصيد : بدل تفصيل من الأمر ، والنزهة : الابتعاد عن مجامع الناس ومواضع العمق وفساد الهواء . يقول : أتينا هذا الجبل للصيد والنزهة والمرح مما لم يعهد فى مثله أو لم يعهده هو فى نفسه من قبل لفرط علوه ووعورة مسالكه .

(٤) أى زرنَاهُ بكل كلب يسقى دم ما يصيده ، أسود اللون ، تعود الصيد ومارسه كثيراً ، مقود : أى جعل له مقود يقاد به إلى الصيد ، مقلد من القلادة ، وهى الطوق يجعل فى العنق .

(٥) أى معاود للصيد بكل ناب ، أو تقول : يسطو بكل ناب ذرب : أى حاد ماض ، والحفافان : الجانبان ، شبه حنكه بالمبرد ، لما فيه من التضايرس والطرائق .

(٦) ودى القتل بديه : أعطى ديته ، وهى ثمن الدم . يقول : كأن له عند الصيد ثأراً يطلبه وإن لم يضطغن عليه ، فهو يقتل ما يقتله ولا دية عليه .

يَنْشُدُ مِنْ ذَا الْحَشَفِ مَا لَمْ يَفْقِدِ
 فَتَارَ مِنْ أَخْضَرَ مَمْطُورٍ نَدَى^(١)
 كَأَنَّهُ بَذَهُ عِذَارِ الْأَمْرِدِ فَلَمْ يَكْذُ إِلَّا لِحَتْفٍ يَهْتَدِي^(٢)
 وَلَمْ يَقَعْ إِلَّا عَلَى بَطْنٍ يَدٍ وَلَمْ يَدْعُ لِلشَّاعِرِ الْمَجُودِ^(٣)
 وَصَفَا لَهُ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْأَتَجِدِ الْمَلِكِ الْقَرْمِ أَبِي مُحَمَّدٍ^(٤)
 الْقَانِصِ الْأَبْطَالِ بِالْمُهَنْدِ ذِي النِّعَمِ الْفَرُّ الْبَوَادِي الْعُودِ^(٥)
 إِذَا أَرَدْتُ عَدَّهَا لَمْ تُعَدِّ ،
 وَإِنْ ذَكَّرْتُ فَضَّلَهُ لَمْ يَنْفَدِ^(٦)

- (١) الحشف : ولد الظبية . ونشد الضالة : طلبها وتعرف مكانها . وقوله : من أخضر أى من مكان أخضر . يقول : يطلب من هذا الحشف ضالة لم يفقدها من قبل ، فتار الحشف بين يديه من مكان معشوشب أخضر خضل ندى :
- (٢) و (٣) قوله كأنه الخ : شبه النبات الأخضر بشعر العارضين أول ما يبدو في خد أمرد . وقوله : فلم يكذ الخ يقول : لما ثار الحشف أمام الكلب انسدت عليه مسالك الفرار فلم يكذ يهتدى منها طريقا إلا كان فيها هلاكه لإدراك الكلب إياه ، ولم يقع إلا على بطن يد الكلب فحصل فيها . وقال الواحدى : إنه لما يئس من القوت مد يديه لاطئا بالأرض .
- (٤) يقول : ولم يدع الكلب للشاعر وصفا يصفه به لدى الأمير ، لأنه لا يقدر أن يأتى بشيء أكثر مما رآه من أفعاله ، والقرم : السيد . وأصله من البعر للقرم ، وهو الذى لا يعمل عليه ولا يذل .
- (٥) سمى أخذه الأبطال بالسيف قصا : لمشاكلة للقام ؛ والفر : البيض ، والبوادي العود : أى التى تظهر أولا ثم تعود ولا تكون مرة واحدة . ويحتمل أن تكون البوادي أصلها الحمز ، تخففها للوزن .
- (٦) لم تعدد : تزوى لم أعدد ؛ وينفد : يفرغ .

وقال ارتجالاً يودعه :

مَاذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الْوَامِقِ الْكَمِيدِ
هَذَا الْوَدَاعُ وَدَاعُ الرُّوحِ لِلْجَسَدِ^(١)
إِذَا السَّحَابُ زَفَقَهُ الرِّيحُ مُرْتَفِعًا
فَلَا عَدَا الرَّمْلَةَ الْبَيْضَاءُ مِنْ بَلَدٍ^(٢)
وَيَا فِرَاقَ الْأَمِيرِ الرَّحْبِ مَنَزَلُهُ
إِنْ أَنْتَ فَارَقْتَنَا يَوْمًا فَلَا تَعُدِ^(٣)

(١) الوامق : الحب . يقول : ليس هذا الوداع وداع عجب لحبيبه ، وإنما هو وداع روح لجسدها . وفي هذا المعنى يقول القائل :

أَتَتْ وَدُمُوعَهَا فِي الْخَدِّ تَحْكِي . فَلَا تُدَاهِا وَقَدْ جَمَلْتَ تَقُولُ

غَدَاةً غَدٍ تَحْتُ بِنَا الْمَطَايَا . فَهَلْ لَكَ مِنْ وَدَاعٍ يَا خَلِيلُ

فَقُلْتُ لَهَا : لِعَمْرِكَ لَا أَبَالِي . أَقَامَ الْحَيَّ أَمَ جَدَّ الرَّحِيلِ

يُهْدَدُ بِالنَّوَى مِنْ كَانَ حَيًّا . وَهَذَا أَقْبَلُ بَيْنَكُمْ قَتِيلُ

(٢) زفته : ساقته ؛ والرملة : بلد المدوح ؛ وعدا : جاوز ؛ ومن بلد : يميز ؛ ومن : زائدة . دعا له بالسقيا والخصب والبركة يقول : إذا أرسل إليه سحابا فلا جاوز بلادك .

(٣) منزله : فاعل الرحب . يقول : إن فارقتنا - أيها الفراق يوما - بأن اجتمعنا - فلا تفرقنا ثانية .

ودخل على أبي العشار الحسين بن علي بن حمدان يوماً فوجده على الشراب ،
وفي يده بطيخة من الندى غشاء من خيزران ، عليها قلادة لؤلؤ ، وعلى رأسها
عبر قد أدير حولها ، فحياء بها وقال : أى شيء تشبه هذه ؟ فقال ارتجالاً :

وَبَيْتِي مِنْ خَيْرِ زُرَّانِ ضُمْنَتْ بِطِيخَةٍ نَبَتَتْ بِنَارٍ فِي يَدٍ ^(١)
نَظَّمَ الْأَمِيرُ لَهَا قِلَادَةَ لَوْلُؤٍ كَفَعَالِهِ وَكَلَامِهِ فِي الشَّهَادِ ^(٢)
كَالْكَاكِسِ بِأَشْرَها الْمِزَاجُ فَأَبْرَزَتْ
زَبَدًا يَدُورُ عَلَى شَرَابٍ أَسْوَدٍ ^(٣)

(١) البنية : البنية ، يريد الخيزران الذى اتخذ وعاء لهذه البطيخة ، ولما قال بطيخة
أثبت لها النبت على سبيل الترشيع ، إلا أنه جعل نبتها بنار في يد ؛ لأنها أديرت في
يد صانعها على النار حتى تمت صنعها .

(٢) شبه القلادة المنظومة في حُسْنِها بفعله وكلامه الذى يتكلم به في مشهد من الناس
(٣) المزاج : الماء الذى يمزج به ؛ والزبد : ما يطفو على وجه الكأس ؛ جعل
الشراب أسود لتسود به الكأس ثم جعله ممزوجاً ليعلوه الزبد فيشبه القلادة التى عليها ؛
وقال ابن جني : هو تشبيه واقع ، وإن كان على شراب أسود ، وفي لفظه باليس في
لفظ الشراب الأصفر والأحمر ، إلا أنه شبه ما رأى بما أشبهه . ألا ترى إلى قول القائل
في تشبيهه :

لو ترائى وفي يدي قدح الدُّوِّ شاب أبصرت بازياً وغزالاً ^(١)

(١) الدوشاب - كما في مفردات ابن الأثير - نبيذ التمر ؛ روى تفطويه عن أحمد
ابن حمدان ، قال : تذاكرنا يوماً بحضرة الكنتي فقال : أفيكم من يحفظ في نبيذ
الدوشاب شيئاً ؟ فأنشدته قول ابن الرومي :

إذا أخذت حبّه ودَيْسَهُ ثم أجدت ضربه ومرْسَهُ

ثم أطلت في الإناء حبسه شربت منه الباهلَى نفسه

قلل الكنتي : قبحه الله ما أشْرَهه ! لقد شوقني في هذا اليوم إلى شرب الدوشاب

وقال فيها ارتجالاً أيضاً :

وَسَوْدَاءُ مَنْظُومٍ عَلَيْهَا لَآلِيٌّ لَهَا صُورَةُ الْبَطِيخِ وَهِيَ مِنَ النَّدِّ^(١)
كَأَنَّ بَقَايَا غُصْبٍ فَوْقَ رَأْسِهَا
طُلُوعُ رَوَاعِي الشَّيْبِ فِي الشَّعْرِ الْجَمْدِ^(٢)

وعمل أبياتاً بديهاً ، فتعجب أبو المثنى من سرعته قال :

أَتُنْكِرُ مَا نَطَقْتُ بِهِ بَدِيهاً ، وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ سَبَقُ الْجَوَادِ
أَرَأَيْتَ مَعْرُصَاتِ الشَّعْرِ قَسراً فَأَقْتُلَهَا وَغَيْرِي فِي الطَّرَادِ^(٣)

* *

هذا : والكأس مؤنثة ، قال الله تعالى « بكأس من معين يضاء » وقال أمية ابن الصلت :

مَارْغَبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْيَا قَلِيلاً فَلَمُوتٌ لَاحِقُهَا
يُوشِكُ مَنْ فَرَّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غُرَاتِهِ يَوَاقِفُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرماً لِلْمُوتِ كَأْسٌ وَالْمَرَّةُ ذَاتُهَا^(١)
وقيل : لا تسمى كأساً حتى يكون فيها الشراب .

(١) و (٢) رواعى : جمع راعية . وهو أول شعرة تبيض شيئاً . وروى الجوارزمي دواعي الشيب : يعنى أوائله التى تدعو سائر الشعر إلى البياض . يقول : هذه البطيخة السوداء التى عليها لآلىء هى من الند . وكأن بقايا الغصن عليها أول الشيب فى السواد ، يريد هى سوداء واللون أبيض ، فشب اللون بأول الشيب فى الشعر الأسود . قال ابن جنى : الجعد الأسود لأن السواد أبداً يكون مع الجعودة . قال ابن فورجه : ليس كذلك لأن الزنج يشيون ولا تزول الجعودة ، وإنما آتى بالجعد للقافية .

(٣) أراكس : أطارد ، ومعوصات الشعر : أى عوصاته ، وهى التى لا يهتدى لوجهها والدبس : غسل التمر وعصارتة ؛ والرس : مصدر مرس التمر إذا دلكه فى الماء حتى يتحات فيه .

(١) مات عبطة : أى شاب . وقيل : شاباً صحيحاً

وقال يمدح كافوراً سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

أَوْدٌ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوَدُّهُ ، وَأَشْكُو إِلَيْهَا يَدِينَنَا وَهِيَ جُنْدُهُ ^(١)
يُبَاعِدُنْ حَبِيبًا يَجْتَمِعُنْ وَوَصْلُهُ فَكَيْفَ بِحَبِّ يَجْتَمِعُنْ وَصَدَّهُ ^(٢)
أَبَى خُلُقُ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ ^(٣)
وَأَسْرَعُ مَفْعُولٍ فَعَلْتَ تَغْيِيرًا تَكْلِفُ شَيْءٌ فِي طِبَاعِكَ ضِدَّهُ ^(٤)

يصف نفسه بسرعة الحاطر وقوة البادرة ، وشبه الشعر بالصيد . يقول : إنه يطارد العويس من الشعر فيأخذه قهراً ، وأما من عداه من الشعراء فباق في مطاردته لم يدرك شيئاً .
(١) بيننا : فراقنا . يقول : أحب من الأيام الإنصاف وأن تجمع بيني وبين أحبي ، وذلك ما لا توده الأيام ، وأشكو إليها فراقنا وإنما هي جند الفراق ، لأنها سبب البعد والتفريق ، فكيف أرجى أن تصنى إلى شكائي ؟

(٢) يباعدن : أي يبعدن ؟ والحب : المحبوب : ووصله : وصدته ؛ معطوفان على الضمير في يجتمعن دون أن يأتي بتوكيد ، وهو جائز عند الكوفيين — كما أسلفنا — وجعل الأيام تجتمع مع الوصل والصد لأنهما يكونان فيها ، والظرف يتضمن الفعل ، وإذا تضمنه فقد لا يسه : فكأنه اجتمع معه . يقول : إذا كانت الأيام تبعد عنا الحبيب المواصل لنا فكيف تقرب الحبيب المقاطع ؟ يعني أن الأيام تبعد عنا الحبيب ووصله موجود ، فكيف الطمع في حبيب صده موجود ؟

(٣) قال الواحدى : أى أن الدنيا قد أبت أن تدिम لنا حبيباً على الوصال فكيف أطلب منها حبيباً تمنعه عن وصالنا؟ وكيف أطلب منها أن ترده إلى الوصل بعد أن أعرض وهر ؟ وهذا كما قيل لبعضهم : قد ظهر نبي يحيى الأموات ، فقال : ما تريد هذا ، بل زريد أن يترك الأحياء فلا يميتهم ، وعبرة بعض الشراح : أى أن الدنيا لا تدिम الحبيب الحاضر ، فكيف ترد الحبيب الغائب وهى سبب غيبته ؟ وقال ابن جني : إذا كان مافى يدك لا يبق عليك ، فما قد مضى أبعد من الرجوع إليك .

(٤) فعلت : نعت مفعول ، وتغيراً : تميز ، وتكلف : خبر أسرع . يقول : إن الدنيا لو أسعدتنا بقرب أحببتنا لما دام لنا ذلك لأن الدنيا بنيت على التغير والتثقل ، فإذا فعلت غير ذلك كانت كمن تكلف شيئاً هو ضد طباعه ، فليس إلا أن يدعه وشيكاً ويعود إلى طبيعه ، كما قال حاتم :

رَعَى اللَّهُ عَيْسًا فَارْقَتْنَا وَفَوْقَهَا مَهَا كُلُّهَا يُؤَلَى بِجَفْنِيهِ خَدُّهُ^(١)
 بِوَادِيهِ مَا بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُ وَقَدْ رَحَلُوا جِيدٌ تَنَازَرَ عِقْدُهُ^(٢)
 إِذَا سَارَتِ الْأَحْدَاجُ فَوْقَ نَبَاتِهِ تَفَاحَ مِنْكَ الْفَانِيَاتِ وَرَنَدُهُ^(٣)

وَمَنْ يَتَدَرَّعُ مَا لَيْسَ مِنْ خِيَمِ نَفْسِهِ يَدَّعُهُ وَتَرْجِعُهُ إِلَيْهِ الرَّوَاجِعُ
 وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْأَعُورِ الشَّنِيِّ :
 وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلُقًا سِوَى خُلُقِ نَفْسِهِ يَدَّعُهُ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ الطَّبَائِعُ
 وَأَدْوَمُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَا نَشَأَ بِهِ ، وَأَقْصَرُ أَفْعَالِ الرِّجَالِ الْبِدَائِعُ
 وَمِثْلُهُ :

يَا أَيُّهَا الْمُتَحَلِّيْ غَيْرَ شَيْئِهِ إِنْ التَّخَلَّقَ يَأْتِيْ دُونَهُ الْخُلُقُ

(١) العيس : الإبل ، والمها : بقرة الوحش . تشبه بها النساء الحسنان . ويؤلى - من الولى - وهو المطر الذى يلى الوسمى . يدعو للإبل التى حملت الحبايب وذهبت بهن ، ثم ذكر أنهن يكنن لأجل العراق فقال : كلها يؤلى - أى يعطر - خده بجفنيه . جعل بكاءهن كالطر من جفونهن .

(٢) بواد : متعلق بفارقتنا - فى البيت السابق - والضمير فى رحلوا : لقوم الحبايب ، والجيد ، العنق ، يقول : فارقتنا بواد به من الوجد والوحشة لفرأهم ما بالقلوب : أى استوحش وتغير لارتحالهم ، فصار كأنه جيد تناثر عقده ، يعنى أن الوادى كان متزيئا بهم فلما ارتحلوا تعطل من الزينة وعبارة ابن جنى : بقى الوادى مستوحشاً لرحيلهم عنه كالجيد إذا سقط عقده وبه ما بالقلوب : أى قد قتله الوجد لفقدهم . قال : ويجوز أن يكون شبه تفرق الحولة والظنن بدر تناثر فتفرق ؛ وقال ابن القطاع - بعد أن أورد كلام ابن جنى هذا - يصف زهر الوادى وحسنه فتعوض بالمطل من الحلى .

(٣) الأحداج : مراكب النساء . فوق الإبل كالهواذج : جمع حدج ، وهو جمع قلة ، وجمع الكثرة حدوج ، وحدجت البعير أحدجه - بالكسر - حدجا : إذا شددت عليه الحدج . قال الاعشى :

أَلَا قُلْ لِمِثَاءٍ مَا بَالُهَا أَلْبَيْنَ تَحْدَجُ أَحْمَالُهَا ؟
 [ويروى : أجمالها - بالجيم - أى تشد عليها]

وَجَالٍ كَلَاخِدَاهُنَّ رُمْتُ بُلُغَهَا
وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ^(١)

والوند : نبات من شجر البادية ، طيب الرائحة ، يشبه الآس . يقول : إذا سارت
مرا كبهن فوق نبات هذا الوادى وهو من الرند وهن قد تضحخن بالمسك - اختلطت
ريح الرند بريح المسك فتفوح الريحان ، قال ابن جنى : قال لى التنبى : لما قلت هذه القصيدة
وقلت : تفاح أخذ شعراء مصر هذه اللفظة فتداولوها بينهم قال ابن جنى : وهى لفظة
فصيحة مستحسنة . قال العكبرى : سألت شيخى بالحرم مكى بن ريان الماكسى عند قراءتى
عليه هذا الديوان سنة تسع وتسعين وخمسة : ما بال شعر التنبى فى كافور أجود من شعره
فى عضد الدولة وأبى الفضل ابن العميد ؟ فقال : كان التنبى يعمل الشعر للناس
لا للمدح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان
بمصر جماعة من الفضلاء ، والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك
كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل
الشعر لأجلهم ولا يبالى بالمدح ، والدليل على هذا ما قال أبو الفتح - ابن جنى - عنه
فى قوله : تفاح ، لأنه لما قالها أنكرها عليه قوم حتى حققوها ، فدل أنه كان يعمل الشعر
الجيد لمن يكون بالمكان من الفضلاء .

(١) غول الطريق : ما يقول سالكه ؛ أى يهلكه إنضاء . يقول : ورب حال هى
فى الصعوبة والامتناع وتغذر النال كإحدى هؤلاء النسوة حاولت أن أبلغها ، وقبل
الوصول إليها بعد الطريق وما فيه من المهالك : يعنى أنه يطلب أحوالاً عظيمة . لا يقدر
على الوصول إليها كما أنه لا يقدر على الوصول إلى إحدى هؤلاء الفانيات . وقال ابن جنى
ويجوز أن تكون الحال حسنة كإحدى هؤلاء العوات فى الحسن . هذا : وإليك كلمة
على «رب» للعكبرى . قال : قوله وحال : أى ورب حال ؛ قال أصحابنا : واو رب تعمل
فى النكرة الخفض بنفسها : وإليه ذهب البرد : وقال البصريون : العمل لرب مقدرة ،
وحببتنا أنها نائبة عنها ، فلما نابت عملت الخفض بنفسها وكانت كواو انقسم لأنها نابت عن
الباء ؛ ويدل على أنها ليست خاطفة أن حرف العطف لا يجوز الابتداء به . ونحن نرى
الشاعر يتدى بالواو فى أول القصيدة كقوله :

* وَبَلَدَ لَيْسَ بِهَا أُنَيْسُ *

وَأَتَمَّبُ خَلْقِ اللَّهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ ، وَقَصَرَ عَمَّا تَشْتَبَى النَّفْسُ وَجَدَهُ (١)
فَلَا يَنْحَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ بِمَجْدٍ كَأَنَّ بِالْمَالِ عَقْدَهُ (٢)
وَدَبَّرَهُ تَدِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدَهُ (٣)

ومثله كثير ، يدل على أنها ليست عاطفة ، وحجة البصريين على أن الواو واو عطف وحرف العطف لا يعمل شيئاً ، أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، وحرف العطف غير مختص ، فوجب أن يكون عاملاً ، وإذا لم يكن عاملاً وجب أن العامل «رب» مقدرة . ويدل على أن رب مضمرة أنه يجوز ظهورها معها نحو ورب بلدة .

(١) الهمة : الرغبة ، والوجد : السعة . قال الواحدى : هذا مثل ضربه لنفسه كأنه يقول أنا أتعب خلق الله لزيادة همى وقصور طاقى من الغنى عن مبلغ ما أهم به ، وهذا مأخوذ مما فى الحديث : إن بعض العقلاء مثل غن أسوء الناس حالاً ؟ فقال : من قويت شهوته وبعدت همته واتسعت معرفته وضائق مقدرته ، وقد قال الخليل بن أحمد :

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مُرُوءَةً وَمَا الْمُرُوءَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تَقَاعَدْتُ بِي عَمَّا يُبْنُوهُ بِأَنْبِي رِقَّةُ الْحَالِ

(٢) هذا نهى عن تبذير المال والإسراف فى إنفاقه ، يقول : لا يذهبن مالك كله فى طلب المجد ، لأن من المجد مالا ينعقد إلا بالمال ، فإذا ذهب مالك كله انحل ذلك المجد الذى كان ينعقد بالمال ، قال عبد الله بن معاوية :

أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أَوْرِ يُقْصَرُ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
فَلَا نَفْسِي تُطَاوِعُنِي لِيَخْلِي ، وَلَا مَالِي يَبْلُغُنِي فَعَالِي

يتأسف على قصور ماله عن مبلغ مراده ، وأبو الطيب يقول : يبنى أن تقتصد فى العطاء وتدخر المال لتطيعك الرجال فتنال العلى وتصل إلى الشرف ، ثم ضرب لهذا مثلاً بالبيت التالى .

(٣) يقول : دبر مالك تدبير من إذا خاض الوغى للطعان والزال جعل المجد بمثابة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب ، يعنى أنه بالمجد تقاد الجيوش ، وبالمال ينفق عليها ، فالمجد والمال كلاهما متوقف على الآخر ، كما أبان عن ذلك فى البيت التالى ،

فَلَا تَجِدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ، وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَمَرْكَوبُهُ رِجْلَاهُ وَالثَّوبُ جِلْدُهُ^(١)
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنَبَيْ مَالِهِ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ^(٢)
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرَبُّهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ^(٣)
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ عَلَيَّ مَرَاعِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ^(٤)
وَأَمْضَى سِلَاحٍ قَلَدَ الْمَرْءِ نَفْسَهُ
رَجَاءَهُ أَبِي الْمَسْكِ الْكَرِيمِ وَقَصْدُهُ^(٥)

(١) يقول : في الناس من هودنى الهمة يرضى بما تيسر له من العيش وبالهدون منه ويمشى على قدميه عارياً ، فلا تسمو نفسه إلى ما وراء ذلك من الثراء والعلاء . واليسور : ما تيسر . وهو من المصادر التي جاءت على مفعول .

(٢) يقول : لكن لي قلباً ليس له غاية تنتهي عند مطلوب أجعل له حداً ، يعني أنني إذا جعلت حداً لطلوبي لا يرضى قلبي بذلك بل يطلب ما وراءه .

(٣) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق ، وتربه : تنميه وتنعمه . يقول : إن قلبي هذا يرى الجسم الذي هو فيه يترفه متنعماً بلبس الثياب الرقيقة فيأبى ذلك ويؤثر عليه أن يكسى دروعاً تهده بشقلها ، يعني أنه لا يرضى بالترف والنعيم وهو مغمور ويأبى إلا ركوب الصعاب في سبيل المجد والسيادة .

(٤) التهجير : السير وقت الهجرة ، وهي حر نصف النهار والمهمة : الفلاة الواسعة ؛ والربد : النعام الذي خالط سواده يباح . يقول : إن قلبي يكلفني التهجير والسير في كل فلاة بعيدة مترامية الأطراف ينفد فيها مامى من العليق والزاد فلا عليق لفرسى إلا أن يرتع في مراعيها ولا زاد لي إلا النعام أصيد فأكله .

(٥) يقول : وأمضى سلاح قلد المرء نفسه إياها مقاومة النوائب هو رجاءه أبا المسك وقصده إياه ، يعني أن رجاءه كافوراً وقصده إياه هما اللذان هونا عليه مشقات الطريق وأخطاره فكأنه قاتل بهما هذه الأخطار والخاوف : فقوله : أمضى مبتدأ ، خبره رجاء ؛ ونفسه : مفعول أول لقلد ؛ والثاني : محذوف ، أى قلد نفسه إياه : وهذا المختص من أحسن المختص

هَما ناصِراً مَنْ خانَهُ كُلُّ ناصِرٍ وَأُسْرَةٌ مَنْ لَمْ يُكْثِرِ النَّسْلَ جَدُّهُ^(١)
أَنَا الْيَوْمَ مِنْ غِلْمَانِهِ فِي عَشِيرَةٍ لَنَا وَالِدٌ مِنْهُ يُغْذِيهِ وَلَدُهُ^(٢)
فَمِنْ مَالِهِ مَالُ الْكَبِيرِ وَنَفْسُهُ ، وَمِنْ مَالِهِ دَرُّ الصَّغِيرِ وَمَهْدُهُ^(٣)
نَجْمُهُ الْقَنَا اِخْطَى حَوْلَ قَبَائِهِ ، وَتَرَدَّى بِنَاقِبِ الرِّبَاطِ وَجُرْدُهُ^(٤)
وَنَمْتَحِنُ النُّشَابَ فِي كُلِّ وَابِلٍ دَوَى الْقِسَى الْفَارِسِيَّةِ رَعْدُهُ^(٥)

(١) أسيرة الرجل أهله الأدنون يقول إن جاء كافور وقصده ، هما ينصران على الزمان من خذله أنصاره فأصبح بغير ناصر ، وهما عشيرة من لا عشيرة له ، بهما يمز فيغيانه عن العشيرة .

(٢) الولد - بالضم - بمعنى الولد - بالفتح - يقع على الواحد والجمع قال الشاعر :
فَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلَانًا كَانَ وَلَدَ حِمَارٍ
يقول : إن كافوراً وهب له غلماناً وأنه منهم في عشيرة ، إذ يحفون به ويركبون معه ، وكافور له ولم كالوالد وهم له كالأولاد البررة يحدونه بأنفسهم .

(٣) الدر : اللبن يقول : إن بره عم الكبير والصغير ، فالذي يملكه الكبير حتى نفسه - أى حياته - من ماله ، لأنه إنما يغذى بنعائه ؛ ومهد الصغير واللبن الذي يرتضعه كذلك من ماله ، وكل ذلك لأنه ملك عظيم له الأمر والتصرف في كل شيء . وقال ابن جني : يهب للناس أنفسهم كما يهب لهم المال ، لأنه مالك الجميع : كبيرهم وصغيرهم .

(٤) القنا : الرماح ؛ والخطى : نسبة إلى الخط ، وهو موضع بالجماعة تقوم فيه الرماح وقبابه : خيامه . وتردى - من الرديان - وهو ضرب من العدو . والقب : الضامرة البطون ، جمع أقب ؛ والرباط : اسم لجماعة الخيل ؛ والجرد : : القصار الشعر . يقول تقوم - بمعنى نفسه ومن معه من الغلمان - في خدمته أينما نزل ونصبت خيامه ، وتعدو بنا الخيل في صحبته أينما سار . وقوله وجرده : وحد الضمير ولم يقل وجردها لأن الرباط اسم واحد غير متكرر بمنزلة القوم والرهط .

(٥) نمتنح : نخبر ، والنشاب : السهام . والوابل : للطرازير : والقسى الفارسية أى للنسوبة إلى فارس ، يريد صنعة الصم . يقول : ونمتحن بين يديه الترابي بالسهام وننحن منها في مثل الوابل لكثرتها ، وأصوات القسى في ذلك الوابل كالرعد : بمعنى أنهم يترامون

فَلَا تَكُنْ مِصْرُ الشَّرَى أَوْ عَرِينَهُ

فَإِنَّ الَّذِي فِيهَا مِنَ النَّاسِ أَسَدُهُ^(١)
سَبَائِكُ كَافُورٍ وَعَقِيَانُهُ الَّذِي بِصَمِّ الْقَنَا لَا يَصَالُ أَيْعُ نَقْدُهُ^(٢)
بَلَاهَا حَوَالِيهِ الْعَدُوُّ وَغَيْرُهُ وَجَرَّبَهَا هَزْلُ الطَّرَادِ وَجِدُهُ^(٣)
أَبُو الْمِسْكِ لَا يَفْنَى بِذَنْبِكَ عَفْوُهُ وَلَكِنَّهُ يَفْنَى بِعُذْرِكَ حِقْدُهُ^(٤)
فَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالْجَدِّ سَعِيهِ وَيَا أَيُّهَا الْمَنْصُورُ بِالسَّيِّ جَدُّهُ^(٥)

بالسهم ويتلاعبون بالأسلحة ليتبين أيهم أشد وأبعد غلوة عند الرماء ، كمادة الفرسان والشبان في الحرب .

(١) الثرى : الموضع الكثير الأسد ، وأصله مأسدة بجبل سلمى من بلاد طيء ؛ والعرين : الأجمة . وقوله : فإن الذى . رواها ابن جنى : فإن القى ، لأنه أراد الفتة والجماعة . ولكن رواية الذى : أجود وأشهر . يقول : إن لم تكن مصرهى الثرى ولا عرينه ، فإن الناس الذين فيها هم أسود الثرى ، فالضير فى أسده : للثرى .

(٢) السبائك : جمع سبيكة ، وهى القطعة من فضة أو ذهب ذوبت وأفرغت فى قالب ؛ والعقيان : الذهب . وصم القنا : أى الرماح الصلبة يقول : هؤلاء الناس - الذين ذكرهم - هم ذخائر كافور وعدته فى مطالبه . فهم له بمنزلة السبائك والذهب لغيره ، ولما جعلهم سبائك وعقيان ذكر أنه اتقدم بالرماح - لا بالأصابع كما ينتقد الذهب - أى أنه امتحنهم بطعان الفرسان ، واصطفاهم بعد أن أبلوا فى الحرب .

(٣) بلاها ؛ اختبرها ، وهزل الطراد : مردود إلى قوله وغيره ، وجده إلى العدو على طريق النشر الغير للرتب ، يقول : اختبرها الأعداء فى الحرب حوالى كافور ، لكثرة ما حاربوا أعداءه . وشهدوا معه المعارك فصاروا مجريين بكثرة القتال ، واختبرها غير العدو فى أوقات لعب الفرسان حين يطارد بعضهم بعضا : أى جربت فى حالى الجد والمزل وتمرت بالقتال فى سائر الأحوال .

(٤) يقول : إنه كثير العفو ، وإن عفوه أ ثر من ذنب المذنبين ، وإنه ليس بمحقود وإذا اعتذر إليه الجانى ذهب حقه .

(٥) الجد - هنا - السعد . يقول : إن السعى والسعادة قد اجتماعا له ، فإذا سعى فى أمر نصير السعد سعيه فيصير مجدودا فى ذلك السعى ويدرك ما يريد من سعيه ، وإذا

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي فَأَخْلَفْتَ طَيْبَهُ ، وَمَا ضَرَرَنِي لِمَا رَأَيْتُكَ فَقَدُهُ ^(١)
لَقَدْ شَبَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ كَهْوَلُهُ لَدَيْكَ وَشَابَتْ عِنْدَ غَيْرِكَ مُرْدُهُ ^(٢)
أَلَا لَيْتَ يَوْمَ السَّيْرِ يُخْبِرُ حَرُّهُ فَتَسْأَلُهُ وَاللَّيْلُ يُخْبِرُ بَرْدُهُ ^(٣)
وَلَيْتَكَ تَرَعَانِي وَحَيْرَانُ مُعْرِضٌ فَتَعْلَمَ أُنَى مِنْ حُسَامِكَ حَدَّهُ ^(٤)

حزنته السعادة إلى نيل مطلوب نهض إليه بسعيه ولم يعتمد على السعد وحده ، وإذا اجتمع السعد والسعى لإنسان بلغ أقصى المبالغ .

(١) تولى : ولى ، وفقده فاعل ضر . يقول : ولى الصبا عنى وذهب ، فأخلفت على طيبه : أى جعلت له خلفا بما أجد من طيب أيامى عندك ، يعنى أنى مبتهيج بك ابتهاجى بالشباب حتى لم يضرنى فقده مع رؤيتك .

(٢) هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق : يقول : إن الكهول بما يلاقونه فى ذراك من رغد العيش وبشاشة الحياة ونور العدل صاروا شبابا والرد عند غيرك صاروا شيئا لما يلاقون من البؤس وجهد الحياة وظلمة الظلم . وقال ابن جنى : هذا تعريض بسيف الدولة ، أى صاروا عند غيرك بظلمه وسوء سيرته شيئا . ويجوز أن يكون هذا من المقلوب هجوا . يريد أن الكهول عندك لما ينالهم من النذل والظلم والاحتقار كحال الصبيان ، وأن للرد - وهم الشبان عند غيرك بالاحترام لهم ورفع أقدارهم - صاروا شيئا : أى موقرين توقير الشيوخ .

(٣) يذكر أنه قال فى مسيره إليه حر النهار وبرد الليل يقول : ليهما يخبران فتسألها عما قاسيت . هذا وقوله : والليل عطف على يوم وحره فاعل يخبر وكذا برده . وقوله فتسأله : نصبه ، لأنه جواب التثنية . وقال العكبرى - لمناسبة حر النهار وبرد الليل - وهذا يكون فى أواخر أيام الصيف وأوائل الخريف لأن النهار يكون كرابا والليل بارداً . قال : وما أحسن ما جمع بعضهم الفصول الأربعة فقال :

إِذَا كَانَ يُؤْذِيكَ حَرُّ الْمَصِيفِ وَكَرَبُ الْخَرِيفِ وَبَرْدُ الشِّتَا
وَيُلْهِيكَ حُسْنُ زَمَانِ الرَّبِيعِ فَعَمَلُكَ لِلْخَيْرِ قُلْ لِي مَتَى
(٤) ترعانى - هنا - بمعنى ترانى وتراقبى ؛ وحيران : ماء بالشام على يوم من سلية ومعرض : أى ظاهر ، من أعرض الشيء : بدا للنظر ، ومنه :

وَأَعْرَضَتِ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرَتْ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضِلَّتَيْنَا

وَأَنْتِ إِذَا بَاشَرْتِ أَمْرًا أُرِيدُهُ تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ^(١)
وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي إِلَيْكَ فَلَمَّا لَحْتُ لِي لَاحَ فِرْدُؤُهُ^(٢)
يُقَالُ إِذَا أَبْصَرْتَ جَيْشًا وَرَبَّهُ أَمَامَكَ رَبُّ رَبِّ ذَا الْجَيْشِ عَبْدُهُ^(٣)
وَأَلْقَى الْقَمَّ الضَّحَاكَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَرِيبٌ بِذِي الْكَفِّ الْمُنْدَادِ عَهْدُهُ^(٤)
فَزَارَكَ مِنِّي مَنْ إِلَيْكَ اشْتِيَاقُهُ

وَفِي النَّاسِ إِلَّا فِيكَ وَخُذَكَ زُهْدُهُ^(٥)
يُخْلَفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ غَايَةً ، وَيَأْتِي فَيَدْرِي أَنَّ ذَلِكَ جُهْدُهُ^(٦)

يقول : ليتك كنت تراني وأنا عند هذا الماء فترى جلدي وإشاحي في السير فتعلم
أني ماض في الأمور مضاء حد سيفك .

(١) يصف نفسه بالجلد والشجاعة والإقدام . يقول : إنه إذا حاول أمرا تدانت
أباعده وهان أصعبه لعزمه وبعد همته .

(٢) يشتهون : يتشابهون ، ولي : متعلق يشتهون . وإليك : متعلق بمحذوف حال
من ضمير التكميم قبله : أي وأنا قاصد إليك . يقول : ما زال أهل الدهر يتشابهون
عندي في مسيري إليك ، فلا أكاد أرى بينهم فرقا حتى ظهرت لي ، فإذا أنت فردهم
الذي لا يشبهه أحد منهم وهذا كقولهم :

* الناسُ ما لم يروكَ أشباهُ *

(٣) يقول : إذا رأيت جيشا ومملكة فاستعظمتها قيل لي : قدأمك ملك هذا الملك
الذي تراه عبده فكيف هو ؟ . قال الواحدى : وهذا كالتفسير للبيت السابق فالذين
رآهم هم الذين اشتبهوا له والذي قيل له : رب هذا الجيش عبده ، هو الفرد الذي لاح له .
(٤) يقول : إذا لقيت إنسانا ضاحكا علمت أنه قريب عهده بكفك وأخذه عطاءك
فأنتى عنك مسرورا . فقوله بذى الكف . أى بهذه الكف وهى متعلقة بعهده ؛
وقريب : خبر مقدم ، وعهده : مبتدأ مؤخر ، وعبرة ابن جني : لما قبل كفك كسته
الضحك لبركتها وسعادة من يصل إليها لأنك أغنيته فكثير ضحكك .

(٥) من نكرة موصوفة والجملة بعدها نعت لها ، أى زارك منى رجل اشتياقه كله
إليك أنت — يعنى نفسه من باب التجريد — وزهده في الناس كلهم إلا فيك وحدك
يعنى أنه زاهد في قصد سواه .

(٦) يخلف : أى يترك خلفه ؛ والجهد : الطاقة والوسع . يقول : إن دار المدوح

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَاءٍ يُعْجِزُ الطَّيْرَ وَرِذْهُ^(١)
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْلَ وَعْدٍ لِأَنَّهُ
نَظِيرُ فَعَالٍ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ^(٢)
فَكُنْ فِي أَصْطِنَاعِي مُخْسِنًا كَمُجَرَّبٍ
يَبِينُ لَكَ تَقَرُّبُ الْجَوَادِ وَشَدُّهُ^(٣)

هى غاية القصاد ومنتهى التتبعين ، فمن لم يأتها فقد ترك وراءه غاية لم يدركها ، فإذا
أناها علم أنه قد بلغ جهده الذى لاجهد بعده كما قال :

هى الغرض الأقصى وَرَوَيْتُكَ الْمُنَى

وعبارة المكبرى : غاية كل طالب مرتبة دارك ونهاية ما يأتيه مكتسب المجد ، أن
يقصدك . فمن لم يأت دارك فقد خلف غاية إذا أناها علم أن ذلك جهده فى ابتناء المجد
واكتساب المال .

(١) بماء : أى من ماء ، والورد : إتيان الماء . يقول : إن بلغت أملى فيك فلا أعجب
فكم بلغت الممتع الذى لا يدرك من الأمور ، وجعل الماء الذى لا يرد الطير مثلاً للمتبع
من الأمور . قال الواحدى : وإنما ضرب هذا المثل لأمله فيه لبعده الطريق إليه . قال ابن
ابن جنى : يمكن أن يقلب هذا هجاء ، ومعناه إن أخذت منك شيئاً على بخلك وامتناعك
من العطاء ، فكم قد وصلت إلى المستعصبات واستخرجت الأشياء المتعصاة ؟ ولعل التبي
يشير بما أمله منه إلى ما كان يطلبه من تفويض ولاية إليه ، وكان كافور قد وعده بذلك حياء
منه وهو لا يريد ، وقد سئل فى ذلك يوماً فقال : يا قوم إذا أعطينا من ادعى النبوة ولاية ، أفلا
ترونها يدعى الملك ؟ فقال أبو الطيب ذلك . يشير إلى بعد هذا للأموال وصعوبة نيله .

(٢) الضمير — فى لأنه : ضمير الشأن . وعده — فى آخر البيت — مبتداً
مؤخر . ونظير : خبر مقدم . والفعال — هنا — الفعل . يقول : إن وعدك بمثابة
الفعل الذى يقع دون أن يتقدمه وعد لأن من كان صادق القول لا يرجع عن وعده .
فوعده نظير فعله : أى أنه إذا وعد ، فكأنه قد فعل .

(٣) اصطنعه : اختاره موضعاً لصنيعته : أى بره ومعروفه . والتقريب والشد :
ضربان من جرى الخيل . قال ابن جنى : أى جربنى ليظهر لك صغير أمرى وكبيره ؟

إِذَا كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فَأَبْلُهُ
 فَإِمَّا تُنْفِيهِ وَإِمَّا تُعِدُّهُ (١)
 وَمَا الصَّارِمُ الْهِنْدِيُّ إِلَّا كَغَيْرِهِ إِذَا لَمْ يُفَارِقْهُ النَّجَادُ وَغَدُّهُ (٢)
 وَإِنَّكَ لَلشَّكُورُ فِي كُلِّ حَالَةٍ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْبَشَاشَةُ رِفْدُهُ (٣)
 فَكُلُّ نَوَالٍ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
 فَلَحْظَةُ طَرْفٍ مِنْكَ عِنْدِي نِدُّهُ (٤)
 وَإِنِّي لِنِي بِمَحْرِ مِنْ أَخْطِيرِ أَصْلُهُ عَطَايَاكَ أَرْجُو مَدَهَا وَهِيَ مَدُّهُ (٥)

فإما اصطعنتي وإما رفضتني ، فلا فضل بيني وبين غيره إذا لم تجربني . وقال الواحدى :
 جربني في اصطناعك إياي ليتبين لك أنى موضع للصنعة ، فبالجربة يعرف الفرس
 وأنواع جريه من التقريب والشد .

(١) فأبله : فاختبره ، ويقال نفاه ؛ ونفاه : غففا ومشددا . وهذا مثل في معنى
 البيت السابق . يقول : إذا جربت السيف بأن لك صلاحه وفساده ، فأما ألقته لأنه
 كهام ، وإما أعدده للحرب لأنه حسام : يعنى جربني فإن وجدتني أهلا لما شئت فاصطنعني
 وإلا فارفضني .

(٢) الصارم : السيف القاطع . والنجاد : حمالة السيف . وهذا تأكيد لما ذكره
 في البيتين السابقين ، يقول : إن السيف القاطع الهندي لا يظهر فضله على غيره من
 السيوف حتى يسلب ويضرب به ، وبذلك يعرف مضاه . وقد قلنا : إن التنبي كان يطلب
 من كافور ولاية ، فهو يقول له : جربني لتعرف ما عندى من الكفاية ، وأنى أصلح لأن
 أكون واليا . وهذا من قول أبي تمام :

لَمَّا انْتَضَيْتُكَ لِلخَطُوبِ كَفَيْتَهَا وَالسِّيفَ لَا يَكْفِيكَ حَتَّى يُنْتَضَى

(٣) للشكور ، اللام فيه للتوكيد ، والرفد : العطاء . والضمير فيه : يرجع إلى المشكور
 يقول : أنت مشكور من جهتي على كل حال وإن لم ألق منك إلا بشاشة وجهك وطلاقة
 (٤) النوال : العطاء . والطرف : العين ، ونده : نظيره . يقول : نظرك إلى نظير
 كل عطاء منك أخذته أو سأخذه : أى أن نظرة منك لى تقوم مقام عطائك .

(٥) أصله عطايك : مبتدأ وخبر : وللد : زيادة الماء ، وهو ما قابل الجزر . يريد كثرة

وَمَا رَغْبَتِي فِي عَسَجِدٍ أَسْتَفِيدُهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَعِجِدُهُ^(١)
يَجُودُ بِهِ مَنْ يَفْضَحُ الْجُودَ جُودُهُ
وَيَحْمَدُهُ مَنْ يَفْضَحُ الْحَمْدَ حَمْدُهُ^(٢)
فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النَّحُوسُ بِكَوْكَبٍ ، وَقَابَلَتْهُ إِلَّا وَوَجْهَكَ سَعْدُهُ^(٣)

ما يصل إليه من البر والصلوات . يقول : أنا في بحر من الخير ، وأصل هذا البحر عطايك ، وأنا أرجو زيادة عطايك ، فإنها زيادة ذلك البحر ، وهي مادته .
(١) المسجد : الذهب . يقول : لست أرغب من جهتك في ذهب ومال ، ولكن في نخر جديد — يعنى الولاية — وهذا كقوله الآتى :

فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَعَالَى وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ
وفى هذا المعنى يقول المهلبى :

يَا ذَا الْيَمِينِ لَمْ أَرْزُكَ وَلَمْ أَصْحَبْكَ مِنْ خَلَةٍ وَلَا عَدَمٍ
زَارَكَ بِي هِمَّةٌ مَنَازِعَةٌ إِلَى جَسَمٍ مِنْ غَايَةِ الْمِصْمِ

ومثله :

لَمْ تَزِرْنِي أَبَا عَلَى سِنُو الْجَدِّ بٍ وَعِنْدِي مِنَ الْكَفَافِ فَضُولُ
غَيْرِ أُنَى بَاغٍ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْرِ وَعِنْدَ الْجَلِيلِ يُبْنَى الْجَلِيلُ
وقال ابن الزيات :

لَمْ أُمْتَدِّحْكَ رَجَاءَ الْمَالِ أَطْلُبُهُ لَكِنْ لَتُلْبَسَتِي التَّجْمِيلُ وَالْفُرَارُ
ويقول أبو تمام
وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُو نَوَالَهُمْ فَإِنِّي لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
ويقول أيضا :

يَا رُبَّمَا رَفَعَةً قَدْ كُنْتَ أَمَلَهَا لَدَيْكَ لِافِضَّةٍ أَبْنَى وَلَا ذَهَبَا
(٢) يجود به : أى بالفخر . يقول : تجود به أنت ، وجودك فاضح لجود غيرك
زيادته عليه ، وأحمدك عليه أنا ، وحمدى يفضح حمد غيرى لأنه فوقه
(٣) يقول : إذا مرت النحوس بكوكب وقابلته بوجهك زال النحس عنه وحل محله
السعد : يعنى أنك تسعد النحوس . وتطرده البوس ، وهذا كما يقول أبو تمام :

واتصل قوم من الفلمان بابن الأخشيد مولى كافور وأرادوا أن يفسدوا الأمر
لـ كافور فطالبه بتسليمهم إليه فسلمهم بعد أن امتنع من ذلك مُدَيِّدَةً مما سبب
بنيها وحشة ، وبعد أن تسلمهم كافور أقام في النيل ثم اصطالحا فقال :

حَسَمَ الصِّلَحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحَسَادِ ^(١)
وَأَرَادَتْهُ أَنْفُسُ حَالٍ تَذِيرُكَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمُرَادِ ^(٢)
صَارَ مَا أَوْضَعَ الْمُخْبُونَ فِيهِ مِنْ حِتَابٍ زِيَادَةً فِي الْوِدَادِ ^(٣)
وَكَلَامُ الْوِشَاءِ لَيْسَ عَلَى الْأَخْبَابِ سُلْطَانُهُ عَلَى الْأَضْدَادِ ^(٤)
إِنَّمَا تُنْجِحُ الْمَقَالَةَ فِي الْمَرِّ إِذَا صَادَقَتْ هَوَى فِي الْفَوَادِ ^(٥)

تَلَقَّى السُّعُودَ بِوَجْهِهِ وَنَجِيَّتُهُ وَعَلَيْكَ مَسْحَةٌ بَفَضَةٍ فَتُحَبِّبُ ^(١)

(١) يقول : انتهى الأعداء أن يهيج بينكما شر ، وأذاع الحساد ذلك ، ولكن
الصلح حسم — أي قطع — ما اشتبهوه وأذاعوه .

(٢) يقول : وحسم الصلح ما أرادته أنفس جمع تذكير بينهم وبين ما أرادوه من إثارة
الشر فإ — من قوله ما بينها — زائدة ؛ وحال : اعترض .

(٣) أوضع الراكب بعيره : إذا حثه على السير السريع . والمخبون : الذين يحملون
مطعمهم على الخب ، وهو ضرب من العدو ؛ ومن عتاب : بيان لما . يقول : صار سعى
من سعى بينكما في الفساد زيادة في الوداد ، لأن الود بعد العتاب أصفى ، وهذا المعنى
قريب من قول أبي نواس :

كَأَنَّمَا أَتُّنَّوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

(٤) على الأحباب : في موضع نصب خبرا لليس : واسمها : مستتر يعود على كلام .
وسلطانه على الأضداد : جملة استثنائية مبتدأ وخبر ؛ ولك أن تجعل سلطانه : اسم ليس
وعلى الأضداد : صلة سلطان ؛ وتقدير الكلام : وكلام الوشاة ليس له على الاحباب
السلطان الذي له على الأضداد . ومعنى البيت : إن كلام الوشاة لا يؤثر في الأجابة ،
إنما يؤثر في الأعداء .

(٥) يقول : إنما يبلغ القول النجاح إذا سمعه من يوافق هواه ذلك القول ، وكان
هذا تبرئة لابن مولاه من موافقة قلبه كلام الوشاة .

(١) يقول : إذا أثبت هذا المدح تسعد برؤيته وتصير محبوبا عند الناس بإقباله
عليك وإن كنت بغيضا لديهم من قبل ؛ وفي رواية : ونجبه .

وَلَعَمْرِي لَقَدْ هُرْزَتْ بِمَا قِيلَ فَأَلْفَيْتَ أَوْثَقَ الْأَطْوَادِ (١)
وَأَشَارَتْ بِمَا أُبْنِيتَ رَجَالَهُ كُنْتُ أَهْدَى مِنْهَا إِلَى الْإِرْشَادِ (٢)
قَدْ يُصِيبُ الْفَتَى الْمَشِيرُ وَلَمْ يَجْهَدْ وَيُسْوِ الصَّوَابَ بَعْدَ اجْتِهَادِ (٣)
نَلَيْتَ مَا لَا يُنَالُ بِالْبَيْضِ وَالسَّمْرِ وَصُنْتَ الْأَرْوَاحَ فِي الْأَجْسَادِ (٤)
وَقَنَا الْخَلْطُ فِي مَرَاكِزِهَا حَوْ لَكَ وَالْمَرْهَفَاتُ فِي الْأَنْعُمِ (٥)
مَا دَرَوْا إِذْ رَأَوْا فُؤَادَكَ فِيهِمْ سَاكِناً أَنْ رَأَيْهِ فِي الطَّرَادِ (٦)

(١) ألفت : أى وجدت ؛ وأوثق : أقوى ؛ والأطواد : الجبال . يقول : لقد حركت إلى الشر بما نقل إليك من الوشائات ، فكنت كأقوى الجبال : أى لم يؤثر فيك قول الوشاة الساعين بالخمعة ، يريدون بذلك الفساد .
(٢) يقول : أشار عليك قوم بالشقاق والخلاف فأبيت ذلك ، لأنك لم تجده من الرشاد ، وإنما وجدت الرشاد فى الأناة والمسالة ، وبذلك أرشدتهم إلى ما هو خير مما أشاروا به عليك ، فكنت أعرف منهم بما هو الأصلح ؛
(٣) أشوى يشوى : إذا أخطأ ، ورماه فأشواه : إذا لم يصب للمقتل .
قال الهذلى :

فَإِنْ مِنَ الْقَوْلِ التِّى لَا شَوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاحُهَا (١)

يقول : قد يصيب المشير الذى لم يجتهد فى مشورته ، وقد يخطئ المجتهد فى مشورته بعد الاجتهاد ، يعنى أن الذين أعملوا الرأى قد أخطأوا حين أشاروا عليك بإظهار الخلاف ، وأنت أصبت الرأى عفوا حين ملت إلى الصلح والمسالة ، فكان رأيك أرشد وأسد من رأيهم .

(٤) البيض : السيوف ، والسمر : الرماح . يقول : أدركت بالصلح مالا يدرك بالسيوف والرماح وحفظت الأرواح فلم ترق دما ولم تقتل نفساً وذلك أنه صالحه على أن يسلمه الساعين ففعل وقتلهم كافور .

(٥) القنا : الرماح ؛ والخط : موضع تنسب إليه الرماح . وحوالك حال من مراكرها ، والمرهفات : السيوف المهددة . يقول : وصلت إلى مرادك والرماح مركوزة لم تتحرك للطعن ، والسيوف مغمدة لم تسل للضرب .

(٦) يقول : لم يعلم الناس حين رأوك ساكن القلب أنك تطارد برأيك وتعمل على طلب الصواب حتى أدركته .

(١) يقول : إن من القول كلمة لا تشوى ولكن تقتل .

- فَقَدَىٰ رَأْيِكَ الَّذِي لَمْ تُفْذِهِ كُلُّ رَأْيٍ مُّسَلَّمٌ مُّسْتَفَادٌ ^(١)
 وَإِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ لَمْ يُحَلِّمْ تَقَادُّمُ الْمِيلَادِ ^(٢)
 فَبِهَذَا وَمِثْلِهِ سُدَّتْ يَا كَا فُورٌ وَاقْتَدَتِ كُلَّ صَغْبِ الْقِيَادِ ^(٣)
 وَأَطَاعَ الَّذِي أَطَاعَكَ وَالطَّا عَةُ لَيْسَتْ خَلَائِقِ الْأَسَادِ ^(٤)
 إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُ الْقَا طِعُ أَخْتِي مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ ^(٥)
 لَا عَدَا الشَّرَّ مَنْ بَنَى لَكُمْ الشَّرَّ
 وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ ^(٦)
 أَنْتُمَا مَا اتَّفَقْتُمَا الْجَنَسُ وَالرُّوْحُ فَلَا أُحْتَجَّتُمَا إِلَى الْعُودِ ^(٧)

(١) يقول : يفدى رأيك الذي لم تستفده بتجربة وتعليم وإعما هو متاح أناتك ورويتك كل رأي مستفاد بالتعليم ؛ وعبرة العكبرى وسائر الشراح : يريد أن رأيك تلاد قديم — معك لم يفدك إياه أحد . إنما هو إلهام من الله . ففداه كل رأي مستفاد معلم
 (٢) الحلم : الأناة والعقل . يقول : إذا لم يكن الحلم غريزة وجبلة طبع عليها الرء وفطر لم يفده بالسكبر وتقادم السن ، ومن ثم ليس الشيخ أولى ببجودة الرأى من الشباب قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : بالغرزة يتعلق الأدب ، لا بتقادم السن .
 (٣) يقول : بهذا الرأى الذى رأيت فى هذا الحادث — وبمثله فى غيره — مدت الناس واتقاد لك مالا يتقاد لغيرك

(٤) يقول : وبمثل هذا الرأى أطاعك الناس الذين أطاعوك مع أنهم أسود بأسا وشجاعة فلم يعرفوا الطاعة والاتقياد لأحد قبلك لأن الطاعة ليست من أخلاق الأسود :
 (٥) يقول : إنما أنت فى تربيتك ابن الأخشيد وقومتك عليه كالوالد ، والوالد القاطع أبر بالولد من الولد الواصل بأبيه وأخى منه عليه . يريد : أنك ربيت ابن سيدك وأنت أشفق عليه من كل أحد .

(٦) عدا : جاوز . وبنى : طلب ، وهذا دعاء . يقول : لاجاوز الشر من طلب لكما الشر ولاتمدى الفساد أهل الفساد : أى لازال فى الشر من أراد أن يوقع بينكما الشر ، ولافارق الفساد من حاول فساد ذات بينكما .

(٧) قوله ما اتفقتما : فإ : مصدرية زمانية : أى مدة اتفاقكما . يقول : مثلكما فى اتفاقكما مثل الروح والجسد : إذا اتفاق صلح البدن ولم يعد به حاجة إلى الطبيب والمواد

وَلَمَّا كَانَ فِي الْأَنْبَابِ خَلْفٌ وَقَعَ الطَّيْشُ فِي صُدُورِ الصَّعَادِ (١)
أَشْمَتَ الْخَلْفُ بِالشَّرَاةِ عِدَاهَا ، وَشَفَى رَبَّ فَارِسٍ مِنْ إِيَادِ (٢)

وإذا تنافرا فسد البدن . ثم قال : فلا احتجنا إلى العواد ، أى لا وقع بينكما خلاف ، وشر ، وبسابة أخرى : أتيا مادمتا متفقين كالجسم والروح اللذين يقوم بهما البدن ويعيش باثلاهما . وقوله : فلا احتجنا إلى العواد ؛ لما جعلهما كالجسم والروح جعل اختلافهما بملة الداء الذى يختل به أمر البدن ويكون عوجا إلى عيادة الأطباء : أى فلا اختل أمركما بما يحوج إلى دخول السفراء والمشرين .

(١) أنابيب الرمح : ما بين كل عقدتين . والخلف : الاختلاف . والبطيش — هنا — بمعنى الاضطراب ، والصعاد : جمع صعدة ، وهى قناة الرمح : أى إذا اختلفت أنابيب الرمح اضطرب صدره فلم يستقم عند الطعن . وهذا مثل : جعل الأنابيب مثلا للأتباع والصدور مثلا للرؤساء . يقول : إن اختلاف الخدم يؤدى إلى النزاع بين الرؤساء ، قال ابن جنى : لو قال فى رؤوس الصعاد لكان أولى ، لأن الطيش يكون فيها ، ولأنه أقرب إلى الرياسة بسبب العلو .

(٢) الشراة : الخوارج ؛ سموا أنفسهم بذلك يعنون أنهم شروا أنفسهم من الله بالقتال فى دينه . ورب : فارس كسرى . وإياد : حى من معد قال أبو دواد الأيادى :
فِي قُتُوِّ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مِضَرٍ (١)

يريد التنبي أن يقول : إن الشقاق بين الجماعات قديماً أدى إلى شتمة أعدائهم بهم ، إذ سبب التنازع بينهم تمكن أعدائهم منهم كما كان من الخوارج ، لم يظفر بهم المهلب بن أبى صفرة إلا بعد أن نزع الشيطان بينهم ، فقد قاتلهم المهلب نحو من ثلاثين شهراً فلم يقدر عليهم ، ثم وقع الخلف بينهم واقتلوا فوهنت شوكتهم وتمكن المهلب منهم فلم ينبج إلا القليل . قال السكري : لما كان الخوارج مجتمعين لم يقو المهلب عليهم فاحتال على نصال كان يتخذ لهم نصالاً مسمومة ، فكتب إليه المهلب : وصل ما بعثت لنا من النصال المحترمة للآجال وحمدنا فملك وشكرنا فضلك وسرفع ذكرك ونعلى قدرك إن شاء الله . وبعث الكتاب على يد من أعثرهم عليه ، فاختلفوا فى قتله ، فصوبته طائفة وخطأته أخرى ، فاقتلوا حتى قل عددهم وأما إياد فقد كانت يداً واحدة ثم تفرقت كلمتهم وتشبثوا بأرض الجزيرة فنهذ إليهم سابور ذو الأكتاف وأبقى منهم خلقاً كثيراً وتفرق سائرهم فى البلاد .

(١) قتو : جمع قى والفتى : الشاب ، والسخى والكريم .

وَتَوَلَّى بَنِي الْيَزِيدِيَّ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى تَمَزَّقُوا فِي الْبِلَادِ^(١)
وَمُلُوكًا كَأَمْسٍ فِي الْقُرْبِ مِنَّا وَكَطَنَسِمٍ وَأُخْتَهَا فِي الْبَعَادِ^(٢)
بِكَمَا بَتَّ عَائِذَا فِيكُمَا مِنْهُ وَمِنْ كَيْدٍ كُلِّ بَاغٍ وَعَادٍ^(٣)
وَبَلْبَتِيكُمَا الْأَصِيلَيْنِ أَنْ تَفَرِّقَ صُمُّ الرِّمَاحِ بَيْنَ الْجِيَادِ^(٤)
أَوْ يَكُونَ الْوَلِيُّ أَشَقَى عَدُوًّا بِالَّذِي تَذْخُرَانِي مِنْ عِتَادٍ^(٥)

(١) وتولى بنى اليزيدى : أى تولاهم الخلف : أى اختلفوا ؛ فضمير تولى ؟ للخلف وبنى اليزيدى : كتاب وثبوا بالبصرة واستولوا عليها فى خلافة المنصور وأخرجوا ابن رائق ، فعظم شأنهم وكانوا إخوة ثلاثة — أبو عبد الله وأبو يوسف وأبو الحسين — ثم اختلفوا فقتل أكبرهم أوسطهم ، فما كان إلا أن خوى نجمهم ، وذهب ملكهم ، وهلكوا جميعاً .

(٢) وملوكا : عطف على بنى اليزيدى . وأخت طسم : جدیس ، وهما قبيلتان قديمتان بادتا بحروب كانت بينهما . يقول : وتولى الخلف ملوكا قرب عهدهم منا كأمس وآخرين بعد عهدهم منا كطسم وجدیس ، فأهلكهم هذا الخلف .
(٣) بكما : قال الواحدى : أى لأجلكما : وقال العبرى : متعلق بمحذوف تقديره بت عائذا بالله أن يقع بكما . . . وفيكما : أى بينكما ؛ ومنه : أى من الخلف . والعادى الظالم ، يقال : عدا عليه : فهو عاد عدوًّا وعداء ، ومنه قوله تعالى « فيسبوا الله عدوًّا بغير علم » وأصله تجاوز الحد بالظلم . يقول : أعوذ بكما من وقوع الخلف بينكما ومن كيد أهل البغى والعدوان الذين يريدون بكما سوء .

(٤) اللب العقل . والاصيلين : الراسخين أو الجيدين ؛ وصم الرماح : صلابها . والجياد : الخيل . يقول : وأعوذ بما لكما من اللب الأصيل أن تختلفا فتصيرا طائفتين تقتلان ، فتحول الرماح التى هى جماعة واحدة فتصير جماعتين .

(٥) يقول : وأعوذ بكما أن يقتل بعضكم بعضاً بما تذرانه من السلاح ، فيصير الصديق الذى يشقى به عدوًّا ؛ لأن السلاح إنما يعد للأعداء لئلا تصدقاء ، فإذا قتل به بعضكم بعضاً فقد صرتم أعداء . فالولى : الصديق ، والعتاد : العدة : أى الشيء الذى تعده لأمر ما وتبيته له ، يقال أخذ للأمر عدته وعتاده : أى أهبطه وآلته . قال الجهرى وربما سمو القدح الضخم عتادا ؛ وأنشد أبو عمرو :

فَكَلَّ هَنِيئًا ثُمَّ لَا تُزْمَلِ وَأَدْعُ هُدَيْتَ بِعِتَادِ جُنُبِلِ

هَلْ يَسْرُنْ بَاقِيَا بَنَدَ مَاضٍ

مَا تَقُولُ الْقِدَاةُ فِي كُلِّ نَادٍ^(١)

مَنْعَ الْوُدِّ وَالرَّعَايَةِ وَالشُّوْ دُدُّ أَنْ تَبْلُغَا إِلَى الْأَحْقَادِ^(٢)

وَحُقُوقُ تَرْقُقُ الْقَلْبَ لِلْقَلْبِ وَلَوْ صُمِّنَتْ قُلُوبَ الْجُمَادِ^(٣)

فَقَدَا الْمَلِكُ بَاهِرًا مِنْ رَأَاهُ شَاكِراً مَا أُتِيَتْهُمَا مِنْ سَدَادِ^(٤)

(الجنبل : قدح غليظ من خشب) .

(١) يقول : إذا اقتتلنا وأفنى أحكما الآخر فهل يسر الذي يبق منكنا أن يتحدث الأعداء في المحافل بغدره وتركه حرمة صاحبه ؟ وهذا استفهام إنكارى ، أى لا يسر الباقى منكنا ذلك . هذا : والعداة جمع عدو ، وكذلك العدى ، قال ابن السكيت : لم يأت فعل فى النعوت إلا حرف واحد ، يقال هؤلاء قوم عدى ؛ وأنشد لسعد بن عمرو بن حسان :

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَى لَسْتَ مِنْهُمْ

فَكُلُّ مَا عُلِفَتْ مِنْ خَيْثٍ وَطَيْبٍ

(٢) الرعاية : حفظ العهد ؛ والسؤدد : السيادة ؛ والحدق : الضغن . يقول : إن ما بينكما من الود ورعاية الحقوق وما فيكما من النبل والسؤدد — كل أولئك يمنعكم من أن يحقد أحكما على صاحبه ويصر على عدائه إياه .

(٣) وحقوق . عطف على الود . يقول : ويمنع أن يحقد أحكما على صاحبه تلك الحقوق — حقوق الترية وقيام كافور بأمر ابن الأخشيد — وهو طفل — تلك الحقوق التى لو كانت فى قلب الجماد لرق بعضه لبعض .

(٤) يقول : باتفاقكما وتضافيكما آب إلى الملك بهاؤه وروثه ، ومن ثم شكر لكما حسن صنعكما وما كان منكما من صواب . « هذا » : ويقال بهره يهره بهرا : أى قهره وعلاه وغلبه ، وبهرت فلانة النساء غلبتهن حسنا ؛ وبهر القمر النجوم : غمرها بضوئه . قال ذو الرمة يمدح عمر بن هيرة :

مَا زِلْتَ فِي دَرَجَاتِ الْأَمْرِ مُرْتَقِيًا تَنْمِي وَتَسْمُو بِكَ الْفُرْعَانُ مِنْ مُضَرٍّ

فِيهِ أَيْدِيكُمَا عَلَى الظَّفَرِ الْخُلْسِ وَأَيْدِي قَوْمٍ عَلَى الْأَكْبَادِ^(١)
هَذِهِ دَوْلَةُ الْمَكَارِمِ وَالرَّأْفَةِ وَالْمَجْدِ وَالنَّدَى وَالْأَيَادِي^(٢)

حَتَّى بَهَرْتَ فَمَا تَخَفَى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى أَكْمَةٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرُ^(١)
والسداد - بفتح السين - الصواب ؛ يقال : إنه لدو سداد في منطقته وتديره : أى
إصابة ؛ وكذلك في الرمي ، يقال : سد السهم يسد إذا استقام ، واستد الشيء : أى استقام قال :
أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي^(٢)
أما السداد - بكسر السين - فهو كل شيء سددت به خلا ، ولهذا سمي سداد
القارورة - بالكسر - وهو صمامها لأنه يسد رأسها ؛ وسداد الثغر - بالكسر - إذا
سد بالخليل والرجال . قال العرجي :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ قَتْنِي أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِهْتُهُ وَسِدَادٍ ثَغْرٍ
قال الجوهري : وأما قولهم : فيه سداد من حرز وأصبت به سدادا من عيش : أى
ماتسد به الحلة : فيكسر ويفتح ، والكسر أفصح :

(١) فيه : أى في هذا الصلح ، أو تقول : أى فيما أتيتما من سداد ، وعلى الظفر
وعلى الأكباد : متعلقان بمحذوف ، والتقدير ثابتة . يقول : في هذا الصلح أو في هذا السداد
الذي أتيتما وضعتما أيديكما على الظفر الحلو ، ووضع الحاسدون أيديهم على أكبادهم تألما
مما فعلتما وحسرة على إخفاق مسعاهم ، وجعل هذا الظفر حلواً إذ لم ترق فيه الدماء .
(٢) الندى : الجود ؛ والأيدى : النعم . يقول : إن دولتكم دولة الأشياء التي
ذكرت فلا تعرضاها للخلاف .

(١) حق بهرت : أى علوت كل من يفاخر بك فظهرت عليه ؛ وقد أوردته
الجوهري : وقد بهرت ، قال ابن بري : وضوابة حق بهرت ، قال : وقوله على أحد :
أحد : ههنا بمعنى واحد ، لأن أحداً المستعمل بعد النفي - في قولك ما أحد في الدار -
لا يصح استعماله في الواجب « المثبت » .

(٢) قال ابن بري : رأيت هذا البيت في شعر عقيل بن علفة يقوله في ابنه عميس
حين رماه بسهم ، وبعده :

فَلَا ظَفَرْتَ يَمِينَكَ حِينَ تَرْمِي وَشَلْتَ مِنْكَ حَامِلَةَ الْبَنَانِ
قال الأصمعي : اشتد - بالشين المعجمة - ليس بشيء .

كَسَفَتْ سَاعَةً كَمَا تَكْسِفُ الشَّمْسُ

- سُ ، وَعَادَتْ وَنُورُهَا فِي أَرْزَادٍ^(١)
 يَزَحْمُ الدَّهْرَ رُكْنَهَا عَنْ أَذَاهَا بَفَتْ مَارِدٍ عَلَى الْمُرَادِ^(٢)
 مُتَلِفٍ مُخْلِفٍ وَفِي أَبِي عَالِمٍ حَازِمٍ شَجَاعٍ جَوَادِ^(٣)
 أَجْفَلَ النَّاسُ عَنْ طَرِيقِ أَبِي الْمَسْكَ وَذَلَّتْ لَهُ رِقَابُ الْمِبْكَادِ^(٤)

(١) كسفت الشمس وكسفها الله : يتعدى ولا يتعدى ، قال جرير :
 فالشمس طالعةٌ ليست بكاسفةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
 يعني جرير : أنها طالعة تبكي عليك ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر لأنها في
 طلوعها خاشعة باكية لا نور فيها . وروى الليث هذا البيت :
 الشمس كاسفةٌ ليست بطالعةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ
 وقال : أراد ما طلع نجم وما طلع قمر ، وهذا كما تقول : لا أتيك مطر السماء : أى
 ما مطرت السماء ، وطلوع الشمس : أى ما طلعت الشمس . وفي هذا سمع بعضهم ابن
 الأعرابي يقول : تبكى عليك نجوم الليل والقمر : أى ما دامت النجوم والقمر . والمراد
 بكسوف الدولة ما كان بينهما من الوحشة . يقول : كان ذلك مدة قصيرة كما تكسف
 الشمس مديدة ، ثم انجلي فمادت الدولة بعودة صفائهما وهى آنق وأجل كالشمس إذا
 ذهب كسوفها عادت أجهى وأنور .

(٢) «ركنها» : قوتها وسعادتھا . يقول : إن ركن هذه الدولة يدفع الدهر عن
 أذاها بفتى مارد طى المراد — يعنى كافوراً — أى أنه لا ينقصد لمن تمرد
 عليه وطغى ، وإنما يعصف به عصفا « هذا » والمارد من الرجال : العاقى الشديد ؛
 وقد مررد يمررد مزودا ومرادة : فهو مارد ومريد ؛ والمريد : الشديد المرادة ، مثل السكير
 وأصله من مرده الجن والشاطين . أو تقول : المارد الحبيث . قال تعالى : « من كل
 شيطان مارد » والمراد : جمع مرید .

(٣) أى متلف للأموال بالعطاء ، ومعوضها بسيفه . وأبى ؛ أى أنوف عزيز النفس
 بأبى الذل . وعالم : أى بتدبير الرعية وبالحرث . والحزم : ضبط الأمر وإحكامه والأخذ
 فيه بالثقة . والجواد : السخى . يقول : يدفع الدهر عن أذاها بفتى هذه صفاته .
 (٤) أجفل الناس : أسرعوا فى الهرب . يقول : أسرع الناس ذاهبين عن طريقه

كَيْفَ لَا يُتْرَكُ الطَّرِيقُ لِسَلِيلٍ
ضَضِيقٍ عَنِ أَتِيهِ كُلِّ وَادٍ^(١)
وقال يهجوهُ في يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة
خمسین وثلاثمائة^(*) :
عِيدٌ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرِ فَيْكَ تَجَدِيدُ^(٢)

فتركوه له ولم يعارضوه لقصورهم عنه ، وذلت له رقاب الناس فملكهم . قال ابن جني :
ولو انقلب لكان هجوا .

(١) الأتي : السيل ، يأتي من موضع بعيد إلى آخر . يقول : كيف لا يترك الطريق
لسيل يضيق عن مائه الوادي . ومتى كان الماء غالبا وضاق عنه بطن الوادي فكل موضع
أتى عليه صار طريقاً له . وهذا مثل . يقول : إن كافورا يظب غلبة السيل الآتي والسيل ،
لا يرد عن وجهه ، كذلك هو لا يعارضه أحد ، قال العكبري : من روى ضيق - بالخفض -
جعلته نعتا لسيل ، وهذا كقولك : مررت برجل حسن وجهه ، وهذه صفة سبية ؛ ومن
روى ضيق - بالرفع - فهي جملة ابتداء ، وخبر ، وهي في موضع جر صفة لسيل ؛ وعن
أبيه : يتعلق بضيق .

أقام للثني بمصر - بعد أن قال قصيدته البائية - عاما لا يأتي كافورا ولكن يسير
معه في الموكب لثلا يوحشه وتذهب ظنون كافور مذاهيها ، وفي الوقت نفسه يعمل في
خفية على الرحيل عنه ؛ فأعد الإبل وخفف الرحل وقال هذه القصيدة في يوم عرفة قبل
رحيله بيوم واحد .

(٢) عيد : خبر مبتدأ محذوف : أي هذا عيد : وقوله : بما مضى ، أي أبما مضى ؛
يقول : هذا اليوم الذي أنا فيه عيد ، ثم أقبل يخاطب العيد فقال : يا عيد بأية حال
عدت ؟ أي مع أية حال عدت على ؟ أو أية حال أعدتها على أبا الحال التي عهدتها من قبل ،
أم أحدث فيك أمر جديد ؟ . وقال العكبري : الباء في قوله : بأية ، يجوز أن تكون للتعدي
فيكون المعنى : أية حال : « هذا » والعيد : واحد الأعياد . قال الجوهري : وإنما
جمع بالياء - وأصله الواو - للزوم الياء في الواحد ، ويقال للفرق بينه وبين أعواد
الحشب ، وهو من عاد يعود . قال ابن الأعرابي : سمى العيد عيدا لأنه يعود كل سنة
بفرح مجدد ، وأصل العيد : ما اعتادك من هم وشوق ونحوهما ؛ قال الشاعر :

أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْبَيْنِدَاهُ دُونَهُمْ
فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدًا^(١)
لَوْلَا الْعَلَى لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا
وَجَنَاهُ حَرْفٌ وَلَا جَرْدَاهُ قَيْدُودُ^(٢)
وَكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْنَى مُضَاجَعَةً أَشْبَاهُ رَوْقَةِ الْغَيْدِ الْأَمَالِيدُ^(٣)

* والقلبُ يعتاده من حُبِّها عيد *

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يمدح سليمان بن عبد الملك :
أَمْسَى بِأَسْمَاءَ هَذَا الْقَلْبُ مَعْمُودًا إِذَا أَقُولُ صَحَا يَعْتَادُهُ عِيدًا
كَأَنَّنِي يَوْمَ أَمْسَى مَا تَكَلَّمْنِي ذُو بُعْيَةٍ يَنْتَعِي مَا لَيْسَ مَوْجُودًا
كَأَنَّ أَحْوَرَ مِنْ غِرْلَانِ ذِي بَقَرٍ أَهْدَى لِنَاسِنَةِ الْعَيْنَيْنِ وَالْجِيدِ
والشاهد : في قوله : يعتاده عيداً ؛ ونصبه لأنه في موضع الحال ، تقديره : يعتاده السكر
عائداً ؛ وقد أسلفنا القول على ذلك :

(١) البيداء : الفلاة ، جمع ما يبد . سميت بذلك لأنها تبتدئ سالكها . بتأسف على بعد أحبته عنه
يقول : أما الأحبة فبعيدون عني ، فليتك أيها العيد كنت بعيدا عني وكان ما بيني وبينك
من البعد ضعف ما بيني وبين الأحبة ؛ يعني أنه لا يسر بعود العيد مع بعد الأحبة كما قال الآخر :
مَنْ سَرَّهُ الْعِيدُ الْجَدِيدُ فَمَا لَقِيتُ بِهِ الشَّرَّورَا

كَانَ السَّرُّورُ يَتِمُّ لِي لَوْ كَانَ أَحِبَابِي حُضُورَا
(٢) جاب المكان محبوبه : قطعه ؛ ووجناء : فاعل تجب ؛ والوجناء : الناقة الصلبة
الشديدة ، مشتقة من الوجين . التي هي الأرض الصلبة أو الحجارة . وقيل : هي العظيمة
الوجنتين . والضمير في بها : للوجناء ؛ والحرف : الضامرة . والعبداء : الفرس
القصير الشعر ؛ والقيدود : الطويلة ؛ وما - من قوله ما أجوب بها - اسم موصول في
موضع نصب : أي الفلاة التي أجوب . يقول : لولا طلب العلام أفارق أحبي ، ولم
تقطع بي ناقة ولا فرس ما أجسمها قطعه من الفلوات . وقال الواحدى : ما أجوب بها :
يعني الفلاة ، كناية عن المراحل .

(٣) العيد : جمع غيداء ، وهي الثنية لنا ، والأماليد : الناعمات المستويات القامات :

لَمْ يَتْرُكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي
 شَيْئًا تَنْيَمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدٌ^(١)
 يَا سَاقِيَّ أَخْمَرُ فِي كُثُوبِكَمَا أُمُّ فِي كُثُوبِكَمَا هَمٌّ وَتَسْهِيدٌ^(٢)
 أَصْخَرُهُ أَنَا؟ مَالِي لَا تَحْرُكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ^(٣)
 إِذَا أَرَذْتُ كَمَيْتَ اللَّوْنِ صَاقِيَةً وَجَدْتُهَا وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودٌ^(٤)

غلام أملود وجرارية أملودة : والأملود — في الأصل — النصف الناعم : يقول : ولولا طلب العلى لما اخترت مضاجعة السيف وعدلت عن النساء الحسان اللواتي يشبهن رونق السيف في بياض بشرتهن وبقائها . وقوله مضاجعة : روى معاينة ، وهو تميز .
 (١) تيمه الحب : عبده وذلة ؛ والجيد : العنق . يقول : إن الدهر بأحداثه وبوائبه جرد قلبه من هوى العيون والأعناق فلا ينزع إليها لأنه ترك اللهو والغزل وتجرد للجد والإشاحة والتشمير .

(٢) يقول — لساقيه — : أخمر ماتسقانه أمهم وسهاد ؟ يعنى ما أشربه لا يزيدنى إلا هما وسهرا ، لأن قلبى مغمم بالهموم فليس فيه موضع للطرب والرح . وذلك لان أحبته بعيدون عنه ؛ أو لأنه وافر اللب لا يؤثر فيه الشراب

(٣) اللدام : الحجر ؛ والأغاريد : الأغاني . وقوله : لا تحركنى ، حال من الياء فى مالى .
 يتعجب من حاله وأن الحجر والغناء لا يطربانه ولا يؤثران فيه حتى لكانه صخرة صماء لا يؤثر فيها الشراب والغناء « هذا » وأصل الغرد التطريب فى الصوت والغناء . وغرد الإنسان : رفع صوته وطرب ، وكذلك الحمامة والمكاء والدينك والذباب ، والغرد والتغريد أيضا صوت معه بمح ، وقد جمعها امرؤ القيس فى قوله يصف حماماً :

يُغَرِّدُ بِالْأَسْحَارِ فِي كُلِّ سُدُقَةٍ تَغَرَّدُ مَرِّجَ الدَّامَى الْمُطَرَّبِ

وقال الأصمى : التغريد الصوت :

(٤) الكيت : الأحمر فيه سواد ؛ يوصف به الذكر والؤنث ، ويريد خمرآ كيت اللون . وفى رواية : كيت الحجر . يقول : إذا طلبت الحجر وجدتها ، وإذا طلبت الحبيب لم أجده : يتشوق إلى أحبته يقول : إن الحجر لا تطيب إلا مع الحبيب . وحبيبي بعيد عنى فلا معنى إذن للشراب . وقال ابن جني : حبيب القلب عنده المجد ، وإذا تشاغل بشرب الحجر فقد المعالى . ويجوز أن يكون عنى بحبيب النفس : أهله . لبعده عنهم والناسبة الكيت قال سيويه : سألت الخليل عن الكيت فقال : هو بمنزلة جميل — يعنى الذى

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهُ أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودٌ^(١)
أُنْسِيتُ أَرْوَحَ مَثَرِ خَازِنَا وَيَدَا أَنَا الْفَنِيُّ وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ^(٢)
إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَلُّفُهُمْ عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرَحَّالِ تَحْدُودُ^(٣)

هو الليل — وقال: إنما هي حمرة يغالطها سواد ولم تخلص، وإنما حقروها — صفروها — لأنها بين السواد والحمرة ولم تخلص لواحد منهما، فيقال له: أسود أو أحمر، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، وإنما هذا كقولك: هو دوين ذاك.

(١) أعجبه: مبتدأ، خبره ما بعده وزوارة الواحدى: وأعجبها: كأن الضمير للدنيا والتذكير أوجه. يشكو ما لقيه من تضاريف الدهر ونوازل الدنيا وأحوالها، ثم يقول: وأعجب ما لقيته منها أنى محسود بما أشكوه وما أنا بك منه — يعنى استبغاه كافوراً وأقطعاه إليه — يريد أن الشعراء يحسدونه عليه وهو علة شكاته وبكائه. قال العكبرى: وهذا من قول الحكميم: استبصار العقلاء ضد لثقى الجهلاء فالجاهل يحسد العاقل على ما يكرهه. فالحال الذى يكرهه العاقل منها يحسده الجاهل عليها. ولقد نظمه أبو الطيب فأحسن، ومنه: رب مغبوط بدواء هو داؤه.

(٢) أروح: من الراحة. وخازنا ويذا: منصويان على التمييز. والثرى: الثنى. والثرء: المال. يقول: إننى من الأغنياء ذوى الثراء، ولكن خازنى ويذى فى راحة من تعب حفظ المال، لأن أموالى إنما هى مواعيد كافور، وهى أموال لا تحتاج لحفظها إلى يدى وخازنى. قال العكبرى: وهذا من قول الحكميم: لاغنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى،

(٣) يقول: إنهم كذابون: فلام يقرونه، ولاهم يتركونه يرحل عنهم. هذا؛ والقرى: قرى الضيف. تقول: قرى الضيف قرى، مثال قليته قلى وقراء: أحسنت إليه: إذا كسرت القاف قصرت، وإذا فتحت مددت: ومحدود: أى ممنوع. تقول: حدثت فلانا عن الشر: أى منعت؛ ومنه قول النابغة:

إِلَّا سُلَيْمَانُ إِذْ قَالَ لِلَّهِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدِدهَا عَنِ الْفَنَدِ
والحداد: البواب والسجان لأنهما يمنعان من فيه أن يخرج. قال الشاعر:

يقول لى الحداد وهو يقودنى إلى السجن لا تفرع فما بك من بأس
وهذا أمر حد: أى منيع. لا يحل ارتكابه. ومن ذلك الحدود، لأنها تمنع الحدود عن المعاصى،

جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْإِيْدِي وَجُودُهُمْ
 مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ^(١)
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نَفُوسِهِمْ
 إِلَّا وَفَى يَدِهِ مِنْ تَنْتَهَا عُودُ^(٢)
 مِنْ كُلِّ رِخْوٍ وَكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِحِي لَا فِي الرَّحَالِ وَلَا النِّسْوَانِ مَعْدُودُ^(٣)
 أَكْلًا أَغْتَالَ عَبْدُ الشُّوءِ سَيِّدُهُ
 أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ^(٤)

(١) يقول : إن هؤلاء الكذابين إنما يجودون بالمواعيد ولا يجودون بالمال على خلاف اليهود ، فإن الأجواد إنما جودهم بالمطاء ، ثم دعا عليهم فقال : لا كانوا ولا كان جودهم ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

وأقل الأشياء محمول نفع - صحة القول والفعال مريض
 الضمير في جودهم ؛ للكذابين . وقوله : ولا الجود ، عطفه على الضمير للتصل للفصل بلا ، كما في قوله تعالى « ما أشركنا ولا آباؤنا » .

(٢) هذا مثل ، يقول : إن أرواحهم من النتن والقدارة خسة ولؤما بحيث إذا أباد اللوت قبضها لم يباشرها يده ، وإنما يتناولها بعود كما يفعل بالجيفة .

(٣) يريد أنه - أي كافورا - خصى هو والحصيان الذين كانوا معه . والوكاء : ما تشد به القرية ، ومعنى رخو وكاء البطن : أنه ضراط فساء لا يوكى على مافي بطنه من الريح . والمنفتق : الواسع الجلد لسكرة لحمه ، كأنه انفتق وانشق . وقوله : لا في الرجال الخ : أي لا هو معدود في الرجال ، إذ لا ذكر له ولا لحية ، ولا في النساء : إذ لا فرج له .

(٤) اغتاله ، قتله غيلة ، وأخذته على غفلة . يشير إلى ما فعله كافور بالأخشيذ وقله إياه واستقلاله بملك مصر بعد ، يقول : أكل أهلك عبد سوء سيده مهد أمره في مصر وملكه أهلها عليهم واتخذوا له وأطاعوه . وهذا استفهام إنكار : أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا .

صَارَ الْخَلِصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^(١)
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَمَالِهَا فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفَنَّى الْعَنَاقِيدُ^(٢)
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٌ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحُرِّ مَوْلُودٌ^(٣)
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ
 إِنَّ الْعَبْدَ لَا تُجَاسُّ مَنَاجِيدُ^(٤)

(١) الآبقى : الهارب من سيده . ومستعبد : مذل . ومعبود : مطاع يقول : إن كل عبد هرب من سيده أمسكه كافور عنده وأحسن إليه لأنه مثله في الحيانة والتمرد على سيده ، فهو إمام الآبقين .

(٢) النواطير : جمع ناطور ، وهو فى الأصل حافظ الزرع والتمر والكرم ، قيل إنها عربية ، وقيل من كلام أهل السواد . قال ابن جنى : أقره المتنبي بالمهمله ، والمزوف بالمعجمة لأنه من نظرت ، وقيل ، هو بالعربية بالمعجمة — نواطير — وبالنبطية — بالمهمله — والمراد هنا بنواطير مصر : ساداتها وأشرفها ، والمراد بجمالها : عبيدها وأراذلها ، وبالعناقيد : الأموال . وبشم فلان : أخذته تخمة وثقل من كثرة الأكل . يقول : لقد غفلت سادات مصر عن أراذلها حتى عاثوا فى أموال الناس وأكلوا فوق الشبع . ثم قال وما تفنى العناقيد .. يريد كثرة ما بين أيديهم من الأموال ، وأنهم كلما نهبوا شيئاً جد لهم غيره ، فلا ينفكون يطلبون المزيد .

(٣) يقول : إن العبد لا يؤاخى الحر ، لما بينهما من التباين فى الأخلاق ، ولو ولد العبد فى ملك الحر ، وهذا إغراء لابن سيده . يريد أن كافوراً . وإن أظهر له الود فليس له مصاف مخلص . فقله : لو أنه . يريد : ولو أنه ، لحذف ، والجملة فى موضع الحال وقوله فى ثياب الحر : قال الواحدى : أى وإن ولد العبد فى ملك الحر ؛ وعلى هذا قال فى الحر : للعبد ؛

(٤) المناكيد : جمع منكود ، وهو القليل الخير . يريد سوء أخلاق العبد وأنه لا يصلح إلا على الضرب والهوان . قال بشار :

* الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ *

وقال الحكم بن عبد الله الأسدى :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يَسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ نَحْمُودُ^(١)
وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا
وَأَنَّ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ^(٢)
وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدِ الْمَنْقُوبَ مِشْفَرُهُ
تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ^(٣)
جَوْعَانُ يَا كُلُّ مَنْ زَادَى وَيُمْسِكُنِي
لَكِنِّي يُقَالُ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ^(٤)

وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعَلَاءَ وَلَا يُرْضِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبًا
مِثْلُ الْحِمَارِ الْمَوْقِعِ الظُّهْرِ لَا يُحْسِنُ الْمَشْيَ إِلَّا إِذَا ضُرِبَ^(١)
(١) أَحْسَبُنِي : أى أَحْسَبَ نَفْسِي ، ويقال أساء به وأساء إليه ، قال كثير عزة :
* أَسِيئُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ *

ويجوز أن يكون يسىء بى على معنى يهزأ بى ويسخر منى ، فعدهاء بالباء على اللحن ،
لا على اللفظ ، يقول : ما كنت أظن أجلى يمتد بى إلى زمن يسىء إلى فيه شر الخليقة ،
وأزانى مع ذلك مضطراً إلى مدحه وحمده ، ولا أستطيع أن أظهر الشكوى .

(٢) كناه بأبى البيضاء سخريته منه . يقول : ولم أتوهم أن الكرام فقدوا حتى خلت
البلاد لمن شاءها ، ولا أن مثل هذا موجود حتى رأيته على عرش مصر .

(٣) العضاريط : جمع عضروط ، وهو الذى يخدم الناس بطعام بطنه ؛ والرعايد :
الجبان ، وجعله مثقوب المشفر تشبيهاً له فى عظم مشافره بالبعير الذى يشق مشفره للزمام ؛
والمشفر - فى الأصل - شفة البعير . يقول : ولا توهمت أن الأسود العظيم المشافر
يستغوى هؤلاء اللثام الأندال الذين حوله يطيعونه ويصدرون عن رأيه . يريد بوصفهم
بالعضاريط الرعايد تقريرهم على طاعتهم إياه ، وأنهم قد صاروا بهذه الطاعة كذلك .

(٤) وصفه بالجوع على معنى أنه للؤمه وشحه لا تسخو نفسه بشيء ولا يفيض حجرة .
وقوله : يا كل من زادى ، قال الواحدى : لهذا وجهان : أحدهما أن للتنبى أتاها بهدايا
والطاف ولم يكافئه عنها ، والآخر : أن للتنبى كان يأكل من خاص ماله عنده وينفق

(١) الموقع الظهر : الذى به آثار الدبر ، والدبر : الجرح الذى يكون فى ظهر الدابة .

على نفسه مما حمله وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ، وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانته وخدمته ثم أخذه ولم يعطه شيئا . يقول : هو يمسكنى عنده كي يتجمل بقصدي إياه فيقول الناس إنه عظيم القدر يقصده النبي مادحا « هذا » وقوله جوعان . يقال جائع وجوعان ، وجمع جوعان جوعى ، وجياع ؛ وجمع جائع : جوع . وقوله عظيم القدر : خبر عن محذوف : أى هو عظيم القدر . وقوله لكى يقال : قال العكبرى الكوفى : كى حرف ناصب ، وذهب البصريون إلى أنها يجوز أن تكون حرفا خافضا ؛ وحجتنا أنها من عوامل الأفعال ، وما كان من عوامل الأفعال لا يجوز أن يكون حرف جر لأنه من عوامل الأسماء ؛ وعوامل الأسماء لا تكون من عوامل الأفعال . والدليل على أنها ليست حرف جر : دخول اللام عليها ؛ كقولك أتيتك لكى تكرمنى ، وهذه اللام عندهم حرف جر ، وحرف الجر لا يدخل على حرف الجر ؛ وأما قول الفائل :

فلا والله لا يُلَنِّى لما بى ولا للمأ بهم أبدا دواء^(١)

فمن الشاذ المصنوع الذى لا يرجع عليه ؛ وإذا قيل إنها تدخل على ما الاستفهامية كما يدخل عليها حرف الجر فى قوله : كيمه ، كما تقول : له - قلنا : به من « كيمه » ليس لكى فيه عمل ، وليس هو فى موضع خفض ، وإنما هو فى موضع نصب لأنها تقال عند ذكر كلام لا يفهم . كقولك : أقوم كى تقوم ، فيسمعه المخاطب ، ولم يفهم تقوم فيقول : كيمه ؟ أى كيا . والتقدير كى تفعل ماذا ، تحذف تفعل ، فه فى موضع نصب على مذهب المصدر والتشبيه به ، وليس لكى فيه عمل . وحجة البصريين دخولها على ما الاستفهامية لدخول اللام عليها فيقولون كيمه : كما يقولون له ، وهى فى موضع جر ، لأن ألف ما الاستفهامية لا تحذف إلا إذا كانت فى موضع جر واتصل بها الحرف الجار : كقولهم : لم وبم وفيم ، وإذا وقعت فى صدر الكلام لا تحذف كقولك : ما تريد وما تصنع ؟ وذهب أصحابنا إلى أن لام كى هى الناصبة للفعل من غير تقدير أن ، نحو قولك جئتك لتكرمنى ؛ وذهب البصريون إلى أن الناصب للفعل أن مقدرة بعدها . وحجتنا أنها قامت مقامها . ولهذا تشتمل على معنى كى ، فكما تنصب كى الفعل فكذلك اللام . وحجة البصريين أن اللام

(١) من قصيدة لسلم بن معبد الوالى شاعر من شعراء الدولة الأموية .

يقول ، لا يوجد شفاء لما بى من الكدر ولا لما بهم من داء الحسد

« أنظر القصيدة فى خزنة الأدب للبغدادى ج ٢ ص ٢٧٠ سلفية »

إِنَّ أَمْرًا أَمَّةً حُبْلَى تَدْبِرُهُ لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ الْقَيْنِ مَقْنُودٌ^(١)
وَيُلْمُهَا خُطَّةٌ وَيَلْمُ قَابِلُهَا لِمِثْلِهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^(٢)
وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعَمَ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إِنَّ الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذَّلِّ قِنْدِيدُ^(٣)
مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرَمَةً
أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ^(٤)

من عوامل الأسماء ولا يجوز أن تكون من عوامل الأفعال ، فوجب أن يكون الفعل منصوباً بأن مقدرة لأنها تكون مع الفعل بمنزلة المصدر الذي يحسن أن يدخل عليه حرف الجر . هذه حجة حسنة لهم .

(١) المستضام : الذى أدركه الضيم ، وهو الظلم . ورجل مقنود : جبان ضعيف الفؤاد ، مثل النخوب . والمقنود أيضاً : الذى لا فؤاد له ولا فعل ، والمقنود : الذى أصيب فؤاده بوجع . وسخين العين : محزون . جعل الأسود أمة لفقدها آلة الرجال لأنه خصى ، وجعله حبلى لعظم بطنه . وهذا تعريض بابن سيده . يقول : إن الذى آل تديره إلى من هذه صفته لمظلوم مقنود سخين العين يرى لحاله .

(٢) ويلها : كنهه يقال عند التعجب وأصلها : وى لأمرها ، ثم حذفت الهمزة ، واللام تكسر على الأصل وتضم على حذف حركتها ، وإلقاء حركة الهمزة عليها وفى الحديث فى قوله لأبى بصير . « ويله مسعر حرب » . . تعجباً من شجاعته وجراته وإقدامه . ومنه حديث طى : ويله كيلا يغير ثمن لو أن له وعاء . أى يكيل العلوم الجملة بلا عوض إلا أنه لا يصادف واعياً . وهى - كما قلنا - كلمة تعجب . وينصب ما بعدها على التمييز . والخطبة : الأمر والشأن . والمهريّة : المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، بطن من قضاعة تنسب إليه الإبل . والقود : الطوال الظهور والأعناق . يقول : ما أعجب هذه الحال وما أعجب من يقبلها ، وإنما خلقت الإبل للفرار من مثلها .

(٣) القنديد : عصارة قصب السكر إذا جمد ، والحجر ، وقيل : القنديد ، عصير عنب يطبخ ويجعل فيه أفواه من الطيب . يقول : عند هذه الحال - طاعة الأسود والاستخذاء له والزول على حكمه - يستلذ طعم الموت ، لأن الموت أيسر من ذلك الذل . ولذا الشيء : وجده لذيذا .

(٤) البيض هنا : الكرام : أى يفض الأعراض . والصيد الملوك . يقول : إن هذا الأسود لا يعرف المكرمة ما هى ، لأنه عبد أسود لم يرث آباءه مجداً ولا مكرمة .

أَمْ أَذْنُهُ فِي يَدَيِ النَّخَاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدَرُهُ وَهَوٍ بِالْفَلَسَيْنِ مَرْدُودٌ^(١)
 أَوَّلَى اللِّثَامِ كُوَيْفِيرٌ بِمَعْذِرَةٍ فِي كُلِّ لَوْيْمٍ وَبَعْضُ الْمَعْذِرِ تَفْنِيدٌ^(٢)
 وَذَاكَ أَنَّ الْفُحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً
 عَنِ الْجَمِيلِ فَكَيْفَ الْخُصِيَّةُ الشُّودُ^(٣)

* *

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن الحسين بن العميد ، ويهينه بعيد النيروز ،
 ويصف سيفاً قلده إياه ، وفرساً حمله عليه ، وجائزة وصله بها ، وكان قد عاب قصيدته
 الرائية الآتية:

جَاءَ نِيرُوزُنَا وَأَنْتَ مُرَادُهُ ، وَوَرَّتْ بِاللَّيِّ أَرَادَ زِنَادُهُ^(٤)

(١) النخاس . يباع الرقيق . والفلس : قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها ،
 ودامية : خال . وبالفلسين : متعلق بمردود . وأذنه — بسكون الذال ، وضمها — لفتان .
 يقول : إنه مملوك اشترى بضمن ، إن زيد عليه قدر فلسين لم يشتر لحسته . وهذا غاية
 في التحقير لشأنه .

(٢) التفنيد : اللوم وتضعيف الرأي . وكويفير : تصغير كافور ، وللزاد : التحقير .
 يقول : هو أولى اللثام بأن يعذر على لؤمه لحب أصله وخسة قدره وعجزه عن الكرام ،
 وهذا العذر لوم له وهجاء وتوبيخ على الحقيقة . وقد صرح بعذره في البيت التالي .

(٣) الخصية : جمع خصى . يقول : إن الكرام عاجزون عن فعل الجميل فكيف
 يقدر عليه اللثام . قال الواحدى . عرض في المصراع الأول بغيره من اللوك .

(٤) النيروز : أحد أعياد الفرس . قال في التاج : معرب نوروز ؛ فردته العرب
 إلى فيعول ، حتى يكون على مثال قيصوم وديجور ونحوهما . وهو أول يوم من السنة
 عند حلول الشمس في أول الحمل . والزناد : جمع زند ، وهو الخمر يقتدح به : وورى
 الزند إذا أخرج نارا ، وورى الزناد — كناية عن بلوغ المراد ؛ تقول العرب : ورت بفلان
 زنادى : أى أدركت به حاجتى ومرادى . يقول : جاء هذا اليوم وأنت مراده ومقصوده
 بمجيئه تيمنا بطلعتك ، وقد تحقق مراده وظفر به حين وفد عليك ورآك .

هَذِهِ النَّظْرَةُ الَّتِي نَآلَهَا مِنْكَ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْخَوْلِ زَادُهُ^(١)
يَنْتَنِي عَنْكَ آخِرَ الْيَوْمِ مِنْهُ نَظِيرُ أَنْتَ طَرَفُهُ وَرُقَادُهُ^(٢)
نَحْنُ فِي أَرْضِ فَارِسٍ فِي سُورٍ ذَا الصَّبَاحِ الَّذِي نَرَى مِيلَادَهُ^(٣)
عَظَمَتُهُ مَمَالِكُ الْفَرَسِ حَتَّى كُلِّ أَيَّامٍ عَامِهِ حُسَادُهُ^(٤)
مَا لَبِسْنَا فِيهِ إِلَّا كَالِيلَ حَتَّى لَبِسْنَاهَا تِلَاعَهُ وَوَهَادَهُ^(٥)

(١) زاده - آخر البيت - خبر هذه . يقول : هذه النظرة التي ظفر بها النيروز منك اليوم إنما تزودها إلى أوان مثلها من العام القابل - أي أنها له كالزاد يعاش به : لأنه لا يزورك إلا مرة واحدة في كل عام .

(٢) ناظر : فاعل ينتني ؛ والناظر : العين . يقول : عند انسلاخ هذا اليوم ينتني عنك ناظره الذي أنت ضياؤه وطيه يفارقك على حزن وأسف . وقال ابن جني : إذا انصرف عنك هذا اليوم بآهائه خلف طرفه - أي بصره - ورقاده لديك فبقى بلا ضياء ولا نوم إلى أن يعود إليك ؛ والمعنى أنه يفارقك وهو آسف محزون ، فلا ينام ولا يسر برؤية غيرك حتى يراك ثانياً .

(٣) في أرض فارس : حال من ضمير المتكلمين في الظرف بعده ، وهو خبر نحن وقوله : ذَا الصَّبَاحِ : مبتدأ ؛ وميلاده : خبر ؛ والجملة : صفة لسرور . يقول : نحن في سرور بأرض فارس ، وقد ولد هذا السرور في هذا الصباح - أي صباح عيد النيروز - لأن الناس يفرحون فيه ويمرحون . وقوله : الَّذِي نَرَى ، يروي : الذي يرى .

(٤) يقول : إن ممالك الفرس قد عظمت هذا اليوم حتى حسدته كل أيام السنة لتفضيلهم إياه عليها . وممالك : إما جمع ملك - مثل مشايخ وشيوخ - وإما على حذف مضاف : أي أهل ممالك الفرس .

(٥) ألتلاع : جمع تلة ، وهي ما ارتفع من الأرض . والوهاد : جمع وهد ، ما انخفض من الأرض . والأ كليل جمع كليل ، وهو في الأصل ما يجعل على الرأس كالنَّاج . قالوا : كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجلس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أ كليل من النبات والزهر فيضعوها على رؤوسهم . يقول المتنبي : ما لبسنا الأ كليل في هذا اليوم حتى كسيت الأرض - جبالها ووهادها - مثل الأ كليل من النبات والأ زهار . والإضافة في « تلاحه ووهاده » : على معنى « في » ؛ والضمير : للنيروز . والبيت من قول أبي تمام :

عِنْدَ مَنْ لَا يُقَاسُ كِسْرَى أَبُو سَا سَانَ مُلْكًا بِهِ وَلَا أَوْلَادُهُ^(١)
مَرْبَى لِسَانُهُ ، فَلَسَنِي رَأْيُهُ ، فَارِسِيَّةٌ أَعْيَادُهُ^(٢)
كَلِمًا قَالَ نَائِلٌ أَنَا مِنْهُ مَرْفٌ ، قَالَ آخَرٌ : ذَا أَفْتَعَادُهُ^(٣)

حَتَّى تَعَمَّ صَلُحُ هَامَاتِ الرُّبَا مِنْ نَبْتِهِ وَتَأَزَّرَ الْأَهْضَامُ^(١)

وقال ابن جني : يريد - المتنبي - أن الصحراء قد تكامل زهرها فجعله كالأكاليل عليها .. قال العروضي - ناقدًا - كيف يصح ما قاله ابن جني وأبو الطيب يقول : مالمسبنا ولم يقل ما لبست الصحراء وما يشبه هذا مما يكون دليلًا على ما قال ابن جني . ولكن كان من عادة الفرس إذا جلسوا في مجالس اللهو والشراب يوم النيروز أن يتخذوا أكاليل من النبات والأزهار فيجعلوها على رؤوسهم ، ثم أنشد بيت أبي تمام المتقدم ثم قال : وهذا البيت - بيت أبي تمام - سليم ، ووجه قول المتنبي أنه أراد حق لبستها تلاعه والتحف بها وهاده ، فيكون من باب علفتها تبنا وماء باردا . ومعنى البيت : أن النبات قد عم الأرض مرتفعها ومنخفضها ؛ وبيت أبي تمام أحسن سبكًا .

(١) يقول : إن ملك المدوح - ابن العميد - أعظم من ملك الأكَاسرة ، وكسرى : لقب الساسانية من ملوك الفرس من ولد كيهمن بن ساسان الأكبر . وكسرى : معرب خسرو ، ومعناه واسع الملك ؛ وتنطقه العرب بفتح الكاف وبكسرهما ، وقد أنشدوا بالفتح بيت الفرزدق :

إِذَا مَا رَأَوْهُ طَالَمَا سَجَدُوا لَهُ كَمَا سَجَدَتْ يَوْمًا لِكِسْرَى مَرَاذِبُهُ

(٢) يقول : هو عربي اللسان ، ورأيه رأى الفلاسفة ، لأنه حكيم ؛ وأعياده أعياد فارسية كالنيروز والمهرجان . والبيت - كما ترى - مركب من ثلاث جمل : كل جملة مبتدأ وخبر ، قدم فيها الخبر على المبتدأ .

(٣) النائل : العطاء ؛ والسرف : التبذير ؛ ومنه : حال مقدمة من سرف ، والاقتصاد ضد السرف . يقول : إنه كلما بالغ في العطاء - أي أعطى كثيرًا - فقال ذلك العطاء البالغ الكثير : أنا سرف منه وتبذير ؛ أتبعه بعطاء أكثر منه وأبلغ يقول - أي هذا العطاء الأكثر - كان العطاء الأول اقتصاداً . وهذا تمثيل ، لأن العطاء لا يقول شيئاً ،

(١) الأهضام : جمع هضم ، وهو اللطم من الأرض .. جعل ما على الربا بمنزلة العمامة ، وما على الأهضام بمنزلة الإزار .

كَيْفَ يَرْتَدُّ مِنْكِي عَنْ سَمَاءٍ وَالنَّجَادُ الَّذِي عَلَيْهِ نَجَادُهُ^(١)
 قَلَدَنِي يَمِينُهُ بِحُسَامٍ أَغْصَبَتْ مِنْهُ وَاحِدًا أَجْدَادُهُ^(٢)
 كُلُّنَا أُنْثَلَّ ضَاكِكْتُهُ إِيَّاهُ تَزَعُمُ الشَّمْسُ أَنَّهَا أَرَادَهُ^(٣)

ولكن يستدل بحاله ، فكأنه قائل . وملخص المعنى : أنه إذا استكثر الناس منه عطاء
 قل ذلك في جنب ما يتبعه ،

(١) النجاد : حمالة السيف . يقول : كيف أنكل عن مفاخرة ذى غفر ؟ وكيف
 يقصر منكبي عن أن يزحم السماء علواً والنجاد الذى عليه — أى على منكبي — هو
 نجاده — أى نجاد المدوح — الذى بلغ بى أقصى الشرف ؟ يشير إلى السيف الذى قلده
 إياه : وملخص المعنى : أنه تشرف بتقلده سيفه حتى صار يماجد به كل ماجد .

(٢) أعقب الرجل : ترك عقباً ، أى ولداً ، يقول : قلدى سيفاً ماضياً لم تعقب أجداه
 منه — أى لم تلد من نوعه — إلا واحداً . يعنى هذا السيف نفسه وأراد بأجداد
 السيف معادن الحديد التى يستخرج منها ، وملخص المعنى : قلدى سيفاً لم يطبع مثله ،
 فلا نظير له .

(٣) إياة الشمس : ضوءها وشعاعها ونورها وحسناً ، قال طرفة بن العبد :

سَقَّتُهُ إِيَّاهُ الشَّمْسُ إِلَّا لِيثَاتِهِ أُسِفَ وَلَمْ تَكْدِمْ عَلَيْهِ يَأْمِدُ^(١)

وكذلك الآياء — مفتوح الأول بالمد — والإيا — مكسور الأول ، بالقصر ، والآراء
 جمع راء ، وهو ارتفاع الضحى وروقه ، يقول : كلما جرد هذا الحسام من غمده برقت
 فى صفحه إياة من الشمس كأنما تضاحكه ، ولشدة بريق الإياة تنخدع الشمس لدى رؤيتها
 فتحسب الحسام شمساً أخرى قد التهمت هذه الإياة من أشعتها . يشير إلى أن شعاع هذا
 السيف يضاهى شعاع الشمس وأن الشمس تقر بأن ضوءها كهضوته ، والضمير فى أنها : للإياة ،
 قال الواحدى وإنما جمع الأراء مع توحيد الإياة حملا على المعنى ، فإن عند كل سلة مضاحكة

(١) من معلقة طرفة . يقول : سقى ثغر محبوبته شعاع الشمس : أى كأن الشمس أعارته
 ضوءها ثم استنتى اللثات ، لأن اللثة — وهى مغرز الأسنان — لا يستحب بريقها ، ثم
 قال : أسف : أى ذر الإئمد — وهو الكحل — على اللثة ولم تكدم — أى تعض — بأسنانها
 على شيء يؤثر فيها ، ونساء العرب تذر الإئمد على الشفاه واللثات فيكون ذلك أشد
 للنعان الأسنان .

مَثَلُهُ فِي جَفْنِهِ خَشْيَةَ الْفَقْدِ فِي مِثْلِ أَثَرِهِ إِغْمَادُهُ^(١)
مُنْمَلٌ لَا مِنْ الْخَفَا ذَهَبًا يَحْمِلُ بَحْرًا فَرْنَدُهُ إِنْ بَادَهُ^(٢)
يَقْسِمُ الْفَارِسَ الْمُدَجَّجَ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَفَرَتَيْهِ إِلَّا بِدَادِهِ^(٣)

بينه وبين إياة الشمس . وقال العكبري : يجوز أن يكون أراد جمع رند ، وهو الترب ، قال كثير ولم يهزم :

وقد دَرَعُوها وهي ذاتُ مَوْصِدٍ مَجُوبٍ وَلَمَّا يَلْبَسِ الدَّرْعَ رِنْدُها^(١)
(١) الأثر : الفرند ، وهو جوهر السيف . ومثله في جفنه : أى جعلوا غمد هذا السيف على مثاله . وذلك بأن غشوه فضة . وقوله : فى مثل أثره إغماده : يعنى أنه يغمد فى غمد عليه آثار كأثره - أى فرنده . وهو جوهر السيف - يقول : إن مانسج من الفضة على غمده تصوير وتمثيل لما على متنه من الفرند ، وإنما فعل به ذلك إرادة أن لا تنفقه العين إذا أغمد ، بل يكون كأنها ناظرة إليه : أى أنه لحسنه لا يود ماله أن يفقد منظره بإغماده ، ومن ثم مثله فى جفنه . وقال الواحدى : خشية الفقد : يريد أن الناس يقولون : إن هذا السيف عزيز ، فلعرزه وخوف فقده غشوا جفنه بالفضة . وقال ابن جني : صونا للجفن من الصدأ لئلا يأكله . . . وقال الخطيب التبريزي : إنما جعل غمده مشبها له فيقوم مقامه ، وفى معناه :

إذا برقوا لم تعرف البيض منهم سراييلهم من مثلها والعائم
(٢) منعل : أى ملبس نعلا ، وهو ما يصاغ فى طرف الغمد . والخفا : يريد الخفاء - بالمد - وهو المثنى بلا نعل ؛ وذها : مفعول ثان للنعل ؛ والضمير فى فرنده : للسيف ؛ ومن إزاده : للبحر . يقول : إن هذا الجفن قد جعل له نعل من الذهب وليس ذلك للخفاء ، وهو يحمل من هذا السيف بحراً ، يعنى كثرة مائه ، ولما جعله بحرا جعل تجميع الفرند فيه بمنزلة الزبد « هذا » والسيف لا يوصف بالخفاء ، ولكن ذكره اقتنانا لإيهام لفظ النعل .

(٣) المدجج : اللغظى بالسلاح . والبداد : حشية تجعل فى جانب السرج ، وهما بدادان يقول : إذا ضرب به الفارس المقنع فى سلاحه قطعه نصفين من فوق إلى أسفل ، وقطع السرج أيضا ، فلا يسلم منه إلا جانب السرج ، لأنحرافهما على الجانبين . وقوله : من شفرته - والحال

(١) المؤصد : صدر تلبسه الجارية - الوليدة - فإذا أدركت درعت ، وكل شئ قطع وسطه فهو مجوب ، ومنه سمي جيب القميص .

جَمَعَ الدَّهْرُ حَدَّهُ وَيَدَيْهِ وَثَنَانِي فَاسْتَجَمَعَتْ أَحَادُهُ^(١)
وَتَقَلَّدَتْ شَامَةً فِي نَدَاهُ جِلْدُهَا مِنْفَسَاتُهُ وَعَتَادُهُ^(٢).

أن السيف إنما يقطع بشفرة واحدة - لأنه أراد بأى شفرته ضرب، عمل هذا العمل .
(١) يقول : إن الدهر جمع حد هذا السيف ويدي المدوح في الضرب وشعري في وصفه ، فاجتمعت بذلك آحاد الدهر التي لانظير لها ؛ فلا سيف كهذا السيف ولا يد في الضرب به كيد المدوح ولا ثناء كثنائي .

(٢) الشامة : الحال - بثرة سوداء في الجسم حولها شعر. وقوله : في نداء ، أى في جملة نداء : أى جوده : والنفسات : الأشياء النفيسة ، جمع منفس ؛ والعتاد : العدة ؛ يقول : تقلّدت سيفاً هو على نفاسته وجلالة قدره في جنب ما أهدانيه - من نقائس الخيل والثياب والأسلحة - يعد قليلاً كالشامة في الجلد . شبه السيف الذى قلده إياه بالشامة ، وسائر هداياه بالجلد الذى تكون فيه الشامة . وقد اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت اضطراباً أشفقنا عليهم منه ، لأنهم على أستاذيتهم ذهبوا في تأويله مذاهب بعيدة لم تخطر للتنبى على بال ، فضلاً أن البيت ينبو بمثلها . وإذا أبيت إلا ذكرها فإليكها . قال الواحدى : حكى أبو على بن فورجة عن أبي العلاء المعرى في هذا البيت قال : يعنى أن الغمد بما عليه من الحلى والذهب أنفس من السيف ، لأنه كان محلى بكثير من الذهب ، فجعل الغمد جلداً ؛ إذ جعل السيف شامة . قال أبو على : والذى عندي أنه أراد بجلده ظاهره الذى عليه الفرند ، لأن أنفس ما فى السيف فرنده ، وبه يستدل عليه في الجودة . وقال أبو الفتح : يعنى أنه يلوح فيما أعطاه كما تلوح الشامة في الجلد لحسنه ونفاسته . وقوله : جلدها منفساته وعتاده : أى ما يلى هذا السيف مما تقدم منه وتأخر كالجلد حول الشامة . وقال أبو الفضل العروضى منكرًا على أبي الفتح : ألم يجد التنبى مما يحسن في الجسد شيئاً فوق الشامة كالعين الحسناء لكنه أراد أن هذا السيف - على حسنه وكثرة قيمته - كالنقطة فيما أعطاه . ألا تراه يقول جلدها منفساته ؟ أى قدر هذا السيف وهو عظيم القيمة فيما أعطاه كقدر الشامة في الجلد . قال الواحدى : وهؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم ، ولم يكشفوا عن معنى البيت ولا بينوه يانا يقف التأمل عليه ويقضى بالصواب ؛ ومعنى البيت : أنه جعل ذلك السيف شامة ، والشامة تكون في الجلد ، ولما ساء شامة سمى ما كان معه من الهدايا - التى كان السيف في جملتها - جلداً ؛ والكناية - في النفسات والعتاد - يعودان إلى المدوح ؛ وذلك أنه أهدى إليه أشياء نفيسة من الخيل والثياب والأسلحة ، فهو يقول هذا السيف في جملتها شامة في جلد ؛ قال : وقول ابن فورجة : هو ليس لاشيء . وقال ابن

فَرَسْتَنَا سَوَابِقُ كُنَّ فِيهِ فَارَقَتْ لِيَدَهُ وَفِيهَا طِرَادُهُ^(١)
وَرَجَعَتْ رَاحَةً بِنَا لَا تَرَاهَا وَبِلَادٌ تَسِيرُ فِيهَا بِلَادُهُ^(٢)
هَلْ لِمُعْذِرِي عِنْدَ الْمُهَاجِرِ أَبِي الْفَضْلِ قَبُولٌ سَوَادُ عَيْنِي يَدَادُهُ^(٣)
أَنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ مَكْرُمَاتُ الْمَلِكِ حَوَادُهُ^(٤)

القطاع : يريد : أن السيف - على جلالة قدره وما عليه من الذهب - كالشامة في جنب
مأخذت منه . وقوله : جلدها ، يريد ما عليه من الفرند الذي من أجله يستمد وينال في
منه ، وقيل : يريد بجلده جفته وما عليه من الذهب والفضة والجوهر المكلل .

(١) كن فيه : أى كن في نداءه ؛ والبدد : ما تحت السرج . يقول : كان في جملة
عطائه خيل سوابق فارقت سرج ابن العميد إلى سروجنا فصيرتنا فرسانا وتعلمنا الطراد
بركوبها بما تعلمت لديه من آداب المطاردة ، وقوله : فرستنا أى علمتنا الفروسية . وفارقت
ليده ؛ يريد فارقت سرج ابن العميد إلى سرجي حين أعطاناها . وفيها طراد : أى وفيها
تقويمه وأدب طراد . وقال ابن جني : أى قد صرت معه كواحد من حملته إذا سار إلى
موضع سرت معه وطاردت بين يديه ، فكأنه هو للمطارد عليه وعلى هذا يكون معنى
فرستنا حملتنا حتى ضربنا فرسانا . وقوله : وفيها طراد ، أى عليها . قال العروضي : كلام
ابن جني كلام من لم ينتبه عن نومة الغفلة . وإنما يقول : فارقت هذه الخيل ليده ، وفيها
تأديبه وتقويمه ، ثم قال : والمعنى : إن الخيل السوابق التي كانت عنده بما أعطانا علمتنا
الفروسية . لأنها قد فارقت ليده حين أعطاناها . وفيها ما عليه بطراد . وتأديبه

(٢) يقول : إن هذه الخيل التي أهداها إلينا لما انتقلت إلى درجت أن تستريح من طول
كده إياها ، لكنها لا ترى ما ترجوه مادمنافي بلاده ، لأنها لا تزال تغزومعه بغزواته ونطارد
عليها مع إذا ركب للصيد ، وإنما تستريح إذا فارقتنا خدمته ، ونحن لا نتفارق خدمته وبلاده
قوله : وبلاد ألح : جملة حالية من مبتدأ وخبر .

(٣) يشير إلى نقد ابن العميد لقصيدته الرائية ، ويعتذر عما فرط فيها بما يؤاخذ به .
يقول : هل يقبل عذري ؟ أو هل لديه قبول لعذري ؟ وقوله : سواد عيني مداده : جملة
استثنائية دعائية : أى جعل الله سواد عيني مدادا له . وإنما دعا له بذلك إشارة إلى أن ابن
العميد من أهل الأدب والعلم ، المشتغلين بالكتابة والتأليف . والداد : الخبر ، والهام :
السيد الشجاع السخي .

(٤) المواد : جمع عائد ، وهو زائر المريض . يقول : أنا لشدة حيائي كالعليل ،

مَا كَفَانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ عَنْ عَلَاءُ حَتَّى ثَنَاهُ أُنْتَقَادُهُ (١)
إِنِّي أَصِيدُ الْبَزَاةَ وَلَكِنْ أَجَلُ النُّجُومِ لَا أَضْطَادُهُ (٢)
رُبَّ مَا لَا يُقَبِّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ

وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفَوَادُ أَعْتَقَادُهُ (٣)

مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى كَأَبِي الْفَضْلِ وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ أَعْتِنَادُهُ (٤)

وهذا الذي أعلني تأتيني كل يوم كأنها عواد تعودني . وإنما كان شديد الجلاء لأن ابن العميد قد شعره . ولذا جعله معلا له ؛ وقد شرح ذلك في الأبيات التالية .

(١) عن علاه : متعلق بتقصير ؛ وثناه : صار ثانيه . والضمير : للتقصير ، يقول : ما كفاني تقصير شعري عن علاه وعجزى عن وصفه حتى شفعه بنقده ، فتقصير شعري ونقده هما سبب شدة حيائي .

(٢) أصيد : أفعل تفضيل . من الصيد ، يقول : أنا في الشعراء كالبازي . الأصيد في البزاة ، ولكن البازي مها كان بارعاً في الصيد ليس في مكتته أن يبلغ النجوم فيصيدها ، يعني : أتى وإن كنت حاذقاً في الشعر وبالعالم منه الغاية التي لا بعدها فإن كلامي لا يبلغ أن يصف ابن العميد ويقوم بما يجب من مدحه وقال ابن جني : لو استوي له أن يقول : أطل النجوم — بدل أجل النجوم — لكان أليق ، وقال الواحدى : يريد بأجل النجوم زحلا ، جعل هذا مثلاً للمدوح .

(٣) يقول : رب أمر يعتقه القلب ولكن اللسان يعجز عن أن يعبر عنه باللفظ لبوغه مبلغاً لا يحيط به الوصف ، وهذا اعتذار عن قصوره في وصفه ومدحه فما — من قوله رب ما — نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو أمر . وقوله : والذي الخ : حال ؛ والضمير من اعتقاده : يرجع إلى ما .

(٤) يقول : لم أتعود أن أمدح مثله ، فإن قصرت عن كنه وصفه كنت معذوراً ؛ لأن عادتي لم تجر بمدح مثله ، والذي ورد عليه من الشعر شيء معتاد عنده لأنه لا يزال يمدح ، فهو أعلم الناس بالشعر . أو تقول : وهذا الذي أتاه — أى هذا الذى فعله من النقد — هو عادته لبصره بالشعر ونقده . قال الواحدى : وهذا يدل على تحرز أبى الطيب منه وتواضعه له ولم يتواضع لأحد في شعره تواضعه لابن العميد . وقال ابن جني : يريد لم أمدح مثله ، فلذلك قصرت عن وصفه له ، والذي أتاه من الكرم عادة له لم يتطبع به . قال الواحدى : وهذا الذى يقوله ابن جني ليس بشيء ، لأنه ليس في وصف كرمه ، وإنما يعتذر إليه في تقصيره .

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْفَرِيقِ كَلْذَرًا وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهُ^(١)
 لِلنَّدَى الْغَلْبُ إِنَّهُ فَاضٍ وَالشُّعْرُ عِمَادِي وَأَبْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهُ^(٢)
 نَالَ ظَنِّي الْأُمُورَ إِلَّا كَرِيمًا لَيْسَ لِي نُظْفُهُ وَلَا فِي آدُهُ^(٣)
 ظَالِمُ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادَهُ^(٤)
 غَمَرْتَنِي فَوَائِدُ شَاءَ فِيهَا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِمَّا أَفَادَهُ^(٥)
 مَا سَمِعْنَا بَيْنَ أَحَبِّ الْعَطَايَا
 فَأَشْتَهَى أَنْ يَكُونَ فِيهَا فَوَائِدُهُ^(٦)

(١) يقول : إن فاتني عد بعض أوصافك فلم آت على جميعها ، كان عذري واضحاً ،
 لأنني غرقت فيها لتوافر محامدك ، والغريق في البحر إن لم يستطع تعداد الأمواج كان
 عذره واضحاً ، وتلخيص المعنى : أن فكري غرق في فضائلك ، فليس لي إلى استيفاء
 وصفها من سبيل . وقوله : أن يفوته : أي في أن يفوته ، وهو من صلة العذر ؛
 والتعداد : العد .

(٢) يقول : إن لجوده الغلبة فهو غالبني ؛ لأن عماده ابن العميد وعمادي الشعرو هو
 ناقد ، فكيف لي أن أغلبه بالشعر ؟ فالنَّدَى : الجود ؛ والضمير في عماده : للندي .
 (٣) الظن - ههنا - بمعنى العلم ؛ ويروى : طي ، وهو بمعنى العلم أيضاً ، والآد :
 القوة . يقول : لقد قتلت الأمور علماً ، غير أنني قاصر عن مدح كريم ليس لي فصاحته
 في الكلام ولا قوته في علم الشعر .

(٤) المزداد : جمع مزادة ، وهي القرية . يقول : إن جوده ظالم ، وذلك أنه كلما صمد
 إليه ركب أغدق عليهم من عطاياه ما لا يطيقون حمله ، وهذا ظلم ، لأنه غير ممكن ،
 وهل يمكن حمل البحر في القرب ؟! فقوله : ظالم الجود ، من إضافة الوصف إلى فاعله .
 وسيم : كلف .

(٥) يقول : إنه أرشده بانتقاده شعره إلى صواب القول ، ونبهه بذلك إلى ما كان
 غافلاً عنه ، فكان حسن القول وصحة الكلام ، من جملة الفوائد التي أفادها منه .

(٦) يقول : لم نسمع قبله بجواد يحب الإعطاء ويتمنى أن يكون قلبه من جملة عطاياه
 يريد : أن ما أفاده العلم هو نتاج عقله ونبات فكره ، فكأنه أعطاه عقله ؛ والفؤاد هنا :
 بمعنى العتل .

خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طَرًّا فِي مَكَانِ أَغْرَابِهِ أَكْرَادُهُ^(١)
وَأَحَقَّ الْغِيُوثِ نَفْسًا بِحَمْدٍ فِي زَمَانِ كُلِّ النَّفُوسِ جَرَادُهُ^(٢)
مِثْلًا أَخَذَتْ الثُّبُوتَ فِي الْعَا لَمْ وَالتَّبَعَتْ حِينَ شَاعَ فَسَادُهُ^(٣)
زَانَتْ اللَّيْلَ غُرَّةُ الْقَمَرِ الطَّا لِعِ فِيهِ وَلَمْ يَشْنُهُ سَوَادُهُ^(٤)
كَثَرَ الْفِكْرُ كَيْفَ نَهْدَى كَمَا أَهْدَتْ إِلَى رَبِّهَا الرَّئِيسِ عِبَادُهُ^(٥)
وَالَّذِي عِنْدَنَا مِنَ الْمَالِ وَالْخَيْلِ فِينَهُ هِبَاتُهُ وَقِيَادُهُ^(٦)

(١) يريد بأفصح الناس : المدوح . يقول : إنه أفصح العرب ، وهم أفصح الناس ،
يبد أنه في بلد أهله أكراد لا عرب . يريد أهل فارس . وروى ابن جني : أفضل
الناس ، وليس بشيء .

(٢) وأحق : عطف على أفصح . يقول : وخلق الله غيثاً هو أخلق الغيث بالحمد -
يعني المدوح - لمعوم صلاحه ، فأوجد هذا الغيث في زمان قد استشرى فيباد أهله
وشاع في الأرض ، فكانوا كالجراد . وقال ابن جني : جملة غيثاً وجعل الناس كلهم -
لا احتياجهم إليه - جراداً ، فإن الجراد حياته في الغيث والكلأ .

(٣) يقول : لما شاع الفساد في العالم بالناس الذين جعلهم كالجراد : خلق الله ابن
العميد ليتدارك به ذلك الفساد ، كما أنه لما عم الكفر والشرك بعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين . وهذا من قول الفرزدق :

بُعِثَتْ لِأَهْلِ الدِّينِ عَدْلًا وَرَحْمَةً وَبُرْءًا لَأَنْتَارِ الْجُرُوحِ الْكَوَالِمِ
كَأَمْ بَعَثَ اللهُ النَّبِيَّ عَمْدًا عَلَى قَتَرَةٍ وَالنَّاسِ مِثْلُ الْبِهَامِ

قوله : والبعث ، أى بعث الرسل ، عطف على النبوة .

(٤) غرة القمر : طلعه وضوؤه . ويشنه : يعبه . لما ذكر عموم الفساد في الناس
والزمان : ذكر أن ذلك الفساد لا يتعدى إليه ، وأنه سبب لإصلاحه كالقمر يطلم فيجلو
سواد الليل ولا يشينه ذلك السواد .

(٥) و (٦) يقول : كثر الفكر في كيف نهدي إليك شيئاً كما يهdy العبيد إلى
أربابها وكل ما عندنا من المال والخيول فن عندك وهبته وقدمته إلينا . قوله : إلى ربها
أى سيدها ؛ والضمير : لعباده . وعباده : أى عبيده ؛ والرئيس بدل من « ربها »
والذى - إلى آخر البيت - حال . وفي البيت الثانى طى ونشر لا يحنى . وهذا من
قول ابن الرومى :

فَبَعَثْنَا بِأَرْبَعِينَ مِهْرًا كُلُّ مِهْرٍ مِيدَانُهُ إِنْشَادُهُ (١)
عَدَدٌ عِشْتُهُ يَرَى الْجَنَسُ فِيهِ أَرْبَابًا لَا يَرَاهُ فِيمَا يَزَادُهُ (٢)
فَارْتَبَطَهَا فَإِنَّ قَلْبًا نَمَاهَا مَرَبُطٌ تَسْبِقُ الْجِيَادَ جِيَادُهُ (٣)

مِنْكَ يَا جَنَّةَ النِّعَمِ الْهَدَايَا أَفُنْهَدِي إِلَيْكَ مَا مِنْكَ يَهْدِي

(١) المهر : جمع مهر . يروى بالنصب على الحال ، لأن في المهر معنى الفتي والفرس إذا كان فتياً كانت الرغبة فيه أشد ، ويروى بالجر : على أنه بدل من أربعين ، أو بيان لها . وقوله : كل مهر الخ ، نعت لمهر : أى كل مهر منها . كنى بالمهر عن أبيات القصيدة لأنها أربعون بيتاً ، وجعل ميدانها الإنشاد لأنها تعرف به كما يعرف المهر في الميدان إذا جرى فيه عرف جريه يقول : فبعثنا إليك بأربعين بيتاً من الشعر ، ميدان كل بيت إنشاده : أى أنه إذا أنشد عرف قدره : كما أن للمهر إذا أجرى في الميدان عرف .

(٢) عدد : خبر مبتدأ محذوف : أى أن الأربعين هى عدد الخ : وقوله عشته : دعاؤه ، يدعوه بأن يعيش هذا العدد من السنين علاوة على ما عاشه ؛ قال الواحدى . وكان ابن العميد في ذلك الوقت قد جاوز السبعين وناهز الثمانين ، وقوله : يرى الجسم فيه الخ : أى أن عدد الأربعين يرى الإنسان فيه من أرب العيش وحاجه مالا يراه في السنين التى زادها بعد ذلك : أى فلماذا اختار هذا العدد ، فجعل القصيدة أربعين بيتاً : وقال ابن جنى : الأربعون إذا تجاوزها الإنسان نقص عما يبعد من أحواله في جسمه وتصرفه .

(٣) نَمَاهَا : أى ارتفع إليه نسبها ، فهو من نماء النسب : وعبر بذلك جرياً على عادة العرب في حفظ أنساب الحيل : لما سمى الأبيات مهراً عبر عن حفظها وإمساکها بالارتباط ليتجانس الكلام : يقول : فاحتفظ بها فإن القلب الذى صدرت منه واتصلت نسبتها إليه تسبق جياده جياذ كل مرتبط : يعنى أن الشعر الذى يقوله أفضل من شعر سواه .

وورد عليه كتاب ابن العميد يتشوقه فقال ارتجالاً :

بِكُتِّبِ الْأَنَامِ كِتَابٌ وَرَدَ
فَدَتِ يَدَ كَاتِبِهِ كُلِّ يَدٍ^(١)
يَعْبُرُ عَمَّا لَهُ عِنْدَنَا ،
وَيَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ مَا نَجِدُ^(٢)
فَأُخْرِقَ رَأْيِيهِ مَا رَأَى ،
وَأُبْرِقَ نَاقِدَهُ مَا انتَقَدُ^(٣)
إِذَا سَمِعَ النَّاسُ أَلْفَظَهُ
خَلَقْنَ لَهُ فِي الْقُلُوبِ الْحَسَدَ^(٤)

(١) أى يفدى بكتب الأنام جميعاً هذا الكتاب الوارد على لأن شرفه وقدره عظيم وقوله : فدت الح : جملة دعائية .

(٢) يقول : إن ذلك الكتاب يعبر عن الشوق الذى لكاتبه عندنا ؛ أى أنا نشاق إليه كما يشاق هو إلينا ؛ ويذكر من شوقه إلينا ما نجد من الشوق إليه .

(٣) أخرق : أدهش وحير ؛ من خرق الظبي : دهش فلصق بالأرض ولم يقدر على النهوض ؛ وقد أخرقه الفزع ففرق وأبرق : حير ؛ تقول : برق بصره : تحير فلم يطرف قال ذو الرمة :

وَلَوْ أَنَّ لَهَا نَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ
لَعَيْنَيْهِ حَى سَافِراً كَادَ يَبْرِقُ

يقول المتنبي : إن الذى رأى هذا الكتاب حيره ما رآه من حسن خطه ، والذى انتقد لفظه أدهشه ما انتقد من فصاحته .

(٤) يقول : إن ألفاظه تحدث له الحسد فى القلوب فتحسده قلوب السامعين على حسن لفظه .

قَوْلْتُ ، وَقَدْ فَرَسَ النَّاطِقِينَ
كَذَا يَفْعَلُ الْأَسَدُ ابْنُ الْأَسَدِ^(١)

(١) فرس الناطقين افترسهم : جعل إحرازه الغاية من الفصاحة دون غيره من الناس كالافتراس ، أى أنه وصل في غلبهم والاستيلاء على ألبابهم بما ألقى عليها من الدهش والحيرة إلى مثل ما يصل إليه الأسد إذا افترس فريسته : ولما وصفه بالافتراس جعله أسداً في الصراع الثاني ، لأن الافتراس من أفعال الأسد . قال الواحدى : ولو خرس المتنبي ولم يصف كتاب أبى الفتح ابن العميد بما وصف لكان خيراً له ، وكأنه لم يسمع قط وصف كلام ! وأى موضع للاخراق والإبراق والفرس في وصف الألفاظ والكتب هلا احتذى على مثال قول البحرى يصف كلام ابن الزيات :

فِي نِظَامٍ مِنْ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ
وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّاحِكُ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يُخْلِقُهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
وَمَعَانٍ لَوْ فَصَّلَتْهَا الْقَوَافِي هَجَجَتْ شِعْرَ جَرُولٍ وَلَبِيدِ
حُزْنَ مُسْتَعْمِلِ الْكَلَامِ اخْتِيَاراً وَتَجَنَّبِ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

وورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره ؛ فقال عند مسيره مودعا ابن العميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة :

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى عِتَابًا عَلَى الصَّدِّ وَلَا خَفَرًا زَادَتْ بِهِ حُمْرَةُ الْخُلْدِ^(١)
وَلَا لَيْلَةً قَصَرَتْهُ بِقَصُورَةٍ

أَطَالَتْ يَدِي فِي جِيدِهَا صُنْفِ حَبَّةِ الْعِقْدِ^(٢)
وَمَنْ لِي يَوْمٍ مِثْلَ يَوْمِ كَرِهْتُهُ قَرُبْتُ بِهِ عِنْدَ الْوَدَاعِ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(١) الحفر . الحياء . يقول : نسيت كل شيء ولا أنسى ما جرى بيني وبين الحبيب من العتاب على الصدود ، ولا الذي غشيه عند ذلك من الحياء الذي ازدادت به حمرة وجهه . يعنى إن أنس لا أنس ذلك . وكثيراً ما يذكر الشعراء ماجرى بينهم وبين الحبيب عند التوديع ، وذلك كما يقول أحدهم :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ قَوْلُهُمَا يَوْمَ وَدَّعْتُهُ وَقَدْ رُحِلَتْ أَجَالُنَا وَهِيَ وَقَفَتْ
أَأَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا فَلَسْنَا وَحَقَّ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ نَصْدِفُ
فَقُلْتُ لَهَا حِفْظِي لِعَهْدِكَ مِثْلِي وَلَوْلَا حِفَاطُ الْعَهْدِ مَا كُنْتُ أَتْلِفُ

ومثله كثير ، وروى نسيت - بالبناء للمجهول - أى نسينى الحبيب .

(٢) القصورة والقصيرة : المحبوسة فى خدرها ، المنوعة من التصرف ؛ قال كثير :

وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتَ كُلَّ قَصِيرَةٍ إِلَى وَمَا تَذَرِي بِذَلِكَ الْقَصَائِرُ
عَنِتُّ قَصِيرَاتِ الْحِجَالِ وَلَمْ أَرِدْ قِصَارَ الْخَطَى - شَرُّ النَّسَاءِ الْبَحَائِرُ

« البحر : القصير المجتمع الخلق » . يقول المتنبي : لا أنسى ليلة قصرت على لطيف

محاسن هذه الخندرة ومعاتق إياها حتى طالت يدي فى جيدها مثل صبة العقد لجيدها .
فقوله صبة العقد : أى مثل صبة العقد ، فهو منصوب على المصدرية .

(٣) يقول : من يكفل بأن يكون لى يوم آخر مثل يوم الوداع وإن كرهته لأنى

قربت فيه من فراقهم . يتمنى أن يكون له مثل هذا اليوم ، وهم أبداً يتمنون مثل يوم

التوديع ، لأن الودع يحظى فيه بالنظر إلى أحبته والتسليم عليهم كما قال الآخر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْوَدَاعَ فَإِنِّي أَشْتَهِيهِ لِعِلَّةِ التَّسْلِيمِ

(١١ - المتنبي ٢)

وَأَنْ لَا يَخْصُ الْفَقْدُ شَيْئًا فَإِنِّي
 قَدَدْتُ فَلَمْ أَفْقِدْ دُمُوعِي وَلَا وَجْدِي ^(١)
 تَمَنَّيْلَهُ الْمُسْتَهَامُ بِمِثْلِهِ ،
 وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِي فَتَيْلًا وَلَا يُجْدِي ^(٢)
 وَغَيْظٌ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدِّ ^(٣)

إن فيه أعتباً لوداع وانتظار أعتباً لقدم
 ولكم فرقةً وغيبه شهر هي أجدى من امتناع مُقيم
 (١) يقول : ومن لى بأن لا يكون الفقد فى ذلك اليوم خصوصاً بشيء دون شيء
 فإنى قددت فيه أحتق ولم أفقد بكأى ولا وجدى : يتمنى أن يكون الفقد عاماً شاملاً حتى
 يفقد البكاء والوجد أيضاً :

(٢) تمنى : خبر عن مبتدأ محذوف : أى هذا تمنى ؛ والمستهام : الذى هيمه الحب وشرده ؛
 ويقال له يلد ، والتذ يلد ، وتلدذت كذا ألتذه لذاذاً ولذاذة ، وهو لذ ولذيد ؛ والقتيل
 ما يكون فى شق النواة ، وقيل هو ما تقتله بين أصبعيك من الوسخ ، وهو نائب مفعول
 مطلق : أى لا يغنى غناء حقيراً مثل القتيل : يقول : إن هذا الذى ذكرته هو تمنى
 لا حقيقة له ، ولكن المستهام يلد بالتمنى وإن كان ذلك لا ينفعه ولا يغنى عنه شيئاً : وفى
 معنى البيت يقول القائل :

أَمَانِي مِنْ لَيْلِي حَسَانًا كَأَمَّا سَقَتْنِي بِهَا لَيْلِي عَلَى ظَمَأٍ بَرْدًا
 مَنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَعْدًا
 ويقول البحترى :

تَمَنَيْتُ لَيْلِي بَعْدَ قَوْتٍ وَإِنَّمَا تَمَنَيْتُ مِنْهَا خُطَّةً لَا أَنَا هَا
 ويقول الآخر :

وَأَعْلَمُ أَنْ وَصَلَكَ لَيْسَ يُرْجَى وَلَكِنْ لَا أَقْلَ مِنَ التَّمَنَى
 (٣) القد : سير يشد به الأسير : يقول : ولى غيظ على الأيام يلتهب فى الحشا التهاب
 النار ، ولكنه غيظ على مالا يكثر ولا يبالى بغيظى ، لأن الأيام لا تؤاتينى ولا تنزل
 على مرادى ، ومن ثم كان كغيظ الأسير على ما يشد به من القد :

فَإِمَّا تَرَبِّنِي لَا أُقِيمُ بَبْلَدَةٍ فَأَقَهُ غَمْدِي فِي ذُلُوفِي وَفِي حَدِّي ^(١)
يَحُلُّ الْقَتَا يَوْمَ الطَّعَانِ بِعَقَوْتِي فَأُخْرِمُهُ عِرْصِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي ^(٢)
تُبَدِّلُ أَيَّامِي وَعَيْشِي وَمَنْزِلِي
نَجَائِبُ لَا يُفَكِّرْنَ فِي النَّحْسِ وَالسَّعْدِ ^(٣)
وَأَوْجُهُ فِتْيَانٍ حَيَاءٍ تَلْتَمُوا عَلَيْنَهُنَّ لَا خَوْفًا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ^(٤)
وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذُّنْبِ شَيْعَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شَيْعَةِ الْأَسَدِ الْوَرْدِ ^(٥)

(١) الدلوق : سرعة انسلال السيف وخروجه من غمده : يقول - معتذراً للحببية من فراقه لها وقلة مقامه في البلدان ومواصلته السير والتطواف : - إن رأيتني مزعجاً لا أقيم ليلة فإن ذلك لمضائي وبعد همتي كالسيف الحاد إذا أغمد أكل غمده واندلق منه وقال ابن جنى : الذي تربينه من شجوى وتغري إنما هو لمواصلة السير والطواف في البلاد بعد همتي ، كالسيف الحاد إذا أكثر سلّه وإغماره أكل جفته : قال الواحدى : وليس مما ذكره شيء في البيت ، لكنه ما بهجس له في خاطره فتكلم به ، وإما - من فإما - هي إن الشرطية ، وما الزائدة :

(٢) العقوة : الساحة وما حول الدار والحلة ؛ يقال نزل : بعقوته : يقول . إذا كان يوم الطعان أطعمت الرماح جلدي وجعلته وقاية لعرضي : يعنى أنه يؤثر وقوع الرماح في جلده على أن يهرب فيعاب عرضه بالحرب ؛ وهذا من قول الجاهلى :

أَخُو الْحَرْبِ أَمَّا جِلْدُهُ فَمَجْرَحٌ كَلِيمٌ ، وَأَمَّا عِرْصُهُ فَسَلِيمٌ

(٣) النجائب : جمع نجبة ، وهى الناقة الكريمة : وفكر فى الشيء وأفكر فيه ونفكر : بمعنى : يقول : إن هذه النجائب يمضين بي مصممات لا يلتفتن إلى نحس ولا سعد فتبدل على بمضيهن الأيام والمعاش والديار ، وكذلك المسافر له كل يوم منزل وأصحاب .

(٤) وأوجه : عطف على نجائب : وأراد بالفتيان : غلمان الذين يسرون معه : يقول : تبدل أيامى نجائب وأوجه فتيان : أى أنا أبداً مسافر على هذه النجائب فى صحة هؤلاء الفتيان الذين ألفوا الاسفار ، ومن ثم لا يبالون بالحر والبرد ، وإنما تلتموا على وجوههم لشدة حياتهم ، لا اتقاء الحر والبرد ؛ والحياة شعبة الكرام .

(٥) الشيمة : الطبيعة والخلق والعادة . والاسد الورد : الذى فى لونه حمرة مثل

إِذَا لَمْ تُجْزِهُمْ دَارَ قَوْمٍ مَوَدَّةً أَجَارَ الْقَنَا وَتَخَوَّفُ خَيْرٌ مِنَ الْوَدِّ^(١)
يَحِيدُونَ عَنْ هَزْلِ الْمُلُوكِ إِلَى الَّذِي تَوَفَّرَ مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ عَلَى الْجِدِّ^(٢)
وَمَنْ يَصْحَبِ أَسْمَ ابْنَ الْعَمِيدِ مُحَمَّدٍ
يَسِرُّ بَيْنَ أُنْيَابِ الْأَسَاوِدِ وَالْأَسْدِ^(٣)
يَمُرُّ مِنَ الشَّمِّ أَوْحَى بِمَا جِزٍ ، وَيَعْبُرُ مِنْ أَفْوَهِينَ عَلَى دُرْدِ^(٤)

الورد . يمدح الحياء ؛ يقول : إن الذئب المعروف بالحبث والنسايى ليس الحياء من شيمته وإنما شيمته القحة ، ولكن الحياء شيمة الأسد ، وذلك أن في طبعه كرما وحياء ؛ يقال إن من واجبه وأحد النظر في وجهه استعجا منه ولم يفتقره ، واللعن أن حياءم ليس بمزور بهم ، كما أنه لا يزرى بالأسد حياؤه ، يصفهم بالإقدام مع فرط الحياء .

(١) يقول : إنهم من الشجاعة والإقدام بحيث إذا مروا في أسفارهم بدار قوم لم يكن بينهم وبين قطانها مودة يجوزون أرضهم بها جازوها برماهم ولم يخافوا أهل تلك الناحية ثم قال : والخوف خير من الود : أى أن تخاف خير من أن تحب ، لأن من أطلعك خوفا منك أبلغ طاعة ممن يطيعك مودة ، كما تقول العرب : رهبوت خيرا من رحموت : أى لأن ترهب خير من أن ترحم . وقال ابن جني : إذا خافوا من عدو اعتصموا منه بالقنا ... قال ابن فوسيجه — ناقدًا — : أين ذكر خوفهم العدو ، وأين ذكر الاعتصام ؟ وإنما يقول : إذا لم يمكنهم أن يجتازوا على ديار بالودة حاربوا فيها وجازوها .

(٢) حاد عن الشيء : تباعد عنه وتجنبه . وتوفر على الشيء : صرف همه إليه . يقول إن هؤلاء الفتيان يجتنبون من يهزل من الملوك : أى الذى عمله اللهو من طراد وشراب وما إليهما ، ويأتون من توفر على الجد وترك اللهو : يعنى ابن العميد .

(٣) الأساود : الأفاعى . يقول : من جعل اسم ابن العميد صاحباً له في سفره أمكنه السير بين أنياب الحيات والأسود ، يعنى إذا عرف المسافر بأنه يقصده وينتسب إليه لم يتعرض له أحد هية له ورهبا . فالأساود والاسد مثل لمن تخشى غائلته . وعبارة الخطيب التبريزى : من نسب إليه في خدمة أوزيارة أو مدح فإنه ناج من المخافة لا يقدم عليه أحد . وفى الكلام حذف ، تقديره : يسر بين أنياب الحيات والأسود ناجيا سالما آمنا من المخافة .

(٤) الوحى : السريع . والدرد : جمع أردد ، وهو الذى ذهب أسنانه . وهذا البيت مرتب على الطى والنشر ، وهو تقرير للبيت السابق . يقول : إن من يستصحب اسم ابن العميد لا يعمل فيه سم الأفاعى السريع ولا أنياب الأسود حتى لكأنها درد . ويمر

كَفَانَا الرَّبِيعُ الْعَيْسَ مِنْ بَرَكَاتِهِ فُجَاءَتْهُ لَمْ تَسْمَعْ حُدَاءَ سَوَى الرَّغْدِ^(١)
إِذَا مَا اسْتَجَبْنَ الْمَاءُ يَعْزِضُ نَفْسَهُ كَرِغْنٍ بَسَبَتْ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ^(٢)

ويعبر : في موضع الحال من قوله «يسر» أى يسر ماراً عابراً ؛ ولك أن يجعل يمر بدل من يسر .

(١) يقول : يبركته أخصب الربيع وكثر مطره ورعده فأغنانا عن تبحشم حداء الإبل في السير إليه ، لأن الرعد أغنى غناء الحداء . فالعيس : الإبل . وكفانا العيس ، أى كفانا حداءها . والحداء : سوق الإبل بالغناء وقوله : من بركاته - أى بركات المدوح - تعليل لكفى :

(٢) يعرض نفسه : حال ؛ وكرعن : شربن ؛ وأصله من إدخال أكارع الشاربة في الماء للشرب ؛ والسبت : جلود البقر المدبوعة بالقرظ ، تحذى منه النعال السبتية . يقول : إذا مرت هذه الإبل بالمياه التى غادرتها السيول فصارت لكثرتها كأنها تعرض نفسها عليها ، فأجابتها الإبل وأقبلت عليها للشرب كرعت منها بمشافر لينة كالسبت * وقد أهدق الورد - والمراد الزهر أياً كان - بذلك الماء ، فصارت كأنه إناء له . وقد روى البيت إذا ما استحين بدل إذا ما استجبن ، وكرعن بشيب : بدل بسبت . واستحين : من الحياء ، والشيب : صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال في اللسان : والشيب - بالكسر - حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب . قال ذو الرمة - يصف إبلا تشرب في حوض مثلم ، وأصوات مشافرها شيب شيب .

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ فِي مُثَلَّمٍ جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وَسِلَاحٍ^(١)

* هم يشبهون المشفر بالسبت في لينة ، قال طرفة بن العبد :

وَحَدَّ كَقِرطَاسِ الشَّامِي وَمَشْفَرٌ كَسَبَتْ الْيَمَانِي قَدُهُ لَمْ يُجْرَدِ
لم يجرد : روى بالحاء المهمله ، وعليها اقتصر الخطيب التبريزي . قال : أى لم يمل ؛ يصف أنها شابة فتية ، وذلك أن الهرمة والهرم تمل مشافرها : وروى لم يجرد - بالجيم - أى أن شعره عليه .

(١) من قصيدة لذى الرمة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن الوليد ابن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وقبله .

كَأَنَّا أَرَادَتِ شُكْرَنَا الْأَرْضُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُخْلِنَا جَوْ هَبْطَنَاهُ مِنْ رَفْدٍ^(١)
لَنَا مَذْهَبُ الْعِبَادِ فِي تَرْكِ غَيْرِهِ وَإِتْيَانِهِ نَبْغِي الرِّغَائِبِ بِالزَّهْدِ^(٢)
رَجَوْنَا الَّذِي يَرْجُونَ فِي كُلِّ جَنَّةٍ بِأَرْجَانِ حَتَّى مَا يُتَسَنَّا مِنَ الْخُلْدِ^(٣)

البصرة : حجارة رخوة إلى البياض ؛ والسلام - بكسر السين - الحجارة الصلبة «
(١) الجود هنا - ما اتسع من الأودية ، كما جاء في قول طرفة :

خِلَالِكَ الْجَوِّ قَبِيضِي وَأَصْفَرِي

والرفد : العطاء : يقول : إن كل موضع نُزلناه في طريقنا إليه أصبنا به ماء وكلاً .
فكَانَ الْأَرْضُ أَرَادَتِ أَنْ نَشْكُرَهَا عِنْدَهُ تَقَرُّبًا إِلَيْهِ .

(٢) الرغائب : جمع رغبة - الأمر للرغوب فيه . يقول : لنا في ترك غيره من الملوك
وقصدنا إليه ، مذهب الزهاد الذين يزهّدون في الدنيا لينالوا خيراً مما تركوا في الآخرة :
وذلك لأننا نصيب منه أكثر مما نصيب من سواه ، فنحن إنما نطلب الرغائب عنده
بزهّدنا في غيره .

(٣) يرجون : أي العباد ، وبأرجان : صلة رجونا ، وأرجان هي أرجان - بتشديد

وَكَمْ عَسَفَتْ مِنْ مَنَهْلٍ مَتَخَطِلًا أَفْلَ وَأَقْوَى فَالْجَمِ طَوَائِي
إِذَا مَا وَرَدْنَا لَمْ نَصَادِفْ بِخَوْفِهِ سِوَى وَارِدَاتٍ مِنْ قَطَاً وَحَامٍ
إِذَا سَاقِيَانَا أَفْرَغَا فِي إِزَائِهِ عَلَى قُلُوصٍ بِالْمُقْفِرَاتِ حِيَامٍ

تَدَاعَيْنِ بِاسْمِ الشَّيْبِ الْبَيْتِ

يصف قطعه القفار على إبله ، و « العسف » الأخذ على غير هدي ، والضمير إلى
الإبل ، و « المنهل » للورد ، و « المتخطأ » الذي تخطأه الناس فلم ينزلوه ، و « أفل »
أي لم يصبه المطر ، و « أقوى » خلا ، و « الجمام » جمع « جمّة » المكان الذي يجتمع
فيه ماؤه ، و « طواي » مملوءة و « ساقيانا » أي اللذان يستقيان من البئر ، و « الإزاء »
مصب الماء في الحوض ، و « على قلص » صلة أفرغا ، و « القلص » جمع « قلووص »
التيّاقة الشابة ، و « الحيام » جمع « حوم » القطيع الضخم من الإبل ، وبالْمُقْفِرَاتِ صفة
قلص ، و « تداعين » أي دعا بعض القلص بعضاً ، و « الشيب » - كما قلنا - حكاية
أصوات مشافر الإبل عند الشرب ، والصوت : شيب شيب ، جعل هذا الصوت مما
يدعوهم إلى الشرب ، و « التثلم » أراد : في حوض مثلم .

تَعْرِضُ لِلزُّوَارِ أَعْنَاقُ خَيْلِهِ تَعْرِضُ وَخَشِي خَائِفَاتٍ مِنَ الطَّرْدِ^(١)
وَتَلْقَى نَوَاصِيهَا الْمَنَآيَا مُشِيحَةً وَرُودَ قَطَا صُمِّ تَشَايَحْنَ فِي وَرْدِ^(٢)

الراء - بلد بفارس ، يقيم فيه ابن العميد ، وخفف الراء للضرورة . يقول : رجونا أن ننال لمدية من النعيم ما يرجو العباد نيله في جنة الخلد ، وذلك أنه محقق رجاء من يرجوه ، ومن ثم نرجو بيلده ما يرجو العباد في الجنان حتى كدنا لا نياس من الخلود فيها ، لأنها كالجنة التي هي دار الخلود .

(١) تعرض - بحذف إحدى التاءين - أى تعرض : أى توليهم عرضها : أى جانبها . والمعنى : تعرض عنهم وتزور . يقول : إن خيله تزور عن زواره خوفاً ونفارا كما تفعل الوحش تخاف طرد الصائد ، وذلك لأنها تتوقع أن يهبها لهم ، وهى لا تبني مفارقتها . قال العسكري : ليس في هذا البيت حسن مدح ... ولو عكس المعنى . وقال : إن خيله تفرح بازوار - أى يهبها لهم لتستريح من الكد وملاقة الحروب - لكان أمدح . هذا : والطرد - بفتح الراء وسكونها - لفتان فصيحتان .

(٢) الشيخ : المجد السريع الحذر . قال ابن الإطابة :

وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرْبِي هَامَةً الْبَطْلِ الْمُسَيِّحِ
وَشَلَحِ الرَّجُلُ : جَد فِي الْأَمْرِ ؛ قَالَ أَبُو ذُؤَيْبِ الْهَذَلِيُّ يَرَى رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ،
وَيَصِفُ مَوَاقِفَهُ فِي الْحَرْبِ :

وَرَزَّغَتْهُمْ حَتَّى إِذَا مَا تَبَدَّدُوا سِرَاعًا وَلَا حَتَّ أَوْجُهُ وَكُشُوحُ
بَدَرَتْ إِلَى أَوْلَاهُمْ فَسَبَقَتْهُمْ وَشَايَحَتْ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخُ

وقال ابن الأعرابي الإشاحة ، الحذر . وأنشد لأوس بن حجر

فِي حَيْثُ لَا تَنْفَعُ الْإِشَاحَةُ مِنْ أَمْرِ لَمَنْ قَدْ يَحَاوِلُ الْبِدْعَا

« والإشاحة ؛ الحذر والخوف لمن حاول أن يدفع الموت ومحاولته دفعه بدعة »
قال : ولا يكون الحذر بغير جد مشيحا ، وأشاح بوجهه عن الشيء : نهاه وجد في الإعراض والورود والورد : إتيان الماء . يقول : وتلقى خيله المنايا في الحرب مجدة مسرعة إليها كما ترد القطا الماء مسرعة في الورد . وجعلها صمّا كي لا تسمع شيئاً تشاغل به عن الطيران فيكون أسرع لها .

وَتَنْسَبُ أَفْعَالُ السُّيُوفِ نَفُوسَهَا إِلَيْهِ وَيَنْسَبْنَ السُّيُوفُ إِلَى الْهِنْدِ^(١)
إِذَا الشَّرْقَاءُ أَلْبِيضُ مَتَوًّا يَقْتَوِرُهُ أَتَى نَسَبٌ أَعْلَى مِنَ الْأَبِ وَالْجَدِّ^(٢)

قال :

رِدِي رِدِي وَرَدَ قَطَاةٌ صَمًّا كَدْرِيةٌ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا
والتواصي . جمع ناصية ، شعر مقدم الرأس ، وتشايخن : تسارعن . وقوله : ورود :
مفعول مطلق لتلقى .

(١) يقول : إن أفعال سيوفه تنسب نفوسها إليه : أى أنها حصلت بقوته وأيده ،
وتنسب السيوف إلى الهند : أى أنها عملت فيها ، يعنى أن ضربات سيوفه لجودتها دلت على
أنها حصلت بكف المدوح ، ودلت أيضاً على أنها حصلت بسيف هندي ، أى أنه اجتمع
فيها قوة الضارب وجودة النصل . فالضمير في نفوسها وفي ينسبن : عائد على الأفعال .
وقال ابن جنى : أفعال السيوف أشرف من السيوف ، وأنعامها تشبه بأفعاله في مضام وحدته
وتنسب السيوف إلى الهند : ألا ترى أنه يقال : سيف هندي وسيف يمان وفعل السيف
أشرف منه ؟ لذلك أنت أشرف من الهند . . . قال ابن فورجه : قد خلط ابن جنى حتى
لا أدرى أى أطراف كلامه أقرب إلى المحال ؟ ولم يجر ذكر التشبيه ، وإنما يقول : إنها
تنسب أفعالها إليه : أى تقول هذه الضربة العظيمة من فعله لامن فعلنا ، وهذا كقوله :
إِذَا ضَرَبْتَ بِالسَّيْفِ فِي الْحَرْبِ كَفَهُ تَبَيَّنَتْ أَنَّ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَضْرِبُ
والمعنى أنها تنسب الفعل إلى كفه وتنسب السيوف إلى الهند . وهذا معنى لطيف ،
يقول : إن ضربة السيف العظيمة تنسب نفسها إليه ، لأنها حصلت بقوته وتنسب السيف
أيضاً إلى الهند ، لأنها دلت على جودة ضربته وعمله ، فالضربة قد دلت على قوة الضارب ودلت
على جودة السيف ، وليس في هذا البيت أنه أشرف من الهند .
(٢) البيض : السادة ، من قوله : فلان أبيض : أى نقي العرض كريم . وفلان يمت
إلى فلان بكذا : يتقرب به إليه . والقتو : الخدمة ، وقيل : حسن خدمة الملوك ، والقتوى :
الخدام ، والجمع : مقتوون ، قال عمرو بن كلثوم :

تَهْدِدُنَا وَتُوَعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأَمْلِكٍ مَقْتَوِينَ

يقول : إذا تقرب الأشراف إليه بخدمته حصل لهم نسب أعلى وأشرف من نسب الأب
والجد : أى أنهم يصيرون بخدمته ، أعز منهم بأبائهم وأمهاتهم .

فَتَى فَاتَتْ الْعَدَوَى مِنَ النَّاسِ عَيْنَهُ فَمَا أَرَمَدَتْ أَجْفَانَهُ كَثْرَةُ الرَّمْدِ^(١)
وَحَافَلَهُمْ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَوْضِعًا فَقَدْ جَلَّ أَنْ يُعْدَى بِشَيْءٍ وَأَنْ يُعْدَى^(٢)
يُغَيِّرُ أَلْوَانَ اللَّيَالِي عَلَى الْعِدَى بِمَنْشُورَةِ الرَّايَاتِ مَنْشُورَةِ الْجُنْدِ^(٣)
إِذَا أَرْتَقَبُوا صُبْحًا رَأَوْا قَبْلَ ضَوْئِهِ
كُتَائِبَ لَا يَرِدُ الصَّبَاحُ كَمَا تَرَدَّى^(٤)
وَمَبْثُوثَةً لَا تُتَقَى بِعَلِيَّةٍ وَلَا يُحْتَمَى مِنْهَا بِغُورٍ وَلَا يُجَدَّى^(٥)

(١) و (٢) العدو : أن يعدى الشيء الشيء فيصير مثله ؛ والرمد : جمع رمد وأرمد وهو المرض العين بالرمد . يقول : إن عينه فاتت العدو فلم يعدها رمد غيرها . وهذا مثل ، يعنى : أنه تزه عن عمى الناس عن دقائق الكرم فلم يعده هذا العمى النفسى ؛ أى لم تعده عيوب الناس على كثرتها ، فهو بصير بالمكارم طلب بها والناس عمى عنها ، ثم قال — فى البيت الثانى : هو أجل من سائر الناس خلقاً وأنبيل خلقاً ورقبة ، فهو أجل من أن يعديه الناس بشيء حتى يشاركونهم فى خلاصهم ، ومن أن يعديهم هو ؛ لأنه شأهم وفات طورهم إلى ماليس فى مكنهم الوصول إليه من الأخلاق العالية النبيلة .

(٣) يقول : إنه يغير على أعدائه ألوان الليالى ، فإذا كانت مظلمة صيرها مشرقة منيرة يبريق أسلحة جيوشه التى هى منشورة الرايات — أى الأعلام — منصوره الجند ، وإذا كانت الليالى مقمرة جعلها مظلمة بسواد النقع — الغبار — وقال بعض الشراح : لكثرة عساكره إذا سارت بالليل أو قدت المشاعل ؛ إما للاستضاءة ، وإما لإحراق ديار الأعداء حينئذ تنجاب الظلمة .

(٤) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة من الخيل ؛ وردى يردى : أسرع من ردت الخيل ردياً وردياناً : رجعت الأرض بخوافرها فى سيرها وعدوها . يقول : إن جيوشه إذا أتت الأعداء فى ديارهم قبل الصبح أسرعت إليهم إسراراً لا يسرعه الصبح فأتت عليهم — أهلكهم — قبل أن ينبثق ضوؤه .

(٥) ومبثوثة : عطف على كتائب ، وهى الفارة التى تشن ؛ والغور : ما انخفض من الأرض ؛ والنجد : ما ارتفع .

يقول : ورأوا خيلاً متفرقة فى كل ناحية لا يستطيعون أن يتوقوها بالطلائع — وهى التى ترسل لتستطلع طلع العدو — لأنهم لا يشعرون إلا وقد دهمتهم ، ولا أن يتحرزوا منها بمنخفض من الأرض أو مرتفع منها .

يَمْنَعْنَ إِذَا مَا عُدْنَ فِي مُتَفَاقِدٍ مِنَ الْكَثْرِ غَانَ بِالْعَبِيدِ عَنِ الْحَشْدِ^(١)
 حَتَّى كُلُّ أَرْضٍ تُرْبَةٍ فِي غُبَارِهِ فَهِنَّ عَلَيْهِ كَالطَّرَائِقِ فِي الْبَرْدِ^(٢)
 فَإِنْ يَكُنِ الْمَهْدَى مِنْ بَانَ هَذِيهِ قَهْذَا وَإِلَّا فَالْمَهْدَى ذَا فَمَا الْمَهْدَى^(٣)
 يُعَلِّلُنَا هَذَا الزَّمَانُ بِذَا الْوَعْدِ وَيَجْدَعُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ مِنَ النِّقْدِ^(٤)

(١) يمنعن : أى خيله ، من العوص ، وقوله : فى متفاعد ، أى فى جيش يفقد بعضه بعضاً لكثرة واضطرابه ، كما قال الآخر :

* يَجْمَعُ تَضَلُّ الْبُلُقَى فِي حُجْرَاتِهِ *

قوله : من الكثر ، أى لأجل كثرة . وغان : أى مستغن ، والحشد : الجمع ، يقول : إذا عادت سراياه أو خيله إلى معسكره الذى بلغ من الكثرة وتراى الأطراف مبلغاً يفقد فيه الشيء فلا يوجد ، والذى استغنى بعبيد للمدوح عن أن يحشد إليه الثراء . إذا عادت إليه سراياه أو خيله بعد تفرقها غاصت وبانت ضآلتها بالقياس إلى جمهرة للمسكر وتوافره وهذه الجيوش للكثرة كلها عبيد للمدوح ليسوا أو بأشأ أخلاطاً ، وروى بدل يمنعن : يمنعن . من غاض الماء : قمص . يعنى أن هذه السرايا إذا تفللت فى سائر جيشه غابت فيه لكثرتهم كالماء إذا غاض فى الأرض

(٢) حث : أى ذرت وسفت وأطارت ، وقوله : فى غباره ، أى غبار المسكر المتفاعد ، وهن . أى الترب . جمع التربة ، والطرائق : الخطوط ، والبرد : الثوب المخطط ، يقول : إن جيشه . لبعده غزواته وكثرة أسفاره . يمر بأمكنة مختلف تراها فىثير تقع كل مكان فتختلف ألوان غباره حتى تصير تخطوط البرد : منها أسود ، ومنها أحمر ، ومنها أبيض ، ومنها أصفر ، وهذا معنى حسن ،

(٣) المهدي : هو الذى يظهر آخر الزمان ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً كما هو معروف لدى المسلمين على خلاف فى ذلك . كما هو مبسوط فى مقدمة ابن خلدون ، فراجعها إن شئت . يقول : إن كان المهدي الموعود هو من ظهر سمته وصلاحه وهدهد : فهذا الذى نراه . أى للمدوح . هو المهدي الموعود ، وإن لم يكن هو الموعود فالذى نراه . من تقواه وحسن سيرته . هو المهدي كله ، لما معنى المهدي بعد هذا ؟

(٤) يعللنا أى يلهينا ويشاغطنا ، والنقد : خلاف الوعد : أى التيد الحاضر ، يقول : إن الزمان يمدنا خروج المهدي فيعللنا بوعده طويل ويخدعنا عما عنده من النقد بالوعد ، يريد : أن للمدوح هو المهدي قدماً حاضراً ، وانتظار ظهوره خداع وتعليل .

هَلْ أَخْذِرُ شَيْءٌ لَيْسَ بِأَخْذِرٍ غَائِبٌ أَمْ الرُّشْدُ شَيْءٌ غَائِبٌ لَيْسَ بِالرُّشْدِ^(١)
 أَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ وَأَرْحَمَ ذِي كِيدٍ^(٢)
 وَأَحْسَنَ مُنْعَمٍ جُلُوسًا وَرَكْبَةً عَلَى الْمُنْبَرِ الْعَالِيِ أَوْ الْفَرَسِ النَّهْدِ^(٣)
 تَفَضَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ يَتَنَنَّا فَلَمَّا حَمَدْنَا لَمْ تُدِمْنَا عَلَى الْحَمْدِ^(٤)
 جَمَلَنَ وَدَاعِي وَاحِدًا لثَلَاثَةً جَمَالَكَ وَالْعِلْمَ الْمُبْرَحَ وَالْعَجْدِ^(٥)

(١) الاستفهام هنا : إنكارى . وأم : بمعنى بل ، التى للاضراب . يقول : لا ينبغي أن يظن أن الخير والرشد المنتظرين من المهدي هما شيء آخر غير الخير والرشد الحاضرين لأن الشيء لا يغير نفسه ، وإذن : فالخير والرشد ما تلاان في المدح ، وما ينتظر من المهدي مائل فيه ، فلم لا يكون هو المهدي ؟ .

(٢) و (٣) أحزم : نصب ، على أنه منادى مضاف ، وهو أفعل تفضيل ، وكذلك ما بعده ؛ والحزم : سداد الرأي ؛ واللُب : العقل . وجالوساً : تمييز . والركبة : هيئة الركوب . يقول : يا أحزم ذوى العقل وأكرم ذوى الأيادي - النعم - وأشجع الشجعان وأرحم الراحمين وأحسن من نعم - لبس العمامة - وجلس على المنبر ، وأحسن الناس ركوباً على الفرس النهدي - الجسيم الحسن العالى - فقوله على المنبر العالى الخ : من باب الطي والنشر . وقال ابن جنى : شبه ارتفاع مجلسه بالمنبر ، ولم يكن ذا منبر ولا خطيباً في الحقيقة قال ابن فورجه : ظن ابن جنى أن الخطبة عيب بالمدح ، وما ضر ابن العميد أن يدعى له للتنبي أنه يصعد المنبر ويخطب قومه كالحليفة في الناس ؟ !

(٤) يقول : حمدنا الأيام على أن جمعت بيننا فلم تدم لنا ذلك الحمد ، لأنها أحوجت إلى الرحيل والانصراف عنك ، ففعلول حمدنا : محذوف ، تقديره حمدناها ، أو حمدنا الأيام ، وقوله : بالجمع بيننا ، تعظيم لنفسه ، لأن معناه أن ابن العميد كان يحب الاجتماع معه ، كما كان للتنبي يحب ذلك . وكذلك قوله : حمدنا ، إذ جعل الحمد منهما ، فهو بذلك يعظم من حال نفسه .

(٥) يقول : إن الأيام جعلت وداعى لك وداعاً لثلاثة أشياء : هى جمالك والعلم والمبرح والمجد ، وكل واحد منها يعز على فراقه . هذا ؛ ولم يصف أحد العلم بأنه مبرح غير أبى الطيب ، إنما يستعمل التبريح فما يشتد على الإنسان يقال : وجد مبرح مثلاً ، فلعلمه من قولهم برح الخفاء : أى انكشف ؛ أى العلم الذى يكشف عن الحقائق . أو تقول : العلم المبرح فراقى إياه .

وَقَدْ كُنْتُ أَدْرِكُ الْمُنَى غَيْرَ أَنِّي يُعَيِّرُنِي أَهْلِي بِإِذْرَاكِهَا وَخَدِي^(١)
وَكُلُّ شَرِيكِ فِي الشَّرُورِ بِمُصْبَحِي
أَرَى بَعْدَهُ مَنْ لَا يَرَى مِثْلَهُ بَعْدِي^(٢)
فَجَذُّ لِي بَقْلَبٍ إِنْ رَحَلْتُ فَأَتَنِي مُخَلِّفٌ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَّلَهُ عِنْدِي^(٣)
وَلَوْ فَارَقْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ حَيَاتَهَا لَقُلْتُ أَصَابَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهي الشيء الذي تتمناه . يقول : إنني أدركت عندك من المنى والسعادة ونيل المراد ما كنت آتياه ، ولكن إذا انتردت به واستأثرت دون أهلي ولم أرجع إليهم ، عيروني بذلك الأثرة والأنانية .

(٢) قوله بمصباحي : متعلق بالسرور ، وهو مصدر بمعنى الإصباح . والضمير في قوله بعده وفي يرى : راجع لسكل ؟ وفي مثله : راجع لمن — من قوله من لا يرى . يقول : كل من شاركني في السرور بإصباحي عنده حين أعود إليه من أهلي وغيرهم ورأي ما أوتيته ، أرى منك اليوم يا ابن العميد بعد مفارقتي إياه إنسانا لا يرى هو مثله ، لأنه لا نظير لك في الدنيا ؛ يعني أنه مع سروره بالعودة إلى أهله وغير أهله وسرورهم به فإنه مع هذا السرور لا يزال منتصفاً لفراق ابن العميد ، لأنه لا يرى عندهم بعد عودته إليهم رجلاً آخر مثله .

(٣) يقول : إنني أفارقك وأرتحل عنك وأخلف قلبي لديك لأنك أغدقت علي أفضالك فأسرت قلبي . وهذا معنى متداول .

(٤) يقول : لو فارقته نفسي حياتها إليك وآثرت البقاء لديك على الحياة معي لقلت إنها أصابت فيما فعلت ولم أنسبها إلى سوء العهد ، لأنك أبرها مني .

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع ويذكر هزيمة وهشودان :

أَزَارِرُ يَا خَيَالُ أَمْ عَائِدُ أَمْ عِنْدَ مَوْلَاكَ أَنَّنِي رَاقِدُ^(١)
لَيْسَ كَمَا ظَنَنْتُ غَشِيَةٌ عَرَضَتْ فَجَعَلْتَنِي فِي خِلَالِهَا قَاصِدُ^(٢)
عُدُّ وَأَعِدُّهَا فَجَبَّذَا تَلَفُ أَلَصَقَ تَذْيِي بِنَدْيِكَ النَّاهِدُ^(٣)
وَجُدَّتْ فِيهِ بِمَا يَشِخُّ بِهِ مِنْ الشَّيْثِ الْمَوْشِرِ الْبَارِدُ^(٤)
إِذَا خَيَالَاتُهُ أَطْفَنَ بَنًا أَضْحَكُهُ أَنَّنِي لَهَا حَامِدُ^(٥)

(١) يقول - مخاطباً خيال المحبوب -: أزارأ جئتني أيها الخيال أم عائد؟ أي أتى مريض من الحب فأناخلق منك بالعبادة ، ثم قال : أم عند مولاك - أي صاحبك ، وهو الحبيب - الذي أرسلك إلى - أتى راقد ؟ أي أم اعتقد مولاك أنني راقد فأرسلك إلى على هذا الاعتقاد ؟

(٢) قاصد : حال ، سكنه للضرورة ، واسم ليس : ضمير الشأن ؛ وغشية عرضت : جملة مستأنفة . يقول : ليس الأمر على ما ظن من أنني راقد حين زرتني ، وإنما هي غشية - أي همة لارقدة - أدركتني من الألم ، فجئتني في خلال تلك الغشية . يريد أنه لم يكن نائماً ، وإنما يزور الخيال النائم .

(٣) الناهد : الشاخص . يقول : عد أيها الخيال ثانية وأعد الغشية التي لحقتني وإن كان فيها تلفي ، فخبذا تلف يكون سبباً لقربك ومعاقبتك . قال الواحدى : وكان من حقه أن يقول للغشية : عودى وأعيدى الخيال ، لأن الغشية كانت سبب زيارة الخيال ، لا الخيال سبب لحاق الغشية ؛ ولكنه قلب الكلام في غير موضع القلب . وهذا بديع من الواحدى

(٤) جدت فيه : عطف على البيت السابق والضمير : للتلف ؛ وشرشتيت : مفرق مفلج ، والموشر : الذى فيه أشر : أى تحزى . يقول : وخبذا هذا التلف الذى جدت فيه بما يرض به مولاك من تقبيل الثغر المفلج المحرز البارد الرقيق ، يريد أنه قبل الطيف وارتشف رضابه .

(٥) يقول : إذا ألمت بنا خيالات الحبيب وزارتنا فخدمت زيارتها : أضحك الحبيب ذلك الحمد ، لأن الخيال في الحقيقة ليس بشئ « هذا » والخيالات يجوز أن يكون جمع خيالة ؛ قال أبو تمام :

وَقَالَ إِنْ كَانَ قَدْ قَضَىٰ أَرْبَا مِثْلًا فَمَا بَالُ شَوْقِهِ زَائِدٌ^(١)
لَا أَحْجَدُ الْفَضْلَ رُبَّمَا فَعَلْتُ مَا لَمْ يَكُنْ فَاعِلًا وَلَا وَاَعِدْتُ^(٢)
لَا تَعْرِفُ الْعَيْنُ فَرْقَ بَيْنِهِمَا كُلُّ خِيَالٍ وَصَالُهُ نَافِذٌ^(٣)
يَا طِفْلَةَ الْكَفِّ عَبْلَةَ السَّاعِدِ عَلَى الْبَعِيرِ الْمُقْلَدِ الْوَاحِدِ^(٤)

فلست بنازل إلا أَلْتِ بِرَحْلِي أو خيالتها الكذوب^(١)
ويجوز أن يكون جمع خيال كجواب وجوابات ، والخيال والخيالة : ما تشبه لك في
في البقطة والحلم من صورة ، أو الشخص والطيف .
(١) الأرب : الحاجة . يقول : وقال الحبيب : إذا كان قد أدرك حاجته منا بزيارة
الخيال فلم زاد شوقه إلينا ؟ وسكن « زائد » للقافية .
(٢) يقول : وعلى هذا لأجحد فضل الخيالات ، لأنها فعلت من الزيارة ما لم يفعله
الحبيب ، ولم يعد به ، فضلا أن يفعله .

(٣) نافذ : أى فان ذاهب ؛ قال الأسود بن يعفر الأيادي :
وَأَرَى النِّعَمَ وَكُلَّ مَا يُلَهِّي بِهِ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَتَفَادٍ
يقول : إنه لافراق بين الحبيب وبين خياله ، لأن كلا منهما لا يدوم وصاله ، إذا
واصل لا يعتم أن يصرم فلا يبقى إلا خيالا : وقال ابن جني : لافرق بينها وبين خيالها ؛
لأن كل شيء إلى تقاد ما خلا الله وحده . . . قال ابن فورجه - وما أمر تقده - : هذه
موعظة وتذكيرة ، وإنما يقول : هذه المرأة لو واصلت لم يدم الوصال ، كما أن خيالها
إذا وصل لم يدم ؛ وأما قوله كل خيال : فهو الذى غلط أبا الفتح وكلفه أن يورده ما أورده ،
وإنما عني بكل : كلا من المذكورين ، كما تقول : خرج زيد وعمرو وكل راكب ؛ والكل
يستعمل فى الاثنين كما يستعمل فى الجمع ؛ ولما قال : لاتعرف العين فرق بينهما : علم أنه يشير بالكل
إليهما ، لا إلى جماعة غيرهما ، وأبو الطيب فى غزل وتشبيب ؛ فما معنى الموعظة هنا؟ ويقول
كل شيء فان إلا الله ؟ وما أقبح ذكر الموت والمواعظ فى الغزل والتشبيب « هذا » وقوله
فرق بينهما أراد لاتعرف العين فرقا بينهما . فأضاف على سلبخ بين عن الظرفية .
(٤) يخاطب حبيته . والطفلة : الناعمة الرخصة . والعبلة : الممتلئة . والبعير المتقلد

(١) وقيل : إنما أنث على إرادة المرأة .

زَيْدِي أَذَى مُهْجَتِي أَزْدَكِ هَوَى فَأَجْهَلُ النَّاسِ عَاشِقٌ حَاقِدٌ^(١)
 حَكَيْتَ يَا لَيْلُ فَرَعَهَا الْوَارِدُ فَأَخْكِ نَوَاهَا لِحَفْنِي السَّاهِدُ^(٢)
 طَالَ بُكَائِي عَلَى تَذَكُّرِهَا وَصَلَتْ حَقِّي كَلَا كَمَا وَاحِدٌ^(٣)
 مَا بَالُ هَذِي النُّجُومِ حَاطِرَةٌ كَأَنَّهَا الْمُعْنَى مَا لَهَا قَائِدٌ^(٤)
 أَوْ عُصْبَةٌ مِنْ مُلُوكِ نَاحِيَةٍ أَبُو شُجَاعٍ عَلَيْهِمْ وَاجِدٌ^(٥)

أى الذى عليه قلائد : أى من العهن - الصوف - والواحد : أى المسرع فى السير :
 والبیت مصرع ، قال العكبرى : وهذا البيت ردىء لوقيل فى زماننا لهرب قائله من الحياء
 (١) يقول : إن أذاك مستحلى - لأن الحبيب يحلولى منه كل شئ . يصدر عنه ،
 قال : زيدى أذى أزدك هوى وحباً لأن العاشق لا يحقد على محبوبه ، فإن حقد عليه
 شيئاً كان ذلك منه جهلاً وعدم معرفة بمقامات الهوى .

(٢) حكيت أشبهت ، أو مثلت ، والفرع : الشعر ؛ والوارد من الشعر : الطويل
 المترسل . والنوى : البعد . والساهد : الساهر . يقول : أشبهت باليل شعرها فى السواد
 فأشبه بعدها عنى : أى ابعد عنى كما بعدت ولا تطل على .

(٣) يقول : طال بكأى لأجلها وطلت - أيها الليل - حتى كلاً كما واحد فى الطول
 وروى ابن جنى تذكرة : أى الفرع .

(٤) حائرة : حال . وقوله : ما لها قائد : حال من العمى . يقول : لم حارت النجوم
 فلا تسرى لتغيب كأنها العمى ليس لها من يقودها ؟ يريد : طول الليل وأن النجوم كأنها
 واقفة . وهذا من قول بشار :

وَالنَّجْمُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ كَأَنَّهُ أَعْمَى تَحِيَّرَ مَا لَدَيْهِ قَائِدٌ

(٥) أو عصبة : عطف على العمى . وواجد : غضبان . يقول : أو كأنها جماعة من
 ملوك النواحي قد غضب عليهم أبو شعاع فبقوا حيارى رهبة وفرقا . وفى هذا البيت من
 البديع حسن التخلص « هذا » ولعل الناظر فى ديواننا يلحظ أننا اتبعنا فى مثل عليهم
 قراءة أبى عمرو بن العلاء أن نكسر اليم لا اتباع كسرة الهاء ، وإن كان الأكثرون
 على ضمها : وفى ذلك يقول علماؤنا : إذا تحركت اليم عند التقاء الساكنين تحرك بالضم
 والكسر ، والضم أولى من الكسر ، والكسر لا اتباع كسرة الهاء : وقد قرأ القراء

إِنَّ هَرَبُوا أَدْرَكُوا وَإِنْ وَقَفُوا خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدِ^(١)
 فَهُمْ يَرْجُونَ عَفْوَ مُقْتَدِرٍ مُبَارَكِ الْوَجْهِ جَائِدٍ مَاجِدِ^(٢)
 أَبْلَجَ لَوْ عَادَتِ الْحَمَامُ بِهِ مَا خَشِيتُ رَامِيًا وَلَا صَائِدِ^(٣)
 أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ وَفِي تَذَكُّرِهِ مَا رَاعَهَا حَابِلٌ وَلَا طَارِدِ^(٤)
 تُهْدِي لَهُ كُلُّ سَاعَةٍ خَبْرًا عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِدِ^(٥)
 وَمَوْضِعًا فِي فِتَانٍ نَاجِيَةٍ يَحْمِلُ فِي التَّاجِ هَامَةً الْمَاعِدِ^(٦)

السته - سوى أبي عمرو - « عليهم الذلة » بضم الميم ، وما أشبهه حيث وقع : وكسره أبو عمرو .

(١) الطريف : المكتسب : والتالد : اللوروث : يقول : - ذا كراً سبب تخرمهم : إنهم لا يجدون منه ملجأ لا بالهرب - لأنهم لو هربوا أدركهم وأوقع بهم - ولا بالإقامة - لأنهم لو أقاموا خشوا أن يغير عليهم فلا يبقى على شيء .

(٢) يقول : إن هؤلاء ملوك النواحي يرجون عفو هذا الملك للبارك ذي الجود والمجد .

(٣) و (٤) الأبلج الشرق الوجه وعادت لجأت ، وراعها ، أفزعها والحابل ، الذي ينصب الحباله ، وهى الشرك ، يقول : إنه عزيز الجانب مهيب ، من لجأ إليه أو استأمن بذكره ، أمن حق الطير والوحش .

(٥) كل ساعة ، فاعل تهدي ، والجحفل : الجيش ، والبائد : الهالك ، يقول : لا تمر ساعة إلا وتهدي إليه خبراً عن جيش من جيوش أعدائه قد هلك تحت سيفه يعنى تتابع أخبار فتوحه لكثرة سراياه إلى النواحي .

(٦) وموضعا ، عطف على خبرا - فى البيت السابق - والموضع ، السرعة فى سيره ؛ والفتان ، غشاء للرحل من آدم ؛ والناجية : الناقة السريعة ؛ والهامة : الرأس ؛ والمعاد عاقد التاج ، يقول : وتهدى له كل ساعة رسولا مسرعا فى رحل ناقة خفيفة يبشره بقتل عدو وفتح ناحية ، وأخذ ملك ذى تاج يحمل إليه رأسه وتاجه ، وكان قد ورد الخبر على عضد الدولة بهزيمة وهشودان بعد الكرة الأولى وضربت الدباب . على باب عضد الدولة ، وهذا ما يشير إليه المتن .

(*) الدباب : الطبول ؛ وأصل الدبابة ؛ الصياح والجلبة .

يَا عَصْدًا رَبُّهُ بِهِ الْعَاضِدُ وَسَارِيَا يَبْعَثُ الْقَطَا الْمَاجِدُ^(١)
وَمُمْطِرِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مِمَّا وَأَنْتَ لَا بَارِقُ وَلَا رَاعِدُ^(٢)
نَلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةٍ وَهَشُودَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدُ^(٣)
يَنْبُدُّ مِنْ كَيْدِهِ بِنَافِثِهِ ،
وَلَا تَمَّا الْحَرْبُ غَايَةُ الْكَائِدُ^(٤)

(١) العاضد : المعين ؛ وبه : صلة العاضد ، والبناء للاستعانة ، والساري : السائر ، ليل ، ويبعث : يثير ، والمجاهد ، النائم . أى يعضد الدولة التى يعصدها الله سبحانه به ، ثم قال : ويامن تسرى فتقطع الصحارى بجيوشك فتثير القطا عن أفاحيصها وهى نائمة ، يريد كثرة غاراته وسيره إلى الأعداء ليلا .

(٢) يقال ، برقت السماء ورعدت ، وأبرقت وأرعدت . يقول ، أنت تمطر الموت على أعدائك بالقتل وتحيى أوليائك بالبذل والإحسان ، فكأنك سبحانه يُمطر الموت والحياة ، غير أنه لا برق لك ولا رعد ، يعنى أنك تفعل ذلك على غير احتفال ولا استعداد .

(٣) وهشودان ؛ هو ملك الديلم ، ويقال نال من عدوه ؛ إذا أنزل به كيد ، وقوله من مضرة ؛ صلة أحد الفعلين على التنازع ، وقوله ما نال مفعول نلت الثانى ، يضعف رأى وهشودان بأنه جنى على نفسه الشر بمحاربة ركن الدولة ، يقول : نلت من وهشودان وألحقت به المضرة ما أردت ، وما بلغت من مضرته ما بلغ رأيه ؛ يعنى أن فساد رأيه كان أبلغ فى مضرته من قتالك له ، وهذا من قبيل قوله ؛

مَا يَبْلُغُ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ

وقد ذكر فساد رأيه فى البيت التالى .

(٤) الضمير فى غايته ؛ للكيد ؛ والغاية المنتهى ؛ والكائد ؛ صاحب الكيد ، وأراد بغاية الكيد ؛ الحرب ، كما بين ذلك فى عجز البيت . يقول ؛ إنه بادر إلى محاربتكم من أول وهلة فابتدأ الكيد من آخره ، لأن الحرب لا يلجأ إليها إلا إذا لم تجد الوسائل ؛ يعنى أنه كان الأحزم له أن لا يحاربكم إلا إذا اضطر إلى المحاربة .

(*) خلافاً للأصمى فإنه لا يميز أبرقت وأرعدت .

مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى يُحَارِبُكُمْ فَذَمَّ مَا اخْتَارَ لَوْ أَتَى وَافِدٌ^(١)
 بِلَا سِلَاحٍ سِوَى رَجَائِكُمْ
 فَكَأَزَّ بِالنَّصْرِ ، وَأَنْتَنَى رَاشِدٌ^(٢)
 يُقَارِعُ الدَّهْرَ مَنْ يُقَارِعُكُمْ عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدِ^(٣)
 وَلَيْتَ يَوْمَى فَنَاءَ عَسْكَرِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ دَانِيَا وَلَا شَاهِدٌ^(٤)
 وَلَمْ يَنْبَغِ غَائِبٌ خَلِيفَتُهُ جَيْشُ أَبِيهِ وَجَدَهُ الصَّاعِدُ^(٥)
 وَكُلُّ خَطِيئَةٍ مُتَقَفَّةٍ يَهْزُهَا مَارِدٌ عَلَى مَارِدٍ^(٦)

(١) و (٢) ذم ؛ عطف على أتى ، والوافد ؛ الذى يفد طلبا للعتاء وأراد وافدا بالنصب ولكنه وقف عليه بالإسكان ضرورة ؛ وبلا سلاح ؛ متعلق بأتى يقول ؛ الذى أتاكم محاربا ثم ذم ما اختاره من حربكم لإخفاقه ماذا كان عليه لو جاءكم سائلا واستعان عليكم بالرجاء بدل السلاح ؛ إنه لو فعل ذلك لفاز ورجع غائما راشدا .
 (٣) يقارع ؛ يحارب ، من المقارعة بالسلاح ، والمسود ؛ الذى ساد غيره ، والسائد الذى ساد غيره ، يقول ؛ من يحاربكم ويتحرد عليكم يحاربه الدهر على مقداره رئيسا كان أو مرءوسا ، وفى هذا المعنى نظر إلى قول محمد بن وهيب - قال العكبرى ؛ كتبت جارية إلى مولاه - وقد باعها ، وكانت تهواه ؛ وهب الله لطرف يشكو إليك الشوق حظا من رؤيتك ، فما أشبه إبعاد الدهر لى عنك إلا بقول محمد بن وهيب ؛
 وَحَارَبَنِى فِيهِ رَبُّ الزَّمَانِ كَأَنَّ الزَّمَانَ لَهُ عَاشِقٌ

(٤) وليت ؛ تولى ؛ والدانى ؛ القريب ؛ والشاهد ؛ الحاضر ، يقول ؛ تولى فناء عسكر وهشودان فى اليومين اللذين انهزم فيهما ، وأنت لم تحضر القتال فى الموقعتين بنفسك ولم تكن قريبا منهما ؛ يعنى أنه كتب لك النصر فيهما وإن كنت غائبا ، لأن سعدك ناب عنك فى قتالهم ؛ كما قال فى البيت التالى . وعبرة الواحدى ؛ يريد اليومين اللذين هزم فيهما أبوه وهشودان ، ولم يكن عضد الدولة فيهما ، بل كان أبوه هو الذى هزمه ؛ يريد أن من هزمه جيش أباك فقد هزمته أنت .

(٥) يقول ؛ وإن لم تحضر القتال فقد كان لك فيه خليفتان ؛ جيش أباك ، وخظك الصاعد فى مرافق السعد ، فكأنك لم تغب ، لأنه إذا حصل النصر بهذين فكأنه حصل بك (٦) وكل ؛ عطف على جيش - فى البيت السابق - والخطية المثقفة ؛ الرماح المقومة

سَوَافِكُ مَا يَدْعُنْ فَاصِصَلَّةَ بَيْنَ طَرِيٍّ الدِّمَاءِ وَالْجَاسِدِ^(١)
 إِذَا النَّايَا بَدَتْ فَدَعَوْتُهَا أَبْدِلْ نُونًا بِدَالِهِ الْحَائِدِ^(٢)
 إِذَا دَرَى الْحِصْنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا
 خَرَّ لَهَا فِي أُسَاسِهِ سَاجِدٌ^(٣)
 مَا كَانَتْ الطَّرْمُ فِي عَجَاجَتِهَا إِلَّا يَمِيرُ أَوْضَلُهُ نَاشِدٌ^(٤)
 تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلَاعِ عَنْ مَلِكٍ قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةٌ شَارِدٌ^(٥)

المستوية . والمارد ؛ الذى لا يطاق خبثا وعتوا . يقول ؛ وكان خليفتك فى القتال الرماح
 المقومة يهزها رجل مارد على فرس مارد أو على رجل مارد مثله ؛ قال العكبرى ؛ وهو
 أبلغ إذا لقي الشجاع شجاعا مثله ، وهذا تفصيل بهد إجمال ، لأن هؤلاء كانوا من جيش
 أبيه وقد ذكروهم .

(١) سوافك ؛ خبر مبتدأ محذوف تقديره ؛ هى - الخطية - سوافك الخ . والجاسد ؛
 اللازق الذى قد جف . يقول ؛ هذه الرماح سوافك إذا أراقت دما نجف أردفته دما
 طريا دون أن تفصل بينهما . فقوله : ما يدعن فاصلة ؛ أى من غير فصل بينهما ؛ وقال ابن
 جنى ؛ أى ما يدعن بضعة أو مفصلا إلا أسلته دما . وهذا معنى بعيد .

(٢) الحائد ؛ نائب فاعل أبدل ؛ وجملة أبدل الخ ؛ خبر دعوتها . يقول ؛ إذا ظهرت
 الناياء وكشرت عن نايها عند اشتباك الجيوش دعت بأن يصير الحائد - الذى على الخياد
 وخام عن القتال - من جيش عضد الدولة - حائنا ؛ أى هالكا ؛ والمعنى ؛ أن عسكر
 عضد الدولة يقولون لدى الوغى ؛ جعل الله الحائد منا هالكا .

(٣) الضمير فى بها ولها ؛ للخيول ، وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرأين . يقول ؛
 إذا علم حصن العدو أن عضد الدولة هو الذى رماه بالخيول سقط ساجدا وانقضت حيطانه
 لها هية له .

(٤) الطرم ؛ قلاع وهشودان . والعجاجة ؛ واحدة المعجاج ؛ الفبار ؛ وفلان ينشد
 صالته ؛ يطلبها . يقول ؛ إن الطرم كانت فى غبار الخيل كأنها بعير أضله طالبه ، فهو
 ينشده ؛ أى أن المعجاج أحاط بها لكثرة حتى غابت فيه وخفيت عن الأنظار .

(٥) تسأل ؛ أى الطرم - قلاع وهشودان - أو الخيل ، يقول ؛ تسأل الطرم أهل
 القلاع عن وهشودان ، وقد مسخته الخيل نعمة شرودا ؛ يعنى أنه أسرع فى اعرب

تُسَوِّحُ الْأَرْضُ أَنْ تَقِرَّ بِهِ
فَكُلُّهَا مُنْكَرٌ لَهُ جَاحِدٌ^(١)
فَلَا مُشَادٌ وَلَا مُشِيدٌ حَتَّى وَلَا مُشِيدٌ أَغْنَى وَلَا شَائِدٌ^(٢)
فَاغْتَنَظَ بِقَوْمٍ وَهَشُوذٌ مَا خُلِقُوا إِلَّا لِنَفِيضِ الْعَدُوِّ وَالْحَاسِدِ^(٣)
رَأُوكَ لَمَّا بَلَوكَ نَابِتَةً يَأْكُلُهَا قَبْلَ أَهْلِهَا الرَّائِدِ^(٤)
وَحَلَّ زِيًّا لِمَنْ يَحْقُقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَابِدٌ^(٥)

كالنعامه عند إقبال خيلك خوفا ورعبا ، والعرب تصف النعامه بشدة النفور والشرود ،
والنعامه ، تقع على الذكر والأنثى ، كالبقرة والبطة والحمامه ، ومن ثم وصفها بالشارد ،
(١) يقول ، تخاف الأرض أن تقر به ، أى تعترف بموضع منها فتطأها خيلك ، فكل
موضع ينكره ويجهده أنه رآه ، يريد شدة إيمانه في الحرب وتواريه حتى لا يهتدى أحد
إلى مكانه ، وقد روى بدل منكر ، أنه - بالمد وكسر النون - يقال أنه بأنه أنها
وأنوها ، إذا تزعج من ثقل يحده .

(٢) للشاد ، البناء للرفوع الطول ، والمشيد الملقى للبناء ، وحى ، يروى على
أنه فعل ماض ، ويروى مضافا لمشيد ، فيكون اسما للسكان المحمى ، والمشيد ، للملقى
بالشيد ، وهو الجسم أو الكس ، والشائد ، فاعل منه ، يقول : لم يحم وهشودان
البناء ولا البانى من بطش عضد الدولة ، أى لم تمن عنه قلمته ولا جنده ،
(٣) وهشود : ترخيم وهشودان . يقول : كن أبداً مغتاطاً بقوم لم يخلقوا إلا غيظاً
للأعداء والحساد . يعنى قوم عضد الدولة .

(٤) بلوك . أى اختبروك . ونابته مفعول ثان لرأوك ، والرائد : الذى يرسل فى
طلب الكلاء ، يقول : إن هؤلاء القوم اختبروك فرأوك من الضعف والقله بمنزلة نبات
يرعاه الرائد قبل أهله . يعنى أن طلائع ركن الدولة تولت حرب وهشودان والظفر به
وحدها دون أن يكون فيها ركن الدولة ولا عضد الدولة ، لانها رأت أنه من الضعف بحيث
لا يستأهل مسير أحدهما . فالضمير فى أهله : للرائد .

(٥) وحل : عطف على اغتظ ؛ وجبينه فاعل دام . يقول : إن زى الملوكة لا يليق
بك فاتركه لمن هو أحق به منك ، فليس كل من تزى بزى الملوك ملوكا ، كما أنه ليس
كل من دى جبينه يكون ذلك من كثرة العبادة والسجود

إِنْ كَانَ لَمْ يَفْعِدِ الْأَمِيرُ لِمَا لَقِيتَ مِنْهُ فَيَمْنُهُ عَامِدٌ^(١)
يُقْلِقُهُ الصُّبْحُ لَا يَرَى مَعَهُ بَشْرَى يَفْتَحُ كَأَنَّهُ فَاقِدٌ^(٢)
وَالْأَمْرُ لِلَّهِ رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدٌ^(٣)
وَمُتَّقٍ وَالسَّهَامُ مَرْسَلَةٌ يَحِيدُ عَنْ حَابِضٍ إِلَى صَارِدٍ^(٤)
فَلَا يُبَيِّلُ قَاتِلٌ أَعَادِيَهُ أَقَانَمَا نَالَ ذَاكَ أَمٍّ قَاعِدٌ^(٥)
لَيْتَ ثَنَانِي الَّذِي أَصُوغُ فِدَى مَنْ صَيَغَ فِيهِ فَإِنَّهُ خَالِدٌ^(٦)

(١) يعمد يقصد واليمن : السعد . يقول : إن كان الأمير لم يقصدك بنفسه ليحل بك ما لقيت منه فإن يمنه قصدك : أى فأنت قتيل سعيده وإقباله إن لم تكن قتيل سلاحه .
(٢) يقول : إذا أصبح ولم يرد عليه من يبشره بفتح قلق كأنه فقد شيئا ، وقال ابن جني : معنى كأنه فاقد ، أى كأنه امرأة فقدت ولدها . قال ابن فورجه : مثل عضد الدولة لا يشبه بامرأة في حال من الأحوال . وليس إذا كان يقال للمرأة الشكلى : فاقد يمتنع أن يسمى الرجل فاقدا . وقوله : لا يرى معه . جملة حالية من الصبح .

(٣) يقول : ليس من شريطة الاجتهاد نيل المراد ، فقد يخيب الجاهد وينال مراده القاعد . يريد أنه ما أهلكه إلا اجتهاده في طلب الملك بتعرضه لهؤلاء القوم ، فصار اجتهاده سبب فشله وخيبته ، لأن الأمر لله ، لا للمجتهد ، قال عبد الله بن المعز : تذلل الأشياء للتقدير ، حتى يصير الهلاك في التدبير .

(٤) ومتق ؛ عطف على مجتهد ؛ والحابض ؛ خلاف الصارد ؛ يقال حبض السهم ؛ إذا وقع بين يدي الرامي لضعف الرمي ، والصارِد ؛ السهم النافذ في الرمية والبيت في معنى الذى سبقه يقول : ورب متق خائف على نفسه من السهام إذا رميت فيهرب من سهم لا ينفذ إلى سهم ينفذ فيه فيكون فيه هلاكه

(٥) يقول ؛ من قتل عدوه فلا يبالى ، أقتله قائما أم قاعدا ، يعنى أنه مادام الغرض هو قتل العدو ، فإذا كفيته بغيرك وأنت قاعد فليس ذلك بذى بال ؛ أى ليس بهم أن تقتله بنفسك قال الواحدى ؛ كان حقه أن يقول لا يبال — بحذف الياء الأخيرة — للجزم ، ولكنه قاس على قولهم ؛ لا تبلى ، بمعنى لا تبالي ، وإنما جاز ذلك لكثرة الاستعمال ، ولم يكثر استعمالهم «لا يبال» ، فيجوز فيه ما جاز في غيره .

(٦) يقول : إن هذا الشعر الذى أصوغه في الشاء على المدودح هو باق مخلد في

لَوَيْتُهُ دُمْلَجًا عَلَى عَضِدٍ لِدَوْلَةٍ رُكْنَهَا لَهُ وَالِدٌ^(١)

وقال في صباه :

وَشَادِنِ رُوحُ مَنْ يَهْوَاهُ فِي يَدِهِ

سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ^(٢)

مَا أَهْتَزَّ مِنْهُ عَلَى عَضِدٍ لِيَنْبَرَهُ إِلَّا أَتَقَاهُ بِتُرْسٍ مِنْ تَجَلَّدِهِ^(٣)

ذَمَّ الزَّمَانُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَبَّتِهِ مَا ذَمَّ مِنْ بَذَرِهِ فِي حَمْدِ أَحْمَدِهِ^(٤)

الكتب ، فليته فدى الذى عمل فيه — أى المدحوح — حتى لا يهلك ويبقى خالداً .

(١) الدملج : ما يلبس من الخلى فى العصد . يقول : جعلت . أى يحيى حلية له كما يحلى العصد بالدملج . وهو عضد لدولة ركن تلك الدولة والد له : أى أنها ملاك الدولة وقوامها ، فهو عضدها وأبوه ركنها . وسمى شعره دملجاً لذكر العصد .

(٢) الشادن : الظبي يقوى ويطلع قرناه ويستغنى عن أمه . والمقلد فى الأصل : العنق ، لأنه موضع القلادة ، والمراد هنا : موضع تقليد السيف . يقول : إنه يقتل بصودده ؛ فكأنه تقلد سيفاً من الصدود . « هذا » وقد جعل الواحدى — وتبعه العكبرى — صدر هذا البيت قوله :

* سَيْفُ الصَّدُودِ عَلَى أَعْلَى مُقَلَّدِهِ *

أما العجز فقالا : إنه لم يحفظ ، فقال قوم هو :

* بِكَفٍّ أَهْيَفَ ذَى مَطْلٍ بِمَوْعِدِهِ *

وقال آخرون هو :

يَفْرِى طُلَى وَامِقِيهِ فِي تَجَرُّدِهِ

أما الرواية التى أثبتناها فهى رواية ابن القطاع .

(٣) البتر : انقطع ؛ والتجلد : التصبر ؛ والضمير فى اهتز ؛ للسيف ، وفى منه ؛ للشادن ؛ وفى اتقاه — المرفوع — للعاشق ، والنصب ؛ للسيف ، يقول : لم يهتز هذا السيف — سيف الصدود — من الشادن على عضو من أعضاء العاشق ليقطعه إلا استقبله بتجلده وتصبره ، يعنى ، أنه كلما قصده بالصدود عارضه بالصبر .

(٤) اضطربت كلمة الشراح فى هذا البيت ، وأوجه المعانى أن تقول يقول المتنبي ؛

شَمْسٌ إِذَا الشَّمْسُ لَاقَتْهُ عَلَى فَرَسٍ
تَرَدَّدَ النُّورُ فِيهَا مِنْ تَرَدُّدِهِ ^(١)
إِنْ يَقْبُحَ الْحَسَنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ ^(٢)

إن الزمان ذم إلى التنبى العيب الذى ذمه التنبى من بدر الزمان عند حده. هذا الرجل للمسمى أحمد، وذلك العيب هو النقص والتغير اللذان فى مودة الأحبة، وفى القمر بالنسبة إلى المدوح - فأحبته يحفونه ويصدون عنه؛ والبدر - على بهائه وحسنه - دون أحمد هذا، فالضمير فى بدره وأحمد للزمان، وسائر الضمائر؛ للعاشق - أى التنبى، وإليك أقوال الشراح، قال ابن جنى: البدر هو المعشوق، جعله بدر الزمان مبالغة فى حسنه؛ وأحمد؛ هو التنبى، وجعل نفسه أحمد الزمان، يريد؛ ليس فى الزمان أحمد مثله، والمعنى؛ أن العاشق كان يذم بدر الزمان الذى هو كبدر الزمان حسنا يذم منه جفاه وهجره، واجتمع معه الزمان على تلك الحال من معشوقه فى حال حمد الزمان لأحمد التنبى؛ فالزمان يذم بهجر أحبته ويحمده هو لفضله ونجابهة قال الواحدى: قد تهوس أبو الفتح فى هذا البيت وآتى بكلام كثير لافائدة فيه، ومعنى البيت؛ إن الزمان ذم إلى التنبى من أجرة التنبى، لأنهم يحفونه ماذم الزمان فى بدره يعنى القمر فى حمد أحمد، يعنى المدوح، والمعنى؛ أن البدر مذموم بالإضافة إلى هذا المدوح، يعنى، أن البدر على بهائه وحسنه دون أحمد هذا، وقال ابن القطاع، يريد، أن الزمان يذم معه هجر أحبته كما ذم هو بدره، أى حبيبه،

(١) على فرس؛ حال من الهاء فى لاقته؛ أى وهو على فرس يقول: هو شمس إذا رأت الشمس وهو يحول فى ميدانه على فرس مترددا تردد نوره فى هوى الشمس، لأنه أضوأ منها، فالشمس تستفيد منه النور.

(٢) هكذا روى البيت سائر الشراح قائلين، إن «إن»، شرطية، وجوابها، فالعبد، والمعنى، هو مولى الحسن، والحسن فى كل أحد قبيح إلا فى طلعه كالعبد لا يحسن عند كل أحد حسنه عند مولاه، وقال اليازجى، إن قوله يقبح - فى عجز البيت خطأ فى الرواية، والصواب يحسن، فتكون إن، نافية، والمعنى، إن الحسن فى غير هذا المدوح لا يظهر قبيحا إلا عند مقابله بطلعه لما فيها من الكمال وفى غيرها من النقص فكل ذى حسن إنما يستحسن عند انفراده عنه، كما أن العبد إنما يستحسن عند انفراده عن سيده، فإذا قبل به ظهر قبيحا بالنسبة إليه وهذا وجه من القول حسن جميل بارع لولا الرواية.

قَالَتْ عَنِ الرَّفْدِ طَبَّ نَفْسًا فَقُلْتُ لَهَا
لَا يَصْدُرُ الْخَيْرُ إِلَّا بَعْدَ مَوْرِدِهِ ^(١)
لَمْ أَعْرِفِ الْخَيْرَ إِلَّا مُذْ عَرَفْتُ فَتَى
لَمْ يُولَدْ الْجُودُ إِلَّا عِنْدَ مَوْلَاهُ
نَفْسٌ تُصَفِّرُ نَفْسَ الدَّهْرِ مِنْ كِبَرٍ لَهَا نَهْيٌ كَهْلِهِ فِي سِنِّ أَمْرِهِ ^(٢)

(١) الرفد ، العطاء ، ويصدر ، يرجع ، وطب نفسا عنه ، أى دعه ولا تطلبه
يقول قالت : العاذلة طب نفسا عن العطاء ، أى دعه ولا تطلبه فإنه غير مبذول ، فقلت
لها ، إن الجرح إذا قصد أمرا لا ينصرف عنه إلا بعد الوصول إليه ، أى لا بدلى من
بلوغ ما أطلب

(٢) الضمير فى كهله وأمرده : للدهر ، والنهى : جمع نهية : العقل . يقول : إن
نفسه - فى عظمها وكبرها - تصفر نفس الدهر الذى هو جمع الخير والشر .

قافية الذال

وقال يمدح مساور بن محمد الرومي :

أُسَاوِرُ أَمْ قَرْنُ شَمْسٍ هَذَا أَمْ لَيْثُ غَابٍ يَقْدُمُ الْأُسْتَاذَا^(١)
 شِمٌّ مَا أَنْتَضَيْتَ فَقَدْ تَرَكْتَ ذُبَابَهُ قِطْعًا ، وَقَدْ تَرَكَ الْعِبَادَ جُذَاذَا^(٢)
 هَبِكَ ابْنُ يَزْدَاذٍ حَطَمْتَ وَصَحْبَهُ أَتَرَى الْوَرَى أَضْحَوْا بَنِي يَزْدَاذَا^(٣)
 غَادَرْتَ أَوْجَهُهُمْ بِحَيْثُ لَقِيَتْهُمْ أَقْفَاءُهُمْ وَكَبُودُهُمْ أَفْلَاذَا^(٤)
 فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْحِمَامُ عَلَيْهِمْ فِي ضَنْكِهِ وَأُسْتَحْوَذَ أُسْتَحْوَاذَا^(٥)

(١) قرن الشمس : أول ما يبدو منها . وقدم يقدم : إذا تقدم : قال تعالى « يقدم قومه يوم القيامة » والوزير : يسمى الأستاذ في بعض لغة أهل الشام . شبه في حسنه : بقرن الشمس ، وفي شجاعته : بليث الغاب ، وكان يتقدم الوزير .

(٢) يقول : اغمد سيفك الذي سللته من الغمد ، فقد قلت حد طرفه بكثرة استعمالك إياه ، وقد ترك سيفك الناس قطعاً . فتم أمر ، من شام السيف إذا أغمده . واتضاء : استله ، وذباب السيف : حده ، والجداذ : جمع جذاذة ، وهي القطعة المكسورة .

(٣) هبك : أي احسب نفسك . يقول : احسب أنك حطمت ابن يزداذ ومن معه ، أفطن الناس كلهم أعداء لك مثل ابن يزداذ فتعاملهم معاملة لك إياهم وتحاول أن تفنيهم جميعاً ، فابن يزداذ : مفعول حطمت . وهو لا ينصرف للعجمة ، ولكنه صرفه للضرورة .

(٤) يذكر ما فعله بهم يقول : إنك هزمتهم في الموضع الذي تقيتهم فيه فولوك أقفأهم حتى قامت مقام وجوههم في استقبالك ، وتركك أكبادهم قطعاً صفاراً . وقيل المعنى : طمست وجوههم بالضرب حتى صارت كالأقفاء ، فقوله غادرت : فعل وفاعل وأوجههم : مفعول أول ؛ وأقفأهم : مفعول ثان . وقوله وكبودهم : أي وغادرت كبودهم أفلاذاً ، والأفلاذ : جمع فلذ ، القطعة من الكبد .

(٥) يقول : كان هذا الفعل منك في معركة ضيقة وقف الموت عليهم فحبسهم في ضيقها حتى استولى على نفوسهم واستأصلهم جميعاً . فالحم : الموت ؛ والضيق : الضيق .

جَمَدَتْ نَفُوسُهُمْ فَلَمَّا جِئْتَهَا أَجْرَيْتَهَا وَسَقَيْتَهَا الْفُلُودَا^(١)
لَمَّا رَأَوْكَ رَأَوْا أَبَاكَ مُحَمَّدًا فِي جَوْشَنِ وَأَخَا أَبِيكَ مُعَاذًا^(٢)

ومنه قوله تعالى « معيشة ضنكا » أى ضيقة . والضمير فى ضنك : لموقف ؛
واستحوذ : استولى .

(١) الفولاذ : من الحديد معروف ، وهو مصاص الحديد ، للنقى من خبثه
دخيل . قال ابن جنى : يعنى قست قلوبهم وصبروا وشجعوا فاشتدوا كالنبيء الجامد ،
ثم قال المتنبي : فلما جئها أجريتها — أى أجريت نفوسهم : أى أسلت ذمائمهم على
سيوفك ، فكأنك جعلتها سقيا لها كما يسقى الفولاذ للماء . وقال الواحدى : فى « جمدت »
أقوال : أحدها أنها جمدت خوفا منك ، والخوف يجمد الدم ، وعليه يتأول
قول الشاعر :

فَلَوْ أَنَا عَلَى جُحْشٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدَّيَّانِ بِالْخَبَرِ الْيَقِينِ^(١)

يريد : أن دى يسيل لآتى شجاع ، ودمك لا يسيل لأنك جبان . والثانى أن
ذمائمهم كانت محقونة ، فلما جئها أبغيتها بسيوفك ، فجعل حقنها كالجمود ؛ إذ كان يذكر
بعده الإجراء ، ثم أورد كلام ابن جنى الذى أوردناه .

(٢) الجوشن : الدرع . يقول : لما رأوك رأوا أبلا وعمك لأنك تشبهها ، فلصحة
شبهك بها كأنهم رأوها : يعنى اجتمع فيك فضلها وشجاعتها وكرمها .

(١) قبل هذا البيت :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وَأَبَا رَبَّاحٍ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ مُنْذُ حِينِ

كَيْبُغْضِي وَأُبْغُضُهُ وَإِيضًا يَرَانِي دُونَهُ وَأَرَاهُ دُونِي

وهذه الأبيات نسبت إلى عدة شعراء ، وأصحها — كما قال ابن دريد — أنها لشاعر
اسمه على بن بدال ابن سليم ،

وانتكاشر : المباشطة من « الكشر » وهو : التبسم ، و « جحر » يضم الجيم
وسكون الحاء : الشق فى الأرض وأراد « بالخبر اليقين » ما اشتهر عند العرب من أنه
لا يمتزج دم التباغضين .

قال ابن الأعرابي : يريد لم يختلط دى ودمه ، من بغض له وبغضه لى بل يجرى
دى يمنة ودمه يسرة .

وقل بعضهم : معناه لو ذبحنا على جحر لعم من الشجاع منا من الجبان يجرى دى
وجهود دمه ، لأنهم يزعمون أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان يجمد .

اَعْجَلَتْ السُّنْهَمَ بِضَرْبِ رِقَابِهِمْ عَنْ قَوْلِهِمْ لَا فَارِسٌ إِلَّا ذَا^(١)
 غُرٌّ طَلَعَتْ عَلَيْهِ طَلْعَةً عَارِضٍ مَطَرٌ النَّسَايَا وَابِلًا وَرَذَاذَا^(٢)
 فَقَدْ أَسِيرًا قَدْ بَلَّتْ ثِيَابُهُ بِدِيمٍ وَبَلٍّ يَبُولُهُ الْأَفْخَاذَا^(٣)
 سَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَشْرِفِيَّةُ طُرُقَهُ فَانْصَاعَ لَا حَلْبًا وَلَا بَغْدَاذَا^(٤)
 طَلَبَ الْإِمَارَةَ فِي الثُّغُورِ وَنَشَوُهُ مَا يَبِينُ كَرْخَايَا إِلَى كَلَوَاذَا^(٥)
 فَكَأَنَّهُ حَسِبَ الْأَسِنَّةَ حُلُوهَ أَوْ ظَنَّهَُا الْبَرْنَى وَالْآزَاذَا^(٦)

(١) يقول : لما رأوك ورأوا شجاعتك أرادوا أن يقولوا لافارس إلا هذا ، لكنك بادرتهم بالقتل فلم يتمكنوا أن يقولوا هذا القول : أى لو أمهلهم سيفك لأقروا بأنك قريع دهرك وأوحده فروسية وشجاعة . « هذا » : وأألسن جمع لسان على تأنيته . يقال فى التأنيت : ثلاث ألسن : كذراع وأذرع ، ومن ذكره قال ثلاثة السنة : مثل حمار وأحمرة ، وهذا قياس ما جاء على فعال من المذكر والمؤنث .

(٢) غر : أى هو ابن زداد - غر ؛ والغر ؛ الغافل ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ والوايل : المطر الشديد . والزداد : الخفيف وهما حالان . يقول كان غافلا عنك حتى طلعت عليه كما يطلع السحاب ، ولما جعله كالسحاب جعل مطره الموت قتلا وجرحاً وأسرأ .

(٣) يريد : أنه تلطخ بالدم والبول جميعاً

(٤) المشرفية : السيوف المنسوبة الى مشارف اليمن ، وهى قرى هناك تعمل بها السيوف . وانصاع : اتقى وولى : وبغداد : لغة فى بغداد ، يقول : انهزم وتلدد فى أمره فلم يقصد الشام ولا العراق ، لأن سيوفك أخذت عليه هذه الطرق ؛ وحلبا وبغدادا : منصوبان بمضمر أى لا يقصد حلب ولا بغداد وصرفها ضرورة

(٥) كرخايا وكلواذا : فريتان بسواد العراق . يقول : حاول أن يكون أميراً على الثغور ، وهو إنما نشأ فى سواد العراق : أى أنه لا يصلح لما طلب ، لأنه سوادى خسيس .

(٦) السنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والبرنى والآزاد : نوعان من التمر كثيران بالعراق . يقول : إنه تعود أكل الرطب والتمر ، وليس هو من أهل الطمان

لَمْ يَلِقَ قَبْلَكَ مَنْ إِذَا اخْتَلَفَ الْقَنَبَا

جَمَلَ الطَّعْمَانِ مِنَ الطَّعْمَانِ مَلَاذًا^(١)

مَنْ لَا تَوَافِقُهُ الْحَيَاةُ وَطَيْبُهَا

حَتَّى يُوَافِقَ عَزْمُهُ الْإِنْفَاذًا^(٢)

مُتَعَوِّدًا لُبْسَ الدَّرُوعِ يَخَالُهَا

فِي الْبَرْدِ خَزَاً وَالْهَوَاجِرِ لَذًا^(٣)

والحرب ، فكأنه ظن الحرب تمرأ يأكله . « هذا ، والمشهور في الآزاد القصر ، لكنه مده لإقامة الوزن .

(١) القنا : الرماح . والمراد باختلافها أن يطغى هذا مرة وذاك أخرى والملاذ : الملجأ . يقول : لم يلق قبلك رجلاً إذا اختلف الرماح عند المطاعنة لم يهرب من الطعان إلا إلى الطعان ولم يلجأ إلا إلى النزال لإقدامه وحفاظه وعلمه أنه لا يحصى حقيقته إلا بالطعان ، كما قال : الحصين بن الحمام

تَأَخَّرْتُ أَسْتَنِقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ

لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدِّمًا

(٢) من : في موضع نصب ، بدل من من الأولى . - يقول : إنه لا يلتذ طعم الحياة إلا إذا أمضى عزمه فأنفذه لا يرجع فيه إلى الوراء : أى أن طيب عيشه في إنفاذ عزمه فإذا رجع عن شيء لم ينفذه لم يطب عيشه ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم « لا يجد طعم الحياة من لا يجد لشهوته دركا . ولا لأمره تصرفا » .

(٣) الحز : ثياب غليظة تعمل من الحرير ؛ والملاذ : ثوب رقيق من الكتان ، والهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت شدة الحر في نهار الصيف . يقول : لم يلق قبلك إنساناً متعوداً لبس الدروع يظنها في صبابة البرد خزاً يقيه البرد : وفي حمارة القيظ لاذا يلاذ به من الحر . فتعودك لبسها صارت عندك كلبس هذين النوعين من الثياب ، فقوله : متعوداً ، نعمت لمن - على أنها نكرة - « هذا » : وفي البيت عطف على معمولي عاملين مختلفين ، لأن الهواجر معطوفة على البرد ، ولاذا : عطف على خز ، وإنما جوزه كون عامل أولها جاراً . وأنشدوا على جوازه قول الشاعر .

أَعْجِبْ بِأَخْذِكُهُ ، وَأَعْجِبْ مِنْكُمْ
أَنْ لَا تَكُونِ لِمِثْلِهِ أَخْذَاً^(١)

أَكُلْ أَمْرِي تَحْتَسِبِينَ أَمْرًا ،
وَنَارٍ تَأْجَجُ بِاللَّيْلِ نَارًا
(١) يقول : ما أعجب أخذك إياه في قوته وعدده ! وأعجب من ذلك لو لم تأخذه
لأنك مظهر منصور على أعدائك لا يفلت منك أحد تقصده .

قافية الراء

وقال يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة ،
وذلك سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

سِرْ حَلَّ حَيْثُ تَحَلَّهُ الثَّوَارُ وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدَارُ^(١)
وَإِذَا أَرْتَحِلْتَ فَشَيِّعَتَكَ سَلَامَةٌ حَيْثُ اتَّجَهْتَ وَدِيمَةٌ مِذْرَارُ^(٢)
وَأَرَاكَ دَهْرُكَ مَا تَحَاوَلُ فِي الْعِلْدَى
حَتَّى كَانَ صُرُوفُهُ أَنْصَارُ^(٣)
وَصَدَرَتْ أَغْنَمٌ صَادِرٍ عَنْ مَوْرِدٍ مَرْفُوعَةٍ لِقَدُومِكَ الْأَبْصَارُ^(٤)

(١) الثوار : كالنور ، واحدته نواره . وهو الزهر . وقيل : الثوار والنور الأبيض
والزهر الاصفر ؛ وذلك أنه يبيض ثم يصفر ، والقدر قدر الله . يدعوله ، يقول : سر
واذهب لطيتك حل الثوار حيث تحل : أى سقى الله المواضع التى تحملها حتى ينبت فيها
الزهر ، فجعل نبات الزهر كناية عن السقى . ثم قال : ووافقك القدر على ما تريده من
المطالب فأعانك على بلوغه ؛ وقال الواحدى : ويجوز أن يريد أنك نور المكان الذى
تنزله فحيثما نزلت نزل الثوار والقضاء موافق لما تريد .

(٢) الديمة المطر يدوم ساعات دون برق ولا رعد ، وأقله ثلث النهار أو ثلث الليل
وأكثره ما بلغ من العدة ، قال ليلى :

أَتَتْ وَأَسْبَلَ وَكَفَّ مِنْ دِيمَةٍ يُرْوَى أُنْجَالٌ دَائِمًا تَسْجَامُهَا^(١)
والمدرار : الدائم الدار : أى السيلان . يقول : شيعتك السلامة - أى صحبتك
حيث كنت ، وكذلك المطر ينبت لك النبات فتخصب .

(٣) يقول : وأراك الدهر ما تريده فى أعدائك من الظفر بهم ، حتى كأن حوادثه
ونوبه أعوان لك على ما تريد .

(٤) الإصدار : الانتشاء عن الماء ؛ والورود ورود الماء . يقول : وردك الله علينا
وأنت أغنم آيب تطلع إليك أبصار من خلفهم مشربة شوقا إلى رؤيتك ، وهذه
الآيات كلها دعاء له .

(١) من معلقة ليلى . يقول : باتت البقرة بعد قحدها ولدها فى مطر دائم المظللان

أَنْتَ الَّذِي بِحَجِّ الزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنْتَ بِحَدِيثِهِ الْأَتَمَّارِ^(١)
وَإِذَا تَنَكَّرَ فَالْفَنَاءُ عِقَابُهُ وَإِذَا عَفَا فَعَطَاؤُهُ الْأَعْمَارِ^(٢)
وَلَهُ وَإِنْ وَهَبَ الْمُلُوكُ مَوَاهِبُ دَرُّ الْمُلُوكِ لِذُرِّهَا أَغْبَارُ^(٣)
لِلَّهِ قَلْبُكَ مَا يَخَافُ مِنَ الرَّدَى ، وَيَخَافُ أَنْ يَذْنُوكَ إِلَيْكَ الْعَارُ^(٤)
وَتَحِيدُ عَنِ طَبِيعِ الْخَلَائِقِ كُلِّهِ ، وَيَحِيدُ عَنْكَ الْجَحْفَلُ الْجَرَارُ^(٥)

(١) بجمع : فرح ؛ قال الجوهري : بجمع بالشئ وبجمع به أيضا — بالفتح — لغة ضعيفة فيه وأبجحه الأمر وبجحه أفرحه . وفلان يتبجح أى يفخر ويباهى بشئ ما، وقيل يتعظم وقد بجمع بجمع قال الراعى .

وما الفقرُ عن أرض المشيرة ساقنا إليك ولكنا بقرُّباك نَبَجَّحُ
والسمر : حديث الليل . يقول : يبتجع الزمان مفتخراً إذا ما ذكرت في جملة أهله وأبنائه وتحسن الأتعمار بالحديث عنك .

(٢) يقول : إذا غضب على قوم عاقبهم بالهلاك والاستئصال ، وإذا عفا عن العقوبة ترك القتل ، فكانت الأعمار عطاء منه ونوالا .

(٣) الدر : اللبن ؛ والأغبار : جمع غبر بضم الغين — بقية اللبن في الضرع . يقول : إن عطاياء تعد عطايا الملوك بالقياس إليها كاللبن القليل إلى اللبن الكثير .

(٤) لله قلبك : تعجب ؛ كقولهم : لله درك . يقول : إن قلبك الإلهى لا يتوقى الهلاك ، ولكنه يتوقى أن يدانك شئ فيه عار . وقوله : ما يخاف ويخاف يرويان ما يخاف وتخاب على الخطاب .

(٥) تحيد : تعدل ؛ والطبع : الدنس . والخلائق : الأخلاق . والجحفل الجيش الكثير . والجرار : الخيل السير الذى لا يقدر على السير إلا رويداً لكثرتة . وقال العسكري : قيل هو فعال من جر إذا جنى كأنه بكثرتة وشدة وطئه الأرض يجنى عليها بإثارة التراب ويحنى على السماء بارتفاع الغبار إليها ؛ وقيل سمى جراراً لأنه يجر ذيله فى التراب فيرى له أثر عظيم ، يقول : تنسكب كل شئ يدنس الأخلاق من اللؤم وما إليه ويتسكبك الجيش الكثير انقاء بأسك فأنت هارب من وجهه ، مهروب عنه من وجهه وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَأَجَبَنَ عَنْ تَعْرِيفِ عَرَضِ الْجَاهِلِ وَإِنْ كُنْتَ بِالْإِفْدَامِ أَطَقَنَ فِي الصَّفِّ

يَأْمَنُ يَمِزُّ عَلَى الْأَعْزَةِ جَارُهُ ، وَيَذِلُّ مِنْ سَطَوَاتِهِ الْجَبَّارُ^(١)
 كُنْ حَيْثُ شِئْتَ فَمَا تَحُولُ تَنُوقُ^(٢) دُونَ اللَّقَاءِ وَلَا يَشِطُّ مَزَارُ^(٣)
 وَيَدُونَ مَا أَنَا مِنْ وَدَادِكَ مُضِيرُ^(٤) يُنْضِي الْمَطْيُ وَيَقْرُبُ الْمُسْتَارُ^(٥)
 إِنَّ الَّذِي خَلَقْتُ خَلَقِي ضَائِعُ^(٦) مَالِي عَلَى قَلْقَى إِلَيْهِ خِيَارُ^(٧)
 وَإِذَا صُحِبْتَ فَكُلْ مَاءَ مَشْرَبُ^(٨) لَوْلَا الْعِيَالُ وَكُلُّ أَرْضٍ دَارُ^(٩)
 إِذْنُ الْأَمِيرِ بَأْنِ أَعُودَ إِلَيْهِمْ^(١٠) صِلَّةٌ تَسِيرُ بِشُكْرِهَا الْأَشْعَارُ^(١١)

(١) يقول : إن جاره الذليل يمز على الأعزّة ، فلا يقدرّون أن ينالوه بسوء ، والمتكبر العاقى العظيم يصير ذليلاً لديه إذا غضب .
 (٢) تحول : تعترض وتمنع ، وتنوقة الغلاة الترامية الأطراف ، ويشط : يبعد .
 يقول : كن حيث شئت من الأرض فما بمنعنا عن لقائك بعد المسافة ولا يبعد علينا مزارك ، وفي هذا نظر إلى قول القائل

قَرِيبٌ عَلَى الْمُشْتَاكِ أَوْ ذِي صَبَابَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْكَسْلَانِ فَهَوَّ بَعِيدُ
 (٣) المستار : مفقود من السير قال الراجز :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْعَزِيزِ الْفَقَارَ ثُمَّ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْمُسْتَارِ
 وقوله : وبدون ، أى بأقل ، وأنضى راحلته هزلها بطول السير . والمطي : جمع مطية ، وهى الركوبة ، أو اسم جمع لها . يقول : بأقل مما أضمره لك من المودة تهزل الدواب بالسير وتقرب المسافة ، فكيف ومودتى إليك كثيرة متوافرة ؟ يعنى أن الحب مها بعد عنه محبوبه فهو زائر ، إذ البعيد عنده قريب .

(٤) طى : بمعنى مع . وإليه متعلقة بقلقى على تضمينه معنى الشوق وزاع النفس .
 والخيّار : بمعنى الاختيار . يقول : إن من خلقت ورأى من أهلى ضائع بخروجى من عنده ، إذ قد آثرت صحبتك عليهم مع قلقي واشتياقي إليهم ولا اختيار لى فى إشارتك عليهم ، فأنا مضطر إلى ذلك لأنك قيدتنى بإحسانك
 (٥) يقول : إذا صحبتك طاب لى كل ماء وواقفتى كل أرض حق كأنها دارى لولا من خلقت من العيال :

(٦) يقول : إن إذنك لى بالعود إلى عيالى عطية منك أشكرها لك فى شعى .
 وهذا كقول المهلبى :

وخيره بين فرسين دهما وكُميت فقال :

اخْتَرْتُ دَهْمَاءَ تَيْنِ يَا مَطَرُ وَمَنْ لَهُ فِي الْفَضَائِلِ الْخَيْرُ^(١)
وَرُبَّمَا قَالَتِ الْعُيُونُ وَقَدْ يَصْدُقُ فِيهَا وَيَكْذِبُ النَّظَرُ^(٢)
أَنْتَ الَّذِي لَوْ يُعَابُ فِي مَلَأٍ مَا عِيبَ إِلَّا بِأَنَّهُ بَشَرُ^(٣)
وَأَنْ إِعْطَاهُ الصَّوَارِمُ وَالْخَيْلُ وَسُمُرُ الرِّمَاحِ وَالْعُكْرُ^(٤)

فَهَلْ لَكَ فِي الْإِذْنِ لِي رَاضِيًا فَإِنِّي أَرَى الْإِذْنَ غَنَاءً كَثِيرًا
(١) قوله دهما تين : أى الدهماء من هاتين . كما تقول : اخترت فاضل هذين :
أى الفاضل منها . فتين : بمعنى هاتين . وتا : بمعنى هذه . وتثنيها : تان . وقوله
يامطر : أى ياشييه المطر فى الجود . وقوله ومن له : أى ويامن له الاختيار فى الفضائل فيختار
منها ما يستحسن . فالخير : جمع خيرة . اسم من الاختيار والخير ؛ قال الواحدى : يروى
الخبر يريد الاشتهار فى الفضائل

(٢) يقال : قال رأيه يميل فيلولة : أخطأ وضعف . فقوله : قالت العيون ، أى أخطأت
يقول إني اخترت الدهماء ، ولكن ربما كنت غططا فى الاختيار . فإن النظر قد يصدق
فى العيون فتصيب ؛ وقد يكذب فتخطئ .

(٣) يقول : ليس فيك من عيب ، ولا تعاب إلا بكونك بشراً ، أى أنت أجل
قدرا من أن تكون بشراً آدمياً ، لأن ما فيك من الفضائل لا يكون فى بشر . والمأ
جماعة القوم

(٤) إعطاءه : مصدر ، وضع موضع العطاء الذى هو الاسم ؛ والمكر جمع عكرة
القطيع الضخم من الإبل . يقول : إنهم لو عابوك ما عابوك إلا بسخاكتك وإسرافك فى هذا
السخاء . يعنى أنهم لا يعيبونك إلا بما لا عيب فيه ، وهذا من قبيل قول النابغة .

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بينَ قلوبٍ من قِراعِ الكتابِ
وقول عبد الله بن قيس الرقيات

ما تَقَمُّوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْمَلُونَ إِنْ غَضِبُوا
وقال ابن جني : يريد قدرك أن يكون عطاؤك فوق هذا فإذا فعلت هذا فكانت معيب
به لقلته بالإضافة إلى قدرك ... قال ابن فورجة : إن كان التفسير على ما ذكره ابن جني
فهو هو ، وكيف تهجى الكبار بأكثر من أن يقال : ما وهبت يسير فى جنب
(١٣ - التنبى ٢)

فَأَصْبَحُ أَعْدَائِي كَأَنَّهُمْ لَهُ يَقُولُونَ كُلَّمَا كَثُرُوا^(١)
أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ سِهَامِهِمْ ، وَخَطِيءٌ مَنْ رَمِيَهُ الْقَمَرُ^(٢)
وجاءه رسول سيف الدولة برقعة فيها بيتان للعباس^(٣) بن الأحنف يسأله
إجازتهما فقال :

رِضَاكَ رِضَايَ الَّذِي أَوْزُرُ ، وَمِشْرُكَ مِشْرِي فَمَا أَظْهَرُ^(٤)
كَفَتَكَ الْمَرْوَةَ مَا تَتَّقِي ، وَأَمَّنَكَ الْوُدَّ مَا تَحْذَرُ^(٥)

قدرك فيجب أن تهب أكثر من ذلك ... ولكن العكبري قال: الذي ذكره ابن جني صحيح؛ وقد يمدح الإنسان الكثير العطايا بأن قدره يقتضي أكثر مما يعطى؛ كقوله أيضاً :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا

(١) يقول : إنه يفضح أعداءه بظهور فضله عليهم وتغلفهم عنه وتوافر فضائله ؛
فإذا قيسوا به وضيئوا إليه قلوا دقة وحقارة وإن كانوا كثيرين عدداً وكية ؛ وهذا معنى
دقيق بديع ؛ وقوله : كأنهم له ، أى لاجله .

(٢) يدعو له أن يحفظه الله من سهام الأعداء ؛ ويحتمل أن يكون خبراً . وقوله
وخطيء من رميه القمر ؛ فالرمي : الرمي . يقول : إنهم لا يسيئونك برميهم كما لا يصيب
القمر من رماه . لأنه أرفع محلاً من أن يلغسه سهم راميهِ وكذلك أنت
(٣) والبيتان هما :

أَمِنِّي تَخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَخَطِيءٌ فِي سِتْرِهِ أَوْفَرُ
وَلَوْلَمْ أَصْنُهُ لَبَقِيََا عَلَيْكَ نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ

« قوله : لبقيا عليك : أى لإرعاء عليك ورحمة : أى لولم أصن سرك إرعاء
عليك من إفشائه لصنته إرعاء على تقى أنا وخشية أن تفسد حالى معك إذا اطلع
الناس على ما بيننا

(٣) أوتر : اختار ؛ والمائد محذوف : أى أوتره ؛ وقوله : فما أظهر ، استفهام
إنكارى . يقول : إذا رضيت أمراً فهو رضى الذى اختاره وسرنا واحد ، فأى شيء
أظهر منه ؛ أى لا أظهر سرك لأنه سرى
(٥) يقول : اطمئن من جبهتي لأنى ذو مروءة ، وذو المروءة لا يكون مذبذباً .

وَمِيرُكُمْ فِي الْحِشَاءِ مَيِّتٌ إِذَا أُنْشِرَ السِّرُّ لَا يُنْشَرُ^(١)
 كَأَنِّي عَصْتُ مُقْلَتِي فِيكُمْ وَكَانَتِ الْقَلْبَ مَا تُبْصِرُ^(٢)
 وَإِنْشَاءَ مَا أَنَا مُسْتَوْدَعٌ مِنَ الْفَذْرِ وَالْخُرِّ لَا يَفْدِرُ^(٣)
 إِذَا مَا قَدَرْتُ عَلَى نَظْقَةٍ فَإِنِّي عَلَى تَرْكِهَا أَقْدَرُ^(٤)
 أَصْرَفُ نَفْسِي كَمَا أَشْتَهِي وَأُمْلِكُهَا وَالْقَنَا أَحْمَرُ^(٥)
 دَوَالِيكَ يَا سَنِيْفَهَا دَوْلَةً وَأَمْرُكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَأْمُرُ^(٦)

للأسرار ، وأنا - مع ذلك - محب لك ، والمحبة لا يسوء إلى حبيبه بإفشاء سره .
 والروءة كرم الأخلاق وعلو الهمة ؛ وكفاه الشيء : أغناه عن معاناته ، وتبقى : تحذر
 و«ما» في ماتق وما تحذر - اسم موصول بمعنى الذي ، وهي فيها مفعول ثانٍ للفعل قبلها .
 (١) أنشر : من النشور ، وهي بعث الأموات يوم البعث يقول : إن سركم في
 قلبي كاليت الذي لا يخفى بعد موته ، أي أنه - لشدة إخفائه السر - أماته إماته حتى لا بعث
 له بعدها : وهذا من قول الآخر :

إِنِّي لَأَسْتَرُ مَا ذُو اللَّبِّ سَاتِرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأُمَيَّتُ السِّرَّ كَيْمَانًا
 وكقول قيس بن ذريح .

وإلى من القوم الذين صد دورهم إِذَا اسْتَوْدِعُوا الْأَسْرَارَ فَهِيَ قُبُورُهَا
 (٢) يقول : كأن عيني لما نظرت إليكم أخفت عن قلبي ما رأت ، فلم يعلم بذلك .
 فكيف أظهره والعين قد كاتمت قلبي الذي أبصرت فلم يصل إليه ؟ ويقال : كاتمته سرى
 أي كتمته عنه . وما تبصر مفعول ثانٍ : لكاتمت ولك أن تقول : إن بين قوله عصت
 وكاتمت تنازعا ، على أن الفعلين واقعان على القلب ، أو تقول : إن المراد بالأول مجرد
 إثبات العصيان للمقلة ، فلا يكون له مفعول :

(٣) الحر : الكريم

(٤) يقول : إنه على الكتمان أقدر منه على الإفشاء لأن الإفشاء فعل ، والكتمان ترك
 الإفشاء ومن قدر على الفعل كان على ترك الفعل أقدر . والنطقة : المرة من النطق .

(٥) القنا : الرماح . يقول : إنه يملك نفسه قادر على ضبطها وتصريفها على مراده
 لا تغلبه نفسه على شيء لا يريده . وأنه يملك نفسه ويصبرها على مكاده الحرب إذا
 احمرت الرماح بالدماء ، أفلا يملكها في كتمان السر ؟

(٦) يقول : دالت لك الدولة وتناولتها دولة بعد دولة ، وأمرك : أي أمرك

أَتَانِي رَسُولُكَ مُسْتَعْجِلًا فَلَبَّاهُ شِعْرِي الَّذِي أَذْخَرُ
وَلَوْ كَانَ يَوْمٌ وَعَنَى قَاتِمًا لَلَبَّاهُ سَيِّفِي وَالْأَشْقَرُ^(١)
فَلَا غَفَلَ الدَّهْرُ عَنْ أَهْلِهِ فَإِنَّكَ عَنِهَا يَنْظُرُ^(٢)

وقال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك^(*) :

أَرَى ذَلِكَ الْقُرْبَ صَارَ أَزْوَارًا وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ اخْتِصَارًا^(٣)
تَرَكَتْنِي الْيَوْمَ فِي خَجَلَةٍ أَمُوتُ مِرَارًا وَأُحْيَا مِرَارًا^(٤)

فهو مطاع فأمره ؛ مفعول مطلق لم ، ودواليك : نصب على المصدر ؛ أي دالت لك الدولة دولا بعد دول ، وهو من المصادر التي استعملت مشاة . والغرض التوكيد ، ومثله لبيك وسعديك وخانيك . ونصب دولة : على التمييز
(١) اسم كان : مضر ، تقديره : ولو كان دعاؤك إياي ، أو لو كان مانحن فيه من الحال . والقاتم : المظلم الذي علاه الغبار . يقول : ولو كان دعاؤك إياي يوم حرب لأجبتك مسرعاً بسيفي وبفرسي الأشقر : وقال بعض الشراح : اسم كان ضمير ، الرسول ، وخبرها ؛ محذوف دل عليه ما قبله : أي ولو كان أتاني . وهذا البيت والذي قبله من قول البحتري :

جَعَلْتُ لِسَانِي دُونَهُمْ وَلَوَانَهُمْ أَهَابُوا بِسَيْفِي كَانَ أَسْرَعَ مِنْ طَرَفِي
(٢) يقول : أنت عين الدهر التي ينظر بها إلى الناس ، فلا غفل الدهر عن الناس بهلاكك ، أي بقيت ، فإن ما يصيب الناس من إحسان وإساءة إنما هو منك ؛ فلو أنت مت لبطل ذلك كله ، فيصير الدهر كأنه غافل عن الناس .
* كان قد تأخر مدحه عن سيف الدولة ، فعاتبه مدة ثم لقيه في الميدان فرأى منه انحرافاً عنه وأنكر تقصيره فيما كان عوده من الإقبال إليه والسلام عليه ، فعاد إلى يته وأرسل إليه هذه الأبيات .

(٣) الأزوار : العدول والانحراف . يعتب عليه يقول : صار طويل السلام مختصراً ، وصار ذلك القرب منك عدولاً عنى وانحرافاً .
(٤) يقول : أنا في خجلة من الناس لإعراضك عني كما ساورتني ذكرها صرت كاليت ، وإذا زالت حيت ، فأموت في اليوم مرات كثيرة وأحيامرات كثيرة .

أَسَارُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيَا وَأَزْجُرُ فِي الْخَلِيلِ مُهْرِي مِرَارًا^(١)
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا أَعْتَذَرْتُ إِلَيْكَ أَرَادَ اعْتِدَارِي أَعْتِدَارًا^(٢)
كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي اخْتِيَارًا^(٣)
وَلَكِنْ حَمَى الشُّعْرَ إِلَّا الْقَلِيلَ هَمَّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا^(٤)
وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ، وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا^(٥)

(١) السرار : مصدر ساره إذا كلمه سرآ . يقول : وأنظر إليك لحائي منك مسارقة ومخالسة ، وإذا زجرت مهري في الميدان زجرته بصوت خفي ، ولم أجسر أن أرفع صوتي حياء منك

(٢) يقول : إنما يعتذر الهرم ، فإذا اعتذرت إليك من غير ذنب اجترته كان هذا الاعتذار شيئاً منكراً يحمل أن اعتذر منه أيضاً لأنه في غير محله . وقال بعض الشعراء : الاعتذار من غير ذنب كذب ، والكذب مما يعتذر منه

(٣) يقول : جحدت ما غمرتني به من مكارمك الباهرة التي ليس في مكنة أحد أن يمجدها إن كان تركي مدحك وتأخير شعري اختياراً مني ، ولكن حمى الشعر إلخ . وقوله كفرت إلخ : قسم من أروع ما يقسم به العرب ، ولا يزال مثله جارياً بيننا الآن : كما يقول الرجل : أكون رجلاً ندلاً إذا حصل مني كيت وكيت .

(٤) الغرار النوم القليل قال الفرزدق في مراثية الحجاج :

إِنَّ الرِّزِيَّةَ مِنْ تَقْيِيفِ هَالِكٍ تَرَكَ الْعُيُونَ فَتَوُ مَهْنً غِرَارُ

أي قليل ، وقيل الغرار القليل من النوم وغيره . ومنه الحديث : لا غرار في صلاة ولا تسليم : أي لا نقصان . أي لا ينقص من ركوعها ولا من سجودها ولا أركانها ومنه غرار الناقة ، وهو النقصان في لبنها . وقليل : بدل بعض من الشعر : أي إلا القليل منه ، وكذا مثله في الشطر الثاني يقول : منعي الهم قول الشعر إلا القليل منه وهذا الهم أخذني منه المقيم للمعد حتى منعي النوم ، فكيف لا يمنعي قول الشعر ؟

(٥) يعتذر بما ألم به من الهم الذي أستم جسمه وأوقد في قلبه ناراً بلهيه وكان سبب انقراطه عن الشعر . يقول : ليس ذلك من فعلي واختياري إذ لا يرضى أحد أن يستمر جسمه بالهم ويذيب قلبه بحرارته . وهذا من قول العطوى :

أَرَانِي أَنَا وَفَرْتُ مِنْ الهمِّ نَصِيْبِي

فَلَا تُزِمَنِي ذُنُوبَ الزَّمَانِ إِلَى أَسَاءِ وَإِيَّايَ ضَارًا^(١)
وَعِنْدِي لَكَ الشُّرْدُ السَّائِرَا تُ لَا يَخْتَصِمُنَ مِنَ الْأَرْضِ دَارًا^(٢)
قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي وَثَبْنَ الْجِبَالَ وَخُضْنَ الْبَحَارَا^(٣)
وَلِي فِيكَ مَا لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ وَمَا لَمْ يَسِرْ قَمَرٌ حَيْثُ سَارَا
فَلَوْ خُلِقَ النَّاسُ مِنْ دَهْرِهِمْ لَكَانُوا الظَّلَامَ وَكُنْتَ النَّهَارَا^(٤)

أَنَا أَعْطَيْتُ الْعُمُونَ النَّجْلَ أَصْلَابَ الْقُلُوبِ
لَوْ إِلَى الْأَمْرِ مَا أَقْذَيْتُ عَيْنًا بِرَقِيبِ

(١) ضارّه وضره بمعنى . يقول : وإنما الذنب ذنب الزمان ، فهو الذي أورثني هذا
المهم فبسبب ذلك انقطعاعى عن الشعر ، فلا تؤاخذنى بذنوب الزمان . على أن إساءته إنما
ألت بي أنا ، وأنا المساء بها فلا تقع تبعها على ، كذلك .

(٢) الشرد : جمع شرود ، معنى انقصائد التى تسير فى البلاد ولا تستقر بموضع .
يقول : وعندى لك القصائد التى أقولها فى مدحك فتسير فى الآفاق ويتناقلها
الناس لحسنها .

(٣) هذا البيت كالتفسير للبيت السابق ، والقول : اللسان . يقول : إذا خرجت
هذه القوافى من لسانى سارت فى البلاد وقطعت الجبال والبحار إلى ماوراءها : أى
أن الجبال والبحار لا تعمل دون سيرها . قال على بن الجهم يصف شعره .

فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَقَالَ أَبُو تَمَامَ :

فَإِنْ أَنَا لَمْ يَحْمَدْكَ عَنِّي صَاغِرًا عَدُوُّكَ فَاعْلَمْ أَنَّنِي غَيْرُ حَامِدٍ^(١)
بَسِيحًا تَنَسَّاقُ مِنْ غَيْرِ سَائِقٍ ، وَتَتَقَادُ فِي الْآفَاقِ مِنْ غَيْرِ قَائِدٍ

(٤) قال ابن جني : لو أمكنه أن يقول : لكاوا الظلال وكنت الضياء أو الليل
وكنت النهار لكان أحسن فى التطبيق ؛ ذل العكبرى : قلت يمكنه : لكانوا الليالى
والوزن مستقيم .

(١) يقول : إن شعره يدعو عدوك أن يثنى عليك إذا أنشده على غير رغبة منه
لاستحسانه إياه .

أَشَدَّهُمْ فِي النَّدَى هِزَّةً وَأَبْنَدُهُمْ فِي عَدْوٍ مُغَارًا^(١)
 سَمَّا بِكَ هَمِّي فَوْقَ الْهَمُومِ فَلَسْتُ أَعْدُ يَسَارًا يَسَارًا^(٢)
 وَمَنْ كُنْتُ بَحْرًا لَهُ يَا عَنِي لَمْ يَقْبَلِ الدَّرَّ إِلَّا كِبَارًا^(٣)

وقال يهنته بعيد الفطر :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعَصْرُ مُنِيرَةٌ بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ^(٤)
 تُرَى الْأَهْلَةَ وَجْهًا عَمَّ نَائِلُهُ فَمَا يُخْصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ^(٥)

(١) الندى : الجود ؛ والهزة - بالكسر - الأريحية ؛ والمغار : مصدر ميمي بمعنى الغارة . يقول : هو أشد الناس أريحية ساعة الجود والعطاء ، وأبعد الناس مدى غارة في العدو .

(٢) الهم : الهمة ، واليسار الغنى : يقول : علت همي بخدمتك والالتواء إليك وبما يسرت لي من المطالب حتى صارت فوق همم الناس وحتى صرت لا أقنع بما يكون غنى ويسارا حتى أطلب ما فوقه .

(٣) كباراً : حال من الدر ؛ والبيت تأكيد لما قبله . يقول : إذا أدركت بك الغنى لم أقتصر عليه لأن من كان مرجوه مثلك لم يرض بالقليل

(٤) الفطر : بالكسر الاسم من الإفطار ، والعصر - بضمين - لغة في العصر وهو الدهر ويأتي أيضاً جمعاً له ، وقد تقدم ذلك . وحق : حرف عطف - كالواو - يقول : إن نور هذه الأشياء إنما هو بك لأنك جمال للدهر وجمال للدين ولكل شيء ، يعني أن نورك عم كل شيء - ق الشمس والقمر اللذين يستضاء بهما . هذا : وقال العكبري - مناسبة حق - : وقد اختلف أصحابنا في حتى فقالوا هي حرف تنصب الفعل المستقبل من غير تقدير أن ، وحرف جر يجر الاسم كما تقول : سوفته حتى الصيف . وقال البصريون : هي في كلا الموضعين حرف جر ، والفعل منصوب بعدها بتقدير أن ، والاسم مجرور بتقدير إلى .

(٥) يقول : لم يخص البشر بطائرك فقد أنلت الإهله بوجهك كمال النور فقد عم إذن نائلك البشر والشمس والقمر .

مَا الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفٌ يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرٌ^(١)
 مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلَا أَتَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمُرٌ^(٢)
 فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرُّارِهَا شَرَفٌ وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشِّيبُ وَالْكِبَرُ^(٣)

(١) الأنف : التي لم يرعها أحد وهو أحسن لها ؛ والشمايل : الخلائق يقول : الدهر بكونك فيه روضة تمت محاسنها وتوافر جمالها وأخلاقك زهر هذه الروضة ، فهي أحسن ما فيها .

(٢) ما : حرف نفي ؛ والضمير في أيامه وأعوامه الدهر . يقول : ليس ينتهي كرمك في أيام الدهر ، أي أنه يزداد كرمًا على الأيام ، ثم دعا له فقال : فلا انتهى عمرك في أعوامه ، أي لا أنقص لك أجلا .

(٣) الضمير في تكرارها ومنها للأعوام ، ويروى منه : أي من التكرار . يقول : إن حظك من السنين وتكرارها استزادة الشرف بما تجدد من المناقب . بينما حظ غيرك ممن لا مناقب لهم الشيب والهزم .

وقال وقد جلس سيف الدولة لرسول ملك الروم ولم يصل إليه المتنبي لزحام الناس ، فعانبه سيف الدولة على تأخره وانقطاعه .
فقال المتنبي ارتجالا ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة :

ظَلُمَ لَدَا الْيَوْمِ وَصَفَ قَبْلَ رُؤْيَيْهِ
لَا يَصْدُقُ الْوَصْفُ حَتَّى يَصْدُقَ النَّظَرُ ^(١)
زَا حَمَ الْجَيْشُ حَتَّى لَمْ يَجِدْ سَبَبًا
إِلَى بِسَاطِكِ لِي تَمَعُ وَلَا بَصَرُ ^(٢)
فَكُنْتُ أَشْهَدُ مُخْتَصِرٍ وَأَعْيَبُهُ
مُعَايِنًا وَعِيَانِي كُلُّهُ خَبَرُ ^(٣)
الْيَوْمَ يَرْفَعُ مَلِكُ الرُّومِ نَاضِرُهُ
لَأَنَّ عَفْوَكَ عَنْهُ عِنْدَهُ ظَفَرُ ^(٤)
وَمِنْ أَجَبْتِ بَشِيءَ عَنْ رَسَائِلِهِ
فَمَا يَزَالُ عَلَى الْأَمْلَاكِ يَفْتَخِرُ ^(٥)
قَدْ اسْتَرَا حَتَّى إِلَى وَقْتِ رِقَابِهِمْ
مِنْ السُّيُوفِ وَبَاقِي الْقَوْمِ يَنْتَظِرُ ^(٦)

(١) يقول : إن وصفي هذا اليوم دون أن أشاهد ماجرى فيه ظلم له ، لأن صدق الوصف موقوف على صدق النظر ، فإذا لم أكن صادق النظر بالعيان والمشاهدة لم أكن صادق الوصف .

(٢) و (٣) سمع — في البيت الأول — فاعل يجد ، وسببا : أى وصلة أتوصل بها : أى سبيلا . ثم قال في البيت الثاني : كنت في هذا اليوم أحضر الناس المختصين بك لأنني كنت شاهداً بشخصي ، وكنت أعينهم عيانا لأنني غبت معاينة إذ لم أر ما يجري فكان عياني ما يخبرني به الذين عاينوا . فأشهد أفضل تفضيل من الشهود ، وهو الحضور ومعاينة : بدل من أشهد . والجملة بعده : حال .

(٤) ناظره : عينه . وعنده : بمعنى في اعتقاده . يقول : يرفع اليوم ملك الروم عينه اعتزازاً برضاك ، وقد كان مطرقاً استخذاء وخوفاً . لأن عفوك في اعتقاده ظفر وقلج .

(٥) يقول : إذا أجبتة افتخر على الملوك .

(٦) يقول . لما هادنت الروم استراحت رقابهم من فعل السيوف بها إلى انتهاء مدة الصلح ، أما سائر الذين كنت تغروهم فإنهم يترقبون ورود سيوفك عليهم ، لأنهم يعرفون أنك لا تغتر عن الغزو . أو يترقبون الصلح منك كما صالحت ملك الروم .

وَقَدْ تُبَدِّلُهَا بِالْقَوْمِ غَيْرَهُمْ لِكَيْ تَجِمْ رُءُوسُ الْقَوْمِ وَالْقَصَرُ^(١)
تَشْبِيهُ جُودِكَ بِالْأَمْطَارِ غَادِيَةً جُودٌ لِكَذِّكَ ثَانٍ نَالَهُ الْمَطَرُ^(٢)
تَكْسَبُ الشَّمْسُ مِنْكَ الثَّوَرَ طَالِعَةً
كَمَا تَكْسَبُ مِنْهَا نُورَهُ الْقَمَرُ^(٣)

وقال لما أوقع سيف الدولة بيني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين
عاثوا في عمله وخالفوا عليه ، ويذكر أجفالم من بين يديه وظفره بهم ، وله
خبر طويل :

طَوَالَ قَنَا تَطَاعِنَهَا قِصَارُ وَقَطَرُكَ فِي نَدَى وَوَعَى بِحَارُ^(١)

(١) الأظهر أن الضمير في تبدلها : للسيف - كما قال ابن جني - لا للروم - كما
ذهب إليه الواحدى - وغيرهم ؛ نصب على أنه مفعول ثان لتبدلها والباء في بالقوم :
للعوض . وتجم : تكثر . من جم البئر : إذا توافر ماؤه بعد الترح ، والقصر ، جمع
قصرة أصل الضيق . يقول : وقد تخارب غير الروم وتدع الروم حتى يكثروا وتغيبهم
ليتأسلوا ثم تعود إليهم قتلهم .

(٢) تشبيه : مبتدأ ، خبره : جود : وغادية : حال ، وثان : صفة لجود : يقول :
إذا شبهنا جودك بالأمطار التي تأتي بالعدوات - وهي أغزرها - كان ذلك جوداً ثانياً .
لكفك على المطر ، لأن المطر يفخر بأن يشبه به جودك .

(٣) تكسب - بحذف إحدى التاءين - أى تكسب . يقول : إن الشمس تستفيد
منك النور كما يستفيد منها اقمر النور ، فإذا طلعت كسبت ، وإذا غابت عادت إلى
حالتها قبل أن تراك .

(٤) طوال : مبتدأ ، خبره : قصار ، وضمير تطاعنها : للمخاطب ؛ والجملة : صفة
لقنا ؛ والندى : الجود . والوعى : الحرب . يقول : إن الرماح الطوال التي تطاعنها
قصار في حرك ، لأنها لا تتألك ولا تبلغك ، ولأنها لا غناء لها معك ، وكأنها قصار
كما قال :

يَجِيدُ الرَّمْحُ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدٌ وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طَوْلُ

وَفِيكَ إِذَا جَنَى الْجَانِي أَنَاةً تَنْظُنُّ كَرَامَةً وَهِيَ اخْتِقَارٌ^(١)
وَأَخَذُ لِلْحَوَاصِرِ وَالْبَوَادِي بِضَبْطٍ لَمْ تُعَوِّدْهُ زِيَارٌ^(٢)
تَشْمَمُهُ شَمِيمَ الْوَحْشِ إِنْسًا وَتُنْكِرُهُ قَبَعُوهَا نِفَارٌ^(٣)
وَمَا انْقَادَتْ لِفَيْرِكَ فِي زَمَانٍ فَتَذَرِي مَا الْمَقَادَةَ وَالصَّغَارُ^(٤)

ثم قال : والقليل منك في الجود والحرب كثير حتى تكون القطرة بمنزلة البحر .
(١) الأناة : الرفق والحلم . يقول : فيك رفق وحلم عن الجاني لا تسرع في عقوبته .
يظن ذاك لكرامة له عليك وهو اختقار له عن المكافأة ، لا كرامة .
(٢) أخذ : عطف على أناة ؛ والحواصر : جمع حاضرة ، وهي حلاف البادية ؛
والمراد : أهل الحواضر والبوادي ، وبضبط : متعلقة بأخذ ، وقوله : زيار
يريد العريب : يقول : أنت تأخذ أهل الحضرة والبدو بسياسة وضبط لم
تعودهما العرب .

(٣) يقول : إن العرب تدنو من طاعتك ، فإذا أحست ما عندك من السياسة
أنكرت ذلك إنكار الوحش إذا شممت ريح الإنس فتنتفر ، فقوله : تشممه - بحذف
إحدى التائين - أى تشممه . وإنسا : مفعول شميم ؛ والتشمم : الشم في أناة وتؤدة .
ويقال : شممت النىء أشمه وشممته أشمه شماً وشمماً ، قل الصمة بن عبد الله القشيري :
تمتع من شميم عرار نجيد فما بعد المشية من عرار^(١)
قال أبو حنيفة الدينوري : تشمم النىء واشتمه أدناه من ألقه ليجذب رائحته ،
وتشممت النىء شممتة في مهلة .

(٤) المقادة : الانقياد ، والصغار : الذل . يقول : إن العرب لا تعرف هذا لأنهم لم
لم ينقادوا لأحد .

(١) العرار : بهار البر ، وهو نبت طيب الريح ، وقيل هو النرجس البري
والبيت من أبيات هي :

أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تُحْدِي بِنَا بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ فَالِصَّمَارِ
تَمَتَّعْ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَةِ مِنْ عَرَارِ
أَلَا يَا حَبْذَا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَزَيَّاً رَوْضِهِ بَعْدَ الْقَطَارِ
شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَمْ نَ وَلَا سِرَارِ

فَقَرَّحْتَ الْمَقَاوِدَ ذِفْرَيْنِهَا وَصَعَرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِذَارُ^(١)
وَأَطْمَعَ عَامِرَ الْبُقْيَا عَلَيْهَا وَنَزَقَهَا اخْتِمَالَكَ وَالْوَقَارُ^(٢)
وَعَايَرَهَا التَّرَاسُلُ وَالتَّشَاكِي وَأَعْجَبَهَا الْقَلْبُ وَالْمَعَارُ^(٣)
جِيَادُ تَعَجُّزِ الْأَرْسَانِ عَنْهَا وَفَرَسَانُ تَضِيقُ بِهَا الدِّيَارُ^(٤)
وَكَانَتْ بِالتَّوَقُّفِ عَنْ رَدَّهَا نُفُوسًا فِي رَدَّهَا تُسْتَشَارُ^(٥)

(١) المقاوود : جمع مقود، وهو الرسن، والدفرى : العظم الشاخص خلف الأذن، مأخوذة من ذفر العرق لأنها أول ما تفرق من البعير، ويجمع على ذفارى وذفارى : كصحارى وصحارى. والصعر : الليل في الخد : وفلان صعر خده : أماله من الكبر ، والعذار من اللجام ماسال على خدى الفرس . يقول : لما وضعت على العرب المقاوود لتقودهم إلى طاعتك ، وبالفتى رياستهم تفرحت ذفاريهم من جذب المقاوود لرؤوسهم : أى جعلتهم كالقروحى فى الذلل والأتقاد، وأمال خدودهم هذا العذار : أى أمالمهم إلى طاعتك . والقرح : كل ما جرح الجلد من غصن السلاح ونحوه . وروى الواحدى : فأفدحت - بالفاء - من أفدحه الدين : أتمله، يعنى : لما وضعت على العرب المقاوود أثقلت مقاوذك رؤوسهم ، لأنك ضبطتهم ومنعهم عن التلصص والتجارة فصاروا كاللدابة تقاد بحكمة شديدة وشكيمة ثقيلة .

(٢) منع عامر من الصرّف لأنه أراد القبيلة ، ولذلك أنها : والبقيا : اسم من الإبقاء : والبرق : الخفة والطيش . يقول : وأطعمهم فى العصيان إهلاؤك عليهم وعدوك عن الإيقاع بهم ، وحملهم على الطيش أناتك وحلك عنهم وتوقفك عن إهلاكم .

(٣) تلبب الرجل : تحزم وتشمر ؛ والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره ، والمعار : الإغارة . يقول : وغيرها عن الطاعة أنها كانت تراسل فيما بينها وتتواطأ على عصيانك وتتشاكى لما يجدونه من صعوبة الاستخذاء إليك ؛ واعتزت بتحزبها وتأهبها ولبسها الأسلحة وكثرة غاراتها على النواحي والأطراف .

(٤) الجياد : الخيل ، وهى مبتدأ محذوف الخبر : أى لم جياد . يقول : إن لم خيلا معجز الأرسان عن ضبطها لصعوبتها وشدة رؤوسها ، أو تقول : لا تسمعها الأرسان لكثرتها ، أى أن لم خيلا لكثرتها لا توجد لها أرسان ، ثم قال : وفيهم فرسان تضيق بهم الديار لكثرتهم .

(٥) الضمير فى كانت : للفرسان ؛ والردى : الهلاك . يقول : وكنت تتوقف عن إهلاكم والإيقاع بهم جرياً على عادتك فى الصفع والعفو ؛ فكانوا - بهذا التوقف - كمن

وَكُنْتَ السَّيْفَ قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْفِرَارُ^(١)
فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفَرَتَاهُ وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الْحَيَارُ^(٢)
وَكَانَ بَنُو كِلَابٍ حَيْثُ كَعْبُ نَخَافُوا أَنْ يَصِيرُوا حَيْثُ صَارُوا^(٣)
تَلَقَّوْا عِزًّا مَوْلَاهُمْ يَذُلُّ وَسَارَ إِلَى بَنِي كَعْبٍ وَسَارُوا^(٤)
فَأَقْبَلَهَا الرُّوجَ مُسَوِّمَاتٍ ضَوَامِرَ لَا هِزَالَ وَلَا شِيَارَ^(٥)

يستشار في إهلاكه ، وكانوا هم بتوهمهم واسترسالهم في غيهم - كأنهم يشيرون عليك بأن تقتلهم . وقد أقام الردى مقام الإرداء .

(١) و (٢) قَائِمُهُ : مقبضه . وغراره : حده . والبديّة والحيار : ماءان بأرضهم كانوا ينزلون عليهما . وشفرتا السيف : حداه . يقول : كنت سيفاً لهم مقبضه في أيديهم وحده في أعدائهم فلما عصوك صارت شفرته حيث هم : أي في البديّة . أي سرت اليهم في منازلهم ، وجاوزت الحيار حتى صار خلفك ، وأهلكتهم بسيفك الذي كنت تدود به عنهم . وفي معناه قول جعفر بن علبه :

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفٍ فِي يَوْمٍ صَحْرَاءَ سَحْبَلٍ
وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ

(صحراء سحبل : موضع)

(٣) يقول : كانوا في التمرد والعصيان حيث كان بنو كعب ، فلما رأوا ما نزل بهؤلاء من القتل والهوان خافوا أن ينزل بهم ما نزل بكعب من القتل والسبي إن بقوا على عصيانهم . وكعب : مبتدأ محذوف الخبر . أي حيث كعب كاثنون لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل .

(٤) يقول : استقبلوا سيف الدولة بالخضوع والذلة والالتقياد وساروا معه وراء كعب قال العكبري : وذلك أن مشيخة بني كلاب تلقته وقد سار عن الحيار لطلب البديّة فطرحوا نفوسهم عليه لما رأوا حد سيفه وخشوا أن يهربوا فيهلكهم وتقتلهم القفار والعطش كما هلك كعب

(٥) الضمير في أقبلها : للخليل ، وإن لم يجر لها ذكر وأقبلها المروج : جعل وجوها إليها . والمروج : المواضع ترعى فيها الدواب ، وأراد مروج سلمية - موضع بين الفرات وحلب كانوا فيه ثم انهزموا - ومسومات : معلومات بسمة تعرف بها ؛ وضوامر : قليلة

تَشِيرُ عَلَى سَلْمِيَّةَ مُسَبِّطًا تَنَاسَرُ نَحْتَهُ لَوْلَا الشَّعَارُ^(١)
عَجَاجًا تَعْتَرُ الْعِقَبَانُ فِيهِ كَانَ الْجَوَّ وَغَثُ أَوْ خَبَارُ^(٢)

الملح . وهزال : جمع هزيل . والشار : السمان الحسنه الناظر ، ولا هزال ولا شار في الأعراب ، مثل قول اقبال :

* لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ *^(١)

يقول : وجه خيله إلى المروج وأجاءها إليها ضامرة ، وليس ضمها عن هزال ؛ إنما هو عن تضمير وقيام عليها ، ولا هي أيضاً سميحة حسنة النظر لأنها قد شعث وأغربت بمواصلة السير .

(١) سلمية : موضع ؛ والمسبطر : الغبار الممتد ؛ والشعار : العلامة يتعارفون بها . يقول : تشر خيلك على هذا المكان - سلمية - غباراً منتشر لا تعرف الخيل تحته بعضها بعضاً - أى أصحاب الخيل - أى الجيش لولا العلامة التي تتعارف بها . فقله : تناكر - يحذف إحدى التامين - أى الخيل .

(٢) عجاجاً : بدل من مسبطراً والعجاج : الغبار . والوعث من الأرض : السهل (١) وصدر هذا البيت .

* هَذَا لَعَمْرُكَ كَمَا الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ *

والبيت لمنى بن أحمـر السكاني ، شاعر جاهلي قديم ، وقيل لغيره ، وهو من أبيات جميلة يقول فيها . -

أَخِيَّ أَخْبَرَنِي وَلَسْتَ بِصَادِقٍ وَأَخْوَكُ نَاصِحُكَ الَّذِي لَا يَكْذِبُ
أَمِنْ الْقِصِيَّةِ أَنْ إِذَا اسْتَفْتَيْتُمُ وَأَمِنْتُمْ فَأَنَا الْغَرِيبُ الْأَجْنَبُ
وَإِذَا السَّكَائِبُ بِالشَّدَائِدِ مَرَّةً حَجَرَتْكُمْ فَأَنَا الْحَبِيبُ الْأَقْرَبُ
وَإِذَا تُحَاسِ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ وَإِذَا تُحَاسِ الْحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ
وَلِجُنْدَبٍ سَهْلُ الْبِلَادِ وَعَذْبُهَا وَلِي الْمَلَّاحُ وَحَبْتَنُ الْمَجْدِبُ
عَجَبٌ لِنَاصِحَةٍ وَإِقَامَتِي فَيَكُمُ عَلَى تِلْكَ الْقِصِيَّةِ عَجَبُ
هَذَا لَعَمْرُكَ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ لَا أُمُّ لِي إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

الحيس لبن وأقط وسمن وتعر يصنع منه طعام ، والحبب الطمئن من الأرض وقد رويت هذه الأبيات على اختلاف في بعض كلماتها .

وَوَلَّ الطَّمَنُ فِي الْخَلِيلَيْنِ خَلْسًا كَانََ لَمَوْتَ بَيْنَهُمَا اخْتِصَارٌ^(١)
 فَلَزَمَهُمُ الطَّرَادُ إِلَى قِتَالِهِ أَحَدٌ سِلَاحِهِمْ فِيهِ الْفِرَارُ^(٢)
 مَضَوْا مُتَسَابِقِي الْأَعْضَاءِ فِيهِ لِأَرْوُسِهِمْ بِأَرْجُلِهِمْ عِارٌ^(٣)
 يَشْلُهُمْ بِكُلِّ أَقْبَى نَهْدٍ لِفَارِسِهِ عَلَى الْخَيْلِ الْخِيَارُ^(٤)
 وَكُلُّ أَمَمٍ يَفْعِلُ جَانِبَاهُ عَلَى الْكُفَّيْنِ مِنْهُ دَمٌ مُمَارٌ^(٥)

الكثير الرمل ، وهو ماتقرب فيه القوائم لسهولة . والخبار : الأرض اللينة الرخوة .
 يصف التبار بالكثافة ؛ يقول : إن العقبان التي تسير مع الجيش تتمر في ذلك التبار
 وكثافته ، فكان الجو أرض لينة تنفوس فيها أرجل الطير فتتمر لكثرة ما ارتفع من
 غبار الحيل وكثافته .

(١) خلّسا : أي اختلاسا وهو سرعة اختلاف الشيء خفية . يقول : ظلوا يتخالسون
 الطمن فيسرع فيهم للموت حتى كأنه اختصر الطريق إليهم .
 (٢) لزمه إلى الشيء : ألجأه إليه وأدناه منه . يقول : أوجهم طرادك لإيادهم إلى قتال
 شديد لم يكن لهم سلاح يدفعه عنهم غير الفرار .

(٣) يقول : لإسراعهم في الحرب والمزمنة خوفا من القتل كانت أعضاؤهم كأنما
 يسابق بعضها بعضا : الأرجل تسابق الرءوس ، والرءوس تسابق الأرجل وكأن الرءوس
 تتمر بالأرجل حين تريد الرءوس الإسراع فتمنعها الأرجل وقال ابن جني : إذا ندر
 رأس أحدهم فتخرج يثر برجله أو برجل غيره ، وهذا غير للمهود أن يثر الرأس
 بالرجل ؛ قال الواحدي : أحسن من قوله أن يقال . بأرجلهم عثار لأجل حفظ رءوسهم
 فهم ينهزمون فيسرعون ويثرون .

(٤) يشلهم : يطردم . والأقرب من الخيل : الضامر البطن . والنهد : للشرف
 المرتفع . يقول : يطردم بكل فرس ضامر نهدي لفارسه الخيار ، إن شاء لحق ، وإن شاء
 سبق : أي إن شاء جارته سائر الخيل وإن شاء سبقها فلحقته .

(٥) أصم : أي رمح صلب ليس بأجوف لين ؛ ويمسل : يضطرب . وممار : مسال مهرق
 يقول : ويطردم بكل رمح صلب يضطرب جانبيه الأعلى والأسفل . قال الواحدي :
 وأراد بالكمين اللذين في عامله . وهما يخيان في اللطمون ، ولذلك وصفهما بأن عليهما
 دما ، ويجوز أن يريد الكعب الذي في السنان والذي فيه الزج ؛ فإن الطمن يقع بهما
 قال ابن جني : يجوز أن يريد بالثنية الجمع ، لأن أول الجمع ثنية .

يُغَادِرُ كُلُّ مُلْتَمِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتُهُ لِسَعْلَبِهِ وَجَارُ^(١)
 إِذَا صَرَفَ النَّهَارُ الضُّوءَ عَنْهُمْ دَجَا لَيْلَانَ لَيْلٍ وَالْفُبَارُ^(٢)
 وَإِنْ جُنَحُ الظَّلَامِ انْجَابَ عَنْهُمْ أَضَاءُ الْمَشْرِقِ وَالنَّهَارُ^(٣)
 يُبْكِي خَلْفَهُمْ دُثْرُ بُكَاهُ رُغْلَا أَوْ ثَوَاجٍ أَوْ يُعَارُ^(٤)
 غَطَا بِالْعَثِيرِ الْبَيْدَاءَ حَتَّى تَحْبِرَتِ الْمَتَالِي وَالْعِشَارُ^(٥)

(١) يغادر : يترك ، والضمير للرمح . واللبة : أعلى الصدر . والثعلب - هنا -
 مداخل من الرمح في السنان ، والوجار : بيت الوحش من الضبع والثعلب ونحوهما .
 يقول : إن هذا الرمح يترك من يلتفت إليه من الأعداء ونحوه مطعون يدخل ثعلبه في
 نحره . ولقد أبدع في هذه التورية والاستعارة بذكر الوجار والثعلب .

(٢) و (٣) دجا : أظلم ؛ وجنح الليل : جانبه ؛ وانجباب : انكشف ؛ والمشرقية :
 السيف ، نسبة إلى مشارف الشام . يقول : إذا ذهب عنهم ضوء النهار كان مع الليل
 ليل آخر من العجاج - الغبار - وإذا انقضى الليل أضواء مع النهار نهار آخر من بريق
 السيف : أى أنهم في ليلين مظلّين من الليل والغبار ، وفي نهارين من ضوء السيف
 والنهار « هذا » وإليك خلافاً نحويّاً بين البصريين والكوفيين آثاره العلامة العسكري
 النحوي السكوفي مناسبة إعراب جنح الظلام ، قال : ارتفع جنح الظلام ، عندنا بالابتداء ،
 وهو قول الأخفش ، وعندنا أيضاً أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل .
 وقال البصريون : يرتفع بتقدير فعل ؛ وحجتنا أن إن الشريطة في الأصل في باب الجراء .
 فلقوتها جاز تقديم المرفوع معها وقلنا إنه يرتفع بالعائد لأن المسكن المرفوع معها في الفعل
 هو الاسم الأول ، فينبغي أن يكون مرفوعاً كقولهم : جاءني الظريف زيد ، وإن لم يكن
 مرفوعاً لم يفتقر إلى تقدير فعل ، وحجة البصريين أنه يجوز أن يفصل بين حرف الجزم
 وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ولا يجوز أن يكون هنا عاملاً ، لأنه لا يجوز
 تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ؛ ولو لم يقدر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعاً بلا رافع ، وذلك
 لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل .

(٤) الدر : المال الكثير . والرغاء : صوت الإبل ، والثوَج : صوت النمل .
 واليعار : صوت المز . يقول : إنهم ساقوا مواشيهم هاربين ، فكانت تصيح خلفهم
 لما ألم بها من النصب والإعياء في السير : فالإبل ترغو ، والمزى تيعر ، والنمل تئج ؛
 وكأنها بهذا الصياح تبكي .

(٥) غطاء وغطاء : بمعنى ؛ والعثير : الغبار ؛ والمتالي : جمع متلة ، وهي الناقة

وَمَرُّوا بِالْجَبَاةِ يَضُمُّ فِيهَا
وَجَاءُوا الصَّحَصَحَانَ بِلا سُرُوجٍ
وَأَرْهَقَتِ الْعَذَلَى مُرْدَفَاتٍ
وَقَدْ نَزَحَ الْفَوِيزُ فَلَا غُورُ
وَلَيْسَ بِغَيْرِ تَدْمُرٍ مُسْتَفَاتٌ ،
كَلَّا الْجَيْشَيْنِ مِنْ تَقَعٍ إِزَارُ^(١)
وَقَدْ سَبَقَتْ الْعِمَامَةُ وَالْجَمَارُ^(٢)
وَأَوْطَلَّتِ الْأَصْبِيَّةُ الصَّفَارُ^(٣)
وَنَهْيَا وَالْيَبْيَضَةُ وَالْجَفَارُ^(٤)
وَتَدْمُرُ كَانِيَهُمَا لَمْ دَمَارُ^(٥)

يتلوها ولدها ؛ والعشار : التي قربت ولادتها - جمع عسراء . والتالى والعشار : أعز
أموال العرب ، ولذلك خصهما بالذكر . يقول : غطى البيداء بالغبار حتى تحيرت النعم -
على حدة أبصارها - فى ذلك الغبار ؛ ورواية ابن جنى بالغثر : بدل بالغير ، والغثر ؛
ماء هناك ، وتحيرت - بالحاء ، بصيغة المجهول - فيكون المعنى : غطى سرحهم البيداء
عند هذا الماء لكثرت حتى تغير منه سيف الدولة التالى والعشار لما وصل إلى ذلك الماء .
(١) الجبابة : اسم ماء . والقنع : الغبار . يقول : إنهم مروا بهذا الماء فى
هربهم وقد أدركهم جيش سيف الدولة هناك ، فاشتمل الغبار على الجيشين حتى صاروا
منه فى إزار لشدة انتشاره .

(٢) الصحصحنان : يريد بالصحصحنان هنا : صحراء بعينها هناك ، وفى غير هذا
الوضع كل أرض واسعة فضاء . يقول : جاءوا هذه الصحراء وقد انخلت سروج خيلهم
فسقطت وسقطت عمامهم رجالهم وخمر نسائهم لإسراعهم وإشاحتهم فى الحرب .

(٣) أرهقه : كلفه ما فيه مشقة . ومردفات : أى مركبات خلف الرجال ، وأوطلت
أى جعلت الخيل تطؤها . لحذف الخيل للعلم بها ، والأصبيية : تصغير أصبية . جمع
صبي ، والعدارى : جمع عذراء . وهى البكر التى لم يفرعها خل . يقول : إن العدارى
قد كلفن بأردافهن خلف الفرسان مشقة لا يطقنها ، ولم يثبت الصبيان الصفار على
الخيل فى الركض فسقطوا ووطأتهم الخيل . وعبارة ابن جنى : أوطأوا الخيل الصبية
لأنهم لم يقدرُوا أن يحملوهم لشدة هربهم وأردفوا العدارى طلبا للنجاة وحفظا لهن .

(٤) هذه كلها مياه معروفة . يقول : لما بلغوها نزحوها لما لحقهم من العطش
والجهد حتى لم يبق منها شيء ، ولذلك قال : فلا غور .

(٥) يقول : لم يكن لهم مفرع يفرعون إليه إلا تدمر ، ظنوا أنهم إذا بلغوها
حصنتهم من سيف الدولة ، ولكن خاب ظنهم ، إذ لم يمتنعوا أن غشيم جيشها فصارت
دماراً - هلاكاً - لهم كاسمها . وتدمر هى المدينة المعروفة .

أَرَادُوا أَنْ يُدِيرُوا الرَّأْيَ فِيهَا فَصَبَّحَهُمْ بِرَأْيٍ لَا يُدَارُ^(١)
وَجَيْشٌ كُلُّهَا حَارُوا بِأَرْضٍ وَأَقْبَلَ أَقْبَلَتْ فِيهِ تَحَارُ^(٢)
يَحْفُ أَغْرَ لَا قَوْدٌ عَلَيْهِ وَلَا دِيَّةٌ تُسَاقُ وَلَا أُعْتَذَرُ^(٣)
تُرِيْقُ سَيُوفُهُ مُهْجَ الْأَعَادِي وَكُلُّ دِمِّ أَرَاقَتِهِ جُبَارُ^(٤)
فَكَانُوا الْأُسْدَ لَيْسَ لَهَا مَصَالٌ عَلَى طَيْرٍ وَلَيْسَ لَهَا مَطَارُ^(٥)

- (١) يقول : أرادوا أن يقلبوا وجوه الرأى في تدمير ، فأتاهم سيف الدولة صباحا وعصف بهم ، فكان عصفه بهم - إهلاكه إياهم - رأيا لا سبيل إلى تقليبه .
- (٢) جيش : عطف على رأى ؛ يقول : وصبحهم بعيش كلما أشرف هؤلاء المحاربون على أرض واسعة حاروا فيها لسعتها وشدة ذعرهم ، ثم لما أقبل هذا الجيش أقبلت تلك الأرض تتحير فيه لكثرتة وتوافره ، فكانه أوسع منها .
- (٣) يقول : يحيط هذا الجيش بأغر - سيد شريف - يعنى سيف الدولة - إذا قتل عدوه لم يكن عليه قود ولا دية ولم يعتذر من فعله ، لأنه ملك قاهر ذو عز ومنعة لا يرجع فيها فعل . والقود : قتل النفس بالنفس ، والدية : ثمن الدم .
- (٤) ترقيق : تسفك ؛ والمهجة : دم القلب والروح والجبار : الهدر الذى لا قود فيه ولا دية يقال : ذهب دمه جبارا إذا لم يطلب ؛ والبيت في معنى البيت السابق .
- (٥) مصال : مصدر : أى صولة وقوة . وكذلك المطار يعنى الطيران . قال العروضي وواقفه الواحدى : هذا من صفة خيل سيف الدولة ، يقول . هم - فرسان سيف الدولة أسود ولا يشينهم عدم إذا كهم هؤلاء القوم لأن الأسد - على قوته - لا يمكنه صيد الطائر لأنه لا مطار للأسد ؛ يعنى أن هؤلاء القوم أسرعوا في الحرب إسرار الطير في الطيران ؛ وهذا كالعذر لهم في التخلف عن لحوقهم لسرعة هربهم ؛ وقال آخرون : هذا من صفة القوم شبههم بالأسود في قوة البأس ، وشبه جيش سيف الدولة بالطير في سرعة الجرى وراءهم . يقول : الأسود مع شدة بطشها لا تقدر أن تسطو على الطير لأنه يفوتها ولا تقدر على الطيران أمامه فتفوته . يريد أنهم لم يقدروا على مقاومة الجيش لأنهم لا ينالونه بسلحهم ولا وسعهم الحرب من أمامه ، لأنه أسرع جريا منهم فهو يدرهم أينما ذهبوا . وعبارة ابن جني ؛ كانوا أسداً قبل ذلك ، فلما غضبت عليهم وقصدتهم لم تكن لهم صولة لضعفهم ولم يقدروا على الطيران فأهلكتهم .

إِذَا فَاتُوا الرِّمَاحَ تَنَاولَتْهُمْ
بَارِمَاحٍ مِنَ الْعَطَشِ الْفِفَارُ^(١)
يَرَوْنَ الْمَوْتَ قَدَامًا وَخَلْفًا
فَيَخْتَارُونَ وَالْمَوْتَ اضْطِرَارُ^(٢)
إِذَا سَلَكَ السَّمَاءَ غَيْرُ هَادٍ
فَقَتْلَاهُمْ لِعَيْنَيْهِ هِنَارُ^(٣)
وَلَوْ لَمْ تَبْقَ لَمْ تَعِشِ الْبَقَايَا
وَفِي الْمَاضِي لِمَنْ بَقِيَ اعْتِبَارُ^(٤)
إِذَا لَمْ يُزْعَ سَيِّدُهُمْ عَلَيْهِمْ
فَمَنْ يُرْعَى عَلَيْهِمْ أَوْ يَغَارُ^(٥)
تَفَرَّقُهُمْ وَإِيَّاهُ السَّجَايَا
وَيَجْمَعُهُمْ وَإِيَّاهُ النَّجَارُ^(٦)
وَمَالَ بَهَا عَلَى أَرْكِ وَعُرْضٍ
وَأَهْلُ الرِّقَتَيْنِ لَهَا مَزَارُ^(٧)

(١) يقول : إذا فاتوا رماح سيف الدولة ونجوا منها بالهرب هلكوا في القفر من العطش ، فقام العطش في قتلهم مقام الرماح
(٢) يقول : يرون الموت قدامهم من العطش وخلفهم من الرماح فيختارون أحد الموتين ، وليس ذلك اختياراً في الحقيقة لأن الموت يضطر إليه ولا يختاره أحد ، فهم — لا محالة — هالكون .

(٣) النار : العلم ينصب في الطريق . يقول : إذا ضل أحد بصحراء السبوة قامت له جثث قتلاهم بها مقام النار فاهتدى وعرف الطريق بهم كما يهتدى بالنار ؛ وهذا من قول ثابت قطنة :

هَذَاكَ اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا مُصَلِّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ

(٤) يقول : لولا إبقاؤك على من بقي منهم وصفحك عنهم لهلكوا جميعاً لكنك أردت تأديبهم ، لا إفناءهم ، فكان في من هلك منهم عبرة لمن بقي ، فلا يعضى لك أمراً أبداً .

(٥) أرعى فلان على فلان — مثل أبقى عليه — رحمه وكف عنه يقول : أنت سيدهم . فإذا لم تبق عليهم فمن يرحمهم أو يغار عليهم ؟ إذ المولى إذا لم يرحم عبده لا يرحمه غيره .

(٦) السجايَا : الطباع والأخلاق ، والنجار : الأصل . يقول : إن أصله وأصلهم واحد لا اشتراكهم في نزار ، إلا أن الطباع والأخلاق مختلفات ، وأين هم منه ؟ .

(٧) أرك وعرض : بلدان قرب تدمر ، والرقتان : بلدان على الفرات ، وهما الرقة والرافقة ، قيل لهما الرقتان تغليبا ، والضمير في بها ولها للخليل . يقول : مال سيف الدولة بخيله على البلدين المذكورين على تباعدهما عن قصده وهو متوجه إلى الرقتين :

وَأَجْفَلَ بِالْفَرَاتِ بَنُو نُمَيْرٍ
فَهُمْ حَزَقٌ عَلَى الْخَابُورِ صَرْعَى
وَلَمْ يَسْرَحْ لَهُمْ فِي الصُّبْحِ مَالٌ
حِذَارَ فَتَى إِذَا لَمْ يَرْضَ عَنْهُمْ
تَبَيْتُ وَفُودُهُمْ تَسْرَى إِلَيْهِ
فَخَلَفَهُمْ بَرْدٌ أَلْبِيضَ عَنْهُمْ
وَزَارَهُمُ الَّذِي زَارُوا خَوَارَ^(١)
بِهِمْ مِنْ شَرْبِ غَيْرِهِمْ خُمَارَ^(٢)
وَلَمْ تَوْقَدْ لَهُمْ بِاللَّيْلِ نَارَ^(٣)
فَلَيْسَ بِنَافِعٍ لَهُمُ الْحِذَارُ^(٤)
وَجَذَوَاهُ الَّتِي سَأَلُوا اغْتِفَارَ^(٥)
وَهَامَهُمْ لَهُ مَعَهُمْ مُعَارَ^(٦)

يعنى بذلك طلبه لبنى كعب فى كل مكان . وقال ابن جنى : أى مال بخيله على هاتين البقيتين وأهل الرقتين قريب لو أراد زيارتهم لما بعد ذلك عليها .

(١) الزئير : صوت الأسد . ، والحوار : للبقر : يقول : إنهم انهزموا بالفرات فصار زئيرهم خوارا : أى كانوا قبل ذلك يظنون أنهم أسودا ، فلما أتاهم أجفلوا من وجهه إجمال الثيران .

(٢) الحزق : الجماعات - جمع حزقة ، والخابور : نهر على الفرات ، والختار بقية السكر . يقول : ظنوا أنهم المقصودون فهربوا خوفا من سيف الدولة حين توجه إلى ناحيتهم يريد الرقتين ، فصاروا جماعات صرعى - مطروحين - حوالى هذا النهر ، وقوله بهم الخ : أى أنهم لم يذنبوا ، وإنما أذنب غيرهم فأدركهم تب الهرب ، فأراد بالشراب المعصية . وبلختار : ما لحقهم من الخوف .

(٣) المراد بالمال : الواشى . يقول : لحوفهم لم يسرحوا نعمهم نهارا ولم يوقدوا نيرانهم ليلا .

(٤) يقول : هم : إنما فعلوا ذلك خشية أن يعرف مكانهم فيقصدهم ، وهو حذر فى غير موضعه ، لأنه إذا كان غير راض عنهم ، فإن حذرهم هذا لا يجديهم شيئا ، فهو يدركهم أينما كانوا ، ولو فى أقصى البلاد أو فى الجواء ، فقوله : حذار ، مفعول له ، عامله فى البيت السابق ، وهو مصدر حاذر .

(٥) الجدوى : العطية . يقول : إنهم يقدون إليه يسألونه العفو لاغير . والوفود : جمع وفد ، وهو جمع وفد ، والوافد : القادم على أمير أو غيره ليطلب منه شيئا .

(٦) خلفهم : استبقاهم ، والبيض : السيوف ، والهام : الرءوس يذكر ويؤنث - وهو مبتدأ ، خبره : له ، والجملة : حال ، ومعار : خبر آخر ، ومعهم : حال من نائب معار . يقول : فاستبقاهم بأن رد سيوفه عنهم وترك رءوسهم معهم عارية منه متى شاء أخذها لأنها فى ملكه . وهذا كلام بديع .

وَمَنْ يَمْنُ أَذَمَ لَهُمْ عَلَيْهِ كَرِيمُ الْعِرْقِ وَالْحَسْبُ النَّضَارُ^(١)
فَأَصْبَحَ بِالْعَوَاصِمِ مُسْتَقَرًّا وَلَيْسَ لِبَحْرِ نَائِلِهِ قَرَارُ^(٢)
وَأَضْحَى ذِكْرُهُ فِي كُلِّ أَرْضٍ تُدَارُ عَلَى الْفِنَاءِ بِهِ الْعُقَارُ^(٣)
تَحْرَهُ لَهُ الْقِبَائِلُ سَاجِدَاتٍ وَتَحْمَدُهُ الْأَسِنَّةُ وَالشُّفَارُ^(٤)
كَانَ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فِي أَبْصَارِنَا مِنْهُ أَنْكَسَارُ^(٥)
فَمَنْ طَلَبَ الطَّعَانَ فَذَا عَلِيٌّ وَخَيْلُ اللَّهِ وَالْأَسْلُ الْخِرَارُ^(٦)

(١) أذم لهم : صيرهم في ذمامه ؛ والضمير في عليه : لسيف الدولة . والعرق : الأصل ؛ والحسب : ما تعدده من مآثر الآباء . والنضار : الخالص من كل شيء . يقول عقد النعمة لهم وصيرهم في ذمامه كرم أصله وصحة حسبه .

(٢) العواصم : بلاد حاضرتها إنطاكية ؛ والنائل : العطاء يقول : فاستقر بهذا للسكان بعد عودته من هذه الغزوة لأنه مقره ، أما جوده فلا يستقر . كالبحر ليس له قرار .

(٣) العقار : الخمر . يقول : إن ذكره قد ملأ الآفاق حتى إن الشرب - جماعة شارب الخمر - يغنون بما مدح به من الأشعار ويشربون على ذكره . هذا وميت الخمر عقاراً ؛ قيل لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن : أى لزمته ، وأصله من عقر الحوض لأن الواردة تلازمه ، وقيل : لأنها تعقر شاربها ، وقيل : لشبهها بالعقار ، وهو نبت أحمر .

(٤) الأسنة هنا : الرماح ، والشفار : جمع شفرة . حد السيف يقول : إنه لمنعه تخضع له القبائل كل الخضوع . وتثنى عليه الرماح والسيوف . لحسن استعماله إياها لأنه أذل بها تلك القبائل .

(٥) يقول : لإجلنا إياه وإعظمانا له لا نستطيع أن نملأ أعيننا من النظر إليه ، كما لا نستطيع أن ننظر طويلاً إلى شعاع الشمس ، كما قال الفرزدق :

يُفْضِي حَيَاءً وَيُفْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ

وهو من قول الآخر :

إِنَّ الْمَيُوزَ إِذَا رَأَتْكَ حِدَادُهَا رَجَعَتْ مِنَ الْإِجْلَالِ غَيْرَ حِدَادٍ

(٦) الأسل : الرماح ، والحرار : العطاش ، جمع حران ، والأنثى حرى . والحران

يَرَاهُ النَّاسُ حَيْثُ رَأَتْهُ كَعْبٌ بِأَرْضٍ مَا لِنَاكِزِهَا أُسْتَنَارُ^(١)
يُوسِّطُهُ الْمَفَاوِزَ كُلَّ يَوْمٍ طَلَابُ الطَّالِبِينَ لَا الْإِنْتِظَارُ^(٢)
تَصَاهِلُ خَيْلُهُ مُتَجَاوِبَاتٍ وَمَا مِنْ عَادَةٍ الْخَيْلِ السَّرَارُ^(٣)

العطشان . يقول . من أراد المطاعنة بالرماح ، فهذا على - اسم سيف الدولة - قد تفرع من قنأ هؤلاء ومعه خيل الله - جيشه - والرماح العطاش لانها لا ترتوى من الدم .

(١) و (٢) كعب . اسم القبيلة . وبأرض : صلة يراه ، والمفاوز : الصحارى . يقول : إنه دائماً يسرى إلى أعدائه ويحجوب إليهم الصحارى التي لا يستتره فيها شيء . فهو يتوسط الصحارى كل يوم ليطلب الأبطال الذين يطلبون القتال لا ينتظر لحاقهم به : يعنى أنه دائماً يقصد أعداءه حيث هم ولا ينتظر أن يأتيوه فيقاتلهم ، أى أنه دائماً طالب لا هارب . والعادة أن الخائف ينزأ المفاوز خوفاً من يلحقه ، ولكن المدوح ينزلها طلباً لمن يهرب منه إليها . « هذا » ، وقوله لا الانتظار : فألف لا : ساقطة لفظاً ، وإن تحركت اللام بعدها ، لأن حركة اللام عارضة دفعا لالتقاء الساكنين بينها وبين النون . وقوله طلاب الطالبين : تروى طلاب الطاعنين : أى طاعنى الأعداء .

(٣) تصاهل - بحذف إحدى التاءين - أى تتصاهل . والسرار : مصدر ساره ، كلمه سرا . وقد اضطربت كلمة الشراح في تأويل هذا البيت فذكر ابن جنى معنيين ، والخطيب خالفه إلى معنى آخر ، وأوجهها ما ذهب إليه ابن فورجة قال ما محصله : إن خيله تتصاهل من غير سرار ، وليس السرار من عادة الخيل ، يعنى أن سيف الدولة ليس من شأنه أن يباغت العدو ولا يحاول أن يخفى قصده إلى أعدائه لقوته وتمكنه واقتداره ، ومن ثم لا يكف خيله عن الصهيل ، لأن من يباغت عدوه يضرب خيله إذا صهلت ليقطع صهيلها ، كما قال القائل :

إِذَا الْخَيْلُ صَاحَتْ صِيْحَ النَّسُورِ جَزَرْنَا شِرَاسِيْفَهَا بِالْجِذْمِ^(١)

وأحد معني ابن جنى : إن خيله يسر بعضها إلى بعض شكية مما يحسبها به من ملاقة الحروب وقطع المفاوز . والمعنى الآخر : إن خيله مؤدبة فتصهل سرا هيئه له ، وقال الخطيب : إنما أراد أن خيله إذا سارت أخفى صهيلها صوت الحديد ، فكأنما هي في سرار وأخذ من قول عنترة :

(١) الشرسوف : طرف الضلع المشرف على البطن ، والجذم ، جمع جذمة السروط .

بَنُو كَعْبٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يَدْمِهَا إِلَّا السُّوَارُ^(١)
 بِهَا مِنْ قَطْعِهِ أَلَمٌ وَنَقْصٌ وَفِيهَا مِنْ جَلَالَتِهِ أَفْتِخَارُ^(٢)
 لَمْ يَحَقَّ بِشِرْكَكَ فِي نَزَارٍ وَأَذْنِي الشَّرْكِ فِي أَصْلِ جَوَارِ^(٣)
 لَعَلَّ بَيْنَهُمْ لَبْنِيكَ جُنْدٌ فَأَوَّلُ قُرُوحِ الْخَيْلِ الْمَهَارُ^(٤)

وازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتمحّم

(البان : الصدر)

(١) و (٢) اليد : الجارحة المعروفة ، والسوار : الحلية من الذهب أو الفضة ، كالطوق تلبسها المرأة في رندها أو معصمها ، وبنوكعب : مبتدأ ، ويد : خبر وما أثرت : أى وتأثيرك . يقول : إن بنى كعب وما أثرت فيهم من الذل والقتل مثلهم مثل اليد التى يدميها السوار ، فإن اليد تتحلّى بالسوار وتفتخر وإن كان يؤلمها ، كذلك بنوكعب يفتخرون بك وأنت زين لهم ، وإن أثرت فيهم .

(٣) الشرك : مصدر شركة ، جوزن علمه ، ونزار : جد العرب . يقول : إنهم يشاركونك فى الانتساب إلى نزار ، وأقل ما يقتضيه حق الشركة فى أصل جوار : أى نعام ورعاية حرمة .

(٤) يستعظمه عليهم ويحمله على العفو عنهم . يقول : لعل أبنائهم يكونون جندا لأبنائك وعبيدا إذا سلموا ، فإن المهار من الخيل تصوير قرحا : أى أن الصغار تصوير كبارا كما قيل :

وإنما القرم من الأفيل وسحق النخل من الفسيل

« القرم : الفحل من الإبل ، والأفيل : الفصيل ، والفسيل : ما يقطع من صفار النخل ليغرس ، والقرح : جمع قرح ، وهو الذى استكمل سنه بأن بلغ خمس سنين والمهارة جمع مهر ، الصغير من الخيل : هذا : ولناسبة لعل : قال العكبرى : ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لام لعل الأولى أصلية ، وقال البصريون : بل هى زائدة ، وحببتنا أنها حرف ، والحروف فى الحروف كلها أصلية ، لأن حروف الزيادة : عشرة - التى يجمعها « هويت السنان » - إنما تختص بالأسماء والأفعال ، فأما الأفعال فتزاد فيها . وكذلك الأسماء ، وأما الحرف فلا يدخله شئ من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، فدل على أن اللام أصلية ويدل على أنها أصلية أن اللام لا تكاد تزداد فيها يجوز فيه الزيادة إلا شاذا ، فإذا كانت اللام لا تزداد إلا على طريق الشذوذ فكيف يحكم بزيادتها فيها لا تجوز فيه الزيادة ؟ وحجة

وَأَنْتَ أَبرُّ مَنْ لَوْ عَقَّ أَفْعَى وَأَعْنَى مَنْ عُقِبَتْهُ الْبَوَارُ (١)
وَأَقْدَرُ مَنْ يَهَيِّجُهُ انْتِصَارُ وَأَحْلَمُ مَنْ يُحْلِمُهُ اقْتِدَارُ (٢)
وَمَا فِي سَطْوَةِ الْأَرْبَابِ عَيْبٌ وَلَا فِي ذِلَّةِ الْعُبدَانِ عَارُ (٣)

البصريين أنهم قالوا : وجدناها مستعملة في كلامهم وأشعارهم بغير لام ، قال
نافع الطائي :

ولستُ بِلَوَّامٍ عَلَى الأمرِ بعدما يَفُوتُ ولكن عَلَّ أَنْ أَتَقْدَمَا

(١) أبر : أفعل تفضيل ، من بره إذا أحسن إليه ووصله ، وعق مجهول عق ، يقال
عق والده إذا عصاه ، وهو ضد «بره» وأعنى : تفضيل بن العفو ، والبوار : الهلاك .
يقول : أنت أبر الدين إذا عصوا أفنوا ، وإذا كنت أبرهم لم تن ، وأنت أعنى الدين
يعاقبون بالهلاك ، وإذا كنت أعفاهم لم تهلك : أى أنت أبر الملوك القادرين وأعفاهم ،
وإذا لا تنفى من عصوك ولا تؤذيهم .

(٢) يقول : وأنت أقدر من يحركه حب الانتصار : أى إذا حركك الانتقام من
عدوك قدرت على ما تطلب ، فأنت أقدر المتصرين ، وأنت أحلم من يدعو إلى الحلم
اقتداره على عدوه فصيح وعفا ، وإذا كان الأحلم كان الأعنى والأصيح عن العدو إذا
اقتدر عليه ،

(٣) يقول : لا يلحقهم عار بسطوتك عليهم ، لأنك ربهم - سيدهم - ولا فى
تذلهم لك عار ، لأنهم عبيدك . وذلك كما قال النابغة :

وَعَيْرَتْنِي بَنُو ذُبْيَانَ رَهْبَتُهُ وَهَلَّ عَلَىَّ بَأْسُ أَخْشَاكَ مِنْ عَارٍ ؟
وكما قال الآخر :

وإن أمير المؤمنين وفعله لك الدهر لا عار بما فعل الدهر
وقال أبو تمام :

خَصَّصَتْ لِصَوْلَتِكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَارُ

وقال ارتجالاً يهجو سواراً الديلمى وقد نزلوا منزلاً أصابهم فيه مطر وريح :

بَقِيَّةُ قَوْمٍ آذَنُوا بِبَوَارِ وَأَنْضَاءُ أَسْفَارٍ كَشَرَبِ عُقَارِ^(١)
نَزَلْنَا عَلَى حُكْمِ الرِّيَّاحِ بِمَسْجِدِ عَلَيْنَا لَهَا ثَوْبًا حَصَى وَغُبَارِ^(٢)
خَلِيلِي مَا هَذَا مُنَاخًا لِمَثَلِنَا فَشُدَّا عَلَيْهَا وَارْحَلَا بِنَهَارِ^(٣)
وَلَا تُنْكِرَا عَصْفَ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا قَرَى كُلَّ ضَيْفٍ بَاتَ عِنْدَ سِوَارِ^(٤)

وقال في صباه وهو بيت مفرد ، وروى قوم أنهما بيتان وهما :

إِذَا لَمْ تَجِدْ مَا يَبْتَغُ الْفَقْرَ قَاعِدًا قَمَّ وَأَطْلُبُ الشَّيْءَ الَّذِي يَبْتَغُ الْعُمَرَ^(٥)
هُمَا خَلَّتْ إِنْ ثَرَوَةٌ أَوْ مَنِيَّةٌ لَكَ أَنْ تُبْنَى بِوَاحِدَةٍ ذِكْرًا^(٦)

(١) بقية قوم : خبر مبتدأ محذوف . يقول : نحن بقية قوم آذن - أعلم - بعضهم بعضاً بالبوار - الهلاك - أى علموا أنهم هالكون ، ونحن مهازيل أسفار لأحرار بنا من الجهد والتعب كأننا مكارى ، فأَنْضَاءُ : جمع نضو ، وهو المهزول الذاهب اللحم من الناس والإبل ؛ والشرب : جمع شارب ؛ والدقار : الحمر
(٢) يقول تحمكت فينا الرياح بهذا المكان حتى سفت علينا من الحصى والتراب ما سترتنا به .

(٣) المناخ : للنزل ، وأصله مبرك الناقة يقول : ليس هذا المكان منزلاً لنا فشدا رحالهما على الإبل وارحلا قبل هجوم الليل . فالضمير في عليها : للإبل ، وإن لم يتقدم لها ذكر .

(٤) يقول : لا تنكرا شدة هبوب الرياح ، فإنها طعام من بات ضيفاً عند سوار ؛ وهذا سوار اسم رجل نزلوا في المسجد قرب داره فهبت عليهم الرياح ولم يلتفت إليهم ولم يقرهم .

(٥) يتر : يقطع ؛ وقاعداً : حال من المخاطب ؛ وأراد بما يتر القمر : الثروة والغنى . يقول : إذا لم تجد الغنى وأنت قاعد عن السعى قم وأطلب ما يقطع العمر : أى الحرب ، يعنى مقاتلة الملوك وأشباه الملوك للحصول على ما حصلوا عليه من الملك والرياسة والثراء .

(٦) هما : ضمير الخلتين ، فسرهما بها ؛ والخلة الحصلة ؛ والثروة : المال الكثير ، وهى بدل تفصيل من خلتان ؛ والمنية : الموت . وإن - هنا - زائدة بعد لعل ، لتأكيد

وقال في صباه في جعفر بن كئيلغ ولم ينشده إلاها :

حَاشَى الرَّقِيبَ فَخَانَتْهُ ضَمَائِرُهُ وَغَيْضَ الدَّمْعِ فَأَنْهَلَتْ بَوَادِرُهُ^(١)
وَكَأَنَّمُ الْحُبُّ يَوْمَ الْبَيْنِ مُنْهَكٌ وَصَاحِبُ الدَّمْعِ لَا تَخْفَى سَرَائِرُهُ^(٢)
لَوْلَا ظِلْبَاءُ عَدَى مَا شَفِيتُ بِهِمْ وَلَا بَرَبْرَبِهِمْ لَوْلَا جَادِرُهُ^(٣)

الاستقبال ، كما تزداد في خبر عسى . يقول : هما خصلتان : إما الغنى وما إليه من الرياسة والملك ، وإما الموت ، فافعل لكل أحد هذين يخلد ذكرك .

(١) حاشاه : تجنبه وتوقاه . والضائر : جمع صمير ، وهو ما يضره الإنسان ويغويه . وغيض الدمع : حبسه ونقصه ، وانتهت : انصبت . وبوادره : سوابقه ومسرعاته . يقول : تباعد عن الرقيب يوم الفراق مخافة أن يطلع على هواه وحاول أن يحبس دموعه عن الجرى فظهر عليه ما يكتمه لأنه لم يقدر على كتمانته وسبقه الدمع فوقف الرقيب على سيرة .

(٢) متذر لما في البيت الأول . يقول : إن الذي يكتم حبه كيلا يطلع عليه يغلبه الوجد والجزع يوم الفراق فيبدو سره وينتهك سره ؛ لأنه يحجز ويكي ، فيستدل بحجزه وبكائه على حبه .

(٣) كنى بالظباء عن النساء ، وعدى : قبيلة من قريش . وكنى بالربرب - وهى القطيع من بقر الوحش - عن جماعة النساء مطلقا . وبالجآذر - جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية - عن الشواب منهن . يقول : لولا نساء هذه القبيلة اللاتي هن كالظباء في عيونهن وأعناقهن ماشغفت بالقبية كلها ، ولولا الشواب المليحات منهن ماشغفت بنسائهم جميعاً ، ويروى بدل ماشغفت : ما شقيت . أى لولا نساء هذه القبيلة ما شقيت بالقبيلة : أى أحتاج إلى مجاملتهم واحتمال الذل لأجل نسائهم الحسان ، ولولا الشواب ماشقيت بالكبار في مضايقتهم . وإليك طريقة نحوية للعلامة العكبرى قل : ظباء عدى مرفوعة عندنا بلولا ، وعند البصريين بالابتداء ؛ وجبنا أنها ترفع الاسم لأنها نائبة عن الفعل الذى لو ظهر لرفع الاسم ، لأنك تقول : لولا زيد لجئت : أى لو لم يمنعني زيد . إلا أنهم حذفوا الفعل تخفيفاً وزادوا « لا » على « لو » فصارا بمنزلة حرف واحد ، كقولهم : أما أنت منطلقاً انطلقت معك . وتقديره : إن كنت منطلقاً انطلقت معك قال الشاعر :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمْ الضَّبْعُ (١)

تقديره أن كنت ، فحذف الفعل وزاد « ما » عوضاً عن الفعل ، كما كانت الألف في الجمانى وضاً عن إحدى ياءى النسب ؛ والذي يدل على أنها عوض عن الفعل أنه لا يجوز ذكر الفعل معها لثلاثي الجمع بين العوض والمعوض . وحجة البصريين على أنه يرتفع بالابتداء دون « لولا » أن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصاً ، و« لولا » غير مختصة بالاسم ، فقد قال الشاعر :

لَا دَرَّ دَرَكِي إِيَّيْ قَدْ رَمَيْتَهُمْ لَوْلَا حُدُوتٌ وَلَا عُذْرِي لِمَحْدُودٍ (٢)

(١) البيت للعباس بن مرداس السلمي الصحابي رضى الله عنه وبعد :

السُّلْمُ تَأْخُذُ مِنْهَا مَا رَضِيَتْ بِهِ وَالْحَرْبُ يَكْفِيكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرْعُ

وأبا خراشة : منادى : وأبو خراشة : كنية ، واسمه خفاف بن ندبة ، وندبة : اسم أمه ؛ وخفاف ، هذا : صحابي ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها ، وكان أسود حالكا وهو ابن عم الحنساء . وانت اسم لكان المحذوفة ؛ وذاتقر : خبرها . وروى هذا البيت : أبا خراشة أما كنت ذاتقر ، وعليها لا شاهد في البيت : وما : زائدة . ونقر الرجل : رهطه . ويقال إن الضبع إذا وقعت في الغنم عاثت ولم تسكنف بما يكتبي به الذئب ؛ ومن إفسادها وإسرافها استعارت العرب اسمها للسنة المجذبة فقالوا : أكلتنا الضبع وقال ابن الأعرابي : ليس يريدون بالضبع السنة ، وإنما هو أن الناس إذا أجذبوا ضعفوا هن الانتصار وسقطت قواهم . فعاثت فيهم الضباع والذئب فأكلتهم . إن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئب . والسلم : الصلح . والجرع : جمع جرعة وهي ملء الغم يخبره أن السلم هو فيها وادع ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطعتة عن لذاته وشغلته بنفسه . وهذا تحريض على الصلح وتثبيط عن الحرب ؛ وأراد بأنفسها : أوائلها .

(٢) من أبيات للجموح - أحد بني ظفر من سليم بن منصور - وقبلة :

قَالَتْ أُمَامَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا هَلَّا رَمَيْتَ بِنَفْسِ الْأَسْهَمِ السُّودِ

وبعد :

إِذْهُمْ كَرَّجِلِ الدَّبْيِ لَا دَرَدَرَهُمْ يَغْفِرُونَ كُلَّ طَوَالِ الْمَشْيِ مَمْدُودِ

مِنْ كُلِّ أَحْوَرَ فِي أَنْيَابِهِ شَنْبٌ خُمْرٌ يُخَامِرُهَا مَسْكٌ تُخَامِرُهُ^(١)
نُجْجٌ يُخَاجِرُهُ دُعْجٌ تَوَاطِرُهُ خُمْرٌ غَفَائِرُهُ سَوْدٌ غَدَائِرُهُ^(٢)
أَعَارَنِي سَقَمَ عَيْنِيهِ وَحَلَنِي مِنَ الْهَوَى ثِقْلَ مَا تَحْوِي مَازِرُهُ^(٣)

(١) الحور : شدة بياض العين في شدة سوادها ، والشنب صفاء الأسنان ورقة مائها ، وسئل ذو الرمة عن الشنب ، فأخذ حبة رمان فقال : هذا هو الشنب ، أشار إلى صفائها ورقة مائها . وذهب الواحدى في إعراب خمر : إلى أنها مبتدأ ؛ ومسك : فاعل يخامرها ؛ والجملة : صفة لخر ؛ وتخامره : ضمير الفاعل فيه للخر ؛ وضمير المفعول : للشنب . والجملة ، خبر خمر ، وجملة ، خمر ، وما يلها - إلى آخر البيت - صفة لشنب يقول : بلائى أو شقائى من كل أحور في أنيابه شنب تخالطه خمر يخالطها مسك . وقال بعض الشعراء : قوله من كل : « من » متعلقة بمحذوف ، حال من جأذره

(٢) نجج : جمع أنجج ، والنجج : البياض . والمخاجر : جمع المخجر ، وهو ما دار بالعين ، جعلها ييضاً لبياض ألوانهن ، والدعج : السواد ، والنواظر : الأحداق ، والغفائر جمع الغفارة ، وهى خرقة تكون على الرأس تقي بها المرأة الخمار من الدهن ، وقد تكون اسماً للخمار . جعلها خمرأ لكثرة استعمال الطيب من نحو زعفران ومسك ، وإن جعلنا الغفائر الخمر فإنما جعلها خمرأ لأنهن شواب ، كما قال :

* خُمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ *

والغدائر : الضفائر من الشعر .

(٣) يريد بسقم عينيه : الفتور ، وهو مما توصف به الحسان ، كما قال ابن المعتز :
ضَعِيفَةٌ أَجْفَانُهُ وَالْقَلْبُ مِنْهُ حَجَرٌ

فَا تَرَكْتُ أَبَا بَشِيرٍ وَصَاحِبَهُ حَتَّى أَحَاطَ صَرِيحُ الْمَوْتِ بِالْجَلِيدِ
وكان من خبر الجموح هذا أنه بيت بنى لحيان وبنى سهم بوادي قال ذات البشام ؟ وكان الجموح قد جمع جمعاً من بنى سليم وفيهم رجل يقودهم معه يكنى بأبى بشر فتحالف الجموح وأبو بشر على الموت وكان في كنانة الجموح نبل معلقة بسواد حلف ليرمين بها كلها قبل رجعة في عدوه ، فقتل أبو بشر ، وهزم أصحابه وأصابتهم بنو لحيان تلك الليلة وأعجز الجموح ، فقالت امرأته - واسمها أمانة - وهى تلومه : هلا رميت تلك النبل التى كنت آليت لترمين بها ؟ وحددت - بالباء للمفعول - أى حرمت ومنعت والمذرى : اسم بمعنى المذرة . يقول : قد رميت واجتهدت في قتالهم - ولكنى حرمت النصر عليهم ولا يقبل عذر المحروم ؛ والرجل : القطعة من الجراد ؛ والدبى : أصفر الجراد ؛ والطوال ؛ الطويل .

يَا مَنْ تَحَكَّمَ فِي نَفْسِي قَدْ بَنَى وَمَنْ فُوَّادِي عَلَى قَتْلِي يُضَافِرُهُ^(١)
بِعَوْدَةِ الدَّوْلَةِ الْفَرَاءِ ثَانِيَةً سَلَوْتُ عَنْكَ وَنَامَ اللَّيْلُ سَاهِرُهُ^(٢)

كَأَنَّمَا الْحَاظُهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعْتَذِرُ

وهو كثير . والمآزر : جمع المزر ، وهو الإزار ، وما تحويه المآزر : الكفل .
يقول : أمرضني كمرض جفونه ، وأتلفني بالهوى كتلف أردانه . وهذا كقول منصور
ابن الفرج :

حَلَّ فِي جِسْمِي مَا كَانَ بِعَيْنَيْكَ مُقِيمًا

ومثله للبحري :

وَكَأَنَّ فِي جِسْمِي الَّذِي فِي نَظْرَيْكَ مِنَ السَّخَمِ

وقال السري الرفاء :

وَنَوَاطِيرُ وَجَدَ الْحَبِّ فُتُورَهَا لَمَّا اسْتَقَلَّ الْحَى - فِي أَعْضَانِهِ

ويعني قول العكبري : وذكر الكفل في الشعر وغيره ليس بجيد ، وإن كان
قد ذكره قوم من العرب .

(١) المضافرة : المعاونة . يقول : إن فؤاده يعين الحبيب على قتله حيث لا يساو مع
ما يروى من كثرة الجفاء ، وهذا كما يقال : قلب العاشق عون عليه مع حبيبه : ويقول العباس
ابن الأحنف :

كَيْفَ احْتَرَمْتَنِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي

(٢) هذا تخلص . يقول : لما عادت دولة الممدوح - وكان قد عزل ثم ولي ثانيا
ذهب حبك من قلبي ونمت الليل بعد أن كنت أسهره . قال العكبري : وهذا نقص ،
لأن الحب الصادق لا ينفك عن المحبوب ولا يساوه أحسن إليه أم أساء ، لقد أحسن
البحري بقوله :

أَحَبُّ عَلَى أَيَّمَا حَالَةٍ إِسَاءَةٍ لِيلى وَإِحْسَانِهَا .

والحب الصادق كلما عنت له خطرة من السلورده الحب الصادق عما كان عزم .
ولقد أحسن البحري أيضا بقوله :

أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فُوَّادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدَعْنِكَ وَوَجْهَ وَدُى مَقْبَلٍ

وَإِذَا طَلَبْتَ وَصَالَ غَيْرَكَ رَدْنِي وَلَهُ إِلَيْكَ وَشَافِعَ لَكَ أَوَّلَ

مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ لَيْلِي لَا صَبَاحَ لَهُ كَانَ أَوَّلَ يَوْمِ الْحُشْرِ آخِرُهُ ^(١)
 غَابَ الْأَمِيرُ فَنَابَ الْخَيْرُ عَنْ بَلَدِهِ كَادَتْ لِفَقْدِ أُمِّهِ تَبْكِي مَنَابِرُهُ ^(٢)
 قَدْ أَشْتَكْتُ وَخَشَةَ الْأَحْيَاءِ أَرْبُمُهُ
 وَخَبَّرْتُ عَنْ أُمِّي الْمَوْتَى مَقَابِرُهُ ^(٣)
 حَتَّى إِذَا عُقِدَتْ فِيهِ الْقِيَابُ لَهُ أَهْلٌ لِلَّهِ بِأَدْيِهِ وَحَاصِرُهُ ^(٤)
 وَجَدَدْتُ فَرَحًا لَا الْقَمُّ يَطْرُدُهُ وَلَا الصَّبَابَةُ فِي قَلْبٍ تُجَاوِرُهُ ^(٥)
 إِذَا خَلْتُ مِنْكَ خِمَصٌ لَا خَلْتُ أَبَدًا
 فَلَا سَقَاها مِنْ الْوَسْمِيِّ بَاكِرُهُ ^(٦)

(١) يقول : من بعد ما كنت أفلسي من الحزن ما يسهرني فيطول على الليل حتى كأنه متصل بيوم الحشر . وهذه مبالغة في وصف الليل بالطول

(٢) هذا من قول أشجع السلمي :

فَمَا وَجْهُ يَحْيِي وَحْدَهُ غَابَ عَنْهُمْ وَلَكِنْ يَحْيِي غَابَ بِالْخَيْرِ أَجْمَعًا
 ويقول الآخر :

بَكَتِ الْمَنَابِرُ يَوْمَ مَاتَ وَإِنَّمَا أَبْكِي الْمَنَابِرَ فَقَدْ فَارِسِيهِنَّ
 (٣) الضمير في أربعة ومقابره : للبلد ؛ والوحشة . الاكتاب يحده الإنسان عند اعتزاله الناس ؛ والرابع : المنزل ؛ والأسي : الحزن . يقول : لما غاب الأمير عن البلد حزن لفيفته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ومنازلهم ، وكذلك الموتى حزونا حتى أخبرت المقابر عن حزنهم .

(٤) المراد بالقباب - جمع قبة - تلك التي تتخذ للزينة والشار ؛ وعقدت : ضربت وأهل لله : أي رفع أهل البادية وأهل الحضر أصواتهم بالدعاء سرورا بعودته .

(٥) يقول : إن عودة دولته جددت فرحا لا يغلبه الغم ولا يجاوزه الشوق في قلب : أي لامتلاء كل قلب بهذا الفرح لا يكون فيه موضع للعشق .

(٦) حمص . بلد المدوح . وقوله لا خلت أبدا ، جملة دعائية معترضة جميلة .

يقول : إذا خلت منك حمص فلا نزل بها المطر - أي لا أنبت - ولا سقاها بأكرومى . والوسمى : أول مطر الحريف ، سمى كذلك لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة . والولى : ثانية . وباكره أوله ، ومنه باكرة الثمار .

دَخَلَتْهَا وَشَعَاعُ الشَّمْسِ مُتَعِدَّةٌ
 فِي قَيْلَقٍ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ قَذَفَتْ بِهِ
 صَرَفَ الزَّمَانَ لَمَا دَارَتْ دَوَائِرُهُ (٢)
 مَنَاهَا إِلَى الْمَلِكِ الْيَمُومِ طَائِرُهُ (٣)
 فِي دِرْعِهِ أَسَدٌ تَدْمِي أَظْفَرُهُ (٤)
 تُخْصِي الْخَصَى قَبْلَ أَنْ تُخْصِيَ مَا بَرَهُ (٥)
 تَضِيقُ عَنْ جَيْشِهِ الدُّنْيَا وَلَوْ رَحِبَتْ

كَصَدْرِهِ لَمْ تَبْنِ فِيهَا عَسَاكِرُهُ (٦)
 إِذَا تَغَلَّغَلَ فِكْرُ الْمَرءِ فِي طَرَفٍ مِنْ تَجْدِهِ غَرِقَتْ فِيهِ خَوَاطِرُهُ (٧)

(١) باهره : غاليه ؛ والضهير فيه : للشعاع . يقول : دخلت حمص وقت إشراق الشمس وشعاعها - ضياؤها - يتوقد ، ولكن نور وجهك قد غلب نور الشمس
 (٢) القيلق : العسكر ، وجعله من حديد لكثرة ما عليه من الدروع وخلافها .
 يقول : لو حاربت بعسكرك هذا الزمان مادارت على الناس دوائره وهي حركاته وصروفه التي تدور على الناس وتأتي حالا بعد حال .

(٣) المبراد بالطائر : الفأل ؛ والعرب يتفاءلون في الخير والشر بالطيور ، فيسمون الفأل : الطائر ، والييومون : المبارك . يقول : العيون شاحصة إلى الملك لا تنظر إلى غيره .
 (٤) حرن : أي الأبصار ، وأراد بالبشر : المدوح ؛ وبالقمير : وجهه ؛ وجعله أسدا في درعه لشجاعته ، وتدمي أظافره : أي تتلطف لكثرة ما يفترس من الأعداء
 (٥) الخلائق : جمع خلقه ، وهي الخلق ؛ والشوش : جمع الأشوس ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه نظر التكبر ؛ والحقيقة ؛ ما يحق على الرجل حفظه من الجار والحليف والولد . يقال : فلان حامى الحقيقة . قول : إن أخلاقه حلوة معسولة وحقائقه محمية ممنوعة لا يقدر أن ينال منها أحد ، فهي ممتعة امتناع التكبر ، وهو كثير المآثر حتى لا تكاد تحصى .

(٦) هذا من قول أبي تمام :

وَرُحْبَ صَدْرِ لَوَانَ الْأَرْضِ وَاسِعَةٌ

كَوُسْعِهِ لَمْ يَضِيقْ عَنْ أَهْلِهِ بَلَدٌ

(٧) تغلغل في الشيء : دخل فيه وأمعن يكون في الجواهر والأعراض . يقول :
 إن أدنى مجده يستغرق الفكر والحواطر لمن أراد أن يصفه .

نَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَانَهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ (١)
 إِذَا أُنْتَضَاهَا لِلْحَرْبِ لَمْ تَدْعُ جَسَدًا إِلَّا وَبَاطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظَاهِرُهُ (٢)
 فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْحَقَّ فِي يَدِهِ وَقَدْ وَثِقَنَ بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُ (٣)
 تَرَكْنِ هَامَ بَنِي عَوْفٍ وَتَغَلَّبَةٍ عَلَى رُءُوسِ بِلَاسِ مَغَافِرِهِ (٤)
 فَخَاضَ بِالسَّيْفِ بِحَرَائِلُوتٍ خَلْفَهُمْ وَكَانَ مِنْهُ إِلَى الْكَمْبَيْنِ زَاخِرُهُ (٥)

(١) حمى الشيء يحمى : اشتد حرمه ؛ والعشائر : الأهل الأقارب . يقول : إذا حارب أعداءه واشتد غضبه غضبت سيوفه عليهم معه ، حتى لكأنها أقاربه الأدنون الذين يفضنون لغضبه ؛ وهذا من قول أبي تمام :

كَأَنَّهَا وَهِيَ فِي الْأَوْدَاجِ وَالْفِئَةِ وَفِي الْكَلْبَى تَجِدُ الْفَيْظَ الَّذِي تَجِدُ
 ويقول البحرى :

وَمُضَلَّتَاتٍ صَكَانَ حِقْدًا بِهَا عَلَى الْمَامِ وَالرَّقَابِ

(٢) يقول : إذا استل سيوفه من أغمارها ليحارب بها لم تترك جسداً إلا قطعته إرباً حتى تبدو يواطنه للعين كما تبدو ظواهره .

(٣) أى لكثرة ما رأت ذلك واعتادته . يعنى أنها لو كانت ممن يعلم : لعلمت . وهذا ينظر إلى قول النابغة الديانى :

جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
 (يصف النابغة عصائب الطير التى تتبع الجيش) .

(٤) الهام : جمع هامة وهى أعلى الرأس ومستقر الدماغ : وهامة القوم : سيدهم على اللئى ، وقد يراد هنا . وعوف وثعلبة : قبيلتان ؛ وللغافر : جمع مغفر ، وهو ما يغفر الرأس . أى يغطيه من الحديد ؛ والضمير فى مغفرة : للهام . وطى رؤس : خبر مقدم . ومغفرة مبتدأ مؤخر . والجملة : حال ، أو مفعول ثانٍ لتركن . يقول : إن سيوفه فرقت بين رؤوس هؤلاء القوم — وكان قد أوقع بهم — وبين أبدانهم حتى صارت مغافر هامهم على رؤوس بلا أبدان قال ابن جنى : وذلك لأنه لما قتلهم جاءوا برءوسهم وعليها للغافر .

(٥) زخر البحر : طلى موجه وعلا . قال ابن جنى : أى ركب معهم أمر عظيم

حَتَّى أَتَهَى الْفَرَسُ الْجَارَى وَمَا وَقَعَتْ
 فِي الْأَرْضِ مِنْ جُثِّ الْقَتْلِ حَوَافِرُهُ^(١)
 كَمْ مِنْ دَمٍ رَوَيْتَ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ وَمُهْجَتُهُ وَآفَتْ فِيهَا بَوَاطِرُهُ^(٢)
 وَحَائِنَ لَعَبْتِ سُمْرُ الرِّمَاحِ بِهِ فَالْعَيْشُ هَاجِرُهُ وَالنَّسْرُ زَائِرُهُ^(٣)
 مَنْ قَالَ لَسْتُ بِمُخَيِّرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 فَجَنَّهُلُهُ بِكَ عِنْدَ النَّاسِ عَازِرُهُ
 أَوْ شَكَّ أَنَّكَ فَرَدُّ فِي زَمَانِهِمْ بِلَا تَظْيِيرٍ فِي رُوحِي أَخَاطِرُهُ^(٤)
 يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أَوْمَلُهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ^(٥)
 وَمَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّ الْبَحْرَ رَاحَتُهُ جُوداً وَأَنَّ عَطَايَاهُ جَوَاهِرُهُ
 لَا يَجْهَرُ النَّاسُ عَظْماً أَنْتَ كَاسِرُهُ
 وَلَا يَهْيِضُونَ عَظْماً أَنْتَ جَابِرُهُ^(٦)

عليهم صغيراً عليه ، فيكون بحر الموت مثلاً للأمر العظيم وقرب غوره له مثل لصغره في نظره . وقال الواحدى : بحر الموت : الحرب والمعركة لكثرة ما فيها من الدماء ، يقول خاض ذلك البحر خلف هؤلاء ، إلا أنه لم يفرق ولم يبلغ ماؤه فوق كعبيه .

(١) يقول : حتى بلغ فرسه نهاية جريه ولم تقع حوافره على أديم الأرض لكثرة القتلى ، وإنما وطئ أجسادهم . ويروى بدل جث : جيف .

(٢) الأسنة : الرماح ، والمهجة : دم القلب . وأصل الولوغ : شرب السباع الماء بالستها ، والبواتر : السيوف القواطع .

(٣) يقول : وكمن حائن - هالك - لعبت رماحك به - أى نالت منه وقتلته - فهجرت الحياة وفارقت ، وزاره النسر ليأكل لحمه .

(٤) أخاطره : أراهنه . يقال : خاطر فلان فلانا على كذا : أى راهنه عليه . ويكون عادة فى السباق وفى رمى النبل وإنما قال هذا لثقتة بكونه فرداً .

(٥) ألوذ : أعود وألجأ . ومثله لا بن الرومى :

ولا المائد اللأجى إليه بخائف ولا الرائد الراجى نداه بخائب

(٦) الجبر : إصلاح الكسر ؛ والهيف : الكسر بعد الجبر ، يقال : هضت العظم فهو

(١٥ - المتنبي ٢)

وقال يمدح أبا أحمد عبيد الله بن يحيى البحرى المنبجى :
 أَرَيْكَ أُمَّ مَاءِ الْغَمَامَةِ أُمَّ خَمْرٍ بِنَى بَرُودٍ وَهَوَى فِي كَبْدِي جَمْرٌ^(١)
 أَذَا الْفُضْنِ أُمَّ ذَا الدَّغْصِ أُمَّ أَنْتِ فِتْنَةٌ
 وَذِيَا الَّذِي قَبْلَتْهُ الْبَرْقُ أُمَّ ثَغْرٍ^(٢)
 رَأَتْ وَجَهَ مَنْ أَهْوَى بِلَيْلٍ عَوَازِلِي
 فَقُلْنَ نَرَى شَمْسًا وَمَا طَلَعَ الْفَجْرُ^(٣)

مهيض : وانهاض : إذا انكسر بعد الجبر . يقول : إنهم لا يقدرُونَ على خلافك في حال
 من الأحوال . « هذا » ويروى بعد هذا البيت قال الواحدى : إنه منحول وهو :
 أَرْحَمُ شَبَابٍ فَتَى أَوْدَتْ بِجِدَّتِهِ يَدُ الْبَلَى وَذَوَى فِي السَّجْنِ نَاضِرُهُ
 (أودى به : أهلكه . والجدة : مصدر الجديد . وذوى : ذبل)
 (١) يقول : لست أدري : أريق ماذقته من فك ، أم هو ماء سحاب ، أم خمر ،
 وهو بارد في فمى ، حار في كبدي . لأنه يحرك الحب ويذكي جمر الهوى ؟
 (٢) ذا : بمعنى هذا . والهمزة : للاستفهام . وعنى بالفضن : قوامها ، وبالدهص -
 وهو كشيء الرمل - ردفها ، ثم قال : أم أنت فتنة تفتنين الناس بحبك حتى يظنوا قدك
 غصنا وردفك كثيباً ؟ كما قال أبو نواس :

قُرْ لَوْلَا مَلَاَحَتُهُ خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْفِتَنِ

و« ذيا » : تصغير ذا . والتصغير ههنا مغزاه أن ثغرها محبوب عنده قريب من قلبه ،
 أو إرادة صغر أسنانها . وثغرها البرق لضوئه ونقاته .

(٣) يقول : تعجب عواذلى من رؤية الشمس في الليل والفجر لم يطلع لأنهن حسين
 وجهها شمساً ، وخص العواذل لأنه إذا اعترفن له بهذا مع إنكارهن عليه حبا كان
 ذلك أدل على حسنها . والله أبو تمام إذ يقول :

لَحِقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمَ الْهَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَفَى وَقَعُ
 فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
 نَضَا ضَوْوُهَا مِنْ بَيْتِ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لَبْجَتِهَا ثَوْبُ الظُّلَامِ الْمَجْزَعُ
 فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى أَأَخْلَامَ نَائِمٍ أَلَمَتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكْبِ يَوْشَعُ

رَأَيْنَ الَّتِي لِلْسُّخْرِ فِي لَحَظَاتِهَا سَيْوْفٌ ظُلُمًا مِنْ دَمِي أَبَدًا حُمْرٌ^(١)
تَنَاهَى سُكُونُ الْحُسْنِ فِي حَرِّ كَاتِبِهَا
فَلَيْسَ لِرَأَاهُ وَجْهَهَا لَمْ يَمُتْ عُدْ نَذْرٌ^(٢)
إِلَيْكَ ابْنَ يَحْيَى بْنِ الْوَلِيدِ تَجَاوَزَتْ
بَيْنَ الْبَيْدِ عَيْنٌ لَحْمَهَا وَالْدَّمُ الشُّفْرُ^(٣)
نَضَحَتْ بِذِكْرَاكُمُ حَرَارَةَ قَلْبِهَا
فَسَارَتْ وَطُولُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهَا شِبْرٌ^(٤)

(١) الظبي : أطراف السيوف ، جمع ظبة : قال بشامة بن حزن النهشلي :
إِذَا السَّكَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يَنَالَهُمْ حَدُّ الظُّبَاتِ وَصَلَانُهَا بِأَيْدِينَا
وأصل الظبة : ظبو، بوزن جرد ، غذفت الواو وعوض منها الهاء ، والجمع ظبات ،
وظبون وظبون قال كعب بن مالك :

تَعَاوَرُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كَثُوسَ الْمَنَائِبِ بِحَدِّ الظُّبَيْنَا
لما جعل سحر عينيها قاتلا استعار له سيوفاً ثم جعلها حمر الظبي من دمه لأنها تقتله .
(٢) يقول : إنها كيفما تحركت فالحسن ساكن في حركاتها قد بلغ الغاية في ذلك ،
فن رآها ولم يستهوه هذا الحسن حتى يعصف به ويأتى عليه فليس له عذر ، لأن مثل
هذا الحسن قاتل .

(٣) البید : الصحارى ، والعيس : الإبل ؛ ويروى عنس ؛ والعنس . الناقة الصلبة
قال الليث : تسمى عنسا إذا تمت سنّها واشتدت قوتها ووفر عظامها وأعضاؤها ، وقيل
هو التي اعنوس ذنبها أى وفر وكثر . قال العجاج :

* كَمْ قَدْ حَسَرْنَا مِنْ عِلَاقَةِ عَنَسٍ

وقوله : لحما والدّم الشعر . يقول : كنت أحذوها بشعري الذى مدحتكم به فتقوى
على السير : أى أن شعري قام لها مقام اللحم والدّم في تقويتها على السير ؛ والعرب تزعم
أن الإبل إذا سمعت الضياء والحداء نشطت للسير . وروى الخوارزمي ، الشعر - بفتح
الشين - يعنى أنها هزلت حتى لم يبق منها غير الشعر أو الوبر . والأولى أجود ؛ يوافقها
البيت التالى ، ولأنه لا شعر للإبل وإنما لها الوبر .

(٤) نضح الشيء بالماء : رشه عليه ، ويقال : نضح الماء العطش ينضحه : رشه فذهب .

إِلَى لَيْثٍ حَرْبٍ يُلْحِمُ اللَّيْثَ سَيْفَهُ وَبَحْرٍ نَدَى فِي مَوْجِهِ يَفْرِقُ الْبَحْرُ^(١)
وَإِنْ كَانَ يُبْقِي جُودَهُ مِنْ تَلِيدِهِ شَيْبًا بِمَا يُبْقِي مِنَ الْعَاشِقِ الْمَجْرُ^(٢)
فَتَى كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ رِمَاحُ الْمَعَالِي لَا الرُّدَيْنِيَّةُ الشُّمْرُ^(٣)
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ فَنَائِلُهَا قَطْرُهُ وَنَائِلُهُ غَمْرُ^(٤)
وَلَوْ تَنَزَّلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ لِأَضْبَحَتِ الدُّنْيَا وَأَكْثَرُهَا نَزَرُ^(٥)

به ؛ أو كاد يذهب به . والنضيج : الحوض . لأنه ينضح عطش الإبل : أى يبله ؛ يقول بردت بذكراكم وبشعري الذى قتله فيكم حرارة قلب هذه الناقة - يعنى غلة عطشها - فأسرعت واستقرت البعيد لنشاطها على هذه الذكرى وهذا المديح .

(١) يلحم الليث سيفه : أى يمكن السيف من لحم الليث ؛ من قولهم : ألمحت الرجل إذا قتلته فهو ملحم ولحم : أو تقول : يلحم الليث سيفه ، أى يجعل الليث طعمه له . يعنى أن المدوح شجاع بحيث يجعل الليث طعمة السيف ، وهو بحر جود يفرق فى موجه بحر الماء لأنه أعظم منه .

(٢) التليد : المال الورث من الآباء يقول : سارت ناقتى إليه وقصدته وإن لم أكن واتقا بإبقاء نواله شيئا من ماله ، يعنى أن جوده لا يبق من ماله إلا المقدار اليسير الذى لا مطعم فيه لكثرة عطائه كما لا يبقى المجر من العاشق إلا النفس والرمق والعظام .

(٣) احتوى الشيء واحتوى عليه : أخذه وحازه ؛ والردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . يقول : إن المعالي تغزو أموال المدوح كل يوم فتحوزها ، يعنى أنه يفرق أمواله فيما يورثه المجد والعلاء ، فما له عرضه لرماح المعالي تستولى عليه لا الرماح الحقيقية ، لأن أعداءه ليس فى مكنتهم أن يصلوا إلى ماله بالحرب والقهر لأنه من القوة بحيث لا يقدر أحد أن يظهر عليه وينصبه ماله .

(٤) نائلها : أى السحاب ، والنائل : العطاء ؛ والقطر : المطر ؛ والمراد هنا : قليل والغمر فى الأصل : معظم البحر ، والمراد هنا : كثير .

(٥) النزر : القليل . يقول : لو أطاعت الدنيا كفه لفرقها كلها . وكان ذلك قليلا عند عطايه ، لأن جوده يقتضى أكثر من ذلك ، أو تقول : لفرقها كلها فأصبح أكثر ما فيها شيئا يسيرا بالنسبة إلى جوده كما قال :

* يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا *

أَرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عَظُمُ قَدْرِهِ فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ^(١)
 مَسْتَقَى مَا يُشِيرُ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ تَحْوَرُّ لَهُ الشَّعْرَى وَيَنْخَسِفُ الْبَدْرُ^(٢)
 تَرَى الْقَمَرَ الْأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ^(٣)
 كَثِيرُ سَهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ يُورِّقُهُ فِيمَا يُشْرِفُهُ الْفَكْرُ^(٤)
 لَهُ مِنْ تَفْنِي الثَّنَاءِ كَمَا تَمَّا بِهِ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا يُودِّيَ لَهَا شُكْرُ^(٥)

(١) يقول : أراه عظم قدره قدر الدنيا حقيرا ، وليس لشيء عظيم الخطر والقدر عنده خطر وقدر ، لأن خطره يربى على كل شيء . بقوله : أراه ، فعل ماض ، فاعله عظم قدره ، والهاء من أراه : مفعول أول ، وصغيرا : مفعول ثالث مقدم ، وقدرها : مفعول ثان . وقوله : لعظيم ، خبر مقدم عن قوله : قدر - في آخر البيت - وقدره : فاعل عظيم .

(٢) المراد بالشعري : الشعري العبور ، لإضاءتها ، وقد عبدتها العرب في الجاهلية قال تعالى : « وأنه هو رب الشعري » . يقول : إن وجهه أتم نورا وإضاءة من الشعري والبدر ، فإذا أشار بوجهه إلى السماء سقطت الشعري حياء منه وخجلا وانخسف البدر لغلبة ضوء وجهه البدر . وقوله : تحر ، أى تسقط ، وهو جواب الشرط ، وهو من الضاعف . قال العكبري : وفتح قوم ورفعهم آخرون ، فأما إذا كان معه ضمير فالرفع عند سيوفه لا غير ، نحو لم يرد ، وما أشبهه . وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ، « لا يضركم » برفع الراء ، وهو جواب الشرط .

(٣) تر - بغير ياء - بدل من جواب الشرط - في البيت السابق - ومن رواه بالياء جعله استثناء للمخاطب ، يقول : ترى الشعري برؤيته القمر الأرضي ، أو ترى أنت أيها الرائي برؤيته القمر الأرضي ، وكذلك ترى الملك الذى له الملك بعد الله الخ .

(٤) السهاد : السهر ، ولا يستعمل إلا في السهر لشدة ، والفكر فاعل يؤرقه . يقول : هو يسهر من غير علة توجب السهر ولكنه يفكر في كل ما يزيده شرفا إلى شرفه ، فسهاده لأجل ذلك .

(١) يقول : إن منته على الناس بإحسانه وإنعامه تستغرق الثناء وتربى عليه حتى لكأنها أقسمت بحق المدوح أن لا يبلغ أحد تمام شكرها ، والقسم به عظيم لا يجري فيه حش ، ومن ثم كانت منته زائدة على ثناء الثنيتين وشكر الشاكرين . والثن : جمع منة : ولذلك معنيان : أحدهما إحسان المحسن غير معتد بالإحسان ، يقال لحقت فلانا من

أَبَا أَحْمَدٍ مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِهِ
وَمَا لِأَمْرِيءَ لَمْ يُنَمِّسْ مِنْ بُحْتَرٍ فَخْرٌ^(١)
هُمْ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ مَكَارِمٍ يُفْتَى بِهِمْ حَضَرٌ وَيَحْذُو بِهِمْ سَفَرٌ^(٢)
بِمَنْ أَضْرِبُ الْأَمْشَالَ أَمْ مَنْ أَقْبِسُهُ
إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالْدَّهْرُ^(٣)

فلان منة : أى ، نعمة . والثانى : أن يعظم المحسن إحسانه ويفخر به ويبدى فيه ويعيد
حق يفسده وينقصه ، والمراد هنا الأول .

(١) بحتر : قبيلة المدوح يقول : إنما الفخر لمن يستحق الفخر ويستأهله ، وليس
لمن لم ينم إلى قبيلتك فخر ، فقد استأثروا بالفخر دون الناس بك .

(٢) الحضر : الحاضرون فى البلاد ؛ جمع حاضر . والسفر : المسافرون . ولا يقال
فى الفرد : سافر . يقول : هم الناس فى الحقيقة ، إلا أن الله سبحانه خلقهم من طينة
المسكارم ، لكثرة ما ركب فيهم من الكرم - ضد اللؤم - فالحاضرون يغنون بمدايحهم وبما
قيل فيهم من الأشعار ، وكذلك المسافرون حداؤهم بذلك : أى اشترك المقيم والمسافر
فى ذلك . فقوله من مكارم : من فى لبيان الجنس : أى أنها مخلوقون من طينة المسكارم :
(٣) يقول : ليس هناك من يليق أن أشبهك به أو أقايس بينه وبينك وأوازن ،

لأنك أجل وأعلى من أهل الدهر ، ومن الدهر ، الذى يتصرف على مرادك والذى
تحدث أنت فيه النعيم والبؤس . وعبرة الواحدى : ضرب المثل إنما يكون لشبه عين
بعين أو وصف بوصف ، فإذا كان هو أجل وأعلى من كل شيء لم يمكن ضرب المثل
بشيء فى مدحه . وهذا معنى قوله : أم من أقيسه إليك ؟ ووصل القياس إلى : لأن
فيه معنى الضم والجمع .

وقال برثى محمد بن إسحاق التنوخي :
 إِنِّي لَا أَعْلَمُ وَاللَّيْبُ خَيْرٌ أَنْ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرَصْتَ غُرُورُ^(١)
 وَرَأَيْتُ كُلًّا مَا يُعْلَلُ نَفْسَهُ بِتَعَلَّةٍ وَإِلَى الْفَنَاءِ يَصِيرُ^(٢)
 أَمْجَاوِرَ الدِّيمَاسِ رَهْنَ قَرَارَةٍ فِيهَا الضِّيَاءُ بِوَجْهِهِ وَالنُّورُ^(٣)

(١) الليب : العاقل . وهو مبتدأ ؛ خبره : خير ، والجملة اعتراضية ؛ وأن وما يتصل بها : صلة أعلم . والواو من « وإن حرصت » للحال ؛ والجملة بعدها معترضة ؛ وإن : وصلية مخرقة الجواب دل عليه ما قبله ، وغرور : خبر أن ، يجوز فيه ضم الغين على المصدر ، وفتحها على الصفة . قال الواحدى : قوله : والليب خير ، إشارة إلى أنه هو ليب ، لذلك علم أن الحياة - وإن حرص عليها الإنسان - غرور يغتر بها الإنسان يظن أنه يبقى وتطول حياته ، كما قال البحرى :

وَلَيْسَ الْأَمَانُ فِي الْبَقَاءِ وَإِنْ مَضَتْ بِهِ عَادَةٌ إِلَّا أَحَادِيثُ بِاطِلِ
 ومثله لابن الرومى :

وَمَنْ يَرْجُو مُسَالَّةَ اللَّيَالِ لِمَفْرُورٍ يُعْلَلُ بِالْأَمَانِ

(٢) ما : زائدة للتوكيد ، كقوله تعالى « فَمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ » وعلله بالشئ : لهاه به وشغله ومناه ؛ ويصير : ينتهى ، وهو مضارع صار التامة يقول : رأيت كل أحد يعلل نفسه بشئ يلهمها به عن ترقب الموت ، وهو لا محالة صائر إلى الفناء .

(٣) الديماس : السرب المظلم ، أو حفرة مظلمة لا ينفذ إليها الضوء ومنه ليل دامس أى مظلم ، ودمست الشئ : دفتته ؛ وكان للحجاج سجن يسمى الديماس لظلمته ؛ وفى حديث المسيح عليه السلام : أنه سبط الشعر ، كثير خيلان الوجه ، كأنه خرج من ديماس . يعنى فى نضرتة وكثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن ، لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء . وهو بكسر الدال : يجمع على دماميس كقيراطو وقراريط ، وبفتح الدال : يجمع على دياميس ، مثل شيطان وشياطين ؛ وأراد بالديماس هنا : القبر . والقرار : كل موضع يستقر فيه شئ ، والمراد القبر أيضاً ، وجعل الميت رهن القبر لإقامته هناك إلى يوم البعث ، فكان القبر استرهنه ، ثم قال : إن قبره المظلم أشرق بنور وجهه . وقوله : رهن قرارة ، نصب على الحال . وقال ابن جنى : ويصح أن يكون بدلاً مما قبله ، فيكون منادى مضافاً .

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَلَّ دَفْنِكَ فِي الثَّرَى

أَنَّ الْكَوَكِبَ فِي الثَّرَابِ تَفُورُ^(١)
 مَا كُنْتُ أَمَلُ قَبْلَ نَعْشِكَ أَنْ أَرَى رَضْوَى عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ تَسِيرُ^(٢)
 خَرَجُوا بِهِ وَلِكُلِّ بَاكِ خَلْفَهُ صَعَقَاتُ مُوسَى يَوْمَ ذَلِكَ الطُّورِ^(٣)
 وَالشَّمْسُ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ^(٤)

(١) تفور : تذهب وتختفي . يقول : ما كنت أظن قبل موتك أن النجوم تختفي في التراب حتى رأيتك وأنت أضوأ من الكواكب قد غبت في التراب . وفي هذا البيت نظر إلى قول الآخر :

ما كنت أحسب والمنية كاسمها أن المنية في الكواكب تطمع
 هذا : ويقال : أحسب وأحسب - بكسر السين ، وفتحها - في المضارع . ولا خلاف في كسرها في الماضي .

(٢) النعش : ما يحمل عليه الميت ؛ ورضوى : اسم جبل بالمدينة . شبه الرثى به لعظمه وغمامة شأنه ، وهذا من قول ابن المعتز :

هذا أبو القاسم في نَعْشِهِ قَوْمُوا انظُرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْجِبَالُ
 ولا بن الرومي :

من لم يعاين سيرَ نعش محمد لم يَدْرِ كَيْفَ تَسِيرُ الْأَجْبَالُ

(٣) الصعقات : جمع صعقة ، وهي انقشبة ؛ ودك : هدم وسوى بالأرض ؛ وأصل الدك : الكسر والدق ، وأرض دك ، والجمع دكوك ؛ قال تعالى : « جعله دكا » ويحتمل أن يكون مصدرا ، لأنه حين قال جعله كأنه قال دكه فقال دكا وأراد جعله ذا دك . فحذف وقد قرئ بالمد : أى جعله أرضا دكا . فحذف لأن الجبل مذكر ، ومن هذا : دك الركبة إذا دفنها وطمها ، ودك الرجل - على صيغة ما لم يسم فاعله - فهو مدكوك إذا دكته الحمى وأضعفته . والطور : الجبل ؛ والمراد به : طور سيناء . وقوله : يوم دك الطور ، إشارة إلى قوله تعالى : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا » .

(٤) كبد السماء : وسطها ؛ وواجفة : مضطربة ، وتمور : تذهب وتجيء . يقول : إن ضوء الشمس ضعف بموته ، فكأنها مريضة ، واضطربت الأرض فهي تذهب وتجيء . وهذا كله تعظيم لوت الرثى . وأصل هذا المعنى قول جرير يرثي عمر بن عبد العزيز :

وَحَنِيفٌ أُنْجِحَهُ اللَّائِكُ حَوْلَهُ وَعُيُونُ أَهْلِ اللَّادِئِيَّةِ صُورٌ^(١)
 حَتَّى أَتَوْا جَدَّتَنَا كَأَنَّ ضَرْبَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ تَحْفُورٌ^(٢)
 بِمَزُودٍ كَفَنَ اللَّيْلِ مِنْ مُلْكِهِ مُنْفٍ وَإِمْدُ عَيْنِهِ الْكَافُورُ^(٣)

الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةً تبكي عليك نجوم الليل والقمر^(١)
 ويقول ابن الرومي :

عَجِبْتُ لِلْأَرْضِ لَمْ تَرْجُفْ جَوَانِبُهَا وَلِلْجِبَالِ الرُّوَاسِي كَيْفَ لَمْ تَمِدْ
 عَجِبْتُ لِلشَّمْسِ لَمْ تَكْسِفْ لِمَهْلِكِهِ وَهُوَ الضُّيَاءُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَقْدِ
 (١) الحفيف : صوت أجنحه الطير إذا حركتها ، والملائك : الملائكة ، جمع ملك
 على غير قياس - وصور : جمع أصور ، وهو المائل ، ومنه قول الشاعر :

اللَّهُ يَنْفَلِمُ أَنَا فِي تَلَقُّتِنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِلَى أَحِبَابِنَا صُورٌ

واللاذقية : بلد الرقي . يقول : أحاطت بنعشه ملائكة السماء حتى سمع لأجنحتهم
 حفيف ، وعيون أهل بلده مائلة إلى نعشه لا يصرفون عيونهم عنه شوقاً إليه وحزناً
 عليه لشدة حبه إياه ، أو لأنهم - كما قال بعض الشراح - يسمعون حس الملائكة
 فيميلون إلى ذلك الحس الذي يسمعون . قال المكبري : وقوله : اللاذقية وصور - وهما
 بلدان - فيه تورية :

(٢) الجذث : القبر ؛ والضريح : الشق في وسط القبر . والحد في جانبه . وقوله
 حتى : غاية لخرجوا - في البيت الأسبق - تقديره : خرجوا به حتى أتوا القبر . وهذا
 من قول ابن الزيات :

يقول لي الخللانُ لو زرت قبرها فقلت وهل غيرُ الفؤاد لها قبرٌ ؟

(٣) بمزود : متعلق أتوا - في البيت السابق - والنفق : النائم ، وأغفى إغفاء :
 فهو مغف ؛ والإمْد : الكحل الأسود ؟ وملكه : تقرأها بضم اليم وبكسرهما -
 روايتان - يقول : لم يزود من ملكه إلا كفنا يلى ، وقد جعل الكافور - الذي يذر

(٤) يقول : إن الشمس طالعة تبكي عليك ، ولم تكسف ضوء النجوم ولا القمر
 لأنها في طلوعها خاشعة باكية لا نور لها : وقد تقدم الكلام على هذا البيت بأوفى
 من ذلك .

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّامَةُ وَالْتَقَى وَالْبَاسُ أَجْمَعُ وَالْحَجَى وَالْخَيْرُ^(١)
كَفَلَ الثَّنَاءَ لَهُ بِرِدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ^(٢)
وَكَأَنَّمَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ذِكْرُهُ وَكَأَنَّ عَازَرَ شَخْصَهُ الْمَقْبُورُ^(٣)

على وجه الميت - في موضع الكحل . وعبارة الواحدى : لم يزود من ملكه إلا كفنا
يلى ، وهو مغف كالنائم لإطباق جفنه ، وقد كحل بكافور - لا يأخذ - والإيمد : كحل
الحى ؛ والكافور : للميت .

(١) فيه : أى فى الكفن ، وأجمع تأكيد للناس . والحجى : العقل . والخير .
الكرم . وهذا من قول عبد الصمد بن العذل

فَضْلٌ وَحَزْمٌ وَجُودٌ ضَمُّهُ جَدَثٌ وَمَكْرَمَاتٌ طَوَاهَا التَّرْبُ وَالطَّرْ
(٢) يقول . إن ثناء الناس عليه وذكركم إياه بعده كفيل برد حياته ، لأن من بقى
ذكره كأنه لم يموت ، وهذا من قول منصور النمرى :

رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

ويقول أبو تمام :

سَلَفُوا يَرُونَ الذِّكْرَ عَيْشًا ثَانِيًا وَمَضَوْا يُمَدُّونَ الثَّنَاءَ خُلُودًا
ويقال : أنشر الله الميت ونشره ؛ قال المكبرى : ولما قال : انطوى وذكر الطى ، قال
منشور : وهو أضعف اللقبين .

(٣) يقول : ذكره أبدا يحيه كما أحيا عيسى عليه السلام عازر بعد أن مات :

واستزاده بنو عم الميت فقال ارتجالا :

غَاضَتْ أَنَامِلُهُ وَهْنٌ بِحُورٍ وَخَبَتْ مَكَائِدُهُ وَهْنٌ سَعِيرٌ^(١)
يُبْسِكِي عَلَيْهِ وَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ فِي اللَّحْدِ حَتَّى صَافَحَتْهُ الْحُورُ^(٢)
صَبْرًا بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكْرُمًا إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورٌ^(٣)
فَلِكُلِّ مَفْجُوعٍ سِوَاكُمْ مُشْبِهٌ وَلِكُلِّ مَفْقُودٍ سِوَاهُ نَظِيرٌ^(٤)
أَيَّامَ قَائِمٍ سَنَفِيهِ فِي كَفِّهِ السُّيُفَى وَبَاعَ الْمَوْتَ عَنْهُ قَصِيرٌ^(٥)
وَلَطَالَمَا انْهَمَكْتَ بِمَا أَتَمَرِ فِي شَفَرَتَيْهِ جَا حِمٌّ وَنُحُورٌ^(٦)
فَاعِيدُ إِخْوَتِهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ أَنْ يَحْزَنُوا وَمُحَمَّدٌ مَسْرُورٌ^(٧)

(١) غاضت : غارت ؛ وخبث النار : سكن لها ؛ والكايده : جمع مكيدة ، وهي ما يدبره الرجل في الحرب وغيرها من الرأى ؛ والسعير تسعير النار : يقول : للمات غاض بحر جوده الذي كان يفيض على الناس بالسطاء وانطفأت نارك كيده وكانت سعيرا على أعدائه :

(٢) يقول : ليس من حقه البكاء عليه ، لأنه لم يستقر في قبره حتى صافحته الحور في جنة الخلد ، وإذا كان بهذه المنزلة من الكرامة عند الله فلا يحق له البكاء ، قال الشاعر :
إِنْ يَكُنْ مُفْرَدًا بِغَيْرِ أَنْيْسٍ فَمَسَى أَنْ يَكُونَ بِالْحُورِ آنَسٍ
هذا ويهجو في « قراره » الرفع على الفاعلية ، والنصب على المصدر . قال ابن جني : ويختار النصب :

(٣) على العظيم : أى على الأمر العظيم : وروى ابن جني عن العظيم : أى عن المفقود العظيم :

(٤) يقول : ليس في العالم مثلكم ولا مثله ، وكلاهما عظيم :
(٥) العامل في أيام : محذوف ؛ تقديره لم يكن له نظير أيام الخ : أى أيام يقاتل أعداءه ، ويد الموت غير ممتدة إليه ، أو تقدير : أذكركم تلك الأيام التي لم ينل منه عدو فيها : ولكن إذا جاء أمر الله فلا بد من تقاضه :

(٦) انهملت : جرت وسالت ، وبرى : انهمرت ، وشفرتا السيف : جداه : يقول : طالما سالت الجاهم والنحور من أعدائه في حدى سيفه بالدماء
(٧) أعدته بالله من كذا : غصمته به منه ، وهي كلمة تقال في مقام التنزيه ؛ وأن

أَوْ يَرْغَبُوا بِقُصُورِهِمْ عَنْ حُمْرَةٍ
 حَيَّاهُ فِيهَا مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ^(١)
 نَقَرَ إِذَا غَابَتْ عُودُ سُيُوفِهِمْ
 عَنْهَا فَأَجَالَ الْعِبَادِ حُضُورٌ^(٢)
 وَإِذَا لَقُوا جَيْشًا تَبَيَّنَ أَنَّهُ
 مِنْ بَطْنِ طَيْرٍ تَنَوَّفَ بِحُشُورٍ^(٣)
 لَمْ تُنَنِّ فِي طَلَبِ أَعْنَةِ حَيْلِهِمْ إِلَّا وَغَرَّ طَرِيدُهَا مَبْتُورٌ^(٤)

يَحْزَنُوا : في تأويل مصدر مجرور بمن محذوفة صلة اعيد . قال ابن جني : الوجه أن يكون محمد الأول : النبي عليه الصلاة والسلام ، والثاني : الرثي . ويجوز أن يكون الأول واثني كلاما للرثي . يقول : لا ينبغي لهم أن يحزنوا عليه لأنه مسرور بما أصابه الله إليه من السكرامة والنعيم الدائم .

(١) يقال : رغب به عن هذا الأمر : أي رفعه عنه . يقول : وأعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت خيراً له من قبر صار روضة من رياض الجنة حتى حياه فيه الملكان منكر ونكير . أي أن قبره خير له من تلك القصور ومنزله في الآخرة . أشرف من منازل التي كانت في الدنيا . وقال ابن جني : يعني : وأعيذهم أن يرغبوا عنه ويتركوا زيارة قبره ويلزموا قصورهم . . . قال العروضي - ناقداً - ما أبعد ما وقع . . . أراد - التنبي - أن لا يحسبوا قصورهم أوفق له من الحفرة التي صارت من رياض الجنة حتى حياه فيها الملكان . . . وقال ابن فورجة : لكنه يقول : أعيذهم أن يظنوا أن قصورهم كانت لهم خيراً له من قبر حياه فيه الملكان . والمعنى : أعيذهم أن يرفعوا قصورهم فيجعلوها في حكمهم خيراً له من قبره ، فإن قبره خير له من تلك القصور : ومنزله في الآخرة أشرف من منازل في الدنيا .

(٢) يقول : هم - أي بنو إسحاق - نقر - أي رهط وجماعة - إذا سلوا سيوفهم فغابت بذلك عن أعينها ، حضرت آجال أعدائهم لأنهم يستأصلونهم في التو واللحظة فنقر : خبر مبتدأ محذوف ، وحضور : جمع حاضر .

(٣) التنوفة : الأرض البعيدة - المفازة - يقول : إذا حاربوا جيشاً من جيوش الأعداء تبين ذلك الجيش أنهم قاتلوه لاجالة ، فتأكله الطير حتى إذا جاء يوم إجلس - البعث - بعث من بطون الطير .

(٤) المبتور : المقطوع والأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام . يقول : لم تعطف

يَمُتُّ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نَيْفٍ
 إِنَّ الْمَحَبَّ عَلَى الْبَعَادِ يَزُورُ^(١)
 وَقَنَنْتُ بِاللَّقِيَا وَأَوَّلَ نَظَرٍ
 إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرُ^(٢)

أعنة خيل هؤلاء القوم في طلب عدو إلا وعمر ذلك العدو الذى طردته خيلهم واتبعتهم
 قد انقطع أجله .

(١) الشاسع : البعيد . وعن نية : أى عن قصد ، أو تقول : النية بمعنى النوى :
 أى البعد . يقول : قصدت ديارهم البعيدة لحبي إياهم لأن الحب يزور حبيبه وإن شطت
 به النوى ، كما قال القائل :

زُرْ مَنْ تَحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
 لَا يَمْنَعُكَ بُعْدٌ مِنْ زيارته إِنَّ الْحَبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ
 (٢) هذا من قول الموصلى :

إِنْ مَاقِلَ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَقَلِيلٌ مِنْ تَحِبِّ كَثِيرُ
 ومثله لجبل بئنة :

وإِنِّي ليرضيني قليل نوالكم وَإِنْ كُنْتُ لَا أَرْضَى لَكُمْ بِقَلِيلِ
 ولتوبة
 وَأَقْنَعُ مِنْ لَيْلِي بِمَا لَا أَنَالُهُ أَلَا كُلَّ مَاقِرَّتٍ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
 ولآخر :

جودوا على بمنطقٍ أحياء به إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِّ كَثِيرُ

وسأله بنو عم الميت أن يبنى الشمامة عنهم ؛ فقال ارتجالا :

أَلَا لَإِبْرَاهِيمَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِلَّا حَيْنٌ دَائِمٌ وَزَفِيرٌ^(١)
مَا شَكَّ خَابِرُ أَمْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّ الْعَزَاءَ عَلَيْهِمْ مَحْظُورٌ^(٢)
تُذَيِّ خُدُودَهُمُ الدُّمُوعُ وَتَنْقُضِي سَاعَاتُ لَيْلِهِمْ وَهُنَّ دُهُورٌ^(٣)
أَبْنَاهُ عَمَّ كُلُّ ذَنْبٍ لِأَمْرِي إِلَّا السَّعَايَةَ بَيْنَهُمْ مَفْغُورٌ^(٤)
طَارَ الْوُشَاةُ عَلَى صَفَاءِ وَدَادِهِمْ
وَكَذَا الذَّبَابُ عَلَى الطَّعَامِ يَطِيرُ^(٥)

(١) هذا استفهام إنكاري؛ والزفير: امتلاء الجوف من النفس لشدة الكرب والغم؛ يقول : ليس لهم إلا الحنين إليه والزفير على فقدته :

(٢) الخابر : العالم بالشيء ، مثل الخبير أو المهرب : يقول : لا يشك من خبرهم وعرف أمرهم أن السلوان ممنوع محرم عليهم لشدة حزنهم على فقدته : أي لا يصبرون عنه وهذا من قول البحترى :

حَالَتْ بِكَ الْأَشْيَاءُ عَنْ حَالَتِهَا فَالْحُزْنُ حِلٌّ وَالْعَزَاءُ حَرَامٌ
(٣) يقول : إنهم سيكون عليه دما ويسهرون لفقدته حتى يطول عليهم الليل فكأنه دهر : وهذا معنى تداوله الشعراء كثيرا ، وأصله بيت الحماسة :

يطول اليومُ لا ألقاك فيه وعامٌ نلتقي فيه قصير
(٤) يقول : كل من أذنب إليهم ذنبا فإنهم يغفرون له ذلك الذنب إلا الذنب من يسعى بينهم بالنيمة والإفساد :

(٥) يقول : إن الوشاة نموا بينهم قصد أن يكذبوا صفاء ما بينهم من ود ؛ مثلهم في ذلك مثل الذباب الذى يطير على الطعام ، كأنه يريد إفساده . وقال ابن جني : معنى طاروا : ذهبوا وهلكوا لما لم يجدوا بينهم مدخلا .. قال العروضي - ناقدنا - : يظلم نفسه ويفر غيره من فسر شعر المتن بهذا النظر ، ألا تراه يقول : وكذا الذباب على الطعام يطير ؛ أذهاب هذا أم اجتماع عليه ؟ وقال : طار الوشاة على ؛ ولو أراد ما قال ابن جني لقال : طار عنه ؛ وأراد أن الوشاة نموا بينهم وتماثلوا بالنيمة .. وقال ابن فورجة : كيف يعنى بقوله طار الوشاة ذهبوا وهلكوا وقد شبه طيرانهم على صفاء الود بطيران الذباب على الطعام ؟ يريد أن الوشاة تعرضوا لما بينهم وجهدوا أن يفسدوا ودادهم ، كما أن الذباب يطير على الطعام . والمتنى : أن اجتماع الوشاة وسعيهم فيما بينهم

وَلَقَدْ مَنَحْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ مَوَدَّةً جُودِي بِهَا لِعِدْوِهِ تَبْذِيرٌ^(١)
مَلِكٌ تَصَوَّرَ كَيْفَ شَاءَ كَأَنَّمَا يَجْرِي بِفَضْلِ قَضَائِهِ الْمَقْدُورُ^(٢)

وقال ارجع لا في أبي الحسين بن إبراهيم وقد دخل عليه وهو يشرب :
مَرَّتْكَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ صَافِيَةُ الْخَمْرِ
وَهُنَّتْهَا مِنْ شَارِبٍ مُسْكِرٍ الشُّكْرِ^(٣)

بالتأم دليل على ما بينهم من المودة ، كالذباب لا يجتمع إلا على طعام ؛ وكذا الوشاة إنما
يتعرضون للأجبة للتوادين ومثله :

وَجَلَّ قَدْرِي فَاسْتَحْلَوْا مُسَاجِلَتِي إِنَّ الذَّبَابَ عَلَى الْمَازِيِّ وَقَاعٌ
« الماذي : العسل الأبيض »

(١) أبو الحسين : أحد إخوة المرتضى . يقول : بذلت له من الود مالو بذلت مثله
لعدوه لكان ذلك مني إسرافا وتبذيرا ، لأن من عاداه لا يستحق مني مثل ذلك الود ،
فإذا بذلته له كنت متلافا واضعا للشيء في غير موضعه .

(٢) المقدور : القدر ؛ وفصل قضائه : حكمه الفاصل بين الحق والباطل . يقول :
كأن القدر يجري بمراده واختياره ؛ وصدر البيت من قول أبي تمام ،

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ
ومحجزه من قول ابن الرومي :

لَسْتُ تَحْتَاجُ بِالزَّمَانِ وَلَا الْمَقْدُورِ وَأَنْتَ الزَّمَانُ وَالْمَقْدُورُ

(٣) في قوله مرتك - كما قال الواحدى - نوعان من الضرورة : أحدهما أنه كان
يجب أن يقول : أمرأتك ؛ لأنه إنما يقال : مرأك إذا كان مع هناك فإذا أفرد قالوا أمرأتى
الطعام . والآخر أنه حذف همزة مرأتك . وقوله : مسكر السكر يريد أن السكر يستعذب
شماله ويستحسنها ، فيسكر السكر حسنها ، ويجوز - كما قال الواحدى - أن يكون
المراد أنه يغلب السكر ، والسكر لا يغلبه ، وعادته أن يغلب كل شيء ، فكأنه
قد غلبه .

رَأَيْتُ الْحَمِيَّاءَ فِي الرُّجَاجِ بِكَفِّهِ فَشَبَّهْتُهَا بِالشَّمْسِ فِي الْبَدْرِ فِي الْبَحْرِ^(١)
إِذَا مَا ذَكَرْنَا جُودَهُ كَانَ حَاضِرًا نَأَى أَوْ دَنَا يَنْسَى عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ^(٢)

* * *

وقال ارتجالاً وقد دخل على بدر بن عمار يوماً فوجده خالياً ، وقد أمر الغلمان أن يحجبوا الناس عنه ليخلو للشراب :

أَصْبَحْتَ تَأْمُرُ بِالْحِجَابِ لَخَلْوَةٍ هَيْهَاتَ لَسْتُ عَلَى الْحِجَابِ بِقَادِرٍ
مَنْ كَانَ ضَوْءُ جَبِينِهِ وَنَوَالُهُ لَمْ يُحْجَبَا لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ نَظَرِ^(٣)
فَإِذَا احْتَجَبْتَ فَأَنْتَ غَيْرُ مُحْجَبٍ وَإِذَا بَطَنْتَ فَأَنْتَ عَيْنُ الظَّاهِرِ^(٤)

(١) الحمياء : من أسماء الحجر : شبه الحجر بالشمس ، والزجاجة بالبدر ، وكفه بالبحر
وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي نواس :

فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّ شَارِبَهَا قَرَّ يَقْبَلُ عَارِضُ الشَّمْسِ

(٢) زعموا أن الخضر عليه السلام لا يذكر في موضع إلا حضر ؛ والخضر عند الصوفية : حى يرزق ، ولكن رجال الحديث ينكرون ذلك : يقول : لا نذكر جوده إلا كان حاضراً كالخضر ، يعنى أن جوده يدركننا حيثما كنا :

(٣) نظر في ضوء الجبين إلى قول قيس بن الخطيم :

قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ يَخْلُقُهَا الْخَالِقُ أَنْ لَا يُكْتَبَ سَدَفٌ^(١)

ونظر في الجود إلى قول أبي تمام :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّائِي بِرُؤْيَيْهِ وَجُودُهُ لِمُرَاعِي جُودِهِ كَتَبَ
ويقول أبو نواس :

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ سَاطِعًا عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتُهَا بِفِطَاءٍ

(٤) يقول : إذا احتجبت كنت غير محبوب ، وإذا اختفيت فأنت ظاهر ، يعنى
بجودك وهيتك : وهذا من قول أبي تمام :

فَنَعِمْتَ مِنْ شَمْسٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ خِذْرِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحْجَبِ

(١) السدف : الظلمة ؛ والمراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة .

وقال وقد أخذ الشراب منه عند بدر وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام ،
قال هذين البيتين وهو لا يدري :

نالَ الَّذِي نَلْتُ مِنْهُ مِنِّي لِلَّهِ مَا تَصْنَعُ الْخُمُورُ^(١)
وَذَا انْصِرَافِي إِلَى تَحَلِّي أَأَذِنُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ

(١) يقول : الشراب الذي نلت منه باحتسائه نال مني بالأخذ من عقلي وحيويتي ثم
تعجب مما تفعله الحجر ، والله أبو تمام إذ يقول :

وكأسٍ كَمَقْسُولِ الْأَمَانِي شَرِبْتُهَا وَلَكِنهَا أَجَلْتُ وَقَدْ شَرِبْتُ عَقْلِي
إِذَا الْيَدُ نَالَتْهَا بِوَقْرِ تَوَقَّرْتُ عَلَى ضِغْنِهَا ثُمَّ اسْتَعَادَتْ مِنَ الرَّجُلِ
ويقول أيضاً :

أَفِيكُمْ قَتَى حَيٍّ فَيَخْنُبُنِي عَقِي
بِمَا شَرِبْتُ مَشْرُوبَةَ الرَّاحِ مِنْ ذَهْنِي

(١٦ — الثاني ٢)

وقال يصف لعبة في صورة جارية ، وذلك أنه كان لبدر بن عمار جليس أعور يعرف بابن كروّس ، يحسد أبا الطيب لما كان يشاهده من سرعة خاطره ، لأنه لم يكن شيء يجري في المجلس إلا ارتجل فيه شعراً ، فقال الأعور لبدر : أظنه يعمل هذا قبل حضوره ويُعيّده ، فقال بدر : مثل هذا لا يجوز وأنا أمتحنه بشيء أحضره للوقت ؛ فلما كمل المجلس ودارت الكؤوس أخرج لعبة لها شعر في طولها ، تدور على لولب ، وإحدى رجلها مرفوعة ، وفي يدها طاقة ريحان ؛ فإذا وقعت حذاء إنسان شرب فدارت ؛ فقال ارتجالاً :

وَجَارِيَّةٌ شَعْرُهَا شَطْرُهَا مُحْكِمَةٌ نَافِذِ أَمْرُهَا^(١)
تَدُورُ وَفِي كَفِّهَا طَاقَةٌ تَضَمَّنَهَا مُكْرَهَا شَبْرُهَا^(٢)
فَإِنْ أَسْكُرْتَنَا فِي جَهْلِهَا بِمَا فَعَلْتَهُ بِنَا عُذْرُهَا^(٣)



(١) يقول : إن شعر هذه الجارية طويل قد جلل نصف بدنها ، فكأنه نصفها وقد حكمت في أهل المجلس فأطاعوها فيما تأمرهم به . لأنها كانت تدور ، فإذا وقعت حذاء واحد منهم شرب ، فأمرها فيهم نافذ مطاع . فشطرها : أى نصفها ؛ وقوله : نافذ أمرها ، يجوز في «نافذ» : الجر ، على أنه نعت سببي ، و«أمرها» فاعل ؛ والرفع : على أنه خبر مقدم عن أمرها ؛ والجملة : نعت .

(٢) يقول : إن هذه الطاقة من الريحان وضعت في كفها دون اختيار منها ، بل كرها ، لأنها لا تعقل :

(٣) يقول : فإذا أسكرتنا بوقوفها حذاءنا لنشرب ، فجهلها ما فعلت عذر لها ، لأنها لا تعلم ما تفعل :

وقال في بدر أيضاً وقد وقفت هذه الجارية حذاءه :

إِنَّ الْأَمِيرَ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ لِفَاخِرٍ كَسَيْتَ فَخْرًا بِهِ مُضَرٌّ^(١)
 فِي الشَّرْبِ جَارِيَةٌ مِنْ تَحْتِهَا خَشَبٌ
 مَا كَانَ وَالِدَهَا جِنَّ وَلَا بَشَرٌ^(٢)
 قَامَتْ عَلَى فَرْدٍ رَجُلٍ مِنْ مَهَابَتِهِ
 وَلَيْسَ تَفْقِلُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ^(٣)

-
- (١) يقول : إن العرب جميعا قد لبسوا نفرا به ، ويروى : كسبت
 (٢) في الشرب : أى بينهم . والشرب : جمع شارب ، وجن : اسم كان ؛ ووالدها
 خبر . وقد جعل اسم كان نكرة ضرورة . ومثله لحسان بن ثابت :
 كَانَ سَبِيئَةً مِنْ يَنْتِ رَأْسٍ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاهُ^(١)
 وللقطامي :
 قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعًا وَلَا يَكُ مَوْقِفَ مَنْكَ الْوَدَاعُ^(٢)
 (٣) مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ : أى ما تفعله وما تتركه .

(١) السبيئة : الحمر ، ويبت رأس : موضع بالشام ، وخبر كان - في البيت
 التالي - وهو :

عَلَى أَنْيَابِهَا أَوْ طَعْمُ غَضٍ مِنْ التَّفَاحِ هَصَرَهُ اجْتِنَاءُ
 (٢) مطلع قصيدة للقطامي يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي ، وضباع مرخم
 ضباعة وهى بنت زفر . وبعد البيت

قَفِي فَادِي أَسِيرِكِ إِنْ قَوْمِي وَقَوْمُكَ لَا أَرَى لَهُمُ اجْتِمَاعًا
 وقد كان القطامي أسيرا عند والدها . وقوله وَلَا يَكُ مَوْقِفَ إِنْ : يحتمل وجهين
 أحدهما أن يكون على الطلب والرغبة كأنه قال : لا تجعلى هذا الموقف آخر وداعى منك
 والآخر أن يكون على الدعاء ، كأنه قال : لا جعل الله موقفك هذا آخر الوداع

وقال لبدر : ما حلك على إحضار اللعبة ؟ فقال : أردت أن أنفي الظنة عن أدبك فقال :

زَعَمْتَ أَنَّكَ تَنفِي الظَّنَّ عَنْ أَدْبِي وَأَنْتَ أَعْظَمُ أَهْلِ الْمَعْرِ مِقْدَاراً^(١)
إِنِّي أَنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوفُ مَخْبَرُهُ يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَارِ دِينَاراً^(٢)
فقال بدر : بل للدينار قنطاراً فقال :

بِرَجَاءِ جُودِكَ يُطْرَدُ الْفَقْرُ وَبِأَنْ تُعَادَى يَنْفَدُ الْعُمْرُ^(٣)
فَخَرَّ الزُّجَاجُ بِأَنْ شَرِبْتَ بِهِ وَزَرَّتْ عَلَى مَنْ عَافَهَا الْخُمْرُ^(٤)
وَسَلِمْتَ مِنْهَا وَهِيَ تُسَكِّرُنَا حَتَّى كَأَنَّكَ هَابَكَ السُّكْرُ^(٥)
مَا يُرْتَجَى أَحَدٌ لِمَكْرَمَةٍ إِلَّا الْإِلَهِ وَأَنْتَ يَا بَدْرُ

(١) تنفي الظن : أى ما أتهم به من أنه لا يقدر على ارتجال الشعر ، وفى تعبيره بـ « زعمت » ما يشعر بأنه يريد أنى أبعد من أن يظن بى مثل ذلك ، فليس يعوزك أن تتجشم نفي هذا الظن عني .

(٢) يقول : إذا امتحنت تضاعف فضلى وارتفعت منزلتى ، ومثلى فى ذلك مثل الذهب الإبريز الخالص إذا اختبر بالسبك ، فإن ما كان منه يظن بادئ ذى بده أنه يساوى ديناراً قد يزيد قيمته ديناراً آخر . والمعروف : صفة للذهب ، ومخبره : مبتدأ ؛ خبره : بعده ؛ والمخبر : الخبر .

(٣) إذا رجونا جودك ذهب عنا الفقر ، لأنه فى أيدينا ؛ فبه يطرد الفقر ؛ وإن عوديت فى عمر من يعاديك لأنه عرض نفسه للتلف .

(٤) يقول إنك الكؤوس تفخر بشربك فيها ، والخمر تعيب من يعافها - يكرهها - إذ تشرفت بشربك إياها .

(٥) يقول : إنك تشرب وتسلم من غوائل الخمر ، بينما هى تسكر كل من شربها ، فكأنها لهيتها إياك وخوفها سطوتك ، لا تقدر أن تنال منك وتسرك .

وأراد الارتحال عن علي بن أحمد الخراساني فقال :

لَا تُنْكِرُونَ رَحِيلِي عَنْكَ فِي عَجَلٍ فَأَنْتَ لِرَحِيلِي غَيْرُ مُخْتَارٍ
وَرُبَّمَا فَارَقَ الْإِنْسَانُ مُهْجَتَهُ يَوْمَ الْوَعَى غَيْرَ قَالِ خَشْيَةَ الْعَارِ ^(١)
وَقَدْ مُنِيتُ بِحَسَادٍ أَحَارِبُهُمْ

فَأَجْمَلَ نَدَاكَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ أَنْصَارِي ^(٢)

وقال يصف مسيره في البوادي وما لقي في أسفاره ويذم الأعور ابن كروتس :

عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورٍ سَكَنَ جَوَانِحِي بَدَلَ الْخُدُورِ ^(٣)
وَمُبْتَسِمَاتٍ هَيْجَاوَاتٍ عَصْرِ عَنِ الْأَسْيَافِ لَيْسَ عَنِ الثُّغُورِ ^(٤)
رَكِبْتُ مُشْمَرًّا قَدَمِي إِلَيْهَا وَكَلَّ عَذَافِرِي قَلْبِي الضُّفُورِ ^(٥)

(١) للهجة : الروح ، والقالي : من قلاه أبغضه ؛ وخشية : مفعول لأجله ، عامله فاروق . شبه فراقه الممدوح بفراق الإنسان روحه . يقول : قد يعرض للبراء ما يوجب فراق روحه من غير بغض للروح ، كذلك أنا أفارقت كارها لذلك مضطرا .

(٢) منيت : بليت ، والندی : الجود ؛ والأنصار : جمع نصير ، بمعنى ناصر . يقول : إنني مبتلي بحساد أعاديهم فانصرت عليهم بجودك حتى أفخر عليهم بذلك فيموتوا كذا .

(٣) يقولون : عذيري من فلان ، إذا أرادوا الشكاية منه : أي من يعذرنى منه أي إذا أوقعت به وأسأت إليه فإنه يستحق ذلك . والعذارى : الأبكار لم يفرعن بعلم والمراد هنا : الأمور العظام والمحطوب التي لم يسبق إليها ولا عهد بمثلها . و«من» الأولى صلة عذيري والثانية : يمانية ، وهي مع مجرورها في موضع النعت لعذارى . والجوانح : الضلوع . يقول : إن هذه الأمور قد اتخذت ضلوعي وقلبي مسكنا كما تسكن العذارى الخدور .

(٤) الهيجاوات : جمع الهيجاء ، وهي الحرب ؛ ومبتسمات : عطف على عذارى ، وإضافة مبتسمات إلى هيجاوات يمانية ، وعن الأسياف صلة مبتسمات وليس هنا حرف بمنزلة لا . يقول : ومن عذيره من حروب تبسم هبواتها عن بريق السيوف لا عن الثغور - جمع ثغر مقدم الأسنان .

(٥) أصل التشمير : رفع الذيل ، يراد به الإشاحة والجد والإسراع . وقدمى :

أَوَانًا فِي بُيُوتِ الْبَدْوِ رَحَلِي وَأَوْنَةً عَلَى قَتَدِ الْبَعِيرِ^(١)
 أُعْرِضُ لِلرَّمَاكِ الصَّمِّ نَحْرِي وَأَنْصِبُ حُرًّا وَجْهِي لِلْمُهْجِرِ^(٢)
 وَأُسْرِئُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مِنْبِرِ^(٣)
 فَقُلْ فِي حَاجَةٍ لَمْ أَقْضِ مِنْهَا عَلَى شَفَعِي بِهَا شَرَوِي نَقِيرِ^(٤)

مفعول ركبت ، وإليها : متعلق بركبت ؛ والضمير للهيجوات . والعذافر : القوى من الإبل ؛ والناقة : عذافرة ؛ والصفور : جمع صفر ، وهو النسع - الحبل - تشديه . الرحال . والصفير : الحبل ؛ ومنه الحديث : « إذا زنت الأمة فبعها ولو بصفير » أى بحبل مفتول من شعر . فصيل بمعنى مفعول . يقول : قصدت الهيجوات - الحروب - راجلا وراكبا : أى مارستها فى كل حال . وكفى بقلق الصفور عن شدة السير والهزال .
 (١) الأونة : جمع أوان ؛ كزمان وأزمنة . والرحل : ما يستصحبه الرجل من الأثاث ؛ والقند : خشب الرجل . وقيل : القند من أدوات الرجل ؛ وقيل ، جميع أدواته ، والجمع اقتاد وقنود وأقند . قال الراجز .

كَأَنِّي ضَمَنْتُ هِقْلًا عَوْهَقًا اقْتَادَ رَحَلِي أَوْ كَدَرًا مُخْنَقًا

« الهقل الظليم ؛ والعوهق من النعام : الطويل ؛ والكدر : الغليظ ؛ والمخنق : الضامر القليل اللحم » يصف طول ارتحالها وقلة مقامه ، ومن ثم قال فى النزول : أوانا وفى الارتحال : آونة .

(٢) حر الوجه . ما بدا منه . والمهجير . شدة الحر وقت الهجرة ، وهى نصف النهار . والرماح الصم . أى الصلاب . وصدر البيت من قول القائل .

نُعْرِضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلْسَّبَابِ
 وعجزه من قول الآخر .

أَقُولُ لِبَعْضِهِمْ إِنْ شَدَّ رَحَلِي لَهَا جِرَّةٌ نَصَبَتْ لَهَا جَبِينِي

(٣) السرى والإسراء . السير ليلا . ومنه . فى موضع الحال من الضمير المستتر فى الظرف بعده . يقول : كأتى فى الظلام أسير فى القمر الوضاء لمرفق بالطرق والمفاوز واهتدأتى فيها .

(٤) قتل فى حاجة . أى قل ماشئت ، فإن مجال القول ذوسعة . وعلى . بمعنى مع . والظرف فى موضع الحال من فاعل أقض . وشغفى بها : حبها ، وشروى الشيء ، مثله والتعيم . نكتة فى ظهر النواة . يضرب مثلا للشيء الحقيق . يذكر كثرة تبعه وقلة

وَنَفْسٍ لَا تَجِيبُ إِلَّا خَسِيسٌ وَعَيْنٍ لَا تَدَارُ عَلَى نَظِيرٍ ^(١)
وَكَفٍّ لَا تَنَازِعُ مِنْ أَنَانِي يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي ^(٢)
وَقَلَّةٍ نَاصِرٍ جُوزِيَتْ عَنِّي بِشَرِّهِ مِنْكَ يَا شَرَّ الدُّهُورِ ^(٣)
عَدُوِّي كُلُّ شَيْءٍ فِيكَ حَتَّى
نَخَلْتُ أَلَاكُمْ مُوْغَرَةً الصُّدُورِ ^(٤)

نيله . يقول : كم من حاجة حاولت الحصول عليها ثم لم أتل منها شيئاً على شدة شغفي بها وحبيها ؟ .

(١) يقول : وكل ما شئت في نفس - يعني نفسه - لا تؤاتيني على أمر خسيس ولا تمنع به . وعين لا تفتح ولا تدار على نظير لي .

(٢) ينازعني : حال من فاعل أناني : وسوى . مفعول تنازع : والخير : الكرم . يقول : وكل ما شئت في كف - يعني كله - سخية لا تمسك شيئاً وتترك كل شيء لمن ينازعني إلا شرفي وكرمي فأني لا أسخو بها .

(٣) أي : وكل ما شئت في قلة من ينصرني على ما أطلبه ، ثم خاطب الدهر فقال : رماك الله يادهر بدهر شر منك يحني عليك كما جنيت على وأنت شر الدهور ؛ و« شر » أصله أشر ، تركوا همزته لكثرة الاستعمال .

(٤) عدوى : خبر مقدم ؛ وكل مبتدأ مؤخر . وخت : ظننت : واللام : للتوكيد أدخلها على الماضي على إضمار قد : والأكم : التلال ، جمع أكمة : وموغرة الصدور : متوقدة من الغيظ : يقول : إن كل شيء في الدهر يعاديه حتى ظن التلال التي لا تقبل تعاديه ، يريد بذلك البالغة : وقال ابن جني : قوله حتى خلعت إلخ : يحتمل أمرين ؛ أحدهما : يريد أن الأكم تنبوه ولا تطمئن إليه ، فكأن ذلك لعداوة بينها ؛ والآخر - وهو الوجه - أنه يريد شدة ما يقاسى فيها من الحر ، فكأنها : موغرة الصدور من قوة حرارتها ... قال ابن فورجة : أما المعنى الأول فيقال : لم يرد أن يستقر في الأكم فتنبوه وبشما يختار داراً ومقاماً . وأما المعنى الثاني فيقول : كيف خص الأكم بشدة الحر والمكان الضاحي للشمس أولى بأن يكون أحر ، ولأكمة ظل ، وهو أبرد من المكان الذي لا ظل له ؟ فهذا أيضاً خطأ ، والذي عن أبو الطيب أن كل شيء يعاديه حتى خشي أن الأكم التي لا تقبل تعاديه ، ويريد بذلك : البالغة ، وإن لم يكن ثم عداوة .

فَلَوْ أَنِّي حُصِدْتُ عَلَى نَفِيسٍ لَجَدْتُ بِهِ لَذِي الْجَدِّ الْعَثُورِ ^(١)
وَلَكِنِّي حُصِدْتُ عَلَى حَيَاتِي وَمَا خَيْرُ الْحَيَاةِ إِلَّا سُرُورِ ^(٢)
فَيَا ابْنَ كَرُوسٍ يَا نِصْفَ أَعْمَى وَإِنْ تَفَخَّرْ فَيَا نِصْفَ الْبَصِيرِ ^(٣)
تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لُكْنٍ وَتُبَغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عُورِ ^(٤)
فَلَوْ كُنْتَ أَمْرًا يُهْجَى هَجُونًا وَلَكِنْ ضَاقَ فِترٌ عَنْ مَسِيرِ ^(٥)

(١) و (٢) النفيس : تقيض الحسيس : والجد العثور أو العائر ؛ الحظ النعس الذي يتعثر صاحبه ويعانى العناء في سعيه : يقول : لو حصدني الناس على شيء نفيس يرغب فيه لجدت به على المحروم والمحروب منهم ، ولكنهم إنما يحسدوني على حياتي مع أنها ليست بالشئ الذي يحسد عليه ويرغب فيه لأنها خلو من السرور ، وإلا لجدت بها عليهم أيضاً كي أستريح منهم ومن سرورهم : وقال بعض الشراح : يعني حصدوني على سروري وأنسى وأرادوا أن أكون محزوناً أبداً ، وإذا طلبوا ذلك فكأنهم طلبوا موتي ، فإن حياة الحزين موت : وكفى بالحياة عن السرور لأن الحياة إذا عدم منها السرور لم تكن حياة : هذا : وقوله : لذى الجد العثور ، يروي لذا الجد العثور : أى لهذا الجد العثور ، يعني لجدت به لهم لما أنا فيه من الحظ النحوس .

(٣) هذا ابن كروس كان أعور ، وكان يعاديه ، ومن ثم سماه نصف أعمى ونصف بصير لأنه باعتبار العين الذاهبة نصف أعمى ، وباعتبار الباقية نصف بصير ، يعني إن غرت يبصرك فأنت ذو بصر واحد.

(٤) يقول : إنما تعاديننا لما بيننا من الضادة لأنك الكن - ثقل اللسان - وأنا فصيح ؛ وأنت أعور وأنا بصير .

(٥) يقول : لحستك لا مجال للشعر فيك ، فإن الهجاء يرتفع عن قدرك والفتور يضيق مقداره عن المسير فيه ، كذلك أنت : ليس لك عرض يهجي ومثل هذا قول القائل .

بما أهجوك لا أدري لسانى فيك لا يجزى
إذا فكرت في عرضك أشفقت على شعري

وقال يمدح أبا محمد الحسين بن عبد الله بن طنج :

وَوَقْتُ وَفَى بِالذَّهْرِ لِي عِنْدَ وَاحِدٍ وَفَى لِي بِأَهْلِيهِ وَزَادَ كَثِيرًا^(١)
شَرِبْتُ عَلَى اسْتِحْسَانِ ضَوْءِ جَبِينِهِ وَزَهْرٍ تَرَى لِلْمَاءِ فِيهِ خَرِيرًا
غَدَا النَّاسُ مِثْلَهُمْ بِهِ لَا عَدِمَتْهُ وَأَصْبَحَ ذَهْرِي فِي ذَرَاهُ دُهُورًا^(٢)

وقال وقد كره الشرب وكثر البخور وارتفعت رائحة الند والأصوات بمجلسه :

أَنْشَرُ الْكِبَاءَ وَوَجْهَ الْأَمِيرِ وَصَوْتُ الْفَنَاءِ وَصَافِي الْخُمُورِ^(٣)
فَدَاوِ خُمَارِي بِشُرْبِي لَهَا فَإِنِّي سَكِرْتُ بِشُرْبِ الشُّرُورِ^(٤)

(١) يقول : إن وفقى عنده يفي بالدهر كله ويعادل ، كما أن المدوح يفي بأهل الدهر ويزيد عليهم . وقوله : عند واحد ، يروى : عند سيد .

(٢) في ذراه : في كنفه . يقول : إنه لعظمة شأنه يعادل بالناس كلهم ، فالناس به ضعفا مأم عليه ، ودهره عظم القدر به ، فصار به الدهر دهوراً .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة . والكباء : العود الذي يتبخر به . ونشر : مبتدأ ، خبره محذوف . العلم به ، كأنه يقوله : آتجتمع هذه الأشياء لأحد كما اجتمعت لي ؟ قال بعض الشراح : يعني : لا تجتمع هذه الأشياء لأحد ولا يشرب إلا كان معدوم الحس . وقال بعض الشراح : إن الواو — في قوله : وصافي الخمر — للمصاحبة ، سد العطف بها مسد الجر ، كما في قولهم : كل رجل وضعته .

(٤) يقول : إني قد سكرت من سروري حين اجتمعت لي هذه الأشياء فدأو خماري والجار : صداع الجار — يشرب الجار ، أي إنما أريد شرب الجار ، لأنقى الجار ، لا للسكر ، فإنني سكران من السرور . وعبارة بعض الشراح : قوله : يشربني ، صلة خماري والمعنى : لا تزدني من الجار ، ولكن التمس لي دواء من سكرى بها ، فإنني قد سكرت من سروري بهذه الأشياء ، فلا أحتمل سكرًا آخر

وقال أبو محمد يوماً : إن أباه استخفى مرة ، فعرفه رجل يهودى فقال :

لَا تَلُومَنَّ الْيَهُودِيَّ عَلَى أَنْ يَرَى الشَّمْسَ فَلَا يُنْكِرُهَا^(١)
إِنَّمَا اللُّؤْمُ عَلَى حَاسِبِهَا ظُلْمَةٌ مِنْ بَقْدِمَا يُبْصِرُهَا^(٢)

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر ، فأعاده ؛ فمجبوا من حفظه إياه فقال :

إِنَّمَا أَحْفَظُكَ لِـ دِيحِ بَقِيَّتِي لَا بِقَلْبِي لِمَا أَرَى فِي الْأَمِيرِ^(٣)
مِنْ خِصَالٍ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظَّمْتُ لِي غَرَائِبَ الْمَشْهُورِ^(٤)

(١) و (٢) روى هذان البيتان برفع القافية ونصبها ، فالرفع على الاستثناف ، والنصب عطف على يرى ؛ وإذن : يروى البيت الثانى من بعد أن يصورها . يقول : لا يلام من رأى الشمس وقال : هذه شمس ، لا ، إنما اللوم على من رآها وقال : هذه ظلمة وضرب ذلك مثلاً . يقول : إن أباه شمس فلا يستطيع الاختفاء ، لأن الشمس لا تخفى ؛ ومثله للمعكوك :

سما فوق الرجال فليس يخفى وهل فى مطلع الشمس التباس ؟
(٣ و ٤) من خصال : بيان لقوله لما أرى . يقول : لا أحتاج إلى حفظ مدائمه بقلى لحضور معانيها أمام عيني ؛ وهى ما أراه من خصال الأمير ، فإني كلما نظرت إليها هيأت لى ما أنظمه فيها من غرائب المشور فأنطق به ؛ أو تقول : أنا أشاهد بعيني ما أمدح به الأمير من خصال إذا نظرت إليها نظمت غرائب المشور ، فبيني تنظم فضائله لأنها تدركها وتشاهدها ، لا قلبى ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :
وحاكة شِعْرِ حَسَنُوا الْقَوْلَ مِنْهُمْ وَمِنْكَ أفعالِكَ أمتاز حُسْنُهُ
ومثله لابن المعتز :

إذا ما مدحناه استعنا بفعله لناخذ معنى مدحه من فعاله

وعاتبه أبو محمد على تركه مدحه فقال :

تَرَكَ مُدْحِيكَ كَالهَجَاءِ لِنَفْسِي وَقَلِيلٌ لَكَ اللَّدِيحُ الْكَثِيرُ^(١)
غَيْرَ أَنِّي تَرَكْتُ مُقْتَضِبَ الشَّعْرِ لِأَمْرِ مِنْهُ لِي بِهِ مَعْدُورُ^(٢)
وَسَجَايَاكَ مَا دَحَانُكَ لَا لَفْظِي وَجُودٌ عَلَى كَلَامِي يُغَيِّرُ^(٣)
فَسَقَى اللَّهُ مَنْ أَحَبُّ بِكَفَيْكَ وَأَسْفَاكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ^(٤)

(١) مدحيك : أى مدحى إياك. وقوله: وقليل لك اللديح الكثير ، من قول إسحاق ابن إبراهيم الوصلى :

إذا استكثر الحساد ما قيل فيكم فإن الذى يستكثرون قليل

(٢) القتضب — هنا — مصدر بمعنى الاقتضاب ، وهو فى الأصل : الاقتطاع والمراد : ما أتى به بديها . هذا : ولم يبين للتبلى ذلك العذر الذى اعتذر به فى ترك الشعر ، كأنه كان عذرا واضحا قد عرفه المدوح فأهمل ذكره .

(٣) ينول : إنما يمدحك ما فىك من الأخلاق الحميدة التى أراها فأتعلم المدح منها ، والجود الذى يستغرق كلامى فى وصفه حتى كأنه يغير عليه وينبه ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

ولا مدح ما لم يمدح المرء نفسه بأفعال صدق لم تشنها الخسائس

(٤) سقاء الله وأسفاه : أمطر بلاده ، لغتان نطق بهما القرآن الكريم ، قال تعالى:

« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » . وقال سبحانه : « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » يقول : سقى الله أحبائى غيث كفيك حتى يخلصوا بجودك ، وسقاه غيثه حتى تتاح لهم السقيا بسقياك .

وقال عند منصرفه من مصر وقد وصل إلى البسيطة ، فرأى بعض غلمانه ثوراً فقال : هذه منارة الجامع ، ورأى آخر نعامة في البرية فقال : هذه نخلة ؛ مضحك أبو الطيب وقال :

بُسَيْطَةٌ مَهْلًا سَقِيتِ الْقَطَارَا تَرَكَتِ عُمُيُونَ عَبِيدِي حَيَارَى^(١)
فَظَنُّوا النَّعَامَ عَلَيْكَ النَّخِيلَ وَظَنُّوا الصُّوَارَ عَلَيْكَ الْمَنَارَا^(٢)
فَأَمْسَكَ صَحْبِي بِأَكْوَارِهِمْ وَقَدْ قَصَدَ الضُّحْكَ فِيهِمْ وَجَارَا^(٣)

وقال يمدح على بن أحمد بن عامر الأنطاكي :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذًا وَمَيِّ الصَّبْرُ^(٤)
وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلِّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
وَمَا ثَبَّتَتْ إِلَّا وَفَى نَفْسِهَا أَمْرُ^(٥)

(١) بسيطة : موضع بقرب الكوفة ؛ والقطار : جمع قطرة ، أى قطر المطر ، وحيارى : جمع حيران .

(٢) عليك — فى الشطرين — حال من المنسوب قبله ، والصوار : القطيع من البقر ، والمنار : منارة الجامع — المثناة :

(٣) الأكوار : الرجال ، وقصد : اقتصد ، وجار : مال . يقول : أمسك أصحابي برحالم لأنهم لم يملكوا أنفسهم من الضحك وقد ذهب الضحك فيهم كل مذهب فذهب من اقتصد ومنهم من أفرط فيه .

(٤) وحيدا حال من فاعل أطاعن ، وقوله : ما قولى ، استفهام ، وكذا مفعول قولى يقول : أنا أقاتل فرسانا الدهر أهدم : أى أنى أقاتل الدهر وأحداثه وحيدا لا ناصر لى ثم رجع عن هذا وقال : لم أقول لى وحيد والصبر مئى ؟ يريد مقاساته شدائد الدهر ونوبه وصبره على ذلك وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

* فَإِنِى مِنْ زَمَانِى فِي حُرُوبِ *

(٥) يقول : إن سلامتى وبقاها مئى فى هذه الطاعنة أشجع مئى ، وهذا مجاز ،

تَمَرَّسْتُ بِالْآفَاتِ حَتَّى تَرَكَتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ دُعِيَ الذُّعْرُ^(١)
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْآتِيِّ كَأَنِّي لِي
سِوَى مُهَيِّجٍ أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وَتَرُ^(٢)
دَرِ النَّفْسِ نَحْذُ وَسُفَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
كَمُفْتَرَقِ جَارَانِ دَارُهُمَا الْقَمَرُ^(٣)
وَلَا تَحْزَنَنَّ الْمَجْدَ زَقًّا وَقَيْنَةً
فَإِ الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتَكَةُ الْبَكْرُ^(٤)

يريد أنى اسلم من هذه الأحداث فلا تصينى بسوء ، ثم قال : وما بقيت سلامتى إلا لأمر عظيم ، يعنى ليس بقائى وسلامتى إلا لأمر عظيم سيظهر على يدي .

(١) تمرس بالشئ : احتك به . والآفات : جميع آفة ، وهى فى الأصل العاهة والمراد هنا : ما يصيب من يتصدى للأخطار والهالك من قتل وجراحة ونحوهما ، والذعر : الخوف . يقول : تمرست بالآفات فى الأسفار والحروب حتى تعجبت من سلامتى وتجلدى لها وقالت : هل مات الموت إذ لم يصب هذا التمرس بى ، أو خافت المخاوف فلا تخيفه ؟ يريد أن الآفات لو كانت ممن ينطق لقاتل هذا القول لكثرة ما ترائى أمارسها من غير خوف يلحقى ولا هلاك يصينى .

(٢) الآتى : السيل الذى لا يرد شئ ، والوتر : الدخل والثأر . تقول : أقدمت على الشدائد والأهوال إقدام السيل الذى لا يرد شئ ، حتى كأن لى سوى نفسى نفساً أخرى إن ذهبت نفسى كانت لى بدلاً أو كأن لى ثأراً عند نفسى فأنا أريد إهلاكها .

(٣) ذر : بمعنى دع ؛ وتروى : دع ؛ والوسع : الطاقة . ومفترق : مبتدأ ، سند المرفوع بعده مسد الخبر ، جرى فيه على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف . جعل الجسم والروح جارين والعمر دارهما ، وصحبتهما تكون مدة العمر ، فإذا فنى العمر افترقا . يقول : دع نفسك تأخذ ما تطيق مما تصبو إليه نفسك من لذة أو مال أو سلطان فإنها غير باقية مع الجسد . قال العكبرى : وهذا من أحسن الكلام ، وهو من الحكمة . قال الحكيم : من قصر عن أخذ لذاته عديمها وعدم صحة جسمه .

(٤) الزق : وعاء الحجر . والقينة هنا : المغنية . والفتكة : المرة من الفتك وهو

وَتَضْرِبُ أَغْشَاقَ الْمُلُوكِ
لَكَ الْمَهَبَاتُ السُّودُ وَالْعُسُكْرُ الْمَجْرُ^(١)
وَتَرْزُكُكَ فِي الدُّنْيَا دَوِيًّا كَأَنَّكَ
تَدَاوُلُ تَمَعِ الْمَرْءِ أُنْمَلُهُ الْقَشْرُ^(٢)
إِذَا الْفَضْلُ لَمْ يَرْفَعَكَ عَنْ شُكْرِ نَاقِصٍ
طَلَى هَيْتَهُ فَالْفَضْلُ فِيمَنْ لَهُ الشُّكْرُ^(٣)

البطش ، والبكر من كل شيء ، الذي لم يسبقه نظير . يقول : لا تظنن المجد والشرف أن تلهو بشرب الخمر وسماع القيان ، لا — فليس المجد إلا ضرب السيف والبطش بالأعداء بطشاً لم يسمع بمثله .

(١) وتضرب : عطف على السيف . والمهبوات : جمع هبوة ، وهي الغبرة العظيمة والمجر : الجيش الكثير . وأن ترى لك المهبوات السود : أى أن تثير الغبار بحوافر الحيل لدى الطعان والنزال .

(٢) الدوى : الصوت العظيم يسمع من الريح وخفيف الأشجار . وتداول — يحذف إحدى التاءين — أى تداول ، ولك أن تقرأها على أنها فعل ماض ؛ والأتمل : رؤوس الأصابع . يقول : وأن ترك في الدنيا جلبة وصياحا عظيماً — جلبة المساعي الجسام وصياح الأفاعيل العظام — كأن المرء سد مسامعه بأنامله على وجه التداول : إذا أنأى واحدة أدنى أخرى ، وذلك أن الإنسان إذا سد أذنه سمع ضجيجاً وجلبة ، وعبرة الواحدى : يريد أنه لا يسمع إلا الضجة حتى كأنه سدمسامعه عن غيرها وتقل بعضهم هذا المعنى ، وجعل ذلك خريز دموعه فقال :

فَاخْشُ صِمَاخَيْكَ بِسَبَابَتِي كَفَيْكَ تَسْمَعُ لِدُمُوعِي خَرِيرًا

قال العكبرى : وهكذا من يتعرض لمعانى التنبي يحىء شعره أبرد من الزمهرير (٣) يقول : إذا لم يرفعك فضلك عن أخذ هبة الناقص وشكره عليها ، فالفضل حينئذ له ، لا لك ، لأنه قد استوجب شكره ، فصار له عليك فضل الشكور على الشاكر . يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا يحتاج إلى أن تشكره . وهذا المعنى يتضمن الحض على أن يحترم الأديب نفسه وأن يربأ بأدبه

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ
مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي قَعَلَ الْفَقْرُ^(١)

عن أن يسف به . قال العكبري : وهذا من كلام الحكمة . قال الحكيم : من لم يرفع نفسه عن قدر الجاهل ، يرفع قدر الجاهل عليه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عَيَّاشُ إِنَّكَ لِلثِّيمِ وَإِنِّي إِذْ صَرْتُ مَوْضِعَ مَطْلَبِي لِلثِّيمِ
وقد ذهب ابن جني في تفسير البيت مذهباً أثار عليه نقد سائر الشراح قال : إذا اضطرتك الحال إلى أن تشكر أصغر الناس على ما تبلغ به فالفضل فيك ولك لالدوح المشكور . . . قال العروضي — مشنعاً — يقول أبو الطيب فالفضل فيمن له الشكر : ويقول أبو الفتح : فالفضل فيك ولك ؟ فتغير اللفظ وفسد المعنى ؛ والذي أراد التنبيه أن الفضل والأدب إذا لم يرفعك عن شكر الناقص على هبة فتمدحه طمعاً وتشكره على هبته ، فالناقص هو الفاضل لا أنت ، يشير إلى الترفع عن هبة الناقص والتزهد عن الأخذ منه حتى لا تحتاج إلى أن تشكره . . . وقال ابن فورجة : الذي أراد أبو الطيب أنه إذا كان الفضل لا يرفعك عن شكر ناقص على إحسان منه إليك ، فإن الفضل لمن شكرته لا لك لأنك محتاج إليه : يعني أن الغنى خير من الأدب ، يريد إذا كان الأديب محتاجاً إلى الغنى ، فالغنى أنه يعرض على ترك الانبساط إلى الثيم الناقص حتى لا يشكر فيكون له الفضل . وقال الواحدى : الذي أدخل الشبهة على أبي الفتح أنه تأول في قوله : فالفضل فيمن له يريد الشاكر ، فالتاكر له الشكر من حيث إنه يشكرك ، فذهب إلى هذا فأفسد المعنى . وإنما أراد أبو الطيب بقوله من له الشكر : المشكور على إحسانه .

(١) يقول : من يجمع للمال خوف الفقر كان ذلك هو الفقر ، لأنه إذا جمع حرم ، والحرمان فقر . وعبرة الخطيب : إذا أفنيت دهرَكَ في جمع المال ولم تنفقه فقد مضى عمرُكَ في الفقر . فمَن يكون غناكَ ؟ فقد تعجلت الفقر . قال العكبري : وهذا البيت من أحسن الكلام وبديعه ، وهو من كلام الحكمة . قال الحكيم : من أفنى مدته في جمع المال خوف الفقر والعدم فقد أسلم نفسه للعدم . ويقول قائلهم :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ وَأَخَّرْتَ إِفْثَاكَ مَا تَجَمُّعُ
فَصِرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنِيُّ فَمَا كَانَ يَنْفَعُ مَا تَصْنَعُ

وقال آخر :

عَلَى لِأَهْلِ الْجُبُورِ كُلِّ طَيْرَةٍ عَلَيْهَا غُلَامٌ مِنْ حَبِزُومٍ غَيْرُ^(١)
يُدِيرُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْمَنَآيَا حَيْثُ لَا تُشْتَهَى الْحَرُّ^(٢)
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّي الْجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدٌ أَنَّي الْبَحْرُ^(٣)
وَحَرْقٍ مَكَانُ الْعَيْسِ مِنْهُ مَكَانُنَا
مِنْ الْعَيْسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ^(٤)

يَخُوفُنِي بِالْفَقْرِ قَوْمِي وَمَا دَرَوْنَا بَأَنَ الَّذِي فِيهِ أَفَاضُوا هُوَ الْعَسْرُ
فَقُلْتُ لِمَ لِمَا لَحُونِي وَأَكْثَرُوا أَلَا إِنْ خَوْفُ الْفَقْرِ عِنْدِي هُوَ الْفَقْرُ
وَقَالَ لَتَمَانِ الْحَكِيمِ : مَنْ دَافَعَ الْفَقْرَ بِالْقَلْبِ قَبْلَ الْفَقْرِ فَقَدْ تَجَبَّلَ الْفَقْرَ .
(١) الجُبُورُ : الظُّلَمُ ؛ وَالطَّمْرَةُ : الْفَرَسُ الْوَتَائِبَةُ نَشَاطًا وَمِرَاحًا : وَالْحَبِزُومُ :
الصدر ، وَالغَمْرُ : الْحَقْدُ . يَقُولُ : يَحْقُقُ عَلَى أَنْ أُسَوِّقَ إِلَى أَهْلِ الظُّلْمِ عَسْكَرًا لِحُبِّهِ فِيهِ
كُلُّ فَرَسٍ نَشِيطٌ يَحْمِلُ فَارِسًا قَدْ امْتَلَأَ صَدْرُهُ حَقْدًا عَلَيْهِمْ وَغِيظًا وَحَقًّا فَلَا تَأْخُذْ بِهِمْ
رَافَةً . وَعِبَارَةٌ جَمِيعُ الشَّرَاحِ : أَنَا كَقِيلٍ بَغِيلٍ فَرَسَانَهَا هَؤُلَاءُ .
(٢) يَدِيرُ : أَيُ الْغَلَامِ . يَقُولُ : يَدِيرُ عَلَيْهِمْ كُؤُوسُ الْمَوْتِ حِينَ لَا تُشْتَهَى الْحَرُّ وَلَا
تَرَادُ لَهْوُ مَآمٍ فِيهِ مِنَ الْقِتَالِ ، وَلَئِنَّا الْحَرُّ تُشْتَهَى عِنْدَ وَقْتِ الْفَرَجِ وَالْأَرْبَعَةِ وَالْفَرَاغِ .
(٣) جُبْتُ : قَطَعْتُ . يَقُولُ : كَمْ مِنْ جِبَالٍ تَشْهَدُ لِي بِالْأَنَاءَةِ وَالْوَقَارِ ، وَبِحَارٍ تَشْهَدُ
لِي بِسَعَةِ الصَّدْرِ وَالسَّخَاءِ ؟ وَلَعَلَّهُ يَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ .

فَقِي لَا يَرَاهُ الْبَحْرُ إِلَّا أَظْلَهُ خَوَاطِرُ فَنَكَّرَ أَنَّهُ زَاخِرُ الْبَحْرِ
(٤) وَحَرْقٍ : عَطَفَ عَلَى جِبَالٍ ؛ وَالْحَرْقُ : الْمَفَازَةُ الْوَاسِعَةُ ؛ وَمَكَانُ الْعَيْسِ مَبْتَدَأُ
وَمَكَانُنَا : خَبْرُهُ . وَوَاسِطُ الْكُورِ بَدَلٌ مِنْ مَكَانُنَا . وَالْعَيْسُ : الْإِبِلُ ، وَوَاسِطُ الْكُورِ
مَقْدَمُ الرَّحْلِ وَالضَّمِيرِ فِي مَنْهُ وَفِيهِ : لِلْحَرْقِ . وَقَالَ ابْنُ الْقَطَّاعِ : مَكَانُ الْعَيْسِ : مَبْتَدَأُ
وَمَكَانُنَا : ابْتِدَاءُ ثَانٍ ، وَوَاسِطُ الْكُورِ : خَبْرُ الْإِبْتِدَاءِ الثَّانِي ، وَالْجُمْلَةُ خَبْرُ الْأَوَّلِ .
يَقُولُ : لَسَعَةً هَذَا الْحَرْقُ وَطُولُ مَسَافَتِهِ وَتَرَامَى أَطْرَافُهُ كَانَتْ إِبِلُنَا كَأَنَّهَا لَا تَنْتَقِلُ عَنْ
ظَهْرِهِ وَلَا تَزَالُ مَتَوَسِّطَةً لَهُ ، كَمَا أَنَّنَا كُنَّا عَلَى ظُهُورِ إِبِلِنَا لَا تَنْتَقِلُ عَنْهَا وَلَا تَزَالُ مَتَوَسِّطَةً
ظُهُورِهَا ؛ وَهَذَا لِلْعَيْنِ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَةِ :

وَمَهْمَتُهُ فِيهِ السَّرَابُ يَلْسَحُ يَذَّابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا
ثُمَّ يَظْلُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَبْرَحُوا كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

يَخْدُنَ بِنَا فِي جَوْزِهِ وَكَأَنَّهَا عَلَى كُرَّةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَمَّا سَفَرُ^(١)
وَيَوْمَ وَصَلْنَاهُ بِلِيلٍ كَأَنَّهَا عَلَى أَفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلُلٌ مُخَرَّ^(٢)

وقال ابن جني : الإبل كأنها واقفة لا تذهب ولا تجيء لسعة هذا الحرق ، فكأنها ليست تبرح منه ؛ فكما نحن في ظهور العيس لا نبرح منها في أوساط أكوارها : كذلك هي كأن لها من أرض هذا الحرق كورا وظهرا فقد أقامت به لا تبرحه . . . قال الواحدى — ناقدآ — : وقد غلط ابن جني فيما ذكر ، إنما يصف مفازة قد توسطها ، فهو على ظهر البعير في جوزه — وسطه — فكأنه من ظهر الناقة مكانها من الحرق ، والمعنى : أنا في وسط ظهور الإبل ، والإبل في وسط ظهر الحرق ! ولم يتعرض في هذا البيت لوقوفها ولا لبراحها ، ثم ذكر سيرها في البيت الثاني فقال : يخدن بنا الخ : فكيف يتجه قول ابن جني مع قوله يخدن بنا ؟ وهذا يحتمل معنيين : أحدهما : إننا وإن كنا نسير فكأننا لا نسير لطول المفازة ، وإنه ليس لها طرف كالكرة لا يكون لها طرف ينتهى إليه والثاني إنه يصف شدة سيرهم : والكرة توصف بشدة الحركة كقول بشار :

كَأَنَّ فَوَادَى كُرَّةٍ تَنْزَى حِذَارَ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحِذَارُ

(١) يخدن : يسرن سيرا سريعا ، وجوزه : وسطه ، وسفر أى مسافرة . يقول : إن إبلنا كانت تسير بسرعة في هذا الحرق ولا تبلغ آخره فكأننا نسير على كرة — والكرة ليس لها طرف تنتهى إليه — أو كأن أرض هذا الحرق تسير معنا فلا تقطعها ولا نفوتها ، وهذا ، كما يقول السرى الرفاء :

وَحَرَقٌ طَالَ فِيهِ السَّيْرُ حَتَّى حَسِبْنَاهُ يَسِيرُ مَعَ الرَّكَّابِ

وإذا أسرع الإنسان في السير رأى الأرض كأنها تسير معه من الجانبين ، لهذا قال : أو أرضه معنا سفر ، يعنى نحن نسير بسرعة ولا نبليغ مدى هذا الحرق ، فكأنه يسير معنا ، كما قال أبو النجم :

فَكَأَنَّ أَرْضَ اللَّهِ سَائِرَةٌ مَعَنَا إِذَا سَارَتْ كِتَابُهُ

(٢) ويوم : عطف على ما تقدم ، والضير في أفقه : ليل ، وليس ليل أفق ، وإنما أراد أفق السماء في ذلك الليل : أى ناحيتها . يصف إدابهم السير ووصلهم فيه اليوم بالليل . وقوله : كأنما على أفقه الخ : مثله قول ابن ميادة :

وَأَلَيْسَ عُرْضُ الْأَفْقِ ثَوْبًا كَأَنَّهُ عَلَى الْأَفْقِ الْفَرْبَى ثَوْبٌ مُصَفَّرٌ

(١٧ — التنبئ ٢)

وَلَيْلٍ وَصَلْنَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّمَا
عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلٌّ خُضْرُ^(١)
وَعَيْثُ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عَامراً
عَلَا لَمْ يَمُتْ أَوْ فِي السَّحَابِ لَهُ قَبْرُ^(٢)
أَوْ ابْنِ ابْنِهِ الْبَاقِي عَلَى بَنٍ أَحْمَدِ
يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجْزُ وَيَدِي صِفْرُ^(٣)

ومثله ليحيى بن الفضل :

حتى إذا ما الفجر لاح كأنه ثوب على أفق السماء مُعْصَفَرٌ
(١) متنه : ظهره ؛ والدجن : الظلمة . وأراد به الغيم ، والدجن : إلباس الغيم
السماء . يقول : كأن على متن ذلك اليوم من ظلمة السحاب حلالاً سوداء ، والسواد يسميه
العرب خضرة ، قال ذو الرمة :
في ظلٍّ أخضرَ يدعوهامه اليومُ *

أو يريد أنه سافر في أيام الربيع والأرض خضراء .
(٢) قوله تحت : حال من ضمير المتكلمين . يقول : ورب مطر ظنتاه ونحن تحت
أن عامراً - وهو جد الممدوح - في السحاب ارتفع إليه ولم يمُت ، فهذا المطر من جوده ،
أو أن قبره في السحاب فأعداه بجوده . وقبر : معطوف على خبر أن ، تقديره : علام يمُت
أو أن له قبراً في السحاب .
(٣) ابن : عطف على عامراً ، والباقي : نعت ابن ، وسكنه ضرورة ، وصفرت اليد
فهي صفر ، ولا يقال صفرة . يقول : لو لم أعبر هذا الغيث وبدي خالية لقلت : إن ابن
ابنه - يعني الممدوح - كان في السحاب ، وهو الذي يجود بذلك الغيث ، ولكن لما
عبرت وبدي خالية علمت أنه جود - بفتح الجيم : أي مطر - لا جود ، لأن عادته أن
يملاّ يدي بالهبّات .

والبيتان من قول أبي تمام :

وراحة مُزَنَّةٍ هطلاء تهى مواهرها وهنّ على سكب
فقلت يدُ السماء أم ابنُ وهبٍ تجلى للندى أم عاش وهبُ ؟

وَإِنَّ سَحَابًا جَوْدَهُ مِنْهُ جُودُهُ سَحَابٌ عَلَى كُلِّ السَّحَابِ لَهُ فَخْرٌ^(١)
فَتَى لَا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمَاتِ قَلْبِهِ وَلَوْ ضَمَّهَا قَلْبٌ لَمَا ضَمَّهُ صَدْرٌ^(٢)
وَلَا يَنْفَعُ الْإِمْكَانُ لَوْلَا سَخَاؤُهُ
وَهَلْ نَافِعٌ لَوْلَا الْأَكْفُ الْقَنَّا السُّمُرُ^(٣)
قِرَانٌ تَلَاقَى الصَّلْتُ فِيهِ وَعَامِرٌ كَمَا يَتَلَاقَى الْهِنْدُوَانِيُّ وَالنَّصْرُ^(٤)

(١) الجود - بفتح الجيم - المطر . يقول : إن السحاب الذى يشبه مطره بسخائه يحق له أن يفخر على جمع السحب .

(٢) يقول : إن ما توافر فى قلبه من الهم لا يجمعه قلب غيره ، ولو ضمها قلب أحد لكان عظمًا مثلها ، ولو كان كذلك لما وسعه الصدر لعظم القلب قال الواحدى : وهذا مما أجرى فيه المجاز مجرى الحقيقة ، لأن عظم الهمة ليس من كثرة الأجزاء حتى يكون محلها واسعًا لسعتها ألا ترى أن قلب المدوح قد وسعها وصدره قد وسع قلبه وليس بأعظم من صدره غيره ؟ وقد قال ابن الرومى :

كَضْمِيرِ الْفَوَادِ يَلْتَهُمُ الدُّنْيَا وَتَحْوِيهِ دَقَّتْ حَزَنُومُ

فبين أن الفؤاد يستغرق الدنيا بالعلم والفهم ثم يحويه جانبنا الصدر :

(٣) المراد بالإمكان : اليسر والغنى ؛ والقنا : الرماح . يقول : لولا سخاؤه لما اتبع الناس بغناه ، لانه قد يكون الغنى مع الشح فلا ينفع ، لأن المال لا ينفع إلا مع السخاء الذى يصرفه فى المنافع ؛ والمعنى أن الوجود لا ينفع بلا جود ، كالرماح لا تعمل ولا تنفع بدون الأيدي الطاعنة بها . كما يقول البحتري :

إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ حَامِلٌ فَلَا قَطْعَ إِنَّ الْكَفَّ لَا السِّيفَ تَقَطَّعُ
ويقول أيضاً :-

فَلَا تَغْلِيَنَّ السِّيفَ كُلَّ غَلَاثِهِ لِيَمْضَى فَإِنَّ الْكَفَّ لَا السِّيفَ تَقَطَّعُ

(٤) الصلت جد المدوح لأمه ، وعامر جده لأبيه . وقوله قران : لك أن تجعله مرفوعاً بفعل مضمر تقدير أنجب به قران هذه حاله ، مثلاً ؛ والقران فى الأصل : اسم لقارنة الكوكبين . جعل جدته من الطرفين فى المصاهرة ونسب المدوح كقران الكواكب تعظيماً له ، ثم شبه اجتماعهما . باجتماع السيف الهندى مع الزهر ، فإذا اجتمعا حسن أثرهما وعلا أمرهما وبلغا غاية العز والمجد ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلى .

فَجَاءَ بِهِ صَلَّى الْجَبِينِ مُعْظَمًا تَرَى النَّاسَ قُلًّا حَوْلَهُ وَهُمْ كَثُرُ^(١)
 مُغْدَى بِآبَاءِ الرِّجَالِ سَمِيذَعًا هُوَ الْكَبِيرُ الْمُدَّ الَّذِي مَالَهُ جَزَرُ^(٢)
 وَمَا زَلْتُ حَتَّى قَادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ يُسَايِرُنِي فِي كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ^(٣)
 وَأَسْتَكْبِرُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَّقِينَا صَفَرَ الْخَبَرَ الْخَبَرَ^(٤)
 إِلَيْكَ طَعْنًا فِي مَدَى كُلِّ صَفْصَفٍ بِكُلِّ وَاقٍ كُلُّ مَا لَقِيتَ نَحْرُ^(٥)

(١) جَاءَ بِهِ : أى الجدان المذكوران ؛ ويروى جَاءَ : أى القران : وصلت الجبين وضح أو الواسع المستوى الجليل وهو حال . يقول : ترى الناس حولك وهم كثيرون في العدد ، قليلون بالقياس إليه . والقل : القلة ، والكثُر : الكثرة ؛ والتقدير : ذوى قل ، أى فى المعنى ، وهم ذوو كثرة فى العدد ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلَوْا كَمَا غَيْرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا
 (٢) مُغْدَى : حال أخرى ، كما أن معظما - فى البيت السابق - حال أولى : أى يقول له الرجال : فدينك بآبائنا ، والسَمِيذَعُ : السيد الكريم ؛ والد : زيادة الماء ؛ والجَزَرُ : نقصانه ؛ وجعله كراماً - وهو مصدر - مبالغة لكثرة وجوده منه : أى هو ذو الكرم ذى المد : يقول : هو كرم زائد لا نقصان له .

(٣) خَبَرَ مَا زَلْتُ : يسايرنى ؛ والركب : جماعة الركاب . يقول : ما زلت يسايرنى فى كل ركب ذكره حتى قادنى الشوق إليه : أى أننى قبل أن أصل إليه كنت أسمع ذكره ، وما صاحب أحد إلا وهو يذكره بمدح وثناء ، وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

لَأَشِيءُ أَحْسَنُ مِنْ ثَنَائِي سَائِرًا وَنَدَاكَ فِي أَفْقِ الْبِلَادِ يَسَايِرُهُ
 (٤) الْخَبَرُ : الخبر والاختبار . يقول : كنت استعظم ما أسمع من الناس من أخباره وذكره الشائع قبل أن ألقاه ، فلما لقيته وخبرته صغر الاختبار الخبر : أى وجدته خيراً مما كنت أسمع . وهذا من قوله صلوات الله وسلامه عليه لزيد الحنبل وقد وفد عليه : « ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الوصف سواك ، فإنك فوق ما وصفت لى » . ويقول القائل :

كَانَتْ مُحَادَّةَ الرِّكْبَانِ تَخْبِرُنِي عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ طَيْبَ الْخَبَرِ
 ثُمَّ التَّقِينَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي
 (٥) الصَّفْصَفُ : الفلاة المستوية ؛ والوَاقُ : الناقة القوية . جعل سير الناقة فى الفلاة

إِذَا وَرِمَتْ مِنْ لَسَعَةٍ مَرَحَتْ لَهَا
 كَانَ نَوَالاً صَرَ فِي جِلْدِهَا النَّبْرُ^(١)
 فَجِئْنَاكَ دُونَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ فِي النَّوَى
 وَدُونَكَ فِي أَحْوَالِكَ الشَّمْسُ وَالْبَدْرُ^(٢)
 كَانَكَ بَرْدُ الْمَاءِ لَا عَيْشَ دُونَهُ وَلَوْ كُنْتَ بَرْدَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنِ الْهَيْشُ^(٣)

طعناً ، وجعل ما يقطعه من الأرض نحرأ : أى كل ما مرت به كأنه صدر طعناه بها ،
 يقول : أينما قصدت من الأرض قطعه وجازته لا تبالي بسهل ولا وعراً : بمنزلة الطعنة
 إذا أصابت نحرأ فإتها تنفذ فيه نفاذاً ذا أثر بالغ . قال الوجدى : ويجوز أن يكون
 المعنى : كل ما لقيه هذه الناقة من مشاق الطريق نجر لها : أى يفعل بها فعل النحر ،
 فكأنها تنجر في كل ساعة .

(١) النبر : دويعة تلسع الإبل فيرم موضع لسعها . يقول : إذا لسع النبر هذه
 الناقة فورمت من أثر اللسع مرحت - نشطت واحتدت - في سيرها حتى لكأنه صر في
 جلدها نوالاً - عطاء - شبه موضع اللسعة المتورم بصرة فيها دنائير ودرهم ، فكأنها
 مرحت لذلك وقالوا : إن النبر إذا لسع الجمل ورم مكان اللسعة حتى يصير مثل الرمانة
 الصغيرة ، فلذلك حسن تشبيهه بالصرة في جلدها : يقول : إن الشدائد لا تقل حد
 مراحمها : أى أنها لا تبالي في طريقها إلى المندوح بشيء ينالها .

(٢) يقول : جئناك وأنت دونهما في البعد : أى أقرب إلينا مطلباً منهما وهما -
 الشمس والبدر - دونك في جميع أحوالك ، فأنت أعم نفعاً وأشهر ذكراً وأعلى منزلة
 وقدرأ : أى أنك - على بعدك - فإن الوصول إليك والإفادة منك أقرب وأيسر . وقوله
 دون الشمس : حال من المخاطب ؛ والنوى : البعد . قال الخطيب : ولم يعبر
 عبارة جيدة .

(٣) العشر : أبعد أظاء الإبل ، وهو أن ترها يوماً وتدعه ثمانية أيام وترد اليوم
 العاشر أعطش ما تكون . يقول : لو كنت برد الماء لما غادرت غلة إلا أطفأتها حتى
 تستغنى الإبل عن معاودة الشرب ، وقال الواحدى : لو كنت الماء لو سعت بطبع الجود
 كل حيوان في كل مكان وفي ذلك ارتفاع الأظاء . وقال ابن جني : أى كانت تجاوز المدة
 في وردها العشر لغنائها بعذوبتك وبردك .

دَعَانِي إِلَيْكَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْحَجَى
وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرِ تَكَادُ بَيُوتُهُ
وَهَذَا الْكَلَامُ النَّظْمُ وَالنَّائِلُ النَّسْرُ^(١)
إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُ مِنْ نُورِهَا الْحَبْرُ^(٢)
نَجُومُ الثَّرِيَا أَوْ خَلَائِقُ الزَّهْرِ^(٣)
وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمَا النَّسْرِ^(٤)
وَأَهْوَنَ مِنْ مَرَأَى صَغِيرٍ بِهِ كِبَرُ^(٥)

(١) يقول: دعاني إلى أن أتجمع وأصمد إليك ما آثرك الله به من العلم والحلم والحجى - العقل - وما أعدده لك من منظوم في مدحك وما عهدناه فيك من النائل - العطاء - الذى تنثره نثرا على قاصديك ، وقيل يعنى بالكلام النظم : كلام المدوح ونظمه .

(٢) يروى قلت - بضم التاء - فىكون ذلك تأييداً لما ذهبنا إليه من تأويل البيت السابق ؛ ويروى بفتح التاء فىكون المعنى ماذهب إليه الواحدى ، قال : يقال إن هذا المدوح حسن الشعر مليحه . وقوله بيوته : أى آيات الشعر . وقوله يبيض من نورها : أى من نور معانيها ، أو من نور ما تضمنته من محاسنك . وهذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

وَلِذَئِجِكَ قُلْتُهَا كَلِمَاتٌ هُذِّبَتْ فِيكَ أَيْمًا تَهْذِيبُ

سَوَدَتْ فِيكَ كُلُّ بَيْضَاءٍ تَسْوِيْدًا تَرَاهُ السُّيُوءُ كَالْتَهْذِيبِ

(٣) الخلائق : الأخلاق ؛ والزهر : جمع أزهر ، وهو المضى الشرق . شبه معانى شعره فى فصاحة ألفاظه بنجوم الثريا فى اتساقها وجمالها ، وبأخلاق المدوح الزاهرة المشرقة فى إشراقها وسطوعها وشهرتها .

(٤) يقتضينى يطالبنى . يقول . تنكبت السلاطين وتنحيت عن تصديهم لأنى أجتوهم وأمقتهم ولأنه بوى أن أعصف بهم وأقتلهم حتى أقدم لحومهم للنسور التى تترقب أكلها ، فهى تطالبنى بمجاهمهم ، وهو المتنبي يقول ذلك وأكثر من ذلك لطموحه وبعد مرتقى همته ، وإن كان كثيرون يعدون مثل ذلك من حماقة .

(٥) الضر هنا : الفقر وسوء الحال . يقول : إن معاناة الفقر والحاجة أهون عندي وأحب إلى من أن أرى أو ألقى صغيراً - حقيراً - متكبراً ويروى بدل مرأى : لثيا ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكيم : أعظم ما على النفوس : إعظام ذوى الدناءة .

لِسَانِي وَعَيْنِي وَالْفَوَادُ وَهَمِّي
 أَوْدُ اللَّوَاتِي ذَا اسْمَهَا مِنْكَ وَالشُّطْرُ^(١)
 وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشُّعْرِ كَلَّهُ
 وَلَكِنْ لِشَعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ^(٢)
 وَمَاذَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ رَوْنَقًا
 وَلَكِنْ بَدَأَ فِي وَجْهِهِ تَحْوِكَ الْبِشْرِ^(٣)
 وَإِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَمَأْلَمُ
 بِأَنَّكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ^(٤)

(١) تقول : رجل ود — بتثنية الواو — بمعنى ودود ، والجمع أود . وقوله والشطر : الأوجه أنه عطف على لسانى . يقول : إن لسانى وعينى وفؤادى وهمتى تود لسانك وعينك وفؤادك وهمتك . وكذلك شطرى : أى أن كل شطر منى يود شطراً منك ؛ يعنى أن كلى يود كلك ، بقوله : أود اللواتى ذا اسمها منك : أى ودودة اللواتى تسمى منك بهذه الأسماء : أى اللسان الخ . قال الواحدى : والغرض من هذا البيت : التعمية فقط ، وإلا فما الفائدة من هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب ؟ ! أقول : ومن ثم تخطب فيه الشراح أيعا تخطب .

(٢) يقول : إني لم أستقل وحدى بهذا الشعر ولكن ظاهرنى عليه شعرى ، لأنه تهالك على مدحك ونزع إليه ورغب فيه كما رغبت . وللعنى : إن شعرى كان يطاوعنى ويؤاتينى فى مدحك حتى لكأنه كان ينظم معى ، والله قول أبى تمام فى هذا المعنى :

تَفَايَرَ الشُّعْرُ فِيهِ إِذَا رَقْتُ لَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ قَوَائِمَهُ سَتَقْتَلُ

(٣) ما : نافية ؛ وذا : اسم إشارة . ورونق : السيف والوجه وما إليهما ماؤه ونضرتة . والبشر : طلاقة الوجه وتهله . يقول : ليس الذى يرى فى شعرى من الحسن رونقه هو : أى رونق فصاحته وبلاغته ، ولكن شعرى تهلل وجهه ابتهاجا بلقائك واحتشراً ضاحكا ناضراً حين رآك ، فهذا الرونق إنما هو مستفاد منك .

(٤) الذى يوجب القدر : أى الذى يستدعيه قدرك ويستحقه ؛ ورواه قوم نلت بضم التاء — أى وإن نلت أنا وأنا من بعض خلمك ، وليس بشيء .

أَزَالَتْ بِكَ الْإَيَّامُ عَنِّي كَأَنَّمَا بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عُذْرٌ^(١)

• •

وقال يمدح أبا الفضل محمد بن العميد^(*) :

بَادٍ هَوَاكَ صَبْرَتَ أُمِّ لَمْ تَصْبِرَا وَبُكَاءُكَ إِنْ لَمْ يَجْرِدْ مُعْكَ أَوْ جَرَى^(١)

(١) يقول : لما سمحت الأيام بلقائك أزالتي عني عليها لأنني رأيت من إحسانك ما أنساني سيئات أهلها ، فكان الأيام أنت بك عذراً عن ذنوب بنينا . والمصراع الأول من قول أبي تمام :

نَوَالِكَ رَدَّ حُسَادِي فُلُولَا وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَبَيْنِي
والثاني من قوله أيضاً :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِي وَقْدِ يُرَى بِنْدَاكَ وَهُوَ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبٌ
ويقول أبو نواس :

يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
ويقول ابن الرومي :

أَتَمَّ أَنْاسٌ بِأَيَادِيكُمْ يَسْتَغْفِرُ الدَّهْرُ إِذَا أذُنَا
إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَى أَهْلِهِ وَزَادَ فِي عِدَّتِكُمْ أَعْتَابَا

(*) ذكر الخطيب التبريزي - في شرحه - : إن المتنبي لما قصد مصر ومدح كافوراً
مدح الوزير أبا الفضل جعفر ابن الفرات وزير كافور بقصيدته الرائية التي أولها :
* باد هواك صبرت أم لم تصبرا *

وجعلها موسومة باسمه ، فكانت إحدى قوافيها جعفرأ ، وكان قد قال فيها :

صفت السوار لأي كف بشرت بابن الفرات وأي عبيد كبرا

فلما لم يرضه صرفها عنه ولم ينشده إياها ، فلما توجه إلى عضد الدولة قصد أرجان -
وبها أبو الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة والد عضد الدولة ؛ والكاتب الأديب
الكبير المعروف - فحول القصيدة إليه ، وحذف منها لفظ جعفرأ ، وجعل ان العميد
مكان ابن الفرات .

(٢) يقول - مخاطباً نفسه - : سواء أصبرت أم لم تصبر : هواك ظاهر للناس باد ،

كَمْ غَرَّ صَبْرُكَ وَأَبْتَسَامُكَ صَاحِبًا لِمَا رَأَاكَ وَفِي الْحَشَى مَا لَا يُرَى^(١)

وأى محب يستطيع أن يكتم حبه وهناك آياته من التحول والاصفرار وما إليهما وبكاؤك كذلك غير خاف على الناس : أجرى دمعك أم لم يجر ؟ لأن ما يبدو في صوت الحب من نعمة الحزن والزفير والشهيق والتهيو للبكاء شواهد على الدموع . وقال بعض الشراح : وبكاك : عطف على الضمير في قوله صبرت ، تقديره صبرت وصبر بكاءك فلم يجر دمعك أو لم تصبر فجري ، « هذا » : وقد قيل للتنبي خالفت في هذا البيت بين سبك الصراعين فوضعت في الصراع الأول إيجابا بعده نفي ، وفي الثاني نفي بعده إيجاب ، فقال لأن كنت خالفت بينهما من حيث اللفظ فقد وفقت بينهما من حيث المعنى . وذلك أن من صبر لم يجر دمه ، ومن لم يصبر جرى دمه : يعنى أنه أراد : صبرت فلم يجر دمعك أو لم تصبر فيجرى . . . وقوله لم تصبرا : أراد تصبرن - بنون التوكيد الخفيفة - فأبدلها ألفا . قال العكبرى : ومثله كثير في الكلام كقوله تعالى « ألقيا في جهنم » الخطاب للمالك وحده ، وإنما المعنى ألقين ، ومثله قول الحجاج : يا حرسى اضربا عنقه . والخطاب لواحد . والمعنى : اضرب عنقه ، ومثله تسويد بن كراع العقيلي :

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر وإن تتركاني أحمر عرضا ممنا
والخطاب لواحد . فهذا شاهد على ألقيا واضربا ، ومثله :

* فلا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا *

فقد جاء في الكتاب العزيز : النون الخفيفة بالألف خطأ في قوله تعالى « ليسجنن وليكونا » ومثله : « لنسفعا بالناسية » وقول الراجز :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخا على كرسية معمما

(١) يقول : كم غر صبرك وابتسامك من نظر إليك حتى ليظن أنك غير عاشق لأنه يرى صبرا وضحا ظاهرين ولا يرى مافي الباطن من الاحتراق والوجد ؟ ورد في الصباح النبي : أنه لما أنشد هذا البيت قال ابن العميد : يا أبا الطيب أ تقول ياد هواك ثم تقول كم غر صبرك ؟ فما أسرع ما نقضت ما ابتدأت به ! فقال المتنبي : تلك حال وهذه حال . . . وإني لأحسب المتنبي حين سمع هذا النقد من ابن العميد قد امتعض ، فاختصر الجواب أجزا اختصار . . . ومراده أن الحال التي يذكرها في البيت الثاني سابقة على الحال المذكورة في البيت الأول ، لأنه يريد أن صبره كان يغر الناظر إليه قبل أن أسقمه الهوى وغير منظره ، ولكنه لما استحل جسمه بعد ذلك : استدل الناظر بنحوه على

نظر الدرس اطلع على

أَمَرَ الثُّوَادُ لِسَانَهُ وَجُفُونَهُ فَكَتَمْنَهُ وَكَفَى بِجِسْمِكَ مُخْبِرًا^(١)
تَعَسَ الْمَهَارِيُّ غَيْرَ مَهْرِيٍّ غَدَا
بِمُصَوِّرٍ لَيْسَ الْحَرِيرَ مُصَوِّرًا^(٢)

كونه عاشقاً فبدا هوام ولم يعد صبره ولا ابتسامه يغنيان عنه شيئاً في كتم المهوى ؛ وقد زاد هذا المعنى بياناً في البيت الذي يلي .

(١) الثُّوَادُ في الجسد بمنزلة الملك ، فلماذا جعله آمراً للسان والجفن . يقول : أمر القلب اللسان بالكتمان والجفون بإسك الدموع فأطعنه وكتمن ولكن جسمك بنحوه دل على ما في قلبك ؛ والضمير في قوله فكتمنه : عائد على قوله مالا يرى - في البيت السابق - وجسمك : فاعل كفى ؛ والباء : زائدة ، ومخبراً : خلف من موصوف يتميز . وهذا المعنى بسبيل من قول الآخر :

خَبَّرِي خُذِيهِ عَنِ الضَّنَى وَعَنِ الْأَمَى لَيْسَ اللِّسَانُ وَإِنْ تَلَفْتُ بِمُخْبِرِ
(٢) تعس : كبا وعثر ، وقد يراد به الهلاك ، والمهاري : جمع مهري والبعير مهري والناقة مهريّة نسبة إلى مهرة بن حيدان : أبي قبيلة عرفت بحسن القومة على الإبل وتقول في الجمع : مهاري ومهار ومهاري . قال رؤبة :

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلٌّ مِثْلَهُ بِنَا حَرَاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ^(١)
وقوله غير مهري : استثناء ، وغدا : أي ذهب غدوة . يدعو بالتعس على الإبل كلها ما عدا ركوبة الحبيب لتسلم من العثار فيسلم الحبيب من الوقوع - هذا الحبيب الذي لبراعة حسنه كأنه صور تصويراً ، والذي يلبس الديباج منقشاً بالصور .

(١) قبله :

وَنَخْفِي مِنْ لَهْلِهِ وَلَهْلِهِ فِي مَهْمَةٍ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمَةٍ
أَنْعَمِي الْمُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْمَمَّةِ بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلٌّ مِثْلَهُ
بِنَا حَرَاجِيجُ الْمَهَارِي الثَّنْفَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالنَّوْهِ

الحقق : الموضع الذي يخفق فيه السراب ، واللهل : المكان المستوى الذي ليس به علم ، وغول كل ميله : أي بعده يريد مكاناً بعيداً يغتال المشي فلا يستبين فيه ولا يكاد يقطع من بعده ، والميله الفلاة التي توله الناس وتخبرهم ، والحراجيج : جمع حرجوج ، والناقة الوقادة الحادة القلب أو الضامرة ، والثنف : جمع نافه

نَافَسْتُ فِيهِ صُورَةً فِي سِتْرِهِ لَوْ كُنْتُهَا تَخَفَيْتُ حَتَّى يَظْهَرَ^(١)
لَا تَتَرَبِّ الْأَيْدَى الْمُتَقَيِّمَةُ فَوْقَهُ

كَيْسَرَى مَقَامَ الْحَاجِبَيْنِ وَقَيْصَرَ^(٢)
يَقِيَانٍ فِي أَحَدِ الْهَوَاجِجِ مُثَلَّةً رَحَلَتْ فَكَانَ لَهَا فَوْأَدَى مَحْجِرًا^(٣)

(١) يقول : إني أنس لأجل الحبيب المصور على الصورة التي في ستر هو دجه وأحسدها لقربها منه ، ولو كنت تلك الصورة لحفيت حتى يظهر هو ، فأراه ويزول الحجاب وخفاء الصورة يستتبع خفاء الستر فمضى خفاء الصورة انكشاف الستر ، ومتى انكشف انكشف الحبيب فيراه المحب . وإليك عبارات سائر الشراح قال ابن جني : لو كنت الصورة التي في ستره لزلت حتى يظهر الذي فيه لرأى العين وذلك أن كل أحد يحب أن يراه ودونه ستر فلو كنت ذلك الستر لانكشف حتى يظهر للناس ويزول ذلك الحجاب . وقال الواحدي : أنا أحسد الستر لأجل الحبيب الذي في هودجه لقربها منه ، يعني الصورة ، ولو كنت الصورة لحفيت حتى يظهر الحبيب فتراه الأبصار . وقال ابن القطاع : إنما تعني أن يكون صورة في سترها ليشاهدها كل وقت ، ثم قال : لو كنتها لحفيت من نحو لي فلم أسترها عن العيون وكانت تظهر للناظرين .

(٢) لا تترب : لا تفتقر ، ويقال ترب الرجل : افتقر وصار على التراب ، ولا تربت يداك : أى لا افتقر « أو مسكينا ذا مترية » صار على التراب لفقره . وكسرى : لقب ملوك العجم ، وقيصر : لقب ملوك الروم . يريد أن صورة كسرى وقيصر كانت على الستر وكأنهما أقما مقام حاجبين يحجبان هذا المصور . يدعو التنبي للأيدى التي نسجت ذلك الستر وصورت الملكين عليه بأن لا تترب . وفيه نظر إلى قول أبي نواس :

قَرَارَتَهَا كَسْرَى وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَى تَدْرِيهَا بِالْقَسَى الْفَوَارِسِ

(٣) الهوارج : جمع هودج ، مركب النساء على الجمال ، والمحجر : ما حول العين ، يقول : إن هذين الحاجبين يصرفان السوء - من الغبار ، وحر الهواء وحر الشمس -

وهي اللعينة . وفي الحديث : نفهت نفسك : أعيت وكلت ، وقال أبو سعيد : لم يجد رؤية موضعها إنما يقال رجل منفوه الفؤاد إذا ضعف من صوم أو جهد ، ويجذبته يريد يجذب أنفسهن فيه . وقوله والتأوه . هو مثل قول النقيب العبدى .

إِذَا مَا قُمْتُ أَرْحَلُهَا لَيْلِي تَأَوَّهَ آهَةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ بَيْنَهُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَوْ كَانَ يَنْفَعُ حَائِنًا أَنْ يَحْذَرَا^(١)
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ إِذْ أَغْتَدْتُ رُؤُودَهُمْ لَمَنْعْتُ كُلَّ سَحَابَةٍ أَنْ تَقْطُرَا^(٢)
 فَإِذَا السَّحَابُ أَخُو غُرَابٍ فَرَأَاهُمْ جَعَلَ الصِّيَاحَ بَيْنَهُمْ أَنْ يُمَطِّرَا^(٣)
 وَإِذَا الْحَمَائِلُ مَا يَحْدُنَ يَنْفَنَفُ إِلَّا شَقَقْنَ عَلَيْهِ ثَوْبًا أَخْضَرَا^(٤)

عن مقالة أحد الهوارج - يعنى هودج الحبيب - وكفى عنه بالقلة - العين - لعزته ، وجعل فؤاده محجراً لتلك القلة ، والمعنى أنها كانت ضياء قلبي بمثابة عين القلب ، فلما ارتفعت عنى عمى قلبي والتبس على أمرى وقصدت لبي كمقله ذهبت وبقي الحجير ، وينظر في هذا التشبيه إلى قول أبي تمام :

إِنْ الْخَلِيفَةُ حِينَ يُظْلِمُ حَادِثٌ عَيْنُ الْمَدَى وَلَهُ الْخِلَافَةُ مَحْجَرُ

(١) الحائِن : المهالك . يقول : كنت أحذر بينهم - بعدهم وفراقهم - قبل حدوثه ولكن الحذر لا يدفع المخدور ، لأنه متى قدر وقع لا محالة .

(٢) الرواد : جمع رائد ، وهو الذى يرتاد لأهله السكلا والماء ، واحتدث مثل غدت : أى ذهبت غدوة . يقول : لو قدرت حين بعثوا روادهم لمنعت السحاب أن يمطر حتى لا يحدوا ماء ولا كلاً يرتحلون إليهما للاستنجاع .

(٣) قال الواحدي : هذا كلام فيه حذف لا يتم المعنى دون تقديره ، كأنه قال : لمنعت كل سحابة أن تمطر لأنى تأملت الحال ، فإذا السحاب - الذى هو أخو الغراب في التفريق - أبعدهم عنا . جعل السحاب أخا الغراب ، لأنه سبب الافتراق عند الاستنجاع وتبعب مساقط الغيث في الريح كمادة أهل العير السيارة ، ولما جعله أخا الغراب جعل المطر كصياح الغراب ، لأن صياح الغراب سبب للافتراق على زعمهم ، كذلك سقوط الغيث من السحاب سبب للارتحال في تبعب الغيث . فالسحاب - في قوله : فإذا السحاب مبتدأ ؛ وأخو غراب فراقهم : نعت له ، وجمله جعل الصياح : خبر ، ولك أن تجعل أخو : خبر عن السحاب وجعل الصياح : خبراً آخر عنه .

(٤) الحمائل - بالحاء المهملة - جمع حمولة ، وهى الإبل يحمل عليها ؛ وهذه رواية ابن جني ؛ وروى غيره : الجمائل - بالجيم - جمع جمالة ، جمع جمل . ويحدن : من الوحد ، وهو ضرب من السير سريع ؛ والنفن : الفازة والهوى بين جبلين . يقول : كلما مرت جمالمهم بأرض مخضرة بالسكلا بدت عليها آثار سيرها ، فكأنما شقت ثوباً أخضر . والمعنى : أنهم فارقونا أيام الريح عند اخضرار الأرض . أو تقول : كثر الحصب

يَحْمِلْنَ مِثْلَ الرُّوضِ إِلَّا أَنَّهَا أَسْبَى مَهَاً لِلْقُلُوبِ وَجُوداً^(١)
فَبَلَحْظَهَا نَكِرَتْ قَنَائِي رَاحَتِي ضَعْفًا وَأُنْكَرَ خَاتَمَايَ الْخُنْصِيرَا^(٢)
أَعْطَى الزَّمَانُ فَمَا قَبِلْتُ عَطَاءَهُ وَأَرَادَ لِي فَأَرَدْتُ أَنْ أُخَيِّرَا^(٣)

أمامهم ، فكانت ركا بهم لا تقطع موضعاً إلا وقد كسته الحضرة فتبدو آثار سيرها فيه كالشوق في الثوب .

وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

فكأنما الأنواء بعدهم كست الطلول غلائلاً خضراً

(١) يقول : إن هذه الإبل تحمل هودج مثل الرياض - أى أرينت بالأنماط والديباج ، فكانت مثل الرياض في تلون أزهارها - غير أن ما تحمله الإبل من مهاها وجاذرها - - - - - : الحجاب - أسبى لقلوب الرجال من مها الرياض وجاذرها والمهاة البقرة الوحشية . تشبه بها النساء لحسن عيونها ؛ والجوذر : والله للمهاة قال الواحدى : قوله إلا أنها : رواها ابن جنى : إلا أنه ، كناية عن المثل ، والناس يروون « أنها » ، لأن مثل الروض روض . فالضمير على الروايتين : لمثل ، إلا أن ابن جنى رده على اللفظ . وغيره رده على المعنى . والبيت ينظر إلى قول أبى تمام :

خرجن في خضرة كالروض ليس لها إلا الخليلي على أعناقها زهر
وقد سبق الجميع عدى بن زيد . إذ يقول :

لمن الظعن كالبساتين في الصبح نرى بينها أثيثاً نضيراً
[الأثيث : النبات الملتف] .

(٢) بلحظها من إضافة المصدر إلى مفعوله : أى فبلحظى إياها ؛ ونكره وأنكره : بمعنى ، ضد ، عرفه ؛ وضعفاً : مفعول لأجله . يقول : بسبب نظرى إلى هذه الهودج يوم الفراق صرت ضاويًا مهزولاً حتى أنكرت قنأى يدي لضفها عن حملها ، وأنكره خاتمى خنصرى لأنه صار يقلق فيه واتسع عليه من الهزال وقلة اللحم .

(٣) هذا تمهيد للتخلص من النسب للديح . قال الواحدى . يقول : لم أقبل عطاء الزمان ترفهاً وبعد همة : أى أردت عطاءك دون عطاء الزمان ، وأراد الزمان أن أقصد سواك فأردت اختيارك . والمعنى أن الزمان أراد أن يسترقى بإحسانه فأبيت ذلك واخترتك على طول الزمان ، فإنك إذا ملكتنى ملكت الزمان بما فيه .

أَرْجَانِ أَتَيْهَا الْجِيَادُ فَإِنَّهُ عَزَمِي الَّذِي يَذَرُ الْوَشِيحَ مُكَسَّرًا^(١)
 تَوَكَّنْتُ أَفْعَلُ مَا اشْتَهَيْتَ فَعَالَهُ مَاشِقٌ كَوَكَبُكَ الْعَجَاجُ الْأَكْدَرَا^(٢)
 أُمِّي أَبَا الْفَضْلِ الْمُبَرِّ الْأَيْتِي لَا يُبْمَنُّ أَجَلٌ بِبَحْرِ جَوْهَرَا^(٣)
 أَفْتَى بِرُؤْيَيْهِ الْأَنَامُ وَحَاشَ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مُقْصَرًّا أَوْ مُقْصِرَا^(٤)
 صُنْتُ السَّوَارَ لِأَيِّ كَفَّ بَشَرْتُ بِابْنِ الْعَمِيدِ وَأَيُّ عَبْدٍ كَبَّرَا^(٥)

(١) أرجان : أى اقصدى أيتها الجياد أرجان ؛ وأرجان : بلد المدوح - بلد بفارس - بتشديد الراء فى الأصل ، إلا أنه خففه ضرورة - والضمير فى أنه : للشأن .
 والوشيح : شجر الرماح . يقول لحيله : اقصدى هذا البلد ولا يلقين فى روعك أن ثم شيئا يصدك عنه فإنه عزمى القوى الذى يكسر الزماح بقوته ؛ يعنى أن الرماح لا تعوقى عن هذه العزيمة ، وهى الوجه الذى تخيره على ما أشار إليه فى البيت السابق .

(٢) (الفعال : الفعل ؛ وكوكب الخيل : جماعتها المجتمعة ؛ والعجاج : الغبار ؛ والأكدر . الكدر : يقول لحيله : لو فعلت ما تريدن ماركضتك فى الغبار المظلم ، يعنى أن الخيل تريد الجمال والراحة ، وهو يتبعها بالأسفار .

(٣) أمى : اقصدى ؛ والآلية . اليمين ؛ وأبرمينه وبر فى يمينه : صدق . يقول : اقصدى أيتها الخيل هذا المدوح الذى يبر قسمى إذا أقسمت أن أقصد أجل البحار جوهرا ؛ أى إذا قصدته برت يمينى هذه لأنه هو ذلك البحر .

(٤) (٤) يقال قصر عن الشيء إذا تركه عجزاً . وأقصر عنه : إذا تركه قادراً عليه يقول : أفتانى الناس فى إبرار هذا اليمين بقصده ورؤيته ، وأعوذ بالله أن أقصر فى إبرار هذا القسم أو أقصر عنه ، فإنى إذا فعلت ذلك كنت شاقاً لعصا الإجماع ، لأن الإجماع على أن قسمى لا تبر إلا برؤيته . هذا ويقال حاش لله : أى تنزيها له ؛ ولا يقال حاش لك قياساً عليه ؛ وإنما يقال حاشاك وحاشى لك ؛ وهى تعرب إعراب المصدر ؛ واللام لبيان المفعول ، كما تقول تنزيها لك ، وقال أبو إسحاق الزجاج فى قوله تعالى « وقلن حاش لله » اشتق من قولك : كنت فى حشا فلان ، أى فى ناحية فلان . والمعنى فى « حاش لله » براءة لله من هذا ؛ وإذا قلت حاشى لزيد فهذا من التحدى ، والمعنى قد تنحى زيد من هذا وتباعد عنه . وقال ابن الأنبارى فى قولهم حاشا فلانا : معناه قد استغنىته وأخرجته فلم أدخله فى جملة المذكورين .

(٥) يقول : أى كف أشارت إلى ابن العميد فبشرتنى به فلها عندى السوار أحلها

إِنْ لَمْ تُغْنِنِي خَيْلُهُ وَسِلَاحُهُ فَتَنِي أَتَوُّدُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرًا^(١)
بَابِي وَأُمِّي نَاطِقٌ فِي لَفْظِهِ ثَمَنُ ثَبَاجٍ بِدِ الْقُلُوبِ وَتُشْتَرَى^(٢)
مَنْ لَا تُرِيدُ الْحَرْبُ خَلْقًا مُقْبِلًا فِيهَا وَلَا خَلْقٌ يَرَاهُ مُذْبِرًا^(٣)
خَنَتِي الْفُحُولَ مِنَ الْكِمَاةِ بِصَبْغِهِ مَا يَلْبَسُونَ مِنَ الْحَدِيدِ مُعْصَفَرًا^(٤)

به ؟ وكذلك أى عبد من عبيده كبر — قال الله أكبر — عند وقوع بصره على بلده وعلى داره سروراً يبر قسمي ؟ .

(١) قال الواحدى : هذه إشارة إلى أنه يمدد بالمال والعبيد فيقدر بذلك على محاربة الأعداء ؛ وعادة المتنبي طلب الولايات ممن يمدحه ، لا طلب الصلات .

(٢) بَابِي وَأُمِّي : أى أفتديه بهما ، يصفه بالبلاغة ، يقول : إنه يملك القلوب بحلاوة لفظه فيصير لفظه ثمناً للقلوب فيتصرف فيها كما يريد بما أوتى من بلاغة ، وإن شئت قلت إن ألفاظه عزيزة تجعل القلوب أماناً لها لم توجد غيرها . وقوله : تباع وتشتري . أى إن الناس يبيعونها بهذا الثمن وهو يشتريها فيصير مالكمها ، وإن شئت جعلت الشراء يباع فيكون مكرراً بلفظين معناهما واحد ، قاله الواحدى .

(٣) يقول : لا يقدم أحد على لقاءه فى الحرب تهيأ له ، ولا يدبر هو عن قرن لشجاعته : وقوله « من » : بدل من ناطق .

(٤) خَنَتِي الْفُحُولَ : أى صيرهم خنائى ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو المستتر فى الحديد ؛ والمعصر : المصبوغ بالصفر ، وما يلبسون : مفعول أول لصبغه ؛ ومعصفاً : مفعول ثان على تضمينه معنى التحويل . يقول : جعل أبطالم الفحول خنائى حين صبغ ما يلبسون من الحديد بالدم ، فأشبهت الثياب المعصرة التى يلبسها النساء والخنثون « هذا » وقد قلنا : إن معنى خَنَتِي الْفُحُولَ : أى جعلهم وصيرهم غنثين ، فهو فعل ماض . قال العكبرى : وزنه فعلل : مثل دحرج . وقال ابن القطاع : أصله خنث ، فكروها اجتماع التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى خطي وغنطى : أبدلوا ألفاً من حروف التضعيف ، فأبدلوا من الأخير ألفاً ، كما قالوا فى تقضى البازى وقصبت أظفارى . وتظنى : من الظن ؛ قال : وزعم النحويون أن حروف الزوائد تكون للإلحاق ، وأبى ذلك أهل اللغة العلماء بالتصريف والاشتقاق ، وقالوا : لاتدخل حروف الزوائد فى الإلحاق ألبتة . وإنما تدخل فى الإلحاق : الحروف الأصلية التى هى فاء الفعل وعينه ولامه ، فالفاء نحو قولهم : درج : للناقة المسنة ، تكررت فيه الفاء للإلحاق

يَتَكَسَّبُ الْقَصَبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ وَمَفْخَرًا^(١)
وَيَبِينُ فِيمَا مَسَّ مِنْهُ بَنَانُهُ تَبِيهُ لِدَلِّ قَلْوِ مَشَى لَتَبْخَرًا^(٢)
يَا مَنْ إِذَا وَرَدَ أَلِيلَادَ كِتَابُهُ قَبْلَ الْجِيُوشِ ثَنَى الْجِيُوشَ تَحِيْرًا^(٣)

بجعتن ، وهى أصول الصليان^(١) والعين ، كقولهم حدرد : اسم رجل ، تكررت فيه العين للحاق بجعفر ؛ واللام كقولهم : تعدد ، تكررت فيه اللام للحاق بـرثن ؛ وقال النحويون : الألف فى مثنى للحاق وفى رضوى وسلى للتأنيث ، ثم نقضوا قولهم فقالوا الألف فى بهى وعزهى : ليست للتأنيث ولا للحاق ، وهذا كلام فاسد لا يحتاج إلى إقامة دليل . وإنما أوقعهم فى هذا الغلط أنهم رأوا العرب قد جمعوا بين تأنيثين ، فقالوا بهمة وعلقة وعزهاة ؛ فقالوا : لا يجوز أن يجمع بين تأنيثين ، وقد جمعت العرب بين تأنيثين فى أكثر كلامهم : فكيف يجعل ما وضعه النحويون للتقريب والتعليم مما لا أصل له ولا ثبات حجة على لسان العرب الفصحاء ؟ هذا لا يكون ولا يحتاج به إلا جاهل .

(١) بكفه : رواها ابن جنى : بخطه . يقول : إن الأقلام حين كتابته بها تفضل الرماح إذا باشرتها كفه . وعبارة ابن جنى : قلته أشرف من الرماح لأن كفه يباشره عند الخط فيحصل له الشرف والفخر على الرماح التى لم يباشرها . وهو من قول البحرى :

وأقلام كتاب إذا ما نصصتها إلى نسب صارت رماح فوارس

(نصصتها : من نص الحديث إلى فلان : رفعه) .

(٢) الضمير فى منه : للقصب ، والبنان : أطراف الأصابع ؛ والته : الكبر والإدلال جرأة الرجل على صاحبه لمزية يراها فى نفسه . يقول : إن القلم الذى يمس ببنانه يظهر فيه الكبر ، حتى لو مشى ذلك القلم لتبخر تشرفا وعجبا بسمه إياه .

(٣) يقول : إذا ورد كتابه الأعداء يندرم ويتوعدم فعل كتابه فعل الجيش فردم حارثين متلدين خوفا وذعرا بللاغة كلامه وشدة وعيده . وعبارة الواحدى : يسحرم بيبانه فينصرفون عنه حين عمل فيهم كلامه عمل السحر . وعبارة ابن جنى : إذا كتب إلى مخالف كتابا لم يحتج معه إلى لقاء الجيوش لانه يبلغ ما يريد بالكتاب ، فكتابه يرد الجيوش راجعة تحيرا من فعل الكتاب ، وهذا ينظر إلى قول ابن الرومى :

(١) الصليان : نبت .

أَنْتَ الْوَحِيدُ إِذَا أُرْتَكِبَتْ طَرِيقَةٌ
وَمِنْ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرًا^(١)
قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ وَقْتَ نَبَاتِهِ
وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَمَّا نَوَّرَا^(٢)
فَهَوَّ الشَّيْعُ بِالمَسَامِيعِ إِنْ مَضَى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ إِنْ كُرِّرَا^(٣)

تكفى عن التنبل أحياناً مكايدهُ وربما خانت أعلامه الأسلا
ومثله لآخر :

في كلِّ يومٍ له جُنْدٌ مُوجَّهَةٌ من المكاييد تطلو في الطوامير
(الطوامير : جمع طامور ، وهو الصحيفة)

(١) الغضنفر : الأسد ؛ والرديف : الراكب خلفك ، وارتكبت طريقة : يروى
ركبت طريقة . يقول : أنت منفرد في كل طريقة تأتيا وتحاولها لا يقدر أحد أن يخذو
حدوك في طرائقك لصعوبتها وامتناعها . كراكب الأسد لا يقدر أحد أن يكون رديفا
له . يعنى أن أفعالك صعبة لا يقدر عليها أحد فلا يتبعك ، عليها مخافة تقصيره فيفتضح ،
قال الواحدى : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوبا - يريد أنه مفعول ركبت - ويجوز
أن يكون حالا للممدوح : أى لا يقدر أحد أن يكون رديفا لك وأنت غضنفر .
(٢) يقول : إن أقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينضج وإدراكها فى خداج ليست
بمخلوقة ولا غناء فيها ، أما أنت فقولك كالنبات إذا نور - أزهى - وبلغ أناء فهو حلو
معسول قد بلغ الغاية فى الحسن والكمال ، ويروى : قبل نباته ، قال العكبرى : أى
قبل تمامه .

(٣) يقول : إن سامع الناس تشيع قولك - أى تتبعه - فى مسيره إذا انفصل
من فيك بالإقبال عليه والإصغاء إليه جبا له وشغفا به . وإذا كرر ازداد حسنه ، على
خلاف ما عهد من الكلام : فإنه إذا أعيد سمع ، وإذا تكرر تكرج^(١) وفى هذا نظر
إلى قول أبى نواس :

(١) من تكرج الطعام والخبر : فسد وتعفن .

وَإِذَا سَكَتَ فَإِنَّ أُنْبَلَخَ خَاطِبٍ قَلَمٌ لَكَ أُنْخَذَ الْأَصَابِعَ مِنْبَرًا^(١)
 وَرَسَائِلُ قَطَعَ الْعُدَاةُ سِحَاءَهَا
 فَرَأَوْا قَنًا وَأَسِنَّةً وَسَنَوْرًا^(٢)
 فَدَعَاكَ حُسْدَكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُوا
 وَدَعَاكَ خَالُكَ الرَّئِيسَ الْأَكْبَرًا^(٣)
 خَلَقْتَ صِفَاتِكَ فِي الْعُيُونِ كَلَامَهُ
 كَانَلَطُ يَمْلَأُ مِسْمَعِي مَنْ أَبْصَرًا^(٤)

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا
 ويقول البحترى :

مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ لَا يُخْ لَقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ
 والشَّيخُ : يَرُوى التَّبَعُ .

(١) يقول : إذا سكنت ناب عنك قلمك ، فكان أبلغ خاطب ، منبره الأصابع .
 (٢) ورسائل : عطف على قلم - في البيت السابق - والسحاء : ما يشد به الكتاب
 من آدم . والسنور : الحديد والدروع . وهذا البيت كالتفسير لقوله : ثنى الجيوش تحيرا
 يقول : إن الأعداء إذا قطعوا سحاء كتبك ورسائلك رأوا من بلاغتك وجزالة ألفاظك
 وقوة وعيدك ما يقتلهم ذعرا ويأسون معه من الاقتدار عليك فيقوم ذلك مقام السلاح
 في دفع الأعداء . ومثل هذا ما يحكى أن الرشيد كتب في جواب كتاب ملك الروم :
 قرأت كتابك والجواب ما تراه لا ما تقرأه ، فانظر إلى هذا اللفظ الوجيز كيف يملأ
 الأحشاء نارا ، ويدع القلوب أعشارا ، ويشعر النفوس حذارا ، ويعقب أقدام ذوى
 الإقدام نكوصا وفرارا ؟ وجميل قول بعضهم مما ينظر إلى هذا المعنى :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّسَالِ بَيْنَنَا

تجرى على الورق الذى لم يُغْرَسِ

أَيَّامَ أَسْرَارِي لَدَيْكَ وَسِرِّكُمْ يَهْدِي إِلَى مَعَ الْفَصِيحِ الْآخَرِ

« ويريد بالورق الذى لم يغرس : البردى ونحوه ؛ وبالفصيح الآخر : الكتاب » .
 (٣) و (٤) السمع الأذن . يقول : إن ما يشاهده الناس فيك من الصفات الشريفة

أَرَأَيْتَ هِمَّةً نَاقَتِي فِي نَاقَةٍ نَقَلَتْ يَدًا مُرْحًا وَخُفًا مُجْمَرًا^(١)
تَرَكَتْ دُخَانَ الرَّمْثِ فِي أَوْطَانِهَا
طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْقَنْبَرَا^(٢)

التي آثرك الله بها : تدل على أنه سبحانه قد فضلك على سائر الرؤساء وجعلك الأكبر بينهم وإن لم ينطق بذلك لفظاً ، فكأنما هذه الصفات الظاهرة فيك خلف لكلامه ، يفهم منها ما يفهم منه ، ثم مثلها بالخط ؛ فإن معناه إغما يتناول بالبصر فيستفيد منه القلب ما يستفيدة بسماع الآذان ، فكأنه لفظ مسموع . وعبارة سائر الشراح : سمالك الأعداء الرئيس وأمسكوا وسمالك الله الرئيس الأكبر ، وقد علمنا ذلك لما قامت صفاتك الشريفة مقام كلام الله ، وهى تلك التي خصك الله بها في الدلالة على أنك أفضل الناس فصار كأنه - جل شأنه - دعاك الأكبر قولاً من حيث دعاك فعلاً ، كالخط فإن من كاتب كمن شافه وخطيب ، ومن أعلم خطاً فكأنه أسمع فأفهم . وحاصل المعنى : أن الإنسان إذا رأى ما حصك الله به من كمال الفضل علم أنك مستحق عند الله أن تسمى الرئيس الأكبر ، فقوله خلفت صفاتك : تبين لقوله : ودعاك خالقك الرئيس الأكبر .

(١) السرح : السهلة السير ؛ والمجمر : الشديد الصلب ؛ ويقال أيضاً خف مجمر : أى خفيف سريع . قال الخوارزمي : أراد خفاً خفيفاً فلم يوافق اللفظ ، ولو وافقه لكان تجنيساً ظاهراً ، وإلا فإذا لم يوافق فهو تجنيس معنوي . يذكر المتنبي علو همة ناقته حين قصده وأنها استأثرت بذلك دون غيرها من النياق ، وهو إخبار عن علو همة هو لأنه يحمل ناقته في السير مالا يطيق أمثالها :

(٢) الرمث : نبت يوقد به . يشبه الغضا ، وهو من مراعى الإبل ؛ أما الرمث - بالفتح والتحريك - فهو خشب يضم بعضه إلى بعض ويركب عليه في البحر ، والجمع أرمات . قال أبو صخر الهذلي :

تَمَنَيْتُ مِنْ حَبِّي بُتَيْنَةَ أَنَا عَلَى رَمْثٍ فِي الْبَحْرِ لَيْسَ لَنَا وَفَرٌ
(وفر : مال) .

يقول : تركت الأعراب ووقودهم وأنت قوما ووقودهم الغبر ، يعنى المدحج . وهذا من قول البحترى :

نزلوا بأرض الزعفران وجانبوا أرضاً ترب الشيع والقيصوما

وَتَكْرَمَتْ رُكْبَانُهَا عَنْ مَبْرَكٍ
تَقَعَانِ فِيهِ وَلَيْسَ مِنْكَ أَذْفَرُ^(١)
فَأَتَتْكَ دَامِيَّةُ الْأَطْلَنِ كَأَنَّمَا
حُذِيَتْ قَوَائِمُهَا الْعَقِيقُ الْأَحْمَرُ^(٢)
بَدَرَتْ إِلَيْكَ يَدَ الزَّوْمَانِ كَأَنَّمَا
وَجَدَتْهُ مَشْفُولَ الْيَدَيْنِ مُفَكَّرًا^(٣)
مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهَا
شَاهَدْتُ رَسْطًا لَيْسَ وَالْإِسْكَندَرُ^(٤)

(١) الأذفر : أى الذكى الرائحة . يقول : تكرمت ناقى عن أن تبرك إلا على المسك الأذفر . يريد أن العنبر بحضرة المدوح يوقد به والمسك ممتن عنده بحيث يبرك عليه البعير ؛ والركبات : جمع ركة ، وإنما عنى اثنين بدليل قوله تقعان . قال العكبرى ركباتها جمع ركة ، وإنما عنى اثنين وهو كقوله جل وعلا « فقد صغت قلوبكما » وذلك أن أقل الجمع اثنان فجاز أن يعبر عنهما بالجمع ، ودل على أنه أراد التثنية أنه أخبر عنهما بالتثنية فقال تقعان ؛ ويجوز أن يكون أراد الجمع فسمى كل جزء منهما ركة ، كقولهم : شابت مفارقة ، وهو مفرق واحد ، وإنما أراد كل جزء من المفرق ، ثم رجع إلى الحقيقة فقال تقعان .

(٢) الأطل : باطن خف البعير ؛ وحذيت : أى جعل لها حذاء ، وهو النعل . يقول : أتتك الناقة وقد دامت أخفافها لطول السير وحزونة الطريق حتى كأنها اتلعت العقيق الأحمر ، كما قال الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْمَوْمَةِ أَيْدِي جَوَارٍ بَيْنَ نَاعِمَاتٍ

أى تخضبت بالدم خضاب هؤلاء الجوارى .

(٣) بدرت : سبقت . يقول : سبقت إليك العوائق وصروف الزمان فكشاتها وجدت الزمان مشغولاً عنها فانهزت الفرصة فى قصدك فإن الزمان موكل صرفه بدفع الحيرات .

(٤) بعدها : أى بعد الأعراب . يقول من الذى يبلغ الأعراب أنى بعد أن فارقتهم

وَمَلَّتْ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَضَافَ فِي
 مَنْ يَنْحَرُ الْبَدْرَ النَّضَارَ لَنْ قَرَى^(١)
 وَسَمِعْتُ بَطْلَيْمُوسَ دَارِسَ كُتِبِهِ
 مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا^(٢)

رأيت عالماً هو في علمه وحكمته مثل أرسطوطاليس . وملكا هو في سعة ملكه
 كالإسكندر ؟ قال الواحدى : وأرسطوطاليس : اسم رومى ، لما أراد المتنبي استعماله :
 حذف بعضه ، فإن العرب تجترى على استعمال الأسماء الأعجمية ؛ فإن أمكن نقلها إلى
 أوزانهم : نقلوها ، وإن لم يمكن نقلها حذفوا بعضها ، ومثل هذا الاسم في كثرة حروفه
 لا يوجد في كلام العرب .

(١) العشار : جمع عشراء ، وهى فى الأصل : التى لملها عشرة أشهر ، والمراد هنا :
 النياق الوالدات ، والبدر : جمع بدوة ، وهى كيس فيه سبعة آلاف دينار ، وقيل عشرة ؛
 والنضار : الذهب . يقول : ملئت فى صجة الأعراب نحر الإبل ولحومها فأضافى من
 يجعل قراء بدر الذهب ، وإنما استعمل النحر فى البدر لذكره نحر العشار ، ومعنى
 نحر البدر : فتحها لإعطاء ما فيها من الذهب . وهذا من قول البحترى :

مَلِكٌ بَقَالِيَةِ الْمِرَاقِ قِيَابُهُ
 يَقْرَى الْبُدُورَ بِهَا وَنَحْنُ ضُيُوفُهُ

(٢) بطليموس : هو الفلكى صاحب المجسطى ، يشبه ابن العميد بيطليموس فى
 علمه وحكمته . يقول : سمعت ابن العميد وهو يدرس كتب نفسه - أى يتكلم بالعلوم
 التى فيها - وقد جمع بين جلالة الملك ، وفصاحة اليد ، وظرافة الحضر . قال الواحدى :
 وبطليموس : يعنى ابن العميد ، سماه بهذا : للشابهة بينه وبين هذا الحكيم ؛ ونصب
 دارس كتبه : على الحال ، وكذلك ما بعده . ويجوز أن يريد أنه سمع من ابن العميد
 ما عفا ودرس من كتب بطليموس لأنه أحياء بذكائه وجودة قريحته . ويكون التقدير
 سمعت دارس كتب بطليموس ولكنه قدم ذكره ثم كنى عنه ، ويجوز أن يكون
 دارس كتبه : مفعولا ثانيا ، كما تقول : سمعت زيدا هذا الحديث .

وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ إِلَهُهُمُ نُفُوسَهُمْ وَالْأَعْصُرَ (١)
نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا
وَأَتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرًا (٢)
يَالَيْتَ بَاكِيًا شَجَانِي دَمْعُهَا
نَظَرْتُ إِلَيْكَ كَمَا نَظَرْتُ فَتَعَذَّرًا (٣)

(١) يقول : لقيت بلقائه كل من له فضل وعلم من المتقدمين ، فكان الله أحياءم
ورد عصورهم حتى لقيتهم كلهم : يعنى أن فيه من الفضل ما كان في جميع الفضلاء . وفي
مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

أَتَيْتُهُ وَأَنَا الْمَلُوءُ مِنْ غَضَبٍ عَلَى الزَّمَانِ فَسَرَى عَنِّي الْفَضْبُ
فَلَوْ حَلَفْتُ لَمَا كُذِّبْتُ يَوْمَئِذٍ

أنى لقيت هناك العُجُوم ، والعربا

(٢) نسقوا : سردوا . وقوله فذلك : فاعل أتى . وهى حكاية قول الحاسب
إذا أجزل حسابه : فذلك كذا وكذا . يقول : إن هؤلاء الفاضلين قد تابعوا
متقدمين عليك في الزمان ، فلما أتيت بعدهم جمعت ما كان فيهم من الفضائل فكنت
منهم بمثابة إجمال الحسار : الذى تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل فيكتب
في آخرها : فذلك كذا وكذا . وعبارة الواحدى : يقول : جمع لنا الفضلاء في الزمان
ومضوا متتابعين متقدمين عليك في الوجود ؛ فلما أتيت بعدهم كان فيك من الفضائل
ما كان فيهم : مثل الحساب تذكر تفاصيله أولا ، ثم تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في
آخر الحساب ؛ فذلك كذا وكذا : فجمع في الجملة ما ذكر في التفصيل ، كذلك أنت :
جمع فيك من الفضل ما فرق فيهم . وهذا ينظر إلى قول القائل :

وَفِي النَّاسِ مِمَّا خُصِّصْتُمْ بِهِ

تَفَارِيقَ لَكِنْ لَكُمْ مُجْتَمِعٌ

(٣) يقول : ليت للبكية التى بكت على فراقى وأحزنى بكأوها رأيتك كما رأيتك ،
لتمدرنى في فراقها وركوب الأهوال والأخطار في سفرى إليك . وقوله : فتعذرا قال
العكبرى : نصبا على جواب التنى بإضمار « أن » عند البصريين وبالفاء نفسها عندنا .

وَتَرَى الْفَضِيلَةَ لَا تَرُدُّ فَضِيلَةً
 أَلْشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالسَّحَابُ كَنُحُورًا^(١)
 أَنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ أَطْيَبُ مَنْزِلًا
 وَأَسْرُ رَاحِلَةً وَأَرْبَحُ مَتَجَرًّا^(٢)

(١) ترى : أى الباكية ؛ ولا ترد فضيلة : مفعول ثان ل ترى ؛ والشمس : بدل من الفضيلة ؛ والسحاب معطوف عليها وتشرق حال من الشمس ؛ والكنهور : العظيم المتكاثف ، وهو حال من السحاب ، يقول : إن هذه الباكية ترى الفضيلة عندك لا ترد ضدها من الفضائل على ما عهدنا فى المتضادين ، ثم فسر ذلك فقال : يريك الشمس مشرقة والسحاب كنهوراً : أى يريك المدوح فى حال واحدة هذين المتضادين ؛ فوجهه كالشمس إضاءة ، ونائله كالسحاب الكنهور فيضاً ، فقد اجتمعان فى وقت واحد ، مع أن السحاب الكنهور فى الحقيقة يستر الشمس فلا يجتمعان . والمراد : أنه يتدفق بالنوال ويتبلج عند السؤال . وقد قال فى هذا المعنى محمد بن على بن بسام :

أَلْشَّمْسُ غَرَّتْهُ وَالْفَيْثُ رَاحَتُهُ . فَهَلْ سَمِعْتُمْ بَيْثَ جَاءَ مِنْ شَمْسٍ
 وأوضحه ابن الرومى فقال :

يُلْقَى مُعِيماً مُشِيساً فِي حَالَةٍ هَاطِلِ الْإِغَامَةِ نَيْرِ الْإِشْشَاسِ
 وقال أيضاً :

لِكُلِّ جَلِيسٍ مِنْ يَدَيْهِ وَوَجْهِهِ
 مَدَى الدَّهْرِ يَوْمٌ غَائِمُ الْجَوْ شَامِسُ

وتبعه البحرى فقال :

وَأَبْيَضَ وَضَاحٌ إِذَا مَا تَفَيَّيْتُ يَدَاهُ تَجَلَّى وَجْهُهُ فَتَقَشَّعَا
 وقال الرضى :

أَمْطَرُوا الْجُودَ مُضِيئاً بِشَرِّهِمْ فَرَأَيْنَاهُمْ شُمُوساً وَغَمَامَا

(٢) يقول : طاب مكانى ومنزلى بقصده ، وسرتنى راحلقى إذ أدنى إليه ، وتجارنى أربح من تجارة غيرى إذ اشتري شعرى بأوفر الأثمان . فقد بلغت فى ذلك كله ما لم يبلغه أحد من الناس ؛ وقال الواحدى . قوله : وأسر راحلة : هو مبالغة من السر ؛ أى

زُحَلٌ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِبَ قَوْمُهُ
لَوْ كَانَ مِنْكَ لَكَانَ أَكْرَمَ مَفْشَرًا^(١)

أخفتني بسرّها لئلاّ حق أتيتك ؛ وإن كان من السرور فيكون سرور صاحبها هو المراد بسرورها . وقوله : منزلا وما بعده ، منصوب على التمييز ، والتجر : ما يتخذ للتجارة .
(١) جعل الكواكب المحيطة بزحل : كالقوم له ، إذ أنه يسمى شيخ النجوم .
يقول : لو كان زحل من عشيرتك لكانت عشيرته حينئذ أكرم من عشيرته الآن مع أن عشيرته النجوم : يعنى أن قوم للمدوح ورهطه أشرف من النجوم . هذا وقوله زحل : مبتدأ ، وقوله : لو كان منك الخ ، خبر ، والمشر والعشيرة : قوم الرجل وأهله .

قافية الزاى

وقال بدمشق يمدح أبا بكر على بن صالح الروذبارى الكاتب :
 كَفَرَنْدِي فِرَنْدُ سَتِييِ الْجَرَازِ لَذَّةُ الْعَيْنِ عُدَّةٌ لِلْبِرَازِ^(١)
 تَحْسَبُ الْمَاءَ خَطًّا فِي لَهَبِ النَّارِ
 رَأْدَقٌ أُخْطُوطٍ فِي الْأَحْرَازِ^(٢)
 كُلَّمَا رُمَتْ لَوْنُهُ مَنَعَ النَّارَ ظِلُّ مَوْجٍ كَأَنَّهُ مِنْكَ هَازِي^(٣)

(١) الفرند : جوهر السيف ، وهى الخضرة التى تردد فيه ، معرب دخيل ، والجراز : القاطع . والبراز : مبارزة الأقران فى الحرب . يقول : إن سيفى يشبهنى فى اللضاء ، وهو حشمن فى امرأة العين ، عدة لمبارزة الأقران ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :
 فى كلِّ جوهرة فِرَنْدٌ مُشْرِقٌ وَهُمْ الْفِرَنْدُ لَهُوْلَاءِ النَّاسِ
 (٢) الأحراز : جمع حرز . وهو العوذة يكتب فيها الرقى . سميت كذلك لأنها تحرز صاحبها من العين . شبه بريق سيفه بالذهب وآثار الفرند فيه ودقته بخطوط من الماء دقيقة كأدنى الخطوط فى الأحراز وقد جرت العادة بتدقيق خطوط الأحراز .
 وهذا ينظر إلى قول القائل :

مَاضٍ تَرَى فِي مَتْنِهِ مَاءَ بِنَارٍ مُخْتَلِطٌ
 ومثله :

كَأَنَّهُ فِي طَبَعِهِ وَاللَّوْنِ مَاءٌ وَلَقَى

(٣) هازى : أصلها هازىء - بالهمز - خفف للقافية : يقول : كلما حاولت أن تعرف لونه وأنعمت النظر : منع ناظرك من الوقوف عليه ماؤه ويأضه الذى يتردد فيه كالوج فكأنه يهزأ بك ، لأنه لا يستقر حتى ينفذ فيه شعاع عينيك . وهذا ينظر إلى قول الآخر :

وَكأن الْفِرَنْدَ وَالرُّوْنَقَ الْجَارِيَّ فِي صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينٌ
 ولا بن أبى زرعة :

مَرْدُدٌ فِيهِ الْفِرَنْدُ تَرْدُدَ الْمَاءِ الزُّلَالِ

وَدَقِيقٌ قَدَى الْمَبَاءِ أُنِيقٌ مُتَوَالٍ فِي مُسْتَوٍ هَزَاهَاً^(١)
وَرَدَّ الْمَاءَ فَالْجَوَابُ قَدْرًا شَرِبْتُ وَالَّتِي تَلِيهَا جَوَازِيَّ^(٢)

هذا : ويقال هزأ به . يهزأ هزأ وهزؤا ومهزأ وتهزأ به واستهزأ : سخر ، ورجل هزأه - بالتحريك - يهزأ بالناس ، ورجل هزأه بالتسكين - يهزأ به ، وقالوا إنما يقال هزئت بك ، ولا يقال هزئت منك . ويقال سخرت منك ، ولا يقال سخرت بك .
(١) دقيق : عطف على موج ، وهو نعت لحدوف : أى وفرد دقيق . والقذى فى الأصل : ما يقع فى العين . وقذى : فاعل دقيق ، أو مشبه بالفعل - على حد قولك : زيد حسن وجه الأب - والهباء : ما تراه فى الشمس إذا دخلت من موضع ضيق . والأنيق : الحسن اللجب . والتوالى : المتتابع . ومستو : نعت لحدوف . أى فى صفح ، أو متن مستو . وهزهاز : مضطرب . أى ويمنع الناظر من لونه فرند دقيق كأنه قذى يتطير إلى عينه فيمنعه النظر . وهذا الفرند حسن متتابع الخطوط فى صفح مستو كثير الاضطراب والحركة يذهب ويحيى ، ويقال : سيف هزهاز وهزاهز : كأن ماء يذهب عليه ويحيى ، وروى ابن جنى : قذى الهباء : من قولم قذى رمح ، وقادر رمح ، وقيد رمح : أى مقداره .

(٢) الجوازى : أصلها الهمز ، جمع جازئة : من قولم جزأت الإبل أو الوحش بالرطب - أى بالخضرة - عن الماء : أى استغنت به عنه ، قال الشعاع بن ضرار :

إِذَا الْأَرْضُ تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خَدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ غَيْنِ^(١)

وقوله قدراً شربت : أى شربت قدراً ؛ قدراً مفعول شربت . يقول : إن هذا السيف أشربت جوانبه من الماء عند صنعه مقداراً يليها ، أما ما يليها من اللث فلم يشرب لأنه لا يسقى جميع السيف ، بل تسقى شفرتاه ويترك اللث ليكون أثبت عند الضرب . فلا يتقصف .

(١) الأرضى : مقصور ، شجر يدبغ به ، وتوسد أبرديه : أى اتخذ الأرضى فى أبرديه كالوسادة ، والأبردان : الظل والنقى ، سما بذلك لبردما ، والابردان أيضاً : الغداة والعشى ، واتصاب أبرديه : على الظرف ، والأرضى : مفعول مقدم لتوسد ، أى توسد خدود البقر الأرضى فى أبرديه ، والجوازى : البقر التى جزأت بالرطب عن الماء ، والعين : جمع عيناء وهى الواسعة العين

حَمَلَتْهُ حَمَائِلُ الدَّهْرِ حَتَّى هِيَ مُخْتَاجَةٌ إِلَى خَرَازٍ^(١)
وَهُوَ لَا تَلْحَقُ الدِّمَاءُ غِرَارِيهِ وَلَا عَرَضَ مُنْتَضِيهِ الْمُخَازِي^(٢)

(١) الحمائل : جمع حمالة ، ما يحمل به ، والخراز : الذى يخز الحائل وغيرها بالسيور . يقول : إن هذا السيف من قدمه وتداول الأيدي عليه قد أخلقت حمائله ، واحتاجت لذلك إلى الخراز لتجديدها ، وإضافة الحمائل إلى الدهر مجاز ، أراد أنه قديم قد أخلق طول الدهر حمائله ، فلما كثر حاملوه بطول الدهر كان كأن الدهر حامل له . وهذا ينظر إلى قول البحتري :

حَمَلَتْ حَمَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَةً لَمْ تَذْبُلْ

(٢) غراره : حذاه ، والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ، واتضى السيف : سله ، والمخازى جمع مخزاة ، ما يخزى به الإنسان . يقول : إن سيفي لسرعة قطعه يسبق الدم فلا يلصق به ولا يتلطح . ولا تدرك المخازى عرض منتضيه . يعنى نفسه . لحسن بلائه عند الفوضى . وهذا من قول الأول :

بِكُلِّ حُسَامٍ كَالْعَقِيقَةِ صَارِمٍ إِذَا قَدْ لَمْ يَفْلَقَ بِصَفْحَتِهِ الدَّمَ

هذا ، ولذكر العرض نورد ما أورده السكبرى هنا من معانى العرض ، إذ اشترطنا على أنفسنا أن لا ندع شيئاً مما أورده سائر الشراح إلا أثبتناه فى هذا الشرح ، وإن كان الكثير منه لا ضرورة إليه .

قال - وقال معه أهل اللغة وعمدته دائماً فى اللغة الجوهري صاحب الصحاح : - والعرض النفس ، والعرض الحسب ، وفلان نقي العرض : برىء من أن يشتم ، والعرض : الجسد . وفى صفة أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم : « لا يتخطون ولا يولون ، إنما هو عرق يجرى من أعراضهم مثل ريح المسك » أى من أجسادهم ، والعرض كل واد فيه شجر ، قال الشاعر :

لِعَرَضٍ مِنْ الْأَعْرَاضِ يُسَمَّى حَمَامَةً وَيُضْحَى عَلَى أَفْنَانِهِ النَّيْنِ يَهْتَفُ
أَحَبُّ إِلَى قَلْبِي مِنَ الدَّيْكِ رَنَةٌ وَبَابٌ إِذَا مَا مَالَ لِلْفَلَقِ يَصْرِفُ

(١) النين : جمع غيناء ، أى خضراء كثيرة الورق ملتفة ، وصريف الباب : صيرره .

يَا مَزِيلَ الظَّلَامِ عَنِّي وَرَوْضِي
يَوْمَ شُرْبِي وَمَقِيلِي فِي الْبَرَازِ^(١)
وَالْيَمَانِي الَّذِي لَوْ اسْتَطَعْتُ كَانَتْ
مُقَلَّتِي غِمْدَهُ مِنَ الْإِعْزَازِ^(٢)

(١) البراز : الحلاء أو الصحراء . يقول — لسيفه — : أنت تزيل عني الظلام بصفائك وروثك : يعني أنه يستصبح بريقه إذا اشتد سواد الغبار فصار كالظلام ، وأنت روضي يوم شربي : يريد كما أن شارب الراح يشربها على الرياض والبساتين : فروض يوم أشرب دماء الأعداء — أي يوم الحرب — هو أنت ، وذلك لخضرته ، والسيف يوصف بالخضرة ، كما قال الحماني في مقصورة له :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَاعُهُ أَشْرَبُهُ بِالْهَنْدِ مَاءُ الْهِنْدِ بَا^(١)
ومثله للبحري :

سَحَلَتْ سَحَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بَقْلَةً مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذْبُلِ

ثم قال الثنبي : ويا حنفي الذي أنحصن به وأذود عن تقسى في البراز : أي الصحراء وما إليها من الفضاء .

(٢) يقول : لشدة إعزائي له وإبقائي عليه لو استطعت لجعلت عيني غمداً له ، واليماني : أي المنسوب إلى اليمن ، والأفصح : يعني ويماني ، لأن الألف عوض من ياء النسب ، فلا يجتمعان .

قال سيبويه : وبعضهم يقول يمانى — بالتشديد — قال أمية بن خلف :

يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشْدُ كِبْرًا وَيَنْفُخُ دَائِمًا لَهَبَ الشَّوَاظِرِ

وقال العكبري : اليماني في موضع نصب بالنداء ، كأنه قال : يا مزيل الظلام ، ويا اليماني ، ثم قال : وهو جائز عندنا — يريد الكوفيين — أن ينادى ما فيه التعريف نحو : يا الرجل ، ويا الغلام ، وأبي البصريون ذلك . وحجبتنا أنه قد جاء في أشعارهم وكلامهم ، قال الشاعر :

(١) الهندبا — يعد ويقصر — بقلة من أحرار البقول .

إِنْ بَرَقَ إِذَا بَرَقَتْ فَمَالِي وَصَلِيلِي إِذَا صَلَّتْ أَرْجَاؤِي ^(١)
لَمْ أَحْمَلْكَ مُفْلِمًا هَكَذَا إِلَّا لِضَرْبِ الرُّقَابِ وَالْأَجْوَا ^(٢)
وَلَقَطْعِي بِكَ الْحَدِيدَ عَلَيْهَا فَكَلَانَا لِنَفْسِهِ الْيَوْمَ غَارِي ^(٣)

فِي الْفُلَامَانِ اللِّدَانِ فَرَا إِيَّا كَمَا أَنْ تَكْسِبَانَا شَرًّا ^(١)
وَقَالَ الْآخَرُ :

فَدَيْتُكَ يَا الَّتِي تَيَمَّمْتُ قَلْبِي وَأَنْتِ بِخَيْلَةٍ بِالْوَصْلِ عَنِي ^(٢)
وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِنَا : إِجْمَاعُنَا عَلَى أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي الدُّعَاءِ : يَا اللَّهُ ، وَالْأَلْفَ
وَاللَّامَ فِيهِ زَائِدَتَانِ . وَحُجَّةُ الْبَصَرِيِّينَ أَنَّ الْآلِفَ وَاللَّامَ لِلتَّعْرِيفِ ، وَحَرْفُ الدُّعَاءِ يُفِيدُ
التَّعْرِيفَ ، وَتَعْرِيفَانِ فِي كَلِمَةِ لَا يَجُوزُ .
(١) الْفَعَالُ : الْفَعْلُ الْحَسَنُ ، وَالصَّلِيلُ : الصَّوْتُ ، وَالْأَرْجَاؤُ : قَوْلُ الرَّجَزِ مِنْ
الشَّعْرِ . يُقَارَنُ مَا بَيْنَ سَيْفِهِ وَنَفْسِهِ ؛ يَقُولُ : إِذَا كَانَ لَكَ بَرَقٌ ، فَهَنَّاكَ فَعَالِي بِأَزَانِهِ ،
وَإِذَا ارْتَفَعَ صَلِيلُكَ — صَوْتُكَ — فِي الضَّرِيَّةِ . فَإِنَّ صَلِيلِي هُوَ إِنْشَادِي الْأَرْجَاؤِ
مِنْ شَعْرِي .

(٢) الْمَعْلَمُ : الَّذِي قَدْ شَهِرَ نَفْسَهُ فِي الْحَرْبِ بَعَلَامَةٍ يَعْرِفُ بِهَا ، وَهُوَ مِمَّا كَانَتْ
تَفْعَلُهُ الْأَبْطَالُ مِنَ الْعَرَبِ ؟ وَمَعْلَمًا : حَالٌ مِنَ التَّكَلُّمِ ؛ وَالْأَجْوَا : الْأَوْسَاطُ ، جَمْعُ
جَوْزٍ ، يَقُولُ : لَمْ أَحْمَلْكَ فِي الْحَرْبِ لَزِينَةً ، وَإِنَّمَا لَضَرْبِ الرُّقَابِ وَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ .
وَيُرْوَى : وَلَمْ أَحْمَلْكَ . ، قَالَ الْعُسْكُرِيُّ : حَرَكَةُ السَّاكِنِ وَحَذْفُ الْهَمْزَةِ ، وَهِيَ لُغَةٌ
جَيِّدَةٌ جَاءَتْ فِي أَشْعَارِهِمْ وَخُطْبَتِهِمْ وَكَلَامِهِمْ .

(٣) يَقُولُ : وَلَمْ أَحْمَلْكَ إِلَّا لِأَقْطَعَ بِكَ الْحَدِيدَ الَّذِي عَلَى الرُّقَابِ وَالْأَجْوَا

(١) هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَائِعَانِ فِي كُتُبِ النُّحُوِّ وَلَمْ يَعْرِفْ لَهَا قَائِلٌ وَلَا ضَمِيمُهُ
وَإِيَّا كَمَا : تَحْذِيرٌ ، وَأَنْ تَكْسِبَانَا : أَيُّ مَنْ أَنْ تَكْسِبَانَا ، وَمَاضِيَهُ كَسَبَ : يَتَعَدَّى إِلَى
مَفْعُولَيْنِ يُقَالُ كَسَبْتَ زَيْدًا مَالًا وَعِلْمًا : أَيُّ أَنْتَ . قَالَ ثَعْلَبٌ : كُلُّهُمْ يَقُولُ كَسَبَكَ فُلَانٌ
خَيْرًا إِلَّا ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : أَيْ كَسَبَكَ ، بِالْأَلْفِ .

(٢) قَوْلُهُ فَدَيْتُكَ : يُرْوَى مِنْ أَجْلِكَ . أَيُّ مَنْ أَجْلَكَ قَاسِيَةً مَا قَاسِيَتْ مَثَلًا
وَقَوْلُهُ : تَيَمَّمْتُ كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ تَيَمَّمْتُ بِنَاءً التَّأْنِيثُ عَلَى الْغِيَةِ ، لَكِنْ جَاءَ عَلَى نَحْوِ

* أَنَا الَّذِي سَمَنْتُنِي أُمِّي حَيْدَرُهُ

وَالْقِيَاسُ : سَمْتُهُ ، وَجُمْلَةُ أَنْتِ بِخَيْلَةٍ : حَالٌ عَامِلُهَا « تَيَمَّمْتُ » .

سَلُّهُ الرِّكْضُ بَعْدَ وَهْنٍ يَنْجِدُ فَتَصَدَّى لِلْفَيْثِ أَهْلُ الْحِجَازِ^(١)
وَتَمَنَيْتُ مِثْلَهُ فَكَأَنِّي طَالِبُ لَابِنِ صَالِحٍ مِنْ يُوَازِي^(٢)
لَيْسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالرُّوْذِبَارِ يَ وَلَا كُلُّ مَا يَطِيرُ يَبَازِ^(٣)

— الأوساط — يعنى الدروع والمغافر فأنا أغزو الناس وأنت تغزو الحديد ، فكلانا يغزو جنسه .

قوله : ولقطعى : عطف على قوله لضرب الرقاب ، وعليها : حال من الحديد . هذا ، ويقال : رجل غاز ، والجمع غزاة كقراض وقضاة ، وغزى - بتشديد الزاى - مثل سابق وسبق ؛ وغزى ، على مثال فعل مثل حاج وحبيج وهاطن وفطيف . قال زياد الأعجم :

قل للقوافل والغزى إذا غزوا والباكرين وللمجبد الرامح
وغزاه أيضا بالمد : مثل فاسق وفاسق ، قال تأبط شراً :

فيوماً يغزاه ويوماً يسريةً ويوماً بحشاش من الرجل هيضل
« سرية : اسم من الأسراء ، والحشاش : الجماعة الكثيرة ، والهيضل : الجيش الكثير ، والرجل : اسم جمع أو جمع راجل ، أى مشاة » والنسبة إلى الغزو غزوى ، وكله الذى يغزو العدو ، وأصله القصد .

(١) الركض : العدو السريع ، والوهن : هو نحو من نصف الليل ؛ ومثله الموهن ، وقيل : هو حين يبرد الليل ؛ وتصدى : تعرض ، والفَيْث : المطر . يقول : ركضنا الحيل فكان من شدة جريها أن انسل هذا السيف من غمده ونحن بنجد بعد صدر من الليل ، فظن أهل الحجاز لعانه ضوء برق فارتقبوا نزول المطر . وهذا من قول على بن الجهم فى قبة للتوكل :

إذا أوقدت نارها بالمِراق أضاء الحجاز سنا نارها
والأصل قول الوائلى :

ماسله أهل الحجاز لحاجة إلا يُبَشِّرُ بالسحاب الشاما

قال ابن جنى : خص أهل الحجاز لأن فيه طمعا ، أو لأن القافية جرت إليهم .
(٢) يوازي : يعادل ويمثل . وابن صالح : هو الممدوح . يقول : هما فريدان ، لا نظير لسيفى ولا لهذا الممدوح . وهذا من أحسن الخالص .
(٣) السراة : جمع سرى - الشريف - والروذبارى : الممدوح ، نسبة إلى بلد

فَارِسِيٌّ لَهُ مِنَ الْمَجْدِ تَاجٌ
كَانَ مِنْ جَوْهَرٍ عَلَى أَبْرَوازٍ^(١)
نَفْسُهُ فَوْقَ كُلِّ أَصْلٍ شَرِيفٍ
وَلَوْ أَنِّي لَهُ إِلَى الشَّئْسِ عَازِيٌّ^(٢)
وَكَانَ الْفَرِيدَ وَالْذَّرَّ وَالْيَا
قُوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ^(٣)
شَفَلْتُ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَالِي
عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالْأَعْجَازِ^(٤)

أبيه « روذبار » بلد من بلاد العجم . يقول : هو من العلية الأشراف ، وهو بينهم كالبازي بين سائر الطير : أى ليس أحد مثل هذا المدوح الذى قد جمع ما تفرق فى غيره من العلية . وهذا المعنى ينظر إلى قول الحماسى :

بُفَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّقْرِ مِقْلَاتٌ نَزُورُ
(١) أبرواز : هو أبروز أحد الأكاسرة ، ملوك العجم ، تصرف فيه كمادة العرب تتصرف فى الأسماء الأعجمية ما شاءت . يقول : إنه من أولاد ملوك فارس ، وله تاج من المجد كان مثله من الجوهر على رأس أبروز ، يريد أنه معرق له عظامى .

(٢) تقول : عزوته إلى فلان : إذا نسبته إليه ، أعزوه ، فأنا عاز . يقول : هو هو بنفسه أجل من كل أصل شريف ، حق لو نسبته إلى الشمس كان أشرف منها .

(٣) وسام الركاز : عطف على الفريد . والفريد : الدر إذا نظم وفصل بغيره ، أو هو الكبار من الدر . والسام : عروق الذهب ، وأضافه إلى الركاز لأن الركاز معدن الذهب . يقول : إن هذه الأشياء كأنها أخذت من لفظه لحسنه وانتظامه .

(٤) الأعجاز . جمع عجز ، وهو أسفل كل شيء . يقول : إن شغله الشاغل إنما هو للمعالي ، لا مغازلة النساء . وفى هذا المعنى يقول أبو تمام :

وَمِنْ كَانَ بِالْبَيْضِ الْكُوعُ ابْغَمَ مَغْرَمًا فَمَازَلَتْ بِالْبَيْضِ الْقَوَاضِبُ مَغْرَمًا
وَمِنْ تَيَمَّتْ سَمَرُ الْحَسَانِ وَأَذْمَهَا
فَمَا زَلَتْ بِالسَّمْرِ الْعَوَالِي مُتَمِيمًا

تَقْضِمُ الْجَنْمَرَ وَالْحَدِيدَ الْأَعَادِي
 دُونَهُ قَضِمَ سُكَّرِ الْأَهْوَازِ^(١)
 بَلَفَتَهُ الْبَلَاغَةُ الْجُهْدَ بِالْعَفْوِ وَنَالَ الْإِسْهَابَ بِالْإِيْجَازِ^(٢)
 حَامِلُ الْحَرْبِ وَالْدِيَاتِ عَنِ الْقَوِّ مَ وَثِقِلَ الدُّيُونُ وَالْإِعْوَازِ^(٣)

ويقول :

عَدَاكَ حَرَّ الثَّفُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثَّفُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْخَصِيبِ^(١)
 (١) القضم : أكل الشيء اليابس . والآهوز : كور بين البصرة وفارس . يقول :
 لحق أعدائه عليه وشدة غيظهم من جراء قصورهم دونه يقضمون الجمر والحديد كما
 يقضم السكر . وهذا من قول الأعشى :

قَضِمَ حَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا

بِفَيْكَ وَأَحْجَارَ الْكَلَابِ الرَّوَاحِصِ^(٢)

وقول أبي العتاهية :

كَأَنَّ الْمَطَايَا الْمُجْهَدَاتِ مِنَ الشَّرَى إِلَى بَابِهِ يَقْضِمْنَ بِالْجُهْدِ سُكَّرًا
 (٢) العفو : الليسور — من عفو المال : ما فضل عن النفقة فبذل بسهولة . والجهد :
 المشقة ، والإسهاب : الإكثار . يقول : إنه من البلاغة بحيث يبلغ باليسر والسهولة
 ما يبلغه غيره بالمشقة وجهد الروية . وينال بإيجازه . في القول ما ينال غيره بالإسهاب
 وما أجمل قول البحرى :

فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ أَمْرُو أَنَّهُ نِظَامٌ فَرِيدٌ

حُزْنٌ مُسْتَعْمَلُ الْكَلَامِ اخْتِيَارًا وَتَجَنُّبٌ خِلْمَةِ التَّعْقِيدِ

(٣) الديات : جمع دية ، ما يؤخذ من القاتل عن القتال . والإعواز : الحاجة والفقر .

- (١) سلسالها : يريد ريقها ، والحب : الذى فيه الحباء ، وهى صفار الحمى .
 (٢) عض : أمر ، من عض يعض ، والكلاب — بضم الكاف ، وتخفيف اللام —
 اسم ماء كانت عنده إحدى الوقائع ؛ والرواحص : صفة للأحجار ، وهى الثابتة
 المترفة المترافعة .

كَيْفَ لَا يَشْتَكِي وَكَيْفَ تَشْكُوا

- وَبِهِ لَا يَمْنُ شَاكِهًا الرَّازِي^(١)
 أَيُّهَا الْوَاسِعُ الْفَنَاءُ وَمَا فِيهِ مَيِّتٌ لِمَالِكَ الْمُجْتَازِ^(٢)
 بَكَ أَضْحَى شَبَا الْأُسْنَةِ عِنْدِي كَشَبَا أُسُوقِ الْجِرَادِ النَّوَازِي^(٣)
 وَأَنْتَنِي عَنِّي الرُّدْنِي حَتَّى دَارَ دَوْرَ الْخُرُوفِ فِي هَوَازِ^(٤)
 وَبَابَاثِكَ الْكِرَامِ النَّاسِي وَالْتَسَّلِي عَمَّنْ مَضَى وَالتَّعَازِي^(٥)

(١) الرازي : الرزايا ، جمع مرزئة . فأصله المهن . وخفف للضرورة . وضمير تشكوا : للقوم . يقول : إني لأعجب كيف لا يشتكى ثقل ما يحمل عن قومه ، وكيف يشتكى رزية أحد من قومه وهو حاملها عنه ؟

(٢) فناء الدار . ساحتها ، والمجتاز : الذي يجوز بالمكان ولا يرجع عليه . يقول : إن فناء داره واسع ودوره كثيرة متوافرة ، ومع ذلك يجتاز به ماله فلا يقيم عنده ولا يجد مكانا يبيت فيه . يعني أنه معطاء يذل ماله فلا يبقى عنده .

(٣) شبا الأسنة : حدها . وأسوق : جمع ساق . والنوازي - من قولك نزا الجراد ينزو - وثب . يقول : لما صرت في جوارك واعتصمت بك صرت لا أكثر لمدو ولا سلاح حتى صار سنان الرمح في نظري كساق الجراد لقله مبالاة به .

(٤) قوله في هواز : أراد في هوز . والعرب تنطق بهذه الكلمات على غير ما وضعت ، كما قال أبو حنبل في البرامكة :

أَبُوجَادُهُمْ بَذَلُ النَّسْوَى يُلْهَمُونَهُ وَمُعْجَمُهُمْ بِالسَّوْطِ ضَرْبُ الْفَوَارِسِ
 وإنما هو أبجد . يقول للثني : ارتد الرمح عنى والتوى على نفسه التواء الحروف الدورية في هوز ، وهى الهاء والواو والزاي ؛ والجيد في تعطف الرماح قول أبي الصلاء للمرى :

وَتَعَطَفَتْ لِمَبِ الصَّلَالِ مِنَ الْأَسَى فَالزُّجُّ عِنْدَ الْلَهْدَمِ الرَّعَافِ
 (يقول المرى : تعطفت الرماح من الحزن كما تتعطف الحيات ، وتلوى إذا لعبت حتى تجمع رؤوسها إلى أذيالها : أى تتأود الرماح من الحزن حتى تجتمع أسنتها وزجاجها) .

(٥) الناسى : التعمزى ؛ والتعازى : جمع تعزية . يقول : إنما يعتمزى عمن مضى منا بذكر آبائك الكرام ، فإذا ذكرنا قديم : هان علينا قديم بدم .

(١٩ - الثني ٢)

تَرَكُوا الْأَرْضَ بَعْدَ مَا ذَلَّلُوهَا وَنَشَتْ تَحْتَهُمْ بِلَا مِهْمَازٍ^(١)
وَأَطَاعَتْهُمْ الْجِيُوشُ وَهَيَّبُوا فَكَلَامُ الْوَرَى لَمْ كَالْتَحَازِ^(٢)
وَهَجَانٍ عَلَى هَجَانٍ تَأَيَّنَتْكَ عَدِيدُ الْخُبُوبِ فِي الْأَقْوَازِ^(٣)

(١) للمهماز : حديدة تجعل في عقب الراكب ، ينخس بها بطن الدابة لتسرع في
الشي . يقول : ماتوا بعد أن ملكوا الأرض وانقادت لهم اقياد الدابة القلول التي
تمشى بغير مهماز .

(٢) النحاز : داء يصيب الإبل والغنم في صدورهما يشبه السعال . وهيبوا : أى
هابهم الناس . قال ابن جني : أى لما صاروا إلى هذه الحالة من علو الكلمة وإطاعة
الجيوش إياهم صاروا لا يعاؤون بكلام أحد . وقال الواحدى : وأجود من هذا أن
يقال : السعال يرقق الصوت ؛ والمعنى : لميبتهم كان الناس لا يرفعون الصوت :

(٣) وهجان : أى ورب هجان ؛ والهجان من الإبل والناس : السكرام الخالصة
النسب ، وتأيتك وتأيتك : أنت إليك وقصدتك ، يقال تأيا الشيء وتأياه : أى
تعمد آيته ، أى شخصه ، وقصده ؛ وآية الرجل : شخصه ، قال :

الْحَصْنُ أَذْنَى لَوْ تَأَيَّنْتَهُ مِنْ حَنِيكِ التَّرْبِ عَلَى الرَّاكَبِ^(١)
وقال لقيط بن معمر الأيادي :

أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأَيَّزُكُمْ عَلَى حَنْقٍ لَا يَشْعُرُونَ أَضَرَ اللَّهُ أَمْ نَقَعًا
وقد استشهد بعض الشراح ببيت الأعشى :

إِذَا مَا تَأَيَّزُ يُرِيدُ الْقِيَامُ تَهَادَى كَمَا قَدَرَأَيْتَ الْبَهْرَ^(٢)

موردين إياه إذا ماتا ، وهذا خطأ منهم ، لأنه إذا ماتا ؛ وتأتى للشيء : تهيأ له
والأقواز : جمع قوز ، القطعة المستديرة من الرمل ، شبه الزاوية . يقول : رب رجال
كرام على إبل كريمة قصدوك في مثل عدد حبات الرمل كثرة ،

(١) هذا البيت لا مرأة مخاطب ابتها ، وقد قالت لها :

يَا أُمِّي أَبْصُرْنِي رَاكِبٌ يَسِيرُ فِي مُسْحَنَفَرٍ لَاحِبٍ

مازلت أحشو التراب في وجهه عِداً وَأُحْيِي حَوْزَةَ الْغَائِبِ

فَقَالَتْ لَهَا أُنْهَا : الْحَصْنُ ... الخ ...

(٢) بهراً : أى مبهوراً ، أى أصابه البهر ، وهو انقطاع النفس من الإعياء .

صَفَهَا السَّيْرُ فِي الْعَرَاءِ فَكَانَتْ فَوْقَ مِثْلِ الْمَلَاءِ مِثْلَ الطَّرَازِ^(١)
وَحَكَى فِي اللَّحُومِ فِعْلَكَ فِي الْوَفْرِ فَأَوْدَى بِالْعَنْتَرِيسِ الْكِنَازِ^(٢)
كُلَّمَا جَادَتِ الظُّنُونُ بِوَعْدِ عَنْكَ جَادَتْ يَدَاكَ بِالْإِنْجَازِ^(٣)
مَلِكٌ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ
وَاضْمَعُ الثُّوبَ فِي يَدَيَّ بَرَازِ^(٤)
وَلَنَا الْقَوْلُ وَهُوَ أَذْرَى بِفَحْوَا هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الْإِعْجَازِ^(٥)
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ شُعْرَاءُ كَأَنَّهُا أَنْكَازِ بَازِ^(٦)

(١) العراء : الأرض الواسعة كالفضاء ؛ والملاء : جمع ملاءة ، الربطة ذات لفقين ، والإزار ؛ والطرّاز : ما يكون في الثوب من النقش ، فارسي معرب . شبه استواء الإبل وانتظامها صفوفاً في سيرها على سعة الفضاء بطراز - نقش - على ملاءة . وإذا كان هناك في هذه الحالة سراب كان التشبيه أوقع لياضه ، وهكذا سير الإبل إذا كان في بسيط من الأرض وكانت كراماً استقامت في السير كأنها صف فلم تتقدم واحدة على أخرى ، كما قال أبو نواس :

تَذَرُ الْمِطْيَ وَرَاءَهَا فَكَأَنَهَا صَفَ تَقْدَمُهُنَّ وَهِيَ إِمَامُ
(٢) فاعل حكى : ضمير السير ؛ والوفر : المال الكثير ، وأودى : أهلك ، والعنتريس : الناقة الشديدة الصلبة ، والكناز : المكتنزة اللحم . يقول : إن السير ذهب بلحوم هذه الإبل وأفنى كل ناقة صلبة منها فحكى - مائل - في ذلك جودك في إهلاك المال .
(٣) يقول : كلما ظن إنسان أنك تعطيه شيئاً فوعده ظنونه بذلك عنك وعدا صدقت ظنونه وأنجزت ذلك الوعد ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

صَدَّقْتَ ظَنِي وَصَدَّقْتَ الظُّنُونَ بِهِ وَحَطَّ جُودُكَ عِنْدَ الرَّحْلِ عَنْ جَمَلِي
(٤) القريرض الشعر والبزاز : تاجر الثياب . يقول : انه عارف بالشعر معرفة البزاز بالثياب .

(٥) يقول : تقول القول وهو أدرى منا بمغزاه وأبصر بمواطن الإعجاز فيه . وقال ابن جني : أى ينسب إلينا القول وهو أعلم بمغناه وأولى منا أن يأتي في القول بالمعجز .
(٦) الحازباز - بيناء الجزأين على الكسر - حكاية صوت الذباب ، ثم سمي به الذباب

وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا وَهُوَ فِي الْعَمَى ضَائِعُ الْكَوَاكِبِ^(١)

نفسه . يقول : أنت طب بالشعر ناقد له ، وغيره لا يعرف الشعر ولا يميز جيده من رديئه ، فيجوز عليه شعراء يهذون بما لا حفل له كأنهم الذباب حين يطن . هذا ؛ وإليك عبارة اللسان في الخازباز توفية لهذه المادة ، وإن كان قد سبق لنا القول في ذلك ، قال :
والخازباز : ذباب ، اسمان جملا واحدا ، وبنيا على الكسر لا يتغير في الرفع والنصب والجبر ؛ قال عمرو بن أحمَر :

تَقَفَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارَى وَجُنَّ الْخَازِبَازُ بِهِ جَنُونَا

« الخازباز » وصمى الذبان به - وهما صوتان جملا واحداً - لأن صوته خازباز ، ومن أعربه نزله بمنزلة الكلمة الواحدة فقال خازباز ؛ وقيل أراد النبت ، وقيل أراد ذبان الرياض ؛ وقيل : الخازباز ، حكاية لصوت الذباب فسماه به ، وأنشد أبو نصر تقوية لقوله :

أَرْعَيْتَهَا أَكْرَمَ عُودٍ عُودَا الصَّلِّ وَالصَّفْصَلِ وَالْيَقْضِيَا

وَالْخَازِبَازِ السِّنِّمِ الْمَجُودَا بَحَيْثُ يَدْعُو عَامِرٌ مَسْعُودَا

« نبت سنم حرجع ، وهو الذي خرجت سنمته ، وهو ما يملو رأسه كالأكليل ، والمجود الذي أصابه المطر » وعامر ومسعود راعيان « وكل من الصل والصفصل واليعضيد نبات » والخازباز - في غير هذا - داء يأخذ الإبل والناس في حلقها . أقول : « لعله من لسع ذباب بعينه » وقال ابن سيده : الخازباز : قرحة تأخذ في الحلق ، وفيه لغات ، قال :

يَا خَازِبَازِ أَرْسِلِ اللَّهَازِمَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ لَازِمَا

والخزباز : لغة وأنشدوا :

مِثْلُ الْكِلَابِ تَهَرَّ عَنْدَ دِرَابِهَا

وَرَمَتْ لَهَا زُمُهَا مِنَ الْخُزْبَازِ

« الدارب : جمع درب ، والهازم : جمع لهزمة ، وهي لحمية في أصل الحنك ، شبههم

بالكلاب النابحة عند الدروب »

(١) يقول : ويظن أنه طب بالشعر بصير بمعرفته مع أنه فيه كالأعمى الذي ضاعت

كُلُّ شِعْرِ نَظِيرٍ قَائِلُهُ فِيكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ^(١)

عصاه فهو لا يهتدى للطريق ، وقوله : وهو فى العمى الخ ، أى هو ضائع العكاز حال كونه فى جملة العميان .

(١) المجيز : المدوح الذى يعطى الجائزة ، والمجاز : الشاعر الذى يأخذ الجائزة . وقوله : عقل المجاز ، أى مثل عقل المجاز : حذف المضاف .

يقول : إن الشعر حسب قارضه : فإن كان الشاعر مجوداً ذا قريحة بصيراً به كان شعره حسب طبقته هذه ؛ وكذلك التخلف يكون شعره متخلطاً ، والمدوح الذى يحيز يشبه عقله عقل من يأخذ جائزته ، فهو إن أجاز على الشعر الجيد البارع : كان عقله جيداً كمقل قارضه وإن أجاز على الشعر الدون كان عقله دوناً كذلك . والحاصل أن الشعر يحك للمادح والمدوح معاً ، فهو يدل على مكانة الشاعر من القدرة على التجويد والابتكار ، وعلى مكانة المدوح من البصر بالشعر وتقدمه ومعرفة ما يستحقه . وروى بدل « قائله فيك » قابله منك ، فيكون الخطاب للشاعر . يقول للشاعر : إذا مدحت أحداً فقبل شعرك فهو نظيره : يعنى أن العالم بالشعر لا يقبل إلا الجيد ، والجاهل به يقبل الردىء .

قافية السين

وقال وقد أذن المؤذن ، فوضع سيف الدولة الكأس من يده ، فقال أبو الطيب
ارتجالاً :

أَلَا أُذِّنُ فَمَا أَذْكَرْتَ نَائِي وَلَا كَيْتَ قَلْبًا وَهُوَ قَائِسٌ^(١)
وَلَا سُيْلَ الْأَمِيرِ عَنِ الْمَعَالِي
وَلَا عَنْ حَقِّ خَاتِمِهِ بِكَائِسٍ^(٢)

وقال يمدح عبيد الله بن خلكان الطرابلسي :
أَعْطَيْتَهُ الْوَحْشَ لَوْلَا ظَبْيَةُ الْأَنْسِ
لَسَا غَدَوْتُ بِجِدَّةٍ فِي الْهَوَى تَيْسٍ^(٣)

(١) يقول - للمؤذن - أذن فلم تذكر بأذائك نائياً : يعني أنه يحافظ على الصلوات
لا ينسى أوقاتها ، فهو غير محتاج إلى أن يتذكرها بالأذان ، وهو لين القلب خاشع ،
فلا يحتاج إلى ما يلينه . وكان حقه أن يقول نائياً ، ولكنها الضرورة ، أو على لغة من
يقول : رأيت قاض . وقوله : وهو قاس ، في موضع الحال ، كأنه قال : ولا كنت
قلباً قاسياً .

(٢) يقول : لم تكن الكأس لتشغله عن حق الله تعالى ، ولا عن مراعاة أسباب
المعالي ، فهو ليس بمن يستهلكون أوقاتهم فيفعل عما يلزمه من أداء فريض أو مراعاة
حق . وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

وَلَمْ يَشْفَلْكَ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي وَلَا لَذَائِهَا لَهْوٌ وَلَعِبُ
(٣) الأنس : جماعة الناس . تقول : رأيت بمكان كذا أنساً كثيراً ؛ أي ناساً
كثيراً ، والأنس أيضاً : الحمى المقيمون ؛ والأنس كذلك : لغة في الإنس . وأنشد
الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

نظر الراس من ١٩ ص ٢٩٥

أَتَوَا نَارِي ، فَقُلْتُ مَنْوَنَ أَتَمَ ؟ فقالوا : الجن ، قلتُ : عَمُوا ظلاماً
فقلتُ : إلى الطعام ؟ فقال منهم زَعِيمٌ : نَحْسُدُ الْآنَسَ الطَّعَامُ
لقد فَضَلْتُمُو بِالْأَكْلِ فِينَا ولكن ذاك يُفَقِّبُكُمْ سَقَامَا
والآنس . أيضاً : خلاف الوحشية ، وهو مصدر أنست به - بالكسر - أنساوأنسة .
وفيه لغة أخرى : هي أنست به أنساً ، مثل كفرت به كفرأ . والجد : الحظ والبخت ،
والتعس : الانحطاط والكب والثور : ضد الاتعاش وقيل الهلاك ، وتعس - بالفتح -
يتعس تعساً ، وأتعسه الله . قال مجمع ابن هلال :

تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ خَلِيلِهَا تَعَسْتُ كَمَا أَتَعَسْتَنِي يَا مُجْمَعُ
والمراد بالجد التعس : النحوس المشوم . وقد عابوا قوله : تعس ، قائلين : إنما يقال
جد تاعس ، من تعس - بفتح العين - ولا يجوز بكسرها إلا ما روى عن الفراء ، واحتج
أهد اللغة ببيت الأعشى :

بِذَاتِ لَوْثٍ عِفْرٍ نَأَمَ إِذَا عَثَرْتُ فَالتَّعَسُ أَذَى لَهَا مِنْ أَنْ أَقُولَ لَمَأً^(١)
ولو جاز تعس - بالكسر - لكان المصدر تعساً ، فعلى هذا لا يقال : جد تعس .
وإنما يقال : تاعس . يخاطب الظبية الوحشية لأنها ألفت له لكثرة ملازمته الفياقي ومساءلته
الأطلال ، كما قال ذو الرمة :

أَخْطُ وَأَنْحُو الْخَطَّ ثُمَّ أَعِيدُهُ بِكَفٍّ وَالْفِزْلَانِ حَوْلِي تَرَنُّ
أَيُّ قَدْ أَلْفَنِي وَأَنْسَنِي لِكَثْرَةِ مَا يَرِنُنِي . يقول : لولا شبيبتك من الإنسان أيتها
الظبية - يعنى حبيبتة - لما صرت في الحب ذا جد منحوس .

(١) قوله بذات لوث : متعلق بكلفت - في بيت قبله - وهو :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِي وَشَايَعَنِي هِيَ عَلَيْهَا إِذَا مَا آلَهَا لَمَعَا

اللوث - بالفتح - القوة . وعفرانة ، شديدة قوة ، والعرب تدعو على العائر من
الدواب إذا كان جواداً بالتعس فتقول : تعساً له ، وإن كان بليداً كان دعاؤهم له إذا عثر :
لماً لك ، وهي كلمة يراد بها : أن ينتعش .

- وَلَا سَقَيْتُ الثَّرَى وَاللُّزْنُ مُخْلِفَةٌ دَمْعًا يُنَشِّفُهُ مِنْ لَوْعَةٍ نَفْسِي^(١)
وَلَا وَقَفْتُ بِجِسْمٍ مُسَى ثَالِثَةً
ذِي أَرْسُمِ دُرُسٍ فِي الْأَرْسَمِ الدُّرُسِ^(٢)
صَرِيحَ مُقْلَتِهَا سَأَلَ دِمْنَتِهَا
قَتِيلَ تَكْسِيرِ ذَاكَ الْجَفْنِ وَاللَّعْسِ^(٣)
خَرِيدَةً لَوْ رَأَتْهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ
وَلَوْ رَأَاهَا قَضِيبُ الْبَانِ لَمْ يَمْسِ^(٤)

(١) الثرى : التراب ؛ واللزن : السحاب الأبيض ؛ ومخلفة : أى غير ماطرة من إخلاف الوعد . يصف حرارة وجده وكثرة دموعه ، وأن حرارة نفسه تنشف دموعه إذا جرت على الأرض . وهذا ينظر إلى قول الآخر :
لَوْ لَا الدَّمُوعُ وَفِيضُهُنَّ لَأَحْرَقَتْ أَرْضَ الْوَدَاعِ حَرَارَةُ الْأَكْبَادِ
وقول الآخر :

وتكاد نيران القلوب إذا التظت يوماً تُنَشِّفُ فِي الْعَيُونِ الْمَاءَ
(٢) المسى : المساء ، مثل الصبح والصبح . وهو ظرف للوقوف ؛ ومسى ثالثة : أى مساء ليلة ثالثة . وذى أرسم : صفة لجسم . والأرسم جمع رسم : الآثار ، والدرس : جمع دارس ودارسة : أى التى انمحت . يقول : لولا هذه الظبية لما وقفت برسوم دارها مساء الليلة الثالثة من ظننها - أى لما وقفت بربعها مع قرب العهد ببقائها - بجسم دارس نازل قد أبلاه الحزن وأنعله حتى آض مثل تلك الرسوم . ومثله للعكوك :

خَلَفْتَنِي نِصْوُ أَحْزَانٍ أَعَايَجُهَا بِالْجَزَعِ أَنْدُبُ فِي أَنْضَاءِ أَطْلَالِ
(٣) الدمنة : جمعها دمن - ما اسود من آثار الديار - ، واللّس : سمرة في الشفة مثل اللى ، وصريح وسأل : حالان . ومن خفضهما : فعلى أنهما نعتان لجسم . واللّس : عطف على تكسير . وكاف ذاك : رويت بالكسر لأنه يخاطب الظبية . يذكر شدة وجده بها ، وأن مقتلها قد صرخته بسحرها وأنه يتسلى بسؤال آثار دارها عنها أين ذهبت . وأنه مقتول بما في جفنها من الانكسار وتور النظر وما في شفها من السمرة .
(٤) الحريرة : الحفرة الحية . وماس النصن يميس : مال وتنى . وليس : أصله

مَا ضَاقَ قَبْلَكَ خَلْخَالٌ عَلَى رَشَاٍ وَلَا تَمِغْتُ بِدِيَاكِجٍ عَلَى كَنَسٍ^(١)
إِنْ تَرَمِي نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْ كَثَبٍ
تَرَمِ أَمْرًا غَيْرَ رَغْدِيدٍ وَلَا نِكْسٍ^(٢)

التبختر . وهو للانسان ، واستعاره للقضيب من حيث إن حسن تمايله يشبه التبختر .
يقول : إنما أحسن من الشمس حتى لو رأتها الشمس لم تطلع حياء منها . وهي أحسن
ثنيا من ثنى غصن البان ، فلو رآها لم يتأيل . قال الواحدى : وفى هذا إشارة إلى أنها
فى غاية السر ، وأن الشمس لم ترها ولا الفصن .

(١) الرشا : الظبي الصغير . والكنس والكناس الموضع الذى تتخذة الطباء من
أغصان الشجر تستظل به من الحر . يقول : إن الرشا دقيق القوائم لا يضيق الخلخال
على قوائمه ، وأنت رشا غليظ القوائم كثير اللحم يضيق عليك الخلخال ، ولم أسمع أن
كناس الرشا يسز بالديياج - ضرب من الثياب الحريرية - أما أنت فستورة الكناس
بالديياج - يريد هودجها . وفيه نظر إلى قول ابن دريد :

أَعَنِ الشَّمْسُ عِشَاءً رُفِعَتْ تِلْكَ السَّجُوفُ
أُمُّ عَلَى أَذْنِي غِرَالٍ عُلِّقَتْ تِلْكَ الشُّنُوفُ

(٢) الكتب : القرب . والرعيد : الجبان . والنكس : الساقط الفشل ، وأصله
بكسر النون وسكون الكاف ، فلما احتاج إلى تحريكه نقله إلى فعل . بفتح فكسر ، أو
بكسرتين : على حد قول عبد مناف بن ربح الهذلى :

مَاذَا يَفْسِرُ ابْنَتِي رِبْعٌ عَوِيلُهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا يُؤْسَى لِنِ رَقْدَا
كَلْتَاهَا أَبْطَلَتْ أَحْشَاؤُهَا قَصْبًا مِنْ بَطْنِ حَلِيَّةٍ لَا رَطْبًا وَلَا نَقْدَا
إِذَا تَجَاوَبَ نَوْحٌ قَامَتَا مَعَهُ ضَرْبًا أَلِيًّا بِسَبْتٍ يَلْمِجُ الْجِلْدَا^(١)

(١) يقول هذه الآيات فى أخيه وبكائهما على أبيهما . قوله : ماذا يغير الخ ، أى
لا يغي بكأؤهما على أبيهما من طلب ثأره شيئاً . وقوله : كلتاهما أبطلت الخ ، يقول : كأن فى
أجوافهما قصب للزأمر من شدة البكاء . وفى الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يبكى فى صلاته حتى يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل . وقوله : ولا هداً؟ أى لم يتأكل
والثاء فى «ترقدان» للمؤنث القائب . والحلية : مأسدة بالعين والنوح : النساء يجتمعن
للنواح ؛ وقد كانت نساء العرب فى مناحتهن يلطمن خدودهن بالجلود .

يَفْدَى بِبَيْدِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ حَاسِدُهُمْ
 بِجَبْهَةِ الْمَسِيرِ يُفْدَى حَافِرُ الْفَرَسِ^(١)
 أَبَا الْفَطْرَةِ الْحَامِينَ جَارَهُمْ وَتَارِكِي اللَّيْلِ كَلْبًا غَيْرَ مُفْتَرَسِ^(٢)
 مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ كَأَنَّمَا أُشْتَمَلَتْ نُورًا عَلَى قَبَسِ^(٣)

[غير : ينفع . والسبت : جلود البقر المدبوعة . واللجج : الحرقه . أراد الجلد ، فرك اللام بالكسر لكسر ما قبله] . ومثله كثير . يقول المتنبي : إن زمانى الدهر بنوابه عن قرب - يعنى من حيث لا يخطىء - فأنى غير جبان ولا ساقط دنىء - يعنى لا أخاف ذلك ولا أجنب منه .

(١) عبيد الله : منادى وحاسد هم : فاعل يفدى . جعل العير - الحمار - مثلاً للدنىء . والفرس : مثلاً للكريم ، والمعنى : بأعز شيء فى الثيم يفدى أحسن شيء فى الكريم : أى أن حاسدهم إذا فداهم كان كما يفدى حافر الفرس بوجه الحمار . ومثل هذا لأبى جعفر الأسكافى :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَهِيَ غَيْرُ عَزِيزَةٍ فِي جَنْبِ شَخْصِكَ وَهُوَ جِدُّ عَزِيزٍ
 فَلَقَدْ يَتَّقِي الْحَرَّ الْبَيْتِ أَذَاتَهُ فِي وَقْتِهَا كَفَتْ مِنَ الشُّونِيزِ
 » الشونيز والشينيز : الحبة السوداء ؛ ومثله لأبى نصر العتي :

اللَّهُ يَشْهَدُ وَالْمَلَأْتُكَ أَنْتَى لَجَلِيلٍ مَا أَوْلَيْتَ غَيْرُ كَفُورٍ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ لَا لِقَدْرِ بَلْ أَرَى أَنَّ الشَّعِيرَ وَقَايَةَ الْكَافُورِ

(٢) أبى الفطرفة : نصب على البدل من عبيد الله ، الذى هو منادى . والفطرفة : جمع غطريف ، وهو السيد . والحامين : جمع حام ، وهو الذى يحمى قومه وجيرانه . يقول : يا أبى السادة الذين يحفظون جارهم ويتركون الأسد كلباً لا يصيد شيئاً ، يعنى أن الأسد - أى البطل الشجاع - عندهم كالكلب غير الصائد ، لجبنه عنهم .

(٣) الأبيض هنا : الكريم النقى العرض . والوضاح : المشرق الواضح الجبهة . والقبس : الشعلة من النار . وعمامته : مبتدأ . والخبر : الجملة التى بعده . أى أنه تحت عمامته كأنه شعلة نار لنور وجهه وإشراق لونه . وهو من قول عبد الله بن قيس الرقيات^(١) :

(١) إنما أضيف قيس إلى الرقيات ؛ قيل لأنه كان يشب بعبدة نساء يسمين جميعاً رقية :

دَانٍ بَعِيدٍ مُحِبٍّ مُبْغِضٍ بِهِجٍ أَغْرَ حُلُوِّ مِرَّةٍ لَيْنٍ شَرِسٍ^(١)
 نَدِيٍّ أَبِي غَرٍ وَافٍ أَخِي ثَقَةٍ
 جَعَدَ سَرِيٍّ نَهٍ نَذَبٍ رَضَى نَدُسٍ^(٢)
 لَوْ كَانَ فَيْضُ يَدَيْهِ مَاءَ غَادِيَةٍ
 عَزَّ الْقَطَأُ فِي الْفَيَافِي مَوْضِعُ الْيَبَسِ^(٣)

إنما مُصْعَبٌ شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
 (١) أمر الشيء : صار مرأ . يقول : هو دان - قريب - بمن يحبه ويقصده بعيد
 عن ينازعه ، حب للفصل وأهله ، مبغض للنقص وأهله . بهج بالقصاد ، حلو لأوليائه
 مر على أعدائه ، لين في الرضا . شرس - صعب - على الأعداء . وروى الخوارزمي
 حب مبغض - بصيغة اسم المفعول . وبهج بالشيء وله ، بالكسر بهاجة : أى فرح به ،
 وسر ، فهو بهج وبهج قال الشاعر :

كَانَ الشَّبَابُ رَدَاءً قَدْ بَهَجْتُ بِهِ : فَقَدْ تَغَايَرَ مِنْهُ لِلْبَلَى خِرْقُ
 (٢) ند : جواد ندى الكف . وأبى : أنوف يأبى الدنيا . وغر : مغرى بالفعل
 الجميل مولع به . واف : بالعهد والوعد . أخى ثقة : صاحب ثقة يوثق به . وروى ابن
 جنى : أخ - منونا - أى هو مستحق لإطلاق هذا الاسم - الأخ - عليه لصحة مودته
 لمن خالطه ، وثقة : موثوق به مأمون عند الغيب - وهو مصدر وصف به : كقولهم زيد
 عدل - وجعد جواد . قال الزمخشري : وأما قولهم جعد للجواد^(١) فمن الكناية عن
 كونه عرييا سخيا ، لأن العرب موصوفون بالجمودة . قال :

هَلْ يُرْوَيْنَ دَوْدَكَ نَزْعٌ مَعْدُ وَسَاقِيَانِ سَبِطٌ وَجَعْدُ
 أى عجمي وعربي ، لأنهما لا يتفاهان فلا يشتغلان بالكلام عن السقي . وسرى ؛
 شريف ، ونه : ذونمية ، وهى العقل . والندب : الخفيف فى الأمور يندب لها : أى
 يدعى فينتدب . ورضى . أى مرضى . والندس - بضم الدال وبكسر ها - الفطن البحاث
 عن الأمور العارف بها .

(٣) فيض يديه : أى الفائض من يديه . والغادية : السحابة تندو بالمطر . والفيافي :

(١) لأن الأصل أن يقال : فلان جعد ، أى بخيل .

أَكْرَمَ حَسَدَ الْأَرْضِ السَّمَاءَ بَيْنَ
 وَقَصَّرَتْ كُلُّ مِصْرٍ عَنْ طَرَابُلُسٍ^(١)
 أَيْ الْمُلُوكِ - وَهُمْ قَصَدِي - أَحَافِرُهُ
 وَأَيْ قِرْنَ وَهُمْ سَيْنِي وَهُمْ تَرْمِي^(٢)
 وسأله صديق له يعرف بأبي ضبيس الشراب معه فامتنع وقال ارتجالاً :
 أَلَدُّ مِنَ الْمَدَامِ الْخَنْدَرِيسِ وَأَخْشَى مِنَ مُعَاطَةِ الْكُثُوسِ^(٣)
 مُعَاطَةُ الصَّفَائِحِ وَالْعَوَالِي وَإِفْحَايِ خَيْسًا فِي خَيْسِ^(٤)

جمع القيافة ، وهى اللقطة لا ماء بها . واليس : المكان اليابس . يقول : لو كان عطاؤه
 ماء سحابة لم الدنيا كلها حتى لا تجد القطا - وهو الطائر المعروف بالهداية - فى الغلات
 موضعاً جافاً تلتقط منه الحب أو تنام فيه ، ومن - هنا - أعياء . وأصله غلب وقهر ،
 ومنه بيت الحماسة :

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تَجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ

أى أعيانها وجود موضع اليبس : أى للمكان اليابس وامتنع عليها .

(١) أكرم : جمع أكرم . كأفاضل وأفضل . يقول . بسببهم وكونهم فى الأرض
 حسدتها السماء إذ لم يكن فى السماء مثلهم ، وتأخر كل مصر - بلد - عن بلدهم
 طرابلس الشام لفضلهم على أهل سائر الأمصار .

(٢) هذا استفهام معناه الإنكار . ويقول : إذا قصدت هؤلاء لم أحذر أحداً من
 الملوك ، وإذا امتنعت بهم لم أحذر قرناً يقابلنى . والقرن : كفتوك فى الشجاعة : أما القرن
 من الناس : فهم أهل زمان واحد ، قال :

إِذَا ذَهَبَ الْقَرْنُ الَّذِى أَنْتَ فِيهِمْ وَخُلِقَتْ فى قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

والقرن : الوقت من الزمان ، يقال هو أربعون سنة ، وقيل ثمانون سنة ، وقيل مائة .

(٣) و (٤) الخندريس : الحجر القديمة . والصفائح : السيوف العريضة ؛ والعوالى :
 صدور الرماح ؛ والإقحام : دخول الشيء فى الشيء ؛ والخييس : الجيش ؛ ومعنى معاطاة
 الصفائح : مد اليد بالسيوف إلى الأقران بالضرب : كد التناول يده إلى من ناوله الشيء
 يقول : إن الحرب ألد عنده من الشرب : فقوله : ألد ، مبتدأ ؛ وخبره : معاطاة -

فَوَيْتِي فِي الْوَعَى أَرَبِي لِأَنِّي رَأَيْتُ الْبَيْشَ فِي أَرَبِ الثُّفُوسِ^(١)
وَلَوْ سَقَيْتُهَا بِيَدِي نَدِيمَ أَسْرِهِ بِهٍ لَكَانَ أَبَا ضَبَّيْسِ^(٢)

•••

وقال يمدح محمد بن زريق الطرسوسي :
هَذِي بَرَزْتُ لَنَا فَهَجَّتْ رَسِيْسًا مُمَّ أَنْتَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ كَنَسِيْسًا^(٣)

في البيت الثاني — ومثل هذا يسميه العلماء : التضمين ، وهو عيب عندهم ، ومثله قول القائل :

لَسَلَّ السُّيُوفُ وَشَقَّ الصُّفُوفُ وَخَوَّضَ الْخُتُوفُ وَضَرَبَ الْقُلُلُ
أَلَذَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأُسْمَاعِ وَشَرِبَ الْمَدَامَةَ فِي يَوْمِ طَلَنَ
(١) الوعى : الحرب ؛ والأرب : الحاجة ، يقول : إذا قتلت في الوعى — الحرب —
فذلك هو حياتي ، لأن حقيقة الحياة ما يكون فيها تشبيه النفس ، وأنا أشتهي أن أموت
محاربا ، وإذا أدركت ما أشتهي : فكأنني حيت .
(٢) يقول : لو رغبت في شرب الخمر لشربتها من يدي أبي ضببيس ، لأنني أسر
بمنافسته .
(٣) هذي : أي يا هذه ، ناداها وحذف حرف النداء ضرورة ، وقال للمرى : هذه
موضوعة موضع الصدر وإشارة إلى البرزة الواحدة كأنه يقول : هذه البرزة برزت لنا
كأنه يستحسن تلك البرزة الواحدة ، وأنشد :

يَا إِلَهِي إِمَّا سَلَيْتِ هَذِي فَاسْتَوْسِقِي لَصَارِمِ هَذَا

أَوْ طَارِقِي فِي الدَّجْنِ وَالرَّذَاذِ

يزيد هذه الكرة ؛ والرسيس — في الأصل — مس الحصى وأولها ، وهو ما يتولد
عنها من الضعف . وللراد هنا : مارس في القلب من الهوى : أي ثبت ، قال ذو الرمة :
إِذَا غَبَرَ النَّأْيُ الْهَبِيْنُ لَمْ يَكْذُ رَسِيْسُ الْهَوَى مِنْ ذِكْرِ مَيَّةٍ يَبْرَحُ
والنسيس : بقية النفس بعد المرض والهزال . يقول : برزت لنا لحركت ما كان في
قلبنا من هوائك ثم انصرفت عنا مودعة وما شفيت ما أبقى عليه الهوى من نفوسنا —
بالوصال .

وَجَعَلْتَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي فِي الْكَرَى

وَتَرَكْتَنِي لِلْفَرَقْدَيْنِ . جَلِيساً^(١)
 قَطَعْتَ ذِيَّكَ الْخُمَارَ بِسَكْرَةٍ وَأَدْرَتِ مِنْ خَيْرِ الْفِرَاقِ كُؤُوساً^(٢)
 إِنْ كُنْتَ ظَالِعِنَةً فَإِنَّ مَدَامِي تَكْنِي مَزَادَ كُمْ وَتُرَوِي الْعِيسَا^(٣)
 حَاشَى لِمَثْلِكَ أَنْ تَكُونَ بِخَيْلَةٍ وَلِمِثْلِ وَجْهِكَ أَنْ يَكُونَ عَبُوساً^(٤)
 وَلِمِثْلِ وَصْلِكَ أَنْ يَكُونَ مُنْعَمًا وَلِمِثْلِ نَيْلِكَ أَنْ يَكُونَ خَسِيساً^(٥)

(١) يقول : حلت بيني وبينك كما حلت بيني وبين النوم ، لحظي منك ومن وصالك كحظي من النوم ، يعني لا حظ لي من الوصال ولا من النوم ، فهو ساهر طول الليل يراعى الفرقدين ، وهما نجمان لا يفترقان ، يضرب بهما الثقل في الاجتماع .

(٢) ذيك : تصغير ذاك ؛ والخمار : بقية السكر . يقول : كنا مع قربك في شبه الخمار لما كنا نقاسي من بخلك بالوصل ، فجاء ما طم على الخمار بإسكارك إيانا بفراقك ، يعني : بلينا من فراقك بأشد مما كنا تقاسيه من منعك مع قربك ، فشبه بخلها في قربها بالخمار وفراقها بالسكر ، والخمار إذا قيس بالسكر : صغر .

(٣) الظمن : الارتحال . والدماغم : مجارى الدموع من العين ، والمراد : الدموع . والمزاد : جمع الزادة : القربة . والعيس : الإبل . يقول : إن كنت مرتحلة فإنني أكثر عليك من البكاء حتى إن دموعي تملأ ما معكم من أوعية الماء ، وتروى إبلكم فتكتفون بها عن نشدان الماء .

(٤) و (٥) حاشى : كلمة تنزيه ، تعرب إعراب المصادر المحذوفة العامل ، ولا تنون لأنها منقولة عن الحرف . وقد وفينا القول عليها فيما أسلفنا من هذا الشرح . و «أن تكون» في موضع جر بـ «من» مضمرة . واسم تكون : يرجع إلى مثل ، وهو يذكر ويؤنث بحسب ما يقع عليه . وعبس : قطب وجهه ، والنيل : اسم لما ينال . والحسيس : القليل . يقول مثلك في حسنه وكرم أصله لا ينبغي أن ييخل على من يحبه بالوصال ، ومثل وجهك في توافر ملاحظته لا ينبغي أن يكون عبوساً للناظرين إليه ، وبودى أن تجودى بوصلك وأن لا تمنعه عنا . هذا : ولم يرد المتنبي ما قيل — في هذا البيت — أنه أراد أنها تكون مبذولة الوصال ، وإنما يحسن الوصال ويطيب إذا كان ممنعا ، وإذا كان مبذولا مل ، وانحرفت النفس عنه ، وما أحسن قول القائل :

خَوْذُ جَنْتِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَوَازِلِي حَرْبًا وَغَادَرَتِ الْفَوَادَ وَطَيْسًا^(١)

ما أحلى الهوى ما لم تنل فيه المنى والحب أعدل ما يكون إذا اعتدى
وإذا اختبرت رأيت أصدق عاشق من لا يمد إلى مواصلة يدا
وقد قال كثير :

وإني لأسمو بالوصال إلى التي يكون نثيًا وصلها وازديارها
أى إنما أرغب فى ذات القدر المصونة ، لا المبذولة ، وأنشد بعضهم قول الأعشى :
كَأَنَّ مِشْيَتَهَا فِي بَيْتِ جَارَتِهَا مَشَى السَّحَابَةُ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ
فقال هذه خراجة ولاجة ، هلا قال كما قال الآخر :

وتشتاقها جاراتها فيزرنها وتعتلّ عن إتيانهن فتعذّر ؟
قال ابن فورجه : هذا اعتراض على التنبى بوصفه بحييته بأنّها مبذولة الوصال ،
ولم يتعرض لذلك بشيء ، وإنما قال لها حاشاك من هذا الوصف ، وليس فى اللفظ ما يدل
على أنّها مبذولة الوصل أو مغممة ، بل فيه أنه يريد أن يكون مبذولا وصلها له ، وأى
عجب لا يجب ذلك ؟ وإن كان لا يراد منه أنه يتمنى بذل حييته فهو محال ؟
قال أبو الفتح إنما أراد حاشى لك أن تمنى وصلك بالنية إن لم يكن بالفعل ، ألا ترى
إلى قول القائل :

أحب اللواتى هنّ فى رونق الصبا وفيهنّ عن أزواجهنّ طِاحُ
مُسِيرَاتٍ وَدَّ مَظْهَرَاتٍ لَصْدَه تَراهن كالمضى وهن صحاح ؟
أى هن يظهرن خلاف ما يكتمن . قال الخطيب : أما هذا الشاعر فقد أظهر
ما يحب ويئنه ، وأنه يحب كل لعوب طامحة عن زوجها . وهذا مذهب بعض المحبين .
وأما قول التنبى فهو مبين لهذا بقوله : أن يكون نمنا : فهو مهر صراح .

(١) الخود : — بفتح الحاء — الشابة الناعمة ، وجمعها : خود — ضمها —
وارتفاع خود على أنها خبر مبتدأ محذوف . والوطيس : تنور من حديد ، ويقال حمى
الوطيس : أى اشتدت الحرب . يقول : لسكرة ما يلغنى — أى العوازل — فى هواها ،
ويراجعنى ويفضبنى صار كأن بينى وبينهن حربا من جرائمها ، ثم قال : وقد تركت
فؤادى مثل الوطيس : أى لمتهد بما فيه من حرارة الوجد .

يَيْضَاهُ يَمْنَعُهَا تَكْلَمُ دَلُّهَا تَيْبَاهُ وَيَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ تَمِيسًا^(١)

(١) يقول : إنها يضاء — نية العرض — يمنعا دلها أن تكلم ويمنعها حياؤها أن تميس — تثني — فقوله تكلم ، يريد أن تكلم ، حذف وأعمل ، وكذلك ؛ تميس ويروى بدل تكلم : التكلم . وإليك ما قال المكبري الكوفي : قوله تكلم : أراد أن تكلم ، حذف وأعمل ، وكذلك أن تميس ؛ وهو كثير في أشعارهم ، والبصريون لا يرون ذلك ؛ وحبثنا قول الشاعر :

انظرا قبلَ تَلَوْمَانِي إِلَى طَللِ بَيْنِ النِّقَا وَالنَّحْفَى

وقول طرفة :

أَلَا أَيُّهَاذَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَعَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي^(٢)

وقراءة عبد الله « لا تعبدوا إلا الله » فنصب بتقدير « أن » مع حذفها ؛ وقول عامر ابن الطفيل :

* وَنَهَنَتْ نَفْسِي بَعْدَ مَا كَلِمْتُ أَفْقَلَهُ *

وقد ألزمنهم بقولهم : إنها تعمل مع الحذف من غير بدل في جواب الستة بالفاء مقدرة وحبثهم أنها تصب الفعل ، وعوامل الأفعال ضعيفة ، فلا تعمل مع الحذف من غير بدل ، ولهذا بطل عملها في قوله تعالى « أفغير الله تأمروني أعبد » وقال الشاعر :

أَنْ تَقْرَأَنَّ قَلِيَّ أَسْمَاءَ وَيَحْكُمَا مِنِّي السَّلَامَ وَأَنْ لَا تُشْعِرَا أَحَدًا^(٣)

(١) من مطلقه طرفة ، وبعده :

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيِّي فَذَرْنِي أَبَادِرْهَا بِمَمْلَكَتِ يَدِي

يقول في البيت الأول : يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أقتل . وفي أن أنفق مالي لئلا أفقر — ما أنت مخلدني إن قبلت منك ، فدعني أنفق مالي في الفتوة ولا أخلفه لغيري ثم قال في البيت التالي : إن كنت لا تقدر أن تدفع مودتي فذرني أسبق الموت بالتمتع بإتفاق مالي : يعني أن للموت لا بد منه فلا معنى للبخل وترك اللذات .

(١) قبله :

يَا صَاحِبِي فَدَتْ نَفْسِي نُفُوسَكَ وَحِينَمَا كُنْتَمَا لَا قَيْتَمَا رَشَدَا

لَمَّا وَجَدْتُ دَوَاءً دَأَىٰ عِنْدَهَا هَانَتْ عَلَيَّ صِفَاتُ جَالِينُوسَا^(١)
 أَبْنَى زُرَيْقٍ لِلثُّغُورِ مُحَمَّدًا أَبْنَى نَفِيسٍ لِلنَّفِيسِ نَفِيسًا^(٢)
 إِنْ حَمَلَ فَأَرَقَتْ أَخْزَأْنُ مَالَهُ أَوْ سَارَ فَأَرَقَتْ الْجُسُومُ الرُّوسَا^(٣)
 مَلِكٌ إِذَا عَادَيْتَ نَفْسَكَ عَادِهِ
 وَرَضَيْتَ أَوْ حَسَّ مَا كَرِهْتَ أُنَيْسًا^(٤)

(١) دواؤه عندها : هو الوصال ، وصفات جالينوس — وهو الطبيب اليوناني المشهور — ما وصفه من الأدوية في تواليفه الطبية .

(٢) هذا اقتضاب ، فقد انتقل من التشبيب إلى الملايمة إليه بسبب ، وهو مذهب الجاهلية والمخضرمين ؛ وزريق : أبو المدوح ، ومحمد : اسم المدوح .

يقول : لما مات أبوه ورثه ولاية الثغور ، وهو نفيس وابنه نفيس وحفظ الثغور — مواضع المخافة من فروج البلاد — نفيس ، فقد أبى رجل نفيس لابن نفيس أمراً نفيساً ، وهو حفظ الثغور وذبح الأعداء عنها .

(٣) يقول : إن كان نازلاً في وطنه وهب أمواله حتى تفارق خزائنه ، وإن سار للحرب فرق بين جُسُوم أعدائه وبين رؤوسهم ، يصفه بالكرم والشجاعة .

(٤) تقدير البيت هكذا : إذا عادت نفسك ورضيت أو حش ما كرهت أنيساً فعاده ولكنه حذف الفاء ضرورة . قال الواحدى : ولا يجوز أن يريد بعاده التقديم كأنه قال ملك عاده إذا عادت نفسك ، لأن ما بعد ملك من الجملة صفة له . وقوله : عاده . أمر والأمر لا يوصف به ، لأن الوصف لا بد من أن يكون خبراً يحتمل الصدق والكذب ، والأمر والنهى والاستفهام لا تحتمل صدقاً ولا كذباً . يقول المتنبي : إن عاديتك فقد

أن تحملاً حاجة لى خف تحملاً وتوصفاً نعمة عندي بها ويدا ولا يعلم قائل هذه الآيات . وقوله : فدت نفسى الخ جملة دعائية ، وكذا قوله : لاقيتما الخ . والرشد — محرراً — الاهتداء إلى الصواب . وقوله أن تحملاً : قيل أن « إن » هذه شرطية حذف جوابها دلالة ما قبله عليه ، وقيل أن مفتوحة مصدرية ، وهى وما دخلت عليه منصوب بفعل مقدر . أى أسألكم ، وأن تقرأن : بدل منه . ومحملاً : مصدر ميمي ، أى حملها . وقوله بها : أى بحملها ؛ ويدا : عطف مرادف على النعمة ، وويحك ! معترض بين تقرأن وبين مقوله . وهو السلام ، وويح : كلمة ترحم .

(٢٠ — التنبي ٢)

الْحَائِضَ الْغَمْرَاتِ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَالشَّمْرَى الْمِطْعَنَ الدَّعِيسَا^(١)
كَشَفْتُ جَهْمَةَ الْعِبَادِ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا مَسُودًا جَنْبُهُ مَرْهُوسَا^(٢)
بَشَرٌ تَصَوَّرَ غَايَةً فِي آيَةٍ تَنْفِي الظُّنُونَ وَتُفْسِدُ التَّقْيِيسَا^(٣)

عادت نفسك ورضيت أوحش الأشياء — وهو الموت — أنيسا ، أى أن من عاداه آتى عليه وقتله لقدرة .

(١) نصب الحائض بفعل مضمر : كأنه قال : أردت ، أو مدحت الحائض ولك أن تجعله بدلا من الهاء في «عاده» والغمرات : الشدائد ؛ والشمرى — بفتح الشين وكسرهما الجاد الشيح في أمره ؛ والمطعن : الجيد الطعن ؛ والدعيس : فيل ، من الدعس ، وهو الطعن ، يقول : هو الذى يخوض شدائد الحروب فلا يدافعه أحد للجز عنه .

(٢) جمهرة الشيء وجمهوره : أكثره ومعظمه ، ونصب جنبه : تشبيها بالظرف أراد أنه بالإضافة إليه مسود ومرؤوس ، كما يقال : هذا حقير فى جنب هذا . والمسود : من ساد غيره : يقول : باوت جمهور الناس فلم أجد أحداً إلا والمدوح فوقه فى السيادة والرياسة ، يعنى هو رئيس على الناس ، سيد لهم .

(٣) غاية الشيء : انتهاء ، وحده الذى لا يعدوه ؛ والآية : العلامة ، وأكثر ما تستعمل الآية فى العلامة على قدرة الله سبحانه ، كما قال أبو العتاهية :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

يقول : إن الله صوره بشراً وجعله غاية للناس تنهى إليها كالاتهم بأسرها وكان ذلك الخلق فى آية من خوارق العادات تنفى بها ظنون الناس فيه ، فلا تقع على حقيقة كنهه ، ويفسد قياسهم له بغيره ، لأن الشئ إنما يقاس بمثله ولا مثل له . وقال ابن جني : أنت الذى صورك الله بشراً ينفي الظنون حتى لا يتم فى حال ولا تسبق إليه ظنة . . . وليس هذا من ظن التهمة ، وإنما هو من الظن الذى هو الوهم : أى أنه إنسان لا كالناس لما فيه من صفات ليست فيهم ، وقد وقع للناس الشبهة والشك فى أمره وأفسد مقايستهم عليه ، وعبرة الواحدى : إن ظننته بحرأ أو بدرأ أو سيدأ أو شمسا فليس على ما ظننت بل هو أفضل من ذلك ، وفوق ما ظننته : أى أنه غاية فى الدلالة على قدرة الله تعالى حين خلق صورته بشراً آدميا ، وفيه ما لا يوجد فى غيره حين نفي ظنون الناس ، فلا يدرك بالظن ، وأفسد مقايستهم ؛ لأن الشئ يقاس على مثله ونظيره ، وهو لا نظير له فيقاس عليه . وفى معناه .

وَبِهِ يُضْنُ عَلَى السَّبْرِ لَا بِهَا وَعَلَيْهِ مِنْهَا لَا عَلَيْهَا يُوسَى^(١)
 لَوْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ أَتَمَلَ رَأْيَهُ لَمَّا أَتَى الظُّلُمَاتِ صِرْنَ شُمُوسًا^(٢)
 أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرَ سَيْفِهِ فِي يَوْمٍ مَفْرَكَةٍ لِأَغْيَا عِيسَى^(٣)
 أَوْ كَانَ لُجُ الْبَحْرِ مِثْلَ يَمِينِهِ مَا أَتَشَقَّ حَتَّى جَارَ فِيهِ مُوسَى
 أَوْ كَانَ لِلنَّيِّرَانِ ضَوْؤُهُ جَبِينِهِ عُبدَتْ فَصَارَ الْعَالَمُونَ مَجُوسًا
 لَمَّا سَمِعَتْ بِهِ سَمِعَتْ بِوَاحِدٍ وَرَأَيْتُهُ فَرَأَيْتُ مِنْهُ خَيْسًا^(٤)

أنت الذي لو يعاب فح ملأ ما عيب إلا بأنه بشر

(١) الضن : البخل بالشيء ؛ والبرية : الخليفة . وقوله منها : أى من بينها ، وهو في موضع الحال من الضمير في «عليه» ويوسى : يحزن . تقول : أسيت عليه أسى : حزننت عليه ؛ وأصله يؤسى ؛ فلين للقافية . يقول : إنه يضن به على الناس جميعا لا بالناس عليه . أى لو جعل هو فداء جميع الناس بأن يسلموا هم كلهم دونه لم يساواوا قدره ، ولو جعلوا كلهم فداء له لم ييخل عليه بهم ، لأنه أفضل منهم ، ففيه منهم خلف ولا خلف منه في جميع الناس ، وعليه يحزنون لو هلك لا على الناس كلهم . والمصراع الثانى كالتفسير للأول وقال ابن جنى : وجه الضن ههنا أن يكون فيهم مثله حسداً لهم عليه . قال الواحدى : وهذا محال باطل . لأنه إذا بخل به للتنبي على الناس فقد تمى هلاكه ، وأن يفقد من بين الناس حتى لا يكون فيهم .

(٢) حديث الإسكندر ودخوله في الظلمات معروف . يقول : لو استعمل ذوا القرنين رأى للمدوح لأضامت له تلك الظلمات ؛ وهذا وما بعده من العلو للذموم . ومثله قول الآخر :

لو كان في الظلمات شغشع كاسها ما جاز ذو القرنين في الظلمات
 وقول الآخر :

لو أن ذا القرنين في ظلماته ورآه يضحك لاستضاء بشغره

(٣) عازر . رجل من بنى إسرائيل ، أحياء الله تعالى بدعاء سيدنا عيسى . يقول : لو كان قتل بسيفه في الحرب لأعجز عيسى إحياءه .

(٤) الخيس . الجيش العظيم يقول : إنه يقوم بنفسه مقام الجيش ويفى غناؤه ، وهو

وَلَخَطَّتْ أُتْمَلَهُ فَسَلَنَ مَوَاهِبًا وَلَمَسْتُ مُنْصَلَهُ فَسَالَ نَفُوسًا^(١)
يَا مَنْ تَلَوْتُ مِنَ الزَّمَانِ بَظْلُهُ أَبَدًا وَنَظَرْتُ بِأَسْمِهِ إِبْلِيسًا^(٢)
صَدَقَ الْمَخْبِرُ عَنْكَ دُونَكَ وَصَفَهُ مِنَ الْعِرَاقِ يَرَاكَ فِي طَرَسُوسًا^(٣)

كما يقول ابن جنى — ضد قولك أن تسمع بالمعدي خير من أن تراه ، والله أبو تمام حين يقول :

لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَفَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ جَلْبٍ
ويقول :

ثَبَّتُ الْمَقَامَ يَرَى الْقَبِيلَةَ وَاحِدًا وَيُرَى فَيَحْسَبُهُ الْقَبِيلُ قَبِيلًا
ويقول ابن الرومي :

فَرَدُّ وَحِيدٌ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ كَأَنَّهُ النَّاسُ طَرًّا وَهُوَ إِنْسَانُ
(١) مواهبا ونفوسا : تميزان ؛ والمراد بالأعمال . الأصابع ؛ والنصل : السيف . قال
الواحدى . لحظ الأنامل كناية عن الاستمطار ، ولس النصل كناية عن الاستنصار .
يقول : تعرضت لعطائه فبالت بالمواهب أنامله ، وتعرضت لإعائه إياى فسال سيفه بنفوس
أعدائى وأرواحهم لأنه قتلهم . قال البحتري .

تَلْقَاهُ يَقْطُرُ حَافِيَهُ وَسِنَانُهُ وَبَنَانُ رَاحَتِهِ نَدَى وَنَجِيمَا
» نَجِيمًا : دَمَا « ؛ ولدعبل .

وعلى أيماننا يجرى الندى وعلى أسيافنا تجرى المهج

(٢) يقول : إذا أصابتنا شدة من الزمان لجأنا إليه فكفانا ذلك ؛ أى نهرب إلى
ظله وجواره من جور الزمان ، وإذا ذكرنا اسمه هرب الشيطان خوفا ورعباً منه .
قال العكبرى : ولأن اسم المدوح محمد — وهو اسم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه —
والشيطان يطرد بذكر الله ورسوله .

(٣) وصفه : مبتدأ ؛ ودونك . الخبر . يقول : إن الذى أخبر عنك مادحا مثنيا
قد صدق ، ووصفه لك دون ما تستحقه ، وهنا تم الكلام ، ثم قال : من بالعراق يراك
فى طرسوس : أى لأن آثاره ظاهرة . وذكره شائع ، فكأن من بالعراق يراه وهو
بطرسوس ؛ والمراد التعميم : أى إن آثاره قد عمت . وقال الواحدى : من بالعراق
يراك فى طرسوس : أى ليله إليك ومحبه إياك كأنه يراك ، كما قال كثير :

بَلَدٌ أَقَمْتَ بِهِ وَذِكْرُكَ سَائِرُ
فَإِذَا طَلَبْتَ قَرِيبَةً فَارْقَتَهُ
يَشْنَأُ الْمَقِيلَ وَيَكْرَهُ التَّعْرِيسَ^(١)
وَإِذَا خَذَرْتَ تَخَذَتُهُ عَرِيسًا^(٢)

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا
وَمَا قَالَ أَبُو نَوَاسٍ :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ مَكَانٍ

(١) يشنأ : أراد يشنأ - من شنأت : أى أبغضت - والمقيل : القيلولة - النوم -
وقت القائلة - الظهيرة - والتعريس : النزول في آخر الليل للراحة ؛ والضمير في يشنأ
ويكره : للذكر . يقول : إن طرسوس بلد أنت به مقيم وذكرك سائر في البلاد كلها
ليلا ونهاراً لا يتوقف ولا يطلب المقيل ولا التعريس . وهو من قول أبي تمام :

جَرَرْتُ فِي مَدْحِيكَ حَبْلَ قَصَائِدٍ جَالَتْ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُقِيمٌ

(٢) خدر الأسد وأخدر : غاب في أجمته ولزمها ؛ ويقال أخدر فلان في أهله :
أى أقام فيهم : وأنشد الفراء :

كَأَنَّ تَحْتِي بِأَزْيَا رَكَضًا أَخْدَرَ خَسًا لَمْ يَذُقْ عَضَاضًا^(١)

وأسد خادر : مقيم في عرينه داخل في الحدر - أى الأجمة - وأسد مخدر أيضاً . قالت
ليلى الأخيلية :

فَتَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَّانٍ خَادِرٍ^(٢)

وتخذت : بمعنى اتخذت . والعريس والعريسة : أجمة الأسد وعرينه ، شبه المدوح
بالأسد فاستعار له هذه الأشياء . يقول : هذا البلد لك بمنزلة العرين للأسد تفارقه
عند طلب الهريسة : أى العدو ، وتأوى إليه بعد ذلك كما يأوى الأسد إلى عرينه ،
وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

هُوَ اللَّيْثُ طَوْرًا بِالْعِرَاقِ وَتَارَةً لَهُ بَيْنَ آجَامٍ الْقَنَا مُتَاجِمٌ

(١) لم يذُق عضاضاً : أى ما يعض عليه . يريد أن هذا البازي أقام في وكره خمس
ليال مع أيامهن لم يذُق طعاماً ، ثم خرج بعد ذلك يطلب الصيد ، وهو قرم إلى اللحم
شديد الطيران ، ففبه ناقته به .

(٢) خفان : مأسدة .

إِنِّي نَثَرْتُ عَلَيْكَ دُرًّا فَأَنْتَقَدَ كَثُرَ الْمُدُنُ فَأَحْذَرُ التَّدْلِيسَ^(١)
حَجَبْتُهَا عَنْ أَهْلِ أَنْطَاكِيةَ وَجَلَوْتُهَا لَكَ فَأَجْتَلَيْتَ عَرُوسًا^(٢)
خَيْرُ الطُّيُورِ عَلَى الْقُصُورِ وَشَرُّهَا يَاوَى الْخُرَابِ وَيَسْكُنُ النَّاوُوسَ^(٣)

(١) تقول : نقدت الرجل الدرام والدنانير : إذا أعطيته إياها فانتقدتها : أى أخذها ؛ هذا هو الأكثر في كلام العرب ؛ وقد يستعملان في تمييز الجيد ونقي الزيف . يقال : نقد كلامه وانتقده ، وكذلك في الدرام والدنانير ، وهو المراد هنا . شبه شعره الذى مدحه به بدر نثره عليه . والتدليس إخفاء العيب فى السلعة . يقول : كثر المدلسون من الذين يبيعون الشعر ، فأحذر تدليسهم عليك ، وانتقد ما نثرت من در الشعر عليك لتعرف جيد الشعر من رديئه . وصدر البيت من قول أبى نواس :

نَثَرْتُ عَلَيْكَ الدَّرَّ يَا دُرَّ هَاشِمٍ فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا عَلَى الدَّرِّ يُنْثَرُ
وعجزه ينظر إلى قول ابن الرومى :

أول ما أسأل من حاجة أن يُقرأ الشعرُ إلى آخره
ثم كفانى بالذى ترتئى فى جودَةِ الشعر وفى شاعره

(٢) الضمير فى حجبها وجلوتها : للقصيدة ، وإن لم يجر لها ذكر ، وإنما ذكر الدر ، وجلا العروس على بعلها : عرضها عليه سافرة فاجتلاها هو : أى نظر إليها كذلك . جعل قصيدته التى مدحه بها كالعروس . يقول : حجبها عن أهل هذا البلد - أنطاكية - أى لم أمدحهم بها - عرض بعض الأكابر - ثم أظهرتها لك وعرضتها عليك كما تعرض العروس وتجلى على الزوج فاجتليت منها عروسا ، وخصصتك بها دون غيرك ؛ وعروسا : حال من القصيدة . قال الواحدي : ويجوز أن يكون حالا من المدوح لأن العروس يقع على الذكر والأنثى ، وهذا إذا أراد فاجتليتها : أى قدر ضميراً ؛ وإذا لم يقدر فهى مفعول لاجتليت .

(٣) الناووس والناؤوس : مقبرة النصارى والمجوس ، دخيل ، ويطلق على حجر منقور تجعل فيه جثة الميت ؛ وهذا مثل . يقول : خير الشعر ما يمدح به الملوك كالطيور النفيسة - مثل البزاة - تطير إلى قصور الملوك ، وشَرُّ الشعر ما يمدح به الثام والأراذل كالطيور التى تأوى إلى الخراب والمقابر يعنى : أنت خير الناس وكلاهما خير الكلام فأنت أولى به . يعرض بالذين لم يمدحهم من أهل أنطاكية . هذا ويقال : أويت منزلى وأويت إلى منزلى : أى عدت .

لَوْ جَادَتِ الدُّنْيَا فِدَتَكَ بِأَهْلِهَا أَوْ جَاهَدَتْ كُتِبَتْ عَلَيْكَ حَبِيسًا^(١)

* *

ودس عليه كافور من يستعلم ما في نفسه ، ويقول له قد طال قيامك عند هذا الرجل ، فقال :

يَقُلْ لَهُ الْقِيَامُ عَلَى الرَّءُوسِ وَبَذَلُ الْمَكْرَمَاتِ مِنَ النَّفُوسِ^(٢)
إِذَا خَانَتْهُ فِي يَوْمٍ ضَحُّوكِ فَكَيْفَ تَكُونُ فِي يَوْمِ عَبُوسِ^(٣)

وقال يهجو كافوراً ، وقد خرج من عنده .

أَنُوكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عَرْسِهِ مَنْ حَكَّمَ الْعَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ^(٤)

(١) الحبيس : المحبوس ، وهو الوقف الذي لا يباع ولا يوهب . يقول : لو كانت الدنيا ذات جود لأبقيت عليك وفدتك بمن فيها ، أو لو كانت غازية مجاهدة في سبيل الله لجعلت نفسها وقفاً محبوساً عليك ، فكانت لا تغزو إلا لك وعنك وبأمرك . وإنما قال هذا : لأن المدفوح كان على الثغور في وجه الروم يجاهد في سبيل الله .

(٢) يقول : يقل له أن تقوم في خدمته ولو على الرؤوس وأن نبذل في خدمته النفوس المكرمة ؛ وتروى المكرمات - بفتح الميم وضم الراء - أى الأفعال السكرية . والله قول أبي تمام :

لَوْ يَقْدِرُونَ مَشَوْا عَلَى وَجَنَاتِهِمْ وَخُدِدِهِمْ فَضْلاً عَنِ الْأَقْدَامِ

(٣) الضمير في خاتته : للنفوس ؛ والعبوس : السكرية . يقول : إذا خانتها النفوس فلم تهم بحقه ولم تخدمه في السلم ، فكيف تخدمه في الحرب ؟

(٤) النوك : الحق ؛ والأنوك : الأحمق ؛ وعرسه : زوجته ، يريد بها الأمة . ومن حكم : مبتدأ ؛ خبره : ما قبله . يقول : الذي يجعل العبد حاكماً على نفسه أحمق من العبد ومن عرس العبد : أى أمته . ولك أن تقول : من يكون في طاعة العبد أحمق من العبد ومن المرأة ؛ فقله : من عرسه ، أى من عرس نفسه ، يعنى المرأة . وهذا عتاب يعاتب به نفسه حين قصد الأسود فاحتاج إلى أن يطيعه .

وَأَمَّا يُظْهِرُ تَحَكُّمَهُ تَحَكُّمُ الْإِفْسَادِ فِي حَبْسِهِ ^(١)
 مَا مَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ كَنْ يَرَى أَنَّكَ فِي حَبْسِهِ ^(٢)
 الْعَبْدُ لَا تَفْضُلُ أَخْلَاقَهُ عَنْ فَرْجِهِ الْمُتَيْنِ أَوْ ضَرْسِهِ ^(٣)
 لَا يُنْجِزُ الْمِعَادَ فِي يَوْمِهِ وَلَا يَبِىءُ مَا قَالَ فِي أَمْسِهِ ^(٤)
 وَإِنَّمَا تَحْتَالُ فِي جَذْبِهِ كَأَنَّكَ الْمَلَّاحُ فِي قَلْبِهِ ^(٥)

(١) يقول : إن من حكم العبد على نفسه : يدل تحكيمه هذا على سوء اختياره ، وسوء الاختيار يدل على تحكيم الفساد في الحس . والحس ، أو الحس المشترك أو الحس الباطن - وهو الذي أطلق عليه بعض متأدبي عصرنا (العقل الباطن) خطأ - هو - كما جاء في تعريفات السيد الجرجاني - القوة التي ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة ، فالحواس الحس الظاهرة كالحواس لها ، فتطلع عليها النفس من نعمة فتدركها . قال : وعمله مقدم التحديق - الأول من الدماغ كأنها عين تتشعب من خمسة أنهار . وقد عرفه أحد فلاسفة الفرنجة - كلود برنار - قال : هو جملة التغيرات الحاصلة في الجسم الحى بواسطة المهيجات ، أو هو تكيف في التأثير لسكيفية في المؤثر ، ويسميه أهل اللغة : الإدراك .

(٢) أى الذى يرى أنك في وعده يحسن إليك ؛ والذى يرى أنك في حبسه يسئ إليك . يريد أنه مرهون فى مواعيد كافور ولكن كافوراً يعامله معاملة المحبوس عنده ؛ فلا هو يفيه ما وعده ، ولا هو يؤيسه فيجعل حبله على غاربه فيرتحل . وقال الخطيب التبريزى : إنما أراد أن العبد جاهل بحق مثله ، فهو يرى أنه في حبسه ، فليس له منه مخلص فما يبالى به . والحر الكريم يرى أنك في وعده فهو يضيق الإنجاز فيما وعد .
 (٣) يقول إن همة العبد مقصورة على فرجه وبطنه فلا فضل فيها عن هذين لمكرمة وبر وإحسان . يصفه بقصر الهمة عن المالى .

(٤) الضمير فى يومه : للميعاد ؛ وفى أمسه : لكافور . يقول : لا ينجز للميعاد فى يومه الذى وعد أن ينجزه فيه ولا يحفظ ما قاله بالأمس ؛ يعنى أنه لفقلته وسوء فطته : ينسى ما يقوله .

(٥) القلس . حبل للسفينة ضخم تجذب به . يقول : إن كافوراً لا يأتى مكرمة بطبعه ، بل تحتال فتجذبه كما يجذب الملاح - البحار - السفينة لتجرى ؛ يعنى أنه يجر إلى فعل الخير بقوة وصعوبة كما تجر السفينة من الانحدار إلى الإصعاد ، وهو لا يتفق

فَلَا تُرْجُ الْخَيْرَ عِنْدَ امْرِئٍ
مَرَّتْ يَدُ الْفَخَّاسِ فِي رَأْسِهِ^(١)
وَأِنْ عَرَاكَ الشَّكُّ فِي نَفْسِهِ
بِحَالِهِ فَانْظُرْ إِلَى جَنْبِهِ^(٢)
فَقَلَّمَا يَلُومُ فِي تَوْبِهِ
إِلَّا الَّذِي يَلُومُ فِي غَرَسِهِ^(٣)
مَنْ وَجَدَ الْمَذْهَبَ عَنْ قَدَرِهِ
لَمْ يَجِدِ الْمَذْهَبَ عَنْ قَنْسِهِ^(٤)

وشنشتها ، لأنها تطلب جريان الماء لتتحد معه سريعة ؛ وإذا جذبت إلى الإصعاد أتعبت الجاذب لها ، وكذا كافور قد تعود البخل واللؤم ؛ فإذا جذب إلى فعل الخير صعب عليه لأنه ضد عاداته .

(١) النحاس : الذي يبيع الدواب لأنه ينخسها لتنشط ، ويطلق على بائع الرقيق . ورجاء ورجاء - بالتشديد - ورجاء : بمعنى . وفي رأسه : أي على رأسه ومثله قوله تعالى « ولأصلبكم في جذوع النخل » . يقول : لا تأمل الخير من عبد قد رأى الهوان والذلة وسبق للبيع كما تساق الدواب .

(٢) عراك : اعتراك وغشيك وألم بك . يقول : إن شككت في حاله بالنظر إلى نفسه ولم تعرفه : فقسه بغيره من العبيد . فإنك لا ترى أحداً منهم له مروءة وكرم ، وبحاله : يروى بحالة .

(٣) الفرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة . يقول : إن اللؤم طبيعة ، طبع عليها اللثيم في غرسه ، فمن كان لثيماً في كبره فإنما كان مولوداً على اللؤم .

(٤) القنس - بفتح القاف وكسرهما - الأصل . يقول : من ذهب عن قدر استحقاقه في الدنيا فقال ملكاً أو ولاية أو غنى وهو لا يستحق ذلك لم يذهب عن أصله في اللؤم ، لأن الأشياء تعود إلى أصولها ، والعرق نزاع ، فمن كان لثيم الأصل فهو ينزع إلى ذلك اللؤم .

وأحضر أبو الفضل بن العميد بحجرة محشوة بالترجس والآس حتى خفيت نارها والدخان يخرج من خلال ذلك ؛ فقال مرتجلا :

أَحَبُّ أَمْرِيءَ حَبَّتِ الْأَنْفُسُ وَأَطْيَبُ مَا شَمَّهُ مَفْطِيسُ^(١)
وَنَشْرٌ مِنَ النَّدِّ لَكِنَّمَا بِجَامِرِهِ الْآسُ وَالتَّرْجِسُ^(٢)
وَلَسْنَا نَرَى لِمَبَا هَاجَهُ فَهَلْ هَاجَهُ عِرْكَ الْأَقْسُ^(٣)

(١) للعطس : الأنف : يقول : أنت أحب امرئ حبته النفوس ، وهذا الند أطيب رائحة شمها الأنف . وحذف الابتداء من الجملتين لأن المخاطبة والحال دللتا عليه ، هذا : والأكثر أن يقال أحبه فهو محب وهو محبوب - على غير قياس - وقد قيل محب - على القياس - وقال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذاً فى الشعر ، قال عنتره :

وَلَقَدْ نَزَلْتُ فَلَا تَغْطِئِي غَيْرَهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِّ الْمَكْرَمِ^(١)

قال الفراء : وجبته : لغة ، وقال غيره : وكره بعضهم حبيته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح ، وهو قول عيلال بن شعجاع النهشلى :

أَحِبَّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْقُ
فَأَقْسَمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَذْنَى وَمُشْرِقُ

وجه يحبه - بالكسر - فهو محبوب . قال الجوهري : وهذا شاذ ، لأنه لا يأتي فى المضاعف : يفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل - بالضم - إذا كان متعدياً ، ما خلا هذا الحرف . هذا : وروى أحب وأطيب : بالنصب على النداء .

(٢) ونشر : عطف على خبر الابتداء المحذوف ، كأنه قال : وأطيب ما شمه الأنف هذا البخور ونشر من الند ؛ أو الواو زائدة - على حد قوله تعالى : « حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها » - والنشر : الرائحة ؛ والجامر : الباخر . يقول : إن هذا البشر من الند إلا أن مجامره الآس والرجس ، وليس بمعروف عنهما أن يخرج منهما الدخان .

(٣) الأقبس - ومنه العزة القعساء : اثبات ، وقيل : العالى المرتفع

(١) من ملقعة عنتره . ونزلت : خطاب مع محبوبته عبلة . وقوله : فلا تغطينى غيره جملة معترضة بين نزلت ومنى . فإن منى : متعلقة بنزلت . يقول : ولقد نزلت من قلبى منزلة من يحب ويكرم . ومفعول ظن الثانى : محذوف : أى فلا تغطينى غيره واقما : أى غير نزولك منى منزلة المحب .

وَإِنَّ الْفِتَامَ الَّتِي حَوْلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْوُسَ^(١)

* * *

الذى لا يوضع ظهره على الأرض ، كالأقصر الذى لا ينال ظهره الأرض . يقول : لا نرى نارا هيئت ريح هذا الند ، فهل هاجه عزك الأقصر ؟ فهذه زفرات نار حسده لعزك .
(١) الفتام : الجماعات من الناس . ويروى القيام . جمع قائم . قال بعض الشراح :
وليس بجائز إلا إن قال : الذين حوله . يقول : ليس بدعاً أن يحسد الند عزك ، فإن هؤلاء الطوائف اللتين حولك لخدمتك تحسد رءوسهم أرجلهم ، لأنها وقفت فى خدمتك على الأرض ، وكان بود الرءوس أن تكون هى الواقفة مكانها . وقال ابن جنى : لأنها تباشر الأرض التى باشرها الممدوح لسعيها إليه ، فهى كقوله أيضاً :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

قافية الشين

وقال يمدح أبا العشائر على بن الحسين بن حمدان ويذكر إيقاعه بأصحاب
بافيس ومسيره من دمشق :

مَبِيتِي مِنْ دِمَشْقَ عَلَى فِرَاشٍ حَشَاهُ لِي بِحَرِّ حَشَايَ حَاشِ^(١)
لَقِيَ لَيْلٍ كَعَيْنِ الظُّنْبِي لَوْنًا وَهَمَّ كَالْحَمِيَّا فِي الْمَشَاشِ^(٢)

(١) مبيتى : اسم مكان ، ومن دمشق : بيان لمبيتى ؛ وعلى فراش : خبر مبيتى ؛
وحشاه الخ : فى موضع الصفة لفراش : يصف شدة هواء وحرارة قلبه من الحب ، يقول :
إني أتيت من دمشق على فراش حار حتى بخرارة قلبى من الهوى : يعنى حرارة الهوى
وأن فراشه صار حاراً لذلك . وأنه يبيت ساهراً من ثم .

(٢) لقي : حال ؛ أى أبيت على فراش حال كوني لقي ليل ا واللقى : الشيء الملقى .
والحميا : سورة الحجر . والمشاش : رموس العظام الرخوة . وعين الظبي : يضرب بها
المثل فى السواد ، ولونا : تميز . يقول : إننى طريح ليل أسود ، وهم قد خالطه وتمشى
فيه تمشى الحجر فى العظام ، وفيه نظر إلى قول أبى نواس :

وتمشت فى مفاصلهم كتمشى البرء فى السقم
والمصراع الأول من قول أبى تمام :

* إِلَيْكَ تَجَرَّعْنَا دُجَى كَحِدَاقِنَا *

ومثله قول التنوخى :

وَاللَّيْلُ كَالنَّارِ كِلِ فِي إِحْدَادِهَا وَمُقَلَّةِ الظُّنْبِي إِذَا الظُّنْبِي رَنَا
والثانى من قول زهير :

فَظَلْتُ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ مِنْ الرَّاحِ تَسْمُو فِي الْمَفَاصِلِ وَالْجَسْمِ
ومثله قول الأبيرد :

عَسَا كِرُّ تَغَشَّى النَّفْسَ حَتَّى كَأَنَّيْ

أَخُو سَكْرَةٍ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الْخَمْرُ

وَشَوْقٍ كَالْتَوْقَدِ فِي فُؤَادٍ كَجَعْرِ فِي جَوَانِحِ كَالْمِحَاشِ^(١)
 سَقَى الدَّمَ كُلَّ نَضْلٍ غَيْرِ نَابٍ وَرَوَّى كُلَّ رُمَحٍ غَيْرِ رَاشٍ^(٢)
 فَإِنَّ الْفَارِسَ الْمَنْعُوتَ خَفَتْ لِمَنْضِلِهِ الْفَوَارِسُ كَالرَّيَاشِ^(٣)
 فَقَدْ أَضْحَى أَبَا الْغَمَرَاتِ يُكْنَى كَانَ أَبَا الْعَشَائِرِ غَيْرُ فَاشٍ^(٤)
 وَقَدْ نَمَى الْحُسَيْنُ بِمَا يُسَمَّى رَدَى الْأَبْطَالَ أَوْ غَيْثَ الْعِطَاشِ^(٥)
 لِقُوهِ حَاسِرًا فِي دِرْعٍ صَرَبٍ دَقِيقِ النَّسْجِ مُلْتَهَبِ الْحَوَاشِي^(٦)

(١) وشوق : عطف على ليل ، والمحاش - بضم الميم وكسرها - ما أحرقت النار ، تقول : امتحش الحيز ، أى احترق . ومحشته النار وامتحشته : أحرقت . شبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء ، شوقه : بتوقد النار ، وقلبه - الذى هو محل الشوق - بجمر النار . وجوانحه - أضلاعه - بشواء أحرقت النار .

(٢) يدعو بالسقيا لكل فصل - سيف - لا ينبو عن الضريبة - أى لا يكل ولا يرتفع - ولكل رمح غير راش - أى غير ضعيف خوار .

(٣) المنعوت الموصوف : أى الذى توصف الناس شجاعته وسار بينهم ذلك وعرفوه بهذا الوصف ، يعنى به أبا العشار . وهذه رواية الخوارزمي : وروى ابن جنى المنعوت وهو الذى بقتة الشيء : أى فاجأه ، يريد ما كان قد عرض لأبى العشار من الجيش الذى كبسه بأنطاكية ، وكان قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا ، وخفت لمنضله - سيفه - الفوارس : أى تطايرت الفوارس عن سيفه تطاير الريش .

(٤) يقول لكثرة خوضه الغمرات - الشدائد - والتباسه بالحرب وأهوالها : صار يكنى أبا الغمرات ، وعرف بذلك حتى كأن كنيته المعروفة - أبا العشار - غير فاشية ، إذ غمرتها هذه وأختلتها .

(٥) الردى : الهلاك ، وما - فى قوله بما يسمى - مصدرية : أى بتسميته ردى الأبطال ، والغيث : المطر . يقول : وقد نسى اسمه العلم - وهو الحسين بما سمى به من ردى الأبطال - أى هلاك الشجعان - أو غيث العطاش ، يعنى إن صفى الشجاعة والجلود غلبتا على اسمه المشهور حتى ترك ، فلا يسمى إلا بهذين .

(٦) الحاسر : الذى لا درع له ، وهو حال ، وفى درع ضرب : حال أخرى . يقول : لقوه ولا درع عليه ، لأنهم فاجأوه ، ثم قال : لكنه من ضربه الأعداء فى درع ،

كَانَ عَلَى الْجَمَاحِمِ مِنْهُ نَاراً وَأَيْدِي الْقَوْمِ أَجْنَحَةُ الْفَرَاشِ^(١)
كَانَ جَوَارِي الْمُهْجَاتِ مَاءً يَعَاوِدُهَا الْمَهْنَدُ مِنْ عَطَاشِ^(٢)
فَوَلَّوْا بَيْنَ ذِي رُوحٍ مَفَاتٍ وَذِي رَمَقٍ وَذِي عَقْلِ مُطَاشِ^(٣)
وَمُنْعَفِرٍ لِنَصْلِ السَّيْفِ فِيهِ تَوَارَى الضَّبُّ خَافَ مِنْ اخْتِرَاشِ^(٤)
يَدُمِي بَعْضُ أَيْدِي الْخَلِيلِ بَعْضًا وَمَا بِعُجَايَةٍ أَثَرُ لِمُرْتَهَاشِ^(٥)

لأن ضربه بالسيف يحميه ، ثم شبه الآثار الدقيقة على سيفه بالنسج الدقيق ، وكفى عن بريقه بأنه ملتهب الحواشي . وللغنى : أن ضربه الأبطال يصده عنه كما يصده الدرع .
(١) يقول : كأنه يحرق الجماعم لشدة ضربه إياها ، ولأن سيفه يلمع كالنار عليها ، وكأن أيدي القوم أجنحة الفراش لأنها تطير بضربه إياها ، فشبه أيدي القوم المقطعة حوله بالفراش الذي يتهاافت على النار .

(٢) المهجة : دم القلب ، والمهند : السيف ، والعطاش : شدة العطش ، وهو من باب فعال - الذي للأدواء : كصداع وزكام - شبه ما أجرى من دماء قلوب الأعداء بالماء وجعل سيفه يعاودها مرة بعد مرة : كالعطشان يعاود الماء ، يقول : إن سيفه لا يزال يعاود دماء أعدائه كأنه عطشان يعاود شرب الماء .

(٣) مفات : مفعول - من الفوت - أي خيل بينه وبين روحه ؛ يقال أفاته الشيء : أي جعله يفوته ؛ والروح ؛ يذكر ويؤنث ، وتذكيره أكثر ، والرمق : بقية الروح . يقول : فانهزموا عنه وهم بين مقتول قد فارقه روحه ، وآخر به رمق ، وثالث قد عقله : أي ذهب وتحير لما لاقى من الأهوال .

(٤) المنعفر : التلطف بالعفر ، وهو التراب ؛ ولنصل : خبر مقدم ، وتواری : مبتدأ مؤخر ، والتواری : الاختفاء . والاحتراش : صيد الضب . يقول : قد غاب السيف في هذا المنعفر كما يغيب الضب في جحره خشية الاحتراش : أي الصيد .

(٥) العجاية : عصبه في اليد فوق الحافر ، والارتهاش : أن تصك الدابة إحدى يديها بحافر الأخرى ، حتى تدمى الرواهش وهي عصب الذراع . يقول : انهزمت الخيل بين يديها هاربة وهي تفرح في دماء القتلى فيلطم بعض أيديها بعضاً بالدم فكأن بها ارتهاشا ولم يكن ثم ارتهاش لأن أيديها سليمة . وقال ابن القطاع في قوله يدمى وفي البيت بعده : يريد أن المدوح لا نظير له في شجاعته ولا له قرن يصادمه ، وضرب الثل بأيدي الخيل ، ويريد : لا يقا تل الرجال إلا أكفاؤها .

وَرَأَيْتُهَا وَحِيدَةً لَمْ يَرُوحَهُ تَبَاعُدُ جَيْشِهِ وَالْمُسْتَجَاشِ^(١)
كَأَنَّ تَلَوَّى النَّشَابِ فِيهِ تَلَوَّى الْخُلُوصِ فِي سَعْفِ الْعِشَاشِ^(٢)

(١) رأيها : مفزعها وخوفها ، والمستجاش : الذي يطلب منه الجيش ، يقول : إن الذي أفزع الحيل وحيد أغار عليها بنفسه لم يحفه بعد جيشه عنه وانقراده هو منه ، ولا بعد سيف الدولة الذي يستجيشه : أي يطلب منه الجيش ، لأن الممدوح - وهو أبو العشار - كان عاملاً على أنطاكية من قبل سيف الدولة .

(٢) الخوص : ورق النخل ، والسعف : أغصانها ، والعشاش : جمع عشة ، النخلة إذا قل سفعها ودق أسفلها ، وقد عشت النخلة : قل سفعها ودق أسفلها ، وشجرة عشة : دقيقة القضبان ، لثيمة النبات : قال جرير :

فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قَرِيشٍ بِفَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي^(١)
وَأَمْرَاءُ عِشَةٍ : قَلِيلَةُ اللَّحْمِ : وَرَجُلٌ : مَهْزُولٌ . أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

* تَضَحَّكَ مِنِّي أَنْ رَأَيْتُنِي عِشًا^(٢) *

يريد أنه كان يرمى بالسهم فتلوى فيه كتلوى الخوص وأغصان النخل فلا تنال منه ولا تنفذ من درعه . فهو لشجاعته لا يكثر للعطن ولا الضرب ولا الرمي .

(١) العيص : منبت خيار الشجر . والعيص : الأصل . وفي المثل : عيصك منك وإن كان أشباً . يعني أصلك منك ، وإن كان غير صحيح . وما أكرم عيصه ، وم أبأؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته ، والضواحي من الشجر القليلة الورق التي تبرز عياداتها للشمس .

(٢) بعده :

* لَبِستُ عَصْرِي عَصْرُ فَاْمَتَشَا *

بَشَاشَتِي وَعَمَلًا فَشَا وَقَدْ أَرَاهَا وَشَوَاهَا الْحُمَشَا

وَمُسْفَرًا إِن تَغْلَفْتَ أَرَشَا كَشَفَرِ النَّابِ تَلُوكُ الْفَرَشَا

قوله فامتشا : هو من امتش ما في الضرع إذا حلب جميع ما فيه . وكذلك تقول فش الضرع فشا : أي حلب جميع ما فيه . والشوى : الأطراف . والحش : الدقيقة ، وأرش : أي جاء بالرش ، والرش في الأصل للطير القليل والفرش النعمض من الأرض فيه العرفط والسلم ، وإذا أكلته الإبل : أرخت أفواهاها .

وَنَهَبُ نُفُوسِ أَهْلِ النَّهْبِ أَوْلَى بِأَهْلِ الْإِحْسَادِ مِنْ نَهَبِ الْقُمَاشِ ^(١)
تُشَارِكُ فِي النَّدَامِ إِذَا نَزَلْنَا بِطَانٌ لَا تُشَارِكُ فِي الْجِحَاشِ ^(٢)
وَمِنْ قَبْلِ النَّطَاحِ وَقَبْلَ يَانِي تَبَيَّنُ لَكَ النَّعَاجُ مِنَ الْكِبَاشِ ^(٣)
فَيَا بَحْرَ الْبُحُورِ وَلَا أُورِي وَيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ وَلَا أَحَاشِي ^(٤)
كَأَنَّكَ نَاطِرٌ فِي كُلِّ قَلْبٍ فَمَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَحَلُّ غَاشٍ ^(٥)

(١) النهب : الغارة : وأهل النهب : الجيش : والقماش : متاع البيت . يقول :
إن الأعداء هجموا على أنطاكية يريدون نهب أمتعتها ، ولكن أبا العشار نهب نفوسهم ،
ونهب النفوس أليق بالأشراف من نهب الأمتعة ، وهذا من قول أبي تمام :
إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا

يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(٢) الندام : النادمة على الشراب ، والبطان : جمع بطلين ، وهو العظيم البطن
الريغب . والجحاش : المجاشعة . وهي المدافعة في القتال . يقول : إذا نزلنا عن الخيل
شاركنا في شرب الخمر رجال ذووهم يكثرُونَ الأكل ولا يشاركون في
القتال ، ومثله :

يَفِرُّ مِنَ الْكَتْبَةِ حِينَ يُلْقَى وَيَثْبُتُ عِنْدَ قَائِمَةِ الْخُوانِ

(٣) النطاح : مناطحة ذوات القرون ، ويستعمل في الحرب . و« قبل » رواه الخوارزمي
نصباً على الظرف ، ورواه غيره بالخفض عطفاً على ما قبله . ويأتي : يحين - من قولهم
أني الشيء يأتي إني - أزداد قبل أن يأتي : غدف ، يقول : قبل المناطحة وقبل أوانها
يتبين ما يناطح من الكباش مما لا يناطح ، ومن يقاتل ممن لا يقاتل من الأناسي ،
وذلك أن الكباش تتلاعب بقرونها وإن لم تزد الطعن بها ، وكذلك يتلاعب الناس
بالأسلحة فيعرف من يحسن استعمالها ممن لا يحسن .

(٤) أكثر الرواية : ويا ملك الملوك ، ويروي . ويا بدر البدور . ووروي الحديث
أخفاء وأظهر غيره . يقول : لا أستر قول بل أجهر به . ولا أحاشي : أي لا أذع
أحدًا ولا أستتني إنساناً .

(٥) الغاش : الذي يغشاك ويזורك ؛ وغاشية الرجل : الذين يأتونه ويזורونه .
ومنه قول ذي الرمة يصف سفوداً :

أَصْبِرْ عَنْكَ لَمْ تَبْخَلْ بِشَيْءٍ وَلَمْ تَقْبَلْ عَلَى كَلَامٍ وَاشٍ^(١)
وَكَيْفَ وَأَنْتَ فِي الرُّؤْسَاءِ عِنْدِي عَتِيقُ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْحَشَاشِ^(٢)
فَمَا خَاشِيكَ لِلتَّكْذِيبِ رَاجٍ وَلَا رَاجِيكَ لِلتَّخْيِيبِ خَاشِي^(٣)

وَذِي شَعَبٍ شَقَى كَسَوْتَ فَرُوجَهُ لِفَاشِيَةِ يَوْمًا مُقْطَعَةً مُحْرَا
وقال حسان :

يُفْشَوْنَ حَتَّى مَآثِرُهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(١)
يقول المتنبي : إنك من الفطنة والنفاذ وتقرب البصيرة بحيث ترى ما في قلوب الناس
وتعلم ما يطلبون ، فليس يخفى عليك حال قاصد إليك وزائر يفساك . ومثل هذا في المعنى
قوله الآتي :

وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيَفْضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمَخْرِقٍ
(١) (٢) لم تبخل : أى وأنت لم تبخل ، فهي حيلة حالية ؛ والاستفهام إنكارى ؛
والواشى : الخيام ؛ وكيف : حال محذوفة العامل ؛ أى وكيف أصبر عنك ، والعتيق :
الكريم . والحشاش - بكسر الحاء ، وقد تفتح - صغار الطير نحو المصافير وأضرابها -
والحشرات . يقول - في البيت الثاني - : وكيف أصبر عنك وأنت بين الرؤساء
كالكريم من الطير بين صغارها ؟

(٣) يقول : ليس يرجو من يخشى بأسك أن تكذب خوفه لتقته باتتقاكم وقوة
بطشك ، فبأسك نازل به لا محالة ، وليس يخشى من رجا إحسانك أن تخيب رجاءه ،
لأنه على يقين من فيض سخائك ، فأنت موضع الخوف والرجاء ؛ وعبرة ابن جني : ليس
يرجو من يخشاك أن يلقي من يكذبه ويخطئه في خوفك ، لأن الناس يجمعون على خوفك
وخشيتك . وعبرة ابن فورجه : يريد : خاشيك نازل به بأسك وواقع به سخطك

(١) يشون - بالبناء للمفعول - أى يتردد إليهم - من غشيه : إذا جاءه - وهو
الكلب يهر - من باب ضرب - هريراً : إذا صوت ، وهو دون النباح . يعنى أن منازلهم
لا تخلو من الأضياف والعفاة ، فكلاهما لا تهر على من يقصد منازلهم لاعتيادها بكثرة
التردد إليها من الأضياف . وقوله لا يسألون الخ : أى هم في سعة لا يسألون كم
نزل بهم من الناس ولا يهولهم الجمع الكثير - وهو السواد - إذا قصدوا نهم .
(٢١ - المتنبي ٢)

تُطَاعِنُ كُلَّ خَيْلٍ كُنْتَ فِيهَا وَلَوْ كَانُوا النَّبِيطَ عَلَى الْجَحَاشِ^(١)
أَرَى النَّاسَ الظَّلَامَ وَأَنْتَ نُورٌ وَإِنِّي مِنْهُمْ لِأَلَيْكَ عَاشِ^(٢)
بُيِّلَتْ بِهِمْ بَلَاءَ الْوَرْدِ يُبْلَقُ أَنْوَفًا هُنَّ أَوْلَى بِالْحَشَاشِ^(٣)

وانتقامك ، فما رجو تكذبا لما خافه لشدة خوفه ، ولا راجيك يخشى أن تخيه لفيض عرفك . وقال الواحدى : الصحيح في هذا البيت رواية من روى :

* فما خاشيك للتثريب راج *

أى من خشيك لا يخاف أن يثرب ويعير خشيتك ؛ فراج بمعنى خائف . قال : ومن روى للتكذيب : لم يكن فيه مدح ، لأن اللدح فى العفو - لا فى تحقيق الخشية - وإنما يمدح بتحقيق الأمل وتكذيب الخوف ، كما قال السرى الرفاء :

إذا وعد السراء أنجز وعده وإن وعد الضراء فالعفو مانحه

(١) النبيت : قوم بسواد العراق حراثون ؛ وكل خيل : فاعل تطاعن ؛ والمراد : كل أهل خيل - على حد قوله صلى الله عليه وسلم « يا خيل الله اركبى » ؛ يقول : إن القوم الذى تكون فيهم وتغزو بهم يتشجعون بك ويطاعنون ، ولو كانوا من أولئك الأنباط الحراثين الذين لا يعرفون ركوب الخيل ، وإنما يركبون الحمير : أى أن من كان معك كان شجاعا لشجاعتك .

(٢) يقال : عشا إلى النار يعشو فهو عاش : إذا أتاها ليل . هذا هو الأصل ، ثم صار كل قاصد عاشيا ، قال صاحب الصحاح : عشوت إلى النار إذا استدلت عليها يصير ضعيف . قال الخطيئة :

مَتَى تَأْتِيهِ تَفْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

وقوله « منهم » حال من ضمير مخاطب بعده . يقول : الناس فى قلة خيرهم كالظلام ، وأنت مشرق بينهم بفضلك وكرمك كالنور ؛ وقد قصدتكم من بينهم أطلب الخير كما توتى انبار فى الظلام .

(٣) الحشاش : عود يحمل فى عظم أنف البعير يشد فيه الزمام . أراد أنوف اللثام من الناس وأنها أولى بالحشاش من أن تشم الورد . شبه نفسه بالورد وشبه من رآه من الناس بأنوف الإبل . وقال ابن جنى : تأذيت بقاء غيرك من الرؤساء ولم يلقوا بى كما لا يلقى الورد بأنوف الإبل .

عَلَيْكَ إِذَا هُرِلْتَ مَعَ اللَّيَالِي وَحَوْلَكَ حِينَ تَسْمُنُ فِي هِرَاشٍ ^(١)
 أَنَّى خَبَرَ الْأَمِيرَ قَتِيلَ كَرُوا فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَوْ لَحِقُوا بِشَاشٍ ^(٢)
 يَقُودُهُمْ إِلَى الْمَيْجَا بُلُوجُ يُسْنُ قِتَالُهُ وَالْكَرُّ نَاشِي ^(٣)
 وَأَمَرَجَتِ الْكَمِيتُ فَنَاقَلْتُ بِي عَلَى إِعْقَاقِهَا وَمَلَى غِشَاشِي ^(٤)

(١) يقول : هم عليك مع الدهر أعوانا له إذا كنت مهزولا . أى إذا افتقرت : فصرت كالمهزول الذى لا لحم له ، وإذا سمنت — أى أثريت وكثر مالك — التفتوا حولك وتهاوشوا تهاوش الكلاب يطلبون نوالك ، وكذلك حال الناس ، فقوله : عليك أى هم عليك ؛ والمراد بالهزال والسمن : الفقر والغنى . والمهراش : مأخوذة من مهارشة الكلاب . وقال الواحدى : اللقى : هم عيال فى الحرب فإذا رجعت بالقيمة خيموا لديك وتهاوشوا .

(٢) شاش : بلد فى ما وراء النهر . يقول : ورد خبر الأمير وأنه مع جيشه كروا على العدو ، فقلت : نعم — تصديقا لهذا الخبر — يكر الأمير وأصحابه ولو لحق جيش عدوه بشاش : أى ولو أمعن عدوه فى الحرب وكان بعيداً ، وهذا من قول البحتري :
 يُضْحِي مُطَلًّا عَلَى الْأَعْدَاءِ لَوْ وَقَفُوا

بِالصَّيْنِ فِي بُعْدِهَا مَا اسْتَبَعَدَ الصَّبِيْنَا

قال ابن جنى : كان أبو العشار قد استطرد الخيل ثم ولى بين أيديهم هاربا ثم جاء خبره أنه كره عليهم راجعا ، فيقول المتنبي : نعم يكرون — أى الأمير وأصحابه — ولو لحقوا من فرارهم بشاش . وقال ابن فورجه : الرواية بضم الكاف — كاف : كروا — واللقى أى خبر الأمير بظفره بالعدو ، فقل لنا معشر المستمحين : كروا ، فقلت : نعم نكر ، ولو لحقوا بشاش : أى ولو كان على البعد منا . والأولى أظهر .

(٣) أراد باللجوج : أنه لا ينثنى عن أعدائه ولا يزال يغزوم . ويسن قتاله : أى يطول ، من أسن : أى طالت سنه — أى عمره . وناشى : هى ناشىء — بالهمز — خفيف ، أى حديث السن ، يقول : إن هذا للمدوح يقود جيوشه إلى الميغا — الحرب — وهو لجوج فى قتال أعدائه قد أطال قتالهم حتى أسن وكره لا يزال شابا ؛ فهو فى آخر القتال ، كما كان فى أوله ؛ وفيه نظر إلى قول البحتري .

مَلِكٌ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ كَرِيهَةٌ إِقْدَامُ غِرَّةٍ وَاعْتِرَافٌ مُجَرَّبٌ
 (٤) الكميت : ما كان بين الأشقر والأدم من الخيل — يقال للذكر والأنثى —

قال الكلعة .

مِنَ الْمُتَمَرِّدَاتِ تَذَبُّ عَنْهَا بِرُغْبَى كُلِّ طَائِرَةِ الرَّشَاشِ^(١)
وَلَوْ غُفِرَتْ لَبَلَّغَنِي إِلَيْهِ
حَدِيثٌ عَنْهُ يَحْمِلُ كُلُّ مَا شِ^(٢)
إِذَا ذُكِرَتْ مَوَاقِفُهُ خِلَافِ وَشَيْكَ فَمَا يُنْكَسُ لَا نِتْقَاشِ^(٣)

كَيْتٌ غَيْرُ مُخْلَفَةٍ وَلَكِنْ كَلَوْنُ الصَّرَفِ عَلَ بَوِ الْأَدِيمِ
[يعنى أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست كذلك] .

وللناقلة أن تحسن نقل يديها ورجليها بين الحجارة : وأعقت الدابة إعقاقا ، انفتحة
بطنها للحمل . والنشاش : الصجلة ؛ يقال لقيته غشاشاً وعلى غشاش : إذا لقيته على هجلة
قالوا : وهى كنانية . وأنشدت محمودة الكلاية :

وما أُنْسَى مَقَالَتَهَا غِشَاشًا لَنَا وَاللَّيْلُ قَدْ طَرَدَ النَّهَارَا
وَصَاتَكَ بِالْمُهْودِ وَقَدْ رَأَيْنَا غَرَابَ الْبَيْنِ أَوْ كَبَّ ثَمَّ طَارَا

[أو كب الطائر : نهياً للطيران] أى أنها أسرعت بى على ثقلها وعلى عجلتى .

(١) التمرد : تفعل ، من المارد ، وللمريد ، وهو الذى قد أعيا خبثاً ، والتمردة
للمتعة . يصفحفرسه بالحبث وترك الاقياد لمن لا يحسن ركوبها ؛ وتذب : تدفع . وكل
نائب فاعل تذب ؛ وطائرة الرشاش : أى كل طعنة طائرة الرشاش ، وهو ما يترشش من
الدم . يقول : هى من الحيل الشديدة للراس وإنى أصونها برعى عن أن تطعن .

(٢) يقول : لو غفرت فرسى — قطع عصب رجلها ؛ وللمراد : هلكت فلم تحملى
إليه ، بلغنى إليه حديث عنه — أى عن الممدوح — يحمل كل ما شِ إليه فلا يحتاج إلى
للطية : أى يشوقه إلى قصده ما يسمع من الثناء عليه ؛ أو تقول : إنه إذا ذكرت أخباره
وما يكون منه لم يجد الماشى مس النصب والإعياء لاستطابته ذلك الحديث ، فكان الحديث
حملة إليه وهذا كما قيل : إن رجلين اصطحبا ، فقال أحدهما لصاحبه : تحملى وأحملك .
يريد تحملى وأحدثك حتى تقطع الطريق بالحديث لاستطابته يحمل الماشى ؛ هذا على
رواية كل ما شِ بالنصب ومن رواها بالرفع رد الضمير فى عنه للحديث : أى أن كل ما شِ
يحمل حديثه لاستفاضة أخباره وشيوعها .

(٣) شيك : أى دخلت الشوكة رجله ؛ والانتقاش : إخراج الشوكة من الرجل
يقول : إذا وصفت لشجاع مواقف الممدوح فى الحرب تاق إليهم ورغب فى صحبته فأسرع

تَزِيلُ مَخَافَةَ الْمَصْبُورِ عَنْهُ وَتُلْهِى ذَا الْفَيَاشِ عَنِ الْفَيَاشِ^(١)
وَمَا وَجَدَ اشْتِيَاقُ كَاشِفِ نِيَّاقِي
وَلَا عُرِفَ انكِماشُ كَانِكِمَاشِي^(٢)
فَسِرْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ الْمَالِي وَسَارَ سِوَايَ فِي طَلَبِ الْمَاشِ^(٣)

فيه لإعجابه حتى إنه - لدهوله - لو كان حافيا ودخلت شوكة في رجله إذ ذاك لم يكد يحس بها فلا ينكس رأسه - لا يبطأ طيء - لإخراجها . وقيل : للراد بمواقفه ، مواقفه في الجود والبطاء .

(١) للصبور : المحبوس على القتل ؛ يقال : قتل فلان صبرا وهو أن يحبس حتى يقتل والفايش : المفايشة - أى المفاخرة - يقول : إن مواقف المدوح في القتال واقتحامه المهالك تشجع أخبارها المصبور وتزيل عنه خوف القتل ؛ أو تقول : إن التاء - في تزيل وتلهى - للمخاطب : أى أنك أيها المدوح تستنقذ المصبور من القتل فتزيل خوفه وتشغل المفاخر عن المفاخرة ؛ إذ يستخذى إليك حين يسمع بمفاخره ويقر بفضلك : وفي رواية « تزيل » و « يلهى » بالياء -

(٢) الانكماش : الإغاحة والجد في الأمر . يقول : لم يشتق أحد اشتياقي إليك ولم يسرع أحد سرعتي في قصدك .

(٣) هذا كقول أبي تمام :

وَمَنْ خَدَمَ الْأَقْوَامَ يَرْجُوا نَوَالَهُمْ فَلْيَئِىَ لَمْ أَخْدُمْكَ إِلَّا لِأَخْدَمَا
وقد تقدم .

قافية الضاد

وأمر سيف الدولة بإفناذ خلعة إليه فقال :

فَعَلَتْ بِنَا فَعَلَّ السَّمَاءَ بِأَرْضِهِ خَلَعَ الْأَمِيرَ وَحَقَّهُ لَمْ تَقْضِهِ ^(١)
فَكَانَ صِحَّةً نَسَجَهَا مِنْ لَفْظِهِ وَكَانَ حُسْنُ نَقَائِهَا مِنْ عَرْضِهِ ^(٢)
وَإِذَا وَكَلْتَ إِلَى كَرِيمٍ رَأْيَهُ فِي الْجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِنْ تَحْضِهِ ^(٣)

(١) يقول : أحيتنا خلق الأمير والبستنا الوشي ، كما يحيي المطر الأرض ويوشها بالنبات والأزهار وما إليها ، ولم تقض حقه كما يستحقه من الثناء . والضمير في أرضه : إما للممدوح ، أضاف الأرض كلها إليه تفخيماً لشأنه ، أو يريد أرض مملكته - إشارة إلى ما أفاض الله عليها من الحصب والتماء ؛ وإما راجع إلى السماء وذكره على إرادة المطر ، أو السقف ونصب حقه بإضمار ما فسر به ، ومثله :

والذئب أخشاه إن مرتُّ به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

(٢) يقول : إن نسج هذه الخلع يشبه لفظ الأمير في جودته وسلامته من السفف ، وكان نقاءها من نقاء عرضه ؛ إذ سلم مما يعاب به ، وهذا من قول ابن الرومي في ثوب استهداه :

صَحِيحًا مِثْلَ رَأْيِكَ إِنَّهُ وَالْحَزَمُ فِي قَوْنٍ
نَقِيًّا مِثْلَ عَرْضِكَ إِنَّ عَرْضَكَ غَيْرُ ذِي دَرَنِ

(٣) المذيق : المذوق ؛ أي الممزوج : والمحض : الخالص ، وهما من أوصاف اللين استعارهما للبعد . يقول : إذا فوضت الأمر في الجود إلى الكريم ولم تقترح عليه شيئاً وتركته إلى رأيه : بلغت ما تريد ؛ وبأن لك صحيح الرأي من معيه ، لأن صحيح الرأي لا يحتاج إلى سؤال ، بل يعطى بطبيعة الكرم ؛ ومعيب الرأي لا يغطي حق يسأل مراراً . أو تقول : إن الكريم إذا ترك رأيه من غير سؤال بان جوده هل هو مشوب يأتيه تكلفاً وحياء أم أنه خالص يبعث به طبعه ونهيزته ؟

وقال لما مرض سيف الدولة :

إِذَا اعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ اعْتَلَّتِ الْأَرْضُ
وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَاسُ وَالْكَرَمُ الْخَضُّ^(١)
وَكَيْفَ انْتِفَاعِي بِالرُّقَادِ وَإِنَّمَا^(٢)
شِفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ لِأَنَّكَ بِحَرِّ كُلِّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُ

* * *

وقال في بدر بن عمار ، وقد قام منصرفا في الليل :

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمُضِي وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْغَمَضِ^(٣)

(١) البأس : الشدة والسطوة ؛ والمحض : الخالص . والمعنى ظاهر وهو من قول

أبي تمام :

لَا تَعْتَلِلْ إِنَّمَا بِالْكَرُمَاتِ إِذَا أَنْتَ اعْتَلَلْتَ تَرَى الْأَوْجَاعُ وَالْعِلَلُ
وقوله :

إِنَّا جَهَلْنَا فَخَلْنَاكَ اعْتَلَلْتَ وَلَا وَاللَّهِ مَا اعْتَلَّ إِلَّا الْمَلِكُ وَالْأَدَبُ
وقوله :

وإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نَعَمَ بِهَا حَتَّى تَرَانَا نُعَادُ مِنْ مَرَضِهِ

ومثله لسم بن الوليد :

نَالَتْكَ يَا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عِلَّةٌ يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِيَا الثَّقَلَانِ
فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ شَكَاتِكَ عِلَّةٌ مَوْصُوفَةُ الشَّكْوَى بِكُلِّ لِسَانٍ

(٢) اعتلال الغمض : كناية عن امتناعه عن العين ، فجعل ذلك اعتلالا له .

(٣) قوله في العيون : يروى في الجفون : وكان يجب أن يقول : ولقياك ؛ لأن
الرؤيا تستعمل في المنام ؛ لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل : كقوله تعالى
« وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » لم يرد رؤيا المنام ، بل رؤيا اليقظة ،
وكان ذلك ليلا - ليلة الإسراء - . يقول : إن الليل قد مضى ، أما فضلك فهو ثابت باق
وعجز البيت من قول ابن الرومي :

وَلَطَعُمُ احْتِمَالِهِ مِنْهُ بِالْأَزَا تُرْ أَحْلَى فِي عَيْنِهِ مِنْ رُقَادٍ

قَلَى أَنَّى طَوَّقْتُ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ شَهِيدٌ بِهَا بَعْضِي لِغَيْرِي قَلَى بَعْضِي^(١)
سَلَامٌ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ تَخَصُّصٌ بِهِ يَا خَيْرَ مَا شِئَ قَلَى الْأَرْضِ

(١) قال الواحدى : أنصرف عنك ، مع أنك قلدتنى نعمة يشهد بها بعضى على بعضى ؟ أى من نظر إلى استدلل بنعمتك على ، والمعنى أن القلب إن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه . من الخلع . وقال ابن جنى : فى الكلام حذف تقديره : أمدحك وأثنى عليك بما طوقتنى به من نعمك ، لحذف للدلالة عليه ، ثم قال فى قوله شهيد بها الخ : لسانه يشهد على سائر جسده ، وهو من قول ابن بسام الكاتب .

وقد سبقت منه لى نعمة تقير على وإن لم أقر

قافية حرف المين

وخرج يماك مملوك سيف الدولة إلى الرقة ؛ فخرج سيف الدولة بشيعه ، وهبت
رييح شديدة فقال :

لَا عَدِيمَ الْمَشِيعِ الْمَشِيعُ لَيْتَ الرِّيَّاحَ صَنَعَ مَا تَصْنَعُ^(١)
بَكْرُنَ ضَرًّا وَبَكْرَتَ تَنْفَعُ وَسَجَسَجَ أَنْتَ وَهْنُ زَعَزَعُ^(٢)
وَوَاحِدٌ أَنْتَ وَهْنٌ أَرْبَعُ وَأَنْتَ نَبِيعٌ وَالْمُلُوكُ خِرْوَعُ^(٣)

وقال يمدحه ويذكر الوقعة التي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ،
وذلك في جهادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة^(*) :

(١) الشيع — بصيغة اسم الفاعل — سيف الدولة ؛ والمشييع — بصيغة اسم
المفعول — غلامه يماك ، يدعوله . يقول : لا عدمه غلامه ، ثم قال : ليت الرياح تصنع
ما تصنع أنت من تفيع الناس .

(٢) بكرون ضرا : أراد بكرون — أى الرياح — يضررون ضرراً ، أو بكرون ذوات
ضر . والسجسج : السهل اللين الذى لا حر فيه ولا برد . والززعزع : الريح الشديدة
المؤذية . يقول : إن الرياح تضر الناس وأنت سهل تنفع الناس فليتها مثلك .

(٣) عنى بالأربع : الجنوب ، والشمال . والصبا ، والدبور . والنبيع : شجر صلب
تتخذ منه القسي ، وهو عندهم من جيد الشجر . والخروع : نبت ضعيف متثن ، وكل
شئ لين فهو خروع وخريع .

* مر سيف الدولة في هذه الغزوة بسندو وعبر آلس — وهو نهر عظيم على يوم
من طرسوس — ونزل على صارخة ، وهى مدينة هناك ، فأحرق ربتها وكنائسها
وربض خرشنة وما حولها وأقام بمكانه أياما ، ثم عبر آلس راجعاً فلما أسى ترك السواد
وأكثر الجيش ، وسرى حتى جاز خرشنة ، وانتهى إلى بطن لقان ظهر الغد ، فلقى

غَيْرِي بِأَكْثَرِ هَذَا النَّاسِ يَنْخَدِعُ
إِنْ قَاتَلُوا جَبَنُوا أَوْ حَدَّثُوا شَجَعُوا^(١)

الدمستق في ألوف من الخيل ، فلما رأى الدمستق أوائل خيل المسلمين ظنها سرية لها ، فانتشب القتال بين الفريقين . فانهزم الدمستق ، وقتل من فرسانه خلق كثير ، وأسر من بطارقه ووزارزته نيف وثمانون ، وأفلت الدمستق وعاد سيف الدولة إلى عسكره وسواده حتى وصل إلى عقبة — تعرف بمقطعة الأنهار — فصادفه العدو على رأسها ، فأخذ ساقة الناس يحميهم ، ولما انحدر بعد عبور الناس ركبه العدو ، فخرج من الفرسان جماعة ، ونزل سيف الدولة على بردى — وهو نهر بطرسوس — وأخذ العدو عليه عقبة المسير — وهي عقبة طويلة — فلم يقدر على صعودها لضيقها وكثرة العدو بها ، فعدل متياسراً في طريق وصفه بعض الأدلة ، وجاء العدو آخر النهار من خلفه ، فقاتل إلى العشاء ، وأظلم الليل ، وتساند أصحاب سيف الدولة : أي أخذوا في سند الجبل يطلبون سوادهم . فلما خفت عنه أصحابه سار حتى لحق بالسواد تحت عقبة — قرية من بحيرة الحدث — فوقف وقد أخذ العدو الجبلين من الجانبين ، وجعل سيف الدولة يستنفر الناس فلم ينفر أحد ، ومن نجا من العقبة نهائراً لم يرجع ، ومن بقي تحتهم تكن فيه نصرة ؛ وتخاذل الناس وكانوا قد ملوا السفر ، فأمر سيف الدولة بقتل البطارقة وبقية الأسرى ، فكانوا ماثات ، وانصرف ؛ واجتاز أبو الطيب آخر الليل بجماعة من المسلمين بعضهم نيام بين القتلى من التعب ؛ وبعضهم يحركونهم فيجهزون على من تحرك منهم ، فقال يصف ذلك .

(١) يقول : لا أنخدع بالناس فأتاؤل فيهم الخير وأظن فيهم الجليل لأنهم يجبنون عند القتال . ويشجعون عند الحديث ، فشجاعتهم بالقول لا بالفعل ، فلا أغتر بقولهم ؛ وإنما قال هذا الناس ولم يقل هؤلاء : لأنه ذهب إلى لفظ الناس ، لا إلى معناه . هذا : ويقال خدعه يخدعه خدعا — بالكسر — مثل سحره يسحره سحراً ؛ وخدعا — بالفتح أيضاً — وخديعة وخدعة : أي أراد به المكر وختله من حيث لا يعلم ، وتخاذع وانخدع أرى أنه قد خدع ؛ وخدعته فانخدع ورجل خدعة بالتسكين إذا كان يخدع كثيراً ، وخدعة : يخدع الناس كثيراً وأصله من خدع الضب يخدع خدعا ، وانخدع : إذا استروح ربح الإنسان ، فدخل في جحره لثلا يحترش ؛ ومن ذلك خدع الدهر : إذا تلون ،

أَهْلُ الْحَفِیْظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ النَّفْسِ مَا يَزَعُ^(١)
وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبِيعُ^(٢)

وخذعت العين : لم تنم ؛ وما خدعت بعينه نفسه ؛ أى ما مرت بها . قال المزمق العبدى
أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيْنِي نَعْسَةً وَمَنْ يَلْقَ مَا لَاقَيْتَ لَا بَدَّ يَأْرُقُ^(١)

(١) الحفيظة : الحمية والألفة : والنفس : الاهتمام في الجهل — خلاف الرشد . ويزع
يكف ويردع . يقول : هم أهل الحمية ما لم تجربهم ، فإذا جربتهم لم تجدهم كذلك ، وفي
تجربتهم بعد ظهور غيهم ما يمنعك عن مخالطهم . قال العكبرى : يشير إلى ما ظهر من
عجز أصحاب سيف الدولة في الغزاة التي جبنوا فيها ، وقال : هم يظهرون الحمية والجلد والإقدام
ويتزبنون بذلك ما لم تقع التجربة ، فإذا جربوا تركوا . وقال بعض الشراح : يريد بالنفس الاغترار :
أى وفي تجربة الشيء بعد الاغترار به ما يكشف عن دخلته ويكشف عن الاغترار به .

(٢) الطبع : الدنس . وقوله ونفسي : في موضع رفع عطفا على الحياة أى مع الحياة
كما تقول ما أنت وزيد : أى مع زيد — وما : استفهامية . يقول : ما لنفسي والحياة ؟
أى لا أريدها بعد ما علمت أن الحياة غير المشتهاة دنس ، وشين لها ، نعلام الحرص إذن
على هذه الحياة والركون إليها ؟ أى لا أريد حياة ولا أشتهاها إذا كانت كذلك ؛ وفيه
نظر إلى قول قطري بن العبداء :

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُذَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ
هَذَا : وأصل الطبع : الذى هو الدنس والشين ؛ من قولهم طبع السيف طبعاً فهو
طبع ؛ أى صدى . قال الفقهسى : وروى الحكيم بن معية الربيعي وأنشدها الأصمى :
إِنَّا إِذَا قَلَّتْ طَحَارِيرُ الْقَرْعِ وَصَدَرَ الشَّارِبِ مِنْهَا عَنْ جُرْعِ
نَفَحَلَهَا الْبَيْضَ الْقَلِيلَاتِ الطَّبِيعِ مِنْ كُلِّ عَرَاضٍ إِذَا هَزَّ اهْتَزَّعِ
مِثْلَ قَدَامَى النَّسْرِمَا مَسَّ بَصْعَ يَثْوُلُهَا تَرْعِيَةٌ غَيْرُ وَرَعِ

(١) أى لم تدخل بعيني نعسة ، ثم قال : ومن يلق ما لاقيت يارق لا بد : أى لا بد له
من الأرق .

ليس الجلال لوجهٍ صَحَّ مَارْنُهُ أَنْفُ التَّزْرِيزِ يَقْطَعُ الْيَزْزُ يُجْتَدَعُ^(١)
أَطْرَحُ الْجَدَّ عَنْ كَيْتِنِي وَأَطْلِبُهُ وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غَمْدِي وَأَنْتَجِعُ^(٢)
وَالْمُشْرِفِيَّةُ لَا زَالَتْ مُشْرِفَةً دَوَاهُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْهَى الْوَجْعُ^(٣)

ليس يَفَانٍ كِبَرًا وَلَا ضَرَعٍ تَرَى بِرِجْلَيْهِ شَقُوقًا فِي كَلْفٍ
من بَارِيٍّ حَيْصَ وَدَامَ مُنْسَلِجٌ^(١)

(١) اللارن : ملان من الأنف . واجتدع أنفه : قطعه . يقول : ليس كل وجه صحيح للارن بجميل ، فإن العزير متى قطع عزه ذل ، فصار كمن جدد أنفه وإن كان صحيح الأنف وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

ليس جَدَّعَ الْأَنْوْفَ كَمَنْدَى جَدَّهَا إِنَّ ذُلَّ النَّفْسِ قَتْلٌ وَجَدَّعٌ
واختص الأنف لأن العرب تقصد الأنف من بين سائر الأعضاء ، فيقولون أرغم الله أنفه : أى أثرقه بالزغام ، وهو التراب . هذا هو الأصل ، ولكنهم يريدون الدل والمعز عن الاتصاف والالتقياد على كره .

(٢) الاتجاع — فى الأصل — طلب الكلاء ، ثم صار كل طلب استجاعا وللراد بالغيت : لازمه من الخصب وسعة العيش . يقول : إن المجد وسعة الرزق إنما يطلبان بالسيف . فلم أطلبها بشئ آخر ؟ يقول : أترك أن أحوز المجد بالسيف وأكسب المال من طريق الطعن والنزال ، وأحاول ذلك بالطلب والسؤال ، فأكون بذلك كمن طرح عن كتفه ما يطلبه وترك فى غمده ما ينتجه ؟

(٣) للشرفية : السيوف ، وللشرفية : مبتدأ ؛ والحبر : دواء ؛ وحيلة لازالت مشرفة : دعائية : ومن روى مشرفة — بكسر الراء — فغناه : لا كانت داء ، بل كانت دواء يقول : إن السيوف دواء الكرم أو دأؤه ، لأنه : إما أن يتركها طلبته فيهلك فتكون دواء ، وإما أن يقتل بها دون غايته فيهلك فتكون داء . وهذا ينظر إلى قول البحترى :

وَعِنْدَ بُقْرَاطَ دَلَالٌ لَوْ تَأَمَّلَهُ قَالَ الشَّفَاهُ بِحَدِّ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

(١) القزع . جمع قزعة ، السحابة أو القطعة من النعم . والطخارير : سحابات متفرقة ويقال أخلت إلى : إذا أرسلت فيها غلا ؛ والبيض السيوف وتطحنها الخ يريد نزعها بالسيوف ، وهو مثل ، وأراد بالمراس : السيف البراق المضطرب ، واهتز : اضطرب وكلمت رجله تكلم كلما وكلاعا تشققت واتسخت ، وترعية راع ، ويؤلها يجمعها من آل يثول فهو مؤلها . ومنسلع متشقق .

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ قَوَرَّهَا فِي الدَّرْبِ وَالْدَّمُ فِي أُعْطَافِهَا دُفَعُ^(١)
وَأَوْحَدْتُهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ وَأَغْضَبْتُهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ^(٢)
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمْ وَالْجَيْشُ بَابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ^(٣)
قَادَ الْمَقَانِبِ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهْلٌ عَلَى الشَّكِيمِ وَأَذْنَى سَيْرِهَا سِرْعُ^(٤)
لَا يَمْتَنِقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِىٌّ وَلَا شَبَعُ^(٥)

(١) يريد يفارس الخيل : سيف الدولة ، لأن خيله أرادت الهزيمة ، فثبته في مضيق من مضايق الروم . فقوله خفت : أى أسرع في الهزيمة فزعا : ووقرها : ثبتهما والدرب : المضيق والمدخل إلى بلاد العدو ؛ والأعطاف : الجوانب ؛ والدم في أعطافها دفع : يعنى أن الدم منصب عليها دفعة بعد دفعة . وقال ابن جنى تعليقا على قوله : وفارس الخيل — يريد إذا اجتمعت الخيل موصوفة بالفروسية كان أفرسهم ؛ كقولك شاعر القوم ؛ فيحتمل أن يكونوا كلهم شعراء ؛ ويجوز أن يكون وحده شاعرا ؛ وإذا قلت هذا شاعر الرجلين لم يختص به الوصف دون الآخر ، بل تعمهما الصفة لأنه يجرى مجرى أشعر الرجلين ، فلا بد من أن يكونا شاعرين . ولا تقول هذا غلام الرجلين وأحدهما الغلام والآخر صاحبه ، كما لا تقول : شاعر الرجلين ، وأحدهما شاعر دون صاحبه

(٢) أوحدته : أى الخيل — أى تركته وحيدا . والقذع : اللعش . يقول فتركته وحيدا وتفرقت عنه فلم يقلق لشجاعته وأغضبته بانحيازها عنه فلم يك في لفظه خش ولا خنى : أى أنه شجاع وإن كان وحده ، وحليم عند الغضب .

(٣) ابن أبي الهيجاء : هو سيف الدولة . يقول إن عز الملوك ومنعتهم بجيوشهم لأنهم بهم يقوون ويمتنعون على أعدائهم ، وعز جيشك بك لأنهم لا يمتنعون على عدوهم إذا تمكن فيهم ، فأنت عزهم وبك منعتهم .

(٤) المقاب : جمع مقب ، جماعة الخيل زهاء الثلاثمائة ؛ والتهل : الشرب الأول . والشكيم : جمع شكيمة ، الحديدية المعترضة في فم الفرس من اللجام ؛ والسرع : السرعة مصدر سرع . يقول : قاد الجيوش مسرعا بها حتى كان أقصى شرب خيلهم مرة واحدة وهى ملعبة ولم يتفرغوا — لشدة السير — أن يخلعوا اللجم ، وأقل سيرها إسراع . يصف ما كان عليه سيف الدولة من الإشاحة والجد في لقاء العدو .

(٥) لا يعتق : أى لا يعتاق ؛ يقال عاقه واعتاقه ، ثم يلقب ؛ ويقال : عناه واعتناه يقول : إن سيره إلى بلد لفتح لا يعوقه عن سيره إلى غيره ، كالوت الذى يعم فلا يرتوى

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشْنَةَ تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ^(١)
 لِّلْسِي مَا نَكَبَحُوا وَالْقَتْلُ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبُ مَا جَمَعُوا وَالنَّارُ مَا زَرَعُوا^(٢)
 مَخْلَى لَهُ الْمَرْجُ مَنْصُوبًا بِصَارِخَةٍ لَهُ الْمَنَابِرُ مَشْهُودًا بِهَا الْجَمْعُ^(٣)
 يُطْمَعُ الطَّيْرُ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمْ حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ^(٤)
 وَلَوْ رَأَاهُ حَوَارِيُّوهُمْ لَبَنَوْا عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا^(٥)

ولا يشبع : أى لا يقنعه كثرة من يفنيه ، كذلك هو لا يقنع بفتح بلد من بلاد الأعداء أو بفتح غيره .

(١) خرشنة : بلد بالروم ؛ والأرباض : جمع ربض ، ما حول المدينة من العماره — الضواحي — . يقول : ما زال يسرع بجيوشه حتى نزل بأرباض خرشنة وقد شقبت به الروم ، لانه يقتلهم ويحرق صلبانهم ويغرب يعهم .

(٢) يقول : لما أقام على أرباض خرشنة نكل بالروم فسي نساءهم وأطفالهم وقتل أولادهم الكبار ونهب أموالهم وأحرق زرعهم : هذا : وقد أقام ما : مقام من في المصراع الأول ليوافق « ما » في المصراع الثانى ، على حد قوله تعالى « والسما وما بناها » ويجوز أن يكون حمل ما على المصدر . يريد للسبي نكاحهم والقتل ولادتهم ، قال العكبرى : واللام في قوله للسبي : لام العاقبة . كقوله :

لِدُوا لِمَوْتِ وَاِبْنُوا لِلْخَرَابِ *

أى عاقبتما هذا وقد زاد المتنبي على أبى تمام في قوله :

لَمْ تَبْقَ مُشْرِكَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَتْ إِنَّ لَمْ تَنْبُ أَنَّهُ لِلْسَبْيِ مَا تَلَدُ

(٣) المرج : موضع يبلد الروم ؛ وصارخة : مدينة من مدائنهم ؛ ومخلى ومنصوبا حالان من ضمير أقام — أى سيف الدولة — ومشهوداً : حال من صارخة ، وكان الوجه أن يقول : منصوبة ومشهودة . إلا أن التذكير جائز على حد قولك : نصب المنابر وشهد الجمع . يقول : إنه بلغ النهاية في النكاية بهم حتى أدخل له المرج ونصبت المنابر التى هى شعار الإسلام بصارخة وشهدت صلوات الجمع ، والجمع جمع جمعة كجمعات .

(٤) يقول : إن طول أكل الطير من لحوم قتلاهم أغرى الطير بهم ، فقد ألفت لحومهم حتى تكاد تقع على لحوم الأحياء وتختطفهم في غدواتهم ورواحاتهم .

(٥) الحواريون : أصحاب السيد المسيح ؛ وأضافهم إلى ضمير الروم لأنهم من أهل

هذا نظر السيد الأستاذ
 ٢٨١٢
 ٩٩٦

ذَمُّ الدُّسْتُقُ عَيْنِيهِ وَقَدْ طَلَعَتْ سُدُّ الْقَمَامِ فَظَنُّوا أَنَّهَا قَزَعُ (١)
فِيهَا الْكِمَاءُ الَّتِي مَقْطُومُهَا رَجُلٌ عَلَى الْجِيَادِ الَّتِي حَوْلِيهَا جَدْعُ (٢)
تَذَرِي اللَّقَانَ غُبَاراً فِي مَنَاحِرِهَا وَفِي حَنَاجِرِهَا مِنْ آلِسٍ جُرْعُ (٣)

دعوتهم . يقول لو رأى الحواريون سيف الدولة وشاهدوا عدله وإنصافه وكرمه لأوجبوا محبته وطاعته فيما يشرعون للمسيحيين من الشرع . هذا : وإنما سمي أصحاب السيد المسيح — صلوات الله عليه — بالحواريين : قيل لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب ؛ وقيل : الحواريون صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم ؛ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي » أى خاصى من أصحابي وناصرى ؛ وتأويل الحواريين فى اللغة : الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب ؛ وكذلك الحواري من الدقيق : سمي به لأنه ينقى من لباب البر ، وتأويله فى الناس : الذى قد روجع فى اختياره مرة بعد مرة ، فوجد نقيا من العيوب . والحواريات من النساء : النقيات الألوان والجلود لياضهن ؛ ومنه الحور العين : لياض عيونهن ؛ والعرب نساء الأمصار حواريات لياضهن وبعدهن عن قشف الاعراب بنظاقتهن . قال أبو جلدة :

فَقُلْ لِلْحَوَارِيَّاتِ يَبْكِينَ غَيْرَنَا وَلَا تَبْكُنَا إِلَّا الْكِلَابُ النَّوَاحِ
يَبْكِينَ إِلَيْنَا خِيفَةً أَنْ تَبِيحَهَا رِمَاحُ النَّصَارَى وَالسُّيُوفُ الْجَوَارِحِ
[جعل أهل الشام نصارى لأنها تلى الروم ، وهى بلادها] .

(١) الدمستق : صاحب جيش الروم ، والقزع : المتفرق من السحاب واحدها قزعة . يقول : رأى الدمستق كتاب سيف الدولة فظنها شرازم قليلة ورأى سحابا متراكمة فظنها قطعاً متفرقة فلما وجد الأمر على خلاف ما أدركته عيناه ذم نظر عينيه . وعبارة ابن حنى : تخير حتى أنكر حاسة بصره ؛ وهذا يشبه قول البحترى :

فَلَمَّا التَّقَى الْجَمَاعَ لَمْ يَجْمَعْ لَهُ يَدَاهُ وَلَمْ يَنْبُتْ عَلَى الْبَيْضِ نَازِلُهُ

(٢) فيها : أى فى سود القمام ، وهى عساكر سيف الدولة ؛ والكماة : جمع كمي ، وهو الشجاع المتسلح . والحولى الذى الذى آتى عليه حول . والجذع الذى آتى عليه حولان . يقول : فيها أبطال صبيهم رجل لدى الوغى وحولى خيلهم جذع ، يعنى الصغير فى جيشه ، كبير يعظم أمره .

(٣) اللقان : موضع يبلاد الروم . وآلس : نهر هناك . يصف سرعة جرى خيله ومواصلتها السير . يقول : شربت الماء من آلس وبلغت اللقان قبل أن تزدد — تبتلع —

كَأَنَّهَا تَتَلَقَّاهُمْ لَتَسْلُكَهُمْ فَالطُّعْنُ يَفْتَحُ فِي الْأَجْوَافِ مَا تَسْعُ^(١)
تَهْدِي نَوَاطِرَهَا وَالْحَرْبُ مُظْلِمَةٌ مِنَ الْأَسِنَّةِ نَارٌ وَالْقَنَا شَمْعٌ^(٢)

ما شربته ، فإذ هذا النهر في حلقها وقد وصل إلى مناجرها تراب اللقان وبينهما مسافة بعيدة . وعبارة ابن الأقلبي : وصلت اللقان وحناجرها لم تحجب من ماء النهر . يشير إلى ركض الخيل وشدة إسراعها ، وهذا مبالغة . وقال ابن جني : لا تستقر فتشرب ، إنما تختلس الماء اختلاسا بمواصلة السير . قال : ويجوز أن يكون شربت للماء قليلا لعلها بما يعقب في الركض ، وكذا يفعل كرام الخيل .

(١) يقول : كأن خيله تلتقي الروم لتدخل فيهم لأن طعن فوارسها يفتح في أجوافهم جراحات تسع الخيل . يعف سعة الطعن ، وهذا ينظر إلى قول قيس بن الخطيم :

طَمَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَمَنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاءُهَا^(١)
مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا بَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءُهَا^(٢)
وعبارة ابن الإقلبي : لتسلك أجسادهم وتتخذها طرقا ، وطعن فوارسها يفتح ما يسعهم ويخرق ما لا يضيق بهم . وليس هذا الإفراط بأعجب من قول النابغة يصف السيوف :

تَقْدُّ السَّلَاقِي الْمَضَاعِفَ نَسِجُهُ وَتَوَقِدُ بِالصُّفَاحِ نَارَ الْحَبَابِ
[السلاقى : الدرع المنسوبة إلى سلاق - قرية باليمن - والصفاح : الحجر العريض .
ونار الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . وقيل : الحباب ذباب يطير بالليل - كأنه نار ، له شعاع كالسراج] .

(٢) نار : فاعل تهدي . والقنا : الرماح ، وهو مبتدأ . خبره : شمع . والجملة : حالية . يقول : إذا أظلمت الحرب بالنقع - الغبار - هدت عيون الخيل فيها نار الأسنة ، ولما استعار للأسنة نارا جعل القنا شمعا ، والأسنة في ردوس القنا - كما هو معروف - قال ابن وكيع : ينظر فيه إلى قول النمرى :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسَ وَلَا قَمَرَ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ^(٣)
ولقد أحسن البحرى فيه بقوله :

مَدَّ لَيْلًا مِنَ الْعَجَاجِ فَأَيَّمْ شُونَ إِلَّا بِضَوْءِ السُّيُوفِ

- (١) النفذ : الثقب ؛ والشعاع : حمرة الدم ؛ أى لولا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين .
(٢) ملكت : شددت وضبطت ، وأنهرت أوسعت .
(٣) للمذروبة الشرع : أسنة الرماح الحادة المشرعة .

دُونَ السَّهَامِ وَدُونَ الْقُرِّ طَافِحَةً عَلَى نُفُوسِهِمِ الْمُقَوَّرَةُ الزُّرْعُ (١)
 إِذَا دَعَا الْعِلْجُ عِلْجًا حَالَ بَيْنَهُمَا أَطْلَى تُفَارِقُ مِنْهُ أَخْتَهَا الضَّلْعُ (٢)
 أَجَلٌ مِنَ وَلَدِ الْفُقَّاسِ مُنْكَتِفٌ إِذْ فَاتَهُنَّ وَأَمْضَى مِنْهُ مُنْصَرِعٌ (٣)
 وَمَا نَجَا مِنْ شِفَارِ الْبَيْضِ مُنْفَلِتٌ نَجَا وَمِنْهُنَّ فِي أَخْشَانِهِ فَرَعَ (٤)
 يُبَاشِرُ الْأَمْنَ دَهْرًا وَهُوَ مُخْتَبِلٌ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ حَوْلًا وَهُوَ مُتَمَتِّعٌ (٥)

(١) يقال لو هج الصيف وغبراه : سهام . بفتح السين . والسهام : حر السموم . وقد سهم الرجل - على ما لم يسم فاعله - إذا أصابته السموم . والقر : البرد . وطافحة : حال - أى سرعة - يقال طفح يطفح : إذا ذهب يعدو . والمقورة : الضامرة : والزرع : السرعة - يقال مزع الفرس والظبي يمزع : إذا مر مسرعا خفيفا . يقول : قبل حمارة الصيف وصبارة البرد تأتيتهم خيل سيف الدولة وتعدو على نفوسهم فخطوهم بهواقرها . وكان لسيف الدولة غزوتان في كل سنة : غزوة في الربيع ، وغزوة في الخريف . وروى ابن جني « دون السهام » بكسر السين - ودون القر : أى قبل أن تصل إليهم سهام الرماة ، وقبل أن يفروا تهجم عليهم هذه الخيل للسرعة الضامرة . قال ابن جني : سألت - أى المتنبي - فقال : هذه الخيل طفحت عليهم ، وقد صارت أقرب إلى نفوسهم من السهام ومن أن يفروا . يصف سرعة الخيل وأنها قد ركبتهم وغشيتهم . (٢) العليج : الرجل الغليظ من كفار العجم ، وأطلى : يعنى ربحا أسمر ، ومنه : تحليل . يقول : إذا استعان العليج بعلج آخر حال بينهما ربح أطلى يفرق بين الضلعين ، فكيف بين العليجين ؟

(٣) الفُقَّاس : جد الدمستق . وقال ابن جني : هو الدمستق كأنه لقبه . وأجل وأمضى : مبتدآن . خبرهما : المرفوع بعدهما . يقول : إن هرب الدمستق وسبق الخيل بالفرار فلم تدركه فأجل منه وأعظم قدرا أسير منكشف - مشدود الكتفين - لأنه قاتل حتى أسر - وكان قد أسر من أصحابه نيف وخمسون رجلا - وأشجع منه قتيل مصروع لأنه قاتل حتى قتل ولم ينهزم .

(٤) شفار : جمع شفرة ، حد السيف . يقول : لم ينج من السيوف من نجا إلا وفي قلبه منها فزع لأن ذلك يقتله ولو بعد حين . والله أبو تمام إذ يقول :

إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبُو نَضْرٍ فَمَنْ قَدَرٍ تَنْجُوا الرِّجَالُ وَلَكِنْ سَلَهُ كَيْفَ نَجَا
 (٥) المختبل : الداهل المضطرب ؛ والمتمتع : للتغير اللون . يقول : يصير إلى مأمنه

كَمْ مِنْ حُشَاشَةٍ بِطَرِيقٍ تَضَمَّنَهَا (١)
يُقَاتِلُ اخْطَوُ عَنْهُ حِينَ يَطْلُبُهُ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ عَنْهُ حِينَ يَضْطَجِعُ (٢)
تَفْذُو الْمَنَايَا فَلَا تَنْفَكُ وَاقِفَةً حَتَّى يَقُولَ لَهَا عُودِي فَتَنْدَفِعُ (٣)
قُلْ لِلدِّمُوسْتَقِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ خَانُوا الْأَمِيرَ فَجَازَاهُمْ بِمَا صَنَعُوا (٤)

فيعيش في الأمن حيناً من الدهر وهو ذاهل مغتبل العقل، لشدة مالحقه من الفرع، ويحتسئ الحجر وهو تمتنع اللون لاستيلاء الصفرة عليه فلا تحيل الحجر لونه إلى الحمرة مع إدمانه عليها.

(١) الحشاشة : بقية الروح . والبطريق الفارس من الروم أو القائد . وتضمنها : كفلها . والباترات : السيوف . والورع : التقى والكف عن المحارم ، والمراد بالأمين : الذي لا ورع له : القيد . يقول : كم من بطريق أسر ليقول إذا دعت الحاجة إلى قتله ، فأرواحهم في ضمان القيد للسيوف ؟ قال العكبري : وقوله : أمين ماله ورع من أحسن الكلام ، لأن الأمين هو الذي يؤتمن على الأشياء فلا بد له من ورع .

(٢) يقاتل ويطرده : أي الأمين ، وهو القيد ؛ وعنه : أي عن القيد . يقول : إن القيد يمنعه الخطو إن أراد السير ويمنعه النوم عند الاضطجاع فإذا أراد المشي قاتله بتضييقه . يريه أوجهه بالضيق على ساقه ، فكأنه يقاتله ؛ وإذا أراد النوم يمنعه ؛ فكأنه يطرده عنه . ولعله ينظر إلى قول أبي نواس :

إِذَا قَامَ أَعْيَتْهُ عَلَى السَّاقِ حِلْيَةٌ لَهَا خَطْوُهُ وَسَطَ الْفَنَاءِ قَصِيرُ (٣)
يقول : إن المنايا تنتظر أمر سيف الدولة . فهي إن كفها ولت وإن أمرها بأن تعود إليهم تدفقت عليهم ، ومثله قول بكر بن النطاح :

كَأَنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ يَجْرَيْنَ فِي الْوَسْغَى إِذَا التَّقَتِ الْأَبْطَالُ إِلَّا بِرَأْيِهِ
ويقول صريع الغواني :

كَأَنَّ الْمَنَايَا عَالِمَاتٌ بِأَمْرِهِ إِذَا خَطَرَتْ أَرْمَاحُهُ وَمَنَاصِلُهُ

(٤) المسلمين - بفتح اللام - الذين أسلمهم سيف الدولة للعقو لتخاذلهم عنه ، وذلك أن سيف الدولة لما قتل من قتل وأسر من أسر : غادر ذلك الموضع وبقي فيه جماعة من جيشه يجهزون على من بقي فيه رمق من القتلى ، ومنهم من أخذته النوم فجاءهم العدو وأخذوهم وقتلواهم . يقول : إن هؤلاء الذين تركهم سيف الدولة وأسلمهم هم لكم ، فاصنعوا

وَجَدْتُمُوهُمْ نِيَامًا فِي دِمَائِكُمْ كَأَنَّ قِتْلَكُمْ إِيَّاهُمْ فَجَعُوا^(١)
 ضَعْفَى تَعَفَّى الْأَيَادِي عَنْ مِثَالِهِمْ مِنَ الْأَعَادَى وَإِنْ هُمَا بِهِمْ نَزَعُوا^(٢)
 لَا تَحْسَبُوا مَنْ أَسْرَتُمْ كَانَ ذَارِمًا فَلَيْسَ يَا كُلُّ إِلَّا الْمَيِّتَ الضَّبْعُ^(٣)
 هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ صَعِدَتْ أُسْدُ تَمْرُهُ فُرَادَى لَيْسَ يَجْتَمِعُ^(٤)

بهم ما شئتم ، خانوا الأمير بالانحياز عنه فجازاهم بأن أسلمهم إليكم ، ثم بين ما صنعوا في البيت التالى .

(١) فى دمائكم : أى فى دماء قتلاكم ، وذلك أنهم تخللوا القتلى فتلطخوا بدمائهم وألقوا أنفسهم بينهم تشبهاً بهم خوفاً من الروم . يقول : كأنهم كانوا مفعوعين بقتلاكم فهم فيما بينهم يتوجعون لهم .

(٢) ضعفى : جمع ضعيف ؛ ونزع عن الشيء : رغب عنه وأعرض . يقول : إن هؤلاء القدين فعلوا ذلك هم خساس عسكر سيف الدولة إن هموا بعدوهم أعرض عنهم أنفة من ضعفهم وخستهم . وقد حقق هذا فيما يلى .

(٣) يقول : ليس لكم أن تفخروا بهؤلاء الذين أسرتهم ولا تظنوهم كان فيهم رمق - بقية حياة - وإنما هم أموات من الجبن والخوف ؛ وأنتم لحستكم ودناة نفوسكم لا تقدرون إلا على أمثالهم ، كما أن الضبع لا تفرس إلا الجثث الميتة ، وقد عاب ابن وكيع هذا البيت وقال : كيف أطلق على الضبع هذا وأنها تأكل الميتة ؟ كأنه لم يقرأ كتاب الوحوش ، ولم يسمع وصفها فى أشعار العرب ؛ لأن الضبع تخنق عشرين من الغنم حتى تأخذ واحدة ؛ وهى من أخبت السباع على الغنم . قال : ولو هو قال « ما كل من قد أسرتكم كان ذارمًا » لكان أوضع وأحسن .

(٤) العقب : جمع عقبه وفردى : جمع فردان ؛ أى فرد . يقول : هلا وقفتم أو قاتلتم هناك وقد صعدت إليكم رجال أبطال يسرعون إلى الحرب أفراداً لا يتوقف بعضهم على بعض لشجاعتهم وثقتهم بقوتهم كما قال الحماسى :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَمْ طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا
 قال العكبرى : قوله ، هلا يريد هلا صرتم ، أو هلا وقفتم مثلاً ، لأن هلا للتحضيض ولا بد لها من الفعل - مظهرأ أو مضمرأ - ومنه قول جرير :

تعدون عَقَرَ النِّيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنَى ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكُمَى الْمُقْنَعَا^(١)

(١) تعدون هنا بمعنى تجميلون وتحسبون ، ولهذا عداه إلى مفعولين ، ويجوز أن

تَشَقُّكُمْ بِفَتَاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ مَا يَدَّعُ^(١)
وَأِنَّمَا عَرَضَ اللَّهُ الْجُنُودَ بِكُمْ
لِكَيْ يَكُونُوا بِلَا قَسَلٍ إِذَا رَجَعُوا^(٢)
فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَاقَلَهُ^(٣) وَكُلُّ غَازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ^(٤)

أى هلا عددتم الكى المتفع

(١) السلهبة : الطويلة من الخيل . يقول : يشق صفوفكم كل فرس من خيل هؤلاء الرجال بفارسها ويمكن سيفه منكم حتى يكون من يأتى عليه الضرب أكثر بمن يدعه . وروى بقناها : أى برماحها ؛ أى تشقكم كل سلهبة برمحها ، والمراد كل صاحب سلهبة ، لان أصحاب السلاهب - الخيل - وفرسانها هم الذين يشقون بالطنن . هذا : ويدع : مضارع فعل ترك استعماله .

(٢) الفصل : الرذل الدنى العاجز . يقول : إنما عرض الله لكم الجنود - الذين انقطعوا عن عسكر سيف الدولة . . . وهم الأوباش الذين قتلتموهم - ليجرد الله عسكر الإسلام من أمثالهم فيعود إليكم سيف الدولة فى الأبطال المنتخبين ليس فيهم قسل ولا دنى . قال الواحدى : كل الناس رووا « بكم » والصحيح فى المعنى لكم - باللام - لأنه يقال عرضت فلاناً لكذا فتعرض له . ويجوز أن تكون بكم : من صلة معنى التعرض ، لا من لفظه ، ومعناه : إنما ابتلى الله الجنود بكم : أى إنما خذلهم الله وجعلهم لكم عرضة .

(٣) يقول : فكل غزوة إليكم بعد اليوم تكون عاقبتها له - لا عليه - لأن الأوباش والضفاء من جنوده قد قتلوا ، ولم يبق إلا الإبطال المصطفين الأخيار وكل غاز تبع له . لأنه أمير الغزاة وسيدهم .

يكون من العد ، ويكون على إسقاط « من » الجارة ، تقديره : تعدون عقر النيب من أفضل مجدكم ؛ فلما أسقط الحافض : تعدى الفعل فقصب ؛ وبنو ضوطرى : حتى معروف . وقال ابن سيده : يقال للقوم إذا كانوا لا يفنون غناء : بنو ضوطرى ؛ ومنه قول جرير مخاطب الفرزدق الخ . ومعنى البيت : إنكم تعدون عقر الإبل للسنة التى لا ينتفع بها ولا يرجى نسلها أفضل مجدكم ، هلا تعدون قتل الشجعان أفضل مجدكم ؟ وهذا تعرض بجهنم عن مقارعة الشجعان ومنازلة الأقران :

يَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ
وَهَلْ يَشِينُكَ وَقْتُ كُنْتُ فَارِسَهُ
وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ^(١)
وَكَانَ غَيْرُكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرْعُ^(٢)
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ^(٣)
إِنْ كَانَ أَسْلَمَهَا الْأَصْحَابُ وَالشَّيْعُ^(٤)
فَلَمْ يَكُنْ لِدُنْيِهِ عِنْدَهَا طَبْعُ^(٥)
لَمْ يُسَلِّمِ الْكَرُّ فِي الْأَعْقَابِ مُهْجَتَهُ
لَيْتَ الْمُلُوكَ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعْطِيَةً

(١) يقول : إن أفعالك أباكراك لم يسبق إليها ، فأنت مبتدع في كل مأثرة لا متبع أحداً فيها ، أما غيرك من الكرام فإنهم يقتفون آثار غيرهم .

(٢) الضرع : الضعيف . يقول : إذا كنت الفارس الشجاع وغيرك الضعيف العاجز فلا يميلك عجز العاجز . يريد أن قتلهم وأسروهم ضعاف أصحابك لا يشينك . قال السراج : وفي نظم هذا البيت عيب عند الحذاق بصناعة الشعر لأنه كان ينبغي أن يقول في صدر البيت الاول : « كنت حازمه » لما قال في العجز العاجز الضرع ، لأن ضد الحازم العاجز . أو يقول فارسه وجبانه .

(٣) ولا يضع : أى ولا يضعه شيء . يقول : من بلغ الغاية في الرفعة فليس وراء الغاية موضع . وإذن لا يرفع بنصرة أحد ولا يتضع بخذلان أحد .

(٤) أسلمه : خذله : والسكر : الرجوع إلى الحرب مرة بعد أخرى ، والأعقاب : جمع عقب ، وهو مؤخر كل شيء ، واسم كان : ضمير الشأن : والجملة بعدها خبرها : والشيع : الأتباع . يقول : إذا كان أصحابه قد خذلوه وأسلموه للأعداء بهذا التخاذل فإن كره على الأعداء في الأعقاب - أى أواخر الحيل - لم يخذله : يعنى أنه من شجاء : نفسه في منعة ، وبذلك دافعت نفسه عن نفسه ، ومثله لأبى تمام :

ما غاب عنه من الإقدام أشرفه في الرُّوعِ إن غابتِ الأنصارُ والشَّيْعُ

(٥) الدنى : مهموز ، وقال ابن جني قلت له - للفتى - : عند القراءة عليه ألهزمه ؟ قال : لا تهمزه ، قلت له : هو من باب المهموز . فقال لا : ألا ترى الإجماع على قوله تعالى « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » بترك الهمزة ؟ أقول : والذى يؤخذ من كلام أهل اللغة أن الدنى بمعنى الخسيس : لايهمز - كما هنا - أما الدنى بمعنى الخبيث الماخن ، فإنهم يهمزونه . قال أبو زيد في النوادر : رجل دنى : هو الخبيث البطن والفرج دنؤ دناءة ، ورجل دنى ، وقد دنى يدنى ، ودنو يدنو دنوا ، وهو الضعيف الخسيس الذى لا غناء عنده ، المقصر في كل ما أخذ فيه ، وأنشد :

رَضِيتَ مِنْهُمْ بِأَنْ زُرْتَ الْوَغَى فَرَأَوْا

وَأَنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ الْبَيْضَ فَاسْتَمْعُوا^(١)

لَقَدْ أَبَاكَ غَشَا فِي مُعَامَلَةٍ

مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصَّدَقِ تَلْتَفِعُ^(٢)

فلا وأبيك ما خلّيتي بوغري ولا أنا بالدين ولا المدي^(١)

يقول: ليت الملوك يعطون الشعراء على أقدارهم في الاستحقاق بفضلهم، ولو هم فعلوا لما طمع في نوالهم خسيس . وهذا تعريض بأنه يسويه مع غيره ممن لم يبلغ درجته في الفضل .

(١) الحبيك : جمع حبيكة - كسفين وسفينة - وهي الطرائق تكون في المنام وفي الماء الساكن أو الرمل ، إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق ، والبيض . إما قراءتها بفتح الباء - جمع بيضة ، وهي الخوذة من حديد تجعل على الرأس للوقاية في الحرب - وحبيكها طرائقها . وإما بكسر الباء : أي السيوف ، وحبيكها تلك الطرائق التي في السيوف . يقول : رضيت من الشعراء بالنظر إلى قتالك والاستماع إلى قراعتك في الوغى - الحرب - دون أن يباشروا القتال : يعني أنا الذي أبشر القتال معك دون غيري من الشعراء

(٢) لعله يريد أن يقول : لقد غشك من انتفاعك منه بغير الصدق . يعني شعر هؤلاء الشعراء : أي أن هؤلاء الشعراء إنما يتقربون إليك ويأخذون أموالك بذلك الشعر الكاذب الذي لا يصحبه فعل إذ لا يباشرون معك القتال ، فكأنهم يشونك . أما أنا : فإني أصدقك إذ أمدحك وأبشر معك القتال . وعبارة العكبري : من لم يصدقك بقوله فقد غشك ، فإنه يظهر لك الشجاعة والجبن عنده ، ويظهر لك الجلد والضعف حقيقته ، فهو يتعاطى ما ليس عنده . قال ابن وكيع : لو قال « من كان منك بغير الصدق » لسم من الاعتراض . وقال الواحدى : معنى البيت : من لم يصدقك فقد غشك يعني أنى قد صدقتك فما ذكرت ، لأنى لو لم أصدقك كنت قد غششتك . قال : ويجوز أن يكون المعنى : إن من غشك بتخلفه عنك فقد أباحك أن تغشه في معاملتك إياه . وجعل ما يفعله سيف الدولة غشا لأنه جزاء الفس . وقوله على هذا « بغير الصدق » أي بغير صدق اللقاء . يعني بالنظر والسماع .

(١) المدي : المقصر عما ينبغي أن يفعله .

الدَّهْرُ مُتَعَذِّرٌ وَالسَّيْفُ مُنْتَقِرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ^(١)
وَمَا الْجِبَالُ لِنَصْرَانٍ بِحَامِيَةٍ وَلَوْ تَنَصَّرَ فِيهَا الْأَعْصَمُ الصَّدْعُ^(٢)
وَمَا حَمْدُكَ فِي هَوْلِ ثَبَتَ لَهُ حَتَّى بَلَوْتُكَ وَالْأَبْطَالُ تَمْتَصِعُ^(٣)
فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعًا مَنْ بِهِ خَرَقٌ وَقَدْ يُظَنُّ جَبَانًا مَنْ بِهِ زَمَعٌ^(٤)
إِنَّ السَّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحْمِلُهُ وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمِخْلَبِ السَّبْعُ^(٥)

* *

(١) المصطاف والمرتبع : النزل في الصيف والربيع . يقول إن الدهر معتذر إليك بما فعل - يعني من قتل الروم ضعفاء أصحابك - والسيف ينتظر كرتك عليهم فيشفيك منهم وأرضهم لك منزل صيفا وريعا تنزلها متى شئت، إذ هي ملك لك. وصدر البيت من قول أبي تمام :

عَضْبًا إِذَا سَلَّهُ فِي وَجْهِ نَائِبَةٍ جَاءَتْ إِلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَعْتَذِرُ
يعجزه من قوله أيضا :

وَأَقَمْتُ فِيهَا وَادِعًا مُتَمَهِّلًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا لَكَ دَارُ

(٢) نصران ونصراني : واحد ؛ والأعصم : الوعل الذي في إحدى يديه بياض ، والصدع : الوعل لا بالسن ولا بالصغير : أى الفقى . يقول : إن اعتصامهم بجبالهم لا ينفعهم لأنها لا تحميمهم ؛ ولو أن أو عاها تنصرت لم تحمها الجبال .

(٣) الامتصاع والماصعة : القتال والتجالد بالسيوف ؛ وامتصع في الأرض ذهب فيها هاربا . يقول : لم أحمذك على شجاعتك وثباتك في الحرب إلا بعد أن بلوتك - خبرتك - جربتك - لدى قتال الأبطال ، أو والأبطال تهرب فارة منك .

(٤) الخرق : الحفة والطيش ، والزمع : الرعدة . يقول : الظن قد يخطيء ، فالأخرق قد يظن شجاعا ، والشجاع الذى تغريه الرعدة من الغضب قد يظن جبانا ؛ وإنما يتحقق الأمر عند التجربة : يعنى إني قد مدحتك بعد الخبرة ولم أخطيء ولم أكذب .

(٥) كل : مبتدأ ؛ والنسب : خبر ؛ والجملة خبر ليس ؛ واسمها ضمير الشأن ؛ والمخلب : للطير والسباع : بمنزلة الظفر للانسان . وهذا مثل ضربه . يقول : ليس كل من يحمل السلاح شجاعا ، كما أنه ليس كل ذى مخلب أسداً يفترس .

وقال في صباه يمدح على بن أحمد الطائي :

حُشَّاشَةُ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَّعُوا فَلَمْ أَذْرِ أَىَّ الظَّاعِنِينَ أَشْبَحَ^(١)
أَشَارُوا بِتَسْلِيمٍ فَجَدُّنَا بِأَنْفُسٍ تَسِيلُ مِنَ الْأَمَاقِ وَالسَّمِ أَدْمَعُ^(٢)
حَشَاىَ عَلَى جَمْرٍ ذِكْرِي مِنَ الْهَوَى

وَعَيْنَاىَ فِي رَوْضٍ مِنَ الْحُسْنِ تَرْتَعُ^(٣)

(١) الحشاشة : بقية الروح في الرريض ؛ والظاعنين : المرتحلين . يقول : لى بقية نفس ودعنى وفارقتى يوم ودعنى الأحباب فذهبت البقية والحبيب فبقيت حائرًا لا أدرى أى المرتحلين أودع ؛ يعنى الحشاشة والحبيب المودع فى جملة من ودعو . فقوله : الظاعنين بلفظ التثنية - وروى بلفظ الجمع على إرادة الحشاشة ، والأحبة الذين ذكرهم فى قوله ودعوا . وهذا المعنى ينظر إلى قول بشار :

حَدَا بَعْضُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَبَعْضُهُمْ شِمَالًا وَقَلْبِي بَيْنَهُمْ مُتَوَزِعُ
(٢) اللؤق : طرف العين مما يلي الأنف ؛ والجمع : آماق ؛ وهو مهموز العين ، ويقلب : فيقدم الهمز ، فيقال : آماق ؛ مثل بئر وآبار ، والسَم : لغة فى الاسم - بكسر السين ، وضمها ، وفتحها - يقول : أشاروا إلينا بالسلام علينا فجَدُّنا عليهم بأرواح سالت من الاماق تسمى دموعا : أى أنها كانت أرواحنا سالت من عيوننا فى صورة دموع ؛ ومثله :

خَلِيلِي لَا دَمْعًا بَكَيتُ وَإِنَّمَا هِيَ الرُّوحُ مِنْ عَيْنِي تَسِيلُ عَلَى خَدِّي
ويقول بشار :

وَلَيْسَ الَّذِي يَجْرِي مِنَ الْعَيْنِ مَاءُهَا وَلَكِنَّهَا رُوحِي تَذُوبُ فَتَقْطُرُ
ويقول ديك الجن :

لَيْسَ ذَا الدَّمْعِ دَمْعَ عَيْنِي وَلَكِنْ هِيَ نَفْسِي تَذِيبُهَا أَنْفَاسِي
ولابن دريد :

لَا تَحْسِبُوا دَمْعِي تَحْدَرُ إِنَّمَا رُوحِي جَرَتْ فِي دَمْعِي الْمُتَحَدِّرِ
(٣) الحشا : مافى داخل الجوف ؛ والمراد به . هنا : القلب . يقول بقلبي على جمر شديد التوقد من الهوى لأجل توديعهم وفراقهم ، وعيناي ترتعان من وجه الحبيب فى روض من الحسن ، والله أبو تمام حين يقول :

أَفَى الْحَقِّ أَنْ يُضْحِيَ بَقْلِي مَا تَمُّ مِنْ الشَّوْقِ وَالْبَلَاىِ وَعَيْنَاىَ فِي هُرَيْرِ

وَلَوْ حُمِّلَتْ صُمُّ الْجِبَالِ الَّذِي بِنَا
غَدَاةً افْتَرَقْنَا أَوْ شَكَّتْ تَصَدَّعُ^(١)
بِمَا بَيْنَ جَنبَيْهِ الَّتِي خَاضَ طَيْفُهَا إِلَى الدِّيَارِجِي وَالتَّحْلِيُونِ هُجَّعُ^(٢)

والأصل في هذا المعنى قول ابن الدمينه :

غَدَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلَا وَقَلْبِي غَدَاً مِنْ هَجْرَهَا فِي جَهَنَّمَ
هذا : وإنما لم يقل ترتعان لأن حكم العينين حكم حاسة واحدة ، فلا تكاد تنفرد
إحداهما برؤية دون الأخرى ، فاكتمنى بضمير الواحد . قال الصكبرى : وأفرد الخبر
لأن العينين - وهما عضوان مشتركان في فعل واحد مع اتفاقهما في التسمية - يجرى
عليهما ما يجرى على أحدهما ؛ ألا ترى أن كل واحدة من العينين لا تكاد تنفرد بالرؤية
دون الأخرى باشتراكهما في النظر : كاشتراك الأذنين في السمع ، والقدمين في المشي ؟
وقد استعمل هذا الباب على أربعة أوجه : أحدها على الحقيقة في الخبر والخبر عنه ،
فتقول : عيناى رأته ، وأذنائى سمعته . والثاني : أن تخبر عن اثنين وتنفرد الخبر -
كبيت أبى الطيب - فتقول : عيناى رأته . والثالث : أن تعبر عن اثنين بواحد وتنفرد
الخبر ، فتقول : عيني رأته ، وأذنى سمعته . والرابع : أن تعبر عن اثنين بواحد ، وتثنى
الخبر حملا على المعنى ، فتقول : عيني رأته وأذنى سمعته ، كقول الشاعر :

إِذَا ذَكَرْتَ عَيْنِي الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى بِصَحْرَاءَ فَلَجَّ ظِلَّتَا تَكْفَانِ

(١) الصم : الصلاب ؛ وتصدع : تتشقق ؛ وهذا من قول البحترى :

وَلَوْ أَنَّ الْجِبَالَ فَقَدْنَ الْفَأْ لَأَوْشَكَ جَامِدٌ مِنْهَا يَذُوبُ

(٢) بما بين جنبى : أى أفديها بما بين جنبى ؛ يعنى قلبه أو روحه . فالباء للتفدية ؛

وقال ابن القطاع : يريد هى مطالبة بتلاف روحى التى بين جنبى . والدياجى : جمع
ديجوج ، وكان القياس دياجيج ، ولكنهم خففوا الكلمة بحذف الجيم الأخيرة ، كما قالوا :
مكوك ومكاكى . والحلى : الذى يخلو قلبه من الهوى والمم ، والمهجع : النيام . يقول :
أفدى بقلبي المرأة التى أتانى خيالها فى ظلام الليل تقطع الظلمة إلى والذين خلوا من الحب
كانوا نياما ، قال الواحدى : وهذا كالتضارب لأنه أيضاً كان نائماً حين رأى خيالها ،
لكن يجوز أن يكون نومه نعسة خفيفة ، فرأى خيالها فى تلك النعسة ؛ وغيره من الحليين
نام جميع ليته .

أَنْتِ زَائِرًا مَا خَافَ الطَّيْبُ ثَوْبَهَا وَكَالِيسِكَ مِنْ أَرْضَانِهَا يَتَضَوِّعُ^(١)
فَمَا جَلَسَتْ حَتَّى انْتَهَتْ نُوسُوعُ انْطَلَا كَفَاطِمَةُ عَنْ دَرَاهِمَا قَبْلَ تَرْضِيعِ^(٢)
فَشَرَّدَ لِإِعْظَامِي لَهَا مَا أَتَى بِهَا مِنَ النَّوْمِ وَالتَّاعِ الْفَوَادُ لِلْفَجْعِ^(٣)
فِيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَطْوَلَ بِنَهَا وَسُمُّ الْأَفَاسِ عَذْبُ مَا أُتَجَرَّعُ^(٤)
تَذَلَّلَ لَهَا وَأَخْضَعَ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى
فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَذِلُّ وَيَخْضَعُ^(٥)

(١) زائراً : حال من فاعل أنت : أى أنت خيالاً زائراً ؛ وخامر : خالط ؛ والكاف - فى « كاليسك » اسم ، بمنزلة مثل ، مبتدأ ؛ والجبر : الجملة بعدها . والأردان : جمع ردن أصل الكم . ويتضوع : يفوح : يقول : أنت زائرة ما خالط الطيب ثوبها : أى لم تلمس ، ومثل المسك يفوح من ثيابها ، لأنها طيبة الرائحة طبعاً - لا تطبعاً - كما قال امرؤ القيس :
ألم ترائنى كلما جئت طارفاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيب ؟
أى أن طيبها خلقة فيها لا تسكته .

(٢) قبل ترضع : أى قبل أن ترضع :

(٣) أعظمه إعظاماً : استعظمه ، وما : موصولة ، وهى مفعول شرد . ومن - فى قوله من النوم - بيانية . والتاع : احترق ، واللوعة : الحرقه ، والتجعج : الموضع . يقول : لما رأيت خيالها استعظمت رؤيتها ، فنفى ذلك نوى الذى أتى بها ، واحترق قلبى لفقد رؤيتها .

(٤) تجرعة : شربه على تكلف واستكراه ، يقول : ما كان أطول تلك الليلة التى فارقنى فيها خيالها فتجرجعت من حرارة فراقها ما كان السم بالقياس إليه عذبا . فقوله ما كان أطول . أى ما كان أطولها ، فحذف الضمير للوزن .

(٥) يقول : ارض بما تحكم متقاداً مطيعاً لها ، والخضوع فى القرب : الطاعة والاعتقاد ؛ وفى البعد : الرضا والتسليم لفظها ، وذلك آية الحب ، كما قال أبو نواس :

أَيَا كَثِيرِ النُّوْجِ فِي الدَّمَنِ لَا عَلَيْهَا بَلْ عَلَى السَّكَنِ
سُنَّةُ الْمُشَاقِّ وَاحِدَةٌ فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكَنِ

ويقول :

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْدًا لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيعًا
لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى تُلْزِمَ النَّفْسَ الْخَفُوعَا

وَلَا تَوْبُ تَجْدُ غَيْرَ تَوْبِ ابْنِ أَحْمَدَ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بُلُومٌ مُرَقَّعٌ^(١)
وَأَنَّ الَّذِي حَابَى جَدِيلَةَ طَيِّءٍ بِهِ اللَّهُ يُعْطَى مِنْ بَشَاءٍ وَيَمْنَعُ^(٢)

ويقول العباس بن الأحنف :

تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تُحِبُّ وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى يَفَارِقُكَ مَنْ تَهَوَّى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ

(١) يقول : إنه لم يسلم المجد لأحد خالصاً غير مشوب باللؤم إلا للمدوح . ولا توب : روى بالرفع عطفاً على عاشق - في البيت السابق - وبالنصب : على جعل لا : نافية للجنس . وغير : منصوب على الاستثناء ، وابن أحمد : المدوح ؛ وعلى أحد : صلة توب الأول . واللؤم الحسة ، ضد الكرم . وممرق : خبر ، ورواها ابن جني ، يرفع .

(٢) جديلة : رهط المدوح من طيء . قال ابن جني : حابي : بمعنى حبا : أى أعطى ، وعلى هذا يكون المعنى : إن الذى أعطى بنى جديلة هذا المدوح فجعله منهم هو الله تعالى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء . ونص عبارة ابن جني : حابي : بمعنى حبا . مأخوذ من الحباء . وهو العطية ؛ واسم الله : مرفوع به ؛ والجملة - التى هى يعطى وفاعله - خبر إن ؛ واسم إن : الذى قال . المكبرى : وخولف فى هذا قليل : معنى حابي بارى ، تقول : حابيت زيدا ؛ إذا باريته - مثل باهيته - فى العطاء ؛ وليس بمعروف أن المعنى حابيته بكذا : حبوته به . قال الشريف هبة الله بن محمد بن على بن محمد للشجري : فاعل هذا يكون فاعل حابي : مضمرأ فيه ، يعود على الذى ؛ واسم الله : مرتفع بالابتداء ؛ وخبره : الجملة ، تقديره : إن الذى حابي به جديلة فى الحباء الله يعطى من يشاء ، ومفعول يمنح : محذوف : دل عليه مفعول يعطى ؛ وكذلك مفعول يشاء المذكور ، والمحذوفان تقديرهما : يعطى الله به من يشاء أن يعطيه ، ويمنع من يشاء أن يمنعه ، والضميران : يعودان للمدوح . وقال المكبرى : أصل حابي : فاعل ، ولا يكون إلا : أن اثنين إلا فى أحرف يسيرة : طارقت النمل ، وغابت اللص ، وعافاه الله ، وقاتلهم الله . وأبو الفتح ذهب بها مذهب هذه الأحرف وقال : حابي : بمعنى حبا ، كما فى قول أشجع يمدح جعفر بن يحيى حين ولاء الرشيد خراسان :

إِنَّ خَرَّاسَانَ قَدْ أَصْبَحَتْ تَرْفَعُ مِنْ ذِي الْهَمَةِ الشَّانَا
لَمْ يَحْبُ هُرُونُ بِهَا جَعْفَرًا وَإِنَّمَا حَابَى خَرَّاسَانَا

بَذَى كَرَمٍ مَا مَرَّ يَوْمٌ وَشَمْسُهُ عَلَى رَأْسِ أَوْفَى ذِمَّةٍ مِنْهُ تَطْلُعُ^(١)
فَارْحَامُ شِعْرِ يَتَصِلْنَ لَدْنَهُ وَأَرْحَامُ مَالٍ لَا تَنِي تَنْتَقِعُ^(٢)

وقد جاء حابي : بمعنى بارى في قول سيرة بن عمرو الفقعسى :

نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءُ نَا وَنَهْنِيهَا وَنَشْرَبُ فِي أُمَانِيهَا وَنَقَامِرُ
وقد جاء حابي بمعنى : اختص ، قال :

اصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَاشْكُرْ حِيَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ حَابَا كَا
وقال الواحدى : وحابي لا يكون بمعنى حبا ، وإنما المعنى : إن الذى بنى جديلة :
أى غالبهم وباهامهم فى العطاء - يعنى الممدوح - به الله يعطى من يشاء ويمنع لأنه ملك
قد فوض الله تعالى إليه أمر الخلق فى النفع والضر ، فقوله : به الله ، خبر «إن» .
(١) بذى كرم : بدل من قوله به - فى البيت المتقدم - ، يقول : لم يمر يوم وشمس
ذلك اليوم تطلع على رأس إنسان أوفى بالدم من هذا الممدوح ؛ يريد أنه أكثر الناس
وفاء وأكرمهم عهداً ؛ فالواو - فى قوله وشمسه - واو الحال ؛ وشمسه : مبتدأ ؛ وجملة
تطلع : خبر ؛ وعلى رأس : متعلق بتطلع ؛ وذمة : تمييز ، وأوفى : صفة لمحذوف أى على
رأس إنسان أوفى .

(٢) يريد أن الأشعار الكثيرة التى يمدح بها تتلاقى لديه فتصل اتصال الأرحام ،
وأن أمواله التى يثيب بها الشعراء وكانت مجتمعة عنده تتفرق بالعطاء فكأنها تتقاطع
أرحامها . فقوله : لا تنى : أى لا تزال . وقال الواحدى : هو من الونى ، وهو الضعف ،
فوضعه موضع لا تزال ، لأنها إذا لم تفتقر عن التقطع يكون المعنى لا تزال تنتقطع . وشدد
النون - فى لدنه - للضرورة ، ويروى : يتصلن بيابه . وقال ابن جني : قوله لدنه : فيه
قبح وشناعة ، وليس هو معروف فى كلام العرب ، وليس يشدد إلا إذا كان فيه نون
أخرى : نحو لدنى ولدنا . هذا كلامه . وقد يحتج لأبى الطيب فيقال : شبه بعض
النحويين بعضها ببعض فكما يقال لدنه : يقال لدنه ، بحمل أحد الضميرين على الآخر ،
وإن لم يكن فى الهاء ما يوجب الإدغام من زيادة نون قبلها ، كما قالوا يعد ، فحذفوا الواو
لوقوعها بين ياء وكسرة ، ثم قالوا أعد ، ونعد ، وتمعد ، فحذفوا الفاء أيضاً ، وليس
هناك ما يوجب حذفها ، ويجوز أن يكون ثقل النون ضرورة ، كما قالوا فى القطن :
القطن ، وفى الجبن : الجبن . وأنشد أبو زيد يقول .

إِنَّ شَكْلِي وَإِنْ شَكْلَكَ شَتَّى فَالزَّيْمِ الْخُصِّ وَاخْفَضِ تَنْبِيضِي

فزاد ضادا ، وقال سحيم :

وما قرية من قرى ميسنا ن مُعجبة نظرا واتصافا^(١)

أراد : ميسان ، لحذف وزاد نونا . وقال الأسدى .

وجاشت من جبال الصفد نفسى وجاشت من جبال خوارزيم
أراد خوارزم فغيرها . وقال الجرجاني : لما كانت الهاء خفيفة ، والنون ساكنة ،
وكان من حقها أن تبين عند حروف الحلق : حسن تشديدها لتظهر ظهورا شافيا ،
فهذه علة وقرينة محتمل للشاعر تغيير الكلام عندها ، والنون أقرب الحروف إلى حرفي
العة - الواو والياء - لأنها تدغم فيهما ، وتبدل منها الألف في الوقف إذا كانت خفيفة
نحو : يا حرسى اضربا عنقه ، وجعلت إعرابا في الأفعال الخمسة . نحو : يفعلان وأخواتها
كما جعلت إعرابا في التثنية والجمع وتحذف إذا كانت ساكنة لا لتقاء الساكنين في نحو :
اضرب الغلام - بفتح الباء - فلما حلت هذا المحل احتملت ما تحتمله من الزيادة .
وحروف العلة أوسع الحروف تصرفا . ولهذا أجازوا زيادة الياء في الصياريف في قوله :
تنفى يداها الحصى في كل هاجرة تنفى الدراهم تنقاد الصياريف^(٢)
وزيادة الواو في قوله :

* من حيثما سلكوا أدنو فأنظور *^(١)

(١) ميسان : بلد من كورة دجلة ، أو كورة بسواد العراق .
(٢) الدرهم : روى الدراهم ، وروى : الدنانير . ونفى : مضاف إلى تنقاد - من
إضافة المصدر إلى فاعله - والدراهم : مفعول ، ففصل بالمفعول - وهو الدرهم - بين
التضامين . وروى أيضاً : بإضافة نفى إلى الدرهم ، ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة
المصدر إلى مفعوله . قال الأعمى : وصف الفرزدق ناقته بسرعة السير في المواجر . يقول
إن يديها لشدة وقهما في الحصا ينفيانه فيقرع بعضه بعضا ويسمع له صليل كصيل الدنانير
إذا اتحدتها الصيرفي فينفى رديتها عن جيدها ، وخص المهاجرة لتعذر السير فيها .
(١) عجز بيت ثان أنشداهما الفراء وما :

الله يعلم أننا في تلفتنا يوم الفراق إلى أحبابنا صور
وأنتى حيثما ينفى الهوى بصرى من حيثما سلكوا أدنو فأنظور

يريد : فأنظر وزيادة الألف في منترج من قول ابن هرمة :

فَأَنْتَ مِنَ الْفَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرِّجَالِ بِمُنْتَزَاحٍ

يريد بمنترج . وقد ذكرنا لهذا التشديد كل وجه شديد ، كما ذكرنا العلة في إدغام النون في الجيم . في قراءة عبد الله بن عامر وأبي بكر بن عباس في كتابنا الموسوم بالروضة المزهرة في شرح كتاب التذكرة . وقال أبو الفتح : استعمل لدن بغير من ، وهو قليل ، ولا يستعمل إلا معها ، كما جاء في القرآن « مَنْ لَدُنِّي وَمِنْ لَدُنْهِ ، وَمَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ » وقد غاب عن أبي الفتح قول الشاعر فيما أنشده يعقوب :

فَإِنَّ الْكَثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غَلَامٌ^(١)

وقول كثير :

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلٍ لَدُنْ إِنْ عَرَفْتُهَا لِكُلِّهَا تَمُّ الْقَصَى بِكُلِّ سَبِيلٍ^(٢)

والصور : جمع أصور ، وهو المائل من الشوق . ويجوز أن يكون جمع صورة ، أى إذا تلفتنا إلى الأحباب عند رحيلهم ، فكأننا أشكال وأشباح ليس فيها أرواح وحيثما تروى حوث ما ، وحوث : لغة في حيث ، وهو خبر أن ، وثناه : أماله : أى أنا في الجهة التى يميل الهوى بصرى إليها ، ومن حيثما : متعلق بأدنو وبأنظر : أى أدنو فأنظر إليهم من الجهة التى سلكوا فيها . وقوله أدنو فأنظور : روى أننى فأنظور : أى أننى عنق فأنظر نحوهم : من ثناه ، بمعنى لواء .

(١) الكثر من المال : الكثير . وعيى بأمر : إذا لم يهتد لوجهه ، وأعياى هو ، قال ابن السيرافى في قوله فإن الكثر الخ : أى طلبت الغنى فى أول أمرى وخين شبابى فلم أبلغ ما فى نفسى منه ، ومع ذلك فلم أكن فقيراً ، فلا تأمرنى بطلب المال وجمعه وترك بذله فإنى لا أبلغ نهاية الغنى بالمنع ولا أفقر بالبذل .

(٢) من قصيدة كثير التى أولها :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذْنَ أَصْحَابِي غَدَا بِقُفُولِ

ومنها :

أُرِيدُ لِأَنَسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

وروى هذا البيت : بكل مزاد ، وروى : بكل مراد ، والصواب : بكل سبيل

فَتَى أَلْفُ جُزْءٍ رَأْيُهُ فِي زَمَانِهِ أَقَلُّ جُزْئِيءٍ بَعْضُهُ الرَّأْيُ أَجْمَعُ^(١)
 غَمَامٌ عَلَيْنَا مُمَطَّرٌ لَيْسَ يُنْقَشِعُ وَلَا الْبَرْقُ فِيهِ خُلْبًا حِينَ يَلْمَعُ^(٢)
 إِذَا عَرَضَتْ حَاجٌ إِلَيْهِ فَنَفْسُهُ إِلَى نَفْسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفِّعٌ^(٣)

وقول القطامي :

صَرِيحٌ غَوَانٍ رَاقِصٍ وَرُقْنَةُ لَدُنْ شَبٍّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الدَّوَائِبِ^(١)
 (١) ترتيب البيت هكذا : فتى رأيه في زمانه ألف جزء ، أقل جزئ من هذه
 الأجزاء الألف بعضه - أى بعض جزئ من رأيه - الرأى الذى فى أيدى الناس كله ،
 فقوله فتى : خبر عن محذوف ، أى هو فتى ، وألف جزء خبر مقدم ورأيه مبتدأ مؤخر
 وأقل جزئ مبتدأ ، والجزء : تصغير الجزء وبعضه : مبدأ ثان ، وهو مضاف إلى ضمير
 المبتدأ الأول ، والرأى : خبر للمبتدأ الثانى - وهو بعضه - والجملة : خبر الأول - وهو
 أقل - وأجمع : تأكيد للرأى . والمعنى : أن هذا الممدوح فتى رأيه فى أحوال زمانه
 يقدر بألف جزء ، وأقل جزء من هذه الأجزاء يعادل جزء منه كل مالى الناس من
 الرأى : قال العسكبرى : وفيه نظر إلى قول أبى تمام .

لَوْ تَرَاهُ يَا أَبَا الْحَسَنِ قَمَرًا أَوْفَى عَلَى غُصْنٍ

كُلِّ جُزْءٍ مِنْ مُحَاسِنِهِ فِيهِ أَجْزَالُ مِنَ الْفَتَنِ

(٢) المطر : مثل الماطر ، يقال مطرت السحابة وأمطرت ، وأقشع السحاب :
 أفلح وتفرق ، يقال أقشع وأقشع وتقشع ، والبرق الخاب : الخلف الذى لا مطر فيه
 وخلبا : خبر لا ، كأنه قال : وليس البرق فيه خلباً . يقول : هو غمام يطر علينا المطايا
 دائماً ، وليس هو كالغمام الذى يطر غمرة وينقشع أخرى ، وإذا رجونا بلغنا منه أوفى
 ما نرجو ، وإذا وعد أنجز الوعد . وضرب الغمام والبرق مثلاً ، ولما جعله غماماً جعل
 له المطر ، وبقا جعل برقه صادقا بموعوده ، وهذا عكس ما يقول البحرى :

رَأَيْتَكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنِيَّتَ مَوْعِدًا جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلْبًا

(٣) الحاج : جمع حاجة ، ويقال فى جمعها أيضاً : حاجات ، وحوج وحاج

(١) الصريح : المصروع ، وهو المطروح على الأرض غلبة ، والغواني : جمع غانية
 وهى التى غنيت بحسنها عن الزينة ، وراقهن أعجبن ، والدوائب : جمع ذؤابة ، وهى
 الحصلة من الشعر ، ولدن : تنازع فيه صريح وراقهن ورقنه ، يقول : إنه صريح
 مغلوب على أمره من جراء الحسان اللاتى تعلق بهن منذ نشأ وتعلقن به حتى شاب

وحوائج - على غير قياس - كأنهم جمعوا حائجة ، وكان الأصمى ينكره ، ويقول هو مولد . قال الجوهري : وإنما أنكره لخروجه عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، وأنشدوا :

نَهَارُ الْمَرَّةِ أَمْثَلُ حِينَ تُقْضَى حَوَائِجُهُ مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ
وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الْوُجُوهِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَبْذُولُ
والحوجاء : الحاجة . يقال : مالى فيه حوجاء ولا لوجاء . قال قيس بن رفاعه :
مَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ حَوْجَاءَ يَطْلُبُهَا عِنْدِي فَإِنِّي لَهُ رَهْنٌ يَاصْحَارُ
أَقِيمْ نَحْوَتَهُ إِنْ كَانَ ذَا عَوَجٍ كَمَا يُقَوْمُ قِدْحَ النَّبْعَةِ الْبَارِي^(١)
والشفع : الذى تقضى الحاجة بشفاعته . يقول : إذا سئل حاجة شفعت نفسه إلى
نفسه فى قضائها ، وإذا كان المسئول شفيعاً إلى نفسه فإن الحاجة مقضية ألبته . ومثل
هذا قول الحريرى :

شَفَعْتُ مَكَارِمَهُ لَمْ فَكَّفْتَهُمْ جَهْدَ السُّؤَالِ وَلَطْفَ قَوْلِ الْمَادِحِ
وقول أبى تمام :
طَوَى شَيْئاً كَانَتْ تَرَوُّحُ وَتُغْتَدَى وَسَائِلَ مَنْ أَعْيَتْ عَلَيْهِ وَسَائِلُهُ
وقال الخطيب :

وَذَاكَ أَمْرٌ إِنْ تَأْتَتْهُ فِي نَفْسِهِ إِلَى مَالِهِ لَا تَأْتِهِ بِشَفِيعٍ
ولأبى التماهية :

فَيَا جُودَ مُوسَى نَاجِرِ مُوسَى بِحَاجَتِي فَالَى سِوَى مُوسَى إِلَيْهِ شَفِيعُ
ولابن الرومى :

أَبَا الصَّقَرِ مَنْ يَشْفَعُ إِلَيْكَ بِشَافِعِ فَالَى سِوَى شِعْرِى وَجُودِكَ شَافِعُ

(١) قوله ياصحار : ففى حديث لعللى رضى الله عنه « فأصحر لعدوك وامض على بصيرتك » أى كن منه على أمر واضح منكشف ، من أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، والقدح : السهم قبل أن ينصل ويراش ..

خَبَتِ نَارُ حَرْبٍ لَمْ تَهْجَمَا بَنَانُهُ وَأَسْمَرُ عُرْيَانٍ مِنَ الْقِشْرِ أَصْلَعُ^(١)
نَحِيفُ الشَّوَى يَفْدُو عَلَى أُمَّ رَأْسِهِ

وَيَحْفَى فَيَقْوَى عَدُوَّهُ حِينَ يُفْقَعُ^(٢)
يَمْجُ ظِلَامًا فِي نَهَارٍ لِسَانُهُ وَيُفْهَمُ عَنْ قَالَ مَا لَيْسَ يَسْمَعُ^(٣)
ذُبَابُ حُسَامٍ مِنْهُ أَنْجَى ضَرِيئَةً وَأَعْصَى لِمَوْلَاهُ وَذَا مِنْهُ اطْوَعُ^(٤)
فَصِيحٌ مَتَى يَنْطِقُ تَجِدُ كُلَّ لَفْظَةٍ أُصُولَ الْبَرَاعَاتِ الَّتِي تَتَفَرَّعُ^(٥)

(١) خبت النار : سكن لها ؛ والبنان : الأصابع ؛ وأسمر عطف على بنان : أى وقلم أسمر الخ . وجعل القلم أصلع : للينه وملاسته ، كالرأس الأصلع . يقول : إن كل حرب تشب بغير قلبه وأنامله لا بد أن تنطفئ ولا تطول مدتها ؛ أما الحرب التى يشبها هو فإنها لا تنطفئ لقوة عزمه وشدة نفسه .

(٢) الشوى : الأطراف ؛ أى اليدان والرجلان والرأس ، ونحيف : دقيق ، ويعدو : يجرى ، وأم الرأس : أعلاه ، وقيل وسطه ، ويحفى : يكل . يقول : إن هذا القلم دقيق الأطراف — يريد دقة خلقته — وهو يعدو على رأسه ، فإذا حفى — أى كل عن الشئ — قطع — أى قط — فيقوى عدوه : أى يعضى فى الكتابة ويحسن به الخط . ومن قولهم : القلم أنف الضمير ، إذا رعى : كشف أسرار ، وأبان آثاره .

(٣) يمج : يقذف ، ويريد بالظلام : الداد ، وبالنهار : القرطاس ، ولبسانه طرفه المحدد . وقوله : ويفهم الخ : أى أنه يعبر عما يريده الكاتب دون أن يسمع منه لفظا ، وهو من قول أبى تمام :

أَحَدُ اللَّفْظِ يَنْطِقُ عَنْ سِوَاهُ فَيُفْهَمُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي سَمَاعٍ

(٤) ذباب السيف : طرفه المحدد ، ومنه متعلق بأنجى ، والضرئية : اسم للمضروب ، كالرمية للرمى ، وضريبة : تميز . يفضل القلم على السيف ، يقول : إن المضروب بالسيف قد ينبو إذ ينبو عنه ، وقد يعصى صاحبه الذى يضرب به لأنه قد لا يقطع ، أما المضروب بالقلم — وهو المكتوب بقلته — فإنه لا ينبو والقلم أطوع من السيف ، لأنه لا يرجع عن مراد الكاتب به ، وإذن : فالقلم أفضل من السيف . قال ابن الرومى .

لَعَمْرُكَ مَا السِّيفُ سِيفُ الْكَمِيِّ بِأَنْفَذَ مِنْ قَلَمِ الْكَاتِبِ

(٥) يقول : إن كل لفظة من ألفاظه أصل من أصول البراعة — وهى الكمال فى

الفصاحة — والناس يبنون كلامهم عليها ويرجعون فى استعمال الفصاحة إليها .

(٢٣ — المتن ٢)

بَكَفٌ جَوَادٍ لَوْ حَكَمَهَا سَحَابَةٌ

لَمَّا قَاتَهَا فِي الشَّرْقِ وَالْقَرْبِ مَوْضِعٌ^(١)

وَلَيْسَ كَبَحْرِ الْمَاءِ يَشْتَقُّ قَمَرُهُ

إِلَى حَيْثُ يَفْنَى الْمَاءُ حُوتٌ وَضِدْعٌ^(٢)

أَبْجَرُ يَضُرُّ الْمُعْتَفِينَ وَطَعْمُهُ زُعَاقٌ كَبَحْرِ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ^(٣)

بَيْنَهُ الدَّقِيقُ الْفِكْرُ فِي بُعْدِ غَوْرِهِ وَيَفْرَقُ فِي تَيَّارِهِ وَهُوَ مِصْقَعٌ^(٤)

(١) يقول : إن هذا القلم للموصوف يجرى بكف جواد لو كانت السحابة مثل كفه في عموم النفع لعمت الشرق والغرب بالمطر ، وقال ابن الرومي :

خِرْقٌ يَعْْمُ وَلَا يَخْصُ بِفَضْلِهِ كَالْفَيْثِ فِي الْإِطْبَاقِ كُلِّ مَكَانٍ
[الحرق : السخى الكريم] .

(٢) اسم ليس : ضمير يعود إلى الجواد في البيت السابق - يشتق : يشتق ، وحوت فاعل يشتق . يقول : ليس بحر جوده كبحر الماء الذي يفوص فيه الحوت والضدع حتى ينتهي إلى قمره ، وإنما هو بحر لا يبلغ منتهاه ؛ يعني أن جوده لا ينقطع ، وقال ابن القطاع قوله : يفنى الماء ، هي بنصب الماء لا برفعها : أي يتخذها فناء ؛ يقال فنيته المكان وبالمكان : إذا أمت به . ولطفن : فالطعلان - يشتق ويفنى - للحوت . والضدع .

(٣) المعنى : السائل . عفاه واعتفاه : أناه سائلا ؛ والزعاق : المر . يريد أن يفضل المدوح على البحر . فالاستفهام إنكارى . يقول : ليس البحر الذي يضر من ورده بالفرق ، وهو مع ذلك من الطعم لا يمكن شربه ، مثل بحر ينفع الواردين بالعطاء ولا يضرهم . فقوله : وينفع ، معطوف على « لا يضر » وقد تقد ابن جني البيت قائلا : إن المعروف عندهم أن ينسب المدوح إلى النفع لأوليائه والضر لأعدائه ، كما قالوا :

وَلَكِنْ فَتَى الْفَتَيَانِ مَنْ رَاحَ وَاعْتَدَى لَفَرَّ عَدُوٌّ أَوْ لَنَفْعٍ صَدِيقٌ وَقَالُوا :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فُضِّرَ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتَى كَمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

ولكن فاته أن التنبي أراد كبحر لا يضر المعتفين ، فلا ينافي ذلك أنه يضر الأعداء .

(٤) الغور : المنتهى والقمر ؛ وضميره : للبحر ؛ والتيار : الموج . والمصقع : الصبيح البليغ ، لأنه يأخذ في كل صقع من القول ؛ والدقيق الفكر : الفهم الفطن الذي يدق يدق فكره وخطره حين يفكر . يقول : إن المدوح بحر بعيد الغور لا يصل أحد

أَلَا أَيُّهَا الْقَلِيلُ الْمُقِيمُ بِمَنْبَجٍ وَهَمَّتُهُ فَوْقَ السَّمَاءِ كَيْنَ تُوَضِّعُ^(١)
 أَلَيْسَ عَجِيبًا أَنَّ وَصْفَكَ مُعْجِزٌ وَأَنَّ ظُنُونِي فِي مَعَالِيكَ تَظْلَعُ^(٢)
 وَأَنَّكَ فِي تَوْبٍ وَصَدْرِكَ فِيكُمْ
 عَلَى أَنَّهُ مِنْ سَاحَةِ الْأَرْضِ أَوْسَعُ^(٣)

إلى قصره فيته في صفاته الواصفون . ولا يبلغون نهايته ولا يستطيعون وصفه مهما
 علت منزلتهم من البلاغة . هذا : وقد قال العكبري : الرواية الصحيحة في الدقيق :
 بلام التعريف ، وهو حسن في الإضافة : كالجميل الوجه ، والطويل الذيل : لأن الدقيق :
 نعمت لخدوف . تقديره : يتيه الرجل الدقيق الفكر . ألا تراه يقول : وهو مصقع ،
 وهو نعمت للرجل ؟ ومن رواه دقيق الفكر : جملة نعمتاً للفكر ، تقديره : يتيه الدقيق
 من الأفكار : والأول أبلغ في المعنى .

(١) القليل — في الأصل — الملك من ملوك حمير : ومنبج : بلد بالشام :
 والسما كان : نبحان ، وهما السماك الرامع والسماك الأعزل : والإيضاع : السير السريع ،
 من أوضعت الناقة : إذا أسرع وهذا من قول العطوى :

إِنْ كُنْتُ أَصْبَحْتُ لَابِسًا سَمَلًا فَهَمَّتِي فَوْقَ هَامَةِ الْمَلِكِ
 وَلِلتَّوْحَى :

وَأَنْفُسُ مَسْكَنُهَا مَا بَيْنَنَا وَهَمَّاهَا فَوْقَ السَّمَاءِ وَالشَّهَى

(٢) ظلمت الناقة : عرجت من يدها أو رجلها . يقول : أليس من العجب أني مع
 جودة خاطري وبلاغة كلامي أعجز عن وصفك ولا تبلغ ظنوني معاليك فلا أدركها
 لو فرتها ؟ !

(٣) وصدرك — بالرفع — استئناف . والضمير — من فيكما — للدوج
 والثوب . يقول : أليس عجباً أن صدرك على أنه أوسع من الأرض — قد اشتمل عليك
 ثوب وهو — الصدر — فيك وفي الثوب قد اشتملتا عليه . ومثله لابن الرومي :
 كضمير الفؤاد يلتهم الدنيا ومحويه دفتنا حيزوم
 ولأبي تمام :

ورحب صدر لو أن الأرض واسمة

كوسعها لم تضيق عن أهلها بلد

وَقَلْبِكَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ دَخَلْتَ بِنَا

وَالْجَنِّ فِيهِ مَا دَرْتَ كَيْفَ تَرْجِعُ^(١)

أَلَا كُلُّ سَمَحٍ غَيْرِكَ الْيَوْمَ بَاطِلٌ وَكُلُّ مَدِيحٍ فِي سِوَاكَ مُضَيِّعٌ^(٢)

* * *

وقال في صباه على لسان من سأله ذلك :

شَوْقِي إِلَيْكَ نَفْيٌ لَدَيْدٍ هُجُوعِي فَأَرَقْتَنِي فَأَقَامَ بَيْنَ ضُلُوعِي^(٣)

أَوْ مَا وَجَدْتُمُ فِي الصَّرَاةِ مُلَوَّحَةً يَمَّا أُرْقِرُقُ فِي الْفُرَاتِ دُمُوعِي^(٤)

مَا زِلْتُ أَحْذَرُ مِنْ وَدَاعِكَ جَاهِدًا حَتَّى أَغْتَدِّي أَسْفَى عَلَى التَّوْدِيْعِ^(٥)

رَحَلَ الْعَزَاءُ بِرِخْلَتِي فَكَأَنَّيَا أَتْبَعْتُهُ الْأَنْفَاسَ لِلتَّشْيِيْعِ^(٦)

* * *

(١) يقول : أو ليس عجيباً أن قلبك قد أحاطت به الدنيا وهو من السعة بحيث

لو دخلت الدنيا بمن فيها من الإنس والجن فيه لضلت وما اهتدت للرجوع ؟

(٢) السمع : الذي يسمع به الله . يقول : كل جواد سواك باطل — أى بالإضافة

إليك — وكل مدح مدح به غيرك مضيع لأنه ليس فيمن يستحقه : وهو من قول

ابن الرومي :

وكل مدح مدح لم يكن في ابن صاعد ولا في أبيه صاعد فهو هابط

وقوله غيرك : هو منصوب ، لأنه تقدم على المستثنى ، كقول الكيت :

فألى إلا آل أحمد شيعةً ومالي إلا مذهب الحق مذهب

(٣) المهجوع : النوم . وأقام : أى الشوق .

(٤) الصرارة : نهر يأخذ من الفرات فينسكب في دجلة ماراً بالموصل ، وكان حبيبته

على جانب الصرارة . هذا : ورقرق الدمع : صبه . وما — من قوله بما أرقق —

مصدرية . يقول : أو ما وجدتم طعم ملوحة من دموعي في مائكم لبكائي في الفرات ؟

وهم يقولون : إن دمع الحزن ملوح ، ودمع الفرح حلو .

(٥) يقول كنت أحذر من وداعك خوف الفراق ، أما الآن وقد فارقني فأني

أشتاق إلى الوداع وأتأسف عليه ، لأنني لقيتك عند الوداع ، فبودي أن أودعك لأتفأك .

وقال ابن جني : كنت أكره الوداع ، فلما تطاول البين أسفت على التوديع ، لما يصحبه

من النظر والشكوى والبث .

(٦) يقول : ارتحل العزاء — الصبر — عني بارتحالي عنكم ، فكأن أنفاسي

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

مُلِثَ الْفَطْرِ أُعْطِشَهَا رُبُوعًا وَإِلَّا فَاسْقِهَا السَّمَّ النَّقِيعَا^(١)
أَسْأَلُهَا عَنِ التَّمْدِيرِ بِهَا فَلَا تُدْرِي وَلَا تُدْرِي دُمُوعَا^(٢)
كَلَاهَا اللَّهُ إِلَّا مَاضِيْنَهَا زَمَانَ اللَّهْوِ وَالْخَوْدَ الشَّمُوعَا^(٣)

تبعث العزاء مشبعة له ، فهي صاعدة متصلة دائمة . قال ابن جني : وقال برحلي أي مع ارتحالي . كما تقول سرته بمسيرك : أي معك - أي فكما لا ترجع إلى أنفاسي لا يرجع إلى صبري . فمعناه : ارتحل الصبر عني بارتحالكم .

(١) المُلِث : الدائم المقيم . والقطر : المطر . وربوعاً : تمييز : أي من ربوع . والنقيع والنقع : الرطب . يقول : يا أيها السحاب الدائم المطر أعطش هذه الربوع أي لا تسقيها - وإن لا تعطيها فاسقيها السم النقيع في الماء . وإنما دعا عليها لأنه لما وقف بها وسألها لم تجبه ، ولم تنك من رحل عنها ، قال ابن وكيع : لم يسبق أبا الطيب أحد في الدعاء على الديار بالسم ، ولو قال حجارة أو صواعق : لكان أشبه ، إلا أن جريراً قال بعد ما استأنف لها ذنباً :

سُقِيتِ دَمَ الْحَيَاتِ مَا نَالُ زَائِرٍ يُبْلِمُ فَيُعْطَى نَائِلًا أَنْ يَكَلِمَا
والعرب من عادتها أن تدعو بالسقيا للديار ، كقول القائل :

يا منزلاً ضنَّ بالسلام سُقِيتَ صَوْبًا مِنَ الْغَامِ
ما ترك المُرْنَ منك إلا ما ترك السقم من عِظَامِي

(٢) للتدبير بها : أي المتخذها داراً . وتذري دموعاً . أي تلقيها - من إذراء الحب للزرع . يريد تعليل ما في البيت السابق . يقول : إنما طلبت إلى السحاب أن يعطيها أو يسقيها السم النقيع لأنني أسألتها عن أهلها أين ذهبوا ؟ فلا تدري ذلك ولا تجيب ولا تساعدني على البكاء .

(٣) الحاء - في الأصل - قشره : من لحوت العود : إذا قشرته ، ثم صار يستعمل في الدعاء على الشيء : أي لعنه وقبحه : وزمان : بدل تفصيل من قوله ماضيها والحدود - بفتح الحاء - الجارية الناعمة ، وجمعها خود - بضم الحاء - والشموع : اللعوب الضحوك . قال الواحدى : قوله : إلا ماضيها استثناء من غير الجنس ، ويجوز أن يكون جنساً ، لأن زمان اللهو والحدود ربع الأنس ، فاستثنى ربع الأنس من ربع الأنس لاشتراكه عليه ، فدعا على الدار إلا ما كان له بها من زمن الأنس ووصل الحدود . قال ابن وكيع : ماضيها يوجبان لها الدعاء بالسقيا كقول البحترى :

مُنْعَمَةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرُ الْوُقُوعَا^(١)
تُرْفَعُ ثُوبَهَا الْأَزْدَافُ عَنْهَا قَبِيئَتِي مِنْ وَشَاحِنَهَا شَسُوعَا^(٢)
إِذَا مَا كَسَتْ رَأَيْتَ لَهَا أَرْجَاحَهَا لَهُ لَوْلَا سَوَاعِدُهَا نَزُوعَا^(٣)

فإذا ما السحاب كان رُكَّامًا فسَقَى بالربابِ دار الربابِ

(١) امرأة رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك ، وكذلك ناقة رداح وكبش رداح : ضخمة الألية ، ودوحة رداح : عظيمة : وجفنة رداح عظيمة قال أمية بن أبي الصلت :

إلى رَدَّحٍ مِنَ الشَّيْزَى مِلَاءَ لِبَابِ الْبَرِّ يُبَلِّكُ بِالشَّهَادِ^(١)

وكتيبة رداح : ضخمة مليلة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها ، ثم وصفها بحسن اللفظ وعذوبة الكلام . يقول : إذا سمعت الطير لفظها وقعت وسقطت لحسنه ، ومثل هذا قول كثير :

وَأَذْنِيتَنِي حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتَنِي بِقَوْلٍ يَحِلُّ الْعَصْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِحِ^(٢)
وَقَالَ أَيْضًا :

بَعَيْنَيْنِ نَجْلَاوَيْنِ لَوْ رَقَرَقْتَهُمَا لِنَوْءِ الثَّرْيَا لَاسْتَهْلَ سَحَابُهَا
وَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ :

لَوْ نَاجَتِ الْأَعْصَمَ لَانْحَلَّ لَهَا طَوْعَ الْقِيَادِ مِنْ شِمَارِيخِ الذُّرَا^(١)
(٢) أراد بالوشاحين : قلادتين توشع بهما المرأة ترسل إحداهما على جنبها الأيمن والأخرى على الأيسر . والشسوع : البعيد : يقول : إن أَرَادَهَا عَظِيمَةً شَاحِصَةً عَنْ بَدْنِهَا تَرْفَعُ ثُوبَهَا وَتَمْنَعُهُ عَنْ أَنْ يَلَامُقَ جَسَدَهَا حَتَّى يَكُونَ بَعِيدًا عَمَّا تَوْشَعَتْ بِهِ مِنْ الْقَلَائِدِ : وهذا من قول بعض الكلايين :

أَبَتْ الْقَلَائِلُ أَنْ تَمْسَ إِذَا مَشَتْ مِنْهَا الْبَطُونُ وَأَنْ تَمْسَ ظَهْرَهَا

(٣) ماست : مشت متبخرة . والضمير في له : للثوب . ونزوعا : صفة لارتجاجا . يقول : إذا ماست رأيت لروادفها اضطرابا وحركة يكادان يزعجان ثوبها عنها لولا أن سواعدها تمسك عليها ثوبها لدخولها في الكين . وفيه نظر إلى قول الآخر :

(١) يقال للجفان التي تسوى من شجرة الشيزى : شيزى . قال الجوهري : الشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع .

(٢) العصم : جمع الأعصم ، وهو الوعل .

تَأْلَمُ دَرَزَهُ وَالْدَرَزُ لَيْنٌ كَمَا تَتَأْلَمُ الْعَضْبُ الصَّنِيْعَا (١)
ذِرَاعَاهَا عَدُوًّا دُمْلَجِيْهَا يَظُنُّ ضَجِيْعُهَا الزَّئِدَ الضَّجِيْعَا (٢)
كَأَنَّ نِقَابَهَا غَيْمٌ رَقِيْقٌ يُضِيءُ بِمَنْعِهِ الْبَدْرَ الطَّلُوعَا (٣)

لولا التمنطق والسوار معاً والحجل والدملوج في العَضْدِ
لتزايلت من كل ناحية لكن جُمِلْنَ لها عَلَى عَمْدٍ

(١) الدرز : موضع الخياطة من الثوب : والعضب : السيف ، والصنيع المحكم : الصقال والصنعة . يصف نعومة بدنها وأنها تتوجع إذا أصابها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما تتوجع من السيف . يقول : إن للدرز في بدنها تأثيراً كتأثير السيف ، فقوله تألم — بخذف إحدى التائدين — أى تألم ، والتألم : كالتوجع ، لازم ، يقال تألم به أوله أو منه ، وعدها ههنا : ضرورة . ومما يستظرف في هذا الباب ما روي أن سابور لما حضر صاحب الحصن بعثت بنت صاحب الحصن إليه — وكانت من أجمل النساء — إن عاهدتني أنك تزوج بي أسلمت إليك المفاتيح ، فعاهدها على ذلك ، فسكر أبوها ليلة ونام ، فدفع المفاتيح إلى سابور . فأخذ المدينة وزوج بها ، فبينما هي معه ذات ليلة على فراش الحرير تألمت وتوجعت وقلقت ، فدعا بالشمع ونظر إلى مضجعها ، فرأى ورقة ورد على الفراش قد نالت جسمها فأثرت فيه فقلقت لذلك ، فقال لها : ما كان يفتيك به أبوك ؟ فقالت له : لب البر بالعسل والحجر ، فقال : وكان جزاؤه منك ما جزيته أ فأخذها وشد صفائرها إلى أذنان الخيل ولم يزل يطرد الخيل حتى قطعنها أرباً أرباً .

(٢) يقول : إن دملجها يضيقان عن ذراعها ، فهما ممتثلان بهما يكادان لذلك يفصانهما ويكسرانهما ، وإذا ضاجعها إنسان ظن أن زندها — لسمنه — هو ضجيعه ، لا هي .
(٣) شبه النقاب على وجهها : بالغم الرقيق ، ووجهها : بالبدر . يقول : سترت وجهها بالنقاب فأضاء بضوء وجهها تحته كما يضيء الغيم الرقيق بضوء البدر . فقوله يضيء : لازم ، لا يتعدى ؛ والبدر : مفعول أول لئمه ؛ والطلوع : مفعول ثان . وقد إلى هذا المعنى عبد الله بن الدمينه ، قال :

مُبْرَقَةٌ كَالشَّمْسِ تَحْتَ سَحَابَةٍ وَكَالْبَدْرِ فِي جَنَحِ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمٍ
وقال بشار :

بدا لك ضوء ما احتجبت عليه بدو الشمس من خلل الغمام

أَقُولُ لَهَا أَكْشِفِي ضُرِّي وَقَوْلِي
أَخَفْتُ اللَّهَ فِي إِحْيَاءِ نَفْسِ
غَدَا بِكَ كُلِّ خَلَوٍ مُسْتَهَامًا
أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ
بَعِيدُ الصَّيْتِ مُنْبِتُ السَّرَايَا
بِفَضِّ الطَّرْفِ مِنْ مَكْرٍ وَدَهِي
بَأَكْثَرِ مِنْ تَدْلُّهَا خُضُوعًا^(١)
مَتَى عَمِيَ إِلَهُهُ بَأَنْ أُطِيمَا^(٢)
وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيمَا^(٣)
ثَبِيرًا وَأَنْزَلَ إِبْرَاهِيمَ رِيْمَا^(٤)
يُشَيِّبُ ذِكْرُهُ الطُّفْلَ الرَضِيمَا^(٥)
كَانَ بِهِ وَلَيْسَ بِهِ خُشُوعًا^(٦)

(١) قوله وقولي الخ : أى أن خضوعي لها في قولي هذا أكثر من تدللها على كثرة قولي : مبتدأ . وبأكثر : خبر وخضوعاً : تمييز .
(٢) يقول : إن إحياء النفس مما يتقرب به إلى الله ، وليس مما يخاف منه : يعنى أنك إذا واصلتني كنت كأنك قد أحيتني ، وإحياء النفس طاعة لله ، والله سبحانه لا يعصى بالطاعة ، ومثله قول القائل :

ما حرامٌ لإحياء نفسٍ ولكن قتل نفسٍ بغيرِ نفسٍ حرامٌ

(٣) الخلو : الخالي من الهوى . والمستهام : الذي يصيره الهوى هائماً ذاهب اللب .
والخليع : الذي خلع العذار وترك الحياء وتهتك في الهوى ، قال ابن وكيع ، لوقال :

غدا بك كلُّ خلوٍ في اشتغالٍ وأصبح كل ذى نسلٍ خليماً
لكان أحسن .

(٤) أو يقولوا : أى إلى أن يقولوا ، غذف أن وأعملها ، وثير : جبل بالحجاز معروف . وريع : أخيف . وابن إبراهيم : هو المدوح . علق زول حبه بما لا يمكن وجوده . يقول : لا أزال أحبك ، لأن العيل لا يجره النمل ، والمدوح لا يرتاع ولا يروعه شيء . وهذا من حسن التخلص .

(٥) الصيت والصات : ذهاب الذكر الحسن بين الناس . والسرايا : جمع سرية ، الطائفة من الجيش . يقول : إنه كثير الغارات ، سراياه مبشورة في الآفاق ، فإذا ذكر اسمه للطفل الرضيع شاب خوفاً ورعباً .

(٦) الدهى والدهاء : النكر وجودة الرأى . والخشوع : الاستكانة والتذل . وخشوعاً : اسم كان . واسم ليس : ضمير الخشوع . والجملة : اعتراض . يقول : يخفى مكروه ودهاء بفض الطرف كأن به خشوعاً ، وليس به ذلك الخشوع ، والله قول ابن الرومي في هذا المعنى :

إِذَا اسْتَعْطَيْتَهُ مَا فِي يَدَيْهِ فَقَدْكَ سَأَلَ عَنْ حِرْمَانِهِ (١)
 قَبُولُكَ مِنْهُ مَنْ عَلَيْهِ وَإِلَّا يَبْتَدِي بِرَأْيِهِ فَطَيْمًا (٢)
 لِمَنْ الْمَالُ أَفْرَشَهُ أَدِيمًا وَلِلتَّفْرِيقِ يَكْرَهُ أَنْ يَضِيْعًا (٣)
 إِذَا ضَرَبَ الْأَمِيرُ رِقَابَ قَوْمٍ فَأَلْكَرَامَةً مَدَّ لِلنُّطُوعِ (٤)
 فَلَيْسَ بِوَاهِبٍ إِلَّا كَثِيرًا وَلَيْسَ بِقَاتِلٍ إِلَّا قَرِيبًا (٥)

سأله وما تُتسقى في رأيِ سقطنه دام وما ينطوي منه على ريب
 فذهبه للدواهي الرُّبْدُ يَكْمَمُ وسهوه عن عيوب الناس والغيب
 (١) قدك : أى حسبك وكفاك ، وقوله مذيعا - أى مفشيا - مفعول سألت يقول :
 إذا سأله جميع ماله كفاك ذلك السؤال كالرجل المذيع للأسرار إذا سأله عن سر
 أقشاه ولم يكتمه . كذلك هو يعطيك ما يملكه ولا يرضن به لأريحته .
 (٢) المن : النعمة . يقول : لأريحته واستلذذه العطاء بعد قبولك عطائه منه -
 نعمة - مننت بها عليه ، وإن لم يبتدىء بالعطاء قبل السؤال رأى ذلك أمراً منكراً
 قبيحاً . ومثله لأبى تمام :

يُعْطَى وَيَشْكُرُ مَنْ يَأْتِيهِ بِسَأَلِهِ فَشَكَرَهُ عِوَضُ وَمَالُهُ هَذَرٌ
 (٣) قالوا : إن المدح كان قد حمل إليه مال عجي ، فأمر أن يفرش له أديم -
 جلب - ويطرح عليه فاعتذر له التني وقال : إنه لم يفعل ذلك لكرامة المال عليه وإنما لهونه -
 أى هوانه - لأنه يريد أن يفرقه على القعود والشعراء وهو لم يفعل هذا ليحفظه من
 الضياع ويدخره في خزائنه ، ولكن يفرقه على السؤال . وقد مثل لهذا بالبيت التالي ،
 وهذا قريب من قول علي بن الجهم :

وَلَا يَجْمَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا لِبَدْلَاهَا كَمَا لَا يَسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ
 (٤) النطوع : كالأنطاع ، جمع نطع ، وهو الجلد الذي يبسط تحت من يراد قتله .
 يقول : ليس بسط النطوع لضرب الرقاب كرامة ، وإنما ذلك ليسان المجلس عن تلطيخه
 بالدم ، فكذلك بسطه النطع - الجلد - للمال ليس ذلك كرامة للمال وادخاراً له وإنما
 لتفريقه وإتلافه .

(٥) القريع - في الأصل - الفعل الكريم ؛ سمى بذلك لأنه يفرع الإبل ؛

وَلَيْسَ مُؤَدِّبًا إِلَّا بِنَصْلِ كَفَى الصُّمُصَامَةَ التَّعَبَ الْقَطِيعًا^(١)
 عَلَى لَيْسَ يَمْنَعُ مِنْ حِجْيٍ مُبَارِزُهُ وَيَمْنَعُهُ الرُّجُوعَا^(٢)
 عَلَى قَاتِلِ الْبَطْلِ الْمَقْدَى وَمُبْدِلُهُ مِنَ الزَّرْدِ الْفَجِيمَا^(٣)
 إِذَا اعْوَجَّ الْقَنَا فِي حَامِلِيهِ وَجَازَ إِلَى ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا^(٤)
 وَنَالَتْ ثَأْرَهَا الْأَكْبَادُ مِنْهُ فَأُولَتْهُ ائْتِدَاقًا أَوْ صُدُوعَا^(٥)

والمراد به هنا : السيد الشريف . يصفه بأنه غاية في كرم النفس وعلو الهمة فهو لا يهب إلا المال الكثير ، ولا يقتل إلا الشريف العظيم ؛ ولعله من قول مسلم بن الوليد :
 حَذَّارٍ مِنْ أَسَدٍ ضِرْغَامَةٍ شَرِيسٍ لَا يُؤْلُغُ السَّيْفَ إِلَّا هَامَةً الْبَطْلَ
 وبيت المتنبي أشمل ، لأنه ذكر الكرم والهمة

(١) النصل : شفرة السيف ، والصمصامة : السيف الذي لا يثنى ، والقطيع : السوط الذي يقطع من جلد البعير . يصف شدته على المذنبين وأهل الريب يقول : أقام سيفه مقام سوطه في التأديب ، فأغنى الديف السوط عن التعب .

(٢) يقول : إن علياً - وهو اسم المدح - لا يمنع أحداً يأتي لمبارزته في الحرب ، ولكن يمنع من بارزه أن يرجع سالماً ، لأنه لا يكون إلا قتيلاً أو أسيراً

(٣) المقدي : الذي يقول له الناس فدتك نفوسنا ، لما يرون من شجاعته وشدته بأسه ، والزرد : حلق الدرع ، والنجيع : الدم الطرى . يقول : يسلب البطل المقدي درعه ويكسوه بدله دماً ، أى أنه يخضبه بدمه حتى يصير عليه الدم درعاً مكان الدرع .

(٤) جواب إذا : قوله الآتي غداً . واعوجج : يعنى انحنى والتوى ، لأن الرمح إذا طعن به اعوجج والتوى . وقوله في حامله : يعنى أهل الحرب الذين حملوا الرماح إلى الحرب . وقوله وراز إلى ضلوعهم الضلوعا : أى نفذ من هذه إلى هذه كأنه شق الضلع من الجانبين قال الواحدى : قال المتنبي : كنت قلت :

* وَأَشْبَهَ فِي ضُلُوعِهِمِ الضُّلُوعَا *

ثم أنشدت بيتاً لبعض المولدين يشبه فرغبت عنه ، يعنى بيت البحترى :

فِي مَازِقِ ضَنْكِ تُخَالُ بِهِ الْقَنَا بَيْنَ الضُّلُوعِ إِذَا انْحَنَى ضُلُوعَا

(٥) منه : أى من القنا ؛ وأولته : أنالته ، والصدوع : الشقوق ، جمع صدع

فَحِذْ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلَيْنِ عَنْهُ وَإِنْ كُنْتَ الْخَبِثَةِ الشَّحِيمَا^(١)
 إِنْ اسْتَجَرَّتْ تَرْمُقُهُ بَعِيدَا فَأَنْتَ اسْطَفْتَ شَيْئًا مَا اسْتَطَعَا^(٢)
 وَإِنْ مَارَيْتَنِي فَارْكَبْ حِصَانَا وَمِثْلُهُ تَخَرَّ لَهُ ضَرِيْعَا^(٣)
 غَمَامٌ رُبَّمَا مَطَرَ اُنْتِقَامَا فَأَقْحَطَ وَدَقَهُ الْبَلَدَ الْلَرِيْعَا^(٤)
 رَأَى بَعْدَ مَا قَطَعَ الْمَطَايَا تَيْسُمُهُ وَقَطَعَتِ الْقُطُوعَا^(٥)

يقول : واندقت الرماح - انكسرت - وتصدعت في الأكباد لشدة الطعن فكان الأكباد أدركت بذلك منها ثأراً .

(١) هذا جواب : إذا عوج القنا ، والتقدير : إذا عوج القنا وجاز الضلوع إلى ضلوعهم ونالت ثأرها الأكباد منه : فخذ عنه ، والخبيثة : من أسماء الأسد ، ويقال للنمر - والشجيع : الشجاع . يقول : إذا كان كذلك والتقى الجمعان فخذ - أى مل وتباعد عنه - وإن كنت شجاعاً قوى القلب كالأسد ، وإلا هلكت .

(٢) قال ابن جني : استجراً الرجل بمعنى جرؤ ، أى صار جريئاً ، وترمقه أى أن ترمقه ، فخذف ورفع الفعل . يقول : إن قدرت على النظر إليه في الحرب من بعيد فقد قدرت على شيء عظيم لم يقدر عليه أحد ، وهذا من قول أبي تمام :

أَمَا إِذَا عَشْتَ يَوْمًا بَعْدَ رُؤَيْتِهِ فَاذْهَبْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْفَارِسَ النَّجْدُ

(٣) يقول : إن جادلتني ولا جبتني في قولي هذا فاركب فرساً وصوره في نفسك كأنك تحاربه ، فإنك إذا فعلت ذلك سقطت على الأرض صريعاً قبل أن تلاقيه لهيبته وخوفك منه .

(٤) الودق : المطر ؛ وللمريع المريع : أى المخصب . يقول : هو غمام يعطر النعم فيحيي بها البلاد ولكن الغمام قد يكون فيه صواعق مهلكة وبرد وأحجار ، كذلك هو ربما أمطر نعمة على الأعداء ، نصير مطره البلد المريع قحطا مجدبا لما يلم به من الدمار .

(٥) القطوع : جمع القطع ، وهو الطنفسة تحت الرحل تغطي كتفي البعير . يقول : رآني بعد ما طال سفرى حتى قطع تيممه - أى قصدى إياه - مطايى - أى إلى - أى أنضأها وأعجزها عن السير ، وقطعت الإبل ما عليها من الطنافس : أى ألبتها بكثرة السير وطول المسافة .

فَصَيَّرَ سَيْلُهُ بِلَدِي غَدِيرًا وَصَيَّرَ خَمِيرُهُ سَنْتِي رَيْبِمَا^(١)
وَجَاوَدَنِي بَأْنَ يَعْطِي وَأُخْوِي فَأَغْرَقَ نَيْلُهُ أَخَذِي سَرِيبِمَا^(٢)
أُمْنِسِي الشُّكُونَ وَحَضَرَمَوْنَا وَوَالِدَيَّ وَكِندَةَ وَالسَّبِيبِمَا^(٣)

(١) الغدير : القطعة من السيل يفادرها المطر . يقول : أعطاني حتى ملأني بالعطاء كما يملأ السيل الغدير ، وأصلح دهرى حتى صار كالربيع فصل الخصب والأمطار . وقد نحا في هذا منحى ابن الرومي في قوله .

فَضِيْفُهُ فِي رَيْبِعٍ طُولَ مُدَّتِهِ وَجَارُهُ كُلَّ حِينٍ مِنْهُ فِي رَجَبٍ
وَابْنُ هِفَانٍ فِي قَوْلِهِ .

لِرَيْبِعِ الزَّمَانِ فِي الْحَوْلِ وَقْتُ وَابْنُ يَحْيَى فِي كُلِّ وَقْتٍ رَيْبِعُ
وَكَذَلِكَ الْبَحْرِيُّ :

فَكَمْ لَيْسَتْ الْخَفْضُ فِي ظِلِّهِ عُغْرَى شَبَابٍ وَزَمَانِي رَيْبِعُ
(٢) جعل الأخذ منه جوداً عليه كما في قوله :

* قَبُولُكَ مِنْهُ مِنْ عَلَيْهِ *

يقول : جاودني ، أى غالبني في الجود ، فكان يجود على بالعطاء وأنا أجود عليه بالأخذ فغلبني ؛ إذ لم أتمكن من استيعاب كل ما يعطينيه لتوافره حتى طفع عطاؤه على أخذى فأغرقه : أى كان في الإعطاء أسرع مني في الأخذ .

(٣) هذه أسماء أما كن بالكوفة سميت بأسماء قبائل كانوا يسكنونها . يقول : إن إحسانه ألهاه عن بلده وأهله ، وهذا من قول البحري :

جَفَوْتُ الشَّامَ مُرْتَبِعِي وَأَنْسِي وَعَلَوَةَ خَلَوْتِي وَهَوَى فَوَادِي
وَمِثْلُ نَدَاكَ أَذْهَلَنِي حَبِيبِي وَأَكْسَبَنِي سُلُوءًا عَنْ بِلَادِي
ومثله للراعي :

رَجَاؤُكَ أَنْسَانِي تَذَكَّرَ إِخْوَتِي وَمَالُكَ أَنْسَانِي بَوْهَيْنَ مَالِيَا^(١)

(١) وبهين : اسم موضع ، وجبل من جبال الدهناء .

قَدْ اسْتَقْصَيْتَ فِي سَلْبِ الْأَعَادِي فَرَدُّ لَهُمْ مِنَ السَّلْبِ الْهَجُوعُ^(١)
 إِذَا مَا لَمْ تُسِرْ جَيْشًا إِلَيْهِمْ أَسَرْتَ إِلَى قُلُوبِهِمُ الْهُلُوعُ^(٢)
 رَضُوا بِكَ كَالرَّضَا بِالشَّيْبِ قَسْرًا وَقَدْ وَخَطَ النَّوَاصِي وَالْفُرُوعُ^(٣)
 فَلَا عَزْلٌ وَأَنْتَ بِلَا سِلَاحٍ لِحَاظُكَ مَا تَكُونُ بِهِ مَنِيعًا^(٤)
 لَوْ اسْتَبَدَّلْتَ ذِهْنَكَ مِنْ حُسَامٍ قَدَدْتَ بِهِ الْمَغَافِرَ وَالذُّرُوعُ^(٥)

(١) استقصى في الأمر : بالغ ؛ والسلب الأول : - بسكون اللام - مصدر ؛ والثاني - بفتحها - الشئ للسلب ؛ والمهجوع : النوم . يقول : بالغت في سلب الأعداء فسلبتهم كل شيء حتى النوم ، فرد ذلك النوم عليهم فإنهم لا يجدون النوم خوفا منك .
 (٢) الهلوع . الجزع والخوف الشديد . يقول : إذا لم تغزم بجيشك غزوتهم بالخوف ، فهم لا يزالون خائفين منك جزعين ، وهذا قريب من قول أبي تمام :
 لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
 (٣) وخط الشيب الشعر : خالطه ؛ والنواصي : جمع ناصية : مقدم الرأس ؛ والفروع : جمع فرع : الشعر . يقول : إنهم صبروا على الذل لك كارهين كما يصبر المرء على الشيب إذا جلل رأسه .

(٤) العزل : مصدر الأعزل ، وهو الذي لا سلاح معه ؛ واللاحاظ - بفتح اللام وبكسرهما - مؤخر العين ومنع الرجل يمنع مناعة : فهو منيع . والضمير في به : يعود إلى ما : أي لحاظك الشئ الذي تكون به منيعا . يقول : إذا كنت بلا سلاح قام لحاظك مقام السلاح ، لأنك إذا نظرت إلى عدوك قتلته هية لك ، فقام لحاظك مقام سلاحك فصرت به منيعا . وفي مثل هذا المعنى يقول الآخر :

لِحَظَاتٍ طَرَفِكَ فِي الْوَعْيِ تُغْنِيكَ عَنْ سَلِّ السُّيُوفِ
 وَعَزِيمُ رَأْيِكَ فِي النُّهْيِ يَكْفِيكَ عَاقِبَةُ الصُّرُوفِ
 وَسِيُولُ كَفِّكَ فِي الْوَرَى بَحْرٌ يَفِيضُ عَلَى الضَّعِيفِ

(٥) المغافر : جمع مغفر : زرد ينسج من الدرع يوضع على رأس الفارس . يصفه هنا بالذكاء وحدة الذهن حتى لو أخذ ذهنه بدلا من السيف لقطع به المغافر والدروع على الأعداء .

لَوْ اسْتَفْرَغْتَ جُهْدَكَ فِي قِتَالِ أَتَيْتَ بِهِ عَلَى الدُّنْيَا جَمِيعاً^(١)
 سَمَوْتَ بِهَيْمَةٍ تَسْمُو فَتَسْمُو قَمَا تُلْفَى بِمَرْتَبَةٍ قَنُوعاً^(٢)
 وَهَبَكَ سَمَحَتْ حَتَّى لَا جَوَادٌ فَكَيْفَ عَلَوْتَ حَتَّى لَا رَفِيعاً^(٣)

(١) الجهد : الطاقة ، وأتيت على الدنيا : أى أهلكت من فيها جميعاً .

(٢) تلفى : توجد ؛ وقوله فتسمو : يجوز أن تكون خطاباً للممدوح : أى كلما سميت همتك ازددت علواً ، ويجوز أن تكون خبراً عن الهمة . يقول : سموت بهمة ، وتلك الهمة تسمو بك أبداً فتسمو ولا تقنع بنيل مرتبة .

(٣) يقول : أحسب أن جودك عما اسم الجواد عن الناس ، فكيف عما علاؤك اسم الرفيع عن كل شيء ؟ وجواد : مرفوع ، على أن لا : بمعنى ليس ، والألف - فى رفيفاً - ليس بدلاً عن التنوين ، لأن لا : تنصب النكرة بغير تنوين ، وإنما هى للوصل والإطلاق .

✽ تم - بحمد الله - الجزء الثانى ؛ وبليه - إن شاء الله - الجزء الثالث ✽

فهرس

قوافى الجزء الثانى من ديوان المتنبى

تابع قافية الدال

صفحة

مطلع القصيدة

٣	لكل امرئ من دهره ما تعودا ... في العدا
١٦	فارتكم فإذا ما كان عنكم ... يد -
١٧	أهلا بدار سبائك أعيدها ... خردها
٣٨	كم قتيل كما قتلت شهيد ... الحدود
٤٩	أقصر فلست بزائد ودا ... الحدا
٥١	اليوم عهدكم فأين الوعد ... غد
٦٣	أيا خدد الله ورد الحدود ... القدود
٦٩	إن القوافي لم تتمك وإنما ... يوجد
٦٩	محمد بن زريق ما نرى أحدا ... بعدا
٧٠	ما الشوق مقتنعا مني بهذا الكمد ... كبد
٧٤	أحاد أم سداس في أحاد ... بالتناد
٨٦	أجل نرى أم زمانا جديدا ... أعيدا
٩١	يستعظمون أياتنا تأمت بها ... الأسدا
٩١	أقل فعالي بله أكثره مجد ... جد
١٠٢	أما الفراق فإنه ما أعهد ... يولد
١٠٣	لقد حازني وجد بمن حازه بعد ... وجد
١١٢	وزيارة عن غير موعد ... للسهد
١١٣	يامن رأيت الحليم وغدا ... عبدا
١١٣	أمن كل شيء بلغت المرادا ... العبادا
١١٤	وشامخ من الجبال أقود ... الأصيد
١١٦	ماذا الوداع وداع الوداع الكمد ... للجسد

صفحة

مطلع القصيدة

- ١١٧ وبينة من خيزران ضمنت . . . في يد
١١٨ وسوداء منظوم عليها لآلى . . . من الند
١١٨ أتتكر ما نطقت به بديها . . . الجواد
١١٩ أود من الأيام مالا توده . . . جنده
١٣١ حسم الصلح ما اشتته الأغادى . . . الحساد
١٣٩ عيد بأية حال عدت يا عيد . . . تجديد
١٤٨ جاء نيروزنا وأنت مراده . . . زناده
١٥٩ بكتب الأنام كتاب ورد . . . يد
١٦١ نسيت وما أنسى عتابا على الصد . . . الحد
١٧٣ أزار يا خيال أم عائد . . . راقد
١٨٢ وشاذن روح من يهواه في يده . . . مقلده

قافية الذال

- ١٨٥ أمساور أم قرن شمس هذا . . . الأستاذا

قافية الراء

- ١٩٠ سرحل حيث تحل النوار . . . المقدار
١٩٣ اخترت دهماءتين يامطر . . . الخير
١٩٤ رضاك رضاي الذي أوثر . . . أظهر
١٩٦ أرى ذلك القرب صار ازورارا . . . اختصارا
١٩٩ الصوم والفطر والأعياد والعصر . . . والقمر
٢٠١ ظلم لهذا اليوم وصف قبل رؤيته . . . النظر
٢٠٢ طوال قنا تطاعنها قصار . . . بحار
٢١٧ بقية قوم آذنوا بيور . . . عقار
٢١٧ إذا لم تجد ما يتر الفقرا قاعدآ . . . العمرآ
٢١٨ حاشي الرقيب غفاته ضمائر . . . بوادره
٢٢٦ أريقك أم ماء الغامة أم خمر . . . جر
٢٣١ إني لأعلم والليب خير . . . غرور

صفحة

مطلع القصيدة

- ٢٣٥ غاضت أنامله وهن بحور سعي
٢٣٨ ألال إبراهيم بعد محمد وزفير
٢٣٩ مرتك ابن إبراهيم صافية الحمر السكر
٢٤٠ أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة بقادر
٢٤١ نال الذي نلت منه مني الحبور
٢٤٢ وجارية شعرها شطرها أمرها
٢٤٣ إن الأمير أدام الله دولته مضر
٢٤٤ زعمت أنك تنفي الظن عن أدبي مقداراً
٢٤٤ براء جودك يطرد الفقر العمر
٢٤٥ لا تنكر رحيلي منك في عجل مختار
٢٤٥ عذيري من عذاري من أمور الخدور
٢٤٩ ووقت وفي بالدهم لي عند واحد كثيراً
٢٤٩ أنثر الكباء ووجه الأمير الحبور
٢٥٠ لا تلومن اليهودي على فلا ينكرها
٢٥٠ إنما أجمع المديح بعني في الأمير
٢٥١ ترك مدحك كالمجاء لنفسى الكثير
٢٥٢ بسيطة مهلا بقيت القطارا حيارى
٢٥٢ أطاعن خيلا من فوارسها الدهر الصبر
٢٦٤ باد هواك صبرت أم لم تصبرا جرى
قافية الزاى
٢٨١ كفرندى فرند سيني الجراز للبراز
قافية السين
٢٩٤ ألا إذن فما أذكرت ناس قاس
٢٩٤ أظبية الوحش لولا ظبية الأنس تعس
٣٠٠ ألد من اللدام الخندريس الكتوش
٣٠١ هذى برزت لنا فهبت رسيماً نسيماً
٣١١ يقل له القيام على الرؤوس النفوس

صفحة	مطلع القصيدة
٣١١	أنوك من عبد ومن عرسه . . . نفسه
٣١٤	أجب امرئ حبب الأتفس . . . معطس
	قافية الشين
٣١٦	مبيق من دمشق على فراش . . . حاش
	قافية الضاد
٣٢٦	فعلت بنا فعل السماء بأرضه . . . نقضه
٣٢٧	إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأرض . . . المحض
٣٢٧	مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضى . . . الغمض
	قافية العين
٣٢٩	لا عدم الشيع المشيع . . . تصنع
٣٣٠	غيرى بأكثر هذا الناس ينخدع . . . شجعوا
٣٤٤	حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا . . . أشيع
٣٥٦	شوق إليك نفي لذيد هجوى . . . ضلوعى
٣٥٧	ملث القطر أعطشها ربوعاً . . . التقيماً

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ أَمَّا نَتْ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالْبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ بِعَيْتِ تَلَاوَتْ
فِيهِ الشَّيْخُ جَمِيعَ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشُّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُغْنِيًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الثالث

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

بيروت - لبنان

وقال يمدح عبد الواحد بن العباس بن أبي الأصبع الكاتب :

أَرْكَائِبَ الْأَحْبَابِ إِنْ الْأَذْمَاءُ تَطِسُ أَخْلُدُودَ كَمَا تَطِسُنَ الْيَزْمَاءُ^(١)
فَاعْرِفْنِ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى وَأَمْشِينَ هَوْنًا فِي الْأَزْمَاءِ خُضْمًا^(٢)
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَاءِ فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَاءُ أَنْ يَمْنَعًا^(٣)
حَتَّى كَانَ لِكُلِّ عَظْمٍ رَنَّةٌ فِي جِلْدِهِ وَلِكُلِّ عِرْقٍ مَذْمَعًا^(٤)
وَكُنِّي بِمَنْ فَضَحَ الْجَدَايَةَ فَاضِحًا لِحُجْبِهِ وَبِمَصْرَعِي ذَا مَصْرَعًا^(٥)

(١) أركائب . أى ياركائب ؛ والركائب : جمع الركوب ، وهى الإبل تركب ؛
وتطس : تدق ؛ والوطنس : الدق ؛ واليرمع : حجارة بيض صفار رخوة . يقول : إن
الدموع تفعل بالحدود فعل أخفاف الإبل بالحجارة التى تطؤها : يعنى أن تأثير الدموع
فى الحدود كتأثير الإبل فى الحجارة ..

(٢) النوى : البعد ، فاعل حملت ، وهى مؤنثة ، والأزمة جمع زمام ما تقاد به
الدابة . يقول للابل : اعرفنى قدر الحبيبة التى حملها البعد عليكى ، واعرفنى لينها
ورقتها ، وأنها لا تصبر على احتمال الأذى ، فامشين بها رويداً خضماً حتى لا تأذى
بسيركن ومرحكن .

(٣) البكا : - يمد ويقصر - والأشهر : اللد . يقول : قد كان حياى يغلب بكائى ،
واليوم غلب بكائى حياى .

(٤) الرنة : فعلة من الرنين ، وهو صوت البكاى ، والضمير فى جلده : للعظم ؛
ويحتمل أن يكون للعاشق على الالتفات . والمدمع : مجرى الدمع ؛ يقول : لكثرة
بكائى صار كأن كل عظم من عظامى يرن رنيناً ، وكل عرق لى يبكى : أى غلب البكاء
حتى صارت حالى بهذه الصفة . قال ابن وكيع : وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :
وَمُتِّمٌ جَرَّحَ الْفِرَاقُ فَوَادَهُ فَالدمع من أجفانه يترقرقُ
وإلى قول الآخر :

وَكُنْ لِي فِي كُلِّ عَضْوٍ وَاحِدٍ قَلْبًا يَرْنُ وَتَاطَرَأُ مَا يَطْرِفُ

(٥) الجداية : الظبية ، وفاضحا : تميز ، والمصرع : المقتل ، مصدر ميمي - من
صرعه : أى طرحه على الأرض - يقول : من فضح الجداية بحسنه كنى فاضحاً لمن يحبه
وكنى بمصرعى فى حبه بمصرعاً ؛ يعنى أنه غاية فى الحسن وأنا غاية فى الحب والعشق .

سَفَرَتْ وَبَرَقَمَهَا الْفِرَاقُ بِصُفْرَةٍ سَتَرَتْ حَاجِرَهَا وَلَمْ تَكُ بُرْقَمًا^(١)
فَكَأَنَّهَا وَالْدَّمْعُ يَقْطُرُ فَوْقَهَا ذَهَبٌ بِسَمَطٍ لَوْلُو قَدْ رُصِّعًا^(٢)
كَشَفَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لَيْسَالِي أَرْبَعًا^(٣)
وَأَسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا^(٤)
رُدِّي الْوِصَالَ سَقَى طُلُوكَ عَارِضٌ لَوْ كَانَ وَصْلُكَ مِثْلَهُ مَا أَقْشَعًا^(٥)

(١) يقول : سفرت - كشفت عن وجهها للوداع ، وقد ألبسها وجل الفراق صفرة كأنها برقع يستر حاجرها - ما حول العين - ويخفى محاسنها ، ولم تكن برقعا على الحقيقة ؛ يعنى أنها جزعت للفراق حتى اصفر لونها .

(٢) السمط : خيط القلادة . والضمير من كأنها : للصفرة . يقول : كأن صفرتها والدمع فوقها ذهب مرصع بسمطين من اللؤلؤ من كل عين سمط . شبه صفرة وجهها بالذهب والدمع باللؤلؤ .

(٣) يقول : صارت الليلة بذوائبها الثلاث أربع ليال ، لأن كل ذؤابة منها كأنها ليلة لسوادها . والدوائب : جمع ذؤابة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والأصل ذائب ، فأبدل من المهمة الأولى واوآ تخفيفا .

(٤) قال الواحدى : يجوز أن يريد بالقمرين : القمر والشمس ، وهى وجهها ، وجعل وجهها شمسا فى الحسن والضياء ؛ ويجوز أن يشبه وجهها بالقمر ، فهما قمران فى وقت واحد . وهذا كقول الآخر .

وَإِذَا الْغَزَالَةُ فِي السَّمَاءِ تَرَفَعَتْ وَبَدَأَ النَّهَارُ لَوْقَتَهُ يَتَرَحَّصِلُ
أُبْدَتْ لَوْجَهُ الشَّمْسِ وَجْهًا مِثْلَهُ يَلْقَى السَّمَاءَ بِمِثْلِ مَا تَسْتَقِيلُ
ويقول صريع الغواني :

فَبِتْ أُسِرْ الْبَدْرَ طَوْرًا حَدِيثُهَا وَطَوْرًا أَنَا جِى الْبَدْرَ أَحْسِبُهَا الْبَدْرَا
إِلَى أَنْ رَأَيْتُ اللَّيْلَ مَنكَشَفَ الدَّجَى يُودِّعُ فِي ظُلُمَائِهِ الْأَنْجَمَ الزُّهْرَا
وهذا المعنى كثير فى كلامهم .

(٥) الطلول : جمع طلل ، وهو رسم الدار ؛ والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ؛ وأقشع : أفلع وتفرق . يقول : أعيدى لنا وصالك ، ثم دعا للطلول بالسقيا وقال لو كان وصالك مثل السحاب الذى أعناه للطلول أى دائما لا يتفرق - لكان دائما لا ينقطع

زَجَلٌ يُرِيكَ الْجَوْ نَارًا وَالْمَلَأَ
كَبَنَانِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْغَدَقِ الَّذِي أَرَوَى وَآمَنَ مَنْ يَشَاءُ وَأَفْرَعًا^(٢)
أَلْفَ الْمُرُوءَةِ مَذُنْشَا فَكَأَنَّهُ سَقَى اللَّبَنَ بِهَا صَبِيًّا مُرَضًّا^(٣)

(١) زجل : يسمع له زجل ، وهو الصوت : يعنى صوت الرعد ؛ والملا : المتسع من الأرض أو الصحراء ؛ والتلعات : جمع تلعة ، التل يجرى منه الماء إلى الوادى والمرع الخصب . يصف هذا السحاب يقول : إنه يملأ الجو بيرقه حتى يرى نارا ، ويملأ المتسع من الأرض ماء حتى يرى كالبحر ، ويغصب التلال بمائه حتى تصير كالروض الخصب ؛ وقد جمع فى هذا البيت مافرقه غيره وأبدع فيه ، قال أبو تمام .

أَصْ لَنَا مَاءٌ وَكَانَ بَارِقًا

[أى رجع ماء بعد البرق] وقال ابن دريد :

كَأَنَّمَا الْبَيْدَاهُ غِيبَ صَوْبِهِ بِحَرْطٍ طَلَا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَاجَا

(٢) الغدق : الكثير قال تعالى « لأسقينهم ماء غدقا » أى كثيراً . شبه ذلك السحاب الذى وصفه بينان - أصابع - المدوح الكثير الجود ، وهذا غلص حسن ؛ ومثله للبحترى :

كَأَنَّمَا حِينَ تَجَلَّتْ فِي تَدَقُّقِهَا أَيْدَى الْخَلِيفَةِ لَمَّا سَالَ وَدَائِهَا

(٣) المروءة : الكرم ؛ واللبن : جمع اللبن ، وصبيًا حال . يقول : ألف الكر ناشا ، فكأنه غذى به مع اللبن الذى شربه رضيا . وهذا من قول أبى تمام :

لَيْسَ الشَّجَاعَةُ لِمَنْهَا كَانَتْ لَهُ قَدْ مَأْنَسُوغًا فِي الصَّبَا وَلَدُودًا

« النشوغ : الوجور والسعوط يقال نشفت الصبي وجوراً فانتشفه جرعه جرعة بعد جرعة واللدود ما يصب بالمسقط من السقى والدواء فى أحد شقى الفم ولديد الفم جانباه » وإليك طرفة نحوية للعبرى النحوى الكوفى ، قال : مذ ومنذ عندنا أنهما يرتفع الاسم بعدهما بإضمار فعل مقدر محذوف . وقال البصريون : هما اسمان يرتفع ما بعدهما لأنه خبر عنهما ، ويكونان حرفين جارين فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وحجبتا أنهما مركبان من « من » و « إذ » تغيرا عن حالهما فى أفراد كل واحد منهما ، فحذفت الحمزة ووصلت « من » بالذال وضمت الميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب . والدليل على أنها مركبة من « من » و « إذ » أن من العرب من يقول فى « منذ » منذ —

نُظِمَتْ مَوَاهِبُهُ عَلَيْهِ تَمَامًا فَاَعْتَادَهَا فَإِذَا سَقَطْنَ تَفَرَّعًا^(١)
تَرَكَ الصَّنَائِعَ كَالْقَوَاطِيعِ بَارِقًا تِ وَالْعَالِي كَالْعَوَالِي شُرْعًا^(٢)
مُتَبَسِّمًا لِعِفَاتِهِ عَنْ وَاضِح تَغَشَّى لَوَامِعُهُ الْبُرُوقَ اللَّمَعًا^(٣)

بكسر اليم — فدل على أنها مركبة وإذا ثبت أنها مركبة كان الرفع بعدها بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن بعد « إذ » والتقدير : ما رأيته مذ مضى يومان ومذ مضى شهران ؛ وإذا كان الاسم بهما مخفوضا كان الحذف بهما اعتباراً بـ « من » ، ولهذا المعنى كان الحذف بمنذ أجود لظهور نون « من » فيها ؛ والرفع بـ « مذ » أجود لحذف النون منها تغليبا لإذ ؛ وبدل على أن أصل « مذ » و « منذ » واحد : أنك لو سميت بهما قلت في تصغير مذ : منيد وفي تكسيره : أمناذ ؛ فترد النون المحذوفة ، لأن التكسير والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها : وحجة البصريين أنها معنهما الأمد ، إذا قلت ما رأيته مذ يومان : فمعناه أمد انقطاع الرؤية يومان ؛ والأمد في موضع رفع بالابتداء فكذلك ما قام مقامه وإذا ثبت أنها مرفوعان بالابتداء وجب أن يكون ما بعدهما خبراً .

(١) التأمم : جمع تيممة : العوذة تعلق على الصبي للوقاية من العين ، قال الواحدي : من روى نظمت — بضم النون — فالمعنى أن هباته وما يفعل من الإعطاء جعلت له بمنزلة التأمم التي تعلق على من خاف شيئاً ، فإذا سقطت عنه عاد الخوف : أي أنه ألف الإعطاء واعتاده ، حتى لو ترك ذلك كان بمنزلة من سقطت تأممه ؛ ومن روى بفتح النون : فإنما يعني ما حصلت له المواهب من الحمد والثناء والمدح والأشعار وأدعية الفقراء ، فهو إذا لم يسمع ما تعود أنكر ذلك ، وكان كمن ألقى تيممته فيفزع ؛ وهذا من قول أبي تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجِنُّ جَنُوبُهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبٍ

(٢) الصنائع : الأيادي والنعم والمعروف . والقواطع : السيوف ، وبارقات مشرقات والعوالى : الرماح ؛ وشرعا : منتصبة مرتفعة . يقول : جعل نعمه وأياديه مشرقة لامعة كالسيوف ، ومعاليه مرتفعة كالرماح لاشتهارها بين الناس وقال ابن جني : يحارب أعداءه وحساده بأياديه كما يحارب بالسيوف والرماح .

(٣) متبسما : حال من فاعل ترك ؛ والعفاة : جمع عاف : السائل ؛ وعن واضح : أى عن ثغر واضح ؛ وتغشى : تغطى . ولوامعه : ثنائه . يقول : يتسم للسائلين عن عن ثغر واضح يذهب لمعانه بضوء البرق ، وى ، تغشى : أى تذهب نور أبصارها ؛ وهو من قول العباس بن الأحنف :

مُتَكَشِّفًا لِدُائِهِ عَن سَطْوَةٍ لَوْ حَكَ مِنْكِبُهَا السَّمَاءُ لَزَعَزَعَا^(١)
 الْحَزَمِ التَّقِيطَ الْأَغْرَ الْعَالِمَ الْفَطْنَ الْأَلَدَ الْأَرِيحَى الْأَزْوَعَا^(٢)
 الْكَاتِبَ اللَّبِقَ الْخَطِيبَ الْوَاهِبَ النَّدُسَ اللَّيْبَ الْهَبْرِيَّ الْمِصْقَعَا^(٣)
 نَفْسٌ لَهَا خُلِقَ الزَّمَانُ لِأَنَّهُ مُفْنِي الثُّغُوسِ مُفْرَقٌ مَا جَمَعَا^(٤)
 وَيَدٌ لَهَا كَرَمٌ الْفَنَامُ لِأَنَّهُ يَسْقِي الْعِمَارَةَ وَالْمَكَانَ الْبَلْقَعَا^(٥)

مُسْتَرْبِلِينَ سَوَائِفًا مَادِيَةً تَعْشِي الْقَوَانِسُ فَوْقَهَا الْأَبْصَارَا^(١)

(١) حك : يروى صك ؛ والمعنى : زاحم : إنه يظهر للأعداء سطوة لوزاحم منكبها السماء لزعزعا : أى أنه يجاهر الأعداء بالقدره عليهم ولا يكاتمهم العداوة ؛ واستعمار لسطوته منكبا لما جعلها زاحم السماء ، لأن الزحام يكون بالنكاب .
 (٢) و (٣) الحازم : ذو الحزم فى أموره ؛ واليقط : الكثير التيقظ الذى لا يغفل عن أموره والأغر : الشريف ، ويروى الأعز ؛ والألد : الشديد الحصومة ، والأريحي : الذى يرتاح للمعروف والكرم : أى يهتز لها ويتحرك ؛ والأروع : الذى يروعك بجماله أو الحاد الذكي ؛ واللبيق : الخفيف فى الأمور ؛ والندس : الفطن . والهبزى : السيد الكريم ؛ والمصقع : الخطيب البليغ .

(٤) يقول : إن الزمان من خلقه إفناء الأشياء ، وكذلك هذا المدوح يفتى أعداءه كما يفتى ماله ، فهو جواد كثير الغارات ، وهذا قريب من قول أبى نواس : وما هو إلا الدهر تأتي صُرُوفُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَشَقُّ بِهِ وَيُعَادِي

(٥) العماره — بكسر العين — الأرض العامرة ؛ والبلقع : المكان الخالى الذى لاعماره فيه . يقول : إنه يعطى كل أحد أ كان غنيا أم فقيرا ، كما أن الغمام يسقى كل موضع : أعامرا أم غامرا . ومثله لا بن المعتز :

وَيُصِيبُ بِالْجُودِ الْفَقِيرُ وَذَا الْفَنَى كَالْفَيْثِ يَسْقِي مُجْدِبًا وَمَرِيحًا
 وَآخِرُ غَاظِبِ الْفَيْثِ :

وَلَيْسَ يَخْصُ أَرْضًا دُونَ أَرْضٍ وَكَفَاءُ تَمَنَّا الْبِلَادَا
 وروى الخوارزمي : العماره — بفتح العين — وقال : يعنى القبيلة ، كأنه قال يسقى المكان الذى به الناس والخالى .

(١) القوانس : جمع قونس ، وقونس البيضة من السلاح : مقدمها أو أعلاها ، والمادية : الدرع البيضاء أو السهلة اللينة .

أَبَدًا يُصَدِّعُ شَعْبَ وَفِرٍ وَافِرٍ وَيَلْمُ شَعْبَ مَكَارِمٍ مُتَّصِدًا^(١)
يَهْتَزُّ لِلْجَدْوَى أَهْتَازَ مَهْنَدٍ يَوْمَ الرَّجَاءِ هَزَزَتْهُ يَوْمَ الْوَعَى^(٢)
يَا مُغْنِيَا أَمَلِ الْفَقِيرِ لِقَاؤُهُ وَدُعَاؤُهُ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِذَا دَعَا^(٣)
أَقْصَرَ وَلَسْتُ بِمُقْصِرٍ جُزْتَ الْمَدَى
وَبَلَغْتَ حَيْثُ النَّجْمُ تَحْتَكَ فَارَبَمَا^(٤)

(١) الشعب: الشمل؛ ويصدع: يفرق؛ والوفر: النقي؛ ويلم: يجمع. يقول: إنه أبداً يفرق شمل المال بالمطاء. ويجمع مفرق الكارم، وقد جمع في هذا البيت بين التطبيق والتجنيس، وقال أبو تمام:

له كل يوم شملٌ بمجدٍ مؤلفٍ وشملٌ ندى بين العفاة مُشْتَتٍ
وقال البحري:

ومعال أصارها لاجتماع شملُ مال أصاره لافتراق

(٢) الجدوى: العطا؛ والمهند: السيف؛ ويوم الرجاء: متعلق بهتز؛ والوعى - بالعين والغين - جلبة الحرب وصوتها؛ والجملة قبله: صفة لمهند. يقول: يهتز للجدوى يوم الرجاء اهتزاز المهند يوم الحرب. وهذا من قول الخطيئة:

كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألتَه تهَلَّلَ واهتز اهتزاز المهند
ولشم بن نوية:

تراه كنفصل السيف يهتز للندى إذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

(٣) لقَاؤُهُ: فاعل مغنيا. يقول: إن لقاء الفقير إياك ودعاءه لك حين يدعو بعد الصلاة يغنيان أمل الفقير لما عرف عنك من فرط السخاء وإغاثة البائسين.

(٤) أقصر عن الشيء: تركه مع القدرة عليه. وقوله فاربما: أراد فاربعن، فوقف بالألف؛ ومعناه: كف حبسك. وقوله: ولست بمقصر. جملة اعتراضية. قال الواحدى: يحتمل أمرين: أحدهما: أنى أعلم أنك لا تقصر وإن أمرتك بالإقصار، والآخر: أنك وإن أقصرت لست بمقصر لتجاوزك المدى - الفاية - وهذا قريب من قول أبي تمام:

يأليت شعري من هذى مناقبه ماذا الذى بُلُوغِ النجوم ينتظر

وَحَلَّتْ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ مَوَاضِعًا
لَمْ يَخْلُ النِّقْلَانِ مِنْهَا مَوَاضِعًا^(١)
وَحَوَيْتَ فَضْلَهُمَا وَمَا طَمِعَ امْرُؤٌ فِيهِ وَلَا طَمِعَ امْرُؤٌ أَنْ يَطْمَعًا^(٢)
نَفَذَ الْقَضَاءَ بِمَا أَرَدْتَ كَأَنَّهُ لَكَ كُلَّمَا أَرْمَمْتَ شَيْئًا أَرْمَمًا^(٣)
وَأَطَاعَكَ الدَّهْرُ الْعَصِي كَأَنَّهُ عَبْدٌ إِذَا نَادَيْتَ لَبَّى مُسْرِعًا^(٤)
أَكَلْتَ مَفَاخِرَكَ الْمَفَاخِرَ وَانْتَفَتَ عَنْ شَأْوِهِنَّ مَطِيٌّ وَصَفِي ظَلَمًا^(٥)

(١) لك أن تقرأ الفاعل بفتح الفاء : اسم للفعل الحسن ؛ وبكسرهما : جمع فعل ؛
والثقلان : الجن والإنس :

(٢) يقول : حويت فضل الثقلين - الجن والإنس - وهذا الفضل لم يطمع في نيته
أحد ولا حدثته به نفسه بعد مناله .

(٣) أزمع الشيء عزم عليه . يقول : كأن القضاء لك ، فكلماً أردت شيئاً وأزمعته
أنفذه ، فقله : لك ، خبر كأن : أى كأنه موافق لك ولك أن تجعل لك : صلة أزمع : أى أن
القضاء منفذ لما تريد ، فكلماً أزمعت أمراً أزمع هو ذلك الأمر لأجلك . هذا : وقد
قال الحليل : أزمعت على الأمر فأنا مزمع عليه : إذا مضيت فيه وثبت عزمك عليه .
وقال الكسائي : يقال أزمعت الأمر ، ولا يقال أزمعت عليه ؛ قال الأعشى :

أَأْزَمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلِ ابْتِكَارًا وَشَطَطْتُ عَلَى هَوًى أَنْ تَزَارَا
وقال الفراء : أزمعته وأزمعت عليه بمعنى ، مثل أجمعته وأجمعت عليه :

(٤) العصى : العاصي ، فعيل بمعنى فاعل . يقول : والدهر الذى لا يطيع أحداً
قد أطاعك فيما أردت منه طاعة العبد السريع الإجابة .

(٥) انتفت ؛ رجعت ؛ والشأو : الغاية ؛ والمطى : جمع مطية : الركوبة ؛ والظلم
جمع الظالم ، الذى يغمز من يد أو رجل . يقول : غلبت مفاخرك مفاخر الناس حق
أنفيتها فليس لأحد منهم غر ، وانصرف مطايا وصفي قلصرة عن غايتها - أى لم يبلغ
قولى وصف مفاخرك ، وفى هذا يقول أبو تمام :

هَدَمْتَ مَسَاعِيهِ الْمَسَاعِي وَانْتَفَتَ خُطَطُ الْمَكَارِمِ فِي عِرَاصِ الْفَرَقْدِ

وَجَرَيْنِ تَجْرَى الشَّمْسُ فِي أَفْلاكِهَا فَقَطَعْنَ مَغْرِبَهَا وَجُزْنَ الْمَطْلَعَا^(١)
لَوْ نِطَلَّتِ الدُّنْيَا بِأُخْرَى مِثْلَهَا لَعَمَمَهَا وَخَشِينَ أَنْ لَا تَقْنَعَا^(٢)
فَمَتَى يُكَذِّبُ مُدَّعٍ لَكَ فَوْقَ ذَا وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ حَقًّا مَا أَدْعَى^(٣)
وَمَتَى يُؤَدِّي شَرْحَ حَالِكَ نَاطِقٍ حَفِظَ الْقَلِيلَ النَّزَرَ مِمَّا ضَيَّعَا^(٤)

(١) يقول : وجرت مفاخرك في الأرض مجرى الشمس في الفلك حتى قطعت المشرق والمغرب . قال ابن وكيع : هذا مأخوذ من قول حبيب :

أَمْلَعِ الشَّمْسُ تَبْنِي أَنْ تَوَّمْ بِنَا فَقُلْتَ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
وهذا تعسف من ابن وكيع ، وقد كان من المولعين بنقد المتنبي وإصفاء إنائه ،
وإلا فأى تناسب بين البيتين ؟ وإنما بيت أبي تمام فيه حسن التخلص وكان الأقرب
أن يقول : إنه من قول علي بن الجهم :

وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر
أو من قول أبي قيس بن أبي رفاعه - شاعر جاهلي - يصف قصيدة :

تسير مسير الشمس شرقاً ومغرباً ويحلو بأفواه الرجال نشيدها
(٢) يقول : لو قرنت الدنيا بدنيا أخرى مثلها وضمت إليها لعمتها مفاخرك أيضاً
وخافت أن لاتقنع منها بذلك . وروى لعمتها - والضمير للممدوح - وخشيت - بضم
الثاء - والضمير للمتنبي : أى لعمتها بهمتك وسعة صدرك وخفت أنا أن لاتقنع بها
لأن همتك تقتضى فوقها .

(٣) يقول : لا يكذب من ادعى لك فوق هذا ، لأن الله يشهد بتصديقه ، وذلك
ماخلقه الله فيك من علو الهمة والفضائل المتوافرة ، وكان الوجه أن يقول : إن ما ادعى
حق ، لجعل الخبر الذى هوى نكرة - وهو حق - فى موضع الاسم ونصبه بأن ،
وجعل الاسم الموصول - ما ادعى - فى محل الخبر ، وذلك جائز فى ضرورة الشعر .

(٤) النزر . هو القليل ، فهو تأكيد معنوى : يعنى نفسه . يقول : إنما يحفظ
القليل من أحوال مفاخره . لأنها أكثر من أن يمكنه حفظها - على حد قول
أبي نواس :

* حَفِظْتُ شَيْئًا وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ *

إِنْ كَانَ لَا يُدْعَى الْفَتَى إِلَّا كَذَا رَجُلًا قَسَمَ النَّاسَ طُرًا إَصْبَعًا^(١)
 إِنْ كَانَ لَا يَسْتَعَى الْجُودَ مَا جِدَ إِلَّا كَذَا فَالْفَيْثُ أَبْجَلُ مَنْ سَعَى^(٢)
 قَدْ خَلَفَ الْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ أَبْنَهُ مَرَأَى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعًا^(٣)

* * *

وحفظ القليل مما ضيعا : أى من جنس ماضيه ، لأن المحفوظ لا يكون من المضيع ،
 ولكن يكون من جنسه .

(١) رجلا : مفعول ثانٍ لدعى ؛ وطرا : أى جميعاً ، حال . يقول : إن كان
 لا يدعى الفتى رجلاً إلا إذا كان كذا : أى كهذا المدوح فسم الناس جميعاً إصبعا ،
 لأنهم لو وزنوا بإصبعك ماوفوا ؛ أو لأنهم بالقياس إليك كالإصبع من الرجل ، قال .
 الواحدى : وكان هذا المدوح يلقب بذى الإصبع ، وكان له إصبع زائدة : وروى
 الخوارزمى إصبعا - جمع الضبع - يريد . كلهم بالإضافة إليك ضباع لأنك حزت شرفا
 وقدرآ لم ينله إلا أنت . قال ابن وكيع : وهو من قول أبى النعم :

لو كان خلق الله جنبا واحداً وكنت فى جنبٍ لكنت زائداً
 ومن قول عمر بن أبى ربيعة :

ولو سلك الناس فى جانب من الأرض واعتزلت جانباً

ليمت جانبها إننى أرى قربها العجب العاجبا

(٢) يقول : إن كان لا يصح سعى ما جد لجود حتى يفعل مثل فعلك ، فالغيث أبجل
 الساعين بعد ما بينه وبينك ووقوعه دونك ؛ وجعل الغيث أبجل الساعين بمبالغة ،
 قال ابن وكيع :

سقيت فكان الغيث أدنى مسافة وأضيق باعا من نذاك وأقصرا

(٣) ابنه - بحذف حرف النداء - أى يا ابنه ؛ وغرة الشخص : طلعه : ومرأى
 ومسمعا : حالان . يقول : قد خلف أبوك العباس لنا طلعتك لنشاهد فضلك وكرمك
 وليبق ذكرها إلى يوم القيامة .

وقال يرثى أبا شجاع فاتكا ، وقد توفى بمصر سنة خمسين وثلاثمائة ، وكانت هذه
المرثية بعد خروجه من مصر :

الْحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرُدُّعُ وَالْدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِي طَيْعُ^(١)
يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنِ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ^(٢)
النُّومُ بَعْدَ أَبِي شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعِي وَالْكَوَاكِبُ ظُلُمُ^(٣)
إِنِّي لِأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِي وَتُحْسِنُ نَفْسِي بِالْحِمَامِ فَأَشْجِعُ^(٤)
وَيَزِيدُنِي غَضَبُ الْأَعَادِي قَسْوَةً وَيُؤَلِّمُنِي بِي عَتَبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ^(٥)

(١) يقول : الحزن لأجل المصيبة يقلق ، والتجمل - تكلف الصبر - يمنعني عن
التهاك والجزع ، والدمع بين الحالين عاص لدى التجمل فيحتبس مطيع للقلق فينسكب ،
وبذاك عصي صاحبه تارة ويطيعه أخرى .

(٢) عني بالمسهّد - أى الكثير السهاد ، الممنوع عنه النوم - نفسه . يقول : الحزن
والصبر يتنازعان دموع عيني فالحزن يجيء بها - أى يجريها والتجمل يردها .

(٣) يقول : النوم بعد أبى شجاع لا يألّف العين : أى لا تنام العيون بعده حزنا
عليه ، والليل يطول فلا ينقضى ، كأنه قد أعيّا عن المشى - كل من التعب - فانتقطع ؛
والكواكب طلعت - كالمرجى - لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب . يريد طول الليل
لاستيلاء الحزن عليه والهم على قلبه . وعبرة ابن جني : لو كان الليل والكواكب مما
يؤثر فيهما حزن لأثر فيهما موته . وقال الخطيب : إنما أراد أن الليل طويل لفقده
فالليل معي والكواكب طلعت ما تسر . يريد طول الليل للحزن .

(٤) الحمام : اللوت . يقول : أنا جبان عند فراق الأحبة أخافه خوف الجبناء وأشجع
عند الموت في ميدان الوغى فلا أهابه : يعنى أن الفراق أعظم خطبا عنده من الموت ،
كما قال أبو تمام .

جليد على عتب الخطوب إذا عرت ولست على عتب الاخلاء بالجُلْدِ
(٥) يقول : إنه صعب على أعدائه لا يلين لهم ، بل يزداد عليهم قسوة إذا غضبوا ،
ويجزع عند عتب الصديق فلا يطيق احتماله ، كما قال أشجع السلى :

يُعْطِي زَمَامَ الطَّوْعِ إِخْوَانَهُ وَيَلْتَوِي بِالْمَلِكِ الْقَادِرِ

تَصِفُوا الْحَيَاةَ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ^(١)
وَلَنْ يُفَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ^(٢)
أَيْنَ الَّذِي الْهَرَمَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ^(٣)
تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُذَرِّكُهَا الْفَنَاءُ فَتَنْبَعُ^(٤)

وبعد : فإن المتنبي يريد بهذين البيتين عطفه ورقة قلبه عند الموادة والملاينة ، وشدته عند المباشطة والمقاومة .

(١) قوله عما مضى : متعلق بغافل ؛ ويتوقع : ينتظر . يقول : إنما تصفوا الحياة لجاهل لا يدرك أحوالها ومصايرها ، أو غافل عما مضى فيها من العبر وما ينتظر في العواقب من انقضاءها أو أحداثها التي لا يطيق لها احتمالا ، أما العاقل الفطن الذي ينظر إلى الدنيا بعين المعرفة ويتأملها تأمل الدراية ويمثل صوارفها وتصاريغها فإنها لاتصفوله .
(٢) يسومها : يكافئها ؛ ويعني بالحقائق : ما لا شك فيه للعاقل ، وهو أن الدنيا على الحقيقة دار غرور وأخطار ، والإنسان فيها على خطر عظيم ، وأن الحياة ، فانية فمن غالط في هذا نفسه ومناها السلامة والبقاء صفا له العيش حين ألقى عن نفسه الفكر في العواقب وسام نفسه طلب المحال من البقاء في السلامة مع نيل المراد فطمعت في ذلك .

(٣) الهرمان : هما الهرم الأكبر والهرم الأوسط - وهما معروفان ، وكل مايتعلق بهما ، وبمن بناهما ، والغاية التي بناها لها : معروف ، فراجعه إن شئت : يقول أين من بناهما ؟ وأين قومه ؟ ومتى كان يوم موته ؟ وكيف كان مصرعه ؟ يعني أنهما بقيا بعد من بناهما واندرس ذكره وذكر قومه ، فما يعرفون ولا يعرف بأى ميتة هلك ، ولا في أى وقت لطول عمر الدهر عليه . يريد أن الدنيا مغبية لأهلها منكرة على من اغتر بها ، وأن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء . وعبرة العكبرى : قوله أين الذي الهرمان من بنيانه : استدلل ببناهما على تمكنه وأقامهما شاهدين على قوته وقدرته : أى أين هو وقوته ؟ وأين قومه وكثرتهم ؟ وأين عددهم وعددهم ؟ أما عفت الدنيا آثار ملكه وأفته ؟ أما فرقت شمله وشتته ؟ أما في بطن الأرض غيبته ؟ وكأنه في هذا ينظر إلى قول عدى بن زيد :

أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنْ أَمَّ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ

يريد أن الفناء حتم في رقاب العباد ، وأن الجميع صائرون إلى الفناء .

(٤) يقول : إن الآثار تبقى بعد أصحابها حيناً من الدهر تدل على تمكنهم وقوتهم

لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِي شُجَاعٍ مَبْلَغٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعَهُ مَوْضِعٌ^(١)
كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءَةً ذَهَبًا فَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلَقَعَ^(٢)
وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أُعُوجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ^(٣)
الْمَجْدُ أَخْسَرُ وَالْمَكَارِمُ صَافِقَةٌ

مِنْ أَنْ يَعْيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الْأَرْوَعُ^(٤)

وسطوتهم ثم ينالها بعدهم ما نالهم من الفناء فتذهب كما ذهب أصحابها وهذه شنشنة الدنيا مع أهلها ، والمعهود من تصاريقها .

(١) يقول : إنه - بعد مرتقى همته - لم يكن يرضى بمبلغ يبلغه في الملا حتى يطلب ما فوقه ، ولم يكن ليسعه موضع من الأرض لأنه لا يشبع طموحه .

(٢) البلقع : الخالي . يقول : كنا نظنه صاحب ذخائر من الأموال فلما مات لم يخلف مالا لأنه كان جواداً معطاء .

(٣) وإذا : عطف على وكل دار بلقع - في البيت السابق - وكل روى بالرفع وبالنصب والتقدير على الرفع . كل شيء يجمعه وعلى النصب يجمع كل شيء من هذه الأشياء . يقول : وإنما كل ما كان يجمعه في حياته المكارم والأسلحة والخيول ، أما الذهب فلا ، لأنه كان يفرقه بالعطاء ، فبنات أعوج : يعني الخيل ؛ وأعوج : خيل مشهور من خيل العرب ، تنسب إليه الخيل الأعوجية ؛ قيل سمي بذلك لأن غارة وقعت على أمحابه ليلا وكان مهرا ، ولضنهم به حملوه في وعاء على الإبل حين هربوا من الغارة ، فاعوج ظهره وبقي فيه العوج ، فلعب بالأعوج ؛ وقد جاء في معنى بيت المتنبي شعر كثير للجاهليين ومن بعدهم ، وقد قائلهم :

إِذَا خَزَنَ الْمَالَ الْبَخِيلُ فَإِنَّمَا خَزَائِنُهُ خَطِيئَةٌ وَدَرُوعٌ

وقال مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة يرثيه :

وَلَمْ يَكْ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ حَدِيدَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمَذَلَّالَ

(٤) الأروع : الذكي الفؤاد . يقول : إن المجد والمكارم أخسر صفقة وأتقص حظا من أن يعيش لها هذا المرثى ؛ يعني أنها شقيت لذهاب من كان يحفظها ويجمع ثمرها وقال العسكري - عند إعراب قوله المجد أخسر والمكارم صفقة : إذا جعلت التقدير المجد والمكارم أخسر صفقة اختل ، لأنك تفصل نال المكارم بين أخسر وبين صفقة ،

وهي منصوبة بأخسر - التي هي عطف على المجد - وهذا غير جائز ، لأن صفقة تحمل من أخسر محل الصلة من الموصول ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول زيد أحسن وعمرو وجها ، ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر ، وهو أن تجعل المكارم عطفاً على الضمير في أخسر ؟ فإن عطفه على الضمير الذي فيه لم يكن أجنياً منه ، فلا يعد فصلاً بينهما وبين صفقة ، فيصير نحو قولك : مررت برجل أكل وعمرو خبزاً ، بعطف عمرو على الضمير في أكل ونصب خبزاً بأكل ، وفي نوادر أبي زيد :

نغير نحنُ عند البأسِ منكم إذا الدّاعي المَثُوبُ قال يالاً^(١)

فلا يجوز أن يكون نحن : مرفوعاً بالابتداء ، ومنكم : متعلق بغير - على أن يكون «خير» خبر المبتدأ - لثلاث يفصل «نحن» بين «خير» ومنكم ، ولكن يجوز أن يكون «نحن» توكيداً للضمير في «خير» ويكون «خير» خبر مبتدأ محذوف ، فكأنه قال : فنحن خير عند الناس منكم ؛ وحسن حذف «نحن» الأولى التي هي مبتدأ للجميئة الثانية توكيداً للضمير في «خير» ، ويجوز وجه آخر وهو أن تنصب « صفقة » بفعل مضمر يدل عليه «أخسر» ، وتجعل «المكارم» عطفاً على «المجد» - لا على الضمير في «أخسر» - فلا تكون على هذا قد فصلت بين ما يجري مجرى الصلة والموصول ، فيصير التقدير : المجد أخسر والمكارم أيضاً كذلك ، ثم قال صفقة وكأنه قال خسرت صفقة فدل أخسر على خسرت كما دل أعلم في قوله تعالى «إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله» على يعلم

(١) بعده :

ولم تثق العواتق من غيورٍ بغيرته وخلص الحجال
وقد نسب أبو زيد في نوادره هذين البيتين لزهير بن مسعود الضبي ولأئمة النحاة في إعراب «نغير نحن» كلام كثير لا متسع لإيراده هنا والبأس : الشدة والقوة : والمثوب : الذي يدعو الناس يستنصرهم ؛ والأصل فيه أن المستغيث إذا كان بعيداً يتعري ويلوح بثوبه رافعاً صوته ليري فيغاث ؛ ويالا : أراد يالفلان ، أو يالبنى فلان . وجملة لم تثق : عطف على مدخول إذا ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهي التي خرجت عن خدمة لأبيها وعن أن يملكها الزوج ، والحجال : جمع حجلة ، وهو بيت كالقبة . يريدأنهن في يوم فزع أو غارة لا يثقن بأن يحمهن الأزواج والآباء والإخوة ، فنحن عندهن أوثق منكم

وَالنَّاسُ أُنْزِلُوا فِي زَمَانِكَ مَزَلًا (١)
 بَرْدٌ حَشَايَ إِنْ اسْتَطَعْتَ بِلَفْظَةٍ (٢)
 مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا (٣)
 وَلَقَدْ أَوَّاكَ وَمَا تُنِيمُ مُلِيَّةٌ (٤)
 وَيَدٌ كَأَنَّ قِتَالَهَا وَنَوَالَهَا (٥)
 مِنْ تَعَايَشِهِمْ وَقَدْرَكَ أَرْفَعُ (١)
 فَلَقَدْ تَضَرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ (٢)
 مَا يُسْتَرَابُ بِهِ وَلَا مَا يُوجِعُ (٣)
 إِلَّا نَفَاها عَنْكَ قَلْبُ أَصْغَعُ (٤)
 فَرَضٌ يَحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّعُ (٥)

أو علم ، فيكون «من يضل» : منصوبا بالفعل الذي دل عليه «أعلم» ، وإنما حملناه على ذلك هربا من أن يكون «من يضل» في موضع جر بالإضافة إلى «أعلم» ، لأن الأعم أفضل ، وأفضل إذا أضيف إلى شيء كان بعضا له ؛ نحو قولك زيد أكرم الناس ، فلا بد أن يكون من الناس ؛ ولا تغل زيد أفضل النعم لأنه ليس من النعماء فكذلك لا يجوز أن تضيف «أعلم» إلى «من يضل» لأن الله تعالى لا يكون بعض الضالين .
 (١) يقول : إن الناس في زمانك أقل قدرا من أن تكون بينهم مخالطهم وتعاشرهم ، وقدرك أجل من أن تعايش أهل هذا الزمان .

(٢) يقول : كلني كلمة وأصمعي منك لفظة إن قدرت عليها ليسكن ما في قلبي من لوعة الحزن ، فلقد كنت في حياتك تضر — إذا تشاء — أعداءك ، وتنفع أوليائك :
 أى فانتفعي بكلامك

(٣) يقال استراب به : أى رأى منه ما يريه ؛ أى يقلقه . يقول : لم يكن منك إلى أخلائك قبل هذه المرة : أى قبل أن تلجمهم بنفسك : ما يريهم منك أو يوجعهم ، فلما فقدت أو جعت قلوبهم وأبكت عيونهم .

(٤) الأصمغ : الذكي الحاد ؛ وقوله وماتلم : حال . يقول : كنت أراك في حال حياتك وما تنزل بك نازلة من نوازل الدهر إلا دفعها عنك قلب ذكي .

(٥) يقول : ونفاها عنك بد غنشتها إعطاء الأولياء وقتل الأعداء حتى لكان النوال والقتال واجبان عليها ، وهما تبرع لا وجوب ، وفي هذا يقول أبو تمام :

ثَوَى مَالَهُ نَهَبُ الْمَعَالَى فَأَوْجِبَتْ عَلَيْهِ زَكَاةُ الْجُودِ مَا لَيْسَ وَاجِبًا
 ويقول ابن الرومي :

مَلِكٌ لَا يَرَى اللَّهَ تَسْتَحِقُّ الْوَسَائِلَا

يَا مَنْ يُبَدِّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لَا تُنَزَعُ^(١)
مَا زِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِستَ الْيَوْمَ مَا لَا تَخْلَعُ
مَا زِلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرِ فَادِحٍ حَتَّى أَنَّى الْأَمْرُ الَّذِي لَا يَدْفَعُ^(٢)
فَطَلَّاتَ تَنْظُرُ لَا رِمَاحُكَ شُرْعٌ فِيمَا عَرَكَ وَلَا سِيُوفُكَ قُطْعٌ^(٣)
بِأَبِي الْوَحِيدِ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ يَبْكِي وَمِنْ شَرِّ السَّلَاحِ الْأَذْمُعُ^(٤)
وَإِذَا أَحْصَلْتَ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ فَحَشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقْرَعُ^(٥)

وَيَرَاهَا فَرَانِضًا وَتُسَمَّى نَوَافِلًا

ويقول آخر :

- أَغْرُهُ مَتَى تَسْأَلُهُ جَادَ فَرِيضَةً وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْهُ جَادَ تَبْرَعَا
- (١) يريد : يا من كان في حياته يلبس كل يوم لباساً جديداً . . إذ يخلع اللبوس على من يقصده — كيف ترضى أن تلبس الآن حلة لا تخلع ؟ يعني الكفن — والحلة : اللباس من ثوبين — إزار ورداء — ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .
- (٢) الفادح : الذي يشغل حمله ، وفي هذا المعنى يقول الحماسي :
- دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِيعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا
- (٣) عراك : أصابك ونزل بك ؛ وشرع الرمح : بسط اليد به وسدده . يقول :
- ظَلَلْتُ — أَقَمْتُ — تَنْظُرُ إِلَى الْمَوْتِ نَظَرَ الْعَاجِزِ لَمْ تَعْمَلْ رِمَاحُكَ وَلَا سِيُوفُكَ فِي دَفْعِ مَا نَزَلَ بِكَ ؛ إِذْ لَا مَدْفَعَ لِلْمَوْتِ . .
- (٤) بأبي : تغذية . وقوله وجيشه متكاثر : حال من ضمير الوحيد ؛ ومتكاثر : خبر أول لجيشه ؛ ويبكي : خبر ثان . يقول : إنه — مع كثرة جيوشه — كان وحيداً من الأنصار ، فلم يكن لجيوشه غناء فيما نزل به غير البكاء ، ولا عدة غير الدموع ، مع أن الدموع من شر الأسلحة ، لأنها تضر صاحبها ولا تغني شيئاً عند المصيبة . وقد فسر هذا في البيت التالي .
- (٥) رعت : أفزعت وأخفت ؛ وتقرع : تضرب . يقول : إذا لم يكن لك سلاح غير البكاء فلا غناء في البكاء ؛ إنما تروع به القلب وتقرع به الحد : أي أنه لا يجدي ولا يدفع شيئاً .

وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الْبَارِزُ الْأَشْهَبُ وَالْغَرَابُ الْمُلْبِقُ (١)
 مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالشَّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَبْرًا لَا يَطْلُعُ (٢)
 وَمَنْ اتَّخَذَتْ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ضَاعُوا وَمِثْلَكَ لَا يَكَادُ يُضَيِّعُ (٣)
 قُبْحًا لَوَجْهِكَ يَا زَمَانُ فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بَرْقِعٌ (٤)

(١) الأشهب - تصغير الأشهب - وهو الذي غلب عليه البياض ؛ والأبقع : الذي في صدره بياض ، وهو في الطير والكلاب ، كالأبلق في الدواب . يقول : وصلت إليك - يخاطب المرتضى - يد - يريد يد المنية - سواء لديها الصغير والكبير والشريف والوضيع فالبارزى مثل للشريف ، والغراب مثل للوضيع . وبارزى ألباز الأشهب - بقطع همزة آل : من الباز - ووصل همزة أشهب بناء على أن همزة آل قد وقعت في أول الشطر الثاني ، فكأنه أخذ في بيت ثان ، كما قال حسان :

لَتَسْمَعُنَّ وَشَيْكَاءَ دِيَارِكُمْ اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عِمَانَا
 وقال الآخر :

حتى أتيت فتى تَأْبَطُ خَائِفًا السيفَ فهو أخو لقاء أَرْوَعُ

(٢) المحافل : جمع محفل ، وهو المجتمع ؛ والجحافل : جمع جحفل ، العسكر العظيم . والسرى : يريد سير الجيوش ليلاً للغارة ، والنير : الكوكب الكثير النور ؛ والنيران : الشمس والقمر . يقول - متفجعاً عليه - : من للمحافل في إرشاد جماعتها ، والجحافل في تصريف كتابتها ، والسرى عند انتهاز فرص الحرب ، وطلب الغرة من الأعداء في الغزو ، ولقد فقدت بفقدك المرشد الذي كانت تستمد برأيه ، والنير الذي كانت تهتدى بضوئه ، فعدمت ما كانت تعهده عنده ، وغرب غروباً لا يطلع بعده ، قاله العكبري .

(٣) يقول : ومن الذي اتخذته خليفة لك على ضيوفك الذين كنت تسمر بقراهم ؟ لقد ضاع قصائدك بعدك ومثلك من لا يضيع في حياته قاصده .

(٤) يقول : قبح الله وجهك يا زمان فإن وجهك وجه توافرت فيه القبايح ؛ فكأنه اتخذ القبايح برقاً . فقله : قبحاً ، مفعول مطلق نائب عن عامله - من قولهم قبحه الله : أى أقصاه ونحاه عن الخير ؛ واللام من قوله . لوجهك : لبيان المفعول . كما يقال سقياله ؛ والقبح - في المصراع الثاني - الحسن .

أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكَ وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخُلْعِيُّ الْأَوْكَعُ^(١)
 أَيْدٍ مُقَطَّعَةً حَوَالَى رَأْسِهِ وَقَفًّا يَصِيحُ بِهَا أَلَا مَنْ يَصْنَعُ^(٢)
 أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ
 وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ^(٣)
 وَتَرَكَتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ^(٤)
 فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَخْشٍ نَافِرٍ دُمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ^(٥)

(١) الأوكع في الأصل : الذى أقبلت إبهام رجله على السابة حتى يرى أصلها خارجا كالعقدة ، وأكثر ما يكون ذلك للاماء اللواتى يكددن في العمل ، ويقولون أمة وكعاء : أى حمقاء ، وعبد أوكع : أى أحمق أو لثيم . والاستفهام هنا : للتعجب ، يتعجب من موت أبى شجاع فاتك في جوده وفضله مع بقاء حاسده - يعنى كافورا - الأحمق أو اللثيم . وفاتك : يروى بالرفع . وبالجر ؛ فالرفع على أنه بدل من مثل ، والجر بدل من أبى شجاع .

(٢) يقول : إن كافورا لسقوطه أهل للاذلال ، فكأن قفاه يصيح ألا من يصنع ؛ ولكن للأيدى التى حوله مقطعة لا تقدر على صفعه : أى ليس عنده من فيه خير . إذ رضوا بأن يملك عليهم مثله . يهجو من حوله من أصحابه لرضاهم بمثله وتأخرهم عن الإيقاع به . وهذا استطراد من المتنبي ، إذ خرج إلى هجاء كافور وأصحابه من رثاء فاتك .

(٣) يخاطب الزمان . يقول أبقيت أكذب الكاذبين الذين أبقيتهم ؛ أى هو - كافور - أكذب من بقى من الكاذبين ؛ وأخذت أصدق القائلين والسماعين - أى أصدق الناس - يعنى المرثى . فقولته أبقيته : صفة لكاذب ، و«من» : نكرة موصوفة بالجملة بعدها .

(٤) الريحه والريح : واحد ، وتتضوع : تفوح .

(٥) يقول : بعد موتك قرت دماء الوحوش ، وكانت كأنها تتطلع للخروج من أبدانها خوفا منك وجزعا . يعنى أنه كان صاحب طرد وصيد بمواصلته الغزوات وتبديه في الغلوات ، فبموته قرت دماء الوحوش . قدمه : فاعل قر . وقوله وكان : الضمير للدم . والواو : واو الحال . ويقال دابة نافر ، ولا يقال ... والتطلع : الاستشراف

وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السَّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوْتُ إِلَيْهَا سُوقَهَا وَالْأَذْرُعُ (١)
وَعَفَا الطَّرَادُ فَلَا سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ الْقَنَاةِ وَلَا حُسَامٌ يَلْمَعُ (٢)
وَلَى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشِيعٌ وَمُودِعٌ (٣)
مَنْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعٌ (٤)
إِنْ حَلَّ فِي فُرْسٍ فِيهَا رَبِّهَا كَسَرَى تَذِلُّهُ الرِّقَابَ وَتَخَضَعُ (٥)
أَوْ حَلَّ فِي رُومٍ فِيهَا قَيْصَرٌ أَوْ حَلَّ فِي عُرْبٍ فِيهَا تَبَعٌ (٦)

(١) ثمر السياط : العقد التي تكون في عذبانها . وأوت : عادت إليها ورجعت . والسوق : جمع ساق . يقول : حصل بموته الصلح بين الخيل والسياط لأنه أبدا كان يضربها بسياطه لتركض في قصد عدو أو طرد أو إغاثة مستصرخ، وهي - في شدة جريها أو كثرتة - كأن سوقها وأذرعها ليست منها ، كأنها كانت ترميها عن أنفسها . والآن لما ترك ركضها صارت أيديها وأرجلها كأنها عادت إليها .

(٢) يعنى بالطراد : مطاردة الفرسان في الحرب ؛ وعفا : درس وذهب ؛ والراعف الذى يسيل منه الدم - من رعاف الأنف - والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع يقول : ذهب ذلك واندرس بموته ؛ قال ابن وكيع : ومعنى البيتين من قول التيمي :

تَرَكْتُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِيَّ مُخْلَاةً وَقَدْ حَانَ الْوَرُودُ

وَعَادَرْتُ الْجِيَادَ بِكُلِّ مَرَجٍ عَوَاطِلَ بَعْدَ زَيْنَتِهَا تَرُودُ

(٣) و (٤) المخالم : الصديق ؛ وأصل الخلم : مريض الظبية أو كناسها تتخذه مألفا وتأوى إليه ، فهو من هذا ؛ والنادم : النديم ؛ وشيع الرجل : خرج معه عند الوداع ؛ و « من » - في البيت الثاني - فاعل ولي ؛ والمرتع : المرعى . يقول : ولي وذهب من كان ملجأ أوليائه ، وكان لسيفه مرتع في كل قوم من أعدائه وكل من كان يؤمه ويعول عليه وينادمه مشيعون غير مؤانسين ومودعون غير ملازمين . وذلك عند تشييعه إلى القبر .

(٥) و (٦) يقول ؛ إنه كان عظيما أينما كان حتى لو حل في العجم لكان ملكهم كسرى ، وكذلك في كل قوم ؛ فقوله ففيها : أى فهو فيها ؛ ومثله في البيت الثاني ؛ وكسرى : بيان لرب ؛ والجملة بعده : حال .

قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِي طَفْنَةٍ فَرَسًا وَلَكِنَّ النَّيْبَةَ أَسْرَعَ^(١)
لَا قَلْبَتِ أَيْدِي الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلَا حَمَلَتْ جَوَادًا أَرْبَعَ^(٢)

وقال في صباه :

بِأَبِي مَنْ وَدِدْتُهُ فَأَفْتَرَقْنَا وَقَضَى اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْتِمَاعًا^(٣)
فَأَفْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا التَقِينَا كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا^(٤)

* * *

-
- (١) فرساً : نصب على التمييز . يقول : كان أسرع الفرسان في الطعان ؛ أى كان إذا طعن لم يدرك ، ولكن النية كانت أسرع منه فأدركته .
(٢) يقول : إن الفرسان لا يحسنون الركض ولا الطعان بعده ؛ فهو يقول - على طريق الدعاء - : لا حمل الفرسان بعده رمحاً ولا حملت الخيل قوائمها .
(٣) بأبي : هذه الباء باء التقدية ؛ أى أفدى بأبي من وددته : أى جعل فداء له .
(٤) يقول : كان تسليمه على عند اللقاء توديعاً لفراسي ثانياً . وفي هذا يقول على ابن جيلة العكوك :

رَكِبَ الْأَهْوَالَ فِي زَوْرَتِهِ ثُمَّ مَا سَلِمَ حَتَّى وَدَّعَا
ويقول الآخر :

بِأَبِي وَأُمِّي زَائِرٌ مُتَقَنِّعٌ لَمْ يَخْفِ ضَوْءُ الْبَدْرِ تَحْتَ قِنَاعِهِ
لَمْ أَسْتَمِ عِنَاقَهُ لِلْقَائِهِ حَتَّى ابْتَدَأَتْ عِنَاقَهُ لَوْدَاعِهِ

قافية الفاء

وقال وقد سأله سيف الدولة عن وصف فرس يهديه إليه :

مَوْقِعُ اَلْخَيْلِ مِنْ نَدَاكَ طَفِيفُ
وَلَوْ أَنَّ الْجِيَادَ فِيهَا أَلُوفُ^(١)
وَمِنْ اللَّفْظِ لَفِظَةُ تَجَمُّعِ الوُصْفِ وَذَاكَ الْمَطْهَمُ الْمَعْرُوفُ^(٢)
مَالَنَا فِي النَّدَى عَلَيْكَ اخْتِيَارُ
كُلُّ مَا يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ^(٣)

(١) الطفيف : القليل الحقير - من قولهم : طف له الشيء ، وأطف ، واستطف : إذا أمكن ؛ فالطفيف : الممكن غير المتعذر . يقول : إن عطايك من الكثرة بحيث يعد ما أهديته من الخيل بالقياس إليها نذرا قليلا ، ولو كان في الخيل التي تهبها ألوف من الجياد .

(٢) المظم : التام الجمال . يقول : إن من الألفاظ التي توصف بها الخيل لفظة واحدة تجمع أوصافها ، وتلك اللفظة هي لفظة المظم ؛ يعنى أنك أمرتني أن أختار وصف فرس تهب إلى ، والذي أختاره هو المظم ، وهو المعروف عند أهله : أى أنه متى أطلق عند أرباب الخيل عرف أن ما يوصف به هو التام المحاسن الخالي من العيوب والإشارة بقوله وذلك ، إلى الوصف ، لأن المظم وصف .

(٣) يقول : إنك سألتني الوصف ، فذكرت وصفا واحداً امتثالاً لأمرك ، فأما الذي عندي فهو أن لا أختار لنا عليك فيما تهب ، لأن ما تمنحه جليل شريف ، لأنك جليل شريف .

وأهدى إليه رجل يعرف بأبي دلف بن كنداج هدية وهو معتقل بمحص ، وكان قد بلغه أنه ثلبه عند الوالى الذى اعتقله ؛ فكتب إليه من السجن (*) :

أَهْوَنُ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ وَالسَّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَا دُلْفٍ (١)
غَيْرَ اخْتِيَارٍ قَبْلْتُ بَرَكَ بِي
وَالْجُوعُ يُرْضِي الْأُسُودَ بِالْجَيْفِ (٢)

(*) كان أبو دلف هذا سجان الوالى الذى اعتقله وكار سديقاله من قبل . قال صاحب المصباح النبى : لما اشتهر أمر المتنبي ، وشاع ذكره ، وخرج بأرض سليمة - من عمل حمص فى بنى عدى - قبض عليه ابن على الهاشمى فى قرية يقال لها « كوتكين » وجعل فى رجله وعنقه خشبتين من خشب الصنصاف ، فقال المتنبي .

زَعَمَ الْمُقِيمُ بِكُوتَكَيْنَ بِأَنَّهُ مِنْ آلِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ
فَأَجَبْتُهُ مَذْصِرْتٍ مِنْ أَبْنَائِهِمْ صَارَتْ قِيودُهُمْ مِنَ الصَّنِصَافِ
ولما طال اعتقاله فى الحبس كتب إلى الوالى .

يَيْدِي أَيُّهَا الْأَمِيرُ الْأَرِيبُ لَا شَيْءَ إِلَّا لِأَنِّي غَرِيبُ
أَوَّلَامٌ لَمَّا إِذَا ذَكَرْتَنِي دَمَ قَلْبِي بِدَمْعِ عَيْنٍ يَذُوبُ
إِنْ أَكُنْ قَبْلَ أَنْ رَأَيْتَكَ أَخْطَا تَفَانِي عَلَى يَدَيْكَ أَتُوبُ
عَائِبٌ عَائِبِي لَدَيْكَ وَمِنْهُ خُلِقْتُ فِي ذَوِي الْعُيُوبِ الْعُيُوبُ
وهاتان القطعتان ليستا فى الديوان وتجددهما فى التذييل .

(١) أهون بكذا . أى ما أهونه - صيغة تعجب - والثواء . الإقامة . يريد مقامه فى السجن . يقول . ما أهون على هذه الأشياء ! أى أنى وطنت نفسى عليها ، ومن وطن نفسه على شيء هان عليه - وإن اختلف - كما قال كثير .

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس دلت
ولأنه شجاع قوى القلب صبور لا يهوله ذلك .

(٢) غير اختيار : حال ؛ والمصدر : فى تأويل اسم الفاعل ؛ والبر . الإحسان . يعنى به الهدية . وكان أبو دلف هذا قد بر المتنبي وهو فى السجن وأهدى إليه هدية .

كُنْ أَيُّهَا السَّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطُنْتُ لِلْمَوْتِ نَفْسَ مُفْتَرِفٍ^(١)
لَوْ كَانَ سُكْنَايَ فِيكَ مَنَقَصَةً لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدْفِ^(٢)

يقول : قبلت برك بي اضطرارا - لا اختيارا - لاحتياجي إليه ، كالأسد يرضى بأكل
الجيف إذا لم يجد غيرها لها . وفي مثل هذا يقول المهلبى الوزير .
ما كنتُ إلا كلحْمٍ مَيِّتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ
ومثله لأبى على البصير :

لَعَمْرُ أَيْلِكَ مَا أَنْتَسِبَ الْمَلَى إِلَى كَرَمٍ . وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنْ الْبِلَادُ إِذَا اقْشَعَرَّتْ وَصَوَّحَ نَبْتَهَا رُعْيَى الْمَهِشِمِ
ومثله قول الآخر :

فَلَا تَحْمَدُونِي فِي الزَّيَارَةِ لِمَنْقَى أَزُورُكُمْ كَمْ إِذْ لَا أَرَى مُتَعَلِّلَا
ومثله :

خُذْ مَا أَتَاكَ مِنَ اللَّثَا عِ إِذَا نَأَى أَهْلُ الْكَرَمِ
فَالْأُسْدُ تَفْتَرِسُ الْكَلَا بَ إِذَا تَعَذَّرَتِ الْغَنَمُ

(١) المعترف : الصابر على ما يصيبه ، ووطن نفسه : مهدها وذلكها . يقول
- للسجين - : كن كيف شئت من الشدة ، فإنى صابر عليك .

(٢) السكى . اسم بمعنى السكون . يقول : لو كان نزولى فيك يلحق بى قصا
لما كان الدر على شرف قدره ساكنا فى الصدف الذى لا قدر له . شبه نفسه فى السجن
بالدر فى الصدف . قالوا : وهو من قول أبى هفان .

تَمَجَّبَتْ دُرٌّ مِنْ شَيْبَى فَقَلَّتْ لَهَا لَا تَعْجِبِ فَطْلُوعَ الْبَدْرِ فِي الشَّدْفِ
وَزَادَهَا عَجَبًا أَنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ وَمَا دَرَّتْ دُرٌّ أَنْ الدَّرَّ فِي الصَّدْفِ

وقال يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي :

لِحَنِتَّةٍ أَمْ غَادَهُ رُفِيعَ السَّجْفِ لَوْحَشِيَّةٍ لَا مَا لَوْحَشِيَّةٍ شَنْفٌ ^(١)
نُفُورٌ عَرَّتْهَا نَفْرَةٌ فَتَجَادَبَتْ سَوَالِفُهَا وَالْحَلَى وَالْخَصْرُ وَالرَّذَى ^(٢)

(١) لحنية : أراد الحنية ؛ غذف همزة الاستفهام ؛ وقد جاء مثله في الشعر ، أنشد
سيبويه للأسود بن ينفرة :

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا شُعَيْثُ بْنُ سُهَيْمٍ أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مُنْقَرٍ ^(١)
ولعمركم بن ربيعة .

لَعَمْرُكَ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيَا بِسَمِيعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِيْثَانٍ ^(٢)
والغادة والغيذاء : المرأة الناعمة ؛ والسجف : جانب السر إذا كان بصفين ، وقوله
لوحشية : يجوز أن يكون استفهاما - كالأول - ويجوز أن يكون جوابا لنفسه ، كأنه
قال : ليس لحنية ولا لغادة ، بل هو لوحشية - أى لظبية وحشية - ثم رجع منكرا
على نفسه فقال : ما لوحشية شنف - والشنف : ما يعلق في أعلى الأذن - يعنى أن
السجف الذى رفع إنما رفع لإنسية لأن عليها شنفا ، واللوحشية لا شنف لها . يتعجب
من محاسن المحبوبة يقول : هذه التى رفع لها السجف حنية أم امرأة حسناء ؟ والعرب
إذا بالغت فى مدح شيء جعلته من الجن ، كما قال قائلهم :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يُعَلِّمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقُوسٍ مَالِهَا وَتَرُّ

(٢) السوالف : جمع السالفة ، صفحة العنق . وعمرتها : أصابتها ؛ والمراد بالحلى
هنا : عقدها . يقول : هى نفور طبعها وأصابتها نفرة حادثة فاجتمعت نفرتان : نفرة
أصلية ، ونفرة من رؤية الرجال فتجادبت سوافها والحلى : يعنى أن العقد الذى كانت
تحلى به جذب عنقها بشقه ، والعنق أمسكه ، فحصل التجاذب ، وردفها يجذب خصرها
لعظم الردف ودقة الخصر . هذا : والحلى مفرد حلى وحلى .

(١) يقول : ما أدرى أشعث من بنى سهم أم هم من بنى منقر ؟ وشعث حتى من تميم
ثم من بنى منقر ، فجعلهم أدياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم ، وسهم هنا
حتى من قيس . قال الشنتمرى : ويروى شعيب - بالباء - وهو تصحيف :

(٢) يقول : ألهانى النظر إلهن واشتغال البال بهن عن تحصيل رميمهن الجمار بـ «منى»
وعلم عدد المرات : أهى سبع أم ثمان ؟

وَحَيْلٌ مِنْهَا مِرْطُهَا فَكَأَنَّمَا تَنْثَى لَنَا خُوطٌ وَلَا حَظَنًا خِشْفٌ^(٢)
 زِيَادَةُ شَيْبٍ وَهِيَ نَقْصُ زِيَادَتِي وَقُوَّةُ عِشْقِي وَهِيَ مِنْ قُوَّتِي ضَعْفٌ^(٣)
 هَرَاقَتُ دَمِي مَنْ بِي مِنَ الْوَجْدِ مَا بَهَا
 مِنْ الْوَجْدِ الشَّقِيقُ لِي وَلَهَا حِلْفٌ^(٤)

(١) المرط : كساء من صوف أو خز ؛ وخيل منها مرطها : أى مثلها - من قوله تعالى : « يَحْيِلُ إِلَيْهِ مِنْ سَخَرَمٍ أَنَّهُا تَسْمَى » أى يرون ذلك كالحَيَال . فالجار من قوله منها : زائد ، كما فى قولهم : جاء يهز من عطفيه ؛ والخطوط : الفصن ؛ والخشف : ولد الظبية . يقول . إن مرطها - ثوبها - أَرَانَا ومثل لنا صورتها لدى تلك النفرة ، فإذا هى كفصن بأن يتثنى ، وظبي يرنو - ينظر - وخص القامة واللاحظ لأن المرط ستر محاسنها ولم يستر القد ولا اللحظ . وروى ابن جنى : وخبل - بالباء الموحدة - والخبل : الذى قطعت يده ، هذا أصله ؛ والمراد أن مرطها ستر محاسنها ، فكأن ذلك خبل منه لها . قالوا : وهو ينظر إلى قول ابن الرومى :

إِنْ أَقْبَلْتُ فَالْبَدْرَ لَاحَ وَإِنْ مَشَتْ فَالْفِصْنَ مَالٌ وَإِنْ رَنْتَ فَالرَّيْمُ

(٢) يقول : حالى - أو شأنى - زيادة شيب ، وهذه الزيادة على الحقيقة نقص زياتى أى نقص ما ازددت من الشباب ، وقوة عشق ، وهذه القوة ضعف : أى كلما قوى العشق ضعفت قوة البدن ، كما قال القائل :

وَأَسْرُهُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ زِيَادَتِي فِيهَا هُوَ الْفَقْصُ

وكما قال المتنبي - وقد تقدم - :

مَتَى مَا أَزْدَدْتُ مِنْ بَعْدِ التَّنَاهَى فَقَدْ وَقَعَ انْتِقَاصِي فِي أَزْدِيَادِي

(٣) هراقت : أراقت ، والهاء : بدل من الهمزة ؛ والحلف : اللزام . يقول :

أَرَاقَتُ دَمِي بِمِجْمَا تِلْكَ الَّتِي أَجِدُ بِهَا مِنَ الْحُبِّ مَا تَجِدُ بِي وَالشَّوْقُ لِي وَلَهَا مَلَاظِمٌ ، أَيْ أَنِ أَحْبَبْتُهَا كَمَا تَحْبِبُنِي ، وَأَشْتَقُ إِلَيْهَا كَمَا تَشْتَقُ لِي . قال ابن جنى : لو أمكنه أن يقول : بِي مِنَ الْوَجْدِ بِهَا مَا بَهَا مِنَ الْوَجْدِ بِي لَكَانَ أَشَدَّ اعْتِدَالًا ، لَكِنَّهُ - لِلْوِزْنِ - حَذَفَ بَعْضَهُ لِلْعَمَلِ . كما قال أبو تمام :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْبِلَادَ رَأَيْتَهَا تُثْرِي كَمَا تُثْرِي الرِّجَالَ وَتَعْدِمُ

أَرَادَ كَمَا يَعْدُمُونَ ، حَذَفَ

وَمَنْ كَلَّمَا جَرَدَتْهَا مِنْ ثِيَابِهَا كَسَاهَا ثِيَابًا غَيْرَهَا الشَّعْرُ الْوَحْفُ^(١)
وَقَابَلَنِي رُمَاتَنَا غَضْنَ بَانَةً يَمِينُ بِهِ بَذَرٌ وَيُمَسِّكُهُ حِقْفُ^(٢)
أَكِيدُ لَنَا يَا بَيْنُ وَاصَلْتَ وَصَلْنَا فَلَا دَارُنَا تَدْنُو وَلَا عَيْشُنَا يَصْفُو^(٣)
أَرَدُّ وَبِلِي لَوْ قَضَى الْوَيْلُ حَاجَةً وَأَكْثَرُ لَهْفِي لَوْ شَفَى غَلَّةَ لَهْفِ^(٤)
ضَنَى فِي الْهَوَى كَالشَّمِّ فِي الشَّهْدِ كَامِنًا لَذَذْتُ بِهِ جَهْلًا وَفِي اللَّذَّةِ الْحَتْفُ^(٥)
فَأَفَنِي وَمَا أَفْتَنَهُ نَفْسِي كَأَنَّمَا أَبُو الْفَرَجِ الْقَاضِي لَهُ دُونَهَا كَهْفُ^(٦)

(١) الوحف : الكثير الملتف . يقول : إن لها من الشعر الكثيف الملتف ما يقوم لها في سترها إذا عريت من الثوب مقام الثوب ، وهذا ينظر إلى قول القائل :
رأت عين الرقيب على تدان فأسبغت الظلام على الضياء

(٢) الحقف : ما اعوج من الرمل ؟ وأراد بالرماتين : ثديها ؛ وبالغصن : قدها وبالبدن : وجهها ؛ وبالحقف : ردفها ، يعني : أنها قامت عند الوداع بخدائي فقابلني من ثديها رماتان على قد كالغصن يميل وجه كالبدن ؛ والمعنى أنها إذا قصدت شيئا بوجهها مالت إليه نحو الوجه ، فكان وجهها يميل قامتها ، ثم يمسك الردف بثقله قامتها الخفيفة ، فلا تقدر على سرعة الحركة .

(٣) أ كيداً : أى أتكيد كيداً ؟ فهو منصوب على المصدر . يقول : أتكيد لنا أيها البين - البد - فتواصل وصلنا - أى تلازمه ؟ - أى كلما تواصلنا تعرض لنا ففترقنا فلا تدنو لنا دار ولا يصفو لنا عيش ؟ ومثله للبحترى :

فوا أسنى لو قاتل الأسفُ الجوى ولَهْفِي لَوَأْنُ اللَّهْفِ مِنْ ظَالِمِي يُجْدِي

(٤) ويل : كلمة يقولها كل واقع في هلكة ؛ واللَهْف : التحسر على ما فات ؛ والغلة : العطش وحرارة الجوف . يقول : إني أكرس القول بهاتين الكلمتين لو نفع القول بهما وترديدي إياها ، وهذا على حكاية ما كان يقول .

(٥) ضنى : مبتدأ محذوف الخبر : أى بى ضنى ، وهو شبه الهزال من المرض ؛ وكأنا : حال من السم ؛ وجهلاً : مفعول له ؛ والحنف : الموت . يقول : بى ضنى مستر كما يكن السم فى الشهد - العسل - إذا مزج به ، وقد استلذت الهوى جهلاً بذلك لضنى وحنفى فى تلك اللذة .

(٦) فأنفى : أى الضنى . والكهف - هنا - الملجأ ، ففاعل أنفى : ضمير الضنا ؛ وفى

قَلِيلُ الْكُرَى لَوْ كَانَتْ الْبَيْضُ وَالْقَنَا كَارَائِهِمَا أَغْنَتْ الْبَيْضُ وَالزَّغْفُ^(١)
يَقُومُ مَقَامَ الْجَيْشِ تَقْطِيبُ وَجْهِهِ
وَيَسْتَفْرِقُ الْأَلْفَاظَ مِنْ لَفْظِهِ حَرْفُ^(٢)
وَلَا قَدْ الْإِعْطَاءُ حَنْتَ يَمِينُهُ إِلَيْهِ حَنِينَ الْإِلْفِ فَارَقَهُ الْإِلْفُ^(٣)

الكلام تنازع : لك أن تجعل نفسى فاعل أفنت ، فيكون مفعول أفنى ضميرها محذوفا
لتأخر مرجعه لفظاوية : أى فأفناها ، وما أفنته نفسى ؛ ولك أن تجعلها مفعول أفنى ،
فيكون فاعل أفنت ضميرها مستترا . وكهف : خبر عن أبو الفرج . وله : حال مقدمة
عن كهف . والضمير : للضئى ، ودونها : صلة كهف . يقول : فأفنى الضئى نفسى وما أفنيته ،
كأن للمدوح كهف له دون نفسى فليست تقدر على إفنائه . وهذا من حسن التخلص .

(١) الكرى : النوم . والبيض الأولى - بكسر الباء - السيوف . والثانية - بفتح
الباء - جمع ريضة : الخوذة من حديد . والقنا : الرماح . والزغف : جمع زغفة ، الدرع
الينة . يقول : هو قليل النوم لاشتغاله بتدبير الحكم وسياسة الدولة وبما يعمل على حصوله
من المجد والعلاء ، وهو نافذ الآراء حتى لو كانت السيوف والرماح كآرائه فى النفاذ لما
أغنت الدروع والخوذ عن أصحابها شيئا ؛ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

يَقْظَانُ أَحْصَدَتِ التَّجَارِبُ عَقْدَهُ شَزْرًا وَتَقَفَ عَزْمُهُ ثَقِيْفَا

وَاسْتَلَّ مِنْ آرَائِهِ الشُّعْلَ الَّتِي لَوْ أَنَّهُنَّ طُبِعْنَ كُنَّ سِيَوْفَا

(٢) يقال : قطب وجهه : إذا جمع ما بين عينيه عبوساً . يقول : هو مهيب إذا
عبس روع الناس غضبه فلجأوا إلى الطاعة فقام ذلك مقام الجيش ، وإذا قال قام القليل
من كلامه مقام الخطب الطوال ، فهو لبلاغته يجمع للمعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلة .
وفى مثل هذا يقول البحتري :

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخُطْبِ اعْتَلَى فَصَلَ الْقِصَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ

(٣) يقول : ألفت يده الإعطاء حتى لو لم يعط لاشتاق يده إلى الإعطاء كما يحسن

الإلف إلى الإلف إذا فارقته . وفى مثله يقول أبو تمام .

وَاجِدٌ بِالْعَطَاءِ مِنْ بَرَاءِ الشُّوْ قِ وَجِدَانٍ غَيْرِهِ بِالْحَبِيبِ

ويقول غيره :

يَحْنُ إِلَى الْمَعْرُوفِ حَتَّى يُنِيلَهُ كَمَا حَنَّ الْإِلْفُ مُسْتَهَامٌ إِلَى الْإِلْفِ

أَدِيبٌ رَسَتْ لِعِلْمٍ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالِ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قَفٌ^(١)
 جَوَادٌ سَمَتْ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَفَهُ سُمُوا أَوْدَ الدَّهْرِ أَنْ أَسْمَهُ كَفٌ^(٢)
 وَأَضْحَى وَبَيْنَ النَّاسِ فِي كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي سَيَادَتِهِ خَلْفٌ^(٣)
 يُفَدُّونَهُ حَتَّى كَانَتْ دِمَاءُهُمْ لَجَارِي هَوَاهُ فِي عُرُوقِهِمْ تَقْفُو^(٤)
 وَقُوفِينَ فِي وَقَفَيْنِ شُكْرٍ وَنَائِلٍ فَنَائِلُهُ وَقَفٌ وَشُكْرُهُمْ وَقَفٌ^(٥)

(١) رست : ثبتت ؛ والقف : الغليظ من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلا ، واستعار لعله اسم الجبال لكثرة علمه وزيادته على علم الناس وعدة رسوخه ومئاته ، ولما استعار له اسم الجبال استعار لصدره الأرض ، لأن الجبال تكون على الأرض ثم فضلها على جبال الأرض فضل الجبال على القفاف ، يعنى أن جبال الأرض تصغر في جنب جبال العلم التي في صدره .

(٢) الجواد : الكريم المعطاء . وسمت : علت وارتفعت . وأود الدهر حمله على أن يود ويتمنى . والدهر : وعاء الخير والشر ، والعرب تعزو إليه ما يوجد فيه . يقول : إن لكفه الذكر العالى في كل خير لاوليائه وشر لأعدائه - لأنهما يصدران منه - حتى إن الدهر يتمنى أن يسمى كفا ليشارك كفه - الذى هو مجمع الخير والشر - في الاسم ، فيسمى الكف ولا يسمى الدهر ، لأن كفه أغلب فيهما من الدهر .

(٣) أضحى هنا : تامة ؛ والخلف : الاختلاف ؛ وخلف : مبتدأ ؛ خبره : بين الناس ؛ والجملة : حال . يقول : أضحى والناس يجمعون على سيادته لا يدافع في ذلك اثنان ، أما سيادة غيره ففيها اختلاف .

(٤) تقفو : تتبع . يقول : من حب النفس إياه يقولون له : نقديك بأنفسنا ، فكان هواه جرى أولا في عروقهم قبل الدم ثم تبعه الدم : أى أن حب الناس إياه أشد من حبهم أنفسهم ، قالوا : إنه ينظر إلى قول أبى تمام :

لَوْ أَنَّ إِجْمَاعَنَا فِي فَضْلِ سُودِدِهِ فِي الدِّينِ لَمْ يَخْتَلَفْ فِي الْمَلَةِ اِثْنَانِ
 وقول البحرى :

وَأَرَى النَّاسَ يَجْمَعُونَ عَلَى فَضْلِكَ مَا بَيْنَ سَيِّدٍ وَمُسُودٍ

(٥) وقوفين : نصب على الحال منه ومن الناس ، والعامل فيه يقدونه ، كما تقول دأيتك راكبين : أى أنا راكب وأنت راكب ؛ وأراد بالوقوف : الواقف . مصدر يوصف به الواحد والجمع ، والوقف : ما حبس على جهة مخصوصة ؛ وشكر : بدل تفصيل من

وَلَمَّا قَدَدْنَا مِثْلَهُ دَامَ كَشَفْنَا

عَلَيْهِ فَدَامَ الْفَقْدُ وَانْكَشَفَ الْكَشْفُ^(١)

وَمَا حَارَتِ الْأَوْهَامُ فِي عُظُمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الْطَّرَفُ^(٢)

وَلَا نَالَ مِنْ حُسَادِهِ الْفَيْضُ وَالْأَذَى بِأَعْظَمَ مِمَّا نَالَ مِنْ وَفَرِهِ الْعُرْفُ^(٣)

تَنَكَّرُهُ عِلْمٌ وَمَنْطِقُهُ حُكْمٌ وَبَاطِنُهُ دِينٌ وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ^(٤)

وقفين ؛ وبمثل : عطف عليه ؛ والنائل : العطاء . يقول : إن الناس والمدوح فريقان وافغان في شيئين وقفين - محبوسين - أحدهما على الناس منه وهو العطاء ، والثاني على المدوح من الناس وهو الثناء ؛ يعنى أنه أبدأ يعطى والناس أبدأ يشكرونه ، وفي مثل هذا يقول البحرى .

أعيال لهم بنو الأرض أم ما لهم راتب على الناس وقف

ويقول : ابن الرومى :

أمواله وقف على تنقيلتنا وثناؤنا وقف على تحقيقه

[تنقيلتنا : إصلاحنا - من نقل الحف أو النعل : رقعته وأصلحه] .

(١) كشفتنا : بحثنا ؛ والضمير في عليه للمثل . يقول : لما لم نجد مثله في الجهد والسخاء جعلنا نبحث عن أحد يشاكله ، وحاولنا ذلك واستفرغنا الجهد فدام الفقد ؛ أى لم نجد أحداً وانكشف : افتضح أو زال وبطل ، الكشف أى البحث - لأننا يئسنا من وجود مثله فهو منقطع النظر .

(٢) يقول : حارت الأوهام في عظم شأنه ، والطرف - النظر - في حسنه وجماله ، وليست حيرة الأوهام بأكثر من حيرة الطرف : أى أنه بلغ الغاية في العظمة والحسن (٣) الوفر : المال ؛ والعرف : الجود واصطناع المعروف . يقول : إن الحسد قد نال من حساده وأثر فيه نقصاً وهزالاً كما نال عطاؤه من ماله ونقصه ، وليس ذلك النقصان بأكثر من هذا . ومثله لديك الجن :

فقلت مقتلناك بالصَّبِّ ما تَقَلُّ جَدْوَى الأمير بالأموال

(٤) يقول : إذا فكر فإنما يفكر في العلم ، وإذا نطق فنطق بالحكمة . وباطنه ينطوى

على الدين ويظهر للناس الظرف والكياسة ومحاسن الأخلاق . قال الحريرى :

أَمَاتَ رِيَّاحَ اللُّؤْمِ وَفَى عَوَاصِفُ
وَمَغْنَى الْعَلَى يُودَى وَرَسْمُ النَّدَى يَغْفُو^(١)
فَلَمْ تَرَ قَبْلَ ابْنِ الْحُسَيْنِ أَصَابِعَا
إِذَا مَا هَطَلْنَ اسْتَحْيَتِ الدِّيمُ الْوُطْفُ^(٢)
وَلَا سَاعِيَا فِي قُلَّةِ الْمَجْدِ مُدْرِكَا^(٣) بِأَفْعَالِهِمَا لَيْسَ يَذْرُكُهُ الْوُصْفُ^(٤)
وَلَمْ تَرَ شَيْئًا يَحْمِلُ الْعَبَّ حَمْلَهُ وَيَسْتَصْفِرُ الدُّنْيَا وَيَحْمِلُهُ طَرَفُ^(٥)
فَتَى جَهْرُهُ ظَرْفُ وَبَاطِنُهُ تُقَى تَزَيْنَ مَا يُحْنِي بِصَالِحِ مَا يُبْدِي

قال ابن جني : هذه القصيدة من الضرب الأول من الطويل ، وعروض الطويل
أبدأ تجيء مقبوضة على مفاعلن ، إلا أن يصرع البيت ويكون ضربه مفاعيلن أو مفعولن
فيتبع العروض الضرب ، وليس هذا البيت مصرعا ، وقد جاء عروضه على مفاعيلن ،
وهو تخليط منه . وأقرب ما يصرف إليه أن يقال إنه رد مفاعل إلى أصلها وهي مفاعيلن
لضرورة الشعر ، كما أن للشاعر إظهار التضعيف وصرف مالا ينصرف وإجراء المعتل
عجري الصحيح وقصر المدود ونحو ذلك مما ترد فيه الأشياء إلى أصولها . قال الواحدى :
ولو هو قال ومنطقه هدى أوتقى : لصح الوزن .

(١) اللؤم : ضد الكرم — أى الحسة — والمغنى : المنزل ؛ ويودى : يهلك ، والرسم : أثر
الديار ؛ ويعفو : ينجى ؛ والواو — فى قوله ومغنى الملا — واو الحال . ولما استعار اللؤم
رياحاً استعار للعلى مغنى وللندى رسماً ؛ إذ أن الرياح تغفو الرسوم وتمحو المغانى . يقول
سكن المدوح رياح اللؤم بعد شدة هبوبها عن مغنى العلى ورسم الندى وقد كادت
تغفوها وتذهب بهما أى أن اللؤم كاد يغلب العلى والجود فأذهب بكرمه قوة اللؤم .
(٢) هطلت السماء . اشتد انصباب مائها ؛ والوطف . جمع الوطفاء ، وهى السحابة
المسترخية الجوانب لكثرة مائها ؛ والديم . جمع الديمة ، وهى المطر يدوم أياماً .
يقول : لم ير قبل هذا المدوح أحد إذا أعطى استحييت السحب وخجلت من عطائه .
وفى هذا يقول أبو نواس :

إِن السَّحَابَ لَتُسْتَحْيَى إِذَا نَظَرْتُ إِلَى نَدَاكَ فَقَاسَتْهُ بِمَا فِيهَا
(٣) قلة المجد : أعلاه يقول : إن المدوح أدرك بمساعيه الجسام وأفعاله الضخام فى
قلة المجد مالا يدركه الوصف ، وقد انفرد بذلك دون غيره .
(٤) العبء : الحمل الثقيل ، وحمله : مفعول مطلق ؛ والطرقت : انقرضت انكسرت .

وَلَا جَلَسَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ لِقَاصِدٍ وَمِنْ تَحْتِهِ فَرْشٌ وَمِنْ فَوْقِهِ سَقْفٌ^(١)
فَوَاعَجَبًا مِنِّي أَحَاوِلُ نَفْتَهُ وَقَدْ فَنَيْتَ فِيهِ الْقَرَّاطِيسُ وَالصُّحُفُ^(٢)
وَمِنْ كَثْرَةِ الْأَخْبَارِ عَنْ مَكْرُمَاتِهِ يَمُرُّ لَهُ صِنْفٌ وَيَأْتِي لَهُ صِنْفٌ^(٣)
وَتَفْتَرُ مِنْهُ عَنْ خِصَالِ كَانِهَا ثَنَائًا حَبِيبٍ لَا يُبَلِّغُ لَهَا رَشْفٌ^(٤)
قَصَدْتُكَ وَالرَّاجُونَ قَصْدِي إِيْلَيْهِمْ
كَثِيرٌ وَلَكِنْ لَيْسَ كَالذَّنْبِ الْأَنْفِ^(٥)

يقول : إنه يحمل من أفعال المهمات مالا يستطيع غيره حمله ويرى الدنيا صغيرة ، وهو مع ذلك يحمله طرف ، وذلك لعظمة نفسه . وبعد مررتى همته وقوة نبعده ؛ إذ العبرة بذلك لا ببسطة الجسم .

(١) جملة كالبحر المحيط بالدنيا في كثرة عطاياه وغزارة نداءه . يقول : لم يجلس قبله البحر لمن يقصده ومن تحته فرش يلقه ومن فوقه سقف يظله .

(٢) الضمير من «فيه» للنعت والقراطيس : جمع قرطاس ، الورق ، والصحف جمع الصحيفة : الكتاب . يقول : أعجب من نفسى كيف أحاول أن أبلغ وصفه وقد وصفه غيرى حتى فنيت القراطيس والصحف ولم يستوف حقه ؟ وفى مثل هذا المعنى يقول أبو تمام :

تَرَكْتَهُمْ سَيْرًا لَوْ أَنَّهَا كَتَبَتْ لَمْ تُبْقِ فِي الْأَرْضِ قَرطَاسًا وَلَا قَلَمًا

(٣) يقول : إن أخبار مكرماته كثيرة متوافرة لا حد لها ، ولذلك تتجدد ، يمر صنف منها ويأتى غيره . وهكذا حتى لا آخر لها ؛ ويجوز أن يكون الصنف من القصاد الذين يقصدونه : أى لكثرة ما يسمعون من تلك الأخبار يمر صنف قد صدروا عنه ويأتى صنف يقصدونه ، وقوله : له أى لأجله .

(٤) وتفتَر : أى الأخبار ؛ أى تسفر وتنجلي ؛ وأصله الابتسام إذا بدت له الأسنان والثنايا : الأسنان فى مقدم الفم ؛ والرشف : اللص ؛ شبه خصاله فى حسناتها وحلاوتها . بثنايا حبيب لا يمل مص ريقها .

(٥) يقول : إني قصدتك والحال أن الذين يرجون أن أقصدهم وأمدحهم كثير ، ولكنى آثرتك عليهم لأنك تفضلهم كما يفضل الأنف الذنب ، وفيه نظر إلى قول الخطيئة .

وَلَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ وَالتَّبَرُّ وَاحِدٌ نَفُوعَانِ لِلْمَكْدَى وَبَيْنَهُمَا صَرْفٌ^(١)
وَلَسْتُ بِدُونِ يُرْتَجَى الْغَيْثُ دُونَهُ وَلَا مُنْتَهَى الْجُودِ الَّذِي خَلْفَهُ خَلْفٌ^(٢)
وَلَا وَاحِدًا فِي ذَا الْوَرَى مِنْ جَمَاعَةٍ وَلَا الْبَهْضُ مِنْ كُلِّ وَلَيْكَنْكَ الضَّعْفُ^(٣)

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَوَّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
وقد كان الخطيئة مدح بهذا قوما كانوا ينزون بأنف الناقة وكانوا يكرهونه ، فلما
قال فيهم هذا غفروا بقلوبهم .

(١) نفوعان : أى هما نفوعان ؛ والبيضاء من النعت المراد به التأكيد كما فى أمس
الدار ؛ والتبر : الذهب . والمكدى : الفقير الذى لا خير عنده والصرف : الفضل ؛
تقول له على صرف : أى فضل ؛ والمراد بينهما تفاوت . يقول : ليس الذهب والفضة
سواء وإن اجتماعا فى النعمة ، وكذلك الفرق بينك وبينهم ؛ ومثل هذا لابن الرومى :

وجدتكم مثل الدنانير فيهم وسائر هذا الخلق مثل الدرام

(٢) الدون : الخسيس ؛ وقوله خلفه خلف ؛ خلفه : خبر مقدم ، منصوب على
الظرفية ؛ وخلف : مرفوع بالابتداء . يقول : لست خسيسا فيرتجى الغيث دونك ولا
ترجى أنت : أى أنت والغيث سواء فى رجاء الخير . وليس وراءك للوجود منتهى ، يعنى
أن الجود مقصور عليك لا يرتجى الجود دونك ولا يتجاوز عنك ، أى أنك الغاية
القصى للوجود التى من بلغ إليها لم يبق له مذهب وراءها ، كما قال بعضهم :

ما قصر الجود عنكم يا بنى مطر ولا تجاوزكم يا آل مسعود
يحل حيث حلتم لا يفارقكم ما عاقب الدهرين البيض والسود
وقال أشجع السلى :

فما خلفه لأمرى مطمع ولا دونه لأمرى مقنع

وقال أبو تمام :

إليك تنهى المجد من كل وجهة يصير فما يعدوك حيث تصير
وقد زاد أبو الطيب على هذا المعنى فأساء العبارة ، ورفع خلف لأنه جعله
اسما لا ظرفا .

(٣) ولا واحداً : عطف على خبر ليس - فى البيت السابق - . يقول : ولست
واحداً من جماعة الناس ولا بعضاً من كلهم ، وليكنك ضعف جميعهم ، أى أنت تنفى
غناهم وتزيد عليهم زيادة ضعف الشيء على الشيء .

وَلَا الضُّعْفَ حَتَّى يَنْبَغِ الضُّعْفَ ضِعْفُهُ وَلَا ضِعْفَ ضِعْفِ الضُّعْفِ بَلْ مِثْلُهُ^(١)
 أَقَاضِينَا هَذَا الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ غَلِطْتُ وَلَا الثَّلَاثَانِ هَذَا وَلَا النِّصْفَ^(٢)
 وَذَنْبِي تَقْصِيرِي وَمَا جِئْتُ مَادِحًا بِذَنْبِي وَلَكِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَعْفُو^(٣)

(١) يقول : ولست أيضا ضعف الورى حتى يكون ذلك الضعف ضعفين ، فتكون أنت ضعف ضعف الضعف . ثم تزيد على ذلك بأضعاف كثيرة حتى تبلغ ألفا : أى تكون ألف ضعف من هذا الضعف . والمعنى أنك فوق الورى بكثير ، ونصب مثله لأنه نعت نكرة - وهو ألف - قدم عليها ، ونعت النكرة إذا قدم عليها انتصب على الحال ، كما قال القائل :

* لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَلُ^(١) *

وَألف : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى بل أنت ألف مثله . وفى هذا البيت من الفثانة والتكلف والغلو ما ترى .

(٢) يقول : أنت أهل لما أثبتت به عليك ، ثم قال : غلطت - ليس هذا ثلثى ما أنت أهله ولا نصفه ؛ ولا الثلثان : عطف على محذوف ، دل عليه ما تقدم : أى لا الذى أنت أهله هذا ولا الثلثان منه . والهمزة فى أقاضينا : للنداء .

(٣) يقول : إن تقصيرى فى مدحك ذنب لى والذنب لا يمدح به ، فأنا لم أجيء مادحا ولكن جئت سائلا العفو عن هذا الذنب ، قال :

وَعِنْدِي أَيَادٍ جَمَّةٌ لَمْ أَجِدْهَا يَخْصُصُهَا عِنْدِي لِسَانًا مَعْبَرًا
 وَلَكِنْ جُهْدِي أَنْ أَقُولَ وَمَا عَسَى لَدَى الْجَهْدِ إِلَّا أَنْ يَقُولَ فَيُعْذَرَا
 ولأبى تمام :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مَذْنِبًا يَوْمَ أَتَيْتُكَ سَوَاكَ بِأَمَالِي لِفَتْتِكَ تَائِبًا

(١) عجزه :

* يَلُوحُ كَأَنَّهُ خَلَّلُ *

وهو لذى الرمة . والخلل - بالكسر - جمع خلة . قال الجوهري : الخلة واحدة خلل السيف ، وهي بطائن يخشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب .

وأخرج له أبو العشائر جوشناً حسناً* فقال كيف تراه فقال مرتجلاً :
 بِهِ وَبِمِثْلِهِ شُقَّ الصُّفُوفُ وَزَلَّتْ عَنْهُ مُبَاشِرُهُ الْخُتُوفُ^(١)
 فَدَغَّهُ لَقَى فَإِنَّكَ مِنْ كِرَامِ جَوَاشِنَهَا الْأَسِنَّةُ وَالسُّيُوفُ^(٢)

وكان أبو العشائر قد غضب على أبي الطيب فأرسل غلاماً له ليقوموا به فلحقوه
 بظاهر حلب ليلاً فرماه أحدهم بسهم وقال خذه وأنا غلام أبي العشائر ، فقال
 أبو الطيب* :

وَمُنْتَسِبٌ عِنْدِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ وَلِلنَّبْلِ حَوْلِي مِنْ يَدَيْهِ حَنِيفُ^(٣)

* الجوشن : الدرع .

(١) يقول : إن لابس هذا الجوشن - الدرع - يشق صفوف الأعداء يوم القتال
 آمناً على نفسه لحصاته ، ولا تعمل الختوف - الناي - في من لبسه .

(٢) لقي : أى ملقياً . يقول : ألقه ولا تلبسه فإن مثلك يدفع عن نفسه بالرمح
 والسيوف لمكانه من الشعاعة ولا يحتلج إلى الدروع ، وفي مثله يقول الآخر :

وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا حُصُونَ بَارِضِينَ نَلُودُ بِهَا إِلَّا الْقَنَا وَالْقَوَاضِبُ

* وكان ذلك بعد أن فارق أبو الطيب أبا العشائر واتصل بسيف الدولة ، وكان
 سيف الدولة قد رفع منزلته وأغدق عليه عطاياه ، فأوغر ذلك صدور قوم من حساده ،
 فسعوا به عند سيف الدولة حتى غيروه عليه ، فأنشده أبو الطيب القصيدة الميمية
 التي مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شيم ومن بحسمى وحالى عنده سقم

وفها يعرض بينى حمدان أبناء عم سيف الدولة ، وكان ذلك بحضور من أبي العشائر
 فلما خرج أبو الطيب ألحق به أبو العشائر بعض غلمانه ليقوموا به ، وقد تقدم ذلك
 في موضعه .

(٣) إلى من أحبه : يعنى أبا العشائر - يقول : هو منتسب إلى من أحبه ، ولكنه
 مع ذلك أراد قتلى ، فللنبل حوالى من يديه صوت يحف بى .

فَهَيِّجَ مِنْ شَوْقِي وَمَا مِنْ مَذَلَّةٍ حَنَنْتُ وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ أَلُوفٌ^(١)
وَكُلُّهُ وَدَادٍ لَا يَدُهُمْ عَلَى الْأَذَى دَوَامٌ وَدَادِي لِلْحُسَيْنِ ضَعِيفٌ^(٢)
فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ وَاحِدًا فَأَفْعَالُهُ اللَّائِي سَرَزَنَ أَلُوفٌ^(٣)
وَنَفْسِي لَهُ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَلَكِنَّ بَعْضَ الْمَالِكِينَ عَنيفٌ^(٤)

وقال في عبده إذ أخذ فرسه وأراد قتله :

أَعْدَدْتُ لِلنَّادِرِينَ أَسْيَافًا أَجْدَعُ مِنْهُمْ بَيْنَ آتَافًا^(٥)

(١) «من» الأولى : زائدة ؛ والثانية : للتعليل ، متعلقة بحننت . يقول : لما ذكر اسم أبي العشائر هاج شوقي وحنيني إليه ، وما كان شوقي إليه في هذه الحال ذلة ومهانة ولكن كرم طبع ، لأن الكريم طبعه الألفة .
(٢) على . بمعنى مع ؛ ودوام : نصب على المصدر ؛ وللحسين . متعلق بودادي ؛ وضعيف . خبر كل . يقول : إن كل وداد لا يدوم مع معاناة الأذى كما دام ودادي للحسين - أبي العشائر - هو وداد ضعيف .
(٣) واحداً : خبر يكن . يريد أن إحسانه أكثر من إساءته والقليل لا يعنى الكثير ولا يغلبه . يقول : إن ساءني بفعل واحد فقد سرني بأفعال كثيرة ؛ وفيه نظر إلى قول الآخر .

أَيَذْهَبُ يَوْمٌ وَاحِدًا نَاسَاتُهُ بِصَالِحِ أُمَيَّيْ وَحُسْنِ بَلَائِيَا
(٤) نفسى له : أى أنا مملوك له إذ أسرنى بإحسانه ، لكنه مالك عنيف لا يرفق بي ، كما قال الآخر :

* أُرِيدُ حَبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي *

وقوله : نفسى الفداء لنفسه : دعاء ؛ أى أقديه بنفسى .

(٥) يعنى بالنادرين عبيده الذين أرادوا أن يسرقوا خيله . يقول : أعددت لهم سيوفاً أجدة - أقطع - بها أنوفهم ، يعنى أذلهم بها وأنكل .

لَا يَرْحَمُ اللَّهُ أَرْوَسًا لَّهُمْ أَطْرَنَ عَنْ هَامِيْنٍ أَتَقَافَا^(١)
 مَا يَنْقِمُ السَّيْفُ غَيْرَ قَلْتِهِمْ وَأَنْ تَكُونَ الْمَثُوفَ آلاَفَا^(٢)
 يَاشِرًا لَّحْمٍ فَجَعَلْتَهُ بِدِيمٍ وَزَارَ لِلْخَامِعَاتِ أَجْوَاَفَا^(٣)
 قَدْ كُنْتَ أَغْنَيْتَ عَنْ سُؤَالِكِ بِي مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ لِي وَمَنْ عَافَا^(٤)
 وَعَدْتُ ذَا النَّصْلَ مَنْ تَمَرَّضَهُ
 وَخِفْتُ لَمَّا اعْتَرَضْتَ إِخْلَافَا^(٥)

(١) الهام : جمع هامة ، أعلى الرأس ؛ والأقحاف : جمع قحف - بكسر القاف - العظم الذى فوق الدماغ . يقول : لارحم الله رءوسهم التى أطارت السيوف قحوفها عن هامها ، فضمير « أطرن » للسيوف .

(٢) يقول : ما ينقم السيف - أى ما ينكر ويعيب ويكره - إلا قلة عددهم أى أن السيف يريد أن يكونوا أكثر حتى يأتى عليهم ويقتلهم جميعاً ؛ وأن تكون المَثُوفُ منهم آلافا حتى يقتل كل غادر وكل عبد سوء فى الدنيا . فقوله : وأن تكون أى وأن لا تكون ، لحذف « لا » وهو يريد بها .

(٣) جمعه : أوجمه بشئ يكرم عليه ؛ والخامعات : الضباع ، لأنها تخمخ فى مشيا - أى تمشى مشى الأعرج . يقول - لمن قتل من عبيده - : ياشر لحم أسلت دمه فجعته بذهاب دمه وتركته ملقى للضباع حتى أكلته فدخل أجوافها .

(٤) كأن هذا البعد سأل عاففاً عن حال اللئيم فذكر له من حاله ما زبن له القدر به . وقوله : سؤالك بى أى عنى ، كما قال تعالى « فاسأل به خيراً » وزجر الطير وعياقتها ضرب من التكهين كانت العرب تذهب إليه ، فكانت تنفر الطير ؛ فإن نفر عن يمين تفاءلت ، أو عن شمال تشاءمت . يقول - للبعد الذى قتله - : لقد كنت فى غنى عن أعمال الزجر والعيافة فى إقدامك على وتمرضك للقدر بى .

(٥) يقول : وعدت هذا السيف - يعنى سيفه - أن أضرب به من تعرض له وأحوج إلى ضربه ، ولما اعترضت لسيفى بالقدر بى وأخذ خيلى خفت إن تركت قتلك إخلاف ما وعدت السيف : أى أن لا أفى بوعدى إياه . فذا اسم إشارة ؛ ومن : مفعول ثان لوعدت ؛ وتمرضه : أى تعرض له ؛ والإخلاف : ترك الوفاء بالوعد ، وهو مفعول خفت .

لَا يُذَكِّرُ الْخَيْرُ إِنْ ذُكِرْتَ وَلَا تُتْبِعُكَ الْمَقَتَّلَانِ تَوَكَّافاً^(١)
إِذَا امْرُؤٌ رَاعَى بِفَدْرَتِهِ أَوْزَدَتْهُ الْفَيَاءُ الَّتِي خَافَ^(٢)

* * *

-
- (١) التوكاف : تفعال من الوكف ، وهو قطران الماء - جريانه - يقول : لم يكن
فيك خير تذكر به ولا تبكي عليك العين .
- (٢) يقول : إذا راعى - خوفى - امرؤ بفدريته كافأته بالقتل وهو غاية ما يخافه المرء

قافية القاف

وقال يمدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس دهاء وجارية :

أَيَذْرَى الرَّبْعُ أَى دَمِ أَرَاقَا وَأَى قُلُوبٍ هَذَا الرِّكْبِ شَاقَا^(١)
لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبُ تَلَّاقَى فِي جُسُومٍ مَا تَلَّاقَى^(٢)
وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا عَفَاهُ مِنْ حَدَائِبِهِمْ وَسَاقَا^(٣)

(١) أراق : سفك ؛ والركب : جماعة الركبان ، وهذا استفهام إنكار واستعظام لما فعله الربع من قتله بشوقه إلى أحبته . يقول : هل يدرى هذا الربع - ربع الأجنة - ما فعل من إراقة دمي وما هاج في قلبي من الشوق ، وذلك أن وقوفه بالربع هيج شوقه وجدد له ذكر الأجنة ، فكان البكاء والنحيب ، وكانت اللوعة والأسى . وكان حق الكلام أن يقدم « شاق » على « أراق » ، لأن الربع إذا لم يشق لم يرق الدم ، لكن الواو لا توجب الترتيب ؛ أو تقول إنه ابتداء باللام ثم عاد إلى ذكر سببه ، وهو الشوق ، وشاقه يشوقه : حمله على الشوق .

(٢) تلاقى : أى تلاقى ، فحذف إحدى التاءين . يقول : لنا وللذين كانوا أهل هذا الربع - يعنى الأجنة - قلوب تلاقى في جُـسُومٍ ما تلتاقى ، يعنى نحن نذكرهم وهم يذكروننا ، فكأننا تلتاقى بالقلوب وإن لم تلتاق بالأشخاص كما قال ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنَلْتَقَى بِالذِّكْرِ إِن لَّمْ نَلْتَقِ

(٣) عفنه الريح : درسته . يقول : لم تدرس الرياح لهذا الربع منزلا ، فلا ذنب للريح في دروس منازلها ، إنما عفاه الحادى الذى ساق الإبل بأهله فلو لم يخرجوا منه لما درس الربع . وهذا كما قال أبو الشيص :

مَا فَرَّقَ الْأَلْفَ بَنَ دَ اللَّهُ إِلَّا الْإِبِلُ
وَالنَّاسُ يَلْحَوْنَ غُرَا بِ الْبَيْنِ لِمَا جَهِلُوا
وَمَا إِذَا صَاحَ غُرَا بٌ فِي الدِّيَارِ احْتَمَلُوا
وَلَا عَلَى ظَهْرِ غُرَا بِ الْبَيْنِ تَطْوَى الرَّحْلُ

فَلَيْتَ هَوَى الْأَحْبَةِ كَانَ عَذْلًا فَحَمَلَ كُلَّ قَلْبٍ مَا أَطَاقًا^(١)
 نَظَرْتُ إِلَيْهِمْ وَالْمَيْنُ شَكَرَى فَصَارَتْ كُلُّهَا لِلدَّمْعِ مَاقًا^(٢)
 وَقَدْ أَخَذَ التَّمَامَ الْبَذْرُ فِيهِمْ وَأَعْطَانِي مِنَ السَّقَمِ الْمُحَاقًا^(٣)
 وَبَيْنَ الْفَرْعِ وَالْقَدَمَيْنِ نُورٌ يَقُودُ بِلاَ أَرْمَتِهَا النِّيَاقًا^(٤)

وَمَا غَرَابُ الْبَيْنِ إِلَّا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلٌ

(١) يريد أن العشق بلغ منه الغاية ، وأن الهوى حمله مالا يطيق لجار عليه يشير إلى أنه أعشق العشاق ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

فِيَارَبِّ قَدْ حَمَلْتَنِي فَوْقَ طَاقَتِي مِنَ الْحُبِّ حَمَلًا قَاتِلِي فَوْقَ مَا بَيَا
 وَإِلَّا فَسَاوِ الْحُبَّ يَا رَبَّ سَيْنَنَا يَكُونُ سِوَاءَ لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

(٢) عين شكرى : ملأى بالدمع ؛ وللاق : طرف العين مما يلي الأنف وهو مخرج الدمع من العين . يقول : نظرت إلى الأحبة لدى ارتحالهم والعين ممتلئة بالدموع فسال الدمع من جميع جوانبها لامتلائها به حتى كان جميع الجوانب ماق يسيل الدمع منه ، يشير إلى غلبة السكاء من لوعة الفراق .

(٣) المحاق - بضم الميم ، وكسر ها - نقصان القمر آخر الشهر ؛ والتمام : السكال ، وقد طابق بين التمام والمحاق . يقول : لما ارتحلوا أخذ الحبيب الذى هو كالبدر فيهم السكال في الحسن والإشراق ، وأنا لسمي كأنه أعطانى المحاق يعنى : أن الحبيب كان في الحسن كالبدر كله نور وبهاء وكنت أنا في الدقة والنحول كالقمر في المحاق ، وقد أخذ هذا القائل :

يَأْمَنُ بِحَاكِي الْبَدْرِ عِنْدَ تَمَامِهِ إِزْحَمَ فَنَى يَحْكِيهِ عِنْدَ مُحَاقِهِ

(٤) الفرع : الشعر ؛ والأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة ، والنياق : جمع ناقة . وقوله : بين الفرعين والتقدمين ظرف لنور وما يليه في البيتين التاليين ، والضمير في أزمتهما : للنياق ، وجاز تقديمه لأنه مؤخر في الرتبة . لما جعله بدرًا والبدر لا يخص النور بصفه بأنه من فرقه إلى قدمه نور ، وأن نياق الركب تهتدى بنوره فكأنه يقودها بلا أزمة ؛ ويجوز أن يريد بالنور وجهه ، وذلك أنه أراد أن يذكر تفاصيل المحاسن التي بين شعره وقدميه ، فبدأ بالوجه ثم نى بالطرف ثم ثلث بالخصر ، وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي الصنابغة :

وَطَرَفُ إِنْ سَقَى الْعُشَّاقُ كَأْسًا بِهَا نَقَصُ سَقَانِهَا دِهَاقًا^(١)
وَحْضَرُ تَنْبَتُ الْأَبْصَارُ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقِ نِطَاقًا^(٢)
سَلِيَ عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَنِي وَرُغِي وَالْهَمْلَمَةُ الدَّفَاقًا^(٣)
تَرَكَنَا مِنْ وَرَاءِ الْعَيْسِ نَجْدًا وَنَكَبْنَا السَّهَاةَ وَالْعِرَاقًا^(٤)
فَمَا زَالَتْ تَرَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَلِكِ اثْنَلَاقًا^(٥)

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْشُوكَ لَقَادَمُ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِكَ الرِّكْبُ
(١) دِهَاقًا: مَلَأَى. يَقُولُ: وَلَهُ طَرَفٌ سَاحِرٌ إِذَا سَقَى عَشَاقَهُ كَأْسًا نَاقِصَةً سَقَانِهَا
مُتْرَعَةً، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَحْشَى الْعُشَّاقَ لَهُ، وَفِيهِ نَظَرٌ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ:
وَمَا لَيْسَ الْعُشَّاقُ مِنْ حُلَلِ الْهَوَى وَلَا أَخْلَقُوا إِلَّا الشَّيْبَ الَّذِي أَيْلَى
وَلَا شِيرَبُوا كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ حُلُوةً وَلَا مُرَّةً إِلَّا شَرَابُهُمْ فَضْلِي
(٢) يَقُولُ: إِنْ الْأَبْصَارُ تَنْبَتَتْ فِي حَضْرِهِ اسْتَحْصَانًا لَهُ وَتَكَثَّرَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوَانِبِ
حَتَّى تَصِيرَ كَالنِّطَاقِ عَلَيْهِ. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَشَّارُ:

وَمُكَلَّلَاتٍ بِالْعُيُودِ نِ طَرَفَنِي وَرَجَعَنْ مَلَسًا
[يُرِيدُ بِشَارِ أَنْهِنَّ - لِحُسْنِهِنَّ - تَمَلُّو الْأَبْصَارَ إِلَى وَجُوهِهِنَّ وَرَدَّوْهُنَّ حَتَّى كَانُوا لَمْ يَكِيلُوا مِنَ الْعُيُودِ. وَمَلَسًا: أَيْ لَمْ يَلْقُ بِهِنَّ أَذًى وَلَا رِيَّةً] وَيَقُولُ أَبُو الصَّاهِبِ:
أَحَاطَتْ عُيُونُ الْعَاشِقِينَ بِحَضْرِهِ فَهِنَّ لَهُ دُونَ النِّطَاقِ نِطَاقُ
(٣) الْمُهْلَمَةُ: الْبَاقَةُ السَّرِيعَةُ؛ وَالْهَمْلَمَةُ: التَّدْفِيقَةُ فِي السَّرِّ. يُخَاطَبُ مَحْبُوبَتَهُ يَقُولُ:
سَلِيَ عَنْ حَالِ سِيرَتِي هَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَجْبُرُكَ بِإِقْدَامِي وَتَجْلِدِي لِلْأَهْوَالِ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ وَحْدَهُ
لَمْ يَصْغِبْهُ غَيْرُ مَا ذَكَرَ فَلَا يَسْتَجِيرُ عَنْ سِيرَتِهِ غَيْرَ الْفَرَسِ وَالرَّمَحِ وَالسَّيْفِ وَالنَّاقَةِ.
(٤) الْعَيْسُ: الْإِبِلُ الْبَيْضُ؛ وَنَكَبَهُ: عَدَلَ عَنْهُ؛ وَالسَّهَاةُ: فَلَاحَةُ بَيْنَ الشَّامِ
وَالْعِرَاقِ. يَقُولُ: خَلَفْنَا - فِي قَصْدِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ - نَجْدًا وَرَاءَنَا وَمَلْنَا عَنْ طَرِيقِ
السَّهَاةِ وَطَرِيقِ الْعِرَاقِ وَامْتَوَانَا حَلَبَ.
(٥) تَرَى: أَيْ الْعَيْسُ؛ وَدَجَى اللَّيْلُ: أَظْلَمَ؛ وَالْإِثْلَاقُ: الْبَرِيقُ وَالْإِلْتِمَاعُ؛ يَقَالُ:
إِثْلَاقُ الْبَرَقِ وَتَأْلُقُ: إِذَا لَمَعَ. يَقُولُ: لَمْ تَزَلْ الْعَيْسُ تَرَى نُورَ وَجْهِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ فِي ظِلْمَةِ
اللَّيْلِ يَسْطَعُ لَهَا فَتَسْتَبِيعُ بِهِ وَيَقْتَادُهَا، وَهَذَا مِنْ قَوْلِ سَجِيمَ:

أَدِلَّتْهَا رِيَّاحُ الْمِسْكِ مِنْهُ إِذَا فَتَحَتْ مَنَاخِرَهَا أَنْتِشَاقًا^(١)
أَبَاحَكَ أَيُّهَا الْوَحْشُ الْأَعَادَى فَلَمْ تَتَعَرَّضِينَ لَهُ الرِّفَاقًا^(٢)

إذا نحنُ أدلجنا وأنتَ أمّنا
ومثله قول أبي الطمحان القيفي :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ ثَاقِبُهُ^(١)
(١) انتشاقًا : حال ، أو مفعول له . يقول : أدلة العيس في طريقها إلى سيف
الدولة انتشاقها رياح المسك منه إذا فتحت مناخرها ، وفي مثل هذا المعنى يقول ابن
الرومي :

فَهَدَّتْ عُيُونُهُمْ لَهُ أَضْوَاؤُهُ وَهَدَّتْ أَنْوْفُهُمْ لَهُ أُرْوَاغُهُ
ويقول أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِي لَنَا مَنَزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَفْشِقُ
ولعلمهم يريدون المعنى المجازي فيريدون بريحه طيب ثنائه ويريدون باتلاقه مجده
ومكافئه ؛ فعبروا عن المعنوى بالحسي مبالغة في ظهوره حتى أدركته النياق فاهتدت
به إليه .

(٢) التعرض : القصد ؛ والرفاق : جمع رقة ، وهى الجماعة فى السفر . يقول : -
للوحش - إن سيف الدولة أباحك أعداءه بأن قتلهم وجعلهم طعمة لك ، فلم تقصدى
الرفاق التى تسير إليه ؟ وهو يشير بذلك إلى كثرة إيقاعه بمن يخالفه وشدة استظهاره على
من يعارضه ويخفر ذمته ، قال الواحدى قوله : فلم تتعرضين الرفاقا ، تقديره فلم تعرضين
الرفاق له : أى رفاقه .

(١) الجزع - بفتح الجيم ، وكسرهما - ضرب من الخرز الجمالى فيه يياض وسواد
تشبه به العيون . وقبل البيت :

وإِنِّى مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سِيدُ قَامِ صَاحِبِهِ
نَجُومُ سَمَاءِ كَلَّمَا غَارَ كَوْكَبٌ بَدَأَ كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وبعد :

وما زال منهم حيث كانوا مُسَوِّدَ تَسِيرِ الْمَنَازِلِ حَيْثُ سَارَتْ رِكَابُهُ
إلى أبيات يمدح بها أبو الطمحان بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائى .

وَلَوْ تَبَعْتَ مَا طَرَحْتَ قَنَاءُ لَكَفَكَ عَنْ رَذَائِنَا وَعَاقًا^(١)
وَلَوْ سِرْنَا إِلَيْهِ فِي طَرِيقٍ مِنَ النَّيِّرَانِ لَمْ نَخَفِ احْتِرَاقًا^(٢)
إِمَامٌ لِلْأُمَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَنْ يَتَّقُونَ لَهُ شِقَاقًا^(٣)
يَكُونُ لَهُمْ إِذَا غَضِبُوا حُسَامًا وَلِلْهَبِجَاءِ حِينَ تَقُومُ سَاقًا^(٤)
فَلَا تَسْتَفْهِكِرَنَّ لَهُ ابْنِسَامًا إِذَا فَهِقَ الْمَكْرُ دِمَا وَضَاقًا^(٥)

(١) تبع : بمعنى اتبع ، والقنا : الرماح . والرذايا : المهازيل من الإبل ، واحدها رذية : ما هزل من الإبل وانقطع عن السير فلا يستطيع براحا ، يقول : لو تبعت أبها الوحش ما طرحت رماحه من القتل لكفك ذلك عن مطايانا ولكن لك فيه غناء عن التمرض لنا - لكثرت .

(٢) يقول : نحن آمنون في طريقنا إليه حتى لو سرنا في النيران ما قدرت على إحراقنا ، يريد أن الخوف من سطوته شامل فالسالكون إليه في أمن وطمأنينة . ومثله لأبي تمام :

قَمَضَى لَوَانَ النَّارِ دُونَكَ خَاضَهَا بِالسَّيْفِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ النَّارَا
« يريد جهنم » ولأبي حية النخري :

لَوْ أَنَّ جَمْرَ النَّارِ دُونَ بِلَادِهِمْ لَعَلِمْتَ أَنَّ جَمْرَهَا مُتَخَوِّضٌ

(٣) من قريش : حال من الأئمة . يقول : هو إمام للخلفاء - يعني خلفاء بني العباس - إذا شاقهم عدو - أي تمرد عليهم - يهذرون شقائه - خلافه وعصيانه - تقدمهم إليه وكفاهم ذلك العدو ، وذلك لعل قدره وارتفاع أمره وشدة سطوته . فقوله إلى من يتقون : متعلق بما في إمام من معنى التقدم ، وقد بين هذه الإمامة في البيت التالي .

(٤) يقول : فهو سيفهم الذي يبطشون به عند غضبهم ، وإذا قامت حرب فهو ساقها الذي تعتمد عليه .

(٥) الفهق : الامتلاء ، ومنه التفهيق الذي يفهق فيه بالكلام . والمكر : مجال الحرب . يقول : لا تنسكرب تبسمه في أهوال ساعة الحر وهو عند ضيق المكر بازدهام الأبطال وامتلائه بالدم ، يعني أنه ملك عظيم إذا رام مطلباً أدركه بالأسلحة والحيل ، ثم بين علة ترك الإنكار لتبسمه في البيت التالي وفيه مثل هذا يقول البحري :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهْجَ الْعَوَالِي وَحَمَلَتْ هُمُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ^(١)
 إِذَا أُتْمِلْنَ فِي آثَارِ قَوْمٍ وَإِنْ بَعْدُوا جَمَلَنَّهُمْ طِرَاقًا^(٢)
 وَإِنْ نَقَعَ الصَّرِيحُ إِلَى مَكَانٍ نَصَبْنَ لَهُ مُؤَلَّلَةً دَقَاقًا^(٣)
 فَكَانَ الطَّمَنُ بَيْنَهُمَا جَوَابًا وَكَانَ اللَّبْتُ بَيْنَهُمَا فَوَاقًا^(٤)

ضَحُوكُ إِلَى الْأَبْطَالِ وَهَـ بِرُوعُهُمْ وَالسَّيْفِ حَدَّ حِينَ يَسْطُورُونَ نَقُ

(١) المهج : الأرواح ، والعوالى : الرماح ؛ وهمه : همته ؛ والعناق : الخيل الكرام يقول : لا تنكر ابتسامه في هذه الحالة لأنه لا كلفة عليه في الحرب إذ أن الرماح قد ضمنت له أرواح أعدائه ، وإذا هم بأمر أدركه على ظهور خيله ، فقد حملت همته ، وقد كشف عن هذا المعنى في البيت التالى .

(٢) إنعال الخيل : تصفيح أيديها بالحديد ، والطراق : نعل تحت نعل . يقول : إذا أتملت خيله لقصد قوم أدركتهم فداستهم بهوافرها حتى تصير جلودهم ولحومهم طراقا لنعالها وإن بعد المطلوبون ، ومثل هذا لأبى الأخرز الحماني :

لَمْ تَشْكُ خَيْلُهُمُ الْوَجْعَ مِنْ رَوْحَةٍ إِلَّا انْتَعَلْنَ مِنْ الدَّمَاءِ قَتِيلًا
 (٣) نقع : ارتفع صوته وبعد . والصريح : المستغيث . وضير نصبن للخيل والمؤلة المحددة ، يريد آذانها وآذان الخيل توصف بالدقة . قال الشاعر :

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْبِطِ النَّفْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَفْلَامٍ

يقول : إذا سمعت الخيل صوت المستغيث نصبت آذانها الرهفة لاستماعه لأنها تعودت إجابة المستغيث وإن كان يدعو غيرها ، وهذا معنى قوله إلى مكان : أى إلى مكان سوى مكانهن .

(٤) الضمير في بينهما للصريح والخيل : والفواق - بضم الفاء ، وفتحها - مقدار ما بين الحلبتين ، ويضرب مثلاً في السرعة . والفواق أيضاً : الشهقة الغالبة للإنسان يقول : إن خيله متى دعاها المستغيث كان جوابها الطعام من غير بطء في إجابته فتجعل الطعن جواباً ، ومقدار اللبث بين الإجابة وبين دعاء المستغيث مقدار فواق ناقة ، أو فواق إنسان : أى لا لبث بينهما . والله سلامة بن جندل حين يقول :

كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارِخٌ فَرِيعٌ كَأَنَّ الصَّرَاخَ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ^(١)

(١) يقول : إذا استغاث بنا مستغيث ، كان جوابه الجدى فى نصرته ، ويحال قرع

مَلَايَئِقَةٌ نَوَاصِيهَا النَّايَا مُسَوِّدَةٌ فَوَارِسُهَا الْعِنَاقَا^(١)
تَبَيَّتْ رِمَاحُهُ فَوْقَ الْهَوَادِي وَقَدْ ضَرَبَ الْعِجَاجُ لَهَا رَوَاقَا^(٢)
تَعْمِلُ كَأَنَّ فِي الْأَبْطَالِ خَرًّا عُلِّلْنَ بِهَا أَصْطَبَاحًا وَاعْتَبَاقَا^(٣)
تَعَجَّبَتِ الْمَدَامُ وَقَدْ حَسَاهَا فَلَمْ يَسْكُرْ وَجَادَ فَمَا أَفَاقَا^(٤)

(١) النواصي : جمع ناصية : شجر مقدم الرأس ؛ وملاية ومعاودة : حالان من الخيل ؛ والعامل فيهما : المصدر - من قوله وكان الطعن يقول : إن خيله تلقى نواصيها الناياء مقدمة عليها بوجهها بسرعة وقد اعتادت نواصيها معاينة الأبطال في الحرب ، قالوا : والمعاينة آخر حالة في الحرب ؛ وأولها الملاقة من بعيد ، ثم المراماة بالسهم ، ثم المنازلة بالرمح ، ثم المنازلة إلى الاقتران ، ثم المعانقة .

(٢) أراد - - بالهوادي : أعناق الخيل ؛ والعجاج : الغبار . يقول : تبئت رماحه معروضة فوق أعناق خيله في سراه إلى عدوه فلا ينزل بالليل أخذا بالحزم ، وكأنها من الغبار الذي تثيره تحت رواق ، وهو من قول ابن الرومي :

وإعمالى إليك بها المطايا وقد ضرب العجاجُ بها رواقا

(٣) الملل : الشرب مرة بعد أخرى ؛ والاصطباح : الشرب في الصباح ؛ والاعتباق الشرب في العشي . يقول : تميل هذه الرماح كأن دم الأبطال خمر علت بها أصباحاً وغبوقاً فهي لسكرها تميل ، وميلانها إنما هو لينها وفيه إشارة إلى أنه كثير الغارات لا تفتر خيله جائلة غدواً وعشياً وفي مثل هذا يقول البحري :

يتعثرون في النحور وفي الأو جُه سكرًا لما شربن الماء

(٤) حساها : شربها . يقول : شرب سيف الدولة الخمر فلم تغلبه الخمر على عقله حتى تعجبت حين لم تقدر عليه ، وذلك لقوته ومتانته ، ولما جاد بالمال لم يبق من سكر الجود ولم يصح من أريحته ، وقد أحسن البحري في هذا المعنى إذ يقول :

تسكرمت من قبل الكئوس عليهم فما استطعن أن يُحدثن فيك تكرما

لهذا الأمر ظنبوبه : إذا جد فيه ؛ والظنبوب : طرف العظم اليابس من الساق فجعل قرع الصوت على ساق الخف قرعا للظنبوب .

أَقَامَ الشَّعْرُ يَنْتَظِرُ الْعَطَايَا ، فَلَمَّا فَاقَتْ الْأُمُطَارَ فَاقًا^(١)
 وَزَنَا قِيَمَةَ الدَّهْمَاءِ مِنْهُ وَوَفَيْنَا الْقِيَانَ بِهِ الصَّدَاقَ^(٢)
 وَحَاشَا لِارْتِيَاكِ أَنْ يُبَارَى وَلِلْكَرَمِ الَّذِي لَكَ أَنْ يُبَاقَى^(٣)
 وَلَكِنَّا نَدَاعِبُ مِنْكَ قَرْمًا تَرَاجَعَتِ الْقُرُومُ لَهُ حَقَاقًا^(٤)
 فَتَى لَا تَسْلُبُ الْقَتْلَى يَدَاهُ وَيَسْلُبُ عَفْوُهُ الْأَسْرَى الْوُثَاقَا^(٥)

(١) يقول : أقام الشعر يبابه ينتظر عطاياه ، فلما فاقت عطاياه الأمطار في كثرتها فاق الشعر الامطار كذلك ؛ يعنى كثرت عطاياه وكثرت الأشعار في مدحه .

(٢) الدهماء : يريد الفرس الدهماء ؛ أى السوداء ؛ والقيان : جمع قينة ، الجارية للعبية وغير المغنية . والصداق مهر المرأة . وكان سيف الدولة أعطاء فرساً وجارية يقول : وزنا قيمة الفرس من الشعر وبذلنا مهر الجارية منه : أى ملكنا الفرس والجارية بالشعر . يريد أنه كافأ هبته بمدحه . قال العكبرى : وسمى قيمة الجارية صداقا لأن القيمة للأمة ، كالصداق للحررة ؛ لأنها تستحل بالثمن كما تستحل الحررة بالمهر .

(٣) حاشا : كلمة للاستثناء والتبديد للشيء ؛ والارتياح : الاهتزاز للبذل ويبارى : يجارى . ويباقى : يغالب من البقاء . وقد استدرك في هذا البيت ما ذكره في البيت السابق من أنه كافأه بالشعر . يقول : حاشا لارتياحك للعطاء أى لجودك ، أن يبارى بشيء ، فهو أكثر من أن يعارضه شيء . وحاشا لكرمك أن يباهى بالبقاء فهو أبقي من كرم غيرك ، يعنى أن جوده وكرمه أكثر وأبقى من شعرنا الذى نجازيها به .

(٤) منك تجريد ؛ والقرم : الفحل الكريم من الإبل ، ثم أطلق على السيد الشريف ؛ والحقاق : جمع حقة ، وهى التى دخلت فى السنة الرابعة من النوق فاستحقت الركوب والحمل . يقول : بيد أنى قلت ذلك - أى أنا وزنا قيمة الفرس والجارية من الشعر - ممازحة ، فنحن نداعب منك سيداً كل سيد ، فى جنبه يتصاغر حتى يصير كالحقة فى جنب الفحل الكريم .

(٥) يقول : إذا قتل قتيلا لم يأخذ سلبه ترفماً عن ذلك ولكن عفوه يسلب أسراه أغلالهم وقيودهم : أى يعفو عنهم ويطلقهم ؛ والأصل فى هذا المعنى قول عنزة :

يُخْبِرُكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقِيمَةَ أَنَّنِي

أَغْنَى الْوَعَى وَأَعِفُّ هُنْدَ الْمُضْمِ

وَلَمْ تَأْتِ الْجَمِيلَ إِلَى سَهْوٍ وَلَمْ أَظْفَرْ بِكَ مِنْكَ أُسْتَرَاقًا^(١)
فَأَبْلَغَ حَاسِدِيَّ عَلَيْكَ أَنِّي كَبَا بَرْقٌ يُجَاوِلُ بِي لَحَاقًا^(٢)
وَهَلْ تُغْنِي الرِّسَالَةُ فِي عَدُوٍّ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غُلْبِي رِقَاقًا^(٣)
إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّ بِهِمْ لَيْبٌ فَلَانِي قَدْ أَكْثَرَهُمْ وَذَاقًا^(٤)
فَلَمْ أَرِ وَدَّهْمٌ إِلَّا خِدَاعًا وَلَمْ أَرِ دِينَهُمْ إِلَّا نِفَاقًا
يُقَصِّرُ عَنْ يَمِينِكَ كُلُّ بَحْرِ وَعَمَّا لَمْ تُلْقَهُ مَا إِلَّا قَا^(٥)
وَلَوْلَا قُدْرَةُ الْخَلْقِ قُلْنَا أَعْمَدًا كَانَ خَلْقُكَ أَمْ وَفَاقًا^(٦)

(١) يقول : إنك لم تحسن إلى غفلة منك وإنما عن علم وتجربة أحسنت إلى ، ولم أظفر بإحسانك من غير استحقاق كمن يسرق شيئاً ، ولكنني كنت أهلاً لما أسديت وكنت أنت مصيباً فيما أوليت .

(٢) يقول : أبلغ هؤلاء الذين يحسدوني عليك أنهم لا يلحقونني ولا يلغون شأوي لأن البرق إذا حاول اللحاق بي كبا على وجهه - عثر وسقط - وإذا لم يلحقني البرق فكيف يلحقونني هم ؟ قال الواحدى : وتحمله الممدوح الرسالة إلى أعدائه قبيح لولا قوله - حاسدى عليك .

(٣) الظبي : جمع ظبة ، وهى حد السيف . وهذا استفهام إنكار . يقول : إن حاسدى لا تكفى أمرهم الرسائل إنما يكفى أمرهم السيوف ، يعنى ليس يشفىني منهم الرسالة ، إنما يشفىني منهم القتل بالسيف .

(٤) يقول إنى أعرف الجربين الألباء بأحوال الناس ، لأن غيرى إذا كان قد ذاقهم فإنى قد ذقت وذقت حتى صرت كالآكل والأكلى أعرف بالما كول من الذائق .
(٥) ألاق الشيء : أمسكه ، قال الشاعر :

كفأك كَفُّ ما تُلْقِي دِرْهُمًا جُوداً وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسِّيفِ الدِّمًا
يقول : كل بحر لا يبلغ شأوك فى الجود ، وما يمسكه من مائه على كثرته أقل مما لم يمسكه وجدت به .

(٦) يقول : لولا أن الله سبحانه قادر على أن يخلق ما يشاء لساورنا الشك هل أنت خلقت وفاقاً - اتفاقاً - أو عن عمد ، لاستبعاد الوم أن يكون مثلك فى جوده وتناهى محاسنه قد خلق .

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيْجَاهُ سَرَجًا وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا^(١)

وقال يمدحه ويذكر الغداء الذى طلبه رسول ملك الروم وكتابه إليه :

لَعَيْنَتِكَ مَا يَنْقَى الْفَوَادُ وَمَا لَقَى وَالْحُبُّ مَالَمْ يَنْبَقَ مِنِّي وَمَا بَقِيَ^(٢)
وَمَا كُنْتُ مِمَّنْ يَدْخُلُ الْعِشْقُ قَلْبَهُ وَلَكِنْ مَنْ يُبْصِرُ جُفُونَكَ يَمْشِقُ^(٣)
وَيَبِينُ الرِّضَا وَالسُّخْطَ وَالْقُرْبَ وَالنَّوَى مَجَالٌ لِلدَّمْعِ الْمُقَلَّةِ الْمُتَفَرِّقِ^(٤)

(١) يدعو له . والهيجاء : الحرب : قالوا : وهذا منقول من قول البحرى :

حُطَّتْ سُرُوجُ أَبِي سَعِيدٍ وَاعْتَدَّتْ أَسْيَافُهُ دُونَ الْعَدُوِّ تَشَامُ

(٢) يقول . إن عينيك ما دأى فكل ما لقيه قلبى من برح الهوى وما سيلقاه إنما هو لأجل عينيك وما تضمنته من السحر . وإن الحب هو الذى أذاب جسمى وأكل لحمى فالذى لم يبق منى - وهو الذاهب - وما بقى ، كلاهما له يفنيه ويذهبه : فاللام - فى قوله لعينيك - للتعليل : ومن قوله للحب : للملك وروى بدل للحب : للشوق .

(٣) يذكر أنه عزهارة يعزف عن النساء ولا يعيل إلى الغزل والعشق ولكن جفون عيني حبيبه فتانة لمن يراها فتضطر من لم يعشق إلى العشق ، وفى هذا نظر إلى قول صريع الفوائى :

وَقَدْ كَانَ لَا يُصْبُو وَلَكِنْ عَيْنُهُ رَأَتْ مَنْظَرًا يُضْنِي الْقُلُوبَ فَرَانَهَا

وقوله ولكن من يصبر : أراد ولكنه - بضمير الشأن - فحذفه وجزم بعده على الشرط .

(٤) يقول : إنه يبكى فى كل حال رضى عنه الم محبوب أو سخط عليه ، قرب منه أو بعد عنه . لأنه فى حالة الرضا يخاف السخط وعند قربه يخاف البعد ؛ فالنوى : البعد . والمتفرق الذى يحول فى العين ولا ينحدر . وعبرة العكبرى : ما بين ما أرجوه من رضا من أحبه وأحذره من سخطه وما آتمناه من اقترابه وأخافه من بعده مجال للدموع التى تفرق فى القل كلفا بالحبيب وحذارا من الرقيب ، وقد شرح هذا المعنى الحماسى حين يقول :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْ مُحِبٍّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُولَ الْمَذَاقِ

وَأَحْلَى الْهَوَى مَا شَكَّ فِي الْوَصْلِ رَبُّهُ وَفِي الْهَجْرِ فَهُوَ الدَّهْرُ يَرْجُو وَيَتَّقِي ^(١)
وَعُضْبِي مِنَ الْإِذْلَالِ سَكْرَى مِنَ الصَّبَا شَفَعْتُ إِلَيْهَا مِنْ شَبَابِي بِرَبِّي ^(٢)

تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ وَقْتٍ خَافَةً مُرَقَّةً أَوْ لَاشْتِيَاقٍ
فَيَبْكِي ابْنُ نَاوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي ابْنُ دَنَوَا خَوْفَ الْفِرَاقِ
فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ
(١) ربه : صاحبه ؛ والدهر : ظرف . يقول : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه شاكاً بين الوصل والهجر ، لأنه إذا كان كذلك كان للوصل أشد اغتناماً ، أما إذا يقن الوصل فإنه لا يلتذ به عند حصوله وإذا كان يائساً منه فقد لذة الرجاء ، فالهوى عليه بلاء كله ، كما قال الآخر :

تَعَبٌ يَطُولُ مَعَ الرَّجَاءِ بِذِي الْهَوَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ رَاحَةٍ مَعَ يَأْسٍ
وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ قَيْسُ بْنُ الرِّقَاتِ :
تَرَكْتَنِي وَاقِفًا عَلَى الشَّكِّ لَمْ أَصْدُرْ يَأْسَ مِنْكُمْ وَلَمْ أُرِدْ
ويقول ابن أبي زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ :

فَكَأَنِّي بَيْنَ الْوَصَالِ وَبَيْنَ الْهَجْرِ تَمَنُّ مَقَامُهُ الْأَعْرَافُ
فِي مَحَلِّ بَيْنَ الْجَنَانِ وَبَيْنَ النَّارِ أَرْجُو طَوْرًا وَطَوْرًا أَخَافُ
قال المَكْبَرِيُّ : وأصل البيت من قول الْحَكِيمِ : الرجاء تمنُّ والشك توقف ، وهما أصل الأمل . وقال الآخر : أحلى الهوى وأعذبه ما كان صاحبه بين يأس وطمع وخافة وأمل ، فهو يحذر الهجر ويتقيه ويؤمل الوصل ويرتجيه . ولقد أحسن أَبُو حَفْصٍ الشَّطْرَنْجِيُّ فِي قَوْلِهِ :

وَأَحْسَنُ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمُكَ الَّذِي تُهَدِّدُ بِالتَّخْرِيشِ فِيهِ وَبِالْمَقْتَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سُخْطٌ وَلَا رِضًى فَإِنَّ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكُتُبِ
(٢) وغضبي : أى ورب غضبي . وربى الشباب : أوله ، ومنه ريق المطر : أوله . جعلها غضبي لفرط دلالها ، فهي ترى من نفسها الغضب دلالة على عاشقها ، وجعلها سكرى من الصبا والحدادة فهي مزهوة مختالة . ثم جعل شبابه شفيعاً إليها كما قال محمود الوراق :

وَأَشْنَبَ مَفْسُولِ الثَّنِيَّاتِ وَاضِحٌ
سَتَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَقَرِّي^(١)
وَأَجْيَادِ غَزْلَانِ كَجَيْدِكَ زُرْنِي
فَلَمْ أَتَّبِعْ عَاطِلًا مِنْ مُطَوَّقِ^(٢)
وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَغْفُ إِذَا خَلَا
عَفَافِي وَيَرْضَى الْحَبَّ وَالْحِلْلُ تَلْتَقِي^(٣)

كَفَّاكَ بِالشَّيْبِ ذَنْبًا عِنْدَ غَانِيَةٍ
وَقَالَ الْبَحْرِي :
أَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَّالِي شَافِعُ
وَأَرَدَ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَإِذَا تَوَسَّلَ بِالشَّبَابِ أَخُو الْهَوَى أَلْفَاهُ نِعَمَ وَسِيلَةَ التَّوَسُّلِ
(١) وَأَشْنَبَ : عَطَفَ عَلَى غَضَبِي ؛ وَالْأَشْنَبُ : الْأَبْيَضُ الْأَسْنَانُ الْحَسَنُ
وَالْمَسْوُولُ : الْحُلُو الَّذِي كَانَتْ فِيهِ عَسَلًا . وَالثَّنِيَّاتِ الْأَسْنَانُ الَّتِي فِي مَقْدَمِ
الْفَمِ ، وَالْمُفَرَّقُ مَوْضِعُ افْتِرَاقِ الشَّعْرِ مِنَ الرَّأْسِ . يَقُولُ : وَرَبُّ حَبِيبٍ حَسَنِ الْأَسْنَانِ
حُلُو رَضَابِ الثَّنَائِيَا وَاضِحُ الْوَجْهِ - مَشْرِقُهُ - تَعَفَّفْتُ عَنْهُ وَتَصَوَّنْتُ بِسِتْرِ الْفَمِ مِنْهُ عَفَا
وَتَوَرَّعًا كَيْلَا يَقْبَلَنِي قَبْلَ رَأْسِي إِجْلَالًا لِي وَمِيلًا إِلَيَّ . يَرِيدُ أَنَّهُ أَحَبُّ وَصْلِهِ وَتَعَفَّفَ
هُوَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ .

(٢) الْأَجْيَادُ : جَمْعُ جَيْدٍ ، الْعُنُقُ . وَالْعَاطِلُ : الَّذِي لَا حُلَى عَلَيْهِ ، وَالْمُطَوَّقُ الَّذِي
قَدْ تَطَوَّقَ بِالْحُلَى . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْعَفَةِ وَالزَّاهَةِ ، وَأَنَّهُ قَدْ زَارَهُ مِنَ الْحَسَنِ عَاطِلَاتٍ
وَحَالِيَّاتٍ ، فَلَمْ يَعْرِفْ ذَاتَ الْحُلَى مِمَّنْ لَا حُلَى عَلَيْهَا .

(٣) الْحَبُّ - بِكَسْرِ الْحَاءِ - الْمُحَبُّوبُ ؛ وَعَفَافِي مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ . وَقَوْلُهُ : وَالْحِلْلُ تَلْتَقِي
حَالٌ . يَقُولُ : لَيْسَ كُلُّ عَاشِقٍ عَفِيفًا مِثْلِي وَقَدْ خَلَوْتُ بِالْمُحَبُّوبِ وَمَعَ أَنِّي عَفِيفٌ أَرْضَى
الْمُحَبُّوبَ فِي الْوَغَى - الْحَرْبِ - بِشَجَاعَتِي ؛ قَالَ ابْنُ جَنِّي : سَأَلْتُهُ - اللَّتْنِي - عَنْ مَعْنَاهُ
وَقَدْ الْقَرَأَةُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : الْمَرْأَةُ مِنَ الْعَرَبِ تَرِيدُ مِنْ صَاحِبِهَا أَنْ يَكُونَ مُقَدِّمًا فِي الْحَرْبِ
فَتَرْضَى حِينَئِذٍ عَنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ :

يَقْتَنُ حِيَادَنَا وَيَقْلَنُ لَسْتُمْ
بُعُولَتَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُونَا^(١)
وَفِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْقَائِلُ

(١) مِنْ مَحَلَّتِهِ . يَقُولُ : يَحْلِفُنْ خِلَانَا وَيَقْلُنْ لَنَا : لَسْتُمْ أَزْوَاجَنَا إِذَا لَمْ تَمْنَمُوا مِنْ
سَبِي الْأَعْدَاءِ إِيَّانَا .

سَقَى اللَّهُ أَيَّامَ الصَّبَا مَا يَسُرُّهَا وَيَفْعَلُ فِعْلَ الْبَابِلِيِّ الْمُعْتَقِ (١)
 إِذَا مَا لَيْسَتْ الدَّهْرَ مُسْتَفْتَعًا بِهِ تَخَرَّقَتْ وَالْمُبُوسُ لَمْ يَتَخَرَّقِ (٢)
 وَلَمْ أَرَ كَالْأَلْحَاطِ يَوْمَ رَحِيلِهِمْ بَعَثَنَ بِكُلِّ الْقَتْلِ مِنْ كُلِّ مُشْفِقِ (٣)

أَخَذْتُ لَطَرْفِ الْعَيْنِ مَا تَصِيْبُهُ وَأَخْلَيْتُ مِنْ كُنْفِي مَكَانَ الْمُخْلَخَلِ
 ويقول الآخر .

لِي مَا حَوَاهُ قِنَاعُهَا مِنْ فَوْقِ مَا حَوَتْ الْجُيُوبُ وَلِي مَكَانُ ثَرَاهَا
 لَمْ تُلَفْ مُعْتَنَقَيْنِ لَيْسَ عَلَيْهِمَا حَرَجٌ سِوَايَ مَعَ الْهُوَى وَسِوَاهَا
 وقال العكبري : هذا البيت من الحكمة ، قال الحكيم : لسنا نمنع حجة ائتلاف
 الأرواح إنما نمنع حجة اجتماع الأجسام فإنما ذلك من طباع البهائم .

(١) ما يسرها : مفعول ثان لسقى ؛ والبابلي : الحمر نسبة إلى بابل . يدعو لأيام
 الصبا . يقول : سقاها الله ما يورثها السرور والطرب ويفعل فعل الحمر المعتقة ؛ وهذا
 على عادة العرب من الدعاء بالسقيا . وهو مجاز ، لأن الأيام ليست مما يسقى :

(٢) يقول : إن الدهر مشتمل على ناسه احتمال الثوب على لابسه ، بيد أن هذا
 الثوب - الدهر - باق لا يبلى - أما لابس - وهو الإنسان - فإنه يبلى ويفنى . ومن
 ثم يسمى الدهر الأزلم الجذع - أي أنه باق على حاله لا يتغير على طول إناه ، فهو أبدآ
 جذع لا يسن . قال الأخطل :

يَا بَشْرُ لَوْلَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ أَلْقَى عَلَى يَدَيْهِ الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ
 وفي مثل هذا المعنى يقول ابن دريد في مقصورته :

إِن الْجَدِيدِينَ إِذَا مَا اسْتَوَلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَدْنِيَاهِ لِلْبِلَى

(٣) الكاف - في قوله كالألحاط - اسم بمنزلة مثل ، مفعول به . وجملة بعثن حال ؛
 وبكل القتل : أي بقتل فطيع . يقول : لم أر مثل الألحاط ولا مثل فعلها يوم رحيل
 الذين أحبهم ! بعث لنا القتل ؛ أي قتلنا بسحرها دون أن يقصد ذلك من أدارها ،
 والأصل في هذا قول النابغة :

فِي إِثْرَ غَايَةِ رَمْتِكَ سِيَاهُهَا فَأَصَابَ قَلْبَكَ غَيْرَ أَنْ لَمْ تُقْصِدِ
 [رماه فأقصده . قتله في المكان]

أُدرنَ عيوننا حارِراتٍ كأنَّها مِرْكَبَةٌ أحداقُها فوقَ زُبقي^(١)
عشيَّةً يَعدُّونا عَنِ النَّظَرِ البُكا وَعَنِ لَذَّةِ التَّوَدِيعِ خَوْفُ التَّفَرُّقِ^(٢)
نودُّهمُ والبَّينُ فينا كأنَّهُ قنا ابنُ أبي التَّهيجاءِ في قلبِها فليلقِ^(٣)

(١) الضمير - في أدرن - للحبيبات ، لدلالة المقام . والأحداق : جمع حدقة - سواد العين . يقول : أكثرن من إدارة عيونهن وتقليبها لصعوبة الوقف وترقب ما يكون من الفراق فلم تستقر الأعين حتى كأن أحداقها مركبة على زبقي . وهو معروف أن الزبقي يوصف بقلة الثبات وبالترجرج ، وقال بعضهم يصف عققا - طائر على شكل الغراب أو هو الغراب :

يُقلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كأنَّهما قَطْرَتَا زُبْقِي
(٢) يعدونا : يمنعنا ويصرفنا ، والبكاء يمنع من النظر ، لأن الدمع إذا امتلأت به العين غاض البصر ؛ كما قال القائل :

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ
وخوف الفراق كذلك يمنع من لذة الوداع ، ألا ترى إلى قول البحترى :
لَا تَعْذُلْنِي فِي مَسِيرِي يَوْمَ سِرْتِ وَلَمْ أَلَاقِكْ
إِنِّي خَشِيتُ مَوَاقِفًا لِلْبَيْنِ تَسْفَعُ غَرْبَ مَا قَلَّكَ
وَذَكَّرْتُ مَا يَجِدُ الْمَوَدَّ دَعِ عِنْدَ ضَمِّكَ وَاعْتِنَاكَ
فَتَرَكْتُ ذَاكَ تَعَمُّدًا وَخَرَجْتُ أَهْرَبُ مِنْ فِرَاقِكَ

ومن هذا قول الآخر :

يَوْمَ الْفِرَاقِ شَكَرْتُ تَرَكَ وَدَاعَكُمْ وَالْمَذْرُ فِيهِ مَوْسَعٌ تَوَسَّيَمَا
أَوَهْلَ رَأَيْتَ وَهَلْ تَمِغْتَ بِوَاحِدٍ يَمْشِي يُودِّعُ رُوحَهُ تَوَدِّعَمَا
وقول الآخر :

صَدَّنِي عَنْ حَلَاوَةِ النِّشِيعِ حَذَرِي مِنْ مَرَارَةِ التَّوَدِيعِ
لَمْ يَقُمْ أَنْسُ ذَا بَوَاحِشَةٍ هَذَا فَرَأَيْتُ الصَّوَابَ تَرَكَ الْجَمِيعِ
(٣) القنا : الرماح . وأبو التهيجاء : هو والد سيف الدولة ؛ والفيلق : الكتيبة

قَوَاضٍ مَوَاضٍ نَسَجُ دَاوُدَ حِنْدَهَا إِذَا وَقَمَتْ فِيهِ كَنَسَجِ الْخَدَرَنْقِ ^(١)
 هَوَادٍ لِأَمْلَاكِ الْجِيُوشِ كَانَهَا تَخَيَّرُ أَرْوَاحَ الْكَمَاةِ وَتَنْتَقِي ^(٢)
 قَدُّ عَلَيْهِمْ كُلِّ دِزِجٍ وَجَوْشِنٍ وَتَفَرَّى إِلَيْهِمْ كُلُّ سُورٍ وَخَنْدَقٍ ^(٣)

من الجيوش . يقول : إن البين - البعد - يفتك بنا فتك رماح سيف الدولة بجيوش أعدائه . وهذا من حسن التخلص وهو بدیع .

(١) قواض : قوائل ، معنى الرماح ، وهو خبر عن معذوف ضمير القنا ، ومواض : نوافذ ؛ ونسج داود : الدروع ؛ والخدرنق - بالذال والذال - الضكبوت وإذا جمعه حذف آخره قلت خدارن ؛ وفي الصحاح : بالذال المهملة ؛ وأنشد أبو عبيدة لزيفان السعدي :

وَتَمَلَّ طَائِمٌ عَلَيْهِ الْفَلَقُ يُبِيرُ أَوْ يُسَدِّي بِهِ الْخَدَرَنْقِ ^(١)

يقول : هي - أي رماح سيف الدولة - قوائل من يقصدها نوافذ في دروع الأبطال تخرقها إليهم ، كأنها تخرق نسج الضكبوت .

(٢) هواد - من الهداية - يقال هداه فهدى ، والأملاك الملوك : وتغير بحذف إحدى التاءين أي تنغير ، والسكاة جمع كى : البطل المستتر في سلاحه . يقول : إن هذه الرماح تهدى أربابها أو تهتدى هي بنفسها إلى الملوك فتقتلهم كأنها تنخير الأبطال فتأبى إلا خيارهم وسادتهم ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

قَفَا سِنْدَبَايَا وَالنَّسَايَا كَانَهَا تَهْدَى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدَى ^(٢)

(٣) الجوشن : الدرع . يقول : لا تحصنهم منها الدروع فإنها تقدها - تقطعها - ولا الأسوار والخنادق فإنها تفرها - تقطعها - وتأتى عليها وذلك لشدة طعن فرسان للمدح وشجاعتهم .

(١) الفلق الطلعب : الحضرة على رأس الماء ، يقال : ينبت في الماء ذو ورق عريض

(٢) قال ياقوت : سندبايا : موضع بأذربيجان بالبذ ، من نواحي بابك الحرمي .

قال أبو تمام يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف :

رَمَى اللَّهُ مِنْهُ بَابَكَاً وَوَلَاتَهُ بِقَاصِمَةِ الْأَصْلَابِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ

فَتَى يَوْمَ بَذِ الْخَرْمِيَةِ لَمْ يَكُنْ بِهَيَّابَةِ نَكْسٍ وَلَا بِمَعْرَدٍ

قَفَا سِنْدَبَايَا وَالرَّمَا حَ مُشِيحَةً تَهْدَى إِلَى الرُّوحِ الْخَفِيِّ فَتَهْتَدَى

يُغِيرُ بِهَا بَيْنَ اللَّقَافِ وَوَاسِطٍ وَيُرُ كِرْهَا بَيْنَ الْفِرَاتِ وَجَلَّتِ^(١)
وَيُرْجُمَهَا مُخْرَأً كَانَ صَحِيحَهَا يُبَكِّي دَمًا مِنْ رَحْمَةِ الْمُتَدَقِّ^(٢)
فَلَا تُبَلِّغَاهُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهُ شُجَاعٌ مَتَى يَذْكُرْ لَهُ الطَّعْنَ يُشْتَقُّ^(٣)
ضُرُوبٌ بِأَطْرَافِ الشُّيُوفِ بَنَانُهُ لَعُوبٌ بِأَطْرَافِ الْكَلَامِ الْمُشَقُّ^(٤)
كَسَائِلِهِ مَنْ يَسْأَلُ الْغَيْثَ قَطْرَةً كَعَاذِلِهِ مَنْ قَالَ لِلْفَلَكَ أَرْفُقِ^(٥)

(١) اللقاف : بلد من بلاد الروم . وواسط : بلد بالعراق بناها الحجاج وخلق : دمشق أو غوطتها . قال الواحدي : وكان أوقع بيني البريدي بواسط ، يريد كثرة غاراته وفشوها في البلاد من العراق إلى أقصى الروم ، وانتشار عساكره إذا عادوا إلى ديارهم ما بين الفرات إلى أقصى الشام .

(٢) المتدقق : المتكسر . يقول : برد الرماح من القتال متلطفة بالدماء تقطر منها ، كأن صحاحها تبكي على ما تكسر منها من شدة الطعن رثاء لها ورحمة ويكي كيكي . والتشديد للبالغة .

(٣) فلا تبلاغاه أى المدوح ، يقول — مخاطباً صاحبيه على عادة العرب — لا تبلاغاه ما أقول فإنه لحبه الحرب وشجاعته متى ذكر له وصف الحرب والطعان اشتاق إليهما وحن والبيت منقول من قول كثير :

فَلَا تُذْكَرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ إِنَّهُ مَتَى تُذْكَرَاهُ الْحَاجِبِيَّةُ يَحْزَنُ

(٤) بنانه : فاعل ضروب ؛ والكلام المشقق : الذى شق بعضه من بعض ويقال شقق الكلام : إذا أخرجه أحسن غرخ . يقول : إنه شجاع في الحرب بليغ لدى القول قادر عليه حسن التصرف فيه مبدع ، قال العكبرى : وقد نقل هذا المعنى في الهجاء إلى المدح من قول الأول :

فَبَاعِذْ يَزِيدًا مِنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأُذِنْ يَزِيدًا مِنْ كَلَامِ مُشَقِّ

(٥) يقول : إن من يسأل الغيث قطرة يتكلف ما هو في غنى عنه ، إذ أن قطر الغيث مبذول لمن أراده ، كذلك من يسأل للمدوح يتكلف ما لا حاجة به إليه ، إذ أنه يعطى بلا سؤال ، ولما كان المدوح مطبوعاً على الجود لم يكن في استطاعته العدول عنه ، وإذن يكون عاذه عليه ، كمن يقول للفلك ارفق في حركتك ؛ فقوله كسائله : خبر مقدم ومن يسأل : مبتدأ مؤخر ومثله كماذله من قال . وذهب ابن جني إلى أن المعنى : كما أن

لَقَدْ جُذِتَ حَتَّى جُذِتَ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ ^(١)
 رَأَى مَلِكُ الرُّومِ أَرْزَاحَكَ لِلنَّدَى فَقَامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي التَّمَنَّى ^(٢)
 وَخَلَّى الرَّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا لَا دَرْبَ مِنْهُ بِالطَّعَانِ وَأَحْذَقِ ^(٣)
 وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضِ بَعِيدٍ مَرَامَهَا قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبْقِ ^(٤)
 وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكِ مِنْهَا رَسُولُهُ فَمَا سَارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ ^(٥)

الغيث لا تؤثر فيه القطرة ؛ كذلك سائله لا يؤثر في ماله وجوده ، قال العروضي - ناقدآ- :
 وهذا على خلاف العادة في الملح لأن العرب تمدح بالعطاء على القلة والمواساة مع الحاجة
 إليه ، قال تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقال الشاعر :

ولم يك أكره الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

والذي فسرہ - أي ابن جني - مدح بكثرة المال لا الجود . . . وإنما أراد
 - أي المتنبي - : من عادته وطبعه الجود كمادة الغيث أن يقطر - أي يمطر - فسائله
 مستغن عن تكليفه ما هو في طبعه .

(١) يقول : لقد عم جودك أهل كل ملة وأهل كل لغة حتى حمدوك جميعاً لما نالوا من
 برك وإحسانك .

(٢) الارتياح : الانبساط ؛ والندى : الجود ؛ والمجتدى : طالب العطاء ؛ والمتعلق :
 للتودد ، أو الذي يخضع ويلين كلامه - مأخوذ من الصخرة الملقاة ، وهي الملساء -
 يقول : لما علم ملك الروم انبساطك للعبود وأريجيتك له تملق إليك تملق السائل ؛ وفي
 هذا نظر إلى قول القائل :

ولولم تُناهضْهُ وأبصرَ عَظَمَ ما تُنيلُ من الجُدوى لجاءك سائلاً

(٣) الرماح السمهرية : نسبة إلى سمهر ، زوج ردينة ، كانا يقومان الرماح ؛
 وأدرب : من الدربة ، وهي العادة ؛ يقال درب بالشيء : اعتاده وضرى به . والحاذق :

الخبير بالشيء . يقول : وترك ملك الروم الرماح صغاراً لا اختياراً لمن هو أحذق بالطعان
 وأجرى عادة به منه - يعني سيف الدولة - يعني ترك الحرب صاغراً واستأمن بالكتاب .

(٤) يقول : استأمن إليك من أرضه البعيدة لعله أنها لا يبعد على خيلك سبق
 فإنك تدركه بهامتي أردت . وقوله بعيد : يروى بالجر ، على أنه نعت سببي لأرض . ومرامها -

أي مطلبها . . . فاعل له ؛ ويروى بالرفع على أنه خبر مقدم ، والجملة : نعت أرض .
 (٥) المسرى : الموضع الذي يسار فيه ليلاً : والهام : الرؤوس . يذكر كثرة قتلاه

فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُنَائِقِ^(١)
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبَسَاطِ فَمَا دَرَى إِلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إِلَى الْبَذْرِ يَرْتَقِي^(٢)
وَلَمْ يَتَنَبَّكْ الْأَغْدَاءَ عَنْ مُهْجَاتِهِمْ يَمْتَلِ خُضُوعٍ فِي كَلَامِ مُنَقِّ^(٣)
وَكُنْتُ إِذَا كَاتَبْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ كَتَبْتَ إِلَيَّ فِي قَذَالِ الدُّسْتَقِ^(٤)

في أرض الروم ، وأن رسوله سار إليك عند قصده إياك في طريقك فما سار إلا فوق رموس القتلى . وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

بِكُلِّ مُنْعَرَجٍ مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ جَنَاحِينَ فَاتَّقَ فِيهَا قَنَّا قِصْدَ^(١)
وقول الأول :

بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ تَجْدٍ بَنَانُ فَتَى وَجُحْمَةٌ فَلْيَقُ

(١) يقول : لما قرب الرسول أعشى بصره لمعان الحديد والسلاح حتى لم ير مكان سيف الدولة ولم يبصر موضعه لشدة لمعان الأسلحة حواليه . وقال المكبري : الضمير في « مكانه » للرسول : أي حتى لم يبصر طريق نفسه لشدة لمعان الحديد في عسكر سيف الدولة .

(٢) في البساط : يروى في السباط ؛ والسباط : صف يقومون بين يدي الملك . وقوله إلى البحر : أي إلى البحر ، خذف همزة الاستفهام . ويرتقى : يصعد ، يقول : وأقبل الرسول يمشي إليك بين السباطين فغشيه من هيبتك ما لا يعرض مثله إلا لمن قصد إلى البحر أو ارتفع إلى البدر ، لعظم ما عاين .

(٣) لم يتنكب : لم يصرفك ؛ والمهجة : الروح ؛ ونقى الكلام : زينه : يقول : لم يجد الأعداء شيئاً يصرفونك به عن العبث بأرواحهم وإراقة دمائهم مثل أن يخضعوا لك في كتاب يكتبونه إليك لأنك لا تدفع بالمقاومة . ولعله من قول أبي تمام :
فَخَاطَ لَهُ الْأَقْرَارُ بِالذَّبِّ رُوحَهُ وَجُثْمَانَهُ إِذْ لَمْ تَحْطَهُ قَبَائِلُهُ
وقوله أيضاً :

عَدَا خَائِفًا يَهْتَجِدُ الْكُتُبَ مَذْعَنًا عَلَيْكَ فَلَا رُسُلَ تَمَنَّتْكَ وَلَا كُتُبَ

(٤) الإشارة بهذه : إلى المرة ؛ والقذال : مؤخر الرأس : والدستق : القائد من قواد الروم . يقول : كنت قبل استغاثته بك إذا أردت مكاتبته كتبته إليه بما تحدته

(١) الجنانج : عظام الصدر : ويروى ججاجم .

فَإِنْ تُعْطِ مِنْكَ الْأَمَانَ فَسَائِلٌ وَإِنْ تُعْطِ حَدَّ الْحَسَامِ فَأَخْلِقِ^(١)
وَهَلْ تَرَكَ الْبَيْضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمْ أَسِيرًا لِفَادٍ أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ^(٢)
لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا وَمَرُّوا عَلَيْهَا زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ^(٣)
بَلَقْتُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ النُّورِ رُتْبَةً أَثَرْتُ بِهَا مَا بَيْنَ غَرْبٍ وَمَشْرِقِ^(٤)
إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلِخْيَةِ أَحْمَقٍ أَرَاهُ غُبَارِي ثُمَّ قَالَ لَهُ الْخَلْقِ^(٥)

صيوفاً في قذال الدمستق من الجراحات : أى إن هذه الجراحات التى تصيبه وهو منهزم كالكتاب إليه ، لانه يبين بها كيفية الامر كما تبين بالكتاب - وكان الدمستق قد جرح فى بعض وقائع سيف الدولة ، فأشار المتنبي إلى ذلك ودل به على ضرورة ملك الروم إلى ما ظهره من الخضوع ، وقد فصل ذلك أبو تمام وما أبدعه :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشَقًا وَنَمْنَةً ضَرَبَ أَوْطَانُهَا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصَّلَاةُ
كِتَابَةً لَا تَنْبِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفًا
فَإِنْ أَلْطَوْا يَنْكَارُ فَقَدْ تَرُكْتُ وَجُوهَهُمْ بِالَّذِي أَوْلَيْتَهُمْ صُحُفًا

[المشق : مد الحروف ؛ والنخمة : النقش ؛ والصلاف : جمع صليف ، صفحة العنق والطلوا يأنكار - بالطاء والظاء - لازموه ولم يفارقوه] :

(١) أخلق صيغة تعجب من قولهم فلان خلق بهذا أى جدير به . يقول : فإن أعطيته ما يطلب من الأمان فهو سائل يسألك ؛ وأنت لا تحب سائلا ، وإن قتلته فهو جدير بذلك لأنه حرى مباح الدم .

(٢) البيض : السيوف ؛ والصوارم : القواطع ؛ والرقيق : العبد . يقول : إنك عممتهم بالقتل فلم تترك أسيرا يفدى أو رقيقا يعثق .

(٣) الضمير فى شفراتها : للبيض الصوارم ؛ وشفرة السيف : حده ؛ والزردق : الصف من الناس - تعرب رسته . يقول : إنهم وردوا شفرات السيوف كما ترد القطا مناهل الماء ومروا عليها صفا بعد صف حق أفنتهم . وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَقَدْ وَرَدُوا وَرَدَ الْقَطَا بِنَفْسِهِمْ رِضًا اللَّهُ مَصْفُوفٍ الْقَنَا الْمُتَشَاجِرِ

(٤) وصفه بالنور لبعده صيته وشهرة اسمه فى الناس كشهرة النور المستضاء به . يقول : هو نور وقد بلغت بخدمته رتبة ارتفع بها ذكرى واشتهر صيق اشتهار النور فى المشرق والمغرب .

(٥) الأحق : الجاهل الذى لا عقل له . يقول : إذا أراد سيف الدولة أن يسخر من

وَمَا كَمَدُ الْخَنَادِ شَيْئًا قَصَدْتُهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَزْحَمِ الْبَحْرَ يَغْرُقُ ^(١)
وَيَمْتَحِنُ النَّاسَ الْأَمِيرُ بِرَأْيِهِ وَيُغْفِضِي عَلَى عِلْمِهِ بِكُلِّ مُمَخْرَقٍ ^(٢)
وَإِطْرَاقُ طَرْفِ الْعَيْنِ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا كَانَ طَرْفُ الْقَلْبِ لَيْسَ بِمُطْرَقٍ ^(٣)

أحق من الشعراء أمره باللاحق بي ؛ فهو بحمته يظن أنه يقدر على إدراك شأوى وليس يقدر ، والفبار واللاحق استعارة من سباق الخيل .

وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَا طَالِبًا مَسْـَـمَاتَهُمْ لِيَنَالَهَا هِيَهَاتَ مِنْكَ غُبَارُ ذَاكَ الْمَوَكِبِ

قيل إن الخالدين - أبا بكر وأخاه عثمان - قالوا لسيف الدولة : إنك لتغالي في شعر التنبي ، اقترح علينا ماشئت من قصائده حتى نعمل أجود منها ، فدافعها زمانا ، ثم كررا عليه ، فأعطاهما هذه القصيدة : فلما أخذها قال عثمان لأخيه أبي بكر : ماهذه من قصائده الطنانات فلائى شئ ، أعطانا ؟ ثم فكرا ، فقال أحدهما لصاحبه : والله ما أراد إلا هذا البيت ، فتركا القصيدة ولم يعاوداه ولم يعملأ شيئا .

(١) يقول : لست أقصد أن أكمد حادى لأنى لا آبه لهم ولا أحفل إلا أنهم لما تعرضوا لى لم يطبقوا مزاحمتى فكمدوا وحزنوا لذلك ، فكانوا كمن زاحم البحر فغرق فى تياره . وقال الخطيب التبريزى المعنى : وما الإزراء على أهل الحسد أردت بما أبدعته ولا العجيز لهم قصدت فيما خلده ، ولكنى كالبحر الذى يغرق من يزاحمه غير قاصد ويهلك من اعترضه غير عامد ، وهو منقول من قول زياد الأعجم :

وَلَمَّا نَا وَنَا يَهْدَى بِهِ مِنْ هِجَائِنَا لِكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُرْمَ فِي الْبَحْرِ يَغْرُقُ
(٢) المخرق : لغة عراقية مولدة يراد بها صاحب العبث والأباطيل : مأخوذة من الخرق ، وهو شئ يلبس به : إما منديل يلف أو خشب . ومنه قول عمرو ابن كلثوم :

كَأَنَّ سَيُوفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَخَارِيقُ بَأْيْدِي لَاعِمِينَآ

يقول : يمتحن الناس بقله ليعرف ما عندهم ثم يغضى مع علمه بذى العبث منهم فلا يفضحه لكرمه .

(٣) الإطراق : أن ترمى إلى الأرض ؛ وطرف العين : نظرها . يقول : إن إغضاه عن هؤلاء العاشرين لا ينفعهم إذا كان يعرفهم بقله فلا يخفى عليه حالهم ؛ وعبرة العكبرى : يريد هو يغضى للمخرق إغضاء تجاوز وحلم لا إغضاء غيظ وسوء ، وغض العين

فَيَا أَيُّهَا الْمَطْلُوبُ جَاوِزُهُ تَمْتَنِّعْ ، وَيَا أَيُّهَا الْخَرُومُ يَمِّمَهُ تُرْزَقِ (١)
 وَيَا أَجْبَنَ الْفَرَسَانَ صَاحِبَهُ تَجْتَرِيْ وَيَا أَشْجَعَ الشُّجْعَانَ فَارِقَهُ تَفَرِّقِ (٢)
 إِذَا سَعَتِ الْأَعْدَاءُ فِي كَيْدِ مَجْدِهِ سَعَى جَدُّهُ فِي كَيْدِهِمْ سَعَى مُحَقِّقِ (٣)
 وَمَا يَنْصُرُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعِدَا إِذَا لَمْ يَكُنْ فَضْلُ السَّعِيدِ الْمُوَقِّقِ (٤)

لطرفها وكفها للحظها لا ينفع الموه المغالط والمقصر المخرق ، إذا كان طرف القلب يلحظه وينظر إليه . وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي :

والنَّوَادِ الذِّكْرُ لِلنَّاطِرِ الْمَطْرُقِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
 ولا بن دريد :

ولم يَرَ قَبْلِي مُفْضِيًّا وَهُوَ نَاطِرٌ وَلَمْ يَرَ قَبْلِي سَاكِتًا يَتَكَلَّمُ
 (١) يقول : يا من يطلب فيخاف طالبه كن جاراً له حتى تصير منيعاً لا يصل إليك
 سوء ، ويا من حرم حظه من الرزق اقصد سائلاً تصر مرزوقاً ، فهو ذو نجدة يحمي
 الدمار معطاء .

(٢) يقول : إن من صاحبه صار جريئاً إما لأنه يعديه بشجاعته وإما ثقةً بنصرته .
 ومن فارقه - وإن كان شجاعاً - فرق - خاف وفزع - وصار جبناً ؛ قال علي بن جبلة :
 بِهِ عِلْمُ الْإِعْطَاءِ كُلُّ مُبْخَلٍّ وَأَقْدَمَ يَوْمَ الرُّوْعِ كُلُّ جَبَانٍ
 وقال البحتري :

يَسْخُو الْبَخِيلُ - إِذْ رَأَى كَبَنَفْسِهِ وَالنَّكْسُ يَمْلَأُ مَضْرِبَ الصَّمَامِ
 (٣) المحقق : للغضب . يقول : إذا سعت أعداؤه ليكيدوا مجده ويطلوه سعى جده
 - سعده - في إبطال كيدهم سعى محقق ، ويروى سعى جده في مجده : أي في تشييد مجده
 أي أن جده يرفع مجده إذا قصد الأعداء وضعه .

(٤) المبين : الظاهر البين ، يقال أبنت الشيء ، وأبان هو ؛ واسم يكن : ضمير
 الفضل الأول : أي إذا لم يكن ذلك الفضل فضل السعيد . يقول : لا ينحك فضلك الظاهر
 إذا لم ينحك جدك القاهر ، أي أنه إذا لم يكن مع الفضل سعادة وتوفيق لم يغن ذلك الفضل
 صاحبه شيئاً ، قال حسان :

وقال يمدحه ويذكر إيقاعه بين عقيل وقشير وبني العجلان وكلاب لما هاتوا
في نواحي أعماله ، وقصدته إلام ، وإهلاك من أهلكتهم ، وعفوه عن عفا بعد
تضافهم وتضامهم عن لقائه سنة ٣٤٤ .

تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ الْمَذِيبِ وَبَارِقِ

هَجَرَ عَوَالِيَنَا وَهَجَرَ السَّوَابِقِ^(١)

وَصُحْبَةَ قَوْمٍ يَذْهَبُونَ قَنِيصَهُمْ بِفَضْلَةٍ مَا قَدْ كَسَرُوا فِي الْمَنَارِقِ^(٢)

وَلَيْلًا تَوَسَّدْنَا الثَّوْبَةَ تَحْتَهُ كَانَ ثَرَاهَا عَنَبَرٌ فِي الْمَرَاقِقِ^(٣)

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجْهٍ غَطَى عَلَيْهِ النِّعِيمُ

[الحلم : العقل ؛ والجهل : الحق وعدم العقل] وقال ابن دريد :

لَا يَرْفَعُ الْجَدُّ بِلَالٍ وَلَا يَحْطُكُ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَمَلَا

(١) المذيب وبارق : موضعان بظاهر الكوفة ؛ والعوالي : الرماح ؛ والسوابق :
الحيل ؛ وما بين : لك أن تجعله ظرفاً لتذكرت ، وهجر عوالينا بدل منه بدل اشتغال ؛
كأنه قال هجر عوالينا فيه . ولك أن تجعل « ما » زائدة وبين المذيب : ظرفاً للهجر ،
وهجرى - بفتح الليم وضمتها - وهو وهجر : مصدران ميميان . يقول تذكرت نزولنا
بين هذين اللوأمين حين كنا نجر رماحنا عند مطاردة الفرسان وتتسابق على الحيل .
يعنى أنه تذكر أرضه ومنشأه ومطاردة الفرسان وإجراء الحيل .

(٢) القنيص : الصيد ؛ والمنازق : جمع مفرق ، موضع افتراق الشعر من الرأس .
يقول : وتذكرت صحبة قوم صمالك كانوا من البطولة والشجاعة بحيث كانوا
لا يكسرون سيوفهم إلا في حجاجم الأبطال ، وكانوا من الأيد وشدة السواعد وإجادة
الضرب بحيث يذبحون ما يصيدون بفضول ما بقي من سيوفهم التي كسرت في
رؤوس الأعداء .

(٣) الثوبه : موضع بقرب الكوفة ؛ وتوسد الشيء : جعله كالوسادة تحت رأسه ؛
والمراقق : جمع مرفق ، مرفق اليد ؛ وثرأها : ثراها . يقول : وتذكرت ليلاً اتخذنا
فيه هذا المكان مخدات لنا : أى نمنا عليه وكان طيب التراب ، فكان ثرابه الذي
ارتفتنا به حين اتكأنا عليه عبر في المرافق ، وقال ابن جني : المرافق جمع مرفقة وهي
الوسادة . وهذا غير موافق لل مقام ، لأنه يصف تصعلكه وتصعلك أصحابه وجلدهم على

بِلَادٍ إِذَا زَارَ الْحَسَانَ بِغَيْرِهَا خَصَا تُرْبَهَا ثَقْبَنُهُ لِلْمَخَانِقِ (١)
سَقَتْنِي بِهَا الْقَطْرُ بُرْبُلِي مَلِيحَةً

عَلَى كَاذِبٍ مِنْ وَعْدِهَا ضَوْءُ صَادِقٍ (٢)
سُهَادٌ لِأَجْفَانٍ وَشَمْسٌ لِنَظِيرٍ وَسُقْمٌ لِأَبْدَانٍ وَمِسْكٌ لِنَاشِقٍ (٣)

مشقة السر وأن الفضلات المكسرة من السيوف مداهم والأرض وسائدهم ، ولا يفتخر الصلوك بوضع الرأس على الوسادة والبيت من قول البحترى :

فِي رَأْسٍ مُشْرِفَةٍ حَصَاهَا لَوْلُو وَتُرَابُهَا مِسْكٌ يَشَابُ بِمَنْعَرٍ

(١) بغيرها : حال من الحسان ؛ وحصى : فاعل زار ؛ والمخانيق : جمع مخنقة ، وهي القلادة . يقول : هذه البلاد بلاد إذا حمل حصاها إلى النساء الحسان بأرض غيرها ثقبه كما يثقب اللؤلؤ وجعلته قلائد لمن لحسنه ونفاسته ؛ وقال الخطيب التبريزي : إنما أراد ما يوجد حول الكوفة من الحصا الفروحي أى أن تراب تلك الأرض ينوب عن العنبر ، وحصاها ينوب عن الدر وإلحاقوت ، كأن النساء يتحلين به وينظمنه في عقودهن . وفيه نظر إلى قول دعبل :

فَسَكَانًا حَصْبًا وَهِيَ فِي أَرْضِهَا خَرَزُ الْعَقِيقِ نُظْمُنَ فِي سِلَاحٍ

(٢) قطربل : ضيعة من أعمال بغداد ، تنسب إليها الحمر القطربلية ، وعلى كاذب خبر مقدم على ضوء ؛ ومن وعداها ؛ نعت لكاذب يقول . سقتني الشراب القطربلي امرأة مليحة على وعداها الكاذب ضوء الوعد الصادق : أى يستحسن كلامها فيقبل كذبها قبول الصدق ؛ ويجوز أن يريد أنها تقرب الأمر وتعد كأنها تريد الوفاء بذلك ، فهو ضوء الصدق ؛ ويجوز أن يريد ، أن الوعد الكاذب منها محبوب مطلوب ، وفي مثله يقول منصور النخعي :

تَعَلَّلَهُ مِنْهَا غَدَاةَ يَرْتَى لَهَا ظَوَاهِرَ صِدْقٍ وَالبَوَاطِنَ زُورٍ

(٣) قال ابن جني : أى قد اجتمعت فيها — أى المليحة — الأضداد ، فعاشقها لاينام شوقا إليها ، وإذا رآها فكأنه يرى بها الشمس ، وهى سقام لبدنه ، ومسك عند الشم ، فذهب ابن جني — كما ترى — إلى أن البيت صفة للمليحة ؛ وقال العروضي : إنما يصف القطربلي — الحمر — والحمر تجمع هذه الأوصاف ، فإن من اشتغل بشربها لها عن النوم ، وهى — بشعاعها — كالشمس للنظر ، وهى ترخى الأعضاء فيصير شاربها كالسقيم لعجزه عن النهوض ، وهى طيبة الرائحة فتبقى مسك لمن شمها ، والأظھر ما ذهب إليه ابن جني . وقد غاب ابن وكيع على المتنبي هذا ، وقال ينفى : أن يقول :

وَأَغْيَدُ يَهْوَى نَفْسَهُ كُلُّ عَاقِلٍ
عَفِيفٍ وَيَهْوَى جِسْمَهُ كُلُّ فَاسِقٍ^(١)
أَدِيبٌ إِذَا مَا جَسَّ أَوْتَارَ مِزْهَرٍ
بَلَا كُلَّ تَمَعٍ عَنْ سِوَاهَا بِعَاقٍ^(٢)
يُحَدِّثُ عَمَّا بَيْنَ عَادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدَّغَاهُ فِي خَدَى غُلَامٍ مُرَاهِقٍ^(٣)
وَمَا الْخُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفًا لَهُ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلِهِ وَأَتْلَى لَاقٍ^(٤)

سُهاد لأجفان ونوم لساهرٍ وسقم لأبدان وبره سقام
حتى يصح التقسيم والعباق .

(١) وأغيد : عطف على مليحة ؛ ويروى بالجر — على إضمار رب — والأغيد :
الناعم المثني لنا . يقول : وسقاني أغيد جمع بين خفة الروح وحسن الجسم ، فالفاسق
يميل إليه جبا لجسمه ، والعاقل العفيف — الذي لا يفسق — يصبو إلى روحه لحفته
وظرفه . وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

فَتَتَنَنِي وَصِيفَةً كَالْفِطَامِ الْمُرَاهِقِ

هَمَّةُ النَّاسِكِ الْعَفِيفِ وَسُؤْلُ الْمُنَافِقِ

(٢) المزهر : العود ؛ والعائق : اللانع . يقول : إذا تناول العود فحس الأوتار أتى
بما يشغل كل سمع عما سوى الأوتار لحذقه وجودة ضربه ، كما قال الآخر :

إِذَا مَا حَنَّ مِزْهَرُهَا إِلَيْهَا وَحَنَّتْ نَحْوَهُ أَذِنَ الْكِرَامُ

وَأَصْفَوْا نَحْوَهَا الْأَسْمَاعَ حَتَّى كَانَهُمْ — وَمَا نَامُوا — نِيَام

ووصفه بالأدب : إما لأن ضرب العود من آداب اليد ، وإما لأنه يحفظ الأبيات
الحلوة والأشعار النادرة ؛ ويؤكد هذا البيت التالي .

(٣) عاد : هي تلك القبيلة العربية القديمة ؛ والمراهق : الذي قد راهق الحلم — أى
دافاه وقاربه — يقول : إنه يأتي بالألحان القديمة والأشعار التي قلت في الدهور الماضية ،
فهو بفنائها يحدث عما بين زمان عاد وبين زمانه مع أنه غلام لم يبلغ الحلم ؛ وعبارة ابن
جني : هو أديب حافظ لأيام الناس وسيرهم .

(٤) صمير يكن : للحسن . والخلائق : كالثمائل — الخصال — أى الأخلاق .

وَمَا بَلَدُ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمَوَافِقِ وَلَا أَهْلُهُ الْأَذْنُونُ غَيْرُ الْأَصَادِقِ ^(١)
وَجَايزَةُ دَعْوَى الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى كَلَامُ الْمُنَافِقِ ^(٢)

يقول : إذا لم تكن أفعال الفتي وأخلاقه حسنة جميلة فليس حسن وجهه شرفاً له ، قال
العباس بن مرداس :

وَمَا عِظَمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ نَحْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرٌ
وقال الفرزدق :

وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجِسْمِ وَطَوْلِهَا إِذَا لَمْ يَزِنْ حُسْنَ الْجِسْمِ عُقُولُ
وقال دعلج :

وَمَا حُسْنُ الْجِسْمِ لَهُمْ بِزَيْنٍ إِذَا كَانَتْ خَلَائِقُهُمْ قَبَاحًا
(١) الأذنون : الأقربون - جمع أدنى - والأصديق : جمع أصدقاء ، جمع صديق
قال الواحدى : هذا حث على السفر والتغرب . يقول : ليس بلد الإنسان إلا ما يوافقه ،
ولا أقاربه إلا أصدقاؤه ، يعنى أن كل مكان واقعه وطاب به عيشه فهو بلده ، وكل قوم
صادقوه وأصفوا له المحبة فهم رهطه الأذنون . قال العكبرى : وأخذ صدره
من قول القائل :

يُسْرُ الْفَتَى وَطَنُ لَهُ وَالْفَقْرُ فِي الْأَوْطَانِ غُرْبَةٌ
وأخذ محمزه من قول الآخر :

دَعَوْتُ وَقَدْ دَهَنَتِي دَاهِيَاتٌ وَلِلْأَيَّامِ دَاهِيَةٌ طَرُوقُ
صَدِيقًا لَا شَقِيقًا فِيهِ غِلٌّ أَلَا إِنَّ الصَّدِيقَ هُوَ الشَّقِيقُ

(٢) يقول : يجوز أن يدعى المحبة من لا يعتقدها ويتظاهر بها من لا يلتزمها ،
ولكن المنافق لا يخفى اضطراب لفظه . قال العكبرى : وهذا إشارة إلى أن شكره
لسيف الدولة ليس كشكر من يتصنع له ولا بخلص له حقيقة وده ؛ وقال الواحدى :
يعرض فى هذا بمشيخة من بنى كلاب إذ طرحو أنفسهم على سيف الدولة لما قصدهم
بيدون له المحبة غير صادقين . وفى مثل هذا يقول الآخر :

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مَحْدَثُهَا مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا
ويقول القائل :

خَلَيْتُ لِلْبُغْضَاءِ حَالٌ مُبِينَةٌ وَلِلْحُبِّ آيَاتٌ تَرَى وَمَعَارِفُ

بَرَأَى مِنْ أَفْقَادَتِ عُقَيْلٍ إِلَى الرَّدَى وَإِشْمَاتٍ مَخْلُوقٍ وَإِسْخَاطٍ خَالِقٍ^(١)
أَرَادُوا عَلِيًّا بِالَّذِي يُعْجِزُ الْوَرَى وَيُوسِعُ قَتْلَ الْجَحْفَلِ الْمُتَضَاقِ^(٢)
فَمَا بَسَطُوا كَفًّا إِلَى غَيْرِ قَاطِعٍ وَلَا حَمَلُوا رَأْسًا إِلَى غَيْرِ فَالِقِ^(٣)
لَقَدْ أَقْدَمُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ آخِذٍ وَقَدْ هَرَبُوا لَوْ صَادَفُوا غَيْرَ لَا حَقِ^(٤)
وَلَمَّا كَسَا كَعْبًا نِيَابًا طَفَوْا بِهَا رَمَى كُلِّ ثَوْبٍ مِنْ سِنَانٍ بِخَارِقِ^(٥)
وَلَمَّا سَقَى الْغَيْثَ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ سَقَى غَيْرَهُ فِي غَيْرِ تِلْكَ الْبَوَارِقِ^(٦)

(١) عقيل بن كعب : قبيلة من قبائل قيس عيلان ، ومنهم كان رؤساء الجيش الذي أوقع بهم سيف الدولة . يقول : من الذي أشار على عقيل هذه أن يعصوك ويتمردوا عليك حتى ألقوا بأيديهم إلى التهلكة وأشتموا أعداءهم وأسخطوا الله سبحانه ؟ يعني أنهم أساءوا في هذا التدبير .

(٢) على : هو سيف الدولة ؛ ويوسع : يكثر ؛ والجحفل : الجيش العظيم ؛ والذي يعجز الوري : هو عصيان سيف الدولة . يقول : أرادوا عصيانك الذي يعجز الناس — لأنه لا يقدر أحد على أن يعصيك — والذي يكثر به قتل الجيش العظيم المتضايق لكثرة وازدحامه ؛ يعني أنه لا يقدر أحد على عصيانه ولا يقدر جيش على ملاقاته .

(٣) يقول حين عصوه وقتلوه بسطوا أكتفهم إلى من قطعها وحملوا رءوسهم إلى من فلقها — يريد بنى عقيل — وأنهم كانوا في تلك الحرب جزر السيوف وغرض الختوف .

(٤) يقول : لقد أقدموا على الحرب ، ولكنهم وجدوا منك من أخذهم عند الإقدام ولحقهم عند الهرب ، فلم ينفعهم الإقدام ولا الهرب ؛ يعني أنهم لم يؤثروا من ضعف في حربهم ولا من تقصير في هربهم ، ولكنهم رأوا من لا يوافق في حرب ولا يمتنع منه بهرب .

(٥) كعب : قبيلة منهم ؛ وطفوا تمردوا ؛ والسنان : الرمح . يقول : لما أنعم عليهم فألبسهم ثياب نعمته طفوا وتمردوا ولم يشكروا نعمته فسلبهم النعمة بالإغارة عليهم وقتيلهم ، فكأنه خرق بأسنته ما ألبسهم من ثياب نعمته .

(٦) أراد بالغيث : إنعامه عليهم . والبوارق : جمع بارق ، وهو السحاب فيه برق . وقوله : سقى غيره : أي سقام كأيس الموت في غيره بوارق الغيث ؛ يعني في بوارق السيوف .

وَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ حَارِمٍ
 كَمَا يُوجِعُ الْحِرْمَانُ مِنْ كَفِّ رَازِقٍ (١)
 أَنَاهُمْ بِهَا حَشَوَ الْعَجَاجَةَ وَالْقَنَا سَنَابِكَهَا تَحْشَوْنَ بَطُونَ الْحَمَالِقِ (٢)
 عَوَابِسَ حَلَى يَابِسِ الْمَاءِ حَزْمَهَا فَهِنَّ عَلَى أَوْسَاطِهَا كَالْمَنَاطِقِ (٣)

والعنى لما أمطر عليهم الخير والجود وكفروا به أمطر عليهم العذاب لأنه أناهم من عسكره في مثل السحاب البارقة ، فكانت ضد السحاب التى أحسن إليهم بها فكفروها . وفى مثل هذا يقول البحرى :

لَقَدْ نَشَأْتُ بِالشَّامِ مِنْكَ سَحَابَةٌ تَوَلَّى جَدَّوَاهَا وَيُحْشَى دِمَارُهَا
 فَإِنْ سَأَلُوا كَانَتْ غَمَامَةً وَأَيْلٍ وَغَيْثًا وَإِلَّا فَالْدَّمَارُ قِطَارُهَا

(١) يقول : إن إساءته إليهم أوجع من إساءة غيره لأنه كان محسنا إليهم وهم تعودوا إحسانه ، فإذا تنكر لهم كان أشد عليهم . فهو يقول — موبخا لبني كعب لما حرمت أنفسهم فضل سيف الدولة ، الذى كان عندهم عادة دائمة ونعمة سابقة — : وما يوجع الحرمان ممن لا يرتقب فضله ، ولا يؤلم المنع ممن لا يؤمل بذله ، كما يوجع ذلك ممن قد أنست النفوس إلى كريم عوائده وسكنت القلوب إلى جميل عواطفه . يريد أنهم كانوا أصدقاء خرموا فضله ورفده .

(٢) بها : أى بالخيول — وإن لم يجر لها ذكر — ؛ وحشو : حال ، كأنه قال : محشوة ، والعجاجة : واحدة العجاج : الفبار . والقنا : الرماح ؛ والسنايك : أطراف الحوافر ؛ والحمالق — بحذف الياء ، لأنها الحمالق — جمع حمالق : بطن جفئن العين . يقول : أناهم بالخيول وقد أحاطت بها الرماح والفبار فهى حشو هذين ، وحوافرها تحشو العينون بما تثير من الفبار . وقال العروصى : أبلغ من هذا أن الخيل تطأ رؤوس القتلى فتحشو حمالقها بسنايكها ، كما قال :

* وَمَوَاطِنُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ *

فأما أن يرتفع الفبار فيدخل فى العينون فلا كثير افتخار فى هذا .

(٣) عوابس : حال — أى كالحلة لما أصابها من الجهد — ؛ وحلى : من الحلية . وأراد ييابس الماء : ما جف من العرق ، وعرق الخيل إذا جف أبيض ؛ والحزم : جمع حزام ؛ والمناطق : جمع منطقة ، ما يشد به الوسط . يقول : أتهم الخيل كالحلة وقد جف العرق على حزمها فايبس ، فصارت الحزم كأنها المناطق المحلاة بالفضة .

فَلَيْتَ أَبَا الْهَيْجَا يَرَى خَلْفَ تَدْمُرٍ طَوَالَ الْعَوَالِي فِي طَوَالِ السَّمَائِقِ^(١)
 وَسَوْقَ عَلَيَّ مِنْ مَعْدَةٍ وَغَيْرِهَا قِبَائِلَ لَا تُعْطِي الْقَفَى لِسَائِقِ^(٢)
 قُشَيْرٌ وَبَلْعَجَانٌ لَانَ فِيهَا خَفِيَّةٌ كَرَاءَيْنِ فِي أَلْفَاطِ أَلْتَنَغِ نَاطِقِ^(٣)
 تُخْلِبُهُمُ النَّسْوَانُ غَيْرَ فَوَارِكِ وَهُمْ خَلَوْا النَّسْوَانَ غَيْرَ طَوَالِقِ^(٤)
 يُفَرِّقُ مَا بَيْنَ الْكُمَاةِ وَبَيْنَهَا بِضَرْبٍ يُسَلِّي حَرَّهُ كُلَّ عَاشِقِ^(٥)
 أَتَى الظُّفْنَ حَتَّى مَا تَطِيرُ رَشَاشَةٌ مِنْ أَلْخِيلٍ إِلَّا فِي نُحُورِ الْعَوَاتِقِ^(٦)

(١) أبو الهيجا : كنية والد سيف الدولة ؛ وتدمر : البلد القديم المعروف ؛ والعوالى : الرماح ؛ والسمايق : جمع سملق ، للفازة المستوية الأرض المترامية الأطراف . يقول : ليت أباك حى فيراك وقد خلفت تدمر تطارد قبائل العرب برماحك الطويلة فى المفاوز الطوال .
 (٢) القفى : جمع قفا ؛ وعلى : اسم سيف الدولة . يقول : ويراك تسوق أمامك من بنى معد وغيرهم قبائل لا تنهزم من أحد ولا تولى أقيمتها من يسوقها ، يعنى ؛ إنك أذلت من العرب من لم بذلله غرك . واللام فى لسائق : زيادة فى التوكيد .

(٣) بلعجلان : يريد بنى العجلان ، خذف النون لمشابهتها اللام ، كما قالوا فى بنى الحارث : بلحارث . وقوله فيها : أى القبائل . يقول : إن هاتين القبيلتين قد تبددتشملهما بين ماتبدد من القبائل التى هربت بين يديك ، فقلنا وخفيتا فيها خلفاء راءين فى لفظ ألتغ إذا كررها ؛ وفيه إشارة الى كثرة الجموع التى ظهر عليها سيف الدولة من العرب ، ومع هذا إنما اعتصموا منه بالحرب .

(٤) فركت المرأة : اذا أبغضت الزوج ، فهى فارك ؛ والطوالق : جمع طالق . يقول : لشدة مالحقهم من الخوف وتشقتهم فى كل وجه تركت النساء أزاجهن من غير بغضة ، والرجال النساء من غير طلاق ؛ وهذا ينظر إلى قول النابغة :

دَعَانَا النِّسَاءُ إِذْ عَرَفْنَ وُجُوهَنَا دُعَاءَ نِسَاءٍ لَمْ يُفَارِقَنَّ عَنْ قَلْبِي

(٥) الضمير فى يفرق : لسيف الدولة : والكمأة : الأبطال عليهم السلاح - جمع كمى - والضمير فى بينها للنسوان . يقول : يفرق سيف الدولة بين الأبطال وبين نسايمهم بضرب شديد ينسى العاشق معشوقه : أى أن شدة ذلك الضرب أنستهم حياطة أحبتهم وحملهم على إسلام ذريتهم ، وكل هذا مما يقيم لهم العذر فى هربهم منه .

(٦) الظفن : جمع ظعينة ، وهى النساء فى الهوادج ؛ والرشاشة : واحدة الرشاش ،

بِكُلِّ فَلَاةٍ تُفَكِّرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا
 ظَعَانٌ حُمْرُ الْحَلِيِّ حُمْرُ الْإِيَانِقِ^(١)
 وَمَلُومَةٌ سَنِيفِيَّةٌ رَبِيعَةٌ يَصِيحُ الْحَصَى فِيهَا صِيَاخَ اللَّقَالِقِ^(٢)
 بَعِيدَةٌ أَطْرَافِ الْقَنَا مِنْ أُصُولِهِ قَرِيبَةٌ بَيْنَ الْبَيْضِ غُبْرُ الْيَلَامِقِ^(٣)

مارشرش من الدم ونحوه ؛ والعواتق : جمع عاتق ، وهى الجارية التى قد أدركت وشبت فى بيت أبيها . يقول : إن خيل سيف الدولة لحقت بنساء هؤلاء القوم فكان فرسانه إذا طعنوا تناضح الدم فى نحور النساء ، وإذا لحقوا بالعواتق فهو أعظم من لحاقهم بغيرهن لأنهن أحق بالصون والحماية . هذه رواية ابن جنى وتفسيره . وروى ابن فورجه : أى الطعن حتى ما يطير رشاشه : الطعن - بالطاء المهملة ؛ ورشاشه : بالهاء ضمير الطعن أى طاعن الأعداء وهم فى بيوتهم حتى يطير رشاشه فى نحور النساء : أى أنه غزا العدو فى عقر داره .

(١) بكل : خبر مقدم ، وظعائن : مبتدأ مؤخر . والظعائن : جمع طعينة ، وهى النساء المحمولات فى الهوداج ، وحر الحلى : أى أن حلين الذهب ، والأيانق : جمع أينق ، جمع ناقة : أى أنهن من الأشراف . ذوى اليسار حلين الذهب ومركوبهن النياق الحمر - وهى أكرم النياق عند العرب - يقول : إنهم أبعدا فى الحرب حتى انتشرت نساؤهم فى كل فلاة منقطعة لاعددها بالأنس ، ومع ذلك أدركهم ، فما ينفعهم هربهم ؛ أو تقول : حمر الحلى وحر الايانق من الرشاش الذى أصاب نحور العواتق فخر حلين ونوقهن ؛ فيكون الكلام متصلا بما قبله .

(٢) وملومة : عطف على ظعائن ؛ والكنتية : اللومة المجتمعة ؛ وسيفية نسبة إلى سيف الدولة : ورعية : لأنه من ربيعة ، واللقالق : جمع لقلق ، طائر كبير كثير فى العراق . ويصيح الحصى فيها : أى عند وقع حوافر الخيل عليه . شبه صوت الحصى بصوت اللقاليق . يقول : إن جيش سيف الدولة بلغ تلك الفلاة البعيدة .

(٣) بعيدة : صفة للمومة ؛ والقنا : الرماح ؛ والبيض : جمع بيضة : الخوذة تكون على الرأس ؛ واليلامق : الأقبية ، جمع يلقى : وغبر : جمع أغبر ، وكان الوجه أن يقول غبراء اليلامق ، لأنها صفة للكنتية ، لكنه جمع ذهابا إلى المعنى ، لأن الكنتية جماعة ، وهذا كما تقول : مررت بكنتية صفر الأعلام طوال الرماح : يقول : إن رماحهم طويلة قد تباعدت أطرافها من أصولها وهم متضايقون متكاثفون مجتمعون ، لازدحامهم ،

نَهَاها وَأَغْنَاهَا عَنِ النَّهْبِ جُودُهُ فَمَا تَبَتَّنِي إِلَّا حُمَاةَ الْحَقَائِقِ ^(١)
تَوَهَّمَا الْأَعْرَابُ سُورَةَ مُتَرَفٍ تَذَكَّرُهُ الْبَيْدَاءُ ظِلَّ السَّرَادِقِ ^(٢)
فَذَكَّرْتَهُمْ بِالمَاءِ سَاعَةً غَبَّرَتْ سَمَاوَةَ كَلْبٍ فِي أَنْوْفِ الْخَزَائِقِ ^(٣)

فتقارب ما بين رءوسهم وقد اغبرت ثيابهم لما تثير خيلهم من الغبار . وفي هذا إشارة إلى أن الفلوات التي لجأ إليها هؤلاء القوم ظانين أنها تعصمهم من خيل سيف الدولة لم تجد لهم فقد أقحمها عليهم ولم يتيب احتراقها .

(١) جوده : يروى سيبه ؛ والحقائق : جمع الحقيقة ، ما تحقق حمايته من أهل ومال ونحوهما . يقول : إن جود سيف الدولة يغنيهم عن نهب الأموال فهم لا يطلبون إلا قتل الشجعان الذين يحمون ما يحق عليهم حمايته كما قال أبو تمام :

إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
(٢) السورة : الوثبة ؛ والهاء في توهما : للسورة ؛ أي تومم الأعراب هذه السورة منك سورة مترف . ويجوز أن تكون ضمير الشأن فسرّه بفرد ؛ والأعراب : سكان البادية ؛ والمترف : للتنعم ؛ والبيداء : الفلاة المهلكة ؛ والسرايق : ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف . يقول : تومم الأعراب أن حرك سورة متنعم إذا صار في البيداء تذكر ما كان فيه من الظل والنعم كمادة للولك فانصرف عنهم وتركهم هرباً من العطش والحر ؛ وفي هذا نظر إلى قول البحري :

أَلُوفُ الدِّيَارِ فَإِنَّ أَرْمَعَ التَّرَحُّلِ حَرَّمَ لِيْطَانَهَا
إِذَا هُمْ لَمْ يَهْتَدِمْ عَزَمَهُ مَقَاصِيرُ يَعْتَادُ أَكْفَانَهَا
وإلى قول منصور الغمري :

كَذَبَ الْعِدَا لَوْ كُنْتَ صَاحِبَ نِعْمَةٍ صَرَعَتْكَ بَيْنَ إِقَامَةٍ وَكَلَالِ
(٣) غبرت : أثارت الغبار ؛ وسماوة كلب : أي سماوة بني كلب ، وهي بركة معروفة بناحية العواصم ؛ والخزائق : جمع خزقة ، وهي الجماعة . يقول : في هذا الوقت ذكرتهم أنت بالماء ، أي حملتهم على تذكر الماء حين اشتد عطشهم في بركة السماوة وقد ملأ غبارها أنوفهم وهم هاربون بين يديك ، يعني عرفتهم صبرك عن الماء وأن الأمر لم يكن على ما ظنوا من أنك لا تصبر عن الماء وأنت تنبهم .

وَكَانُوا يَرْوَعُونَ الْمُلُوكَ بَأْنَ بَدَوْا وَأَنْ نَبَتَتْ فِي الْمَاءِ نَبَتَ الْفَلَاقِ^(١)
فَهَا جُوكَ أَهْدَى فِي الْفَلَا مِنْ نُجُومِهِ
وَأَبْدَى بِيُوتَا مِنْ أَدَاخِ النَّفَاقِ^(٢)
وَأَصْبَرَ عَن أُمَوَاهِهِ مِنْ ضِيَابِهِ وَأَلَفَ مِنْهَا مُقَلَّةً لِلْوَدَائِقِ^(٣)

(١) يروعون : يخيفون ؛ وبأن بدوا : أى بأنهم أقاموا بالبادية ؛ وأن : مخففة من التثنية ؛ والضمير في نبتت : للملوك . والفلاق : جمع غلفق ، وهو الطحلب . يقول : إن هؤلاء القبائل كانوا يخيفون الملوك بأنهم نشأوا في البادية فلا يكثرثون للحر والعطش ويصبرون على عدم الماء ؛ وأن الملوك لا صبر لهم عن الماء لأنهم نشأوا فيه - أى في جواره - كما ينشأ الطحلب في الماء ، فظنوا أن سيف الدولة مثل أولئك الملوك .
(٢) أهدي : أفضل تفضيل - من الهداية - وهو حال من ضمير المخاطب ؛ والفلا : جمع فلاة . والضمير من نجومه يرجع إلى الفلا : لأن كل جمع بينه وبين واحد التاء يجوز فيه التأنيث والتذكير ؛ وأضاف النجوم إلى ضمير الفلا مجازاً على تشبيه النجوم بالقوم المسافرين ؛ وأبدى : أظهر . وأداحى : جمع أدحى - ككرسى - موضع يبيض النعام من الرمل ؛ والتفائق : جمع التفنق ، ذكر النعام . يقول : فهيجوك وأثاروك عليهم بمصائبهم فكنت أهدي إليهم في الفلوات من النجم وأظهر بيوتا فيها من مبيض النعام ، وذلك أن النعامة لاعش لها ولكنها تدحو الرمل برجلها ، أى تبسطه ثم تبيض فيه . يريد أنه لم يتلصص مواضع الشجر والظل ولكن ينزل على وجه الصحراء معرضاً لحر الشمس .

(٣) الضباب . جمع ضب ، الدوية البرية المعروفة ؛ والودائق : جمع وديقة ؛ شدة الحر عند دنو الشمس من الرؤوس ؛ قال بعضهم : سميت وديقة لأنها ودقت إلى كل شئ . أى وصلت إليه . قال أبو المثلم الهذلي يرثى صخرأ :

حامي الحقيقة نسالُ الوديقة مفئاق الوسيقة لا نيكس ولا واني^(١)

(١) قبله :

أبى الهضيمة نائب بال عظيمة متلاف الكريمة جلد غير ثنيان

قال ابن الأعرابي : يقال فلان يحكى الحقيقة وينسل الوديقة يقال للرجل المشمر القوى : أى ينسل نسلانا في وقت الحر نصف النهار والوسيقة الطريدة من الإبل وفرس معتاق الوسيقة وهو الذى إذا طرد عليه طريدة أنجاهها وسبق بها .

وَكَانَ هَدِيرًا مِنْ فُحُولٍ تَرَكَتَهَا مُهَلَّبَةً الْأَذْنَابِ خُرْسَ الشَّقَاشِقِ^(١)
فَمَا حَرَّمُوا بِالرَّكْضِ خَيْلَكَ رَاحَةً

وَلَكِنْ كَفَّاهَا الْبَرُّ قَطَعَ الشَّوَاهِقِ^(٢)

وَلَا شَفَلُوا صَمَّ الْقَنَا بِقُلُوبِهِمْ

عَنِ الرَّكْزِ لَكِنْ عَنْ قُلُوبِ الدَّمَاسِقِ^(٣)

وأصبر : عطف على أهدى - في البيت السابق - . يقول : وكنت أصبر على الماء من الضب - والضب لا يرد الماء قط - وكنت آلف مقلة للبحير - شدة الحر - من الضب مع أنها تسكن الفلوات . وكل هذا إشارة إلى أنهم أخطأوا في تقديرهم سيف الدولة وخبرته باختراق القفار ، وأنهم عجزوا عما بدانه من الأيد والجلد .

(١) اسم كان : ضمير فيها ؛ وهديرًا : خبرها ؛ والتقدير : وكان فعلهم أو كيدهم . والهدير : صوت البعير إذا رددته في خنجرته ؛ والمهلبة : المقطوعة الهلب ، وهو شعر الذنب ؛ والشقاشق : جمع الشقشقة ، وهي لهامة البعير إذا هدر أخرجها من فمه يقول : كان طغيانهم وغيرهم مثل هدير فحول تهادرت فانتدب لها قرم - فحل كريم - هو سيف الدولة - مصعب فضعمها - عضها ببلء فمه - أي نال منها - وسار عليها فتركها - صيرها مهلبة الأذنان ساكنة الهدير ، يعني أذلهم وصغر أمرهم ، لأن الفحل إذا أخذ هلبة ذل ، لأن الفحول إنما تتخاطر بأذنانها . وإذا أخذ شعر ذنبها ذلت ، قال الشاعر :

أَبَى صِفَرُ الْأَذْنَابِ أَنْ تَحْطُرُوا بِهَا

والعنى : تركت فحول تلك القبائل كفحول إبل تستدل بقطع الأذنان ، وسكنتها بعلبتك عليها فانتقطعت أصوات شقاشقها . يريد أنه أذل أعزاء الأعراب وذهب بقوتهم وظفر بهم .

(٢) الشواهي : جمع شاهق ، الجبل الشامخ العالى . يقول : إنهم بفرارهم منك وإحواجهم إياك إلى الركض خلفهم لم يحرموا خيلك راحة لأنك لو لم تذهب إليهم لقصدت الروم ، فلما قصدت هؤلاء الأعراب أغنى خيلك السير في البرارى عن تحشم قطع الجبال بأرض الروم .

(٣) الصم : الصلاب ؛ والقنا : الرماح ؛ وبقلوبهم : متعلق بشغلوا ؛ وركز الرمح : غرزه في الأرض قائمًا لا يسطع به ؛ والدماشق : جمع دمهشق - على حذف التاء - والدمهشق : قائد الروم . يقول : إنك لو لم تحاربهم ما كنت تركز رماحك

أَلَمْ يَحْذَرُوا مَسْخَ الَّذِي يَمْسَخُ الْعِدَا وَيَجْعَلُ أَيْدِيَ الْأُسْدِ أَيْدِيَ الْخِرَانِقِ^(١)
 وَقَدْ عَايَنُوهُ فِي سِوَاهُمْ وَرُبَّمَا أَرَى مَارِقًا فِي الْحَرْبِ مَضْرَعٌ مَارِقِ^(٢)
 تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَانِقِ^(٣)
 وَلَا تَرِدَ الْفُذْرَانِ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَائِقِ^(٤)

تاركا للحرب بل كنت تغزو الروم ، فهم إنما شغلوا رماحك بحربهم عن دمار قلوب قواد الروم : أى فلا راحة لحيلك ولا لسلاحك .

(١) المسخ : قلب الحلقة ؛ والخِرَانِق : جمع خرنق - بكسر الخاء - وهن الإناث من أولاد الأرانب أو الصغار منها . يريد بمسخه الأعداء أن يجعل الشجعان منهم جناء والأقوياء ضعفاء ، فتصير الأيدي القوية التي كأنها أيدى الأسد أيديا ضعيفة كأنها أيدى الأرانب . وعبارة العكبرى : ألم يحذر الأعداء سطوته التي هي على عدوه كالمسخ الذي يقلب الخلق ويبيض الصور ويبعد بها عزيزهم ذليلا وكثيرهم بالقتل قليلا ويجعل أيدى الأسد من أعدائه وقد تناهت في القوة كأيدى الخِرَانِق قصيرة مما يكسبهم من الذلة والصغار ؟ وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

لَوْ أَنَّ أَيْدِيَكُمْ طَوَالٌ قَصَّرَتْ عَنْهُ فَكَيْفَ تَكُونُ وَهِيَ قِصَارُ

(٢) وقد عاينوه : حال من ضمير يحذروا - في البيت السابق - والمارق في الأصل : الذي يمرق من الدين ؛ والمراد : الخارج عن الطاعة - من مروق السهم - والمصرع : مصدر صرعه ، إذا طرحه على الأرض ؛ ويراد به القتل . يقول : قد عاينوا بطشه بغيرهم فما اعتبروا بتلك المصارع وكان جديراً بهم أن يعتبروا بها وقد أراهم سيف الدولة مصرع العاصي المتمرد عليه حتى يعتبر الثاني بالأول ، كما قال أشجع :

شَدَّ الْخَطَامَ بِأَنْفِ كُلِّ مُخَالِفٍ حَتَّى اسْتَقَامَ لَهُ الَّذِي لَمْ يَخْطَمْ

(٣) القضم : أكل الشيء اليابس ؛ والهام : الرءوس ؛ والعلائق : جمع عليقة ، وهى الخلالة تعلق من رأس الدابة لتعتلف ؛ وجنوبها : نواحيها . قال ابن جني : سألته - المتنبي - عن معنى هذا البيت فقال : الفرس إذا علفت عليه الخلالة طلب لها موضعاً مرتفعاً يجعلها عليه ثم ياكل ؛ فخيله أبداً إذا أعطيت عليقتها رفقة على هام الرجال الذين قتلهم لكثرة حولها ، فقد تعودت خيله ذلك في غزواتها .

(٤) ولا ترد : عطف على لا تقضم ؛ والفدران : جمع غدير ، وهو ما غدره السيل - تركه - والشقائق : نور أحمر ؛ يقال له شقائق النعمان ، قال ابن جني . أى

لَوْفَدُ نَمِيرٌ كَانَ أَرْشَدَ مِنْهُمْ وَقَدْ طَرَدُوا الْأَطْمَانَ طَرَدَ الْوَسَائِقِ^(١)
أَعَدُّ رِمَاحًا مِنْ خُضُوعٍ فَطَاعَنُوا بِهَا الْجَيْشَ حَتَّى رَدَّ غَرْبَ الْفَيَالِقِ^(٢)

لكثرة ما قتله من أعدائه جرت دماؤهم إلى الغدران فغلبت على خضرة الماء حمرة الدم،
والسوء يلوح من خلال الدم كالريحان تحت الشقائق، وماء الغدير أخضر من الطحلب
فشبه خضرة الماء وحمرة الدم بالريحان تحت الشقائق. وقال ابن فورجه : إنما يعني أنه
لا يروم الهويونا ولا تشرب خيله الماء إلا وقد حاربت عليه واحمر الماء من دم الأعداء ،
كما قال بشار :

فَتَى لَا يَبِيْتُ كُلِّي دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءُ إِلَّا بِدَمٍ

وقال المكبري : ويحوز أن يكون أراد أن خيله لا تقرب الغدران واردة ، ولا
تقتحم مياهها شاربة إلا وتلك المياه تحت ما يسفكه من دماء أعدائه كالريحان في خضرته
إذا استبان تحت الشقائق ، واستولت بجمرتها على جلته ؛ وأشار بخضرة الماء إلى
صفاته وكثرته ، ونبه بذلك على جرمه ، وأن هذه الخيل إنما تأنس من الماء ما هذه
صفته ، وترد منه ما هذه حقيقة ؛ وفيه نظر إلى قول جرير :

وَمَا زَالَتِ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا بِدِجْلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجْلَةٍ أَشْكَلُ^(١)

(١) لوفد : اللام للابتداء ؛ والوفد : القوم الوافدون ؛ ونمير : قبيلة منهم استسلمت
لسيف الدولة - كما سيذكر في البيت التالي - والأطمان : جمع ظعن ، جمع ظعينة ،
للرأة مادامت في الهودج . والوسائق : جمع وسيقة : الطريدة من الغنم أو الإبل .
يقول : إن هؤلاء الذين وفدوا إليك من بني نمير كانوا أرشد من الذين هربوا عاصين
وطردوا نساءهم كما تطرد الوسائق .

(٢) ضمير رد : للخضوع ؛ وغرب كل شيء : حده . والفيايق : جمع فيلق ،
القطعة من الجيش . يقول : إن هؤلاء الوافدين عليك من نمير أتوك خاشعين
فقام خضوعهم مقام رماح طاعنوا بها جيشك مدافعين عن أنفسهم ، وهذا كما يقول
أبو تمام :

فَاطَ لَهُ الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ رُوحَهُ وَجُبَانَهُ إِذْ لَمْ تَحْطُهُ قَنَابِلُهُ

(١) تمور : تجري ؛ وأشكل : فيه بياض وحمرة ، قد اختلطا .

فَلَمْ أَرَ أَرْقَى مِنْهُ غَيْرَ مُحَاثِلٍ وَأَمَرَى إِلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ مُسَارِقٍ^(١)
تَصِيبُ الْجَانِيقِ الْعِظَامُ بِكَفِّهِ دَقَائِقَ قَدْ أُعِيتَ قِيسُ الْبَنَادِقِ^(٢)

وقال في صباه يمدح أبا المنتصر شجاع بن محمد بن أرس بن معن بن الرضى
الأزدى :

أَرْقَى عَلَى أَرْقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّ^(٣)
جُهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ وَقَلْبٌ يَخْفِقُ^(٤)

(١) المحاذل : المخاضع ؛ والمسارق : الذى يتربص غفلة . يقول : لم أر أحداً يرمى
أعداءه جهاراً ويسرى إلى أعدائه معالناً غير مسرك كما يرمى هو ويسرى ، فهو لا يحتاج
إلى المخاتلة والمسارقة فى الظفر بعدوه ، وفى هذا يقول البحرى :

فَنَذْرُكُ بِالْإِقْدَامِ بُفَيْقِنَا الَّتِي نَطْلُبُهَا لَا بِالْخُدَيْعَةِ وَالْمَكْرِ
وهو معنى قديم .

(٢) الجانيق : جمع منجنيق ، آلة ترمى بها الحجارة ونحوها على الحصون فى الحصار ؛
والدقائق : الأشياء الدقيقة ؛ وأعيت : أعجزت ؛ والقسى : جمع قوس ، وهو من القلب
المسكن . والبنادق : جمع بندقة ، ما يعمل من الطين ويرمى به الطير . يقول : إنه
يقدر على ما لا يقدر عليه غيره حتى يصيب بالمنجنيق مع اختلاف رمية وتمذر ضبطه من
الأشياء الدقيقة ما يعجز غيره عن أن يصيبه بالقسى التى ترمى بها البنادق ، يعنى أنه
معان موفق مؤيد .

(٣) الأرق : فقد النوم ؛ والجوى : الحرقه - من حزن أو عشق - . والعبرة :
الدعة تتردد فى العين ؛ وتقول : رقرقت الساء فترقرق : مثل أسلته فسال . يقول :
لى سهاد بعد سهاد على أثر سهاد ، ومثلى بمن كان عاشقاً يسهد لامتناع النوم عليه ،
وحرقة تزداد كل يوم ودমে يسيل .

(٤) جهد الصبابة : مبتدأ ؛ خبره : أن تكون ؛ والجهد - بالفتح - المشقة ، والمضام
الطاقة والوسع ؛ وقيل هما لفتان بمعنى . والصبابة : رقة الشوق . وعين : خبر مبتدأ
محذوف ، تقديره لى عين ؛ ويجوز أن تكون عين : خبراً عن جهد الصبابة ، وأن
تكون فى موضع الحال . يقول : غاية الشوق أن تكون بهذه الحال التى أنا فيها ،
وقال البحرى :

مَا لَاحَ بَرَقَ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا أُنْذِنْتُ وَلِي فُؤَادٌ شَيْقٌ^(١)
 جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهُوَى مَا تَنْطَفِئُ نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُ عَمَّا تَحْرِقُ^(٢)
 وَعَدَلْتُ أَهْلَ الْعِشْقِ حَتَّى دُفِنْتُ
 فَمَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَفْشَقُ^(٣)

هل غاية الشوق المبرح غير أن يغلو نشيج أو تفيض مدامع

(١) انثنت : رجعت ؛ ولي فؤاد : جملة حالية ؛ والشيق : المشتاق ؛ وهو معلوم أن لمعان البرق يهيج العاشق ويحرك شوقه إلى أحبته لأنه يتذكر به ارتحالهم للنجعة وفراقهم ، ولأن البرق ربما لمع من الجانب الذي هم به ، وكذلك ترنم الطائر . وهذا كثير في أشعارهم ومنه قول بعضهم :

مَا تَغْنَى الْقُمْرَى إِلَّا شَجَانِي وَغَنَاءُ الْقُمْرَى لِلصَّبِّ شَاجِي

(٢) الغضى : شجر معروف يستوقد به ، فتكون ناره أبقى . يقول : جربت من نار الهوى نارا تكمل نار الغضى عما تحرقه تلك النار وتنطفئ عنه ولا تحرقه ، يريد أن نار الهوى أشد إحراقا من نار الغضى ؛ وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَوْ كَانَ قَلْبِي فِي نَارٍ لِأَحْرِقَهَا لِأَنَّ إِحْرَاقَهُ أَذْكَى مِنَ النَّارِ

فما - من قوله ماتنطفئ - : مصدرية ؛ والضمير في تحرق : لنار الهوى ؛ وعما تحرق : متعلق بتكل ؛ ومعمول تنطفئ - كما يقول العكبري - محذوف على رأى البصريين في إعمال ثانی الفعلين ؛ كقولك : رضيت وصفحت عن زيد ، لحذفت معمول الأول لدلالة الثاني عليه ؛ وحببتهم أن الثاني أقرب إلى المعمول واختار الكوفيون إعمال الأول . لأنه أسبق في الذكر ، وقد جاء في الكتاب العزيز إعمال الثاني . فهو دليل «للبصري» ، وجاء في أشعار العرب إعمال الأول ففي القرآن «آتوني أفرغ عليه قطرا . هاؤم أقرءوا كتابيه» وفي البيت محذوفان هذا الذي ذكرناه ؛ والثاني حذف العائد إلى «ما» الثانية من صلتها ؛ وفيه حذفان آخران تقديرهما جربت من قوة نار الهوى انطفاء نار الغضى وكلولها عن إحراق ما تحرقه نار الهوى .

(٣) يريد أن يعظم أمر العشق ويجعله غاية في الشدة . يقول : كيف يكون موت من غير عشق ؟ أي من لم يعشق يجب أن لا يموت لأنه لم يقاس ما يوجب الموت ، وإنما الذي يوجهه هو العشق . وقال بعض الشراح : لما كان المتقرر في النفوس أن الموت في أعلى مراتب الشدة قال : لما ذقت العشق وعرفت شدته عجت كيف يكون هذا الأمر المتفق على شدته غير العشق !

وَعَذَرْتُهُمْ وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَظَمْتُهُمْ فَلَقِيتُ فِيهِ مَا لَقُوا^(١)
 ابْنِي أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلٍ أَبْدَا غُرَابُ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ^(٢)
 نَبِيكَ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ جَمَعَهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا^(٣)
 أَيْنَ الْأَكْمِرَةُ الْجِسَابِرَةُ الْآلِي
 كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا يَقِينَ وَلَا يَقُوا^(٤)
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِحَيْثِهِ حَتَّى تَوَى فَحَوَاهُ لَحْدُ ضَيْقٍ^(٥)

(١) يقول: لما ذقت مرارة العشق وما فيه من ضروب البلاء عذرت العشاق في وقوعهم في العشق وفي جزعهم وعرفت أني أذنبت بتعيرهم بالعشق فابتليت بما ابتلوا به ولقيت في العشق من الشدائد ما لقوا ، وفي مثل هذا يقول علي بن الجهم :
 وقد كنتُ بالعُشَّاقُ أَهْزَأَ مَرَّةً وها أنا بالعُشَّاقُ أَصْبَحْتُ بِأَكْيَا
 ويقول أبو الشيس :

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ فَتًى يُبَكِّي عَلَى شَجْنِ هَزَاتٍ إِذَا خَلَوْتُ
 وَأَحْسَبُنِي أَدَالَ اللَّهُ مِنِّي فَصِرْتُ إِذَا بَصُرْتُ بِهِ بِكَيْتٍ

(٢) نَقَّ الْغُرَابُ وَنَقَّ : صَاح . انْتَقَلَ أَبُو الطَّيِّبِ مِنَ النَّسِيبِ إِلَى الْوَعْظِ وَذَكَرَ الْمَوْتَ ، وَمِثْلُ هَذَا — كَمَا قَالَ الْوَاحِدِيُّ — يَسْتَحْسِنُ فِي الْمَرَأَى لَا فِي الْمَدْحِ . وَقَوْلُهُ : ابْنِي أَبِينَا : أَيْ يَا إِخْوَانَنَا . يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نِدَاءً لِجَمِيعِ النَّاسِ — لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمُ بَنُو آدَمَ — وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ قَوْمًا مَخْصُوصِينَ : إِمَّا الْعَرَبَ ، وَإِمَّا رَهْطَهُ وَقَبِيلَتَهُ . يَقُولُ : نَحْنُ نَازِلُونَ فِي مَنَازِلٍ يَتَفَرَّقُ عَنْهَا أَهْلُهَا بِالْمَوْتِ . وَإِنَّمَا ذَكَرَ غُرَابَ الْبَيْنِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَنْشَادُ بِصِيَاحِ الْغُرَابِ ، يَقُولُونَ : إِذَا صَاحَ الْغُرَابُ فِي دَارٍ تَفَرَّقَ أَهْلُهَا ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْغَارِهِمْ .
 (٣) مثله :

لَا يُلَبِّثُ الْقَرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكْرَهُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارٌ

(٤) الْآلِي : أَيْ الدِّينَ ، وَبَقِينُ : أَيْ الْكُنُوزُ ؛ وَبَقُوا : أَيْ الْأَكْسَرَةُ .

(٥) مَنْ — فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ — لِلتَّفْسِيرِ ؛ وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الْأَكْسَرَةِ ؛ وَمَنْ — الْمُضَافَةُ إِلَيْهَا كُلُّ — نَكْرَةٌ مُوَضَّوْقَةٌ . وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهَا : صِفَتُهَا . وَتَوَى : أَيْ أَقَامَ فِي قَبْرِهِ ؛ وَيُرْوَى : تَوَى ، أَيْ هَلَكَ . يَقُولُ : أَوَّلُكَ الدِّينَ ، ذَكَرْنَا مِنْ كُلِّ

خُرُسٌ إِذَا نُودُوا كَانَ لَمْ يَفْعَلُوا أَنْ الْكَلَامَ لَمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ^(١)
وَالْمَوْتُ آتٍ وَالنَّفْسُ تَفَائِسُ وَالْمُسْتَعْرِ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحَقُّ^(٢)
وَالْمَرْءُ يَأْمَلُ وَالْحَيَاةُ شَهِيَّةٌ وَالشَّيْبُ أَوْ قَرُّ وَالشَّبِيَّةُ أَنْزَقُ^(٣)
وَلَقَدْ بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَلِئْتِي مُسَوَّدَةٌ وَلِمَاءَ وَجْهِ رَوْنَقٍ^(٤)
حَذَرًا عَلَيْهِ قَبْلَ يَوْمِ فِرَاقِهِ حَتَّى لَكِدْتُ بِمَاءِ جَفْنِي أَشْرَقُ^(٥)

ملك كثر جنوده حتى ضاق بهم الفضاء فجمعه لحد - شق في جانب قبر - ضيق بعد أن كان الفضاء الواسع يضيق عنه ، قال أشجع :

وأصبح في لحدٍ مِنَ الأرض ضَيْقٌ وكانت به حياءُ تضيقُ الصَّحاصحُ

« الصحاصح : جمع صحصح : الأرض الجرداء ليس بها شجر ولا ماء »

(١) يقول : إنهم موتى لا يحييون من ناداهم كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم لا يحل لهم أن يتكلموا . ولو وصفهم بالمعجز عن الكلام وعدم القدرة على النطق لكان أولى وأحسن ، لأن الميت لا يوصف بما ذكره . . . قاله الواحدى .

(٢) النفيس : الشيء الذى ينفس به ؛ أى يرضى به : والمستعر : المغرور . يقول : الموت يأتى على الناس فيودى بهم وإن كانت نفوسهم عزيزة ؛ والسكيس لا يفتخر بما جمعه من الدنيا لعلمه أنه لا يبقى ولا يدفع عنه شيئاً ، ومن لم يعلم هذا فهو أحمق . وروى المستعر : أى الذى يطلب العز بماله هو أحمق ، وفى معنى البيت :

وإن امرأً أَمِينَ الزَّما نَ الْمُسْتَعْرِ أَعْحقُ

(٣) شهية : مشتة طيبة ؛ وأوقر : من الوقار ؛ والشبيبة : اسم بمعنى الشباب ؛ وأنزق : أخف وأطيش . يقول : إن المرء يرجو الحياة لطيبها عنده ، ويكره الشيب وهو خير له لأنه يبيده الحلم والوقار ، ويحب الشباب وهو شر له لأنه يحمله على الطيش والخفة .

(٤) اللمة من الشعر : ما جاوز شحمة الأذن ؛ والواو قبلها : للحال . والرونق : الحسن والنضارة .

(٥) حذراً : مفعول لأجله ؛ والعامل فيه : بكيت ، واللام من قوله لكدت : للتوكيد ؛ والتقدير : لقد كدت فحذف « قد » ويقال شرق بالماء . كما يقال غص بالطعام يقول : لكثرة دموعى كاد يشرق بها جفنى : أى يضيق عنها ، وإذا شرق جفنه فقد شرق هو ، ويجوز أن يغلبه البكاء فلا يلبع ريقه ويكون التقدير : بسبب ماء جفنى أشرق بريقى ، وفى هذين البيتين نظر إلى قول الآخر - وهو من باب غير هذا الباب - :

أَمَّا بَنُو أَوْسٍ بْنِ مَعْنٍ بْنِ الرِّضَا فَأَعَزُّ مَنْ تَحْدَى إِلَيْهِ الْأَيْتُ^(١)
كَبُرَتْ حَوْلَ دِيَارِهِمْ لَمَّا بَدَتْ مِنْهَا الشَّمْسُ وَلَيْسَ فِيهَا الْمَشْرِقُ^(٢)
وَعَجِبْتُ مِنْ أَرْضٍ سَحَابُ أَكْفُهُمْ
مِنْ فَوْقِهَا وَصُخُورُهَا لَا تُورِقُ^(٣)

مَا كُنْتُ أَيَّامَ كُنْتُ رَاضِيَةً عَنِّي بِذَلِكَ الرِّضَا بِمَقْبُطٍ
عَلَّمَا أَنَّ الرِّضَا سَيَتَّبِعُهُ مِنْكَ التَّجَنُّ وَكَثْرَةُ السَّخَطِ

(١) الأيتى : النياق ، جمع ناقة - على غير قياس - والقياس : الأتوق يقول :
إن قوم هذا للمدوح أعز الناس لنعتهم وشرفهم ، فهم أعز من يقصد ويرى إليه الطلاب
والقصاد ويحدون جمالهم . قال الواحدى : روى الأستاذ أبو بكر الخوارزمى الرضا -
بضم الراء - وهو اسم صنم ؛ وأراد ابن عبد الرضا : كما قالوا ابن مناف . ويريدون
ابن عبد مناف .

(٢) جعلهم كالشموس فى علو ذكركم واشتبارهم أو فى حسن وجوههم . يقول :
كبرت لله - أى قلت الله أكبر - تعجباً من قدرته حين أطلع شمساً لا من المشرق ،
وكانت منازل المدوحين فى جهة المغرب : قال العكبرى : وإنما جمع الشموس ليجعل
كل واحد منهم شمساً ، فقابل جماعة بجماعة ، واستجاز ذلك ، لأن الشمس يختلف طلوعها
وغروبها وازدياد حرها وانتقاصه وتغير لونها فى الأصائل وغيرها ، فيقال : شمس
الضحى ، وشمس الأصائل ، وشمس الصيف ، وشمس الشتاء . كقوله تعالى « رب المشرقين
ورب المغربين » و « رب المشرق والمغرب » وقال الله تعالى « والله المشرق والمغرب »
وقال النخعي :

حَمَى الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لِمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شُعَاعُ شَمْسٍ

(٣) يقول : إذا كانوا يسقونها بندى أيديهم فلم لا تورق صخورها لفضل ندى
أيديهم على ندى السحاب : أى كان من حقها أن تلين حتى تثبت الورق وهذا من قول
البحترى يصف إمام للتوكل :

أَشْرَقَ حَتَّى كَادَ يَحْتَبِسُ الدُّجَى وَرَطْبُنْ حَتَّى كَادَ يَجْرَى الْجَنْدَلُ
ويقول أبو الشمقمق - وكان مع طاهر بن الحسين فى حراقة فى دجلة - :

وَتَفُوحٌ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ رَوَّاحٌ^(١) لَّهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ^(٢)
مِنْ سَكِيَّةِ النَّفْحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا وَخْشِيَّةٌ سِوَاهُمْ لَا تَعْبِقُ^(٣)
أَمْرِيْدَ مِثْلِ مُحَمَّدٍ فِي عَصْرِنَا لَا تَبْلُنَا بِطِلَابٍ مَالًا يُلْحَقُ^(٤)

عَجِبْتُ لِحِرَافَةِ ابْنِ الْحَسَنِ كَيْفَ نَعُومُ وَلَا تَفْرَقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ وَآخِرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَاكَ عَيْدَانِهَا وَقَدْ مَسَهَا كَيْفَ لَا تَوْرَقُ
ويقول مسلم :

لَوْ أَنَّ كَفًّا أُعْشِبْتَ لِسَاحَةِ لَبَدَا بِرَاحَتِهِ النَّبَاتُ الْأَخْضَرُ
(١) مكانة : أى مكان ؛ ومثله منزلة ومنزل ، قال تعالى « على مكاتكم » والثناء
يوصف بطيب الرائحة ، لأن طيب أخبار الثناء فى الآذان مسموعة كطيب الروائح فى
الأنوف مشمومة . يقول : إن أخبار الثناء عليهم تسمع بكل مكان لكثرة اللتين عليهم ،
ولله ابن الرومى حين يقول :

أَعْبَقْتَهُ مِنْ طِيبِ رَيْحِكَ عِبْقَةً كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءُكَ الْمَسْمُوعَا
ولآخر :

لَوْ كَانَ يُوْجَدُ رَيْحُ مُجَدِّ فَأَحْمَا لَوْجَدْتُهُ مِنْهُ عَلَى أُمِّيَالٍ
ولابن الرومى أيضاً :

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْنِى لَنَا مَنْزِلًا فَقُلْ لَهُ يَمْشِى وَيَسْتَنْشِقُ
ومثله :

لَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمْوُكُ لَقَادَهُمْ شَمِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدْلِكَ الرَّكْبُ
(٢) النفحات : الروائح ؛ وتعبق : تفوح . يقول : روائح ما يسمع من الثناء
عليهم مسكية — لها طيب المسك — إلا أنها نافرة لا تعلق بغيرهم ولا تفوح إلا منهم ،
يعنى لا يثنى على غيرهم كما يثنى عليهم .

(٣) أمريد : نداء . يقول : يا من يريد أن يوجد له نظير لا تتمحنا بطلاب مالا
بدرك ، أى أنه لا يوجد له نظير ، وفى مثل هذا يقول ابحترى :

وَلِئِنْ طَلَبْتُ نَظِيرَهُ إِنِّى إِذْناً لَمْ كُفِّ مُطْلَبَ الْمَحَالِ رِكَابِى

لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ أَبَدًا وَظَنِّي أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ^(١)
يَا ذَا الَّذِي يَهَبُ الْكَزْبِيلَ وَعِنْدَهُ أُنِّي عَلَيْهِ بِأَخْذِهِ أَتَصَدَّقُ^(٢)
أَمْطِرْ عَلَى سَحَابِ جُودِكَ ثَرَّةً وَأَنْظُرْ إِلَى بَرِيحَةِ لَا أَغْرَقُ^(٣)

(١) يقول : إذا كان الله سبحانه لم يخلق له مثلاً كان طلب مثله محالاً ، وعبرة العكبري : لا تطلب مثله ، فظني أنه لا يخلق الله مثل محمد ، وصدق إن أراد الاسم لا الصورة — لأن الله تعالى لم يخلق في الأول ولا في الآخر مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، ومثله لأبي الشيبس :

ما كان مثلك في الورى فيمن مضى أحـدٌ وظنّي أنه لا يخلق
ولابن الرومي :

فهل من سبيل إلى مثله أبي الله ذاك على من خلق

واللحصى :

لم يكن في خليفة الله ندٌّ لك فيما مضى وليس يكون
(٢) وعنده : أي وفي اعتقاده أني إذا أخذت هبته فقد تصدقت عليه وأعطيته ، فهو متقلد المنة بذلك وموجب لى الشكر ؛ والأصل في هذا قول زهير :
تراه — إذا ماجئته — متهللاً كأنك تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
فقوله : أتصدق ، أي أعطيه الصدقة وأهبها له : وقد جاء تصدق . بمعنى سأل ، وأنشدوا :

ولو أنهم رزقوا على أقدارهم للقيت أكثر من ترى يتصدق

(٣) ثرة : غزيرة كثيرة الماء . يقول : اجعل سحب جودك ماطرأ على مطراً غزيراً ثم ارحمني بأن تحفظني من الفرق كيلا أغرق في كثرة مطرك وهذا ينظر إلى قول ابن أبي السمط في وصف سحابة :

حتى ظلت أقول في إلحاحها بالوبل : هل أنا سالم لا أغرق

هذا : وقد قال ابن الشجري في أماليه تعليقاً على قوله لا أغرق : تقديره فإن تنظر إلى لا أغرق ، ويحتمل رفعه وجهين : أحدهما أراد لئلا أغرق ، لحذف لام العلة ثم حذف أن ، فارتفع ، كقوله :

أوجد ميتاً قبيل أفقدها

كما جاء في قول طرفه :

ألا أيهذا الزاجري أحضرُ الوغى^(١) *

أراد أن أحضر ، لحذفها ؛ بذلك طى حذفها قوله : وأن أشهد اللذات . والثاني : أن يكون بالفاء مقدرة ، وإذا كانت في الجواب مقدرة ارتفع الفعل بتقديرها ، كما يرتفع بإثباتها ، وإذا كانوا يحذفونها من جواب الشرط الصريح فيرفعون لحذفها من جواب الأمر أسهل كقوله :

مَنْ يَفْعَلِ الحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا^(٢)

وأما قوله تعالى « لا يضرركم » في قراءة الكوفيين وابن عامر ، ففيه ثلاثة أقوال : أحدها بتقدير الفاء ، والثاني على التقديم والتأخير ، كأنه قال : « لا يضرركم كيدهم » « وإن تصبروا وتتقوا » وبهذا التقدير ارتفع قول الشاعر — وهو بيت الكتاب — :

* إنك إن يُصرَع أخوك تُصرَع^(٣) *

والثالث : أن يكون الضم للاتباع .

(١) من معلقة طرفه ، وقد تقدم شرحه في غير موضع من هذا الشرح

(٢) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وقبلة :

إِن بَسَلْ المرءَ من قَتْلٍ ومن هَرَمٍ للذة العيش أفناه الجـديـدان
فإنما هذه الدنيا وزينتها كالزاد لا بد يوماً أنه فاني
من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله سيان

(٣) من رجز لمعرو بن خنارم البجلي وهو :

يا أقرعُ بنَ حابسٍ يا أقرعُ إني أخوك فانظُرْنِ ما تصنعُ
إنك إن يُصرَع أخوك تُصرَعُ إني أنا الداعي نزاراً فاسمعوا
في باذخٍ من عزٍ مجدٍ يفرعُ به يضرُّ قادرٌ وينفعُ
وأدفع الضيم غداً وأمنعُ عزُّ الدُّ شامخٌ لا يُقمَعُ
يتبعهُ الناسُ ولا يُستَنعُ هل هو إلا ذنبٌ وأكرعُ
وزمَعُ مؤنَّسٌ مجَمَعُ وحَسْبُ غلٍّ وأنفٌ أجَدعُ

كَذَبَ ابْنُ فَاعِلَةٍ يَقُولُ بِجَهَنَّمِ مَاتَ الْكِرَامُ وَأَنْتَ حَيٌّ تُرْزَقُ^(١)

وقال في صباه ارتجالاً :

أَيَّ مَحَلٍّ أَرْتَقِي أَيَّ عَظِيمٍ أَتَقِي^(٢)
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ^(٣)
مُحْتَقَرٌ فِي هِمَّتِي كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي^(٤)

(١) كذب ابن فاعلة : أى كذب ابن زانية . كفى بالفاعلة عن الزانية يقول : كذب من قال إن الكرام قد ماتوا مادت في الأحياء مرزوقا ؛ ويرى ترزق — بفتح التاء — أى ترزق الناس . أى تعطيم أرزاقهم ، والأولى أجود .
(٢) أى : استفهام معناه الإنكار . يقول : لم يبق محل ولا درجة في العلو إلا وقد بلغها ، وليس يخاف عظيماً .

(٣ و ٤) للفرق : وسط الرأس حيث يفترق الشعر وقوله وما لم يخلق : قال الواحدى : ليس معناه ما لا يجوز أن يكون مخلوقاً كذات الباري عز وجل وصفاته ، لأنه لو أراد هذا لزمه الكفر بهذا القول ، وإنما أراد : وما لم يخلقه مما سيخلقه بعد ، وإن كان قد لزمه الكفر باحتقاره خلق الله ، وفيهم الأنبياء والمرسلون والملائكة المقربون .

وأقرع بن حابس صحابى ، وكانت هذه المنافرة في الجاهلية قبل إسلامه ؛ والصريح الهلاك ؛ وزار : هو أبو القبيلة . والباذخ : العالى . ويفرع : يعلو . والألد : الأشد ، والشامخ : للارتفاع . ويقمع : يقهر ويذل وقوله هل هو : الضمير لرجل اسمه خالد ابن أوطاة . والأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق ، استعاره لأسفل الناس كالذئب . والزمع : رذال الناس . والمؤتشب : أى غير الصريح في نسبه . والوغل : النذل من الرجال . والأجدع : المقطوع الأنف .

(٦ — التلي ٣)

وقال يمدح الحسين بن إسحق التنوخي :

هُوَ الْبَيْنُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِنُ وَيَا قَلْبٍ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ^(١)
وَقَفْنَا وَمِمَّا زَادَ بِنَا وَوَقُفْنَا فَرِيقَيَّ هَوَى مِنْ مَشُوقٍ وَشَائِقٍ^(٢)
وَقَدْ صَارَتْ الْأَجْفَانُ قَرَحَى مِنَ الْبُكَاءِ
وَصَارَ بَهَاراً فِي الْخُدُودِ الشَّقَائِقُ^(٣)

(١) هو : كناية عن البين ، والنحويون يسمون ما كان مثل هذا : الإضمار على شرطية التفسير ، كقوله تعالى « قل هو الله أحد » إذ جئ : ابتدائية . وتأني - بحذف إحدى التاءين - أي تتمهل وتترقب ، والحزائيق : الجماعات ، جمع حزيقة . يقول : هو البين يفرق كل شيء حتى لا تتمهل الجماعات ولا تلبث أن تتفرق إذا جرى فيها حكم البين ؛ ثم خاطب قلبه فقال : وأنت أيضاً - على مالك من علائق القرب - ممن أفارقه ! يعني أن الأحبة إذا فارقوني ذهب القلب معهم ففارقني وفارقتهم . ومثله للعباس ابن أحنف .

تَفَرَّقَ قَلْبِي مِنْ مُقِيمٍ وَظَاعِنٍ فَلَهُ دَرَى أَيَّ قَلْبٍ أَشِيعُ
وَلَاخِر :

كَأَنَّ أَرْوَاحَنَا لَمْ تَرْتَحِلْ مَعَنَا أَوْ سِرْنَا فِي أَمْرِ الْحَيِّ الَّذِي سَارَا
(٢) البث : الحزن . وفريق هوى : نصب على الحال من الضمير في وقوفنا . يقول : وقفنا للوداع ومما زادنا حزناً أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى ، منا مشوق - وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه - وشائِق - وهو الممشوق يشوق عاشقه - وجعل هذه الحالة تزيد حزناً ؛ لأن فراق الأحبة أشق على القلب من فراق الجيران والمعارف ومن لف لفهم ممن لا علاقة بينك وبينهم .

(٣) قرحى : كجرحى ومرضى ، جمع قرح : أي جريح ، فهو بدون تنوين ؛ وقال ابن جني : قلت له - للعتبي - عند القراءة عليه قرحى : أتريده بالتنوين ؟ فقال : نعم ، جمع قرحة ، وهي اسم لا وصف ، والبهار : زهراً غراً ، والشقائق جمع شقيقة ، زهر أحمر يقال له شقائق النعمان . يقول : صارت الجفون قرحى من كثرة البكاء ، وحمرة الحدود صفرة لأجل البين ، كما قال عبد الصمد بن العذل :

عَلَى ذَا مَفَى النَّاسُ اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ وَقَالَ وَوَامِقٌ^(١)
تَفَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبْتُ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْفُرَاتِقُ^(٢)
سَلِ الْبَيْدَ : أَيْنَ الْجَنُّ مِنَّا يَجُوزُهَا وَعَنْ ذِي الْمَهَارِي : أَيْنَ مِنْهَا التَّفَاتِقُ^(٣)

بَاكَرَتُهُ الْخُمَى وَرَاحَتْ عَلَيْهِ فَكَسَتْهُ حُمَى الرِّوَاكِ بِهَارَا
لَمْ تَشْنُ لَمَّا أَحْتَمَ وَلَكِنْ بَدَّلَتْهُ بِالْأَحْمَرِ اصْفَرَارَا
وَقَالَ أَبُو تَمَام :

لَمْ تَشْنُ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ حَوَلْتُ وَرَدَ وَجْنِيهِ بِهَارَا
وَقَالَ أَيْضًا :

لَهَا مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ احْتِرَاقٌ يُعَيِّدُ بِنَفْسِنَا وَرَدَ الْخُدُودِ
(١) اجتمع : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لهم اجتماع ؛ والجملة : حال . وقوله
وميت : أى ومنهم ميت يذكر أحوال الناس واختلاف الدهر بهم ، يقول : على هذا
مضى الناس قبلنا ، لهم اجتماع مرة وفرقة مرة ، ومنهم ميت يموت ومولود يولد ، ومنهم
قال - مبغض - ووامق - محب - كما قال الأعشى :

شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرَوَةٌ فَلَهُ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وَقَالَ الْآخَر :

وَمَا النَّاسُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى رَزِيَّةٌ مَالٍ أَوْ فِرَاقٌ حَبِيبِ
هذا : وقد عاب أبا الطيب بعض المتحذلقين ، فقال كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ : عَلَى ذَا
عَهْدِنَا النَّاسُ : رَاضٍ وَسَاخِطٌ ، وَمَيِّتٌ وَمَوْلُودٌ ؛ أَوْ يَقُولَ : اجْتِمَاعٌ وَفُرْقَةٌ ، وَمَوْتٌ
وَوِلَادَةٌ ، وَقُلَى وَمَقَّة .

(٢) الفرائق الشباب الناعم الجليل ، وجمعه غرائق - بفتح الغين - ويقال الفرائيق ،
وهو فى الأصل طائر مائى يشبه السكركى . يقول : تمر الليالى وتجىء وهى على حالها
وبمرها تغير حالى وشيتتى وهى لا تشيب . يعنى أن الزمان يبل ولا يبل .

(٣) جوز كل شئ : وسطه : والمهاري : جمع مهريه ، وهى الإبل المنسوبة إلى
قبيلة من اليمن يقال لها مهرة بن حيدان . ويجوز فى المهاري فتح الراء وكسرهما : -
كصحارى وصحارى - بتشديد الياء وتخفيفها - قَالَ رُوْبَةُ :

وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأَنَّ جَلَّتْ لَنَا
مُحْيَاكَ فِيهِ - فَاهْتَدَيْنَا السَّمَاقُ^(١)

بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ بِنَا حَرَّاجِيحُ الْمَهَارِي النَّفَةِ^(١)
والنفاق : جمع نفق ، وهو ذكر النعام . يقول - لصاحبه - : سل البيد تخبرك
أين تقع الجن منا بهذه المفازة : أى أننا كنا أسرع فيها من الجن - وعن إبلنا أين تقع
منا الظلمان في السرعة : أى أن إبلنا كانت أسرع من النعام .
(١) وليل : أى ورب ليل ؛ وليل : فى ، وضع رفع مبتدأ ؛ خبره : جملة كأننا الخ .
ودجوجى : مظلم ؛ وجلت : كشفت وأظهرت . ولنا : متعلق بجلت ؛ والمها : الوجه .
والسماق : فاعل جلت ، جمع سملق ، وهى الأرض البعيدة الطويلة ؛ والضمير من فيه :
ليل ، وهى متعلقة باهتدينا . يقول : رب ليل مظلم كأن السماق الذى كنا نقطعها أظهرت
لنا وجهك فاهتدينا للطريق بنوره ، وهذا من قول مزاحم العقيلي :

وَجُسُوه لَوْ أَنَّ اللَّذِينَ اغْتَشَوْا بِهَا
صَدَّغْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي

(١) قبله :

وَيَحْفِقُ مِنْ لُئْلُهُ وَلُئْلُهُ فِي مَهْمِهِ أَطْرَافُهُ فِي مَهْمِهِ
أَعْمَى الْمَهْدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعَمَةِ بِهِ تَمَطَّتْ غَوْلٌ كُلِّ مِيلَةٍ
بِنَا حَرَّاجِيحُ الْمَهَارِي النَّفَةِ يَجْذِبْنَهُ بِالْبُوعِ وَالتَّأَوُّهِ

المخفق : الموضوع الذى يخفق فيه السحاب ، واللهل : المكان المستوى الذى ليس به
علم ؛ وغول كل ميله : أى بعد يريد مكانا بعيدا يقتال المني فلا يستبين فيه ، ولا يكاد
يقطع من بعده ، ويعبر ناهه : كال مئى ، والجمع نفه ويجذبته : يريد يجذبنا أنفسهن فيه ،
والتأوه مثل قول المثقب العبدى :

إِذَا مَا قَتَّ أَرْحَلَهَا بِلِيلٍ تَأَوُّهُ آهَةً الرَّجُلِ الْحَزِينِ

فَا زَالَ لَوْلَا نُورُ وَجْهِكَ جُنْحُهُ وَلَا جَابِهَا الرُّكْبَانُ لَوْلَا الْأَيَّاقُ^(١)
وَهَزُّ أَطَارِ النَّوْمِ حَتَّى كَأَنَّي مِنَ الشُّكْرِ فِي الْفَرْزَيْنِ ثَوْبَ شَبَارِقِ^(٢)

ويقول أشجع السلي :

مَلِكٌ بِنِـمْرِجٍ جَبِينِهِ نَسْرِي وَنَحْرُ اللَّيْلِ طَائِي
ولصريح الغواني :

أَجِدْكِ هَلْ تَدْرِينَ أَنَّ بَتُّ لَيْلَةٍ كَانَ دَجَاهَا مِنْ قُرُونِكَ يُنْشَرُ
صَبْرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بِفِرَّةٍ كَفِرَةٍ يَحْيَى حِينَ يُذَكِّرُ جَفْفَرُ

(١) زال — من الزوال — أى ذهب ؛ وجنحه : فاعل ، وجنح الليل : إقباله
بظلامه يمنح على النهار ، أى يميل عليه فيذهب ضوءه . وجابها : قطعها — أى السالمق —
والأَيَّاقُ : النياق ، جمع ناقة . يقول : لولا نور وجهك لما زال الظلام ، ولولا النياق
لما قطعنا السالمق .

(٢) وهز : عطف على الأَيَّاقُ ؛ والمراد بالسكر : النعاس ؛ والفَرْزُ : ركاب للابل
من جلد مخروزم ، ويقال ثوب شبارق : خلق ممزق . ويقال شبرق شبرقة وشبراقا : مزقه
قال امرؤ القيس :

فَاذْرَكْنَهُ يَأْخُذْنَ بِالسَّاقِ وَالنَّسَا كَأَشْبَرَقِ الْوَلَدَانِ ثَوْبَ الْمُقَدَّسِيِّ^(١)

والهز : التحريك ، يعنى تحريك الإبل ركبائها فى سرعة سيرها ، وذلك بمنع النوم
حتى يصير الإنسان من غلبة النوم مأثدا بين الفرزين كالثوب الخلق لكثرة تمسايه .
يقول : لولا هذا الهز الذى وصفه والذى سببه الإسراع لما قطعنا السالمق إليه .

(١) المقدسى : الراهب ينزل من صومعته إلى بيت القدس فيمزق الصبيان ثيابه
تبركا ، والنسا قال الأصمى : بوزن المصارع يخرج من الورك فيستبطن الفخذين
ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت فغذاها بلحمتين عظيمتين
وجرى النسا بينهما واستبان ، وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان
وخفى النسا ، ولا يقال عرق النسا .

شَدُّوا بِابْنِ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ فَصَافَحَتْ ذَفَارِيهَا كِبَرَانَهَا ، وَالنَّمَارِقُ ^(١)
 بَيْنَ تَقْشِيرِ الْأَرْضِ خَوْفًا إِذَا مَشَى عَلَيْهَا وَتَرْتَجُّ الْجِبَالَ الشَّوَاهِقُ ^(٢)
 فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ يُنْخَشَى وَيُرْتَجَى يُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَتُنْخَشَى الصَّوَاعِقُ ^(٣)

(١) شدوا بابن إسحاق : أى غنوا بمدح ابن إسحاق ؛ وصاغت : أى ماست مأخوذ من مصاغة الأكف . والذفارى : جمع الذفرى ، الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذنين ؛ والكيران : جمع السكور ، وهو الرخل ؛ وللمارق : جمع نمرة ، وهى الوسادة تحت الركب ؛ والمراد هنا : التى تكون قدام الرخل يجعل الركب عليها ساقه للاستراحة إذا أخرجها من الفرز . يقول : غنوا بمدح ابن إسحاق فنشطت الإبل ورفعت رءوسها حتى صاغت أقفاؤها الرحال والوسائد التى عليها - وذلك لطيب مدحه وأن الإبل طربت مع حداتها لمدحه ،
 وفى مثل هذا المعنى يقول ابن الرومى :

لَا تَضْرِبُ الرَّكْبُ الطَّلَاحُ نَحْوَهُ بَلْ بِأَسْمِهِ يَزْجُرُنَ كُلَّ طَلِيحٍ
 ويقول إسحاق بن خلف :

إِذَا مَا حُدِثَ بِمَدْحِ الْأَمِيرِ سَبَقْنَ لِحَاظِ الْحَيْثِ الْعَجَلِ

(٢) بمن ؛ بدل من ابن إسحاق ، إلا أنه أعاد العامل ؛ والاقشعرار : أن ينتفش شعر الرجل على بدنه إذا أصابه خوف ؛ وترتج : تضطرب وتتحرك ؛ والشواهق : جمع شاق ، وهو العالى . يقول : تهابه الأرض إذا مشى عليها ، وتتحرك الجبال خوفا منه .

(٣) الجون : جمع جون - بفتح الجيم - وهو الأسود ؛ والسحاب ؛ من الجموع التى بينها وبين مفرداتها الهاء ، ولذلك وصفها بالجون الذى هو جمع ؛ والحيا : المطر . يقول : إنه مرجو مهيب يرجى نفعه ويهاب ضرره كالسحاب يرجى مطرها وتخشى صواعقها . وفى مثل هذا يقول أبو تمام :

سَمَحًا وَبَأْسًا كَالصَّوَاعِقِ وَالْحَيَا
 إِذَا اجْتَمَعَ فِي الْمَارِضِ الْمُتَأَلَّقِ

وَلَكِنَّهَا تَمْتَضِي وَهَذَا مُخَيَّمٌ
تَحَلَّى مِنَ الدُّنْيَا لِيُنْسَى فَمَا خَلَّتْ
غَدَا الْهِنْدُ وَأَنْبِيَاءُ بِالْهَامِ وَالطُّلَى
تَشَقُّ مِنْهُمْ الْجُيُوبُ إِذَا غَزَا
وَتَكْذِبُ أَحْيَانًا وَذَا الدَّهْرُ صَادِقٌ^(١)
مَعَارِبُهَا مِنْ ذِكْرِهِ وَالشَّارِقُ^(٢)
فَهْنٌ مَدَارِيهَا وَهَنْ الْخَانِقُ^(٣)
وَتُخْضَبُ مِنْهُمْ اللَّحَى وَالْمَفَارِقُ^(٤)

ويقول الآخر :

هَوَ عَارِضٌ زَجَلٌ فَمَنْ شَاءَ الْحَيَا أَرْضَى وَمَنْ شَاءَ الصَّوَاعِقُ أَغْضَبَا
(١) شبهه بالسحاب ثم فضله عليها بأن السحاب تمضي ، وهذا مقيم في كل وقت ،
والسحاب قد تكذب في الرعد والبرق — بأن لا يكون فيها مطر — والمدوح صادق
فيما يعد ويقول . وهذا من قول ابن الرومي :

فَضَّلْتَ أَخَاكَ الْفَيْثَ بِالْعِلْمِ وَالْحُجَى
عَلَى أَنَّهُ يَمُضِي وَأَنْتَ مُخَيَّمٌ
وحاصصته في الجود أي حصاص
سماؤك مذرار وروضك واصل^(١)
ومثله للبحري :

أَنِّي يَكُونُ لَهُ احْتِفَالُكَ فِي النَّسْدَى وَوُقُوعُهُ فِي الْحَيْنِ بَعْدَ الْحَيْنِ
(٢) يقول : زهد في الدنيا وانقطع عن أهلها لينسى إغراضاً عن الخلق فلم يزد
ذلك إلا جلالة قدر وبعد صيت ، إذ لم تخل الدنيا من ذكره ، لأن صنائعه عامة ومعروفه
شامل . ولعله ينظر إلى قول البحري :

وَشَهْرَتْ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا فَكَأَنَّنِي فِي كُلِّ نَادٍ جَالِسٌ
(٣) الهندوانيات : السيوف الهندية ؛ أي التي عملت ببلاد الهند ؛ والهام : الروس ،
والطلَى : الأعناق ؛ والدارى جمع مدرى ، وهو ما يفرق به الشعر ؛ والخانق جمع
مخنقة ، وهي القلادة . يقول : غذى سيفه بلحوم رؤوس الأعداء وأعناقهم فقد طالت
محبته للروس والأعناق كما تصاحبها الدارى والخانق ؛ يعني إذا علت سيفه الروس
صارت بمنزلة الدارى ، وإذا علت الأعناق صارت بمنزلة الخانق .

(٤) تشقق — بجذف إحدى التاءين — أي تتشقق ؛ وبروى تشقق — بضم التاء

(١) حصاص : يقال حاصه محاصة وحصاصا : قاصمه فأخذ كل واحد منهما حصته
وروض واصل متصل النبات .

يُجَنَّبُهَا مَنْ هَتَفَهُ عَنْهُ غَافِلٌ وَيَصَلِّي بِهَا مَنْ نَفَسَهُ مِنْهُ طَالِقٌ^(١)
يُحَاجِّي بِهِ مَا نَاطِقٌ وَهُوَ سَاكِتٌ يُرَى سَاكِتًا وَالسَّيْفُ عَنْ فِيهِ نَاطِقٌ^(٢)
نَكِرْتِكَ حَتَّى طَالَ مِنْكَ تَعَجُّبِي وَلَا حَجَبَ مِنْ حُسْنِي مَا اللَّهُ خَالِقٌ^(٣)
كَأَنَّكَ فِي الْإِطْكَاءِ لِلْمَالِ مُبْفِضٌ وَفِي كُلِّ حَرْبٍ لِلْمَنِيَّةِ عَاشِقٌ^(٤)

على البناء للمجهول - والجيوب : نائب فاعل ؛ وضير منهن للسيوف والجيوب : جمع جيب ، ما يفتح على النحر من أعلى الثوب ؛ والمفارق : جمع مفرق ، وسط الرأس . يقول : إذا غزا شقت الثالكات جيوبهن من جراء ما يفعله سيوفه من القتل ، وخضبت لحي الفرسان ومفارقهم بما يسيله من الدماء .

(١) جنبته الشيء : إذا باعدته عنه ؛ وصلى بالأمر يصلى : إذا قاسى حره وشدته ؛ وأصله من صلى بالنار : إذا قاسى حرها . يقول : من غفل عنه حتفه - موته وهلاكه ولم ينقص أجله يبعد من سيوفه فلا يصير مقتولا بها ، وإنما الذى يقاسى بلاءها هو من نفسه طالق منه : أى مفارقه : كالمرأة الطالق من زوجها تفارقه . إذ هى لا محالة قاتلته (٢) يحاجي به : أى يخالط - من الأحجية ، وهى الكلمة المخالفة للفظ المعنى ، كالشيء الملفز به يلقي على الإنسان ليستنبط معناه ، كما قال أبو ثروان : ماذو ثلاث آذان ، يسبق الخيل بالرديان ؟ يعنى السهم وآذانه قذذه ، وأصل الكلمة من قولهم : حجا يحجو إذا أقام وثبت ، ف قيل لها أجبية ، لأن الملقى عليه يحتاج إلى الثبوت والتفكير . يقول : إن الناس يحاجي بعضهم بعضاً بهذا المدوح يقولون : ما ناطق وهو ساكت ، ثم فسر هذا المبراع الثانى فقال يرى ساكتاً - يعنى المدوح - لا يفتخروا لا يذكر شجاعته والسيوف عن فيه ناطق بما يبدو من آثاره ، يعنى أن الناس إذا سأل بعضهم بعضاً عن هذه الصفة فالجواب : الحسين بن إسحاق .

(٣) نكرت الشيء وأنكرته : إذا لم تعرفه ، ولم يستعمل من نكر إلا هذا اللفظ لفظ - الماضى - ومنه قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذى نكرت . من الحوادث إلا الشيب والصلما
يقول : أنكرت أن يكون أحد مثلك فى فضلك ؛ واستغرتك لكثرة ما رأيت
فيك من المحاسن فأتى لا أراها فى غيرك حتى طال تعجبي ثم علمت أن الله قادر على أن
يخلق ما يريد ؛ وإذن لا عجب .

(٤) من قول البحتري .

أَلَا قَلَمًا تَنْبَقِي عَلَى مَا بَدَأَ لَهَا ، وَحَلَّ بِهَا مِنْكَ الْقَنَا وَالسَّوَابِقُ^(١) ،
 سَيُخَيِّ بِكَ الشَّمَارُ مَا لَاحَ كَوْكَبُ^(٢) وَيَمْحَدُو بِكَ الشَّفَارُ مَا ذَرَّ شَارِقُ^(٣) ،
 خَفِ اللَّهُ وَأَسْخَرْ ذَا الْجَمَالِ يَبْرِقُ^(٤) فَإِنْ لَحْتَ ذَابَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ^(٥) ،
 فَمَا تَرْزُقُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمُ^(٦) وَلَا تَحْرِمُ الْأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ^(٧) ،
 وَلَا تَفْتَقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ^(٨) وَلَا تَرْثُقُ الْأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ^(٩) .

تَسْرِعُ حَتَّى قَالَ مَنْ لَيْتَ الْوَعَى لِقَاءَهُ أَعَادِ أَمْ لِقَاءَهُ حَبَائِبُ
 (١) ألا أداة : استفتاح ؛ وعلى : بمعنى مع ؛ وبدا ظهر وعرض ، والقنا أى الرماح -
 فاعل تنبقي - والسوابق : الخيل . يقول : إن الرماح والخيل لا تبقى على منازل بهائمك
 من كثرة استعمالها في الحروب والغارات .

(٢) السمار : جمع سامر ، الذين يسمرون ليلاً ؛ والسفار : جمع سفر وسافر وهم
 الذى يلازمون الأسفار . وذر : طلع ؛ والشارق : الكوكب . وقوله ملاح وكوكب :
 لما مصدرية زمانية ؛ أى مدة ظهور الكواكب ، وهذا كناية عن الدوام والتأيد ؛
 يعنى : أنت أبدأ يحيى السمار الليل بذكرك وحديثك ، ويغنى السافرون بمدائحك
 فيحدون الإبل بها .

(٣) العواتق : جمع عاتق ، الشابة من النساء ؛ والحدور : جمع خدر . يقول :
 استر جمالك يبرقع ترسله على وجهك ، فإنك إن ظهرت ذابت الشواب في خدورهن
 شوقاً إليك وهياماً بك ، وبرى حاض ؛ وذلك أن المرأة إذا اشتدت شهوتها وأفرطت
 سال - زعموا - دم حيضها ؛ وللعنى : استر جمالك عنهن وإلا ذبن وهلكن عشقاً
 وهياماً .

(٤) و (٥) الرتق : ضد الفتق . يقول : إن الأقدار والأيام لا تخالفه فيما يصنع من
 حرمان ورزق ورتق وفتق ، بل هى موافقة له مؤاتية ، كما قال أشجع :
 فلا يرفعُ الناسُ مَنْ حَطَهُ ولا يضعُ الناسُ ما يرفعُ
 وقال آخر :

كُنَّا مُلُوكًا وَكَانَ أَوْلُنَا لِلْحِلْمِ وَالْبَأْسِ وَالنَّدَى خُلُقُوا
 لَا يَرْتَقِ الرَّاتِقُونَ مَا فَتَقُوا يَوْمًا وَلَا يَفْتَقُونَ مَا رَتَقُوا
 والأصل في هذا كله قول العباس بن مرداس للنبي صلى الله عليه وسلم عليه :

لَكَ الْخَيْرُ غَيْرِي رَامٍ مِنْ غَيْرِكَ الْغَفَى وَغَيْرِي بِغَيْرِ اللَّاذِقِيَّةِ لَاحِقٍ^(١)
هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرُوَيْتُكَ الْمَنَى وَمَنْزِلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ أَتْلُحْلَاقُ^(٢)

وعرض عليه بدر بن عمار الصلبة للشرب في غد فقال ارتجالا :

وَجَدْتُ الْمُدَامَةَ غَلَابَةً نُهَيْجُ لِلْقَلْبِ أَشْوَاقَهُ^(٣)
نَسِيَهُ مِنَ الْمَرْءِ تَأْدِيبَهُ وَلَسِكِنْ تَحَسَّنُ أَخْلَاقَهُ^(٤)
وَأَنْفَسُ مَا لِلْفَتَى لُبُّهُ وَذُو اللَّبِّ يَكْرَهُ إِنْفَاقَهُ^(٥)
وَقَدُمْتُ أَمْسٍ بِهَا مَوْتَهُ وَلَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَهُ^(٦)

وما كنتُ دونَ امرئٍ منهما ومن تَضَعُ اليومَ لَا يُرْفَعُ

(١) لك الخير : دعاء للمدح بأن يرزق الخير . فهو يقول : الخير لك لا لغيرك ؛
ورام : قصد ؛ واللاذقية : بلد المدح يقول : غري يطلب الغنى من غيرك أى أنا
لا أطلبه إلا منك ، وغري يلحق بغير بلدك ؛ أى أنا لا أقصد إلا البلد الذى أنت فيه .
(٢) يقول : إن بلدك — اللاذقية — هى المطلوب الأبعد : أى هى غاية ما يطلبه
الإنسان ، فإذا بلغها لم يطلب بعدها شيئا ، والدنيا كلها منزلك أى فى منزلك ؛ وأت
جميع الناس .

(٣) الدامة : الخمر ؛ وغلابة : تغلب العقل فلا يستطيع مقاومتها ؛ ثم قال وتحرك
الشوق ، كما قال البحرى :

مِنْ قَهْوَةٍ تُنْسِيُ الْمَهْمومَ وَتُبْعَثُ الشَّوْقَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ
(٤) إراد بسوء الأدب : ما يكون من الشارب — من قول الحنا ، والعريدة
والحركات المفرطة — وتحسين الأخلاق ما تحدثه فيه من الساحة والبذل ؛ وفى الخمر
يقول القائل :

رَأَيْتُ أَقْلَ النَّاسِ عَقْلًا إِذَا انْتَشَى أَقْلَهُمْ عَقْلًا إِذَا كَانَ صَاحِيَا

تزيد حياءها السفية سفاهة وتترك أخلاق الكريم كما هيا

(٥) يقول : أعزو أئمن ما للإنسان : عقله ، والعقل يكره ضياع عقله .

(٦) جعل غلبة السكر على عقله كالموت ، ثم قال : ومن مات مرة لا يشتهي العود

وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار :

وَذَاتِ غَدَائِرٍ لَا عَيْبَ فِيهَا سِوَى أَنْ لَيْسَ تَصْلُحُ لِلْعِنَاقِ^(١)
أَمَرْتُ بِأَنْ تُشَالَ فَفَارَقْتَنَا وَمَا أَلِمْتُ لِخَادِنَةِ الْفِرَاقِ^(٢)
إِذَا هَجَرْتَ فَعَنْ غَيْرِ اخْتِيَارٍ وَإِنْ زَارَتْ فَعَنْ غَيْرِ أَشْنِيَاقِ

وعرض عليه محمد بن طنج الشرب فامتنع فأقسم عليه بحقه فشرب وقال :

سَقَانِي أَنْظِرْ قَوْلُكَ لِي بِحَقِّي وَوُدُّ لَمْ تُشْبِهْ لِي بِمَذْقِ^(٣)
يَمِينًا لَوْ حَلَفْتَ وَأَنْتَ نَامَ عَلَى قَتْلِي بِهَا لَصَرَبْتُ عَنْقِي^(٤)

إليه ، وقد يعني ابن وكيع - شغشته مع النبي - فزعم أن هذا مأخوذ من قول بعضهم في معنى السكر :

يُسِيءُ وَيَعْذِرُهُ حُسْنُهُ لَدَى عَاشِقِيهِ بِغَيْرِ اعْتِذَارٍ
تَحَاسِنُ تَغْفِرُ ذَنْبَ الصَّدُودِ كَمَا غَفَرَ السُّكْرُ ذَنْبَ الْخُمَارِ

وأي هذين من بيت النبي ؟ على أن قوله كما غفر السكر ذنب الخمار : غير صحيح .
(١) الغدائر ؛ جمع غديرة ، الدؤابة من الشعر . يقول : هذه لعبة ذات شعر ولكنها لا تصلح للعناق لأنها غير آدمية . هذا : وقوله أن ليس : قال العكبري « أن » هي غخفة من الثقلة ؛ والتقدير أنها ؛ ولا يدخل عليها الفعل إلا بفواصل يفصل بينها : نحو سوف والسين ولا نحو أن سيقوم ، وإنما دخلت على ليس لضعفها عن الفعلية ، فإنها فعل لاتصرف فيه ، ومثله قوله تعالى : « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »

(٢) تشال : ترفع .

(٣) المذق . المزج ؛ وشابه : خلطه . يقول : إنما شربت الخمر لأنك أقسمت بحياتك فشربتها ، ولأني أحبك حبا خالصا غير مشوب .

(٤) يقول : سقاني إقسامك على بخلك قسما لو أقسمته نريد به قتل لفعلت ذلك .

وكان لأبي الطيب حِجْرَةٌ (*) تسمى الجهمامة ، ولها مهر يسمى الطخروور ، فأقام الثلج على الأرض بأنطاكية وتعذر المرعى على المهر ، فقال :

مَا لِلْمَرْوَجِ أَنْخَضِرَ وَالْحَدَائِقِ يَشْكُو خَلَاهَا كَثْرَةَ الْعَوَائِقِ ^(١)
أَقَامَ فِيهَا الثَّلَجُ كَالْمُرَافِقِ يَفْقِدُفَوْقَ السَّنِّ رَيْقَ الْبَاصِقِ ^(٢)
ثُمَّ مَضَى لَا عَادَ مِنْ مُفَارِقِ بِقَائِدٍ مِنْ ذَوْبِهِ وَسَاقِ ^(٣)
كَأَنَّمَا الطُّخْرُورُ بَاغِي آبِقِ يَا كُلُّ مَنْ نَبَتْ قَصِيرَ لَاصِقِ ^(٤)
كَفَشَرِكَ الْخَبْرَ عَنِ الْمَهَارِقِ أُرُودُهُ مِنْهُ بِكَالشُّوْذَائِقِ ^(٥)

* أى فرس أنثى ، والذي فى كتب اللغة أنها الحَجَر ، قالوا : والحجر الفرس الأنثى ، لم يدخلوا فيه الماء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر ، والجمع أحجار وحجورة وحجور ، قالوا : وأحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل ، وصميت كذلك لأنهم جعلوها كالحمرمة الرحم إلا على حصان كريم .

(١) المروج : جمع مرج ، الموضع تخرج فيه الدواب : أى ترسل لترعى والحدائق جمع حديقة ، وهى البستان المسور ؛ وتطلق على كل روضة ذات شجر والحلا : الكلاء الرطب ؛ والعوائق : جمع عائق ، ما يعوق عن النفاذ فى الشيء . يقول : نبتنا يشكو كثرة الموانع من الطلوع . وأراد بالعوائق : البرد والثلج التى تمنع من الظهور .

(٢) يقول . أقام الثلج فى هذه المروج كالمرافق لها فلا يفارقها ، ومن شدته أن الرجل إذا جبق جمد ريقه فوق أسنانه ، وهذا من قول عبد الصمد بن العذل :

ونسجَ الثلجَ على الطيور وأجد الريقَ على الثغور

(٣) ثم مضى : أى الثلج بإذابة الحر إياه ، وجعل أوائل ما ذاب من الثلج قائداً له وأواخره سائقاً ؛ يعنى أن الثلج قد انحسر بذوبه ، فكان الدوب قاده وساقه حتى ذهب ويروى من دونه : أى من قدامه ، وذلك أن قائداً الشيء يكون أمامه ، وسائقه يكون خلفه .

(٤) الطخروور : اسم المهر ؛ وهو فى اللغة القطع القليلة من السحاب ، جمعها طخارير . وباغى : طالب ؛ والآبق : المارب ؛ ولاصق : أى بالأرض لا يرتفع عنها . يقول : إنه - لإعواز المرعى - كان يلتمس العشب من ههنا وههنا فلا يشبث فى مكان واحد كأنه يطلب آبقا لتردده فى طلب المرعى .

(٥) المهارق : جمع المهرق ، وهو الصحيفة يكتب فيها : معرب ؛ وذلك أنهم كانوا

بِمُطْلَقِ الْيَمْنَى طَوِيلِ الْفَائِقِ عِبِلِ الشَّوَى مُقَارِبِ الْمَرَّافِقِ^(١)
 رَحْبِ اللَّبَانِ نَائِهِ الطَّرَائِقِ ذِي مَنْخَرِ رَحْبٍ وَإِطْلٍ لَاحِقِ^(٢)
 مُحَجَّلٍ نَهْدٍ كَمَيْتِ زَاهِقِ شَادِخَةٍ غُرَّتُهُ كَالشَّارِقِ^(٣)
 * كَأَنَّهَا مِنْ لَوْنِهِ فِي بَارِقِ^(٤) *

يأخذون الحرق ويطلونها بشيء ثم يصفقونها ويكتبون عليها ، شبه رعى مهره النبات اللاصق بالأرض بقر الشعر الكاتب الخبر عن الصحيفة ، وأروده : أى أطلبه ؛ والضمير : للنبت ؛ وضمير منه : للمهر ؛ والظرف : حال مقدمة من الشوذانق . وقوله بكالشوذانق الباء متعلقة بأروده ، والكاف : اسم بمنزلة مثل : أى بهر مثل الشوذانق ، والشوذانق الشاهين — الصقر -- معرب منه دانك : أى نصف درهم ؛ يراد أنه كنصف البازي يقول : أطلب الكلاً والنبات من هذا المهر بهر كالشوذانق لحفته ، يريد مهره على سبيل التجريد .

(١) بمطلق اليمنى : بدل من بكالشوذانق ؛ والمراد بكونه مطلق اليمنى : أنه لا تحجيل فيها ، بناء على تشبيه التحجيل في القوائم الثلاث بالقيد . والفائق : مغرز الرأس في العنق ، وإذا طال الفائق طال العنق فهو محمود ؛ وعبل الشوى : ضخم الأطراف ، والمرافق : جمع مرفق ، موصل الذراع في العضد ؛ وإذا تدانت مرافقه كان أمدح له .

(٢) رحب اللبان : واسع الصدر ؛ ويستحب من الفرس أن يكون جلد صدره واسعا يحمي ويذهب ليكون خطوه أبعد ، فإنه إنما يقدر على توسيع الخطو بسعة جلد صدره . وقوله نائه الطرائق : فالطرائق طرائق اللحم ؛ ونائه من ناه الشيء ينوء : إذا علا ونهت به ونوّهته : إذا أشدت به ؛ والمعنى أن طرائق اللحم على كفله ومتنه عالية . وقال ابن جنى : الطرائق الأخلاق : أى مرتفع الأخلاق شريفها لعتقه وكرمه . وقال ابن جنى : الرواية نابه ، يقال امرؤ نابه إذا كان عظيماً جليلاً . وقوله ذى منخر رحب : فإنه يستحب سعة المنخر ، لئلا يخبس نفسه والإطل : الحاصرة ولحوقها : ضمورها .

(٣) التحجيل : بياض القوائم . والنهد : الجسم العالى المشرف . والكسيت : الأحمر إلى السواد ؛ والزاهق : الذى بين السمين والمهزول ؛ والقرة : البياض فى وجه الفرس ، والقرة : الشادخة التى تملأ الوجه ، وتمتد سفلاً ، والشارق : الشمس عند شروقها . شبه بياض وجهه بالشمس لانتشار أشعتها فى نواحى الأفق .

(٤) البارق : السحاب ذو البرق . شبه لونه بالسحاب الذى انتشر عليه ضوء البرق لما فيه من الحمرة المشوبة بالسواد .

بَاقٍ عَلَى الْبُوعَاءِ وَالشَّقَاتِي (١) وَالْأَبْرَدَيْنِ وَالْمَهْجِرِ الْمَاحِقِ (٢)
 لِلْفَارِسِ الرَّأْيَ كَيْفَ مِنْهُ الْوَائِقِ خَوْفُ الْجَبَانِ فِي فُؤَادِ الْعَاشِقِ (٣)
 كَأَنَّهُ فِي رَيْدٍ طَوْدٍ شَاهِقِ (٤) يَشْأَى إِلَى الْمِسْمَعِ صَوْتَ النَّاطِقِ (٥)
 لَوْ سَابَقَ الشَّمْسَ مِنَ الْمَشَارِقِ جَاءَ إِلَى الْغَرْبِ نَجْمٌ السَّابِقِ
 يَتْرُكُ فِي حِجَارَةِ الْأَبَارِقِ آثَارَ قَلْعِ الْخَلِي فِي الْمَنَاطِقِ (٦)
 * مَشْيًا وَإِنْ يَعْدُ فَكَأَنَّهُ خَدَّاقِ (٧) *
 لَوْ أُورِدَتْ غِبَّ سَحَابٍ صَادِقٍ لِأَحْسَبَتْ خَوَامِسَ الْأَيَّامِ (٨)

(١ و ٢) باق : أى ثابت ، خبر عن محذوف يعود إلى المهر ؛ والكلام مستأنف والبوباء التربة الرخوة . والشقائق جمع الشقيقة ، وهى أرض يكون فيها رمل وحصى والأبردان : الغداة والعشى . والمهجير : شدة الحر وقت الهاجرة - نصف النهار - والماحق الذى يمحق كل شيء بحرارته يقول : إن مهره ثابت على السير فى السهل والحزن والحر والبرد : أى صبور على الشدة ،

(٣) للفارس : خبر مقدم ؛ وخوف : مبتدأ مؤخر . وركض الفرس : ضربه برجله ليعدو ؛ ومنه : صلة الخوف . يقول : لنشاطه وشدة قوته إذا عدا بالفارس الواثق بفروسيته أخذه منه خوف شديد كأنه خوف الجبان إذا حل فى فؤاد ضعيف كفؤاد العاشق .

(٤) فى ريد : أى على ريد ؛ والريد : الحرف الشاخص من الجبل ؛ والطود : الجبل والشاهق : العالى . يقول : لعظم هذا المهر كأن فارسه منه على جبل عال .

(٥) يشأى : يسبق . يقول : لسرعته وحدته فى جريانه يسبق إلى الأذن صوت الصارخ فيصل إليها قبل وصول الصوت ؛ يعنى أنه يسبق مسير الصوت .

(٦) الأبارق : جمع الأبرق ، وهو آكام فيها حجارة وطين . وآثار : مفعول يترك والناطق : جمع منطقة ، ما يشد بها الوسط . يقول : لشدة عدوه وقوة وطئه إذا وطىء الأبرق بمخوافه ترك فيه آثاراً كأن آثار الخلى إذا قلع من الناطق .

(٧) مشياً : حال على تأويله بالوصف . يقول : إن هذا التأثير الذى ذكره إنما يكون إذا مشى فإن عدا - جرى - ترك آثاراً كالحنادق .

(٨) الضمير فى أوردت : للآثار المشبهة بالحنادق وغب سحاب : أى بعده . وأحسبت :

إِذَا اللَّجَامُ جَاءَهُ لِيَطَّارِقَ شَحَا لَهُ شَحْوُ الْغُرَابِ النَّاقِ (١)
كَأَنَّمَا الْجَنْدُ لِعُرْيِ النَّاهِقِ مُنْحَدِرٌ عَنْ سَيْتِي جُلَاهِقِ (٢)

كفت ، ومنه : حسبنا الله ؛ أى كفانا . والخوامس : الإبل التى ترد الخمس — بكسر
الحاء — وهو أن ترى ثلاثة أيام وترد فى اليوم الرابع ؛ والأيتانق : جمع أيتق ، جمع
ناقة . يقول : لو أوردت هذه الآثار التى هى كالحنادق بعد إقلاع سحب صادق المطر
لكان فيها من الماء ما يكتفى نياقا عطاشا ترد الخمس : يعنى إذا أقلع السحاب وامتلأت
آثار حوافره كفت الإبل العطاش . يريد المبالغة فى وصف عظم آثاره فى الأرض
إذا عدا .

(١) كسحا : فتح فاه . والناغق — بالغين والعين — الصائح . يقول : إذا ألجم
لحادث طرق ليلا فتح فاه كما يفتح الغراب فاه للنميق ، يريد أنه — مع شدته وعنفه —
لا يمنع من اللجام ؛ ولعله يريد أيضاً أنه واسع الفم .

(٢) الناهق : عظم نأق فى مجرى الدمع من الفرس ، وهما ناهقان ، ويستحب
عريهما من اللحم ؛ قال أهل اللغة : الناهقان عظمان شاخصان يندران — يبرزان — من
ذى الحافر فى مجرى الدمع يخرج منهما التهاق — أى الصوت — ويقال لهما أيضاً النواحق .
قال النابغة الجعدي يصف فرسا :

بِعَارِي النَّوَاهِقِ صَلَّتِ الْحَبِيبِينَ يَسْتَنُّ كَالْتَيْسِ ذِي الْحَلْبِ (١)
وفى التهذيب : النواحق من الحيل والجر حيث يخرج التهاق من حلقه ؛ وأنشد
للنمر بن تولب :

فَأَرْسَلَ سَهْمًا لَهُ أَهْرَعًا فَشَكَ نَوَاهِقَهُ وَالْفَهْمَا (٢)

(١) الحلب : نبات ينبت فى العيظ بالقيعان وشطآن الأودية ويلقى بالأرض حتى
يكاد يسوخ ، ولا تأكله الإبل ، وإنما تأكله الشاء والظباء ، وهى مغزرة مسمنة وتختبل
عليها الظباء ، قال الأصمى : أسرع الظباء تيس الحلب أو ذو الحلب لأنه قد رعى
هذا النبات .

(٢) الأهرع : قيل هو خير السهام ، وأفضلها ، تدخره لشديدة ، وقيل هو آخر
ما يبق من السهام فى الكنانة : جيداً كان أو رديئاً .

بَزَّ الْمَذَاكِي وَهُوَ فِي الْمَقَاتِلِ وَزَادَ فِي السَّاقِ عَلَى النَّقَاتِ^(١)
 وَزَادَ فِي الْوَقْعِ عَلَى الصَّوَاعِقِ وَزَادَ فِي الْأُذُنِ عَلَى الْخِرَاتِ^(٢)
 وَزَادَ فِي الْحِذْرِ عَلَى الْعَقَائِقِ يُبَيِّزُ الْهَزْلَ مِنَ الْحَقَاتِ^(٣)
 وَيُنْذِرُ الرَّكْبَ بِكُلِّ سَارِقٍ يُرِيكَ خُرْقًا وَهُوَ عَيْنُ الْحَاذِقِ^(٤)

وسيتا القوس : جانباه . والجلاهو : البندق الذي يرمى به . يقول : إن هذين العظمين منه عاريان من اللحم باديان تحت الجلد كأن جلدهما مشدود على سيق قوس البندق .

(١) بَزَّ : غلب وفاق ؛ والمذاكي : جمع مذك : الفرس أتى عليه بعد قروحه سنة . قال أهل اللغة : للمذاكي الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان ؛ والذكاء السن . قال الحجاج : فررت عن ذكاء ، وبلغت الدابة الذكاء : أي السن ، قالوا والمذاكي أيضاً من الخيل الذي يذهب حضره - جريه - وينقطع ؛ وفي المثل : جرى المذكيات غلاب : أي جرى المسان القرح من الخيل أن تغالب الجري غلاباً ؛ قالوا : وتأويل تمام السن النهاية في الشباب ، فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا يقال له الذكاء . والعقائيق : جمع عقيقة ، وهي الشعر الذي يولد المولود وهو عليه ؛ والنقائيق : جمع نقق ، وهو ذكر النعام . يقول : إنه سبق الخيل السنة وهو بعد فلو - أي مهر - صغير لا يزال شعر الولادة عليه ، وزاد على النعام في طول الساق وصلابته ، وذلك محمود في الخيل كما قال امرؤ القيس :

* لَهُ أَيُّطَلَا ظَبْيٌ وَسَاقَا نَعَامَةٍ *

(٢) الخرائق : جمع الخرنق ، وهو ولد الأرنب . يقول : إن صوت وقع حوافره أشد من صوت الصواعق . قال الواحدي : ويجوز أن يريد أن نار وطء حوافره تزيد على صواعق السحاب ، ثم قال المتنبي : وإن أذنه تزيد في الدقة والانتصاب على آذان الأرانب .

(٣) العقائيق : جمع عقق ، ضرب من الغربان يضرب به المثل في الحذر فيقال : أحذر من عقق . وقوله يميز الهزل من الحقائق : يريد أنه إذا أحضره صاحبه - أي ركضه - فطن إلى غرضه وعرف هل يريد صاحبه اللعب أو الجد ؟ وبعبارة أخرى : هل يريد الميدان أو الغارة ؟ فلعب أوجد حسب مراد صاحبه .

(٤) الخرق في الأعمال : خلاف الرفق أو هو الحمق ؛ والحاذق : الماهر . يقول

يَحْكُ أَنْى شَاءَ حَكَّ الْبَاشِقِ قَوْلَ مَنْ آفَقَ وَأَفَقِ^(١)
 بَيْنَ عَتَاقِ لَطْفِ لِّ وَالْعَتَاقِ فَمَنْقَهُ يُرْبِي عَلَى الْبَوَاسِقِ^(٢)
 وَحَلَقَهُ يُمَكِّنُ فَيْتَرَ الْخَانِقِ أَعِذُّهُ لِلطَّنِّ فِي الْفَيَالِقِ^(٣)
 وَالضَّرْبِ فِي الْأَوْجِهِ وَالْمَفَارِقِ وَالسَّيْرِ فِي ظِلِّ اللَّوَاءِ الْخَلْفِقِ^(٤)

إنه لند كانه وحذقه إذا أحس سارقا بليل سهل ليعلم مكانه ، وكذلك خيل الأعراب ،
 أى لشدة جريه وتنايه في العدو - الجرى - تظن به خرقا وهو مع ذلك حاذق ،
 وحذقه أنه لا يخرج ما عنده من الجرى مرة واحدة ، وإنما يعرف ما يراى منه فيسبق
 جريه ، كما قال القائل :

وَالْقَارِحُ الْيَمْبُوبُ خَيْرُ عِلَالَةٍ مِنَ الْجَذَعِ الْمُرْخَى وَأَبَعْدُ مَنَزَعَا
 وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

دُوْ أَوْلَقِ عِنْدَ الْجَرَاءِ وَإِنَّمَا مِنْ صَحَّةِ إِفْرَاطٍ ذَاكَ الْأَوْلَقِ
 [الأولق : الحفة من النشاط كالجنون]

(١) أنى : كيف . يصفه بلين المعاطف وأنه يحك بدنه كيف شاء وأين
 شاء كالباشق — طائر من أصغر الجوارح — الذى ينتهى رأسه ومنقاره إلى أى موضع
 أراد من جسده ، ثم قال : إن العتق — السكرم — يكتنفه من قبل أيه وأمه ؛ فكرم الأم
 يقابل فيه كرم الأب . فالآفق من الحيل : الكريم الطرفين ، وهى آفقه ، ومن آفقه :
 حال ، أى مولودا من آفقه و آفق : أى إنه كريم الام والأب وكل من أمه وأبيه كذلك
 (٢) البيت تنمة لما فى المصراع الأخير من البيت السابق ؛ والعتاق من الحيل :
 الكرام ؛ والإناث عتائق ؛ والبواسق : جمع باسقة : النخلة العالية . يقول : إن أبويه
 آققان بين كرام الحيل وكرائهما : أى إنه وسيط فى العتق ، ثم قال : وعنقه يزيد على النخل
 الطوال طولا والحيل توصف بطول الأعناق ، كما قال القائل :

* وَهَادِيهَا كَانَ جَذَعٌ سَحُوقُ *

(٣) يقول : إن أعلى حلقة دقيق حتى لو أراد الخائق أن يطوقه بفترة — ما بين
 الإبهام والسبابة — لاستطاع وأمكنه ذلك ، والفياق : الكتائب من الجيش .

(٤) والضرب : عطف على الطعن والمفارق : أوساط الرؤوس حيث يفرق الشعر
 واللواء : الراية ؛ وخفقه : اضطرابه فى الهواء .

يَحْمِلُنِي وَالنَّصْلُ ذُو السَّاقِ يَنْطَرُ فِي كُمِّي عَلَى الْبَنَائِقِ ^(١)
 لَا أَلْخُظُ الدُّنْيَا بِعَيْنِي وَآمِقِ ، وَلَا أَبَالِي قِسَاةَ الْمُرَافِقِ ^(٢)
 أَيْ كَبْتُ كُلَّ حَاسِدٍ مُنَافِقٍ أَنْتَ لَنَا وَكُلُّنَا لِلْخَالِقِ ^(٣)

وقال يهجو إسحاق بن كيفلغ وفد بلغه أن غلامه قتلوه :

قَالُوا لَنَا : مَاتَ إِسْحَاقُ فَقُلْتُ لَهُمْ :

هَذَا الدَّوَاءُ الَّذِي يَشْنِي مِنَ الْخُمُقِ ^(٤)
 إِنْ مَاتَ مَاتَ بِلَا فَقْدٍ وَلَا أَشْفٍ ، أَوْ عَاشَ عَاشَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا خُلُقٍ ^(٥)

(١) النصل : حديدة السيف ؛ وسفاسقه ؛ طرائقه ؛ والبنائق : جمع بنيقة ، لبنة التميمي . يقول : يحملني في الحرب وسيفي يقطر دما — دم القتلى — في كمي على بنائقي . أي يحملني والسيف هذه حاله ؛ قال العكبري : الرواية التي قرأت بها الديوان على شيخني أبي الحزم وعبد النعم : والنصل ذو ، بالرفع ، ورفعته على الابتداء ، والواو للحال ، أي في هذه الحالة ، ورواه الواحدى وغيره بنصب النصل وما بعده عطفا على الضمير المنسوب في يحملني ؛ ويجوز أن يكون على أنه مفعول معه : أي مع النصل .

(٢) لحظه : نظر إليه مؤخر عينه . والوامق : الحب . يقول : لا أنظر إلى الدنيا بعين عاشق يحب لها فيذل لطلبها ولا أبالي أن لا أجد فيها من يوافقني على طلب معالي الأمور ، بل أعمل على طلبها وحدي .

(٣) أي : جرف نداء ؛ وكبت عدوه : أذله وردده بغيظه ، وكبته الله لوجهه : صرعه . قال ابن جني يخاطب ممدوحا له ، قال الواحدى : ليس في هذه القصيدة ذكر ممدوح ولم يمدح بها أحد ، فكيف يخاطب ممدوحا ؛ إنما يخاطب المهر الذي وصفه ، يقول : أنت تكبت حسادى لأنهم يحسدوننى عليك ثم قال : أنت لنا ونحن وأنت لله .

(٤) يقول : لادواء للأحق إلا الموت ، كما قال البحرى :

مَا قَضَى اللَّهُ لِلْجَهْلِ بَسْتَرٍ يَتَلَفَاهُ مِثْلُ حَتَفٍ قَاضِي

(٥) يقول : إن موته وحياته سواء ، فهو إن مات مات وليس من يأسف على موته ولا يتبين بموته خلل فيكون مفقوداً كما قال :

فَإِذَا مِتَّ مِتَّ غَيْرَ فَقِيدٍ

مِنْهُ تَعْلَمُ عَبْدٌ شَقَّ هَامَتُهُ خَوْنُ الصَّدِيقِ وَدَسَّ الْغَدْرُ فِي الْمَلَقِ ^(١)
وَحَلَفَ أَلْفَ يَمِينٍ غَيْرَ صَادِقَةٍ
مَطْرُودَةٍ كَكُؤُوبِ الرُّمَحِ فِي نَسَقِ ^(٢)
مَا زِلْتُ أَعْرِفُهُ قَرْدًا بِلَا ذَنْبٍ صِفْرًا مِنَ الْبَأْسِ تَمْلُؤُهُ مِنَ النَّزَقِ ^(٣)
كَرِيْشَةٍ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٍ لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلَقِ ^(٤)

وإن عاش عاش وليس من يحمل به أو يبالى ؛ إذ ليس له خلق كريم أو خلقة جميلة
كما قال الحزب أرزى :

فَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا وَجْهَ وَلَا بَدَنَ وَأَنْتَ فِي الْخَلْقِ لَا عَقْلَ وَلَا أَدَبَ
(١) هامة : رأسه ؛ والحون : الحياة ؛ والملق : إظهار المحبة . يقول : إن العبد
الذى قتله وغدر به منه تعلم خيانة الصديق والغدر به وإظهار الحب وفي قلبه دغل .
فلا جناح عليه إذا سقاه بكأسه .

(٢) وحلف : عطف على خون . يقول : وتعلم منه أن يحلف ألف يمين كاذبة مطرودة
— مطردة متتابعة — كأنابيب الرمح ، وفيه نظر إلى قول البحترى من جهة التشبيه :
شَرَفٌ تَتَابَعُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبٍ
وقوله أيضاً :

نَسَبٌ كَمَا اطْرَدَتْ كُؤُوبٌ مُثَقَفٌ لَدُنْ يَزِيدُكَ بَسْطَةً فِي الطُّولِ
(٣) يقول : مازلت أعرفه قرداً إلا أنه لا ذنب له ، وأعرفه فارغاً من الشجاعة
إلا أنه قد امتلأ حماسة وطيشاً ، والله ابن الرومي حين يقول :

مَعشَرٌ أَشْبَهُوا الْقُرُودَ وَلَكِنْ خَالَفُوهَا فِي خِفَةِ الْأَرْوَاحِ
(٤) يقول : هو من القلق كريشة بمهب — مجرى — الريح ساقطة لا تستقر
من القلق على حال ، يصفه بالطيش وأنه لا يثبت على حال ، كما قال ابن الرومي :
فَلِمَكَ أَطْيَشُ مِنْ رِيْشَةٍ وَرُوحُكَ مِنْ هَضْبَةٍ أَرْجَحُ
ولبعضهم :

يَارِيْشَةً فَوْقَ مَهَبِّ الصَّبَا يَهْفُو بِهَا الرِّيحُ عَلَى مَرَصَدٍ
أَطْيَشَ مِنْ قَلْبِ فَتَى عَاشِقٍ مَتَمِّمٌ بَاتَ عَلَى مَوْعِدٍ

تَسْتَفْرِقُ الْكَفَّ فَوَدَّيْهِ وَمَنْكِبَيْهِ وَتَكْتَسِي مِنْهُ رِيحَ الْجُورِبِ الْعَرَقِ ^(١)
 فَسَائِلُوا قَاتِلِيهِ كَيْفَ مَاتَ لَهُمْ مَوْتًا مِنَ الضَّرْبِ أَوْ مَوْتًا مِنَ الْفَرْقِ ^(٢)
 وَأَيْنَ مَوْقِعِ حَدِّ السِّيفِ مِنْ شَبَحِ بَغَيْرِ رَأْسٍ وَلَا جَنْمٍ وَلَا عُنُقِ ^(٣)
 لَوْلَا اللَّثَامُ وَشَيْءٌ مِنْ مُشَابَهَةِ لَكَانَ الْأُمُّ طِفْلٍ لُفٍّ فِي خِرْقِ ^(٤)
 كَلَامٍ أَكْثَرَ مِنْ تَلْقَى وَمَنْظَرُهُ يَمَّا يَشُقُّ عَلَى الْأَذَانِ وَالْحَدَقِ ^(٥)

* * *

(١) الفودان : جانباً الرأس ؛ والجورب : هو « الشراب » الذى توضع فيه الرجل من صوف أو قطن أو حرير . والعرق : الذى به العرق . يقول هو صغير الرأس قصير العنق ، وهو أيضاً قبيح ، فإذا صفع استفرقت أكف الصافعين هذه المواضع من بدنه فتكتسى أكفهم نكتاً منه لثاماً رائحته ، ولعل هذا ينظر إلى قول بعضهم :

قل ما بدالك أن تقول فإننى أنفى عليك بمنثل ريح الجورب
 (٢) موتا : مفعول مطلق ؛ أى أمات لهم موتاً ؛ والفرق : الخوف والفرع . يقول : هو جبان فسائلوا قاتليه هل مات خوفاً أو مات بالضرب ؟ والله أبو تمام حين يقول :
 وإلا فأعلمه بأنك ساخط عليه فإن الخوف لاشك قاتله
 (٣) الشبح : الشخص ؛ يصفه بأنه غير شيء لدمايته وصغر قدره فكأنه لا أعضاء له .

(٤) يريد باللثام آباءه . يقول : لولا أنهم سبقوه فى اللؤم وجاء مشابهاً لهم فيه لكان الأم طفل ولكنهم شركاؤه فى ذلك فليس هو الأم ، وبهذا قد سوى بينه وبينهم ؛ وفى هذا نظر إلى قول بعضهم :

إذا ولدت حليلاً باهلاً غلاماً زيد فى عدد اللثام
 (٥) ومنظره : أى وجهه ، أو النظر إليه ، ويشق : يشغل . يقول : إن أكثر من تلقاه من الناس يشق كلامه على الآذان لما فيه من السقط والمهذر ، ومنظره على الأحداق — العيون — لما ينطوى عليه من الغل والحجب وإضمار غير الجليل وإن كان يلقاك بالبشر .

يلقاك والمصل المصنئ يجتنئ من قوله ومن الفعالي العلقم

وقال يمدح أبا العشار الحسين بن علي بن الحسين بن حمدان العدوى :
 أترأها لِكثَرَةِ العُشَّاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَآقِ (١)
 كَيْفَ تَرَى الْقِيَمَةَ تَرَى كُلَّ جَفْنٍ رَأَاهَا غَيْرَ جَفْنٍ غَيْرَ رَاقٍ (٢)
 أَنْتِ مِنَّا فَتَنْتِ نَفْسَكَ لِكِنَّكَ عُوْفِيَتْ مِنْ ضَنَى وَاشْتِيَاقٍ (٣)

يُبدى الهوى ويثور - إن عرضت له فرص - عليك كما يثور الأرقمُ
 « الأبيوردى »

فلا تفرّك السنّة رطاب بطائهن أ كباد صَوَادِي
 « الديلمى »

فيأرب وجه كصافي النير تشابهه حامله والنير
 « شوقي »

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
 ليس الصديق بمن يُعيرك ظاهراً مُتبسماً عن باطن متجهماً
 « أبو تمام »

(١) حسب يحسب - بفتح السين في المضارع وكسرهما لفتان - وأترأها :
 أنظنها : والمآق : جمع مؤق ، مؤخر العين مما يلي الأنف . يقول - لصاحبه :
 أنظنها لكثرة ما ترى الدمع في مآق عشاقها تتوهم أنه خلقة فيها فلا ترحم من يسكى
 ولا ترى ، كما قال في البيت التالي .

(٢) رأها : أصله رأها ؛ قدم الألف وآخر الهمزة ضرورة وغير الأولى : منصوبة
 على الاستثناء ، والثانية على الحال . وراق : أى منقطع الدمع ، وأصله راقى : تقول
 رقا الدمع والدمع يرقأ إذا انقطع ، فلينه . يقول : إن هذه المعشوقة لا ترحم با كياً ،
 وكيف ترحمه وهى ترى كل جفن من الناس إلا جفنها سائل الدمع لمجرها فهى
 لا ترحم أحداً لأنها تظن الدموع في أجفان العشاق خلقة ؟

(٣) منا خبر أنت ، والجملة بعده خبر ثان ، أو جمال من الضمير المستتر في الخبر يقول .
 أنت أيضاً من معشر عشاقك : أى أنت عاشقة لنفسك حين منعها منا إلا أنك عوفية
 من الضنى - النحول - والاشتياق . لأنك واصلت محبوبك وهو نفسك ؛ ومعه

حُلَّتْ دُونَ الزَّارِ فَالْيَوْمَ لَوْ زُرْتُ لَحَالَ التَّحُولُ دُونَ الْعِنَاقِ^(١)
 إِنَّ لِحَظًا أَدَمَّتِهِ وَأَدَمَّنَا كَانَ عَمْدًا لَنَا وَحَتَفَ انْتِفَاقِ^(٢)
 لَوْ هَذَا عَنْكَ غَيْرَ هَجْرِكَ بَعْدَ لَأَرَارَ الرَّسِيمُ مُخَّ الْمَنَاقِ^(٣)
 وَلَسِرْنَا وَلَوْ وَصَلْنَا عَلَيْهَا مِثْلَ أَنْفَاسِنَا عَلَى الْأَرْمَاقِ^(٤)

فنتت نفسك : أى بالحب ؛ أى فأنت مفتونة بعشق نفسك ؛ والأصل فى هذا المعنى قول جعظلة :

لو ترى ما أراه منك إذا ما جال ماء الشباب فى وجنتيك

لتميت أن تُقبَّلَ خديك وإن لم تصل إلى خديك

(١) يقال حال دونه حائل ، كما يقال عاق دونه عائق ؛ والزار ههنا : مصدر بمعنى الزيارة يقول : منعتنى عن زيارتك حتى نعلت شوقا إليك ، فلو زرتنى اليوم لم تقدرى على معانقتى لشدة نحولى ودقة جسمى . فليس فى بقية لعناقك .

(٢) يقول : إن النظر الذى كررته إلينا وكرره إليك كان عن تعمد منا فاتفق لنا فيه الحنف - الهلاك - من غير قصد منا إليه لأنه أوقعنا فى حبال الهوى .

(٣) عدا عنك . صرف عنك ومنع من لقاءك . وغير : استثناء مقدم ؛ وبعد : فاعل عدا ، وقال المكبرى : نصب غير على الحال ، والتقدير : بعد غير هجرك ، فلما قدم وصف النكرة نصبه على الحال . وأرار : بمعنى أذاب ، والرسيم : ضرب من سير الإبل ، والناقى : جمع منقبة ، وهى الناقة السمينة التى فى عظامها نقى - أى مخ - يقول : لو كان الحائل بيننا وبينك هو بعدك لاهجرك لوصلنا السير إليك حتى تنفى الإبل ويسيل مخها : أى لأنبناها فى طى البعد بيننا ، ولكن الذى يحول بيننا هو الهجر ، وهو مالا سبيل إلى قطع مسافته بالسير ، كما قال أيضاً :

أبعدُ نأى المليحة البخلُ فى البعدِ مالا تُكلفُ الإبلُ

(٤) الضمير فى عليها : للمناقى ، والأرماق : جمع رماق ، بفيه الروح : يقول : ولسرنا ولو وصلنا وقد نلحنا وهزلنا من هذه الشوق حتى نصير من الحفة كأننا أنفاس على أرماق : أى على إبلنا التى نال منها الجهد حتى هزلت ولم يبق منها إلا الدماء فكأنها أرماق ، كما قال الآخر .

• أنضاء شوق على أنضاء أسفار •

مَا بِنَا مِنْ هَوَى الْمُيُونِ اللَّوَاتِي لَوْنُ أَشْفَارِهِنَّ لَوْنُ الْحِدَاقِ^(١)
 قَصَّرَتْ مُدَّةَ اللَّيَالِي الْمَوَاضِي فَأَطَالَتْ بِهَا اللَّيَالِي الْبَسَوَاتِي^(٢)
 كَثَرَتْ نَائِلُ الْأَمِيرِ مِنَ الْمَا لِي بِمَا نَوَلْتُ مِنَ الْإِيرَاقِ^(٣)
 لَيْسَ إِلَّا أَبَا الْعَشَائِرِ خَلَقَ^(٤) سَادَ هَذَا الْأَنَامُ بِأَسْتَحْقَاقِ

وكما قال هو أيضاً :

بَرَتْنِي الشَّرَى بَرَى الْمَدَى فَرَدَدْنِي أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جَرْمِي
 وقال ابن جني : ولسرنا ولو وصلنا إليك وهي تحملنا على استكراه ومشقة كما
 تحمل أرماقنا أنفاسنا لشدة الجهد لأننا قد بلغنا أو آخر أنفاسنا ؛ قال الواحدى : هذا محال
 كيف يحمل الرمي النفس ؟ وكيف تكون الأنفاس على الأرماق بالمعنى الذى ذكره ؟ ثم
 فسره الواحدى بما لا يخرج عما أسلفناه .

(١) ما بنا : استفهام ، معناه التعجب ؛ والأشفار : جمع شفر منبت الهدب ؛ والحداق :
 جمع حدقة سواد المقلة . يقول : أى شيء أصابنا من هوى العيون الكحللاء الجفون السوداء
 الأحداق ؟

(٢) يقول : قصرت الليالى الماضية بالوصال وأطالتهابها بهجران ، وأيام الوصال توصف
 بالقصر وأيام الهجر توصف بالطول . وقوله فأطالت بها : أى أطالت ليالى الهجر بليالى
 الوصال . أى بذكرها والتعسر عليها .

(٣) قال الواحدى : الإيراق مصدر قولهم أورق الصائد إذا لم يصد شيئاً وأورق الغازى : إذا
 لم يغم ، وأورق الطالب إذا لم ينل شيئاً . قال : وكان الخوارزمي يقول فى تفسير هذا البيت :
 هى تطاب بإسهادها إيانا الغاية طلب الأمير بإنالته النهاية ، فكأنها تكأثره نوالاً ، لكن نوالها
 الأرق ونواله الورق . قال الواحدى : فإن كان أبو الطيب أراد بالإبراق هذا — أى أنه من
 الأرق — فقد أخطأ لأنه لا يبنى الإبراق من الأرق إنما يقال أرق يأرق أرقاً وأرقه تأريقاً ،
 والأولى أن يحمل الإبراق على منع الوصل والتعجب منه . يقول : هى فى منعها وصلها
 فى النهاية ، كما أن الأمير فى بذله نائله قد بلغ الغاية فكأنها تكأثر عطاءه بمنعها لينظر
 أيهما أكثر ، ولا يخفى ما فى البيت من حسن التخلص .

(٤) خلق : اسم ليس ؛ وأبا العشائر : خبرها ؛ أو تقول خلق ؛ اسم ليس ؛ وخبرها
 الجملة بعده ؛ وأبا العشائر : مستثنى . يقول : ليس أحد قد استحق السيادة فساداً لخلائق
 بحق غير هذا المدوح ؛ وما يتصل بمعنى البيت قول البحرى :

طَاعِنُ الطَّعْنَةِ الَّتِي تَطْعَنُ الْفَيْلِقَ بِالذُّعْرِ وَالْدِّمِ الْمَهْرَاقِ^(١)
ذَاتُ فَرِيغٍ كَأَنَّهَا فِي حَشَا الْمَخْبِرِ عَنْهَا مِنْ شِدَّةِ الْإِطْرَاقِ^(٢)
ضَارِبُ أَلْهَامٍ فِي الْغُبَارِ وَمَا يَزُ هَبُّ أَنْ يَشْرَبَ الَّذِي هُوَ سَاقِي^(٣)
فَوْقَ شَقَاءٍ لِلْأَشَقِّ مَجَالٌ^(٤) بَيْنَ أَرْسَاعِهَا وَبَيْنَ الصِّفَاقِ^(٥)

قدره مرتفع عن حظه لا يرُعك الحظُّ لم يوجد بحق

(١) طاعن : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو طاعن ؛ والفيلق : الجيش ؛ والذعر : الفزع ؛ والمهراق : الصبوب . يقول : إذا طعن واحداً من الجيش فرأوا الطعنة وسعها وبعد غورها جبنوا جميعهم وخافوا لذلك خوفاً شديداً فكأنه طعن الجيش كله ؛ قال الشراح : والدم المهراق أحسن ما في البيت ، يريد أنه يخرج منها دم نائر يضرب صدور القوم ، فكأنه قد طعنهم كلهم .

(٢) ذات : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى طعنته ذات فرغ ، ومن نصب ذات : فهي حال من الطعنة بمعنى واسعة ، كأنه قال تطعن الفيلق طعنة واسعة . والفرغ : مخرج الماء من الدلو . ويقال أطرق رأسه إذا خفضه وطأطأه . والمخبر : يروى بفتح الباء وبكسرهما يقول : إن طعنته واسعة حتى كأن دمها يجري من فرغ دلو ، وإذا جرى حديثها أطرق لها السامع أو المحدث خوفاً واستعظاماً حتى لكأنها في جوفه .

(٣) يقول : هو ضارب الهام - الرءوس - في الهيجاء وبسقي الأقران كؤوس الموت ولا يبالى أن يشرب ما يسقيهم شجاعة وولوعاً بالمجد والفخار ومن ثم لا يبالى بالموت .
(٤) فوق شقاء : أى هو ضارب الهام حال كونه فوق فرس شقاء ، وشقاء : مؤنث أشق ، ويقال فرس أشق . إذا كان رجب الفروج طويل القوائم ، قال جابر أخو بني معاوية بن بكر التغلبى :

وَيَوْمَ الْكَلَابِ اسْتَنْزَلْتُ أَسْلَاتُنَا شُرَحْبِيلَ إِذْ آلَى الْيَتَةِ مُقْسِمِ

لِيَنْتَزِعَنَّ أَرْمَاحَنَا فَازَالَهُ أَبُو حَنْشٍ عَنْ ظَهْرِ شَقَاءٍ صِلْدَمِ^(١)

والأرساخ : جمع رسخ ، وهو مستدق ما بين الحافر ومفصل الوظيف ؛ والصفاق

(١) عن ظهر : يروى عن سرج ، والصلدم : القوية ، يقول : - حلف عدونا لينتزعن

أرماحنا من أيدينا قتلناه .

مَا رَأَاهَا مُكَذِّبُ الرُّسُلِ إِلَّا صَدَّقَ الْقَوْلَ فِي صِفَاتِ الْبَرَّاقِ ^(١)
 هُمُ فِي ذَوِي الْأَسِنَّةِ لَا فِيهَا وَأَطْرَافُهَا لَهُ كَالنُّطَاقِ ^(٢)
 ثَاقِبُ الرَّأْيِ ثَابِتُ الْحِلْمِ لَا يَقْدِرُ أَمْرٌ لَهُ عَلَى إِفْلَاقِ ^(٣)
 يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ لُقْمَانَ لَا تَفْدِمَكُمْ فِي الْوَعْيِ مُتُونُ الْعِتَاقِ ^(٤)

جلدة البطن ؛ قال الأصمعي : الصفاق الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر ،
 وأنشد للجعدي :

لَطِينٌ بِتَرَسٍ شَدِيدِ الصَّفَا قِ مِنْ خَشَبِ الْجُوزِ لَمْ يُثَقِّبِ ^(١)
 يقول : هو ضارب فوق فرس أنثى طويلة واسعة الفروج حتى يجهول الحصان -
 الذكر - الطويل بين قوائمها وبطنها .

(١) البراق : هو ذلك الذي روى أن سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ركبه
 ليلة الإسراء وقطع به ما بين الأرض والسماء في ليلة ، وقيل في وصفه أنه يضع يديه عند
 منتهى بصره ، وأنه دون البغل وفوق الحمار . يقول : إن هذه الفرس تجري جري
 البراق . فإذا نظر مكذب الرسل إلى سرعتها صدق ما قيل في وصف البراق .

(٢) الضمير من فيها : للأسنة ؛ والواو بعدها : للحال ؛ والنطاق : ما يشد به
 الوسط : يقول : إذا أحاطت به الأبطال حتى صارت أسنتها - رماحها - حوله كالنطاق
 فإن همته حينئذ إنما هي في الأبطال وأخذ أرواحهم لا في اتقاء رماحهم ، فهو لا يبالي
 بها ولا هي تثنيه عنهم .

(٣) ثقوب الرأي : نفاذه ؛ وأصل الثاقب : اللضىء ؛ ويروى ثاقب العقل ؛ والحلم :
 الأناة والتعقل . يقول : لا يقلقه أمر من الأمور لثبات حلمه ؛ وفيه نظر إلى قول
 ابن دريد :

يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنبِي حَبَوْتِي إِذَا رِيَّاحُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالْحَبَا
 (٤) الحارث بن لقمان : جد أبي العشائر ؛ والعِتَاق : الخيل الكريمة ، يدعو لهم بأن
 لا يفارقوا ظهور الخيل فرسانا في الوغى - الحرب - قال ابن جني : قوله في الوغى حشو
 إلا أن فيه نكتة ، وهي أنهم ملوك إنما يركبون الخيل للحرب أو دفع ملم ، لذلك خسر
 حالة الحرب ؛ إذ لو لم يقل في الوغى لا تقضى الدعاء أن لا يفارقوا ظهورها في وقت

(١) يقول : ذلك للوضع منه كأنه ترس وهو شديد الصفاق .

بَعَثُوا الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ ۖ فَكَانَ الْقِتَالُ قَبْلَ الْقِتَالِ (١)
وَتَكَادُ الظُّبَا لِمَا عَوَّدُوها تَنْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأُنَاثِ (٢)
وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنْ الْإِشْفَاقِ (٣)
كُلُّ ذِمْرٍ يَزِيدُ فِي الْمَوْتِ حُسْنًا كَبْدُورٍ تَمَامُهَا فِي الْمُحَاقِ (٤)

وهذا من أفعال الرواض لامن أفعال الملوك لأن الملوك يحتاجون إلى تدبير الملك بالرأى إلى الفراغ والاستقرار .

(١) يقول : بعثوا خوفهم في قلوب الأعداء قبل وصولهم إليهم ، فكانهم قاتلوهم قبل أن يلقوهم لشدة خوفهم قبل اللقاء ، قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَزَاحِفْهُمْ لَزَاحِفُهُمْ لُهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْأَوْجَالِ

هذا : والأعداى - بالتشديد - جمع الأعداء ، وأصله أعادى بالهمز فأدغم .

(٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف ؛ والمراد هنا : السيوف نفسها ؛ وتنتضي :

تستل . يقول : إنهم عودوا السيوف أن تغمد في الأعناق ، فهى لذلك تكاد تخرج من أعماقها إلى الأعناق قبل أن يستلها أحد ؛ وهذا من قول أبى تمام :

وَنَبَّهَنَ مِثْلَ السِّيفِ لَوْ لَمْ تَسْلُهُ يَدَانِ لَسَلَّتْهُ ظُبَاهُ مِنَ الْغَمْدِ

(٣) الإشفاق : الخوف والفرع . يقول : إذا خاف الفرسان من وقع الرماح خافوا

هم من الخوف ومن أن ينسبوا إلى الجبن والجزع فتجلدوا وصبروا .

(٤) الذمر : الرجل الشجاع ؛ وكل : خبر مبتدأ محذوف : أى هم - المدحون - كل

ذمر الخ ؛ والحق : آخر ليالى القمر . يقول : إنهم إذا قتلوا فى طلب المجد والرفعة

ازداد شرفهم فازداد حسن ذكركم بموتهم ، كالبذور فإنها تستفيد الكمال بالحقاق ، ومالم

تصير إلى الحقاق لم تتم ، لأنها فى الحقاق ترتفع إلى درجة الكمال ، فحقاقها سبب كمالها ؛

كذلك هؤلاء إذا قتلوا اكتسبوا ذكراً وشرفاً . وقال ابن جنى : تمامها فى الحقاق

الكلام متناقض الظاهر ، لأن الحقاق غاية النقصان وهو ضد الكمال ، وإنما سوغ له

ذلك قوله « يزيد فى الموت حسناً » : أى هو من قوم أحسن أحوالهم عندهم أن يقتلوا فى

طلب المجد ، فشبههم بيدور تمامها فى محاقها ، فجاز له هذا اللفظ على طريق الاستطراف

والتعجب منه ، فشبه ما يجوز أن يكون بما لا يجوز أن يكون اتساعاً وتصرفاً . وقال

ابن فورجه : أراد أن البدور يفضى أمرها إلى الحقاق . فهو غايتها التى تجرى إليها ومصيرها

الذى تصير إليه ، وهؤلاء القوم تمام أمرهم قتلهم ، وليس التمام فى هذا البيت الذى

جَاعِل دِرْعَهُ مَنِيتَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ دُونَهَا مِنَ الْعَارِ وَاقٍ^(١)
كَرَّمَ خَشْنَ الْجَوَانِبِ مِنْهُمْ فَهُوَ كَالْمَاءِ فِي الشُّفَارِ الرَّقَاقِ^(٢)

يعنى به استكمال الضوء؛ والدليل على ذلك قوله «كبدور» والبدور لا تكون بدوراً إلا بعد استكمال ضوئها، ولو أراد استكمال الضوء لقال كأهله... قال الواحدى: وعلى هذا لا مدح فى البيت لأن كل حى يفضى أمره إلى الموت وآخره الهلاك؛ وإنما شبههم ببدور تمامها فى المحاق بزيادتهم حسناً بالموت لانتهاه آخر أمرهم إلى الموت، ثم أوضح ذلك بما لا يخرج عما ذكرناه أولاً.

(١) جاعل: صفة لذمر. يقول: إنه يتقى العار ولو بموته، فإذا لم يجد وقيام من العار غير منيته جعلها درعاً له، فأتقى بها العار كما يتقى بالدرع الموت والهلاك. قال أبو تمام:

وقد كان قوتُ الموتِ سهلاً فردّه إلى الحِفاظِ المرُءِ وأُتْلِقُ الوغْرُ

وقال بعضهم:

وَمَوْتُ لا يكونُ طَلَى عَاراً أَحَبُّ إِلَى مِنْ عَيْشٍ رِمَاقٍ^(١)

(٢) الكرم: ضد اللؤم؛ والشفار: جمع شفرة، حد السيف. والرقاق هنا: الحداد القاطعات. يقول: إن لم كرم ما خشن جوانبهم على الأعداء لأن هذا الكرم يأبى عليهم أن يساموا الخسف ويقبلوا الإهانة، ثم شبه ذلك الكرم بالماء، فهو مع لينه وعذوبته إذا سقيته السيوف شحذت شفارها واستفادت صلابه ومضاء ونفاذاً، كذلك كرمه فيه لين لأوليائه وخشونة على أعدائه. وهذا من قول بعضهم:

وكالسيف إن لا يَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ حَاشَتْهُ خَشِينَانِ

وفيه نظر إلى قول أبي تمام:

فَإِنَّ الْحَسَامَ الْهِنْدُوَانِيَّ إِنَّمَا خُسُونَتُهُ مَا لَمْ تُقَلَّلْ مُضَارِبُهُ

(١) الرماق: العيش اليسير الدون الذى يمسك الرمح؛ ومن كلامهم: موت لا يجر

إلى عار خير من عيش فى رماق، ومثله العيش الرمح: أى الدون قال السكيت:

أَرَانَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا يُجَدُّ بِنَسَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

نُعَالِجُ مُرَمَقًا مِنَ الْعَيْشِ فَانِيًا لَهُ حَارِكٌ لَا يَحْمِلُ الْعِبَاءَ أَجْزَلُ

[الحارك: أعلى الكاهل].

وَمَعَالٍ إِذَا أَدْعَاهَا سِوَاهُمْ لَزِمَتْهُ جَنَابَةُ الشَّرَاقِ^(١)
يَأْتِي مَنْ كَلَّمَا بَدَوْتَ بَدَا لِي غَائِبَ الشَّخْصِ حَاضِرَ الْأَخْلَاقِ^(٢)
لَوْ تَنَكَّرْتَ فِي الْمَكْرِ لِقَوْمٍ حَلَفُوا أَنَّكَ ابْنُهُ بِالطَّلَاقِ^(٣)
كَيْفَ يَقْوَى بِكَفِّكَ الزُّنْدُ وَالْآ فَاقُ فِيهَا كَالْكَفِّ فِي الْآفَاقِ^(٤)
قُلْ نَفْعُ الْحَدِيدِ فِيكَ فَمَا يَنْفَعُكَ إِلَّا مَنْ سَيِّفُهُ مِنْ نِفَاقِ^(٥)
إِنْفُ هَذَا الْهَوَاءِ أَوْقَعَ فِي الْأَنْفُسِ أَنَّ الْجِمَامَ مُرٌّ الْمَذَاقِ^(٦)

(١) يقول : لكم معال شريفة لم ينلها أحد سواكم فإذا ادعاه سواكم نسب إلى الحيانة والسرقة .

(٢) يقول : أنت شديد الشبه بأبيك ، فإذا ظهرت لي شاهدت فيك أخلاقه ، وإن غاب شخصه ، وقال ابن الرومي :

إِذَا سَلَفٌ أَوْدَى وَخَلَفَ مِثْلُهُ فَمَا ضَرَّهُ أَنْ غَيْبَتْهُ الرِّوَامِسُ

(٣) تنكرت : غيرت زيك حتى لا تعرف ، والمكر : مكان الكر في الحرب . يقول : لو غيرت زيك في ساحة الحرب حتى لا يعرفك أهلها لعرفوك بأفعالك التي لم يكن يفعلها غير أبيك حتى يحلفون بالطلاق أنك ابنه ، قال ابن جني : في المكر حشو وفيه نكتة ، وهي أنه إنما شبهه في المكان الذي يتبين فيه الفضل والشجاعة فذكر أنفس المواضع ، فجعله شبهه فيها لافي غيرها مما ليس له شهرتها ، وقال التبريزي : حلفوا أنك ابنه : أي ابن المكر إذ يجدونك فيه سالما من الطعن والضرب ، فكان المكر أب يشفق عليك من أن يصل إليك جرح أو طعنة .

(٤) الاستفهام تعجب ، وقوى به : أطاقه ؛ والآفاق : نواحي الدنيا وأقطارها . يقول : كيف يطيق زندك حمل كفك وهي قد اشتملت على نواحي الأرض ، أي استوت على أطرافها حتى صارت الآفاق صغيرة بالقياس إليها كالكف بالقياس إلى الآفاق ، يريد أنه اقتدر على الدنيا وصغرت في قبضته .

(٥) يقول : إن أعداءك لا يقدرون عليك بسيف الحديد لا متناحك على أسلحتهم بيأسك وشجاعتك وعدة شوكتك . فلا يلقونك الا بسيف النفاق ، يعني أن أعداءك يعدلون عن مجاهرتك بالحرب إلى مواراتك بالنفاق .

(٦) قال أبو العلاء المعري : إن هذا البيت والذي بعده يفضلان كتابا من كتب

وَالْأَمْسَى قَبْلَ فُرْقَةِ الرُّوحِ عَجَزٌ وَالْأَمْسَى لَا يَكُونُ بَعْدَ الْفِرَاقِ ^(١)
 كَمْ تَرَاءَ فَرَمَجَتْ بِالرُّمُحِ عَنْهُ . . . كَانَ مِنْ بُخْلِ أَهْلِهِ فِي وَثَاقٍ ^(٢)
 وَالْفَنَى فِي يَدِ اللَّثِيمِ قَبِيحٌ قَدَرٌ قُبِحَ الْكَرِيمُ فِي الْإِمْلَاقِ ^(٣)

الفلاسفة ، لأنهما متناهيان في الصدق وحسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما
 لكان له شرف منهما وجمال . . . يقول : إن نفوسنا ألقت هذا الهواء فظننت أن الموت
 كرهه الذوق ، وذلك لإلفها الهواء الرقيق الطيب ، وهذا أوقع في الأنفس أن الموت مر
 الطعم . قال الواحدى : وفي هذا بيان عذر أعدائه حين جبنوا عنه ولم يجاهره بالحرب
 لأن حب الحياة زين لهم الجبن وأراهم طعم الحمام . قال : ويجوز أن يكون هذا ابتداء
 كلام لا يتصل بما قبله ؛ قال العسكري : وهذا من قول الحكيم : النفوس البهيمية تألف
 مساكنة الأجساد الترابية ، فلذلك تصعب عليها مفارقة أجسامها والنفوس الصافية
 بضد ذلك .

(١) يقول : إن خوف الموت من أكاذيب النفس ومن إلفتنا هذا الهواء وإلا فهو
 معلوم أن الجزع من الموت قبل وقوعه عجز ينشأ عن الجبن وضعف النفس ، وأنه
 لا جزع بعد الموت لعدم حس الليت بشيء مما هو فيه . وعبارة أبي الفضل العروضى :
 لا يحسن أن يحزن الإنسان للموت بعد تيقنه بوقوعه فإنه قبل الوقوع : لا ينفع الحذر
 وينقص العيش ، وإذا وقع فلا حزن عليك ولا علم لك به ، ثم قال : وقد نسب في هذا
 إلى الإلحاد . قال الواحدى : وهذا البيت والذي قبله حث على الشجاعة وتحذير من
 الجبن وتهوين للموت لئلا يخافه الإنسان فيترك الإقدام قال : هذا ما أراده أبو الطيب
 ولم يرد الإلحاد وإنما قال هذا من حيث الظاهر

(٢) التراء : كثرة المال . يقول : كم مال كان البخل قد أوثقه ومنعه عن طلابه
 قتلت أربابه فأطلقت من إيساره وأبحته لطلابه ؟

(٣) الإملاق : الفقر والعدم . يقول : إن المال في يد اللثيم قبيح - لأنه يضمن
 به عن حقوقه - كما يقبح الفقر في يد الكريم ، فقوله قدر قبح الكريم في الإملاق :
 يريد أن يقول قدر قبح الإملاق في الكريم ، قلب للضرورة والقافية : وللصراع
 الأول من قول أبي تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَانَهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارٍ
 وقول العطوى :

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسٍ فِعْلِكَ كَالشَّمْسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالْإِشْرَاقِ^(١)
 شَاعِرُ الْمَجْدِ خِذْنُهُ شَاعِرُ اللَّفْظِ كِلَانَا رَبُّ الْمَعَانِي الدَّقَاقِ^(٢)
 لَمْ تَزَلْ تَسْمَعُ الْمَدِيحَ وَلَكِنْ صَهِيلَ الْجِيَادِ غَيْرُ النَّهَاقِ^(٣)
 لَيْتَ لِي مِثْلَ جَدِّ ذَا الدَّهْرِ فِي الْأَذَى هُرٍّ أَوْ رِزْقِهِ مِنْ الْأَرْزَاقِ^(٤)

نعمة الله لا تُعَاب ولكن ربما استُغِيحَتْ على أقوام
 لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نُورُ بهجة الإسلام
 وسخ الثوب والقلائس والبر ذَوْنُ والوجه والقفا والغلام

(١) يقول : إن قولي لا يبلغ فعل المدوح في الشرف والرفعة ، ولكنه يدل عليه ، فهو بمنزلة الإشراق من الشمس ، وتروى : ولكن كالشمس في الإشراق : أى أن قوله في فعل المدوح الذى هو كالشمس ليس كالشمس كذلك ، فيكون كفؤاً له ، ولكنه بالقياس إليه كالشمس بالقياس إلى إشراقها ، شبه قوله بالشمس وفعل المدوح بأشعة الشمس التى تملأ الكائنات .

(٢) يقول : أنت شاعر المجد الناظم لمحاسنه العليم به وبدقائقه وأنا شاعر اللفظ ، فكل واحد منا خليل الآخر ، وكل واحد صاحب المعانى الدقيقة فهو يهتن في صناعته : وأراد بالحدن ؛ نفسه ، جعل نفسه خدنا - صاجباً وصديقاً - للمدوح ترفعا وافتخارا . ومثل هذا البيت قول أبى تمام :

غَرَبْتُ خِلَاتِقَهُ فَأَغْرَبَ شَاعِرُهُ فِيهِ فَأَبْدَعَ مُغْرِبُهُ فِي مُغْرِبِ
 (٣) يقول : لم تزل تمدح وتسمع الأشعار فى مدحك - لأنك ملك همم كثير المداح - ولكن شعرى يفضل ما سمعته كما يفضل صهيل الجياد نهيق الحمير ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول خدّاش بن زهير :

وَلَنْ أَكُونَ كَنْ أَلْقَى رِحَالَتَهُ عَلَى الْحِمَارِ وَخَلَى مَنْسِجَ الْفَرَسِ
 وقول الآخر :

أَلْمَى بِابْنِ عَمِّكَ لَا تَكُونِ كَمُخْتَارِ عَلَى الْفَرَسِ الْحِمَارَا
 (٤) يقول : إن دهرك محدود - محظوظ - مرزوق بك ، فليت لى مثل ماله من الحظ والرزق ، ثم بين ذلك فى البيت التالى .

أَنْتَ فِيهِ وَكَانَ كُلُّ زَمَانٍ يَشْتَهِي بَعْضَ ذَا عَلَى الْخَلْقِ^(١)

* * *

وضرب أبو العشائر خيمة على الطريق فكثرت سؤاؤه وغاشيته فقال له إنسان
جعلت مضربك على الطريق فقال : أحب أن يذكره أبو الطيب فقال :

لَا مَ أَنْاسُ أَبَا الْعَشَائِرِ فِي جُودِ يَدَيْهِ بِالْعَيْنِ وَالْوَرَقِ^(٢)
وَأِنَّمَا قِيلَ لَمْ خُلِقْتَ كَذَا وَخَالِقُ الْخَلْقِ خَالِقُ الْخَلْقِ^(٣)
قَالُوا أَلَمْ تَكْفِهِ سَمَاحَتُهُ حَتَّى بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الطَّرِيقِ^(٤)
فَقُلْتُ إِنَّ الْفَتَى شَجَاعَتُهُ تُرِيهِ فِي الشَّحِّ صُورَةَ الْفَرَقِ^(٥)

(١) يقول : كان كل عصر يشتهي بعض هذه السعادة لأنه لا يطعم في كلها ومثله
لمسلم بن الوليد :

كَالْدَهْرِ يَحْسُدُ أَوْلَاهُ أَوَاخِرَهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ كَانَ فِي أَعْصَارِهِ الْأَوَّلِ
وفيه نظر إلى قول أبي تمام .

مَضَى طَاهِرَ الْأَنْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوْبِي إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ

(٢) العين : الذهب ؛ والورق : الفضة ، وقيل هي الدراهم المضروبة .

(٣) يقول : إن الذي يلومه على جوده كأنه يقول له لم خلقت كريما ؟ أى أنه طبع
على الجود وليس ينفع اللوم على ما طبع عليه الإنسان ؛ لأن للطبوع على الشيء لا يستطيع
أن يحيد عنه إلى غيره كما لا يستطيع أن يغير خلقته ، والذي خلق خلقه خلق خلقه .

(٤) كان أبو العشائر بما فارقين ، ف ضرب بيتا على الطريق لينتابه الناس فلا يرون
دونه حجابا ، فذكر ذلك أبو الطيب وقال : إن الناس قالوا أما كفته سماحتهم ونداء في
البلد حتى بنى بيته على الطريق للقصا ؟ !

(٥) الشح : البخل ؛ والفرق : الخوف والدعر . يقول : إن الشجاع لا يكون بخيلا
وإنما يتجنب البخل كما يتجنب الخوف ، وذلك أن الشح خوف الفقر : والشجاع لا يفرق ،
كما قال الجاحظ : البخل والجبن غريزتان يجمعهما سوء الظن بالله . وهذا كما يقول
أبو تمام :

وَإِذَا نَظَرْتَ أَبَا يَزِيدَ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا

بِضَرْبِ هَامِ الْكِمَاةِ تَمَّ لَهُ كَسْبُ الَّذِي يَكْسِبُونَ بِالْمَلَقِ ^(١)
 الشَّمْسُ قَدْ حَلَّتِ السَّمَاءَ وَمَا يَحْجُبُهَا بَعْدَهَا عَنِ الْحَدَقِ ^(٢)
 كُنْ لُجَّةً أَيْهَا السَّمَاحُ فَقَدْ آمَنَهُ سَيْفُهُ مِنَ الْفَرَقِ ^(٣)

* * *

يَقْرَى مُرَجِّعُهُ مُشَاشَةً مَالَهُ وَشَبَا الْأُسْدَةِ ثُغْرَةً وَوَرِيداً ^(١)
 أَيْقَنْتَ أَنْ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تُذِي وَأَنْ مِنَ الشَّجَاعَةِ جُوداً
 ويقول الآخر :

إِلَى جَوَادٍ يَمُدُّ الْبُخْلَ مِنْ جُبَيْنِ وَبِاسْمِ لُبْخْلِهِ يَعْتَدُهُ جُبْنَا
 يَلْقَى الْعَفَاةَ بِمَا يَرْجُونَ مِنْ أَمَلٍ قَبْلَ السُّؤَالِ وَلَا يَبْنِي بِهِ ثَمْنَا
 (١) الهام : الرؤوس ؛ والكِمَاة : جمع كَمَى ، الشجاع المستتر في سلاحه . يقول :
 إن كل أحد يحبه لشجاعته كما يحب من يتعلق الناس ويلين لهم ويتودد إليهم فتم له بضرب
 الهام ما يكسبه التملق ، كما قال :
 وَمِنْ شَرَفِ الْإِقْدَامِ أَنْكَ فِيهِمْ عَلَى الْقَتْلِ مَوْمِقٌ كَأَنَّكَ شَاكِدٌ ^(٢)
 (٢) يقول : إنه لم يكن قبل ذلك مستتر الجود ولا محجبا عن القصاد كالشمس مع
 بعدها يراها كل راء .

(٣) يقول : كن أيها الجود بهراً ذا لجة مهلكا ، فهو لا يخاف الفقر ولا يقدر
 على إغراقه بالفقر ، لأن سيفه قد آمنه من ذلك لأنه كلما أعطى سؤاله وقبضه مالا أخذ
 له سيفه أضاع ذلك ؛ وهذا كقوله :

فَالسِّمُّ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بَنُوَالَهُ مَا تَجَبَّرُ الْهَيْجَاءُ
 وَقِيلَ الْمَعْنَى : كُنْ أَيُّهَا الْجُودُ بَهْرًا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ لَا يَخَافُ أَنْ يَفْرُقَ لِأَنَّ سَيْفَهُ أَعْطَاهُ .
 الْأَمَانُ مِنْ كُلِّ تَهْلُكَةٍ ، يُرِيدُ أَنَّهُ مَعَ سَبَاحَتِهِ شَجَاعَ حَقٍّ لَوْ صَارَ الْجُودُ تَهْلُكَةً مَا خَافَهُ .

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذي يمكن مضغه ، والثغرة - بالضم

ثغرة النحر .

(٢) شكده : أعطاه أو منحه .

قافية الكاف

وقال وقد أجل سيف الدولة ذكره :

رُبَّ نَجِيعٍ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ أَنْسَفَكَ وَرُبَّ قَافِيَةٍ غَاطَتْ بِهِ مَلِكًا^(١)
 مَنْ يَنْفِرُ الشَّمْسَ لَا يُنْكِرُ مَطَالِعَهَا
 أَوْ يُبْصِرَ الْخَيْلَ لَا يَسْتَكْرِمُ الرِّمَكَا^(٢)
 تَسْرُ بِالْمَالِ بَعْضَ الْمَالِ تَمْلِكُهُ إِنَّ الْبِلَادَ وَإِنَّ الْعَالَمِينَ لَكََا^(٣)
 ولما أنشد أجاب دمي^(٤) الخ استحسناها فقال :
 إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ فِي الشَّعْرِ مَلَكٌ سَارَ فَهَوَ الشَّمْسُ وَاللُّنْيَا فَلَكْ^(٥)

(١) النجيع : الدم ؛ والقافية : القصيدة . يقول : رب دم انسفك - انصب - بسيف الدولة ؛ أى بسببه لأنه سفكه هو أو أمر بسفكه : ورب قصيدة مدح بها فغاطت تلك القصيدة ملكا وحسده عليها لحسها .

(٢) الرمك : جمع رمكة ، البرذونة تتخذ للنسل دون الركوب . يقول : من عرفك لم يجحد فضلك كالشمس لا يدفع ارتفاعها من عرفها ، ومن رآك لم يستعظم غيرك ، كمن أبصر عتاق الخيل لم يستكرم الرمك منها ، ويروى بدل يستكرم : يستفره ، هما بمعنى .

(٣) يقول : إن الناس كلهم لك فإذا وهبت أحداً شيئاً فقد سررت بملك مالك ، لأن الكل لك . ولعله ينظر في هذا إلى قول عدي بن زيد :

ولك المال والبلاد وما يملك من ثابتٍ ومُستاقٍ

(٤) أراد القصيدة التي مطلعها :

أجابه دمي وما الداعي سوى طَلَلٍ دعاه فلباه قبل الركب والإبل

(٥) يقول : إن شعره بين الشعر كالمالك بين الناس يفضل سائر الأشعار كما تفضل الملائكة الخلق ، وهو سائر في الدنيا سير الشمس في السماء . هذا : والمالك - بالتحريك - واحد وجمع . قال الكسائي : أصله مالك - بتقديم الهمزة - من الألوكة ، وهي

(٨ - التني ٣)

عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ يَبْنِنَا فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْدُ لَكَ^(١)
فَإِذَا مَرَّ بِأُذُنِي حَاسِدٍ صَارَ يَمِنْ كَانَ حَيًّا مَهْلَكًا^(٢)

* * *

الرسالة . ثم قلبت ، وقدمت اللام ، فقيل ملائكة . وأنشد أبو عبيدة لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك ، قيل هو النعمان ؛ وقال ابن السيرافي : هو لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير :

فَاسْتَ لِلْإِنْسِيِّ وَلَكِنْ لِمَلَأَكِ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ
ثُمَّ تَرَكْتَ هَمْزَتَهُ لِكثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ فَقِيلَ مَلَكٌ ، فَلَمَّا جُمِعُوا رَدُّوهُمَا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا :
مَلَائِكَةٌ وَمَلَائِكٌ أَيْضًا ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَكُنَّ بِرَقَعٍ وَالْمَلَائِكُ حَوْلَهَا سَدَرٌ تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ أَجْرِبُ^(١)
قَالَ ابْنُ بَرِي : صَوَابُهُ أَجْرَدٌ - بِالْدَالِ - لِأَنَّ الْقَصِيدَةَ دَالِيَّةٌ ، وَقَبْلَهُ :
فَأَتَمَّ سِتًّا فَاسْتَوَتْ أَطْبَاقُهَا وَأَتَى بِسَابِعَةٍ فَأَتَى تَوَرَّدَ
وَفِيهَا يَقُولُ فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ :

لَا تَقْصَ فِيهِ غَيْرَ أَنْ خَبِثَتْهُ قَمَرٌ وَسَاهُورٌ يُسَلُّ وَيُقَمَدُ^(٢)

(١) يقول : عدل الله فيه بيني وبينك فقضى لي بالإحسان في نظمه وقضى لك بما يختلج فيه من الحمد والثناء عليك ، فحكم لي بلفظه وحسنه ولك بالحمد دائماً ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

خُذْ مِنْ فَوَائِدِكَ الَّتِي أُعْطَيْتَنِي فَالْدُرُّ دُرُّكَ وَالنُّظَامُ نِظَامِي
(٢) يقول : إذا سمع شعري حاسد لي من الشعراء أو حاسد لك من الملوك مات من الحسد ، لأن لفظه يعجز الشعراء عن الإتيان بمثله . ومافيه من الحماد لم يمدح به أحد من الملوك .

(١) برقع : اسم من أسماء السماء قيل هي السابعة ، وسدر : أي بحر . شبه السماء بالبحر ، أراد للملاسة لا لجره . وقوله تَوَاكَلَهُ الْقَوَائِمُ : أي تَوَاكَلَتْهُ الرِّيحُ فلم يتموج .
(٢) الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كشف فيما تزعمه العرب .

وقال لابن عبد الوهاب وقد جلس ابنه إلى جانب المصباح :
 أَمَا تَرَى مَا أَرَاهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَأَنَّنَا فِي سَمَاءٍ مَالَهَا حُبُّكَ^(١)
 الْفَرَقْدُ ابْنُكَ وَالْمِصْبَاحُ صَاحِبُهُ
 وَأَنْتَ بَذَرُ الدُّجَى وَالْمَجْلِسُ الْفَلَكَ^(٢)
 * * *

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى البحتري :
 بَكَيْتُ يَا رَبِّعُ حَتَّى كِدْتُ أَبْكِيكَ وَجُدْتُ لِي وَبِدَمْعِي فِي مَعَانِيكَ^(٣)
 فَعِمَّ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجَتْ لِي شَجَنًا وَأَرْدَدْتُ تَحِيَّتَنَا إِنَّا مُحْيَوُكَ^(٤)

(١) الحبك : طرائق النجوم في السماء . جمل مجلسه في علو قدره كالسما . غير أنه ليست له طرائق كما للسماء .

(٢) الفرقد : نجم معروف ، وهما فراقدان . جمل ابنه — وهو قريب من المصباح — كالفرقد ، وأراد بالصاحب : الفرقد الآخر ، وفي هذا نظر إلى قول علي بن الجهم :
 كَأَنَّهُ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ تَتَّبِعُهُ بِدَرِ السَّمَاءِ تَلِيهِ الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ

وقال ابن وكيع : هذا التشبيه من قول أبي نواس :

قَضَى أَيْلُولٌ وَارْتَفَعَ الْحُرُورُ وَأَذْكَتْ نَارَهَا الشُّعْرَى الْعَبُورُ
 قُمُومًا فَانْكِحَا خُرَا بِمَاءِ فَاثِ تَتَاجَ بَيْنَهُمَا السَّرُورُ
 تَتَاجُ لَا تَدِرُ عَلَيْهِ أَمَ يَحْمَلُ لَا تَعْدُ لَهُ الشُّهُورُ
 إِذَا الْكَاسَاتُ كَرَّتْهَا عَلَيْنَا تَكُونُ بَيْنَهَا فَلَكَ يَدُورُ
 تَسِيرُ نَجْمُومُهُ عَجَلًا وَرَيْنَا مُشْرِقَةً وَأَحْيَانًا تَفُورُ
 إِذَا لَمْ يُجْرِهِنَّ الْقُطْبُ مِثْنًا وَفِي دَوْرَاتِهِنَّ لَهَا نَشُورُ

(٣) المغاني : جمع مغنى ، وهو المنزل الذي كان به أهله . يقول : بكيت عليك يارب حتى لو كنت بمن يعقل لرئيت لحالي وبكيت لبكائي ، فقد أتلقت نفسي وأفنيته دمي في مغانيك أسفا عليك وتذكر آ لأهلك . فقوله وجدت بي : أى بنفسى ؛ أى بكيت حتى أتلقتها .

(٤) عم صباحا : بمعنى أنعم ، يخاطب الربيع على عادة العرب في مخاطبة الربوع

بَأْيٍ حُكْمَ زَمَانٍ مِثْرَتَ مُتَّخِذًا رَثْمَ الْفَلَا بَدَلًا مِنْ رَثْمِ أَهْلِيكَ^(١)
 أَيَّامَ فِيكَ شُمُوسٍ مَا أَنْبَعَتْنَا لَنَا إِلَّا أَنْبَعَتْنَا دَمًا بِاللَّحْظِ مَسْفُوكًا^(٢)
 وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ وَالْأُطْلَالُ مُشْرِقَةٌ كَأَنَّ نُورَ عَيْبِدِ اللَّهِ يَغْلُوكًا^(٣)
 نَحْمَا أَمْرُؤُ يَا ابْنَ يَحْيَى كُنْتَ بُغْيَتَهُ وَخَابَ رَكْبٌ رِكَابٍ لَمْ يَوْمُوكًا^(٤)

والأطلال بعد ارتحال الأحبة عنها يتسلون بذلك . يقول للربع — على سبيل الدعاء :
 أنعم صباحا ، لقد حركت لى وجدا حين نظرت إليك تذكر لما سلف لى فيك
 من وصل الأحبة ، ونحن مسلمون عليك فاردد علينا . وهذا مما يدل على وله العاشق
 لفقد الأحبة .

(١) الرثم : الظبي الخالص البياض ، والفلا ، جمع فلاة ، الصحراء ، يقول : أى
 حكم من أحكام الزمان جرى عليك حتى أقفرت فأوت إليك ظباء الصحارى بدلا
 من ظباء الإنس اللاتي رحلن عنك ؟ ومثله لأبى تمام

وْظِبَاءَ أَنْسِكَ لَمْ تَبْدُلْ بَعْدَهَا بَظِبَاءٍ وَخَشِكَ ظَاعِنًا بِمَقِيمٍ
 (٢) أراد بالشموس : الحسان ؛ وأنبعث : ذهبن وجئن وتحركن ؛ وأنبعث :
 أسلن . يقول : لى لا ذكر أيام فيك شمس ما ظهرن لنا إلا أبكىنا دما صبوبا بنظرنا
 لىهن : أى أجرين بالحاطن دماء عشاقهن ؛ قال أبو نواس :
 يَا نَاظِرًا مَا أَقْلَعْتَ لِحْظَانَهُ إِلَّا تَشَحَّطَ بَيْنَهُنَّ قَتِيلٌ
 وقال أشجع السلى :

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَاسِنِهَا فَلِكُلِّ مَوْضِعٍ نَظْرَةٌ قَتْلٌ
 وقد أخذ هذا المعنى بعضهم فقال :

وَجُفُونَ لَكَ لَا تَطُوفُ إِلَّا عَنْ قَتِيلٍ

ما جيل الصبر عنها عند مثلى بجميل

(٣) خضرة العيش : كناية عن الحصب والرغد ؛ والأطلال : رسوم الديار .
 يقول : كان العيش رعداً طيباً وأطلاك — أى التى هى أطلال اليوم — كانت مشرقة
 قبل تفرق الأحبة وارتحالهم عنك . وفى البيت من البديع حسن التخلص :

(٤) الركب : جمع راكب ؛ والركاب : الإبل ؛ ولم يؤموك : لم يقصدوك : يقول :
 تخلص من مكره الزمان من كنت طلبته : أى من قصدك بإتباعه وخاب من لم يقصدك

أَحْيَيْتَ لِلشُّعْرَاءِ الشُّمْرَ فَأَمْتَدَحُوا جَمِيعَ مَنْ مَدَحُوهُ بِالَّذِي فِيكَ^(١)
وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ الْمَجْدَ وَأَقْتَدَرُوا عَلَى دَقِيقِ الْمَعَانِي مِنْ مَعَانِيكَ^(٢)
فَكُنْ كَمَا أَنْتَ يَا مَنْ لَا شَبِيهَ لَهُ أَوْ كَيْفَ شِئْتَ فَمَا خَلَقَ يَدَايِكَ^(٣)
شُكْرُ الْعُفَاءِ لِمَا أَوْلَيْتَ أَوْجَدَنِي إِلَى نَدَاكَ طَرِيقَ الْعُرْفِ مَسْلُوكًا^(٤)

ويروى بدل ركب ركاب: ركب رجاء؛ أي قوم ركبوا وفي قلوبهم الرجاء ثم لم يقصدوك
(١) يقول: إنك أحييت للشعراء الشعر بما أريتهم من دقائق الكرم والمجد،
وعلمتهم من غوامض المعاني حتى استغنوا عن إخراجها بالفسر، فسهل عليهم الشعر حتى
كأنه صار حياً بعد أن كان ميتاً، فامتدحوا بمدوحهم بما فيك من خصال المجد ومعاني
الشرف وهي لك، غير أنهم ينخلونها بمدوحهم، وفي هذا نظر إلى قول ابن الرومي:

مدح الأولون قوماً بأخلا فك من قبل أن ترى مخلوقا
نخلهم ذخائراً لك بالببا طل من قولهم وكان زهوقاً
فانزعنا الحقوق من غاصبها فجبا صادق بها مصدوقاً

وفي البيت التالي زيادة بيان لمقصوده .

(٢) مثله لأبي العتاهية:

شيم فتحت من المديح ما قد كان مستفلقاً على المدايح
ولا بن أبي فنن: ويحسن حتى يحسن القول قائله
يُعَلِّمُنَا الْفَتْحَ الْمَدِيحَ بِجُودِهِ وقال أبو تمام:

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بُنَاةَ الْعِلَى مِنْ أَيْنَ تَوْنِي الْمَكَارِمَ
وقال أيضاً:

تُغَرِّمِي الْعَيُونُ بِهِ وَيُفْلِقُ شَاعِر فِي وَصْفِهِ عَفْوَاً وَلَيْسَ بِمُفْلِقِ

(٣) يقول: كن على الحالة التي أنت عليها أو كما شئت فليس أحد يقاربك في
أوصافك وأخلاقك، وإنما قال: كما شئت: لأنه لا يكون إلا على طريقة من الكرم
والمجد بديعة في جميع أحواله .

(٤) العفاة: جمع عاف، وهو طالب العروف؛ وأوليت: أعطيت. وأوجدني:

وَعُظْمُ قَدْرِكَ فِي الْآفَاقِ أَوْ هَمْنِي أَنِّي بِقِلَّةِ مَا أَفْنَيْتُ أَهْجُوكَا^(١)
 كَفَى بِأَنْتَكَ مِنْ قَحْطَانٍ فِي شَرْفٍ . وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلٌّ مِنْ مَوَالِكَ^(٢)
 وَلَوْ نَقَصْتُ كَمَا قَدْ زِدْتَ مِنْ كَرَمٍ عَلَى الْوَرَى لَرَأَوْنِي مِثْلَ شَانِيكَ^(٣)
 لَبِّي نَدَاكَ لَقَدْ نَادَى فَأَسْمَعْنِي يَفْدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِي وَأَفْدِيكَ^(٤)

جعلني أجد . يقول : إن شكر السائلين لمطائرك دلتني عليك ، فوجدت طريق العرف مسلوكا إليك فلسكته إلى جودك .

(١) الآفاق : النواحي . يقول : إن ثنائى يقل ويحقر في جنب قدرك حتى لتخيل الثناء هجاء إذ لم يكن على قدر استحقاقك ، قال البحرى :

جَلَّ عَنْ مَذْهَبِ الْمَدِيحِ فَقَدْ كَا دِيكُونِ الْمَدِيحِ فِيهِ هِجَاءٌ

(٢) بأنك : الباء فيها زائدة ، وأن وخبرها : في موضع رفع فاعل كفى ؛ وفي شرف : خبر أن ؛ ومن قحطان : حال مقدمة عن الضمير المستتر في الخبر ؛ والشرط وما يليه : معطوف على خبر أنك ؛ والوالى : العبيد . يقول كفاك أنك من هذه القبيلة — قحطان — في موضع شريف أو نسب شريف فإن غفرت بهذا الشرف فكل بنى قحطان عبيدك .

(٣) الشانى : البغض ، وأصله الشانىء — بالهمز — فلينه للقافية ، يقول لوتقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى فى الذلة والقله مثل عدوك الذى ييفضك ، وهذا من قول أبى عيينة :

لَوْ كَا تَنْقُصُ تَزِدَا دِ إِذْنُ نِلْتَ السَّمَاءَ
 ثم نقله أبو تمام فقال :

أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ كَانَ عِلْمًا إِذْنُ لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ

(٤) لبي : تثنية لب — مثل ليك ، واللب : اسم من الإلباب ، وهو للالزمة يقال ألْب بالمكان : إذا أقام به ؛ وإنما ثنوا اللب لأنهم أرادوا إلباباً بعد إلباب : أى إجابة بعد إجابة ؛ وهو يلزم الإضافة إلى ضمير المخاطب كقولهم ليك ، ولم تسمع إضافته إلى غيره إلا شذوذاً كما فى هذا البيت ، وقوله من رجل : «من» زائدة ؛ والمجرور فى موضع نصب على التمييز . يقول : دعانى جودك فأسمعنى فأنا أجيبه فأقول لبي نذاك ، أو تقول : دعانى جودك بما ذاع ، من ثناء الناس عليه ، وها أنا ذا محجب لما يريد بى من الاحسان

مَا زِلْتُ تُنْبِئُ مَا تُولِي بَدَا يَدِي حَتَّى ظَنَنْتُ حَيَاتِي مِنْ إِيَادِيكَ^(١)
فَإِنْ تَقُلْ هَا فَعَادَاتُ عُرِفَتْ بِهَا أَوْ لَا فَإِنَّكَ لَا يَسْخُو بِهَا فَوْكَ^(٢)

إلى وصوغ الديق له . ثم دعا للمدوح فقال : يفديك من رجل صبحي وأنا أفديك من بين الرجال .

(١) تولى : تعطى ؛ وبدا : بدل بعض من الوصول قبله : واليد : النعمة . يقول : لم تزل تتبع نعمة بنعمة حتى كثرت إيديك عندي فظننت أن حياتي كذلك من جملة عطاياك ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

لَا تَنْتَفَنِي بَعْدَ أَنْ رِشْتَنِي فَإِنِّي بَعْضُ إِيَادِيكَ^(١)

(٢) ها — هنا — بمعنى خذ . يقول : فإن قلت لي : خذ فذلك عادة معروفة لك وإن لم تقل خذ ، فإنك لا تقول لا — أى لا أعطيك أولاً أقضى حاجتك — فإن فاك — فاك — لا يجوز بهذه الكلمة ، ولسانك لا يؤتيك عليها ، لأنك لم تتعود ذلك ؛ وفي مثل هذا يقول الفرزدق :

مَا قَالَ «لَا» قَطُّ إِلَّا فِي تَشْهَدٍ لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمٌ
ويقول أبو العتاهية :

وَإِنْ الْخَلِيفَةُ مِنْ بَغْضٍ لَا إِلَيْهِ كَيْبَغُضٌ مَنْ قَالَهَا
ويقول العكوك في أبي دلف :

مَا خَطَّ لَا كَاتِبَاهُ فِي صَحِيفَتِهِ كَمَا تَخْطُ لَافِي سَائِرِ الْكُتُبِ
وحكى الواحدى قال أهدى العميرى إلى صاحب كتبها وكتب معها :
العميرى عبد كافي الكفاءة ، وإن اعتد من وجوه القضاء
خَدَمَ الْمَجْلِسَ الرَّفِيعَ بِكُتُبِ مُتَرَعَاتٍ مِنْ حُسْنِهَا مُقَعَّمَاتٍ

(١) يقال راشه يرشه إذا أحسن إليه ، وكل من أوليته خيرا فقد رشته ، وشف الریش نزعہ ، والمراد هنا : سلبه ما أعطاه إياه .

وورد كتاب من ابن رائق على بدر بن عمار بإضافة الساحل إلى عمله فقال :

تُهْنَأُ بِصُورٍ أُمٍ نُهْنَأُ بِكَأَ وَقَلَ الَّذِي صُورُهُ وَأَنْتَ لَهُ لَكَأُ^(١)
وَمَا صَغُرَ الْأَرْدُنُّ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُبِيتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكَأُ^(٢)
تَحَاذَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ أَنَّهَا
نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْفَرْبُ نَحْوَكَأُ^(٣)

فكتب إليه صاحب

قد أخذنا من الجميع كتاباً وَرَدَدْنَا لَوْقَتَهَا الْبَاقِيَاتُ
لستُ أَسْتَفْهَمُ الْكَثِيرَ فَطَبْعِي قَوْلُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلُ هَاتِ

(١) صور : بلد معروف بساحل البحر الأبيض من بلاد الشام وتنها بصور : أي
أنهنا بصور ؛ لحذف همزة الاستفهام لمادلت عليه أم ولين همزة تنها للوزن . يقول : أنهنا
بولاية صور أم نهني صوراً بك ؟ ثم قال : وقل لك الذي صور له وأنت له : أي أنت
أحد أصحابه « يعنى ابن رائق ، يريد : لو كنت أنت ابن رائق - أي لو كنت تملك
مأملكه - لقد ذلك قليلاً بالنسبة إلى ما تستحقه ، فصور - فى الشطر الثانى - مبتدأ ؛
وأنت : عطف عليها ؛ وله خبر ؛ ولكأ : متعلق بقل ؛ وفى مثل هذا . يقول إسحاق بن
إبراهيم الموصلى :

أَنهْنِيكَ بَطُوسٍ أُمٍ نُهْنِي بِكَ طُوسُهُ
أَصْبَحْتَ بَعْدَ طَلَاقٍ بِكَ يَا فَضْلَ عُرُوسَا

ويقول أشجع السلى :

إِنْ خِرَاسَانُ وَقَدْ أَصْبَحَتْ تَرَفَعُ مِنْ ذِي الْهِمَّةِ الشَّانَا
لَمْ يَحِبُّ هَارُونَ بِهَا جَفَفَرًا لَكِنَّهُ حَابِي خِرَاسَانَا

[هرون : هو الرشيد ؛ وجعفر : هو جعفر البرمكى]

(٢) الأردن : معروف ؛ وحييت به : أعطيته : يقول : إن هذه الولاية إنما تصغر
بالنسبة إليك وإلى عظيم قدرك . وإلافهى عظيمة الشأن فى نفسها .
(٣) يقول : إن البلدان يحسد بعضها بعضاً على ولايتك ، فلو أن لها نفوساً تعقل

وَأَصْبَحَ مِصْرًا لَا تَكُونُ أَمِيرَهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذُو مُقَلَّةٍ وَقَمَّ بَكَى^(١)

وسقاه بدر ولم يكن له رغبة في الشراب فقال :

لَمْ تَرَ مَنْ نَادَمْتُ إِلَّا كَا لَا لِيَسْوَى وَدَكَ لِي ذَا كَا^(٢)
وَلَا لِحَبِيبِي وَلَكِنِّي أُمْسَيْتُ أَرْجُوكَ وَأَخْشَا كَا^(٣)

لسمى إليك الشرق والغرب تهالكا عليك وتلصقاً للافتخار بك ؛ ومثل هذا المعنى كثير في كلامهم ، قال أبو تمام :

لَوْ سَعَتْ بِلَدَةٌ لِإِعْظَامِ نَعْمَى لَسَعَى نَحْوَهَا الْمَكَانَ الْجَدِيبُ
وقال البحتري :

ولو أن مُشتاقاً تكلفَ فوق ما في وسعه لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبَرُ
(١) مصر : أحد الأمصار ، أى المدائن الكبيرة . وأصبح - ههنا - تامة . والواو - من قوله ولو أنه - واو الحال ؛ وبكى : جواب لو ؛ أى لو كان للمصر الذى حرم إمارتك عين تدمع وفم يبين عن شكواه لبكى أسفا على أن لم تكن أميرا عليه .
(٢) يقول : لم تر أحداً غيرك نادمته ، وليس ذلك لشيء سوى ودك لى ؛ أى إنما أنا دمك لأنك تودنى لا لمعنى آخر . فمن - ههنا - نكرة بمعنى أحد ؛ وإلاك : فيه قبح ؛ والوجه : إلا إياك ، لأن «إلا» ليس لها قوة الفعل ، ولا هى أيضاً عاملة ، وهو جائز فى ضرورة الشعر ، كقول القائل :

فما نبألى إذا ما كنت جارتنا أن لا يحاورنا إلاك ديار^(١)
(٣) لحبيبا : أى لحبي إياها - يعنى الحجر - كفى عنها وإن لم يجر لها ذكر : يقول : لست أنا دمك لأننى أحب الحجر ، ولكن لأنك مرجو لأوليائك مهيب يهابك ويخشاك أعداؤك ؛ ومن كان كذا ، تجب طاعته .

(١) ديار : أحد ، يقال ما بالدار ديار : أى ما بها أحد ، وهو فعال : من دار يدور . يقول : إذا كنت جارتنا فلا نكترث لعدم مجاورة غيرك لنا .

وقد كان تاب بدر بن حمار من الشرب مرة بعد أخرى ، فرآه أبو الطيب يشرب فقال ارجع ! :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نُدَمَاؤُهُ شُرَكَاءُؤُهُ فِي مَلِكِهِ لَا مُلِكِهِ (١)
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْنِي دَمُ كَرَمَةٍ لَكَ تَوْبَةٌ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْ سَفِكِهِ (٢)
وَالصَّدَقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَتَبْنَا
أَمِنْ الشَّرَابِ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرْكِهِ (٣)

وقال في محمد بن طنج وعو عند طاهر العلوي :
قَدْ بَلَغْتَ الَّذِي أَرَدْتَ مِنَ الْبِرِّ رَوْ مِنْ حَقِّ ذَا الشَّرِيفِ عَلَيْكَ (٤)
وَإِذَا لَمْ تَسِرْ إِلَى الدَّارِ فِي وَقْتِكَ ذَا خِفْتُ أَنْ تَسِيرَ إِلَيْكَ (٥)
* * *
وقال في أبي العشائر وعنده إنسان ينشده شعراً وصف فيه بركة في داره فقال :
لَيْنَ كَانَ أَحْسَنَ فِي وَصْفِهَا لَقَدْ تَرَكَ الْحُسْنَ فِي الْوَصْفِ لَكَ (٦)

(١) يقول : أنت ملك وندماؤك شركاؤك في مالك ، لافي ملكك ، وفيه نظر إلى قول ابن الرومي :

وَمَنْ كَثُرَتْ فِي مَالِهِ شُرَكَاءُؤُهُ غَدَا فِي مَعَالِيهِ قَلِيلُ الْمَشَارِكِ
(٢) جعل الحر دم الكرم ، وجعل شربها سفكاً لذلك الدم . يقول : كل يوم تتوب من شرب الخمر ثم تتوب من تلك التوبة ، والتوبة من التوبة ترك التوبة .
(٣) يقول الصدق ديدن الكرام الأشراف نخبرنا عن أيهما تتوب ؟ قيل لما قال هذا ، قال له بدر بل من تركه ، وقوله : فنبتنا ، هي فنبتنا ، فترك الحمز .
(٤) و (٥) يقول - وكان عنده في مجلس الشرب ليلاً وأطال - : قد بلغت بنا ما أردت من الإكرام وقضيت حق هذا الشريف فقم إلى منزلك وإذا لم تقم خفت أن تجيء إليك الدار اشتياقاً إليك ومحبة لك .
(٦) يقول : إن كان قد أحسن في وصف البركة فقد ترك الحسن في وصفه إليك إذ لم يصفك ولم يعدحك .

لَأَنْتَ بَحْرٌ وَإِنَّ الْبَحَارَ لَتَأْتَنَ مِنْ مَدْحِ هَذِي الْبَرْكَ^(١)
كَأَنَّكَ سَيْفُكَ لَا مَأْمَلُكَ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا مَأْمَلُكَ^(٢)
فَأَكْثَرُ مِنْ جَرِيهَا مَا وَهَبْتَ

وَأَكْثَرُ مِنْ مَائِهَا مَا سَفَكَ^(٣)
أَسَأْتَ وَأَحْسَنْتَ عَنْ قُدْرَةٍ وَذُرْتَ عَلَى النَّاسِ دَوْرَ الْفَلَكَ^(٤)

وقال يمدح أبا شجاع عضد الدولة ويودعه ، وهو آخر ما قال ، وجرى فيها كلام
كأنه يعنى نفسه وإن لم يقصد ذلك ، وأنشدها في شعبان سنة أربع وخمسين وثلثمائة
وفيها قتل :

فِدَاكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَ فَلَا مَلِكُ إِذَنْ إِلَّا فِدَاكَ^(٥)

(١) يقول : كان وصفه لك أولى من وصف البركة لأنك بحر والبحار تأتف من
البركة لاستصغارها إياها ؛ قال الواحدى : والذى سمعته في معنى البيتين أن ذلك الشاعر كان
قد شبه البركة بأبى العشائر ؛ فقال أبو الطيب إنه قد ترك الحسن في وصفك حيث شبهها
بك ، وأنت بحر والبحر فوق البركة بكثير .

(٢) يقول : أنت كسيفك لأنك تنفى ما تملكه فلا يبقى لديك ، وكذلك سيفك يعنى
ما ينظر به فلا يدع أحدا حيا ؛ وجعل السيف مالكا - حيث قال ولا ما ملك - مجازاً ،
ويقال ملكتهم السيوف : إذا لم يمتنعوا منها .

(٣) من جريها : أى من جرى ماء البركة . يقول : إن ما جرى من هباتك وعطايك
أكثر مما جرى من ماء البركة ، وما سفك سيفك من الدماء أكثر من مائها .

(٤) يقول : أسأت إلى أعدائك وأحسنيت إلى أوليائك عن قدرة وعممت الناس
بالخير والشر عموم الفلك إياهم بالسعد والنحس .

(٥) يقول : يفديك كل من لم يبلغ غايتك ؛ وإذن يفديك جميع الملوك ، لأنه لم يبلغ
ملك غايتك وكلهم دونك . وقد أخذ هذا المعنى أبو إسحاق الصابى فقال :

أي هذا الوزير لا زال يفدي
وإذا كان ذاك أوجب قولى أن يكونوا بأسرهم يفدونك

هذا : ويقال فداء يفديه فداء وفدى وفاداه يفاديه مفاداة : إذا أعطى فداءه وأتقذه ؛
وفداء بنفسه وفداء : إذا قال له جعلت فديك . قال صاحب الصحاح : الفداء إذا كسر

وَلَوْ قُلْنَا فِدَى لَكَ مَنْ يُسَاوِي دَعُونَا بِالْبَقَاءِ لِمَنْ قَلَاكَ^(١)
وَأَمَّا فِدَاؤُكَ كُلِّ نَفْسٍ وَإِنْ كَانَتْ لِمَلَكَةٍ مِلاكَ^(٢)

أوله يد ويقصر ، وإذا فتح فهو مقصور ، يقال قم فدى لك أبى ، ومن العرب من يكسر فداء - بالتونين - إذا جاور لام الجر خاصة ، فيقول فداء لك ، لأنه نكرة . يريدون به معنى الدعاء وأنشد الأصمعي للناطقة :

مَهْلًا فِدَاءُ لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أُمِرُّ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ
وقال الفراء : العرب تقصر الفداء وتعدده يقال هذا فداؤك وفداك ، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا ، فقالوا فداك . وقال في موضع آخر : من العرب من يقول فدى لك فيفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسر أولها ، ومدها . وقال الناطقة - وعنى بالرب : - النعمان بن المنذر -
* فِدَى لَكَ مِنْ رَبِّ طَرِيفٍ وَتَالِدَى *

(١) قلاك : أبغضك ، يقال قلاه يقليه قلبه وقلاه إن فحنت القاف مددت ومقلية : أى أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه . وحكى سيدييه قلاه يقلاه وهو نادر ؛ وفي الحديث : « وجدت الناس أخبر ثقلة^(١) » وتقلى الشيء تبغض قال كثير :

أَسِئْتُ بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةً لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَةً إِنْ تَقَلَّتِ^(٢)
يقول المتنبي : ولوقلنا بفديك من يساويك لكان ذلك دعاء منا لأعدائك بالبقاء ، لأنهم كلهم دونك ولا يساوونك : وقال ابن جني : المراد أن الخلق كلهم فداء للمدح لأنهم يقصرون عن مدها فإذا قلنا فداك من يساويك منهم دون غيرهم لكان هذا دعاء لمن يبغضك من الملوك بالبقاء لأنهم لا يساوونك في الملك ، بل يقصرون عنك .

(٢) وأما : عطف على قوله دعونا . وملاك الشيء : قوامه . يقول : وثأمن أن تكون كل نفس فداءك ولو كانت نفس ملك كبير الشأن تقوم مملكته به ويضمن لها البقاء ببقائه : إذا كان بفديك من يساويك لأنهم جميعاً يقصرون عنك ؛ وعبرة العكبري : المعنى : قد أمنت أن تفديك نفوس الخلائق أجمعين ؛ وملوكهم المترفين ، وإن كان من

(١) يقول جرب الناس ؛ فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركهم لما يظهر لك من مواطن سرائرهم . لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر : أى من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم ، ومعنى نظم الحديث : وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول .

(٢) خاطب ثم غاب .

وَمَنْ يَظُنُّ نَثْرَ الْحَبِّ جُوداً وَيَنْصِبُ تَحْتَ مَا نَثَرَ الشُّبَاكَ (١)
وَمَنْ بَلَغَ التُّرَابَ بِهِ كَرَاهٍ وَقَدْ بَلَغَتْ بِهِ الْحَالُ الشُّكَاكَ (٢)
فَلَوْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ صَدِيقاً لَقَدْ كَانَتْ خِلَافَهُمْ عِدَاً (٣)
لَأَنَّكَ مُبْغِضٌ حَسَبًا نَحِيفاً إِذَا أَبْصَرْتَ دُنْيَاهُ ضِنَاكَ (٤)

بين تلك النفوس من هو ملاك ملائكة ، ومن ينفرد بعلو منزلة ، فهم عند إصافتهم إليك كالعوام الذين لا يحصل لهم نفع ، والسوام الذين لا حظا لهم في الملك . . . فقوله فداءك : مفعول ثانٍ لآمنّا مقدّم ، وكل نفس : مفعول أول .

(١) ومن يظن : عطف على قوله كل نفس . ويظن : يفتعل ، من الظن . وهذا تعريض بسائر الملوك ، يشير إلى أنهم يهودون طمعاً في جر المنافع ، كمن نثر حباً تحت شبكة لم يعد ذلك جوداً بالحب ، لأنه إنما نثر لأخذ الصيد الذي هو خير من الحب .

(٢) الكرى : النعاس ؛ والسكاك : الهواء الذي يلاقى عنان السماء . ومن بلغ التراب : يروى ومن بلغ الحضيض . يقول : وآمنّا فداءك كذلك من الصقة عماء وغفلة بالتراب أو بالحضيض - وإن علت رتبته وحاله من ناحية المال والثراء حتى بلغ أعنان السماء ، فحسبهم أنهم دونك .

(٣) الصديق : يقع على المذكر والمؤنث والجمع والتثنية ؛ وعداك : جمع عدو ؛ والخلائق : بمعنى الأخلاق . يقول : إن هؤلاء الملوك إن واللتك قلوبهم فقد عادتكم أخلاقهم لأنها مضادة لأخلاقك . يريد أن هؤلاء الملوك وإن كانوا يوادونك فإن بينك وبينهم بوناً بعيداً ، إذ لم يبلغوا كرم أخلاقك ولا شرف نفسك ، وقد بين ذلك في البيت التالي .

(٤) الحسب : ما يحدثه الرجل لنفسه من المفاخر ، والضناك : الموثق الخلق المكتنزة ، يكون ذلك في الناس والإبل ، الذكر والأنثى فيه سواء ، وامرأة ضناك : ضخمة - من الضنك الذي هو الضيق ، كأن الجلد ضاق بكثرة اللحم . قال العجاج يصف جارية :

فَهِ ضِنَاكَ كَالْكُتَيْبِ الْمُنْهَالِ عَزَزَ مِنْهُ وَهُوَ مَعْطَى الْأَسْهَالِ

* ضَرْبُ السَّوَارِي مَتْنُهُ بِالْمُتَهَنِّاتِ * (١)

(١) الضناك : الضخمة - كالكتيب الذي ينهال عزز منه - أي سدد من الكتيب ضرب السوارى : أي أمطار الليل ، فانزم بضنه بعضاً . شبه خلقها بالكتيب وقد أصابه اللطر ، وهو معطى الأسهال : أي يطيك سهولة ماشيت .

أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتَ عَلَى فُؤَادِي بِحَبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَ^(١)
 وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا نَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حَرًّاكَ^(٢)
 أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سِوَاكَ^(٣)
 لَعَلَّ اللَّهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ^(٤)

يبين المتغنى الوجه في معاداة أخلاقهم له ، يقول : إنك تبغض أن ترى أحداً قلت مفاخره ، وهو كثير المال يقدر على كسب المال والحمد ، ولكنه لا يفعل ذلك لشحه وصغر همته ، والنحف والضناك : استعارة ، ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول بعضهم :

سَلِيلُ خِلَافَةٍ وَغَذَى مُلْكٍ جَسِيمُ حَمَامِدٍ مَنُوكِ مَالٍ

(١) يقول : أروح عنك وقد ختمت على قلبي بحبك واستخلصته لنفسك بما ترادف على من برك فلم يدع حبك فيه لغيرك مكافأ ينزل بساحته ؛ وفيه نظر إلى قول ابن المعتز :

لَا أَشْرِكُ النَّاسَ فِي مَحَبَّتِهِ قَلْبِي عَنِ الْعَالَمِينَ قَدْ خُتِمَا

(٢) وقد حملتني : عطف على الحال - في البيت السابق - والحراك بمعنى الحركة . كفى بثقل الشكر عن كثرة النعم التي تقتضيه ، وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

قَدْ قُلْتُ لِلْعَبَّاسِ مَعْتَذِرًا مِنْ ضَعْفِ شُكْرِيهِ وَمُعْتَرِفَا

لَا تُسَدِّينَ إِلَيَّ عَارِفَةً حَتَّى أَقُومَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا

(٣) الضمير - في يشق - للشكر ؛ والسواك : بطاء السير من عجب أو إعياء ،

يقال تتساوك الدواب سواكا : إذا مشت هزلى ضعيفة ، قال الشاعر :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا جَرَى بِحَيَادِنَا تَسَاوَكُ هَزَلَى مُحَنٍّ قَلِيلِ

يقول : أحاذر أن يشغل هذا الشكر على دوابي لكثرة ما حملتني منه - وللرأد

النعم - فلا تمشي بنا إلا ضعيفة .

(٤) الضمير في يجعله : للرحيل ، وأراد يجعل هذا الرحيل رحيلًا ، فأضمر للأول

جوفه بالثاني . والنرا : الكنف والناحية . يقول : أسأل الله أن يجعل هذا الفراق

سببا لإقامتي عندك بأن أصلح أموري وأعود إليك ، أو بأن أحمل أهلي إلى حضرتك

فأقيم عندك فارغ البال ؛ وفي هذا نظر إلى قول عروة بن الورد :

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا وَلَمْ تَذَرِ أُنَى لِلْمُقَامِ أَطْوَفُ

وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ (١)
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقَدْ كَفَانِي نَدَاكَ الْمُسْتَفِيزُ وَمَا كَفَاكَ (٢)
أَتَتُّ كُنِّيَ : وَعَيْنُ الشَّمْسِ تَعْلِي فَتَقْطَعُ مِشْيَتِي فِيهَا الشَّرَاكَ (٣)
أَرَى أَسْفَى وَمَا سِرْنَا شَدِيدًا فَكَيْفَ إِذَا غَدَا السَّيْرُ ابْتِرَاكَ (٤)

وقول أبي تمام :

أَلْفَةَ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ أَظِلُّ فَكَأَنَّ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعٍ
وَلَيْسَتْ فَرْحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَجِ الْوَدَاعِ
(١) يقول : لو قدرت لغمضت عيني ولم أرفع بصرى إلى أحد بالنظر إليه حتى
أعود إليك ، قال أبو النجم :
لَمَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي لَا أُعَايُنُكُمْ غَضَضْتُ طَرْفِي فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ أَحَدًا
وقال صريع الغواني :

إِنْ يَحْجُبُوهَا عَنِ الْعُيُونِ فَقَدْ حَجَبْتُ طَرْفِي لَهَا عَنِ الْبُشْرِ
(٢) يقول : كيف أصبر عنك وقد كفاني ما جدت به على ولم يكفك ذلك فتأبى إلا
أن تعطيني فوق ما أعطيتني وأنا غير مستزيد ، فكيف والحال هذه أصبر عنك ولا
أسرع العود إليك : وفيه نظر إلى قول البحترى :

فَلَمْ أُمَلْ إِلَّا مِنْ مَوَدَّتِهِ يَدِي وَلَا قَلْتُ إِلَّا مِنْ مَوَاهِبِهِ : حَسْبِي
(٣) أتركى : أراد أن تركك فقلب ، ومثله كثير ، لأن من تركته فقد تركك ؛
والاستفهام إنكارى : أى لا أتركك ، ونصب « فتقطع » لأنه جواب الاستفهام :
والشراك : سير النعل . يقول : إذا كنت بحضرتك كنت من الرفعة بمنزلة من اتحل
عين الشمس ، وإذا فارتقت فارتقتى هذه الرفعة ، فكأنى مشيت فى تلك النعل حتى
قطع مشى شراكها . وإليك عبارة ابن جنى : بحصولى عندك وقصدى لك شرفت عند
الناس ، فإذا بدت عنك زال ما كسوته من الشرف والرفعة فصرت بمنزلة من كانت
نعله عين الشمس فشى فيها فانقطع شراكها فسقط من رجله .

(٤) وما سرنّا : حال معترضة بين مفعولى أرى ، والابتراك : سرعة السير ؛ وأصله
السقوط على الركب . يقول : أرى أسفى لمفارتك شديدا وأنا لم أسر بعد ، فكيف
يكون أسفؤ . إذا جد بنا المسير ؟ وفى هذا المعنى يقول سحيم عبد بنى الحساس :

وَهَذَا الشَّوْقُ قَبْلَ الْبَيْنِ سَيْفٌ فَهَا أَنَا مَا ضَرَبْتُ وَقَدْ أَحَاكَ^(١)
 إِذَا التَّوَدَّيعُ أَعْرَضَ قَالَ قَلْبِي عَلَيْكَ الصَّمْتُ لَا صَاحِبَتْ فَأَكَ^(٢)
 وَلَوْلَا أَنَّهُ أَكْثَرَ مَا تَمَنَّى مُعَاوَدَةً لَقُلْتُ وَلَا مُنَاكَ^(٣)

أَشَوْقًا وَلَمَّا يَمُضِ غَيْرُ كَيْفَةٍ فكيف إذا جَدَّ المَطِيُّ بنا عشرًا ؟
 وقال أشجع السلى :

فَهَا أَنْتَ تَبْكِي وَهُمْ جِيْرَةٌ فكيف تسكون إذا ودَّعوا
 لَقَدْ صَنَعُوا بِكَ مَا لَا يَحِلُّ ولو راقبوا الله لَمْ يَصْنَعُوا
 أَتَطْمَعُ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ الْفِرَاقِ مُحَالٌ لَعَمْرُكَ مَا تَطْمَعُ
 وقال آخر :

لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي خَيْفَةً لِفِرَاقِهِ فكيف إذا بَانَ الحَبِيبُ فودَّعَا

(١) البين : الفراق ؛ والظرف : حال مقدمة من السيف ؛ وحاك وأحاك - لغتان
 - أثر . والبين : البعد والفراق . يقول : هذا الشوق عمل في عمل السيف ولم تتفارق
 وأثر في تأثيره ولم أضرب به بعد ! أى إذا كان هذا حال الشوق قبل الفراق فكيف
 يكون بعده ؟

(٢) أعرض الشيء : بدا وظهر ؛ وعليك : اسم فعل بمعنى الزم . يقول : إذا
 حضر الوداع قال لى قلبى الزم الصمت بعد مفارقتة ولا تمدح غيره ، فقوله لا صاحبت
 فاك : أى لا نطق . وقال بعض الشراح : أى لا تتكلم بالوداع .

(٣) معاودة ؛ خبر أن . والمنى : جمع منية وهو ما يتمناه الإنسان . يقول : لولا
 أن أكثر ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا بلغت أنت أيضا منك فى الارتحال
 حتى لا أفارقه ، ولكنه يتمنى الارتحال للعود إلى المددوح . وعبرة بعض الشراح :
 قوله ولا مناك : أراد ولا صاحبت منك - بضم تاء صاحبت - ضمير الشاعر ، أو
 بفتحها خطابا للقلب على أحد الوجهين - فى البيت السابق - يقول : ولولا أن أكثر
 ما تمناه قلبى أن أعود إليك لقلت له ولا صاحبت منك أيضا : أى لا كانت لك منية
 تتمناها ، وهو دعاء عليه بالأس ، وذلك لأن قلبه يتمنى الرجول حينئذ ، فهو من جملة
 تلك الذى ؛ يعنى أنه كان يدعو عليه بزوال الذى لزول هذه المنية من بينها فيبقى
 عند المددوح .

قَدْ اسْتَشْفَيْتَ مِنْ دَاءٍ بَدَأَ وَأَقْتُلُ مَا أَعْلَكَ مَا شَفَاكَ (١)
فَأَسْتُرُ مِنْكَ نَجْوَانَا وَأَخِي هُمُومًا قَدْ أَطْلَتْ لَهَا الْغِرَاكَ (٢)
إِذَا عَاصَيْتَهَا كَانَتْ شِدَادًا وَإِنْ طَاوَعْتَهَا كَانَتْ رِكَازًا (٣)
وَكَمْ دُونَ الثَّوْبَةِ مِنْ حَزِينٍ يَقُولُ لَهُ قُدُومِي ذَا بَدَاكَ (٤)

(١) استشفيت : طلبت الشفاء . يقول : مخاطبا قلبه - : قد طلبت الشفاء من داء الشوق إلى الأهل والوطن بداء الفراق للمدوح ، وما شفاك من داء الشوق هو أقتل مما أعلك : أى أنك تدأويت من فراقه بما هو أقتل لك من الشوق إلى الأهل . ويرى إذا استشفيت فأقتل : أى إذا استشفيت من داء الشوق إلى الأهل بداء فراق المدوح ، فالداء الذى يشفيك هو أقتل الداءين ؛ يعنى إذا دأويت شوقك بفراقه فقد دأوته بما هو أقتل لك من الشوق . قال العكبرى : وهو من قول الحكيم : إذا كان سقم النفس بالجهل كان شفاؤها بالموت ، وهو منقول أيضا من قول حميد بن ثور :
أَرَى بَصْرِي قَدْ رَأَيْتَنِي بَعْدَ صَحَّةٍ وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
وقال بعضهم :

أَفْضَى بِكَ الْمَجْرُ إِلَى آلِمَا فَجِثَّ مِنْ دَاءٍ إِلَى دَاءٍ
(٢) النجوى : الحديث الخفى . يقول : فلست عنك ياعضد الدولة ما يجرى بينى وبين قلبى من المناجاة ، وأخفى عنك هموم فراقك التى قد أطلت عراكها ومغالبتها .
(٣) الركاك : الضعاف ، جمع ريكك : أى ضعيف . يقول : إذا عاصيت هذه المموم - هموم الشوق إلى الأهل - ولم أجبها إلى السفر والرحيل اشتدت على وإذا طاوعتها وأزمت الرحيل ضعفت وهانت . وقال الواحدى : المعنى : إذا عاصيت هذه المموم فى فراق المدوح اشتدت على وإن طاوعتها فى الإقامة عنده سهلت شدتها .
ومثل هذا قول أبى العتاهية :

كَمْ أُمُورٍ عَاصَيْتُهُنَّ زَمَانًا ثُمَّ هَوَّيْتُهَا عَلَى فَهَانَتِ
(٤) الثوبية ؛ مكان بالكوفة . وذا . مبتدأ ؛ خبره : الظرف بعده . يقول : كم دون هذا المكان من إنسان حزين لفراقى إذا قدمت عليه سر بقدومى فيقول له القدوم هذا السرور بذلك الغم الذى كنت لقيته بالبعد ، كما قال أبو تمام :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحٍّ الْوَدَاعِ

(٩ - المثنى ٣)

وَمِنْ عَذَابِ الرُّضَابِ إِذَا أَنْخَنَّا يُقَبَّلُ رَحْلُ تَرْوِكَ وَالْوَرَاكَ^(١)
يُحَرِّمُ أَنْ يَمَسَّ الطَّيِّبَ بَعْدِي وَقَدْ عَبِقَ الْعَبِيرُ بِهِ وَصَاكَ^(٢)
وَيَمْنَعُ ثَغْرَهُ مِنْ كُلِّ صَبٍّ وَيَمْنَحُهُ الْبَشَامَةَ وَالْأَرَاكَ^(٣)
يُحَدِّثُ مُفْلَتَيْهِ النَّوْمُ عَنْ فَلَيْتَ النَّوْمِ حَدَّثَ عَنْ نَدَاكَ^(٤)

وقال ابن الرمي يخاطب أمه وقد أراد سفراً :

فَقُلْتُ لَهَا إِنْ أَكْثَبَا بِشَاخِصٍ سَيُتِمُّهُ اللَّهُ ابْتِهَاجًا بِقَادِمٍ
(١) ومن عذب : عطف على من حزين ؛ والرضاب : الريق ؛ وأنخنا : أى
أنخنا مطايانا وهو كناية عن النزول . وتروك : إسم ناقة حملها عضد الدولة ؛
والوراك : النمرقة : التى تلبس مقدم الرحل ثم تثنى تحتها يزين بها ، والجمع ورك .
قال زهير :

مَقْوَرَةٌ تَنْبَارَى لَا شَوَارَ لَهَا إِلَّا الْقَطُوعُ عَلَى الْأَجَوَازِ وَالْوُرُكِ^(١)
يقول : وكم هناك من شخص عذب الرضاب يشتهى تقبيل فيه إذا وصلنا فأنخنا
مطايانا قبل رحل ناقى ووراكها لأنها أدنى إليه .
(٢) صاك به الطيب يصيك : أى لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلَكَ مُعْجَبَةً بِالشَّبِّ ابِ صَاكَ الْعَبِيرِ بِأَجْلَادِهَا
والعبير أخلاط من الطيب . يقول : إن هذا الشخص لم يمس بعدى طيباً حزناً على
فراقى ، وهو مع ذلك تشم منه راوئح الصب حتى لكأن الطيب قد لصق به .
(٣) الثغر : مقدم الأسنان ؛ والطيب : العاشق ؛ والبشام والأراك : نوعان من
الشجر يستاك بفروعهما . يقول : لا يصل إلى ثغره عاشق لتصونه وعفته ولكنه يذل
ثغره لسواك المتخذ من هذين الشجرين .

(٤) يقول : إذا نام هذا الشخص المولع بقدمى رأى خيالى فى النوم ، فليت نومه
حدثه عن إحسانك إلى حق يعذرني فى الإقامة عندك .

(١) الشوار والشارة : اللباس والهيئة ، ويقال : جاءت الإبل مقورة : أى شاسفة
يابسة - من الضمر ، والمقور أيضاً من الخيل الضامر ، والقطوع : جمع قطع ، الطنفسة
تكون تحت الرحل على كتنى البعير ، والأجواز : الأوساط .

وَأَنَّ الْبُخْتَ لَا يُعْرِقَنَّ إِلَّا وَقَدْ أَنْضَى الْعَذَافِرَةَ اللَّسْكََا^(١)
وَمَا أَرْضَى لِمُقْلَتِهِ بِحُلْمٍ إِذَا أَنْتَهَتْ تَوَهُمُهُ أَبْنِشَا^(٢)
وَلَا إِلَّا بَأْنَ يُصْنِي وَأُحْكِي فَلَيْتَهُ لَا يُتِيَمُهُ هَوَا^(٣)
وَكَمْ طَرِبَ الْمَسَامِجَ لَيْسَ يَذَرِي أَيْعَجَبُ مِنْ ثَنَائِي أَمْ غَلَا^(٤)
وَذَاكَ النَّشْرُ عِرْضُكَ كَانَ مِسْكَ^(٥)
وَذَاكَ الشَّعْرُ فَهَرِي وَالْمَدَا^(٥)

(١) البخت الجمال الخراسانية ، وروى البدن : أى. السمان من الإبل ؛ ويعرقن : أى يأمن العراق ؛ والكوفة بلد أبى الطيب - : أحد بلاد العراق وأنضى العذافرة : أى هزلها ؛ والضمير للندى ؛ والعذافرة الناقة الشديدة ؛ واللسك : المكثرة اللحم . يقول : ولت النوم حدث هذا الشخص أن ركابنا لا تبلغ العراق إلا وقد أنضاهما ثقل ما حملت من عطايك .

(٢) الابتشاك : الكذب . يقول : وإن حدثه النوم عني فليست أرضى له بحلم إذا انتبه من نومه تومه كذبا : أى أنى أبى عليه إلا أن يرانى فى اليقظة على ما وصف له الحلم . (٣) ولا إلا : أى ولا أرضى إلا ، غذف الفعل للعلم به - يقول : ولا أرضى بشئ إلا بأن يستمع إلى وأحكى ما أغدقته على من نعمك وإفضالك ، فليته عند ذلك ، لا يتيمه هواك ويستعبده حبك لأن الإحسان يستعبد الإنسان ؛ و«فليته» و«لا يتيمه» على حذف إشباع الضمير ، وهى رواية ابن جنى ، وروى فليتك . وأسكن الباء من يصنى وأحكى ضرورة أو على لغة .

(٤) يقول : وكَم من إنسان تطرب مسامعه إذا سمع شعرى فيك ولا يدرى أيتعجب من حسن ثنائى عليك أم من علوشأنك الذى يقتضى هذا الثناء ؛ وعبرة العكبرى : والمعنى كلاهما محجب لأنى أثبت فى شعرى من فضلك وأظهرت فيه من مدحك ما ليس يدرى عند سماعه لذلك ، أيعجب من علاك وما تبلغه من الرفعة والجلالة أم من ثنائى ؟ (٥) النسر : الرائحة الطيبة ؛ ويريد به : انشاء ؛ والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والفهر : الحجر الذى يسحق به الطيب ؛ والمداك : الصلاة التى يداك عليها أى يدق ويسحق . يقول : ذاك الثناء الطيب الرائحة الذى هو عرضك كان بمنزلة المسك ؛ وكان شعرى بمنزلة الفهر والمداك لذلك المسك ، وطيب المسك إنما يظهر من الفهر والمداك ؛ كذلك رائحة الثناء إنما تفوح بالشعر ؛ كما قال ابن الرومى :

فَلَا تَحْمَدُهَا وَأَحْمَدُهَا إِذَا لَمْ يُسَمِّ حَامِدُهُ عَنَّا كَا^(١)
 أَعْرَ لَهُ شَمَائِلُ مِنْ أَبِيهِ غَدَا يَلْقَى بَنُوكَ بِهَا أَبَا كَا^(٢)
 وَفِي الْأَحْبَابِ مُخْتَصُّ بِوَجْدِ وَآخِرُ بَدْعِي مَعَهُ أَشْتَرَا كَا^(٣)
 إِذَا أَشْتَبَهَتْ دُمُوعُ فِي خُدُودِ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى يَمِّنَ تَبَا كَا^(٤)
 أَذَمَّتْ مَكْرُمَاتُ أَبِي شُجَاعِ لَغِيظِي مِنْ نَوَايَ عَلَى أُولَا كَا^(٥)

وما ازدادَ فضلُ فيكَ بِالْمَدْحِ شُهْرَةً بَلَى كَانَ مِثْلَ الْمِسْكِ صَادَفَ مَحْوُضَا
 [المحوِضُ : الذي يحرك به الطيب ؛ وذلك لا يزيد الطيب فضلا بل يظهر رائحته ،
 كذلك هذا الشعر يظهر فضائل المدوح للناس ولا يزيده فضلا] .

(١) الهام : الملك العظيم الهمة . يقول : لا نحمد الفهر والدراك الذين جعلتهما
 مثلا لشمرى واحمد نفسك فإنك تستحق الحمد بخصالك الحميدة . وقوله إذا لم يسم حامده
 يعني بحامده نفسه . يقول : إذا حمدتك بذكر إنعامك ولم أذكر اسمك كنت أنت
 المعنى بذلك الحمد ، لأنه لا يليق إلا بك ؛ وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

وإن جرتِ الألفاظُ مِنَّا بِمَدْحَةٍ لِفَيْرِكَ إِنْسَانًا فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي
 (٢) أعر : صفة لهما ؛ والمراد بالأعر : الشريف ؛ والشمايل : الأخلاق . يقول
 أنت ورثت شمائل أبيك ، وكما ورثتها من أبيك تورثها بنيك ، فهم غدا : أى إذا شبوا
 عن الطوق وظهرت تلك الشمائل فيهم - يلقون أباك بها فيرى شمائله فيهم كما رآها فيك .
 قال الواحدى : وكان حقه أن يقول أباهم ، لكنه قال أباك : إشارة إلى أنهم لم يبلغوا
 بعد رتبته حتى يشبهوه ، بل يشبهون أباه .

(٣) يقول : إن حال الأحباب تتشابه ، ففهم من يكون حزينا عند فراق أحبته
 مختصا بالوجد دون غيره ، وفهم من يدعى الاشتراك في الوجد وليس لدعواه حقيقة ،
 يريد أنه صحيح الود والولاية غير مدخول المحبة ، فليس كمن يدعى الاشتراك
 على غير حقيقة .

(٤) اشتبهت : تشابهت ؛ وتباكى : تكلف البكاء . يقول : إذا تشابهت الدموع
 ظهر الذى يبكى عن حزن دفين فى القلب ممن يتكلف البكاء وقلبه خال من دواعيه .
 (٥) يقولون : أدم له من فلان : أخذ له الذمة والعهد ، وأدم له على فلان : أخذ
 له الذمة ليجيره منه ؛ والنوى : البعد ؛ وأولا كا : لغة فى أولئك ، وقد اختلف الشراح

فَزُلْ بِأَبْدُ عَنْ أَيْدِي رِكَابٍ لَهَا وَقَعُ الْأَسِنَّةُ فِي حَشَاكَ^(١)
وَأَيَّا شِئْتِ يَا طُرُقِي فَكُونِي أَذَاةً أَوْ نَجَاةً أَوْ هَلَاكَ^(٢)
فَلَوْ سِرْنَا فِي تَشْرِينَ خَمْسٍ رَأَوْنِي قَبْلَ أَنْ يَرَوْا السَّمَاءَ^(٣)

في معنى البيت ، فذهب ابن جني إلى أن المعنى : أن مكرمات أبي شعاع أخذت لعيني عهداً من البعد أن تكون في مأمن من تلك الدموع : أى دموع التباكي ، يعنى أن مكرماته تمنع عيني أن تجرى على فراقه دموعاً كاذبة لأنه قد ملك قلبي بإحسانه ، فأنا أبكى على الحقيقة لا تكلفاً ، فالإشارة في أولاً كالدموع الكاذبة . وقال الواحدى : إن مكرماته منعت عيني وعقدت لها عقداً على أهل من فراق عضد الدولة ، يريد أنى أشتهى ملازمتك والبعد عن أولئك ، فالإشارة في أولاً كالأهله ، وهذا على رواية نوائى ؟ وروى : نوائى - مقصور الثوى - أى المقام ، يعنى أن مكرماته أذمت لعيني من المقام عليهم - أى على أهله - أى عقدت لعيني عقداً يؤمنها من النظر إلى أولئك . يريد أنها قصرتها على عضد الدولة فلا تنظر إلى غيره ، ويكون على أولاً كالمتعلق بالثوى .

(١) الركاب : الإبل تحمل القوم ؛ والأسنة : نصال الرماح . يخاطب البعد ، يقول : تنح عن أيدي هذه المطايا فإنها تقطعك كما تقطع الأسنة الأحشاء .

(٢) قال الواحدى : هذا كلام ضجر ، يقول - لطريقه - : كُونِي كَيْفَ شِئْتَ فَإِنِّي لَا أَبَالِي وَإِنْ كَانَ الْهَلَاكُ فِي سُلُوكِكَ ، قِيلَ إِنَّ عَضَدَ الدَّوْلَةِ قَالَ تَطِيرْتَ عَلَيْهِ مِنْ تَرْكِهِ النِّجَاةَ بَيْنَ الْأَذَاةِ وَالْهَلَاكِ .

(٣) تشرين : اسم لشهرين بين أيلول وكانون الأول من السنة الشمسية : تشرين الأول وهو الشهر العاشر وأيامه ٣١ ، وتشرين الثانى وهو الحادى عشر وأيامه ٣٠ ؛ والسما كان : كوكبان نيران ، يقال لأحدهما السماك الرامح لأن أمامه كوكباً صغيراً يقال له راية السماك ورمحه ، وللآخر : السماك الأعزل لأنه ليس أمامه شيء ، والمراد هنا : السماك الأعزل ، وقد كان هذا النجم يطلع في الثالث عشر من تشرين الأول . يقول : لو سرننا وقد مضت خمس ليال من تشرين الأول لبلغت الكوفة قبل أن يطلع هذا الكوكب ، فرأى أهلها قبل أن يروه ؛ يريد أنه لسرعة سيره وإدأبه السير لا يمضى عليه أسبوع حتى يبلغ الكوفة - بلده - وهذا مبالغة ، لأن بين شيراز بلد عضد الدولة وبين الكوفة ما يزيد على عشرين مرحلة .

يُشَرِّدُ يُبْنِي قَتَاخُسَرَ عَنِّي قَنَا الْأَعْدَاءَ وَالطَّعْنَ الدَّرَاكَ^(١)
وَأَلْبَسُ مِنْ رِضَاهُ فِي طَرِيقِي سِرَّحًا يَذْعَرُ الْأَبْطَالَ شَاكَ^(٢)
وَمَنْ أَعْتَاضُ عَنْكَ إِذَا أَفْتَرَقْنَا وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلَاكَ^(٣)
وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَمُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ أُمْتِسَاكَ^(٤)
حَيٍّ مِنْ إلهِي أَنْ يَرَانِي وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَأَصْطَفَاكَ^(٥)

(١) فناخسرو : اسم عضد الدولة ؛ والطعن الدراك : المتابع . يقول : سعه
ويمنه يطرد عني رماح الأعداء وطعنها المتابع .

(٢) سلاح شائك وشاك - على حذف العين - حاد ذو شوكة يقول : رضاه عني
بمنزلة السلاح الحاد أخوف به الأعداء الأبطال فيجبنون عني . هذا : والسلاح اسم
جامع لآلة الحرب ، وخص بعضهم به ما كان من الحديد - يؤنث ويذكر والتذكير
أعلى ، لأنه يجمع على أسلحة ، وهو جمع المذكر - مثل حمار وأحمره ورداء وأردية -
ويجوز تأنيثه . قال الطرماح - يذكر ثوراً يهز قرنه لكلاب الصيد ليطعنها به :

يَهْزُ سِلَاحًا لَمْ يَرِنْهَا كَلَالَةً يَشْكُ بِهَا مِنْهَا أَصُولُ الْمَغَانِبِ^(١)

(٣) هذا استفهام إنكاري . يقول : إذا فارقتك لم أجد خلفا عنك أعتاضه من
جميع الناس لأنهم كلهم بالقياس إليك زور وباطل ، لهم صورتك وليس لهم معنك ،
وهذا كقول عمران ابن حطان :

أُنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ

(٤) يقول : أنا في انطلاق من عندك وسرعة عودي إليك كالسهم إذا رمى به في
الجوف فإنه لا يصادف ما يمسكه هناك فلا يلبث أن ينقلب ويعود إلى الأرض يشير بهذا
البيت والذي قبله إلى أنه ينوي الرجوع إليه .

(٥) حي : أي أنا حي . وقد فارقت دارك : حال . يقول : إني أستحي من إلهي
أن يراني وقد فارقتك وزهدت فيك ، وهو سبحانه وتعالى قد اصطفاك ووكّل إليك
أرزاق العباد ، فكأنني إذ فعلت قد شاققت الله سبحانه ولم أرض باختياره . وروى ابن

(١) سمي روقه سلاحاً لأنه يذب بهما عن نفسه ؛ والعرب . تقول : لم يرته كلاله
أي لم يرته عن عرض بل عن قرب واستحقاق .

جنى : واصطفاكا - بكسر الطاء - قال وهو من باب قصر المدود ، واستشهد على قصره بأشعار ، وقصر المدود كثير ، وأنشد فيما أنشد :

وأنتَ لو باكرتَ مشمولَةً صَفْرًا كَلَوْنَ الفرسِ الأشقر

وأنكر ابن فورجه وجماعة كسر الطاء ، وقالوا لم يستحي من الله إذا فارق دار المدوح واختياره له ؟ بل لاوجه لحياثه في فعله ذاك ، وإنما يستحي من الله إذا فارق دار المدوح ، والله قد اختاره على أرضه ، وكل من فارقه يجب أن يستحي من خالقه وإنما يقول : أستحي من الله أن أفارقك ، وقد اصطفاك ووكّل إليك الأرزاق ؛ ألا تراه كيف بين وجه حياثه ، إذ ذكر اصطفاه ولو لم يذكره لكان له مخلص من الحياء ؟ فالأشبه أن يكون اصطفاك فعلا ماضياً ، وقد ذكر محمد بن سعيد أن المتنبي قال لم أقصر في شعري ممدوداً إلا في موضع واحد وهو :

خذ مِن ثنائى عليك ما أسطيعه لا تَلزَمْنِي في الثناء الواجب

هذا : وقد أكثر المتنبي من التشاؤم على نفسه في هذه القصيدة بما لم يقع له في غيرها وما لم يخطر على قلبه في جميع عزائمه وأشعاره مع كثرتها وتراكمها في البلاد ، وقد وقع له في أثنائها كلام كأنه ينمى به نفسه وإن لم يقصده ، وذلك أنه بعد ارتحالها من شيراز ومفارقتها لأعمال فارس قتل في الطريق كما تراه في مدخل هذا الشرح وهذا - عمرك الله - من غريب الاتفاق .

قافية اللام

وقال يمدح سيف الدولة وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية وكثر المطر :

رُوَيْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ تَأَنَّ وَعُودُهُ مِمَّا تُنِيلُ^(١)
وَجُسُودَكَ بِالْمَقَامِ وَلَوْ قَلِيلًا فَمَا فِيمَا تَجُودُ بِهِ قَلِيلُ^(٢)
لَا كُتِبَ حَاسِدًا وَأَرَى عَدُوًّا كَأَنَّهُمَا وَدَاعُكَ وَالرَّحِيلُ^(٣)

(١) تَأَن : تمهل ، وروى : تأى توقف ؛ والضمير فى عده يعود إلى المصدر المفهوم من تَأَن ؛ وتُنِيل : تعطى . يقول : أمهل سيرك وترفق فى رحيلك واحسب هذا التمهّل من جملة ما تعطيه ، يعنى أنا نعمة منك نوالا وعطاء لو أقت ساعة ؛ وهو ما ذكر فى البيت التالى .

(٢) وجودك : أى وجد جودك : مصدر نائب عن عامله منصوب به . والمقام : الإقامة ؛ وقليلا : خبر كان محذوفة بعد «لو» ، واسمها ضمير المقام : يقول جد بالإقامة عندنا ولو كانت قليلة ، فإن الذى تجوده لا يمد قليلا ، لأن كل ما كان من جهتك فهو كثير وإن قل ، كما قال ابن الطثرية :

وليس قليلا نظرةٌ إن نظرتُهَا إِلَيْكَ وَقُلِّ مِنْكَ غَيْرُ قَلِيلٍ
وكما قال إسحاق الموصلى :

إن ما قلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وكثيرٌ يَمُنُّ بِحُبِّ الْقَلِيلِ
(٣) الكبت : الإغاضة والإذلال ؛ وأصل الكبت : الكبد فقلبت الدال تاء ، أخذ من الكبد ، وهو معدن الفيظ والأحقاد ، فكان الفيظ لما بلغ بصاحبه مبلغه أصاب كبده فأحرقه ، لهذا يقال للأعداء : هم سود الأكباد وأرى من الورى - وهو إصابة الرئة . وقال أهل اللغة : الورى - على مثال الرمى - قرح شديد يقاء منه القيح والدم ؛ والعرب تقول للبغيض إذا سعل ورياوقحابا . وللحبیب إذا عطس رعيًا وشبابا ، وفى الحديث : «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراء» يقول المتنبي : جد بالإقامة لأكتب من يحسدنى على قربك وأوجع رئة عدوى ، ثم شبه الحاسد والعدو بوجداء وارتحالهما لأنهما يلذعان قلبه ويوجعانه ، وقال أبو تمام فى قبج الوداع :

وَيَهْدَأُ ذَا السَّحَابُ فَقَدْ شَكَّكْنَا
 أَتَغْلِبُ أَمْ حَيَاهُ لَكُمْ قِيلُ^(١)
 وَكُنْتُ أَعِيبُ عَذْلًا فِي سَمَاحٍ فَهِيَ أَنَا فِي السَّمَاحِ لَهُ عَذُولُ^(٢)
 وَمَا أَخْشَى نُبُوكَ عَنْ طَرِيقِ وَسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْمَاضِي الصَّقِيلِ^(٣)
 وَكُلُّ شَوَاةٍ غَطْرِيفٍ تَمْنَى لِسِيرِكَ أَنْ مَفْرِقَهَا السَّبِيلِ^(٤)

قُبَحَتْ وَزِدَتْ فَوْقَ الْقُبْحِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ مِنَ الْوَدَاعِ
 (١) ويهدأ : عطف على أ كبت ؛ وتغلب : قبيلة للمدوح ؛ والحياء : المطر ؛ والقبيل :
 العشيرة . يقول : أقم بنا حتى يسكن هذا السحاب ويمسك عن المطر خجلاً من أياديك
 الغزار فقد أفرط حتى شككنا : أبني تغلب قبيلكم أم مطر هذا السحاب ؟ شبههم بالمطر
 في الكثرة وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

فَقُلْتُ نَذَى السَّمَاءِ أَمْ ابْنُ وَهْبٍ تَجَلَّى نُورُهُ أَمْ عَاشُ وَهْبٍ
 (٢) يقول : كنت فيما مضى أعيب من يلوم على الجود ، فلما رأيت إفراط سيف
 الدولة في الجود صرت ألومه ، قال أبو تمام :

عَطَاءُ لَوْ اسْطَاعَ الَّذِي يَسْتَمِيحُهُ لِأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى وَهُوَ عَاذِلُ
 وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ
 وقال ابن القطاع : الضمير في «له» للسحاب ، يعني صرت الآن ألوم السحاب لإفراطه
 في السباح عفاة أن يكدر عليه الطريق .

(٣) النبو : السكلال ، وسيف الدولة : مبتدأ ؛ خبره : ما بعده ؛ والجملة حال .
 يقول : لا أخشى أن تعجز عن قطع الطريق وأنت سيف الدولة الماضي الصقيل ،
 والسيف إذا كان ماضياً لا يخاف عليه السكلال . يريد : إنني لم أطلب إليك عدم الرحيل
 في المطر خشية أن تعجز عن التغلب على الطريق .

(٤) الشوأة : جلدة الرأس ، وجمعها شوى ؛ والفطريف : السيد الكريم في قومه
 وتمنى : يحذف إحدى التائين - أى تمنى . والفرق : وسط الرأس . يقول : إن كل
 سيد شريف يتمنى أن يكون مفرق رأسه طريقاً لسيرك ، يعني انصرفك لا يستنكف
 السيد من وطئك رأسه ، بل يتمنى ذلك انصرفاً بك ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

وَمِثْلَ الْعَمَقِ تَمْلُوءُ دِمَاءٌ جَرَتْ بِكَ فِي مَجَارِيهِ الْخِيُولُ^(١)
 إِذَا اُعْتَادَ الْغَتَّى خَوْضَ الْمَنَآيَا فَأَهْوَنُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُحُولُ^(٢)
 وَمَنْ أَمَرَ الْخُصُونَ فَمَا عَصَتْهُ أَطَاعَتْهُ الْحَزُونَةُ وَالشَّهُولُ^(٣)
 أَنْخَفِرُ كُلٌّ مَنْ رَمَتْ اللَّيَالِي وَتُنَشِّرُ كُلٌّ مَنْ دَفَنَ الْخُمُولُ^(٤)

مَضَى طَاهِرَ الْأَنْوَابِ لَمْ تَبْقَ بُقْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَى إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ
 (١) ومثل العمق : أى ورب مكان مثل العمق ؛ والعمق : الوضع العميق ؛ وقيل
 واد بعينه . يقول : ورب مكان عميق مثل هذا المكان قد حمى فيه الوطيس حتى امتلأ
 من دماء القتلى جرت بك الخيل فى مجاريه ولم تكثر لذلك ، فكيف أخشى عليك
 قطع الطريق ؟ وقد زاد ذلك إيضاحا بالبيت التالى .

(٢) المنايا : جمع منية ، الموت ؛ والوحول : جمع وحل ، ما يبقى فى الأرض من
 آثار المطر يقول : إذا تعود الإنسان خوض المهالك التى هى أسباب المنايا لم يبال بالوحول ؛
 يريد أن الوحل لا يمنعه من السفر لأنه تعود أن يخوض ما هو أشد من الوحل .

(٣) الحزونة : جمع حزن ، ما خشن من الأرض وصعب : ضد السهل . يقول : من
 تطيعه حصون الأعداء وتنفتح له لم يعصه مكان من الحزن والسهل : أى لم يتمتع عليه
 ولم يصعب سلوكه .

(٤) نشر الله الميت وأنشره : بعثه وأحياه ؛ والخمول : سقوط الذكر ؛ والحامل :
 الساقط الذى لا نباهة له ، والاستفهام : للتعجب . يقول : كل من نكبته الليالى وأصابته
 بالحنن تخفّره وتجيّره منها بإحسانك ، وكل من أماته الخمول تحييه فتشهره وترفع ذكره
 بإنعامك عليه ؛ قال ابن وكيع : وهذا البيت منقول من قول ابن الرومى :

نَشَرْتُكَ مِنْ مَوْتِ الْخُمُولِ بِقُدْرَةٍ لِمَا هُوَ أَذْهَى لَوْ عَلِمْتَ وَأَنْكَرُ^(١)
 هذا : ويقال خفر الرجل يخفر خفراً : أجاره ومنعه وأمنه ، وكان له خفيرا يمنعه ،
 وكذلك خفّره تخفيرا ، قال أبو جندب الهذلى :

(١) من أبيات يهجو بها ابن الرومى خالدا القحطى ، وقبله :

أَخَالَدَ أَغْنَيْتَ الْهَجَاءَ وَفَنَّهُ فَقَوْلِي وَإِنْ أَبْلَغْتُ فَيْكَ مُقْصِرُ
 وبعده :

وللموت خير لا مرى من نشوره إذا كان للتخليد فى الناس يُنْشَرُ

وَنَدْعُوكَ الْحُسَامَ وَهَلْ حُسَامٌ يَمِيشُ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ الْقَتِيلُ^(١)
وَمَا لِلسَّيْفِ إِلَّا الْقَطْعُ فِغْلُ^(٢) وَأَنْتَ الْقَاطِعُ الْبَرُّ الْوَصُولُ^(٣)
وَأَنْتَ الْفَارِسُ الْقَوَالُ صَبْرًا وَقَدْ فَنَى التَّكَلُّمُ وَالصَّهِيلُ^(٤)
يَحِيدُ الرَّمْحَ عَنْكَ وَفِيهِ قَصْدُ^(٥) وَيَقْصُرُ أَنْ يَنَالَ وَفِيهِ طُولُ^(٦)
فَلَوْ قَدَرَ السَّنَانُ عَلَى لِسَانٍ لَقَالَ لَكَ السَّنَانُ كَمَا أَقُولُ^(٧)

ولكنني جُزئ الغضى من ورائه يُخَفِّرُنِي سَيْفِي إِذَا لَمْ أَخْفَرُ
والاسم من ذلك الحفرة والحفارة والحفارة - بالفتح والضم - ويقال أخفرت إذا
بعثت معه خفيرا ، وأخفرت الرجل : إذا نقضت عهده وغدرت به ، وأخفر الدمة :
لم يف بها .

(١) الحسام : السيف القاطع ، يقول : نسميك الحسام وعادة الحسام أن يقطع الآجال
وأنت حسام يمش به القتل : أى أنك تحي من قتله الفقر وأماته الذل بمجودك — كما
بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) يقول : إن فعل السيف هو القطع فقط ، أما أنت فقد اجتمع فيك الوصل
والقطع ، لأنك تصل الأولياء وتقطع الأعداء . والقطع : منصوب لأنه استثناء مقدم .
ومثله قول الكمي :

ومالى إلا آل أحمدَ شِيعَةٌ ومالى إلا مذهبَ الحق مذهبُ

والبر : المحسن ؛ والوصول . الذى يصل الناس : أى يجيزهم بالعطاء .

(٣) يقول . أنت الفارس الرابط الجأش الذى يصبر الجيوش ويقول لهم اصبروا
صبرا على عض الحرب وقد عظم الخطب واشتد القتال ، فلا يقد الرجل على الكلام ولا
الفرس على الصهيل . فقوله صبرا : مفعول مطلق ، نائب عن عامله ، وهو مفعول القول .
(٤) وفيه قصد . أى استقامة . يقول : قد بلغت من المهانة والشرف أن الجماد يعرفك
فالرمح يخافك فيحيد عنك ويميل ، مع أن فيه قصدا إذا طعن به غيرك ويقصر عن أن
ينالك مع طوله هية لك ؛ والمعنى أن الأبطال تتحاماه فى الحروب فلا تجترأ
على مطاعته .

(٥) يقول : لو كان الرمح يقدر على الكلام لقال أنا أحيده عنك وأقصر - مع طولى -
عن طعنك لميتك وشرفك . وهذا من قول الآخر :

إن السنانَ وصدرَ السيفِ لو نطقا لخبرّا عنك يومَ الروعِ بالمعجبِ .

وَلَوْ جَازَ الْخُلُودُ خَلَدَتْ فَرْدًا وَلَكِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا خَلِيلٌ^(١)

وقال يرثي والده سيف الدولة وقد توفيت يمينا فارقين وجاءه الخبر بموتها إلى حلب سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وأنشده إياها في جمادى الآخرة من السنة :

① نَعْدُ الْمَشْرِقِيَّةَ وَالْعَوَالِي وَتَقْتُلُنَا الْمُنُونُ بِلَا قِتَالٍ^(٢)

② وَتَرْتَبُطُ السَّوَابِقُ مُقَرَّبَاتٍ وَمَا يُنْجِيَنَّ مِنْ خَبَبِ اللَّيَالِي^(٣)

وللحصى :

يُثْنِي عَلَيْكَ إِذَا النُّفُوسُ تَطَايَرَتْ حَدُّ الْمُهَنْدِ وَالسَّنَانُ الْهَذَمُ
وأصله قول عنترة :

لو كان يعلم ما المحاورة اشكتي ولكن لو علم الكلام مكلّمي

(١) يقول : لو جاز أن يخلد إنسان لخلدت وحدك لما جمع الله فيك من الفضائل ، ولكن الدنيا لا تخلد أحداً وشنتها إفناء خلانها ، فهي مطبوعة على الغدر ، وإلا لخلدتك . وهذا من قول عدى بن زيد :

فلو كان حي في الحياة مخلداً لخلدت لكن ليس حي بمخلد
ومثله لمحمد بن يزيد المهلب :

لو خلد الله مخلوقاً لنجدته لكان ربك في الدنيا مخلداً

(٢) الشرفية : السيوف ، والمراد بالعوالي : الرماح ؛ ولبنون : اللينة ، وقيل الدهر ، ومن ثم يؤث ويذكر ، ويكون واحداً وجما : يقول : نعد السيوف والرماح لمنازلة الأعداء ومدافعة الأقران ، ولكن اللينة تحترق نفوسنا وتقتل من تقتله منا من غير قتال ، فلا تنفي عنا تلك الأسلحة شيئا .

(٣) السوابق : الخيل ؛ والمقربات : المدانة من البيوت ، إما لفرط الحاجة أو للضن بها ، فلا ترسل إلى الرعي ؛ والحجب : ضرب من العدو - الجرمي - لا يستفرغ الجهد : يقول : وترتبط الخيول الكريمة لتنجو بنا إذا ألم بنا حادث ، ومع هذا لاتنجينا من سعي الليالي ، وخبها في آثارنا ، فإنها تقتلنا وتدركننا حيثما كنا ، وبديع قول عبد الله بن طاهر في الدهر :

كأننا في حروبٍ من حوادثه فنحن من بين مجروحٍ ومطمونٍ

- (٣) وَمَنْ لَمْ يَشَقِّ الدُّنْيَا قَدِيمًا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوِصَالِ (١)
 (٤) نَصِيكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ نَصِيكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ (٢)
 (٥) رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فَوَّادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ (٣)
 (٦) فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ (٤)

(١) من : استفهام إنكارى ؛ وقوله إلى الوصال : يروى إلى وصال - أى مواصلة - يقول : من الذى لم يشق الدنيا من قديم الدهر ؟ أى أن كل أحد يهواها ، ولكن لا سبيل إلى دوام وصالها ، فقوله إلى الوصال : أى إلى دوام الوصال ، فكثير من عشاقها واصلها وواصلته ، ولكنها لا تدوم على الوصال .

(٢) نصيبك - الأول - مبتدأ . خبره : نصيبك - الثانى - يقول : إن حظ الإنسان من وصال حبيب في حياته كحظه من وصال خياله في منامه ، فإن ذلك الوصال ينقطع عن قريب بالموت ، كما ينقطع التمتع بخيال الحبيب بالانتباه ، جعل العمر كاللنام والموت كالانتباه من المنام ، كما قال أبو تمام :

نَمِ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلِهَا فَكَأَنَّمَا وَكَأَنَّهُمْ أَخْلَامُ
 وقال التهامي :

فَالْمِيشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ والرمي بينهما خيال سارى

(٣) الأرزاء : جمع رزء ؛ المصيبة ، وحق : ابتدائية ؛ والغشاء : ما يغطى الشيء ، يقول : كثرت على أرزاء الدهر وترادفت على قلبي فجاءة حتى لم يبق منه موضع إلا أصابه سهم منها فصار في غلاف من سهام الدهر .

(٤) النصال : جمع نصل ، الحديدة التى فى السهم . يقول : فصرت الآن إذا رمانى الدهر بسهامه لم تصل إلى قلبي ، إذ لا تجد لها موضعاً الاصابة ، وإنما تتكسر نصالها على النصال التى قبلها ، لأنها تصطك بعضها ببعض ، قال الواحدى : وهذا تمثيل معناه أن الأرزاء توالى على حتى هانت عندى والشيء إذا كثر اعتاده الإنسان كما صرح بذلك فى البيت التالى . وإليك إحدى مماحكات ابن وكيع - وما أكثر ما يتجنى على المتنبي - قال : لا يصح معنى البيت إلا أن يكون يرمى من جنبيه فيبلغ نصل الجانب الأيمن نصل الجانب الأيسر ، وأما أن يكون الرمي من ناحية واحدة فلا يصح ذلك ، ولو قال كما قال عمر بن المبارك لصح .

(٧) وَهَانَ فَمَا أَبَالَى بِالرَّزَايَا لِأَيِّ مَا أُتْنَعَتْ بِأَنْ أَبَالَى (١)
(٨) وَهَذَا أَوَّلُ النَّاعِينَ طُرَا لِأَوَّلِ مَيْتَةٍ فِي ذَا الْجَلَالِ (٢)

لم يَنْتَظِرْنَ فَنَسْتَبِيكَ قُلُوبَ حَتَّى رَمَيْنَ فَرَشَقَهْنَ مَصِيبُ
نَجَلٌ يُتَبَّعْنَ السَّهَامَ بِمِثْلِهِمَا فَلَمَنْ مِنْ تَحْتِ النَّدُوبِ نَدُوبُ
فهذا كلام يصح مثله ، لأن الندوب القديمة يتبعن ندوباً حديثة ؛ ومثله لأخى
ذى الرمة .

وَلَمْ يُنْسِنِي أَوْفَى الْمَصِيبَاتِ بَعْدَهُ وَلَكِنَّ نَكَا الْقَرْحَ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ (١)
(١) ضمير هان للدهر أو لرميه لدلالة قوله رمانى الدهر . يقول : وهان الدهر
على فلا أحفل بمصائبه علماً بأنه لا ينفع الحذر ولا المبالاة ؛ وهذا من قول الحماسي :
وقد جَعَلْتُ نَفْسِي عَلَى الْبَيْنِ تَنْطَوِي وَعَيْنِي عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ تَنَامُ
وفارقتُ حَتَّى مَا أَبَالَى مِنَ النُّوَى وَإِنْ بَانَ جَوَارِي عَلَى كِرَامِ
ومثله قول الحريري :

صَبِرْتُ فَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرَ مَنَبَةٍ وَهَلْ جَزَعُ أَجْدَى عَلَى فَأَجْزَعُ
ويروى بدل هان فَمَا أَبَالَى : وهَا أَنَا مَا أَبَالَى .
(٢) يقول : هذا الناعي - وكان نعمها ورد إلى أنطاكية - أول الناعين جميعاً لأول
امرأة ماتت في هذا الجلال ، يعنى لم تمت امرأة قبلها أجل منها ، وميتة - بفتح الميم -

(١) قيل إن إخوة ذى الرمة هم مسعود وهشام وجرفاس وأن مسعوداً رثى بشعره
بشعره هذا أخاه غيلان وأوفى بن دلهم ابن عمهما وقيل كانوا أربعة غيلان ومسعود
وهشام وأوفى وكلهم شعراء كان أحدهم يقول الأبيات فيزيد فيها ذو الرمة ويغلب
عليها ، وقبل هذا البيت :

تَعَزَّيْتُ عَنْ أَوْفَى بِغِيلَانَ بَعْدَهُ عَرَاءُ وَجَفَنُ الْعَيْنِ مَلَانُ مُتَرَعٍ
نَمَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ وَافَتْ رِكَابَهُمْ لَعَمْرَى لَقَدْ جَاءُوا بِشَرٍّ وَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بِاسِقِ الْأَخْلَاقِ لَا يَخْلُقُونَهُ تَكَادُ الْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ
خَوَى الْمَسْجِدِ الْمَغْمُورِ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَمَّنُوا

(٩) كَانَ الْمَوْتُ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلُوقٍ بِيَالٍ^(١)

أى ميتة ، خففت ؛ ورويت ميتة - بكسر الميم - يعنى الحال التى ماتت عليها ، قال الواحدى والرواية الأولى أوجه ، لأنه أراد أول الأموات ولم يرد أول الاحوال هذا : وقولهم جاءنى القوم طرأ أى جميعا منصوب على المصدر أو الحال ، قالوا ولا تستعمل إلا حالا واستعملها خصيب النصرانى المتطبب فى غير الحال ؛ وقيل له كيف أنت ؟ فقال أحمد الله إلى طر خلقه ؛ قال ابن سيده : أنبأنى بذلك أبو العلاء ، وفى نوادر الأعراب رأيت بى فلان بطر إذا رأيتهم بأجمعهم . والناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت ؛ والنعى والنمى : خبر الموت أو الدعاء بموت الميت ، والإشعار به ، نعاء نعاء ونعيانا ، وقال الجوهري . كانت العرب إذا مات منهم ميت له قدر وشرف ركب راكب فرسا وجعل يسير فى الناس ويقول نعاء فلانا . أى انمه وأظهر خبر وفاته ، وقال ابن الأثير . أى هلك فلان أو هلكت العرب بموت فلان ، وهى مبنية على الكسر مثل قطام ودراك ونزال ، بمعنى أدرك وازل ، وأنشدوا للكهيت .

نعاء جذاما غير موت ولا قتل ولكن فراقا للدعائم والأصل
(١) يستعظم موت هذه المرأة حتى كأن الناس لم يروا موتا ولم يخطر على قلب أحد منهم قبلها ، وموت العظيم يعظم عند الناس مع فشو الموت وعمومه ، ومن بديع ما قيل فى الموت - وليس من قبيل بيت المتنبي ، ولكنه ينظر إليه من بعيد - قول الحسن البصرى . ما رأيت حقا أشبه بياطل من الموت وقال البحتري .

ولم أرَ مثل الموتِ حقا كأنه إذا ما تخطته الأمانى باطل
وقال زين العابدين أو جرير

زراع إذا الجنأز واجهتنا ونلهو حين تغدو رائحات
كروعة ثلثة لمفار ذئب فلما غاب عادت راتعات^(١)
وأخذه محمد بن وهب فقال .

زراع لذكر الموت ساعة ذكره وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب
يقين كأن الشك أغلب أمره عليه وعرفان إلى الجهل ينسب

(١) الثلة . القطيع من الغنم .

١٠ صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقِنَا حَنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمُكَفَّنِ بِالْجَمَالِ (١)
 ١١ عَلَى الْمَذْفُونِ قَبْلَ التُّرْبِ صَوْنًا وَقَبْلَ اللَّحْدِ فِي كَرَمِ الْخِلَالِ (٢)
 ١٢ فَإِنَّ لَهُ يَبْطُنَ الْأَرْضِ شَخْصًا جَدِيدًا ذِكْرُنَاهُ وَهُوَ بَالِي (٣)

(١) صلاة الله : مغفرة ورحمة ؛ والحنوط : طيب مغلط لفصل الميت يدعو لها بأن تكون رحمة الله لها بمنزلة الحنوط للميت ، وجمل وجهها مكفنا بالجمال ، كأن الجمال كفن لوجهها ، وفي ذلك إشارة إلى أن الموت لم يغير محاسنها ، وكأنه يقول : رحم الله وجهها الجميل ، قال ابن وكيع : وصفه أم الملك بالوجه الجميل غير مختار ، وهو من قول النمرى

تَحِيَّاتٌ وَمَغْفِرَةٌ وَرَوْحٌ عَلَى تِلْكَ الْحَلَّةِ وَالْحُلُولِ

وعبارة ابن الأمللي : رحمة الله ورضوانه حنوط هذه المرأة التي غيها الجمال كما غيها الكفن وسترها كما سترها القبر فكانت مستورة من أعين الناس .

(٢) على المدفون : بدل من قوله على الوجه — في البيت السابق — وذكر على إرادة الشخص ؛ وصونا : مفعول له ؛ واللحد : الشق في جانب القبر ، والخلال : الحصال يقول : إنها كانت مدفونة بالصون قبل أن تدفن في التراب ، وقبل أن تدفن في اللحد كانت مدفونة في كرم الخلال : أى أنها كانت محمية مستورة قبل أن تستر بالتراب ، وكان كرم خصالها يمنعها ويعفها عن كل مالا يليق قبل أن تحمل إلى اللحد .

(٣) ذكرناه . أى ذكرنا إياه ، فاعل جديدا . ووضع الضمير المتصل موضع الضمير المنفصل جائز ، ومثله قوله تعالى « أنزل مكوها » وأنشد سيويه وقد جعلت نفسى تطيب لضممة لضممة لضممة لضممة لضممة نأبها (١)

(١) الضم : العض ما كان ، وقيل أن يملأ فمه بما أهوى إليه ، ومنه سمى الأسد ضميا — زيادة الياء — قال الشنتمرى : وصف هذا الشاعر عضه أصابه بهارجلان فيقول . قد جعلت نفسى تطيب لإصابتها بمثل الشدة التي أصاباني بها ، وضرب الضمعة مثلا ثم وصف الضمعة فقال يقرع العظم نأبها فجعل لها نأبا على السعة ، والمعنى يصل الناب فيها إلى العظم فيقرعه . قال : واسم هذا الشاعر مغلس بن لقيط الأسدي والرجلان من قومه وهما مدرك ومرة وقبله :

سقيتكما قبل التفوق شربةً يَمُرُّ على باغى الظلام شرابها
 « والظلام جمع ظلامه »

١٣	وَمَا أَحَدٌ يُخَلِّدُ فِي الْبَرَايَا	بَلِ الدُّنْيَا تَوَوَّلُ إِلَى زَوَالٍ
١٤	أَطَابَ النَّفْسَ أَنْكَ مَتَّ مَوْنَا	تَمَنَّتُهُ الْبَوَاقِ وَأَتْلُوَالِي ^(١)
١٥	وَزُلْتُ وَلَمْ تَرَى يَوْمًا كَرِيهَا	يُسَرُّ الرُّوحُ فِيهِ بِالزَّوَالِ ^(٢)
١٦	رَوَاقُ الْعِزِّ حَوْلَكَ مُسَبِّطٌ	وَمُلْكُ عَلِيٍّ أَبْنِكَ فِي كَالِ ^(٣)
١٧	سَقَى مَثْوَاكَ غَادٍ فِي الْعَوَادِي	نَظِيرُ نَوَالٍ كَفَّكَ فِي النَّوَالِ ^(٤)
١٨	إِسَاحِيهِ عَلَى الْأَجْدَاثِ حَفَشٌ	كَأَيْدِي أَتَخْلِيلِ أَبْصَرْتَ الْمَخَالِي ^(٥)

يقول : إن شخصه وإن كان يبلى في القبر إلا أن فكرنا إياه جديد باق أبداً لا يبلى : قال الحاربي :

وإن تَكُ لِلْبَلَى أُمْسِيَتْ رَهْنًا فقد أبقيتَ تجداً غَيْرَ بَالِي
(١) الحوَالى : اللواضى . يقول : مت في العز والعفاف ، فموتك كان موتاً يتمى مثله من بقى النساء ومن مضى منهن . وهذا يسلى النفس عنك إذ فزت بخير الدنيا والآخرة .
(٢) يقول : ومما يسلى النفس عنك أنك فارقتنا دون أن ترى يوماً كرها ينفى لك عيشك ويحبب الموت إليك حتى يسر الروح بفراق البدن في مثل هذه الحال ، وهذا من قول بعضهم :

وَهَوْنٌ مِنْ وَجْدِي وَلَيْسَ بِهِيْنِ سَلَامَتُهَا بِالْمَوْتِ مِنْ جَرَعَةِ الشُّكْلِ
(٣) مسبطر : ممتد ؛ ويروى مستظل ومستطيل ، وقد أنكر الصاحب بن عباد لفظة مسبطر . قال : إن ذكرها في مرثية النساء من الخذلان المين . والصاحب مولع بنقد التنبي وذمه بالحق وبالباطل ، وإلا قال كلمة لا غبار عليها ؛ وقال العروضى : سمعت أبا بكر الشعراني خادم للتنبي يقول : قدم علينا للتنبي وقرأنا عليه شعره . فأنكر هذه اللفظة ، وقال مستظل ، قال العروضى : وإمما غيرها الصاحب وأنكرها عليه . يقول : مت وأنت في هذه الحال من العز المتطاوول والملك الكامل من ملك ابنك .

(٤) المثوى : المنزل يريد قبرها الذى أقامت به . والغادى : السحاب يغدو بالمطر ؛ والنوال : العطاء . يدعو لها بأن يسقى قبرها سحاب يفضل السحب فيضاً كما كان عطاء كفيها يفضل عطاء الأ كف سخاء ؛ وفيه إشارة إلى أنها كانت كثيرة العطاء .

(٥) الساحى : الذى يقشر الأرض بشدة انصبابه ؛ والأجداث : القبور ؛ والحفش : شدة الوقع ، ويقال حفشت السماء حفشاً : إذا جادت بالمطر ؛ وحفشت الأودية : سالت

أَسْأَلُ عَنْكَ بَعْدَكَ كُلَّ نَجْدٍ ، وَمَا عَهْدِي بِمَجْدٍ عَنْكَ خَالِي ^(١)
يَمُرُّ بِقَبْرِكَ الْعَافِي قَيْبِي ، وَيَشْغُلُهُ الْبُكَاءُ عَنِ الشُّعْوَالِ ^(٢)
وَمَا أَهْدَاكَ لِلْجَدْوَى عَلَيْهِ ، لَوْ أَنَّكَ تَقْدِرِينَ عَلَى قَمَالٍ ^(٣)

(١٩)

(٢٠)

(٢١)

والخالي : جمع مخلاة ، الوعاء الذي يجعل فيه التبن والشعير للدابة . بالغ في وصف المطر حيث جعله في إلحاحه على القبر بالقشر كأيدى الحيل إذا رأت مخالي الشعير فإنها تنشط وتحفر الأرض بقوائمها . قال الواحدى : وليس هذا من مختار الكلام ولا من المستحسن أن يسأل السقيا لقبر يحفر حفر أيدى الحيل . وقال ابن جني : الغرض من الدعاء للقبور بالغيث : الإنبات وما يدعو الناس إلى الحلول والإقامة ، وهو مذهب العرب ؛ ألا ترى إلى قول النابغة :

وَلَا زَالَ قَبْرَ بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الرِّسْمِ سَحٌّ وَوَابِلٌ
فَيُنَبِّتُ حَوْذَانَا وَعَوْفًا مُنَوَّرًا سَأْتِبَعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ ^(١)
وكلما اشتد المطر كان أجمل لنباته وأمرع له .

(١) يقول : لم أر مجدا خاليا منك أيام حياتك فأنا بعد وفاتك أسأل عنك كل مجد لأنك كنت صاحبه اللازمة له ، فأنا أطلبك منه كما يطلب الإنسان ممن طالت صحبته معه . وقوله خالي : إما جعلته نعتا لمجد — أى ليس لى عهد بمجد خال عنك — وإما جعلته حالا سادة مسد الخبر ، كما تقول : عهدي بك شجاعا ؛ وأسكنه للضرورة ، أو على لغة من يقول : رأيت قاضى

(٢) العافى : السائل وطالب المعروف . يقول : إذا مر بقبرها السائل ذكر ما كان يشمله منها فبكى وشغله ذلك البكاء عن أن يسألها كمادته ، قال البحتري :

فَلَمْ يَذَرِ رَسْمُ الدَّارِ كَيْفَ يُحْيِينَا ، وَلَا نَحْنُ مِنْ فَرْطِ الْبُكَاءِ كَيْفَ نَسْأَلُ
(٣) ما — فى ما أهداك — تعجبية ؛ والجدوى : العطاء والإفضال ؛ والفعال : الفعل الحسن . يقول : ما أعرفك بالإفضال على العافى ! ولكن الموت حال بينك وبين العطاء ولولا ذلك لكنت تعطينه وإن لم يسأل كمادتك فى الحياة .

(١) الخوذان : نبت يرتفع قدر الذراع . له زهرة حمراء فى أصلها صفرة ، وورقته مدورة ؛ والحافر يسمن عليه ، وهو من نبات السهل ، حلو طيب الطعم ؛ والعوف : نبت طيب الريح .

بَعِيثِكَ هَلْ سَلَوْتُ فَإِنْ قَلْبِي ، وَإِنْ جَانَبْتُ أَرْضَكَ غَيْرُ سَالِي (١)
 نَزَلْتُ عَلَى الْكَرَاهَةِ فِي مَكَانٍ بَعُدْتُ عَنِ النُّعَامِ وَالشَّمَالِ (٢)
 تُحَجِّبُ عَنْكَ رَائِحَةُ الْخَزَامِي ، وَتُمْنَعُ مِنْكَ أُنْدَاهُ الطَّلَالِ (٣)
 بَدَارُ كُلِّ سَاكِنٍهَا غَرِيبٌ طَوِيلُ الْهَجْرِ مُنْبَتُ الْحِبَالِ (٤)
 حَصَانٌ مِثْلُ مَاءِ الزَّنِّ فِيهِ كَتَمْتُ السَّرَّ صَادِقَةً الْمَقَالِ (٥)
 يُعَلِّمُهَا نِطَاسِي الشُّكَايَا ، وَوَاحِدُهَا نِطَاسِي الْمَعَالِي (٦)

(١) قال الواحدي : يقسم عليها بحياتها ؛ يقول لها : هل سلوت عن حب النوال فإن قلبي وإن بعدت عنك غير سال عن نواك ؟ وقال ابن جنى وآخرون : هذا بمأوضعه في غير موضعه ، ولا يجوز أن يرئى بمثل هذا ، قالوا : واللعن هل سلوت عن الحياة فإنني غير سال عن الحزن عليك ، أذكر لك وإن كنت بعيدا عن أرضك ، وأندبك وإن كنت منتزعا عن موضعك .
 (٢) على : بمعنى مع ، وجملة بعدت الخ : نعت لمكان ؛ والعاقد محذوف أى بعدت فيه - والنعامى : ريح الجنوب ، سميت بذلك لأنها أبل الرياح وأرطبها وأنعمها ؛ والشمال : الريح التي تهب من ناحية القطب . يقول : نزلت - على كراهتنا لنزولك - في مكان لا يصيبك فيه نسيم الرياح :

(٣) الخزامى : نبت طيب الريح ؛ والطلال : جمع طل . المطر الخفيف . يقول : وحجبت عنك روائح الأزهار لا تصل إليك وكذلك ندى الأمطار . يشير إلى ما كان يحيط بها في حياتها من الرياض والبساتين ، وإنما حرمت ذلك بعد وفاتها .

(٤) أراد بالدار : القبر ؛ ومنبت : منقطع ، ومن سكن القبر بعد عن أهله وعشيرته وطال هجره إياهم ، وانقطع وصاله عنهم . فالمراد بالحبال : الشمل . وهذا ينظر إلى قول إبراهيم بن المهدي :

تَبْدَلُ دَرًا غَيْرَ دَارِي وَجِيزَةً سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنْوُبُ

أَقَامَ بِهَا مَسْتَوْنًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طَوْلِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبٌ

(٥) الحصان : العفيفة ؛ وحصان : مبتدأ ؛ وفيه : خبر ، والمزن : السحاب ، يقول في هذا المكان امرأة عفيفة مثل ماء المزن في النقاء والطهارة ، كاتمة للسِر ، صادقة في القول :

(٦) يعلمها : أى يعالجها من علتها ؛ والنطاسى : الطبيب الحاذق . والشكاياء : واحد

إِذَا وَصَفُوا لَهُ دَاءً يَنْفَرُ سَقَاهُ أَسِنَّةَ الْأَسَلِ الطَّوَالَ (١)
وَلَيْسَتْ كَالْإِنَاثِ وَلَا الْإَوَاتِي تَعُدُّ لَهَا الْقُبُورُ مِنَ الْحِمَالِ (٢)
وَلَا مَنْ فِي جَنَازَتِهَا تَجَارُ يَكُونُ وَدَاعُهَا نَفْضَ النَّعَالِ (٣)
مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا حَفَاةً كَانَ الْمَرَوْ مِنْ زِفِّ الرَّثَالِ (٤)

(٤٨)

(٤٩)

(٣٠)

(٣١)

شكوى ، يريد الأمراض التي تشكى ، وأراد بواحد : ابنها سيف الدولة الذي هو واحد الناس ؛ والواو : للحال . يقول يعالجها قبل موتها ليزيل عنها طبيب الأمراض والحال أن ابنها طبيب المعالي : أى العالم بأدواء المعالي فيزيلها عنها حتى تصح معاليه فلا يدركها نقص أو عاب .

(١) الثغر : موضع الخفاة من فروج البلدان ؛ والأسل : الرماح . جعل انتقاض الثغر عليه بمنزلة الداء ، ولما استعار لذلك اسم الداء استعار السقي لنفى ذلك الداء عنه بالرمح لتجانس الكلام ؛ إذ يلاحظ أن الثغر يكون بمعنى الفم أيضاً ، فزاد الاستمارة بذلك حسناً . يقول . إذا ذكروا له انتقاض ثغر من ثغور المسلمين لعلبة الكفار نفاهم عنه بأسنه الرماح فعاد إلى الطاعة ؛ يعنى : ولكنه مع ذلك لم يدفع عنك الموت لأنه لا دافع له ، والأصل في هذا المعنى قول ليلي الأخيلية :

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَبَعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بَهَا غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاةَ سَقَاهَا
وقال أبو تمام :

وقد نُكِسَ الثَّغْرُ فَأَبْعَثَ لَهُ صَدُورَ الْقَنَا فِي ابْتِفَاءِ الدَّوَاءِ
(٢) الحجال : جمع حجلة ، بيت صغير في جوف البيت يستر النساء . يقول : ليست كغيرها من النساء اللواتي يعدلن القبر مستراً لأنها كانت مصونة مستورة قبل أن تستر بالقبر .

(٣) الجنازة — بالفتح والكسر — واحد ، وقيل بالفتح : النعش إذا كان الميت فيه ، وبالكسر : النعش وحده ؛ والتجار : جمع تجر — بالفتح — جمع تاجر ، مثل صحاب وصحب . يقول : ولم تكن من نساء السوق يتبع جنازتها تجار وباعة ينفضون النعال من التراب إذا انصرفوا عن القبر ، أى أنها كانت ملكة .

(٤) حولها : كحولها ، تقول حولك وحوليك وحوايك وحوايك : الجميع بمعنى واحد ؛

وَأُبْرَزَتْ اَلْخُدُورُ مُحَجَّبَاتٍ يَضَعْنَ النَّفْسَ أَمَكِنَةَ الْفَوَالِ (١)
 أَتَنَّهُنَّ الْمَصِيبَةُ غَافِلَاتٍ فَدَمَعُ الْحَزَنِ فِي دَمْعِ الدَّلَالِ (٢)
 وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمَنْ قَدَّذَا لَفَضَّلَتِ النَّسَاءُ عَلَى الرَّجَالِ (٣)
 وَمَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشُّمُسِ عَيْبٌ
 وَلَا التَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْمِلَالِ (٤)

والرو : حجارة بيض براقه ؛ والزف : صغار الريش ؛ والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النعام . يقول : لشرفها وشرف ابنها شيعها الأمراء ومشوا حوالها حفاة يطأون الحجارة فلا يحسون غلظها لشدة الحزن كأنهم يطأون ريش النعام .

(١) النفس : الداد ؛ والفوالى : جمع الغالية ، أخلط من الطيب يتضمخ بها . يقول خرجت لموتها نساء كن محبات في الخدور غير مباليات بالتستر وهن يسودن وجوههن بالداد مكان الغالية التي كن يتطين بها حزنا للمصيبة بموتها ؛ ولعله يريد جوارى المربية ، وهذا منقول من قول بعضهم :

قَد كَانَتْ الْأَبْكَارُ بِيضًا فَاعْتَدَتْ سَوْدًا لِفَقْدِكَ أَوْجُهُ الْأَبْكَارِ
 وَهَتَكُنَّ أَسْتَارَ الْحَيَاءِ وَطَالَمَا شُتِرَتْ مُحَاسِنُهُنَّ بِالْأَسْتَارِ
 وَظَهَرْنَ لِلْأَبْصَارِ بَعْدَ تَسْتَرٍ بِالْحُجُبِ دُونَ لَوَاحِظِ الْأَبْصَارِ
 ومثله :

قَدْ كُنَّ يَحْبَانُ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَلَا نَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ
 (٢) يقول : فجمن بفقدتها على حين غفلة . فيبناهن ييكن دلالا على سبيل الدعاية إذ بكن حزنا ، فاختلط الدمعان ، فهن يدين الدلال مع الحزن والدلة مع الحسن .
 (٣) يقول : لو كان نساء العالم كهذه المربية في الكمال لفضلن على الرجال . يعني أن هذه المربية كانت أفضل من الرجال ، فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل — أي فضلن على الرجال — قال ابن وكيع : وهذا ينظر إلى قول علي بن الجهم :

إِذَا مَا عُدَّ مِثْلُكُمْ رَجَالًا فَمَا فَضْلُ الرَّجَالِ عَلَى النَّسَاءِ
 (٤) ما — هنا — تيمية ؛ ولك أن تجعلها حجازية فتصب «عيب» و«فخر» يقول :

وَأَفْجَعُ مَنْ فَقَدْنَا مِنْ وَجَدْنَا قُبِيلَ الْفَقْدِ مَفْقُودَ الْمِثَالِ (١)

يُدْفَنُ بِنَفْسِنَا بِنَفْسِنَا وَنَمْسِي أَوَاخِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي (٢)

وَكَمْ عَيْنٍ مُقْبِلَةِ النَّوَاحِي كَحِيلٍ بِالْجُنَادِلِ وَالرَّمَالِ (٣)

وَمَنْضٍ كَانَ لَا يُنْفِضِي لِحَطْبٍ ،

وَبَالَ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْهَزَالِ (٤)

أَسِيفَ الدَّوْلَةِ أَسْتَنْجِدُ بِصَبْرِ ، وَكَيْفَ يَمِثِلُ صَبْرِكَ لِلْجِبَالِ (٥)

لم تزر بها الأنونة ، كما لا يزرى بالشمس تأنيث اسمها ، والذكورة لا تعد فضيلة في أحد كما لا يحصل للقمر نخر بتذكير اسمه :

والشمس ليس بضائر تأنيثها وتزيد بالنور المنير على القمر

(١) أفع : مبتدأ ، خبره : من وجدنا ؛ ومفقود المثال : مفعول ثان لوجدنا . يقول

أشد للمفقودين لجة على الفاقدين من كان مفقود النظير في حال حياته ، فإن من وجد له نظير يتسلى عنه بوجود نظيره ، وبمن يتسلى عنمن لا نظير له ؟

(٢) الهام ؛ الروس ؛ ويريد بالأوالى : الأوائل ، قلب ، وهو كثير في كلامهم .

يقول : ندفن أمواتنا ونمسي على رؤوسهم بعد الموت ؛ يعنى لا نخلو من فقد ودفن ثم

لا نعتبر بمن ندفن ، بل ندوس عليهم غير معتبرين بهم ، والأصل في هذا المعنى قول النابغة :

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ أَنْ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا وَهَذَا تَحْتَهَا بِأَلِي

(٣) النواحي : الجوانب ؛ وكحيل : بمنى مكحولة ، خبر « كم » يقول : كم عين كانت

تقبل إعزازا وإكراما فصارت تحت الأرض مكحولة بالرمل والحجارة ؟ .

(٤) أغضى الرجل عينه : قارب بين جفنيها ؛ هذا أصل الإغضاء ، ثم استعمل في

الحلم ، فقيل أغضى على القذى : إذا أمسك عفواً عنه . والخطب : الأمر العظيم .

والهزال : النحول : يقول : وكَمْ مِنْ إِنْسَانٍ أَغْضَى لِمَوْتِهِ وَكَانَ لَا يُنْفِضِي لِنُزُولِ خُطْبِ

بِهِ ، وَكَمْ مِنْ بَالٍ تَحْتَ التَّرَابِ وَكَانَ إِذَا رَأَى فِي جَسَمِهِ هَزَالًا يَشْتَغِلُ قَلْبُهُ بِهِ وَيُفَكِّرُ فِي

عِلَاجِهِ ، وَهَذَا يُنْظَرُ إِلَى قَوْلِ الْبَحْرِيِّ يَرْنَى غِلَامُهُ قِصْرَ :

وَأَصْفَحُ لِيَلِي عَنْ ضَوْءِ وَجْهِ غَنِيَتْ يَرَوْعُنِي فِيهِ الشُّحُوبُ

(٥) يقول : استعن بالصبر على هذا الرزء الذى لفت به ، فأنت أهل الصبر الثابت

على الأرزاء حتى لفتت الجبال فى هذا وبودها أن تكون مثلك فى ثباتك .

قَأَنْتَ تُعَلِّمُ النَّاسَ التَّقْزِيَّ (٤١)

وَحَوْضَ الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ السَّجَالِ (١)

وَحَالَاتُ الزَّمَانِ عَلَيْكَ شَتَّى وَحَالُكَ وَاحِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ (٢)

فَلَا غِيضَتْ بِحَارِكَ يَا جُومًا عَلَى عِلَلِ الْفَرَائِبِ وَالِدُّخَالِ (٣)

رَأَيْتَكَ فِي الَّذِينَ أَرَى مُلُوكًا كَأَنَّكَ مُسْتَقِيمٌ فِي مُحَالٍ (٤)

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ (٥)

فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْفَزَالِ (٥)

* * *

(١) الحرب السجال : التي تكون مرة لك ومرة عليك . يقول : مثلك في غنى عن أن يصبر ويمزى ، فقد ألفت الخطوب وتمرت بشدائد الدهر وغمرات الحروب حتى تعودت الصبر وصرت تصبر الناس فصرت في غنى عن أن تصبر :

(٢) شتى جمع شتيت ، بمعنى متفرق . يقول : يتلون الزمان وتختلف حالاته عليك من الصفو والكدر ، ومع ذلك لا تتحول حالك من الصبر والكرم والحلم والرزانة ، فمالك لا تختلف وإن اختلفت أحوال الزمان ، كما قال الآخر :

لَا أُمْسِكُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ وَلَا يُغَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ

(٣) غاض الماء : قل ونضب ؛ وغيض الماء : فعل به ذلك . والجموم : الذي يزداد ماؤه وقتا بعد وقت ؛ و«على» : بمعنى مع ؛ والظرف : في موضع الحال من فاعل جموما والعلل : الشرب الثاني بعد النهل ؛ والفرائب : الإبل الغريبة التي ترد على الحوض وليست لأهل الحوض . والدخال : أن يدخل بعير قد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد شربا . يقول : على طريق الدعاء - لا نقصت بحارك يا بحرآ كثير الماء وإن وردت عليه الإبل الغريبة وعلت منه . وهذا تمثيل ؛ يريد لا ينقض عطاؤك وإن كثر العفاة والسائلون كما لا ينقص البحر الكثير الماء وإن كثر وراده ، أو تقول : لا ينقطع صبره على توالي المحن وشدتها . يدعوله بذلك

(٤) الهال : الموج ، من قولهم حالت القوس والعصا ونحوهما : إذا اعوجت بعد استواء . أنت بين الملوك كالمتقيم بين الموج : أى أنك تضاهم فضل المستقيم على الموج . وقوله في الذين أرى ملوكا : أى في الذين أراهم ملوكا ؛ فلوكا : مفعول ثان لأرى ؛ والمفعول الأول : الضمير المحذوف .

(٥) يقول : إن فضلت الناس وأنت واحد منهم فلا عجب ، فقد يفضل بعض الناس

وقال يمدحه ويذكر استنفاذه أبا وائل تغلب بن داود بن حدان العدوي من أسر
الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة :

إِلَامَ طَمَاعِيَةِ الْمَاذِلِ ، وَلَا رَأَى فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ (١)

جملته ، كالمسك - وهو بعض دم الغزال - وقد فضله فضلاً كثيراً . قال الواحدى :
قال أبو الحسن محمد بن أحمد العروف بالشاعر المغربي : كان سيف الدولة يسر بمن
يحفظ شعر المتنبي ، فأنشدته يوماً :

* رأيتك في الذين أرى ملوكا *

وكان أبو الطيب حاضراً فقلت هذا البيت والذي يتلوه لم يسبق إليه ؛ فقال سيف
الدولة : كذا حدثني الثقة أن أبا الفضل محمد بن الحسين قال كما قلت ، فأعجب المتنبي
واهتز ، فأردت أن أحرّكه ، فقلت إلا أن في أحدهما عيباً في الصنعة ، فالتفت المتنبي
الثقات حق فقال : ما هو ؟ فقلت قولك : مستقيم في محال ، والمحال ليس ضد الاستقامة ،
وإنما ضدّها الاعوجاج ؛ فقال الأمير : هب القصيدة جيمة ، فكيف تعمل في تغيير
قافية البيت الثاني ؟ فقلت عجلاً كرد الطرف :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن البَيْضُ بعضُ دم الدجاج
فضحك ، وضرب يده الأرض ، وقال : حسن مع هذه السرعة ، إلا أنه يصلح
أن يباع في سوق الطير ، لأنه مما لا يمدح به أمثالنا يا أبا الحسن .

(١) إلام : هي «إلى» الجارة ، و «ما» الاستفهامية ، وسقطت الألف من « ما »
طلباً للخفة وإعداداً يلى الجارة ، وكذلك يفعلون في : «م» و «فيم» ، و «عم» ،
و «علام» . و «حتم» . والماذل : اللأثم ؛ والواو- في «ولا رأى» حالية . و «الطماعية»
مصدر بمعنى الطمع ، كالكراهية والعلانية . يقول إلى متى يطمع العاقل في أن أستمع
كلامه والحب يقع اضطراباً لا اختياراً ، والعاقل لا يقع في شرك الحب برأيه واختياره
فلا معنى للوم فيه لأن الحب مغلوب على أمره ؟ وهذا منقول من قول بعضهم :

وما من فتى في الناس يُحَمَّدُ عقله فيوجدُ إلا وهو في الحب أحمقُ

قال العكبري : وهذا البيت ظاهره أن معنى عجزه غير متعلق بمعنى صدره ، وأين
قوله في ظاهره : ولا رأى في الحب ، من قوله : إلام طماعية ؟ قال : وفي تعلقه به وجوه
أحدها يريد إلام يطمع عاذلى في إصغائي إلى قوله ، والعاقل إذا أحب ، لم يبق له مع
الحب رأى يصنى به إلى قول ناصح فمهله غير مجد نعماً ؟ والثاني أن العاقل لا يرتى في

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ ^(١)
وَأِنِّي لَأَعْشَقُ مِنْ عَشِقِكُمْ نَحُولِي وَكُلِّ أَمْرِيءٍ نَاحِلِ ^(٢)
وَلَوْ زِلْتُمْ مُنْجِمٌ لَمْ أَبْكِكُمْ بَكَيتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ ^(٣)
أُيْنِكِرُ خَدْيَ دُمُوعِي وَقَدْ جَرَتْ مِنْهُ فِي مَسَلِكِ سَابِلِ ^(٤)

الحب فيقع فيه اختياراً ، وإنما يقع اضطراباً ، فلا معنى لعذله ، والثالث أن العاقل ليس من رأيه أن يورط نفسه في الحب وإنما ذلك من فعل الجاهل ؛ وعذله الجاهل أضيع من سراج في الشمس ؛ وكيف يطمع في نزوعه ؟

(١) يقول : يريد العاذل من قلبي أن ينساكم ويسلو عنكم وأنا مطبوع على حبكم ، فكيف أتقبل عن شيء طبعته عليه والطبع لا يقبل النقل ؟ وهذا كقول العباس بن الأحنف :

لَا تَحْسَبْنِي عَنْكُمْ مُقْصِراً إِنِّي عَلَى حُبِّكُمْ مَطْبُوعٌ

ويروى : ويأبى الطباع ، على أن الطباع مفرد ، بمعنى الطبع ، لا جمع طبع ، وجمعه طبع : ككتاب وكتب .

(٢) يقول : بلغ من عشقي لكم وحيي إياكم أني أحب نحولي فيكم لأن سببه حبكم ، وأحب كل ناحل من الناس في الحب لأنه يشبهني في أثر حبكم . قال ابن جني ، وفيه معنى قول أبي الشيص :

أَجِدُ اللَّامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلَيْلُنِي اللَّوْمُ

وهو معنى قول الآخر :

أَحِبُّ لِحَبْلِهَا السُّودَانَ حَتَّى أَحِبُّ لِأَجْلِهَا سَوْدَ الْكِلَابِ

(٣) زلتُمْ : بعدتم . يقول ، ولو فارقتموني ولم أبك على فراقكم سلوا عنكم لبكيت على ما زال من حيي إياكم ، يعني : أحبكم وأحب حبكم حتى لو ذهب عني الحب لبكيت على فراقه لا غتباطي بما ألاقه في هذا الحب . قال المنكبرى : وقوله ولو زلتُمْ وتعقبه في آخر البيت بالزائل : من أبواب البديع في الشعر .

(٤) المسلك السابل : الطريق الكثير المارة . يقول : كيف ينكر خدي ما يسيل عليه من الدموع وهو مسلك لها وهي تجري منه في طريق مذلل قد جرت فيه كثيراً فهو يسكن من ذلك إلى حال قد عرفها وألفها ؟

أَوَّلُ دَمْعٍ جَرَى فَوْقَهُ ، وَأَوَّلُ حُزْنٍ عَلَى رَاحِلٍ ^(١)
 وَهَبْتُ السَّلْوَ لِمَنْ لَامَنِي ، وَبِتُّ مِنَ الشَّوْقِ فِي شَاغِلٍ ^(٢)
 كَانَ الْجُفُونَ عَلَى مُقَلَّتِي ثِيَابٌ شُقِقْنَ عَلَى ثَاكِلٍ ^(٣)
 وَلَوْ كُنْتُ فِي أَسْرِ غَيْرِ أَلْهَوَى
 ضَمِنْتُ ضَمَانَ أَبِي وَائِلٍ ^(٤)
 فَدَى نَفْسَهُ بِضَمَانِ النَّضَارِ وَأَعْطَى صُدُورَ الْقَنَا الدَّابِلِ ^(٥)

(١) يقول : ليس دمعى الآن باول دمع جرى فوق خدى ، وليس حزنى على هذا الفراق بأول حزن على مفارق . يعنى أنه قديم العشق قد بكى كثيرا وحزن على فراق الأحبة .

(٢) يقول : تركت السلو لمن يلومنى على الوجد ، فهو حظه - لا حظى - إذ لى من الشوق شغل شاغل عن السلو واستماع لوم اللأم .

(٣) الثاكل : التى فقدت ولدها . يقول : تباعد ما بين جفونى سهرا فليست تلتقى النوم ، فكأنها ثياب ثاكل شقت . يعنى : إنى فقدتهم وفقدت النوم بعدهم ، فكأن جفونى شقت لفقدهم كما تشق الثاكل ثوبها من الحزن ، وهذا كقوله الآتى :
 قَدْ عَمَّ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانًا

قال العكبرى : شبه مقلتيه فى حزنهما بتلك الثاكل فى وجدها ، وتبعد السهر لما بين جفونهما بتشقيق الثاكل الثياب حدادا ، وهذا مما شبه فيه شيثان بشيئين ، وهو من أرفع وجوه البديع . وأخذ المهلبى الوزير هذا المعنى فقال :

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمَنِي فَمَا تَلْتَقَى إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(٤) أبو وائل : هو ابن عم سيف الدولة ، وقد خرج إلى وصفه أحسن خروج . يقول : لو كان الذى أسرنى شيثا غير الحب لخرجت من أسره بحيلة وضمان كما فعل أبو وائل ، إذ ضمن للخارجى الذى أسره مالا حتى خرج من أساره ، وقد بين ذلك فيما لى .

(٥) النضار : الذهب ؛ والقنا الدابل : الرماح ، والرمح يوصف بالذبول لقينه . يقول : ضمن لهم الذهب ثم أعطى بدل الذهب صدور الرماح ، وذلك أن سيف الدولة استنقذه من أيديهم بغير فداء ، إذ أتى الخارجى بجيشه وقتله وأخذ أبا وائل .

وَمَنَّا مُ الْخَيْلَ مَجْنُوبَةً فَجِئْنَا بِكُلِّ فِتْنٍ بَاسِلٍ (١)
 كَانَ خَلَاصَ أَبِي وَائِلٍ مُعَاوَدَةُ الْقَمَرِ الْآفِلِ (٢)
 دَعَا فَسَمِعَتْ وَكَمْ سَاكِتٍ عَلَى الْبُعْدِ عِنْدَكَ كَالْقَائِلِ (٣)
 فَلَبَّيْتُهُ بِكَ فِي جَحْفَلٍ لَهُ ضَامِنٍ وَبِهِ كَافِلٍ (٤)
 خَرَجْنَا مِنَ النَّعْجِ فِي عَارِضٍ وَمِنْ عَرَقِ الرَّكْضِ فِي وَائِلٍ (٥)
 فَلَمَّا نَشَفْنَا لَقَيْنَا السَّيَاطَ
 بِمَثَلِ صَفَا الْبَلَدِ الْمَاحِلِ (٦)

(١) مناه الشيء : جعله أمنيّة له ؛ والأمنيّة : ما يتمنى . والمجنوبة : الخيل التي لا تركب وإنما تجنب للحاجة إليها . والباسل : الشجاع . يقول : أعطاهم مناهم فوعدهم أن تقاد إليهم الخيل في فدائه ، فجاءت الخيل ولكن تحمل الفرسان لمحاربتهم .

(٢) أفل القمر : غاب . يقول : كنا بعد أسره كأبنا في ظلمة ، فلما عاد إلينا كان كموادة القمر بعد أفوله .

(٣) يخاطب سيف الدولة . يقول : دعاك لا استنقاذه فأجبتّه ، ولو سكت لما قعدت عنه ولما غفلت ، فكَمْ سَاكِتٍ وهو بعيد عنك لم تغفل عنه حتى كأنه قائل يسألك حاجة؟ وبعبارة أخرى : دعاك على بعد محله فأجبتّه على انتزاع مستقره ، ورب سَاكِتٍ بعده عنك ، كالمخاطب لك ، لما يوجه كرمك من اهتمامك بشأنه ، واعتناؤك بأمره .

(٤) بك : أى بنفسك : والجحفل : الجيش . يقول : فجعلت إجابته أن أتيتّه بنفسك في جيش عظيم ضمن له استنقاذه وكفل برده إلى مكانه .

(٥) النعج : الغبار ؛ والعارض : السحاب ؛ والوايل : المطر الكثير ؛ وخرجنا : أى الخيل . يقول : خرجت الخيل للحرب فكانت من الغبار في سحاب ومن العرق في مطر .

(٦) الصفا : الصخر . والماحل : الذى لم يطر . يقول : لما نشفت الخيل من العرق تلقت السيّاط من أعجازها بمثل الصخر الذى لا ندوة به ، يعنى أنها لم تسترخ ولم تضعف لما لحقها من التعب ، وإنما كانت صلبة تضرب بالسيّاط فتقع من جلودها على مثل صخر البلد الماحل .

شَفَنَ يَحْمَسِي إِلَى مَنْ طَلَبَنَ قُبَيْلَ الشُّفُونِ إِلَى نَازِلٍ (١)
فَدَانَتْ مَرَافِقُهُنَّ الثَّرَى عَلَى نَفَقَةِ بَالِدَمِ الْفَاسِلِ (٢)
وَمَا بَيْنَ كَاذَتِي الْمُسْتَفِيرِ كَمَا بَيْنَ كَاذَتِي الْبَائِلِ (٣)

(١) يقال شفت الرجل : إذا نظرت إليه بمؤخر عينك ، أو نظرا في إعراض ،
وأنشد الجوهري للقطامي :

يُسَارِقَنَّ الْكَلَامَ إِلَى لَمَّا حَسِسَنَ حِذَارَ مُرْتَقِبِ شَفُونِ
قال : وهو الفيور .. والمراد هنا : النظر . يقول : نظرت الخيل إلى أبي وائل -
الذي كانت جادة في طلبه - قبل النظر إلى نازل عن ظهورها ، يعنى أن فرسان هذه
الخيل لم يزلوا عن ظهورها خمس ليال حتى بلغوا أبا وائل في ركضة واحدة وأوقفوا
بالقوم الذين أسروه .

(٢) دانت : فاعلت . من الدنو : أى قاربت . والثرى : التراب ؛ يقول فساخت
قوائمها في التراب إلى مرافقها ثقة بأن الدم الذى سيفسكه فرسانها سيفسلها ويزيل
عنها ذلك التراب ، وروى بدل الثرى : البرى ، وهو التراب قال مدرك بن حصن الأسدي
مَاذَا ابْتَفْتُ حُبِّي إِلَى حَلِّ الْعُرَى حَسِبْتَنِي قَدْ جِئْتُ مِنْ وَادِي الْقُرَى
بِفَيْكِ مِنْ سَارٍ إِلَى الْقَوْمِ الْبَرَى (١)

والبرية منه لأنهم من التراب ، فهو على هذا غير مهموز ، تقول براه الله يروه برواً
أى خلقه ؛ وقيل : البرية الخلق ، وأصله المهمز ، يقال براه الله .

(٣) الكاذة : لحم الفخذ ؛ والمستفير : الذى يطلب الغارة . والبائل : الذى
يتفجع - يباعد ما بين رجليه - ليبول . يقول : إن هذه الخيل المستفيرة على هؤلاء
الحوارج كانت لشدة العدو - الجرى - تفجع كما يتفجع البائل لثلا يصيه البول . ويجوز
أن يريد - كما قال الواحدى - أنها تعرق في عدوها حتى يسيل العرق بين أرجلها
كأنها تبول .

(١) يقال في الدعاء على الإنسان بفيه البرى ، كما يقال بفيه التراب ؛ ومن دعائهم .
بفيه البرى ، وحى خيرا ، وشر ما يرى ، فإنه خيسرا

فَلَقَيْنَ كُلَّ رُدَيْنِيَّةٍ وَمَضُوجَةٍ لَيْنَ الشَّائِلِ^(١)
وَجَيْشَ إِمَامٍ عَلَى نَاقَةٍ صَحِيحِ الْإِمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ^(٢)
فَأَقْبَلْنَ يَنْحَزْنَ قُدَامَهُ نَوَافِرَ كَالنَّحْلِ وَالْعَاسِلِ^(٣)
فَلَمَّا بَدَوْتَ لِأَصْحَابِهِ رَأَتْ أَسْذَاهَا آكِلَ الْآكِلِ^(٤)

(١) الردينية : الرماح ، تنسب إلى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح . والمضبوحة :
الفرس التي تسقى اللبن صباحاً لكرامتها على أهلها ؛ والشائل : يريد بها الشائلة ،
خذف الماء ، وهي الناقة التي قل لبنها وخف ومرؤ ونجع في شاربها ، ولا يسقاه إلا
كرأم الخيل ؛ قال ابن القطاع . خذف الماء لإقامة الوزن ، والشائلة . التي مر عليها
من وقت نقاجها سبعة أشهر خفف لبنها ، وجمعها شول ، والشائل - بلاهاء - التي تشول
بذنبها ولا لبن لها ، وجمعها شول : كرا كع وركع . . قال ابن جني . سألت المتنبي عن
قوله الشائل وقلت له الشائل لا لبن لها ، وإنما التي لها بقية من لبن يقال لها الشائلة
بلاهاء ، فقال أردت الماء وحذفتها ، كقول كثير .

لَعَمْرِي لَيْنُ أُمِّ الْحَكِيمِ تَرَحَّلْتُ وَأَخْلَتْ نَحِيَّاتِ الْعُذَيْبِ ظِلَالَهَا
أراد العذبية ، خذف الماء . يقول المتنبي : إن خيل سيف الدولة استقبلت من
الخارجي بالرماح الردينية وبالحيل التي تسقى لبن النياق صباحاً لكرمها .

(٢) وجيش : عطف على كل - في البيت السابق - والمراد بالإمام : الخارجي .
يقول : ولقيت هذه الخيل جيش إمام في قومه صحيح الإمامة عليهم ، إذ سلموا له
الإمامة ولكنه إمام المبطلين . . . وإنما لكلمة بارعة قوله صحيح الإمامة في الباطل .
وقال ابن جني : معناها قد صح أن إمامته باطلة لاشك في ذلك . والتفسير الأول أوجه .

(٣) ينحزن : من الانحياز ، وهو كالانهزام ، الانضمام إلى جانب . والعاسل :
الذي يجنى العسل من خلايا النحل . قال شارحو الديوان جميعاً . أى أقبلت خيل
الخارجي تنفر وتهرب من جيش سيف الدولة نفور النحل من العاسل . وقال اليازجي .
أى إن خيل المدوح انحازت أمام هذا الجيش ونفرت منه كما ينفر النحل من العاسل .
يشير إلى كثرة هذا الجيش وما ألقاه من الهول على جيش سيف الدولة ، وهو
الأظهر والأوجه .

(٤) يقول ، فلما ظهرت لأصحاب الخارجي رأى شجعانهم منك شجاعاً يأكلهم
ويفنيهم ، يعنى كنت أشجع منهم وإن كانوا متجمعين

بِضَرْبِ يَمُومٍ جَارٍ لَهُ فِيهِمْ قِسْمَةُ الْعَادِلِ ^(١)
وَطَمَنٍ يُجْمَعُ شَذَائِهِمْ كَمَا اجْتَمَعَتْ دِرَّةُ الْحَافِلِ ^(٢)
إِذَا مَا نَظَرْتَ إِلَى فَارِسٍ تَحَيَّرَ عَنْ مَذْهَبِ الرَّاجِلِ ^(٣)
فَظَلَّ يُخَضَّبُ مِنْهَا اللَّحَى فَتَى لَا يُعِيدُ عَلَى النَّاصِلِ ^(٤)
وَلَا يَسْتَفِثُ إِلَى نَاصِرٍ وَلَا يَتَضَعُّعُ مِنْ خَاذِلِ ^(٥)
وَلَا يَزَعُ الطَّرْفَ عَنْ مُقَدِّمٍ وَلَا يَرْجِعُ الطَّرْفَ عَنْ هَائِلِ ^(٦)

(١) يقول : إن أكلك إياهم كان بضرب أتى عليهم جميعاً ، وأنت وإن بالغت في الضرب وأسرفت إسراف الجائر - الظالم - إلا أنك قسمت الضرب بينهم قسمة العادل ؛ إذ لم ينفلت منهم أحد ، وهو معنى بديع . وقال ابن جنى : هذا الضرب وإن كان لإفراطه جوراً فهو في الحقيقة عدل لأن قتل مثلهم عدل وقربة إلى الله ؛ وفي معناه لحبيب :
أَنْ لَسْتَ نِعَمَ الْجَارِ لِلْسُّنَنِ الْأَلَى إِلَّا إِذَا مَا كُنْتَ بَشْسَ الْجَارِ ^(١)

(٢) الشذان : للفرقون ؛ والدرة : اللبّ إذا كثرت وسال ؛ والحافل . التي حفلت
ضرعها ؛ أي امتلأ باللبّ . يقول : إن هذا الضرب لم يتخلص منه شاذ ولا نافر ، بل
اجتمعوا فيه اجتباع اللبّ في الضرع ، وبعبارة : جمع متفرقهم بشدته وحصرهم بمخافته ،
كجمع الضرع لدرته .

(٣) يقول : إذا نظرت إلى الفارس - وهو أقدر على الفرار من الراجل - تحير
فرعاً منك وهيبة فلم يقدر على الهرب منك ، وأن يذهب ولو ذهاب الواحد من الرجالة .
(٤) الناصل : الذي ذهب خضابه . يقول : فظل سيف الدولة يخضب من الأعداء
الحام بدمائهم ، غير أنه لا يعيد الخضاب على من نصل خضابه فذهب يعني أنه إذا ضرب
إنساناً بسيفه لم يبق فيه ما يحتاج إلى إعادة الضربة .

(٥) يقول : إنه مستغن بقوته عن ينصره فلا يستنصر أحداً مستغنياً إليه ولا يهزج
ولا يستكين من خذلان من يخذله ، لأنه من نفسه الكبيرة في جيش .

(٦) يزع : يكف ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والمقدم : مصدر ، أو اسم مكان ؛
أي عن إقدام أو عن محل إقدام ؛ والطرف : النظر . والهائل الأمر العظيم الخفيف .

(١) بشس الجار : يريد للكفار .

إِذَا طَلَبَ التَّبَلَّ لَمْ يَشَأْ^(١) وَإِنْ كَانَ دَيْنًا عَلَى مَا طَلَّ^(٢)
 خُذُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ وَأَعْذِرُوا فَإِنَّ الْغَنِيَّةَ فِي الْعَاجِلِ^(٣)
 وَإِنْ كَانَ أَغْجَبَكُمْ عَامُكُمْ فَعُودُوا إِلَى حِمَصٍ مِنْ قَابِلٍ^(٤)
 فَإِنَّ الْحَسَامَ الْخَضِيبَ الَّذِي قُتِلْتُمْ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ^(٥)
 يَجُودُ بِمِثْلِ الَّذِي رُمْتُمْ فَلَمْ تَذَرِكُوهُ عَلَى السَّائِلِ^(٦)
 أَمَامَ الْكِتْيَبَةِ تَزْهَى بِهِ مَكَانَ السَّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ

يقول : ولا يسبح فرسه عن إقدام أو عن شيء يقدم عليه ؛ أى لا يخاف شيئاً ولا يخشى أحداً فيرتد ويرجع ، ولا يهوله شيء فيرد طرفه - نظره - عنه .

(١) التبل : الثأر ؛ و«لم يشأ» : لم يسبقه : يقول : إذا طلب ترة - ثأراً - لم تفته وإن كانت متمتعة صعبة الحصول كالدين عند الماطل ؛ وإن طال العهد .

(٢) يستهزئ بهم . يقول : اعذروه فيما أتاكم به من ضمان أبى وائل وخذوه فإن الغنم فيما عجل لكم ، وما تأجل وتأخر لعله لا يصل إليكم . . . والذي أتاكم به هو الوقعة بهم .

(٣) حمص : كانت موضع الواقعة ، ومن قابل : أى العام القابل . يقول : إن كان قد حصل لكم مرادكم في عامكم هذا من قصد حمص فعودوا في السنة التالية ليعود إليكم القتال . . .

(٤) الحسام : السيف القاطع . والخضيب : الخضوب . يقول : فإن السيف الذى خضب بدمائكم وقتلتم به لا يزال فى يد من قتلكم به ، ففى عدتم لقيتم فى المرة الثانية كما لقيتم فى الأولى .

(٥) على السائل : متعلق ب«يجود» : يقول : هو جواد يجود على سائله بمثل الذى طلبتموه من الضمان فلم تتركوه لأنكم طلبتموه لاعن طريق السؤال فكان منه لكم ما كان .

(٦) الكتيبة : الجماعة من الجيش ؛ والظرف : حال عن الضمير المستكن فى الخبر بعد - وهو قوله : مكان السنان ، فإنه خبر عن محذوف ، هو ضمير المدحوخ - وتزهى : تتفخر ؛ والجملة : حال من الكتيبة ؛ والعامل : صدر الرمح . يقول : هو من عساكره

وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ آمِلٍ قِتَالًا بِكُمْ عَلَى بَازِلٍ ^(١)
 أَقَالَ لَهُ اللَّهُ لَا تَلْقَهُمْ بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلٍ ^(٢)
 إِذَا مَا ضَرَبْتَ بِهِ هَامَةً بَرَاهَا وَغَنَّاكَ فِي الْكَاهِلِ ^(٣)
 وَلَيْسَ بِأَوَّلِ ذِي هَمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّائِلِ ^(٤)
 بِشَمْرٍ لِّلْجِ عَنْ سَاقِهِ وَيَقْمَرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ ^(٥)

الذين يفتخرون به بمكان السنان من عامل الرمح ، فهو يتقدمهم كما يتقوم السنان الرمح ، وهو الطاعن ، وهم بدونه لا يغنون شيئاً .

(١) البازل من الإبل : الذي قد فطرنا به وظهر في السنة التاسعة ، وجمل بازل وناقة بازل ، بلفظ واحد : وكان الخارجي قد ركب ناقة ، وهو يشير بكفه يمث أصحابه على القتال ، فهو يقول . إني لأعجب ممن يؤمل ظفرا بتحريك كم وركوب ناقة ١

(٢) بماض : أى بسيف ماض : أى قاطع ؛ والحائل من الحيل : القى لم تحمل ، وإذا حالت الفرس فهو أشد لها . يقول : هل أوحى الله سبحانه إليه أن لاتلقى جيش سيف الدولة بسيف على فرس ؟ وقد كان هذا الخارجي يدعى النبوة ويقول : لا آتى إلا ما أمرنى الله به . فقال المتنبي : آله أمره أن لا يأخذ للحرب عدتها ؟

(٣) الهامة : الرأس . وبراهها : قطعها . والكاهل : أعلى مجتمع الكتفين يقول : هل قال الله له لاتلقهم بسيف إذا ضربت به رأساً قطعه ووصل إلى عظم الكاهل حتى يسمع صوته من قطعه ؟ وجعل ذلك الصوت كالغناء منه كما قال أبو نواس :

إِذَا قَامَ غَنَّتْهُ عَلَى السَّاقِ حَلِيَةٌ لَهَا خَطْبُوهُ وَسُطَّ الْغِنَاءُ قَصِيرٌ

« يعنى بالحلية : القيد » فنقل المتنبي وصف القيد إلى السيف .

(٤) يقول : ليس الخارجي بأول من دعتهمته إلى مالائنه ؛ وكان هذا الخارجي يطمع في الخلافة والملك .

(٥) اللج : معظم الماء ؛ والبيت مثل . يقول إن هذا الخارجي فيما يعالجه من مقاومة جيوش سيف الدولة وعجزه عن أقلها ؛ أو أنه في ادعائه النبوة وطعمه بها في الخلافة ثم عجزه عن سيف الدولة - وهو أحد أمراء الإسلام - كمن يريد أن يقتحم لجة البحر والوج يغمره في ساحله ؛ يعنى أنه يتعرض للصعب الكبير وهو يعجز عن السهل الصغير .

أَمَّا لِلْخِلَافَةِ مِنْ مُشْنِقٍ عَلَى سَيْفٍ دَوَّلَتِهَا الْفَاصِلُ ^(١)
يَقْدُ عِدَاهَا بِلَا ضَارِبٍ وَيَسْرِي إِلَيْهِمْ بِلَا حَامِلٍ ^(٢)
تَرَكَتْ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا وَمَا يَتَخَلَّصَنَّ لِلنَّاحِلِ ^(٣)
فَأَنْبَتَ مِنْهُمْ رَيْعَ السَّبَاعِ فَأَنْتَنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّائِلِ ^(٤)
وَعُدَّتْ إِلَى حَلَبٍ ظَافِرًا كَعَمُودِ الْحُلِيِّ إِلَى الْعَاطِلِ ^(٥)
وَمِثْلُ الَّذِي دُسَّتُهُ حَافِيَا يُؤَثِّرُ فِي قَدَمِ النَّاعِلِ ^(٦)

(١) الفاصل : القاطع ، و يروى : الفاضل ، يقول أما أحد يشفق على سيف دولة الخلافة ويبقى عليه ويحول بينه وبين كثرة الحروب خشية أن يصيبه سوء فتبقى الخلافة ولا سيف لها ؟

(٢) هذا بيان لسبب وجوب الإشفاق عليه . يقول : هو سيف لهذه الدولة لكنه يقطع الأعداء من غير أن يضرب به ويسرى إليهم غير محمول ؛ يعنى إذا افتقر السيف إلى من يضرب به كان هو منفرداً بفعله ، وإذا التبعاً إلى من يحمله كان مكتفياً بنفسه ؛ والعنى أنه المستقل بالحماية عن الخلافة الناهض بنصرتها بنفسه .

(٣) النقا : الكتيب من الرمل . يقول : دست رءوس أصحاب الخارجى بمخوافر الحيل فطحتنها وامتزجت بالرمل حتى لو نخل الرمل لم يتخلص من رؤوسهم شيء .

(٤) يقول : تركتهم جزراً للسباع فأخصبت بكثرة القتلى ، فكأنك أنبت لها ريعاً بما وسعت عليها من لحومهم ؛ فلو قدرت السباع لأنفت عليك بما شملتها من إحسانك

(٥) الحلى : جمع حلى ، ما يزين به ؛ والعاطل : الذى لا حلى عليها . يقول : وانصرفت إلى دار ملكك — حلب — بعد الظفر بأعدائك كما تعود الحلى إلى من لا حلى لها ، أى أن زينة حلب بك .

(٦) الناعل : ذو النعل ، كما أن الدارع ذو الدرع ، وفى المثل : أطرى إنك ناعلة ^(١) يقول : إن ما فعلته وأنت غير متأهب له يعجز عنه المتأهب ؛ جعل الخافى مثلاً لمن لم يتأهب والناعل مثلاً للمتأهب .

(١) قال أهل اللغة : هذا المثل يقال فى جلادة الرجل ، ومعناه اركب الأمر الشديد فإنك قوى عليه ؛ وأصل هذا : أن رجلاً قاله لراعية له وكانت ترعى فى السهولة وتترك الحزونة ، فقال لها : أطرى — أى خذى فى أطرار الوادى — وهى نواحيه — فإنك ذات نعلين . قال الجوهري : وأحسبه عنى بالنعلين : غلظ جلد قدمها .

وَكَمْ لَكَ مِنْ خَبَرٍ شَائِعٍ لَهُ شِيَةُ الْأَبْلَقِ الْجَائِلِ ^(١)
 وَيَوْمَ شَرَابُ بَيْتِهِ الرَّدَى بَغِيضُ الْخُضُورِ إِلَى الْوَاغِلِ ^(٢)
 تَفَكُّ الْعَنَاءَ وَتُنْفِي الْعُقَاةَ وَتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ الْجَاهِلِ ^(٣)
 فَهَنَّاكَ النَّصْرَ مُعْطِيكَهُ وَأَرْضَاهُ سَقِيكَ فِي الْآجِلِ ^(٤)
 فَذِي الدَّارِ أَخُونُ مِنْ مُوسَى وَأَخْذَعُ مِنْ كِفَّةِ الْخَالِلِ ^(٥)

(١) الشية : لون يخالف بقية لون الجلد ؛ والأبلى : الذى فيه سواد ويبيض ؛ والجائل الذى يجول بين الصفتين . يقول : كم لك من خبر انتصار وظفر شاع واشتهر اشتهار الغية فى الفرس الأبلق حين يجول بين الخيل .

(٢) الواغل : الداخلى على القوم فى شراهم من غير أن يدعى ، أما الذى يدخل على القوم فى طعامهم فهو الوارش . يقول : وكم لك من يوم حمى فيه الوطيس وتعاطى بنوه كؤوس المنية فأبغض الواغل حضور مثله ، وتكره المشاركة فى ذلك الشراب ، وهذه استعارة جميلة .

(٣) العناء : جمع عان ، الأسير ؛ والعفاة : جمع عاف ، السائل . يقول : ديدنك فك الأسرى ، وإغناء السائلين . والعفو عن المذنبين .

(٤) معطيكه : معطيك إياه ، والآجل : ما قابل العاجل . والآجل فى غير هذا الموضع : من قولهم أجل عليهم شرا يأجله أجلا : خبأه وهيجه ؛ قال توبة ابن مضر العيسى :

وَأَهْلَ خِيَاءٍ آمَنِينَ لِحَقَّتْهُمْ بِشَىْءٍ عَزِيزٍ عَاجِلٍ أَنَا آجِلُهُ
 وَأَقْبَلْتُ أَسْمَى أَسْأَلَ الْقَوْمَ مَا لَهُمْ سُؤَالَكَ بِالشَّيْءِ الَّذِى أَنْتَ جَاهِلُهُ
 د أنا آجله : أى جانيه ؛ وقد كان مريضاً يتضاربون ، فاستغاه بعضهم على بعض ، فضرب صيباً منهم فمات ، ثم جاء إلى أهل المقتول يسألهم عن الخبر كأنه جاهل به ، يدعو المتنبي له بأن الله الذى أعطاه النصر على الأعداء يجعله هنيئاً له وأن يرضى عنه فى الآخرة بسعيه .
 (٥) المومس والمومسة : الفاجرة . والكفة : الحباله ، أى الشرك ؛ والخابل : الصائد ذو الحباله . يقول : إن هذه الدنيا خوانة لأصحابها كالومس لا تقيم على خليل ، وهى أخدع من حباله الصائد التى تصرع من اطمأن إليها .

تَفَانَى الرَّجَالُ عَلَى حُبِّهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلٍ ^(١)

وسار سيف الدولة إلى الموصل لنصرة أخيه ناصر الدولة ، لما قصدته معز الدولة الديلمي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فقال أبو الطيب :

أَعْلَى الْمَالِكِ مَا يُبْنَى عَلَى الْأَسْلِ وَالطُّعْنُ عِنْدَ مُحِبِّينَ كَالْقَبْلِ ^(٢)
وَمَا تَقَرُّ سَيْوْفٌ فِي تَمَالِكِهَا حَتَّى تُثْقَلَ دَهْرًا قَبْلُ فِي الْقَلْلِ ^(٣)
مِثْلُ الْأَمِيرِ بَنَى أَمْرًا فَقَرَّبَهُ

طُولُ الرَّمَاكِ وَأَيْدِي الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ ^(٤)

(١) الطائل : كل شيء يرغب فيه أو مافيه غناء . يقول : تفانى الناس في التشاح على الدنيا ولم يحصلوا على شيء ، لأنها تأخذ ما تعطى ، وتهدم ما تبني وتعر بعد حلاوتها ، وتعوج بعد استقامتها ، قبضها الله وقبح من تهالك عليها .

(٢) الأسل : الرماح . يقول : أعلى الممالك رتبة ما أخذ اقتسارا وغلابا ، لا ما جاء عفوا ، ومن أحب الممالك كان الطعن عنده كالقبول : أي يستلذ الطعن استلذاذ القبول وعجز البيت من قول أبي تمام :

يَسْتَعْذِبُونَ مِنْ أَيَّامِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَبْأَسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا
والذي يؤخذ من كلام العكبري أن الضمير في محبين للطعن — على أنه جمع طعنة وإلا لقال عند محبيه ؛ والأظهر عوده إلى الممالك — جمع مملكة — سلطان الملك في رعيته .

(٣) ثقل : تحرك حركة عنيفة ؛ والثقل : جمع قلة ، أعلى الرأس ؛ من قلة الجبل يقول : لا تستقر السيوف في الممالك حتى تتحرك زمانا في رهوس الأعداء ، يريد لا يثبت لك الملك حتى تقطع رهوس المعادين لك . قال العكبري : وأشار بذلك إلى انصرف الديلمي عن الموصل بغير حرب هية لسيف الدولة ، قال : وفيه نظر إلى قول حبيب :

سَأَجْهَدُ عَزْمِي وَالْمَطَايَا فَإِنِّي أَرَى الْعَفُولَا يُتِمَّاحُ إِلَّا مِنَ الْجَهْدِ

ونصب دهرًا على الظرفية ورفع قبل لأنه لما قطع عن الإضافة بناء على الضم .

(٤) يقول : مثلك إذا حاول أمرا بعيد النال قربته عليه الرماح وأيدي الخيل والمطايا يعني أنه لا يتعذر عليه أمر طلبه لأنه يتمكن منه بماله من العدة والاعتزام الذي ذكره في البيت التالي .

وَعَزْمَةٌ بِمَقْتَنَاهَا هِمَّةٌ زُحْلٌ

مِنْ تَحْتِهَا بِمَكَانِ التَّرْبِ مِنَ زُحْلٍ ^(١)
 عَلَى الْفُرَاتِ أَعَاصِيرٌ وَفِي حَلَبٍ تَوْحُشٌ يَلْتَقِي النَّصْرُ مُقْتَبِلٌ ^(٢)
 تَتْلُو أَسِنَّتُهُ الْكُتُبَ الَّتِي نَفَذَتْ وَيَجْعَلُ الْخَيْلَ أَبْدَالًا مِنَ الرُّسُلِ ^(٣)
 يَلْتَقِي الْمُلُوكُ فَلَا يَلْتَقِي سِوَى جَزَرٍ وَمَا أَعْدُوا فَلَا يَلْتَقِي سِوَى نَفْلِ ^(٤)
 صَانِ الْحَلِيفَةِ بِالْأَبْطَالِ مُهْجَتُهُ صَيَانَةُ الذِّكْرِ الْهِنْدِيِّ بِالْخِلَلِ ^(٥)

(١) عزمة : عطف على طول الرماح ؛ وزحل : مبتدأ ؛ خبره : بمكان الترب ؛
 والجملة : نعت همة . يقول : وقربها عليه عزمة حركتها تملو على زحل - الكوكب
 المعروف - بقدر علو زحل عن التراب .

(٢) الأعاصير : جمع إعصار ، الريح تلتف بالغبار وتعلو مستطيلة ؛ والتوحش :
 بمعنى الوحشة . ويريد يلتقي النصر : سيف الدولة ؛ أى يلتقي النصر جيشاً قصد : أى
 يستقبل به : ومقتبل : قال الواحدى : أى حسن تقبله العيون ، وقيل من قولهم رجل
 مقتبل الشباب : أى ليس عليه للكبر أثر . يقول : على الفرات - النهر المعروف - رباح
 تثير الغبار لمكان جيش أخيك ناصر الدولة ، وفي حلب وحشة لأنك بعدت عنها .

(٣) تلو : تتبع ؛ ونفذت : مضت ، والأبدال : جمع بدل . يقول : إن رماحه
 تتبع كتبه إلى أعدائه فهو يندرم أولاً ، فإن لم يطعموه صد إليهم بجيوشه ، ويجعل الخيل
 بدلا من الرسل : أى لا يستجلب طاعتهم إلا بالإكراه ، فليست كتبه لاستصلاح أو
 استعاب وإنما هى للإعلام بأنه قادم ، لأنه لا يجب الظفر اغتيا لاوماراة لثقتة بنفسه
 وهذا من قول الفرزدق :

شديدُ الحياءِ لا يَخَاتِلُ قِرْنَهُ وَلَكِنَّهُ بِالصَّحْصَحَانِ يَنَازِلُهُ

وقول صريع الغواني :

مَنْ كَانَ يَخْتَلِ قِرْنًا عِنْدَ مَوْقِفِهِ فَإِنْ قَرْنَ عَلَى غَيْرٍ مَخْتَلٍ

(٤) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، ويقال تركوهم جزرا : إذا قتلوهم ؛ وما أعدوا
 عطف على الملوك . والنفل : الغنيمة يقول : إنه يلتقي الملوك الذين يخالفونه فيوقع بهم
 وبجيوشهم ، فلا يكونون إلا مأكلا للسباع ولا تكون أسلابهم إلا غنيمة لأصحابه .
 (٥) الضمير فى مهجته : لسيف الدولة ؛ والذكر : من أوصاف السيف ؛ والهندي

الْفَاعِلُ الْفِعْلَ لَمْ يُفْعَلْ لِشِدَّتِهِ وَالْقَائِلُ الْقَوْلَ لَمْ يُتْرَكَ وَلَمْ يُقَلْ^(١)
وَالْبَاعِثُ الْجَيْشَ قَدْ غَالَتْ عَجَاجَتُهُ ضَوْءُ النَّهَارِ فَصَارَ الظُّهْرُ كَالظُّفْلِ^(٢)
أَلْجَوْ أَضْيَقُ مَا لَقَاهُ سَاطِعُهَا وَمُقَلَّةُ الشَّمْسِ فِيهِ أَحْيَرُ الْمُقَلِّ^(٣)
يَنَالُ أَبْعَدَ مِنْهَا وَهِيَ نَازِرَةٌ فَمَا تَقَابَلُهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ^(٤)

السيف ؛ والخلل أغشية الأغمد يقول : إن الخليفة أكرمه فصانه بما وجه إليه من من الأبطال والرجال كما يسان السيف الهندي بالخلل . وعبرة العكبري : لما علم الخليفة أنه سيفه الذي يسطوبه صانه وحفظه بالأبطال الذين أثبتهم في رسمه والحماة الذين اختارهم لحفظه ، كما يسان السيف الكريم بالأغمد التي يتخلل فيها ، والجفون التي يحفظ بها ؛ وأشار بهذا إلى أن الخليفة شرفه بتلقيه بسيف الدولة .

(١) يقول : إنه يفعل ما لم يفعله أحد لصعوبته على من يحاوله فهو قد آتى به بكراً ويكون أبا عذرة ذلك الفعل ، ويقول ما لم يقله أحد في بلاغته وجزالته ولم يترك أيضاً لأن كل بليغ يريد أن يأتي بمثله فهو يقصده ويتكلفه ولا يقدر عليه . قال العكبري : من روى الفعل ؛ بالنصب أراد : يفعل الفعل ويقول القول ، لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل ؛ ومن روى بالجزم جملة مضافا : كقوله تعالى « والمقيمي الصلاة » .

(٢) غاله يقول : ذهب به ؛ وأصله الإهلاك ، والمعجاجة : الغبرة ؛ والطفل : وقت غروب الشمس . يقول : يبعث إلى أعدائه الجيش الكثيف الذي يستر ضوء الشمس بشاره حتى يصير الظهر كوقت الطفل ؛ وهذا إشارة إلى كثرة جيشه .

(٣) الساطع : المنتشر ؛ والضمير المضاف إليه : للمعجاجة . يقول : إن ماسطح من غبار هذا الجيش ملائكل فضاء ، فكان الجو أضيق شيء به ، لأنه على سعته ملائكل حتى ساوى أضيق ما فيه ، وكانت عين الشمس فيه أحير العيون ، لأنه بلغ إليها وأحاط بها ؛ وكل هذا مبالغة . وعبرة العكبري : ما بعد من الهواء أضيق بساطع هذا الغبار بما قرب ، لأنه فيه تجتمع جملة وتتراق كثرتة ، وما قرب فإنما يرد الشيء بعد الشيء فينتجى منه ولا يجتمع ، وعين الشمس أحير العيون بقربها من مستقره ودنوها من مجتمعه

(٤) يقول : إن سيف الدولة ينال أبعد من الشمس وهي ترى ذلك لما تقابله إلا على خوف أن ينالها أيضاً لو قصدتها ، لأنها ترى أنه مظفر يدرك ما يقصده . وقال من الشراح : يريد أن هذا الغبار بتتابعه واتصاله وترادفه يعلو على الشمس مع ارتفاع

قَدْ عَرَضَ السَّيْفَ دُونَ النَّازِلَاتِ بِهِ
وَذَا هَرَّ الْحَزْمَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْغَيْلِ ^(١)
وَوَكَّلَ الظَّنَّ بِالْأَسْرَارِ فَأُنْكَشَفَتْ لَهُ ضَمَائِرُ أَهْلِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ ^(٢)
هُوَ الشَّجَاعُ يَعْدُ الْبُخْلَ مِنْ جُبْنٍ وَهُوَ الْجَوَادُ يَعْدُ الْجُبْنَ مِنْ بَخَلٍ ^(٣)

موضعها وهى ناظرة إليه غير مساوية فى الارتفاع له فتقابلة وجلة من ذهابه بنورها ، وهذا كله إشارة إلى عظم الجيش وكثرته .

(١) عرضه : جعله معترضا ؛ والنازلات : النوائب ؛ ويقال ظاهر بين ثوبين : إذا لبس أحدهما فوق الآخر ، وأصله المعاونة . والغيل : جمع غيلة ، اسم من الاعتيال ؛ يقال قتل فلان غيلة : أى اغتيالا . يقول : جعل سيفه معترضا بينه وبين نوائب الدهر فلا تصل إليه واستعان بالحزم فى دفع الهلاك عن نفسه وأقامه حاجزا بينهما . أى تحصن بحزمه كما يتحصن بالدرع ، أى جعل حزمه كالدرع الواقية له وقد لبس الحزم فوق الدرع فجعله حائلا بين نفسه وبين الهلاك .

(٢) يقول : إنه وكل صادق ظنه بما ينطوى عليه الناس جميعا ويخفونه دونه ، فلم ما أسروه وانكشف له ما أضمروه ؛ يعنى أنه ألمى صادق الفراسة يدرك المغيبات بظنه حتى تنكشف له الضمائر .

(٣) يقول : هو شجاع غير بخيل ، لأن الشجاع يعد البخل جبنا ، لأن البخل معناه خوف الفقر ، والخوف جبن ، والشجاع لا يجبن ، وهو جواد غير جبان ، لأن الجواد يعد الجبن بخلا ، لأن معنى الجبن البخل بالروح ، والجواد لا يبخل ، وإذن هو شجاع غير بخيل ، وجواد غير جبان : أى أن الشجاعة والجود فيه وصفان متلازمان ، وهذا من قول أبى تمام :

وَإِذَا رَأَيْتَ أَبَا يَزِيدٍ فِي وَغَى وَنَدَى وَمُبْدَى غَارَةٍ وَمُعِيدَا
يَقْرِى مُرَجِّهَ مُشَاشَةِ مَالِهِ وَشَبَا الْأَسِنَّةِ ثُغْرَةَ وَوَرِيدَا ^(١)
أَيَقْنَتَ أَنَّ مِنَ السَّمَاحِ شَجَاعَةً تَذِئِي وَأَنَّ مِنَ الشَّجَاعَةِ جَوَادَا

(١) يقرى : يضيف ؛ والمشاشة : رأس العظم الذى يمكن مضغه ؛ والثغرة : نقرة النحر ،

يَعُودُ مِنْ كُلِّ فَتْحٍ غَيْرِ مُفْتَخِرٍ وَقَدْ أَغْذَى إِلَيْهِ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ ^(١)
وَلَا يُجِيرُ عَلَيْهِ الدَّهْرُ بُقِيَّتَهُ وَلَا تُحَصِّنُ دِرْعٌ مِنْهُجَةً الْبَطَلِ ^(٢)
إِذَا خَلَعْتُ عَلَى عِرْضٍ لَهُ حُلَلًا وَجَدْتُهَا مِنْهُ فِي أَهْبَى مِنَ الْحُلَلِ ^(٣)

وعبارة ابن الإقليل : يريد أنه الشجاع المتناهي الشجاعة ؛ فالبخل عنده باب من الجبن لأن من سمح بنفسه لم يبخل بكرام ماله وهو الجواد المتناهي الجود ، والجود بالنفس غاية الجود ، ومن جاد بنفسه لم يجبن عن عدوه ، ومن كان كذلك فالجبن عنده باب من البخل ، فدل على أن الشجاعة والجود من طريق واحد ، وهذا منقول من قول الآخر :

إلى جوادٍ يعدُّ الجبن من بخلٍ وباسلٍ بخله يعتدُّ جُبْنًا
يلقى العفاء بما يَرَجُونَ من أملٍ قبل السؤال ولا ينبغي به ثمنا
وقد بين صريح القوافي أن الشجاعة جود بالنفس في قوله :

يَجُودُ بِالنَفْسِ إِذْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ
(١) أغذى : أسرع في السير ؛ واحتفل بالأمر ؛ اهتم . يقول : كثرت فتوحه وتوالت ومن ثم لا يفتخر بها ، إذا سار إلى بلد يفتحه سار غير مبال لثقلته بقوته وشجاعته ؛ وعبارة العكبري : هو يفتح الفتوح العظيمة فلا يفتخر بها ويسرع إليها ، ولا يحتفل لها . استقلالاً لعظيم ما يفعله وارتفاعاً عن نهب من يقصده . قال ابن جني : فإن قيل كيف يكون مغذاً غير محتفل ، فالمعنى أنه غير محتفل عند نفسه ، وإن كان محتفلاً عند غيره ، لأن كبير الأشياء عند غيره صغير عنده .

(٢) أجار عليه : منعه مما يطلبه . قال تعالى : «وَهُوَ يَجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ» أي لا يمنع مما يريد . يقول : إذا رام المدح شيئاً لا يجيره عليه الدهر ولا يحبه منه ، ولا يحصن الدرع منه مهجة من خالفه ، ولا يعصمه من الهلاك إذا أَرَادَهُ كان ما كان من البطولة . أو تقول : إذا تحصن قرنه بالدرع لم يتمتع بها .

(٣) خلعت : روى جعلت . يريد أن يقول : إذا مدحته تزين مدحى به أكثر مما يتزين هو بمدحى . فضرب لهذا المعنى مثلاً فقال : إذا ألبست عرضه حلاً وجدت تلك الحلال من عرض المدح في شيء أحسن من الحلال : أي أن عرضه أحسن من الحلال ، وهذا من قول أبي تمام :

بَذَى الْفَبَاوَةَ مِنْ إِنْشَادِهَا ضَرَرٌ كَمَا تُضِرُّ رِيَّاحُ الْوَرْدِ بِالْجَمَلِ ^(١)
لَقَدْ رَأَتْ كُلُّ عَيْنٍ مِنْكَ مَا لَهَا وَجَرَّبَتْ خَيْرَ سَيْفٍ خَيْرَ الدُّوَلِ ^(٢)
فَمَا تُكْشِفُكَ الْأَعْدَاءُ مِنْ مَلِكٍ مِنْ الْخُرُوبِ وَلَا الْآرَاءُ عَنْ زَلَلٍ ^(٣)
وَكَمْ رِجَالٍ بِلَا أَرْضٍ لِكَثْرَتِهِمْ تَرَكْتَ جَمْعَهُمْ أَرْضًا بِلَا رَجُلٍ ^(٤)

ولم أمدحك تفغيا لشعري واسكني مدحتك بك المديحا
والعرض : ما يمدح ويذم من الإنسان ؛ والحلل : جمع حلة ، الثياب . قالوا : ولا
تسمى حلة إلا إذا كانت ثوبين ، أو إزارا ورداء .
(١) الجمل : ضرب من الخنافس . شبه شعره بالورد ، وحاسده بالجمل . يقول :
إذا أنشد الجاهل شعري تضرر به ، لأنه لا يعرفه ويغيبه ذلك ، فيظهر عليه من أثر
الجهل والغيظ ما يظهر على الجمل إذا أصابه ريح الورد فإنه ينال منه كل النيل ؛ وعبارة
العكبري : إذا أنشد شعري بعد على فهم الجاهل ، وأثر ذلك في نفسه ، وانكشف له
قدر قصيره ، واستضر بحسن قولي وبديع شعري كما يستضر الجمل برائحة الورد التي
تؤذيه وتقتله لمصادته لها . يعني إنما يعرف شعري وجودته وجوهره من هو صحيح
الفكر ، وإن كان ضد ذلك نال منه كما ينال الورد من الجمل ، وإن كان مستلذا في الحقيقة .
قال : وهذا من قول الحكيم : الألفاظ للمنطقية مضرة بذوى الجهل لنبو إحساسهم عنها .
(٢) يقال : زيد خير الرجال ، وهند خيرة النساء ، خيرة : مؤنث خير ، بمعنى
أفضل ؛ أنثوها بالناء تشبيها لها بالوصف المحض لفارقها صيغة التفضيل ؛ وجربت :
يروي وجردت . يقول : أنت ملء كل عين بهيتك وبهائك وأنت خير سيف لخير
دولة ، يعني دولة الإسلام .

(٣) كشفه عن كذا : أكرهه على إظهاره . يقول : لا أمل للحرب وإن طالت ، لأنك
ألفت التمرس بالحروب حتى لا تستطيع الأعداء والأيام أن تحملك على الملل من الحروب ،
ولا تزل في رأي ، فقد أوتيت السداد في التدبير حتى لا يفضى بك رأي إلى زلل .
(١) يقول : كم جمع الأعداء لك جموعا تغيب الأرض من كثرتهم وتخفي عن الأبصار
حتى كأنهم رجال بلا أرض ، قفتلهم وأفنيتم حتى خليت أرضهم بقيت ولا رجل فيها ؛
قال العكبري : وفيه نظر من ناحية كثرة الجيش إلى قول حبيب في صفة الجيش :
ملا الملا عصباً فكاد بأن يرى لا خلف فيه ولا له قدام

مَا زَالَ طَرَفُكَ يَجْرِي فِي دِمَائِهِمْ .
 حَتَّى مَشَى بِكَ مَشَى الشَّارِبِ الثَّمَلِ (١)
 يَأْمَنُ بِسَيْرِ وَحُكْمِ النَّاطِرِينَ لَهُ فِيمَا يَرَاهُ وَحُكْمِ الْقَلْبِ فِي الْجَذَلِ (٢)
 إِنَّ السَّعَادَةَ فِيمَا أَنْتَ فَأَعْلُهُ وَقَمْتَ مُرْتَحِلًا أَوْ غَيْرَ مُرْتَحِلِ (٣)
 أَجْرُ الْجِيَادِ عَلَى مَا كُنْتَ تَجْرِيهَا وَخَذَ بِنَفْسِكَ فِي أَخْلَاقِكَ الْأَوَّلِ (٤)
 يَنْظُرُونَ مِنْ مَقَلٍ أَدْمَى أَحْبَبَهَا قَرَعُ الْفَوَارِسِ بِالتَّسَالَةِ الذُّبْلِ (٥)

(١) الطرف : الفرس الكريم ؛ والثل : السكران يقول : مازلت تخوض دماءهم بفرسك حتى تعثر بالقتلى فمشى بك فرسك مشى السكران : أى أن الدماء لكثرتها أمالته عن سنن جريه وأزلقته حتى مشى مشى السكران .

(٢) الناظران : العينان ، والجذال : الفرح : يقول : إنه ملك لا يرد عن شيء ، فما حكمت به عيناه استحسنانا فهو له : أى ما يريد بما يراه يأخذه ولا يعارضه أحد ، ولقلبه ما يحكم به مما يسر : أى إذا نعى قلبه شيئاً وصل إليه لا يحول دونه حائل . وقال ابن الإفيلي : وله حكم ناظريه أن لا يريهما إليه إلا ما يسره ، وحكم نفسه أن لا يعرفه الله إلا ما يفرحها من نصر وظفر بالأعداء . . . قال الواحدى : الحكم - ههنا - اسم للمفعول ، لا للفعل ؛ فإن الناس مستوون فى أفعال نواظرهم ، وإنما يختلفون فى المحكوم به . يقول : ما حكم به ناظرك استحسنانا فهو لك لا يعارضك فيه مانع ، وكذلك الحكم فيما يسره .

(٣) وقفت : دعاء . يقول : أنت مسعود فيما تفعله : أقمت أو ارتحلت ، قال العسكري يشير بهذا إلى ارتحال الديلمى عن الموصل . يقول : إن الذى فعله الله لك من الموادة التى اختارها محاربك قد جعل لك فيه السعادة وقرن لك به الخيرة .

(٤) يقول : عاود القتال ودع السلم وأجر خيلك على ما كنت تجريها من قصدك الأعداء والسير إليهم ، وخذ نفسك بما عودتها من أخلاقك الأولى قال العسكري : وذلك أن سيف الدولة كان قد ترك الحرب مدة ، فقال له أجر خيلك على ما كنت تجريها ، أولاً من غزو الروم وحماية الثغور ، فقد كفالك الله ما كنت تحذره على أخيك من الديلمى ، وخذ نفسك بما سلف من أخلاقك وعادتك ، واعدل عن السلم إلى الحرب والجهاد

(٥) ينظرون : أى الجياد : ولأحبة : جمع حجاج ، وهو العظم فوق العين .

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ^(١)

* * *

وقال يرثى أبا الميحاء عبد الله بن سيف الدولة بحلب ، وقد توفى بميفارقين في صفر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة :

بِنَا مِنْكَ فَوْقَ الرَّمْلِ مَا بَكَ فِي الرَّمْلِ
وَهَذَا الَّذِي يُضْنِي كَذَلِكَ الَّذِي يُبْلِي^(٢)
كَأَنَّكَ أَبْصَرْتَ الَّذِي بِي وَخِيفَتُهُ

إِذَا عِشْتَ فَأَخْتَرْتَ الْحِمَامَ عَلَى الشَّكْلِ^(٣)
تَرَكْتَ خُدُودَ الْفَانِيَاتِ وَفَوْقَهَا
دُمُوعَ تَذِيبُ الْحُسْنَ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ^(٤)

والعسالة : الرماح تهتز وتضطرب ؛ والذبل : جمع ذابل ، وهو اليابس يقول : إن خيلك تنظر من عيون قد أدمى حجاجها قرع الفوارس إياها بالرمح : أى إن الرماح لا تقع إلا في مقاديعها ، لأنها لا تنتهي حتى تصاب أعجازها لإقدام فرسانها ، قال العكبري يشير بذلك إلى ما حضره عليه من غزو الروم وحماية الثغور ، وأن خيله قد ألت ذلك^(١) يدعو له يقول : لا هجمت بخيلك إلا على ظفر بعدوك ، ولا وصلت بها إلا إلى ما تؤمله من الغلبة والظفر

(٢) يقول : بنا منك ونحن فوق الأرض الذي بك وأنت فيها ، يعنى أننا أموات حزناً عليك ، كما أنك ميت في الأرض ، فإن هذا الحزن يضني ويهزل مثل اللوت الذي يبلى الإنسان ؛ وهذا من قول يعقوب بن الربيع يرثى جارية له تسمى ملبكا :

يَا مَلِكُ إِنْ كُنْتَ تَحْتَ الْأَرْضِ بِأَلِيَّةٍ فَأَنْتَى فَوْقَهَا بِأَلٍ مِنَ الْحَزَنِ
(٣) الحمام : اللوت ؛ والشكل : فقد الحبيب . يقول : كأنك أبصرت ما بي من الوجد بك والحزن عليك خفت أن تبطل بمثله لو عشت وفقدت حبيباً عزيزاً عليك ، فأخترت اللوت على فقد الأعزّة والحزن عليهم

(٤) الفانيات : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسبها عن الحسنيين ، والأعين النجل الواسعة الحسنه يقول : تركت خدود الحسان من نوادبك وفوقها دموع مسفوحة هلك

تَبْلُ الثَّرَى سُدًّا مِنَ الْمِسْكِ وَحْدَهُ وَقَدْ قَطَرَتْ حُمْرًا عَلَى الشَّعْرِ الْجَثَلِ (١)
فَإِنْ تَكَ فِي قَبْرِ فَإِنَّكَ فِي الْحَشَى
وَلَا تَكَ تَكَ طِفْلًا فَأَلْأَسَى لَيْسَ بِالطُّفْلِ (٢)

تذهب بحسن العيون ؛ قال الواحدى : وجه إذابة الدمع الحسن أنه يفسد العين ، ويزيل
حسنها ، كما قال :

أَلَيْسَ يَضُرُّ الْعَيْنَ أَنْ يَكْثُرَ الْبُكَاءُ وَيُمَتِّعَ عَنْهَا نَوْمُهَا وَهُجُودُهَا
وإنما قال «تذيب» ولم يقل «تزيل» لأن الدمع لما كان يذهب بالحسن شيئا فشيئا ،
كان استعارة الإذابة لثله أحسن ، وأيضا لما كان الذوب فى معنى السيلان والدمع سائل ،
كان كأن الحسن سال معه ، وهناك قولان آخران : أحدهما أن الحزن يحمى الدمع
ويسخنه وسخونة الدمع تذيب شحمة اللقطة ، فتذيب حسنها ، والثانى أن الحسن عرض
لا يقبل الإذابة يقول : هذه الدموع تذيب ما لا يقبل الإذابة ، فكيف ما يقبلها ؟
(١) الثرى : التراب ، ومن المسك : تعليل ، والجثل : الكثيف يقول : إن هذه
الدموع تصل إلى الأرض فتبلها وهى سود لا متزاجها بالمسك وحده لأن الغايات لا
يكتحلن لأجل المصيبة ، ولأن كحل أعينهم يغنيهم عن التكحل ، وقد استعملن المسك
قبل المصيبة فبقى فى شعورهن ، والكحل لا يبقى طويلا ، وهذه الدموع قطرت وهى
حمر لا متزاجها بالدم ثم غلب عليها سواد المسك فعادت سودا ، وإنما قطرت على الشعر
لأنهن نشرن الشعور وهى كثيرة ، وفيها مسك ، فمر الدمع بها فاسودت من مسكها ،
وهذا من قول أبى نواس :

وَقَدْ غَلَبَتْهَا عَبْرَةٌ فَدَمَوْعَهَا عَلَى خَدِّهَا حُمْرٌ وَفَى نَحْرِهَا صُفْرٌ

فجعلها صفرا على النحر لأنها اختلطت بالطيب الذى فيه الزعفران
(٢) الأسى : الحزن ، يقول : إن كنت قد تضمنك قبر فإنك لم تفارق القلب ، وإن
كنت طفلا صغيرا فإن الحزن عليك ليس بالصغير والرزء بك ليس باليسير . ومعنى المصراع
الأول من قول أبى تمام :

لَهَا مَنْزِلٌ تَحْتَ الثَّرَى وَعَهْدَتُهَا لَهَا مَنْزِلٌ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْقَلْبِ
والثانى من قول الآخر :

إِنْ تَكُنْ مُتَّ صَغِيرًا فَلَأَسَى غَيْرُ صَغِيرٍ

وَمِنْكَ لَا يُنْكَى عَلَى قَدَرٍ سِنَّهٗ وَلَكِنْ عَلَى قَدَرِ الْمَخِيلَةِ وَالْأَصْلِ^(١)
 أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأَلَى مِنْ رِمَاحِهِمْ نَدَاهُمْ وَمِنْ قَتْلَاهُمْ مُهْجَةُ الْبُخْلِ^(٢)
 بِمَوْلُودِهِمْ صَنَتُ اللَّسَانِ كَغَيْرِهِ وَلَكِنْ فِي أَعْطَافِهِ مَنَظِقَ الْفَضْلِ^(٣)
 تُسَلِّمُهُمْ عَلَيْهِمْ عَنْ مُصَابِهِمْ وَيَسْفِلُهُمْ كَسْبُ الثَّنَاءِ عَنِ الشُّغْلِ^(٤)

(١) المخيلة - ههنا - الفراسة ، وهى فى الأصل : السحابة التى يربى مطرها
 يقول : ليس البكاء عليك على قدر سنك لأنك صغير لم تبلغ مبالغ الرجال فتوجب فرط
 البكاء عليك ، وإنما تبكى على قدر أصلك ، إذ أنت من أصل كبير ، وعلى قدر الفراسة
 فيك ، إذ كنا نفرس فيك الملك ، فلهذا يكثر البكاء عليك

(٢) الاستفهام : للتقرير ؛ والألى : بمعنى الدين . يقول - مخاطباً الليث - أنت من
 القوم الذين كرمهم من سلاحهم ، ونداهم من رماحهم ، والبخل من قتلاهم : أى أنت
 من القوم الذين أفنوا البخل بمجودهم ، فاستعار للبخل مهجة وجعل جودهم بمنزلة رماح
 تطعن بها مهجة البخل ، وهذا من قول أبى تمام :

وإن أزمات الدهر حلت بمعشرٍ أريقت دماء المخل فيها فطلت^(١)
 وقال ابن الرومى :

وما فى الأرض أسمى من شجاع وإن أعطى القليل من النوال
 وذاك لأنه يُعطيك بما تنى عليه أطراف العوال

(٣) الأعطاف : جمع العطف ، وهو الجانب . يقول : إن صبي هؤلاء القوم كغيره
 من الأطفال لا ينطق ، شأن كل طفل ، ولكن من يتفرس فيه يجد الفضل فى أعطافه
 ناطقا ، ومخايل الكرم والسيادة ظاهرة واضحة الدلالة :

(٤) المصاب : مصدر ، بمعنى الإصابة . يقول : إن معاليهم تعزيمهم عما يصيبهم ، فهم
 يترفعون عن الجزع الذى هو شغشة النفوس الوضيعة ، أما من نبذ قدره ؛ وارتقت فى
 المعالى همته ؛ فإنه يتسل بالعالى عن الجزع والمهلح ، واهتمامه بكسب الثناء والحمد يشغله
 عن الشغل بما عدا ذلك . والعلواء - : بفتح العين والد . أما بضم العين فهى مقصورة .

(١) المخل : الجذب ، ويقال طل دمه : أى أهدر .

أَقْلُ بِلَاءٍ بِالرَّزَايَا مِنَ الْقَنَاءِ وَأَقْدَمُ بَيْنَ الْجُحْلَيْنِ مِنَ النَّبْلِ^(١)
عَزَاءُكَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمُقْتَدَى بِهِ فَإِنَّكَ نَصْلٌ وَالشَّدَائِدُ لِلنَّصْلِ^(٢)
مُقِيمٌ مِنَ الْهَيْجَاءِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ فِي أَهْلِ^(٣)

(١) أقل : خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هم أقل بلاء ؛ والبلاء : فعال من اللبالة ؛
والرزايا : جمع رزية ، المصيبة ؛ والقنا : الرماح . وأقدم : أى أشد إقداماً ، استعمل :
أفعل منه على حذف الزوائد لضرورة الوزن ، أو تقول إنها من قدم يقدم إذا تقدم ؛
قال حسان بن ثابت :

كَلَّمَهَا حَلْبُ الْعَصِيرِ فَعَاطِنِي بَرْجَاجَةً أَرْخَاهَا لِلْمَفْصِلِ^(١)
أراد أشد إرخاء . والجحفل : الجيش العظيم . يقول : هم لا يبالون بما يصيبهم من
الرزايا كما لا يبالى بها من لا يعرفها — وهو معنى قوله من القنا ، والقنا جناد ، والجناد
لا يوصف باللبالة — وهم أشد إقداماً لدى الوغى من السهام للرسل التي تأتي إلا التقدم
وبعبارة أخرى : إذا أصابهم مصيبة لم يبالوا بها ، كأنهم لشدة تجلدهم لا يشعرون بها ،
فهم في ذلك كالرماح تغشى الوغى ولا تبالى بما يصيبها ، وإذا كانوا بين جيشهم وجيش
العدو لم يرد وجوههم شيء ؛ كالنبل إذا انطلق فإنه لا يقف دون غايته .
(٢) النصل : حديدة السيف . يقول : الزم عزاءك أو تعز عزاءك الذي يقتدى به
الناس فيتعلمون منه التعزى ، لأنك قد تعودت الشدائد ، لأنك سيف والسيف شيمته
التمرس بالحروب وعدم اللبالة بمقارعة الحديد . فقوله عزاءك : منصوب على الإغراء ؛
أى الزم عزاءك ؛ أو بفعل مضمر تقديره تعز عزاءك ؛ وللمقتدى به في موضع نصب
صفة لـ «عزاءك» والضمير في «به» للعزاء .

(٣) مقيم : إما صفة لنصل — في البيت السابق — أو خبر مبتدأ محذوف . أى أنت
مقيم . والهيحاء : من أسماء الحرب ، والصوارم : السيوف القواطع . يقول : أنت مقيم
في كل منزل من منازل الحرب تأنس بها ولا تزايلها حتى لكأنك إذا كنت بين
السيوف كنت في أهلها ، وهذا من قول أبي تمام :

(١) قبله :

إِنِ اتَّقَى نَاولَتْنِي فَرَدَدْتُهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِيهَا لَمْ تُقْتَلِ
فقوله كَلَّمَهَا : أى اتقى قتل — أى مزجت بالماء — واتى لم تقتل — أى لم تعزج وأرخاها
للمفصل : أى التى لم تمزج — أى الصرف .

وَلَمْ أَرِ أَعَصَى مِنْكَ لِاحْزَنِ عِبْرَةٍ
وَأَثْبَتَ عَقْلًا وَالْقُلُوبُ بِلَا عَقْلِ^(١)
تَخُوفُ الْمَنَايَا عَهْدَهُ فِي سَلِيلِهِ
وَتَنْصُرُهُ بَيْنَ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ^(٢)
وَيَبْقَى عَلَى مَرِّ الْخَوَادِثِ صَبْرُهُ
وَيَبْدُو كَمَا يَبْدُو الْفَرَنْدُ عَلَى الصَّقْلِ^(٣)
وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِكَ حُرَّةً
فَفِيهِ لَهَا مُغْنٍ وَفِيهَا لَهُ مُسْلِي^(٤)

حَنَّ إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى ظَنَّ جَاهِلَهُ
وَقَوْلُهُ أَيْضًا :

لَتَعْلَمَ أَنَّ الْفَرَّ مِنْ آلٍ مُضْعَبٍ
غَدَاةَ الْوَسْغَى آلُ الْوَسْغَى وَأَقَارِبُهُ

(١) يقول : لم أر أحدًا غيرك لا يطيع دمة الحزن ، ولا أثبت عقلًا منك حين تخلو القلوب من العقول ، يعنى عند شدة الفزع وهول الحروب ؛ يشير إلى أنه صبور عند الشدائد رابط الجأش في الحروب . وعبرة : أى دمة ، تميز .

(٢) السليل : الولد ؛ والأُنثى : سلية ؛ قال أبو عمرو بن العلاء : السلية بنت الرجل من صلبه ؛ وقالت هند بنت النعمان :

وَمَا هِنْدُ إِلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ
سَلِيلَةُ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَغْلٌ^(١)

والرجل : جمع راجل ، وهم المشاة . يقول : متعجباً — : إن المنايا تخونه في ولده فتخترمه فلا يستطيع لها دفاعاً ولكنها تنصره في الحرب وتنفذ مراده في أعدائه ، وفي هذا إشارة إلى أن الموت حتم على رقاب العباد لا يدفع بقوة ولا يعصم منه رفعة ولا سلطان وفيه نظر إلى قول مسلم بن الوليد :

أَلَمْ تَتَعْجَبْ لَهُ أَنَّ الْمَنَايَا
فَتَكُنْ بِهِ وَهْنٌ لَهُ جُنُودٌ

(٢) الفرند : جوهر السيف وماؤه ؛ ويبدو : أى الصبر . يقول : إن صبره باق على حوادث الدهر ظاهرة آثاره ظهور فرند السيف إذا صقل ؛ جعل مرور الحوادث به كالصقل للسيف ؛ والسيف إذا صقل فزال ما عليه من الطبع — الصدا — ظهر فرنده ، كذلك هو ؛ إذا امتحن بالحوادث والشدائد ظهر صبره .

(٤) يقول : من كانت نفسه حرة كريمة كنفسك أغتته عن تعزية غيره وأسلته عن

(١) تجلّلها : علاها ؛ وقوله بغل : قال بعضهم إنه تصحيف ؛ والصواب : نعل — بالنون — وهو الحسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل .

وَمَا الْمَوْتُ إِلَّا سَارِقٌ دَقَّ شَخْصُهُ يَصُولُ بِلَا كَفٍّ وَيَسْمَى بِلَا رَجُلٍ ^(١)
يَرُدُّ أَبُو الشَّبْلِ أَخْلَمِيْسَ عَنْ ابْنِهِ وَيُسْلِمُهُ عِنْدَ الْوَلَادَةِ لِلنَّمْلِ ^(٢)
بِنَفْسِي وَلَيْدٌ عَادَ مِنْ بَعْدِ حَمْلِهِ إِلَى بَطْنِ أُمٍّ لَا تَطْرُقُ بِالْحَمْلِ ^(٣)

معنيته لأنه يعرف أن الإنسان لا يخلو في دهره من الحوادث ؛ ومن عرف هذا ووطن نفسه على فقد الأجيال .

(١) يقول : ليس الموت إلا سارقا ، يد أنه ليس كسائر السراق يصول مثلهم بكف يظهرها ويسمى برجل ينقلها حتى يمكن الاحتراس منه ، وإنما هو سارق دق شخصه — أى لا شخص له — يصول دون كف يظهرها ، ويسمى دون رجل ينقلها ، فلا يدري كيف يأتي ، وكيف يعصف بالأرواح ويسرقها من الأجساد : ومن ثم لا سبيل إلى الاحتراس منه

(٢) الشبل : ولد الأسد ، وأخليس : الجيش ، يقال : إن النمل إذا اجتمع على ولد الأسد أكله وأهلكه . يقول : إن الأسد يقاوم الجيش الكثير دفاعا عن ولده ولكنه لا يقدر على أن يذود النمل عن ولده مع ضعف النمل ، وإنما يسلمه له ، فهو يحمي ولده من الجليل الكثير ويسلمه إلى الحقيقير اليسير ، وهذا مثل . يقول : إن سيف الدولة مع بطشه بالجيوش والممالك لم يستطع أن يدفع الموت عن ولده ، مع كون الموت على ما وصفه لا جيش له ولا سلاح ، فلو غير الموت قصد ابنه لدفعه عنه وإن كان عظيما ، ولكن لا مدفع للموت

(٣) الوليد : المولود ، وطرقت المرأة والناقة وكل حامل : نشب ولدها في بطنها ولم يسهل خروجه : قال أوس بن حجر :

لَهَا صَرَخَةٌ ثُمَّ إِنْكَاتَةٌ كَمَا طَرَقَتْ بِنَفَاسٍ بِكْرُ

يقول : أفدى بنفسى مولوداً صار بعد حمل الأم إياه إلى بطن أم — وهى الأرض لا تطرق بالحمل . قال الواحدي : وإنما قال لا تطرق لأنها إما جماد لا توصف بالتطريق وإن كانت تسمى أما ، لكون الأموات في بطنها ، وإما لأن الله تعالى قادر على إخراجها من بطنها بسهولة وسرعة ، كما قال عز من قائل «فإنما هى زجرة واحدة» . فإذا هم بالساهرة ، وفسر قوم هذا البيت على العكس ، قالوا : معنى لا تطرق بالحمل : لا تخرج الولد من بطنها ، والتطريق : إظهار الطريق — من قولهم طرق طرق : أى خل

بَدَا وَلَهُ وَغَدُ السَّحَابَةِ بِالرَّوَى وَصَدَّ وَفِينَا غَلَّةُ الْبَلَدِ الْمَحَلِّ (١)
وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عُمُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النَّعْلِ (٢)
وَرِيعَ لَهُ جَيْشُ الْقَدُودِ وَمَا مَشَى

وَجَاشَتْ لَهُ الْحَرْبُ الضَّرُوسُ وَمَا تَغَلَّى (٣)
أَيْفَطِمُهُ التَّوْرَابُ قَبْلَ فِطَامِهِ وَيَأْكُلُهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ إِلَى الْأَكْلِ (٤)
وَقَبْلَ يَرَى مِنْ جُودِهِ مَا رَأَيْتَهُ وَيَسْمَعُ فِيهِ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْعَذْلِ (٥)

الطريق — يقول : فالأرض أم للموتى لا يخرجون منها ، ثم قال : إن للتنبي كان لا يقول بالبعث ، وليس بوجه .

(١) الروى — بكسر الراء — مصدر روى من الماء ، يقال ماء روى — بالكسر والقصر — ورواء — بالفتح واللد — أى كثير مرو . والغلة : العطش . يقول : ظهر هذا الوليد وشماله واعدة بالخير وعد السحاب بالرى ثم غاب عنا بموته قبل أن يروينا فأبقى بأنفسنا مثل عطش البلد الجديب إذا أخطأه رى السحاب .

(٢) الخيل العتاق : الكرام ، والركاب : ما توضع فيه الرجل من السرج . يقول : صد وغاب عنا بموته وقد كانت كرام الخيل تنتظر ركوبه إياها وترتقب أن يصير من السن إلى حال يبدل فيها نعله بالركاب فيبلغ أن يركب الخيل .

(٣) ريع : أخيف وجاشت القدر : غلت وهاجت ، والضروس : الشديدة العض ، وما مشى ، وما تغلى : حالان . يقول : إن الأعداء خافوه وارتاعوا له وهو صبي في المهد لم يمش بعد واشتد عليهم الخوف حتى كأن الحرب قامت عليهم ، وقوله وما تغلى — أى الحرب — تنبيه إلى أن الحرب قامت معنى لاصورة ، وذلك المعنى هو الخوف ومن روى « يغلى » أراد : جاشت الحرب ، ولم يغل الطفل حنقا عليهم ، ومن روى يغلى — بالغاء — فهو من فليت رأسه بالسيف : أى ضربته . أى قبل أن يضرب الطفل بالسيف ، ويروى يغلى : أى لم يبلغ حد القلى والبغض لأعدائه .

(٤) التوراب : لغة في التراب ، والفظام : منع الصبي من الرضاع . وهذا استفهام إنكار وتوبيخ . يقول : أيفطمه التراب عن أمه بأشماله عليه قبل أن تظلمه أمه ، ويأكله التراب قبل أن يبلغ هو أن يأكل ؟ قال أشجع السامى :

فَطَمْتُكَ الْمَنُونُ قَبْلَ الْفِطَامِ وَاحْتَوَاكَ النُّقْصَانُ قَبْلَ التَّمَامِ
(٥) وقبل يرى : أراد قبل أن يرى . يقول — مخاطباً أباه — : مات قبل أن

وَيَلْقَى كَمَا تَلْقَى مِنَ السَّلْمِ وَالْوَعَى ، وَيُمْنِي كَمَا تُمْنِي مَلِيكَاً بِلَا مِثْلِ^(١)
تَوَلَّيْهِ أَوْسَاطَ الْبِلَادِ رِمَاحَهُ ، وَتَمْنَعُهُ أَطْرَافُهُنَّ مِنَ الْعَزْلِ^(٢)
نَبْكَى لِمَوْتَانَا عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ

تَفُوتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا مَوْهَبٍ جَزَلٍ^(٣)
إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ الزَّمَانَ وَصَرَفَهُ

تَيَقَّنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ ضَرَبٌ مِنَ الْقَتْلِ^(٤)

يرى من جوده ما رأيته أنت من حمد السائلين وبلوغ الأمور العالية ؛ وقبل أن يلام في الجود فيسمع ما سمعته ويعرض عن اللوم كما أعرضت .

(١) السلم : المسالمة ؛ والصلح يذكر ويؤنث ، ويفتح السين وكسرها ، والوعى : الحرب . يقول : وقبل أن يلقي ما تلقاه أنت من ارتناع الشأن وعظم السلطان في السلم ، ومن ثمرة الظفر في الحرب ، وقبل أن يصير مثلك ملكاً لا نظير له .

(٢) توليه : ضفة مليكاً . يقول : وقبل أن يتملك البلاد قسراً فيقتصبها برماحه وتمنعه رماحه من أن يعزل . يعنى أنه يتولاها قوة واقتساراً بنفسه ، لا تولية من جهة غيره فيؤمر ثم يعزل .

(٣) الموهب - كالموهبة - العطية ، والجزل : الكثير . يقبح أمر البكاء على الميت ويذكر قلة غناؤه من الباكي يقول : نبكى على موتانا ونأسف لفراقهم ونحن نعلم أنه لم يفتهم من الدنيا شيء يرغب فيه أو عطاء وافر يستغنى بإحرازه ، يعنى أن من فارق الدنيا لم يفته بفراقها شيء له خطر .

(٤) يقول : إذا ألقيت بالكَ إلى الزمان وتصاريفه وأثر ذلك في الإنسان ظهر لك أن فعل الزمان وتقليباته وتأثيره في الإنسان كفعل السيف ، ومن ثم كان الموت الذي ينتهى إليه الإنسان ضرباً من القتل ، ومن أجل ذلك لا يحمل بالمرء أن يعثر بالبقاء ، ويطمئن إلى هذه الدنيا ، كما قال في آخر القصيدة «وما الدهر إلخ» وعبرة الشراح : إذا ما تأملت تصاريف الزمان وتدبرت الدهر وخطوبه تيقنت أن ما حتم على الإنسان من الموت كالذى يتوقعه من القتل ، لأن الأمرين متساويان في مكروهما ، متماثلان فيما يشاهد من عدم الحياة لهما ، فما ظنك بشيء يكون آخر مصيره إلى أكره ما يحذر من أموره ؟ فهذا يوجب الزهد في الدنيا ويدعو إلى الإعراض عنها وقلة الاسف عليها ؛ وبعبارة أخرى : إذا تأملت نوائب الدهر المهلكة لأهله علمت أن الموت بها ضرب من القتل ؛ إذ المصير في الحالين واحد ، وهو فوات الروح ، كما قال الآخر :

هَلِ الْوَلَدُ الْمَحْبُوبُ إِلَّا تَعْلَةٌ ، وَهَلْ خَلْوَةٌ أَحْسَنَاءُ إِلَّا أَدَى الْبَغْلِ (١)
وَقَدْ ذُقْتُ خَلْوَاءَ الْبَنِينَ عَلَى الصَّبَا ، فَلَا تَحْسَبْنِي قُلْتُ مَا قُلْتُمْ عَنْ جَهْلٍ (٢)

إذا بَلَ مِنْ دَاهٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجْمًا وَبِهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ
قال الواحدى : الداء الذى هو قاتله : الموت ، لأنه محتوم على كل أحد ، فجعل
الموت قاتلا . أقول : ولعل الأوجه أن يكون المراد بقول هذا الشاعر « وبه الداء الذى
هو قاتله » البقاء الذى ينتهى به إلى الشيخوخة ، ثم الموت ؛ وهو معنى ينظر إلى ما جاء فى
الحديث « كفى بالسلامة داء » وفى معنى هذا الحديث يقول حميد بن ثور :
أرى بصرى قد رابى بعد صحة ، وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا
ويقول الآخر :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاقِمِزٍ فَأَلَانَهَا الْإِصْبَاحُ وَالْإِمْسَاءُ
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ

(١) التعلّة : العلل ، يقال فلان يعلل نفسه بكذا تعللا وتعلّة : إذا كان يطيب به
نفسه . يقول : إن السرور بالولد الذى تحبه لا يدوم ، وإنما هو تعلّة إلى وقت والحزن
بسببه أكثر من السرور به ، ثم قال : خلوتك بمرأتك أذى لك فى الحقيقة ، لأنها
تجلب لك ولدًا تنغم من أجله ، وتتأذى بتربيتة ، ولعل العاقبة إلى الشك . ينهى عن
الخلوة بالمرأة لثلاث تلد . وقال ابن جني : وكذلك إذا خلعت الحسنة مع محبها أدى ذلك
إلى تأذيه بها إما لأنه يشغل قلبه عما سواها أو لغير ذلك من المضار التى تلحق مواصل
النوائى . . . والأول أوجه . وهذا كله تسلية لسيف الدولة عن ولده .
(٢) الحلواء : الخلاوة . قال زهير :

تَبَدَّلْتُ مِنْ حَلَوَائِهَا طَعْمَ عَلَقَمِ *

يقول : جربت حلواة الأولاد وقت شبابي فوجدت الأمر على ما قلته ووصفته ولم
أقل ما قلته عن جهل وغفلة ؛ يعنى قوله : « هل الولد المحبوب إلا تعلّة ؟ » ويجوز أن يكون
قوله « على الصبا » على صبا البنين - أى فى حال صباهم . وعبارة ابن جني : لست أسليك
إلا عما قد نجست به فرأيت الصبر عليه أحزم من الأسى عليه . قال الواحدى : وهذا -
أى الذى قال ابن جني - بعيد .

وَمَا تَسْعُ الْأَزْمَانُ عَلَيَّ بِأَمْرَهَا ، وَلَا تُحْسِنُ الْأَيَّامُ تَكْتُبُ مَا أُمِّلِي ^(١)
وَمَا الدَّهْرُ أَهْلٌ أَنْ تُؤَمِّلَ عِنْدَهُ حَيَاةً ، وَأَنْ يُشْتَاقَ فِيهِ إِلَى النَّسْلِ ^(٢)

* * *

وقال يمدحه :

لَا الْحِلْمُ جَادَ بِهِ وَلَا بِمِثَالِهِ لَوْلَا أَذْكَارُ وَدَاعِهِ وَزِيَالِهِ ^(٣)

(١) يقول : إن علمي بأمر الزمان أوسع منه فلا يسع علمي ، وإن ما أُمليه من الحكم ونوايغ الكلم لا تحسن الأيام أن تكتبه . يعنى أنه يعلم ما تعجز الأيام عن مثله ، فهي مع أنها تأتي بالعجائب - لا تحسن أن تكتب ما أُمليه ؛ فكيف تعلمه ؟ يريد تأكيد ما قدمه من حنكته وطبه بالأمر وما حضض عليه من عدم الاكتراث للولد وقفده . وعبرة العكبرى : ما تسع الأزمان ما أعلمه من أمرها وأتقنه من شدة نكدها ، يريد أنها تضيق عن علمه وتعجز عن الاشتغال عليه ، وأن الأيام لا تحسن أن تكتب ما أُمليه وتضبط ما أعده ؛ والمعنى أن الأيام التي تأتي بالحوادث لا تحسن أن تكتب ما أُمليه من الحكمة والكلام النادر ؛ فكيف تعلمه ؟

(٢) يقول : إن الدهر خوان ليس أهلاً أن ترجى عنده الحياة لأنه لا يحقق الرجاء في الحياة ولا يفي بالأمل ، وليس أهلاً لأن يشتاق فيه إلى الولد ، لأن الولد إذا عاش بعدك لقي من مكاره الدهر ما ينقص عيشه ويسأم معه الحياة ، ولأنه لا يبيق على الولد بل يفجع به الوالد .

(٣) الحلم : النوم ؛ والمثال : الصورة ؛ والزيال : الزائلة والمفارقة . والضاير في البيت : الحبيب - وإن لم يجر له ذكر ؛ لدلالة المقام - يصف شدة هجر الحبيب وأنه لا يلم به في النوم أيضاً وهم إذا وصفوا الخيال بالامتناع من الزيارة في النوم أرادوا بذلك شدة هجر الحبيب ، كما قال أبو تمام :

* صَدَّتْ وَعَلِمَتْ الصَّدُودَ خَيَالُهَا

ولا يتصور تعليم الخيال الصدود ، ولكنهم لما يصفون الحبيب بشدة الهجر يجعلون هجر الخيال نوعاً من صدوده . يقول : لم يجد الحلم بالحبيب : أى لم أره في النوم ولا رأيت خياله لولا أنى أطلت تذكر وداعه ومفارقه وواصلت الفكر فيه ليلاً ونهاراً . يعنى : تذكرى في اللحظة الوداع والفراق أراى في النوم خياله ، ولو أنا غفلت عن ذكره لم أره في النوم : أى أن موجب رؤية الخيال هي استدامة ذكر الوداع والفراق ، قال

إِنَّ الْمَعِيدَ لَنَا لَنَامُ خَيَالَهُ كَانَتْ إِعَادَتُهُ خَيَالَ خَيَالِهِ (١)
 بَيْنَنَا مُبْنَاوُنَا الْمَدَامَ بِكَفِّهِ
 مَنْ لَيْسَ يَخْطُرُ أَنْ تَرَاهُ بِيَالِهِ (٢)

الواحدى ناقداً : جود الحلم بالحبيب هو جوده بمثاله ، وجعل أبو الطيب ذلك شيئين
 ظنا منه أنه يرى الحبيب فى النوم ويرى خياله . ورؤية الحبيب فى النوم هى رؤية خياله
 لا رؤية شخصه بعينه ؛ وقال بعض الشراح : يريد أنه بعدما ودعه الحبيب بقى يتذكر
 وداعه ورحيله ، فانقضت الرؤية وخلفها التصور حتى تجسست صورته فى وهمه ، وصار
 إذا رأى خياله فى الحلم انتقل إليه ذلك الخيال عن التصور ، لا عن العيان ، فهو يقول
 لولا استدامة هذا التذكر ما جاد على الحلم بمراى خياله ولا خيال صورته : وهذا تفسير
 وجهه ، وهو ينظر إلى قول القائل :

نَمْ فَمَا زَارَكَ الْخِيَالَ وَلَكِنْ كَ الْفَكْرَ زُرْتَ طَيْفَ الْخِيَالِ
 (١) يقول : إن الذى أعاد المنام لنا خياله فأرانا فى النوم كان ذلك الذى أرانا
 خيال الخيال ؛ يعنى أنا كنا نصور لأنفسنا فى اليقظة خياله ؛ فالذى رأيناه فى النوم كان
 خيال ذلك الذى كان يتصور لنا فهو خيال الخيال ، وهذا البيت تأكيد لما قبله من
 أنه يدوم على ذكر الحبيب وذكر حال الوداع والفراق . والمنام - فى البيت - فاعل
 المعيد ؛ وخياله : مفعول به وقوله « كانت إعادته » لك أن تجعل « كانت » تامة ، بمعنى
 حصلت ؛ وخیال خياله : منصوباً بالإعادة ، ويجوز أن يكون أراد . بالإعادة : الشيء
 المعاد - على تسمية المفعول بالمصدر - فيكون « خيال خياله » خبر : كانت .

(٢) يصف الحال التى رأى خيال الخيال عليها فى النوم . يقول : رأيناه يعطينا
 الشراب بكفه وما كان يجرى فى خاطره أن نراه للبعد الذى بيننا ، والشاعر يجعل
 ما يراه فى النوم كأنما يراه فى اليقظة ، قال البحرى ؛
 أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرْمِ إِنْ جِئْتَ وَسَنَانَا
 ولأبى نواس :

إذا التقى فى النوم طيفنا عادا إلى الوصل كما كانا
 يا قرّة العين فما بالنا نشقى ويلتذخيـالانا

نَجْنَى الْكَوَاكِبِ مِنْ قَلَانِدٍ جِيدِهِ (١) وَنَنَالَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ خَلْخَالِهِ (٢)
بَنَنْتُمْ عَنِ التَّعِينِ الْقَرِيحَةَ فِيكُمْ ، وَسَكَنْتُمْ ظَنِّ الْقَمُودِ الْوَالِدِ (٣)
فَدَنُونُكُمْ وَدُنُونُكُمْ مِنْ عِنْدِهِ ، وَسَمَحْتُمْ ، وَسَمَّاحُكُمْ مِنْ مَالِهِ (٤)
إِنِّي لَا أَبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحَبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالِهِ (٥)

لَوْ شِئْتُ إِذْ أَحْسَنْتَ لِي نَائِمًا أَتَمَمْتُ إِحْسَانَكَ يَقْطَانًا

(١) التشبيه في البعد ، لا في الصورة . يقول : ما كنا نظن أن نراه فلما رأيناه صرنا كأننا نرى بقلانده الكواكب واخلخاله الشمس ، يعنى رأينا في المنام ما لم نصل إليه في اليقظة ، وقال المكبرى : ما فى قلاذته من الدر بالكواكب واخلخاله بعين الشمس ؛ يريد لعمان خلخاله ، وذكر أنه يعنى الكواكب من تلك القلائد بتناوله لها وينال عين الشمس من تلك الخلال بلسه إياها ؛ قال : فأحرز قصبته التشبيه فيما شبه به مما لا زيادة عليه فى حسن النظر ، وأشار إلى المعانقة واللامسة بأحسن إشارة فجعل مديده إلى تلك الفرائد جنباً للكواكب وإلى الخلل نيلاً لعين الشمس .

(٢) القريحة : التى بها قروح من طول البكاء . والوله : التحير ؛ أى ذهب العقل من جراء الحب . وهذا البيت تأكيد لما ذكره قبل . يقول : بعد تم عن مرأى التى قرحت بالبكاء فى سبيلكم وسكنتم فى ظنى وفكرى - أى فى قلبى - فليس يخلو القلب من ذكراكم ؛ وظن القواد : وبرى طى القواد ، وهذا كقول القائل .

لئن بعدت عنى لقد سكنت قلبى فسيان عندى غاية البعد والقرب
ومثله قول ابن المعتز المتقدم :

إنا على البعاد والتفرق لتلتقى بالذكر إن لم نلتقى

(٣) يقول : استدانكم القلب بتفكره فالدنو من قبل القلب - لا من قبلكم - وسمحت بالزيارة لكثرة فكره فيكم ، والسباح - على الحقيقة - إنما هو منه لا منكم إذ لو خلا القلب منكم لم يحصل هذا الدنو ، وإذن : لأمته لكم فى هذا . ولما ذكر السباح ذكر المال لتجانس الصنعة ، فالضمير فى « عنده » وفى « ماله » للقواد .

(٤) الطيف : الخيال ؛ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل فى مس الشيطان ، قال تعالى « إذا مسح طائف من الشيطان » وقرئ « طيف من الشيطان » ؛ ومنه

مِثْلُ الصَّبَابَةِ وَالْكَأَبَةِ وَالْأَسَى فَارَقْتُهُ فَحَدَّثَنِي مِنْ تَرَاحَالِهِ ^(١)
وَقَدْ اسْتَقَدْتُ مِنَ الْهَوَى وَأَذَقْتُهُ مِنْ عِفَّتِي مَا ذُقْتُ مِنْ بَلْبَالِهِ ^(٢)

طيف الخيال الذي يراه النائم ؛ يقال طاف الخيال يطيف طيفا ومطافا : أى ألم فى النوم . قال كعب بن زهير :

أنى ألم بك الخيالُ يطيف ومطافه لك ذِكْرَةٌ وشُعُوفٌ ^(١)

والضمير المستتر فى « يهجرنا » للحبيب . وضمير « وصاله » للطيف . يقول : إنه ييغض طيف الحبيب لأن رؤيته الطيف عنوان الهجر ، إذ لا يراه إلا حال فراق الحبيب ؛ وعبارة العكبرى : هو ييغض طيف محبوبه مع كلفه به ويكرهه مع ارتياحه له ، لأنه كان يهجره فى زمن الوصل ولا يطرقه مع التثام الشمل ، فيقول رؤيتى الطيف عنوان الهجر . قال ابن جنى : هذا يسمى الأَكْذاب لأنه قال فى الأول لا الحلم جاد به ، فزعم أن النوم لا يصل إلى أن يريه الخيال ، ثم ذكر أنه ييغض طيفه . وقال الواحدى : كان من حقه أن يقول إذ كان يوصلنى زمان الهجر ، لأن هجر الطيف زمان الوصل لا يوجب بغضاله ؛ إذ لا حاجة به إلى الطيف زمان الوصل ، ولكنه قلب الكلام على معنى أن هجره زمان الوصل يوجب وصله زمان الهجر .

(١) لك أن تقرأ « مثل » بالرفع على أنها خبر عن محذوف هو ضمير الطيف ؛ وبالنصب : على تقدير أبغضه بغضا مثل . والصبابة : رقة الشوق ؛ والأسى : الحزن ، والضمير من « فارقت » للمحجوب ؛ والجملة تفسير للمائلة ، أو حال من الصبابة وما يليها ، والى تعود إليها النون من قوله « فحدثنى » على حد قولك : جلس زيد تضحك الجماعة فيعبس . يقول : فارقت من أحبه فحدثت هذه الأشياء - الصبابة والكآبة والأسى - وكذلك الطيف إنما زار زمن الهجر .

(٢) استقدت : اقتنصت ، من القود ؛ وهو قتل القاتل بالقتيل . والأصل فيه أن يقاد القاتل إلى أهل المقتول ، فربما قتلوه به وربما عفوا عنه . والبلبال : الهم والحزن وهذا تمثيل . يريد : كان الهوى يؤذنى والحبيب غائب ، فلما حضر جعلت إعراضى عن إجابة داعية الهوى وتعفى عما يجرنى إليه جزاء له . وبعبارة أخرى : لى استقمت من الهوى بتعفى وإعراضى عن إجابة داعيه ، فأذقته بذلك من النبط مثل ما أذاقنى من

(١) شعوف : يحتمل أن يكون جمع شعف ؛ ويحتمل أن يكون مصدرا وهو الظاهر والشعف والشعوف : إحراق الحب القلب مع لذة يمجدها .

وَلَقَدْ ذَخَرْتُ لِكُلِّ أَرْضٍ سَاعَةً
تَلْقَى الْوُجُوهَ بِهَا الْوُجُوهَ وَبَيْنَهَا
تَسْتَجِفُّ الضَّرْعَامَ عَنْ أَشْبَالِهِ (١)
ضَرْبٌ يَجُولُ الْمَوْتُ فِي أَجْوَالِهِ (٢)
وَلَقَدْ خَبَأْتُ مِنَ الْكَلَامِ سُلَافَهُ
وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ (٣)
وَإِذَا تَعَثَّرَتِ الْجِيَادُ بِسَنَنِهِ
بَرَزْتُ غَيْرَ مُعْتَرٍّ بِجِبَالِهِ (٤)
وَحَكَمْتُ فِي الْبَلَدِ الْعَرَاءِ بِنَاعِجٍ
مُعْتَادِهِ مُجْتَابِهِ مُقْتَالِهِ (٥)

الحزن . قال ابن جني : قوله من الهوى يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون العرض - أى الهوى نفسه - فيكون هذا من مبالغة الشعر التي ليست لها حقيقة ، والآخر أن يريد المرأة التي شرب بها فيكون على حذف مضاف : أى ذات الهوى .

(١) تستجفل الضرعام : تستدعى إسراره في الحرب - من قولهم جفل الظليم وأجفل إذا أسرع - والضرغام : الأسد ؛ وأشباله : أولاده . وقوله « لكل أرض » أى لافتح أو غزو أو قتال كل أرض . وكفى بالساعة عن قصر المدة التي يستولى عليها وسرعة تمكنه منها . يقول : ادخرت لفتح كل أرض ساعة مهولة شديدة لو رآها الأسد لأخذه من الروع ما يضطره إلى الفرار عن أشباله لشدها وهولها .

(٢) الأجوال : النواحي ، واحدها : جول ، وجال ؛ والضمير في « بها » : للساعة ويجوز أن يكون للأرض . يقول : يتلاقى الأبطال في تلك الساعة وبينهم ضرب شديد يكثر الموت فيه ، يجول في نواحيه ؛ وفي البيت جناس بين « يجول » و « أجواله » .

(٣) السلاف : أجود الحمر ، وهو أول ما يجرى من ماء العنب من غير عصر ؛ والجريال : ما كان منه أحمر ، وهو دون السلاف . يقول : إن الذي سمعه الناس من كلامي ورأوه إنما هو بمنزلة الجريال من السلاف : أى لم أخرج لهم عتار شعري وجيد كلامي ، وإنما خبأته لسيف الدولة .

(٤) الجياد : الخيل الكريمة ؛ وبرزت : سبقت . يقول : إذا تعثر الشعراء المهيئون بالكلام السهل سبقتهم غير متعثر بحزنه ، يعنى إذا لم يقدرُوا على السهل القريب كنت قادراً على الصعب الممتنع ، فجعل الجياد مثلاً لفحول البلاغة ؛ والسهل والجبيل مثلاً للسهل الكلام وصعبه .

(٥) العراء الأرض الواسعة الخالية ؛ والناعج : الأبيض الكريم من الإبل ؛ و « عتاده » نعت لناعج ؛ والضمير المجرور ؛ للبلد العراء ؛ والمجتاب : القاطع ، وهو الذي يقطع الأرض بالسير . والمقتال : المهلك - أى الذي يفنيه بالسير - يصف قوته على السير

يَمْشِي كَمَا عَدَتِ اللَّطِيُّ وَرَأَاهُ ، وَبَزِيدُ وَقْتِ جَمَاهَا وَكَلَالِهِ ^(١)
وَتَرَاعُ غَيْرَ مُعْقَلَاتِ حَوْلَهُ فَيَقُوتُهَا مُتَجَفِّلًا بِمِقَالِهِ ^(٢)
فَغَدَا النَّجَاحُ وَرَاحَ فِي أَخْفَافِهِ ، وَغَدَا الْمِرَاحُ وَرَاحَ فِي إِرْقَالِهِ ^(٣)
وَشَرِكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَـيْفِهَا ،
وَشَقَقْتُ خَيْسَ الْمَلِكِ عَنْ رَبِّئَالِهِ ^(٤)

وقطع الفلوات . يقول : وحكمت في الفلوات أجوبها متى شئت يحمل قد اعتاد السفر وقطع الفلوات ، ومعنى حكمت فيه قطعت به ، على ما قدرت كما أردت ، لاعتمادى على قوة مطيقي .

(١) عدت : ركضت ؛ واللطي : الإبل ؛ والجمام : الراحة ؛ يقال جم الفرس يحجم ويجم جما وجماما وأجم : ترك فلم يركب ، فذهب إعياءه ؛ وفرس جموم : إذا ذهب منه إحضار - جرى - جاءه إحضار ؛ وكذلك الانقي ، قال النمر بن تولب :

جُمُومُ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذَّنَابِي يَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سَرَاجَا ^(١)

والكلال : الإعياء . يقول : إن هذا الناعج يمشى على مهله فيسبق الإبل الراكضة خلفه : أى أنه يسبق عدو الإبل ماشيا ويزيد عليها سرعة إذا كان كالا من طول السير وهي مستريحة ، فما ظنك به إذا تساوت به الحال وذهب عنه الكلال ؟

(٢) ترع : تخوف ، ومعقلات : مشدودات بالعقال ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : إذا ثنى وظيفه مع ذراعه وشدها جميعا في وسط الذراع ، وذلك الجبل هو العقال ، والجمع عقل - والتجفل : للسرع . يقول : إذا طرأ على الإبل ما يروعها فنورت فاشتد عدوها - جريها - وهي غير معقولة سبقها هذا الناعج وهو في العقال فتصير وراءه .

(٣) الأخفاف : جمع خف ، جمع فرسن البعير ؛ والمراح : النشاط ؛ والإرقال : الإسراع . يقول : بسيره أدرك ما أطلب من النجاح ، فالنجاح في قوائمه ، وهو نشيط في عدوه لا نشاط إلا في إرقاله ؛ وبعبارة أخرى : نجاحي كله منوط بقوائمه لأنى أبلغ مطالبى عليه ، وهو نشيط لا نشاط إلا في إسراعه :

(٤) الخيس : أجمة الأسد ؛ والرئبال : الأسد . يقول : صرت مشاركا للخلافة في

(١) قوله شائلة الذنابي : يعنى أنها ترفع ذنبها في العدو - أى الجرى -

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِّمَ اللَّيْثُ كَالَهُ يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ ^(١)
وَتَوَاضَعُ الْأَمْرَاءُ حَوْلَ سَرِيرِهِ ، وَتَرَى الْمَحَبَّةَ وَفِي مِنْ آ كَالَهُ ^(٢)
وَيُمِيتُ قَبْلَ قِتَالِهِ وَيَبْشُرُ قَبْلَ نَوَالِهِ وَيُنِيلُ قَبْلَ سُؤَالِهِ ^(٣)
إِنَّ الرِّيَّاحَ إِذَا عَمَدْنَ لِنَاضِرٍ أَغْنَاهُ مُقْبِلُهَا عَنْ اسْتِمْعَالِهِ ^(٤)
أَعْطَى وَمَنْ هَلَى الْمُلُوكِ بِعَفْوِهِ حَتَّى تَسَاوَى النَّاسُ فِي إِفْضَالِهِ ^(٥)

سيف الدولة : أى جعلته سيفاً لى ، كما هو سيف دولة هانم ووصلت إلى أسد الملك بشق الخيس إليه ؛ يعنى أن نظام أمرى من هطايه ، كما أن نظام الدولة من رأيه .

(١) يقول : شققت خيس الملك عن الليث - الأسد - الذى أعطى من الكمال ما لم تعطه الأسود ، لأنه يشركها بياسه ويفوتها بحسنه وجماله ، فهو لحسنه إذا بطش بعده شغله النظر إلى جماله عن خوفه ، وما يتوقمه من بأسه ؛ والأسود إذا افترست فريسة أفرعتها لقبح منظرها . ومن روى خوفه : فالحوف مضاف إلى المفعول ، لأنه المخوف ؛ ومن روى خوفها : فالمصدر مضاف إلى الفاعل ، لأن الفريسة هى الخائفة .

(٢) تواضع - بخذف إحدى التائين - أى تواضع ؛ والآ كال : الأرزاق والأقوات يقول : إن الأمراء لرفعة شأنه يتواضعون له يقبلون الأرض حول سريرهم ويظهرون له المحبة وهى - المحبة - من جملة الأرزاق التى تجبى له من مملكته ؛ يعنى أنه محبوب إلى كل أحد .

(٣) النوال : العطاء . يقول : إنه يقتل العدو بخوفه وهيبته قبل أن يقاتله ، ويبشّر للسائل قبل أن يعطيه ، ويعطيه قبل أن يسأله .

(٤) عمدن : قصدن ؛ والناظر : بمعنى المنتظر ؛ ومقبلها - بكسر الباء - أى ما يستقبل منها . قال الواحدى : والرواية الصحيحة مقبلها - بفتح الباء أى إقبالها ، فيكون مصدرا وهذا مثل لعجلته فى العطاء وسبقه السائل . يقول : إن الرياح إذا قصدت من ينتظرها أغنته بسرعتها عن أن يستعجلها فى وصولها إليه ، كذلك هو لا يحتاج إلى محرك له فى الكرم والفضل .

(٥) يقول : لم يخل أحد من إفضاله عليه ، فمن كان دون الملوك بمن هم أهل للعطاء أعطاهم ، أما الملوك فقد من عليهم بالعفو عنهم وترك ما لكهم لهم ، فتساوى الجميع فى إفضاله عليهم ، قال البحرى :

وَإِذَا غَنُوا بِمِطَاطِهِ عَنْ هَزِهِ ، وَآلَى فَأَغْنَى أَنْ يَقُولُوا وَآلِهِ ^(١)
 وَكَأَنَّمَا جَذْوَاهُ مِنْ إِكْثَارِهِ حَسَدٌ لِسَائِلِهِ عَلَى إِقْلَالِهِ ^(٢)
 غَرَبَ النُّجُومُ فَفَرْنَ دُونَ هُمُومِهِ ، وَطَلَعْنَ حِينَ طَلَعْنَ دُونَ مَنَالِهِ ^(٣)
 وَاللَّهُ يُسْعِدُ كُلَّ يَوْمٍ جَدَّهُ ، وَيَزِيدُ مِنْ أَعْدَائِهِ فِي آلِهِ ^(٤)
 لَوْ لَمْ تَكُنْ تَجْزَى عَلَى أَسْيَافِهِ مَهْجَاتُهُمْ جَلَّتْ عَلَى إِقْبَالِهِ ^(٥)

عَمَّتْ صَنَائِعُهُ الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا ، فَعَمَّ الْقَلْبُ عَلَى الْغِنَى الْمَكْرُ

(١) هزه: أى تحريكه للعطاء بالسؤال ؛ ووالى : تابع . وأن يقولوا : مجرور بـ«عن» محذوفة صلة أغنى وواله: أمر من الموالاة ، والضمير للعطاء . يقول: وإذا استغنى الناس بما يعطيهم عن أن يحركوه للعطاء تابع عطائه ؛ فأغناهم بذلك عن أن يكرروا السؤال .

(٢) الجدوى : العطية ؛ والإقلال : القلة والفقر . يقول : لإكثاره العطاء كأنما يحسد سائله على الفقر فيعطى عطاء كثيراً يصير مثله فقيراً ، وكذلك قال المتنبي نفسه حين سألته ابن جنى عن معناه ، قال المتنبي : أردت إفراطه في الجود ، حق كأنه يطلب أن يكون مقلداً - كسائله - فهو يفرط في إعطائه طلباً للإقلال ، فكأنه - لكثرة إعطائه - يحسد على الفقر والقلة حتى يصير فقيراً .

(٣) ففرن : أى ففرن ؛ والهموم : جمع هم ، بمعنى همة . يقول : إن النجوم تغرب وتغور في مكان أدنى من همة وتطلع من مكان أدنى من الغاية التي ينالها : أى أن همة تبلغ إلى ما هو وراء النجوم ، وينال أبعد منها ؛ وعبارة الشراح : إن همة بلغت أقصى من مغارب النجوم ، وتطلع النجوم من مشارقها وهى دون ما ناله بهمة ؛ يعنى أن النجوم مع ارتفاع مواضعها وانزياح مغاربها ومطالعها تغرب مقصورة عما تبلغه همة وتطلع متواضعة عما يدركه تناوله . قال الواحدي : ويجوز أن يكون المعنى أن منال الممدوح أبعد من مطلع النجوم : أى لا يصيبه أعداؤه ولا يبلغون مناله .

(٤) الجد : الحظ ؛ وآل الرجل : أهله وأتباعه . يقول : يحدد الله له كل يوم سعادة ويحمل من أعدائه أولياء له ينضمون إليه ويوالونه رغبة أو رهبة ، فيزيد بذلك عدد صحبه وأشياعه .

(٥) يقول : لو لم يقتل أعداءه بسيفه ماتوا بقوة جده وإقبال سعده ، فكان سيف

لَمْ يَنْزُكُوا أُنْزَارًا عَلَيْهِ مِنَ الْوَعَى إِلَّا دِمَاءُهُمْ عَلَى سِرْبَالِهِ ^(١)
 فَلَمَّثْلِهِ جَمَعَ الْعَرْمَرَمُ نَفْسَهُ ، وَبِمِثْلِهِ انْفَصَمَتْ عُرَى أَقْتَالِهِ ^(٢)
 يَا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُبَاهِي وَجْهَهُ لَا تُكْذِبَنَّ فَلَسْتَ مِنْ أَشْكَالِهِ ^(٣)

إقباله يقتلهم . جعل مهجهم تجرى على إقباله تشبيها له بالسيف من طريق التشاكلة .
 والهجاء : دم القلب والروح .

(١) الوعى : الحرب ؛ والسربال : الثوب . يقول : لما قاتل أعداءه لم يؤثروا فيه
 أنزراً غير تلطيخ ثوبه بدمائهم التي سفكتها منهم صوارمه .

(٢) العرمرم : الجيش الكثير . ويقال قصمه يقصمه قصبا فانقصم : كسره من غير
 أن يبين ؛ أما القصم - بالقاف - فهو الكسر فيه بينونة ، يقال قصمه يقصمه قصبا فانقصم
 وتقصم . قال ذو الرمة يذكر غزالا شبهه بدملج فضة :

كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَتْ فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَى مَفْصُومٍ ^(١)
 والعري - هنا - القوى ؛ والأقتال : الأعداء ، جمع قتل - بكسر القاف - أى اللقاتل
 قال عبد الله بن قيس الرقيات :

وَإِغْتَرَابِي عَنْ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فِي بِلَادٍ كَثِيرَةِ الْأَقْتَالِ

والضمير في «إقتاله» للمدح ، أو للجيش . يقول : مثل سيف الدولة - أى له
 لا لغيره - يجمع الجيش الكثيف نفسه ويسلم طاعته فهو - لأنه يغنمه ويسلبه - كأنه جمع
 نفسه له . ثم قال : وبمثلته من أولى الحزامة والتدبير انقصمت عرى أعدائه وانقرط عقدهم
 ولم يكونوا شيئا مذكورا . أو تقول : إن مثله من يجتمع الجيش الكثير لقتاله ودفع
 بأسه ولكن مثله من يقتل الجيش ويكسر قواه فلا يغنى أماءه شيئا .

(٣) الباهي : المفاخر . يقول : - للقمر - لا تسمعن الكذب ولا تكذبك نفسك
 لست من أمثاله فى الحسن والنور ؛ يعنى أن من قال لك إنك مثله فقد كذبك ، وجعل
 القمر مباهيا وجهه لانه بحسنه وزيادته كل ليلة كأنه يباهى وجهه

(١) غبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان
 بفسنيه ولم يهتد له فهو نبيه ، وقيل فى نبيه إنه المشهور ، وقيل النفيس الضال الموجود
 بمن غفلة لا عن طلب وإنما جعله مقصوما لتثنيه وانغناؤه ، ولم يقل مقصوم - بالقاف -
 فيكون بائنا بائنين .

وَإِذَا طَمَأَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ قُلْنَ لَهُ دَعِذَا فَإِنَّكَ عَاجِزٌ عَنْ حَالِهِ (١)
وَهَبَ الَّذِي وَرِثَ الْجُدُودَ وَمَا رَأَى أَفْعَالَهُمْ لِابْنِ بِلَا أَفْعَالِهِ (٢)
حَتَّى إِذَا فَنِيَ التَّرَاثُ سِوَى الْعَمَلِ قَصَدَ الْعُدَّةَ مِنَ الْقَنَاءِ بِطَوَالِهِ (٣)

(١) طما البحر : ارتفع وزخر . يقول : قل للبحر - إذا امتلأ ماء - دع هذا الامتلاء والافتخار به ، فانك لن تبلغ مبلغه من الجود ؛ فالإشارة بقوله «ذا» إلى ما يفهم من قوله «طما» من العظمة والافتخار : وفي مثل هذا يقول البحري :

قَدِ قُلْتُ لِلْفَيْثِ الرُّكَامِ وَلَجَ فِي إِبْرَاقِهِ وَالْحُجْ فِي إِرْعَادِهِ
لَا تَعْرِضَنَّ الْجُمْفَرُ مُتَشَبِّهًا بِنَدَى يَدِيهِ فَلَسْتَ مِنْ أُنْدَادِهِ

(٢) ورث الجدود : أى ورثه من الجدود ، تقول ورثت زيدا مالا : أى من زيد ولابن : مفعول ثان لرأى ؛ والضمير فى «أفعاله» يعود إلى الابن ، و«لا» فى قوله «بلا أفعاله» فى معنى غير . يقول : وهب ما ورثه من جدوده من المال والمآثر كلها فوهب المال للعفاة وترك مفاخر آبائه لقومه غير مقتخر بها ، لأنه لا يفتخر إلا إلا بفعل نفسه ولا يرى أفعال الجدود شرفا دون أن يبنى عليها . وبعبارة أخرى : وهب الذى ورثه من جدوده من المال ولم يفتخر بأفعالهم ، لأنه يرى أن أفعال الجدود لا يثبت شرفها للابن مالم يشفعها هو بأفعال تماثلها . والأصل فى هذا المعنى قول المتوكل الليثى .

لِسْنَا وَإِنْ أَحْسَابُنَا كَرُمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكَلُّ
نَبْنَى كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنَى وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
وقال كشاجم :

وَإِذَا افْتَخَرْتَ بِأَعْظَمِ مَقْبُورَةٍ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُكْذِبٍ وَمُصَدِّقٍ
فَأَقِمْ لِنَفْسِكَ فِي انْتِسَابِكَ شَاهِدًا بِحَدِيثِ مُحَمَّدٍ لِلْقَدِيمِ مُحَقِّقٍ
وقال الشريف الرضى :

فَخَرْتُ بِنَفْسِي لَا بِقَوْمِي مُوقِرًا عَلَى نَاقِصِ قَوْمِي مَا نَزَّ أَسْرَتِي

(٣) التراث : المال الموروث . وقوله فى التراث سوى العلا : لأن المال يفتى بالهبة ؛ والعللا لا تفتى ، وإن ترك الافتخار بها . يقول : لما لم يبق من المال الموروث شيء قصد الأعداء بالرياح الطوال فامتلات يده بقتلهم : أو تقول : لما فى ما ورثه من الأموال

وَبَارِعَنِ لَبِيسَ الْعَجَاجِ إِلَيْهِمْ . فَوْقَ الْحَدِيدِ وَجَرَ مِنْ أَذْيَالِهِ (١)
فَكَأَنَّمَا قَذَى النَّهَارُ بِنَقْعِهِ . أَوْ غَضَّ عَنْهُ الطَّرْفُ مِنْ إِجْلَالِهِ (٢)
الْجَيْشُ جَيْشُكَ غَيْرَ أَنَّكَ جَيْشُهُ . فِي قَلْبِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ (٣)
تَرَدُّ الطَّعَانُ الْمُرَّ عَنْ فُرْسَانِهِ . وَتُنَازِلُ الْأَبْطَالُ عَنْ أَبْطَالِهِ (٤)

لا من العالي ، لأنه لم يضع شيئاً من مجد آباءه . ركب إلى العدا فأتسعت يده بغنائمهم .
وقوله بطواله : أى طوال القنا ،

(١) الأرعن: الجيش العظيم المضطرب لكثرتة ؛ وقيل سمى الجيش العظيم «أرعن»
لأن له فضولا كرعان الجبال . شبه بالرعن من الجبل وهو الأنف العظيم من الجبل تراه
متقدماً ، ومن ذلك سميت البصرة رعناء : أى تشبها برعن الجبل ؛ قال الفردق :

لَوْ لَا أَبُو مَالِكٍ الْمَرْجُوءُ نَأَلَهُ مَا كَانَتْ الْبَصْرَةُ الرَّعْنَاءُ لِي وَطَنًا

والعجاج الغبار : يقول : قصد العدو بجيش عظيم قد لبس فوق ما عليه من الحديد
دروعاً من العجاج وجر أذيال ذلك العجاج خلفه ، والجيش كلما كثر كثرت الغبار ؛ ومن
في قوله من أذياله - زائدة ، كما تقول : جاء يهز من عطفه .

(٢) القذى : ما يقع في العين من الغبار ونحوه ؛ والنقع : الغبار ؛ وغض الطرف
كسره وخفضه ؛ والضمير في نقعه : للجيش . وفي عنه وإجلاله : للجيش ، أولسيف الدولة
يقول : أظلم النهار بشدة ذلك الغبار حتى كأنما وقع في ضوئه قذى من الغبار ، يعنى
أن الغبار غطى ضوء النهار فصار كالقذى في عينه ، أو كأن النهار غض طرفه لإجلاله .
قال الواحدي : وطرف النهار هو الشمس ، فالعنى أن هذا الغبار نقص من ضوء الشمس
وسترها بتكاثفه .

(٣) قلب الجيش : وسطه . يقول : الجيش على الحقيقة جيشك ، فكل جيش سوى
جيشك ليس بجيش ، لكنك جيش جيشك ، لأنه بك يتقوى ، وقلبه وجناحه تقوى
بك ؛ أو تقول : الجيش جيشك يذود عنك وينزل على حركك ، ولكنك أنت في الحقيقة
جيشه الذى يقى قلبه وجناحه ويحتمى بك ، وإذا احتفى الملوك بجيوشهم فانت تحمى
جيشك وتدافع عنه بشجاعتك وإقدامك . قال أبو تمام :

لَوْ لَمْ يَقْدَرْ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعْنَى لَفَدَا مِنْ نَفْسِهِ وَخَدَهَا فِي جَحْفَلٍ لِحَبِّ

(٤) هذا تبين لما ذكره في البيت السابق من أنه جيش جيشه . يقول : لأنك تقايل

كُلُّ يُرِيدُ رِجَالَهُ لِحَيَاتِهِ يَأْمَنُ يُرِيدُ حَيَاتَهُ لِرِجَالِهِ (١)
 دُنَ الحَلَاوَةِ فِي الزَّمَانِ مَرَارَةً لَا تُخْتَطَى إِلَّا عَلَى أَهْوَالِهِ (٢)
 فَلِذَاكَ جَاوَزَهَا عَلَى وَحْدِهِ وَسَعَى بِمَنْصُلِهِ إِلَى آمَالِهِ (٣)

وقال وقد توسط سيف الدولة جبالا بطريق آمد :

يَوْمَئِذٍ ذَا السَّيْفِ أَمَالَهُ وَلَا يَفْعَلُ السَّيْفُ أَفْعَالَهُ (٤)
 إِذَا سَارَ فِي مَنَمِهِ عَمَهُ وَإِنْ سَارَ فِي جَبَلٍ طَالَهُ (٥)

عن فرسان جيشك فيقع عليك الطعام المر دونهم ، وتقاتل أبطال أعدائك عن أبطال جيشك فكيفهم القتال ومقاساة الطعام . وترد : من ورود الماء ؛ يريد تشبيه الطعام بالنهل ، ولذلك وصفه بالمرارة .

(١) يقول : كل الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عنهم ويحموهم من أعدائهم ليقوا ويسلموا ، وأنت تريد أن يبقى رجالك ويسلموا فتدافع عنهم وتحامي دونهم ، وهذا غاية الكرم والشجاعة . وقد بنى التنبى هذا البيت على حكاية وقعت لسيف الدولة مع الأخشيد وذلك أنه جمع جيشاً وزحف به على بلاد سيف الدولة ؛ فبعث إليه سيف الدولة يقول : لا تقتل الناس بيني وبينك ، ولكن ابرز إلى فأينا قتل صاحبه ملك البلاد ؛ فامتنع الأخشيد ووجه إليه يقول : مارأيت أعجب منك ! أجمع مثل هذا الجيش العظيم لأقى به نفسى ثم أبارزك ؟ والله لافعلت ذلك أبداً .

(٢) لا تختطى : لا تتجاوز . يقول : لا يوصل إلى حلاوة الزمان إلا بعد ذوق مرارته ، ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال ، كما قال :

* ولا بدّ دون الشَّهْدِ من لَبَرِ النَّحْلِ *

(٣) على : اسم سيف الدولة ؛ وللنصل : السيف . يقول لأن تلك المرارة على ما ذكر جاوزها — قطعها — المدوح وحده ، لأنه لا يركب الأهوال غيره ووصل بسيفه إلى ما كان يؤمله ، فأدركه حين طلبه بالسيف .

(٤) يؤم : يقصد . يقول : هو — سيف الدولة — سيف يقصد ويطلب ما يؤمله ، ولكنه أمضى من السيف في بلوغ آماله .

(٥) المهمة : المغازاة البعيدة . وطالاه — من قولهم طاولته فطلته : أى غلبته في الطول

وَأَنْتَ بِمَا نُلْتَنَا مَالِكٌ يُشْمَرُ مِنْ مَالِهِ مَالَهُ^(١)
كَأَنَّكَ مَا بَيْنَنَا ضَيْفٌ يَرْشَحُ لِلْفَرَسِ أَشْبَاهَهُ^(٢)

* * *

وقال يمدحه ويذكر الخيمة التي رمتها الريح ، وكان قد ضرب سيف الدولة
خيمة عظيمة بميا فارقين وأشاع الناس أن مقامه يتصل بها فهبت ريح شديدة
فوقمت الخيمة فسكلم الناس في ذلك فقال : «

أَيْقَدَحُ فِي الْخِيْمَةِ الْمَذَلُ وَتَشْمَلُ مَنْ دَهَرَهَا يَشْمَلُ^(٣)
وَتَعْلُو الَّذِي زَحَلَتْ تَحْتَهُ مُحَالٌ لِمَرْكٍ مَا نَسْأَلُ^(٤)

يقول : إذا سار في الفلوات والأرض السهلة عمها بجنوده ، وإن سار في الجبل علاه
فصار فوقه وليس هذا من أعمال السيف .

(١) نال ينول : إذا أعطى ؛ وثمر ماله : أحسن القيام عليه وأتماه . يقول : أنت
بما تعطينا كالمالك الذي ينمي أمواله ، ولكنك تنمي بعضها ببعض .

(٢) الضيف : الأسد . ورشحه للأمر : هياه وأهله ، والفرس بمعنى الاقتراس ؛
والشبل : ولد الأسد . يقول : أنت - لأنك تمرست بمقارعة الأبطال ، وتفردت دوننا
بمنازلة الأقران - أسد ينهج لأشباله ما يأتيه ويفعله ويضربها على ما يمثله ؛ يعني أنك
تضربنا على الحرب وتعودنا القتال كما يرشح الأسد أشباله للاقتراس فيعلمها ذلك .

(٣) أيقدح : أعييب ؛ والاستفهام إنكارى . والواو من « وتشمل » حالية ؛
والعذل : جمع عاذل ، اللائم . يقول : هؤلاء الذين يلومون الخيمة على السقوط أعييبونها
وعذرنا في هذا التقوض أنها اشتملت على من شمل الدهر فضاقت عنه فلم تثبت حوله ؟
قال الواحدى : وإضافة الدهر إلى الخيمة غير مستحسن ، ولو قال : من دهره يشمل
لكان أحسن ؛ ومعنى شمل الشيء : أحاط به : أى أن الخيمة تحيط بمن أحاط بالدهر ؛
يعنى علم كل شيء ، فلا يحدث الدهر شيئاً لم يعلمه ، ومن كان بهذا المحل لا يعلوه شيء
ولا يحيط به شيء . هذا : وفي رواية * أينفع في الخيمة العذل * أى أينفع عذل العاذلين
في سقوط الخيمة ؟ والرواية الأولى أوجه .

(٤) محال : خبر مقدم ؛ و« ما » من « ما نسأل » بمعنى الذى : مبتدأ مؤخر . يقول :
وهل تعلو الخيمة الذى زحل تحتها في علو القدر والنسابة ؟ فالذى نسأله الخيمة أو تكلفه

فَلَمْ لَا تُلَوِّمُ الَّذِي لَامَهَا وَمَا فَصَّ خَاتَمِهِ يَذْبُلُ^(١)
تَضْيِيقُ بِشَخْصِكَ أَرْجَاؤُهَا
وَيَرَّ كُضُّ فِي الْوَاحِدِ الْجَحْفَلُ^(٢)
وَتَقْصُرُ مَا كُنْتَ فِي جَوْفِهَا وَتَرْكَزُ فِيهَا الْقَنَا الذَّبْلُ^(٣)

من الثبوت فوقه محال ؛ ومن روى «ما تسأل» بفتح التاء - المعلوم ؛ فالضمير للخميمة أو للمخاطب ؛ أى أن ما تسأله هى أو ما تسألها أنت من ذلك محال

(١) ما ؛ بمعنى ليس ؛ ويذبل : جبل معروف . يقول : لم لا تلوم الخيمة من لامها على سقوطها قائلة له : لم لا يكون فص خاتمك يذبل ؟ أى فكما يستحيل لوم من لم يتخذ الجبل فصا ، فكذلك لوم الخيمة . وعبرة ابن جنى : إن جاز أن تلام هذه الخيمة على عجزها عن علوها للمدوح ، وهو غير ممكن - لعلوه عنها - فلم لا تلوم من لامها على أنه ليس فص خاتمه يذبل ، وهو مستحيل أن يكون فص خاتم إنسان يذبل ، لأن هذا ليس فى طاقته ، فكذا هذه الخيمة لا تقدر أن تعلو المدوح لقصورها عنه ، وقال ابن الإفليلي : المعنى لم لا تلوم من لامها وتقول له إننى تهيت الرئيس وأعجزنى الاشتغال عليه بقصر يذبل مع عظيمته عن فص خاتمه وخفته بجانب رزائته وقلته بالقياس إلى جلالته . فكيف أطيع الاشتغال على من هذه حاله ؟ وقال ابن القطاع : ما - من قوله وما فص خاتمه يذبل - بمعنى الذى ؛ والضمير فى خاتمه : لسيف الدولة ؛ والتقدير : لم لا تلوم لأنما ؛ وسيف الدولة الذى فص خاتمه يذبل تحته ؟ حذف الخبر . . . وهذا - كما ترى - تعسف من ابن القطاع . وقد قال لنا ابن جنى : سألت اللثبي عن هذا البيت فقال «ما» بمعنى ليس ، والتقدير كما قلنا ، لم لا تلوم الخيمة من لامها ، على أنه ليس فص خاتمه يذبل والضمير راجع إلى اللثم . هذا : والخاتم - بكسر التاء وفتحها - لغتان فصيحتان .

(٢) الأرجاء : النواحي ؛ والجحفل : الجيش العظيم . يقول : إن هذه الخيمة واسعة كبيرة بحيث يركض الجيش الكثير فى أحد نواحيها ، ولكنها مع ذلك ضاقت جميعها بشخصك هية لك وإجلالا أن تعلوك .

(٣) «ما» مصدرية زمانية ؛ والقنا : الرماح ؛ والذبل : جمع ذابل بوصف به الرماح لينها ، لأنها طويلة . يقول : وتقصر عنك مادمت فى جوفها فلا تستطيع أن تعلوك إجلالا لك وهية لعلو مرتبتك مع أنها هى فى الحقيقة عالية حتى تركز فيها الرماح

وَكَئِيفَ تَقُومُ عَلَى رَاحَةٍ كَانَ الْبَحَارَ لَهَا أُغْمَلُ^(١)
 فَلَيْتَ وَقَارَكَ فَرَّقْتَهُ وَحَمَلْتَ أَرْضَكَ مَا تَحْمِلُ^(٢)
 فَصَارَ الْأَنَامُ بِهِ سَادَةً وَسُدَّتْهُمْ بِالَّذِي يَفْضُلُ^(٣)
 رَأَتْ لَوْنَ نُورِكَ فِي لَوْنِهَا كَلَوْنَ الْغَزَالَةِ لَا يُفْسَلُ^(٤)
 وَأَنَّ لَهَا شَرْقًا بَادِخًا وَأَنَّ الْخِلَامَ بِهَا تَحْجَلُ^(٥)

(١) الراحة : راحة الكف ؛ والأنامل : أطراف الأصابع . يقول : وكيف تبقى الحيمة قائمة وتحمي راحتك الواسعة الجود ؟ فكان البحار أنامل لها .

(٢) يقول : فليتك فرقت وقارك على الناس وحملت أرضك من باقى وقارك ما تطيق حملة ، فإنك لو فعلت ذلك لحص الحيمة منه ما يوقرها ويثبتها فلا تسقط .

(٣) يقول : فصار الناس كلهم سادة بما أخذوا من الوقار وفضل لك منه ما تصير به سيد الناس . يصف رزاة حملة وكثرة وقاره ، وأنه لو فرق منه الكثير لبقى له ما يسود به الناس .

(٤) الغزالة : الشمس عند طلوعها ، يقال طلعت الغزالة ، ولا يقال غابت الغزالة ، وإنما يقال غربت الجونة ، وغزالة الضحى وغزالاته بعد ما تنبسط الشمس وتضحى ، يقال جاء فلا فى غزالة الضحى ؛ قال ذو الرمة :

فَأَشْرَفْتُ الْغَزَالَةَ رَأْسَ حُرُوزِ أَرَأَيْتَهُمْ وَمَا أَغْنَى قِبَالَ^(١)

يقول : صارت الحيمة بما اتصل بلونها من لون نورك كالغزالة التى لا يفارقها ذاتى نورها ، وأراد بقوله لا يفسل أن ذلك النور لا يزول عنها ولا يفارقها . والمعنى أن الحيمة اكتسبت من نورك ما صارت به موازية للشمس التى لا يزول نورها .

(٥) شرف بادخ : أى عال ؛ والبادخ والشامخ : الجبل الطويل ؛ وبذخ البحر يذخ

(١) يريد بقوله أرايتهم : الأعظماء ؛ ونصب الغزالة على الظرف ؛ ورأس حزوى : مفعول أشرفت على معنى علوت : أى علوت رأس حزوى فى غزالة الضحى ؛ ولك أن تقول : إن الغزالة - فى البيت - الشمس ، أى علوت رأس حزوى طلوع الغزالة : أى طلوع الشمس .

فَلَا تُنْكِرْنَ لَهَا صَرَعةً فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ مَا يَقْتُلُ^(١)
وَلَوْ بُلِّغَ النَّاسُ مَا بُلِّغَتْ نَلَاتِهِمْ حَوْلَكَ الْأَرْجُلُ^(٢)
وَلَمَّا أَمَرْتَ بِتَطْنِيبِهَا أَشِيعَ بِأَنَّكَ لَا تَرَحُلُ^(٣)
فَمَا اعْتَمَدَ اللَّهُ تَقْوِيضَهَا وَلَكِنْ أَشَارَ بِمَا تَفْعَلُ^(٤)
وَعَرَفَ أَنَّكَ مِنْ هَمِّهِ وَأَنَّكَ فِي نَصْرِهِ تَرْفُلُ^(٥)

بذخانا فهو باذخ وبذاخ : اشتد هدره فلم يكن فوقه شيء . يقول : ورأت أن لها شرفاً عظيماً إذا سكنتها ، وإذا رأتها الخيام خجلت ؛ إذ لم تبلغ ما بلغت من الاشتغال عليك .
(١) أنكر الشيء : استغربه ؛ والصرعة : السقطة ؛ ومن فرح النفس : خبر مقدم وما يقتل : مبتدأ مؤخر . يقول : فإذا سقطت الخيمة لم يكن ذلك نكراً مستغرباً ، لأنها فرحت بذلك غاية الفرح ، والفرح قد يقتل إذا بلغ الغاية ، فكيف لا تصرع ؟ أى لا تسقط .

(٢) يقول : لو بلغ الناس العقلاء مبلغ هذه الخيمة من القرب منك والاشتغال عليك لخاتهم أرجلهم فلم تحملهم هيبة لك ، كما خاتها أطناها وعمدها .

(٣) التطنيب : مد الأطناب . يقول : لما أمرت بهذه الخيمة أن تنصب وتمد أطناها أشيع الخبر في الناس أنك لست راحلاً للغزو ، لا مريدك إلى الإقامة .

(٤) الاعتماد : معناه القصد ؛ والتقويض : الهدم يريد قلع الخيمة . يقول : لم يقصد الله سبحانه هدم الخيمة ، وإنما أراد بإسقاطها أن يشير عليك بما ينبغي أن تفعل من معالجة النهوض والتوجه للغزو ، وأن الأمر ليس على ما يقول الناس ؛ وأشار : بمعنى أمر ، من المشورة ، لا من الإشارة - لأنه وصله بالباء . وقال العكبري : أشار من الإشارة ، لا من المشورة في الرأي ؛ فإن قيل : الإشارة إنما تكون بالإيماء بالجراحة ، والله تعالى يرتفع عن الوصف بالجوارح ، قيل : إنما أراد بالإشارة : التنبيه ؛ أى فنبهك بوقوعها على الرحيل الذي أعرضت عنه ؛ فالخيمة المشيرة إليه بالوقوف . وقال الآخرون : وجه جوازه أن يكون الله أشار إليه بجسم من الأجسام يحتمل الحركة إما حى وإماموات ؛ إذ لا جراحة له تعالى .

(٥) من هم : مما يهتم به ويحتفل . ويقال رفل رفل : إذا تبختر وجر أذياله . يقول : وعرف الله الناس بتقويض الخيمة أنه لم يخذلك وإنما يعنى بك ؛ يريد إرشادك إلى

فَمَا الْعَانِدُونَ وَمَا أَتَلُّوا وَمَا الْخَاسِدُونَ وَمَا قَوَّلُوا^(١)
 هُمْ يَطْلُبُونَ فَمَنْ أَدْرَكُوا وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَمَنْ يَقْبَلُ^(٢)
 وَهُمْ يَتَمَنُونَ مَا يَشْتَهُونَ وَمِنْ دُونِهِ جَدُّكَ الْمُقْبِلُ^(٣)
 وَمَلْمُومَةٌ زَرَدٌ تَوْبُهَا وَلَكِنَّهُ بِالْقَنَاءِ مُحْمَلٌ^(٤)

ما تفعل ، وأنت تمشى فى نصر دينه ، فجعل قلع الخيمة سبباً لمسيرك وعلامة على أنه خاز لك الارتحال .

(١) هذا استفهام تحقير وتصغير ، ولذلك استعمل بلفظ «ما» . وعند يعنبد عنود آفرو عائد : مال عن القصد ورد الحق وهو يعرفه ، وأصل العائد : البعير الذى يجور عن الطريق ويعدل عن القصد ؛ والجمع عند - مثل راصع وركع - وأنشد أبو عبيدة :
 إذا رحلت فاجعلونى وسطاً إني كبير لا أطيقُ العُنْدَا^(١)

يقول : هؤلاء الأعداء الذين يميلون عن الصدق إلى الكذب والחסدون مام وما قولهم ؟ أى لا تأثير لعداوتهم وحدهم فيك ولا لما يلفقونه من الأقوال أو يضربون لك من الفال بالنحوس عند سقوط الخيمة ، ومعنى ما أتلوا ما أصلا من الكلام وجعلوه أصلاً لتكذابهم ؛ ويروى : ما أملا ويقال قولتى مالم أقل : أى نسبته إلى ؛ ومعناه ؛ أنهم يحسبون أقوالاً كاذبة ويفشونها فيما بين الناس ؛ وقال ابن جنى : قولوا ، أى كرروا القول وخاضوا فيه .

(٢) فمن أدركوا : يروى «فما أدركوا» يقول : هم يطلبون رتبته . فمن الذين أدركوا منهم شأوك ؟ ووجه آخر : هم يطلبون بكيدهم فمن الذين أدركوه حتى يطمعوا فيك ، أو ماذا أدركوا من ذلك ، وهم يكذبون فى تلفيق الأحاديث عنك ، ولكن من يقبل كذبهم ويصدقهم ؟ .

(٣) الجد : البخت والإقبال . يقول : هم يتمنون الظهور عليك وإهلاكك ولكن إقبالاً وسعادة جدك تحول دونهم ودون ما يشتهون .

(٤) وملمومة : عطف على جدك - فى البيت السابق - يريد كتيبة من الجيش مجموعة . وزرد : خبر مقدم ؛ وثوبها : مبتدأ مؤخر - أى اتخذت هذه الكتيبة الدروع ثياباً لها ؛ والزرد حلق الدروع ، وجعل رماحها كالحمل لتلك الثياب ، وهو ما تدلى من

(١) جمع بين الطاء والذال وهو إكفاء ، ويقال هو عنى وسطاً لا عندا

يُفَاجِئُ جَيْشًا بِهَا حَيْنُهُ وَيُنْذِرُ جَيْشًا بِهَا الْقَسَطُ^(١)
 جَعَلَتْكَ بِالْقَلْبِ لِي عُدَّةٌ لَأَنَّكَ بِالْيَدِ لَا تَجْعَلُ^(٢)
 لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيِّفَهَا مُنْصَلُ^(٣)
 فَإِنْ طُبِعَتْ قَبْلَكَ الْمُرْهَفَاتُ فَإِنَّكَ مِنْ قَبْلِهَا الْمَقْصَلُ^(٤)
 وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قَوْمٌ مَضَوْا فَإِنَّكَ فِي الْكَرَمِ الْأَوَّلُ^(٥)

التياب المحملة ؛ يعنى : وحال بينهم وبين ما يشتهون جيشك الذى اتخذ فرسانه الدروع لباساً لهم حتى كأنهم منها فى ثوب سابق إلا أن ذلك الثوب مخمل بالرمح ، وروى ابن الأثير : وملسومة - خفصاً - قال : أى ورب ملسومة الخ .

(١) الحين : الهلاك ؛ والقسطل : الغبار . يقول : يفاجئ بهذه الكتيبة جيشاً هلاكه بها ، وينذر غبارها جيشاً آخر ؛ يعنى أنه تارة يسير بها ليلاً فيأكل جيشاً من الأعداء لا يشعر به فيهلكه ، وتارة يسير بها نهاراً فتثير غباراً فينذر جيشاً آخر يرى ذلك الغبار فيهرب . وقيل المعنى : تحزن : أى تسير فى الحزن - فلا تثير غباراً ، وتارة تسهل : أى فى تسير فى السهل فتثير غباراً

(٢) العدة : ما أعدته لحوادث الدهر من مال وسلاح ونحوهما . يقول : اتخذتكَ عدة لى بقاى وعزى : أى اعتقدت فيك أنك عدة لى فيما أحتاج إليه لأنك لست من العدد التى تعد باليد كالسيوف والأسلحة ، ويجوز أن يريد لست من العدد التى تعمل باليد : أى لا تتصرف فيك الجوارح ، وإنما تنال بالفكر والاعتقاد ، وعبارة بعض الشراح - وقد روى البيت فى القلب وفى اليد - اتخذت عدة لى فى القلب أتشجع بك فى الملمات وأجعل رجاءك سلاحاً لى على دفع غوائل الدهر لأنك أجل من أن تجعل فى اليد كسائر العدد (٣) المنصل : السيف ؛ ومن دولة : «من» زائدة ؛ يقول : لقد رفع الله دولة جعلتك سبيلها على سائر الدول ؛ يعنى دولة الخلافة .

(٤) المرهفات : جمع مرهف ، السيف الرقيق الحد ؛ وطبع السيف : صنعه والمقصَل القاطع . يقول : إذا كانت السيوف قد سبقتك بأن طبعت قبلك فإنك قد سبقتها بالقطع لأنك تقطع بعقلك ورأيتك وحكمك مالا تقطعه السيوف . وقال ابن جنى : المعنى أنك لا تفراط قطعك وظهوره على قطع جميع السيوف كأنك أول من قطع ؛ إذ لم يركب قبلك مثلك وقال غيره يريد أن قطعها بسبك ، ولولا قطعك ما قطعت .

(٥) يقول : إن كان السكرام الأولون جادوا قبلك ، فإنك زدت عليهم وأبدعت فى ذلك ما صرت به أولاً فى السكرام .

وَكَيفَ تُقَصِّرُ عَنْ غَايَةٍ وَأُمُّكَ مِنْ لَيْثِنَهَا مُشِيلٌ^(١)
 وَقَدْ وَلَدَتْكَ فَقَالَ الْوَرَى أَلَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ لَا تُنْجَلُ^(٢)
 فَتَبًّا لِلَّذِينَ عَبَّيْدِ النُّجُومِ وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهَا تَفْقِلُ^(٣)
 وَقَدْ عَرَفْتِكَ فَمَا بَالُهَا تَرَكَ تَرَاهَا وَلَا تَنْزِلُ^(٤)

(١) الليث . الأسد ؛ ولبؤة مشيل : ذات أشبال ؛ والشبل : ولد الأسد . يقول :
 كيف تقصر عن إدراك الغايات البعيدة في الكرم والفضل والشجاعة وقد ولدك الأسد ؟
 فأُمُّك أشبلت بك من أليك الذي هو الاسد ، وقد ضرب ذلك مثلاً لشجاعته وضاءه
 كأن أبويه أسدان ، ومن روى من ليثا - بفتح ميم من - ف «من» عبارة : عن الأم ،
 وهي خير المبتدأ ، وما بعدها مبتدأ وخبر صلة لها ، والمشبل - على هذا - هو الليث ،
 وهو الأب .

(٢) يقول : لما ولدتك أمك كنت شمسا في رفعة المحل ونباهة الذكر ، فقال الناس :
 ألم تكن الشمس لا تنجل - أى لا تولد - فكيف ولدت هذه المرأة شمسا ؟ وهذا
 ينظر إلى قول الأول :

لَأُمُّ لَكُمْ بَنَجَلَتْ مَالِكًا مِنْ الشَّمْسِ لَوْ نَجَلَتْ أَكْرُمُ

ومن روى لا تنجل - بالبناء للمعلوم - جعل أمه الشمس : أى فقال الناس ولدت
 الشمس وهي لا تلد ، جعل الممدوح - لعلو قدره - كأنه نجل الشمس ؛ والرواية الأولى
 أجود وأمدح . هذا : والورى : الخلق - تقول العرب : ما أدرى أى الورى هو ؟
 أى الخلق هو ؟ ، قال ذو الرمة :

وَكَاثِنْ ذَعَرْنَا مِنْ مَهَاةٍ وَرَامِحِ بِلَادِ الْوَرَى لَيْسَتْ لَهُ بِيَلَادِ

قال ابن جني : لا يستعمل الورى إلا في النفي ، وإنما سوغ لذي الرمة استعماله
 واجبا ، لأنه في المعنى منفي كأنه قال ليست بلاد الورى له ييلاد .

(٣) التب : الهلاك والخسار ، وهو منصوب على المصدر . يقول : ضللا وخساراً
 للذين يعبدون النجوم ويدعون أنها عاقلة . وقد بين العلة في البيت التالي .

(٤) يقول : النجوم على زعم من يدعى أنها تعقل قد عرفتكم وعرفت أنك أجل منها
 ندراً ، فما بالها لا تنزل إليك لتخدمك ، وهي تراك تنظر إليها ؛ يعنى أنها لا تعقل ولو
 عقلت لَنَزَلَتْ إِلَيْكَ .

وَلَوْ بَئْتُمَا عِنْدَ قَدَرَيْنِ كَمَا لَبِئْتُ وَأَعْلَا كَمَا الْأَسْفَلُ^(١)
أَنْتَ عِبَادَكَ مَا أَمَلُوا أَنْتَ رَبُّكَ مَا تَأْمَلُ^(٢)

وقال يمدحه ويعتذر إليه وذلك في شعبان سنة إحدى وأربعين *

أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلٍ دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرَّكْبِ وَالْإِبِلِ^(٣)
ظَلَلْتُ بَيْنَ أَصِيحَابِي أَكْفِكُهُ وَظَلَّ يَسْفَعُ بَيْنَ الْعُذْرِ وَالْعَذْلِ^(٤)

(١) يقول : لوبات كل منكما في الموضع الذي يستحقه قدره لبنت في موضع النجوم وبانت هي في موضعك لإربائك عليها في الشرف .

(٢) قال الواحدى : لو قال غبيدك كان أحسن ، لأن الأكثر في الاستعمال أن العباد تضاف لله سبحانه وتعالى ، فأما المضاف إلى الناس فقلما يقال فيه العباد . يقول : أعطيت عبيدك - يعنى الناس ، جعلهم عبيداً لأنه ملك مارجوه من عطائك ، ثم دعا له أن يكافئه الله بمثل فعله فينبه ما يؤمله .

(*) قال الواحدى : دخل أبو الطيب على سيف الدولة بعد تسعة عشر يوماً ، فتلقاها الغلمان وأدخلوه إلى خزانة الأكسية ، فخلع عليه ونضح بالطيب ، ثم أدخل على سيف الدولة ، فسأله عن حاله وهو مستحى ، فقال أبو الطيب : رأيت الموت عندك أحب إلى من الحياة عند غيرك ؛ فقال : بل يطيل الله عمرك ، ودعا له ، ثم ركب أبو الطيب وسار معه خلق كثير إلى منزله ، وأتبعه سيف الدولة هدايا كثيرة ، فقال أبو الطيب يمدحه بعد ذلك ، وأنشده إياها في شعبان سنة إحدى وأربعين وثلاث منه .

(٣) الطلل : ما شخص من آثار الديار ، والركب : القوم الراكبون . يقول استدعى الطلل دمعي بدثوره فأجابه الدمع وكنت أول من أجاب يبكاه قبل أصحابي وقبل الإبل . يريد أن الإبل . تعرف أيضاً ذلك الطلل وتبكي عليه كما قال التهامي :

بَكَيْتُ لِحَنَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارُهَا

والعنى : أنه وقف على ديار محبوبه ، فشجاه ما شاهد من دروس رسومها وتغير طولها ، فاستدعى ذلك بكاءه ، فأجاب دمعه تلك الدعوة قبل أن يجيب ذلك سائر أصحابه بالتأسف والإبل بالحنين .

(٤) أصيحابي : تصغير تعظيم . وأكفه مرة بعد أخرى . ويسفع : يجرى ويسيل . يقول : ظلت أكف الدمع خوفاً من لوم الركب فظل الدمع يسيل

أَشْكُو النَّوَى وَلَهُمْ مِنْ عَذْرَتِي عَجَبٌ
كَذَلِكَ كُنْتُ وَمَا أَشْكُو سِوَى الْكَلِّ^(١)
وَمَا صَبَابَةٌ مُشْتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنْ اللَّقَاءِ كُمُشْتَاقٍ بِلاَ أَمَلٍ^(٢)
مَتَى تَرْزُقُونِ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ^(٣)

وأصحابي من بين عاذرلي وعاذل - لأثم - والدمع يسيل بين العذر والعذل في شاغل
عنهما . هذا : ويقال ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظل ظلا وظلولا ، وظللت أنا وظلت
وظلت ، لا يقال ذلك إلا في النهار لكنه سمع في بعض الشعر ظل ليله ، وأصل ظلت ،
ظللت ، إلا أنهم حذفوا فألقوا الحركة على الفاء . قال تعالى : « فظلمت فكمهون » ومثله
مست ، في « مست » قال الجوهري : وربما قالوا مست الشيء : يحذفون منه السنين
الأولى ويحولون كسرتها إلى اليم ، ومنهم من يترك اليم على حالها مفتوحة ؛ وأنشد
الأخفش لابن مغراء :

مسنا السماء ففيلناها وطاء لهم حتى رأوا أحداً يهوى ونهلانا

والأصل مسنا السماء ، وهذا من شواذ التخفيف .

(١) النوى : البعد والفراق . والعبرة الدمع . والكلل : جمع كلة ، الستر الرقيق
يقول : أشكو الفراق وهم يتعجبون من بكائي للفراق ، ولا عجب في ذلك ، فإنني كنت
على مثل ما يرون من البكاء حين كانت المحبوبة بقربي لا يحجبها عن غير الستر ، فكيف
الآن وقد حجبتها عن الفراق ؟ فالواو في قوله « وما أشكو للحال » أى حين لا أشكوسوى
الستر : أى في حال دنو المسافة ؛ ومن روى « كذلك كانت » فعناه كانت العبرة حين كان
الحاجب بيننا الكلة . والمصراع الثاني رد على أصحابه حين تعجبوا من بكائه أى لا
تعجبوا من بكائي على فراقها ، فلقد كنت أبكي في هجرها وما أشكو مانعاً دون
الستور التي تحجبها والنازل متجاوزة والدور متصابقة .

(٢) الصبابة : رقة الشوق ؛ وقوله « كمشتاق » أراد كصبابة مشتاق ، لحذف المضاف .
يقول : إن المشتاق الذي لا يأمل لقاء حبيبته أشد حالاً ممن يأمل ، لأنه إذا كان على أمل
خفف التأمل برح اشتياقه قال الواحدى : ويجوز أن يكون أخف حالاً لاسترواحه
إلى الإحساس ؛ والأول أوجه .

(٣) الإتحاف : الإطراف بالهدية ؛ والبيض : السيوف . والأسل الرماح يقول : -
مخاطباً نفسه - إن هذه الحبيبة سنيعة في قومها بالسيوف والرماح . فإذا زار قومها

وَالْهَجْرُ أَقْتَلُ لِي مِمَّا أَرَا قَبَهُ أَنَا الْغَرِيقُ فَمَا خَوْفِي مِنَ الْبَلَلِ^(١)
مَا بَالُ كُلِّ فَوَادٍ فِي عَشِيرَتِهَا بِهِ الَّذِي بِي وَمَا بِي غَيْرُ مُنْتَقِلِ^(٢)

لأجلها كانت تحفته من قبلهم السيوف والرماح : يعني أنه يخافهم على نفسه إن زار محبوبته
أى إن الوصول إليها متعذراً لما يعترضه من شوكة قومها وعزتهم . وقد أرجع ضمير « من »
على المعنى دون اللفظ ، فقال زيارتها ولورده على اللفظ لقال زيارته .
(٢) ما يراقبه : يعنى ما يتوقعه من بأس قومها . يقول : إن هجرها أقتل له من
سلاحهم ، فإذا كان مقتولاً بالمهجر لم يبال بعده بالسلاح ، لأن من غرق في الماء لم يغش
البلل . وهذا من قول بشار :

كَمْزِيلِ رَجُلِيهِ عَنْ بَلَلِ الْقَطْرِ وَمَا حَوَّلُهُ مِنَ الْأَرْضِ بِحَرِّ
وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تحببه على اللئبي — : هذا مأخوذ من قول
دى بن زيد :

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِقٌ كُنْتُ كَالْفَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي^(١)
قال العكبري : وليس كما قال وإنما نقله من قول الحكيم : من علم أن الفناء
مستول على كونه هانت عليه المصائب .

(١) قال الواحدى : كان حقه أن يقول ما بال فوادي لا ينتقل عن حبا
وبكل فواد من عشيرتها — أهلها وقرابتها — ما بى ؟ لأن التعجب إنما هو
من فواده ، لا من أئدتهم ؛ يعنى لم لا ينتقل حبا عني ولا أسلوها إذا كان
قومها وعشيرتها يحبونها كحبي ؟ يشير إلى أنها محبوبة في قومها منيعة فيما بينهم ،
وأنة في يأس من الوصول إليها ، واليأس من الشيء يوجب السلو عنه ، كما
قالوا : اليأس إحدى راحتين ، وأنه مع هذا اليأس لا ينتقل عنه حبا .
وذهب بعضهم إلى أن المعنى أنه يدعى بلوعة في حبا مبلغاً لا يبلغه أحد مالم
ينتقل إليه منه ؛ وهذا وجه التعجب في البيت . يقول : مالى أرى كل قلب من قلوب
عشيرتها فيه من حبا مثل ما في قلبى مع أن مافى قلبى باقى فيه لم ينتقل عنه إلى غيره ؟

(١) الاعتصار : أن يئس الإنسان بالطعام فيعصر بالماء ، وهو أن يشربه عليه
قليلاً ؛ والنصان : العاص . ويقال : غصصت بالماء أغص غصصاً : إذا وقف في حلقك فلم
تكذب نسيغه .

مُطَاعَةُ اللَّحْظِ فِي الْأَلْحَاطِ مَالِكَةٌ لِقُلَّتَيْنَا عَظِيمُ الْمُلْكِ فِي الْبَهْلِ (١)
تَشْبَهُ الْخَفَرَاتُ الْإِنْسَاتُ بِهَا فِي مَشْيِهَا قَبِيلُنَ الْحَسَنَ بِالْحَيْلِ (٢)
قَدْ ذُقْتُ شِدَّةَ أَيَّامِي وَلَذَّتْهَا فَمَا حَصَلْتُ عَلَى صَابٍ وَلَا عَسَلٍ (٣)

يعنى أنها قد بلغت مبلغاً من الجمال حببها إلى كل أحد ، حتى بلغ فيه كل قلب أقصى مبلغ من الغرام . وعبارة ابن جني : أجود ما يتأول في هذا أن يجعل الذي يحده من الشوق كأنه شخص ، والشخص إذا حصل في مكان لم يشغل غيره ، فإذا صح ذلك صح إنكاره لثبات وجوده ، لأنه في أماكن كثيرة والشخص لا يشغل مكانين فأما العرض فلا يشغل مكاناً ، فإذا كان في قلب واحد جاز أن يكون في قلوب كثيرة . والمعنى يصفها بالحسن وأنها معشوقة الدل كل قلب في عشرتها به الذي بأبي الطيب من حبها ، فما بال حبها في قلبه ثابت لا ينتقل ومقيم لا يرتحل ؟ يريد أن حب أهلها لها لبراعة حسنها غير حبه لها ، وأن حبهم يتغير وينتقل ، وحبه لا يتغير ولا ينتقل ، بل هو ثابت .

(١) يقول : هي مطاعة اللحظ من بين ألحاظ الحسان ؛ إذا دعا لحظها إنساناً إلى هواها لبي مطيعاً فهي مالكة القلوت فتانة ؛ ولقلتها ملك عظيم في دولة القل ، لهما دونها الأمر النافذ . وقال ابن فورجة : أى إن العيون إذا نظرت إلى عينيها لم تملك صرف ألحظها عنها ، لأنها تصير عقلة لها ، فكأن عينيها مالكة العيون . وهو معنى قول أبي نواس :

كلَّ يَوْمٍ يَسْتَرْقُ لَهَا حُسْنُهَا عَبْدًا بِلَا ثَمَنِ

(٢) تشبه — بحذف إحدى التاءين — أى بتشبهه : والخفرات : الحيات ، والإنسات : جمع آنسة ، ويقال جارية آنسة ؛ إذا كانت طيبة النفس تحب قربك وحديثك . يقول : إن النساء الحيات ذوات الانس يقصرن عن محاسنها فيقشبن بها في حسن المشية ويربن مثل دلهما ، فيكتسبن الحسن بالتشبه بها ، ويمتلن حتى يتلن ذلك وعبارة ابن جني والواحدى : إذا كان في حسن امرأة نقصير تشبهت بها في مشيها ، فيجبر حسن المشي نقصير الحسن حتى تكون قد نالت الحسن بالحيلة .

(٣) الصاب : شجر مر . يقول : مرت بي من الدهر حلاوته ومرارته ، فما حصلت من حلوه على عسل ، ولا من مره على صاب ، لانقضائهما وسرعة مرورهما ، فكأنى لم أذق شيئاً منهما : وهذا من قول البحترى :

وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي وَقَدْ أَرَانِي الشَّبَابَ الرُّوحَ فِي بَدَنِي^(١)
وَقَدْ طَرَقْتُ فَتَاةَ الْحَيِّ مُرْتَدِيًا بِصَاحِبٍ غَيْرِ عَزَاهَاةٍ وَلَا غَزَلٍ^(٢)
فَبَاتَ بَيْنَ تَرَاقِينَا نُدْقُهُ وَلَيْسَ يَغْلُمُ بِالشَّكْوَى وَلَا الْقَبْلَ^(٣)

ومن عَرَفَ الأيامَ لا يَرِ خفضها نعمًا ولا يعدُّ تصرفها بلوى
(١) يقول : إنه إنما كان حيا حين كان شابا ، فلما شاب صار كأنه قد مات وانتقل روحه إلى غيره ، كما قال الآخر :

من شاب قد مات وهو حيٌّ يمشى على الأرض مشى هالكٌ
والمعنى : أنه تغير بعد الشباب حتى صار غير ما كان أولا ، وعبارة العكبري : قد صحبت الشباب مسرورا وأراني الروح - يريد القوة والجلادة والنهضة - في بدني ثم صحبت المشيب مستكرها لصحته فأراني الروح في بدلي بتغير أحوالي وعجزى عن النهوض والقيام بسرعة كما كنت أيام الشباب ، وصرت أستمعين بغيري يساعدني على أحوالي ، وكأني بهذا قد أراني الروح في بدلي - يريد القوة والنشاط - والذي كنت أفعله وحدي صرت أحتاج فيه إلى مساعد وتلخيص المعنى أن حقيقة أمور الإنسان أيام شبابه ثم تتبدل بالانتقال إلى مشيبه وكبره ، وقال ابن فورجه : أحسن ما يعمل عليه البدل في هذا البيت الولد لأنه بدل الإنسان إذ كان يشب أو أن شيخوخة الأب وإذا مات ورثه ، فيكون كأنه بدله في ماله وبدنه .

(٢) رجل عزهارة وعزهارة وعزهي وعزه وعزوه وعزهي وعزهة وعزوهة وعزوهو : كله عازف عن اللهو والنساء لا يطرب للهو ويتعد عنه وعن مغازلة النساء والتحدث إليهن ، والجمع عزاء مثل سعادة وسعال وعزهون - بالضم - قال ابن بري : ويقال عزهارة للرجل والمرأة . قال يزيد ابن الحكم :

فخفا أيقني لا صبر عندي عليه وأنتِ عزهارة صبور

والغزل : الذي يهوى محادثة النساء . يقول : أبيت حبيتي ليلا ومعى سيفي وقد جعل السيف موضع الرداء والسيف لا يوصف بالليل إلى النساء ولا بالليل عنهن .

(٣) التراقى : جمع الترقوة ؛ العظم الذي بين النكب وبين ثغرة النحر . يقول : فبات السيف بيننا ونحن متعاقبان ولا علم له بما يجري بيننا من شكوى الاشتياق والقبل ولا غير ذلك مما يجري بين المحبين إذا هامتأنا ، ويشير بهذا إلى ما كان عليه من الحذر والخافة وأنه حين عانق محبوبه لم يخلع السيف

مَ أَغْتَدَى وَبِهِ مِنْ رَدْعِهَا أَثَرٌ عَلَى ذَوَابَّتِهِ وَالْجَفْنِ وَالْخَلَلِ^(١)
لَا أَكْسِبُ الذِّكْرَ إِلَّا مِنْ مَضَارِبِهِ
أَوْ مِنْ سِنَانٍ أَصَمَّ الْكَعْبِ مُعْتَدِلِ^(٢)
جَادَ الْأَمِيرُ بِهِ لِي فِي مَوَاهِبِهِ فَرَانَهَا وَكَسَانِي الدُّرْعَ فِي الْخُلَلِ^(٣)

(١) الردع : التلطيخ بالطيب ، يقال به ردع من زعفران : أى لطيخ وأثر ، وردعه بالشئ يردعه ردعا فارتدع : لطيخه به فتلطيخ ؛ قال ابن مقبل :

يَخْدِي بِهَا بَازِلُ فُتْلٌ مَرَّاقُهُ يَجْرِي بِدِيَابِجَتِهِ الرَّشْحُ مُرْتَدِعٌ^(١)
وروى من درعها : أى ثوبها . وذوابة السيف - هنا - حمائله . وجفنه : غمده .
والخلل : جمع خله - بكسر الخاء - وهى ما يخنس به الغمد من الجلد النقوش بالذهب وغيره . يقول : ثم غدا السيف وقد تأثر بما كان عليها من الطيب وظهرت آثاره على حمائله وغمده ؛ والغلاف الذى فيه الغمد ؛ يعنى أنه لصق بمحبوبته حتى لصق به الطيب الذى طيبت به .

(٢) المضارب : جمع مضرب ، وهو حد السيف والسنان : فصل الرمح ، والأصم : الصلب ، وهو صفة لمخدوف : أى سنان رمح أصم الكعب ، والكعب العقدة بين الأنبوبتين . يقول لأطلب الشرف ولا أكسبه إلا من مضارب السيف أو من سنان الرمح ، يعنى أنه لا يكسب المجد إلا بإقدامه وبأسه . قال العكبرى : الرواية التى قرأنا بها الديوان بإضافة سنان إلى أصم بغير تنوين ورواه جماعة سنان - بالتنوين - والأجود الإضافة ، وإذا نون يكون المعنى : ومن سنان أصم كعبه ، والكعب للرمح لاللسنان ، وإذا جوزناه على الاستعارة كان للرمح أشبه ، وأيضاً فإن فى السنان نونين ، وإذا نون صار فيه ثلاث نونات ، وثلاثة حروف بمعنى فى كلمة ثقيل .

(٣) يقول : أعطانى الأمير هذا السيف فى جملة ما وهبه لى فزان بحسنه الهبات التى

(١) خدى البعير والفرس يخدى خدياً أسرع وزج بقوائمه مثل وخد ، وجمل بازله بزل نابه : أى انشق وذلك فى السنة التاسعة ، وذلك أقصى أسنان البعير والقتل شدة عصب الذراع ، ومرفق أقتل بين القتل . وقوله يجرى الخ قال بعضهم معناه متصغ بالعرقى الأسود كما يردع الثوب بالزعفران ، وقال آخرون : قوله مرتدع أى قد انتهت سنه .

- وَمِنْ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرِفَتِي بِحَمَلِهِ مِنْ كَعْبِدِ اللَّهِ أَوْ كَعَمَلِي^(١)
مُعْطَى الْكَوَاعِبِ وَالْجُرْدِ السَّلَاحِ وَالْبِ
يَضِي الْقَوَاضِ وَالْمَسَالَةَ الذَّبَلِ^(٢)
ضَاقَ الزَّمَانُ وَوَجَّهَهُ الْأَرْضُ عَنْ مَلِكِ
مِلْءِ الزَّمَانِ وَمِلْءِ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ^(٣)
فَنَحْنُ فِي جَذَلٍ وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرْ فِي شُفْلٍ وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ^(٤)
مِنْ تَغْلِبِ الْفَالِيبِينَ النَّاسَ مَنْصِبُهُ وَمِنْ عَدَى أَعَادِي الْجُنَيْنِ وَالْبَخَلِ^(٥)

وههنا وكسائي في جملة ما أعطاني من الثياب الدرع ؛ يعني أنه وهبه سيفاً ودرعا في جملة ما وهبه .

(١) على : هو سيف الدولة : يقول : منه تعلمت حمل السيف ، فهو واهبه لي ومعلى حمله ثم قال مستأنفاً : من مثله أو مثل أبيه ، يعني لا مثل لهما ؛ ومن على : خبر مقدم ومعرفتي : مبتدأ مؤخر .

(٢) الكواعب : الجوارى الشابات ؛ أى التى كعبت - نبتت - ثديهن والجرد : الخيل القصار الشعر ، وذلك آية عتقها وكرمها . والسلاحب : الخيل الطوال ؛ والبيض القواضب : السيوف القواطع للماضية . والمساللة : الرماح التى تضطرب للينها والذبل الرماح الضامرة . يقول : إنه يعطى سائليه هذه الأشياء التى تدل على أنه يستصحب كرامة الفرسان وأعلام الشجعان في حياته بما يوافقهم ويعضد بهم بما يشاء كلهم .

(٣) يقول : ضاق عنه الزمان والمكان ، فإن همه وما يغلده من جليل المكارم ويتابعه من كثرة الوقائع كل أولئك يحمل الزمان مالا يطيقه ويحشمه مالا يعمله ، فيضيق عن غفامة قدره ، ويقصر عن جلالة مجده ؛ وكذلك تضيق الأرض عما يحملها من جيوشه ؛ وإذن فهو قد ملأ الزمان بمكارمه ومجده ، وملأ السهل والجبل بكتائبه وجمعه .

(٤) الجذل الفرح ؛ والوجل الخوف . يقول : نحن المسلمين فرحون بانتصاره والروم في خوف منه لغاراته وغزواته والبر مشغول بمحيشه لا يتفرغ لغيره والبحر في خجل من ندى يديه .

(٥) تغلب : قبيلة المدوح ؛ وعدى ؛ رهطه . ومن تغلب : خبر مقدم ؛ ومنصبه

وَالْمَدْحُ لِابْنِ أَبِي الْهَيْجَاءِ تُنَجِّدُهُ بِالْجَاهِلِيَّةِ عَيْنُ الْيُؤَى وَالْحَطَلِ^(١)
 لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ فَمَا كَلِيبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ^(٢)
 خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
 فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُفْنِيكَ عَنْ زُحَلِ^(٣)
 وَقَدْ وَجَدْتَ مَجَالَ الْقَوْلِ ذَاسِمَةً فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلِ^(٤)
 إِنَّ الْهَمَامَ الَّذِي فَخِرُ الْأَنَامِ بِهِ خَيْرُ السُّيُوفِ بِكَفَى خَيْرَةِ الدُّوَلِ^(٥)

مبتدأ مؤخر ؛ والنصب : الأصل . وأعدى الجبن ، صفة لعدى . يقول : أصله من تغلب
 التي غلبت الناس نجدة وشجاعة ، ومن عدى الذين هم أعداء الجبن والبخل .

(١) أبو الهيجاء كنية والد سيف الدولة ، وجملة تنجده - أى تعينه - حالية ، وإلى
 المعجز عن الكلام ؛ والخطل : اضطراب القول وفساده . قال الواحدي : هذا تعريض
 بأبي العباس النامى الشاعر ، فإنه مدح سيف الدولة بقصيدة ذكر فيها آباءه الذين كانوا
 في الجاهلية . يقول : إذا مدحته بذكر آبائه الجاهليين كان ذلك عين الي ثم أكد هذا
 المعنى وتعمه في الآيات التالية .

(٢) قوله فما كليب : أدخل ما على من يعقل ، لأنه أراد السؤال عن صفته مع
 الاحتقار لشأنه . وكليب : هو كليب بن ربيعة رئيس بني تغلب في الجاهلية . يقول : ليت
 ما مدح به من الشعر يستوفى ذكر فضائله ومحامده ، ومتى يتفرغ الشعر لذكر كليب
 وأهل الدهور السابقة وأين هم منه ؟

(٣) يقول . امدحه بما تشاهد منه واترك ما سمعت به ، فإن الشمس تغنيك عن
 زحل ، جعله كالشمس ، وآبائه كزحل وهو نجم بعيد خفي - يعنى فيما قرب منك عوض
 عما بعد عنك لاسيما إذا كان القريب أفضل من البعيد : قال العكبري . وهذا من قول
 الحكميم : البيان شاهد لنفسه ، والإخبار يدخل عليه الزيادة والنقصان فأولى ما أخذ
 ما كان دليلا على نفسه .

(٤) يقول : وقد وجدت من مآثر المدوح المتوافرة الشائعة مجالا واسعا للقول فإن
 وجدت لسانا يستطيع وصف تلك المآثر فافعل فإنك لن تعدم شيئا تقوله ؛ يعنى أنه لا
 ينقصه شيء بمدح به ، وإنما ينقصه لسان ينهض بمدح مافيه .

(٥) الهمام ذو الهمة العالية ؛ وخيرة : تأتيت خير ، بمعنى أفضل ، لما ألقوا الحمزة

تُمْنِي الْأَمَانِي صَرَعِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَمَا يَقُولُ لِشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي ^(١)
 أَنْظُرْ إِذَا اجْتَمَعَ السَّيْفَانِ فِي رَهْجٍ إِلَى اخْتِلَافِهِمَا فِي الْخَلْقِ وَالْعَمَلِ ^(٢)
 هَذَا الْمَعْدُ لِرَيْبِ الدَّهْرِ مُنْصَلَّتَا أَعَدَّ هَذَا لِرَأْسِ الْفَارِسِ الْبَطْلِ ^(٣)

من أوله استسهلوا تأنيثه بالناء لأنه قد أشبه الصفات : يقول : إن هذا الهمام الذي
 يفتخر الخلق كلهم به ، لأنه فيهم ، هو أفضل السيوف في كف أفضل الدول . يعنى
 دولة الخلافة .

(١) الأمانى : جمع أمنية ، الشيء الذى تتمناه . وصرعه : طرحه على الأرض ،
 ويقال تركته صريعاً : أى قتيلاً يقول : إنه مسلط على العالم مالك للرقاب والأموال فلا
 ترتقى الأمانى إليه لأنه لا يحتاج إلى أن يتمنى شيئاً فلا يرى نفسياً إلا أوله خير منه ، وأوصار
 له ذلك الشيء ؛ وعبارة بعض الشراح : شبه الأمانى بالطرائد . يقول إذا سنحت له أمنية
 فطلبها سقطت دون مبلغ همته ، لأن همته أبعد شوطاً منها فلم يبق في الدنيا شيء يستحق
 أن يتمناه ، لأن كل شيء فى قبضة إمكانه . وقد فسر بهذا البيت ما أغلقه البحترى
 فى قوله :

وَمُظْفَرٌ بِالْجُدِ إِذْ رَاكَ تُهْ فى الحظ زائدة على أوطاره
 وهو ضد قول عنترة :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الطُّلُولَ الْبَوَالِيَا وَقَاتِلَ ذَكَرَاكَ السَّنِينَ الْخَوَالِيَا
 وقولك للشئ الذى لا تناله إذا ما حلا فى العين يا ليت ذالیا
 (٢) و (٣) يريد بالسيفين : سيف الدولة وسيف الحديد ؛ والرهج : الغبار وريب
 الدهر : حدثانه ؛ ومنصلتا - أى مجرداً - حال من ضمير المعد . يقول إذا اجتمع السيفان
 فى رهج حرب اختلفا وبان تخلف أحدهما عن الآخر فأحد السيفين - وهو المدوخ -
 معد لدفع نوب الدهر وشدائده كما قال :

* وتقطع لزبات الزمان مكارمه *

وقد أعد السيف الآخر وهو سيف الحديد لضرب رءوس الأبطال فالأول موكل
 بدفع المكروه ، والثانى موكل بإحلاله ، وذاك عامل ذو إرادة يضرب بالثانى ، وهذا
 لا عمل له من تلقاء نفسه ؛ وإذن : كان الأول هو السكل فى السكل . ومن هنا كان
 اختلافهما .

فَالْعَرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكَدْرِيِّ طَائِرَةٌ
وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ^(١)
وَمَا الْفِرَارُ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَسَدٍ تَمْشِي النِّعَامُ بِهِ فِي مَقِيلِ الْوَعْلِ^(٢)
جَازَ الدَّرُوبَ إِلَى مَا خَلْفَ خَرَشْنَةِ وَزَالَ عَنْهَا وَذَلِكَ الرَّوْعُ لَمْ يَزُلْ^(٣)
فَكَلَّمَا حَلَمَتْ عَذْرَاهُ عَنْدهُمْ فَإِنَّمَا حَلَمَتْ بِالسَّبْيِ وَالْحَمَلِ^(٤)

(١) الكدري : ضرب من القطا ، وهو من طير السهل ؛ والحجل : طائر في حجم الحمام ، أحمر للثقل والرجلين ، وهو يعيش في الجبال ، والعرب بلادها الفوازو الصحارى والروم بلادها الجبال . يقول : العرب تفر منه مع القطا في الفلوات والروم تفر منه مع الحجل في جبالها .

(٢) من أسد : يروى من ملك ؛ والمراد سيف الدولة . والوعل : تيس الجبل ، ومقيله : المكان الذي يعتصم به في رؤوس الجبال : يقول : ما فائدة الفرار إلى الجبل من ملك تمشي به خيله في آثار الفارين ؟ أى أنها لا تعجز عن جوب الجبال في آثار الروم فالمراد بالنعام : خيله ، شبهها بها في سرعة العدو - الجرى وطول الساق - قال الواحدى وفيه نكتة ، لأن النعام لا توجد في الجبال فجعل خيله نعام الجبل ؛ وقال ابن فورجه : يعنى بالنعام خيله العرب لأنها من نتائج البدو ، وقد صارت تمشي بسيف الدولة في الجبال لطلب الروم وقتالهم واستئزال من اعتصم بالجبال منهم .

(٣) الدروب : جمع درب ، وهو كل مدخل إلى بلاد الروم ؛ وخرشنة بلد من بلاد الروم ، والروع : الخوف والفرع . يقول إنه تغفل في بلاد الروم حتى خلف الدروب وخرشنة وراءه وفارقها بالانصراف عنها ولم يفارقها الروع الذي ألم بأهلها منه .

(٤) يقول : لشدة ما لحقهم من الخوف منهم وكثرة مارأوا من السبي والغارة صاروا إذا نامت المرأة منهم رأَتْ في نومها السبي الذي تحذرو وقوعه والجمل الذي تتوقع ركوبه وذلك أن السبايا كن يحملن على الجمال ، يعنى أن ما استقر في قلوبهم من الخوف لا يفارقهم في النوم أيضا هذا : والحلم ما يراه النائم ، وتقول حلمت بكذا وحلمته أيضا ، قال الأخطل :

حَلَمْتُهَا وَبَنُورِ فَيَدُهُ دُونَهَا لَا يَبْعُدُنْ خِيَالَهَا الْحُلُومَ^(١)

(١) قال الجوهري : يقال قد حلم الرجل بالمرأة إذا حلم في نومه أنه يباشرها ، وهذا البيت شاهد عليه .

إِنْ كُنْتَ تَرْضَى أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَ بَدَلًا
 مِنْهَا رِضَاكَ وَمَنْ لِلْعُورِ بِالْحَوْلِ^(١)
 نَادَيْتُ بِمَجْدِكَ فِي شِعْرِي وَقَدْ صَدَرَا
 يَا غَيْرَ مُنْتَحِلٍ فِي غَيْرِ مُنْتَحِلٍ^(٢)
 بِالشَّرْقِ وَالْفَرْبِ أَقْوَامٌ نُحِبُّهُمْ
 فَطَالِ الْعَامُ وَكُونَا أَبْلَغَ الرُّسُلِ^(٣)

أما الحلم - بالكسر - فهو الأناة والعقل . تقول : حلم - بالضم - يحلم حلما : أى صار حلما ، وتعلم : تكلف الحلم ، قال حاتم الطائي

تَحْلُمُ عَلَى الْأَذْنَيْنِ وَاسْتَبَقَ وَدُهُمُ وَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْحِلْمُ حَتَّى تَحْلُمَا
 أما قولهم حلم الأديم : فالأديم : الجلد المدبوغ ، وحلم : أى أفسده الحلم ، وهو دود يقع في الجلد فيأكله ، قال الوليد بن عقبة بن أبى عقبة من أبيات يحض فيها هاروة على قتال على عليه السلام ، ويقول له : أنت تسمى في إصلاح أمر قد تم فسادك كهذه المرأة التي تدبغ الأديم - الذي وقعت فيه الحلة فثقت ، وأفسدته فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كِدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ

(١) الجزى : جمع جزية ، وهو ما يعطيه المعاهد ليدفع عن رقبتهم ويحفظ دمه . يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن كنت ترضى منهم بأن يؤدوا الجزية وتبغضوا عن رقابهم قبلوها وأرضوك بها ، وذلك غاية أمنيته ، كالأعور يتمنى الحول ، والجهول خير من العور . يعنى أن الجزية خير لهم من القتل .

(٢) المنتحل : الدعى على غير حقيقة . يقول : ناديت بمجديك الموصوف في شعري وقد صدرا عنى وعنك : أى سارا في الآفاق وبعد ذكرهما بإحدى غير منتحل في شعر غير منتحل ؛ يعنى أن كلا منهما حقيقة لادعوى ، وفيه إشارة إلى أن مجده خلد ذكره في شعره وأنها يسيران مما ، ثم ذكر تمام المعنى فيما يلي .

(٣) أبلغ : من التبليغ ؛ وأفعل لا يبنى من غير الثلاثي لإشذوذا . يقول - لشعره ومجد المدوح - أتما سائران في الدنيا شرقا وغربا ، ولنا فيهما أناس نحب مشاركتهم في أمرنا ومطالبهم بأحوالنا فتحملنا إليهم رسالتى وهم ما ذكره في البيت التالى .

- وَعَرَفَاهُمْ بِأَنِّي فِي مَكَارِمِهِ أَقْلُبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَلِيلِ وَالْخَوْلِ (١)
يَا أَيُّهَا الْمُحْسِنُ الْمَشْكُورُ مِنْ جِهَتِي ،
وَالشُّكْرُ مِنْ قِبَلِ الْإِحْسَانِ لَا قَبِيلِي (٢)
مَا كَانَ نَوَيْي إِلَّا فَوْقَ مَعْرِفَتِي بِأَنَّ رَأْيَكَ لَا يُؤْتِي مِنَ الزَّلَلِ (٣)
أَقِلْ أُنْثَى أَقْطِيعَ أَجَلٍ عَلَى سَلٍّ أَعِذْ زِدْ هَشَّ بَشٍّ تَفْضُلْ أُذُنٍ سُرْصِيلِ (٤)

(١) الخول : الخدم . يقول : عرفاهم أنى متقلب في نعماء في سيف الدولة ، مغمور بمكارمه ، متصرف في فواضله ، أقلب الطرف - النظر - بين الخيل المسومة والخدم الحسنة القيام على الخدمة .

(٢) يقول : إنما أذاك الشكر من جهة إحسانك لإحسانك هو الذي شكرتك ، لا أنا كأنه ينفي اللنة عليه بشكره ومدحه .

(٣) إلا فوق معرفتي : رواها ابن جني «إلا بعد معرفتي» وقال : ملحق السهو والتفريط إلا بعد سكون نفسي إلى فضلك وحملك . . . وقال ابن فورجه : أقام النوم مقام السهو والغفلة . يقول : ما تمت عما وجب على من صيانة مدحك عن خلطه بالعتاب إلا لثقت باحتمالك وسكوني إلى جزالة رأيك . قال الواحدى - بعد أن أورد كلامهما - : وكلاهما قد بعد عن الصواب ، والمعنى : إنما أخذنى النوم أى إنما سكنت نفسي واطمأنت مع عتبك لثقت بحملك ولزوم التوفيق لرأيك ، وعلى أنك لا تعجل على ولا ترهق عقوبة ، وأن الحساد لا يستزلونك بوشاياتهم ، قال : وأراد النوم الحقيقي لا السهو والتفريط ؛ ألا ترى أنه قال فوق معرفتي ؟ فجعل المعرفة بمنزلة الحشية التى ينام فوقها ؛ وقوله لا يؤتى من الزلل ؛ أى أنت موفق فى كل ما تفعله لاتأتى الزلل .

(٤) أقل : من الإقالة من العثرة أى أقل من استنفضك من عثرته ؛ وأنل : من الإنالة - الإعطاء - وأقطع : من قولهم أقطعه أرض كذا : أى جعل له غلتها رزقا . واحمل : من قولهم حمله على فرس ونحوه : أى جعله ركوبة له . وعل : أى ارفع جأهى من التعلية . وسل : من التسلية ، وهى إذهاب الغم ؛ وأعد : أى أعدنى إلى موضعى من حسن رأيك ؛ وزد : أى زدنى من إحسانك ؛ وهش : أمر من قولهم : هش إلى كذا يهش - وبش : من قولهم بش بالرجل ييش : أى ابتسم إليه وآسنه . ويعكى أن سيف الدولة وقع تحت أقل : قد أقلنا ، وتحت أنل : يحمل إليه كذا وكذا من الدرام ، وتحت أقطع : قد أعطيناك الضيعة الفلانية - وهى ضيعة بياض حلب - وتحت «عل» : قد (١٤ - التلخيص ٣)

لَعَلَّ عَتَبَكَ مُحَمَّدٌ عَوَاقِبُهُ ؛ فَرُبَّمَا صَحَّحَتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَالِ (١)
وَمَا سَمِعْتُ ، وَلَا غَيْرِي بِمُقْتَدِرٍ أَذَبَ مِنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَنْ رَجُلٍ (٢)

رفعنا مقامك ، وتحت سل : قد فعلنا فاسل ، وتحت أعد : قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ؛ وتحت زد : يزداد كذا وكذا ، وتحت تفضل - وهو من الأفضال - قد فعلنا ، وتحت أدن : قد أدنيناك منا ، وتحت «سر» قد سررناك ، فقال المتنبي : إنما أردت من التيسري ، فأمر له بجارية ، وتحت صل : قد وصلناك . وسنصلك ، وكان بحضرة سيف الدولة : حينئذ شيخ ظريف يقال له العقلي ، ففسد المتنبي على ما أمر له به فقال لسيف الدولة : قد أجبته إلى كل شيء سألك إياه فهلا وقعت تحت هش بش شيء هيء هيء؟ - يعني حكاية الضحك - فضحك سيف الدولة وقال له : ولك أيضا ما تحب ، وأمر له بصلة ، وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس :

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ وذادَ وقادَ وعادَ وأفضلَ
ومثله لأبي العبيث :

يَا مَنْ يُؤْمَلُ أَنْ تَكُونَ خِصَالُهُ كَخِصَالِ عَبْدِ اللَّهِ أَنْعَيْتُ وَاسْمِعْ
أَصْدُقَ وَعِفَّ وَبَرَّ وَاصْبِرْ وَاحْتَمِلْ واحلم ودار وكاف وابذل واشجع
(١) يقول : لعل أحمد عاقبة عتبك وذلك أن أردت بعد عفوك ، فلا أعود إلى شيء أستوجب به العتب ، كمن يعتل ، فربما تكون علته أمانا له من أدواء أخرى ، فينجو جسمه بسبب هذه العلة مما هو أصعب منها ؛ أو تقول : لعل عتبك يكون سببا لتحقيق وفائي وإخلاصي في خدمتك ، ويقطع عني السنة الحساد فأحمد عواقبه ، كما أن من العلل ما قد يكون سببا لصحة الأجسام ، وانتفاض الدخل منها فتأمن عود غيره إليها . وفي هذا نظر إلى قول الآخر :

لَعَلَّ سَبَبًا يُفِيدُ حُبًّا فالشرُّ للخيرِ قد يجزُّ
وقريب منه قول ابن الرومي :

إِحْمَدُ اللَّهِ إِذْ رُزِقْتَ هِجَاءً هُوَ بَعْدَ الْخَوْلِ نَوَّةَ بِأَسْمِكَ
قد تذكرت موبقات ذنوبي فرجوت الخلاص منها بشتيمك
(٢) غيري : معطوف على ضمير المتكلم ، وهو جائز للفصل بـ «لا» كما في قوله تعالى « ما أشر كنا ولا آباؤنا » وبمقتدر متعلق بسمعت . يقول : ماسمعت ولا سمع غيري بملك

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكْلِفُهُ

- لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ^(١)
وَمَا ثَنَّاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَنْ كَرَمٍ^(٢) وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ^(٣)
أَنْتَ الْجَوَادُ بِلَا مَنْ^(٤) وَلَا كَدَرٍ وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَغْدٍ وَلَا مَذَلٍ^(٥)
أَنْتَ الشَّجَاعُ إِذَا مَا لَمْ يَطَأْ فَرَسٌ^(٦) غَيْرَ السَّنَوَرِ وَالْأَشْلَاءِ وَالْقُلُلِ^(٧)

قادر يقدر على كل ما يريد ثم يذب - يذود ويدافع - عمن يغتاب عنده زوراً وبهتاناً ولا يحمله ما يسمعه من الوشائات والتحريش على من يحرش عليه أن يوقع به وينفذ فيه حكم الغضب ، فقوله أذب : أفلت تفضيل ، من قولهم ذب عنه : أى ذاد ودفع . وقوله عن رجل - يعنى الغتاب - وقد بين علة ما ذكره هنا في البيت التالى .

(١) تكلفه بحذف إحدى التاءين - أى تكلفه ؛ والكحل : سواد فى أركان العين خلقته * كأن بها كحلا وإن لم تكحل * يقال : رجل أكحل وامرأة كحلاء ، يقول : إنما ذلك لأنك حلما طبعت عليه لا يعوزك أن تكلفه ومن ثم لا يستخفه الغضب ، ولا يؤثر فيه كلام الواشين ، ثم ضرب التكحل والكحل مثلا للتكلف والطبوع .

(٢) ثناك : ردك وصرفك ؛ والعارض : السحاب ؛ والمهطل : الكثير المطر يقول : وما صرفك كلام الناس فى إفساد ما بيننا عن استعمال ما يوجه الكرم معى ، ثم قال : ومن يقدر على أن يسد طريق السحاب الهاطل ؛ أى كما أنه لا يستطيع هذا لا يستطيع صرفك عن مقتضيات الكرم .

(٣) الجواد : الكريم ، ومننت على فلان : إذا كدرت صنيعتك بتعديدها له ، كأن تقول له : أعطيتك كذا ، وفعلت لك كذا ، وعطف الكدر عليه للتأكيد : والمطال - بالكسر - الماطلة ؛ واللذل : الضجر والقلق ، وكل من قلق بسره حتى يذيعه ، أو بمضجعه حتى يتحول عنه ، أو بماله حتى ينفقه فهو مذل . قال الأسود بن يعفر :

ولقد أروح على التجار مرجلا مذلا بمالى ليئنا أجيادى
وقال قيس بن الحطيم :

فلا تمذل بسر كل سيرة إذا ما جاوز الإثنين فاشي

يقول : لا تكدر عطاءك بالنى أو الماطلة أو الوعود أو اللل .

(٤) السنور : لباس من جلد كالدرع ، وصميت به دروع الحديد ؛ قال لبيد يري
قتل هوازن :

وَرَدَ بَعْضُ الْقَنَا بَعْضًا مُقَارَعَةً كَأَنَّهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ فِي جَدَلٍ ^(١)
لَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنْ عَادَاكَ عَنْ عُرْضٍ بِعَاجِلِ النَّصْرِ فِي مُسْتَأْخِرِ الْأَجَلِ ^(٢)
ولما أنشد أقل أنل رآهم يعدون ألفاظه فقال وزاد فيه :
أَقِلْ أَنْلِ أَنْ ^(٣) صُنِ أَحْمِلْ عَلَّ سَلَّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبَّ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ ^(٤)

وجاءوا به في هَوْدَجٍ ووراء كتاب خُضِرُ في نسيج السَّنَوَرِ ^(١)
والأشلاء : جمع شلو ، وهو العضو . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول :
أنت الشجاع عند اشتداد القتال وتهافت القتلى ، فلا تطأ الخيل إذ ذاك إلا دروعهم
وأجسامهم ورءوسهم : أي أنت الشجاع في مثل هذه الحال التي تتخلع فيها
قلوب الأبطال .

(١) ورد : عطف على « لم يبطأ » ومقارعة : حال من انقنا أو مفعول ، والجدل
اللد في الخصومة ، أو مقابلة الحجة بالحجة ، أو المناظرة والمخاصمة ، وقد جادله مجادلة
وجدالا ، والاسم الجدل ، ويقال جادلت الرجل لجدلته : أي غلبته ، ولله من قولهم
جدلت الرجل : أي ألقيته على الجدالة ، وهي الأرض قال الراجز :

قد أركبُ الآلةَ بعد الآلةِ وأتركُ العاجزَ بالجدالةِ

يقول : وحين تتشاجر الرماح فيرد بعضها بعضاً كأنها تجادل عن نفوس أصحابها .
وبعبارة أخرى : وأنت الشجاع حين يرد بعض القنا بعضاً بتخالف الطعان وتقارع
الأقران حتى كأنه من شدة تلك المقارعة ، وانصال تلك المقاومة في جدل لا يقطع ،
وخصام لا ينقطع .

(٢) عن عرض : يريد كيفما اتفق ، يدعو له ، يقول : لا زلت ضارباً أعداءك كيفما
وجدتهم مقبلين ومدبرين بنصر عاجل في أجل مستأخر : أي معصوماً بأجل يستأخره ،
وهذا من قول بعضهم - وقد سئل في أي شيء تحب أن تلقى عدوك ؟ - قال في
أجل مستأخر .
(٣) أن : أي ارفق .

(١) قوله وجاءوا به : يعني قتادة بن مسلة الحنفي ، وهو ابن الجعد ، وجعد : اسم
مسلة لأنه غزا هوازن وقتل فيها وسبي .

فراهم يستكثرون الحروف فقال :

عِشْ أَبْقِ اسْمُ سُدْ قَدْ جُدْ مَرِ أَنَّهُ رَفِ اسْرِ نَلْ
غِظْ أَرِمْ صَبِ أَحْمِ اغْزِ اسْبِ رُغْ زَعْ دِلِ أَثْنِ نَلْ^(١)
وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُ كُفَيْتُهُ لِأَنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ فَيْكَ وَقَدْ فَعَلْ^(٢)

وقال وقد حضر مجلس سيف الدولة وبين يديه أنْزُجٌ وَطَلَعٌ وهو يمتحن
الفرسان ، فقال ابن حبيش شيخ المصيصة لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :
شَدِيدُ الْبُعْدِ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ تَرُنْجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ^(٣)

(١) عِشْ : من العيش . وابق : من البقاء . واسم : من السمو ، وهو الارتفاع .
وسد : من السيادة . وقد : من قود الجيش ، أى قد الجيوش إلى أعدائك . وجد : من
الجود . ومر : من الأمر ؛ وانه : من النهى : أى كن صاحب أمر وهى . ور : من
الورى ، وهو داء فى الجوف ؛ يقال وراه الله . يريد أصب رئات أعدائك بأن توجههم
وف : من الوفاء ؛ أى ف لأوليائك بالإحسان إليهم . وسر : من سرى يسرى ؛ أى
أسر إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم . ونل : من النيل ؛ أى نل ما تريد بسعدك وإقدامك
وتأيديك : وغظ : من الغيظ ؛ أى غظ حسادك . وارم : من الرمى ، أى ارم يأسك
من يكيدك ويغضك . وصب : من صاب السهم الهدف يصيبه صيبا : لغة فى أصاب :
أى أصب أعداءك برميك . واحم : من الحماية : أى احم حوزتك ؛ واغز : من الغزو :
أى اغز أعداءك ؛ واسب : من السبى : أى اسب أعداءك ؛ ورع : أى أفرع أعداءك ؛
وزع : من وزعه - أى كفه - أى كف بوقائعك مسلطهم ؛ ود : من الدية : أى تحمل
الدية عمن يجب عليه . ول : من الولاية : أى ل الأمصار والبلدان محمداً فى ولايتك .
واتن : من ثناه ، بمعنى رده : أى اصرف أعداءك عن مرادهم . ونل : من ناله ينوله
إذا أعطاه : أى أعط عفاتك وقصادك .

(٢) يقول : كل ما دعوت الله لك به لو لم أَدع به كنت مكفياً ذلك ، لأنى سألت الله
جده الأمور ، وهو قد فعلها فأغناك عن دعائى .

(٣) الشمول : من أسماء الحجر . والترنج . لغة فى الأنزج ، وهو ثمر من جنس
الليمون معروف . والطلع : نور النخلة مادام فى الكافور ، وهو أول ما يرى من عذق

وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ طِيبٌ لَدَيْكَ مِنَ الدَّقِيقِ إِلَى الْجَلِيلِ^(١)
وَمِيدَانُ الْفَصَاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُلُوفِ^(٢)

وأنكر عليه بعض الحاضرين قوله : شديد إلخ ، فقال :
أَتَيْتُ بِمَنْطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ ، وَكَانَ بِقَدْرِ مَا عَايَنْتُ قِبَلِي^(٣)

النخلة . يقول : يقول : إن الأترج أو الطلع بعيد من أن تشرب الخمر على رؤيته ، يعني أن الأترج والطلع لم يحضرا لديك ليشرب عليهما وإن كان غيرك يتخذها لذلك . قال ابن فورجه : تقدير البيت : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند لديك ، لحذف لديك وأتى به في البيت الثاني ، دالا على حذفه ، والظروف كثيراً ما تضر . وقوله من شرب الشمول : أراد من شرب الناس الشمول عليه وعلى رؤيته ، فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أى أن ترنج الهند بعيد من شرب الناس الشمول عليه .

(١) يقول : وإنما أحضر الأترج والطلع لأنهما طيبان ، ومجلسك مشتمل على كل شيء فيه طيب مما دق إلى ما جل ، أى أكان صغيراً أم كبيراً . فقوله : لديك خبر كل .

(٢) وميدان : عطف على كل - في البيت السابق - وممتحن : إما مصدر بمعنى الامتحان ، أو اسم مكان : أى المكان الذى يمتحن فيه الفوارس . يقول : ولديك يتبارى أهل الفصاحة والشعر وممتحن الفوارس والحيل بالتسابق والتجاول والطراد ، هذا هو الذى الذى ترزع إليه همتك ويغمر به مجلسك ، لا الشراب واللهو . قال الواحدى : عارض المتنبي بعض الحاضرين في هذه الأبيات ، وقال : كان من حقه أن يقول :

بعيدٌ أنت من شرب الشمول على الأترج أو طلع النخيل
لشفلك بالمعالي والعوالى وكسب المجد والذكر الجليل
وقدح خواطر العلماء فحصاً وممتحن الفوارس والخبول

فقال أبو الطيب هذه الأبيات مجيئاً له .

(٣) القيل والقول بمعنى واحد . يقول : إن الذى أتيت به هو كلام العرب الأصيل ، وكان يباني فيه بقدر ما عاينته ، لأنه أراد : الذى عندك من الأترج بعيد من شرب الشمول عليه أى لم تستحضره ليشرب على رؤيته ، ولكنه بنى الكلام على ما عاين : أى إنما بنيت البيان على العيان فأغنانى عن أن أقول : أنت شديد البعد وفى مجلسك ترنج الهند .

فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ النَّسَاءِ مِنَ الْيُمُولِ^(١)
وَهَذَا الذُّرُّ مَأْمُونٌ التَّشْطَى ، وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونُ الْفُلُولِ^(٢)
وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ^(٣)
* * *

ودخل عليه في ذي القعدة سنة إحدى وأربعين وثلثمائة ، وعنده رسول ملك الروم
وقد جاء يلتمس الفداء ، وركب الفلمان بالتجافيف وأحضروا لبؤة مقتولة ومعهما
ثلاثة أشبال بالحياة وألقوها بين يديه ؛ فقال أبو الطيب مرتجلا :

لَقَيْتَ الْعَفَاةَ بِأَمَالِهَا ، وَزُرْتَ الْعُدَاةَ بِأَجَالِهَا^(٤)
وَأَقْبَلْتَ الرُّومَ تَمْشِي إِلَيْكَ بَيْنَ اللَّيْثِ وَأَشْبَالِهَا^(٥)

(١) البعول : جمع بعول ، الزُّوج . يقول : إن كلام المعارض منزلته من كلامه منزلة
المرأة من الرجل : أى أنه ينحط عن درجة كلامى انحطاط المرأة عن درجة الرجل .
وهذا ينظر إلى قول أبي النجم :

إِنِّي وَكُلُّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانُهُ أَتَى وَشَيْطَانِي ذَكَرُ

(٢) هذا الدر : مبتدأ ؛ ومأمون التشطى : خبر ؛ ومأمون الثانية : بدل من
السيف ، والتشطى : التكسر والتفرق : والفلول : جمع فل ، وهو الثلمة التى تصيب
السيف من الضرب به . يقول : إن شعره لا وهن فيه كالدر لا تنفت أجزاؤه ولا يصير
قطعا لا كتنازه وصلابته ؛ وكذلك أنت السيف الذى لا يتلم حده ولا يخشى
عليه الانقلاب .

(٣) يقول : إن من لا يعرف النهار إلا بدليل يده عليه لم يصح في فهمه شيء لأنه
لا فهم له ، كذلك كلامى كان واضحا ، فمن لم يفهمه كان كمن لا يعلم النهار نهائرا
إلا بدليل .

(٤) العفاة : جمع عاف طالب المعروف . والعداة : جمع عاد ، الأعداء . يقول : إنك
تعطى سائلك ما أملاه وتزور أعداءك بما يحذرون من شدة بأسك . فتقرب بإزيارتك
لهم آجالهم إذ تقتلهم .

(٥) الليث : الأسود ، والأشبال أولادها .

إِذَا رَأَتْ الْأَسَدَ مَسْبِيَّةً فَأَيْنَ تَفِرُّ بِأَطْفَالِهَا^(١)

* * *

ودخل عليه ليلا وهو يصف سلاحاً كان بين يديه ورُفِعَ فقال ارتجالاً :
وَصَفَّتْ لَنَا وَلَمْ نَرَهُ سِلَاحًا كَأَنَّكَ وَاصِفٌ وَقْتَ النَّزَالِ^(٢)
وَأَنَّ الْبَيْضَ صُفًّا عَلَى دُرُوعٍ فَشَوْقٌ مَنْ رَأَاهُ إِلَى الْقِتَالِ^(٣)
فَلَوْ أَطُفْنَا نَارَكَ تَأَلَّدَيْنِ قَرَأْتَ اخْطُطَّ فِي سُودِ اللَّيَالِ^(٤)
إِنْ اسْتَحْسَنْتَ وَهُوَ عَلَى بَسَاطٍ فَأَحْسَنُ مَا يَكُونُ عَلَى الرِّجَالِ^(٥)

(١) هو من قول الآخر :

وَمَنْ كَانَتْ الْأَسَدُ مِنْ صَيْدِهِ فَلَنْ يُفْلِتَ الدَّهْرَ مِنْهُ أَحَدٌ

(٢) يقول : وصفت لنا سلاحاً ولم نره - لأنه رفع من عنده قبل دخوله عليه - فكأنك تصف وقت النزال - الحرب - لأنه إذا وصف مضارب السيوف وبريقها كان ذلك كأنه وصف للقتال . هذا : والضمير في نره : عائد إلى السلاح لأنه في نية التقديم . قال العكبري : ونصب سلاحاً على إعمال الفعل الأول - وهو وضعت - على مذهبه - أى مذهب التنبي وهو كوفي مثل العكبري - في إعمال الفعل الأول ، ومثله لدى الرمة :

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأَرْضِيهِ بِشَفْرِى لَيْثِيَّ أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَا لَا

(٣) البيض : جمع بيضة ، المغفر من الحديد يكون على الرأس . يقول : وذكرت أن البيض صفت على دروع فشوق من ممعه إلى الحرب . « أن » وصلتها عطف على سلاحاً .

(٤) تا : أى هذه . يعنى ناراً أوقدت بين يديه ، أو نار الشمع . أو السراج أو القناديل التى يستغنى بها . يقول : إن بريق هذه الأسلحة يغنى عن النار فى الإضاءة ، حتى يقرأ ما خط فى الصحف فى الليالى الحالكه . قال العكبري : « تا » : نعت لـ « نارك » وهى فى موضع نصب ، كما تقول : ضربت زيدا هذا ، فهذا نعت لزيد : أى هذا المثار إليه ، ولو جعل بدلا لجاز و « تا » إشارة للمؤنث الحاضر . كما يشار بـ « ذا » إلى المذكر الحاضر

(٥) استحسننت : أراد استحسنته ، غذف الماء للعلم به ؛ وعلى الرجال : حال سدت مسد الخبر . يقول : إن استحسننت هذا السلاح وهو ملقى على البساط فاحسن من ذلله إعماله فى الوغى ، وهو على الرجال .

وَأَنْتَ لَهَا النَّهْيَةُ فِي السَّكَالِ (١)
وَلَوْ لَحَظَ الدُّمُسْتَقُ جَانِبِيهِ لَقَلَّبَ رَأْيَهُ حَالًا لِحَالِ (٢)

* * *

وقال يمدحه ، وأنشدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة (*) :
لِيَالِيَّ بَعْدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ طَوَالٍ وَلَيْلُ الْعَاشِقِينَ طَوِيلُ (٣)
يُبِينُ لِي الْبَذَرَ الَّذِي لَا أُرِيدُهُ ، وَيُخْفِينِ بَذْرًا مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ (٤)

(١) يقول : وإن بالرجال وبالسلاح نقصا ، وكالمها بك .
(٢) الدمستق : قائد الروم . يقول : لو رأى الدمستق جانبي ذلك السلاح لأكثر من قلب رأيه في التوقي منه . وقوله « حالا لحال » حال ؛ واللام : بمعنى طى ، مثلها في قولهم :

* قلب أمره ظهراً لبطن

(*) كان سيف الدولة قد رحل من حلب إلى ديار مصر لاضطراب البادية بها ، فزل حران وأخذ رهائن بنى عقيل وقشير وبلهجلان ، ثم حدث له بها رأى في الغزو ، فعبر الفرات إلى دلولك إلى قنطرة مشبعة إلى درب القلة ، فشن الغارة ، فعمطف عليه العدو فقتل كثيراً من الأرمن ورجع إلى ملطية ، وعبر قبايق حق ورد الخاض طى الفرات ، ورحل إلى ميساط ، فورد الخبر بأن العدو في بلد المسلمين ، فأسرع إلى دلولك وعبرها ، فأدركه راجعاً طى جيحان ، فهزمه وأسر قسطنطين بن الدمستق ، وخرج الدمستق على وجهه ، فقال أبو الطيب هذه الأبيات يمدحه وبذكر ذلك .

(٣) الظاعنين : جمع ظاعن ، المرتحل . وشكول : جمع شكل ؛ أى شبيه يقول : إن ليالى الناس تقصر وتطول حسب اختلاف الفصول ، أما لياليه هو فبها متشابهة في الطول لبعد الحبيب وامتناع النوم ، ولك أن تقول : إن مشا كلتها من جهة أنه لا يجد فيها روحاً ولا نوماً . يقول : لا يتغير حالى في ليالى بعد الأحبة ولا يتقضى غرامى ووجدى بهم : أى أنه لا يسلو برغم تقادم العهد على الضد من قول القائل :

إذا ما شئت أن تسلو خليلاً فأكثر دونه عدد الليالى

ثم أخبر عن طول لياليه فقال طوال ، وكذا ليالى العشاق .

(٤) الضمير في « بين » و « يخفين » لليالى . يقول : يظهرن لى بدر السماء التي لا أريده ويخفين البدر الذي لا أجد إليه سبيلاً ، وهو الحبيب :

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الْأُحْبَةِ سَلَوَةً وَلَكِنِّي لِلنَّائِبَاتِ حُمُولٌ^(١)
وَأَنْ رَحِيلاً وَاحِداً حَالٌ يَبْنِنَا ،

وَفِي الْمَوْتِ مِنْ بَعْدِ الرَّحِيلِ رَحِيلٌ^(٢)
إِذَا كَانَ شَمُّ الرُّوحِ أَذْنَى إِلَيْكُمْ فَلَا بَرَحَتِي رَوْضَةً وَقَبُولٌ^(٣)

(١) يقول : ليس بقأى بعدهم سلوا عنهم ، ولكن لأنى صبور على النوائب
والشدائد ، حمول لها ، كما قال أبو خراش الهذلي :
فلا تحسبى أنى تناسيت عهدكم ولكن صبرى يا أميم جميل
وسلوة : مفعول له :

(٢) جملة « حال بيننا » خبر « إن » . يقول : إن ارتحال الأحبة عفى حال بينى وبينهم ،
لأننا افترقنا ، وفي الموت الذى يسببه الفراق ارتحال آخر : يعنى أنه لا يعيش بعدهم ،
أو تقول : إنه يريد أن يتصبر على بعدهم خوفاً من أن يتبع فراقهم بفراق الحياة
فيزداد بعداً عنهم .

(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية . وبرحتى : فارقتى . والقبول : ريع الصبا .
يقول : إذا كان شم الرائحة الطيبة والتنسم بها يدينى إليكم - لأنها تذكرنى روائعكم
وطيب أيام وصالكم - فلا فارقتى روضة أتنشق روائعها وريح قبول أتنسم بها لأكون
أبدأ على ذكر منكم ؛ وفي هذا المعنى يقول البحترى :

يذكرنا ريتاً الأحبة كلاً تنفّس فى جنح من الليل باردُ
والأصل فيه قول الأول :

إذا هبَّ علوى الرياح وجدتنى كأتى لعلوى الرياح نسيب

هذا . وقوله أذننى : أى أشد إدناءً ، فبى أفضل من الزيد . وقد ذهب ابن جنى فى
تفسيره هذا البيت مذهباً أثار عليه غبار الناقدين . قال : إذا كنتم تؤثرون شم الروح
فى الدنيا وملاقة نسيمها ، فلا زلت روضة وقبولا انجذاباً إلى هواكم ، ومصيراً إلى
ما تؤثرونه ، ويكون سبب الدنو منكم . أراد : فلا برحت روضة وقبولا ؛ فجعل
الاسم نكرة ، والخبر معرفة للقافية . قال الواحدى : ومن فسر هذا التفسير فقد فضح
نفسه وغر غيره : وقال ابن فورجه : الروح يؤثره من يأوى إلى هم وينطوى على شوق ،
فأما الأحبة - وإن كان إشار الروح طبعاً فى الناس - فإنهم لا يوصفون بطلب الروح
وشم النسيم ، والتعرض لبرد الريح والتشنى بنسيم الهواء ، وأيضاً فما الحاجة إلى أن

وَمَا شَرَقَ بِالمَاءِ إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَاءِ بِهِ أَهْلُ الْحَبِيبِ نَزُولٌ^(١)
يُحَرِّمُهُ لَمَعُ الْأَسِنَّةِ فَوْقَهُ فَلَيْسَ لِظْمَانٍ إِلَيْهِ وَصُولٌ^(٢)
أَمَّا فِي النُّجُومِ السَّائِرَاتِ وَغَيْرِهَا لَعْنِي عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ دَلِيلٌ^(٣)
أَلَمْ يَرَهُ هَذَا اللَّيْلُ عَيْنِيكَ رُؤْيِي فَتَظَهَرَ فِيهِ رَقَّةٌ وَنَحُولٌ^(٤)
لَقِيتُ بِدَرْبِ القَلَّةِ الفَجْرُ لَقِيَةً شَفَتَ كَمْدِي وَاللَّيْلُ فِيهِ قَتِيلٌ^(٥)

يكون الاسم نكرة والخبر معرفة ؟ وليس هذا من أخوات كان ، وإنما هي من برح فلان مكانه : أى فارقه . يقول : إذا لم يكن لى من فراقكم راحة إلا التعلل بالنسيم وطلب روح الهواء وتشممى لطيبه بروائحكم ، وما كان ينالنى أيام اللهو والفرح بقرينكم فلا فارقتى روضة وقبول يسوق إلى روائح تلك الروضة وقال ابن القطاع : برح - هنا - بمعنى زال . يقول : إذا بعدتم ولا أصل إليكم إلا بشم الروح الذى يشبه رائحة نسيمكم ، فلا فارقتى روضة وقبول يأتينى براائحكم ؛ وقد دعا لنفسه بالحياة ، فإنه مادام حياً جاءته الرياح بروائح أجنته لأن قبله :

* وفى الموت من بعد الرحيل رحيل *

(١) الشرق : الغصص . وتذكرا : مفعول لأجله ، أو حال سدت مسد الخمر ، بمعنى منذ كرا ، فأقام المصدر مقام اسم الفاعل : ونزول : جمع نازل يقول : إني كلما شربت الماء غصصت به لأننى أتذكر الماء الذى نزل به أهل الحبيب فلا يسوغ لى الماء الذى أشربه

(٢) يقول : إن فلك الماء الذى نزل به الحبيب يحرم وردة لمع الرماح التى ركرها قومه حوله فلا يصل إليه عطشان ، يريد بذلك عزة أهله ومناعتهم ؛ وبالحرى مناعة حبيبه فيما بينهم : أى فلا سبيل إلى زيارته ، فحبيبه ممنوع منه على القرب والبعد .

(٣) فى النجوم : خبر مقدم ؛ ودليل - فى آخر البيت - مبتدأ مؤخر ؛ استطال إليه فقال : أليس فى هذه النجوم وغيرها مما يسترشد به دليل يدلى على ضوء الصبح فأستروح إليه من طول الليل وما أقاسيه فيه من الكمد واللوعة ؟

(٤) رؤيى : مفعول مطلق . وقوله فتظهر : جواب الاستفهام . يقول : إن من رآها عشقها فينحل ويرق من عشقها ، فهل لم ينظر هذا الليل إلى عينها كما نظرت إليها فيفتن بهما افتتاني فيرق وينحل وتقل أجزاؤه فينكشف عني وينحسر ؟

(٥) درب القلة : موضع وراء الفرات . والكمد : الحزن . ويروى شفت كمدى

وَيَوْمًا كَانَ الْحَسَنُ فِيهِ عَلَامَةٌ بَعَثَتْ بِهَا وَالشَّمْسُ مِنْكَ رَسُولٌ^(١)
وَمَا قَبْلَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَثَارَ عَاشِقٍ وَلَا طَلِبَتْ عِنْدَ الظَّلَامِ دُحُولُ^(٢)

والليل فيه قتيل : جملة حالية . يقول : إنه بداله الفجر عند هذا المكان ، فاشتقت كبده بانصرام الليل كما يشتقي العدو بنكبة عدوه ، وجعل الليل قتيلاً لظهور حمرة الشفق عند انقضائه فشبها بالدم . قال ابن جني : سأله - المتنبي - عن معنى هذا البيت فقال : وافينا القلة وقت السحر ، فكأنني لقيت بها الفجر ، ثم سرنا صبيحة ذلك اليوم إلى العصر أربعين ميلاً وشننا الفارات وغنمنا ، وشفيت كددي لا نحسار الليل عني ، والليل قتيل في ذلك للوضع . فكان النهار لما أشرق بضوئه على الليل قتله وظفر به . . . وقد أخذ هذا المعنى بعضهم وكشف عنه فقال :

ولما رأيتُ الصُّبْحَ قَدْ سَلَ سَيْفُهُ وَوَلَّى انْهَرَامًا لَيْلُهُ وَكُؤَاكِبُهُ
ولاحِ احْمَرَارٌ قُلْتُ قَدْ دُبِحَ الدُّجَى وَهَذَا دَمٌ قَدْ ضَمَّخَ الْأَرْضَ سَاكِبُهُ

(١) ويوما : عطف على الفجر - في البيت السابق - يقول : ولقيت بدوب القلة بعد ذلك الليل للسبتشع السكريه يوما حسناً جميلاً ، فذكرت به محاسنك فكان حسنه علامة صدق بعثت بها ، وكانت الشمس هي الرسول لأنها لما طلعت حسن ذلك اليوم فكانها جاءت بحسنه والحيية بعثت ذلك الحسن . وقال ابن جني : لما ثار القبار ستر الشمس فكانها رسول من محبوبته مستخف . وهذا المعنى من أحسن الكلام ، وفي معناه قول الآخر :

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا أَمَارَةٌ تَسْلِمُنِي عَلَيْكَ فَسَلِّمِي

(٢) اثار : افعل ، من الثَّار ، وأصله الحمز . اثار يثار اثاراً : إذا أدرك الثَّار ، خلَّته . والدُّحُول : جمع دحل ، الثَّار والعداوة والحقد . يقول : إنما حسن نهاري بما ناله سيف الدولة من ظفره بأعدائه ، وبه اشتفيت من ليلى وما قاسيته فيه ، فكأنني أدركت ثأري منه ، وهي أول مرة أدرك عاشق ثأره وطولب الليل بما يحصل منه ، لأن ذلك لم يعهد قبل سيف الدولة . ولا بن فورجه هنا كلام حسن يزيد انتقاماً إيضاحاً قال : قد خلط أبو الطيب في هذه الأبيات تشبيهاً بتقريظ وهي من محاسن هذه القصيدة ، وغرضه أن يصف يوم ظفر سيف الدولة بالحسن والطيب ، ويذكر سوء صنيع الليل عنده فيما مضى ، وأراد بقوله والليل فيه قتيل : حمرة الشفق ، وأنه كدم على صدر نحير ، ولما لقيه كذلك شمت به لطول ما قاسى من . . . جعل حسن اليوم وهو ظفر

وَلَكِنَّهُ يَأْتِي بِكُلِّ غَرِيبَةٍ تَرُوقُ حَتَّى اسْتَفْرَاهَا وَتَهْوُلُ^(١)
رَمَى الدَّرْبَ بِالْجُرْدِ الْجِيَادِ إِلَى الْعِدَا وَمَا عَلِمُوا أَنَّ السَّهَامَ خِيُولُ^(٢)
شَوَائِلَ تَشْوَالُ الْعَقَارِبِ بِالْقَنَا لَهَا مَرَحٌ مِنْ تَحْتِهِ وَصَهِيلُ^(٣)
وَمَا هِيَ إِلَّا خَطَرَةٌ عَرَضَتْ لَهُ بِحِرَانٍ لَبَّتْهَا قَنَا وَنُصُولُ^(٤)

سيف الدولة لسرويه به كالملة التي جاءت من المحبوب ، والشمس كرسوله لشدة الجذل بطلوها ، ثم ادعى أن سيف الدولة قتل الليل وأثار لأبي الطيب على ماجرت به العادة من نسبة الغرائب إلى المدوحين وإن كانت من المحال . يدل على هذا البيت التالي .

(١) الغريبة : الأمر الغريب . وتروق : تعجب . وعلى استفراها : أى مع استفراب الناس لها . وتهول : تفزع وتخيف . يقول : ولكنه يأتي بأمور غريبة لا عهد للناس بها من قبل ، وهى مع استفراب الناس لها تعجب المتأمل فيها لحسنها وتوقع فى نفسه الهبة استعظاما لقدرها .

(٢) الدرب : المدخل إلى بلاد الروم . والجرد : الخيل القصيرة شعر الجلد ، وهو آية كرمها . يقول : رمى الروم بخيل أسرع إليهم من السهام ولم يعلموا قبل ذلك أن السهام تكون خيلا .

(٣) شوائل : حال من الجرد - فى البيت السابق - وشالت العقر ذنبها : رفعتها ؛ وتشوال : مفعول مطلق ؛ وبالقنا : متعلق بشوائل ؛ وأراد شوائل بالقنا تشوال العقارب بأذنانها . والمرح : لعب يتبعه النشاط والضمير فى تحته : للقنا ، ويجوز أن يكون للدوح . شبه الرماح على الخيل بأذنان العقارب إذا رفعتها ، يشير إلى سرعة سيرها وكثرة جريها ورفعها الأذنان فى ذلك الجرى ، وهو دليل كرمها وقوتها ، والتشوال أكثر ما يكون عند الجرى ، ثم دل على نشاطها بمرحها وعلى عزة نفسها بصهيلها .

(٤) هى : ضمير الشأن أخبر عنه بمفرد ؛ والخطرة : اسم مرة من خطر له كذا : من ياله - وحران : بلد ؛ ولبتها : أجابتها ؛ والنصول : السيوف . يقول : لم تكن هذه الغزوة التى رمى بها أرض الروم إلا خاطراً عرض له ، فأجابت خاطره الرماح والسيوف ، أى أنها كانت - مع عظمتها وجلالها - من غير استعداد ولا احتفال .

هُمَامٌ إِذَا مَا هَمَّ أَمْضَى هُمُومَهُ بِأَرْعَنَ وَطْءَ الْمَوْتِ فِيهِ ثَقِيلٌ^(١)
 وَخَيْلٌ بَرَاهَا الرَّكْضُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ إِذَا عَرَّسَتْ فِيهَا فَلَيْسَ ثَقِيلٌ^(٢)
 فَلَمَّا تَجَلَّى مِنْ دَلُوكِ وَصَنْجَعَةٍ عَلَتْ كُلَّ طَوْدٍ رَايَةً وَرَعِيلٌ^(٣)
 عَلَى طُرُقٍ فِيهَا عَلَى الطَّرْقِ رِفْعَةٌ وَفِي ذِكْرِهَا عِنْدَ الْأَنْبَسِ خُحُولٌ^(٤)
 فَمَا شَعَرُوا حَتَّى رَأَوْهَا مُفْـِـرَةً
 قَبَاحًا وَأَمَّا خَلْفُهَا فَجَبِيلٌ^(٥)

(١) الهمام : الملك العظيم المهمة . وهم : أراد فعل الشيء ؛ وأمضى : أنفذ ؛ والمهموم : المهم ؛ والارعن : الجيش الكثير المضطرب لكثرة . يقول : هو همام إذا هم بأمر فعله وأنفذه بجيش حافل وطء الموت فيه ثقیل على من يحاول هلاكه من أعدائه ، أى أن أخذه شديد .

(٢) وخيل : عطف على أرعن ؛ أى وبخيل ؛ وبراهها : هزلها ؛ والتعريس : نزول الركب آخر الليل للاستراحة . وثقیل : أى تنزل وقت المهاجرة أى نصف النهار للنوم . يقول : إن خيله التى تضمنها ذلك الجيش هزلها لما يحشمها من العدو فهى لا تزال دائبة التسيار فى بلاد العدو ، فإذا نزلت ليلا فى بلد لم تقم به نهاراً بل ثقیل يبلد آخر .

(٣) دلوك : موضع وراء الفرات ؛ وصنعة : نهر بين ديار مضر وديار بكر ؛ والطود : الجبل العظيم ؛ والرعیل : القطعة من الخيل . يقول : لما فصل من هذين الموضعين وبان منهما تفرقت فرسانه فعمت راياتها وخيله الجبال .

(٤) على طرق : حال من فاعل علت - فى البيت السابق - والرفعة : الاسم من الارتفاع ؛ والحمول : خفاء الذکر : أى سارت إلى الروم على طرق فى الجبال ، ومن ثم فهى مرتفعة على الطرق ، وهى خاملة الذکر عند الناس لأنها لم تسلك من قبل .

(٥) ضمير «شعروا» للعدو، و«قباحا» حال، وجاء بها لازمة لأنها على معنى مستقبحة وقال العكبرى : إنها صفة لمغيرة . يقول : لجأت الأعداء هذه الخيل فلم يشعروا بها إلا مغيرة عليهم ، فكانت قبیحة فى أعينهم لسوء فعلها بهم ، وهى مع ذلك جميلة الخلق، وهذا كقوله الآتى :

حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَعْدَائِهِ أَقْدُ بَيْحٌ مِنْ ضَيْفِهِ رَأَتْهُ السَّوَامُ

سَحَابٌ يَمْطُرُنَ الْحَدِيدَ عَلَيْهِمْ . فَكُلُّ مَكَانٍ بِالسُّيُوفِ غَسِيلٌ^(١)
وَأَمْسَى السَّيَّيَا يَنْتَحِبْنَ بِعَرَفَةٍ . كَأَنَّ جُيُوبَ الثَّاكِلَاتِ ذُبُولٌ^(٢)
وَعَادَتْ فَظَنُوهَا بِمُوزَارٍ قَفَلًا . وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الدُّخُولُ قُفُولٌ^(٣)
فَخَاضَتْ نَجِيعَ الْجَنَعِ خَوْضًا كَأَنَّهُ . بِكُلِّ نَجِيعٍ لَمْ تَخْضُهُ كَفِيلٌ^(٤)
تُسَايِرُهَا النَّيْرَانُ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ . بِهِ الْقَوْمُ صَرَغَى وَالْدِّيَارُ طُلُولٌ^(٥)

(١) سحائب : خبر . مبتدأ محذوف ؛ أى هى - الحيل - سحائب ، ورواها ابن جنى بالنصب على أنها بدل من قباحاً . قال العكبرى : ويجوز أن تكون بدلا من ضمير رأوها ، وغسيل : بمعنى مغسول ، جعل خيله كالسحائب لما فيها من بريق الأسلحة وصياح الأبطال وجعل مطرها الحديد لأنها تنصب عليهم بالسيوف والأسنة ، ولما جعل السيوف مطراً جعل إفناءها لهم بمنزلة غسل الأرض منهم ، وقال ابن جنى : يجوز أن يعنى بالسحائب : الغبار الكثائر . يصف خيله بالكثرة يقول : سحائب تمطر الحديد عليهم وتعمل السلاح فيهم فكل مكان تغسله السيوف بما تسفكه من الدماء .

(٢) عرقة : بلد بالشام ؛ والانتحاب : البكاء ؛ والجيب : ما انتفع من القميص على النحر . والثاكلات : جمع ثكلى ، وهى التى فقدت ولداً أو بعلا أو أبا أو أخاً . يقول وأمسى الجوارى اللأى سبين من الروم يسكنين بهذا الموضع فمجمعات قد شققن جيوبهن على من فقدن من قتلاهن حتى انهطلت إلى الأرض فصارت كأنها ذبُول .

(٣) موزار ؛ حصن يبلاد الروم . والقفول : الرجوع . يقول : وعادت خيل سيف الدولة فظنها الروم راجعة إلى بلادها وليس لها رجوع إلا الدخول عليهم من درب موزار ؛ يعنى أن عودها الذى ظنوه رجوعاً كان دخولا عليهم .

(٤) النجيع : دم الجوف خاصة ؛ والضمير فى «كأنه» للخوض ؛ وروى «نَجِيع» القوم يقول : فخاضت الحيل الدم الذى سفكت من الروم خوفاً وافتراً تاماً هائلاً حتى هان غره بالإضافة إليه ، فكأنه كفيل لمن رآه بأن خيله لا يتعذر عليها خوض كل دم لم تخضه بعد ذلك .

(٥) فى كل مسلك : يروى فى كل منزل . وصرعى . جمع صريع ، أى قتيل ، والطلول : ما بقى من آثار الديار ؛ يقول : تسير النيران مع الحيل أينما سلكت ، أى أنهم كانوا يحرقون كل موضع وطئوه من بلادهم ويقتلون أهلها فتخرب ديارهم وتبقى الآثار .

وَكَرَّتْ فَمَرَّتْ فِي دِمَاءِ مَلْطِيَّةٍ مَلْطِيَّةٌ أُمٌّ لِلْبَنِينَ فَكُولُ^(١)
وَأَضْمَقْنَ مَا كُلَّفْنَهُ مِنْ قُبَابٍ فَأَضْحَى كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ عِلِيلُ^(٢)
وَرَعْنَ بِنَا قَلْبَ الْفُرَاتِ كَأَنَّمَا تَحْرُ عَلَيْهِ بِالرَّجَالِ سَيُولُ^(٣)
يُطَارِدُ فِيهِ مَوْجُهُ كُلُّ سَابِحٍ سَوَاءَ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسِيلُ^(٤)
تَرَاهُ كَأَنَّ الْمَاءَ مَرَّ بِجِسْمِهِ ، وَأَقْبَلَ رَأْسُ وَخَذَهُ وَتَلِيلُ^(٥)
وَفِي بَطْنٍ هَزِيظٍ وَسَمْنِينَ لِلْظُّيِّ ، وَصَمَّ الْقَنَا يَمْنُ أَبَدَنْ بِدِيلُ^(٦)

(١) كرت : عطفت ؛ وملطية : بلد بالروم معروف ، ولأنه اسم أعجمي ، والاسم الأعجمي إذا وقع إلى العرب تصرف فيه ، أسكن الطاء وخفف الياء ؛ ويريد أهل ملطية . والشكول : التي تفقد أولادها . يقول : وعادت الخيل ومرت في دماء أهل ملطية . أي سفكت دماءهم حتى خاضت فيها ، ثم جعل ملطية أمًّا لأهلها وجعلهم كالبنين لها ، وقد فقدتهم حين قتلوا .

(٢) قباب : اسم نهر عبرته خيل سيف الدولة ؛ وكلفنه : أي كلفن قطعه و«من» الداخلة على قباب لبيان « ما » . يقول : إن خيله أضعت هذا النهر عند عبوره بكثرة قوائمها وشدة تزامحها فأضحى ماؤه كالعليل الساقط القوة فجعلت جرى مائه ضعيفاً .
(٣) يقول : لما عبرت الخيل بنا الفرات راعته - أفزعته - كثرة الخيل - أي كثرة الجيوش - التي خاضته ، فكأنما تنحدر عليه سيول بالرجال ، ولما جعل الفرات مروعا استعار له قلباً لأن الروع يكون في القلب .

(٤) السابح : الفرس الذي يمد يديه كأنه يسبح في جريه ، ويحتمل هنا سباحة للماء والغمرة : معظم الماء ؛ والمسيل : يجري الماء . يقول : إن الموج كان ينجفل عن قوائم الخيل ويجري أمامها وهي تتبعه ، فجعل ذلك كالطاردة ، ثم قال : إن هذه الخيل - لقوتها كانت لا تكثرث لغمرة الماء ، بل سواء لديها الغمرة والمسيل ، فتسبح في الغمرة كما تسير في المسيل الذي لا ماء فيه .

(٥) التليل : العنق : يقول : إذا سبح الفرس في النهر لم يظهر منه إلا الرأس والعنق لكثرة ماء النهر وتعذر خوضه ، فكأن الماء ذهب بجسمه وبقى الرأس والعنق وحدهما يسبحان .

(٦) هنريط وسمنين : موضعان ببلاد الروم . والظرف : خبر مقدم عن بديل . رالطبي : جمع ظبة : حد السيف ؛ وصم القنا : الرماح الصلبة ؛ ومن أبدين . متعلق

طَلَعْنَ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً يَفْرِفُونَهَا لَهَا غُرُرٌ مَا تَنْقُضِي وَحُجُولٌ^(١)
 تَمَلُّ الْحُصُونُ الشَّمَّ طُولَ نِزَالِنَا، فَتُلْقِي إِلَيْنَا أَهْلَهَا وَتَزُولُ^(٢)
 وَبِتَنَ بِمُخَضَّنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الْوَجَى
 وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلٌ^(٣)
 وَفِي كُلِّ نَفْسٍ مَا خَلَاهُ مَلَالَةٌ، وَفِي كُلِّ سَيْفٍ مَا خَلَاهُ فُلُولٌ^(٤)
 وَدُونَ سُمَيْسَاطِ الْمَطَامِيرِ وَالْمَلَا، وَأَوْدِيَةِ بَحْمٍ—وَلَةٍ وَهُجُولٌ^(٥)

يبدل يقول : كانت السيوف والرماح قد أفنت أهل هذين الموضعين ، فلما عاودته بعد مدة وجدت قوما آخرين قد أدركوا بدلا من أفنتهم . يعنى أن إغارة هذه الخيل على هذين الموضعين متتابعة متواصلة على الروم ، فكلما أتتهما طائفة منهم أفنتها هذه الخيل .
 (١) الفرر : جمع غرة : البياض في وجه الفرس ؛ والحجول : بياض يكون في قوائمها . يقول : طلعت الخيل على أهل هذين الموضعين طلعة ، قد عرفوها لها شهرة كغمر الخيل وحجولها ، لأنها طالما طلعت عليهم وأغارت .

(٢) الشم ؛ الطوال المرتفعة في السماء . يقول : إن الحصون الشام تمل طول مقاتلتنا إياها فتزول هي عن أما كنها بالخراب وتمكتنا من أهلها .

(٣) حصن الران : من حصون الروم ؛ ورزحى ؛ ساقطة هزالا من الإعياء . والوجى : الحفى . يقول : باتت الخيل معيبة بهذا الموضع مما أصابها في حوافرها ، ثم اعتذر لها فقال : لم يلحقها ذاك لضعفها ولكن الأمير كلفها من همته صعباً فذات له وإن كانت عزيزة قوية .

(٤) قوله وفي كل نفس الخ : حال من ضمير الخيل - في صدر البيت السابق - والفلول : الثلوم . يقول وقد أدرك كل نفس من نفوس جيشه الملل لطول القتال وشدة الملاقاة ما خلا سيف الدولة ، فإنه لا يفترو ولا يمل ، وكذلك كل سيف في ذلك الجيش قد فله - ثلته - الضرب ، أما هو فلم تسلك عزائمه عن متابعة القتال ، لأنه السيف لا ينبو عن ضريبته .

(٥) سميساط : بلد بشاطئ الفرات . والمطامير : جمع مطمورة ، حفرة غائرة في الأرض نجبا فيها الطعام والشراب والملا : جمع ملاء ، وهى الفلاة ذات الحروا السراب .
 . الحجول : جمع هجل ، المطمئن من الأرض ، قال أبو زيد :

لَبِسْنَ الدُّجَىٰ فِيهَا إِلَىٰ أَرْضِ مَرْعَشٍ

وَالرُّومِ . خَطْبُ فِي الْبِلَادِ جَلِيلٌ^(١)

فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحَدَّهُ قَبَلَ جَيْشَهُ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ فُضُولٌ^(٢)

وَأَنَّ رِمَاحَ الْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ ، وَأَنَّ حَدِيدَ الْهِنْدِ عَنْهُ كَلِيلٌ^(٣)

فَأَوْرَدَهُمْ صَدْرَ الْحِصَانِ وَسَيْفَهُ فَتَى بِأَسُهُ مِثْلُ الْعَطَاءِ جَزِيلٌ^(٤)

تَحْنُ لِلظُّمْءِ مَا قَدْ أَلَمَ بِهَا بِالْهَجَلِ مِنْهَا كَأَصْوَاتِ الزَّانِبِ^(١)

يقول : قبل الوصول إلى سميحاط هذه الأشياء .

(١) مرعش : بلد بالشعر قرب أنطاكية ؛ أى سارت الخيل في تلك الأودية إلى أرض مرعش ليلا ، فكأنها لبست الدجى حين سارت في الظلمة . وقوله وللروم خطب بذلك أن سيف الدولة لما تزن بمحسن الران ورد عليه الخبر أن الروم في بلاد المسلمين يعيشون ويقتلون ، فرجع إليهم مسرعا ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسر قسطنطين بن الدستق . ويجوز أن يكون المعنى : أن لأرض الروم خطبا جليلا لأن الوصول إليها صعب لتعذر الطريق إليها ولشدة شوكة أهلها وقد داسها سيف الدولة بمخواف خيله وذلل أهلها .

(٢) فضول : أى زوائد لا حاجة إليها . يشير إلى أنه لشجاعته تقدم الخيل وحده حتى رآه الروم قبل أن يروا جيشه ، ولما رآوه كذلك علموا أنه يغنى غناء الناس جميعا وأن من سواء من العالمين لا حاجة إليهم مع وجوده .

(٣) الخط : موضع باليمامة تنسب إليه الرماح الخطية . والكيل : الذى لا يقطع يقول : وعلموا أن الرماح لا تصل إليه وأن السيوف تسكل عنه فلا تقطعه : إما لأنها تندفع دونه لعزته ومنعته ، وإما لما بلقيه على الطاعن والضارب من الهية فلا يقدم عليه .

(٤) الحصان : المذكور من الخيل ، والجزيل : الكثير . يقول : إنهم قتلوا بحضرته وهو راكب ، جعلهم واردين صدر حصانه حين أحضروا بين يديه وهو راكب ، واردين سيفه حين قتلوا به . أو تقول : يشير إلى أنه لقيهم بنفسه وقتلهم بمحده سيفه .

(١) قوله بالهجل : خبر متمد ؛ وكأصوات - أى مثل أصوات - مبتدأ مؤخر . قال ابن برى : والذى في شعره الزانير - بالنون - وهى الحصى الصغار .

جَوَادٌ عَلَى الْعِلَاتِ بِالمَالِ كُلِّهِ وَلَكِنَّهُ بِالْأَرْعِينَ بِخَيْلٍ^(١)
 فَوَدَّعَ قَتْلَاهُمْ وَشَعَّيَّ فَلَهُمْ
 بِضَرْبِ حُزُونٍ التَّبْيِضِ فِيهِ سُهُولٌ^(٢)
 عَلَى قَلْبِ قُسْطَنْطِينٍ مِنْهُ تَعَجُّبٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي سَاقِيهِ مِنْهُ كِبُولٌ^(٣)
 لَمَلَّكَ يَوْمًا يَا دُمُسْتَقُ عَائِدٌ فَكَمْ هَارِبٍ مِمَّا إِلَيْهِ يَتَوَلُّ^(٤)

فجعل صدر فرسه موردا لأسلحتهم كناية عن استقباله لهم مكافئة ، وجعل سيفه موردا لأرواحهم يستقبلونه فيهلكون به ، فهو فتي باسه شديد بالغ كما أن عطاءه جزل كثير .

(١) على العلات : على كل حال . والدارع : الذي عليه الدرع . يقول : يحمود بما له على اختلاف أحواله . كيفما دار به الأمر كان جوادا ، ولكنه بخيل برجاله ، يعنى أنه يبدل المال ويصون الأبطال ، ولك أن تجعل الدارعين من الأعداء ، فيكون المعنى أنه يقتلهم ولا يحمود بهم عليهم . وعبارة ابن جني : بخله بالدارعين من أعدائه أنه يقتلهم بنفسه أو يسلبهم أو يحميمهم اصطناها^(١)

(٢) الفل : المنهزمون . والحزون : جمع حزن ما غلظ من الأرض ، ضد السهل . والبيض : جمع بيضة ، ما يلبس على الرأس من حديد . يقول : ترك الذين قتلهم وتبع الذين انهزموا بضرب يقطع الخوذ على رؤوسهم فيصبح مكانها مستويا بعد أن كانت ناتئة فوقه ، وقد طابق بين التوديع والتشيع والحزن والسهل .

(٣) قسطنطين : هو ابن الدمستق ، والكبول : جمع كبل ، القيد الضخم . يقول لم يشغله ما يعانى من القيد عن التعجب مما يرى من شجاعة سيف الدولة . وقال الخطيب التبريزى : لما أسر سيف الدولة قسطنطين أكرمه وأقام عنده بحلب مدة ، فهو يشير إلى تعجبه من حلم سيف الدولة وكرم أخلاقه وإن كان مقيدا عنده .

(٤) يقول : لملكك يوما تعود إلينا فيحقيق بك الهلاك الذى استدفقته بفرايك ، فقد يهرب الإنسان مما يعود إليه ، فهذا تهديد له : أى أنك تعود فتؤسر أو تقتل ، . لعله من قول ابن الرومى :

(١) من اصطناع المعروف

نَجَوْتَ بِإِخْدَى مُهْجَتِكَ جَرِيحَةً وَخَلَفْتَ إِخْدَى مُهْجَتِكَ تَسِيلٌ^(١)
 أَتَسْلِمُ لِلْخَطِيئَةِ ابْنَكَ هَارِبًا ، وَيَسْكُنُ فِي الدُّنْيَا إِلَيْكَ خَلِيلٌ^(٢)
 بَوَاجِهَكَ مَا أَنْسَاكَهُ مِنْ مُرْشَةٍ نَصِيرُكَ مِنْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلٌ^(٣)
 أَغْرَاكُمْ طُولُ الْجِيُوشِ وَعَرَضُهَا عَلَى شَرْوَبٍ لِلْجِيُوشِ أَكُولٌ^(٤)
 إِذَا لَمْ تَكُنْ لِلْيَثِ إِلَّا فَرِيَسَةً غَذَاهُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ أَنْكَ فِيلٌ^(٥)

وإذا خشيت من الأمور مقدراً وهربت منه فنفوه تتوجه

(١) المهجة : الروح ، وأنت جريحة بالناء ضرورة ، وخلفت : تركت خلفك : أراد بمهجته الأولى - وهى الجريحة - نفس الدمستق ، وبالثانية : - التى تسيل - ابنه وجعل مهجته مجروحة وإن كانت الجراحة ليدهن لأن جرح البدن يسرى إلى الروح ، وكفى بسلان المهجة الأخرى - وهى ابنه - عن الهلاك : أى أنه يقتل فيسيل دمه ، قال السموءل :

تسيل على حدّ الظُّبَاتِ نفوسنا وليست على غير الظُّبَاتِ تسيل

يقول : إنه هرب مجروحاً - لأن سيف الدولة جرح وجهه فى هذه الواقعة - فنجأ بنفسه وترك ابنه فى يد الهلاك ، فهو وإن نجا بسلامة إحدى مهجتيه إلا أنه يعد هالكا بهلاك مهجته الأخرى - ابنه - لأن ما يدرك ابنه كأنما يدركه .

(٢) أسلمه . خذله وتركه والاستفهام : استفهام إنكار وتوبيخ ، والخطية : الرياح

ويسكن بمعنى يطمئن ويركن ، وهو جواب الاستفهام . يقول :. أنخذل ابنك وتتركه للرماح وتهرب ويشق بك أحد بعد ذلك من خلانك ؟ أى لا يثق بك أحد بعد هذا .

(٣) المرشة : الطعنة ترش الدم ، والرنة : الصياح ، والعويل : البكاء . يقول : بوجهك جراحة أنستك ابنك وليس لك من ينصرك منها إلا الصياح والعويل ، يعنى أنك عاجز عن نصرة نفسك فكيف تنصر ابنك ؟

(٤) يقول : أغركم كثرة رجالكم ؟ لا تفرنكم الكثرة ، فإن علياً - اسم سيف الدولة - يطلبكم وإن كثر عددكم ، فالمراد بالشرب والأكل : الإفناء والإبادة حتى لا يبقى منهم أثر ، لأن ما شرب أو أكل لا ترى له عين ، وكأن هذا ينظر إلى قول أبى نواس :

فإن يك باقى إلفكِ فرعونَ فيكم فإن عصى موسى بكفّ خصيب

(٥) غذاه : صار له غذاء ، والضمير لليث : وأنتك فيل : فاعل ينفعك أو غذاه

إِذَا الطَّعْنُ لَمْ تَدْخِلْ فِيهِ شَجَاعَةً هِيَ الطَّعْنُ لَمْ يَدْخِلْ فِيهِ عَذُولٌ^(١)
 فَإِنْ تَكُنِ الْإَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَمَّ الْإَيَّامُ كَيْفَ تَصُولُ^(٢)
 فَدَتِكَ مُلُوكُ لَمْ تُسَمِّ مَوَاضِيًا ، فَإِنَّكَ مَاصِي الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٌ^(٣)
 إِذَا كَانَ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِلدَّوْلَةِ
 فِي النَّاسِ بُوقَاتٌ لَهَا وَطَبُولٌ^(٤)

على طريق التنازع ، وهذا مثل ضربه . يقول : أتم وإن كنتم أكثر عددا فإن الظفر له دونكم ، فلا تغنيكم هذه الكثرة شيئا ، كالليل مع الأسد فإن الليل لا ينفعه عظمه إذا صار فريسة للأسد وبعبارة أخرى : إذا لم تكن إلا فريسة للأسد ، فكونك فيلا أى كونك ضخمة الجثة ، يتوفر به غذاء الأسد ولا ينفعك في النجاة منه ، يعنى أن كثرة الروم لا تنفعهم إذا وقعوا في يد سيف الدولة ، ولكنها تكون سببا في شفاة بكثرة ما يقتل منهم .

(١) قوله هـى الطعن : نعت شجاعة يقول : إذا لم يدخلك فى الطعن شجاعة هـى الطعن وبها يكون البطش والعمل لم يدخلك فيه اللوم ؛ يعنى أن التحريض لا يحرك الجبان (٢) صال عليه : وثب واستطال ، يقول : إن كانت الأيام قد أبصرت بطشه بأهل الروم فقد علمها من ذلك ما لم تعلمه ونهج لها سبيل الصول والغلبة ، يعنى أن الأيام تتعلم منه البأس .

(٣) مواصيا : سيوفا ، وشفرة السيف : حده . يقول : فدتك ملوك تروم مشاهبتك ولم تسم سيوفا ، إذ ليست أهلا لهذه التسمية لأنك أنت السيف اسما ومضاء .

(٤) البوقات : جمع بوق ، وهو ذاك الذى ينفخ فيه ويصر . وعنى يبعث الناس : سيف الدولة . يقول : إذا كنت سيف الدولة ، فإن غيرك من الملوك بالإضافة إليك للدولة بمنزلة البوق والطبل : أى لا يغنون غناءك ولا يقومون مقامك ؛ أو تقول : إذا كنت سيفا للدولة يذود عنها ويقاثل بنفسه فيعرك من الملوك للدولة بمنزلة الأبواق والطبول لا غناء عندهم ولا منفعة لهم إلا جمع الجيوش لتقاتل عنهم كما تجمع بصوت البوق والطبل وقال العروضى : أراد بالبوق والطبل ، الشعراء الذين يشيعون ذكره ويذكرون فى أشعارهم غزواته فينتشر بهم ذكره فى الناس ، كاللوق والطبل اللذين هما لإعلام الناس بما يحدث : قال ابن جنى : وقد عاب على أبى الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع وق ، والقياس يعضده ، إذ له نظائر كثيرة : مثل حمام وحمامات ، وسرادق وسرادقات ،

أَنَا السَّابِقُ الْهَادِي إِلَى مَا أَقُولُهُ إِذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولٌ^(١)
وَمَا لِكَلَامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيدُنِي أَصُولٌ وَلَا لِلْقَائِلِينَ أَصُولٌ^(٢)
أَعَادَى عَلَى مَا يُوجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى وَأَهْدَأُ وَالْأَفْكَارُ فِي تَجْوُلٍ^(٣)
سِوَى وَجَعِ الْحَسَادِ دَاوٍ فَإِنَّهُ إِذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ بِمَحُولٍ^(٤)
وَلَا تَطْمَعُنْ مِنْ حَاسِدٍ فِي مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْذِرُهَا لَهُ وَتُنْذِلُ^(٥)
وَأَنَا لَنَلْقَى الْحَادِثَاتِ بِأَنْفُسِي كَثِيرُ الرِّزَايَا عِنْدَهُنَّ قَلِيلٌ^(٦)
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُ لَنَا وَعُقُولُ^(٧)

وجواب وجوابات ، وهو كثير في كلام العرب في جمع مالا يعقل من المذكر ؛ إذ لا يوجد له مثال القلة

(١) الهادي : بمعنى المهتدي ، وإذ : ظرف مضاف إلى الجملة بعده . يقول : أنا الذي أتقدم غيري . وأسبقه إلى ما أقول ، يعني أنه مخترع المعاني الأبداء التي لم يسبق إليها إذا كان غيره من الشعراء يقول ما سبق إليه وقيل من قبله .

(٢) أراه : جعل فيه رية ، والرية الشك والتهمة . يقول : إن ما يتكلم به حسادي فيما يريدني لا أصل له لأنه كذب وباطل ، وكذلك هم لا أصل لهم ؛ أي ليس لهم نسب يعرف به أصلهم

(٣) يقول : أعادي على علي وفضلي وتقدمي في الشعر ، وذلك مما يوجب الحب ، لا العداوة ، وأسكن أنا والأفكار تجول في ولا تسكن : أي لا تعرض لهم ، أمامهم فلا يفترقون عن تلمس ما يشعرون به على .

(٤) يقول : لا تشتغل بـمداواة حسد الحساد ، فإن الحسد داء عياء إذا حل في قلب فلا أمل في زواله ، فسوى : مفعول داو .

(٥) وتذيل : تعطى . يقول : لا تطمعن في مودة حاسد ، فهو لا يود محسوده ولو أظهر له المودة وبذل له من نعمته وأعطاه .

(٦) يصف نفسه بالجلد وقلة الجزع لنوب الدهر . يقول : وإنما نلتقي الحادثات بأنفس جلدة تهتقر الحطوب الجليلة وتستقل الرزايا الكثيرة .

(٧) هذا من قول أبي تمام :

لا يأسفون إذا هم سمنت لهم أحسابهم أن تهزل الأعمار

فَتَيْهَا وَفَخَرَأَ تَغْلِبَ ابْنَةُ وَائِلَ ، فَأَنْتِ تَحْلِيهِ الْفَاخِرِينَ قَبِيلُ^(١)
يَغْمُ عَلِيًّا أَنْ يَمُوتَ عَدُوُّهُ إِذَا لَمْ تَغْلُهُ بِالْأَسِنَّةِ غُولُ^(٢)
شَرِيكَ الْمَنَايَا وَالنَّفُوسُ غَنِيمَةٌ ، فَكُلُّ مَمَاتٍ لَمْ يُمَيِّتْهُ غُلُولُ^(٣)
فَإِنْ تَكُنِ الدَّوْلَاتُ قِسْمًا فَإِنَّهَا لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً^(٤)
لِمَنْ هَوَّنَ الدُّنْيَا عَلَى النَّفْسِ سَاعَةً وَلِلْبَيْضِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ صَدِيلُ^(٥)

* * *

(١) أنت « تغلب » لأنها قبيلة . ويجوز رفعها على النداء المفرد ، وجعل ابنة وائل منصوبا بالنداء المضاف ونصبها على جعلها مضافة إلى وائل ؛ وابنة بدلا منها . يقول لتغلب : اغزى وتبى ، فإنك قبيلة خير من غز ، يعنى سيف الدولة . وتبها وغزاً : منصوبان على المصدر .

(٢) تغله : تهلكه وتذهب به ، يقال غاله يغوله ؛ إذا أهلكه والغول : المهلك ؛ يقال الغم غول النفس والغضب غول الحلم . يقول : إذا مات عدوه خفف أغمه ولم يقبل برماحه غمه ذلك ، لأنه على يقين من الظفر به

(٣) ممات : مصدر ميمي ، والضمير في قوله لم يمته : مفعول مطبق مثله في قوله تعالى « عذابا لا أعذبه أحداً من العالمين » والغلول : الحيانة في الغنم والسرقة من الغنيمة وكل من خان في شيء خفية فقد غل . جعله شريك المنايا لكثرة من يقتله . يقول : بينه وبين المنايا شركة في النفوس ، فكل منية لم تكن عن سيفه فقد خاتته المنايا فيها . يشير إلى كثرة وقائعه واتصال ملاحمه .

(٤) الدولات : جمع دولة - بضم الدال وفتحها - العقبة في المال والحرب سواء ، وقيل بالضم في المال ، وبالفتح في الحرب . وقيل بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه ، وبالفتح : الفعل ، وهى في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ، يقال كانت لنا عليهم الدولة ، ويقال صار الفء دولة بينهم ، يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا ، والدولات هنا : بمعنى المصدر ، والموت الزوام : الوحي - العاجل - أو الكريه . يقول : إذا كانت الدولة قسما لبعض الناس فإنها قسمة من حضر الحرب وشهد مواقع القتال وورد الموت الزوام غير متهب ولا مكترث .

(٥) لمن : بدل من « لمن » في البيت السابق ؛ والبيض : السيوف : والهام : الرءوس ؛ والكماة : الأبطال المدججون بالسلح . يقول : إن الدولة تدول لمن وطئن نفسه على القتل ولم يمل إلى الدنيا بالنكوص عن الحرب وصبر على المكروه وهو يسمع هليل الحديد في رءوس الشجعان .

وقد جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال له سيف الدولة ماتقول
في هذا وما تحكم يا أبا الطيب ؟ فقال :

إِنْ كُنْتَ عَنْ خَيْرِ الْأَنْامِ سَائِلًا فَخَيْرُهُمْ أَكْثَرُهُمْ فَضَائِلًا
مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا هُمَامَ وَائِلًا الطَّاعِينَ فِي الْوَعَى أَوَائِلًا^(١)
وَالْعَازِلِينَ فِي النَّدَى الْعَوَازِلًا قَدْ فَضَّلُوا بِفَضْلِكَ الْقَبَائِلَ^(٢)

وقال يمدحه عند دخول رسول الروم عليه في صفر سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة :
دُرُوعُ مَلِكِ الرُّومِ هَذِي الرِّسَالُ يَرُدُّ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَبِشَاغِلِ^(٣)
هِيَ الزَّرْدُ الضَّافِي عَلَيْهِ وَلَفْظُهَا عَلَيْكَ ثَنَاءٌ سَابِغٌ وَفَضَائِلُ^(٤)

(١) من : مبتدأ ، خبره قد فضلوا - في البيت التالي - والهوام : الملك العظيم المحم .
ووائل ، أبو قبيلة الممدوح ، جعله اسما للقبيلة فلم يصرفه . والطاعنين : نعت وائلا .
والوعى : الحرب . وقوله أوائلا : مفعول به ، أى أوائل الأعداء ، ويجوز أن
تكون حالا أى أنهم السابقون إلى الطعان : ومن روى الأوئلا : تعينت المفعولية .
أراد الطاعنين وجوه الأعداء وصدورهم وسادتهم .

(٢) العاذلين : جمع عاذل . أى اللأثم ؛ والندى : الجود ؛ والعوازل : جمع عاذلة ،
أى لائمة . يقول : إن قومك يلومون من يلومهم على جودهم ، ومن كان هذا شأنهم
فإنهم مع ذلك يفضلون القبائل بفضلك ، ويتفردون بالكارم بما زدتهم من مجدك .

(٣) هذى الرسائل : مبتدأ مؤخر ؛ ودروع : خبر مقدم ؛ وملك - بسكون اللام -
محفف ملك - بكسرهما . - يقول - مخاطبا سيف الدولة - : إن هذه الرسائل التى
أرسلها ملك الروم هى له بمنزلة الدروع يردك بها عن نفسه ويشغلك عن قتاله ، وقد
زاد ذلك بيانا فبا يلى : وقوله يشاغل : قال ابن جنى لفظة غريبة ، إلا أن العامة ابتذلها
فلو تجنبها كان أجود .

(٤) الزرد : الدرع المزرودة ، يدخل بعضها في بعض ؛ والضافي والسابغ بمعنى
الطويل التام . يقول : هذه الرسائل عليه درع سابغة : أى تقوم في الرد عنه مقام الدرع
ولكن ألفاظها فضائل لك وثناء مخلد عليك ، لأنها خضوع منه واستسلام إليك ، فهو
يخطب منك الصلح خوفا ورهبة .

وَأَنِّي اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِهِ

وَمَا سَكَنْتُ مَذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ^(١)

وَمِنْ أَىِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقَى حَيَّادَهُ وَلَمْ تَصِفْ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ^(٢)

أَتَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقُدُ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ^(٣)

يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السَّمَاطِينَ مَشْيَهُ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ^(٤)

فَقَاسَمَكَ الْعَيْنَيْنِ مِنْهُ وَلَحْظَهُ سَمِيكَ وَالْحِلُّ الَّذِي لَا يُزَايِلُ^(٥)

وَأَبْصَرَ مِنْكَ الرُّزْقَ وَالرُّزْقُ مُطْمَئِنٌّ

وَأَبْصَرَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ هَائِلُ^(٦)

(١) أنى : بمعنى كيف ؛ والاستفهام : للتعجب ، والقساطل : جمع قسطل ، وهو الغبار الذى تثيره الخيل . يقول : كيف اهتدى هذا الرسول فى أرض الروم إلى الطريق وغبار جيشك منذ سرت فيها لغزوهم لا يزال منتشراً لم يسكن ؟

(٢) الحيات : الخيل ، والمناهل : الوارد . يقول : لكثرة من قتلت بأرض الروم لم يبق منهل إلا صار ممزوجاً بالدماء فمن أى ماء كان يسقى خيله ؟

(٣) يجحد : ينكر ؛ وجملة يكاد وما يليه : حال من فاعل أتاكَ ؛ وتنقد : تنقطع . يقول : أتاكَ هذا الرسول وقد ساوره من خوف الإقدام عليك ما مثل له السيف واقماً عليه حتى يكاد رأسه ينكر عنقه توها منه أنه قد انفصل عنه ، وتكاد مفاصله تنقطع هية لك وفرقا منك . وقوله تحت الذعر : يروى تحت الدرع .

(٤) السماطان : الصفان ، يريد صفين من الجند كانا بين يدى سيف الدولة . والأفاكل : جمع أفسكل ، الرعدة تعرض عند الفزع . يقول : إذا عوجت الرعدة مشى الرسول إليك هية لك قومه تقويم السماطين عن جانبيه لضيق ما بينهما فر مستقيماً .

(٥) سميك : فاعل قاسمك ، ويعنى بسميه : السيف . وهو خليله الذى لا يزايله - لا يفارقه - يقول : إن سيفك قاسمك عني الرسول ولحظه ، فكان ينظر بإحدى عينيهِ إليك وبالأخرى إلى السيف ، يعنى أن رسول ملك الروم ملكه من هية سيف الدولة ماملكه من هية سيفه ، فأجال لحظه متبياً لها معا . وقد ذكر علة هذه المقاسمة فى البيت التالى .

(٦) الهائل : للفرع الخفيف . والضمير فى منه : للسيف . يقول : فأبصر منك

رَقِبَلْ كَمَا قَبْلَ التَّزْبِ قَبْلَهُ وَكَلْ كَمَا وَقِفْ مُتَضَائِلْ^(١)
وَأَسْعِدْ مُشْتَقِ وَأُظْفِرْ طَالِبْ هُمَامٌ إِلَى تَقْبِيلِ كَمِّكَ وَاصِلْ^(٢)
مَكَانٌ تَمْنَاهُ الشَّيْفَاءُ وَدُونَهُ صُدُورُ الْمَذَاكِي وَالرَّمَا حُ الدَّوَابِلِ^(٣)
فَمَا بَلَّغْتَهُ مَا أَرَادَ كَرَامَةً عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَحِبْ لَكَ سَائِلْ^(٤)
وَأَكْبَرَ مِنْهُ هِمَّةٌ بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْكَ الْعِدَى وَأَسْتَنْظَرْتَهُ الْجَحَافِلُ^(٥)
فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ ،
وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ عَاذِلْ^(٦)

بعموم جودك الرزق المحيي فأطعمه ، وتمثل من سيفك الموت الهائل فتجاذبه طرفان من الطمع والبأس ، وقسم عينيه بين شطرين : التأمل والخوف .

(١) الكمي : الشجاع المدجج بالسلاح ؛ والمتضائل . المتصاغر خوفاً يقول : وقبل الرسول كمك بعد أن قبل الأرض والأبطال من رجالك وقوف بين يديك متصاغرون هية لك .
(٢) الهمام : الملك العظيم الهمة . يقول : إن أسعد مشتاق بنيل ما أمله ملك رفيع الهمة وصل إلى تقبيل كمك ، وإذن نال الرسول بذلك شرفاً عظيماً لأنه وصل إلى ما يتمنى مثله جلة الملوك .

(٣) المذاكي من الخيل : التي كملت أسنانها ؛ والدوابل من الرماح : اللينة لطولها .
يقول : كمك مكان تتمنى الشفاء أن تقبله ولكن يتعذر الوصول إليه لكثرة ما يحول دونه من الخيل والرماح .

(٤) يقول : لم يصل به إلى تقبيل كمك كرامته عليك ومنزلته الرفيعة لديك ولكنه سألك ذلك وأنت لا تغيث السائل .

(٥) أكبر . فعل ماض ؛ وفاعله : العدى ؛ ويقال أكبرته : أى استكبرته ، قال تعالى « فلما رأيته أكبرته » وهمة : مفعول به وقوله بعثت به : نعت همة ، وأراد بعثته ، فأدخل عليه الباء قالوا : كل شيء ينبعث بنفسه كالبعث ، فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه ، فيقال : بعثته ، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية ، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء فيقال بعثت به ، وهذا هو مراد قول أهل اللغة بعثه أرسله وحده وبعث به أرسله مع غيره والجحافل : الجيوش ، يقول : إن أعداءك الروم استعظموا همة هذا الرسول إذ حملته همته على أن يأتيك مع ما يعترضه من المهابة وقد لبثت جيوشهم - بعد أن طلبوا إليه أن يشغلك عن حربهم - تنتظر قدومه ليلغهم جوابك .

(٦) يقول : أقبل من عند أصحابه وهو رسول لهم مبلغ لكلامهم ، فلما عاد إليهم .

تَحْبِرُ فِي سَيْفِ رَبِيعَةَ أَصْلُهُ وَطَائِعُهُ الرَّحْمَنُ وَالْمَجْدُ صَاقِلُ^(١)
وَمَا لَوْنُهُ مِمَّا تَحْصُلُ مُقْلَةٌ ، وَلَا حَدُّهُ مِمَّا تَجَسُّ الْأَنَامِلُ^(٢)
إِذَا عَايَنْتَكَ الرُّسُلُ هَانَتْ نُفُوسُهَا عَلَيْهَا وَمَا جَاءَتْ بِهِ وَالْمُرَاسِلُ^(٣)
رَجَا الرُّومُ مَنْ تَرْجَى النُّوَابِلُ كُلُّهَا لَدَيْهِ وَلَا تَرْجَى لَدَيْهِ الطَّوَائِلُ^(٤)
فَإِنْ كَانَ خَوْفُ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ سَاقِيَهُمْ
فَقَدْ قَمَلُوا مَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فَاعِلُ^(٥)

أزرى بهم ولا مهم على محاربتهم إياك وعدم خضوعهم لك حين تبين عظيم شأنك ، ورأى جنودك وكثرة عديك ، ووازن بين ذلك وبين ضعف أصحابه

(١) ربيعة : قبيلة سيف الدولة ؛ وطبع السيف : عمله ، يقول : رأى الرسول منك سيفاً ربيعة أصله والله عز وجل صانعه والمجد قد صقله فتحير إذ لم ير سيفاً قبلك بهذه الصفة

(٢) المقلة : شحمة العين التي تجمع السواد والبياض ، والأنامل : رؤوس الأصابع ؛ ولون السيف : فرنده وجوهره ؛ والمراد به شرف سيف الدولة وكرم مناقبه ، وأراد بحده عزيمته ، وكلا الأمرين لا يدرك بالحواس ، وعبارة الواحدى : إن العيون لا تحصل لونه لأنها لا تستوفيه بالنظر هيئة له كما قال :

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَنِي أَبْصَارُنَا هُنَا انْكَسَارُ
وَلَا تَجَسُّ الْأَنَامِلُ حَدَّهُ كَمَا تَجَسُّ حَدَّ السَّيْفِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سَيْفًا طَى الْحَقِيقَةِ . وَقَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

إِذَا أَبْصَرْتُ نَبِيَّ أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
(٣) يقول : إذا عاينتك رسل الروم وشاهدوا ما أنت فيه من الفخامة والمهابة صاغرت عندهم أنفسهم وما أنوا به من الهدايا وتصاغرت لديهم الملوك الذين أرسلوهم إليك كما قال البحتري :

لِحَطْوِكَ أَوَّلَ لِحْظَةٍ فَاسْتَصَفَرُوا مِنْ كَانَ يُعْظَمُ عَنْدهُمْ وَيُبَجَّلُ
(٤) النوافل : جمع نافلة ، وهى العطية من حيث لا تجب ؛ والطوائل : الأحقاد ، واحداً منها . طائلة : أى عداوة وترة . يقول : رجا الروم عفو من ترجى كل العطايا عنده ولا يرجى أن يدرك لديه ثأر : أى لا يؤمل عدوه أن يدال عليه فيظفر بإدراك تروته .
(٥) يقول : إن كان الذى ساقهم إليك هو خوفهم القتل والأسر من جهتك فقد

فَخَافُوكَ حَتَّى مَا لِقَتْلٍ زِيَادَةٌ وَجَاءُوكَ حَتَّى مَا تُرَادُ السَّلَاسِلُ^(١)
أَرَى كُلَّ ذِي مُلْكٍ إِلَيْكَ مَصِيرُهُ كَأَنَّكَ بَحْرٌ وَالْمُلُوكُ جَدَاوِلُ^(٢)
إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلٌّ وَابِلُ^(٣)
كَرِيمٌ مَتَى أَسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَقِيتَ حَرْبٌ فَإِنَّكَ بَازِلُ^(٤)
أِذَا الْجُودُ أَعْطَى النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا قَائِلُ^(٥)

فعلوا بأنفسهم بما أظهروه من الذلة والافتقار ما لا يفعل القتل أكثر منه ، وقد فسر هذا في البيت التالي .

(١) يقول : خفاؤك خوفا ، لو قتلهم لم يزد خوفهم على ذلك ، وجاءوك طائعين حتى لا تحتاج في أسرهم إلى السلاسل ، وفي المثل : الحذر أشد من الوقعة
(٢) الجداول : جمع جدول ، النهر الصغير ، وإليك مصيره : أى انتهاء إلى الخضوع لك ووصل حباله بحبالك والتصرف حسب أمرك

(٣) الطل : المطر الضعيف ؛ والوابل : المطر الغزير ، يقول : إذا ساجلك هؤلاء الملوك وحاولوا أن يحتذوا حذوك في جودك فأمطروا وأمطرت فطل عطائك يستغرق وابلهم ؛ معنى أن كثيرهم قليل بالإضافة إليك وقليلك كثير بالإضافة إليهم
(٤) كريم : خبر عن محذوف ضمير المخاطب : أى أنت كريم ؛ ولقعت حرب : اشتدت أو وقعت ؛ وحرب لاقع مثل بالأنثى الحامل ؛ قال الأعشى :

إِذَا شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شُهْبَاءُ لَا قِحَ عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا وَأَظْلَتْ^(١)
يقول : أنت كريم ما تسأل شيئا إلا أعطيته حتى لو سئلت فرسك وقد اشتدت الحرب لوهته مع شدة حاجتك إلى الفرس ، يعنى لو سئلت شيئا فى أحوج ما تكون إليه لوهته

(٥) يقول : أعط الناس أموالك ولا تعظم شعري ، أى لا تحوجنى إلى مدح غيرك ، وقال ابن جنى : أى لا تعط الناس أشعارى فيسلخوا معانيها ، قال الواحدى : وهذا - أى كلام ابن جنى - ليس بشيء لأنه لا يمكنه ستر أشعاره وإخفاؤها عن الناس ، وأجود

(١) حرب عوان قوتل فيها مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا ، ويقال همزته بناب : أى عصفته .

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضَنْبِي شُوَيْرٌ ضَعِيفٌ يُقَاوِنِي قَصِيرٌ يُطَاوِلُ^(١)
 لِسَانِي يَنْطِقُ صَامِتٌ عَنْهُ عَادِلٌ وَقَلْبِي بِصَنْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلٌ^(٢)
 وَأَتَعَبُ مَنْ نَادَاكَ مَنْ لَا تُجِيبُهُ وَأُعِظُ مَنْ عَادَاكَ مَنْ لَا تُشَاكِلُ^(٣)
 وَمَا التَّيْلِيُّ طَبِي فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاوِلُ^(٤)

الشعر ماسار في الناس ، وقال المعري : يريد لا تعط الناس شعري فتجعلهم في طبق فتقول أنت مثل فلان

(١) الضبن : ما بين الأبط والكشح ؛ والشويعر تصغير شاعر ، والاستفهام : للتعجب والإنكار ، يقول : أفى كل يوم يتمرس بى شويعر صناعته فى صناعته قصير فى معرفته فأراه يباربى فى القوة وهو لا قوة له ويطاولنى وهو قصير أحمله تحت ضنبى ؟ يريد حقارة ذلك الشاعر حتى لو أراد أن يحمله تحت ضنبه لقدر على ذلك ، ثم هو مع حقارته يباهيه بمدح سيف الدولة

(٢) الباء - فى الشطرين - بمعنى « فى » أى إذا نطقت صمت لسانى عنه وعدل عن مخاطبته وقلبى يضحك منه ازدراء به ؛ وبعبارة أخرى يقول : يعدل عنه لسانى فلا أكله ولا أهاجيه لأنى لا أراه أهلاً لذلك ، وقلبى يضحك منه ويسخر وإن كنت صامتاً لأبدى الضحك والسخر ثم بين لم يفعل ذلك ؟ فيما يلى « هذا » والمهزل ضد الجد يقال : مهزل مهزل قال الكهيت :

أَرَأَنَا عَلَى حُبِّ الْحَيَاةِ وَطَوْلِهَا تَجِدُّ بِنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ وَنَهْزَلُ

(٣) يقول : إنما لا أجيبهم لأنهم يترك الجواب كما أنهم يغيظونى بالمعاداة وهم غير أشكال لى . وتقدير البيت أتعب مناد لك من ناداك فلم تجبه لأنك لا تشفيه بالجواب فيجهد فى النداء ، كما أن أعيظ الأعداء لك من عاداك وهو دونك لأنك تترفع عن معارضته فلا تشفى منه .

(٤) التيه : الكبر ؛ والطب : العادة والديدن ؛ قال فروة بن مسيك المرادى :

فَإِنْ نَقَلِبْ فَفَلَا بُونَ قَدَمًا وَإِنْ نُغَلَبْ فَفِيرٌ مُغْلَبِينَ

فَمَا إِنْ طَبْنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ مَنَايَانَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَا

كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سَجَال تَكْرُرُ صُرُوفُهُ حِينًا خِينًا^(١)

(١) قوله وإن تغلب فغير مغلباً . يعنى إن كانت همدان ظهرت علينا فى يوم الردم

وَأَكْبَرُ تَبِيحِي أَنْفِي بِكَ وَائْتِ
لَعَلَّ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ الْقَرْمَ هَبَّةً
رَمَيْتُ عِدَاهُ بِالْقَوَافِي وَفَضْلِهِ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ خَوَالِدُ
وَأَكْثَرُ مَالِي أَنْفِي لَكَ آمِلٌ^(١)
يَعِيشُ بِهَا حَقٌّ وَيَهْلِكُ بَاطِلٌ^(٢)
وَهُنَّ الْغَوَازِي السَّالِبَاتُ الْقَوَاتِلُ^(٣)
وَلَوْ حَارَبْتَهُ نَاحَ فِيهَا الثَّوَاكِلُ^(٤)

وبغيض : خبر مقدم عن الرفع بعده ؛ والجملة خبر أن ؛ وإلى : بمعنى عندي . يقول ليس الكبر عاتق وديدي غير أني أبغض الجاهل الذي يتكلف ويرى أنه عاقل ، يعني أن الذي يمنعني من تكليمهم إنما هو بغضي إياهم لا التكبر عليهم : أقول . ولوعكس المعنى وقال إني أعرض عنهم تكبرا واحتقارا لا بغضا واجتواء - لأنهم أقل من أن يبغيضوا - لكان أروع ، وما أجمل قول الطرماح .

لقد زادني حُبًا للنفسِ أَنْفِي بغيض إلى كلِّ امرئٍ غير طائِل
إذا مارأتني قطع الطرفَ بينه وبينني كفعل العارف المتجاهل
قال العكبري : وهذا من قول الحكيم : إن الحكيم تربه الحكمة أن فوق علمه علما فهو يتواضع لتلك الزيادة والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بحمله وتعمقه النفوس
(١) يقول : أكبر ما أتبه به أني وائت بجمل رأيك في ، كما أن أكثر رأيي هو من ناحية تأملي لك ورجائي فيك .

(٢) القرم : السيد ؛ وأصله : الفحل الكريم من الإبل . وهبة . أى انتباهة . يقول . لعل سيف الدولة ينتبه لما يقال له ويمدح به فلا يستجيز من الشعراء ما يأتونه به من القول الركيك ، فهلك باطلهم - يعني شعرهم - ويبقى الحق - يعني شعره - .
(٣) المراد بالقوافي : القصائد ؛ والغوازي : من الغزو يقول : مدحته بإذاعة فضائله - فكأنني رميت بتلك القوافي التي ذكرت فيها فضائله أعداءه فقتلتهم غيظاً وجسداً ، وجعل القوافي غوازي قواتل لأنها قتلت أعداءه بالغيظ والحسد ، وجعلها سلطات لأنها تصيب ولا تصاب .

(٤) الثواكل : جمع ثاكل ، الفاقدة ابنها أو أباه أو أخاه . يقول : لو كانت

فعلبتنا فغير مغلبين ؛ والمغلب . الذي يغلب مراراً . أى لم تغلب إلا هذه المرة . وقوله فما إن طبتنا إلخ : أى ما عادتنا وشأنا ؛ وقيل الطب ههنا . العلة والسبب أى لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال عما والدولة ، والسجال - بالكسر - مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب .

وَمَا كَانَ أَذْنَاهَا لَهُ لَوْ أَرَادَهَا وَالْطَفَهَا لَوْ أَنَّهُ الْمُتَنَاوَلُ (١)
 قَرِيبٌ عَلَيْهِ كُلُّ نَاءٍ عَلَى الْوَرَى إِذَا لَشَمْتُهُ بِالْفُبَارِ الْقَنَابِلُ (٢)
 تَذَبَّرُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَالْغَرْبَ كَفَّهُ وَلَيْسَ لَهَا وَقْتَانِ الْجُودِ شَاغِلُ (٣)

النجوم جيوشاً ثم حاربه لقامت عليها النوايح ، يعنى أنها وإن قيل إنها خالدة لا تنفى
 لو حاربه لأتى عليها وأفناها .

(١) يقول : ما كان أقربها له لو قصدتها والطفها - أخفها - لو حاول تناولها ، يعنى
 أن سعدة يقرب له البعيد ، وقال الواحدى : فى جميع النسخ والطفها برد الكناية
 - الضمير - إلى النجوم ، ولا معنى له ؛ والصحيح : والطفه ، برد الكناية إلى
 المدح : أى ما أطفه لو تناول النجوم على معنى ما أحذقه وأرققه بذلك تناول ،
 من قولهم فلان لطيف بهذا الأمر : أى رفيق ، يعنى أنه يحسنه وليس بأخرق ، وبعد ،
 فإن النجوم فى البيتين مثل يريد البعيد من الأشياء الذى يستحيل على غيره بلوغه وقد
 بين ذلك فى البيت التالى .

(٢) النأى : البعيد ؛ والورى : الخلق ؛ والقنابل : الجماعات من الخيل . واحدها
 قنبلة ، قيل القنبلة من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه ، والقنبلة من الناس
 الطائفة منهم ، وقدر قنبلاية تجمع القنبلة من الناس : أى الجماعة . يقول . قريب عليه
 كل بعيد على غيره من المطالب إذا حاوله بجيشه فانهقد عليه الغبار من كثرة الخيل حتى
 حتى يصير له كاللثام . وبعبارة أوضح : إذا قاد جيشه وأنتد نحو العدو خيله ولثمت
 كتابه بما تشبه من الغبار فكل ما يبعد على غيره فإن مرامه قريب منه وتناوله غير
 مستعص عليه .

(٣) وقتا : ظرف ؛ ولها : خبر ليس ؛ وشاغل ؛ اسمها يقول : إن تدبير ممالك
 الشرق والغرب بكفه ، فإنه بسيفه وقوة يده يديرها ومع كل هذا الشغل العظيم ليس
 لها شئ يشغلها وقتاً عن الجود ، أى لا يفغل عن الجود وإن عظم شغله ، كما قال البحرى :
 تَبَيَّتْ عَلَى شُغْلٍ وَلَيْسَ بِضَائِرٍ لِحَدِّكَ يَوْمًا أَنْ تَبَيَّتَ عَلَى شُغْلٍ
 وروى ابن فورجه . وقت بالرفع ، على أنه اسم ليس وشاغل : نعت له . قال
 الواحدى : تهوس ابن فورجه فى هذا البيت فروى وقت بالرفع قال : وفيه معنى لطيف
 ليس يؤديه اللفظ إذا نصب وقت وذلك أنه يريد لهذه الكف الشرق والغرب وم
 يحويانه وليس لها وقت يشغلها عن المجد ، وكف تملأ الشرق والغرب كان بأن تملأ

يَتَّبِعُ هُرَابَ الرَّجَالِ مُرَادُهُ فَمَنْ فَرَّ حَرْبًا عَارِضَتُهُ الْغَوَائِلُ^(١)
وَمَنْ فَرَّ مِنْ إِحْسَانِهِ حَسَدًا لَهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ حَيْثُمَا سَارَ نَائِلُ^(٢)
فَتَى لَا يَرَى إِحْسَانَهُ وَهُوَ كَامِلٌ لَهُ كَامِلًا حَتَّى يَرَى وَهُوَ شَامِلُ^(٣)
إِذَا الْعَرَبُ الْعَرَبَاءَ رَاوَزَتْ نُفُوسَهَا فَأَنْتَ فَتَاهَا وَالْمَلِكُ الْخُلَاحِلُ^(٤)
أَطَاعَتِكَ فِي أَرْوَاحِهَا وَتَصَرَّفَتْ بِأَمْرِكَ وَالتَفَّتْ عَلَيْكَ الْقَبَائِلُ^(٥)

ما هو أحقر منهما أولى ، قال الواحدى وهذا الذى قاله - ابن فورجه - باطل محال لا يقوله إلا غمر جاهل ، والوجه : النصب لأنه نظرف لشاغل .

(١) هراب . جمع هارب . ومراده : فاعل يتبع ، ولك أن تجعله مفعولا ثانياً ليتبع ؛ وحربا : نصب على الحال ؛ أى محاربا - يقال فلان حرب لفلان إذا كلن معاديا له ، ولك أن تجعل حربا منصوبا بنزع الخافض : أى من الحرب . والغوائل : جمع غائلة ، وهى الداهية تقول : أى تهلك . يقول : إن جده يسعده وينفذ مراده فى أعدائه ، فمن فر منه محاربا جرى مراده فى أثره فهلك بسبب من الأسباب ، واستقبلته غائلة تآنى عليه .

(٢) النائل : العطاء . يقول : من فر من إحسانه وأزمع مجانبته حسداً له استقبله حينما توجد عطاء منه ، وذلك لعموم نائله الأرض ؛ وبعبارة أخرى : إن جوده يشمل الولى والחסد ويعم المحسن والمسيء ؛ وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

وَإِذَا سَرَحْتَ الظَّرْفَ حَوْلَ قِيَابِهِ لَمْ تَلَقْ إِلَّا نِعْمَةً وَحُسُودًا

(٣) وهو كامل : حال من إحسانه ؛ وكاملا مفعول ثان لـ « يرى » وقوله : له الضمير للمدح ، والظرف حال من الضمير فى « كاملا » : أى كاملا فى حقه وبالنسبة إليه يقول : هو مع كون إحسانه كاملا قد بلغ الغاية لا يراه كاملا بالإضافة إليه وإلى علوهمته حتى يكون عاما يشمل الناس جميعاً .

(٤) العرب العرباء : القديمة الخالصة التى لم تشبها هجنة ؛ ورازت : جربت واختبرت ؛ وفتاها : كريمها وسخها ؛ والخلاجل : السيد . يقول : إذا اختبروا نفوسهم عند الجود والشجاعة علموا . أنك فتاهم وسيدهم لأنك أجودهم وأشجعهم .

(٥) يقول : هم لك مطيعون حتى لو أمرتهم يذل أرواحهم لبذلوها فى طاعتك ، وقد تصرفوا فى إيرادهم وإصدارهم حسب أمرك واجتمعت قبائلهم على نصرتك ودانوا أجمعين بالخضوع لطاعتك ، ويجوز أن يكون معنى التفت عليك القبائل : أحاطت أنسابها بنسبك . فأنت وسيط بينهم .

وَمَلَّ أَنْابَيْبِ الْقَنَا مَدَدُ لَهُ وَمَا يَنْسُكُ الْفُرْسَانُ إِلَّا الْعَوَامِلُ^(١)
رَأَيْتُكَ لَوْ لَمْ يَفْتَضِ الطَّعْنُ فِي الْوَعَى إِلَيْكَ أَنْقِيَادًا لَا فُتَضَّتْهُ الشَّمَائِلُ^(٢)
وَمَنْ لَمْ تَعْلَمْهُ لَكَ الدَّلُّ نَفْسُهُ مِنَ النَّاسِ طُرًّا عِلْمَتُهُ الْمَنَاصِلُ^(٣)

* * *

(١) الأنابيب : جمع أنبوب ، العقدة الناشزة في القناة ؛ والقنا : عيدان الرماح ؛
والعوامل : جمع عامل ، وهو ما يلي السنان من الرمح . والنسكت : الوخز . ويقال
طعنه فنسكته : أى القاء على رأسه . شبه قبائل العرب بأنابيب الرمح وسيف الدولة
بالعامل قال الواحدى : هذا مثل يقول : إن الطعن إنما يتأتى بالرمح كله وما لم يعاون
بعض الرمح بعضاً لم يحصل الطعن ، ولكن العوامل هى التى تصيب الفرسان لأن
السنان فيها . كذلك القبائل : كلهم مدد لك والعمل منك ، فأنت منهم كالعوامل من
الرمح ؛ وهذا من قول بشار :

خَلَقُوا سَادَةً فَكَانُوا سُوءًا كَكُمُوبِ الْقَنَا تَحْتَ السِّنَانِ
وقال البحتري :

كَالرُّمَحِ فِيهِ بَضْعَ عَشْرَةِ فَقْرَةٍ مُنْقَادَةً تَحْتَ السِّنَانِ الْأَضْيَدِ
وبعبارة أخرى : يقول له - مؤكداً لما ذكره من انقياد العرب لأمره - كل أنابيب
الرمح مما تمده وتعينه ، ولكن العامل منها هو الذى به يكون الطعن وصرع الفرسان .
جعل موضع سيف الدلة من العرب - وإن كانوا مدداً له - موضع العامل من الرمح
الذى به يكون الطعن ، وإليه ينسب الفعل من دون سائر الأنابيب . وقال ابن جني :
اللعنى أن أصحابك وإن كانوا أعواناً لك فأنت الذى تتولى الحرب بنفسك وتتقدم إليها
كتقدم السنان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ وإليك : صلة انقياداً ؛ والشمائيل : الأخلاق ؛ والمفعول الثانى
لرأيت : محذوف سد مسده شرط ، « لو » وجوابها . يقول : إن لم يطعك الناس خوفاً
من طعنك أطاعوك حباً لشمائلك ، أى إن كرمك وحسن أخلاقك أدعى إلى طاعتك
من الطعان فى القتال .

(٣) المناصل : جمع منصل ، وهو السيف . يقول : من لم تعلمه نفسه الخضوع لك
وترشده سعادته إلى الاعتلاق بك أجبرته على ذلك سيوفك ؛ أى إن من لم يخضع لك
طوعاً ورغبة خضع لك خوفاً ورهبة .

وقال يعزبه بأخته الصفري ، ويسليه بالكبرى ، وأنشدها في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة :

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرِّزْيَةِ فَضْلاً تَكُنِ الْأَفْضَلَ الْأَعَزَّ الْأَجْلاً^(١)
أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعْزَى عَنِ الْأَخْبَابِ فَوْقَ الَّذِي يُعْزِيكَ عَقْلاً^(٢)
وَبِالْفَاظِكَ أُهْتَدَى فَإِذَا عَزَّ أَكَّ قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتُ قَبْلاً^(٣)

(١) يقول : إن كان صبر صاحب المصيبة على ما أصيب به يعد فضلاً له فأنت الأفضل الأجل لإرباء صبرك على صبر غيرك ؛ يعنى أنت أصبر ذوى الرزايا وأفضلهم . والرزية والرزينة - بالهمز وبتركة - المصيبة .

(٢) يقول : أنت أجل من أن تعزى عنمن ترزا به من الأحاب لأنك أعقل من الذى يعزبك وأهدى منه إلى معانى التعزية . قال ابن جنى : فوق - الأولى - نداء مضاف إلى أن تعزى ، والثانية : ظرف ، وعلى هذا تكون « أنت » مبتدأ ؛ و« فوق » الثانية : خبر . وقال التبريزى : يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون حذف للمنادى : أى أنت يا حبيب الدولة وعلى هذا تكون فوق - الأولى والثانية - ظرفين ، وتكون الأولى : خبراً أول ؛ والثانية : خبراً آخر ؛ والوجه الثانى أن تكون « فوق » : نعنا له وقد أخرجها من باب الظرفية إلى الأسماء ؛ وعقلاً : نصب على التمييز .

(٣) اهتدى : أى الذى يعزبك . ونصب « قبلاً » على الظرفية وجعله نكرة على حد قولك : جئتك أولاً وآخرأ ، كما قال :

وساغ لى الشرابُ وكنت قبلاً أكادُ أغصُ بالماءِ الفُراتِ^(١)

(١) روى عجز هذا البيت : أكاد أغص بالماء الحميم وروى أيضا بالماء المعين ، وروى : أغص بنقطة الماء الحميم ؛ قال البغدادى : وهو آخر أبيات خمسة لبزید ابن الصق وهى .

ألا أبلغ لديك أبا حُرَيْثٍ وعاقبة السَّلامَةِ لِلْمَلِمْ
فكيف ترى معاقبتى وتسى بأذوادِ الْقُصَيْبَةِ وَالْقَصِمْ
وما برحتَ قَلوصى كلِّ يومٍ تكسر على الخالِفِ والمَقِمْ

قَدْ بَلَوْتَ أَخْطُوبَ مُرًّا وَحَلَوًّا وَسَلَكْتَ الْأَيَّامَ حَزَنًا وَسَهْلًا^(١)
وَقَتَلْتَ الزَّمَانَ عِلْمًا فَمَا يُغْرِبُ قَوْلًا وَلَا يُجَدِّدُ فِقْلًا^(٢)

يقول : إن الذي يعزبك ، منك تعلم ألفاظ التعزية . فهو يقول لك في التعزية بما قلته قبل ذلك واستفاده منك . وعبرة العكبرى الإنشائية الانيقة : المعزى لك إنما يهتدى بألفاظك ويخاطبك بما تعلمه من قولك . فقدرك مرتفع عن التعزية . فإن حقائق الأمور مستفادة منك ، وجواهر الكلام مأثور عنك ، إنما يقابلك بما أنت أعلم به ويذكرك بما أنت أحفظ له ، فهو كمن جلب إلى حجر القطيعاء (١) وإلى الفرات الماء ، وإلى البدر الضياء .

(١) بلوت ؛ خبرت . وأخطوب ؛ حوادث الدهر . والحزن ؛ ضد السهل ، وهو ماخشن من الأرض وارتفع ؛ والنصوبات - في البيت - أبدال . يريد ؛ حلوها ومرها وحزنها وسهلها . وتفسير العكبرى الجليل ؛ قد خبرت طوارق الدهر بمعرفتك ، وعرفت حلوها ومرها بتجربتك ، وسرت في الأيام مالكا صعبها تسلك منها ماصعب وسهل ، وتعانى ما بعد وقرب ، ناهضا بنفسك ، مكتفيا بملكك .

(٢) يغرب ؛ ينجى بشيء غريب ؛ وعلموا قولاً ؛ كلاهما تمييز ، يقول ؛ عرفت الزمان وألوانه وصوره معرفة تامة ، فلا يأتي بشيء غريب ولا فعل جديد لم تره ولم تعرفه ، وقتلت الزمان علما يعنى علمت منه كل شيء حتى أذلت به ملكك ولينتهك ، ومعنى القتل في اللغة ؛ إزالة الحركة ، ومنه يقال شراب مقتول ؛ إذا كسرت سورت به بالاء .

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَعْتُ فِيكُمْ قَبْلَ لَيْلِ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغ لى الشراب . . . البيت . الليم : من ألام الرجل إذا أتى بما يلام عليه ؛ والمعاقبة ؛ المناوبة - من العقبة ، وهى النوبة - والذود من الإبل ؛ ما بين الثلاث إلى العشر ؛ والقصية والقصيم ؛ موضعان ؛ والمخالف من الخلوف ، وهم المقيمون في الحى حينما يذهب الرجال للغزو . وقوله وساغ ؛ عطف على نمت . والحميم ؛ الماء الحار ، وليس بمراد ، وقيل هو من الاضطداد يطلق على الماء البارد أيضا ؛ وأغص ؛ مضارع غصصت بالطعام ، والغصة ؛ ماغص به الإنسان من طعام ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق .

(١) حجر : بلد بالبحرين ، مذكر مصروف ، مشهور بتمره ؛ والقطيعاء - محدود ، مثل الغبيراء - صنف من التمر .

أَجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْلًا وَأَرَاهُ فِي الْخَلْقِ ذُعْرًا وَجَهْلًا^(١)
لَكَ الْإِلْفُ يَجْرُهُ وَإِذَا مَا كَرُمَ الْأَصْلُ كَانَ لِلْإِلْفِ أَصْلًا^(٢)
وَوَفَاءً نَبَتْ فِيهِ وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ لِلْوَفَاءِ أَهْلُكَ أَهْلًا^(٣)
إِنَّ خَيْرَ الدُّمُوعِ عَوْنًا لَدَمْعُ بَعَثْتَهُ رِعَايَةً فَاسْتَهْلًا^(٤)

(١) الذعر؛ الخوف قال ابن فورجه . يقول؛ أنت إذا حزنت على هالك فإنما تحزن حفاظا منك لوده وصحبته ووفاء له ، والحفاظ والوفاء مما يدعو إليه العقل؛ وغيره يحزن خوفا من ألم الفراق وجبنا منه وجهلا من غير معرفة بالسبب الموجب للحزن ؛ قال الواحدى ، وتفسير الحفظ على ما ذكره ؛ وأما تفسير العقل والذعر والجهل فلم يصب فيه . والوجه أن يقال أراد بالعقل ؛ الاعتبار بمن مضى ، فإن العاقل إنما يحزن على الميت اعتباراً به وعلما أنه عن قريب يتبعه على أثره ؛ وحزن غير العاقل يكون ذعراً من الموت ، وهو جهل لأنه ميت لا محالة وإن حزن .

(٢) الإلف : السكون إلى الشيء والأنس به . يقول : لك إلف يجر هذا الحزن ويجلبه عليه ، ثم ذكر أن الإلف من كرم الأصل وأن الكريم ألوف ، وإذا كان ألوفاً حزن على فراق من ألفه ؛ وعبرة المكبرى : لك إلف لكريم صحبتك يجر الحزن إليك بمن تفقده من أحببتك ، ويوجب الإشفاق منك على مواصلك ، وكذلك الأصل إذا كان كريماً كأصلك متمكناً في مثل نصاب شرفك ، كان أصلاً لكريم المواصلة والمؤالفة ، وباعثاً على مشكور المعاملة ، فمنزلتك من الشرف تضمن الفضل عنك ، وعملك من الكرم يوجب حسن المؤالفة . « ويجره » : رواها ابن جني : تجره - بالتاء - قال : أى تسجبه وتحمل ثقله .

(٣) ووفاء : عطف على إلف - في البيت السابق - . يقول : ولك وفاء نبت فيه وسقيت ماء صغيراً ونشأت عليه ، فلا تعرف غير الوفاء للأحباب ؛ ولا بدع : فإنك من عشيرة هم أهل الوفاء فأنحدر إليك منهم ، وهذا الذى جر إليك الحزن على من فقدت . وقوله ولكن : هو استثناء معروف في كلام العرب ، يقولون فلان شريف غير أنه سخي ؛ وفي الحديث : « أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش » أى فلا عجب في كونى أفصحهم . وقالوا :

فَتَى كَمَلْتَ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقَى مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

(٤) الرعابة : حسن المحافظة ؛ والاستهلال : الانسكاب . يقول : إن الدمع الذى

أَيْنَ ذِي الرِّقَّةِ الَّتِي لَكَ فِي الْحَرْبِ بَ إِذَا اسْتُكْرِهَ الْحَدِيدُ وَصَلًا^(١)
أَيْنَ خَلَقْتَهَا غَدَاةَ لَقِيَتِ الرُّومَ وَالْهَامُ بِالصَّوَارِمِ تُنْفَى^(٢)

سببه رعاية العهد هو خير الدموع عوناً على الحزن والرزية ، وذلك أن الدمع يخفف
بحر الوجد ، كما قال ذو الرمة :

لعلَّ انحدَارَ الدمعِ يُعْقِبُ راحةً من الوجد أو يَشْفِي نَجْمَ البَلَابِلِ
وقوله عوناً : يروى «عندي» وروى ابن جني : عينا ، قال : وهو منصوب على التمييز
كقولك : إن أحسن الناس وجهاً لزيد ، والمعنى أن عينه خير الأعين ، لأن موجب دمعها
حتى استهل وفاض هو الرعاية والحفاظ .

(١) استكره الحديد : أى أكره على الضرب ، وهو بدل من قوله في الحرب ؛
وصل الحديد : صوت . يقول : هذه الرقة والرحمة التى نشاهدها منك الآن أين هي
في وقت الحرب حين يكره الحديد على الضرب ويصل بقرع بعضه البعض عند تجالده
الأبطال ؟ قال البخترى :

لم يكن قلبك الرقيق رقيقاً لا ولا وَجْهُكَ المصنُونُ مصوناً
وقوله إذا استكره الحديد وصلاً : قال العكبرى . فيه نظر إلى قول لبيد :

أَحْكَمَ الْجَنْحَى مِنْ عَوْرَاتِهَا كُلُّ حَرْبَاءَ إِذَا أُكْرِهَ صِلَ^(١)

(٢) خلفتها : رواها ابن جني : غادرتها ، وهما بمعنى ؛ والغداة البكرة ، وهى مضافة
إلى الجملة التى بعدها . والهام : الرؤوس . والصوارم : السيوف ؛ وتنفى : من فليت رأسه
إذا فصلت القمل منه ، وأصله من فلوت الفلوة عن أمه : إذا أنت فصلته عنها . يقول :
أين تركت رقتك هذه ساعة لقيت الروم في الحرب والرؤوس تطلب بالسيوف في جميع
الجهات كالغالى يتبع كل موضع من الرأس . هذا هو تفسير الواحدى ، وقد أبعد في
تفسيره «تنفى» بما قال ؛ ولم هذا وقد جاء في كتب أهل اللغة أنه يقال فى رأسه بالسيوف
فلياً : ضربه وقطعه ، قال الشاعر :

تُخَاطِبُهُمْ بِالسَّنَةِ الْبَلْبَايَا وَتُنْفَى الْهَامُ بِالْبَيْضِ الذَّكُورِ

فيجب أن يكون التفسير على هذا الوجه : أين تركت هذه الرقة ساعة لقيت الروم
في الحرب والرؤوس تضرب بالسيوف ، والنفوس تخترم بالخطوف ؟

(١) الجنحى : السيف بعينه ؛ وأحكم : أى رد الحرباء - وهو مسار الدرع - من

عوراتها ، سيف .

قَاتَمْتِكَ النَّوْنُ شَخْصَيْنِ جَوْرًا جَعَلَ الْقِسْمُ نَفْسَهُ فَيْكَ عَدْلًا^(١)
فَإِذَا قِيسَتَ مَا أَخَذَنَ بِمَا أَغْدَرَنَ سَرَى عَنِ الْفَوَادِ وَسَلَى^(٢)
وَتَبَيَّنَتْ أَنَّ حَظَّكَ أَوْفَى وَتَبَيَّنَتْ أَنَّ جَدَّكَ أَعْلَى^(٣)

(١) للنون : النية ؟ ويجوز تذكيره وتأنينه ، وقد يراد به الجمع ، وهو ما يقصده المتنبي - كما يدل على ذلك البيت التالي - وجوراً : حال ؛ والقسم - بالكسر - الاسم من قسمه . يعزیه بأخته الكبرى الباقية . يقول : قاسمك الموت شخصين - يعنى أخته - فذهب بإحداهما - الصغرى - وترك الأخرى - الكبرى - وكانت هذه المقاسمة جوراً - ظلماً - لأنه كان من حقك أن يتركهما ، ولكن هذا الجور عدل فيك حيث تركت حياً وكانت المقاسمة معك في الاختين : يعنى إذا كنت أنت البقية فالجور عدل ، هذا إذا نصب القسم وجعل الفعل للجور ، وروى « جعل القسم نفسه فيه عدلاً » يعنى أن القسم جعل نفسه عدلاً في الجور ؛ لأنه وإن أخذ الصغرى فقد أبقي الكبرى فأترك بأفضل النصيبين لأنك أفضل المتقاسمين . ولترجع إلى النون فنقول ؛ قال علماء اللغة : النون الموت لأنه عن كل شيء أى يقطعه ويضعفه وينقصه ، وقيل للنون : الدهر ؛ وجعله عدى بن زيد جمعاً فقال :

من رأيت النون خلدنَ أم من ذا عليه من أن يُضام خفيرٌ
وهو يذكر ويؤنث ، فمن أنث حمل على النية ، ومن ذكر حمل على الموت قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَيْبُهُ تَتَوَجَّعُ والدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ يَجْزَعُ

وقد روى : ورَيْبُهَا حَمَلٌ عَلَى النِّية ، وقيل إنما أنث على معنى الدهور فردده على عموم الجنس ، كقوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » ، وقوله تعالى « ثم استوى إلى السماء فسواهن » لأن الألف واللام في الطفل بمعنى الأطفال ؛ والهاء بمعنى السموات : وقال أبو العباس : النون يحمل معناه على النايا فيعربها عن الجمع ، وأنشد بيت عدى بن زيد : من رأيت النون الخ أراد النايا ، فلذلك جمع الفعل .

(٢) أغدرن كغادرن : تركن . وسرى عنه : فرج . وسلى : عزى ؛ والضمير في سرى وسلى : للقياس ، أو لما أغدرن : يقول : إذا قست الصغرى التى أخذتها النية بالكبرى التى أبقتها لك وجدت في ذلك ما تتعزى به لأنها أبقت لك أحبهما إليك .
(٣) أى حين بقيت الكبرى . وأوفى : أتم . وجدك : أى سعدك .

وَأَعْمَرِي لَقَدْ شَغَلَتِ النَّايَا بِالْأَعَادِي فَكَيْفَ يَطْلُبُنِ شُفْلَا^(١)
وَكَمْ أَنْزَشْتَ بِالسُّيُوفِ مِنَ الدَّهْرِ أُسِيرًا وَبِالنَّوَالِ مُقْلًا^(٢)
عَدَهَا نُصْرَةً عَلَيْهِ فَلَمَّا صَالَ خَتَلًا رَأَاهُ أَدْرَكَ تَبْلًا^(٣)
كَذَبَتْهُ ظُنُونُهُ أَنْتَ تُبْدِيهِ وَتَتَّبِعِي فِي نِعْمَةٍ لَيْسَ تَبْلِي^(٤)
وَلَقَدْ رَامَكَ الْعِدَاةُ كَمَا رَا مَ فَلَمْ يَجْرَحُوا الشَّخْصَكَ ظِلًّا^(٥)
وَأَقْدَ رُمْتَ بِالسَّعَادَةِ بِمَضَا
مِنْ نَفُوسِ الْعِدَا فَأَدْرَكَتَ كَلًّا^(٦)

(١) يقول : لقد شغلت الناياء بما تواصله في أعدائك من القتل في الحرب فكيف
تطلب الناياء شغلا بغيرهم فتفرغ إلى ذى قرابتك ؟

(٢) انتاشه : تناوله وانتشله . ويقال انتاشه من صرعه : إذا استنقذه ؛ والنوال :
العطاء ؛ والمقل : الفقير . يقول : كم نصرت أسيراً للدهر لا ناصر له استنقذته من أسر
الدهر ، وكم من فقير معدم نصرته بمطائك فأنقذته من أنياب الإقتار ، والفاقة .

(٣) فاعل عدها : ضمير الدهر ؛ والهاء : ضمير النصرة : أى عد نصرتك لهذين
نصرة عليه ، ولك أن ترجع الهاء لأفعال سيف الدولة ، وصال : وثب واستطال ؛ والختل
العدو ؛ والتبل : الثأر . يقول : عد الدهر أفعالك — من انتياشك الأسير والمقل من
يده — نصرة عليه ومراغمة له ، فلما استطال عليك بأخذ أختك رأى نفسه قد أدرك
ثأره منك لأنه حقد عليك بما فعلته ، فقوله رآه : أى رأى الدهر نفسه وهى من رؤية
القلب : أى ظن نفسه واعتقد .

(٤) يقول : ليس الأمر كما ظن الدهر من أنه أدرك منك ثأراً لأنك تبلى الدهر
بقطعك أيامه وطول سلامتك وتبقى في نعمة لا تقوى ، إذ آتاك الله من السعد مالا تقوى
عليه غير الدهر وصروفه . ويقال كذبه ظنه : إذا خدعه وزين له الباطل .

(٥) رامك : طلبك . يقول : ولقد حاول أعداؤك كما حاول الدهر أن ينالوا منك
ويدركوا ثأرهم فلم يستطيعوا أن يصيبوا ظل شخصك فضلاً عن أن ينالوا خاصة نفسك
والعنى لم يقاربوك بسوء ، وذلك أن ظله يقرب منه . وحاصل معنى البيتين أن الله قد
صرف عنه كيد الزمان وأهله فلا يصلون إليه بسوء .

(٦) يقول : طلبت بعض أعدائك فأدركت السكل بما أعطيت من السعد والإقبال

قَارَعَتْ رُمْحَكَ الرِّمَاحُ وَلَكِنْ تَرَكَ الرَّامِحِينَ رُمْحَكَ عَزْلًا^(١)
لَوْ يَكُونُ الَّذِي وَرَدَتْ مِنَ الْفَجْأَةِ طَعْنًا أَوْرَدَتْهُ ائْتِخِلَ قُبْلًا^(٢)
وَلَكَشَفَتْ ذَا الْحَنِينَ بِضَرْبٍ طَالَمَا كَشَفَ الْكُرُوبَ وَجَلَّى^(٣)

في الظفر بالأعداء ، يعني أن سعدة يقا تل أعداءه عنه ويؤويه من الظفر بهم زيادة على ما يطلب ؛ فقوله : بالسعادة ، متعلق بـ « رمت »

(١) الرامحين : أى حاملى الرماح . وعزلا : جمع أعزل ، وهو الذى لا سلاح معه يقول : قارعت رمحك رماح الأعداء ، ولكنك ظهرت عليهم وغلبتهم وسلبت أرواحهم فكأنك سلبت رماحهم وتركهم عزلا لا سلاح معهم . يشير إلى حذقه بالطن والاعتدار على التصرف فى الحرب .

(٢) وردت : استقبلت . والفجأة : المرة من فجعة : إذا أوجعه بعزير لديه والقبل جمع أقبل ، وهو الذى يقبل بإحدى عينيه على الأخرى عزة وتشاوسا . وقال بعض اللغويين : الأقبل الذى أقبلت حدقتاه على أنفه ؛ والأحول : الذى حولت عيناه جميعاً . وقال آخرون : إذا أقبل سواد العين على الأنف فهو أقبل ، وإذا أقبل على الصدفين فهو أخزر ، وقد قبلت عينه وأقبلتها أنا ، ورجل أقبل بين القبل ، وهو الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ؛ قالت ليلى الأخيلية فى فائض بن عقيل - وكان قد فر عن توبة يوم قتل - ؛

ولما أن رأيت ائخيل قُبْلًا تبارى بالخدودِ شبا الموالى^(١)
يقول : لو كان الذى أصابك من هذه الرزية طعنا لدفعته عنك بالخي ل والسلاح ؛ أو تقول : لو يكون الذى ألم بك من الرزية طعنا ومنازلة وقتالا لأوردت ذلك الوطن خيلك قبلا مقدمة ولا تقممتها على الموت كل الإقحام .

(٣) الحنين : ما يجده الإلف إذا فارق إلفه ، وهو فى معنى الشوق . يقول :

(١) بعده :

نسيت وصاله وصددت عنه كما صدَّ الأزبُ عن الظلال
« الأزب : الكثير الشعر فى الأذنين والحاجبين ، وفى المثل : كلُّ أزب نفور ، لأنه يثبت على حاجبيه شعيرات ، فإذا ضربته الريح نقر »

خِطْبَةٌ لِلْحِمَامِ لَيْسَ لَهَا رَدٌّ وَإِنْ كَانَتْ السَّمَاءُ تُكَلَّلًا^(١)
وَأِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كُفُوءًا ذَاتُ خِذْرِ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بَغْلًا^(٢)
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ أَنْفَسُ فِي النَّفْسِ وَأَشْهَى مِنْ أَنْ يُمَلَّ وَأَحْلَى^(٣)
وَأِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًا^(٤)

ولكشفت عن نفسك هذا الحنين الذي تجده إلى المفقود بضرب طالما كشف الكروب وجلاها عن أوليائك . أو تقول : لو كان هذا الحنين للتصل على رزيتك مما يستدفع بمغالبة ويستكشف بمكاثرة ، لكشفته بضرب بالغ وإقدام على الموت صادق ، فطالما كشفت الكروب الموحمة ، ولكن الموت لا يدفع بشدة ولا يعتصم منه بقوة .

(١) خطبة : أى هذه خطبة ، وأصل الخطبة : طلب المرأة للزواج : والحمام : الموت والشكل : فقد من يعز من ولد أو حبيب أو قريب . جعل الشكل خطبة لها لأنها كانت بكرًا : أى لما استأثر بها الموت صار كأنه خاطب لها وإن كانت هذه الخطبة هى المساة بالشكل وعبارة الواحدى : إن هذه الوفاة جرت مجرى الخطبة من الحمام للميتة وإن كانت تلك الخطبة تسمى ثكلا ؛ هذا إذا نصبت السماء على أنها خبر كان ونصب ثكلا بالسماء ، كما تقول ضربت المعطة درهما ؛ وإن رفعت السماء فالعنى : وإن كانت هذه التى سميتها أى ذكرتها ثكلا ، فتكون « ثكلا » خبر كان . هذا : وقد وصف الخطبة بأنها لا ترد ، لأنه إذا كان الخاطب الحمام لم يستطع رده كغيره من الخاطبات .

(٢) الكفو والكفو : المثل ، وبغلا - أى زوجا - حال . يقول : إذا لم تجد المرأة الشريفة كفوًا لها من الناس تزوج منه اختارت الموت بغلا لها ؛ قال الواحدى : لأنها إذا عاشت وحدها لم تنتفع بالدنيا وبشبابها فاختارت الموت على الحياة . . والأوجه أن يقال لأنها تأبى أن تمس كرامتها وصيانتها إذا هى تزوجت من غير أكفائها ، ومن ثم تؤثر الموت الذى يكمل صيانتها ويوفىها حق جلالها .

(٣) يقول : إن الحياة للذاتة أنفس فى نفوس ناسها وأشهى إليهم من أن تملى وتستكره لعله يريد أن يقول إن ذات الحذر إنما تؤثر الموت خوفا من أن تصير إلى غير كفو قمتهم ، لا بغضا فى الحياة .

(٤) أف : كلمة يقولها المتضرع الكاره للشئ ، وهى بثلاث الفاء وبالتنوين وتركه يقول : إذا ضجر الشيخ فقال أف فإن ذلك الضجر واللال إنما هو من ضعف الشيخوخة لا من طول الحياة ، لأن الحياة حبيبة إلى النفوس فى الشبية والكبر . هذا : وقوله

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْبَرِّ وَلَّى^(١)
أَبَدًا نَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُ الدُّنْيَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلًا^(٢)
فَكَفَتْ كَوْنُ فَرْحَةٍ تُورِثُ الْغَمَّ وَخِلَّةٌ يُفَادِرُ الْوَجْدَ خِلًا^(٣)
وَهِيَ مَعْشُوقَةٌ عَلَى الْغَدْرِ لَا تَحْفَظُ عَهْدًا وَلَا تُتَمِّمُ وَصْلًا^(٤)

وإنما الضعف ملا : فالضعف مفعول مقدم ، وهو في مثل هذا الموضع غير جائز التقديم لأنه مقصور بـ «إنما» ، ولكن قدمه للضرورة .

(١) يقول : إنما يحلو العيش ويطيب بالصحة والشباب ، فإذا لم يكن هناك صحة وشباب فسد العيش وتنقص وذهب ؛ أو تقول : آلة العيش وقوامه وحقيقته الشباب والصحة ، فإذا هما وليا وذهبا ولي العيش وذهب
(٢) يقول : إن الدنيا تعود على ما تهب فتأخذه . فليتها بخلت وما جادت ، كما قال الجلاح :

وَلَلْمَنْعُ خَيْرٌ مِنْ عَطَاءٍ مُكَدَّرٍ

وقال الأول :

الدَّهْرُ آخِذٌ مَا أُعْطِيَ مُكَدَّرٌ مَا أُصْنِيَ وَمُفْسَدٌ مَا أُهْوَى لَهُ يَبِيدُ
فَلَا يَفْرُكُكَ مِنْ دَهْرٍ عَطِيتُهُ فَلَيْسَ يَتْرُكُ مَا أُعْطِيَ عَلَى أَحَدٍ

وقال حكيم : الدنيا تطعم أولادها وتأكل أولادها . هذا : وقد قال العلامة العكبري النحوي الكوفي : « الدنيا » مرفوعة بـ « تسترد » عندنا ، وبـ « تهب » عند البصريين لأنهم يعملون الثاني .

(٣) هذا جواب التمني في قوله « فياليت » . وكفيته الشيء : أغنيته عنه ، والكون : بمعنى الحصول ، والفرحة - بالضم والفتح - اسم بمعنى السرور ، ويفادر : يترك ؛ والوجد بمعنى الحزن ؛ والحل : الخليل . يقول : لو بخلت ولم تجد لأغنت عن حصول فرحة تعقب بزوالها الغم ، وعن وجود صاحب يموت فيصير الحزن بعده صاحباً لمن فقدته . فالدنيا مثل رجل وهب لرجل شيئاً ، فلما فرح به واغبط أخذه منه ؛ فكان أسفه عليه أكثر من اغتيابه به .

(٤) على الغدر : أى معه ؛ والظرف حال من نائب معشوقة يقول : وهى - أى الدنيا - مع غدرها بالناس - فلا تحفظ لأحد عهداً ولا تدوم على العهد ورجوعها - على ما تهب - معشوقة محبوبة .

كُلُّ دَمْعٍ يَسِيلُ مِنْهَا عَلَيْهَا وَبِفِكَ الْيَدَيْنِ عَنْهَا تُخَلَّى^(١)
 شَيْمُ الْغَائِيَاتِ فِيهَا فَلَا أَدْرِي لَذا أَنْتَ أَتَمَمْتَ النَّاسُ أَمْ لَا^(٢)
 يَا مَلِيكَ الْوَرَى الْمُفَرَّقَ نَحْيًا وَتَمَاتًا فِيهِمْ وَعِزًّا وَذُلًّا^(٣)
 قَلَدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيَفُهَا أَنْتَ حُسَامًا بِالْمَكْرُمَاتِ مُحَلَّى^(٤)
 فِيهِ أَغْنَتْ التَّوَالِي بَذَلًا وَبِهِ أَفْنَتْ الْأَعَادِي قَتَلًا^(٥)
 وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلًا^(٦)

(١) يسيل : صفة لدمع ؛ ومنها : متعلقة بـ «يسيل» وعليها : خبر كل ؛ والحرفان للتعليل . أى كل دمع يسيل من جرائها هو عليها : أى كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي أسفا على فوت شيء منها ولا يخفى الإنسان يديه منها إلا قسراً حين تفك يدها عنها بالموت .

(٢) الشيم : الطباع ؛ والغايات : الحسان اللاتي غنين بحسنهن وجمالهن . وقوله لذا : أى ألدنا ؟ لحذف الاستفهام . يقول : شيمة الدنيا كشيمة النساء فالنساء لا يدمن على الوصل ولا يحفظن العهد ؛ وكذلك الدنيا ، ثم قال : ولست أدري أهذه المشابهة جعل الناس اسمها مؤنثا ؟ وهذا من تجاهل العارف ، لأنه يعلم أن الدنيا لم تؤنث لأنها تشبه الغواني ، كما قال زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أَقْوَمُ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ
 هو يدري أنهم رجال ، ولكنه تجاهل هذا ، لأن فيه ضربا من الهزء بهم .

(٣) الورى : الخلق . والمحيا : الحياة . يقول : إنه ملك عظيم الشأن يفرق الحياة والموت والامر والنيل فيمن والاه وأطاعه وخالفه وعاداه .

(٤) سيفها أنت : نعت « دولة » وحساما : أى سيفاً قاطعاً ، مفعول قلد . يقول : إن الله سبحانه قد قلد دولة جعلك سيفها الدائد عن يضتها سيفاً قاطعاً حلاه بالكارم ، فهو حامى الدولة وزينتها وعزها .

(٥) أغنت وأفنت : أى الدولة ؛ وبذلا وقتلا : تمييز . والموالى : الأصدقاء والحلفاء والأعداى : جمع أعداء ، جمع عدو ، يشدد ويخفف : أى بذلك الحسام أغنت هذه الدولة أولياءها بذلا . وبه أفنت أعاديتها قتلا ، فهو يحى الموالى بماله ، ويميت الأعداى بسيفه ورجاله .

(٦) اهتز : ارتاح ؛ والوغى : الحرب ؛ والنصل : السيف ؛ أى إذا اهتز للعطاء

وَإِذَا الْأَرْضُ أُظْلِمَتْ كَانَ شَمْسًا
وَإِذَا الْأَرْضُ أُتَحَلَّتْ كَانَ وَبَلًا^(١)
وَهُوَ الضَّارِبُ الْكُتَيْبَةُ وَالطُّغْيَانُ تَفْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى^(٢)
أَيْهَا الْبَاهِرُ الْعَقُولَ فَمَا تَذَرُّكَ وَصَفًا أُنْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلًا^(٣)

كان كالبحر في كثرة مواهبه وعموم فواضله ، وإذا اهتز للحرب كان كالسيف في نفاذ
عزمه وقوته فيما يحاول من أمره .

(١) المحل : الجذب وقلة النبات في الأرض لقلة المطر . والويل : المطر الكثير ؛
أى إذا أظلمت الأرض وأعمت خطوبها كان كالشمس المشرقة ، وإذا أجذبت كان جوده
كالمسحاب الغدقة ، فهو ينير إذا استبهم الأمر ويجود إذا بخل الدهر .

(٢) الكتيبة : الطائفة من الجيش ؛ وتغلو - من غلاء السعر - أى يعز وجودها
والجلمة : حال . وقوله أغلى وأغلى : كأنه يريد التوكيد ، والعاطف زائد . يقول : هو
الضارب الكتيبة من الجيش بسيفه حين يكون الطعن غالباً عزيز النال لصعوبة الموقف
واشتداد الحال ، وإذا كان الطعن غالباً كان الضرب أغلى منه لحاجة الضارب إلى فضل
إقدام ؛ لأن الضارب أقرب من الطاعن . والمعنى أنه يقدم على الضرب حين لا يقدم
غيره على الطعن ، وقال ابن فورجه : يريد أنه إذا لم يقدر على الدنو من العدو قيد رمح -
أى مقدار رمح - فالدنو إليه قيد سيف أصعب . والمعنى أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم
الطاعن والضارب . وقال ابن جني : يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو
أسر من الضرب ، لأن بعد الطاعن عن عدوه أكثر من بعد الضارب ، والرامى
أبعد من الطاعن ، وقد رتبته زهير فقال :

يَطْمَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا

ضَارِبٌ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقُوا

وعبارة العكبري : هو الضارب الكتيبة من الجيش والحرب متوقدة ونيرانها
مضطرمة ، والطعن بين الفرسان يغلو ويشدد ، والضرب أغلى وأشد فدل على أن
سيف الدولة عند اشتداد الحرب يقتحم الكتائب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه .
(٣) بهر : غلبه ؛ ووصفاً تميز . وقوله فما تدرك : يروى بالتاء على الخطأ
للمدوح . وبالياء عوداً على لفظ النادى ؛ والعقول : قال العكبري بالنصب هو الأصل ،
وبالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه . يقول : يامن غلب العقول بما أظهر من بدائع الأفعال

مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَغْيَا ۖ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَالًا^(١)
فَإِذَا مَا أَشْتَهَى خُلُودَكَ دَاعٍ ۖ قَالَ لَا زُلْتَ أَوْ تَرَى لَكَ مِثْلًا^(٢)

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به ، وذلك في جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثلثمائة (*)

فما يدرك وصفك أتعبت فكرى إذ لم يبلغك . فمهلا : أى ارفق . وعبارة العكبرى : أيها الملك الذى بهر العقول بكثرة فضائله وأعجز الأوصاف بتتابع مكارمه : مهلا على فكرى فقد أتعبت ، ورفقاً بما أنظم فيك فقد أعجزته .

(١) التعاطى : التناول . ويقال فلان يتعاطى كذا : إذا عنى به وتفرغ له ؛ وأعياء أعجزه . يقول : وكيف لا يكون ذلك ومن حاول أن يتشبه بك فى كرم أخلاقك أعجزه ذلك فلم يندر على التشبه بك لان كرمك لا ينال بالتكلف ، ومن سلك طريقك ضل فيه : أى لم يقدر على عجاراتك فيما تسلكه لبعده مذهبك واتساعه .

(٢) زلت : من الزوال وقوله أو ترى : أى إلى أن ترى . يقول : إذا اشتى أحد أن يدعوك بالخلود فدعاؤه هو أن يقول لك . لا زلت - أى لامت - كما فى رواية - حتى ترى لك مثيلا ، وإذا كان ذلك كذلك بقيت إلى الأبد ، لأنه لن يكون لك مثيل .

* قال الشراح : سبب عمل هذه القصيدة أن سيف الدولة ورد عليه أن الدمستق وجيوش الروم قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكاييد وقدروا أنها فرصة فيه لما تداخل أهل من الانزعاج والقلق ؛ وكان ملكهم قد ألزمهم قتله وأنجدهم بأصناف من البلغم والروس والصقالبة ، وأنفذ معهم العدد الكثير والعدد ، فركب سيف الدولة بافرا ؛ وانتقل إلى غير الوضع الذى كان فيه ، ونظر فيما يجب أن ينظر فيه ، وسار عن حلب فى جمادى الأولى ، فزل رعبان وأخبار الحدث عليه مستعجبة ، لأنهم ضبطوا الطرق ليخفى عليه خبرهم ، فلما ضجر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسار زحفا فلما قرب من الحدث عادت الجواسيس تعلمه أن العدو لما أشرفت عليه خيول المسلمين من عقبه يقال لها العبرى رحل ولم تستقر به دار ، وامتنع أهل الحدث من البدار بالخبير خوفاً من كمين يترص الرسل . فزل سيف الدولة بظاهره وأنهم طلائعهم تخبر سيف الدولة بانصرافهم إلى حصن رعبان ووقعت الضجة ، وظهر الاضطراب ، وولى كل فريق

ذِي الْمَعَالِي فَلْيَمْلُونْ مَنْ تَعَالَى هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا^(١)
شَرَفٌ يَنْطِخُ النُّجُومَ بِرَوْقِهِ وَعِزٌّ يُقْلِقُ الْأَجْبَالَ^(٢)
حَالُ أَعْدَانِنَا عَظِيمٌ وَسَيْفُ الدِّ وَلَهُ ابْنُ السُّيُوفِ أَعْظَمُ حَالًا^(٣)

على وجهه ، وخرج أهل الحدث فأوقعوا ببعضهم ، وأخذوا آلة سلاحهم وأعدوه في حصنهم ،

(١) ذى: أى هذه اسم مبهم: يشار به إلى اللؤث كما يشار به «ذا» إلى المذكور؛ وهكذا خبر عن محذوف: أى هكذا المعالى ، والكلام استئناف ، ويجوز أن تكون نائب مفعول مطلق ، عامله فليعلون: أى فليعلون علواً هكذا ، أو محذوف العامل: أى هكذا فليعلون ، وإلا هى «إن» الشرطية و«لا» النافية ، والشرط واللا فى محذوفان يقدران بحسب ما يقدر قبلهما ، وكرر «لا» تأكيداً . يقول : هذه المعالى التى تراها لك هى المعالى حقيقة ، ومن تعالى فليعلون كما علوت ، وإلا فليدع تعالى ؛ وبعبارة أخرى يقول مشيراً إلى ما فعله سيف الدولة فى بداره إلى جيوش الروم وانهمزاسهم من بين يديه ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار الحدث — : هذه هى المعالى التى تؤثر والمكارم التى تخلد فمن حاول تعالى ، فلينهض بمثلاً فهذا سبيلها ، وإلا فلا يتعرض الرؤساء لها :

(٢) شرف : مبتدأ محذوف الخبر : أى لك شرف ؛ والروق : القرن . واستعار للشرف روقين لما استعار له النطخ على سبيل الترشيع ، وهو معلوم أن القرنين فى الحيوان من أسباب القوة ودواعى الإقدام واللعة ، يفسر معاليه أو ما أشار إليه بقوله هكذا ، بهذا البيت . يقول : لك شرف يزاحم النجوم فى العلو وعز أثبت من الجبال وأرسى حتى صارت الجبال بالإضافة إليه قلقة ، أو تقول قد بلغت شرفاً باذخايمس أعلاه النجوم وعزاً راسخاً لوصادم الجبال لأقلقها وبقي راسخاً لا يزعزع : أو تقول : وبلغت عزا تتقلقل الجبال هبة له وإجلالا . قال الواحدى : ويجوز أن يريد أن سلطانه ينفذ فى كل شيء حتى لو أراد أن يزيل الجبال لأقلقها .

(٣) قوله : ابن السيوف : ذهب إلى ما فى السيف من معنى المضاء والقهر : أى كلمهم ملوك قاهرون . يقول : حالهم عظيمة فى كثرتهم ومنعتهم ، ولكن سيف الدولة ابن الملوك القاهرة والسيوف الماضية على الأعداء أعظم وأنفذ وأمنع ؛ والحال : تذكر وتؤنث .

كَلَّمَا أَهْجَلُوا النَّذِيرَ مَسِيرًا أَعْجَلَتْهُ جِيَادُهُ الْإِعْجَالَا^(١)
فَأَتَتْهُمْ خَوَارِقُ الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُ إِلَّا الْحَدِيدَ وَالْأَبْطَالَا^(٢)
خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ قَدْ نَسَجَ النَّعَمُ عَلَيْهَا بَرَاقِمًا وَجِبِلَالَا^(٣)

(١) قال ابن جني : أى كلما عاد إليهم نذيرهم سبقوه بالهرب قبل وصوله إليهم ثم تلتهم جياذ سيف الدولة فسبقت سبقهم النذير : أى لحقتهم وجاوزتهم . قال ابن فورجه : يقال أَعْجَلَتْهُ بمعنى استعجلته ، فأما سبقته ، فيقال فيه عجَلته . يقول : كلما استعجلوا النذير بالمسير إليهم وإخبارهم بقدوم جيش سيف الدولة طلعت عليهم خيله قبل ورود النذير عليهم . أقول : وهذا كله تخبط من الشراح ، وإنما النذير نذير سيف الدولة . يقول : كلما باغت الروم قلعة الحدث وأرادوا أن يسبقوا إليها قبل مسير النذير إلى سيف الدولة جاءهم سيف الدولة وسبقهم إليها وهزمهم عنها قبل أن يسبقوا الاستيلاء عليها ؛ وهذا ما أشار إليه الواحدى : قال : ويجوز أن يريد أن العدو كلما أعجلوا النذير بهم وبأدروا المتقلدين لأعمال سيف الدولة في الأطراف والمتصرفين في أقاصى بلاده ورجوا أن يصيبوا منهم غرة وينتهزوا فيهم فرصة بادرهم خيوله ولحقهم جيوشه وأعجلتهم عن ذلك الأعجال فصرفتهم على أسوأ الأحوال . هذا : ويقال أعجله عن الأمر إذا بادره قبل أن يتمكن منه ، ومسيرا : منصوب بنزع الخافض : أى عن مسير ؛ وكذا قوله الإِعْجَالَا - فى آخر البيت - والنذير : الذى ينذر أصحابه ويحذرهم .

(٢) فَأَتَتْهُمْ : أى الجياذ ؛ وخوارق : حال ، وما تحمل - ويروى لا تحمل - حال أخرى . يقول : فَأَتَتْهُمْ خيل سيف الدولة تقطع الأرض سرعة . وعليها الأبطال مدججين بالسلاح . ويقال خرق الأرض يخرقها : أى قطعها حتى بلغ أقصاها ؛ وفى التثنية : « إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا » وقد روى العسكبرى « خوارق » بالرفع على أنها فاعل أتهم ؛ وليس بوجه ، وزاد على ذلك أن قال : خوارق الأرض : الخيل ، لشدة وطئها ؛ وهذا عمر ك الله تخطيط أى تخليط ، وإنما الخوارق التى تجوب الأرض وتقطعها بسرعة - هذا : والحصر فى البيت - فى قوله ما تحمل إلا الحديد - لجرد التأكيد ، كما تقول ما أمامك إلا الأسد : أى المعروف بهوله وقوة بطشه

(٣) خَافِيَاتِ الْأَلْوَانِ : حال أخرى ؛ والنقع : الغبار ؛ والجلال جمع جل وهو ما كان على ظهر الدابة تحت السرج . يقول : أتهم وقد خفى لونها فلا يعرف الأدم من الكمية والأشهب والأشقر لما علاها من الغبار ، فقد تكاثف

حَافَتُهُ صُدُورُهَا وَالتَّوَالِي لَتَخْرُضَنَّ دُونَهُ الْأَهْوَالُ^(١)
وَلَتَقْمِضَنَّ حَيْثُ لَا يَجِدُ الرُّمَحُ مَدَاراً وَلَا الْحِصَانُ مَجَالاً^(٢)

ذلك الغبار عليها حتى صار على وجوهها كالبراقع وعلى متونها كالجلال . وكان هذا المعنى من قول عدى بن زيد بن الرقاع العاملي :

يتعاوران من الغبار مُلَاءَةً دَكْنَاءَ مُجَدَّةً هَا نَسَجَاهَا^(١)
قال العكبري : وفيه نظر إلى قول عرف بن الحرع :

كَأَنَّ الطَّبَاءَ بِهَا وَالْفِئَاءَ جَ يُكْسِنَنَّ مِنْ رَازِقِي شِعَارَا^(٢)

(١) المحالفة : المعاهدة ؛ والعوالى ؛ الرماح ؛ واللام - من قوله لتخوضن - للقسيم . يقول ؛ إن صدور خيله وعوالى رماحه عاهدته على أن تخوض الأهوال والحروب دونه : أى تكفيه إياها ، كما قال :

فَقَدْ ضَمِنَتْ لَهُ الْمُهْجَ الْعَوَالِي وَحَمَلَتْهُمُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَا

وقد روى ابن جني لتخوضن ، ليخوضن ، ثم قال ؛ طال الكلام بيني وبينه أى - المتنبي - ؛ في قوله : ليخوضن ، فقال - أى المتنبي - : هو مثل قولي ؛ وقلنا السيوف هلمن - بضم اليم - . وذلك أنه لما وصفها بالمخالفة أجراها عجرى من يعقل مثل الجماعة المذكرين ، وتؤيده قوله تعالى ؛ يَا أَيُّهَا النَّارُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ « وقوله « وكل في فلك يسبحون » وقوله جل شأنه : « ورأيتهم لى ساجدين » كل هذا أجري عجرى من يعقل لما خوطب وأخبر عنه بالسجود والسباحة ، والأفعال فى الأكثر إنما تكون لذوى العقل ، لأن كل ذى عقل يصح منه الفعل ، وما ليس من ذوى العقول وإنما يصح الفعل من بعضه كالفرس ونحوه ، ومنه ما لا يصح منه الفعل كالدار وشبهها مما ليس فيه روح ، فأحراق النار لما وقع فيها ليس بفعل لها فى الحقيقة ، وإنما هو فعل الله تعالى ، وهذا يعرفه أهل الكلام . انتهى كلام ابن جني مضافاً إليه العكبرى .

(٢) يقول : وحالفته صدور الخيل والرماح على أن تقمل ما عجز سه غيرها ؛ وقوله حيث لا يجد الرمح الخ : أى فى مضايق الحرب التى لا يجد فيها الرمح مداراً لشدة المجادلة ولا الحصان مجالاً لكثرة المزاحمة ، قالوا : وكان الوجه أن يقول :

(١) يصف ثورين وما يثيران فى عدوها من الغبار ؛ وبعده :

تطوى إذا علوا مكاناً جاسياً وإذا السفابك أسهلت نشرها

(٢) الرازقى هنا : الكتان نفسه ؛ والرازقى أيضاً : ثياب يفض من الكتان .

لَا أُلُومُ ابْنَ لَأَوْنِ مَلِكِ الرُّومِ . وَإِنْ كَانَ مَا تَمَنَّى مُحَالًا^(١)
أَفْلَقْتُهُ بِنَيْفَةٍ بَيْنَ أُذُنَيْهِ . وَبَانَ بَغْيُ السَّمَاءِ فَنَالَا^(٢)
كُلَّمَا رَامَ حَطَّهَا اتَّسَعَ الْبَنَى فَفَطَى جَبِينَهُ . وَالْقَذَالَا^(٣)
يَجْمَعُ الرُّومَ وَالصَّقَالِبَ وَالْبُلْفَرَ فِيهَا وَتَجْمَعُ الْأَجَالَا^(٤)

ولتمضين ، كما تقول : حلفت هند لتقومن ؛ وقد أجاز الكوفيون حذف الياء في مثل هذا ، فيقال : حلفت هند لتمض لسكونها وسكون النون بعدها - ولم تحرك الياء بالفتح ، وكان ممكنا أن يقول : وليضين - بالياء دون توكيد . هذا : والحصان : الفحل من الحيل ؛ والجمع : حصن ؛ وسمى الفرس الذكر حصانا قيل لأنه ضئ بجائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الحيل حصانا ، وقيل مشتق من الحصانة ، لأنه عجز لفارسه ، والعرب تسمى الحيل حصونا . وسئل بعض الحكماء عن رجل جعل مالا في الحصون ، فقال اشتروا خيلا واحملوا عليها في سبيل الله .

ذهب إلى قول الجعفي :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَوَقُّي الرَّدَى أَنَّ الْحِصُونَ أَخْلِيلُ لَا مَدْرُ الْقُرَى

(١) يقول : لا أُلُومُ ملك الروم على تمنيه محالا من تخريب هذه القلعة ، وذلك أن ملك الروم كان قد قصد حصن الحدث طلبا لغرة سيف الدولة ثم بين حين عدم اللوم فيما يلي .

(٢) البنية : بمعنى المبنية ، يريد القلعة ، وبين أذنيه ، صفة لبنية . وبغى : طلب . يقول : أفلقت ملك الروم هذه القلعة التي بناها سيف الدولة وهي من ثقلها عليه كأنها على رأسه وقفا ، وأفلقه بانيتها - يعني سيف الدولة - الذي بغى أن ينال السماء فنالها علوا وعزة ، أى أن ملك الروم العجز في محاولته تخريبها لذلك .

(٣) رام : طلب ؛ وحطها : إزالتها . والبني : مصدر كالبناء ؛ والجبين : ناحية الجهة من محاذاة الزعة إلى الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجهة وشمالها ، فتكون الجهة بين جبينين : والقذال مؤخر الرأس ، وهو ما بين جنبتي القفا . يقول : كلما أراد ملك الروم إزالتها عن رأسه اتسع بناؤها فازداد ثقلها فغشى الجبين والقذال ، وهذا مثل ، يريد أن سيف الدولة كلما زادها توثيقا وسعة ازداد مضى ملك الروح وغيطه .

(٤) فيها : أى في نواحيها وجوانبها : أى يجمع هؤلاء لهدمها بهم وتجمع أنت أحاطهم إذ تاتتهم فقتلهم .

وَتَوَافِيهِمْ بِهَا فِي الْقَنَاءِ الشُّرَكَاءَ وَافَتِ الْعِطَاشُ الصَّلَاةَ^(١)
 قَصَدُوا هَذِمَ سُورَهَا فَبَنَوْهُ وَأَتَوْا كَنِي يُقَصِّرُوهُ فَطَالَا^(٢)
 وَأَسْتَجَرُوا مَكَائِدَ الْحَرْبِ حَتَّى
 تَرَكَوْهَا لَهَا عَلَيْهِمْ وَبَالَا^(٣)
 رَبُّ أَمْرٍ أَتَاكَ لَا تَحْمَدُ الْفَقَا لَ فَيَدُ وَتَحْمَدُ الْأَفْعَالَا^(٤)
 وَقَسَى رَمِيَتْ عَنْهَا فَرَدَّتْ فِي قُلُوبِ الرَّمَاةِ عَنْكَ النَّصَالَا^(٥)

(١) توافيهم : تأتيهم ؛ وبها : أى بالآجال . والصلال : جمع صلة ، وهى الأرض التى أصابها مطربعين أرضين لم يقطرا . يقول : وتأتيهم بأجلهم ومناياهم فى الرماح وهى ظامئة إلى دمائهم ، أى تسرع إليهم إسراع العطاش إلى الأرض المظورة
 (٢) يقول : لما قصد الروم هدمها بعثوا سيف الدولة على إتمام بنائها ، فكان قصدهم إلى الهدم والتقصير سببا لبنائها وإطالته .

(٣) الضمير فى « لها » للقلعة . والمراد بمكايد الحرب : آلاتها . والوبال : الشدة . يقول : جروا آلات الحرب إلى القلعة ثم انهزموا عنها وتركوا هذه الآلات لها فكانت وبالا عليهم ، لأن أهل قلعة الحدث لما هرب الروم تقببهم وأخذوا معهم ما تركوه من السلاح وحاربهم مستعينين على قتلهم به .

(٤) الفاعل هنا : هم الروم الذين جلبوا آلات الحرب ، وفعلهم حملهم إلى القلعة للمكايد والآلات ، وهم الروم - غير محمودين لأنهم أعداء للمسلمين ، أما أفعالهم - وهى جلبهم آلات الحرب إلى القلعة - فهى محمودة فى العاقبة لأنهم لو لم يجلبوها لما ظفر بها المسلمون وكانت عوناً عليهم .

(٥) قسى : جمع قوس على القلب ، وهو معطوف على أمر . يقول : ورب قسى ترمى عنها السهام فترتد على راميا . يريد السلاح الذى حمله الروم لقتال المسلمين ، فلما هربوا وأخذ المسلمون سلاحهم قاتلهم به ورموهم بالسهام عنك ، فكان ذلك وبالا على الروم قال ابن وكيع - وأنت تعلم تخنى هذا ابن وكيع دائماً على المتنبي - : هذا البيت هو من قول القائل :

قَوْمِيْ هُمُ قَتَلُوا - أَمِيْمَ - أَخِي فَإِذَا رَمِيْتُ يَصِيْبُنِي سَهْمِي^(١)

فقوله فردت الخ : تقديره فردت عنك النصال فى قلوب الرماة الذين كانوا يرمونك

(١) أخى : مفعول « قتلوا » ؛

أَخَذُوا الطَّرِيقَ يَقْطَعُونَ بِهَا الرُّشْدَ

لَـ فَكَانَ انْقِطَاعُهَا إِزْسَالًا^(١)
وَهُمُ الْبَحْرُ ذُو الْغَوَارِبِ إِلَّا أَنَّهُ صَارَ عِنْدَ بَحْرِكَ آلَا^(٢)
مَا مَضَوْا لَمْ يُقَاتِلُوكَ وَلَكِنَّ الْقِتَالَ الَّذِي كَفَاكَ الْقِتَالَ^(٣)
وَالَّذِي قَطَعَ الرَّقَابَ مِنَ الضَّرِّ بِ بَكْفَيْنِكَ قَطَعَ الْآمَالَ^(٤)
وَالثَّبَاتُ الَّذِي أَجَادُوا قَدِيمًا عَمَّ الثَّابِتِينَ ذَا الْإِجْفَالَا^(٥)

(١) يقول : أخذوا الطريق ليقطعوا الرسل عن النفاذ إلى سيف الدولة فلا يبلغه الخبر أنهم يقصدون قلعة الحدث ، فلما أبطلت الأخبار وتأخرت عن عادتها تطلع سيف الدولة لمسا وراء ذلك فوقف على جلية الأمر فسار إليهم مسرعا ، فكان انقطاع الرسل عنه كأنه إرسال ، وهذا كقوله السالف .

* قَصِدُوا هَذِمَ سُورَهَا فَبَنَوْهُ *

(٢) الغوارب : أعلى الأمواج ، جمع غارب . والآل : ما تراه في أول النهار وآخره كالسراب . يقول : هم كالبحر اللامع نوافرا وكثرة ، إلا أنهم اضمحوا أمام جيوشك فصاروا كالآل ، يعنى أن شأنهم يتلاشى عندك ، وإن جل وعظم .

(٣) « ما » نافية . ولم يقاتلوك : حال . يقول : ما انهزموا عنك غير مقاتلين ولكن القتال الذى قاتلتهم قبل هذا كفاهك القتال الآن ، يعنى أنهم قد بلوك قبل هذا فأشعرت قلوبهم الرعب وخافوك الآن فانهزموا ومضوا ؛ وعبارة العكبرى : ما مضوا غير مقاتلين لجيشك ولا ولوا غير متيقنين لأمرك ، ولكن القتال عند التأمل ما أسكنت وقائمك قلوبهم من الهيبة وأودعها من الخافة ، حق صار اسمك يهزم عساكرهم ، وذكرك يثقى عزائمهم .

(٤) يقول : إن السيف الذى قطع رقاب إخوانهم من قبل قطع آمال هؤلاء من الظفر بك فتركوك وهربوا .

(٥) الإجفال : الإسراع فى الهزيمة . يقول : إن الأولين منهم أجادوا الثبات فى الحرب فلم يخن عنهم وأدى إلى هلاكهم ، فعلم ذلك الثبات هؤلاء أن يفروا منك خشية أن يجل بهم ماحل بالذين سبقوهم . قال الواحدى : يريد بهذه الآيات أن يبين أن أهل الروم شجعان أهل للحرب ولكنهم لا يقاومونك ، ولك الفضل عليهم ، فيكون هذا أمدح له .

نَزَلُوا فِي مَصَارِعَ عَرَفُوهَا يَنْدُبُونَ الْأَعْمَامَ وَالْأَخْوَالَ^(١)
تَحْمِلُ الرِّيحُ بَيْنَهُمْ شَعَرَ أَلْهًا م وَتَنْذِرِي عَلَيْهِمِ الْأَوْصَالَ^(٢)
تُنْذِرُ الْجِسْمَ أَنْ يُقْسِمَ لَدَيْهَا وَتُرِيدُ إِكْلَ عَضْوٍ مِثْلًا^(٣)
أَبْصَرُوا الطَّنَّ فِي الْقُلُوبِ دِرَاكًا
قَبْلَ أَنْ يُبْصِرُوا الرَّمَاخَ خَيَالًا^(٤)

(١) يقول : نزلوا في الأماكن التي قتلت فيها أقباءهم فلما نظروا إليها عرفوها
فذكروهم فبكوا عليهم . وتمثلوا هذه الحال في أنفسهم وتوقعوا أن يحل بهم ما يشبهها ؛
والمصارع : جمع مضرع ، وهو اسم مكان من صرعه ، إذا طرحه على الأرض .
(٢) الأوصال : جمع وصل - بالضم والكسر - وهو العضو . والهام : الرؤوس .
وتندري : تنبئ وتفترق . تقول ذرا يذرو ، وذرا يذري ، وأذري يذري ، يريد : لم
يبعد عهد ذلك المكان بالقتل ، فشعور القتلى وأعضاؤهم لا تزال باقية هناك تحملها
الريح وتلقيها عليهم فيفرغهم ذلك فينزعجون ويهربون .
(٣) يقول : إن تلك المصارع تنذرهم الإقامة بها إذ تربهم لكل عضو منهم . عضواً
من القتولين . قال العسكري : ويجوز أن يكون الضمير في تنذر للأوصال ، قال : والمعنى
تنذر الأوصال ، الجسم بأن يصير مثلها ويقيم لديها في مثل حالها وترية لكل عضو من
أعضائها مثلاً شاهداً ؛ ونظيراً حاضراً . قال : وأشار بذلك إلى وقعة سيف الدولة على
الروم عند بناءه الحدث وقد وصفها في قوله :

* على قدر أهل العزم تأتي العزائم *

ولم تكن بعيدة من هذه الوقعة ، فلما أشرفوا على موضع تلك الوقعة وذكروا
عظم تلك البلية أشفقوا من أن يعاودهم سيف الدولة بمثلها فولوا مدبرين .

(٤) في القلوب : صلة الطعن ؛ ودراكاً متتابعاً ، وخيالا : متخيلاً ، وهما حالان
من الطعن ؛ وفي البيت تقديم وتأخير ؛ والتقدير : أبصروا الطعن في القلوب دراكا
خيالاً قبل أن يبصروا الرماح ، يعني ؛ لشدة خوفهم منك وتصورهم ما صنعت بهم قديماً
وأوا الطعن متداركاً متتابعاً في قلوبهم تخيلاً قبل أن يروا الرماح حقيقة ؛ وقال الخطيب
المتبريزي : اعتبر المتأخرون - أي من الروم - بالمتقدمين - منهم - فكأنهم تخيلوا
الطعن دراكا وبينهم وبين من يطلبهم مسافة بعيدة ففروا قبل أن ينظروا إلى خيال الرماح

وَإِذَا حَاوَلْتَ طَعَانَكَ خَيْلٌ أَبْصَرْتَ أَذْرُعَ الْقَنَا أُمِيالاً^(١)
بَسَطَ الرُّعْبُ فِي الْيَمِينِ يَمِينًا ، فَتَوَلَّوْا ، وَفِي الشَّامِلِ شِمَالاً^(٢)
يَنْفُضُ الرُّوْعُ أَيْدِيًا لَيْسَ تَدْرِي أَسِيُوفًا حَمَلْنَ أَمْ أَعْلَالاً^(٣)
وَوُجُوهًا أَخَافَهَا مِنْكَ وَجْهٌ تَرَكْتَ حُسْنَهَا لَهُ وَالْجَمَالَ^(٤)

(١) القنا : عيدان الرماح ، والحيل ، يريد بها الفرسان ، يقول : إذا أرادت جيوش الأعداء طعانك خيل إليهم الرعب وشدة الخوف أن الذراع من رماحك ميل فتوقعوا أن تدركهم رماحك ولو كانوا على أميال ؛ ومن غريب التفسير ماذهب إليه بعضهم من أن المراد بالقنا قنا الأعداء الذين يحاولون الطعان ، قال ، والمعنى أنهم كلما حاولوا طعانك برماحهم استطالوها فرأوا أذرعها أميالا ؛ أي أنها تنقل عليهم جبنًا وخوفًا منك ، (٢) يعني أن الرعب - الخوف - شاع فيهم وعمهم حتى كأنه بسط يمينه في ميعنة جيشهم وشماله في ميسرته فقولوا هاربين ، وقال ابن الأقلبي : المعنى بسط الرعب في أيديهم أيديا مثلها تمنعها من البطش فولوا مخذولين وهذا ضد قول الآخر :

إِنَّا وَجَدْنَا بَنِي جُلَانٍ كَلَّمُهُمْ كَسَاعِدِ الْغُبِّ لَا طُولَ وَلَا قِصَرَ

(٣) الروع : الخوف والفرع ؛ والأغلال : جمع غل ، القيد ، يقول : أثر فيهم الخوف حتى ارتعدت أيديهم فلا تقدر على الضرب كأن السيوف التي في أيديهم أغلال لها وعبرة بعض الشراح : يرعش الخوف أيديهم فصارت في قلة الغناء وإن كان فيها سيف بمنزلة الأيدي المغلولة وعبرة العكبري : ينفض الفزع من أيديهم السلاح فيسقط ، ويسلبهم إياه الذعر فيذهب ، حتى كأن سيوفهم في أيديهم أغلال وموانع تمنعهم من التصرف بها وهو من قول جرير في الفرزدق :

ضَرَبْتَ بِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ فَأَرْعِشَتْ يَدَاكَ فَقَالُوا تُحَدِّثُ غَيْرُ صَارِمٍ

(٤) وجوها : عطف على أيديا - من جهة اللفظ ، لامن جهة المعنى - لأنه لا يريد ينفض وجوها : والمعنى يغير وجوها : أي يغير ألوانها بأن يورثها صفرة ، فهو من باب :

وَرَأَيْتُ زَوْجَكَ فِي الرَّغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُحْمًا

يقول : ويغير الروع وجوهاً تمتع وتصفر وتكلح ويذهب بجمالها الذعر قد أخافها منك وجه طلق نصير ، أحرز غايات الحسن وغلبها على الجمال ، فالحسن والجمال لوجهك . لا لها ، إذ سلها الخوف حسنًا فأنحاز إلى حسنك فتضاعف جمالك ونصرتك .

وَالْعِيَانُ الْجَلِيُّ يُحْدِثُ لِلظَّنِّ زَوَالًا وَلِلْمَرَادِ انْتِقَالَ (١)
وَإِذَا مَا خَلَا الْجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّمَنَ وَحَدَهُ وَالنَّزَالَ (٢)
أَفْسَمُوا لَا رَأُوكَ إِلَّا بِقَلْبٍ طَالَمَا غَرَّتِ الْعَيُونُ الرَّجَالَ (٣)
أَيُّ عَيْنٍ تَأْمَلَتْكَ فَلَا قَتْلَكَ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْكَ فَلَا (٤)

(١) يقول : كانوا يظنون أنهم يقدرّون على قتالك فلما قصدوا محاربتك انهزموا وعانوا قصورهم عنك ، فأزال العيان ما كان الظن يحدث لهم ، وانتقل ذلك المراد القدى كانوا يريدونه من محاربتك .

(٢) هذا كما تقول العرب في أمثالها :

كلُّ مُجْرٍ فِي الْخِلَاءِ يُسَرُّ *

أى إذا أجرى الإنسان فرسه وحده سر بحريه ، فإذا قاربته مثله ذهب سروره . يقول المتنبي : إن الجبان - والجبان ضد الشجاع - إذا كان وحده منفرداً يحس من نفسه شجاعة ، ويظن عنده غناء ويطلب الطمان والنازلة ، يريد أن الروم شجعاء مالم يروك . وقوله وحده : فى موضع نصب على الحال ؛ أى منفرداً . والنزال فى الحرب : أن يتنازل الفريقان . وفى الحكم أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، ونزال مثل قظام ، بمعنى انزل ، وهو معدول عن النازلة ، ولهذا أنه زهير فى قوله :

وَلَنِعَمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيتَ نَزَالَ وَلُجَّ فِي الدُّعْرِ

(٣) إلا بقلب : أى إلا والقلب معهم و «ما» من قوله «طالما» : مصدرية ، والجملة استئناف . يقول : حلفوا ليحضرن عقولهم وليعملن أفكارهم فى قتالك ، ثم قل : طالما غرت العيون الرجال : أى كذبهم عنك كثيراً ما رأوه بعيونهم بما يوهمهم أن فى مكنتهم محاربتك ؛ أو تقول : لما امتحنوا بأسك وعانوا أفاعيلك علموا أن عيونهم غرتهم قبل ذلك وأطمعتهم فى مقاومتك ، وحينئذ بطل اعتمادهم على رؤية العيون واعتمدوا على رؤية القلب : أى صاروا يرجعون فى الرأى إلى ما علموه بقلوبهم وعقولهم من قوة بطشك ، لا إلى ما يرون من كثرة عددهم وأحلافهم . قال الواحدى : ولا تناقض بين قوله غرت العيون الرجال وبين قوله والعيان الجلى ، لأن قوله غرت العيون : أى قبل التجربة ، وأما ذاك فإنما يعنى بعد التجربة .

(٤) لاقتك : من اللقاء ؛ والطرف : العين ؛ ورنا إليه يرنو رنوا : إذا أدام النظر وسنعود إلى توفية مادة «رنا» حقها بعد شرح البيت ؛ وآل : رجع . يقول : إن العين التى تأملتك لا يجترى صاحبها على ملاقاتك ومواقعتك لما يرى من هيبتك وأفعالك .

مَا يَشْكُ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الْجَيْشِ فَهَلْ يَبْعَثُ الْجَيْشُ نَوَالًا^(١)

وإذا رنت إليك وأدامت النظر لم يجترأ صاحبها على العود إليك خوفا ورهبا ؛ وهنا يقول الواحدى : هذا متناقض الظاهر ، لأنه أنكر أن تديم عين النظر إليه في الصراع الأول ، وأنكر في الثانى أن يعود طرف رنا إليه ولم يشخص ، ثم قال : لعل هذا يحمل على عيون الأعداء والأولياء ؛ فعين العدو لا تديم النظر إليه هية له ، وعين الولى تتحير فيه وتبقى شاخصة ، فلا ترجع إلى صاحبها . وقال فى لا تكتك : إنه من لاق الشيء وألاقه إذا أمسكه ، ثم قال : وهذا بما لم يتكلم فيه أحدمن الشراح . وما أعرف ما علق العكبرى على كلام الواحدى هذا ، قال العكبرى : وصدق الواحدى فى قوله ، لان أحدا من الشراح لا يستحسن أن يقول مثل هذا . ولعمد بعد هذا إلى «رنا» قال الجوهري : يقال أرنا فى حسن ما رأيت . أى حملنى على الرنو ، أى إدامة النظر ، ومن هذا يقال كأس رنونة أى دأمة على الشرب ساكنة ووزنها فعللة ؛ قال ابن أحمر :

مدت عليه الملك أطنا بها كأس رنونة وطرف طمر^(١)

(١) اللعين : يعنى ملك الروم ، والنوال : العطاء ، وهو حال . وقوله فهل يبعث الجيوش نوالا : هو استفهام تجهل ، لأنه علم أنه لا يبعث الجيوش نوالا ، لكن لما

(١) قبل البيت :

إن امرأ القيس على عهدِه
وأول الشعر :

قد بكرت عاذلتى بمكرّة

وإنما العيش برّبانِه ، وأنت من أفنانه مقتفر

ومنها :

إن الفتى يقتتر بعد الغنى

والحى كلميت ويبقى التقي ، ويفتنى من بعد ما يفتقر

قوله : وإنما العيش الخ : يريد أن عاذلته قالت له قد شهرت بالصبا وأنت مسن به ؛ وإنما الصبا والعيش بأوله وجدته أزمان أنت من أفنانه أى من نواحيه واحدها فنن - مقتفر ؛ أى واجد ما طلبت ، يقال خرج فلان فى طلب إبله فاقتر آثارها ؛ أى وجد آثارها فاتبعها . وقوله مدت عليه الملك الخ ؛ أراد مدت كأس نونة عليه أطنا الملك ، فذكر الملك ثم ذكر أطناها ، وفى اللسان أبيات غير ما ذكرنا من هذا الشعر فانظرو

مَا لَمْ يَنْصَبِ الْحَبَائِلَ فِي الْأَرْضِ وَمَرَجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الْهَلَالَ^(١)
إِنَّ دُونََ الَّتِي عَلَى الدَّزْبِ وَالْأَخْدَبِ وَالنَّهْرِ مِزْيَالًا^(٢)

كانت الحالة توجب هذه الشبهة قال ذلك . يقول : إن كل جيش يبعث إليك تغنمه وتأتي عليه لا محالة ، فهل يبعث الجيوش إليك لتأخذها ولتكون عطاء لك ؟ أى ليس لإرسالها معنى إلا هذا . وهذا مثل قوله :

* وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى *

(١) ما : استفهام تعجب مبتدأ ، والخبر : الظرف بعده ، والحبال : جمع حباله ، وهى الشرك ، ومرجاه : مصدر ميمي : أى ورجاؤه . والواو : واو الحال . يقول : ما لهذا الذى ينصب فى الأرض حباله ورجاؤه أن يصيد الهلال ؟ وهذا استفهام تعجب ، يتعجب من حماقة من يفعل هذا ، وهذا مثل يريد به امتناع سيف الدولة عليه وبعده من أن تناله يد وأن من يبعث إليه الجيوش طمعا فى الظفر به كمن يروم صيد الهلال بحباله ينصبها فى الأرض .

(٢) الدرب : الدخلى إلى بلاد الروم ، ولكنه هنا موضع بعينه ، والأخدب : جبل قرب حصن الحدث ، والنهر : موضع قرب الحصن المذكور ، ويقال رجل مخطط مزيل ومخطط مزيل : يخالط الأمور ثم يزِيلها - أى يفارقها - إلى غيرها ، يوصف به الشجاع الداهية ، وقد وصفوا به الفرس إذا طلبت الخيل الفارة خالطها ، وإذا طلبته وجدته مزِيالا لئلا يحقه ، قال أبو داود الأيادى :

مِخْلَطٌ مَزِيلٌ مِكْرٌ مِفْرٌ أَجُولِيٌّ ذُو مِيعَةٍ إِضْرِيحٌ^(١)

ويريد بالتي على الدرب والأخدب والنهر : قلعة الحدث . يقول : إن دون الوصول إليها رجلا هذه صفته ، يعنى سيف الدولة ؛ وعبارة العكبرى : هذه القلعة دونها ودون الوصول إليها رجل مخطط مزيل كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزِيلها يحمى حريمها ويقاوم الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيل عن أطراف بلاد ، فهو يثق بما يحمىها من هيئته ، مخطط بالأعداء فيها عند قصدهم لها ، سريع لا يتوانى فى سطوته ، فهو وإن بعد أدنته منهم قوته . . .

(١) أجولى : من الجولان فى الحرب . والميعة : النشاط . والإضريح : الجواد الشديد العدو - الجرى -

غَضَبَ الدَّهْرَ وَالْمُلُوكَ عَلَيْهَا، فَبَنَاهَا فِي وَجَنَةِ الدَّهْرِ خَالًا^(١)
 فَهِيَ تَمْشِي مَشَى الْعُرُوسِ اخْتِيَالًا
 وَتَنْشَى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا^(٢)
 وَحَمَاهَا بِكُلِّ مُطَرِّدٍ الْأَكْرُ^(٣) مُبِ جَوْرِ الزَّمَانِ وَالْأَوْجَالِ^(٤)
 وَظَلِي تَعْرِفُ الْحَرَامَ مِنَ الْحِلِّ لَقَدْ أَفْنَتِ الدِّمَاءَ حَلَالًا^(٥)

(١) يقال غصبه على كذا أى قهره عليه . وخالا : حال : أى شبيهة بالخال . يقول إنه استنقذه من أيدى الدهر والملوك وبناهـا ، فكانت خالا فى وجنة الدهر، فكان الدهر تزين بها كما يزين الوجه بالخال . وقال الواحدى : يجوز أن يريد الشهرة كشهرة الخال فى الوجه ويجوز أن يريد ثبوتها ورسوخها ، فيكون كقول مزرد بن ضرار أخى الشاعر :
 فمن أزمه منها بسهم يُلحُح به كشامة وجه ليس للشام غاسل
 وعبارة العكبرى يقول إنه بناها فى وجه الدهر كالخال الذى يزين به الوجه مع مخالفته للونه ويمسحه مع ما ثبت فيه من حسنه ؛ يعنى أن هذه المدينة قد جل قدرها فكان الدهر زين بها وجهه ووسم برفعها نفسه ، وهى استعارة حسنة .
 (٢) اختيالا ودلالا : حالان أو مفعول لهما ، والاختيال : الزهو، والتكبر وتنشـى : يحذف إحدى التائين - أى تنشى . والدلال : الشكل والفتح من دلال المرأة : أى تدللها على زوجها ، وذلك أن تريه جراءة عليه فى تنفج وتشكل كأنها تغالقه ، وليس بها خلاف ؛ لما شبهها بالعروس - لحسنها - جعلها تمشى اختيالا وتنشى دلالا . يقول : لو كانت هذه القلعة تمشى لا ختالت فى مشيها عزة وتكبرا ولندلت على الزمان ، إذ لم يقدر الزمان على إصابتها بسوء والمراد أنها فى عز ونعيم بسيف الدولة .
 (٣) المطرد : المتصل الذى لا عوج فيه . والأكعب : العقد التى تكون بين أنابيب الرمح . والأوجال : المخاوف ، جمع وجل ، وهو الخوف والفرع يقول : ذاد العدو عنها بالرمح فخاها بذلك من ظلم الزمان ومخاوفه .
 (٤) وظي ؛ عطف على كل - فى البيت السابق - والظبي ؛ جمع ظبة ، طرف السيف وطرف السهم ، قال بشامة النهشلى :

إذا الكأمة تنحوا أن ينالهم حدُّ الظبابة وصلناها بأيدينا

وأصل الظبة ؛ ظبو - بوزن صرد - فحذفت الواو وعوض منها الماء ، بالجمع ظبابة وظبون . يقول ؛ وحماها بسيف لا يقتل بها إلا من حل دمه . يعنى الهجوم

فِي خَمِيسٍ مِنَ الْأَسْوَدِ يَبِئْسَ يَفْقَرُ سِنَّ النَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ^(١)
إِنَّمَا أَنْفُسُ الْأَنْبِيَاءِ سَبَاعٌ يَفْقَرُ سِنَّ جَهَنَّمَ وَأَغْتِيَالًا^(٢)
مَنْ أَطَاقَ التَّمَسَّ شَيْءٌ غَلَابًا ، وَأَغْتَصَبَا لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُوءًا^(٣)
كُلُّ غَادٍ لِحَاجَةٍ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْفَضَنُفَرُ الرَّثْبَالَا^(٤)

* * *

وأشباههم من اللعادين ، ونسبة التميز بين الحرام والحلال إلى السيوف مجاز ، إذ الذي يميز بينهما في الحقيقة هم أصحاب السيوف . وقال ابن جني : هذا مثل ضربه ؛ أي سيوفه معودة الضرب ، فهي تعرف - بالدربة - الحلال من الحرام ، وقد رد عليه ابن فورجة قال : العادة والدربة ليستأما يعرف به الحلال والحرام من الناس ، فكيف فيما لا يعقل ؟ وإنما يعنى المتنبي أن سيف الدولة غاز للروم فلا يقتل إلا كافراً قد حل دمه فنسب ذلك إلى سيوفه .

(١) الخميس : الجيش العظيم ، سمى بذلك قيل لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب واليمين واليسرة والساق ، وقيل لأنه يخمس ما يجمد : أي يأخذه . والبئس : الشديد ذو البأس . وقوله والأموال : أي وينتهن الأموال ، فهو من باب * علقها تبنًا وماءً بارداً * كما تقدم ، ولما جعل الخميس من الأسود قال يفقر سن ، دون يفترس .

(٢) أراد بالأنيس - الذي معناه المؤانس - الأنس ، خلاف الوحش ، ويتفارسن : يتقاتلن ، والاغتيال : القتل بالحديعة أو أخذ الإنسان من حيث لا يدرى ، جعل الناس كالسباع - وهى الحيوانات المفترسة - لوجود الاقتراس منهم في الحالين ، مجاهرين ومغتالين ، والبيتان التاليان تأكيد لهذا .

(٣) غلاباً : مغالبة . والاعتصاب : الأخذ بالقهر . يقول : من أمكنه أن ينال من الناس شيئاً غلبة وقهراً لم يتكلف أن يناله بذل السؤال ، قال العكبرى : وهذا من قول الحكم : الغلبة طبع الحياة ؛ والسألة طبع الموت ، والنفس لا تحب الموت فلذلك تحب أخذ الشيء بالغلبة .

(٤) غاد - في الأصل - ذاهب غدوة ، والمراد هنا : مطلق الذهاب ، أي وقت كان في الفضنفر والربال : من أسماء الأسيد ، وجعل الربال وصفا للفضنفر مبالغة كأنه قال : الأسد الشديد : يقول : كل غاد منهم لحاجته يود لو أنه أشد بأساً وقوة ليتناول ما يريد من يأسه وأيده . قال العكبرى : يشير بهذا إلى أن الروم لم يفروا من بين يدي سيف الدولة أنفاً ومكارهه وإنما كان فرارهم فرقا ومحاذرة ، لأن طبائع البشر أن يستعملوا فيما يطلبونه غاية قوتهم ، وأن يتناولوا ذلك بأبلغ قدرتهم .

وأنفذ إليه سيف الدولة ابنه من حلب إلى الكوفة ومعه هدية ، وكان ذلك بعد خروجه من مصر ومفارقه كافوراً ، فقال : يمدحه ، وكتب بها إليه من الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة :

مَالَنَا كُلُّنَا جَوِيَّ يَا رَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ لَلتَّبُولِ^(١)
كُلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثَتْ إِلَيْهَا غَارَ مِنِّي وَخَانَ فِيمَا يَقُولِ^(٢)
أَفْسَدَتْ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَا
هَآ ، وَخَانَتْ قُلُوبُهُنَّ الْعُقُولِ^(٣)
تَشْتَكِي مَا أُشْتُكَيْتُ مِنَ أَلَمِ الشَّوِّ
قِ إِلَيْهَا وَالشَّوْقُ حَيْثُ النَّحْوِلِ^(٤)

(١) كلنا جو : مبتدأ وخبر ، والجملة حالية ، والجوى : الذى أصابه الجوى ، وهو الحرق في القلب من حزن أو عشق . وللتبول . الذى هيمه الحب وأفسده وأسقمه ؛ ينهم رسوله الذى أرسله إلى الحببية بشاركته إياه في حبا . يقول : مالنا أيها الرسول كلانا جو مجعها فأنا الواثق العاشق ، وأنت الرسول قد ملك عليك الحب قلبك ، فما لك تشبهني فيما ألقاه وأقاسيه ؟

(٢) يقول : كلما عاد إلى الرسول من عندها غار منى عليها لأنه رأى حسننها وافتتن مجعها . فحمله ذلك على الغيرة وخان فيما يؤدي من الرسالة إلى منها وإليها منى (٣) الضمير في قلوبهن : يعود إلى العقول ، أى وخانت العقول قلوبهن ، أضمر قبل الذكر ، كما تقول لبس ثوبه زيد ، يقول : أفسدت على عينها بسحرها أمانة الرسول حتى ترك الأمانة في الرسالة حبا لها وحتى خانت العقول قلوبها : أى فارقت العقول القلوب بسببها قال الواحدى : ومعنى خيانة العقول أنها لا تصور للقلوب وجوب حفظ الأمانة لأن الرسول إذا نظر إليها غلبه هواها على الأمانة وغلب عقله ، وهذا كقوله : وما هي إلا لحظة بعد لحظة إذا نزلت في قلبه رحل العقل

(٤) قوله من ألم الشوق : يروى من طرب الشوق ؛ والطرب : خفة تحدث عند الفرح والحزن ، يقول : إن الحببية تشكو من الشوق إلى مثل ما أشكوا إليها ، ثم كفى عن تكذيبها في تلك الشكوى فقال : والشوق حيث النحول ، يعنى أن للشوق دليلا من النحول ، فمن لم يكن ناحلا لم يكن مشتاقا ، يعنى أن نحولى يدل على شوق ، أما أنت فلا نحول ، وبالحرى : لا شوق ، وقال ابن الأثير : «تشتكى» للرسول ، يقول

وَإِذَا خَامَرَ أَلْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ ، قَلْبَهُ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلٌ^(١)
زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنِ وَجْهِكَ مَا دَا

مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ تَحُولُ^(٢)

وَصَلِينَا نَصْلَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ^(٣)

لرسوله - وهو يعاتبه أنت تظهر من شكوى الحب ما أظهره ، وليس كذلك ، وإنما الشوق على حقيقة النحول ، قال بعض الشراح : والأظهر على هذا التفسير أن الاشتكاء هنا بمعنى التألم والتوجع دون الإظهار لأنه لا يتصور من الرسول أن ييوح له بهواها : أى أرى بك من الشوق إليها مثل ما بى لأنك ناحل والنحول يدل على الشوق ، وهذا كالأثبات لما يتهمة به من حبها ، هذا وقوله «حيث النحول» فالنحول مبتدأ ، خبره محذوف ، تقديره موجود ، لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجمل

(١) خامر : خالط ولا بس ؛ والصب : العاشق ؛ والبيت : تأكيد للبيت السابق : أى كل من يراه يستدل برؤيته على أنه عاشق ، وعبرة العكبرى : إذا خالط قلب عجب هوى من محبة فلكه واستولى عليه وغلبه فما يظهر من تغير حاله ، وتبين من تشتت باله ، دليل لكل عين على ما يضره ، وغبر على ما يحبه ويستره

(٢) ما دام ههنا تامة بمعنى ما ثبت ، وتحول تغير وتبدل ، أى زودينا من حسن وجهك غير معرضة ، ومتعينا بالنظر إليه غير مخيبة ، فحسن الوجوه حال تذهب وتحول ويتبدل جمالها ويزول ، لأن الشبيهة يتلوها الكبر ، والاقبال يعقبه التغير والمهرم (٣) نصلك : جواب الأمر ؛ والمقام : مصدر ميمي بمعنى الإقامة ، وقالوا المقام - بالضم والفتح - كل واحد منهما قد يكون بمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم فمفتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم فمضموم ، فإن الفعل إذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم المنم لأنه مشبه بينات الأربع نحو دحرج ، وهذا مدحرجنا وقوله تعالى « لا مقام لكم » أى لا موضع لكم ؛ وقرئ « لا مقام لكم » - بالضم - أى لا إقامة لكم « وحسنت مستقرا ومقاما » : أى موضعا ، وقول لبيد :

عَفَّتِ الدِّيَارُ تَحْلَهَا فَمَقَامُهَا بِمَنَى تَأْبَدَ غَوْلُهَا فَرِجَاهُهَا^(١)

(١) محلها : أى ماحل فيه لأيام معدودة ؛ ومقامها : ما طالت الإقامة به ، و« منى » هنا موضع غير « منى » الحرم ، وتأبد توحش ؛ والقول والرجام جبلان ، والضبير فيهما : للديار .

مَنْ رَأَاهَا بَعَيْنِيهَا شَاقَهُ الْقَطَا نُ فِيهَا كَمَا تَشُوقُ الْحُمُولُ^(١)
إِنْ تَرَيْنِي أُدِمْتُ بَعْدَ بَيَاضٍ فَحَمِيدٌ مِّنَ الْقَنَاةِ الذُّبُولِ^(٢)

يعنى الإقامة ، وقوله عز وجل «كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم»
قيل المقام الكريم : هو المنبر ، وقيل المنزلة الحسنة ،

(١) بعينها : أى بعين الدنيا ؛ والقطان : السكان المقيمون ؛ والحول المرتحلون
المتحملون ، يقول : من نظر إلى الدنيا بالعين التى ينبئ أن ينظر بها إلهارق للباقيين
لقلة مقامهم ووشك فراقهم رفته للماضين الفانين ، أى من عرف الدنيا حق معرفتها يتيقن
أن أهلها راحلون — لا عمالة — فلم يجد بين المقيم والراحل فرقا ، فهذا يشوقه : أى
يستدعى رفته ، وهذا يشوقه لأن الرحيل قد شملها ، وقد كفى عن الرقة بالشوق لأن
الشوق رقة القلب ، وعبرة بعض الشراح : إن المقيم فى الدنيا على وشك تخلّيها
والرحيل عنها ، فمن رآها بعينها أى من صور نفسه فى مكانها ورأى أهلها على أهبة
فراقها : شاقه النظر إليهم ، كما يشوقه النظر إلى حوّل الراحلين ، وقد فسرنا الحول
بالمتحملين الراحلين ، ولكن الحول فى الأصل : الإبل عليها الهوداج والانتقال ،
وهى أيضا الهوداج ، كان فيها النساء أو لم تكن ، وتطلق الحول أيضا على النساء
المتحملات كقول معمر :

أَمِنْ آلِ شَتَاءِ الْحُمُولِ الْبَوَاكِرُ مَعَ الصُّبْحِ قَدْ زَالَتْ بَيْنَ الْأَبَاغُرِ
وإذا أبقيت الحول على معنى الإبل عليها الهوداج ، أو الهوداج ، كان الكلام على
حذف مضاف : أى ذوو الحول .

(٢) آدم : شحب لونه وتغير ونزع إلى السواد ظاهره ، من الأدمة ، وهى السمرة
ويقال آدم وأدم بكسر الدال وضمتها . والقناة : عود الرمح : والذبول اليبس والدقة .
يقول : إن غيرت الأسفار وجهى حتى صرت آدم بعد بياض الوجه ، فليس ذلك بعاد
فى ، كما أن الذبول وإن كان مذموما فى غير القناة فإنه محمود فيها ، لأنه آية صلاحها
كما قال أبو تمام :

لَأَنْتَ مَهْزَنَةٌ فَعَزَّ وَإِنَّمَا يَشْتَدُّ رَأْسُ الرُّمَحِ حِينَ يَلْبِسُ

وعبرة بعض الشراح : يمدح نفسه بقلة الفكرة فى تغير لونه بعد بياضه ونضرتة :
أى تغيرت بعد حسن وشبيبة وذلك لما عاينته من الأسفار وتقلبت فيه من الأحوال ،
وأنا فى ذلك مثل الرمح الذى تعرب سمرته عن عتقه ، وتدل ذبولته على صلاحته وصدقه .

وَكَثِيرٌ مِّنَ السُّؤَالِ أَشْدِيْقٌ وَكَثِيرٌ مِّن رَّدِّهِ تَفْلِيلٌ^(١)
لَا أَفْمَنًا عَلَى مَكَانٍ وَإِنْ طَا
بَ وَلَا يُمَكِّنُ الْمَكَانَ الرَّحِيلُ^(٢)

إليه — كما قال في البيت التالي — فإن الإنسان إذا أحب شيئاً أكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه ، كما قال بشر بن أبي خازم :

أَسْأَلُ صَاحِبِي وَلَقَدْ أَرَانِي بِصِيرًا بِالظَّعْمَانِ حَيْثُ صَارُوا
وكما قال الآخر :

وَحَبَّرَنِي عَنْ مَجْلِسِ كَفْتِ زَيْنِهِ بِخَضِرَةِ قَوْمٍ وَالْمَلَاءِ شُهُودُ
فَقُلْتُ لَهُ كَرَّ الْحَدِيثِ الَّذِي مَضَى وَذَكَرَكَ مِنْ كَرِّ الْحَدِيثِ أُرِيدُ
أَنَا شِدَّهُ إِلَّا أَعَادَ حَدِيثَهُ كَأَنِّي بَعِطِيءُ الْفَهْمِ حِينَ يُعِيدُ
ورواية ابن جني :

* أطويل طريقنا أم يطول *

يعنى أطويل طريقنا في الحقيقة أم يطول من الشوق ؟

(١) علله بالشئ : ألماه به ، يقول : إن كثيراً من السؤال يكون سببه الاشتياق ، وكثيراً من رد السؤال يكون تطييباً للسائل ، يريد أن الذي حملني على السؤال عن الطريق هو الاشتياق وترقب جواب أتعلم به عن طول الطرق .

(٢) لا أقمنا : معناه لم نقيم ، كقوله تعالى « فلا صدق ولا صلى » . يقول : لم نقيم في الطريق إليه بمكان وإن طاب ذلك للمكان لئلا يؤخرنا عن الوصول ، ثم قال : ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطييه . يريد لم نبال براحة ولا لذة حتى نصل إلى المكان الذي نقصده ، وإليك بعد هذا تعليقات سائر الشراح على هذا البيت ، قال ابن القطاع وقد دخل فيه كلام العكبري : المعنى لا نقيم على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل : أى لا نقيم ألبتة لأن المكان لا يرحل معنا فلا نقيم على مكان أبداً حتى تلقاه إلا أن يسير المكان معنا ، فكذلك نحن لا نقيم في مكان وإن طاب ، وقيل نفي النفي إثبات في كلام العرب ، فكأنه : قال : لا نقيم في مكان إلا أن يرحل معنا ، وهذا مثل قول الفرزدق :

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَشْمِيُوا سَيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرِ الْقَتْلَى بِهَا حِينَ سُلَّتِ^(١)
 قيل معناه لم يشموا سيوفهم إلا بعد أن كثرت القتلى ، وفي البيت معنى آخر ، وهو
 وهو على التقرير بأن تقرر صفة الشيء ، وللمراد ضده ، فكأنه قال : لم يشموا ولم
 تكثر القتلى : أى كثرت جدا ، ومنه قول الشنفرى :

صَلَيْتُ مِنْ هُذَيْلٍ بِحَرْقٍ لَا يَمَلُ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلَّوْا^(٢)

معناه على مذهب التقرير لا يمل الشر وإن ملوه ، وقد جاء في الحديث « إن الله
 لا يمل حتى تملوا »^(٣) معناه لا يجازيكم جزاء الملل وإن ملتم ؛ وجاء في الحديث
 « وإن صهييا لو لم يخف الله لم يعصه »^(٤) معناه لو لم يخف : أى آمن ، فكأنه قيل لو آمن
 الله ما عصاه ، وفيه معنى آخر وهو أن نفي النفي إيجاب فيكون التقدير : إن صهييا لو آمن
 الله ما عصاه : أى لم يعصه ، وعلى مذهب التقرير : لو لم يخف الله ما عصاه : أى لم يعصه
 أبداً ، وفيه معنى آخر ، وهو أن « لو » في الكلام تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره
 فيكون المعنى : العصيان امتنع لأجل الخوف : أى لما خاف لم يعص ، والمعنى الأول
 وما بعده أبلغ من هذا ، لأن معناه لو آمن الله ما عصاه . ومعنى هذا الآخر أن العصيان
 امتنع من أجل الخوف .. وقال الواحدي : قوله « لا أقنأ » يجوز أن يكون على الدعاء
 كما تقول : لافض الله فاك ، وقال ابن جني : يجوز أن يكون على القسم : أى والله

(١) لم يشموا سيوفهم - هنا - لم يعمدوها ، قال ابن برى : الواو في قوله « ولم »
 واو الحال : أى لم يعمدوها ، والقتلى بها لم تكثر ، وإنما يعمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٢) الحرق ؛ النار وصلى بالنار : قاسى حرها : والمراد : لاقت منى شدة .

(٣) الحديث هو : « اكلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا »
 قيل معناه : إن الله لا يمل أبداً : ملتم أو لم تملوا ؛ جري جري قولهم حتى يشهب
 الغراب ويبيض الفار ؛ وقيل معناه . إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل وترهثوا
 في الرغبة إليه ، فسمى الفطين ملأ وكلاهما ليس بملل كمادة العرب في وضع الفعل
 موضع الفعل إذا وافق معناه ، نحو قول عدي بن زيد :

نَمِ أَصْحَوَا لَعِبَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَاكَ الدَّهْرُ يَوْدِي بِالرِّجَالِ

(٤) هو صهيب بن سنان : مولى عبد الله بن جدعان التيمي ، صحابي ، من أولاد
 النمر ابن قاسط .

كَلَّمَا رَحَّبْتَ بِنَا الرُّوضُ قُلْنَا حَلَبٌ قَصْدُنَا وَأَنْتِ السَّبِيلُ^(١)
فِيكَ مَرْعَى جِيَادِنَا وَالْمَطَايَا وَإِلَيْهَا وَجِيفُنَا وَالذَّمِيلُ^(٢)
وَالْمُسَمُونِ بِالْأَمِيرِ كَثِيرٌ وَالْأَمِيرُ الَّذِي بِهَا الْمَأْمُولُ
الَّذِي زُلْتُ عَنْهُ شَرْقًا وَغَرْبًا وَنَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ^(٣)
وَمَعِيَ أَيْنَمَا سَلَكَتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهِ لَهْ بَوَجْهِهِ كَفِيلُ^(٤)

لا أقنأ ، وقالا تعليقا على قوله « ولا يمكن المكان الرحيل » : أى لو أمكنه لا ارتحل
منا شوقا إليه : أى إلى سيف الدولة .

(١) يقول : كلما طاب لنا مكان كأنه يرحب بنا بما يبدى من حسنه وما يستميلنا به
من وروده وأزهاره ، فكأنه يدعونا للنزول به ، اعتذرنا إليه وقتلنا له
لا نقيم عندك ، لأن قصدنا حلب — مقام سيف الدولة — وأنت المر فلا تقدر أن
تقيم عندك وإن كنت طيبا ؛ ورحب به : قل له مرحبا ؛ والروض : جمع روضة ،
المكان فيه خضر .

(٢) الجياد : الخيل : والمطايا : الإبل . والضمير في « إليها » حلب . والوجيف :
ضرب من سير الخيل سريع ، والذميل : ضرب من سير الإبل . يقول — مخاطبا
الروض — : فيك مرعى مطايانا وبك نستعين على ما نحاوله من سيرنا ، وإلى حلب
نوجف مسرعين ؛ وإليها نبادر غير متوقفين :

(٣) زلت عنه : فارقت . يقول : الذى سافرت عنه شرقا وغربا ولم يفارقنى عطاؤه
فهو مقابلي حيثما كنت ، وإنما قال هذا لأن سيف الدولة أنقذ إليه هدية عند وروده
للعراق — كما تقدم — وهذا مثل قوله فيه :

ومن فرّ من إحسانٍ حسداً له تلقاه منه حيثما سار نائل

(٤) الوجه : ما توجهت إليه ، والضمير في « له » لندى . والكفيل : الضامن .

جعل إهلاكه إياهم لعبا ؛ وقيل معناه . إن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا
سؤاله ، فسمى قبل الله ملاطى طريق الازدواج في الكلام ، كقوله تعالى « وجزاء
سيئة سيئة مثله » وقوله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهو باب واسع في العربية
كثير في القوآن .

وَإِذَا الْعَدْلُ فِي النَّدَا زَارَ مَمَّا فَعَدَاهُ الْعَدُولُ وَالْمَعْدُولُ^(١)
وَمَوَالِهِ تَحِيَّيُهُمْ مِنْ يَدَيْهِ نَعَمْ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ^(٢)
فَرَسٌ سَابِقٌ وَرُمَحٌ طَوِيلٌ وَدِلَاصٌ زُغْفٌ وَسَيْفٌ صَمِيلُ^(٣)

يقول : ونداه معى فى أى طريق سلكته ، فكأن كل جهة من الأرض ضامنة لنداه فى وجهى : أى أمانى ، وهذا فيمن يعدى « كفيل » بنفسه ، فتكون السلام من « له » « للتعوية » والباء بمعنى فى ؛ كذا يروى هذا البيت ؛ ولعل الرواية الصحيحة : به لوجهى أى كأن كل جهة كافلة لوجهى بقاء نداء . وقال الواحدى : يريد لزوم عطائه إياه وأنه لا يتوجه وجهها إلا واجهه جوده ، فكأن كل طريق يتوجه إليه كفيل لنداه بوجهه ، وهذا محمول على القلب ؛ أراد كفيل لى بوجه نداء يرينيه ويأتينى به ، والقلب شائع فى الكلام كثير فى الشعر . يقول : كل وجه توجهته كفيل لى بوجه نداء ويصح المعنى من غير حمل اللفظ على القلب ، وذلك أن من واجهك فقد واجهته ، ومن استقبلك فقد استقبلته ، والأفعال المشتركة فيها يستوى المعنى فى إسنادها إلى الفاعل وإلى المفعول ، كما تقول لقيت زيدا ، ولقينى زيد ، وأصبت مالا ، وأصابنى مال ؛ وإذا كان للندى كفيل بوجهه كان لوجهه كفيل بالندى . وقال ابن الأفلح : يقول : كل وجهة أقصدها تتكفل بى لسيف الدولة مزعجة لى إليه وتضمننى له بكثرة الخوض عليه .

(١) العدل : اللوم . يريد أنه لا يسمع العدل على الجود ، أما غيره فإنه يسمع : يقول إذا عدل جواد على الجود فسمع ذلك ووعاه فعداه هذا المدوح الأجواد والعاذلون . وقال ابن فورجه : يريد فداؤك كل من عدل فى جوده فسمعه أو رده لأنك فوقه جوداً . وعبارة بعض الشراح : أى فداء كل عاذل ، لأنه مردود عنده ، وكل معذول ؛ لأنه فوقه فى الجود .

(٢) وموال : عطف على العدول ؛ والموالى : العبيد ، والأولياء . يقول ؛ وفدته موال حياتهم من إنعامه عليهم ، وغيرهم مقتول بذلك الإنعام ، لأن مواله يستخدمون نعمه فى قتل أعدائه ، وقد بين تلك النعم فى البيت التالى ؛ وعبارة العكبرى : وفداء موال شملتهم مكارمه وأحيتهم مواهبه ، ومن جملة تلك المواهب ما غيرهم من أعدائه مقتول بها ، يريد أنه يسلبها من الأعداء ويعطيها الأولياء ؛ فالموالى : الأولياء . وقال ابن جنى : الموالى ههنا العبيد ؛ أى ينعم على العبيد وغيرهم بتلك النعم مقتول حسداً .

(٣) فرس سابق : بدل من نعم ؛ ويروى « سابع » بدل « سابق » ؛ والسابع : السريع الجرى كأنه يسبح . والدلاص : الدرع البراقة للمساء . والزغف : اللينة

كَلَمَّا صَبَحَتْ دِيَارَ عَدُوٍّ
 قَالَ تِلْكَ الْغُيُوثُ هَذِي السُّيُولُ^(١)
 دَهَمَتْهُ تَطَايِيرُ الزَّرْدِ الْمُحْكَمِ عَنْهُ كَمَا يَطْمِيرُ النَّسِيلُ^(٢)
 تَقْنِصُ الْخَيْلِ خَيْلَهُ قَنْصَ الْوَحْشِ وَيَسْتَأْسِرُ الْخَمِيسَ الرَّعِيلُ^(٣)
 وَإِذَا الْحَرْبُ أَغْرَضَتْ زَعَمَ النَّهْوِ
 لُ لِعَيْنَيْهِ أَنَّهُ تَهْوِيلُ^(٤)

الحكمة النسيج : يقول : إنه يعطى عبيده هذه الأشياء فتصير غونا لهم على قتل أعدائه قال العسكري : فهو معنى قوله : غيرهم بها مقتول : فبين ما يهيه بأنه من الخيل والسلاح مما يؤذن للذي يهيه له بمقارعة الأعداء ؛ والتوطين على الصبر عند اللقاء .

(١) صبحت : جاءت صباحاً ؛ وفاعل قال : تلك ؛ والغوث : الأمطار ؛ وهذه السيول : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ؛ أى كلما صبحت مواله ديار عدو فصبت عليهم الغارة قالت غيوث مواهبه : هذه سيولنا ، شبه مواهبه المذكورة بالمطر ، والغارة بها على العدو بالسيل الذى يكون عن المطر ؛ وقال الواحدى : أى كلما أتت مواله ديار عدو صباحا للغارة ، قال العدو تلك التى رأيناها قبل ، كانت بالإضافة إلى هؤلاء غيونا بالإضافة إلى السيول ؛ يريد كثرة مواله . وقال ابن جنى : هذا مثل ، وعنى بالغوث سيف الدولة ؛ وبالسيول : مواله ، وذلك أن السيل يكون عن الغيث ، وكذلك مواله به قدروا وعزوا .

(٢) دهمته : فاجأته ، والهاء : للعدو . والزرد : حلق الدرع ؛ والمحكم : الوثق الصنعة . والنسيل ما يتساقط من ريش الطير ووبر البعير وغيره . وغيره . يقول : فاجأت الموالى العدو بقوة من الضرب تهتك الدروع فيتطاير زردها كما يطير الريش إذا سقط من الطير .

(٣) قنص الوحش : مفعول مطلق ، ويستأسر : يأسر ، والخميس : الجيش العظيم من خمس فرق القلب والجناحين والمقدمة والساقة . والرعيل : القطعة من الخيل بين العشرين والثلاثين ، يقول : إن خيله تصيد خيل العدو كما تصيد الوحش ؛ والقتيل من جيشه يأسر الجيش الكثير . يشير إلى أنه سعيد موفق وأن توفيقه كثير له بذلك .

(٤) أعرضت : ظهرت وقامت . والحرب : فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور

وَإِذَا صَحَّ فَالزَّمانُ صَحِيحٌ وَإِذَا أَعْتَلَّ فَالزَّمانُ عَلِيلٌ^(١)
وَإِذَا غَابَ وَجْهُهُ عَنْ مَكَانٍ قَبِيهِ مِنْ ثَنَاهُ وَجْهُ جَمِيلٍ^(٢)
لَيْسَ إِلَّاكَ يَا عَلِيُّ هَامٌ سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مُسْلُولٌ^(٣)
كَيْفَ لَا يَأْمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرُ وَسَرَائِكَ دُونَهَا وَأَنْخِيلُ^(٤)
لَوْ تَحَرَّفَتْ عَنْ طَرِيقِ الْأَعَادِي رَبَطَ السِّدْرُ خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ^(٥)

بعده ؛ والهلول : الفزع ؛ والتهويل : التفريع ؛ والضمير في أنه : للهلول . يقول : إذا قامت الحرب وظهرت لم تهله ؛ وزعم الهول لعينه أنه تهويل لا حقيقة له ، يعني أنه لا يفزعه شيء يراه ، فكان الهول يقول له : لا يهولك ما ترى ، وذلك أن التهويل يكون بالكلام ؛ وبعبارة أخرى : إذا قامت الحرب لم يبال بها يرى من أهوالها ، فكان الهول يظهر لعينه في صورة التهويل ؛ يعني أنه يستخف بالهول ويقدم عليه كأنه تهويل لا حقيقة له . و يروى بدل « أنه » أنها ، فيكون الضمير للحرب :

(١) يقول : هو الزمان فصحة الصحة الزمان وكذلك علته ؛ يريد أن الزمان تابع لحاله ، صائر إلى مثل مآله . وهذا كما يروى عن معاوية أنه قال : نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع . وروى أنه سمع رجلا يذم الزمان ، فقال : لو يعلم ما يقول لضربت عنقه ، إن الزمان هو السلطان :

(٢) ثناه : يروى ثناه ؛ والنثا : الخبر ، وهو ما ينقضي — أى ينثر — من حديث ، وهو بمعنى الثناء ، يقول : بكل مكان يسمع له خبر جميل ، وبعبارة العكبرى ؛ إذا غاب عن مكان وجهه وانتقل إلى غيره شخصه ، ففي المكان الذي يفارقه من طيب خبره وكرم أثره وجه جميل لا يعدم ، وذكر كريم لا يفقد :

(٣) الهمام : الملك العظيم : يقول : ليس أحد من الملوك بقي عرضه بسيفه غيرك : أى أمت الشجاع دونهم ، هذا : وكان الأجود أن يقول إلا إياك ، ولكنه أتى بالضمير للتصل في موضع المنفصل وهو جائز في ضرورة الشعر :

(٤) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش مابين خمس وتسعين إلى ثلاثمائة ، وقوله ودونها : أى دون بلاد العراق وبلاد مصر ، يقول : كيف لا تأمن ديار المسلمين وأنت في وجه الروم تدفعهم عنها بجيوشك وخيولك ، ولولاك لا ستمسحت تلك الديار :

(٥) تحرفت : انحرفت وملت ، والسدر : شجر النبق ، يقول : لو ملت عن

وَدَرَى مَنْ أَعَزَّهُ الدَّفْعُ عَنْهُ فِيهِمَا أَنَّهُ الْحَقِيرُ الدَّلِيلُ^(١)
 أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلرُّومِ غَايَ فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُنُولُ^(٢)
 وَسِوَى الرُّومِ خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ قَتَلَى أَىَّ جَانِبَيْكَ تَمِيلُ^(٣)
 قَمَدَ النَّاسِ كُلَّهُمْ عَنْ مَسَاعِيكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ^(٤)

طريق الروم لساووا فأوغلوا في ديار العرب دون أن يقف في طريقهم أحد حتى يربطون خيولهم بالسدر والنخيل التي بالعراق ومصر ؛ يعنى : لولا ذودك عن هذه الممالك للمكثها الأعداء ، يريد بهذا : الغض عن العراق ومصر من الملوك والرفع من شأن سيف الدولة ، هذا : وقد أسند الفعل للسدر والنخيل توسعاً ، لأنها هي المسكة إذا ربطت الخيل إليها ، فكأنها ربطتها ، وهذا كما تقول أحلى بلد كذا : أى حلت فيه ؛ وعبرة ابن جنى : هو من باب القلب كقولك ساءنى أمر كذا أى وقع السوء فيه ، وفيه معنى آخر وهو أنه وصف سيف الدولة بالسعادة حتى لو تحرف عن طرق من يعاديه لربط السدر والنخيل خيولهم كقول الآخر :

تَرَكُوا جَارِمَ يَأْكُلُهُ ضَبْعُ الْوَادَى وَيَرْمِيهِ الشَّجَرُ

(١) درى : عطف على ربط ؛ وفيهما : أى فى العراق ومصر ، يقول : ولو تحرفت عن طريق الأعداء لعلم من أعزّه دفعك عنه من ملوك العراق ومصر - يعنى كافوراً وآل بويه - أنه حقير ذليل بغلبة العدو إياه ، فلولاك لأتاه العدو فرأى نفسه حقيراً ذليلاً :

(٢) أن يكون : أى بأن يكون - أى يحصل - القنول ، أى الرجوع ؛ فـ «يكون» : تامة يشير إلى أن غزواته لا تنقطع

(٣) سوى : استثناء مقدم ؛ وخلف ظهره روم : مبتدأ وخبر ، أى أن خلف ظهره روما سوى الروم - يريد آل بويه - أى أن هناك أعداء لك كالروم ، فليس أعداؤك الروم حسب ، وإنما أعداؤك كثير فأبهم تقاتل ؟

(٤) المساعى : جمع مسعاة ، المكreme والمعلقة فى أنواع المجد والجود والقنا : الرماح والنصول : جمع نصل ، حد السيف ، يقول : لم يبلغ أحد من الملوك مساعيك التى قامت بها رماحك وسيوفك

مَا الَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الْمَنَايَا كَالَّذِي عِنْدَهُ تُدَارُ الشُّمُولُ^(١)
لَسْتُ أَرْضَى بِأَنْ تَكُونَ جَوَادًا وَزَمَانِي بِأَنْ أَرَاكَ بِخَيْلٍ^(٢)
نَفْسَ الْبَعْدُ هُنَاكَ قُرْبَ الْعَطَايَا مَرَّتَيْنِ مُخَصَّبٌ وَجِسْنِي هَزِيلٍ^(٣)
إِنْ تَبَوَّأْتُ غَيْرَ دُنْيَايَ دَارًا وَأَتَانِي نَيْلٌ فَأَنْتَ الْمُنِيلُ^(٤)
مِنْ عَبِيدِي إِنْ عِشْتُ لِي أَلْفُ كَافُو
رِي وَلِي مِنْ نَدَاكَ رِيْفٌ وَنَيْلٌ^(٥)
مَا أَبَالِي إِذَا انْقَتَكَ الرَّزَايَا مِنْ دَهْتِهِ حُبُولَهَا وَأُحْبُولُ^(٦)

- (١) المنايا : جمع منية ، وهى الموت . والشمول : الحذر ، يقول : إن غيره من الملوك يشغلون باللهو وشرب الخمر . أما هو فمشغله الشاغل الحرب .
- (٢) وزمانى الخ : حال . وبأن أراك : متعلق بـ « بخيل » . يقول : لا أَرْضَى بِأَنْ يَصِلَ إِلَى عَطَاؤِكَ وَأَنَا بَعِيدُ عَنْكَ لَا أَرَاكَ .
- (٣) المرتع ؛ المرعى ؛ والتنقيص : التسكين ؛ والهزيل : ضد السمين ، يقول : أَنَا فِي قُرْبِ عَطَائِكَ مَنِ وَبَعْدِي عَنْكَ كَمَنْ يَرْتَعُ فِي مَكَانٍ مُخَصَّبٍ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مَهْزُولٌ : أَيْ لَسْتُ أَهْنَأُ بِعَطَائِكَ مَعَ الْبَعْدِ عَنْ لِقَائِكَ :
- (٤) تبوأ المسكن ، نزل به ، والنيل : العطاء ؛ والمنيل : المعطى . يقول : إِنْ عَطَايَاهُ تَبَعَهُ حَيْثَا سَارَ . فَلَوْ هُوَ أَخَذَ دَارًا غَيْرَ الدُّنْيَا وَوَصَلَتْ إِلَيْهِ عَطِيَّةٌ لَكَانَ سَيْفُ الدُّوَلَةِ هُوَ مُعْطِيهَا
- (٥) يقول : إِذَا عِشْتُ وَبَقِيتُ حَيًّا كَانَ لِي مِنَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ تَهْتَمُّ لِي أَلْفُ عَبْدٍ مِثْلُ كَلْبُورٍ الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ وَاحْتَوَيْتَ الْبَقَاءَ فِي جَمَلَتِهِ ، وَكَانَ لِي مِنْ نَدَاكَ وَجُودِكَ عَوَضٌ مِنْ رِيْفِ مِصْرٍ وَنَهْلِهَا الَّذِينَ يَهْمَا شَرَفَ بِلَدِهِ وَفِيهِمَا بَسَطَتْ يَدَهُ
- (٦) انقَتَكَ : اجتبكت ؛ والرزايا ، جمع رزية ، وهى المصيبة ؛ والحبول : الدواهي ، جمع حبل - بكسر الحاء - أنشد المفضل :

وقال في صباه وقد قيل له وهو في المكتب ما أحسن هذه الوفرة :

لَا تَحْسُنُ الْوَفْرَةَ حَتَّى تَرَى مَنَشُورَةَ الضَّفَرَيْنِ يَوْمَ الْقِتَالِ^(١)
عَلَى فَتَى مُعْتَقِلٍ صَعْدَةٍ يَعْلَمُهَا مِنْ كُلِّ وَاقِي السَّبَالِ^(٢)

* * *

فَيَا عَجَبًا لِلْخَوْدِ تُبْدِي قِنَاعَهَا تَرَأَى بِالْعَيْنِينَ لِلرَّجُلِ الْحَبْلِ^(١)
وقال الأخطل :

وَكُنْتُ سَلِيمَ الْقَلْبِ حَتَّى أَصَابَنِي مِنَ اللَّامِعَاتِ الْمُفْرِقَاتِ حُبُولٌ
وقال كثير :

فَلَا تَعْجَلِي يَا عَزَّ أَنْ تَقْنَهِي بِنَصْحِ أُنَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ
والحبول : جمع خبل ، مصدر خبله : إذا أفسد من أعضائه أو عقله ، والخابل :
الشیطان ؛ والخابل : للفسد ؛ والخابلان : الليل والنهار لأنهما لا يأتیان على أحد إلا
خبلاه بهرم ؛ وفي الحديث « وبطانة لا تألوه خبالا » أى لا تقصر فى إفساد أمره ؛
وقالوا خبل خابل : يذهبون إلى البالغة ، قال :

نُدَافِيعُ قَوْمًا مُقْضِينَ عَلَيْكُمْ فَعَلْتُمْ بِهِمْ خَبَلًا مِنَ الشَّرِّ خَابِلًا
يقول : إذا خطتلك الرزايا ولم تصبك الأقدار بسوء فلا أبالي من أصابته دواهيته
وآفاته ، لأن أملى إنما هو معقود بك .

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ؛ والضفر : الشد ، ويسمى ما يشد على
الرأس من الذوائب : الضفائر ، ومن سماها الضفر : فقد سمى بالمصدر .

يقول : إنما يحسن الشعر يوم القتال إذا نشرت ذوائبه ؛ يعنى بهذا أنه شجاع
صاحب حروب يستحسن شعره إذا انتشر على ظهره يوم القتال ، وكانوا يفعلون ذلك
تهويلا للعدو .

(٢) على فتى : متعلق بـ « منشورة » - فى البيت السابق - وهو عاب فى الشعر يسمى
التضمين . والصعدة : الرمح القصير ، يقال اعتقل الرمح وتنسكب القوس وتقلد السيف
إذا حمل كلامها حمل مثلها : ومعنى يعلمها : يسقيها الدم مرة بعد أخرى ، ومن كل وافي

(١) يقال : رأأت بهينها : إذا أدارتها ، تعمر الرجل :

وقال في صباه :

مُحِبِّي قِيَامِي مَا لِذَا لِكُمُ النَّصْلِ بَرِيئًا مِّنَ الْجُرْحَى سَلِيمًا مِّنَ الْقَتْلِ ^(١)
أَرَى مِنْ فِرْنَدَى قِطْعَةً فِي فِرْنَدِهِ
وَجَوْدَةُ ضَرَبِ الْهَامِ فِي جَوْدَةِ الصَّقْلِ ^(٢)
وَحُضْرَةُ ثَوْبِ الْعَيْشِ فِي الْحُضْرَةِ الَّتِي
أُرْتِكَ أَحْمَرَارَ الْمَوْتِ فِي مَدْرَجِ النَّثْلِ ^(٣)

السبال : أى يعلمها من كل رجل تام السبلة وهى ما استرسل من مقدم اللحية . يقول :
إنما يحسن شعرى إذا كنت على هذه الحالة .

(١) بريئاً وسلياً : حالان ؛ ومحبي قياى ، منادى والنصل . السيف ، يقول : يامن
يحب مقامى وتركى الأسفار كيف أقيم ولم أرح بنصلى أعدائى . وقال الواحدى :
القيام هنا قيام إلى الشئ أو بالشئ . يقول : أيها المحبون قياى إلى الحرب أو بالحرب
ما لنصلكم لا يقتل ولا يجرح وليس فيه آثار الضرب : أى لم لا تعينونى بالسيف إن
أحببتم قياى ؟

(٢) فرندى : يروى بفتح الراء وكسرهما ، معرب معناه ، ما يستدل به على جودة
الحديد كالآثار والنقط ؛ والهام : الرؤوس ؛ والنصل ، السيف يقول ، أرى من قوتى
ونشاطى قطعة فى فرند هذا السيف : أى أن له حدة ومضاء كحدتى ومضائى ، ثم قال إن
جودة الضرب فى جودة الصقل ؛ أى إذا لم يكن السيف جيد الصقل لم يجد به الضرب ، وهذا
تمثيل يريد كثرة الأسفار وتمرسه بالخطوب وأنها تنصل الهم وتورثها مضاء كالصقل للسيف
(٣) المراد بخضرة ثوب العيش : النعمة والحصب ، استعارة من خضرة النبات ،
والنبات إذا كان أخضر كان رطباً ناعماً . وقوله فى الحضرة الخ : يعنى خضرة السيف ،
ويحمد من السيوف ما كان مشرباً خضرة ؛ قال الشاعر :

مُهَنْدٌ كَأَنَّمَا طَابِعُهُ أَشْرَبُهُ بِالْهِنْدِ مَاءُ الْهِنْدِ بَا ^(١)

وقال البحتري :

حَمَلَتْ حَائِلُهُ الْقَدِيمَةَ بِقَلَّةٍ مِنْ عَهْدِ عَادٍ غَضَّةٌ لَمْ تَذُبْلِ

(١) ما - بفتح الدال - مقصور ، نبت معروف يؤكل

أَمِطْ عَنْكَ تَشْبِيهِي بِمَا وَكَأَنَّهُ فَمَا أَحَدٌ فَوْقِي وَلَا أَحَدٌ مِثْلِي ^(١)
وَذَرْنِي وَإِيَّاهُ وَطَرَفِي وَذَائِلِي
نَكُنْ وَاحِدًا يَلْقَى الْوَرَى وَأَنْظُرَنْ فِئْلِي ^(٢)
* * *

واحمرار الموت : شدته ، يقال موت أحمر : أى شديد ، وأصله من القتل وسيلان الدم . ومدرج النمل : مدبه ، وهو حيث درج فيه بقوائمه فأثر فيه آثاراً دقيقة . جعل النصل مدرج النمل لما فيه من آثار الفرند . يقول : طيب العيش وهناؤه فى السيف ، أى فى استعماله والضرب به .

(١) الإمامة : الرفع والتنحية والإزالة ، ومنه إمالة الأذى عن الطريق ولعل الأقرب أن يكون مراده بقوله بما وكأنه : قول القائل ما أشبه بكذا وكأنه كذا . يقول : لا تشبهنى بأحد ولا تقل كأنه فلان وما أشبه بفلان ، لأنه ليس فوقى أحد ولا مثلى أحد فتشبهى به ، وهناك أقوال أخرى للشرح فى قوله « بما وكأنه » نورد منها أهمها : قال ابن القطاع : الصحيح من معنى هذا البيت أن « ما » نكرة بمعنى شئ موضوعه للعموم كأنه قال أمتط عنك تشبهي بشئ من الأشياء كما أنك تقول مررت بما معجب لك : أى بشئ معجب لك ؛ وقال أبو بكر الخوارزمى : « ما » ههنا اسم بمعنى الذى ، يقال لمن يشبه بالبحر : كأنه ماهو نصف الدنيا ، يعنون البحر ، لأن الدنيا بر وبحر ويقولون كأنه ما هو سراج الدنيا ، يعنون الشمس والقمر ، ولما كان لفظها فى المشبه به ذكره للنبي مع كأن . وقال ابن جنى : إنه يعتبر كأن قائلاً قال بما يشبه فيقول الآخر : كأنه الأسد ، فقال هو معرضاً عن هذا القول : أمتط عنك تشبهي بما وكأنه ، فلما جاء بحرف التشبيه — أى كأن — ذكر « ما » .

(٢) وإياه : يعنى النصل ؛ والطرف : الفرس الكريم ؛ والذابل : ملان واهتز من الرماح . وقوله « نكن » جواب الأمر . يقول : دعنى وهذا السيف وفرئى ورعى حتى نجتمع فسكون فى رأى العين شخصاً واحداً يلقي الورى — أى يحاربهم — فانظر بعد ذلك إلى ما أفعله من قتل الأعداء ، قال ابن جنى : وقد لاذ فى هذا البيت اللفظ ذى الرمة ، ومعناه فى قوله :

وليل كجلباب العروس أدرغته
أحم غدافى وأبيض صارم
بأربعة والشخص فى العين واحد
وأعيس مهري وأزوع مناجد

وقال في صباه يمدح سعيد بن عبد الله بن الحسن الكلابي النبطي :
 حَيًّا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْنُ جَارَ عَلَى ضَعْفِي وَمَا عَدَلَا^(١)
 وَالْوَجْدُ يَقْوَى كَمَا تَقْوَى النَّوَى أَبَدًا
 وَالصَّبْرُ يَنْحَلُ فِي جِسْمِي كَمَا نَحَلَا^(٢)
 وَلَا مُفَارَقَةَ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ
 لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا^(٣)

هذا : وقوله يلقي الوري : نعمت « واحدًا » ؛ و يروى نلقى : مجزوما على البدل من نكن .

(١) أحيا : فعل التثكم ، وجملة « وأيسر » : حالية : يخبر عن نفسه بأنه حي باق ، مع أن أقل ما يقاسيه من شدائد الهوى قاتل . يقول أقل وأهون ما قاسيت قاتل وأنا مع ذلك أحيا ، والفراق جار على ضعفى حين فرق بينى وبين أحبى وكنت ضعيفا بمقاساة الهوى فلم يعدل حين ابتلانى ببعدهم .

وقال بعض الشراح : يحتمل أن يكون أحيا في معنى أفعل التى للتفضيل : أى أعتد ما يكون فى الإنسان وأيسر ما قاسيت شئ قاتل ، فكأن الكلام على التقديم والتأخير أى الشئ الذى يقتل أحيا وأيسر ما لاقيت ، ، أو ما ألقاه ، وإذا حمل على هذا الوجه فقد حذف المضاف إليه : أى أحيا ما لاقيت وأيسر ما لاقيت . قال : وهم يستعملون هذا فى الشعر ، ولو قلت فى النثر أفضل وأكرم الناس زيد ، يريد أفضل الناس وأكرمهم لقبسح ، وإنما الفصيح أفضل الناس وأكرمهم ، وقال بعض الشراح تعليقا على قوله وما عدلا : كرر المعنى فقال جار وما عدلا والمفهوم أن جار علم منه أنه لم يعدل ، قل وإنما كرهه لأن الجائر فى وقت قد يعدل فيوصف بالجور إذا جار وبالعديل إذا عدل ، وهذا جار عليه وما عدل ، ومثله فى القرآن الكريم « أموات غير أحياء » والمعنى أنها أموات لا تحيا فى المستقبل كما يحيا الناس عند البعث .

(٢) الوجد : الحزن والشوق ؛ والنوى : البعد ، يقول : إن الحزن يزداد قوة كما يزداد البعد كل يوم ، والصبر يضعف ويقل كما يضعف جسمى .

(٣) المنايا : جمع منية ، الموت ، يقول : لولا الفراق لما كان للمنايا طريق الى أرواحنا : أى إنما توسلت إلينا بطريق فراق الأحباب كما قال أبو تمام :

لو حار مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفُوسِ دَلِيلَا

بِمَا يَجْفَنُكَ مِنْ سِحْرِ صِلَى دَنَفًا يَهْوَى الْحَيَاةَ وَأَمَّا إِنْ صَدَدَتْ فَلَا^(١)
إِلَّا يَسْبُ فَلَقَدْ شَابَتْ لَهُ كَبِدٌ شَيْبًا إِذَا خَضَبَتْهُ سَلْوَةٌ نَصَلًا^(٢)

ولابن القطاع تأويل حسن . قال : إن « لها » جمع لهاة واللعن ما وجدت لهوات
النايا الخ ، فلها : فاعل وجدت ؛ والنايا : في موضع جر بالإضافة ؛ واللهاة : اللحمة
الشرقة على الحلق في أقصى سقف الفم . والسبل : جمع سبل ؛ والسيل : الطريق ،
تذكر وتؤنث .

(١) الدنف : الذى أنقله المرض ؛ وقال علماء اللغة الدنف : المرض اللازم الخامر
ويقال رجل دنف ودنف ومدنف ومدنف : أى براه المرض حتى أشفى على الموت ؛
فمن قال دنف : لم يثنه ولم يجمعه ولم يؤنثه ، كأنه وصف بالمصدر ؛ ومن كسر النون ثنى
وجمع وأنث لا محالة فقال رجل دنف - بالكسر - ورجلان دنفان ، ورجال أدناف .
وأمرأة دنفة ، ونسوة دنفات . ومن المجاز والاستعارة قول العجاج .

والشمسُ قد كادت تكون دنفًا أذفعا بالراح كى تَزَحْلِفَا^(١)

يقول : أقسم عليك بحق ما بجفنيك من سحر أن تصلى مريضاً يحب الحياة فى وصالك
فإن هجرت ، وأعرضت فليس يحب الحياة ؛ وعنى بسحر جفنيها أنها بنظراتها تصيد القلوب
وتسبى عقول الرجال ، فكأنها سحرتهم ، واللعن من قول دعبل :

ما أطيّب العيش فأما على أن لا أرى وجهك يوماً فلا

لو أن يوماً منك أوساعةً تباعُ بالدُّنيا إذن ما غلّا

وقوله يهوى الحياة : نعت دنفًا ، ويروى : يهو - بدون ياء على أنه جواب للأمر -
وقال العكبرى - تعليقاً على قوله « وإما إن صددت فلا » : الفاء جواب « أما » لأنها
أسبق وجواب الشرط محذوف دل عليه الجواب المذكور ؛ ومثله قولك : والله إن تزرنى
لأكرمك يجعل الجواب للقسم لتقدمه وسد جواب القسم مسد جواب الشرط . وإذا
قدمت الشرط جعلت الجواب له فتقول : إن تزرنى والله أكرمك .

(٢) نصل الخضاب : ذهب ؛ والسلوة : الاسم - من سلا عنه سلواً - والسلو :
طبيب نفس الإلفد عن إلفه ، ويقول الرجل لصاحبه سقيتنى سلوة وسلوانا : أى طيبت
نفسى عنك ، قال :

(١) يريد : حين اصفرت ودانت الغروب ، فكأنها دنف حينئذ ، يقال دنف
الشمس وأدنف : إذا دنت للمغيب واصفرت .

يُجَنُّ شَوْقًا فَلَوْلَا أَنَّ رَائِحَةَ تَزْوَرُهُ فِي رِيَّاحِ الشَّرْقِ، مَا عَقَلَا^(١)
هَآ فَا نَظَرِي أَوْ فَطَقِي بِي تَرَى حُرْقًا مَن لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَلَا^(٢)
عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعَ لِي إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا^(٣)

جَعَلْتُ لِمَعْرَافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافٍ نَجَدٍ إِنْ هُمَا شَفِيَانِي
فَمَا تَرَكَامَنْ رُقِيَةً يَغْلَسَانِي وَلَا سُلُوءَةً إِلَّا بِهَا سَقِيَانِي

يقول : إن لا يشب هذا الدنف - يعني نفسه ، لأنه لا يزال شابا - فلقد شاب كبده
لشدة ما يقاسى من حرارة الوجد والشوق ؛ فإن خضبت السلوة ذلك الشيب ذهب ذلك
الخضاب ، لأن سلوته لا تبقى ولا تدوم ، فإذا زالت السلوة زال خضاب كبده وعاد
شبيهه . يريد إذا سلا حيناً لم يلبث الشوق أن يعود ، وما أروع قول أبي تمام :

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مُشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفَوَادِ
وَالْتَنَبَّيْ نَقَلَ شَيْبَ الْفَوَادِ إِلَى الْكَبِدِ ، وَهُوَ مِمَّا اسْتَقْبَحَ مِنْ اسْتِعَارَاتِهِ .

(١) يجن : من الجنون ، ويروى يحن - من الحنين ، وهو الصبوة والطرب - ورواية
يجن أليق ليطابق قوله عقلا - في آخر البيت - يقول : إن هذا الدنف يصير مجنونا
لشدة شوقه ، فلولا أنه يجد رائحة من حبيبه إذا هبت الرياح من ناحية الشرق لما كان
له عقل ولكن يغف جنونه إذا وجد ريح الشرق من قبل أحبابه :

فَإِنَّ الصَّبَّارِ يَمُحُّ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَى كِبْدٍ تَحْزُونُ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

وقد نظر المتنبي في هذا إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَسْتَشِيقُ النَّسَاءَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ كَأَنِّي مَرِيضٌ وَالنَّسِيمُ طَلِيبٌ

(٢) ها : للتغية . أى ها أنا ذا فانظري : وترى : جواب الأمر ؛ ووأل . نجا
يقول : ها أنا ذا فانظري إلى أو فكرى في إن لم تنظري ترى بي حرقاً من حبك ، من
لم يحرب القليل منها ، فقد نجا من بلاء الحب ، وقد أجل المتنبي ما فصله البحرى في
بيتين قال :

أَعِيدِي فِي نَظَرَةٍ مُسْتَنِيْبٍ تَوَخَّى الْأَجَرَ أَوْ كَرِهَ الْأَثَامَا

تَرَى كِبْدًا مُحَرَّقَةً وَعَيْنًا مَوْرَقَةً وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا

(٣) عل : كعمل ؛ ويشفع - بالنصب - جواب الترجى ؛ وبالرفع : عطف على يري

أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيداً طَالِبٌ بِدَيْي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالزَّمْعِ مُتَقَفلاً^(١)

يقول : لعل الممدوح يرى ما أنا فيه من ذل الهوى فيكون شفيعاً لى إلى الحبيبة - التى جعلتنى بحيث يضرب بى المثل فى العشق - لتواصلنى بشفاعته ، قال الواحدى : وهذان قول أبى نواس :

سَأشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَاهَا لَعْلَ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
قال : وهذا أحسن من قول المتنبي لأن الجمع بينهما يمكن بأن يعطيه من المال ما يتوصل به إلى محبوبته ، والشفاعة تكون باللسان ، وذلك نوع من القيادة ... قال : على أنى سمعت العروضى يقول : سمعت الشعراى يقول : لم أسمع المتنبي ينشده إلا فيشفعنى - من قولهم كان وترأ فشفعه بآخر وإلى آخر : أى صيره شفيعاً . فيكون كما قال أبو نواس .

وقال المكبرى - تعليقا على قوله عل - : « عل » حرف ذهب أصحابنا الكوفيون إلى أن لامه الأولى أصلية ، وذهب البصريون إلى أنها زائدة . وحجتهم أنها حرف ، والحروف كلها حروفها أصلية ، لأن حروف الزيادة العشرة التى يجمعها « اليوم تنساء » إنما تختص بالأسماء والأفعال ؛ فأما الحروف فلا بدخلها شيء من هذه الحروف على سبيل الزيادة ، بل يحكم على حروفها كلها بأنها أصلية فى كل مكان على كل حال . ألا ترى أن الألف لا تكون فى الاسم والفعل إلا زائدة أو منقلبة ولا يجوز أن يحكم عليها فى « ما » و « لا » بأنها زائدة أو منقلبة بل يحكم عليها بأنها أصلية ؛ فدل على أن اللام الأولى فى « لعل » أصلية ، والذى يدل على ذلك أيضاً أن اللام خاصة لا تكاد تزداد إلا على سبيل الشذوز ، فكيف يحكم عليها بزيادة فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال ؟ وحجة البصريين أنهم وجدوها فى كلام العرب وأشعارهم ، كقول نافع الطائى :

وَلَيْسَتْ سُبُلًا إِمَّ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَ مَا يَفُوتُ وَلَكِنْ عَلَّ أَنْ أُنْقَدَّ مَا
وكقول الآخر :

لَا تَهِنَنَّ فَقِيرَ عَلَّكَ أَنْ تَرْكَبَ يَوْمًا وَالْدهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٢)

(١) بصرتكم به : أى أبصرته . واعتقل رعيه : جعله بين ركابه وساقه . يقول : إنى

(٢) لا تهين . أراد لا تهينن ، لحذف النون الحفيفة لما استقبلها ساكن ، والبيت للأضبط بن قريع السعدى .

وَأَنْتَى غَبْرٌ مُخَصِّ فَضْلَ وَالِدِهِ وَنَائِلٌ دُونَ نَبِيلٍ وَضَفَّهُ زُحْلًا^(١)
 قِيلَ بِمَنْبِجَ مَثْوَاهُ وَنَائِلُهُ فِي الْأَفْقِ يَسْأَلُ عَمَّنْ غَيْرُهُ سَأَلًا^(٢)
 يُلَوِّحُ بِدُرِّ الدُّجَى فِي صَحْنِ غُرَّتِهِ
 وَيَحْمِلُ الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَاءِ إِنْ سَمَلًا^(٣)

أيقنت بأن المذروح يطلب بدى إن سفكته الحبيبة وأخذ منها تارى لأنى رأته قد
 اعتقل رحمه متوجها لقتال الأعداء فعلمت أنه يدرك تار أوليائه .

(١) فضل والده : يروى فضل نائله ، والنائل ، العطاء . وزحل ، الكوكب المعروف
 وقد كان الظن أنه أبعد الكواكب السيارة من الأرض . يقول : وأيقنت أنى لأستطيع
 عد عطائه لكثرتيه وأننى أدرك زحلا قبل أن أدرك وصف عطائه أو وصف
 فضل والده .

(٢) القيل ؛ الملك - بلغة حمير - أو الرئيس دون الملك الأعلى . ومنبج : بلد
 بالشام . والمثوى . المنزل والمقام . والأفق ، القطر والتاحية ؛ وقيل ؛ خبر مبتدأ محذوف
 أى هو قيل ؛ وبمنبج خبر مقدم ، ومثواه ، مبتدأ مؤخر ؛ ونائله ، مبتدأ ، خبره ؛ فى الأفق ؛
 يسأل ؛ فى موضع الحال . يقول . هو مقيم بمنبج وعطاؤه يطوف فى الأفاق يسأل عمن
 يسأل غيره من الناس ، يعنى أن جوده ذاع حتى صرف العفاة عن غيره إليه ، وفى مثل
 هذا يقول أبو تمام .

فأضحَتْ عَطَايَاهُ نَوَازِعَ شُرَدَا تَسَائِلُ فِي الْأَفَاقِ عَنْ كُلِّ سَائِلٍ
 ويقول :

وَفَدَتْ إِلَى الْأَفَاقِ مِنْ مَعْرُوفِهِ نَعَمْ تَسَائِلُ عَنْ ذَوَى الْإِفْتَارِ
 ويقول أبو العتاهية :

وإِنْ نَحْنُ لَمْ نَبْغِرْ مَعْرُوفَهُ فَمَعْرُوفُهُ أَبَدًا يَدْتَفِينَا

(٣) الغرة : غرة الوجه ؛ وصحنها : وسطها ؛ والهيجاء : الحرب . يقول : إن
 وجهه لحسنه يضئ كالبدر فى ظلام الليل ، وإذا صال على أعدائه فإن الموت يعمل معه
 ويصول عليهم فيقتلهم ، فالموت من أعوانه ، ويروى : الموت - بالنصب - أى أنه إذا حمل
 على أعدائه أصعب الموت حاملا إياه إليهم .

تُرَابُهُ فِي كِلَابٍ سَمَحُورٍ أُعْيِنَهَا وَسَيْفُهُ فِي جَنَابٍ يَسْبِقُ الْعَدْلَ (١)
لِنُورِهِ فِي سَمَاءِ الْفَخْرِ مُخْتَرَقٌ
لَوْ صَاعَدَ الْفِكْرُ فِيهِ الدَّهْرَ مَا نَزَلَ (٢)
هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي بَادَتْ تَمِيمٌ بِهِ قَدَمًا وَسَاقَ إِلَيْهَا حَيْنَهَا الْأَجَلَ (٣)
لَمَّا رَأَتْهُ وَخَيْلُ النَّصْرِ مُقْبِلَةٌ وَالْحَرْبُ غَيْرُ عَوَانٍ أَسْلَمُوا الْخِلَلَ (٤)
وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَ هَارِبُهُمْ إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا (٥)

(١) يقول : إن كلابا - وهم قبيلة المدوح - لشدة حبهم إياه يكتحلون بالتراب الذي يمشى عليه - كناية عن اعتباطهم بولائه ، وسيفه في جناب - وهم قبيلة عدوه - يسبق ملامة من يلومه في فعلهم - كناية عن شقاوتهم بعداوتهم - وهذا مثل يقال سبق السيف العدل وأصل ذلك أن الحارث بن ظالم ضرب رجلا فقتله ، فأخبر بعذره ، فقال : سبق السيف العدل ؛ قال الواحدى : وروى هنا بيت منحول ليس في روايات الديوان وهو :
مهذب الجدد يستسقى الغمام له حلو كأن على أخلاقه عسلا

أى هو طيب الأصل لأن جده كان مبرا من العيوب ، وهو مبارك يستنزل به القطر من الغمام فيسقى الله به وهو عذب الأخلاق يستحلى خلقه كأنه معسول : ممزوج بالعسل .
(٢) استعمار للفخر « سماء » لعلو الفخر ، يقول : له نور يصعد في سماء الفخر لوصعد فكره واصفا في مخترقه طوال الدهر ما نزل ، لأنه يبقى يرقى في أثر ذلك النور فلا يلحقه والمخترق : موضع الاختراق ، ويريد به : المصعد في الهواء ، كأنه يشق الهواء شقا ، ويريد بالنور : ما اشتهر وذاع في الناس من ذكره وصيته : أى أنه عال علوا لا يدرك بالوهم والفكر .

(٣) بادت : هلكت ، وقدم : بمعنى قديما : أى زمانا قديما ، ولم يصرف تميم لأنه أراد القبيلة ، فاجتمع فيه التعريف والتأنيث . والحين : الهلاك . يقول : إن هلاكهم بسيفه ساق إليهم الاجل قبل وقته .

(٤) الحرب العوان : التى قوتل فيها المرة بعد المرة والحلل جمع الحلة وهى النازل الى حلوها . يقول : لما رأت تميم هذا للمدوح وخيله المنصورة قد أقبلت عليهم ولم يقاتلهم بعد : تركوا منازلهم وهربوا فى أول الأمر .

(٥) قال الواحدى : يعنى لشدة مالحقهم من الخوف ضاقت عليهم الأرض فلم يجدوا مهربا - كقوله تعالى « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » - وهاربهم إذا رأى مالىس

فَبَعْدَ وَإِلَىٰ ذَا الْيَوْمِ لَوْ رَكَضَتْ بِالتَّخِيلِ فِي لَهَوَاتِ الطُّفْلِ مَا سَعَلَ^(١)
فَقَدْ تَرَكَتِ الْأَلَى لَا قِيَتُهُمْ جَزْرًا
وَقَدْ قَتَلَتِ الْأَلَى لَمْ تَلْقَهُمْ وَجَعَلًا^(٢)

شيء يعبا به أو توهم مالميس بشي شيئاً ظنه إنسانا يطلبه ، وكذا عادة المارب الخائف كقول جرير :

ما زلت تحسب كل شيء بعمدم خيلا تكثر عليهم ورجالا
قال أبو عبيد : لما أنشد الأخطل قول جرير هذا قال : سرقة والله من كتابهم - يريد القرآن الكريم - : « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » قال : ويجوز حذف الصفة وترك الموصوف دالا عليها ، كقوله عليه الصلاة والسلام « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » أجمعوا على أن المعنى لا صلاة كاملة فاضلة ، ويقولون هذا ليس بشيء يريدون شيئاً جيداً - وقال بعض المتكلمين : إن الله خلق الأشياء من لا شيء . فقل هذا خطأ ، لأن لا شيء لا يخلق منه شيء ، ومن قال . إن الله خلق من لا شيء جعل لا شيء شيئاً يخلق منه ؛ والصحيح أن يقال : يخلق لا من شيء لأنه إذا قال لا من شيء : نفى أن يكون قبل خلقه شيء يخلق منه الأشياء .

(١) اللهوات : جمع لهواة ، وهى لحمة فى الحلق عند أصل اللسان . يقول : فبعد اليوم الذى بادت فيه تميم إلى يومنا هذا الذى نحن فيه لور كضت خيلهم فى لهوات صبي صغير لما شعر بهم حتى يسعل لقلتهم وذلتهم . وقد بالغ فى هذا حتى أحال . . . قالوا : وهذا مأخوذ من قول الشاعر :

لو أنه حرَّكَ الجُرْدَ الجِيَادَ عَلَى أَجْفَانِ ذِي حِلْمٍ لَمْ يَنْتَبِهْ فِرْقًا
وفيه نظر إلى قول بعضهم :

وَمَرَّ بِفِكْرِي خَاطِرًا فَجَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ

وقل بعض الشعراء : ويجوز أن يجعل الطفل منهم - أى من تميم - أى ماجسر الطفل منهم أن يستغل خوفا وإشفاقا مع أنه لا عقل له ، فكيف الظن بكبيرهم فى أمر الخوف وله عقل ؟ وعلى هذا : « ركضت » فعل خيل النصر وقيلته وقوده .

(٢) أى الذين ، والجزر : اللحم الذى يلقي للسباع ، يقال ما كانوا إلا جزراً أسيوفنا : أى الذين تقتلهم فنلقهم للسباع ، والوجل : شدة الخوف يقول : إن الذين لقمك منهم فنلتهم وجعلتهم جزراً للسباع . والذين لم يلقوك ما توا خوفاً منك .

كَمْ مَهْمَةٍ قَذَفَ قَلْبُ الدَّلِيلِ بِهِ قَلْبُ الْمُحِبِّ قَضَانِي بَعْدَ مَا مَطَّلَا^(١)
عَقَدْتُ بِالنَّجْمِ طَرَفِي فِي مَقَاوِزِهِ وَحُرٌّ وَجْهِي بِحَرِّ الشَّمْسِ إِذَا أَفْلَا^(٢)
أُنْكَمَحْتُ صُمٌّ حَصَاهَا خُفٌّ يَفْعَلُهُ تَفَشَّمَرْتُ بِي إِلَيْكَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا^(٣)
لَوْ كُنْتُ حَشَوَ قَمِيصِي فَوْقَ مُنْمَرِقِهَا سَمِعْتَ لِلْجِنِّ فِي غِيْطَانِهَا رَجَلَا^(٤)

(١) المهمة : الفلاة الواسعة ، والقذف : البعيد . يقول : كم فلاة بعيدة مترامية الأطراف قلب الدليل فيها - أى الذى يدل على الطريق - مضطرب خائف كقلب المحب ، قطعها بعد أن طال السير فيها ، وهذا معنى قوله : قضانى بعد ما مطلا ، وهو استعارة جميلة ، لأن المهمة كالمطلوب منه انقطاعه بالسير فيه وهو - بطوله وتأخير انقطاعه - كالماطل بما يقتضى منه ، فالضمير فى « قضانى » عائد إلى المهمة .

(٢) المفاوز : الفلوات ، والطرف : العين ، وحر الوجه : أشرف موضع فيه أو ما بدا منه . وأفل : غاب . يقول كنت أنظر إلى النجم دائماً فى مسيرى ليلا حتى كأن أجفانى معقودة به مخافة أن أصل الطريق ، وإذا غاب النجم - أى فى النهار - كنت أنصب وجهى للشمس دائماً حتى كأنه معقود بها ، وإنما يهتدى فى الفلوات إلى الطريق ليلا بالنجم ونهارا بالشمس ، والمراد أنه سافر فيه ليلا ونهارا حتى بلغ ما أراد .

(٣) الصم : الصلاب الشداد من كل شيء ، واليعة : الناقة القوية . وتفشمرت : تعسفت وركضت على غير قصد . يقول : أوطأت خف ناقتى حجارة المفاوز حتى وطشتها وسارت بى فى السهل والجبل متعسفة حتى وصلت إليك .

(٤) حشو قميصى : يريد بدلى وفى مكانى ، والنمرق : وسادة يعتمد عليها الراكب ، والغيطان : جمع غائط ، وهو ما اطمأن من الأرض وانخفض . والزجل : الصياح والضجيج . يقول : لو كنت مكانى فوق نمرق ناقتى لسمعت أصوات الجن فى وهاد هذه المفاوز . أى أنها مسكن الجن لبعدها عن الإنسان ، والعرب إذا وصفت المكان بالبعد جعلته مساكن للجن ، كما قال الأخطل :

مَلَاعِبُ جِنَّانٍ كَأَن تَرَاهَا إِذَا اطَّرَدَتْ فِيهَا الرِّيحُ مُفْرَبِلُ
وَبَيْتُ الْمُتَنَبِّىِّ مِنْ قَوْلِ ذِي الرِّمَّةِ :

لِلْجِنِّ بِالْمِيلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَل كَأَنَّ تَجَاوَبَ يَوْمَ الرِّيحِ عَيْشُومُ
« العيشوم : شجرله صوت مع الريح »

حَتَّى وَصَلْتُ بِنَفْسِي مَاتَ أَكْثَرُهَا وَلَيْتَنِي عَشْتُ مِنْهَا بِالَّذِي فَضَّلَا^(١)
أَرْجُو نَدَاكَ وَلَا أَخْشَى الْمِطَالَ بِهِ يَا مَنْ إِذَا وَهَبَ الدُّنْيَا فَقَدْ بَخِلَا^(٢)

* * *

وقال في صباه - وقد أهدى له عبيد الله بن خلكان من خراسان هدية فيها
سمك من سكر ولوز في عسل :

قَدْ شَغَلَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْأَمَلِ وَأَنْتَ بِالْمَكْرُمَاتِ فِي شُغْلٍ^(٣)
تَمَثَّلُوا حَاتِمًا وَلَوْ عَقَلُوا لَكُنْتَ فِي الْجُودِ غَايَةَ الْمَثَلِ^(٤)

(١) يقول : وصلت إلى المدوح بنفس مات أكثرها : أي ذهب أكثر لحمها
وقوتها لما قاست من هول الطريق ومشقته ، ثم تمنى أن يعيش بما بقي من نفسه ليقضى
حق المدوح بخدمته له . وعبرة بعض الشراح : لما جعل ما قاساه من مشقة الطريق
موتاً : مسمى الإقامة والراحة عيشاً . والمعنى : ليتني أصادف عيشاً بما بقي من عمري قبل
أن أموت ، فقوله ليتني عشت : أراد ليتني أعيش ، فعبر بالماضي عن المضارع .
(٢) يقول : لو وهبت الدنيا بأسرها كنت بخيلاً لعلو همتك ، فالدينياحقيرة بالإضافة
إلى همتك ، وهذا من قول حسان :

يعطى الجزيل ولا يراه عنده إلا كبعض عطية المذموم
ومن قول أبي العتاهية :

إِنِّي لَا يَأْسُ مِنْهَا ثُمَّ يُطْمَعُنِي فِيهَا احْتِقَارُكَ لِلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا
(٣) يقول : إن الناس مشغولون بآمالهم فيك والطمع فما يأخذون من أموالك
وأنت مشغول بتحقيق آمالهم وتصديق أطعاهم ، والبيت في ذاته يحتمل أن يكون معناه
أن الناس مشغولون بطمعهم وحرصهم على حطام الدنيا ، أما أنت فقد شغلت بتبديد
هذا الحطام بكرماً .

(٤) أراد : تمثّلوا بحاتم ، خذف الباء ضرورة . يريد أن الناس ضربوا للثل بحاتم
فقالوا : أكرم من حاتم وأجود من حاتم ، وهم لو نظروا بعين العقل لضربوا للثل
بك ، لأنك الغاية في الجود .

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَا بَعَثَ بِهِ إِلَيْهَا أَبَا قَاسِمٍ وَبِالرُّسُلِ ^(١)
 هَدِيَّةٌ مَا رَأَيْتُ مُنْهَدِيهَا إِلَّا رَأَيْتُ الْعِبَادَ فِي رَجُلٍ ^(٢)
 أَقْلٌ مَا فِي أَقْلَهَا سَمَكٌ يَلْعَبُ فِي بَرْكَتِهِ مِنَ الْعَسَلِ ^(٣)
 كَيْفَ أَكْفَى عَلَى أَجَلٍ يَدٍ مَنْ لَا يَرَى أَنَّهَا يَدٌ قَبْلِي ^(٤)

* * *

وقال أيضاً في صباه :

قَفَا تَرِيًّا وَذُقِي قَهَاتَا الْمَخَالِ وَلَا تَخْشَى خُلُفًا لِمَا أَنَا قَائِلٌ ^(٥)

(١) وبالرسل : عطف على بما بعث . وإيها : اسم فعل بمعنى كف ودع ؛ أما إليه - بالخفض - فهي الاستزادة من التكلم . يقول : أهلا وسهلا بهديتك ورسولك فكف ، فقد أكثر الهدايا وغمرني إحسانك .

(٢) هدية : خبر مبتدأ محذوف ؛ أي هديتك هدية ما رأيت صاحبها الذي أهداها - يعني المدحوح - إلا رأيت الناس كلهم في شخص واحد ، يعني أنه جمع فيه جميع ما في الناس من معاني الفضل والكرم ، وهذا كما قال أبو نواس :

وليسَ على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ
 وقد قرر المتنبي هذا المعنى فقال :

* أم الخلقُ في شخصٍ حيٍّ أعيدا *

وقال :

* ومنزلك الدنيا وأنتَ الخلائقُ *

(٣) أراد بالبركة : الوعاء الذي كان فيه العسل ؛ يعني أن هذه الهدية عظيمة أقل شيء اشتمل عليه أقل ما في هذه الهدية سمك بهذه الصفة .

(٤) أكافئ : من المكافأة ، وهي أن يقابل الشيء بمثله ، فأصلها الهمزة . واليد : النعمة : يقول : كيف أكافئ من لا يعتقد في أعظم نعمة له عندي أنها نعمة احتقاراً لها وتصغيراً ؛ أو تقول : بماذا أكافئ الذي أسدى إلى نعمة عظيمة وهو يستصغرها حق يرى أنها لا تعد نعمة له عندي .

(٥) الودق : المطر . وهانا : بمعنى هذه . والمخايل جمع الخيلة - بضم اليم وكسر الخاء - السحابة الخليقة بالمطر . والخلف : اسم من الإخلاف في الوعد . يقول

رَمَانِي خِسَاسُ النَّاسِ مِنْ صَائِبِ أَسْتِهِ
وَأَخَرُ قُطْنٍ مِنْ يَدَيْهِ الْجَنَادِلُ^(١)
وَمِنْ جَاهِلٍ بِي وَهُوَ يَجْهَلُ جَهْلَهُ وَيَجْهَلُ عَلَيَّ أَنَّهُ بِي جَاهِلٌ^(٢)
وَيَجْهَلُ أَنِّي مَالِكُ الْأَرْضِ مُفْسِرٌ
وَأَنِّي عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ كَيْنَ رَاجِلٌ^(٣)

— لصاحبه - : اصبر قليلا تريا من أمرى شأنا عظيما فقد ظهرت مخايله وما يشهد لى بتحقيقى ما كنت أعدك من نفسى من قتل الأعداء وبلوغ الآمال ، وإنى لأقول شيئا أعد به ولا أفعله .

(١) الصائب : بمعنى المصيب ؛ يقال : صابه يصوبه ، وأصابه يصيبه . وآخر - بالنصب - عطف على لفظ صائب ، وبالرفع : عطف على الموضع من « صائب » وقطن : خبر مقدم ؛ والجنادل : مبتدأ مؤخر . يقول : عابى أخساء الناس وأراذلهم من بين من يصيب استه ما يرمى به : أى يلحقه ما يعينى به ، وآخر لا يؤثر فى ما يرمى به ولا يعلق بى ما يقوله فى كأنه يرمى بقطعة قطن ، فقوله من صائب استه : كقولهم جاءنى القوم من فارس وراجل ؛ يعنى أنهم من هذين الجنسيتين .

(٢) أى ومن رجل آخر لا يعرفنى ولا يعرف أنه جاهل بى ، فهاتان جهالتان ، ويجهل أنى أعلم أنه جاهل بى . فعلى : مفعول يجهل ، وأنه : مفعول علمى : أى يجهل معرفتى بجهله بى . ومما يتصل بهذا المعنى قول الخليل بن أحمد صاحب علم العروض :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنتُ أجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتنى وعلمتُ أنك جاهل فعذرتك
وقول الآخر :

جهلتَ ولم تعلم بأنك جاهل فَمَنْ لِي بِأَنْ تَدْرِي بِأَنَّكَ لَا تَدْرِي
(٣) مالك الأرض : نصب على الحال ، وعلى ظهر السماء كين : فى موضع الحال . يقول : ويجهل هذا الجاهل أنى فى الحال التى أملك فيها الأرض أعد نفسى معسراً بالقياس إلى مقتضى همى ، وإنى إذا علوت السماء وركبت السماء كين عدت نفسى راجلا ، لاقتضاء همى ما فوق ذلك .

تُحَقَرُ عِنْدِي هَمِّي كُلِّ مَطْلَبٍ وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدَى الْمُتَطَاوِلُ^(١)
وَمَا زِلْتُ طَوْدًا لَا تَزُولُ مِنَّا كَيْبِي إِلَى أَنْ بَدَتْ لِلضَّمِّ فِي زَلَّازِلُ^(٢)
فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَا قَلَّاقِلَ عَيْسٍ كُلُّهُمْ قَلَّاقِلُ^(٣)

(١) يقول : إن همي تربي كل شيء أطلبه حقيراً ، والغاية البعيدة قصيرة في عيني .
(٢) الطود : الجبل العظيم ؛ ومناكبه : أعاليه . والضيم : الظلم . يقول : لم أزل
ثابتاً ذا وقار كالطود لا يحركني شيء إلى أن ظلمت فلم أطلق الظلم وإنما تجردت
لدفعه عن نفسي .

(٣) القلاقلة : التحريك ؛ ويريد بالحشا : ما في داخل الجوف . والقلاقل - الأولى -
جمع قلقل ، وهي الناقة الخفيفة ؛ ويقال أيضاً : رجل قلقل ، وفرس قلقل : إذا كانا
سريعَي الحركة . والقلاقل - الثانية - جمع قلقلة ، وهي الحركة . يقول : حركت
- بسبب الهم الذي حرك نفسي - إبلاً خفافاً في السير ، يعني سافرت ولم أعرج بالمقام
الذي يلحقني فيه الضيم . ويجوز أن تكون القلاقل الثانية أيضاً بمعنى الأولى ، وإذن :
يعود الضمير من كلهن على العيس ، لا على القلاقل . يقول : خفاف إبلاً كلهن خفاف ،
يعني أنهن خفاف الخفاف وسراع السراع كما يقال : أفضل الفضلاء . هذا : وقد عاب
الصاحب بن عباد أبا الطيب بهذا البيت قال : ماله قلقل الله أحشاه وهذه القلاقات
الباردة ؟ قال الواحدى : ولا يلزمه في هذا عيب فقد جرت عادة الشعراء بمثله - قال
الشماعلي : قال لي أبو نصر بن الرزبان : ثلاثة من رؤساء الشعراء : شلشل أحدهم .
وسلسل الثاني ، وقلقل الثالث ؛ أما الذي شلشل فالأعشى - وهو من رؤساء شعراء
الجاهلية - قال :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْخَانُوتِ يَنْتَبِعُنِي شَاوٍ مِشَلٍّ شُلُولٌ شُلْشُلٌ شُولُ

« الشاوى : الذى شوى ؛ والمشلل : المطرّد ؛ والشلول : الخفيف ؛ والشلشل :
الخفيف القليل ، وكذلك الشول ، والألفاظ متقاربة . أريد بذكرها والجمع بينها :
المبالغة » . وأما الذى سلسل فمسلم بن الوليد إذ يقول :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ نَمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا فَأَتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولًا

وأما الذى قلقل فهو المتنبي الذى . يقول : البيت - ثم قال : لى قبلل أنت أيضاً .
قلقل : أخشى أن أكون رابع الشعراء ، أعنى قول من قال :

إِذَا اللَّيْلُ وَارَنَا أَرْتَنَا خِفَافَهَا بِقَدَحِ الْخَمَى مَا لَا تُرِينَا الْمَشَاعِلُ^(١)
 كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي ظَهْرِ مَوْجَةٍ رَمَتْ بِي بِحَارًا مَا لَهَا سَوَاحِلُ^(٢)
 يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِي ، وَأَنْتَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْقَوَازِلُ^(٣)
 وَمَنْ يَنْفِ مَا أَبْنَى مِنَ الْمَجْدِ وَالْمَلَا
 تَسَاوَى الْمَحَايِ عِنْدَهُ وَالْمَقَاتِلُ^(٤)

الشعراء - فاعلمن - أربعة فشاعر يجزى ولا يجزى معه
 وشاعر يُنشدُ وسط المعمة وشاعر من حقه أن تسمعه
 * وشاعر من حقه أن تصفحه

قال ثم قلت بعد حين من الدهر :

وَإِذَا الْبَلَابِلُ أَفْصَحَتْ بِلَفَاتِهَا فَانْفِ الْبَلَابِلُ بِاحْتِسَاءِ بَلَابِلِ

قال الثعالبي : وفي هذا ما يبطل إنكار ابن عباد على أبي الطيب .

(١) وارانا : سترنا . والمشاعل : جمع مشعلة - بفتح الميم - النار الموقدة ، وبكسر الميم : الآلة التي تحمل فيها النار ، يقول : إذا سترنا الليل بظلامه أسرعت هذه الإبل حتى تصطك الحجارة بعضها ببعض وتتقدح النار فيها فترى مالا نراه بضوء المشاعل .
 (٢) الوجناء : الناقة الشديدة . جعل الناقة لشدة عدوها كاللوج ، وجعل الغازة كالبحار في سعتها . يقول : كأني منها إذا ركبته في هذه الغازة في ظهر موج ترميني في بحر لاساحل له .

(٣) يقول : يخيل إلى أن البلاد تلفظني فلا أستقر فيها . كما لا يستقر في مسامي كلام العذال . يريد أنه دائم الأسفار لا يلقى عصاه يلد حتى ينتقل إلى غيره ، وهذا للمعنى من قول القائل :

* كَأَنِّي قَدْزَى فِي عَيْنِ كُلِّ بِلَادٍ *

وقد قال البحرى ..

تَقَاذَفُ بِي بِلَادٌ عَنْ بِلَادٍ كَأَنِّي بَيْنَهَا عَيْرُ شُرُودٍ

(٤) العلا : جمع العليا ، تأنيث الأعلى - كالكبر في جمع الكبرى - وتساووى : إذا كان ماضياً ثبت الياء في آخره ، وهو في موضع جزم ؛ وإن كان بمعنى تتساوى - بحذف إحدى التامين - فلا ياء ، لأنه مجزوم لوقوعه جواباً للشرط والمحاوي والمقتل جمع الحيا والمقتل : مصدرين ميمين بمعنى الحياة والقتل يقول : من يطلب ما أطلب

أَلَا لَيْسَتْ الْحَاجَاتُ إِلَّا نَفُوسُكُمْ وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا السُّيُوفَ وَسَائِلُ^(١)
فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ أَمْرِي رُوحَهُ لَهُ

وَلَا صَدَرْتُ عَنْ بَاخِلٍ وَهُوَ بَاخِلُ^(٢)
غَنَائِهِ عَيْشِي أَنْ تَفِثَ كَرَامَتِي وَلَيْسَ يَفِثُ أَنْ تَفِثَ الْمَا كِلُ^(٣)

* *

وقال لصديق له في صباه :

أُحْبِبْتُ بِرِّكَ إِذْ أُرَدْتُ رَحِيلًا

فَوَجَدْتُ أَكْثَرَ مَا وَجَدْتُ قَلِيلًا^(٤)

وَعَلِمْتُ أَنَّكَ فِي الْمَكَارِمِ رَاغِبٌ صَبُّ إِلَيْهَا بُسْكَرَةٌ وَأَصِيلًا^(٥)

فَجَعَلْتُ مَا تُهْدِي إِلَيَّ هَدِيَّةً مِنِّي إِلَيْكَ وَظَرَفَهَا التَّأْمِيلًا^(٦)

من الشرف والرتب العالية استوى لديه الحياة والقتل ، لأنه علم أن معالي الأمور فيها المخاوف والهلاك ، فيكون قد وطن نفسه على الهلاك ، فهو يصبر عليه ولا يكثر له (١) نصب السيوف لأنها استثناء مقدم كبيت الكيت :

ومالي إلا آل أحمد شيعه ومالي إلا مذهب الحق مذهب

والوسائل جمع الوسيلة ، وهي الوساطة بين الطالب وللطوب . يقول : - للموك عصره - : لا نطلب إلا أرواحكم ولا تتوسل إلا بسيوفنا .

(٢) قال ابن جني : يعني إذا وردت السيوف روح امرئ كانت أملك بها منه وإذا صدرت عنه صار وإن كان بخيلا غير بخيل ، لأن السيف ينال منه ما يطلب منه أو يفقد روحه بما له :

(٣) الفث : الرديء من كل شيء ؛ وأصله من غث اللحم : إذا كان مهزولا . يقول رداءة عيشي في رداءة كرامتي لا في رداءة مطاعمي

(٤) الرحيل : اسم بمعنى الارتحال . يقول : لما أزمعت أن ترحل مسافراً أحبيت أن أبرك ، فوجدت أكثر ما عندي قليلاً بالإضافة إلى عظم قدرك .

(٥) الصب : المشتاق ؛ ورغب في الشيء : أراده وطلبه : ورغب عنه : لم يردده : والبكرة : أول النهار : والأصيل : آخره .

(٦) قال الواحدي : قال ابن جني . هذا البيت يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون

بِرٍّ يَخْفُ عَلَى يَدَيْكَ قُبُولُهُ ، وَيَكُونُ تَحْمِلُهُ عَلَى ثَقِيلًا^(١)

وقال يمدح شجاع بن محمد الطائي المنبجى :
عَزِيزُ أَسَى مِنْ دَاوُدَ الْحَدَقُ النَّجَلُ

عَيَّاءَ بِهِ مَاتَ الْمُحِبُّونَ مِنْ قَبْلِ^(٢)

أهدى إليه شيئاً كان أهدها إليه صديقه المدوح ، والآخر : أن يكون أراد جعلت ما كان من عادتك أن تهديه إلى وتزودنيه وقت فراقك هدية منى إليك ، أى أسألك أن لا تتكلفه لى ، ثم قال الواحدى : قال العروضى فيما أملاه على مما استدركه على ابن جنى : أراد - أى التنبي - أنك تحب أن تعطى فجعلت قبول هديتك إلى هدية منى إليك لحبك ذلك . وقول العروضى أمدح وأليق بما قبله من رغبته فى المكارم واشتياقه إليها . وقوله وظرفها التأميلا : فالظرف وعاء الشيء . يقول : جعلت تأميلي مشتملا على قبول هذه الهدية كاشتال الظرف على مافيه .

(١) قال ابن جنى : أى لا كلفة عليك فيه ، لأنى لم أتكلف لك شيئاً من مالى ، وإنما هو مالك عاد إليك أو بقى بحاله لديك ، ويكون تحمل شكرك على قبوله ثقيلاً على لتكامل صنيعك به ، وقال العروضى : هذا البيت تأكيد لما فسرته ، فتأمله ، لأنه يقول : هذه الهدية برحبته فيخف عليك قبوله لأنه إعطاء لى ، وأنت تخف إلى الإعطاء ولا منة عليك فيه وإنما المنة لك ، وتحمله إنما يثقل على لا عليك ، لأنك إذا أعطيتني أنقلت رقبتي بالشكر .

(٢) للعزير : الشيء الذى يقل وجوده ، ويجوز أن يكون بمعنى شديد صعب غالب للصبر ، والأسى : العلاج ، يقال : أسوت الجرح أسوه أسوا وأسى إذا دوايته وأصاحتها قال الأعشى :

هَذِهِ الْبِرُّ وَالْثَقِي وَأَسَا الشَّقُّ وَحَمْلُ الْمَضْلِعِ الْأَنْتَقَالِ^(١)

وعزير : حبر مقدم ، وهو مضاف إلى أسى ، ومن دوائه : مبتدأ مؤخر . وانتجل جمع النجلاء ، الواسعة . والعياء : الداء الذى لا علاج له قد أعيا الأطباء . وهو خبر عن ضمير محذوف يرجع إلى الداء أو إلى الحدق ، يقول : يعز علاج من داؤه هو الحدق النجل وهو داء عيأ به مات العشاق من قبلنا ويروى عزير أسى من داؤه - بتنوين عزير -

(١) الشق : الصدع ، ويروى : الصدع . ، والمضلع : المنقل للأضلاع ، أى الانتقال الأحمال المضلعة .

فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى فَمَنْظَرِي
نَذِيرٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْهَوَامَّ سَهْلٌ^(١)

وإضافة أسي إلى « من » ورفعها بالابتداء لتخصصه بالإضافة، وعزير : خبره، والتقدير أسي من داؤه الحدق النجل عزير . و يروى عزير أسي — على أن أسي تمييز كما تقول : عزير دواء ، فيكون عزير خبراً مقدماً ، ومن داؤه : مبتدأ مؤخر ، قال العكبري : وهذا إذا جعلت « من » معرفة ، أما إذا جعلت « من » نكرة كان عزير مبتدأ . وذهب بعض النحويين إلى أن المبتدأ والخبر إذا كانا نكرتين فالمبتدأ هو الأول لا غير ؛ وقد يكون المبتدأ والخبر نكرتين وأحدهما أخص من الآخر ، كقولك : ذهب خاتم في أصبعه ، فخاتم هنا أخص من ذهب ، وهو ثان ، فيكون مبتدأ أولى من ذهب . و « من » توصف . على وجهين بالجملة والفرد ، فوصفها بالجملة نحو :

رُبٌّ مَنْ أَنْضَجَتْ غَيْظًا قَلْبَهُ قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعَ^(١)

وبالفرد نحو قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

فَكُنِي بِنَا فَضلاً عَلَى مَنْ غَيْرِنَا حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَانًا^(٢)

فن : نكرة في البيتين ، لأن « رب » لا يليها المعرفة . وقول حسان : على من ؛ أي على قوم أوناس ؛ ويجوز رفع « غيرنا » على أنه خبر مبتدأ محذوف . يريد من هو غيرنا ، كقراءة الأعمش « تماماً على الذي أحسن » بالرفع ، فيجعل « من » موصولة ؛ ويجوز لمن نون أسي — أي ونون عزير — أن يرفع من رفع الفاعل بفعله على رأى السكوفين والأعمش من إعمال اسم الفاعل ، والصفة المشبهة باسم الفاعل من غير اعتماد ، كقولك قائم غلامك :

(١) منظرى : أي موضع النظر منى ، ويجوز أن يكون مصدرًا مضافًا إلى المفعول

(١) من أبيات لسويد ابن أبي كاهل اليشكري : وبعده :

وَيُرْوَرُ بِكَالشَّجَاوِ، حَلَقَهُ عَسِيرًا مُخْرَجُهُ مَا يُنْتَزِعُ

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتِهِ وَإِذَا مُكِّنَ مِنْ لَحْيٍ رَتَعُ

وقوله رب من : أي رب رجل أنضجت قلبه من الغيظ : أي أكدته . والشجا : ما يعترض في الحلق ؛ ومخرجه : إخراجه ؛ ورتع : أكل فيه كيف شاء .

(٢) فضلا : يروى شرفاً ، وهو تمييز ؛ وحب : فاعل كفي ؛ والباء زائدة في

للفعل ، وهو « بنا » .

وَمَا هِيَ إِلَّا نَحْطَةٌ بَعْدَ نَحْطَةٍ إِذَا نَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ رَحَلُ الْعَقْلِ^(١)
 جَرَى حُبُّهَا تَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي
 فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلٌ^(٢)
 وَمِنْ جَسَدِي لَمْ يَتْرُكِ الشَّقْمُ شَفْرَةً
 فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا وَفِيهَا لَهُ فِقْصَلٌ^(٣)
 إِذَا عَاذَلُوا فِيهَا أَجَبْتُ بِأَنَّهُ حُبِّيَّتَا قَلْبًا فَوَادَا هِيََا جُمْلٌ^(٤)

والنذير : المنذر ؛ وعدها يالئ على تضمينه معنى الرسول . يقول : من أراد أن يعرف حال الهوى فلينظر إلى فمنظري منظر من ظن أن أمر الهوى سهل .

(١) الضمير : للقصة والشأن . يقول : ماهى إلا أن يلحظ العاشق مرة بعد أخرى فإذا تمكنت النظرة من قلبه رحل عقله وطار ، لأن الهوى والعقل لا يجتمعان .

(٢) يقول : جرى حب هذه المحبوبة في عروقي مجرى الدم لشدة امتزاجه بي ، فشغلي عن كل ماسواها ، وروى به - أى بالحب - ؛ وقوله حبها : الضمير للمحبة وإن لم يجر لها ذكر لدلالة المقام ، وهو كثير في كلامهم . قال الواحدى : وروى بعد هذا البيت بيتان منحولان وهما :

سَبَقَنِي بِدَلٍّ ذَاتُ حُسْنٍ بَرِيْنِهَا تَكْثُلُ عَيْنِهَا وَلَيْسَ لَهَا كَحْلُ
 كَانَ لِحَاظِ الْعَيْنِ فِي فَتْكِهَا بِنَا رَقِيبٌ تَعْدَى أَوْ عَدُوٌّ لَهُ دَخْلُ

« سبقتنى أسرتى ؛ والدل : الدلال ؛ واللحظ : مؤخر العين ؛ والدخل : الريبة »
 (٣) فما فوقها : أى فما هو أعظم منها ، ويجوز أن يريد فما دونها فى الصغر ، يقول : قد أثر سقم الهوى فى كل شئ من بدنى فظهر فيه فعله . وما أبدع قول القائل فى مثل هذا المعنى :

خَطَرَاتُ ذِكْرِكَ تَسْتَفِزُّ مَدَامِعِي فَأَحْسُ مِنْهَا فِي الْفَوَادِ دَيْبَا
 لَا عُضْوٍ لِي إِلَّا وَفِيهِ صَبَابَةٌ فَكَأَنَّ أَعْضَائِي خُلِقْنَ قُلُوبَا

(٤) عذلوا : لاموا . وأنة : فلة من الأنين ، يكون من شدة الوجع . تقول أن يئن أُنينا : إذا اشتكى وجعا ، وهيا : حرف نداء - كيا وأيا وأى والهمزة - والحبيبة : الحبيبة . قال المكبرى : قوله حبيبتا : الفواد حبيبة فصغرها للتقريب من قلبه ،

كَانَ رَقِيْبًا مِنْكَ سَدَّ مَسَامِييْ
عَنِ الْعَذْلِ حَتَّى لَيْسَ يَدْخُلُهَا الْعَذْلُ^(١)

يَا بَنَ أُمِي وَيَا حَبِيْبَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَقْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدٍ
وَتَصْغِيرِ التَّعْظِيمِ كَقَوْلِ لَبِيدٍ :

وَكُلُّ أَنْاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُؤَيْبِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ
وَكَقَوْلِ الْحَبَابِ بْنِ مَنْذَرٍ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ «أَنَّهُ جَذِبَهَا الْحَكَّكَ وَعَذِيقَهَا الْمَرْجَبَ»^(١)
وَتَصْغِيرِ التَّحْقِيرِ مِثْلَ أَنْيْسَانَ وَنَحْوِهِ . قَالَ ابْنُ جَنَى : وَالْأَلْفُ فِي « حَبِيْبَتَا » وَفِي « قَلْبَا »
وَفِي « فُؤَادَا » : بَدَلٌ مِنْ يَاءِ الْإِضَافَةِ ، وَكُلُّهَا فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ ، لِأَنَّهُ نِدَاءٌ مُضَافٌ ،
أَرَادَ : يَا حَبِيْبَتِي ، يَا قَلْبِي ، يَا فُؤَادِي ، يَا جَمَلٍ - وَجَمَلُ اسْمِ الْحَبِيْبَةِ - وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ : يَجُوزُ
أَنْ تَكُونَ الْأَلْفُ فِيهَا لِلنَّدْبَةِ أَرَادَ يَا حَبِيْبَتَاهُ ، يَا قَلْبَاهُ ، يَا فُؤَادَاهُ ، خَذَفَ الْهَاءَ لِلدَّرَجِ
قَالَ : وَكَذَا ذَكَرَ ابْنُ فُورَجَةَ ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ فُورَجَةَ : قَلْبَا فُؤَادَا يَدْعُوهَا لِأَنَّهُ يَتَشَكَّاهُمَا
شَكْوَى الْعَلِيلِ ، كَمَا قَالَ دَيْسَمُ بْنُ شَاذِلَوَيْهِ الْكُرْدِيُّ :

أَنِبْنِي أُنَيْسِي ، وَشَجْوِي وَسَادِي ، وَعَيْنِي كَحَيْلٍ بِشَوْكِ الْقَتَادِ
إِذَا قِيلَ دَيْسَمٌ مَا تَشْتَكِي أَقُولُ بِشَجْوِي فُؤَادِي فُؤَادِي
فَهَذَا أَيْضًا يَقُولُ قَلْبِي فُؤَادِي : أَيْ هُوَ الَّذِي أَتَشَكَّى ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنِّي إِذَا عَذَلْتُ
فِي حَبَا أَجِبْتُهُمْ بِأَنَّهُ ثُمَّ قُلْتُ قَلْبِي فُؤَادِي يَا جَمَلٍ . يَرِيدُ أَنِّي لَا أَلْتَفِتُ إِلَى الْعَذْلِ وَلَا أَزِيدُ
عَلَى الْأَثْنِ وَدَعَاءِ الْمَحْبُوبِ لِيَقِيْنِي مِمَّا أَتَا فِيهِ . وَقَالَ بَعْضُ الشُّرَاحِ : قَلْبًا فُؤَادًا فِي عَمَلٍ
رَفَعَ عَلَى تَقْدِيرِ حَبِيْبَتِي قَلْبِي فُؤَادِي : أَيْ هِيَ لِي بِمَنْزِلَةِ الْقَلْبِ ، وَتَدُلُّ هَذَا « جَمَلٌ »
اسْمٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الْعَوَاضِلِ : أَيْ أَقُولُ لَهَا هِيَ قَلْبِي فَلَا أَفَارِقُهَا وَلَا أَسْمَعُ عَذْلَكَ فِيهَا :
(١) الْمَسَامِعُ : جَمْعُ مَسْمَعٍ - كَمَنْبَرٍ - الْأُذُنُ . يَقُولُ - لِحُبُوْبَتِهِ - : كَأَنَّكَ أَقَمْتَ رَقِيْبًا

(١) عَنِ الْجَذِيلِ - هَهُنَا - الْأَصْلُ مِنَ الشَّجَرَةِ تَحْتَكُ بِهِ الْإِبِلُ فَتَشْتَفِي بِهِ : أَيْ قَدْ
جَرَبْتَنِي الْأُمُورَ وَلِي رَأْيٌ وَعِلْمٌ يَشْتَفِي بِهِمَا كَمَا تَشْتَفِي هَذِهِ الْإِبِلُ الْجَرَبِي بِهَذَا الْجَذَلِ ؛
وَصَغُرَ عَلَى جِهَةِ الْمَدْحِ ؛ وَعَذِيقُ : تَصْغِيرُ الْعَذْقِ ، وَهُوَ النَّخْلَةُ ؛ وَالتَّرْجِيْبُ : إِبْرَاقُ
النَّخْلَةِ مِنْ جَانِبٍ لِيَمْنَعَهَا مِنَ السَّقُوطِ : أَيْ أَنْ لِي عَشِيرَةٌ تَعْضُدُنِي وَتَمْنَعُنِي وَتَرْفُدُنِي ؛
وَالْتَصْغِيرُ لِلتَّعْظِيمِ .

كَأَنَّ سَهَادَ الْأَنْثَرِ يَفْشَقُ مُقَلَّتِي ، فَبَيَّزْنَهُمَا فِي كُلِّ هَجْرٍ لَنَا وَضَلُّ^(١)
أَحِبُّ الَّتِي نَبْدُرُ مِنْهَا مَشَابِهَهُ ،
وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُ لَهُ شَكْلُ^(٢)

على مسامى يحول دون العذل فليس يدخلها ؛ وأول هذا البيت من قول العباس
ابن الأحنف :

أقامت على قلبي رقيباً وناظري فليس يؤدّي عن سواها إلى قلبي
وقول الآخر :

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي ، وَآخَرَ يَرَعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
هذا : والرقيب الحافظ ، والرقيب : المنتظر ، رقبه رقبه رقبه ورقباناً - بالكسر فيهما -
ورقوبا ، وترقبه وارقبه : انتظره ورصده ، ورقيب القداح : الأمين على الضرب ،
وقيل هو أمين أصحاب اليسر ، وهو أيضاً اسم السهم الثالث من قداح اليسر ؛ والرقيب
الذي في المشرق يراقب الغارب ومنازل القمر ، كل واحد منها رقيب لصاحبه ، كلما طلع
منها واحد سقط آخر ، مثل الثريا رقيبها الإكليل : إذا طلعت الثريا عشاء غاب الإكليل ،
وإذا طلع الإكليل عشاء غابت الثريا ؛ قال : -

أَحَقّاً عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لِأَقِيَا بَنِيْنَةً أَوْ يَلْقَى الثَّرِيّاً رَقِيبُهُمَا
(١) السهاد : الأرق ، وقد سهد الرجل - بالكسر - يسهد سهدا وسهدا وسهادا :
لم ينم . ورجل سهد : قليل النوم ، قال أبو كبير الهذلي :

فَأَتَتْ بِهِ حُوشَ الْفَوَادِ مُبْطِناً سُهْداً إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجَلِ^(١)
والضمير في « بينهما » : للسهاد والمقلة . يقول : إذا تهاجرنا واصل السهاد عيني ،
أى لم أنم وجداً لفقد من أحبه ، وهذا كقوله - أى التنبي - :

إِنِّي لِأُبْغِضُ طَيْفَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ إِذْ كَانَ يَهْجُرُنَا زَمَانَ وَصَالَهُ
يُفْجِعُ الطَّيْفُ يَهْجُرُ عِنْدَ الْوَصَالِ ، كما أن السهاد يصل عند المهرجان .

(٢) المشابه : جمع الشبه - بفتحين - على غير قياس . ويصاب : يوجد . والشكل
للمشاكل ، أى الشبيه والنظير . تخلص في هذا البيت من النسب إلى اللدج مفضلاً

(١) رجل حوش الفؤاد : حديده ، والهوجل : الرجل الأهوج ، والبطن :
لضامر البطن .

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ شُجَاعُ اللَّهِ؟ اللَّهُ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ^(١)

الممدوح بالكمال على العشوق في الجمال ، فذكر أن في البدر أنواعا من شبه الحبيبة منها الحسن والضياء والعلو والبعد عن الناس ؛ ثم قال : وأشكو هواها إلى من لا يوجد له نظير ، وإنما يشكو إليه ليعطيه من المال ما يتوصل به إليها .

(١) شجاع الذي : أراد شجاع الذي ، بالتثنية ، لحذفه لسكونه وسكون اللام الأولى من «الذي» وذلك كثير في الشعر . وعبارة العكبري : شجاع بدل من ، «ابن» وحذف منه التثنية على مذهبه ، وبمثله كثير في الشعر القديم والحديث ، ومنه ما ذكر مسلم والبخاري وابن إسحاق في المغازي من قول عباس بن مرداس السلمي بالجعرانة للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى الأقرع ابن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري من أموال هوازن كل واحد منهما مائة من الإبل وأعطى العباس دونهما فقال :

أَجْعَلُ نَهْجِي وَنَهْجَ الْعُبَيْدَيْنِ عَيْنَةً وَالْأَقْرَعَ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهَا وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يَرْفَعُ^(١)

فترك تثنى مرداس ، وهو اسم منصرف ، ومثله :

عَمَرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافٌ^(٢)
فهذا حجة الكوفيين في ترك صرف ما ينصرف ضرورة ، والقياس إذا كان يجوز حذف الواو للتحركة للضرورة في قول الشاعر - وهو بيت الكتاب - :

قَبِينَاهُ يَشْرِي رَحْلُهُ قَالَ قَائِلٌ لِمَنْ جَلَّ رِخْوُ الْمَلَاطِ نَجِيبٌ^(٣)

(١) النهب - ههنا - بمعنى المنهوب ، والعبيد - مصغر - اسم فرسه .

(٢) هو لابنه هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى عمراً ، وهو أول من رد الثريد وهشمه فسمى هاشماً ، فقالت فيه ابنته هذا البيت ؛ وقيل هو لا بن الزبيري ، ومستنون ، أصابتهم سنة وقحط ، وأجدبوا ؛ والمعجاف : من العجف ، وهو المزال وذهاب السمك .

(٣) هو للعجير السلوي ، وصف بغيراً ضل عن صاحبه ، فيئس منه ، وجأ يبيع رحله ، فبينما هو كذلك سمع منادياً يبشر به ، وإنما وصف ما ورد عليه من السرور بعد الأسف والحزن ؛ والملاط : ماولى العضد من الجنب . ويقال

إِلَى الثَّمَرِ الْحُلُوِّ الَّذِي طَيَّبَ لَهُ فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهُ أَصْلٌ^(١)
إِلَى سَمْعٍ تَوَ بَشَرَ اللَّهُ أُمَّةً
بَفَيْرٍ نَبِيٍّ بَشَرْنَا بِهِ الرُّسُلُ^(٢)

فجواز جذف التنوين للضرورة أولى ، لأن الواو من « هو » متحركة ، والتقدير فيينا هو ، والتنوين ساكن ، ولا خلاف أن حذف الساكن أسهل من المتحرك ، وحجة بعض نحاة البصريين أن الأصل في الأسماء الصرف ، فلو جوزنا لأدى ذلك إلى رده عن الأصل إلى غير الأصل ، وإلا التبس ما ينصرف بما لا ينصرف . وقد تقدم ما هو أوفى من ذلك فيما أسلفنا من هذا الشرح

(١) طيء : قبيلة الممدوح ، وقحطان بن هود : أبو قبائل اليمن ، وعدنان أبو قبائل العرب . وجعل الممدوح كالثمر الحلو في جوده وحسن خلقه . وقوله له : أى للثمر ، ومن روى « لها » : فالضمير للفروع ، أو لطيء . يقول : إنه ثمر قد خرج من غصون هي طيء ، وهذه الغصون قد خرجت من أصل هو قحطان .

(٢) يقول : إن الله سبحانه لا يبشر عباده بأحد من الخلق إلا أن يكون نبياً ، فلو كان يبشر بغير نبي لبشرنا به على لسان الرسل ، ويروى : لو بشر الله خلقه . هذا : وقال الجوهري : يقال بشرت الرجل أبشره بالضم بشرا وبشوراً من البشرى ، وكذلك الإخبار والتبشير ، والاسم البشارة - بكسر الباء وضمها - يقال بشرته بمولود فأبشر إشارة : أى سر ، وبشرت بكذا - بالكسر - أبشر : استبشرت به ، قال عبد القيس ابن خفاف البرجمي :

وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعَلَا غَبْرًا أَكْفَهُمُ بَقَاعٍ مِجَل

فَأَعْنِهِمْ وَأَبْشِرْ بِمَا بَشَرُوا بِهِ وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا بِضْنِكَ فَانْزِلْ

وقال بعض علماء اللغة : البشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير ، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة ، كقوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » ، وقد يكون هذا على حد قولهم : تحيتك الضرب ، وعتابك السيف .

للعضدين : ابنا ملاط ، ووصفه برخاوته لأن ذلك أهد لتجافى عضديه عن كركرته . وأبعد له من أن يصيبه ناكث أو ماسح أو ضنب ، وهذه كلها آفات تلحقه إذا حك بعضه بكركرته - زور البعير - ومعنى يشرى : يبيع ، وهو من الأضداد .

إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْفِ الَّذِي
تُحَدِّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ أَخْيِلُ وَالرَّجُلُ^(١)
إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ تَجَمَّعَ فِي تَشْنِيتِهِ لِلْعَمَلِ شَمْلُ^(٢)
هُمَا إِذَا مَا فَارَقَ الْغَمْدَ سَيْفُهُ وَعَايَنْتَهُ لَمْ تَذَرِ أَيُّهُمَا الْفَضْلُ^(٣)
رَأَيْتُ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ
فَشَايِنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَا تَقْطَعُ النَّسْلُ^(٤)
عَلَى سَابِغٍ مَوْجَ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ
غَمْدَاةً كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبِلُ^(٥)

(١) الضيفم : الأسد . وسكن القاف - في وقفاته - للضرورة . وقوله تحدث الخيل : يعنى أصحابها ؛ أى الفرسان . والرجل : الرجال وهم المشاة . وإلى القابض الأرواح : أى أشكو إلى قابض الأرواح . يريد لكثرة غزواته ووقائعه وقتله الأعداء . والأرواح تروى بالنصب على أنها مفعول القابض ، وبالحذف على الإضافة ، مثل الحسن الوجه .

(٢) شت : تفرق ، والشم : الاجتماع . يقول : كلما تفرق جمع ماله اجتمع بمحل معاليه ؛ وعبارة بعض الشراح : كلما جمع مالا من غزواته أو فرقه على أولياء تجمع له شمل العالى

(٣) من خفض هام : فعلى البدل مما تقدم ، ومن رفعه : فعلى إضمار مبتدأ محذوف ، والهام : الملك الرفيع الهمة . والغمد : جفن السيف . يقول : إنه يعضى فى الامور مضاء السيف ، فإذا جرد سيفه من غمده لم تذر أيهما السيف كما قال أبو تمام :

يَمْدَوْنَ بِالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ أَيْدِيًا وَهُنَّ سِوَاهُ وَالسِّيُوفُ الْقَوَاطِعِ

(٤) ابن أم الموت : يعنى أخا الموت ، جملة أخا الموت لكثرة قتله أعداءه والبأس : الشدة . ولشأ شاع : يقول : لو كان لكل أحد من الناس بأسه لكانوا كلهم شجعانا وإذا ذاك يقتل بعضهم بعضا فينقطع النسل لكثرة القتل

(٥) السابغ : الفرس الذى كأنه من حسن جريه يسبح ، ولما سمى فرسه سابغا : استعار المنيا موجاً ، ونصب « موج المنيا » على الظرفية : أى فى موج المنيا و« بنحره » صلة سابغ ، وهذا كقول مالك بن خالد الحناعى :

وَكَمْ عَيْنٍ قَرْنٍ حَدَقَتْ لِنِزَالِهِ فَلَمْ تُقْضِ إِلَّا وَالسَّيِّئَاتُ لَهَا كُحْلٌ^(٢)

بِأَسْرَعِ الشَّدِّ مَنِ يَوْمَ لَا نِيَّةٌ لَمَّا عَرَقْتَهُمْ وَاهْتَزَّتِ اللَّمَمُ^(١)

أراد بأسرع في الشد مني ، خذف ونصب ؛ و يروي موج المنايا - بالرفع - فيكون « موج » : مبتدأ ، خبره : بنجره : أى أن موج المنايا صار عند نجره . وأضاف « غداة » إلى الجملة التي بعدها لأن ظروف الزمان تضاف إلى الجمل ؛ تقول : رأيتك يوم قدم زيد . والمراد بالغداة هنا : مطلق الحين ؛ لا وقت بعينه ؛ كما يقال : أصبح وأمسي ؛ يراد بهما مطلق الكون أو الصيرورة ؛ والوبل : المطر الكثير . يقول : رأيت المدوح على فرس يسبح في موج بحر الحرب : أى يسرع الجرى فيه يوم كثرت سهام الأعداء في صدر فرسه كما يكثر الوبل ؛ وذلك لإقدامه وشجاعته ؛ فهو لا يبالي لذلك ويمضى قدما .

(١) القرن : الكفو في الحرب ؛ والتحديق : شدة النظر ؛ والنزال : القتال ؛ وكانوا إذا اشتد القتال نزل بعضهم إلى بعض بالسيوف ؛ وقيل كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل إذا غزوا ؛ فإذا وصلوا إلى العدو تداخوا : نزال فينزلون عن الإبل ويركبون الخيل ؛ ومنه قول الحماسي :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها يسلم أو ظفة القوائم هيسكل
فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل^(١)

(١) نية : لغة في نية ؛ واللمم : جمع لمة ؛ شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة . هذا وقد روى البيت : بأسرع الشد مني . يريد بأسرع شدا مني ؛ فزاد اللام ؛ كزيادتها في بنات الأوبرا .

(٢) إذا جعلت « نزال » بمعنى النزول إلى الأرض : كان المعنى : وعلام أركبه حين لم أنزل إلى الأرض ، ومعلوم أنه حين لم ينزل هو راكب ، فكأنه قال : وعلام أركبه في حين أنا راكب ؟ أما إذا جعلت نزال بمعنى المنازلة - لا بمعنى النزول - كان المعنى : وعلام أركبه إذا لم أنازل الأبطال عليه ؟ أى ولم أركبه إذا لم أقاتل عليه ؟ أى في حين عدم قتالي عليه ، والشعر لربيعه ابن مقروم الضبي . والأوظفة جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها والقوائم : الأرجل ؛ والهيسكل : العظيم ، وصف به الفرس . يقول : شهدت الفرسان يوم تطاردهم بالرماح ، وأنا على فرس ضخم سليم الأوظفة من العيوب .

إِذَا قِيلَ رَفَقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ^(١)
وَلَوْلَا تَوَلَّى نَفْسَهُ حَلَّ حِلْمِهِ
عَنِ الْأَرْضِ لَأَنهَدَتْ وَنَاءَ بِهَا الْحِلْمُ^(٢)

ثم سمي القتال نزالا ، والمقاتلة منازلة ، وإن لم يكن هناك نزول ، وأغضت العين : غمضت ، والسنان : طرف الرمح . يقول ، كم عين قرن حددت النظر نحوه قصداً لقتاله فلم تطرف عينه إلا وقد أدخل فيها سنانه ، فجعله لعينه بمنزلة الكحل .
(١) يقول : إذا طلب إليه الرفق بالأقران ، وقيل له ارفق رفقا ، قال موضع الحلم غير الحرب : يعني أن الرفق والحلم إنما يكونان في السلم ، أما الحرب فلا رفق فيها ، والتحمل فيها جاهل — أحق — يضع الشيء في غير موضعه .
وهذا المعنى قد طرقة كثير من الشعراء ، ومنه قول الفند الزماني :

* وبعض الحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلدَّلَّةِ إِذْعَانُ *

وقول سالم بن وابصة :

إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذِلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قَدَرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
وقال الحريري :

أَرَى الْحِلْمَ فِي بَعْضِ لِلوَاطِنِ ذِلَّةً وَفِي بَعْضِهَا عِزًّا يُسَوِّدُ صَاحِبَهُ
وقال الأعور الشني :

خَذِ الْقَفْوَاً وَاغْفِرْ أَيُّهَا الْمَرْءُ إِنِّي أَرَى الْحِلْمَ مَالِمَ تَخْشَى مَنَقَصَةً غَنُمَا
والحلم : نقيض السفه ، وهو الأناة والتثبت والعقل .

(٢) ناء به الجبل : أنقله ؛ ويقال ناء بالحمل : إذا نهض به مثقلا ؛ والمرأة تنوء بها عجيزتها أي تثقلها ؛ وهي تنوء بعجيزتها : أي تنهض بها مثقلة . والحمل — بكسر الحاء — ما حمل على ظهر أو رأس ، وأما الحمل — بفتح الحاء — فهو ما يحمل في البطن من الأولاد في جميع الحيوانات ؛ أما ما تحمله الشجرة من الثمر فنهم من يفتحها تشبيها بحمل البطن . ومنهم من يكسره يشبه بما يحمل على الرأس ، فكل متصل حمل — بالفتح — وكل منفصل حمل — بالكسر — يصف حله بالرزانة يقول : لولا أنه باشر بنفسه حمل حله عن الأرض ونهض به دونها لعجزت الأرض عن حمله واندكت لثقله ، ولما كان الحلم بوصف بالرزانة والثقل والحليم يشبه بالطود — الجبل — ساغ في وصف حلم المدوح هذا الكلام ، والمعنى أنه لو كان الحلم جسما لكان من الثقل بهذه الصفة .

تَبَاعَدَتِ الْأَمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ وَضَاقَ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِكَ الشُّبُلُ^(١)
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ الشَّرَى فَأَسْمَعَهُمْ هُبُوا فَقَدْ هَلَكَمُ الْبُخْلُ^(٢)
وَحَالَتْ عَطَايَا كَفَعُ دُونَ وَعْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ^(٣)

(١) يقول : تباعدت آمال الناس عن جميع المقاصد ، يعنى أنها قصدتك وتوجهت نحوك دون غيرك ، وهو قوله « وضاق بها إلّا إلى بابك » يروى إلى بابك على الغائب .

(٢) الندى : الجود ، والسرى : السير ليلاً ، و« هبوا » وما بعدها إلى آخر البيت - حكاية - . يقول : إن شيوخ نداء يستحث القاعدين عنه على طلبه ، فكانه يناديهم ويقول لهم : استيقظوا من نومكم ، واسرؤا إليه ؛ فقد هلك بجوده البخل . هذا : ويقال هب الرجل من نومه إذا استيقظ ، وهو فعل موضوع لقوة الشيء ونشاطه ، فقد قالوا : إن الهباب النشاط ما كان ، قال لبيد :

فَلَهَا هِبَابٌ فِي الزَّمَامِ كَأَنَّهَا صِهْبَاءُ خَفَّ مَعَ الْجَنُوبِ جَهَامُهَا^(١)
ومنه هب النائم لأنه يزايل السكون ، وهبت الريح إذا جاءت بعد سكون وهب التيس هاج ، وأراد السفاد ، وهب السيف : إذا اهتز للقطع .

(٣) حالت اعترضت . يقول : إن عطاياه لم تدع مجالاً للوعد لأنه يعطيها معجلة ومن ثم لا يعزى إليه إنجاز ولا مطل ، لأنه إذا لم يكن ثم وعد لم يكن هناك إنجاز ولا مطل ، كما قال أشجع السلى :

يسبق الوعد بالنوال كما يسبق برق الفيض صوب الغمام

هذا : ويقال نجزت الحاجة إذا قضيت ؛ وإنجازكها : قضاؤها ؛ ونجز حاجته ينجزها - بالضم - نجزاً : قضاها ونجز الوعد ؛ ويقال أنجز حرماً وعد . ومن أمثالهم إذا أردت المأجزة قبل المأجزة . يضرب لمن يطلب الصلح بعد القتال^(٢) وكل ذلك من نجز الشيء : فنى وذهب فهو ناجز .

(١) الهباب : النشاط ؛ وصهباء : يريد كأنها سحابة صهباء : أى حمراء . وخف أسرع ؛ والجهايم ، السحاب الذى لا ماء فيه : أى لهذه الناقة فى مثل هذه الحال نشاط فى السير ، فكانتها فى سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التى هراقت ماءها فانقردت عنها ، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها

(٢) تناجز القوم : تسافكوا دماءهم ، كأنهم أسرعوا فى ذلك

فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ^(١)
وَمَا تَنْقِمُ الْأَيَّامُ يَمَنَ وَجُوهَهَا لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ^(٢)
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادُ أَرَادَهُ وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ^(٣)
كَفَى مُعْلَاً فَخْراً بِأَنَّكَ مِنْهُمْ وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ^(٤)

قال النابغة الذبياني :

وَكُنْتُ رِبِيعاً لِلْيَتَامَى وَعِصْمَةً فَمَلَكَ أَبِي قَابُوسٍ أَضْحَى وَقَدْ نَجَزَ^(١)

(١) يقول : إن عطاياه لا يقدر أحد على تحديدها : أى أن يجعل لها حداً تنتهى إليه ، كما لا يقدر أحد على رد ما فات ، بل رد الفائت أقرب من تحديدها ، وأيسر من إحصائها إحصاء المطر والرمل وهما لا يحصيان .

(٢) ما تنقم : ما تعيب ، والاستفهام : معناه الإنكار ، ويجوز أن يكون نفيّاً وإخباراً . والضمير في وجوهها : للأيام ؛ وفي أخمصه : للمدوح ؛ والأخصم : باطن : القدم ، وجوهها : مبتدأ ؛ ونعل : خبر ؛ ولأخصمه : متعلق بنعل . يقول : إنه غلب الأيام بعزه ، وذلت له الأيام ذل من يطؤه بأخصمه حتى يصير تحت رجله كأنه في الدل فالأيام لا تقدر أن تغالفه . أو تعيب فعله .

(٣) عزه : غلبه وأعجزه . وقوله « وإن عز » أى قل وجوده . يقول : أنه لا يعجزه أمر يحاوله وإن قل وجوده إلا أن يكون ذلك الأمر المراد وجدان نظيره . فإنه يعجز عنه لعدم نظيره ، وهذا كما يقول البحرى :

كُلُّ الَّذِي تَبَغَّى الرِّجَالُ تَصْيِبُهُ حَتَّى تَبَغَّى أَنْ يُرَى شَرَوَاهُ
« شرواه : أى مثله » ويقول أيضاً :

وَلَيْتَنِي طَلَبْتُ شَبِيهَةَ إِنْى إِذَا لِمَسْكَفٍ طَلَبَ الْحَالِ رِكَابِي

(٤) نعل : بطن من طيء ، وهم رهط الممدوح ، وهو مفعول كفى ، وغفرا تمييز ، وأنتك منهم : فاعل كفى ؛ والباء زائدة ، مثلها في قوله تعالى « وكفى بالله شهيدا » . يقول كفاهم غفراً أنتك منهم : وارتفع دهر بفعل مضمر دل عليه أول الكلام ، كأنه قال

(١) أبو قابوس : كنية النعمان بن النذر . يقول : كنت لليتامى في إحسانك إليهم بجزلة الربيع الذى به عيش الناس ، والعصمة ما يعتصم به الإنسان من الهلاك ونجى : فنى ويذهب ، أى انقضى وقت الضحى لأنه مات في ذلك الوقت

وَوَيْلٌ لِّلنَّفْسِ حَاقَتْ مِّنْكَ غُرَّةٌ ۚ وَطُوبَىٰ لِّمَنِ سَاعَةٌ مِّنْكَ لَا تَخْلُوْ^(١)
فَمَا بَقِيْعِر شَامٌ بَرَقَتْ فَاَقَةٌ ۚ وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا تَحْمِلُ^(٢)

وليفخر دهر أهل لأن أمسيت من أهله ، فأهل : صفة لدهر ؛ يعنى وليفخر دهر
قد استحق أن تكون من أهله ، ولك أن تجعل دهر مبتداً محذوف الخبر : أى وكذلك
دهر . ويجوز رفع دهر عطفاً على فاعل كفى ، وهو المصدر المقدر ، لأن « أن » مع
خبرها بمعنى الكون لتعلق منهم باسم الفاعل المقدر الذى هو كائن تقدره كفى ثملا
غراً كونك منهم ودهر مستحق لأن أمسيت من أهله : أى وكلفهم غراً دهر أنت فيه
أى أنهم غفروا بكونك منهم وغفروا بزمانك لنضارة أيامه ، كما يقول أبو تمام :

* كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جَمْعٌ *

وروى ابن فورجه ودهراً عطف على ثملا ، قال : وأهل رفع لأنه خبر مبتداً
محذوف : أى هو أهل لأن أمسيت من أهله . وبعد فالعنى : كفى ثملا غراً على سائر
العرب كونك منهم ، وكذلك الدهر كفاه غراً على سائر الأزمنة كونك من أهله .

(١) جاولت : طلبت ذلك بالحيلة ، وغرة : أى غفلة . يقول : ويل لنفس طلبت
منك غفلة وطوبى لعين لا تغلو من إصرارك . وطوبى : فعلى من الطيب فقولهم طوبى
للملان أى العيش الطيب له ، وقيل طوبى له : حسنى له ، وقيل خير له ، وقيل طوبى :
اسم الجنة بالهندية ، وقيل بالحبشية . وويل قال الجوهري : « ويل » كلمة عذاب ، وويج :
كلمة رحمة ، وقيل هما بمعنى واحد ، وهما مرفوعان بالابتداء : يقال ويل لزيد وويج لزيد ، ولك
أن تقول ويل لزيد وويج لزيد ، فتنصبهما بإضمار فعل ؛ وكأنك قلت ألزمه الله ويحاً وويلا
ونحو ذلك . ولذلك أن تقول ويحك وويج زيد . وويلك وويل زيد . بالإضافة -
فتنصبهما أيضاً بإضمار فعل ، وعبرة الزجاج : الويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب
أو هلكة . قلل : وأصل الويل فى اللغة العذاب والهلاك ؛ والويل : الهلاك يدعى به
لمن وقع فى هلكة يستحقها . ومنه : « ويل للمطففين » فإن وقع فى هلكة لم يستحقها .
قلت : ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم . ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
« ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية »

(٢) شام ابرق : نظر إليه وتطلع إلى سحابه يؤمل إمطاره ، والفاقة : الحاجة .
والصيب : المطر الشديد . والهل : الجذب . يقول : لافاقة بفقير يرجى عطاءك لأنك
تحقق مرجوه ، ولا جذب حيث كنت لأن جودك خصب حيث كان ، وشام برقك :
مثل لتوجيه الأمل إليه كما يشام برق السحاب .

وقال يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي :
صِلَّةُ الْهَجْرِ لِي وَهَجْرُ الْوِصَالِ

نُكْسَانِي فِي السَّقَمِ نُكْسَ الْهَلَالِ (١)
فَقَدَا الْجَنَسُ نَاقِصًا ، وَالَّذِي يَنْقُصُ مِنْهُ يَزِيدُ فِي بَلْبَالِي (٢)
قِفْ عَلَى الدَّمْنَتَيْنِ بِالْذَوْ مِنْ رِيَا كَغَالِرٍ فِي وَجْنَةٍ جَنْبَ خَالِرٍ (٣)
بَطُولٍ كَأَنَّهُنَّ نُبُوءٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيْالِي (٤)
وَنُؤَى كَأَنَّهُنَّ عَلَيْنِ خِدَامٍ خُرُسٌ بِسُوقٍ خِدَالٍ (٥)

(١) نكس الرريض نكسا ونكسا ونكاسا : هاووته العلة بعد النقص والبرء : قال
أمية بن أبي عائذ الهذلي :

خَيْالٌ لَزِينِبٍ قَدْ هَاجَ لِي نُكْسًا مِنْ الْحُبِّ بَعْدَ انْدِمَالِ

يقول : إن مواصلة هجر الحبيب لي وهجر وصاله إياي قد أعاداني إلى السقم بعد الصحة
كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه .

(٢) البلبال : الهم والحزن . يقول : إن جسمه ينقص بالهزال وبمقدار نقصان
الجسم تكون زيادة الحزن : أي كلما نقص من جسمه شيء زاد بلباله بمقدار ذلك النقص
(٣) الدمنة : ما اسود من آثار الديار ، والدو الصحراء . وقوله من ريا : أي من
دمن ريا ، فـ «من» يائية ، كقول زهير :

* أَمِنْ أَوْفَى دِمْنَةٍ لَمْ تَكَلِّمْ *

يريد من دمن أم أوفى . وريا : اسم المحبوبة . والحال : شامة ، أي بثرة سوداء
ينبت حولها الشعر غالبا ، وتكون في الخد . شبه دمنتها في الصحراء بخالين في خد
يقول : قف بدمنتي هذه المحبوبة لتنظرها وتذكر من كان فيهما من أهلها ، فقد
بقيتا كأنهما خالان في خد .

(٤) الطلول : ما بقي من آثار الديار وبطلول : متعلق بقف . والعراص : جمع
عرصة ، ساحة الدار . يقول . قف بطلول لأثبات في العراص كما تلوح النجوم في الليالي .
يعني أن الطلول الشاخصة الباقية من ديار الأحباب تلوح في عراص خالية كما تلوح
النجوم في الليالي المظلمة .

(٥) النؤى : جمع نؤى ، وهو ما يحفر حول الحباء يقيه ماء المطر أن يدخله

لَا تَلْنِي فَإِنِّي أُعْشِقُ الْمُسَاقِ فِيهَا يَا أَغْدَلَ الْعُدَالِ (١)
مَا تُرِيدُ النَّوَى مِنَ الْحَيَةِ الذَّوَا قِ حَرَّ الْفَلَا ، وَبَرَدَ الظَّلَالِ (٢)
فَهُوَ أَمْضَى فِي الرُّوْعِ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ
تِ ، وَأَسْرَى فِي ظُلْمَةِ مِنْ خَيَالِ (٣)
وَلَحْنَفٍ فِي الْعَزِّ يَذْنُو مُحِبٍّ ، وَلِعُمُرٍ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِي (٤)

كالخندق . والخدام : جمع خدمة - بفتحيتين - الخللخال . وخرس : يريد لاصوت لها ؛
والسوق : جمع ساق ، والخدام : الغلاظ السمان . شبه النوى حول آثار الاخبية في
استدارتها بالخللاخيل حول الأسواق الغليظة ، وإذا غلظت الساق لم يتحرك فيها الخللخال
فلم يسمع له صوت ، ومن ثم وصف الخلاخيل بالخرس . وهذا إخبار بأن النوى لم
تدفن في التراب ، وأن ما أحدثت به ملاءها كما تملأ الساق الغليظة الخللخال ، وهذا
من قول أبي تمام :

أَنَافٍ كَالْخُدُودِ لُطْمَنَ حُزْنًا ، وَنَوَى مِثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارِ
فَنَقَلَ اللَّامِظَ مِنَ السَّوَارِ إِلَى الْخُدَامِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

نَوَى كَمَا نَقَصَ الْهَلَالُ بِحَاقِهِ أَوْ مِثْلُ مَا قَصَمَ السَّوَارَ الْمَعْصَمُ

(١) فيها ، في المحبوبة ، أى في هواها : متعلق بـلنى : أى لا تلىنى في هواها فَإِنِّي
أعشق العشاق وإن كنت أنت أغدَلَ العُدَالِ .

(٢) النوى : البعد والفراق وعنى بالحية نفسه ، والحية تطلق على الذكر والأنثى . يريد :
أنه قد تفرس ببحر الفلوات في النهار ويبرد الليل ، والليل ظل كله ، يعنى أنه تعود السير في
الحَرِّ والبرَد فلا تؤثر فيه الأسفار ، قال الواحدي : وهذا شكاية من الفراق وأنه
مبتلى به .

(٣) أَمْضَى : أُنْفَذَ . والرُّوْعُ : الفزع والهول وأسرى من السرى ، وهو السير لئلا ،
شبه نفسه بملك الموت لأنه يخوض غمار الحروب لأخذ الأرواح من غير خوف ،
والخيال يوسف بالأسرى ولا يكثر لبعْد المسافات .

(٤) لَحْنَفٍ : الهلاك ؛ واللام الداخلة عليه للتقوية متعلقة بمحب ، ويدنو : صفة
الحبيب ، ومحب : عطف على أَمْضَى - في البيت السابق - والقالي : البغض يقول إنه
محبٌّ للحنف القريب إذا كان في العز ، ومبغض للعمر في الذل وإن طال ذلك العز ،
يعنى أن الموت في العز أحب إليه من الحياة في الذل .

نَحْنُ رَكْبٌ مُلَجِّنٌ فَرَى نَاسٍ فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ (١)
 مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَمْشِي بِنَا فِي السَّبِيدِ مَشَى الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ (٢)
 كُلُّهُ هُوَ جَاءَ لِلدِّيَّامِيمِ فِيهَا أَثَرُ النَّارِ فِي سَلِيطِ الذَّبَالِ (٣)
 عَامِدَاتٍ لِلْبَدْرِ وَالْبَحْرِ وَالضَّرَّ غَامَّةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ الْمِفْضَالِ (٤)
 مَنْ يَرْزُهُ يَرْزُ سُلَيْمَانَ فِي الْمُلْكِ جَلَالًا وَيُوسُفًا فِي الْجَمَالِ
 وَرَبِيعًا يُضَاحِكُ الْفَيْثُ فِيهِ
 زَهَرَ الشُّكْرُ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي (٥)

(١) الركب : جمع الركاب : وقوله ملجن : أراد من الجن ، غذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن ، وهذا كقولهم بلعبر في « بنى العنبر » وبلقين في بنى القين والزى : الهيئة . يقول : إنهم كالجن في إلفه الجاهل والغلوات وركابهم كالطير في سرعة قطع المسافات . وهذا من قول أبي تمام :

فِي ثُبَّةٍ إِنْ سَرَوْا فَجَنُّ أَوْ يَمْمُوا شُقَّةً فَطِير

« الثبة : الجماعة ؛ والشقة : السفر البعيد »

(٢) الجدِيل : فحل كريم كانت العرب تنسب إليه الإبل . والبيد . الصحراوات . يقول : إن هذه الجمال التي هي كالطير في السرعة من بنات هذا الفحل الكريم تقطع بنا المفاوز قطع الأيام للأجال حتى تغنيها . وهذا من قول صريع الغواني :

مُوفٍ عَلَى مَهْجِجٍ وَالْيَوْمِ ذُو رَهْجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَسْمَى إِلَى أَمَلٍ

(٣) الهوجاء : الناقة التي لا تستوى في سيرها للنشاطها وخفتها كالريح الهوجاء والدياميم :

جمع ديمومة ، وهي المفازة لا ماء بها ؛ والسليط : الزيت ؛ والذبال جمع ذبالة وهي الفتيلة . يقول : كل ناقة قد أثرت فيها الغلوات تأثير النار في دهن الفتيلة ، وللعن قد أفتناها السير كما تفتى النار دهن الفتيلة ، وعبارة بعض الشراح . إن المفاوز قد ألهبتها بالظما والحر فأثرت فيها أثر النار في دهن الفتيلة .

(٤) عامدات : قاصدات ؛ والضرغامة : الأسد : شبه المدوح بالبدْرِ في الحسن والشرف والعلو ، وبالبحر في الجرد والكرم . وبالأسد في البأس والشجاعة ، ثم قال نه ! مفضل أي كثير الفضل .

(٥) وريعا : عطف على مفعول يزر - في البيت السابق - جعل المدوح ربيعا -

نَفَحْتَنَا مِنْهُ الصَّبَا بِنَسِيمٍ رَدَّ رُوحًا فِي مَيِّتِ الْأَمَالِ (١)
 هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْعُ الْمَوَالِي وَبَوَارُ الْأَعْدَاءِ وَالْأَمْوَالِ (٢)
 أَكْبَرُ الْعَيْبِ عِنْدَهُ الْبُخْلُ وَالطَّمَعُ
 نُ عَلَيْهِ التَّشْبِيهُ بِالرُّبَالِ (٣)

وهو الزمن المعروف ويطلق على الحصب ، وجعل عطاءه غيثا - مطرا - لذلك الربيع ، وجعل شكر الشاكرين زهرا يضاحك الغيث ، لأن الزهر إنما يتفتح ويحسن بعد مجيء الغيث كالشكر يكون بعد العطاء ، ثم استعار لمعاليه رياضا لتجانس الألفاظ ، وكأن هذا الزهر قد طلع من رياض معاليه لأنه لولا كرمه وحبه للبود ما أثنى عليه الشاكرون يقول : إن جوده يطر على السائلين فتبتسم له تغور الثناء ابتسام الزهر بعد المطر .
 (١) نفحت الريح : هبت أو نسمت ، ونفح الرياح : هبوبها في البرد ؛ واللفح : هبوبها في الحر . ونفح المسك ينفع : فاحت ريحه ؛ والصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وقوله منه : أى من الربيع المذكور . لما شبه المدوح بالربيع شبه ما انتشر من ذكر مكارمه بالنسيم الذى يهب فى الربيع . يقول : هبت علينا نسمة من أخبار كرمه أحييت مامات من آمالنا .

(٢) الموالى : جمع مولى . وهو الحليف والصدق ، والبوار : الهلاك
 (٣) عنده أى فى رأيه واعتقاده ، والرئبال : الأسد . يقول : هو يرى أن أكبر العيوب : البخل ، ومن ثم يتجنبه ويتحاماها ، وإذا شبهه أحد بالأسد كان ذلك كالطعن عليه لأن الأسد دونه بأسا وإقداما ، وقال العكبرى - تفسيرا لصدر البيت - أكبر عيب يعيب به أحدا عنده البخل لأنه كريم فلا يحب بخيلا ، فإذا عاب إنسانا قال هو بخيل . هذا : والرئبال مهموز - وقد سمع مخففا ؛ والجمع : الرأيل والريابل - على الهمز وتركه - قال بعضهم : يجوز فيه ترك الهمز ، وأنشد لجرير :

رَيَابِيلُ الْبِلَادِ يَخْفَنُ مِنِّي وَحَيَّةُ أُرَيْحَاءَ لِي اسْتِجَابَا (١)
 ومثله لأبى حية النخري .

ويلقى كما وكنا يدا فى قتالنا رَيَابِيلَ مَا فِينَا كَهَامٌ وَلَا نِكْسُ
 ويقال فلان يترأبل : أى يغير على الناس ويفعل فعل الأسد .

(١) أُرَيْحَاءُ : بيت المقدس .

وَالْجَرَاحَاتُ عِنْدَهُ نِعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ^(١)
ذَا السَّرَاجُ الْمُنِيرُ هَذَا النِّقْيُ السَّجِيْبُ هَذَا بَقِيَّةُ الْأَبْدَالِ^(٢)

(١) النعمات : جمع نفمة ، وهى هنا الصوت ؛ والسبب : العطاء : يقول : عادته أن يعطى بغير سؤال فإن سبقت عطاءه نفمة من سائل بلغ ذلك منه مبلغ الجراحة من المجروح أسفا على أن عطاءه تأخر حتى أتى يطلبه ؛ يعنى أنه يشق عليه نفمة السائل قبل الإعطاء ؛ ويحكي أن الحسن بن على عليهما السلام أتاه مال من معاوية ، فقسمه فلم يبق إلا خمسمائة دينار ، فأراد أن يقوم بها من مجلسه ، فالتفت وإذا أعرابى قد جاء على ناقة له ، فقال الحسن لفلانة : ادفع إليه هذه الدنانير وقل له إنك أتيت ولم يبق عندنا سواها فأخذها الأعرابى وقال له : يا ابن بنت رسول الله ! والله ما أتيتك إلا قاصدا ، فإذا أعلمك بحالى ؟ فقال له : إنا أناس نعطي قبل السؤال شحاً على مارجاه السائل لنا ، ثم أنشد :

نحن أناس جنابنا خضيل يسرع فيه الرجاء والأمل

نبدل قبل السؤال نائلنا شحاً على مارجاه من يسأل

ومثل هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة يرثى معن بن زائدة :

نوى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض راحته السؤالا

وقال الخطيب التبريزى : المعنى : يلتذ بنعمات السائل كما يلتذ الجراح^(٣) وقد روى اليازجى هذا البيت هكذا :

والجراحات عنده نِعَمَاتٌ سَبَقَتْ قَبْلَ سَيِّئِهِ بِسُؤَالٍ

وشرحه هكذا : يجوز فى « نعمات » كسر الميم على الاتباع ، وفتحها للتخفيف أو على أنها جمع نعم ، فتكون جمع الجمع ؛ وسؤال : متعلقة بسبقت . يريد : أن عادته سبق عطاءه للسؤال ، فإذا سبق السؤال عطاءه ؛ كان ذلك مؤلماً له كالجراحة عند المجروح

(٢) جعله سراجاً منيراً لأنه برأيه يهتدى فى مشكلات الخطوب ودجنات الأمور . أو علمه يهتدى إلى ما أشكل من السائل ، والجيب : ما انفتح من القميص على النحر ، والنقى الجيب : عبارة عن الظاهر من العيب ؛ أى أن ثوبه لا يشتمل على دنس

(١) لعل الإمام التبريزى يريد كما يلتذ بالجراحات التى تصيبه فى الوغى : أى أنه كريم شجاع .

- فَخُذَا مَاءَ رَجُلِهِ وَأَنْضَعَا فِي الْمُدْنِ تَأْمِنَ بَوَاقِ الزَّلْزَالِ^(١)
وَأَمْسَحَا ثَوْبَهُ الْبَقِيرَ عَلَى دَا ثِكَمَا تُشْفِيَا مِنَ الْإِغْلَالِ^(٢)
مَالَنَا مِنْ نَوَالِهِ الشَّرْقِ وَالْفَرْ
بَ وَمِنْ خَوْفِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ^(٣)
قَابِضًا كَفَّهُ الْيَمِينَ عَلَى الدُّنْيَا ، وَلَوْ شَاءَ حَازَهَا بِالشَّمَالِ^(٤)
نَفْسُهُ جَيْشُهُ وَتَدْبِيرُهُ النَّصْرُ ، وَأَخْلَظُهُ الطُّبَى وَالْعَوَالِي^(٥)
وَلَهُ فِي جَهَا جِهَمِ الْمَالِ ضَرْبٌ وَقَعَهُ فِي جَهَا جِهَمِ الْأَبْطَالِ^(٦)

والأبدال : العباد الزهاد ، سموا بذلك لأنهم أبدال من الأنبياء في إجابة دعواتهم ونصحهم للخلق ، وقيل لأنه إذا مات أحدهم أبدل الله مكانه آخر .

(١) النضج : الرش . والبواق : جمع باقة ، وهى الداهية . والززال - بفتح الزاى - الاسم ، وبكسر ها : المصدر . يقول - مخاطباً صاحبيه - : رشا الماء الذى يسيل من رجليه إذا توطأ على المدائن تصر آمنة من الزلزال بركة صلاحه .

(٢) البقير : قميص يشق بلا كمين ، وهو بيان للثوب . والإغلال : مصدر أعله الله إذا أصابه بعله ، وهى المرض . يقول : واستشفيا بثوبه تبركاً به حتى تشفيا مما بكما من الإغلال

(٣) مالنا : حال مضمرة العامل ، أى هو موصوف بما ذكر حالة كونه قد ملأ الأرض من عطائه وملأ القلوب من خوفه .

(٤) يقول : إنه زاهد فى الدنيا لحقارتها ولو شاء ضمها إليه كلها فملكها .

(٥) الطي : جمع ظبة . حد السيف . والعوالى : الرماح . يقول : نفسه لشجاعته وقوته تقوم مقام الجيش ، وتديره بإصابته فى الرأى يكفل له النصر ، وهيئته إذا نظر تقوم مقام السيوف والرماح .

(٦) قال الواحدى : يعنى أنه يفرق ماله بالعطاء فإذا فى المال أنى أعداءه فضرِبَ جماجمهم وأغار على أموالهم ، كما يقال هو مفيد ومتلاف ، فوقع ضربه فى رءوس أمواله يكون فى الحقيقة فى رءوس الأبطال ، لأنه لو لم يفرق ماله ما عاد إلى قتالهم واستباحة أموالهم ، وهذا كقوله :

فَالسَّلْمُ يَكْسِرُ مِنْ جَنَاحِي مَالِهِ بِنَوَالِهِ مَا تَجِبُرُ الْهَيْجَاءُ

فَهَوُوا لِاتِّقَائِهِ الدَّهْرَ فِي يَوْمٍ مَرَّ نِزَالٍ وَلَيْسَ يَوْمَ نِزَالٍ^(١)
 رَجُلٌ طِينُهُ مِنَ الْعَنْبَرِ الْوَزْدِ وَطِينُ الْعِبَادِ مِنْ صَلْصَالٍ^(٢)
 قَبَقِيَّاتُ طِينِهِ لَاقَتْ الْمَاءَ ، فَصَارَتْ عَذُوبَةً فِي الزُّلَالِ^(٣)
 وَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ مِنْ فَصَارَتْ رَكَائِنًا فِي الْجِبَالِ^(٤)
 لَسْتُ بِمَنْ يَغْرُهُ حُبُّكَ السَّلَامَ وَأَنْ لَا تَرَى شُهُودَ الْقِتَالِ^(٥)
 ذَاكَ شَيْءٌ كَفَاكَهُ عَيْشُ شَانِيكَ ذَلِيلًا بَوَقْلَهُ الْأَشْكَالِ^(٦)
 وَاغْتِفَارًا لَوْ غَيَّرَ الشَّخْطُ مِنْهُ جُمِلَتْ هَامُهُمْ نِعَالَ النِّعَالِ^(٧)

(١) يقول : هم أبدأ يخافونه حتى كأنهم في يوم حرب لشدة خوفهم وليس الوقت يوم حرب ، وقال ابن جني : أي فهم الدهر يتقونه لإعماله رأيه ومضاهيه فيهم ، وإن لم يباشروهم بحرب ولا لقاء .

(٢) العنبر الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة . والصلصال : الطين اليابس الذي يعمل منه الفخار . يقول : إنه لنقاؤه وطهارته خلق من العنبر وسائر الناس خلقوا من طين صلصال ، وشتان ما بينهما .

(٣) للماء الزلال : البارد السائع . يقول : إن الماء إنما استفاد العذوبة منه لأن ما بقي طينته التي خلق منها اجتمع مع الماء فصارت عذبا .

(٤) عاف الشيء : كرهه ، والركاكة : الرسوخ والسكون . يقول : وإن ما بقي مما أعطى من الحلم والرزانة كرهه وأنف أن يحل في الناس محل في الجبال فأفادت بذلك ثباتها وركائنها .

(٥) يغره : يخذعه . والسلم : ضد الحرب ، وترى من الرأي ؛ والشهود : مصدر بمعنى الحضور . وتمة المعنى في البيت التالي .

(٦) الإشارة بقوله ذاك : إلى القتال وكفاكه : أغناك عنه ؛ والشاني : هو الشاني - بالهمز - أي البغض ؛ وذليلا : حال ، والأشكال : الأشياء والأمثال . يقول : لا يغرنى ما أراه من محبتك السلم وأنت لا ترى حضور القتال ، فأقول إن ذلك من الجبن وإنما كفاك القتال وأغناك عنه أن من عاداك قد ذل وأن ليس هناك أ كفاء لك يستحقون أن تنازلهم في حرب :

(٧) واغتفار : عطف على فاعل كفاكه ، و«من» في منه زائدة : أي لو غيره السخه والهام : الرءوس ، والسكناية في هامهم تعود إلى الأعداء ، دل عليه قوله عيش شانيك

لِجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَغْرَا ۚ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دَمٍ فِي جِلَالٍ ^(١)
وَأَسْتَمَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَالْقَى لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ ^(٢)
أَنْتَ طَوْرًا أَمْرٌ مِنْ نَاقِصِ الشَّمِّ وَطَوْرًا أَهْلَى مِنَ السَّلْسَالِ ^(٣)

يقول : وكفائك القتال عفوك وتجاوزك ولو غير السخط ذلك الاغتفار والعفو لدست
ردوسهم بهوافر خيلك حتى تصير هامهم نعالا لنعالها . وقال ابن جني : لو احفظوك
وحملوك على ترك الاغتفار لأهلكتهم ، ولقد أحسن في كنياته عن الحفيظة بقوله :
لو غير السخط منه ، ومثله :

ولو ضَرَّ خَلْقًا قَبْلَهُ مَا يَسُرُّهُ لَا تَرَّ فِيهِ بِأُسُهُ وَالتَّكْرُمُ
كفى عن الضرر باثر فيه .

(١) لجياد : متعلق بمحذوف حال من نعال - في البيت السابق - ففيه تضمين ، وقد
عابه عليه قوم . والأعراء : جمع عرى ، وهو الذى لا سرج عليه . يقال فرس عرى
وأفراس أعراء ، والجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه الدابة . يقول : إنها تدخل الحرب
أعراء من الجلال ثم تخرج منها وعليها جلال من الدم الذى جف عليها ، كما قال جرير :
وَتُنْكَرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَلْوَانُ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرَا
(٢) استمار . معطوف على جواب « لو » ، والمراد بالحديد : السيوف . والدوائب
جمع ذؤابة ، الحصلة من الشعر . يقول : إن سيوفه تستعير وتغير فإن لون الدوائب - وهو السواد
ينقل إليها ، وذلك أن الدماء إذا جفت عليها اسودت ، ولونها - وهو البياض - ينتقل
إلى الدوائب فإنها بالروع تشيب الأطفال .

(٣) الطور : النارة ، ونصب على الظرفية ؛ والناقص من السم : الثابت في بدن شاربته
لا يزيله حتى يقتله ؛ والسلسلة : الساء العذب الذى يتسلسل في الحلق يقول : أنت سم
لأعدائك حلولا وليائك ، وهذا المعنى طرقة كثير من الشعراء ، قال أبو دؤاد :

فَهُمْ لِلْمَلَأَيْنِينَ أَنَاةٌ وَعُرَامُ إِذَا يَرَامُ الْعُرَامُ

وقال أبو نواس :

حَذَّرَ امْرَأَتِي نَصْرَتِ يَدَاهُ عَلَى الْعِدَا
ونقله أبو الشيص إلى السيف قال :

وَكَالسَيْفِ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَتْنُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ

إِنَّمَا النَّاسُ حَيْثُ أَنْتَ وَمَا النَّاسُ سُبْنَاسُ فِي مَوْضِعٍ مِنْكَ خَالِي^(١)

وقال وقد دخل على أبي على الأوراجي يوماً فقال له: وددنا يا أبا الطيب لو كنت اليوم معنا ، فقد ركبنا ومعنا كلب لابن ملك ، فطردنا به ظلياً ، ولم يكن لنا صقر . فاستحسننا صيده ، فقال : أنا قليل الرغبة في مثل هذا ، فقال أبو على : إنما اشتيت أن تراه فنستحسنه ، فتقول فيه شيئاً من الشعر ، قال : أنا أفعل ، أفتحب أن يكون الآن ، قال : أيمكن مثل هذا ؟ قال : نعم . وقد حكمتك في الوزن والقافية ؛ قال : لا ، بل الأمر فيهما إليك ، فأخذ أبو الطيب درجاً ، وأخذ أبو على درجاً آخر يكتب فيه كتاباً فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وقال :

وَمَنْزِلَ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلٍ وَلَا لِفَيْرِ الْغَادِيَاتِ الْهَاطِلِ^(٢)
نَدَى الْخَزَامَى ذَفِيرِ الْقَرْنَفِلِ مُحَلَّلٍ مَلُوْحَشٍ لَمْ يَحْلَلِ^(٣)

- (١) يقول : أنت الناس فإذا غبت عن موضع غاب عنه الناس .
(٢) ومنزل : أي ورب منزل . والغاديات : السحائب المنتشرة مباهاً ؛ والهاطل : جمع هاطلة وهي السكينة الماء . يقول : رب منزل نزلناه ليس لنا بمنزل على الحقيقة لأننا نرتحل عنه وليس بمنزل شيء غير السحاب الباكرة الماطرة ، يعني روضاً نزلوه . وقد أسلفنا القول على واو «رب» في هذا الشرح
(٣) الندى : الرطب ؛ والخزامي والقرنفل : نباتان طيبان . والأذفر : الذكي الرائحة . والمحلل : الذي يحل كثيراً . وقوله ملوْحَش : أي من الوحش ، فحذف النون لسكونها وسكون اللام . يقول : يحله الوحش دون الناس فهو محلل من الوحش غير محلل من الإنسان . قال الجوهري : مكان محلل : إذا أكرت الناس به الحلول ، قال امرؤ القيس :

كَبِكْرِ الْمَقَانَةِ الْبَيَاضِ بِصَفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَلَلِ^(١)

- (١) أراد بقوله «بكر المقانة» درة غير مثقوبة أو لم ير مثلاً ، ثم قال غذا هذه الدرة

عَنْ لَنَا فِيهِ مُرَاعِي مُغْزِلٍ مُحَيِّنُ النَّفْسِ بَعِيدُ الْمَوْتِ^(١)
أَغْنَاهُ حُسْنُ الْجِيدِ عَنْ لُبْسِ الْحِلْيِ وَعَادَةُ الْعُرَى عَنِ التَّفَضُّلِ^(٢)
كَأَنَّهُ مُضْمٌ نَخَّ بِصَنْدَلٍ مُعْتَرِضًا بِمِثْلِ قَرْنِ الْأَيْلِ^(٣)

(١) عن : ظهر؛ والمراعى . الذى يعرى مع غيره . يقال : راعت الظبية أختها: أى راعت معها ، والمغزل : الظبية لها ولد والحين : من الحين ، وهو الهلاك ، يقال حينه الله : أى أهلكه والموتل : اللجأ . يقول : ظهر لنا فى هذا الموضع ظبي يعرى مع ظبية مغزل قد حان أجله ، وفاته موضع ينجو إليه من صيدنا لأننا ندركه حينما ذهب :

(٢) الجيد : العنق ، والحلى بضم فكسر وبكسرتين وأصله بتشديد الياء ، مخفف للقفائية . جمع حلى بفتح فسكون مائتزين به المرأة من ذهب وفضة وجوهر والتفضل أن تلبس المرأة ثوبا يبتذل فى المنزل ، ومنه قول امرئ القيس :

وَتُضْحَى فَتَيْتُ الْمَسَكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَقِ عَنْ تَفَضُّلِ^(١)
وفى حديث امرأة أبى حذيفة ، قالت يارسول الله : إن سالم مولى أبى حذيفة يرانى فضلا - أى متبذلة فى ثياب مهنتى - وليس لنا إلا بيت واحد ، فما تأمرنى فى شأنه ؟ فقال أرضعيه خمس رضعات . يقول : أغنى هذا الظبي حسن جيده عن أن يلبس حليا يزين بها وقد تعود العرى فاستغنى بهذا عن اتخاذ اللباس

(٣) ضمخه بالطيب طلاه به والصندل طيب يشبه لونه لونه لون الطباء ، ومعترضا : حال مضمرة العامل ، أى أصفه بما ذكر فى حال كونه معترضا ، والأيل: الذكر من الأوعال ، وفيه ثلاث لغات أيل وإيل وأيل ، والجمع أيايل ، وربما قالوا فى إيل «إجل» يدلون الياء جيا ، قال أبو النجم :

ماء غير عذب لم يكثر حلول الناس عليه فيسكدره ذلك ، والملة اناة الخلط ، وكل شيء خالط شيئا فقد قاناه ، وروى البيت بنصب البياض وخفضه ، على حد قولهم : زيد الحسن الوجه . فى البيت آراء كثيرة فى معناه (انظر الزوزنى . واللسان مادة قى)
(١) لم تنتطق عن تفضل : أى لم تنتطق بعد تفضل : أى لم تشد وسطها بنطاق بعده لبسها ثوب المهنة ، يريد أنها مخدومة منعمة ، تخدم ولا تخدم .

يَحُولُ بَيْنَ الْكَلْبِ وَالتَّائَمِلِ فَحَلَّ كَلَابِي وَثَاقَ الْأَحْبِلِ ^(١)
عَنْ أَشْدَقِ مُسَوِّجٍ مُسَلْسَلِ أَقْبَ سَاطِ شَرِسٍ شَمْرَدَلِ ^(٢)
مِنْهَا إِذَا يُشْغَلُ لَا يَفْزَلِ مُوجِدِ الْفِقْرَةِ رِخْوِ الْمَفْصِلِ ^(٣)

كَأَن فِي أَذْنَاهِمَا الشُّوَلُ مِنْ عَبَسَ الصَّيْفُ قُرُونِ الْأَحْبِلِ ^(١)
قال أبو عمرو بن العلاء : بعض الأعراب يجعل الباء المشددة جيمًا . ويروى قرون
الإيل ، شبه التني لونه بلون الصندل يقول . اعترض لنا بقرن طويل كقرن الأيل .
(١) الكلاب الذي يسوس الكلاب . والوثاق ما يشد به . والأحبل : جمع حبل .
يقول : إنه لسرعته لا يتمكن الكلب من النظر إليه فلا يستطيع تأمله ، فيحل الكلاب
ما كان يشد به الكلب ويطلقه عليه .

(٢) عن أشدق : متعلق بـ « حل » ، أي حل الأحبل عن كلب أشدق ، والأشدق :
الواسع الشدق . والمسوِّج الذي في رقبته ساجور ، وهو قلادة الكلب التي فيها مسامير
والسلسل : الذي في عنقه سلسلة . والأقْب : الضامر ؛ والساطي : الذي يسطو على الصيد
أي يصول ، عليه ، وقال ابن جني : هو البعيد الأخذ في الأرض ، والشرس : السبيء
الحلق . والشمردل : القوى السريع الفتي الحسن الخلق ؛ يقول : إنه حل الأحبل عن
كلب بهذه الأوصاف .

(٣) الضمير في « منها » للكلاب المفهومة من قوله كلابي : أي صاحب كلابي ؛ وقوله
إذا يشغ من الغناء ؛ وهو صوت الشاة ونحوها ؛ ولا يفزل : أي لا يفتر عن الطلب .
وذلك أن الكلب إذا دنا من الطي وكاد يأخذه : ثغا في وجهه ففزل الكلب - أي
تخير - ووقف مكانه من صوت الغزال ، وجزم الفعلين - يشغ ويفزل - بإذاعلى تضمينها
معنى الشرط ، وهو من التجوزات الخاصة بالشعر . يقول : إن هذا الكلب ، لا يفرق من
صوت الغزال ولا يفتر عنه إذا ثغا ، ثم قال : موجد الفقرة رخو المفصل ، فالوجد :
الموثق القوى ؛ والفقرة : - بكسر الفاء وفتحها - ومثلها الفقارة - بالفتح : واحدة
فقار الظهر ، وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن البكاهل إلى العجب ، والجمع
قمر وقفار ، وقيل في الجمع : فقرات وققرات وققرات . يعني أنه قوى الظهر لين المفاصل
وذلك أسرع لأخذه .

(١) العبي : - ما يئس على هلب الذنب من البول والبعر

لَهُ إِذَا أُذْبِرَ لَحْظُ الْمُقْبِلِ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ سَجَنَجَلٍ ^(١)
يَعْدُو إِذَا أَحْزَنَ عَدُوَّ السَّهْلِ إِذَا تَلَا جَاءَ اللَّدى وَقَدْ تَلَى ^(٢)
يُقْبِي جُلُوسَ الْبَدْوَى الْمُصْطَلِي بِأَرْبَعٍ مَجْدُولَةٍ لَمْ تُجْدَلِ ^(٣)
فَقَتْلَ الْأَيْدَى رِبْذَاتِ الْأَرْجُلِ آثَارَهَا أَمْنَالُهَا فِي الْجُنْدَلِ ^(٤)
يَكَادُ فِي الْوُثْبِ مِنَ التَّفْتَلِ يَجْمَعُ بَيْنَ مَتْنِهِ وَالْكُلْكُلِ ^(٥)

(١) السجنجل : المرأة . يقول : إنه يرى ما أدبر عنه كما يرى ما أقبل عليه وذلك سرعة التفاته وشدة تيقظه ، وقد شبه صفاء حدقته بالمرأة ويروى في سجنجل . أى كأن أمامه امرأة ينظر فيها فترى ما خلفه أمامه .

(٢) يعدو : يجرى ، وأحزن : سلك في الحزن : أى الوعر : وأسهل : سلك في السهل ؛ وتلا : تبع ؛ والدى : الغاية . يقول : إنه يعدو في الحزن من الأرض عدو الذى هو في السهل لقوة قوائمه ، وإذا تبع سائر الكلاب في طلب صيد بلغ الغاية التى يريد بها ، وقد تقدم الكلاب فصارت خلفه فصار متلوا بعد أن كان تالياً .

(٣) الإقواء . أن يجلس الكلب على إتيته ، والبدوى إذا اصطلى بالنار استدفاها - أقمى على أسته ونصب ركبتيه لتصل الحرارة إلى بطنه وصدرة وجلس مفعول مطلق معنوى ، وقوله بأربع مجدولة لم تجدل : أى بأربع قوائم ؛ والحرف : متعلق بـ «يقبى» ، والمجدولة : المفتولة ، يريد بقوائم محكمة الحلق لم يجدها أحد ، وإنما هى كذلك خلقه .

(٤) قتل الأيدى : صفة لأربع ، يقال يدفتلأ إذا تباعدت عن الصدر فلم يمسه عند العدو ، وذكر يديه بلفظ الجمع ، وكذلك الأرجل ، والعرب تفعل مثل ذلك في التثنية . هذا : في الأيدى أكثر ما تستعملها العرب في النعم يقولون لفلان عندى يدوأياد والربذات الخفيفات السريعات . والجندل الصخر . يقول : إن قوائمه مفتولة سريمة في العدو شديدة الوطء لقوتها ، وإذا وطئت الصخر أثرت فيه آثاراً مثل صورتها . هذا : وقد قالوا : إن الكلب لا يوصف بشغل الوطء ، وإنما جاء هذا في الخيل والإبل ، فنقله المتنبي إلى الكلب .

(٥) التفتل : كالانفتال ، والمتن : جانب الظهر عند الصاب ، والكلكل : الصدر . يقول : لسرعته ولين أعطافه إذا انفتل للوثوب على الصيد يلتوى بعضه على بعض حتى يكاد يجتمع صدره وظهره في آن واحد .

وَبَيْنَ أَعْلَاهُ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ شَبِيهُ وَسَمِيَّ الْحَضَارِ بِالْإِلَى^(١)
كَأَنَّهُ مُضْبِرٌّ مِنْ جَرَوَلٍ مُوْتَقٍّ عَلَى رِمَاحٍ ذُبُلٍ^(٢)
ذِي ذَنْبٍ أَجْرَدَ غَيْرَ أَغْزَلٍ يَخْطُ فِي الْأَرْضِ حِسَابَ الْجُمْلِ^(٣)
كَأَنَّهُ مِنْ جِسْمِهِ بِمَفْزَلٍ
لَوْ كَانَ يُبْلِي السَّوْطَ تَحْرِيكَ بَلِي^(٤)

(١) الوسمى : أول المطر ، والولى : ما يليه . والحضار : العدو الشديد ، مصدر حاضره إذا جراه في الحضر وهو العدو ، وبين أعلاه : خبر مقدم ؛ وشبيه مبتدأ مؤخر ويريد بأعلاه : رأسه ؛ وبأسفله : قوائمه ، كفى بما بينهما عن جسمه ، وشبه تتابع حركته في الوثوب بتتابع المطر بعد المطر . يقول : إن عدوه الثاني في القوة والسرعة كعدوه الأول ، يعني أنه لا يعبأ ولا يفتر .

(٢) المضبر : المشدود المحكم الحلق ومثله الموثق ، والجروال الحبر ومنه سمى الخطيئة جرولا كما سموا حجرا وصخرا : يقول كأنه قد خلق من الحجارة لقوته واجتماعه ، وعن بالرماح الذبل قوائمه اللينة .

(٣) الأجرد : القليل الشعر ، وهكذا تكون كلاب الصيد ، والأعزل الذي لا يكون ذنبه على استواء مع قفاره ، وذلك عيب في الكلاب والخيول ، وإذا لم يكن أعزل كان أشد لثنته ، ثم قال : إن آثار ذنبه في الأرض كآثار الكاتب إذا كتب حساب الجمل وحساب الجمل معروف . قال العسكري : لأنه يحكى حروفا غير حروف الكتابة يعلم بها العشور والثمن والألوف وهو خط قبضي ؛ وذى ذنب : بدل من قوله أشدق .

(٤) يقول : كأن ذنبه منفضل عن جسمه لكثرة تلويح وحركته ، وهو على ذلك لا تبليه كثرة تحريكه إياه ، كما أن السوط يكسر تحريكه ولا يلبه هذا التحريك ؛ وقد ذهب ابن جنى إلى أن المعنى أنه - الكلب - من سرعته وحده يكاد يترك جسمه ويتميز عنه ، قال : وقد لاذ في هذا بقول ذي الرمة إلا أنه تجاوزوه :

لا يذخران من الأيغالِ باقيةً حتى تكاد تفرغى عنهما الأهُبُ
وبقول أبي نؤاس :

تراه في الحضر إذا هامي به يكاد أن يخرج من إهابه^(١)

(١) هامي به : زجره والضمير : للكلبه ؛ والإهاب : الجلد .

نَيْلُ الْمَنَى وَحُكْمُ نَفْسِ الرُّسُلِ وَغُفْلَةُ الظُّبَى وَحَتْفُ التَّنْفُلِ ^(١)
 فَأَنْبَرِيَا فُذَيْنِ تَحْتَ الْقَسْطِ قَدْ ضَمِنَ الْآخِرُ قَتْلَ الْأَوَّلِ ^(٢)
 فِي هَبْوَةٍ كَلَاهُمَا لَمْ يَذْهَبْ لَا يَأْتِي تَلِي فِي تَرْكِ أَنْ لَا يَأْتِي تَلِي ^(٣)

فهذان ذكر الإهاب - الجلد - وهو ذكر جميع الجسد ، قال ابن جنى وقوله لو كان يبلى الخ : أى هو كالسوط فى الصلابة والجدل ، فلا يؤثر فيه العدو كما لا يؤثر فى السوط التحريك .

(١) نيل المنى أى به نيل المنى ، أو هو نيل المنى : أى به ينال الصائد مناه ، والذى يرسله على الصيد يدرك به حكم نفسه والعقلة ما يعقل به الشيء من قيد ونحوه ؛ والحنف لهلاك ؛ والتنفل : ولد الثعلب . يقول : إنه يدرك الظبي فيمنعه عن الإفلات ؛ وهو من قول امرئ القيس :

* بِمَنْجَرٍ قِيدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ *

ثم قال : ويدرك ولد الثعلب فيهلكه .

(٢) فأنبريا : أى الكلب والظبي : أى اعترضنا للناظرين فى عدوهما فذين : أى فردين . يريد أنه لم يكن مع الكلب كلب آخر ولا مع الظبي ظبي آخر وعنى بالقسط : القبار الذى ثار من عدوهما ؛ وعنى بالآخر : الكلب ؛ وبالأول : الظبي ، لأنه كان سابقاً بالعدو فراراً من الكلب . وضمن الكلب شدة حرصه وعدوه خلفه ، فجعل ذلك ضمناً منه .

(٣) الهبوة : العبرة . ويقال ما ألوت فى كذا وما ائليت وما أليت : أى ما قصرت والذهول : الغفلة عن الشيء ، و « لا » فى « أن لا يأتى » زائدة ، وهى تزداد فى مواضع كثيرة للعلم بها ، كما فى قوله تعالى « لئلا يعلم أهل الكتاب » والتقدير : ليعلم . وقال الراجز : * فى بئر لا حور سرى وماشمر ^(٤) *

(١) من أرجوزة طويلة للعجاج يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجه لقتال أبى فديك الحرورى ، فأوقع به وبأصحابه ، ومطلعها :

قد جبر الدين الأله فَجَبَرَ وعور الرحمن من ولى العور

إلى أن قال :

مُتَّحِمًا عَلَى الْمَكَانِ الْأَفْوَلِ
 بِخَالٍ طُولَ الْبَحْرِ عَرْضَ الْجُدُولِ^(١)
 حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُ نِلْتَ أَفْعَلِ إِفْتَرَّ عَنْ مَذْرُوبَةٍ كَأَنَّا بِنَصْلٍ^(٢)
 لَا تَعْرِفُ الْعَهْدَ بِصَقْلِ الصَّنِيقِ مَرَّكَاتٍ فِي الْعَذَابِ الْمُتَنَزِّلِ^(٣)
 كَأَنَّهُمَا مِنْ سُرْعَةٍ فِي الشَّمَالِ كَأَنَّهُمَا مِنْ ثِقَلٍ فِي يَذْبُلِ^(٤)

أى فى بئر حور؛ و « لا » زائدة « والخور الهلكة » يقول : كل واحد من الكلب والظبي لم يشتغل عن صاحبه ، فالظبي مجد فى الحرب ، والكلب مجد فى الطلب ولا يقصر الكلب فى ترك القصير ، وإذا لم يقصر فى ترك القصير فقد جد .
 (١) مقتحما : حال من ضمير يأتلى ؛ والافتحام : الدخول فى الأمر الشديد؛ والجدول النهر الصغير . يقول : إن هذا الكلب فى وثوبه وسرعة عدوه لا يبالي بما يستقبله من هول . فهو يقتحم الهول حتى لو استقبله بحر لظنه جدولا ، فوثب إلى الشط الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول .
 (٢) افتتر : كشر : والمذروبة : الأنياب المحددة والأنصل : جمع نصل . يقول : حتى إذا دنا الكلب من الصيد ، وقيل له - بلسان الحال - أدركت فأفعل ما تريد ففعله من القبض عليه : كشر عن أنياب محددة كأنها نصال السيوف .
 (٣) لما شبه أنيابه بالصلصال قال إنها لم تصقل ولا عهد لها بالصقل كالسيوف المصنوعة إذ لم تكن محددة مصقولة خلقة ، وعنى بالعذاب المنزل خطمه^(١) فانه كالعذاب المنزل على الصيد لشدة أخذه وهول ما ينال الصيد منه .
 (٤) يذبُل : جبل فى الحجاز . يقول : كأن أنيابه مركبة فى ربيع الشمال من خفة

واختار فى الدين الحرورى البطر فى بئر لاحور سَرَى وما شعر
 بإفكته حتى رأى الصبح جَشَرَ

قوله وعور الرحمن الخ : أى أفسد الله من ولاه الفساد ؛ والحرورى : أراد به أبا فديك الخارجي . وقوله بإفكته : الباء سببية متعلقة بسرى ؛ والإفك : الكذب ؛ وجشَر الصبح : انقلب وأضاء .

(١) الحطم من كل دابة نحو الكلب والبعير : مقدم أنفها وفمها

كَأَنَّهُا مِنْ سَعَةٍ فِي هَوَجَلٍ كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالْمَقْتَلِ^(١)
 عِلْمٌ بِقِرَاطٍ فِصَادَ الْأَكْحَلِ^(٢)
 فَحَالَ مَا لِلْقَفْزِ لِلتَّجْدُلِ وَصَارَ مَا فِي جِلْدِهِ فِي الْمِرْجَلِ^(٣)
 فَلَمْ يَضِرْنَا مَعَهُ فَقَدْ الْأَجْدَلِ إِذَا بَقِيَتْ سَالِمًا أَبَا عَلِيٍّ^(٤)
 فَأَلَمَلَكُ اللَّهُ التَّزْيِيزَ ثُمَّ لِي^(٥)

* * *

الكلب وسرعته في العدو ، وكأنها من ثقل الكلب على الصيد مركبة في جبل . جعل الكلب في خفة العدو كالريح ، وفي ثقله على الصيد كالجبل .

(١) و (٢) الهوجل : للفازة ؛ والمقتل : للوضع الذي إذا أصيب قتل صاحبه ؛ والأكحل : عرق في الذراع من عروق الفصاد . يقول : كأن أنيابه من سعة فمه في صحراء ، وكأنه من تميزه وعلمه بمقاتل الصيد من غيرها علم بقراط - وهو الطبيب المعروف - علم التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كعرق الأكحل ؛ وبعبارة أخرى : لما ذكر أنه عالم بالمقاتل لزم منه أن يكون عالما بغيرها أيضا ، وإلا لم تتميز له فصار في دعواه عالما بتشريح الأعضاء ، وما يترتب على شقها من المنفعة أو الأذى ، ولما تم له ذلك قال كأن بقراط تعلم منه التشريح ، فصار يعلم المواضع التي يجوز فصدها كهذا العرق ، هذا هو المعنى ، وبذا انتهى نقد صاحب بن عباد هذا البيت إذ يقول ليس الأكحل بمقتل لأنه من عروق الفصد ، وهو يصف الكلب بالعالم بالمقتل . . . (٣) حال : انقلب ؛ والقفز : الوثوب . والتجدل : السقوط على الجدالة - أي الأرض - والمرجل : القدر ؛ والمراد بما للقفز : قوائمه ؛ وبما في جلده : لحمه . يقول : إن قوائمه هذا الظبي التي كانت للوثوب صارت للتمرغ في التراب حين أخذه الكلب وصار لحمه في القدر .

(٤) و (٥) ضاره الأمر يضره : كضره ومعه : أي مع الكلب . والأجدل : الصقر . يقول : لم يضرنا مع وجود هذا الكلب فقدان الصقر ، لأنه فعل فطنه فأغنانا عنه . ثم قال - مخاطبا المدوح - : إذا بقيت سالما صدت بك الناس كلهم ، فيكون للملك بعد الله لي بك .

وقال يمدح بدر بن عمار ، وقد فصد لعة ، ففاص الموضع فوق حقه ،
فأضر به ذلك :

أَبْعَدُ نَأَى الْمَلِيحَةِ الْبَخَلُ فِي الْبُعْدِ مَا لَا تُكَلِّفُ الْإِبِلُ^(١)
مَوْلَةٌ مَا يَدُومُ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَلَلٍ دَائِمٍ بِهَا مَلَلُ^(٢)

(١) أبعد : تفضيل ؛ والنأى : البعد ؛ و « ما » : نكرة موصوفة بمعنى شيء . يقول :
أبعد ما يكون من بعد المليحة بخلفها ، إذ لا يمكن قطع مسافة البخل كمسافة المكان
البعيد . ثم قال : في البعد أى في جملة البعد وأنواعه ما لا تكلف الإبل قطعه وهو البعد
بالبخل ، لأن الإبل لا تقرب هذا البعد ، وفي مثل هذا يقول أبو تمام :

لا أظلم النأى قد كانت خلائقهم

من قبل وشك النوى عندى نوى قذفاً

ويقول أيضا :

فراقٌ جرّعتُهُ مِنْ فراقٍ وَفراقٌ جرّعتُهُ مِنْ صُدُودٍ

ويقول البحتري :

على أن هجران الحبيب هو النوى لدى وعرفان المسىء هو العذل

ويقول أيضا :

دنتُ بأَناسٍ عن تناءِ زيارَةٍ وَشَطَّ بِلِيلِي عَنْ تَدَانٍ مَزَارُهَا

ويقول إبراهيم بن العباس :

وإن مُقيّاتٍ بمنعرجِ اللوى لأقرب من مَيِّ وهاتيك دارها

والأصل في هذا قول الثقب العبدى :

أفأظلمُ قبلَ سِينِكَ مَتَّعِينِي وَمَنَعُكَ مَا سَأَلْتُ كَأَن تَبِينِي

(٢) ملولة : أى هى ملولة ؛ والتناء فيها : للبالغة ، لأنه يقال : رجل ملول وامرأة
ملول ؛ و « ما » ؛ مفعول به ؛ و « لها » : خبر ليس مقدم ؛ وملل - آخر البيت -
اسمها مؤخر ، ومن ملل : متعلق به . يقول : إنها تمل كل شيء يدوم إلا ملها الدائم ،
فإنها لا تمله ، ولو هى ملته لتركته وعادت إلى الوصل . ومن روى تدوم - بالتاء - كانت
« ما » للنفي : أى ليست تدوم على حال .

كَأَنَّمَا قَدَّهَا إِذَا انْفَقَلَتْ سَكْرَانُ مِنْ خَرِّ طَرْفِهَا نَمِلُ^(١)
يَجْذِبُهَا تَحْتَ خَضِرِهَا عَجَزُ^(٢) كَأَنَّهُ مِنْ فِرَاقِهَا وَجِلُ^(٣)
بِ حَرِّ شَوْقٍ إِلَى تَرَشُّفِهَا يَنْفَعِلُ الصَّبْرُ حِينَ يَتَّصِلُ^(٤)
الشَّغَرُ وَالنَّحْرُ وَالْمُخْلَخِلُ وَالْمِصْمُ دَائِي وَالْفَاحِمُ الرَّجِلُ^(٥)
وَمَنْهَمِ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُ^(٥)

(١) انفقلت ، تثنت وتمايلت ، وطرفها : لحظها ؛ ورجل ثمل : أخذ منه الشراب .
يقول : إنها تمايل في مشيتها تمايل السكران ، فكأن قَدَّها نظر إلى طرفها فسكر من
خر عينها كما يسكر منه عاشقوها .

(٢) وجل : خائف . يقول : إن عجزها - ردفها - ثقل بكثرة اللحم ، فهو يجذبها
- إذا همت بالنهوض - إلى القعود فكأن عجزها في ارتعاده واضطرابه - لكثرة لحمه -
خائف من فراقها ، والخائف يوصف بالارتعاد ، وكذلك العجز إذا كثر لحمه ،
كما قال :

* إذا ماست رأيت لها ارتجاجا *

أما تفسير ابن جني المصراع الثاني بقوله : أى كان عجزها وجل من فراقها فهو
متساقط متجدد قد ذهبته منته وتماسكه : فهو بعيد .

(٣) إلى ترشفها : أى إلى ترشف منها ؛ أى مص ريقها . يقول : إذا اتصل بي ذلك
الشوق انفصل الصبر : أى أن صبره يفارقه إذا اتصل به ذلك الشوق ؛ وقد طابق بين
الاتصال والاتصال .

(٤) الشجر : مقدم الأسنان ؛ والنحر : أعلى الصدر ؛ والمخلخل : موضع الخلخل
من الساق ؛ والمصم : موضع السوار من اليد ؛ والفاحم : الشديد السواد ، يريد به
الشعر ؛ والرجل - بفتح فكسر وفتحتين - الذى بين السبط والجعد . يقول : إنه
يحب هذه الأشياء وهذه المواضع من بدنها ، وهى داؤه .

(٥) ومهمه : أى ورب مهمه - أى فلاة - وجبته : قطعتة . والعرامس : النوق
الصلاب الشديدة ، واحدها عرمس . والدلل : اللذلة بالعمل للروضة بالسير - جمع
نول - يستوى فيه الذكر والمؤنث . يصف شدة سيره وأنه يحب الفلاة - التى تعجز
عنها النوق الصلاب التى اعتادت السير - على قدمه .

بِصَارِي مُرْتَدٍ بِمَخْبَرَتِي مُجْتَزِيءٌ ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ ^(١)
إِذَا صَدِيقٌ نَكِرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعَيِّنِي فِي فِرَاقِهِ الْحَبِيلُ ^(٢)
فِي سَمَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ ، وَفِي بِلَادٍ مِنْ أُنْهَابِ بَدَلٍ ^(٣)

(١) الصارم : السيف ؛ ومرتد : أى متقلد ، خبر مبتدأ محذوف : وكذلك مجتزئ .
ومشتمل : أى أنا مرتد بصاري مجتزئ - أى مكثف - بمخبرتي - أى معرفتي -
مشتمل بالظلام . يقول : جئت هذا المهمة وأنا متقلد بسيفي مكثف بعلمي وخبرتي
فلم أحتج إلى دليل يهدين للطريق ، مشتمل بثوب الظلام كما يشتمل الرجل بثوب
أو كساء .

(٢) نكر الشيء وأنكره : استغربه ، وصديق : فاعل لفعل محذوف يقدر من
لازم ما بعده : أى إذا تغير صديق على ونحو ذلك . وأعياء الأمر : أعجزه ، ويقال
عجى بأمره وعي : إذا لم يهتد لوجهه ، والإدغام أكثر ، ويقال في الجمع عيوا - مخففا -
وعيوا أيضا - بالتشديد - وأعياني الأمر ، قال عمرو بن حسان من بني الحارث
ابن همام :

فَإِنَّ الْكَثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا ، وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنَّ أَنِّي غُلَامٌ ^(١)

يقول : إذا تغير صديق وحال عن مودته وأنكرت عليه أحراله لم تعجزني الحيلة
في فراقه ، أى فارقه ولم أقم عليه .

(٣) الخافقان : قطرا الهواء ، وهما للشرق والمغرب . والمضطرب موضع الاضطراب ، وهو
الذهاب والهباء . يقول : الأرض واسعة والبلاد كثيرة ، فإذا لم يطب لي موضع تحولت
إلى غيره ولم أقيد نفسي بمكان بعينه . وهذا معنى مطروق ، قال القائل :

إِذَا تَفَكَّرَ خِلٌ فَاتَّخَذَ بَدَلًا . فَالْأَرْضُ مِنْ تَرْبَةِ وَالنَّاسُ مِنْ رَجُلٍ
وقال البحتري :

فَإِذَا مَا تَفَكَّرْتُ لِي بِلَادٍ . أَوْ صَدِيقٌ فَإِنِّي بِالْخِيَارِ
وقال عبد الصمد بن اللؤلؤ :

إِذَا وَطَنٌ رَابِي فَكُلْ بِلَادَ وَطَنٍ

(١) يقول : كنت متوسطاً لم أفقر فقراً شديداً ، ولا أمكنى جمع المال الكثير
ويروى « أعاني » أى أذلني وأخضعني .

وَفِي أُغْتَبَارِ الْأَمِيرِ بَذْرِ بْنِ عَمَّا رِ عَنِ الشُّغْلِ بِالْوَرَى شُغْلٌ^(١)
أَصْبَحَ مَالٌ كَالَهُ لِدَوَى الْحَاجَةِ لَا يُبْتَدَى وَلَا يُسَلَّ^(٢)

وما أجل قول بشار بن برد فيما يتصل بهذا المعنى .

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها خرجت مع البازي على سواد^(١)
(١) الاعتبار : الزيارة يقال أنا فلان معتمرا : أي زائرا ، قال أعتى باهله :
وجاشت النفس لما جاء فلهم وراكب جاء من تثليث معتمر^(٢)
ويقال : اعتمر الأمر : أي أمه وقصده . قال العجاج يمدح عمر بن عبيد الله
ابن معمر القرشي :

لقد سما ابن معمر حين اعتمر مغزى بميدا من بعيد وضبر
تقضى البازي إذا البازي كسر^(٣)

يقول : قصدي إياه يشغلني عن قصد غيره لآتي صبيت رجائي عليه وعلقت آمالي به ،
ويروى اعتاد - بالبدال - ومعناه الاعتاد بالسير إليه وتعلق الرجاء به .
(٢) كاله : صفة مال ؛ ولدوى الحاجات : خبر أصبح ؛ ويسل : أي يسأل
- حذفت الهمزة ، ونقلت حركتها إلى السين - يقول : إن المال المبدول مثل ماله قد
صار ملكا للعفاة يأخذونه متى شاءوا : فلا هو يبتدئهم بالعطا ، ولا هم يسألونه ، لأنه
مالهم - لا ماله - ويروى : أصبح مالا - بالنصب - : أي أصبح للناس نافعا كما أصبح
ماله نافعا لدوى الحاجات ، أي أنه ينفعهم بنفسه وماله ، فهو لهم مال ، وكما أن ماله
يؤخذ بلا إذن : كذلك لا يستأذن في الدخول عليه ، فكل من ورد عليه أخذ ماله
بلا ابتداء ولا مسألة من الوارد .

(١) يقول : إذا لم يقدرني أهل بلدة أو لم أعرفهم فارقتهم مصاحبا للبازي الذي
هو أبكر الطيور مشتتلا على بقية من الليل غير منتظر لإسفار الصبح .
(٢) قال الأصمعي : معتمر : أي زائر ؛ وقال أبو عبيدة : هو متعمم بالعمامة ،
وتسمى العمارة .

(٣) يقول : ارتفع قدره حين غزا موحنا بعيدا من الشام ، وجمع لذلك جيشا ،
وضير - أي جمع قوائمه - ليثب ؛ وكسر الطائر : ضم جناحه حتى ينقض ؛
يريد الوقوع .

هَانَ عَلَى قَلْبِهِ الزَّمَانُ فَمَا بَيِّنُ فِيهِ غَمٌّ وَلَا جَذَلٌ^(١)
يَكَادُ مِنْ طَاعَةِ الْحَمَامِ لَهُ يَقْتُلُ مَنْ مَادَنَاهُ لَهُ أَجَلٌ^(٢)
يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْقَرْيَمَةِ مَا يَنْفَعُ قَبْلَ الْفِعَالِ يَنْفَعِلُ^(٣)
تُعْرِفُ فِي عَيْنِهِ حَقَائِقُهُ كَأَنَّهُ بِالذِّكَاءِ مُكْتَحِلٌ^(٤)
أَشْفَقُ عِنْدَ انْقَادِ فِكْرَتِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا أَخَافُ بِشْتَعِلُ^(٥)

(١) الجذل : السرور . يقول : لرجعان ليه ورحابة صدره يستخف بطوارق الدهر وحدثان الأيام علما منه أنها لا تبقى على غم ولا سرور ، ومن ثم لا يكون لها أثر فيه فلا يبطر لدى السرور ، ولا يجزع عند الحزن .

(٢) الحمام : الموت . ودنا : قرب . والأجل : منتهى الحياة . يقول : إن الموت طائع أمره ، فلو شاء أن يقتل من لم يتم أجله لساعده الموت على ذلك على الرغم من أن فيه تمرداً على المقدور وخرقاً له .

(٣) « ما » : اسم موصول ، اسم يكاد ؛ والتخفيف : ينفعل . يقول : متعلق بينفعل . يقول : لصحة تقديره ونفاذ عزمته يكاد فعله يسابقه ، فما يفعله ينفعل قبل فعله ، وبعبارة أخرى : إنه لسداد رأيه وصحة عزمه تكاد أفعاله تسبق وجودها ، لأنه لا يعزم على شيء إلا بعد التروى فيه والقطع بقضائه ، ولعل هذا ينظر إلى قول القائل :

سَدِ كَتُّ بِهِ الْأَقْدَارُ حَتَّى إِنَّهَا لَتَكَادُ تَفْجُؤُهُ بِمَا لَمْ يُقَدَّرْ

« سدكت به : لزمته »

(٤) يقول : إن حقائق الحاصل والمعانى التي طبعه الله عليها تعرف بالنظر إلى عينه فكأن ذكاءه وفطنته وحدة ذهنه قد اكتحلت بها عينه ، فهي ظاهرة فيها ظهور الكحل ؛ وبعبارة بعض الشراح : إن حقائق ما طبع عليه - من حدة الذهن وذكاء النفس - تعرف من نظرة عينه حتى كأن عينه مكتحلة بالذكاء ، فهو ظاهر فيها ظهور الكحل .

(٥) الإشفاق : الخوف ، والظرف والحرفان متعلقة بأشفق ؛ وأخاف : بدل من أشفق . وأخاف يشتمل : أى أخاف أن يشتمل ، لحذف « أن » ورفع الفعل . يقول : إذا اضطربت فكرته واحتد ذهنه عند التروى أشفقت عليه أن يشتمل بنار فكرته هذه لشدة اتقادها وذكاء حديثها فيصير ناراً متوقدة ، كما قال ابن الرومي :

أَخْشَى عَلَيْكَ اضْطِرَامَ الذَّهْنِ لَا حَذَرًا

أَعْرَهُ أَعْدَاؤُهُ إِذَا سَلِمُوا بِالْهَرَبِ اسْتَكْبَرُوا الَّذِي قَمَلُوا^(١)
يُقْبِلُهُمْ وَجْهَ كُلِّ سَابِغَةٍ أَرْبُعُهَا قَبْلَ طَرَفِهَا تَصِلُ^(٢)
جَرْدَاءَ مِلءِ الْحَزَامِ مُجْفَرَةٍ تَكُونُ مِثْلَى عَسِيْبِهَا الْخَصَلُ^(٣)
إِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا أَوْ أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَا لَهَا كَفْلُ^(٤)
وَالطَّنُّ شَرُّهُ وَالْأَرْضُ وَاجِفَةٌ كَأَنَّهَا فِي فَوْادِهَا وَهَلُ^(٥)

(١) أى هو أغر؛ والأغر؛ السيد الكريم، وأعداؤه؛ مبتدأ؛ خبره؛ ما بعده.
يقول: هو سيد شريف، وأعداؤه إذا سلموا من القتل بهربهم من بين يديه:
أعظموا فعلهم واستكثروه، لأن الهرب من بين يديه شجاعة لهم. وقوله إذا سلموا
بالهرب: إشارة إلى أنهم لا يمكن أن يسلموا مع الثبات.

(٢) أقبلته وجهى: حولته إليه وجعلته قبالة، والسابغة: الفرس تسبح في
جريها؛ وأربعها: أى قوائمها الأربع، يقول: يستقبلهم بوجه كل فرس تسبق قوائمها
طرفها: أى تضع قوائمها وراء منتهى بصرها؛ وهذا من قول أبى نواس:
* يسبقُ طرفَ العين في التهايه *

«أى فى شدة عدوه». قال ابن جنى: أسرف فى المبالغة حتى خرج إلى ما يستحيل
وقوعه لأن القوائم إذا وصلت قبل الطرف فقد وصف النظر بالضعف.

(٣) الجرداء: القليلة الشعر، والمجفرة: الواسعة الجبين؛ والجفرة: سعتها؛
والعسيب: عظم الذنب؛ والخصل: جمع الخصلة من الشعر. يقول: إنها تملأ الحزام
بسعة جنبها وعظم بطنها وإن شعر ذنبها أطول من عسيبها، ويستحب فى الخيل قصر
العسيب وطول شعره.

(٤) التليل: العنق؛ والكفل: الردف، ويستحب فهما الإشراف. يقول:
إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها
وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها؛ وعبارة الواحدى: من حيث تأملتها
وجدتها مشرفة عند إقبالها بعنقها وعند إدبارها بعجزها، كما قال على ابن جيلة:

تحسبه أقعداً فى استقباله حتى إذا استدبرته قلت أكب

يريد: هذه الفرس من حيث تأملتها رأيتهما أحسن فى إقبالها وإدبارها.

(٥) والطنن شرر: جملة حالية: أى يقبلهم وجه كل سابغة فى هذه الحالة؛
الطنن الشرر: ما كان عن يمين وشمال؛ وذلك أشد الطعن، وواجفة: مضطربة

قَدْ صَبَّغَتْ خَدَّهَا الدِّمَاءُ كَمَا يَصْبُغُ خَدَّ الْخُرَيْدَةِ الْخَلْجَلُ^(١)
وَالْخَلِيلُ تَبْكِي جُلُودَهَا عَرَقًا بِأَذْمَعٍ مَا تَسْحَبُ مُقْلُ^(٢)
سَارَ وَلَا قَفَرَ مِنْ مَوَاكِبِهِ كَأَنَّمَا كُلُّ سَبَسَبٍ جَبَلُ^(٣)
يَمْنَعُهَا أَنْ يُصِيبَهَا مَطَرٌ شِدَّةُ مَا قَدْ تَضَاقَقَ الْأَسْلُ^(٤)

لشدة الحرب : أى ترى أن الأرض تتحرك كأن فى قلب الأرض وهلا - أى فزعا -
فهى ترعد من الخوف . ولما وصف الأرض بالحركة من الخوف استعار لها قلبا . وعبرة
بعض الشراح : واجفة : أى مضطربة يريد اضطراب الفرسان عليها إقبالا وإدبارا حتى
كأنها تمور بهم .

(١) الضمير فى « خدها » للأرض ؛ والخريدة : الحية ، شبه وجه الأرض
متلطيحا بالدماء بخد الجارية الحية إذا خجلت فاحمر لونها ، واستعار للأرض خدًا
لمساكلة ما فى الشطر الثانى .

(٢) السح : السكب ، وللقل : جمع مقلة . وهى شحمة العين التى تجمع البياض
والسواد . يريد أن الخيل - من شدة الطراد وماهى فيه من هول الحرب - قد
عرق ، فجعل العرق مثل الدمع . إلا أنه لم ينزل من عيون ولا جفون ، ولكنه
جار من الجلود .

(٣) سار : يروى بكسر فتونين : اسم فاعل . من السرى ، ويروى بالفتح :
فلا ماضيا ، والمواكب : الجيوش ؛ والسبسب الفلاة الواسعة . يقول : قد عم القفار
والأماكن الخالية بجيوشه فلاها حتى لم يبق قفر . وشبه السبسب بالجبل لكثافة
جيوشه وارتفاعها بالخيل والأسلحة والرماح . يعنى أن مواكبه تراكت فى السهول
على خيولها حتى صارت السهول كالجبال .

(٤) الأسل : الرماح ، يقول : إن رماحم اشتبكت وتضايق ما بينها حتى
لو أصابهم مطر لم ينفذ إليهم من خلال تلك الرماح لشدة اتصالها واتحامها ؛ وأصل
هذا المعنى لقيس بن الحظيم :

لَوْ أَنَّكَ تُلْقَى حَنْظَلًا فَوْقَ يَيْضُنَا تَدْحَرُجُ عَنْ ذِي سَامِهِ الْمُتْقَارِبِ

« عن ذى سامه : أى على ذى سامه ؛ والهاء فى « سامه » : ترجع إلى اليض ؛
معنى اليض الكثرة بالذهب ، لأن السام عروق الذهب . يقول قيس : أنهم تراصوا

يَا بَذْرُ يَا بَحْرُ يَا عَمَامَةَ يَا لَيْثَ الشَّرَى يَا حَامُ يَا رَجُلُ^(١)
إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تُقَلِّبُهُ عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِّثْلُ^(٢)

في الحرب حتى لو وقع حنظل على رؤوسهم - على إملاسه واستواء أجزائه - لم ينزل إلى الأرض . ثم قال ابن الرومي :

فلو حصبتهم بالفضاء سحابة لظلت على هاماتهم تتدحرج
فتزل عن الحنظل إلى البرد ، وبالنسبة في ذلك ثم نزل التنبي عن البرد إلى المطر ، وهو
الطف منه ثم أخذ السرى الرفاء هذا المعنى فقال :
تضايق حتى لو جرى الماء فوقه حماء ازدحام البيض أن يتسربا
فتقله من المطر إلى الماء .

(١) ليث الشرى : أسد الشرى ؛ والشرى : مكان يوصف بكثرة الأسود . والحمام : الموت . يقول : أنت بدر في الحسن ، بحر في الجود ، سحاب في كثرة العطاء ، أسد في الشجاعة والبأس ، موت للعدو ، ورجل في الحقيقة ، يعني جمعت هذه الأوصاف وأنت رجل .

(٢) عندك : صلة تقلبه ؛ وفي كل موضع : صلة مثل . يقول إن كفك التي تقلبها وأنت في بلدك وتصرفها في العطايا والهبات قد اشترت ذكرها في كل موضع حتى صارت مثلاً في الجود . وروى - قبله - من التقيل أي قبله نحن والناس أجمعون ، والرواية الأولى أجود . هذا : والبنان : الأصابع ، وقيل أطرافها ؛ والبنام : لغة فيها . قال عمر بن أبي ربيعة :

* فقالت وعضت بالبنام فضحتني *

وواحدة البنان : بنانة ، وجمع القلة : بنانات ؛ وربما استعاروا بناء أكثر العدد لأقله ، أنشد سيويه :

قد جعلت حي على الظرار تخس بنان قاني الأظفار^(١)

(١) قال الشنتمري : الشاهد فيه إضافة الخمس إلى البنان ، وهو اسم يستغرق الجنس على تقدير : خمس من البنان . والظرار : جمع ظرر ، وهي حجارة مستديرة محددة ؛ يقال أرض مظرة : إذا كانت كثيرة الطرار ؛ وروى على الطرار - بطاء غير معجمة -

إِنَّكَ مِنْ مَفْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخَلُوا^(١)
 قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا أُمْتَشَقُوا قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا أَعْتَقَلُوا^(٢)
 أَنْتَ تَقِيضُ اسْمِهِ إِذَا اخْتَلَفْتَ قَوَاضِيُ الْهِنْدِ وَالْقَنَا الذُّبُلُ^(٣)
 أَنْتَ لَعَمْرِي الْبَدْرُ الْمُنِيرُ وَلَكِنَّكَ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى زُحْلُ^(٤)

يريد خمسا من البنان ؛ ويقال بنان غضب ، لأن كل جمع بينه وبين واحد الهاء فإنه يوحد ويذكر .

(١) أى بخلوا عند أنفسهم ، إذ لم يفعلوا الواجب عليهم بحكم جودهم حيث لم يهبوا الأعمار وبعبارة أخرى : إن مقضى جودهم أن لا يقوا على شيء فإذا أعطوا كل ما يملكون ولم يهبوا أعمارهم لم يبرثوا أنفسهم من البخل .

(٢) امتشق السيف : استله وأسرع الطعن والضرب ؛ واعتقل الرمح : جملة بين ساقه وركابه . يقول : إن لقلوبهم مضاء سيوفهم ، ولقاماتهم طول رماحهم . وقال ابن وكيع — وأنت تعلم مقدار تجنيه على للتنبى وولوعه بالتشهير به وبسرقاه — أخذ هذا من قول عوف بن عجم الشيباني :

إِنْ الثَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَدْ أَحوجت سَمِي إِلَى تَرْجَانٍ
 وَبَدَلْتَنِي بِالشُّطَاطِ انْحِنَا . وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ

(٣) و(٤) قواضي الهند : أى السيوف القواطع ، والذبل : الطوال الصلاب ، وحومة كل شيء : معظمه ؛ والوغى : الحرب . وزحل : من كواكب النجس ، والقمر : سعد يقول : أنت رجل تقيض اسمه في الحرب ، لأن البدر الذى هو اسمك من كواكب السعد والكنك في الحرب نجس على أعدائك . لأنك هلاك لهم .. أو تقول — كما قال بعض الشراح — : إن البدر منير فيبتدى به في الأسفار ، وأنت في الحرب تقيض اسمك ، إذ تقتل الناس وتثير القبار بالخيال فتظلم الأرض ، ففعلك في الحرب تقيض فعلك في السلم .

جمع طرة ، وهى عقيمة من مقدم الناصية ، ترسل تحت التاج في صدغ الجارية ، وربما اتخذت من رامك ، وهو ضرب من الطيب ، وهذا أشبه بمعنى البيت . والبنان : جمع بنانة ، وهى الإصبع ؛ والقافى : الشديد الحمرة من الخضاب .

كَيْتِبَةُ لَسْتَ رَبِّهَا نَفْلٌ وَبِلْدَةٍ لَسْتَ حَلِيهَا عَطْلٌ^(١)
 قُصِدَتْ مِنْ شَرْقِهَا وَمَغْرِبِهَا
 حَتَّى اشْتَكَنْكَ الرُّكَّابُ وَالسُّبُلُ^(٢)
 لَمْ تَبْقِ إِلَّا قَلِيلَ عَافِيَةٍ قَدْ وَفَدَتْ تَجْتَدِيكَهَا الْعِلَلُ^(٣)
 عَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ أَنَّهُمَا آسٍ جَبَانٌ وَمِضْعٌ بَطْلٌ^(٤)

(١) الكتيبة : القطعة من الجيش ؛ وكتيبة : مبتدأ ؛ والخبر : نفل ؛ وكذا في المصراع الثاني ؛ والنفل : النعمة ؛ والحلى : الزينة . والعطل : التي لاحت لها يقول : كل جيش لست صاحبه وأميره هو نفل للعدو ، وكل بلدة لست زيتنها هي عطل لازية لها .

(٢) شرقها ومغربها : أى الأرض ، وإن لم يجر لها ذكر للعلم به . والركاب : الإبل . يقول : قصدك الناس من شرق الأرض وغربها طمعاً فى عطائك وحرصاً على لقائك حتى اشتكتك الإبل لكثرة ما امتطيت إليك والطرق بكثرة ما وطئت وذلت بالحفاف والحوانر والأقدام ، وقال بعض الشراح : لأنها ضاقت بكثرة القاصدين والسالكين .. وليس بشيء ، وعكوى الإبل كثيرة فى الشعر قل أبو العتاهية :
 إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسباً وربما
 وقال البحرى :

تَشْكِي الْوَجَى وَاللَّيْلُ مُلْتَبِسُ الدَّجَى غُرَيْرِيَّةُ الْأَنْسَابِ مَرَّتْ بَقِيْعُهَا
 «الوجى : الحفا ؛ والمرة : المفاضة لانبثاق فيها ؛ والبقيع : الموضع فيه أصول الشجر من ضروب شتى»
 أما اشتكاء الطرق فهو من اختراعات المتنبي .

(٣) قليل عافية : أى عافية قليلة . فهو من إضافة الصفة للموصوف ونجديكها : أى تستوهبك إياها ؛ والعلل : الأمراض . يقول : بذلت كل مالك ولم يبق لك إلا قليل من العافية فقدمت العلل عليك تستوهبه منك ، وهذا كقول السالف :

وبذلت ما ملكته نفسك كله حتى بذلت له هذه صحباتها

(٤) الآسى : الطبيب ؛ والمبضع : حديدة الفاسد ؛ والبطل : الشجاع ؛ ويريد بالمؤمنين : ما ذكره بعد من الآسى والمبضع . وقد كان الفصاد فصدّه وأخطأ فى فصدّه

مَدَدَتْ فِي رَاحَةِ الطَّيِّبِ يَدًا وَمَا دَرَى كَيْفَ يُقَطِّعُ الْأَمْلُ^(١)
إِنْ يَسْكُنِ الْبَضْعُ ضَرْرًا بِأَطْنَهَا فَرُبَّمَا ضَرَّ ظَهْرَهَا الْقُبْلُ^(٢)

ونفذت حديدته في يده وأصابه لذلك مرض ، وجعل الطيب والبضع ملومين في ذلك الخطأ الحاصل منهما ، ثم قال عذرهما فيك أن الطيب كان جانا فارتعدت يده هية لك والبضع كان شجاعا - أى حاداً نافذاً - فتولدت العلة من هذين ، ثم ذكر للطيب عذراً آخر في البيت التالي .

(١) يقول : إنما وقع للطيب الخطأ لأن يدك أمل الناس جميعا ، منها يرجون الإحسان والعطاء ، فلم يدر الطيب كيف يقطع الأمل ؛ لانه إنما تعود قطع العروق ، لا قطع الآمال . وقال ابن المعتز فيما يتصل بهذا المعنى للقاسم بن هبيل الله :

يَا فَاصِدًا لِيَدٍ جَلَّتْ أَيْدِيهَا وَنَالَ مِنْهَا الَّذِي يَرْجُوهُ رَاجِيهَا
يَدُ الْغِنَى هِيَ فَارْفَقَ لَا تَرْقُ دُمَهَا فَإِنَّ أَرْزَاقَ طُلَّابِ الْغِنَى فِيهَا
وقال أيضا للخليفة المعتمد :

يَا دَمًا سَالَ مِنْ ذِرَاعِ الْإِمَامِ أَنْتَ أَذْكَى مِنْ عَنَبٍ وَمَدَامِ
قَدْ حَسْبُنَاكَ إِذْ جَرَيْتَ إِلَى الطَّسِ تَدْمُوعًا مِنْ مَقَاتِي مَسْتَهَامِ
إِنَّمَا غَيْبَ الطَّيِّبُ شَبَابَ الْمَبِ ضَعُفَ فِي نَفْسٍ مَهْجَةُ الْإِسْلَامِ

(٢) البضع : الفصد ؛ والقبل : جمع قبله ؛ وهى الاسم من التقييل . وأراد بضر القبل : كثرة تقييل الناس ظهر كفه حتى أثر فيه وضره . قال الواحدي : وقد أكثر الشعراء من ذكر تقييل اليد ولم يذكر أحد أنها استضررت بالقبل غير أبي الطيب ، وهذا من مبالغاته ، قال ابن الرومي :

فَأَمْدَدْتُ إِلَى يَدَا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِ النِّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلُ

وقال إبراهيم بن العباس للفضل بن سنبل :

لِفُضْلٍ بَنِ سَهْلٍ يَدٌ تَقَاصَرَ عَنْهَا الْمَثَلُ

فَبَاطِنُهَا لِلنَّدَى وَظَاهَرُهَا لِلْقُبْلِ

وقال أبو الضياء الحصى :

وَمَا خُلِقَتْ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ وَمَا فِي عِبَادِ اللَّهِ مِثْلُكَ ثَانٍ

يَشُقُّ فِي عِرْقِهَا الْفِصَادُ وَلَا يَشُقُّ فِي عِرْقِ جُودِهَا الْمَذَلُّ^(١)
خَامَرُهُ إِذْ مَدَدَتْهَا جَزَعٌ كَأَنَّهُ مِنْ حَدَافَةِ عَجَلٍ^(٢)
جَازَ حُدُودَ اجْتِهَادِهِ فَأَتَى غَيْرَ اجْتِهَادٍ لِأَمِّهِ الْهَبَلِ^(٣)
أُبْلَغَ مَا يُطْلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّنْبُوعُ وَعِنْدَ التَّمَقُّقِ الزَّلَلُ^(٤)
أُرِثَ لَهَا إِنِّهَا بِمَا مَلَكَتْ وَبِالَّذِي قَدْ أُسَلَّتْ تَنْهَمِلُ^(٥)

لتجريد هِنْدِيَّ وإسداء نائلٍ وتقبيل أفواه وأخذ عنان
وقد ملح من قال :

يَدُ تَرَاهَا أَبَدًا فَوْقَ يَدٍ وَتَحْتَ فَمٍ
مَا خُلِقَتْ بِنَانِهَا إِلَّا لِسَيْفٍ أَوْ قَلَمٍ

(١) الفصاد : هو الفصد ؛ وأراد بالشق : التأثير والنفاذ . ومن ثم عدها بني ،
واستعار لجوده عرقا لما ذكر عرق يده ؛ والعذل : اللام . يقول : إن الفصد يؤثر في
يده ، ولكن لا يؤثر اللام في جودها ، أى لا يجمع قول اللامين فيه . وقد نظر في هذا
إلى قول أبي تمام :

خَلَاتِقُ كَالزَّغَفِ الْمَضَاعِفِ لَمْ يَكُنْ لِيُنْقِذَهَا يَوْمًا شَبَابُ اللِّوَامِ
(٢) خامره : خالطه ، والجزع : الفزع وقلة الصبر ؛ والحذافة : مصدر كالحذق ؛
والعجل : للاستعجل . يقول : خامرى الطيب - حين مددت يدك إليه للفصد - جزع
من هيبتك فعجل في الفصد ولم يتأن كأنه عجل من حذقه ، وهو على الحقيقة
عجل من خوفه .

(١) جاز الشيء : تعدها ؛ وغير اجتهد : مفعول أتى ؛ والهبل : الشلل . يقول :
بالغ في الاجتهاد حتى جاوز حد الاجتهاد ففعل ما هو غير اجتهد لأن الخطأ من نيل المقصرين
المتهاونين ، ثم دعا عليه فقال لأمه الشلل .

(٢) التعمق : بلوغ عمق الشيء - وهو أقصاه - يريد به البالغة ومجاوزة الحد .
يقول : إن النجاح في الأمور مقرون بما يفعله الإنسان حسب مقتضى طبعه وحين يرسل
نفسه على سجيته ، فإذا تكافى وبالع وتعمق زل فأخطأ .

(٣) ارث لها : رق ؛ وبما بالذى : متعلقان بتهمل . يقول مخاطبا الطيب - : ارفق

مِثْلَكَ يَا بَذْرُ لَا يَكُونُ وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الدُّوْلُ^(١)

* * *

وقال أيضاً بمدحه :

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمْ أَرْتَحَالًا وَحُسْنُ الصَّبْرِ زَمُوا لَا الْجَمَالَ^(٢)

بهذه اليد فإنها يد تسيل بما ملكته : أى تجود بما لها على العفاة وتسيل بمثل ما أسلته منها أى بالدم الذى تسفكه من الأعداء .

(١) إلا لمثلك : أى إلا لك . يقول : لا يخلق الله مثلك ولا تصلح الدولات إلا لك فى جودك وكرمك وإحسانك إلى الناس ، وصاحب الدولة يجب أن يكون كريماً سخياً لينتفع الناس بدولته .

(٢) زم البعير : خطمه بالزمام ، واسم ليس : ضمير الشأن ، وهم : مبتدأ ، وخبره محذوف : أى ليس الأمر والخبر هم شاءوا . لحذف « شاءوا » لتقدمه فى أول الكلام ، ويجوز أن يكون « هم » : اسم ليس ، إلا أنه استعمل الضمير المنفصل موضع الاتصال ضرورة ، والتقدير : بقائى شاء الارتحال ليسوا شاءوا ، ويجوز أن تكون « ليس » هنا حرفاً عاطفياً فلا يكون لها اسم ولا خبر . يقول : لما ارتحلوا عنى ارتحل بقائى ، فكان بقائى شاء ارتحالاً ؛ لا هم شاءوا ذلك ، وكأنهم زمو صبرى للمسير ، لاجتماعهم ، لأنى فقدت الصبر بعدهم ، وإنما ننى الارتحال عنهم لأن ارتحال بقائه أهم وأعظم شأنًا ، فكان ارتحالهم ليس ارتحالاً عند ارتحال بقائه ، ولأنهم ربما يعودون ، والبقاء إذا ارتحل لم يعد ، وكذلك مسير صبره أعظم من مسير الجمال ، فلم يعتد بسير جمالهم مع سير صبره عنه . وعبرة بعض الشراح : لما ارتحل الأحبة ارتحات حياته لأنه غير باق بعدهم ؛ فبقاؤه هو الذى أراد الارتحال ، لا هم . ولما جعل حياته راحة جعل مطيتها حسن الصبر ، لأنه لو صبر لم يكن لرحيل حياته سبب ، وإنما أثبت الرحيل لحياته دونهم بناء على أن الحياة والأحبة شيء واحد ، فليس هناك حياة وأحبة ولا صبر وجمال ، وإنما هم الحياة عينها ، ومطيهم الصبر نفسه ؛ وقال ابن القطاع : بقاء شاء ؛ أى سبق ارتحالهم ، يقال شاءه : وشاء . إذا سبقه ، ولولا ذلك لمت أسفاً ، وهذا على المبالغة . وقيل المعنى بقائى أراد رحيلهم ، فشاء من الشيئة ، فليبقى مت ولم أره يتأسف ، إذ لم يمت عند رحيلهم .

تَوَاوَا بَفْتَةً فَكَانَ بَيْنَنَا تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي أُغْتِيَالًا^(١)
 فَكَانَ مَسِيرُ عَيْسِهِمْ ذَمِيلًا وَسَبْرُ الدَّمْعِ إِزْرَهُمْ أَنَهْمَالًا^(٢)
 كَانَ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاةٌ فَلَمَّا تُزْنَ سَالًا^(٣)
 وَحَجَبَتِ النَّوَى الظُّبْيَاتِ عَنِّي فَسَاعَدَتِ الْبَرَاقِعَ وَالْحِجَالَ^(٤)
 لَبِسْنَ الْوَشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ وَلَكِنْ كُنَّ يَصْنُ بِهِ الْجَمَالَ^(٥)

(١) تولوا : أدبروا ؛ والبين : الفراق ؛ وتهيبني : هابني . والاغتيال أخذ الإنسان من حيث لا يدرى . يقول : كأن البين هابني ففاجأني باغتياله ، يريد فاغتالي اغتيال مفاجأة .

(٢) العيس : الكرام من الإبل ؛ ويروى عيرهم ، وهى الإبل التى تحمل الليرة ، والدميل : السير للتوسط والانهمال الانسكاب . يقول : كانت إبلهم تسير الدميل ودمى ينصب فى أنزهم انصبابا ، يتوجع ويتحسر . ومثله لابن الرومى :

لهم على العيس إمعان يشطُّ بهم وللدموع على الخدين إمعانٌ

(٣) أناخ البعير : أبركه ؛ وثرن : أى نهضن للسير ؛ والبيت مبنى على ما قبله . يقول : كنت لا أبكى قبل فراقهم ، فكان إبلهم كانت تمسك دمنى عن السيلان يروكها فوق جفنى ، فلما طارقوني سال دمنى ، فكانها ثارت للرحيل من فوق جفنى فسال ما كانت تمسك من دموعى . وهو تخيل بديع .

(٤) النوى : البعد والفراق ؛ والحجال : الخدور . يقول : لما ارتحلوا حجبتهم النوى عن عيني ، فساعدت النوى ما كان يحجبهن عنى قبل من البراقع والخدور .

(٥) الوشى : الثياب المنقوشة ؛ وحجر به وشى : أى حجر من معدن فيه ذهب ، أنشد ابن الأعرابي لأحيحة بن الجلاح يرثى أبنا له :

وما هِزْزِيْ من دنانير أيلة بأيدي الوشاةِ ناصع يتأكلُ
 بأحسن منه يوم أصبح غادياً ونفسي فيه الحامُ المعجلُ

« الوشاء الضرابون : يعنى ضراب الذهب ؛ ونفسي فيه : رغبني ، والمهززي الهذيار الجديد » والتجمل : الزين . يقول : هن غنيات بحسنهن عن التجمل بلبس الديباج ولكن يلبسنه ليصن به جمالهن عن أعين الناظرين . قيل للصاحب أغرت على أبى الطيب فى قولك :

وَضَفَرْنَ الْفَدَائِرَ لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خِفْنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَةَ^(١)
 بِحِسِّي مَنْ بَرْتُهُ فَلَوْ أَصَارَتْ وَشَاحِي ثَقَبَ لَوْلُوَّةٌ بِلَالًا^(٢)
 وَلَوْلَا أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ لَكُنْتُ أَظُنُّنِي مِنِّي خِيَالًا^(٣)

لبسن برود الوشي لا لتجمل
 فقال : نعم ، كما أثار هو في قوله :
 ما بال هذى النجوم حائرة
 على بشار في قوله :

والشمس في كبد السماء كأنها أعمى تحير ما لديه قائد
 (١) التصفير : قتل الذوائب ؛ والفدائر : جمع غديرة ، وهي الخصلة من الشعر .
 يقول : لم ينسجن ذوائبهن طلباً للتحسين ، ولكن خفن أن يضلن فيها لو أرسلنها
 لأنها تغشاهن كالليل : قال ابن جني : قد وصفت الشعراء الشعر بالكثرة ، ولكن لم
 تفرط في ذلك مثل المتنبي ، قال ابن المعتز :

دعت خلاخيلها ذوائبها فجئن من قرنها إلى القدم
 (٢) بحسبي : أي أمدى بحسبي ؛ وبرته : هزلته ؛ والشاح : شبه قلادة تشده
 المرأة بين العاق والكشح يقول : أمدى بحسبي التي هزلته حتى لو جعلت وشاحي
 ثقب لؤلؤة لوسعن حتى يدور على إذا شئت أن أدبره ، يصف دقته ونحوه ، ومثل
 هذا يقول الآخر :

قد كان لي فيما مضى خاتم والآن لو شئت تَمَنَّقْتُهُ
 (٣) يقول : لولا أنني يقظان لكنت أظن نفسي خيالا ، يعني أنه كالخيال في الدقة ،
 إلا أن الخيال لا يرى في اليقظة ، فقوله أظنني : أي أظن نفسي وقوله مني : متعلق
 بخيالا : أي خيالا مني ، كما تقول : جاءني خيال من المحبوب قال الواحدى : قوله مني :
 أي من دقي ، ويعد أن يقال من نفسي ، لأنه قال أظنني ، ومعناه أظن نفسي ، ولا
 يقال أظن نفسي خيالا من نفسي . هذا : والعرب تقول ظننتني وخلقني وعلمتني ، ولم
 يرو عنهم ضربتني ، لأن الفعل لما كان يتعدى إلى مفعولين اتسعوا في أحدهما لقوة
 تعديته . وقد جاءت عدمتي شاذة في قول جرير العود :

بَدَتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنَبْرًا وَرَنْتَ غَزَالًا^(١)
 وَجَارَتْ فِي الْحُكُومَةِ نَمَّ أُبْدَتْ
 لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا أَعْدَالًا^(٢)
 كَأَنَّ الْحَزْنَ مَشْفُوفٌ بِقَلْبِي
 فَسَاءَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الْوِصَالَ^(٣)

لقد كان لي في ضرتين عذمتني وما أنا لاقٍ منهما مُتَزَحِّزُحُ
 (١) الخوط : الفصن الناعم : ورنـت : نظرت ؛ والنصوبات في البيت أسماء وضعت موضع الحال . كأنه قال : بدت مشرقه ، ومالت مثنية ، وفاحت طيبا ، ورنـت مليعة ؛ أو تقول للعنى : بدت مشبهة قمرًا في حسنـها ، ومالت مشبهة غصن بان في ثنـيها ، وفاحت مشبهة عنبراً في طيب رائحتها ، ورنـت مشبهة غزالا في سواد مقلتها . وهذا يسمى التدييج في الشعر ، ومثله :

سَفَرَنْ بُدُورًا وَانْتَبَهْنَ أَهْلَةً وَمِسْنِ غُصُونًا وَالتَفَتْنَ جَاذِرًا
 (٢) جار عن الطريق : مال ؛ وكثر استعماله في الظلم لأنه جور عن الحق . يقول : هي في حكمها جائرة ، ولكن قدها معتدل لا جور فيه .
 (٣) يقول : كأن الحزن يشق قلبي ، وإنما يجد الوصال إذا هجرتني ، يعني كلما هجرتني واصل الحزن قلبي وعلق به . هذا : وقوله « مشفوف » روى بالعين المهملة ، وبالعين المعجمة ؛ وقد قرئ قوله تعالى « قد شغفها حبا » بالعين وبالنون ، فمن قرأها بالعين فعناء تيمها ، ومن قرأها بالنون يعني أصاب شغاف قلبها أو غشى الحب قلبها ؛ وشغاف القلب وشغفه : غلافه . قال قيس بن الخطيم :

إِنِّي لِأَهْوَاكِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ قَدْ شَفَّ مِنِّي الْأَحْشَاءُ وَالشَّغَفُ
 أما الشغف : فهو إحراق الحب القلب مع لذة يجدها ، كما أن البعير إذا هني بالقطران يجد له لذة مع حرقة .
 قال امرؤ القيس :

لَتَقْتَلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي
 « يعني أحرقت فوادها بحبي كما أحرق الطالبي هذه المهنوءة ففوادها طائر من لذة الهناء ، لأن المهنوءة تجد للهناء لذة مع حرقة » :

كَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلِي صُرُوفٌ لَمْ يُدْمِنْ عَلَيْهِ حَالًا^(١)
 أَشَدُّ النِّعَمِ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَتَقَنَّ عَنْهُ صَاحِبُهُ انْتِقَالًا^(٢)
 أَلِفْتُ تَرَخُّلِي وَجَعَلْتُ أَرْضِي قَتُودِي وَالْفُرَيْرِي الْجَلَالًا^(٣)
 فَمَا حَاوَلْتُ فِي أَرْضٍ مُقَامًا وَلَا أَزْمَعْتُ عَنْ أَرْضٍ زَوَالًا^(٤)
 عَلَى قَلْقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَمُحِّي أَوْجُهَا جَنُوبًا أَوْ شِمَالًا^(٥)

(١) كذا: خبر مقدم عن «الدنيا» وصرُوف: خبر عن محذوف: أى هى صروف؛ والصرُوف: الأحداث: يقول: إن الدنيا كانت على من كان قبلى كما أراها الآن: أى كما هى على الآن، ثم بين ذلك فقال: هى صروف لا تدوم على حاله واحدة (٢) فى سرور: خبر «أشد» والجملة بعده: نعت سرور. يقول: إن السرور الذى يتيقن صاحبه الانتقال عنه هو عندى أشد النعم لأنه يترقب وقت زواله فلا يطيب له ذلك السرور.

(٣) قنودى: جمع قند، وهو خشب الرحل، والفريرى: المنسوب إلى غرير، فحل من الإبل كان فى الجاهلية تنسب إليه كرام الإبل والجلال: كالجليل—أى العظيم— كما يقال: طوال، وطويل. يقول: تعودت الارتحال حتى ألفتها، وصارت الرحال أرضا لى، لأنى أبدأ على الرحال، فهى لى كالأرض للقيم.

(٤) اللقَام: مصدر ميمي، بمعنى الإقامة. وأزمع الأمر: وأزمع عليه: مضى فيه؛ وثبت عليه عزمه؛ وقال الكسائى: يقال أزمنت الأمر، ولا يقال أزمنت عليه. قال الأعشى:

أَزْمَعْتُ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْنِكَارًا وَشَطَطْتُ عَلَى ذِي هَوَى أَنْ تَزَارَا

وقال الفراء: أزمنت وأزمنت عليه: بمعنى، مثل أجمعت وأجمعت عليه. يقول: ما طلبت الإقامة فى أرض لأنى أبدأ على سفر، ولا عزمت على الرحيل عنها. لأنى الرحيل إنما يكون بعد الإقامة، ولا إقامة لى حتى أرحل.

وقال ابن جنى: المعنى إذا كان ظهره — أى البعير — كالوطن لى فأنا — وبين جيت البلاد — كالقاطن فى داره.

(٥) على قلق: القلق الاضطراب؛ والجار والمحرور: فى موضع الحال من التاء فى ألفت؛ وبروى على قلق — بكسر اللام — أى بعير قلق. يقول: لا أستقر فى مقام

إِلَى الْبَدْرِ بْنِ عَمَّارٍ الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ الْهَلَالَا^(١)
وَلَمْ يَنْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالَ
بِلَا مِثْلٍ وَإِنْ أَبْصَرْتَ فِيهِ لِكُلِّ مُعَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالَا^(٢)
حُسَامٌ لِابْنِ رَاقٍ الْمُرْجَى حُسَامُ الْمُتَّقِي أَيَّامَ صَلَا^(٣)
سِنَانٍ فِي قَنَاءِ بَنِي مَعْدٍ بَنِي أَسَدٍ إِذَا دَعَوْا النَّزَالَ^(٤)

كأنى على ظهر الريح : أوجهها مرة إلى جانب الجنوب ومرة إلى جانب الشمال ، فعبر بالريحين عن الجانبين ، وروى يميناً أو شمالاً ، فنكون بكسر الشين .
(١) غرة الشهر : أراد أول الشهر ؛ وإلى البدر : يروى إلى بدر بن عمار - بدون أل - لأنه علم . ومن روى البدر : أراد بدر السماء ، لا الاسم العلم ، يعنى إلى الرجل الذى هو كالبدر ، ثم نسيه إلى أبيه ، لأنه ليس بدراً على الحقيقة ، وإن أشبهه : ألا ترى أنه قال لم يكن فى غرة الشهر الهلال ، ولا بدر إلا وكان هلالاً أولاً ؟ وهذا الذى عناه لم يكن هلالاً قط ، وقد فسر هذا بقوله : ولم يعظم لنقص « البيت » . وترك التنوين من « عمار » ضرورة لسكونه وسكون اللام واللام فى قوله « لنقص » فى البيت التالى - بمعنى بعد كما فى قوله :

* بطول اجتماع لم نبت ليلة معا *

(٢) يقول : هو منقطع النظير لا مثل له ، وإن رأيت فيه من الصفات ما يمثل لك كل ماغاب عنك من المحاسن ، وذلك كالشجاعة مثلاً والجود والحسن ، فإن هذه الصفات فيه تمثل لك الأسد والغيث والبدر ، ولكن هذه مع كونه يشبهها فى بعض صفاته لاشيء منها يشبهه فى جميع صفاته . يعنى أنه لم يجتمع فى أحد ما اجتمع فيه وإن كانت أشباهه متفرقة فى أشياء كثيرة : فكفه كالبحر ، وقلبه وعضده كالأسد ، ووجهه كالبدر .
(٣) حسام : أى هو حسام : سيف قاطع ؛ وحسام - الثانى - بدل من ابن رائق . يقول : هو حسام لأبى بكر بن رائق ؛ الذى كان حساماً للعتيق لله الخليفة العباسى حين صال به على بنى البريدى ، وقد كان التقي حاربهم به فى خبر ليس هذا موضعه .
(٤) بنو معد : هم العرب ، لأن نسبهم ينتهى إلى معد بن عدنان . وبني أسد : بدل من قوله بنى معد ، وهم رهط الممدوح . قال الواحدى : يقول إن الممدوح سنان فى قنأ العرب الذين هم بنو معد ؛ ثم خصص بعض التخصيص وأبدل من بنى معد : بنى أسد فكأنه قال : هو سنان قنأ بنى أسد عند الحرب ؛ والنزال : منازلة الأقران -

أَعَزُّ مُنَالِبٍ كَفًّا وَسَيْفًا وَمَقْدِرَةٌ وَنَحْمِيَّةٌ وَالْأَلَا^(١)
وَأَشْرَفُ فَأَخِيرِ نَفْسًا وَقَوْمًا وَأَكْرَمُ مُنْتَمٍ عَمَّا وَخَالًا^(٢)
يَكُونُ أَحَقُّ إِثْنَاءٍ عَلَيْهِ عَلَى الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا مُحَالًا^(٣)

بعض إلى بعض - من الخيل عند شدة القتال . يقول : هو رئيسهم وصدرهم الذى به
تقاتلون ، وفى مثل هذا المعنى يقول النامى - وقد قصر عنه للتنبي - :

إِذَا فَاحَرَتْ بِالْمَكْرُمَاتِ قَبِيلَةٌ فَتَغْلِبُ أَبْنَاءَ الْمُلَى بِكَ تَغْلِبُ
قَنَاءَةً مِنَ الْعَلِيَاءِ أَنْتَ سِنَانُهَا وَتِلْكَ أَنَا يَبِيبُ إِلَيْكَ وَأَكْعُبُ

وقال بعض الشراح : بنى أسد : بدل من قناة ، ثم قال : جعل بنى أسد - وهم رهط
المدوح - قناة - أى رحا - لبنى معد ، وجعل المدوح سناناً لهذه القناة : يعنى أن
المدوح عزة لقومه ، وهم عزة لسائر العرب . وروى بعض الشراح بنى أسد : بنى أسد -
على أنه جمع أسد - وقال : يعنى أن بنى معد هم بنو أسود : أى شجعان ؛ وقال ابن جنى :
يجوز أن يكون بنى أسد : منادى مضافاً : يعنى أن بنى معد إذا نازلوا الأعداء ، قالوا
يا بنى أسد ، فيقوم لهم قولهم فى الغناء والدفع عنهم مقام سنان مركب فى قناتهم ، لأنهم
إذا دعوهم أغنوا عنهم .

(١) أراد بالمرز - ههنا - الغلبة والامتناع ؛ ومقدرة - بتثليث الدال - أى قدرة :
وعجبة . بمعنى حماية أى حماية الجار والحليف ومن يحق الذود عنه ؛ ويجوز أن تكون بمعنى
الحمية : أى الأنفة وعزة النفس . ونصب المنصوبات الخمس على التمييز . يقول . هو أعز
من يغالب الأقران كفاً ، لأن يده فوق كل يد ، وسيفه أغلب السيوف ، وقدرته فوق
قدرة الناس ، وحمايته لمن يحق عليه الذود عنه زائدة على حماية غيره ، وآله وأصحابه
أغلب وأعز به من آل غيره .

(٢) منتم : منسوب . يقول : هو شريف حسيب إذا انتمى كان له الشرف
هن أبيه وأمه .

(٣) الإثناء : مصدر أنثى عليه . يقول : إن المدح الذى يستعظم للدنيا وأهلها حتى
يكون لإفراطه محالاً عليها إذا أطلق عليه كان حقاً ، لاستحقاقه غاية الثناء . وبعبارة
أخرى : إن أحق ما يصدق عليه من صفات المدح لو مدحت به الدنيا وأهلها لكان
النسبة إليهم محالاً . يعنى أن الناس كلهم لا يستحقون أدنى ما يستحقه من الثناء .

وَيَبْقَى ضِعْفُ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ إِذَا لَمْ يَتْرِكْ أَحَدٌ مَقَالاً^(١)
 فَيَا أَبْنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَذَنٍ
 مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشَّمَالاً^(٢)
 وَيَا أَبْنَ الضَّارِبِينَ بِكُلِّ غَضَبٍ مِنْ الْعَرَبِ الْأَسْفَلِ وَالْقِلَالِ^(٣)
 أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَوَوْا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْمُضَالَا^(٤)
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرَّةً مَرِيضٍ يَجِدُ مُرّاً بِهِ الْمَاءُ الزُّلَالَا^(٥)

(١) ضعف الشيء : أن يزداد عليه مثله ؛ ويترك : يفتعل ، من الترك . يقول : إذا مدحه الناس غاية ما قدرُوا عليه حتى لم يترك أحد مقالا : بقى ضعف ما قالوه من المحاسن يعني للمادح والمثنى لا يبلغ في مدحه ما يستحقه ، كما قالت الخنساء .

وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ نَحْوَكَ مِدْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلَّا وَمَا فِيكَ أَفْضَلُ
 وقال أبو نواس :

إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَأَنْتَنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُنْتَنِي

(٢) بكل لدن : أى بكل رمع لين للهز ، ومواضع : منصوب على الظرفية ، مضاف إلى الجملة بعده . يقول : يا ابن الطاعنين بكل رمع صدور الأبطال ؛ وهذا ينظر إلى قول البحتري .

وَأَتَبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرُّعْبُ وَالْحَقْدُ

(٣) العضب : السيف القاطع ؛ والقلال : جمع قلة ، أعلى الشيء والمراد هنا : الرؤوس يقول . يا ابن الضاربين بكل سيف رؤوس العرب وأرجلها قال ابن جني . وذلك لأنهم إذا ضربوا الفارس في قلة رأسه نزل السيف إلى أسفل جسده ، وقيل أراد بالأسفل اللثام ، وبالقلال : السكرام ؛ أى ابن الذين يضربون الشريف والدنيء فلا تتركون أحداً ، أو لا يهابون أحداً .

(٤) المتشاعرون : الذين يدعون الشعر وليسوا من أهله . وغرى بالشيء : أولع به ، والداء المضال : الذى لا دواء له يقول : إنه داء لهم يستقمون به حسداً ، ولذا لا يمكن أن يحمده .

(٥) الزلال : العذب الصافي الذى يزل في الحلق . وهذا مثل ضربه . يقول : مثله كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مرارة فمه ، كذلك هؤلاء إنما يذمونني

وَقَالُوا هَلْ يُبَلِّغُكَ الثَّرِيَا فَقُلْتُ نَعَمْ إِذَا شِئْتُ أُسْتَفَالَا^(١)
هُوَ الْمُفْنَى الْمَذَاكِي وَالْأَعَادَى وَبَيْضَ الْهِنْدِ وَالشَّمْرَ الطَّوَالَا^(٢)
وَقَائِدَهَا مُسَوِّمَةً خَفَافَا عَلَى حَيٍّ تُصَبِّحُهُ نَقَالَا^(٣)
جَوَائِلَ بِالْقُسْنِيِّ مُتَقَفَاتٍ كَأَنَّ عَلَى عَوَامِلِهَا الذَّبَالَا^(٤)

لنقصانهم وغبائهم وعدم إدراكهم فضلى وشعوى ، فالنقص فيهم لا فى ولوصحت حواسهم لعرفوا فضلى ؛ قال حكيم : النفس الكريمة ترى الأشياء حسنة .

(١) يقول إن الحساد قالوا الى حسداله على ولى عليه : هل برفعت المدوح الى الثريا ؛ إنكارا لأن يبلغنى بخدمته منزلة رفيعة ، فقلت : نعم يبلغنيها إذا أردت أن أنحط عن منزلى : أى أنه رفعه الى ما فوق الثريا فإن استفل وانحط رجع الى موضع الثريا وإلا فهو أعلى منها درجة بخدمة المدوح . وهذا تخيل بديع . هذا : وسميت المجموعة المعروفة من الكواكب بالثريا ؛ قيل لغزارة نوبها ، وقيل لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها ، فكانت كثيرة العدد بالإضافة الى ضيق المحل ، ولا يتكلم بالثريا إلا مصغرة ، وهو تصغير على جهة التكثير ، ويقال إن خلال أنجم الثريا الظاهرة كواكب خفية كثيرة العدد ، وقد ظن العطوى الشاعر كواكب الثريا ستة فقال :

خَامِلٌ إِنِّى لِلثَّرِيَا لِحَاسِدٍ وَإِنِّى عَلَى الزَّمَانِ لَوَاحِدٍ

أَجْمَعُ مِنْهَا شَمْلَهَا وَهِيَ سِتَّةٌ وَأَفْقِدُ مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَهُوَ وَاحِدٌ

(٢) المذاكى : الخيل للسنة ، وهى التى أى عليها بعد قروحها سنة . وببيض الهند : السيوف . والسمر : الرماح . يقول : هو الذى ينفى هذه الأشياء بكثرة الحروب ؛ وعبارة المكبرى : هو مفنى الخيل والأعداء بالطراد فى الحروب ، وقيل بالهبة والسيوف والرماح بالضرب والطمع ، ويجوز بالهبة .

(٣) قائدها : معطوف على المعنى ؛ والضمير : للمذاكى : والسومة : العملة . يقول : وهو قائد الخيل خففا فى الركض نقالا على الحى الذى تحمل بساحته صباحاً للغارة ، أى نقالا على الأعادى .

(٤) جوائل : بدل من مسومة ، وهى جمع جائلة : أى مترددة ، وجوائل بالقى ، أى تجول بأرماح فرسانها ، والقى : جمع القنا . ومتقفات : أى مقومات بالتقاف ، وهو الحديد الذى يسوى به الرمح . والعوامل : مايل الأستة والذبال : جمع ذبالة ، وهى الفتيلة التى فى السراج . شبه أسننها فى اللعنان بالفتائل .

إِذَا وَصَّيْتُ بِأَيْدِيهَا صُخُورًا يَفْنَى لَوْطُءُ أَرْجُلَيْهَا رَمَالًا^(١)
جَوَابُ مُسَائِلِي آلِهِ نَظِيرُ وَلَا لَكَ فِي سُؤَالِكَ لَا أَلَا^(٢)
لَقَدْ أَمِنْتُ بِكَ الْإِعْدَامَ نَفْسُ تَعْدُ رَجَاءَهَا إِيَّاكَ مَالًا^(٣)
وَقَدْ وَجِلْتُ قُلُوبُ مِنْكَ حَتَّى غَدَّتْ أَوْجَالُهَا فِيهَا وَجَالًا^(٤)

(١) يفنى : يمدن ويرجعن ؛ ويروى : يقين . يقول : إذا وطئت هذه الخيل الصخور بأيديها وأرجلها تفتتت من شدة وطأتها فصارت رمالا ، كما قال ابن المهز :

* كَانَ حَصَى الصَّيَّانِ مِنْ وَقْعِهَا رَمْلُ*

(٢) جواب : مبتدأ ؛ خبره : عجز البيت ، وقوله آله نظير : في محل نصب حكاية السؤال . يقول : إذا سألتى سائل فقال : هل لهذا المدوح نظير ؟ فجوابه : لا ، ولا لك أيضاً نظير في هذا السؤال ، لأن أحداً لا يحفل هذا غيرك ، فأنت في جهلك به بلا نظير . وأراد « لا » و« لا لك » فأخر المعطوف عليه ضرورة ، كما قال الأحوص :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ^(١)

وكرر النفي بقوله « ألا لا » إشارة إلى أن جهل هذا السائل يوجب إعادة الجواب عليه

(٣) الإعدام : الإقتار والفقر . يقول : كل نفس ترجو عطاءك وتعد هذا الرجاء مالا لها تأمن الفقر لأنك تبلغها آمالها ألبنة .

(٤) وجالا : جمع وجل - بكسر الجيم - أى خائف يقول : خافتك قلوب الأعداء حتى خاف خوفهم ووجلّت أوجالهم ، وهذا كقولهم : جن جنونه ، قال :

جُنُونُكَ كَجُنُونِ وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ طَلِبِيًّا يَدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ

(١) بعده :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْكَ فَخَبَرُونِي هُنَا مِنْ ذَاكَ تَكْرَهُهُ الْكَرَامُ
وَلَيْسَ بِمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِأَسٍ إِذَا هُوَ لَمْ يَخَالِطِ الْحَرَامُ
وَالنَّخْلَةُ : كناية جميلة عن المرأة ؛ وكفى بالهناة عن الرفث .

سُرُورُكَ أَنْ تَسْرَهُ النَّاسَ طَرًّا تُعَلِّمُهُمْ عَلَيْكَ بِهِ الدَّلَالَ^(١)
 إِذَا سَأَلُوا شَكَرْتَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنْ سَكَتُوا سَأَلْتَهُمُ الشُّوْالَ^(٢)
 وَأَسْعَدُ مَنْ رَأَيْنَا مُسْتَمِيعٌ يُنِيلُ الْمُسْتَمَاعَ بِأَنْ يَنَالَ^(٣)
 يُفَارِقُ سَهْمَكَ الرَّجُلَ التَّلَاقَ فَرَّاقَ الْقَوْسِ مَا لَاقَى الرَّجَالَ^(٤)
 فَمَا تَقِفُ السَّهَامُ عَلَى قَرَارٍ كَانَ الرَّيْشَ يَطْلُبُ النَّصَالَ^(٥)

(١) يقول : إنما يحصل لك السرور والفرح بأن تسر جميع الناس :
 وإذا كان هناك واحد لم تسره لم يحصل لك السرور ، فأنت تعلمهم الدلال عليك بهذا ،
 لأنه لو قال أحد الناس أنا غير مسرور اجتهدت حتى تسره وترضيه . فهم يدلون عليك ،
 إذ عرفوا منك هذا .

(٢) يقول : أنت لكرمك تحب العطاء ، فإذا سألك شكرتهم على السؤال وعددتهم
 منة عليك لحبك العطاء ، وإن هم سكتوا سألتهم أن يسألك حتى لا يفوتك
 لذة العطاء .

(٣) الاستراحة : طلب العطاء ؛ والسباحة ، الجود . يقول أسعد الناس سائل يعطى
 مسئوله بأن ينال منه شيئاً ، يعني أن مسئوله يفرح بأخذ عطائه حتى كأنه ينيله شيئاً .
 والحاصل أن أسعد الناس من أخذ من معط يرى أن الأخذ منه عطاء له فبراء حقا عليه
 ويسر بذلك . قال البحتري :

فَيَكُونُ أَوَّلَ سَنَةٍ مَأْتُورَةً

أَنْ يَقْبَلَ الْمَمْدُوحُ رِفْدَ الْمَادِحِ

(٤) « ما » نافية ، والجملة بعدها : حال من ضمير السهم محذوفاً ، والتقدير فراقه
 للقوس وهو ملاقى الرجال . يقول : إن سهمه يفارق الرجل الذي يلاقيه نافذاً منه ،
 وفيه نفس القوة التي فارق بها القوس حين لم يلاق أحداً بعد : أي إذا رمى رجلاً بسهم
 خرج منه بعد النفاذ فيه وفيه قوة كقوته حين خرج عن كبد القوس يصفه بشدة نزع القوس
 وقوة الرمي وانطلاق السهم ؛ ويجوز أن تكون « ما » ظرفاً ، كأنه قال : يكون الأمر
 كذلك مدة ملاقاته الرجال ، كما تقول : لا أكلك ماطر طائر .

(٥) النصال ، جمع نصل ، الحديد التي تكون في السهم . يقول : إن سهامك إذا
 رميتها لاتقف عن مسيرها ، فكان ريشها يطالب نصالها ليدركها فهي تنضي أبداً ، لأن
 الريش لا يدرك النصل ، لتقدم النصل عليه .

سَبَقْتَ السَّابِقِينَ فَمَا تُجَارَى وَجَاوَزْتَ الْعُلُوَّ فَمَا تُعَالَى ^(١)
وَأَقْسَمُ لَوْ صَلَحْتَ يَمِينَ شَيْءٍ لَمَا صَلَحَ الْعِبَادُ لَهُ شَيْئاً ^(٢)
أَقْلَبُ مِنْكَ طَرَفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعْتَ كَوَاكِبَهَا خِصَالاً ^(٣)
وَأَعْجَبُ مِنْكَ كَيْفَ قَدَرْتَ تَنْشَأَ وَقَدْ أُعْطِيتَ فِي الْمُهْدِ الْكَمَالَ ^(٤)

* *

وهذا من قول ليلي الأخيلية :

وَمَا أَنْ رَأَيْتَ الْخَلِيلَ قُبْلًا تَبَارَى بِالْخُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي
نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ ^(١)

فقل المعنى من الخيل والحدود والعوالي : إلى السهام والريش والنصال .

(١) جاره : جرى معه ؛ وعلاه : غلبه في العلو . يقول : سبقت الذين سبقوا في مراحل الساعى والكارم حتى شأوتهم فليس يجاريك أحد ، وعلوت حتى جاوزت العلو المألوف فليس يعاليك أحد ، إذ لا يبلغ أحد مبلغك . ويجوز أن يكون معنى السابقين : الأولين : أى الذى غبروا ومضوا .

(٢) يفضلهُ على جميع الناس ، ويقول : إنه لو كان يمين شئ ماصلح الناس كلهم أن يكونوا شمالاً لذلك الشئ ، وفى مثل هذا المعنى يقول أبو النجم :

لو كان خلقُ الله جنباً واحداً وكنت فى جنبٍ لكنت زائداً

نباهة وناثلاً ووالداً

(٣) يقول أنت فى علوٍ قدرك سماء وإن كانت كواكب تلك السماء خصالاً ، جعله كالسما ، وخصاله فى الشهرة والحسن نجومها ، كما قال البحتري :

وبلوتُ منك خلائقاً محمودةً لو كُنَّ فى فلكٍ لَكُنَّ نجوماً

(٤) وأعجب : عطف على أقلب - فى البيت السابق - وتنشأ : أصله تنشأ - بالهمز - فلينه للوزن ، وأراد أن تنشأ ، خذف « أن » . يقول : أنت قد ولدت كاملاً ، فكيف استطعت أن تزداد بعد الكمال ؟

(١) قالت ليلي هذين البيتين فى فائض بن عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل ؛ وقد مر شرحهما .

وخرج بدر بن عمار إلى أسد ، فهرب الأسد منه ، وكلّنه قد خرج قبله إلى أسد آخر ، فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع . وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضر به بالسوط ، ودار به الجيش ، فقال أبو الطيب :

فِي الْخُدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلًا مَطَرُهُ تَزِيدُهُ الْخُدُودُ مُحُولًا^(١)
يَا نَظْرَةَ نَفَتِ الرِّقَادَ وَغَادَرَتْ فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيَّيْتُ فُلُولًا^(٢)
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِنَّمَا أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُؤْلًا^(٣)

(١) أن عزم : أى لأجل أن عزم . والخليط : الذى يغالطك ويعاشره ، والمراد به الحبيب ؛ والخليط أيضا : القوم الذين أمرهم واحد ؛ قال الشاعر :

إِنْ خَلِيطَ أَجْدُوا الْبَيْنَ فَانْجَرِدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَى الْأَمْرِ الَّذِى وَعَدُوا
وجمع الخليط : خلطاء وخلط ، قال وعلة الجرى فى جمعه على خلط :

سَائِلَ مَجَاوِرَ جَرَمٍ هَلْ جَنَيْتَ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَسِيرَةِ الْخُلِّ
يقول : إن فى خده - لأن عزم الحبيب فراقاً - مطرا - يعنى الدمع - تزيد الحدود به محولا - جدبا - ومحول الحدود : شحوبها وتخذلها وفهاب نضرتها والطر من شأنه أن تحصب به البلاد ويخضر العشب ، أما الدمع فهو مطر صنيعه على الضد من هذا وفيه نظر إلى قول بعضهم :

لَوْ نَبَتِ الْعُشْبُ مِنْ دُمُوعٍ لَكَانَ فِي خَدِّي الرِّيمُ

(٢) نفت : أذهبت . وغادرت : تركت . والفلول : الثلوم : أى ما يلحق حد السيف من كثرة الضرب . يقول : إن نظرتة إلى الحبيب لدى الفراق ذهبت بنومه وأورثه السهاد وذهبت بحدة قلبه ، يعنى أثرت فى لبه ، وعبارة بعض الشراح : وتركته قلبه كالسيف للفلول لا يقوى على مقاومة النوايب واتقائها ، ويجوز أن يكون المراد بالنظرة : النظرة الأولى التى نظرها الحبيب وسببت له العشق والهيام .

(٣) الضمير فى «كانت» : للنظرة ، والكحلاء : السوداء الجفون خلقة . والسؤل ما يطلبه الإنسان ويتمناه ، وهو خبر «كانت» ومن الكحلاء : متعلق بسؤل ؛ ولين السؤل - فى آخر البيت - للفاية . يقول : كانت هذه النظرة مرادى ومطلوبى من

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكِ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَبِيلًا^(١)
وَأَرَى تَذَلُّكَ الْكَثِيرَ مُحِبًّا وَأَرَى قَلِيلَ تَذَلُّلٍ تَمْلُولًا^(٢)
تَشْكُو رَوَادِفَكَ الْمَطِيَّةَ فَوْقَهَا
شَكْوَى الَّتِي وَجَدْتَ هَوَاكَ دَخِيلًا^(٣)
وَيُعِيرُنِي جَذْبُ الزَّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلًا^(٤)

هذه المرأة السكحاء . ولكنها كانت في الحقيقة أجلى تصور مرادا في قلبي ، يعني أن نظرته إليها حال التوديع ذهب بنفسه وأنت عليه .

(١) الجفاء : الإعراض ، وقد ضمنه معنى النبو والامتناع ، ولذلك وصله بعلی . والنوى : البعد . يقول : إني أجد إعراضى عن النساء مروءة إلا عنك ، والصبر على نازلة جميلا إلا على بعدك ، كما قال البحترى :

مَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِلَّا عِنْدَ فُرْقَةٍ مَنْ بَيْنَهُ صِرْتُ بَيْنَ الْبَثِّ وَالْحَزَنِ
(٢) يقول : إني آمل دلال غيرك وإن قل ، وأحب دلالك وإن كثر ، كما قال جرير :
إِنْ كَانَ شَأْنُكُمْ الدَّلَالُ فَإِنَّهُ حَسَنُ دَلَالِكِ يَا أُمِّمَ جَمِيلُ
(٣) الروادف : السكفل ومما حوله ، جمع رادفة ، لأنها تردف الإنسان : أى تكون خلفه ، كالرديف الذى يكون خلف الراكب . يقول : تشكو المطية تقلد روادفك فوقها شكوى النفس التي وجدت هواك مداخلها ، يعني العاشق لها ، يعني نفسه .
(٤) يقول - مخاطباً حبيته - : يحملنى على الغيرة جذبك زماها إليك لأنها تقلب فيها إليك كأنها قبله ، كما قال مسلم بن الوليد :

وَالْعَيْسُ عَاطِفَةُ الرُّؤُوسِ كَأَنَّمَا يَطْلُبُنَّ مِرُّهُ مُحَدِّثٍ فِي الْأَحْلُسِ
هذا ، والغيرة : الحمية والأتفة ، لعلها من غار النهار : إذا اشتد حره ، يقال : غار الرجل على امرأته ، والمرأة على بعلها تغار غيرة وغيرا وغاراً وغياراً ؛ قال أبو ذؤيب يصف قدوداً :

لَمَنْ نَشِيجٌ بِالنَّشِيلِ كَأَنَّهَا ضَرَارٌ حَرِمِيٌّ تَفَاحَشَ غَارَهَا^(١)

(١) نشل اللحم من القدر : انتزعه منها وهو النشيل ، والنسبة إلى الحرم حرمة وهو من العدول الذى يأتى على غير قياس . قال المبرد : يقال امرأة حرمية وحرمة

حَدَقُ الْحَسَانَ مِنَ الْغَوَائِي هِجْنِي لِي يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةٌ وَغَلِيلًا^(١)
 حَدَقُ يُذِمُّ مِنَ الْغَوَائِلِ غَيْرَهَا بَذَرُ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ إِسْمَاعِيلًا^(٢)
 الْفَارِجُ الْكَرْبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا وَالْقَارِكُ الْمَلِكُ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(٣)

وأغار الرجل أهله : تزوج عليها فغارت ، والعرب تقول أغير من الحمى : أى أنها تلازم المحموم ملازمة الفيور لبعليها . هذا : والقم أكثر ما يستعمل بغير الميم مع الإضافة ، فإذا أضيف قلت فوك وذاك وفيك ، إلا أنه قد جاء بالميم مضافا عن العرب ، قال :

كالحوت لا يكفيه شيء يلهمه يصبح عطشان وفي البحر فيه

(١) الحدق : جمع حدقة ، وهى سواد العين الأعظم ، وواحدة الحسان : حسناء . والغوائى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن التجميل . والصبابة : رقة الشوق . والغليل : حرارة العطش ، والمراد به هنا : لاجع الوجد .

(٢) حدق : خبر عن محذوف ، يرجع إلى حدق - الأولى - ويذم : يبحر ويعطى القدماء ؛ وغيرها : يجوز فيه النصب على الاستثناء ، أو الحال ، والجر على التبعية . وبذر ابن عمار . فاعل يذم . يقول ، إنه يبحر من كل ما يقتل إلا من أهداق الحسان ، فإنه لا يستطيع الإجارة منها ، كما قال .

وَقَى الْأَمِيرُ هَوَى الْعَيُونِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَزُولُ بِيَّاسِهِ وَسَخَائِهِ
 وقد تجاوز هذا فى مدح عضد الدولة بأمن بلاده فى قوله .

فَلَوْ طُرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَا خَافَتْ مِنَ الْحَدَقِ الْحَسَانَ

(٣) يقول : إنه يفرج الكرب العظيم عن أوليائه بإزال مثلها بأعدائه ، يعنى أنه يقتل أعداءه ليدفعهم عن أوليائه ويفقرهم لينقى أوليائه فيزيل عنهم الفقر . ويقال فرج عنه يفرج وأفرج يفرج وفرج يفرج تفرجاً : إذا أزال عنه القم وكشفه ، والكريب وما بعده بالنصب بإعمال اسم الفاعل ، وروى بالحذف تشبيهاً بالحسن الوجه .

وأصله من قومهم ، وحرمة البيت وحرمة البيت : قالوا إن أهل الحرم - وهم قريش - أول من اتخذ الضرائر . شبه غليلة القدور بصنم الضرائر

مَحَكْ إِذَا مَطَلَ الْفَرِيمُ بِدَيْنِهِ جَعَلَ الْحَسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلًا^(١)
نَطَقُ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لثَامَهُ أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولًا^(٢)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا^(٣)

(١) المحك : اللجوج . والمحك اللجاج عند الغضب والمساومة ونحوها ، وقد محك يمحك ومحك محكا ومحكا فهو ماحك ومحك ومحك وتماحك البيعان والحصان تلاحا ، قال الفرزدق يهجو جريرا :

يا ابن المراغة والهجاه إذا التقت أعناقهُ وتماحك الحصان
ما ضرَّ تغلبَ وإِثْلَ أهجوتهما أمْ بُلْتُ حيثُ تناطح البحران^(١)
يقول . إنه يلج في تقاضى ماله على الناس من حق الطاعة والخضوع ولا يتوانى في ذلك ؛ فإذا مطلوه بهذا الدين جعل سيفه كفيلا له بقضائه ، يعنى إذا لم يخضعوا له طوعا أخضعهم قهرا .

(٢) النطق - كالنطق - اللسان البليغ ؛ والضمير في « لثامه » . للممدوح ، قال الواحدي . وكانت العرب تتلثم بعمائمها ، فإذا أرادوا أن يتكلموا كشفوا اللثام عن عن أفواههم . يقول : إذا وضع الكلام لثامه عن فمه عند النطق أفاد منطق قلوب السامعين عقولا ، يعنى أنه يتكلم بالحكمة وبما يستفاد منه العقل .

(٣) قال ابن فورجه : يعنى أن الزمان سخا - جاد - به على وكان بخيلا به ، فلما أعداه سخاؤه أسعدنى الزمان بضمى إليه وهدايتى نحوه ، وللصراع الأول من قول ابن الحياط .

لمستُ بِكُنْيَ كَفَّهُ أَبْنَى الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدَى
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغِنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عُنْدِي
وقال أبو تمام :

علمنى جُودُكَ السَّمَاحَ فَمَا أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدَى مِنْ صِلَتِكَ
وقال أيضا :

لستُ بِمَحَبِّ مُصَافِحًا بِسَلَامٍ لِمَنْنَى إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ مَالِي

(١) المراغة : الأتان التى لا تمتنع من الفحول ، وبذلك لقب الأخطل أم جرير فسماه ابن المراغة : أى يتمرغ عليها الرجال .

وَكَأَنَّ بَرْقًا فِي مُتُونِ عَمَامَةٍ هِنْدِيَّةٍ فِي كَفِّهِ مَسْلُولاً^(١)
وَتَحُلُّ قَائِمُهُ يَسِيلُ مَوَاهِباً لَوْ كُنَّ سَيْلاً مَا وَجَدَنَّ مَسِيلاً^(٢)

وأبو الطيب نقل المعنى إلى الزمان ، والصراع الثاني من قول أبي تمام :

هِنَاهُ لَا يَأْتِي الزَّمَانُ بِمَثَلِهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِمَثَلِهِ لِبَخِيلٍ

وقال ابن جني : للمعنى تعلم الزمان من سخائه فسخا به وأخرجه من العدم إلى الوجود ولولا سخاؤه الذي استفاده منه لبخل به على أهل الدنيا واستبقاه لنفسه ، فإن قيل : السخاء لا يكون إلا في الوجود ، وهذا معدوم فالجواب : أن الزمان كأنه علم ما يكون فيه من السخاء إذا وجد ، فكأنه استفاد منه ما تصور كونه فيه بعد وجوده . ولولا ما تصور من السخاء لبقى أبداً بخيلاً ، والشيء إذا تحقق كونه لا محالة أجرى عليه في حالة عدمه كثير من الأوصاف التي يستحقها بعد وجوده قال ابن فورجه : هذا تأويل فاسد وغرض بعيد ، والسخاء بغير الوجود لا يوصف بالعدوى ، ثم فسر البيت بما أسلفنا . هذا والسخاء الجود ، يقال سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى يسخى سخاء وسخوة قال الجوهري وقول عمرو بن كلثوم

مشعشة كأن الحُصَّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا^(١)

أى جدنا بأموالنا ، قال وقول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال فليس بشيء .

(١) جمل اسم «كأن» نكرة ؛ وخبرها معرفة ضرورة . والتون جمع متن ، وهو الظهر . والغامة السحابة . والهندي السيف المصنوع من حديد الهند ، وفي كفه ومسلولاً حالان . وقد عكس التشبيه في هذا البيت ، لأن الأصل أن يشبه السيف بالبرق ، وهنا شبه البرق بالسيف فقال كأن برقاً في ظهور الغمام سيفه إذا سله في يده ، مبالغة في بريقه ولمعانه .

(٢) محل قائمه أى قائم السيف أى مقبضه هو يد المدوح ؛ ومواهبا تميز . يقول : إن كفه تسيل نعماً وهبات لو كانت مطراً لما وجدت موضعاً تسيل فيه لسكنتها ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام :

(١) شمع الشراب مزجه بالماء ؛ والحص الورس ، نبات له نوار أحمر . يشبه الزعفران ، يقول اسقني الخمر ممزوجة بالماء كأنها من شدة حررتها بعد امتزاجها بالماء ألقي فيها نور هذا النبات الأحمر ، وإذا شربناها وسكرنا جدنا بمالنا .

رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهَنَّ كَأَنَّهَا

يُمْدِنَ مِنْ عِشْقِ الرِّقَابِ نَحُولًا^(١)
 أُمَقَّرَ اللَّيْثُ الْهَزَبُ بِسَوَاطِهِ لِمَنْ أَدَخَرَتْ الصَّارِمَ الْمَصْفُولًا^(٢)
 وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ نُضِدَتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تُلُولًا^(٣)
 وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبًا وَرَدَ الْفُرَاتِ زَيْبُهُ وَالنَّيْلًا^(٤)
 مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يَسُ فِي غِيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيْلًا^(٥)

أفاد من العليا كنوزاً لو أنها صَوَامِتَ مَالٍ مَا دَرَى أَيْنَ تَجْمَلُ

(١) مضاربه - جمع - مضرب - حد السيف الذي يضرب به الرقاب ؛ ويبدن : يظهرن . أراد : أن سيوفه تلازم الرقاب فوصفها بالعشق لأنه ادعى الأشياء إلى الزوم والرقبة . يقول : إن سيوفه رقيقة ماضية ، فكأنما هي - لرقبتها - تبدى نحولاً من عشقها الرقاب ، كما ينحل العاشق من جراء العشق ؛ وعبارة بعض السراح : يصف هذا السيف بالرقبة والمضاء . يقول : إن مضاربه لكثرة ملازمتها للرقاب صارت عاشقة لها فأثر فيها هذا العشق نحولاً ، فرقها من ذلك النحول .

(٢) عفره : مرغه في التراب . والهزبر : الشديد . والصارم : السيف القاطع . وكان بدر بن عمار - كما أسلفنا - هاج أسداً عن بقرة قد افرسها فوثب على كفل فرسه وأعججه عن سل السيف فضربه بسوطه ، ودار الجيش به فقتله . يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط - وهو أشد الحيوان بأساً - فلن خبأت سيفك ؟

(٣) نضدت : جمع بعضها فوق بعض ؛ والهام : الرؤوس . والرفاق : جمع رفقته : الجماعة في السفر . وتلولا : حال : أي مماثلاً للتلول ، جمع تل : الجبل الصغير . يقول : إن هذا الأسد كان بلية وقعت على أهل هذا النهر ، فقد عصفت بالمسافرين وأكثر القتلى منهم حتى ترك رؤوسهم كالتلول المجتمعة من التراب .

(٤) الورد : الذي يضرب لونه إلى الحمرة ، وكذلك الأسد . والمراد بالبحيرة : بحيرة طبرية ؛ والزئير : صوت الأسد . يقول : إذا زار في طبرية بلغ زئيره العراق ومصر ، وقد جانس بين ورد وورد .

(٥) الغيل : الأجمة - الغابة - واللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد . يقول : إنه لكثرة ما قتل من الفوارس قد تلمطخ بدمائهم ، ثم قال : وهو من غيله من الشجر

مَا قُوِيَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنْتُ نَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاً^(١)

كأنه في غيل آخر من لبدتيه لكثافة ما طى كنفه من الشعر. وكثرته. شبه لبدتيه بالغابة.

(١) الفريق : الجماعة ، وهو أكثر من الفرقة ؛ وحلولا - أى حالين نازلين - حال من « الفريق » ؛ ونحت الدجى : في موضع الحال من نائب « ظنتا » . يقول : ما استقبلت عين هذا الأسد في الظلام إلا ظنت نارا أوقدت لجماعة نزلوا موضعا ؛ وهو معلوم أن عين الأسد وعين السور وعين الحية تترأى في ظلمة الليل بارقة هذا : وقد قلنا إن « حلولا » حال من الفريق ، وهو معلوم أن الحال من المضاف إليه قليل ضعيف وإن كان قد جاء في شعر العرب القدامى ، كقول النابغة الجعدي من قصيدة يصف فرسا :

كَأَنَّ حَوَامِيَهُ مُدْبِرًا خَضِبْنَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَخْضِبُ
حِجَارَةَ غَيْلٍ بِرَضْرَاضَةٍ كَسَيْنَ طِلَاءَ مِنَ الطَّحْلِبِ^(١)
وكقول زيد الفوارس :

عَوِذُ وَبُهْثَةٌ حَاشِدُونَ عَلَيْهِمْ حَلَقُ الْحَدِيدِ مُضَاعَفًا يَتَلَهَّبُ^(٢)
وقول تابط شرا :

سَلَبْتُ سِلَاحِي بِأَسَاءٍ وَشَتَمْتَنِي . فَيَا خَيْرَ مَسْلُوبٍ وَيَا شَرَّ سَالِبٍ^(٣)

(١) الحوامى : جمع حامية ، ما عن يمين الحافر وشماله ؛ وتخضب بدل من « تكن » والفيل : الماء الجارى على وجه الأرض ؛ والرضراضة : الأرض الصلبة شبه حوافر الفرس بحجارة مقيمة في ماء قليل وذلك أصلب لها . والنون من « كسين » للحجارة ؛ والطلاء كل ما يطلى به ، والطحلب ، خضرة تملو الماء المزمن ؛ ومدبرا حال من الماء في « حواميه » وهو محل الشاهد .

(٢) عوذ وبهثة . اسماء رجلين ، وحلق الحديد الدروع ، مضاعفا حال من « الحديد » وهو الشاهد وجائز أن يجعل « يتلهب » في موضع الحال ، ومضاعفا ، حال من المضمَر في « يتلهب » . ويتلهب حال من الحلق ويتلهب أى يشعل استعير للمعان الدرع .

(٣) والشاهد هو مجيء بأسا حالا من المضاف إليه ، وهو الياء من « سلاحى » وجائز أن يكون حالا من مفعول « سلبت » المحذوف ، والتقدير سلبتنى بأسا سلاحى

فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ^(١)
يَطَّأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِنْ تَيْبِهِ ؛ فَكَأَنَّهُ آسٌ يَجُسُّ عَلَيْهِ^(٢)
وَيَرُدُّ غُفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا^(٣)
وَتُظَنُّهُ مِمَّا يَزْجُرُ نَفْسَهُ عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولًا^(٤)
فَقَصَرَتْ خَافَتُهُ أُنْطَلَى فَكَأَنَّمَا
رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادَهُ مَشْغُولًا^(٥)

(١) يقول : هو في غيلة منفرد انفراد الرهبان في متعبداتهم ، غير أنه لا يعرف حراما ولا حلالا . والأسد إذا كان قويا هزبراً لم يسكن معه في غيلة غيره من الأسود .
(٢) الثرى : وى البرى : التراب ، والتهى : الزهو والمعجب . والآسى : الطبيب والأسد لعزته في نفسه وقوته لا يسرع الشئ لأنه لا يخاف شيئا ، وقد شبهه في لين مشيه بالطبيب الذى يجس العليل - المريض - فإنه يرفق به ولا يعمل .
(٣) العفرة : الشعر المجتمع على قفاه . واليافوخ : الرأس . والإكليل : التاج . يقول : ويرد ذلك الشعر إلى هامته حتى يجتمع عليها فيصير ذلك لرأسه كالإكليل ، وإنما يفعل ذلك إذا غضب واغتاظ يجمع قوته في أعلى بدنه .
(٤) نفسه : فاعل « تظنه » وزجر الأسد : ردد زثيره . ومشغولا : مفعول ثان للظن ؛ وعنها : صلة مشغولا يقول : إن نفسه تظنه مشغولا عنها لكثرة ما يزجر من شدة غضبه وغظه . ووقع في بعض الروايات : نفسه - بالنصب - أى يزجر لنفسه ؛ والرواية الأولى أصح .

(٥) القصر - هنا - ضد التطويل : والخافة : مصدر مضاف إلى المفعول ؛ والخطى : جمع خطوه ، وهى مسافة ما بين القدمين ، والكمى : البطل المستتر فى سلاحه ؛ والمشكول : للمقيد بالشكال . قال الواحدى : وذو الحافر إذا رأى الأسد وقف وخج^(١) وبال . يقول : كأن الشجاع ركب فرسه بشكاله^(٢) فلا يخطو ولا يتحرك خوفا منه ، قال : هذا تفسير الناس لهذا البيت ، قال : وقال ابن فورجه : المعنى لما خاف منك الأسد تقاصرت خطاه هية ونازعته نفسه إليك جراءة فخلط إقداما بإحجام ، فكأنه فارس

(١) فجح : باعد ما بين رجله ليقول (٢) الشكال الجبل الذى تشد به قوائم الدابة

أَلْتَقَى فَرَسَتَهُ وَبَرَبَرَ دُونَهَا ، وَقَرُبْتَ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلًا^(١)
فَتَشَابَهُ الْخُلُقَانِ فِي إِقْدَامِهِ ، وَتَخَالَفًا فِي بَذَلِكِ الْمَأْكُولِ^(٢)
أَسَدٌ يَرَى عُضْوِيهِ فِيكَ كِلَيْهِمَا
مَتْنًا أَزَلَ وَسَاعِدًا مَفْتُولًا^(٣)
فِي سَرَجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٍ يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْثِيلُ^(٤)
نِيَالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا تُعْطَى مَكَانَ الْجَلَامِيَا مَا نِيَلَا^(٥)

كَمْ رَكِبَ فَرَسَهُ مَشْكُولًا ، فَهُوَ يَهْجُوهُ لِلْإِقْدَامِ بِجُرْأَةٍ ، وَالْفَرَسُ يَحْجُمُ عَجْزًا عَمَّا يَسُومُهُ
لِمَكَانِ شِكَاكِهِ .

(١) الفريسة : صيد الأسد ، وهو ما يفترسه . يريد البقرة التي هاجه عنها .
والبربرة : الصياح والبربرة - في الأصل - كلام المغضب استعارها لجريرة الأسد .
وخاله : ظنه . والتطفيل : الدخول على الآكلين من غير دعوة . قال الليث : التطفيل
سن كلام أهل العراق . يقولون : هو يتطفل في الأعراس . يقول : لما قصدته ألقى
الفريسة وزجر دونها ، يعنى ذودا عنها ، لأنه ظن أنك تتطفل على صيده لتأكل منه .
(٢) الخلقان : الطبعان . يريد خلق الأسد وخلق المدوح ، والضمير من «إقدامه»
للأسد . يقول : تشابهتا في الجرأة والإقدام وتخالفتا في أن الأسد شحيح بطعامه
وأنت جواد باذل له ، كما قال البحري .

شَارَكَتَهُ فِي الْبَأْسِ ثُمَّ فَضَّلَتْهُ بِالْجُودِ مُحَقَّقًا بِذَلِكَ زَعِيمًا
(٣) يريد بعضويه ما ذكره بعد من المتن والساعد ، والمتن : جانب الصلب ؛
والأزل : الأرسح - أى القليل لحم العجز والفخذين - وامرأة زلاء : لا عجيبة لها ؛
والسمع الأزل : الذئب الأرسح يتولد بين الذئب والضبع ، وهى صفة لازمة له
كما يقال الضبع العرجاء والمفتول الندمج الشديد كأنه قتل أى لوى - يقول : إن هذا
الأسد يرى قوته وشجاعته فيك فمتنه محسوح وساعده مفتول فقد أشبهه منك
هذان العضوان .

(٤) ظامئة الفصوص : يعنى فرسا دقيقة الفاصل ليست برهلة رخوة . يقال خيل
ظماء الفصوص . والطمرة : الوثابة . يقول : قربت منه وأنت راكب في سرج فرس
بهذه الصفة وتفردها بالكمال يأبى أن يكون لها نظير فلا تمثل بغيرها من الخيل .
(٥) نيالة : فعالة من النيل ؛ والطلبات : جمع طلبة - بفتح فكسر - الحاجة

تَذْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا أُسْتَحْضِرَتْهَا وَيُظَنَّ عَقْدُ عِفَانِهَا مَحْلُولًا^(١)
مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زَوْرِهِ
حَتَّى حَسِبَتْ الْقَرْضَ مِنْهُ الطُّولًا^(٢)
وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحَبَارَ كَأَنَّهُ
يَبْنِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلًا^(٣)

والشيء المطلوب . ومكان لجامها : كناية عن رأسها ؛ وما نيل : نفى . يقول : إن هذه الفرس تدرك ما تطلبه لشدة حضرها - جريها - وهى طويلة العنق مشرفة الرأس لولا أنها تحط رأسها للجام مانيل رأسها ؛ وقال الخطيب التبريزي : هذه الفرس إذا طلبت عدوا أو وحشا نالته ، وهى مع هذا عزيزة النفس تدل للراكب ما قدر عليها . وفيه نظر إلى قول زهير :

وَمُلْجَمُنَا مَا إِنْ يَنْأَلُ قَذَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنْأَمِلَهُ

(١) السوالف : جمع سالفه ، وهى صفحة العنق . واستحضرتها : من الحضرة ، وهو الركض . والعنان : سير اللجام . يقول : إذا ركضتها جدت حتى يعرق عنقها وما حوله ، وإذا جذبت عنانها طاوعت ولان عنقها حتى تظن العنان محلول العقد ، لأنها لا تجاذبك العنان لمطاوعتها ، وقال الواحدى : يجوز أن يكون هذا وصفا لطول العنق ؛ يعنى أنها إذا رفعت رأسها استرخى العنان وطال ، لأنه على قدر طول عنقها ، فيصير العنان كأنه محلول . وقال بعض الشراح : إنما تدير عنقها ورأسها كيف شئت ، وتغلب فارسها فلا يقدر على رد رأسها بالعنان ، فكأن عقد العنان محلول غير مشدود ، لأنه لو كان مشدودا قدر الفارس على ضبطها ، قال الواحدى : وما أبعد هذا إذ فسر بغير المراد .

(٢) الزور : وسط الصدر حيث تلتقى عظامه ، عاد إلى وصف الأسد فيقول : ما زال هذا الأسد حين لقيك يجمع قوى نفسه فى صدره حتى صار عرضه فى قفاه طوله وكذلك يفعل الأسد إذا أراد الوثوب على الصيد .

(٣) يدق . يكسر ، والحجار والحجارة والأحجار : جمع حجر ، وهو الصخرة ؛ والحضيض : قرار الأرض عند سفح الجبل ، وقيل هو فى أسفله ؛ وكتب يحيى بن يعمر عن يزيد بن المهلب إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا واضطررناهم إلى عرعر الجبل ونحن بحضيضه ، وقال عمر عبدالعزيز : أجملوا فى الطلب ، فلو أن رزق أحدكم فى

وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَأَذَنِي لَا يُبْعِرُ أَلْخَطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلًا^(١)
 أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدُّنْيَةِ تَارِكُ فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا^(٢)
 وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلًا^(٣)
 سَبَقَ التَّقَاءَ كُهُ يَوْثَبَةُ هَاجِمٍ
 لَوْ لَمْ تُصَادِمَهُ بَلَّازَكَ مِيلًا^(٤)

عرعره جبل أو حضيض أرض لأتاه قبل أن يموت ؛ وعرعره الجبل : أعلاه . يقول :
 إنه لغضبه يضرب الأرض بصدرة فيدق الحجر كأنه يريد أن يحفر الأرض ويتخذ
 سبيلا إلى قرارها .

(١) ادنى : افعل ، من الدنو : أى اقرب . يقول : كأن هذا الأسد غرته عينه
 ولم تصدقه النظر إليك ولو صدقته لما دنا منك هية لك ، ولكنه مغرور ، ظن الخطب
 الجليل - وهو مقاتلتك - غير جليل .

(٢) الأنف والأنفة : الاستنكاف ، قال ابن جني : من عادته - أى اللئبي - أن
 يعترض ما هو فيه بمثل يضربه إذا كان مسدداً لما هو فيه ، كقول الآخر :

وقد أدركتني والحوادث جحّة أسنة قومٍ لضعافٍ ولا عُزلٍ

فالحوادث جمة : جملة اعتراض بها بين الفاعل وفعله ، وهو تسديد لما هو فيه . يقول : إن الكريم
 يأنف من الدنيا فلا يهرب ، بل يقدم على العدد الكثير حتى كأنه قليل في عينه : قال
 العكبري : وهذا عذر للأسد . يقول : لم يهرب الأسد وأنفته جعلت في عينه العدد
 الكثير قليلاً حتى كأنه في عينه قليل . وقال اليازجي يقول : إن أنفة الكريم في أن يغاب
 بالجن تحمل على تعريض نفسه للهلكة حتى يصير العدد الكثير في عينه قليلاً ، يشير
 إلى ثبات المدح وإقدامه على الأسد خوفاً من عار الهزيمة .

(٣) مضاض : مؤلم موجه ؛ والحنف : الهلاك . يقول : إن العار موجه فمن خافه
 لم يخف الهلاك ، وهذا كقولهم من أنف من الدنيا لم يحجم عن الدنيا وهذا البيت مثل
 الذي قبله في الاعتراض كما قال ابن جني .

(٤) المصادمة مفاعلة من الصدم وهو الصك ، واليل من الأرض : قدر منتهى مد
 النظر ، وقيل مسافة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم ، والجمع ؛ أميال وميول ،
 يقول : أنه أعجلك من التفاتك له فوثب على ردف فرسك وثبة لولا مصادمتك له عند
 وثبته هذه لتجاوزك مسافة ميل من شدتها .

خَذَلْتَهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحْتَهُ

فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيدَ^(١)

بَصَتْ مَنِيتِهِ يَدَيْهِ وَعُنُقَهُ فَكَأَنَّمَا صَادَفَتْهُ مَغْلُولًا^(٢)

سَمِعَ ابْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ فَتَجَايَهَرُوا مِنْكَ أَمْسٍ مَهُولًا^(٣)

وَأَمَرُ مَا فَرَّ مِنْهُ فَرَارُهُ ، وَكَقَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا^(٤)

(١) خذله : خانه ولم ينصره ، وكأخه استقبله في الحرب بوجهه . والاستنصار طلب النصرة والتجديد : مصدر جدله إذا طرحه على الجدالة . وهى الأرض : أى صرعه ، يقول : خاتته قوته حين قاتلته : أى ضعفت فلم تسعفه فطلب نصرته من التسليم إليك . الانقياد وترك الخصومة . وانطرح أمامك على الأرض ، فكأنه رأى النصر فى ذلك ، وهذا من التهمك .

(٢) مغلولا : أى مقيدا بالغل ، وهو القيد . يقول : إن بنيته حانت على يدك فقبضت على يده وعنقه لا يستطيع وثوبا ولا فرارا ، فكأنك لقيته مقيدا ، قال الواحدى : أساء أبو الطيب فى هذا حين لم يجعل أثرا للممدوح . ولا غناء فى قتل الأسد وقال كأنه كان مغلول اليد والعنق بقبض المنية عليه ، وقد أساء الواحدى فى نسبة الإساءة إلى التنبي ، لأن المعنى بديع - كما ترى - ولا غبار عليه .

(٣) الهرولة : الاضطراب فى العدو ؛ ومهولا : يريد خائفا مذعورا . وأراد بابن عمته : أسداً كان قد هرب منه بعد ذلك ؛ ولم يرد تحقيق النسب ، إنما أراد أسدا آخر من جنسه . يقول : لما سمع بقتل الأسد الأول هرب ونجا برأسه خائفا منك .

(٤) مما فر منه : أى من الهلاك ؛ وكقته : خبر مقدم عن المصدر المتأول بعده . يقول : إن فراره من الهلاك أمر من الهلاك ، لما فيه من الذل والنيصة وعدم موته قتيلا مثل القتل ، لأنه إنما سلم بالهرب ، والهرب : مثل القتل لدى الشجاع ، بل أمر به والمقتول بالسيف خير من المقتول بالذم واللعاب ، وهذا من قول أبى تمام :

أَلْفُوا الْمَنَايَا فَالْقَتِيلُ لَهُمْ
وَلَهُ أَيْضًا :

لَوْلَمْ يَمُتْ بَيْنَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ إِذَنْ

لَمَاتَ إِذْ لَمْ يَمُتْ مِنْ شِدَّةِ الْحَزَنِ

تَلَفُ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً

وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا^(١)

لَوْ كَانَ عَلَيْكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَهُهُ رَسُولًا^(٢)

لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ مَا أُنْزَلَ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَغْرِفُوا التَّأْمِيلَ^(٣)

(١) الخلة : الخليل ، يستوى فيه الذكر والمؤنث ، وكذلك الواحد والجمع ، لأنه في الأصل مصدر قولك خليل بين الخلة والخلوة . وقال أوفى بن مطر المازني :

أَلَا أَبْلَغًا خُلَّتِي جَابِرًا بَأَنَّ خَلِيلَكَ لَمْ يُقْتَلْ

تَخْطَأُ النَّبْلُ أَحْشَاءَهُ وَأَخْرَى يَوْمِي فَلَمْ يَعْبَلْ^(١)

ومثله قول الحماسي :

أَلَا أَبْلَغًا خُلَّتِي زَاشِدًا وَصِنَوِي قَدِيمًا إِذَا مَا تَصَلَّ^(٢)

يقول : إن تلف الأسد الذي اجترأ عليك فهلك وعظ الأسد الذي فر منك ، ووجب إليه الفرار .

(٢) يقول : لو عرف الناس ربهم معرفتك به لم يبعث الله تعالى رسولا يدعوهم إليه ويعلمهم دينه ، وقد أفرط في هذا البيت والذي بعده وتجاوز الحد

(٣) يقول : لو وصل عطاؤك إلى الناس قبل إعطائك إياهم لكانوا لا يعرفون الأمل ، لأن الوجود لا يؤمل : أي فكانوا يستغنون بما نالوا منك ، لأنك تعطي فوق الأمل فلا يحتاجون إلى تأميل بعد ذلك ، وقد أخذ ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال :

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أَوْمَلَهُ تَرَكَتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

هذا وقد أسكن الياء من الفعل المنصوب - وهو تعطيهم الثانية - ضرورة قال

(١) تقدم شرحهما .

(٢) يقول : أبلغا ابن عمي راشدا صديق من عهد قديم ، إذا وصلت إليه ؛ وبعده :

بَأَنَّ الدَّقِيقَ يَهِيحُ الْجَلِيلَ وَأَنَّ الْعَزِيزَ إِذَا شَاءَ ذَلَّ

فَلَقَدْ عُرِفْتَ ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً ،

وَلَقَدْ جُهَلْتَ ، وَمَا جُهَلْتَ مُخَوَّلًا^(١)

نَطَقْتَ بِسُوءِ دُودِكَ الْحَمَامُ تَفَنِّيًا ، وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلًا^(٢)

مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ لِلْعَالِي نَافِذًا فِيهَا وَلَا كُلُّ الرِّجَالِ فَخُولًا^(٣)

وقال وقد نظر إلى جانبه خلمة مطوية فسأل عنها ف قيل هي خلع الولاية ، وكان أبو الطيب عند وصولها عليلًا :

أَرَى مُحَلَّلًا مَطْوَاةً حِسَانًا عَدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا أُعْتَلِّي^(٤)

العكبري : وهذا كثير إذا كان في حرفي العلة - الواو والياء - ومثله بيت الكتاب - كتاب سيويه - :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نَسَاءٍ يَتَعَاظِنُ الْوَرِقِ^(١)

(١) حقيقة منصوبة على التمييز ؛ وخولا : مفعول لأجله ؛ وحقيقة الشيء ما ثبت من أمره ؛ والحامل : الساقط الذي لا نباهة له ولا شهرة . يقول : إن الناس عرفوك بما ظهر من سخافتك وجودك ، ولكنهم لم يعرفوك حق معرفتك ، لأنهم لا يبلغون كنه قدرك ، وإذا لم يعرفوك حق المعرفة فقد جهلوك ، فليس جهلهم إياك لأنك حامل الذكر :

(٢) السؤدد : السيادة والرفعة . وتجشمت الأمر : تكلفته على مشقة . يقول : قد بلغت من الشهرة ما عرفه ما لا يعقل فضلا عن العاقل ؛ فالحمم إذا غنت فأغما تنطق بسيادتك ، والحيل إذا صهلت فأغما تنطق بغزواتك التي تكلفها إياها ، والبيع تنعيم وتأكيد للبيت السابق .

(٣) نافذا وخولا : منصوبا بما على أنها حجازية ، والنفاذ جواز الشيء والمخلوص ومنه نفذ ينفذ نفاذاً ونفوذاً ، ورجل نافذ في أمره ونفوذ ونفاذ : ماض في جميع أمره وأمره نافذ : أى مطاع ، ونفذ السهم الرمية ونفذ فيها ينفذها نفذاً ونفاذاً : خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر وسأثره فيه ، ونفذ الكتاب إلى فلان نفاذاً ونفوذاً . يقول : ليس كل من رام الرفعة والمعالى يبالغها ، ولا كل الرجال بأبطال شعبان ، وإنما ذلك مما يخص الله به من يشاء من عباده .

(٤) عدانى : منعى ؛ واعتللى : فاعل عدانى ؛ وأراك بها : أى أراك وهي عليك

منظر السيرة
جهر حجة

(١) يصف إبلا بسرعة السير والقرق المكان المستوى أو الذى لا حجارة فيه .

وَهَبَكَ طَوْنَتَهَا وَخَرَجَتْ عَنْهَا أَتَطْوِي مَا عَلَيْكَ مِنَ الْجَمَالِ^(١)
لَقَدْ ظَلَّتْ أَوَاخِرُهَا الْأَعَالِي مَعَ الْأَوَّلَى بِجِسْمِكَ فِي قِتَالِ^(٢)
تُلَاحِظُكَ الْعُمُيُونَ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّ عَلَيْكَ أَفْعِدَةَ الرِّجَالِ^(٣)
مَتَى أَحْصَيْتُ فَضْلَكَ فِي كَلَامٍ ؛ فَقَدْ أَحْصَيْتُ حَبَّاتِ الرَّمَالِ^(٤)
وَأَنْتَ فِيهَا ، وَإِنْ بِهِ لَنَقْصَا وَأَنْتَ لَهَا النَّهْيَاةُ فِي الْكَمَالِ^(٥)

* * *

ومعك ، كما يقال خرج بثيابه ؛ وإنما قال هذا : لأنه رأى الخلع مطوية إلى جانبه ولم يره فيها لأنه كان ذلك اليوم الذي لبس فيه الخلعة عيلا .

(١) يقول : افرض أنك طويتها ولم تلبسها . أتقدر أن تزيل جمالك ؟ يعني أنه إنما يتجمل بجماله لا بثيابه ، فإذا طوى ثيابه بقي عليه من الجمال ما لا يطوى ولا يزول .

(٢) يصفه حين كانت الخلع عليه : يريد بأعلى الثياب : ما ظهر منها للأعين . يقول أقامت أعلى ثيابك تحسد الذي يلي جسمك منها لأنه ينال من مس بدنك ما لا تناله فيبينهما قتال لذلك .

(٣) فيها : أى فى الحلل : أى إن العميون تنظر إليك نظر المحبة والسرور وأنت فى هذه الحلل كأنك فى قلوب أصحاب العميون ، وهى لباس عليك ، مكان تلك الحلل وقال ابن جنى : قوله كأن عليك الخ : أى فهم يحبونك كما يحب الإنسان فؤاده ؛ وقال ابن فورجه : يعنى استحسان القلوب لها وتعلقها به وبها من ناحية الاستحسان . وقال غيرهما : أى يديمون النظر إليك ، فإن العين تبع القلب تنظر إلى حيث يميل القلب إليه فالعميون إنما تنظر إليك لأن القلوب تحبك - كما قال ابن جنى - أو تستحسن الخلع - كما قال ابن فورجه .

(٤) يقول : فضائلك لا تحصى وإن قلت إنى أحصيتها فكأننى أقول إننى أحصى الرمل ، وهذا ما لا تقبله العقول ، لأنه محال .

(٥) الضمير فى « بها » : للخلع . وفى « به » : للكلام . يقول : إن هذه الخلع لا تزال ناقصة الجمال فى نفسها ، كما أن كلامى لا يزال ناقصا إذ لم يستوف فضلك ؛ وإنما تبلغ نهاية الكمال فى الحسن بلبسك إياها لأنها تتجمل بك .

وقال فيه أيضاً :

عَذَلْتُ مُنَادِمَةَ الْأَمِيرِ عَوَازِلِي

فِي شُرْبِهَا وَكَفْتُ جَبَابَ السَّائِلِ ^(١)

مَطَرْتُ سَحَابُ يَدَيْكَ رِيَّ جَوَانِحِي

وَحَمَلْتُ شُكْرَكَ وَأَصْطِنَاعُكَ حَامِلِي ^(٢)

فَمَتَنِي أَقْوَمُ بِشُكْرِ مَا أَوْلَيْتَنِي وَالْقَوْلُ فَيْكَ عُلوُّ قَدْرِ الْقَائِلِ ^(٣)

* * *

(١) العذل الملام ، وكفيته الأمر أغنيته عنه ، وأول مفعولى كفت محذوف أى كفتنى . يقول : من لامننى على شرب الخمر لامته منادمتى للأمير ، لأن منادمته شرف ، وليس للعاذل أن يعذل على ما يورث الشرف ، وأغنتنى جواب سائل يسأل فيقول : لم تشرب الخمر ، هذا : ويقال نادم فلانا منادمة ونداما : جالسه على الشراب فهو نديمه وندمانه ، قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر قد استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتُ نِدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي ، وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْفَرِ الْمُتَشَلِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوُّهُ تَنَادُّمُنَا فِي الْجَوْسِقِ التَّهْدِمِ
وجمع النديم : ندام وندماء ، وجمع الندمان : ندامى ، والمرأة ندمانة ، والنسوة ندامى ، ويقال : المنادمة مقلوبة من المدامنة ، لأنه يدمن شرب الشراب مع نديمه ، لأن القلب فى كلامهم كثير كالقسي من القوس ، وجذب وجيد وما أطيبه وأيطبه ؛ وخنز اللحم وخزن .

(٢) الجوانح الأضلاع التى تحت الترائب : وهى مما يلي الصدر . والاصطناع المعروف بالإحسان . يقول : أروانى سحاب جودك ، أى أغنانى جودك . فحملت شكرك على هذا الإحسان ، وإحسانك حلقى - لأنه كفاى المؤنة - وتحمل أنقالى .

(٣) أوليتنى ، أعطيتنى . ويعنى بالقائل : نفسه . ومتى سؤال عن الزمان ، كأنه قال - منكرآ - أى زمان أقوم بشكر ما أعطيتنى ؟ أى لا أقوم به ، لأنى كلما أئنتيت عليك وشكرتك حصلت على نعمة لك جديدة ، وهو أن ذلك يكسبنى علواً ورفعة : أى أن شكرىك يرفع قدرى .

وقال يمدحه :

بَذَرْتُ فَتًى لَوْ كَانَ مِنْ سُؤَالِهِ يَوْمًا تَوَفَّرَ حَظُّهُ مِنْ مَالِهِ ^(١)
تَتَحَيَّرُ الْأَفْعَالُ فِي أَفْعَالِهِ ، وَيَقِلُّ مَا يَأْتِيهِ فِي إِقْبَالِهِ ^(٢)
قَمَرًا نَرَى وَسَحَابَتَيْنِ بِمَوْضِع مِنْ وَجْهِهِ وَيَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ^(٣)
سَفَكَ الدَّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسِهِ كَرَّمَا لَأَنَّ الطَّيْرَ بَغْضُ عِيَالِهِ ^(٤)

(١) كان بدر بن عمار قد تاب من الشراب مرة بعد أخرى ، ثم رآه أبو الطيب يشرب ؛ فقال ارتجالا :

* يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي نَدِمَاؤُهُ *

إلى أن قال :

وَالصَّدُقُ مِنْ شِيمِ الْكِرَامِ فَقُلْ لَنَا أَمِنَ الشَّرَابُ تَتُوبُ أَمْ مِنْ تَرَكِهِ ^(١)
فقال بدر : بل من تركه : فقال أبو الطيب هذه الآيات .
يقول : إن حظ سؤاله من ماله أكثر من حظه هو منه ، فلو كان من سؤال نفسه لكان حظه من ماله أوفر .

(٢) يقول : إن أفعال الناس تتحير فيما يفعله لقصورها عنه وإرباء ما يفعله على فعلهم وما يفعله مع ذلك قليل في جانب دولته لاقتضاها الزيادة على ما فعل .
(٣) فسر المصراع الأول بالمصراع الثاني . قال ابن جني : أي إن يمينه تسع العطاء ، وشماله الدماء ؛ قال ابن فورجه : الرجل لا يقاتل بشماله والفعل يكون لليمين في كل شيء ؛ وإنما يكون عمل الشمال كالملعونة لليمين ، وإنما يريد أن يديه جميعا كالسحابتين عطاء وسح دماء .

(٤) يقول : إنه سفك دماء الأعداء ليرزق الطير من لحومهم ، لأن الطير لما عودها من إطعامها لحوم الأعداء صارت عيالا له ، فالباعث له على قتلهم هو الجود ، وهذا كقولہ :

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ يَتَقَى إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذَّنَابِ

وقد زاد بذكر الجود والعيال على ما قاله الشعراء من إطعام الطير لحوم الأعداء

(١) انظر قافية الكاف .

إِنْ يُغْنِ مَا يَمْنَى فَقَدْ أَتَى بِهِ ذِكْرًا يَزُولُ الدَّهْرُ قَبْلَ زَوَالِهِ^(١)

سأله حاجة فقضاها له ، فنهض فقال :
قَدْ أَتَيْتُ بِالْحَاجَةِ مَقْضِيَّةً وَعَفْتُ فِي الْجَلْسَةِ تَطْوِيلَهَا^(٢)
أَنْتَ الَّذِي طَوَّلْتُ بَقَاءَ لَهُ خَيْرٌ لِنَفْسِي مِنْ بَقَائِي لَهَا

وقال يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي :
لَكَ يَا مَنَازِلُ فِي الْقُلُوبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتَ أَنْتِ وَهَنْ مِنْكَ أَوَاهِلُ^(٣)

وقال ابن جني : أبلغ من هذا في المدح أنه ينحر ويذبح ليا كل الطير مما يجده من اللحم ،
فكأنه سفك الدماء بجوده لا يباينه .

(١) قال ابن جني : لو قال دون زواله لكان أحسن ، وكان مثل قول الآخر :

بقلبي غرام لست أبلغ وصفه على أنه ما كان فهو شديد
تمر به الأيام تسحب ذيلها فتتملى به الأيام وهو جديد

قال : وله أن يحتج عنه فيقال : إن الأيام بعض الدهر ، وليست هذه الأيام جميعه ؛
وقد يجوز أن يذهب بعض الدهر ويبقى بعضه فيبقى الغرام بحاله مع بقاء الحب ، فقال
إن الغرام باق بقلبي فإذا مازال زال معه الذكر ، وقول أبي الطيب بقي الذكر له إنما
يصح ببقاء الناس ، فإذا زال الناس والدهر عدم الذكر .

(٢) أبت : رجعت . وعفت : كرهت . يقول : لم أطول في جلوسى عنده لأنى
رجعت وقد قضيت حاجتى .

(٣) أقفرت : خلوت ورحل عنك أهوك . وأواهل : عامرة ذوات أهل . يقول :
عاطباً منازل الأجابة - : قد تمثل خيالك في قلوب المحبين فكانت لك فيها منازل ، غير
أنك قد أقفرت من أهلك ، أما القلوب فما برحت أهلة بك ، لأن مثالك لا يزالها .
وعبارة الواحدى : لم تدرس منازلك في القلوب وإن أقفرت أنت ، يعنى تجدد ذكرها .
في قلبه . وهذا من قول أبي تمام :

وقفت وأحشائي منازلٌ للأسى به وهو قفر قد تعفت منازلها

يَعْلَمَنَّ ذَاكَ وَمَا عَلِمْتَ وَإِنَّمَا أَوْلَاكُمَا بِبُكَايَ عَلَيْهِ الْعَاقِلُ^(١)
وَأَنَا الَّذِي أَجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرَفُهُ فَمَنْ الْمُطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ^(٢)

ومثله للبحرئ :

* عَفَّتِ الدِّيَارُ وَمَا عَفَّتْ أَحْشَاؤُهُ *

وقال ابن المعتز :

بَوْسًا لِدَهْرٍ غَيْرَتِكَ صُرُوفُهُ لَمْ يَمْنَحْ مِنْ قَلْبِي الْهُوَى وَحَاكَ
قال ابن جني : بيت المتنبي أجمع من بيت أبي تمام ، لأنه ذكر منازل الحزن شخص ،
والمتنبي ذكر المنازل فعم ، ولقد أحسن ابن المعتز إذ جمع المعنى في كلمتين .

(١) قوله يبكي عليه : يروى يبكي عليه ، أى أولا كما بأن يبكي عليه ؛ فحذف الجار
ثم حذف «أن» ، وأولا كما : أى أحقها ، مبتدأ ، خبره : العاقل . وذلك : خطاب
للمنازل . يقول : إن القلوب التي هي منازل لديار الأحبة تعلم أن الأحبة قد رحلوا
وتركوها خالية ، أما الديار فلا تعلم ذلك والذي يعلم - وهو القلوب - هو الأولى بأن
يبكي عليه لعلها بما ألم به . وعبارة الواحدى : إن منازل التي في القلب تعلم إقفارك وخلوك
من الأحبة وأنت لا تعلمين ، والأحق منك بالبكاء عليه هو العاقل ، يعنى القلب ، أى
أن قلمي أحق بأن يبكي عليه منك لأنك جماد لا تعلمين ما حل بك ، أما هو فعليم به ،
وقال ابن جني . أى إن منازل الحزن بقلمي تعلم ما يمر بها من ألم الهوى وأنت
تجهلين ذلك .

(٢) اجتلب : افتعل من الجلب ، والمنية : الموت ، والطرف : النظر ؛ قال اللغويون
الطرف اسم جامع للبصر . لا يشئ ولا يجمع ، لأنه في الأصل مصدر فيكون واحداً ، ويكون
جماعة ، قال تعالى « لا يرتد إليهم طرفهم » يقول : إن طرفي هو الذى جلب المنية إلى
بالنظر ، فمن أطالب بدمى وأنا الذى قتلت نفسى ؛ وهذا كما يقول قيس بن ذريح :
وما كنتُ أخشى أن تكونَ منيتي بكفى إلا أن ما حانَ حائن^(١)

(١) قبله :

وَإِنِّي لَمَنْ دَمَعَ عَيْنِيَّ بِالْبُكََا حَذَارًا لِمَا قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ
وقالوا غداً أَوْ بعدَ ذاكَ بليلةٍ فراقُ حبيبٍ لم يبين وهو بأن
وفي الأغاني :

* بكفيك إلا أن من حان حائن *

« والحائن المالك »

تَخْلُو الدِّيارُ مِنَ الظُّبَاءِ وَعِنْدَهُ مِنْ كُلِّ تَابِعَةٍ خَيَالٌ خَاذِلٌ^(١)
 اللّاءُ أَفْتَكُهَا الْجَبَانَ بِمُهْجَتِي وَأَحَبُّهَا قُرْبًا إِلَى الْبَاخِلِ^(٢)
 الرّامياتُ لَنَا وَهْنٌ نَوَافِرُ وَالْخَاتِلَاتُ لَنَا وَهْنٌ غَوَافِلُ^(٣)
 كَأَنَّا عَنْ شِبْهِنَّ مِنَ الْمَهَا فَلَمَنْ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ^(٤) -

ويقول دعبل :

لَا تَعْجِبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
 لَا تَأْخُذَا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

(١) الضمير في « وعنده » للذي اجتلب - في البيت السابق - يعنى نفسه . والظباء
 أى الحبابب الصهباء بالغلزان . والتابعة : التى تتبع أمها فى المرعى . أراد : الصغيرة
 السن من الظباء ؛ وظبية خاذل وخذول : وهى التى تتخلف فى المرعى عن صواحبها . يقول :
 تَخْلُو الدِّيار من حسانها ، وتفارقها وخيال من أهواه لا يفارقتى . وقال الواحدى :
 تَخْلُو الدِّيار من النساء الحسان وعندى من كل صغيرة منهم خيال يأتينى كأنه
 تأخر عنهن .

(٢) اللّاء : أى اللواتى ، نعت للظباء ، أو بدل « من كل تابعة » ؛ وأفنكها :
 مبتدأ ؛ والجبان : خبره ؛ وبمهجتي : صلة « أفنكها » ؛ وكان الوجه تقديم « بمهجتي »
 على « الجبان » ولكنها الضرورة ؛ وقال الخطيب التبريزى : الباء من قوله « بمهجتي »
 متصلة فى المعنى بأفنكها ، إلا أنه لا يمكن تعلقها به ، لأنه قد أخبر عنه بقوله : الجبان ،
 ومحال أن يخبر عن الاسم وقد بقيت منه بقية ، فلما امتنع ذلك علق الباء بمحذوف دل
 عليه أفنكها ، فكانه أضمّر بعد ذكر الجبان فتسكت بمهجتي ؛ ويريد بالجبان : النافرة
 من الرجال ، لأنها تخافهم . يقول : إن أفنك هؤلاء الظباء بمهجتي هى النفور التى أنا
 مغرم بها . والبخيلة منهم بالوصل هى أحبهن إلى قربا .

(٣) الراميات : أى هن الراميات ، ولك أن تجرها على التبعية ، ومثلها الخاتلات .
 والختل : أخذ الصيد من حيث لا يدرى . يقول ترميننا بسهام لحاظهن وهن
 عنا نافرات غير مقبلات علينا ، وكذلك يختلننا — يصدتنا — بحسنهن غير
 عاليات بذلك .

(٤) المها : بقر الوحش ، تشبه الحسان بها لحسن عيونها . والجبالل : جمع جباله
 الشراك ينصب للصيد ، يقول : هؤلاء يشبهن بقر الوحش فى سواد حدقهن وسعة عيونهن

مِنْ طَاعِنِي تُغَرِّ الرُّجَالِ جَاذِرٌ وَمِنْ الرُّمَاحِ دِمَالِجٌ وَخَلَاخِلُ^(١)
وَلِذَا أَسْمُ أَغْطِيَةِ الْعُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ^(٢)
كَمْ وَقْفَةٌ سَجَرَتِكَ شَوْقًا بَعْدَمَا
غَرَى الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ الْعَاذِلُ^(٣)

ونحن نصيد بقر الوحش ، لجازيننا عنهم وأخذن بذأرهن في صيدنا شبههن فصدنا
بجبال نصبتها في غير التراب ، يعني بأعينهن .

(١) الثغر : جمع ثغرة ، وهى ثغرة البحر التى بين الترقوتين ، والجاذر ، جمع
جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية ؛ والمراد بالجاذر : النساء والدمالج : جمع دملج
وهو حلى يلبس فى العضد . والخلخال : جمع خلخل ، لفة فى خلخال . وجاذر
وخلخال : مبتدآن ، خبرهما : الجار والمجرور قبلهما . يقول : إنهن يفعلن بحسنهن
ما يفعل الطاعن بالرمح : أى يقتلن بهواهن ، وحليهن تفعل ما تفعل الرماح ، وعبارة
ابن جنى والواحدى : نساء مثل الجاذر يحلين يفعل ما يفعل الطاعن بالرمح ، كما قال
الآخر :

هَلْ يَفْلِيَنِي وَاحِدٌ أَقَاتَلَهُ رِيْمٌ عَلَى لَبَّاتِهِ سِلَاسِلُهُ

* سِلَاحُهُ يَوْمَ الْوَعْنَى مَكَا حِلُهُ *

وقال صريع الغواني .

بَارَزَتْهُ وَسِلَاحُهُ خَلَخَالُهُ حَتَّى فَضَضَتْ بِكَفِّي الْخَلَاخِلَا

(٢) يقول : إنما سميت أغطية العيون جفوناً لأنها تتضمن أحداقاً تعمل ما تعمله
السيوف فسميت أغطيتها باسم غطاء السيف ، وهو الجفن ؛ ومن أنها : بيان لذا ،
والضمير - من قوله أنها - للعيون . وعمل مفعول مطلق وعوامل : خبر أن .

(٣) سجرتك : ملأتك ، ومنه : « والبحر المسجور » ويجوز أن تكون بمعنى الهبتك
ويروى شجرت : أى حبستك عن الكلام ، ويقال ما شجرك عنه : أى ما صرفك :
من قولهم شجرتك الدابة : إذا أصبت شجرها - والشجر ما بين اللحيين - بالاعبام لتكفها ،
ويروى سحرتك أى جعلتك مسحوراً بالشوق أو أنها أصابت سحرك : أى رثك .
وغرى به : أولع ؛ واللجاج : التمدادى فى المباحة . يقول - مخاطباً نفسه - : كم وقفة لك
مع الحببية تركتك على هذه الحال ؟ وتام الكلام فى البيت التالى .

دُونَ التَّمَانِي نَاحِلِينَ كَشَكَلْتِي نَصَبِ أَدَقِّهَمَا وَمَمَّ الشَّاكِلُ^(١)
 إِنْعَمَ وَلَدٌ فَلِلْأُمُورِ أَوَاخِرُ أَبْدَأُ إِذَا كَانَتْ لَهْنُ الْوَاثِلُ^(٢)
 مَا دُمْتَ مِنْ أَرْبِ الْحَسَنِ فَإِنَّمَا رَوْقُ الشَّبَابِ عَلَيْكَ ظِلُّ زَائِلُ^(٣)
 لِلْهُوِ آوَنَةُ تَمُرُّ كَأَنَّهَا قُبْلُ يَزُودُهَا حَبِيبُ رَاحِلُ^(٤)
 جَحَّ الزَّمَانُ فَمَا لَذِيذُ خَالِصٍ مِمَّا يَشُوبُ وَلَا سُرُورُ كَامِلُ^(٥)
 حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رُوِيَ يَتُّهُ الْمُنَى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ^(٦)

(١) ناحلين : حال محذوف بعد وقفة : أى كم وقفة وقفناها ناحلين ؟ والشاكل : الذى يشكل الكتاب . أى يعجمه . يقول : كم وقفنا ناحلين دون التعانق ؟ أى دنا بعضا من بعض ولم تتعانق خشية الرقيب والعاذل على الرغم مما نحن فيه من شدة الشوق . ثم شبههما واقفين متدانيين ناحلين كشكلتى نصب - أى ففتحيتى - قد دقق الكاتب رسمهما وضم بينهما فقرب إحداها من الأخرى ، وهذا منقول من قول الآخر :

إِنِّى رَأَيْتُكَ فِى نَوْمِى تَعَانَقْنِى كَمَا تَعَانِقُ لَامُ الْكَاتِبِ الْأَلِفَا
 ومثله لأبى إسحق الفارسي :

ضَمَمْتُهَا ضَمَّةً عُدْنَاهَا جَسَدًا فَلَوْ رَأَتْنَا عُيُونٌ مَا خَشِينَاهَا
 (٢) يقول : تمتع بالنعمة واللذة ما بقى لك شبابك فله آخر من حيث كان له أول ؛ أنه يفنى ولا يبقى .

(٣) الأرب : الحاجة ؛ وروق الشباب وريقه : أوله وأفضله . وقوله مادمت : لما مصدره زمانية ، والظرف المتأول منها سلة « انعم » . يقول ؛ انعم ولد ملادم للحسان أرب فيك : يعنى مادمت شابا ، فإن روق الشباب ظل يزول ولا يبقى .

(٤) آونة : جمع أوان كزمان وأزمة ؛ والقبل : جمع قبله . يقول : للهو ساعات سريعة المرور كنزويد الحبيب الراحل من عندك قبلا ؛ فهى لذية ولكنها لا تقضاء كذلك ساعات اللهو وأوقات السرور .

(٥) و (٦) جمع الفرس : غلب فارسه ، وجمع الرجل : ركب هواه . فلا يمكن رده قال الشاعر :

خَلَفْتُ عِذَارِي جَاحِمًا لَا يَرُدُّنِي

عَنِ الْبَيْضِ أَمْثَالِ الدَّمَى زَجْرُ زَاجِرٍ

مَمْطُورَةٌ طُرُقِي إِلَيْهَا دُونَهَا مِنْ جُودِهِ فِي كُلِّ فَجٍّ وَابِلٍ^(١)
مَحْجُوبَةٌ بِسُرَادِقٍ مِنْ هَيْبَةٍ تَنْثِي الْأَزِمَةَ وَالْمَعِطَى ذَوَامِلٍ^(٢)

وجمعت المرأة تجمع جماها من زوجها : خرجت من بيته إلى أهلها قبل أن يطلقها ومثله طمحت طماحا ، قال :

إِذَا رَأَيْتَنِي ذَاتُ ضِفْنٍ حَفَّتْ وَجَمَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا وَأَنْتِ
وجع إليه : أسرع ، وقوله تعالى « لولوا إليه وهم يجمعون » قال الزجاج : أى يسرعون إسراعا لا يرد وجوهم شيء ؛ ومن هذا قيل : فرس جموح ، قال الأزهرى : فرس جموح له معنيان أحدهما يوضع موضع العيب ؛ وذلك إذا كان من عادته ركوب الرأس لا يثنيه راحبه ، وهذا من الجمح الذى يرد منه بالعيب ؛ والمعنى الثانى أن يكون سريعا نشيطا مرحا ، وليس هذا بعيب يرد منه ، ومصدره الجموح . و « ما » من قوله « بما يشوب » نكرة موصوفة بمعنى شيء . ويشوب : يغلط . وأبو الفضل : كنية للممدوح ؛ واللى : جمع منية ، ما تتمناه ؛ والهائل : المهبوب المخوف . يقول : جمع الزمان — أى قهر وغلب — فما تخلص لذة من أذى يشوبها حتى إن هذا الممدوح رؤيته منى كل أحد ، ولكنها مع ذلك مقام هائل مهوب ، فلم تخلص هذه المنية من شائب ينقصها ، قال ابن جنى : هذا خروج — تخلص — ماروى أغرب منه

(١) مَمْطُورَةٌ : خبر مقدم عن طرقى ؛ وإليها : صلة طرقى ؛ ودونها : خبر مقدم عن وابل : والفج : الطريق الواسع بين جبلين ؛ والوابل : المطر الغزير . يقول : إن طرقى إلى رؤية الممدوح مَمْطُورَةٌ بآثار إحسانه ، يعنى أنه يصل إلى إحسانه قبل وصوله إليه ، ودون الوصول إلى رؤيته — أى بينى وبينها — وابل من جوده قد ملأ كل فج ، فالضمير فى « بها ، ودونها » لرؤيته ، وروى « إليه ودونه » والضمير : للممدوح .

(٢) الأزمة : جمع زمام ، ما تقاد به الدابة وذوامل : سرعات . يقول : إن رؤيته محبوبة بما يفشاها من الهابة التى ترذ الأبصار عن النظر إليه ، حتى لو أن مطيا أسرع فى سيرها واعترضتها هذه الهيبة : لارتدت عن مسيرها ولم تقدم إشفاقا من الإقدام ؛ قاله الواحدى : وهذا إلى المجهأ أقرب منه إلى المدح ، وقد عدل ابن جنى عن ظاهر الكلام فقال : كأن على الطرق إليه سرادقا يمنع من العدول عنه إلى غيره ، والناس أبدا ينخون نحوه . هذا : والسرادق — وجمعه سرادقات — هو كل ما أحاط بشيء ، نحو الشقة فى المضرب . أو الحائط المشترك على شيء ، أو الحباء : قال فى الصحاح : السرادق

لِلشَّمْسِ فِيهِ وَلِلرَّيَّاحِ وَلِلسَّحَابِ وَلِلْأَسْوَدِ شَمَائِلُ^(١)
 وَلَدَيْنِهِ مَلْعَقَانِ وَالْأَدَبِ الْمُفَا دِ وَمَلْحِيَاةٍ وَمَلَمَّاتٍ مَنَاهِلُ^(٢)
 لَوْ لَمْ يَهَبْ لَجَبُّ الْوُفُودِ حَوَالَهُ
 لَسَرَى إِلَيْهِ قَطَا الْفَلَاةِ النَّاهِلُ^(٣)

الذى عند فوق صحن الدار ، وكل بيت من كرسف - أى قطن - فهو سراق
 قال روضة :

يَا حَكِّمُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ أَنْتَ الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ الْحُمُودُ
 سُرَادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْكَ تَمْدُودُ

وقال سلامة بن جندل : يذكر قتل كسرى للنعمان بن المنذر :

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعْمَانَ بَيْتًا سَمَاوَهُ صَدُورُ الْفَيُولِ بَعْدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ
 (١) الشَّمَائِلُ : الخلائق والطبائع : جمع شمال . يقول : فيه إضاءة الشمس ومنقعتها
 وبهاؤها ؛ وجود السحاب والبحار وبأس الأسود ، وتصرف الرياح في أحياء البلاد وسوق
 الأمطار : يريد عموم نفعه وعموم تصرفه وإسراعه في العطاء .

(٢) ملعقيان يريد من العقيان . حذف النون لالتقاء الساكنين ، وخصت النون
 بالحذف لمناسبتها حروف العلة بالفتحة ؛ ومثله: ملحية وملمات والعقيان : الذهب . والناهل
 الموارد . يقول : إن الناس يردون منه على هذه الأشياء كما يردون مناهل الماء ، ومن
 الحياة : أى لأوليائه ؛ ومن المات : أى لأعدائه ، وقد زاد على أبى تمام في قوله :

تَرْبِي بِأَشْبَاحِنَا إِلَى مَلِكٍ نَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
 لأنه ذكر الموت والحياة .

(٣) اللجب . الضحيح ؛ والوفود ؛ الذين يفدون عليه يطلبون العطاء ؛ وحواله ؛
 كحولته وحواليه ؛ والقطا ؛ الطائر المعروف ، والفلاة ؛ الصحراء ؛ والناهل . الوارد على
 منهل الماء ؛ قال ابن جني ؛ يعنى لولم يخف القطا أصوات الوفود يبابه لسرى إليه ليشرب
 منه ، وقال ابن فورجه ؛ يعنى أن القطا يراه ماء معيناً فيهم يوروده ويشفق من لجب
 وفودته على عادة الطير ؛ قال الواحدى بعد أن ساق كلامهما ؛ المعنى أنه لعموم نفعه تهم
 الطير بالورود غليه لتتفع غلتها . ليس أنه ماء يشرب منه أو تراه الطير ماء كما
 ذكر الشيخان .

يَدْرِي بِمَا يَكُ قَبْلَ تَنْظِيرِهِ لَهُ مِنْ ذِهْنِهِ وَيُجِيبُ قَبْلَ تَسَائِلِ^(١)
وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًا لَهَا وَمَوْلِيًا أَحْدَاقَنَا وَتَحَارُّ حِينِ يُقَابِلُ^(٢)
كَلِمَاتُهُ قُضْبٌ وَهُنَّ فَوَاصِلُ^(٣) كُلُّ الضَّرَائِبِ تَحْتَمِنُ مَفَاصِلُ^(٤)
هَزَمَتْ مَكَارِمُهُ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا حَتَّى كَانَتْ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِلُ^(٥)
وَقَتْلَنَ دَفْرًا وَالدَّهْمِ فَمَا تَرَى أُمُّ الدَّهْمِ وَأُمُّ دَفْرِ هَابِلِ^(٥)

(١) أراد قبل « أن » في الموضعين لحذف « أن » فارتفع الفعل . ومن ذهنه : صلة يدرى . يقول : هو - لذكائه وحدة ذهنه - يدرى ما تطلب قبل أن تظهره له ويجيب قبل أن تسائل .

(٢) أحداقنا : فاعل تراه ؛ ومعتراضاً : حال . يقول : تراه عيوننا إذا اعترض لها أو تولى ؛ يعنى أن الأبصار إذا واجهته تحيرت ولم تستوف النظر إليه من الهيبة ، وإنما تراه في حال اعتراضه وتولييه لا نحرافه عنها حينئذ .

(٣) القضب جمع قضيب ، وهو السيف . وفواصل : قواطع ؛ والضرائب جمع ضريبة ، وهى المضروب بالسيف . والمفاصل : جمع مفصل ، ملتقى العظمين . يقول : كلاته سيوف قواطع أينما أصابت فصلت ، فكأن كل موضع تقع عليه مفصل : يعنى أنها تفصل بين الحق والباطل كما يفصل السيف إذا وقع على المفاصل .

(٤) القنابل : جمع قنبلة ، الطائفة من الخيل : أى الجماعة من الجيش . يقول : إن مكارمه غلبت مكارم الناس حق كأنها جيوش : يعنى أنه يغلب كل جيش . كذلك مكارمه غلبت أيضاً مكارم غيره : وقنابل : يروى قبائل .

(٥) يقال للداهية : أم دفر . وأم الدهيم ؛ والدفر - فى الأصل - النتن ، ثم سميّت به الداهية لخبثها ، ومن هنا يقال للدنيا : أم دفر . والدهيم ؛ - فى الأصل - اسم ناقة كانت لعمر بن الريان بن الدهلى ، خرج بنوه فى طلب إبل لهم ، فلقبهم كشيّف بن زهير فغضب أعناقهم ، ثم حمل رؤوسهم فى جوالق وعلقه فى عنق الدهيم هذه ، ثم إخلاها فى الإبل فراح على أبيهم عمرو ، فقال لما رأى الجوالق : أظن بنى صادوا بيض نعام ثم أهوى بيده فأدخلها فى الجوالق ، فإذا رأس ، فلما رآه قال : آخر البر على القلوص . نذهبت مثلاً ، فقيل : أشأم من الدهيم ، وأطلقت على الداهية ، والمهابل : الثاقل ، وهى التى فقدت ولدها . يريد أن يقول : إن مكارمه أفنت الدواهى والشدائد حتى فقدت فكأن أمها صارت ثاكلاً ، ومن ثم لا تعرف الخطوب والبأساء والشدائد ، لأن مكارمه

عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللَّجُّ الَّذِي لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لَجٍّ سَاحِلٌ^(١)
لَوْ طَلَبَ مَوْلِدُ كُلِّ حَيٍّ مِثْلَهُ وَلَدَ النِّسَاءِ وَمَا لِهِنَّ قَوَائِلُ^(٢)
لَوْ بَانَ بِالْكَرَمِ الْجَنِينُ بَيَانَهُ لَدَرَتْ بِهِ ذَكَرٌ أَمْ أَنْتَى الْحَامِلُ^(٣)
لِيُزِدَ بَنُو الْحَسَنِ الشَّرَافُ تَوَاضُعًا هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلَامِ مَشَاعِلُ^(٤)

عصفت بها . هذا : وقد اضطربت كلمة الشراح في إعراب البيت ، ولعل الأوجه أن يقال إن أم الدهيم نائب فاعل « ترى » أى أن أم الدهيم لا ترى بعد ذلك ، ثم ابتداء وقال : وأم دفر هابل . وقال ابن جنى : فما ترى أراد لما تريان فاكتفى بضمير الواحد من الاثنين ، وقال : صدر البيت يتم به الكلام وأم الدهيم : ابتداء ، وهابل خبر لأم دفر وأم الدهيم ، وتقديره أم الدهيم هابل ، وأم دفر كذلك ؛ ويجوز أن يكون اكتفى بضمير الواحد ، كما قال الآخر :

لِمَنْ زُحْلُوقَةٌ زُلٌّ يَهْمُ الْعَيْنَانِ تَنْهَلُ^(١)

فلم يقل تنهلان لا كتفائه بأحد الضميرين .

(١) اللج : معظم الماء . يقول : هو علامة العلماء الذى يرجعون إليه في مسائلهم ، وهو في جوده بلج ليس له منتهى ، وكل بلج له منتهى ينتهى إليه إلا هذا .

(٢) مثله : نعت لمصدر محذوف : أى طيباً مثل طيب مولده وطهارته ؛ والقوایل :

جمع قابلة ، وهى التى تشارف المرأة عند الولادة . يقول : إنه خرج من بطن أمه طيباً طاهراً ، فلو ولدت النساء أولادهن كما ولدته أمه لما احتجن إلى القوایل في تلك الحال :

(٣) الجنين : الولد في بطن أمه ؛ وبَيَانُهُ : مفعول مطلق : أى كبيانه ؛ وضمير

« به » : للحنين ، والحامل : فاعل درت . وقوله ذكر أم أنثى : أراد أذكر هو أم أنثى

خذف همزة الاستفهام لدلالة « أم » عليها ووصل همزة « أنثى » بعد نقل حركتها إلى

الميم . يقول : لو بان الجنين بيانه بالكرم - أى كما بان كرمه حين كان جنيناً - لما التباس

على الحامل الذكر بالأنثى : يعنى أنه حين كان جنيناً كان ظاهر الكرم يعرف أنه مولود

كريم ، فلو بان حال كل جنين بيان كرمه لعرف الذكر من الأنثى .

(٤) المشاعل : جمع مشعل ، وهو ما يضرع فيه النار ليهتدى به في الأسفار وغيرها

(١) زحلوقة زل : أى زلق ؛ وزحلوقة - بالقاف - تروى زحلوقة - بالفاء - وهما لغتان ، وهى آثار تزج الصبيان من فوق إلى أسفل .

سَتَرُوا النَّدَى سَتَرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ قَبِدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ^(١)
 جَفَخَتْ وَهْمٌ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بَيْنَهُمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغَرُّ دَلَائِلُ^(٢)
 مُنْشَاهِي وَرَجِ الثُّفُوسِ كَبِيرُهُمْ وَصَفِيرُهُمْ عَفْ الْإِزَارِ حُلَاحِلُ^(٣)
 يَا أَفْخَرُ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلَاثَةٌ^(٤) مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ أَوْ جَاهِلُ^(٥)

قال الواحدي : يأمرهم أن يزيدوا تواضعاً ، فإن فضائلهم لا تخفى بالتواضع . وقد ضرب لذلك المثل بكتمان المشاعل في الظلام ، فإنها لا تخفى ، ومثى كان الظلام أشد كانت المشاعل أظهر ؛ كذلك : متى كان تواضعهم أكثر كانت فضائلهم أكثر . وقال اتبريزي : كان لهذا المدوح نسب في ولد الحسن بن علي عليهما السلام ، فأمرهم بالتواضع ، لأنهم كلما ازدادوا في التواضع ظهر شرفهم ، وإن أخفوا نسبهم لا ينكتم ، كما أن المشاعل لا تنكتم في الظلام .

(١) السفاد : نزو الذكر على الأنثى . والرباب : غيم يتعلق بأسافل السحاب إذا كثر ماؤه . يقول : إنهم يكتمون معروفهم كما يكتم الغراب سفاده . ثم ذلك لا ينكتم ، كما لا يخفى السحاب الهاطل .

(٢) جفخت : غفرت وتكبرت ؛ وشيم : فاعل جفخت ؛ وهم : متعلق بجفخت ، وجملة وهم لا يجفخون بها : معترضة ؛ والشيم : جمع شيمة ، وهي الخلق والطبيعة ؛ والحسب : ما يعد من مآثر الآباء ؛ والأغر السيد الكريم . يقول : إن لهم شياً كريماً تدل على مالهم من الحسب الشريف ، وهذه الشيم تفخر بهم وهم لا يفخرون بها لبعدهم عن الزهو والخيلاء .

(٣) منشاهي : كأنه منصوب على الحال من ضمير « يجفخون » ؛ والورع التقوى وعف الإزار وعفيفه : منزّه عن الفحشاء ؛ والحلاحل : السيد العظيم . يقول : هم سواء في التقوى والورع ، وكل من كبيرهم وصغيرهم عفيف ذو سيادة وعظمة .

(٤) يا أخر : يريد : يا هذا أخر ؛ لحذف المنادي : ويجوز أن تكون « يا » للتنبيه كقوله تعالى « ألا يا سجدوا لله الذي يخرج الحبء » كأنه قال « ألا اسجدوا » وكقول ذي الرمة :

أَلَا يَا اسْلُمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالِ مُنْهَلًا بِحَرَائِكِ الْقَطْرِ

ويروى : فافخر ، ثم قال : إن الناس فيك ثلاثة أقسام : إما مستعظم يستعظمك . لما رى من عظمتك ، أو حاسد يحسدك على فضلك ، أو جاهل تجهل قدرك .

وَلَقَدْ هَمَمْتُ فَمَا تَبَالَى بَعْدَمَا عَرَفُوا : أَيْحَمْدُ أَمْ يَذُمُّ الْقَائِلُ^(١)
 أَتُنِي عَلَيْكَ وَلَوْ تَشَاءُ لَقُلْتُ لِي قَصَّرْتُ فَأَلْإِمْسَاكُ عَنِّي نَائِلُ^(٢)
 لَا تَجْسُرُ الْفُصْحَاءُ تُنْشِدُ هَهُنَا بَيْتًا وَلَكِنِّي الْهَزْبُ الْبَاسِلُ^(٣)
 مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلَا سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ^(٤)
 وَإِذَا أَتَيْتَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ^(٥)

(١) يقول : بعد أن ظهر علوك وعرفه الناس لا تكثرت لذم الحامد لأنه لا ينقص من قدرك ، ولا لحد الحامد لأنه لا يزيدك علواً : فقوله بعد ما عرفوا : أى بعد الذى عرفوه - فالضمير للناس ، والعائد إلى «ما» محذوف :

(٢) النائل : العطاء . يقول : إمساكك عن إسكاتى نائل منك عندي بعد ما عرفت تقصيرى . وبعبارة أخرى : إني قصرت في الثناء عليك ، فكان حقك أن تؤاخذنى بهذا التقصير ، ولكنك أمسكت عني تسكراً وتفضلاً فعددت ذلك عطاء منك لو لم تتجاوزته لكفاني .

(٣) تنشد : أى أن تنشد ، خذف « أن » فرفع الفعل ، والهمزير : الأسد والباسل الشديد . يقول : لهيبتك وعلملك بالشعر وتميزك جيده من رديته لا يجرو الشعر على أن ينشدوا بين يديك ، ولكنى - لجودة شعري واقتدارى - أجرو على ذلك . قال الواحدى : وقول أبى نصر بن نباتة في هذا المعنى أحسن وأجود حيث يقول :

وَيُلْمُهَا عِنْدَ الشُّرَاقِ هَيْبَةٌ لَوْ سَابَقَتْ قَضَبَ الْعِظَامِ فَضَائِلُ

نَفَضَتْ عَلَى مَنْ الْقَبُولِ حُجَّةً قَامَتْ بِضُنْبِي فِي الْمَقَامِ الْهَائِلِ

(٤) بابل : هى المدينة المشهورة ، وإليها ينسب السحر ، وفيها نزل الملكان اللذان كانا يعلمان الناس السحر بها - كما جاء في القرآن الكريم - . يقول . ما نال شعراء الجاهلية جميعاً شعري ولا سمع أهل بابل بمثل سحري في الشعر .

(٥) يقول : إذا ذمى ناقص كان ذمه دليل كمالى وفضلى . لأن الناقص لا يحب الكامل الفاضل ، لما بينهما من التفاضل ، قال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ فَضْلُ ابْنِ يَوْسُفَ

وَذُو النِّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مَوْلَعُ

مَنْ لِي بِفَهْمِ أَهْلٍ عَصْرٍ يَدْعِي أَنْ يَحْسُبَ الْهِنْدِيُّ فِيهِمْ بَاقِلٌ^(٣)
وَأَمَّا وَحَقُّكَ وَهُوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ لَلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ الْبَاطِلُ^(١)
الطَّيِّبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ^(٢)

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى من قول مروان بن أبي حنيفة :

ما ضرني حسدُ اللثامِ ولم يزلْ ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وأصل هذا المعنى من قول الطرماح :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْفِي بَغِيضٍ إِلَى كُلِّ امْرَأَةٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنْفِي شَقِيٌّ بِاللثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

(١) أهيل : تصغير أهل ، صغره تحقيراً لهم . وفاعل يدعى : يعود على أهيل ، لأن لفظ « أهل » واحد ؛ ولك أن تقول إن فاعل يدعى : باقل . وباقل : رجل من العرب كان يوصف بالعي ، وفيه جرى المثل : أعياء من باقل . يقال إنه كان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً ، فقيل له بكم اشتريته ؟ فعي عن الجواب بلسانه ، ففتح يديه ، وفرق أصابعهما وأخرج لسانه ، يريد أحد عشر درهماً . فأقلت الظبي . يقول : من يكفل لي بفهم أهل عصر يدعون أن « باقلا » يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ يعني أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم ، ولا الناقص من الفاضل ؛ أو تقول : من لي باهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل حتى لو ادعى « باقل » بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه ؟ قال ابن جني ناقداً : « وباقل » هذا لم يؤت من سوء حسابه ، وإنما أتى من سوء عبارته ، فلو هو قال أن يفهم الخطباء فيهم « باقلا » أو نحو هذا لكان أسوغ قال الواحدى - ردأ عليه - : وليس كما قال فإن « باقل » كما أتى من البيان أتى من البنان فإنه لو بنى من سبائته وإيهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي ، نصح قول أبي الطيب في نسبته إلى جهل الحساب .

(٢) مقسم : يروى بكسر السين - طى أنه اسم فاعل - وبفتحها - على أنه مصدر يسمى بمعنى القسم .

(٣) تقديم البيت : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسل له إذا اغتسلت فالطيب : مبتدأ ، وأنت : مبتدأ ثان : وطيبه : خبر أنت ؛ والجملة : خبر الطيب ؛ ومثله الشطر الثاني ؛ وروى ابن جني ، والماء أنت - ينصب الماء - قال : وتقديره وتغسل أنت الماء ، دل على هذا المضمرة قوله الغاسل . يقول : إذا أصابك الطيب فانت طيب

مَا دَارَ فِي الْحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَبَتْ
قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَنَّاكَ أَنَامِلُ^(١)

وقال يهجو قوما توعده :
 أَمَاتَكُمْ مِنْ قَبْلِ مَوْتِكُمْ الْجَهْلُ
 وَجَرَّكُمْ مِنْ خِفَّةِ بَكْمِ النَّمْلِ^(٢)
 وَلَيْدَ أَبِي الطَّيِّبِ الْكَلْبِ مَالَكُمْ
 فَطَفَنْتُمْ إِلَى الدَّعْوَى وَمَالَكُمْ عَقْلُ^(٣)

له وإذا اغتسلت بالماء فأنت الغاسل له . يعنى أنت أطيب من الطيب وأطهر من الماء
كما قال الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حَسَنُ وَجْهِكَ زَيْنًا
وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا أَنْ تَمْسِيَهُ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا

(١) النشا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أوصىء - يقال فلان حسن النشا
وقبيح النشا ، ومنه نشأ الحديث والخبر نشأ حدث به وأظهره وأشاعه . وروى نثاك
يقول : ما دار اللسان في الحنك وما قلبت أنامل قلما بأحسن من أخبارك ؛ كأنه يقول :
ما قيل ولا كتب أحسن من مدحك وذكر أوصافك .

(٢) يقول : أما تم الجهل قبل أن تموتوا : أى أنتم موتى من جهلكم وإن كنتم
أحياء ؛ وليس لكم وزن ولا قدر ، ولحفة وزنكم تستطيع النمل أن تجركم ، والسفيه
الأحمق الخفيف العقل يوصف بخفة الوزن ، كما أن الحليم الرزين يوصف ثقل الوزن .
(٣) وليد تصغير ولد ، وهو يقع على الواحد والجماعة ، الذكور والإناث والمراد

هنا الجماعة وهو منصوب ، لأنه نداء مضاف ؛ والكلب : نعت أبى الطيب ، والدعوى :
الادعاء فى النسب ، وهو أن ينتسب الرجل إلى غير أبيه . يقول : يا أولاد هذا الرجل
الحسيس أنتم لا عقل لكم تعقلون به شيئا ، فكيف فطعتم للانتساب إلى من لستم منه
فى شيء ؛ أى إلى غير أبيكم .

وَلَوْ ضَرَبْتُمْ مَنَجْنِيْقِي وَأَهْلَكُمْ
قَوِيٌّ لَهْدَتْكُمْ فَكَيْفَ وَلَا أَصْلُ^(١)
وَلَوْ كُنْتُمْ مِمَّنْ يُدَبِّرُ أَمْرَهُ
لَمَا كُنْتُمْ نَسْلَ الَّذِي مَالَهُ نَسْلُ^(٢)

(١) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة. قال صاحب اللسان: المنجنيق - بفتح الميم وكسرهما - والمنجوق: دخيل أعجمي معرب، وأصلها بالفارسية: من جى نيك: أى ما أجودنى، وهى مؤنثة، قال زفر بن الحارث:

لَقَدْ تَرَكْتَنِي مَنَجْنِيْقُ ابْنِ بَحْدَلٍ أَحِيدُ عَنِ الْمُصْفُورِ حِينَ يَطِيرُ
وتقديرها منفعل، لقولهم: كنا نجحق مرة ونرشق أخرى. قال الفراء: والجمع منجنيقات، وقال سيديويه: هى فنعيل، الميم من نفس الكلمة أصلية، لقولهم فى الجمع مجانيق وفى التصغير مجنيق، ولأنها لو كانت زائدة والنون زائدة لاجتمعت زائدتان فى أول الاسم، وهذا لا يكون فى الأسماء ولا الصفات التى ليست على الأفعال للزيدة ولو جعلت النون من نفس الحرف صار الاسم رباعيا، والزيادات لا تلحق بينات الأربعة أولا إلا الأسماء الجارية على أفعالها نحو مدرج، ومنهم من قال: إن الميم والنون زائدتان، لقولهم جنق بجنق: إذا رمى، والتنبى يريد بالمنجنيق هنا: هجاءه. ورفع « أصل » على إعمال « لا » عمل « ليس ». على حد قول الحماسي:

مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ^(١)
يقول: لو ضربتكم بهجائى وأصلكم قوى لكسرتكم وأهلكتكم فكيف ولا أصل لكم يعرف؟

(٢) يقول: لو كنتم عقلاء لما انتسبتم إلى من يعرف أنه لا نسل له ولا عقب: أى فقد ظهرت دعاؤكم بهذا الانتساب وأنكم كذابون فيما تدعون. يهجو قوما يزعمون أنهم شرفاء.

(١) من أبيات لسعد بن مالك تراها فى الحماسة، وقد تقدم شرحها وأولها:
يَا يُؤُسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهُطَ فَاسْتَرَاوَا

وقال : وقد جعل أبو محمد بن طنج يضرب بكه البخور ، ويقول سَوْقًا إِلَى
أبي الطيب :

يَا أَكْرَمَ النَّاسِ فِي الْفَعَالِ وَأَفْصَحَ النَّاسِ فِي الْمَقَالِ (١)
إِنْ قُلْتَ فِي ذَا الْبُخُورِ سَوْقًا فَهَكَذَا قُلْتَ فِي النَّوَالِ (٢)

* * *

وقال وقد بلغه أن إسحاق بن كيطلع يتهدهده وهو ببلاد الروم ، وكان
أبو الطيب بدمشق (*) :

أَنَا فِي كَلَامِ الْجَاهِلِ ابْنِ كَيْفَلَنْجٍ يَجُوبُ حُزُونًا يَبْنِنًا وَسُؤْلًا (٣)
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ابْنِ صَفْرَاءَ حَائِلٌ
وَبَيْنِي سِوَى رُنْحِي لَكَانَ طَوِيلًا (٤)

(١) قال الليث : الفعّال اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه ، وقال ابن
الأعرابي : الفعّال فعل الواحد خاصة في الخير والشر ، يقال فلان كريم الفعّال وفلان
لثيم الفعّال ، قال : والفعّال - بكسر الفاء - إذا كان الفعل بين الاثنين .

(٢) البخور - بفتح الباء - قال البكري : والعامة تضمها ، وقلت - ههنا - بمعنى
أشرت ، ويقال قال بكه : أى أشار ، وقال برأسه نعم : أى أشار ، والنوال : العطاء .
يقول : إن أشرت في هذا البخور أن يساق إلى سوقا فهكذا قلت وفعلت في العطاء .

* كان من خبر هذا الرجل أنه لما قدم أبو الطيب من الرملة يريد إنطاكية مر به
وهو في طرابلس - وكان محافظاً على الطريق - فسأله أن يمدحه فلم يفعل ، فاعتاقه
عن سفره ثلاثة أيام ، فلما فارقه هجاء بالقصيدة التي مطلعها :

لَهْوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرْضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ

وستمر بك في قافية الميم ، وهي من عيون قصائده .

(٣) يجوب الأرض : يقطعها . والحزن : الغليظ من الأرض . يقول : أنا في وعيده
من مسافة بعيدة .

(٤) صفراء : اسم أمه ، وقيل صفراء : كناية عن الاست ، والعرب تسب بأنسبة
الرجل إلى الاست ، كما قال :

* بَأَنَّ بَنِي أَسْتَهَا نَذَرُوا دُمِي *

وَأَسْحَقُ مَأْمُونٌ عَلَى مَنْ أَهَانَهُ وَلَكِنْ تَسَلَّى بِالْبُكَاءِ قَلِيلًا^(١)
وَلَيْسَ جَمِيلًا عَرَضُهُ فَيَصُونُهُ وَلَيْسَ جَمِيلًا أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٢)
وَيَكْذِبُ مَا أَذَلَّتْهُ بِهِجَائِهِ لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ الْهَجَاءِ ذَلِيلًا^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا العشائر :

لَا تَحْسَبُوا رَبِّكُمْ وَلَا طَلَلَهُ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقِكُمْ قَتَلَهُ^(٤)

يقول : إنه على البعد يوعدي ، ولو لم يحل بيني وبينه إلا رمحي لكان ما بيني وبينه طويلا بعيداً لأنه لا يتمكن من الوصول إلى ولا يستطيع الإقدام على لجبهه .

(١) يقول : إنه غير مخوف على من يهينه ولا يكثر له ، وقصاراه إذا مسه الهوان أن يبكي ، ولا يلجأ في الجزاء إلى غير البكاء فيتعزى به عن الإهانة .

(٢) يقول : إن عرضه ليس جميلا حتى يستحق أن يهان ، لأنه إنما يهان الجليل ، وعرضه لا يجعل أن يجعل .

(٣) يقول . هو كاذب في دعواه أنني أذلت بهجائي ، فهو ذليل حقير من قبل هجائي إياه ، فقله ما أذلت بهجائه : كلام مسأنف ، و« ما » : نافية .

(٤) الربع : المنزل ؛ والطلل : ما شخص من آثار الديار . جعل كون الأجنة في الربع حياة له وارتعاهم عنه قتلا ، لأن الأمكة إنما تحيا بالعمارة والسكان ، فإذا خلت من العمار فهي ميتة ، وفي الحديث « من أحيأ مواتا فهو أحق به » الموات : الأرض التي لم تزرع ولم تعمر ، ولا جرى عليها ملك أحد ، وإحيأوها : مباشرة عمارتها . يقول رحلتم : فخرت ربكم وعفا طلكم ، ولكنهما ليسا أول حي قتل من جراء فراقكم ثم بين ذلك فيما يلي . هذا : وحسب الشيء يحسب : أي ظنه ، بفتح السين وكسرها ، في المضارع ، قال في التهذيب : والكسر أجود اللغتين ، وقال الجوهري : ويقال أحسبه - بالكسر - وهو شاذ ، لأن كل فعل كان ماضيه مكسورا فإن مستقبله يأتي مفتوح العين ، نحو علم يعلم - إلا أربعة أحرف جاءت نواذر : حسب يحسب . ويبس يبس وبس يبس ، ونم نعم ، فإنها جاءت من السالم بالكسر والفتح ومن المقتل ما جاء ماضيه ومستقبله جميعا بالكسر : ومق يق ، ووفق يوفق ، ووتق يثق ، وورع يرع ، وورم يرم ، وورث يرث ، وورى الزند يرى ، وولى يلى .

قَدْ تَلَفَتْ قَبْلَهُ النَّفُوسُ بِكُمْ وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمْ الْعَذَلَةَ (١)
 خَلَا وَفِيهِ أَهْلٌ وَأَوْحَشْنَا وَفِيهِ صِرْمٌ مُرَوِّحٌ لِإِبْلِهِ (٢)
 لَوْ سَارَ ذَاكَ الْحَبِيبُ عَنْ فَلَكٍ مَا رَضِيَ الشَّمْسُ بَرْجَهُ بَدَلَهُ (٣)
 أَحِبُّهُ وَالْهَوَى وَأَذْوَرُهُ وَكُلُّ حُبٍّ صَبَابَةٌ وَوَلَهُ (٤)
 يَنْصُرُهَا الْغَيْثُ وَفِي ظَامِنَةٍ إِلَى سِوَاهُ وَسُحْبَهَا هَطْلَةٌ (٥)

(١) العذلة : جمع عاذل . يقول : قد تلفت نفوس العشاق قبل الربع بسبيكم أو بهواكم أو بفراقكم ، وأكثر العاذلون - اللاثمون - عذلم في هواكم لما رأوا من تهالكهم فيكم .

(٢) الصرم : الجماعة من البيوت بمن فيها ، وجمعه أصرام . والروح : الذي يروح إبله من المرعى . يقول : إن الربع موحش خال وإن كان فيه ناس ونعم لا يرتحال أحبابنا عنه : يعنى أنه وإن كان قد حله ناس بعدهم يعد في حق كالحالى الموحش لى ، فكانه قفر لا أحد فيه ؛ وإن كان عامراً بأهليه .

(٣) الضمير في « برجه » : للحيب . ورضى : بمعنى اختار وأحب ، فلذلك عذاه بغير حرف الجر . يقول : لو سار هذا الحبيب الجليل عن فلك من أفلاك السماء لما اختار هذا الفلك الذى كان فيه أن تحله الشمس بدلا منه ، لأنها لا تغنى غناه ، إذ لا تعادله في المحاسن .

(٤) لك أن تجعل « والهوى » غطفاً على الضمير المنصو ، فقول « أحبه » فيكون من قبيل قوله :

وإني لأعشق من عشقكم نحولى وكل فتى نأحبل
 ولك أن تجعله قسما ، كقول البحترى :

* أما وهواك حيلة ذى اجتهاد *

والأدور : جمع دار ؛ والصباية : رقة الشوق ؛ والولة : ذهاب العقل ؛ أى أحبه وأحب كل ما يرتبط به ، ثم قال : إن الحب صباية تملك قلب العاشق ووله : أى فهو يجعل كل شيء للحيب .

(٥) ينصرها : أى الأدور ؛ والمطلى : الكثير السكب . يقول : يسقيها السحاب وعطشها إنما هو إلى غير المطر ، وهو الحبيب الذى سار عنها وكان ينزل بها ويقال نصر الغيث الأرض نصراً : أغاثها وسقاها وأنبتها ؛ قال الشاعر :

وَاحْرَبَا مِنْكَ يَا جَدَايْتَهَا مُقِيمَةً فَأَعْلَمِي . وَمُرْتَحِلَةً (١)
لَوْ خُلِطَ الْمِسْكُ وَالْعَبِيرُ بِهَا وَلَسْتَ فِيهَا تَحِلَّتْهَا تَفْلَهُ (٢)
أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أَبَا السَّابَّاحِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَهُ (٣)
وَأِنَّمَا يَذْكُرُ الْجُدُودَ لَهُمْ مَنْ نَفَرُوهُ وَأَنْفَدُوا حِيلَهُ (٤)

من كان أخطأه الربيعُ فإنما نصر الحجازُ بنفيش عبد الواحد
ونصرت البلاد : إذا مطرت ، فهي منصوره : أى محطورة ؛ ونصر القوم :
إذا غشوا .

(١) الحرب - بالتجريك - فى الأصل نهب مال الإنسان وتركه لاشئ له ، والمراد
هنا : الهلاك . يقول الواقع فى الهلاك : واحربا والجداية : ولد ، الظبي . ومقيمة : حال
من الضمير فى « منك » . وفاعلى : معترضة . يقول : واحربا منك ياطية هذه الدار
أقمت أو رحلت : لأنك إن أقمت منعنا عنك الصد ، وإن رحلت حال بيننا وبينك النأى
- البعد فانت تهجرين عند الإقامة وتفارقين عند الرحيل ، فقربك وبعدك سيان فى هلاكي
(٢) العبير : أخلاط تجمع من طيب ؛ والضمير فى « بها » للأدور . والتفلة :
المنتنة الريح . يقول : إنما كانت ديارك تطيب بك فإذا خلت منك لم يطبلى رياها وكانت
عندى تفلة ، ولو خلطوا تراها بالمسك والعبير ، كما قال :

وكيف التذاذى بالأصائل والضحى إذا لم يعد ذاك النسيم الذى هباً
(٣) النجل : الولد : ونجله أبوه : ولده . يقول : أنا ابن الذى بعضه - أى ولده -
يفوق أبا الباحث عن نسي ، أى أنا فوق أب الذى يبحث عن نسي ، وقوله والنجل الخ :
أراد به أن يبين أن المراد ببعضه الولد .

(٤) نافرت فلانا فنفرته : أى فاخرته ففخرته ؛ وأصل ذلك أن الرجلين من العرب كانا
يحتكمان فى الجاهلية إلى من عرف بالرياسة والفضل وصدق فيقولان له : أى نفرينا
أفضل ؟ فإذا فضل أحدهما على الآخر فالغلوب منفور والغالب نافر ، قال الأعشى :

بان الذى فيه تماريتما واعترف المنفور للنافر (١)

(١) يروى : قد قلت شمري فمضى فيكما واعترف ... الخ
وهو للأعشى يمدح عامر بن الطفيل ويحمل على علقمة بن علاثة وكانا قد تنافرا
إلى هرم بن سنان المري ؛ والمنفور ؛ المغلوب ؛ والنافر ؛ الغالب .

فَفَخْرًا لِعَضْبِ أَرْوَحُ مُشْتَمِلَةً وَسَمْهَرِيَّ أَرْوَحُ مُمْتَقِلَةً^(١)
وَلِيَفْخَرَ الْفَخْرُ إِذْ غَدَوْتُ بِهِ مُرْتَدِيًا خَيْرَهُ وَمُنْتَمِلَةً^(٢)
أَنَا الَّذِي بَيْنَ الْإِلَهِ بِهِ السَّاقِدَارَ وَالزُّرَى حَيْثُمَا جَمَلَهُ^(٣)
جَوْهَرَةً يَفْرَحُ الْكِرَامُ بِهَا وَغُصَّةً لَا تُسِفُّهَا السِّفْلَةُ^(٤)

وَقُلْتُ: أفرغوا وأفنوا. يقول: إنما يذكر الأجداد للقوم الباحثين والمفاخرين من غلبوه بالفخر ولم يجد خيلة فافتخر بالآباء؛ معنى إنما يحتاج إلى الفخر بمحدوده من لا فضيلة له في نفسه.

(١) العضب: السيف القاطع؛ واللام الداخلة عليه زائدة لبيان الفاعلية وفخرا؛ مفعول مطلق نائب عن فاعله. أي ليفخر فخرا؛ ومشتمله؛ أراد مشتملا به. والاشتمال أن يتقلد السيف فتكون حمائله على منكبه كالثوب الذي يشتمل به. والسهمري؛ الرمح واعتقل الرمح؛ جملة بين ساقه وركابه. يقول: إن سيفي ورمحي يلتخران بي، لا أنا بهما.

(٢) خبره؛ أي أفضله، يروي «خبره» أي زينته وجماله. يقول: لبست الفخر فصار رداء على منكبي، ونعلا تحت قدمي، فخدير به إذن أن يفخر بي.

(٣) يقول: بي بين الله أقدار الناس في الفضل، لأنني أصف كل أحد بما فيه؛ أو لأن من أكرمني وأحسن إلي؛ دل ذلك على مروءته، وميله إلى ذوى الفضل، ومن استخف بي، ولم يكثر لي؛ دل ذلك على خسة قدره ولؤم نحيزته كما قال البحرى:

وإن مقامى حيثُ خِيَمَتْ حِجْنَةٌ تَدُلُّ عَلَى فَهْمِ الْكِرَامِ الْأَجَاوِدِ
وقوله والمرء حينما جعله: أي حينما جعل نفسه؛ فمن صان نفسه، ورفع قدرها؛ رفع الناس كذلك قدره، ومن تعرض للمهوان أهين، كما قال:

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من أكرمه
وقد ما قيل:

وأكرم نفسي إن أهنتها رَمَقْتُ لَمْ تَكْرُمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي
ويجوز أن يكون المعنى، والمرء حينما جعله الله: أي لا يستطيع أحد أن يتقدم منزلته التي وضعه الله بها.

(٤) جوهرة؛ أي أنا جوهرة؛ والنصبة: ما ينص به الإنسان فلا يسفه والسفلة - بكسر الفاء - كهيئة - بسكونها وكسر السين - أسافل الناس وغوغاؤهم والسقاط منهم

إِنَّ الْكَذَّابَ الَّذِي أَكَادُ بِهِ أَهْوَنُ عِنْدِي مِنَ الَّذِي يَقْلَهُ ^(١)
فَلَا مُبَالَ وَلَا مُدَارِجَ وَلَا ^(٢) وَإِنْ وَلَا عَاجِزَ وَلَا تُكَلَّهُ ^(٣)
وَدَارِعَ سِيفَتُهُ فَخَرَّ لَتَى فِي الْمُلْتَقَى وَالْعَبَاجِ وَالْمَعْجَلَةِ

يقول : أنا زينة الناس إذ أنوه بمنافعهم ، وأشيد بذكر محاسنهم ؛ فأنا جوهرة يفرح بها ، وشجى في حلق الشام لا يقدر على إساغى ، لأنى أقول فيهم ما أدلم به وأكثف عن نقائصهم .

(١) الكذاب : الكذب : يقال : كذب يكذب كذباً وكذباً وكذاباً وكذاباً ، ورجل كاذب ، وكذاب ، وتكذاب وكذوب ، وكذوبة ، وكذبة - مثال همزة - وكذبان ، وكذبان ، وكذبان ؛ ومكذبان ، ومكذبان ، وكذب وكذب قال جريرة بن الأسيح :

فإذا سمعت بأننى قد بغتكم بوصال غانية فقل كذباً وكذباً
والكذب : جمع كاذب ، مثل راح وركع ، قال أبو دواد الرواسي :

متى يقل تنفع الأقوام قولتـه إذا اضمحل حديث الكذب الولعه ^(١)
أليس أقربهم خيراً وأبعدهم شراً وأسمعهم كفاً لمن منقسه
لا يحسد الناس فضل الله عندهم إذا تشوه نفوس الحسد الجشعة
والكذب : جمع كذوب ، مثل صبور وصبر ، ومنه قرأ بعضهم قوله تعالى « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب » فجعله نعتاً للألسنة ، وأكاد به : أقصد به على وجه الكيدى . يعرض بقوم وشوا به إلى أبى العشار . يقول : ذلك الكذب أهون عندي من راوية وناقله : أى لا أكثر ثله ولا لمن رواه .

(٢) مبال : خبر عن محذوف : أى فلا أنا مبال ؛ والمداحي : الذى يساتر العداوة ؛ والوانى : المقصر ؛ وتكلة : بمعنى وكلة ، وهو الذى يكل أمره إلى غيره . ينفي عن نفسه هذه الصفات ، يقول : فلا أنا مبال بأعدائى ولا مداح لهم ، ولا أنا مقصر فى أمرى ، وفيما يجب على مراعاته وحفظه ، ولا عاجز عن مكافأة المسئء ، ولا ضعيف أكل أمرى إلى غيرى ،

(٣) الدارع : لابس الدرع . وسفته : ضربته بالسيف ؛ واللقي : الشئ المطروح ؛

(١) الولة : جمع وال ، مثل كاتب وكتبة ، والوالع : الكاذب .

(٢٥٠ — المتن)

وَسَامِعِ رُعْتَهُ بِقَافِيَةٍ بِحَارُ فِيهَا الْمُنْفَعُ الْقَوْلَةُ (١)
وَرُبَّمَا أَشْهَدُ الطَّعَامَ مَعِيَ
مَنْ لَا يُسَاوِي أَخْلُزَ الَّذِي أَكَلَهُ (٢)

والمعاج : الغبار : والعجلة : يجوز أن يراد بها الاستعجال الذي يكون من الضارب والطاعن في الضرب والطعن ، ويجوز أن تكون بمعنى الشكل - من قولهم ناقة عجول : إذا فقدت ولدها - قال علماء اللغة : والعجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها التكللى لمعانتها في جيئها وذهابها جزعا ، قالت لحنساء .

فما عجولٌ على بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارٌ (١)
ويجوز أن يكون بمعنى الطين ، قيل في قوله تعالى « خلق الإنسان من عجل » أي من طين ؛ وقال الشاعر :

وَالْفُبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الْعِمَاءُ مَبْنِيَّةٌ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

يقول : رب دارع ضربته بالسيف فتركته مطروحا كالشيء الملقى وقت التقائنا .
(١) رعته : أعجيبته أو أرهبته . والقافية هنا : القصيدة ؛ والمنفع : الذي يهذب القول ويختاره ، وأقولة الجيد القول . يقول : إنه بيده السامع بالقافية الجيدة يرتاج لها ويتحير في حسنها الشاعر المجيد :

(٢) أشهد : بمعنى أحضر ، والطعام : مفعول ثان مقدم ؛ و « من » مفعول أول ، وأشهد يروى يشهد : ويروى أشهد - مضارع شهد ، فتكون « معي » بحذف واو الحال أي ومعي : وقد تحذف : كما تقول مررت بزيد على يده باز . ويريد بذلك الرجل الذي وشى به ، وكان يقال له المسعودي ، كان المتنبي قد وصله بأبي العشائر فصار نديما له ، ثم تناوله عند أبي العشائر :

(١) بعده :

ترتع ما رتعت حتى إذا أدكرت فإنما هي إقبال وإدبار
يوماً بأوجد مني يوم فارقني صخرٌ وللعيش إحلال وإمرار
وترتع ما رتعت : يروى ترقع ما غفلت ، والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا وهي لا تراه ، ويدنى منها فقصمه وترأه فتدر فتدر عليه اللبن .

وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأَعْرِفُهُ وَالْدُرُّ دُرٌّ بِرَغْمٍ مِّنْ جِهَلِهِ^(١)
 مُسْتَحْيِيًّا مِّنْ أَبِي الْقَشَائِرِ أَنْ أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلَّةً^(٢)
 أَسْحَبًا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكٍ نِّيَابُهُ مِنْ جَلِيسِهِ وَجِلَّةً^(٣)
 وَبَيْضُ غِلْمَانِهِ كَنَائِلِهِ أَوَّلُ مُحْمُولٍ سِنِيهِ الْحَمَلَةَ^(٤)
 مَالِي لَا أَمْدَحُ الْخَسَنِينَ وَلَا أَبْذُلُ مِثْلَ الْوَدِّ الَّذِي بَذَلَهُ^(٥)
 أَأَخَفَتِ الْقَيْنُ عِنْدَهُ خَبْرًا أَمْ بَلَغَ الْكَيْدُ بَانَ مَا أُمَلَّهُ^(٦)

(١) لعل هذا ينظر إلى قول جميل :

إذا ما رأوني طالما من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

(٢) اللطال : الثياب : ومستحيا : أى إنما أفعل ما ذكرت مستحيا : فهو حال ،
 العامل فيها مقدر . يقول : إنما أقت مع الأعداء فى بلد لآنى أستحي من أبى العشائر أن
 ألبس خلعة فى غير بلده .

(٣) وجلة : خاتفة . يقول : إن نيايه لا تحب أن تفارقه لتشرعها به فهى تخاف أن
 تخلعها على جلسيه .

(٤) النائل : العطاء : وكذلك السيب . يقول : إن غلماناه البيض كعطائه فى أنه
 يهبهم - أى غلمانهم - أى أنه يهب غلماناه كما يهب أمواله ، فيكون أول ما يحمله إليك من
 العطاء ، أولئك الذين يحملون ذلك العطاء - وهم الغلمان -

(٥) ويروى : أبذل ماود مثل ما بذله : أى من الود ، خذف النون . وهذا
 كالماتبة مع نفسه ، والإقرار بالتقصير فى مدحه ، ومعارضته بمثل الود الذى يبذله .

(٦) الكيدبان : الكذاب - وقد وفينا القول على هذه المسادة قريبا - يقول :
 أ كذبتنى عني فيما أدت إلى من محاسنه ، أم وجد الكاذب فرصة فقير ما بيننا ؟ ويجوز
 أن يريد بالعين : الرقيب ، وأنت : جريا على اللفظ . يقول : هل أخفى الرقيب عنده
 خبراً من أخبارى فى حبى إياه وميلى إليه ؟ وقال بعض الشراح : يقول . هل أخفت
 عينه عليه أثراً من آثار خدمتى فجدها على . أم أعار الكاذب سمعه فبلغ عنده ما يأمله
 من الوشاية بى ؟ وهذا استفهام إنكار . أى ليس الأمر على ما ذكر ؛ وإذن : لا أقصر
 فى حقه ولا ألو جهداً فى مدحه . هذا : ويقال أمل خيره بأماله أملا ، وكذا أمله تأميلا
 أى رحله .

أَمْ لَيْسَ ضَرَابَ كُلِّ جُحْمَةٍ مَنخُوعَةٍ سَاعَةَ الْوَغَى زَعَلَةٌ^(١)
وَصَاحِبَ الْجُودِ مَا يُفَارِقُهُ لَوْ كَانَ لِلْجُودِ مَنَطِقٌ عَذَلَةٌ^(٢)
وَرَأَيْتَ الْهَوَلَ لَا يُفْتَرُهُ لَوْ كَانَ لِلْهَوْلِ مَحْزَمٌ هَزَلَةٌ^(٣)
وَفَارِسَ الْأَحْمَرِ الْمَكْلَلُ فِي طَيِّبِ الْمَشْرِعِ الْقَنَاءِ قَبْلَهُ^(٤)

(١) منخوعة: أى ذات نخوة - أى عظمة وكبر - والراس يوصف بالكبر ، يقال فى رأسه نخوة والزعلة : النسيط ، والزعلة أيضا . البطرة الأشرة . يقول . أليس المدوح ضراب كل رأس متكبر بطريوم الوغى والقتال ؟

(٢) عذله : أى لاهه على إسرافه وكثرة عطايام .

(٣) الهول : الأمر العظيم الشديد ؛ ولا يفتره : أى لا يفتره الهول وإن كثر ركوبه إياه . والمحزم : ما يقع عليه الحزام من الدابة . لما جعله راكباً والهول مركوباً أجراه مجرى المركوب من الدواب : أى أنه جهده بالركوب حتى لو كان له محزم لظهر عليه الهزال ، وإنما خص المحزم لأن الدابة إذا هزلت اتسع حزامها لما لحقها من الضمور .
(٤) قال الواحدى : أراد بالأحمر : فرسه الذى ركبه فى وقته بأنطاكية ؛ والمككل الحاد الساضى فى الأمر ؛ يقال حمل فكلل : أى مضى قدماً . ولم يخم ، أنشد الأصمعى :

حَسَمَ عِرْقُ الدَّاءِ عَنْهُ فَقَضِبُ تَكْلِيلَةَ اللَّيْثِ إِذَا اللَّيْثُ وَثِبَ

قال الأصمعى : وقد يكون كلل بمعنى جبن ؛ يقال حمل فما كلل : أى فما كذب وما جبن كأنه من الأضداد ، وأنشد أبو زيد لجهم بن سبل :

وَلَا أَكْلَلُ عَنْ حَرْبٍ مُجْلِحَةٍ وَلَا أَخْذَرُ لِلْمَلِيقِينَ بِالسَّلَمِ

ويقال إن الأسد يهلك ويكلل ، وإن النمر يكلل ولا يهلك ، والمككل : الذى يحمل فلا يرجع حتى يقع بقرنه ، والمهلك : يحمل على قرنه ثم يحجم فيرجع . ويقال انكل الرجل انكلالا : أى تبسم ، وانكلت المرأة تنكل انكلالا : إذا ابتسمت قال الأعشى :

وَيَنْكَلُ عَنْ غُرَّةٍ عَذَابُ كَأَنَّهَا جَى أَفْحَانِ نَبْتُهُ مَتْنَاعِمِ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وَتَنْكَلُ عَنْ عَذَبِ شَقِيئِ نَبَاتِهِ لَهُ أَشْرُ كَالْأَفْحَانِ الْمَوْرِ

ومن روى « المككل » - فى البيت - بفتح اللام : أراد التوج . ويجوز فى « المشرع »

لَمَّا رَأَتْ وَجْهَهُ خِيُومُهُمْ أَقْسَمَ بِاللَّهِ لَا رَأَتْ كَفَلَهُ^(١)
فَأَكْبَرُوا فَعَلَهُ وَأَصْفَرَهُ أَكْبَرُ مِنْ فِئِلِهِ الَّذِي قَعَلَهُ^(٢)
الْقَاطِعُ الْوَاصِلُ الْكَمِيلُ فَلَا
بَعْضُ جَمِيعٍ عَنِ بَعْضِهِ شَفَلَهُ^(٣)

النصب على أنه نعت للفارس ، والحفض على أنه نعت للأحمر : يعنى الذى أشرع الأعداء نحوه رماحهم .

(١) الضمير من « وجهه » : للفارس ، وضمير « أقسم » . للممدوح . ويقول : لما رأوا حيولهم وجه فرسه فى حومة الوعى أقسم بالله لا ارتد عنهم ولا رأوا كفه حتى يأتى عليهم قتلا . ولعل هذا المعنى من قول الآخر

حتى يظنوه إنساناً بفسير قفاً وأنه راكب طريقاً بلا كفل

(٢) يقال أ كبرت الشيء إذا استكبرته ، وأصفره . يروى بفتح الراء على أنه فعل ماض أى استكبروا فعله واستصغره هو ، وتم الكلام هنا ثم استأنف فقال . أ كبر من فعله الذى فعله : أى هو أ كبر من فعله وهذا هو تفسير ابن جنى . قال العروضى على هذا التفسير لا يكون مدحاً ، لأن من المعلوم أن كل فاعل أ كبر من فعله ، والخالق تعالى ذكره فوق المخلوقين ، وقالوا إن خيراً من الخير فاعله ، وإن شراً من الشر فاعله ولكن معنى البيت . إن الناس استكبروا فعله واستصغره هو ، فكان استصغاره لما فعل أحسن من فعله : كما تقول أعطاني فلان كذا وكذا واستقله ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه قال العروضى : ثم العجب أنه غلط فى صناعة هو إمامها المقدم فيها ، وذلك أن « الذى » يصلح أن يكون بمعنى « من » وبمعنى « ما » . تقول رأيت الذى دخل ، ورأيت الذى فعلت ، وكان يجب أن يذهب فى هذا إلى « ما » فذهب إلى « من » ففسد المعنى ؛ ولك أن تقول : أ كبر من فعله الذى فعله : أى أن الذى فعل هذا الفعل هو أ كبر منه : أى أنه إنما استصغره بالنسبة إلى عظم قدره . وروى الخوارزمى : وأصفره بضم الراء - على أنه مبتدأ مخبر عنه بما بعده : أى وأصفر فعله أ كبر بما استعظموه .

(٣) القاطع : يروى : القائل ، والقاتل . والكميل : بمعنى الكامل ؛

أنشد سيبويه :

على أنقى بمد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولاً كيلا

فَوَاهِبٌ وَالرَّمَّاحُ تَشْجُرُهُ ، وَطَاعِينٌ وَالْهَبَاتُ مُتَّصِلَةٌ^(١)
وَكُلَّمَا آمَنَ الْبِلَادَ سَرَى وَكُلَّمَا خِيفَ مَنَزِلٌ نَزَلَتْ^(٢)

يَذْكُرُنِيكَ حَنِينَ الْمَجُولِ وَنُوحَ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيلًا^(١)
وكل - بفتح العين وضمها - يكل - بالضم - في مضارعهما : وكل - بكسر
العين - يكل - بالفتح - لا غير . قال الجوهري : والكسر أردؤها . يقول : يقطع
ويصل كما يشاء ولا يشغله فعل جميل عن فعل جميل آخر . وقد فسر البيت فيما يلي
(١) تشجروه : تنفذ فيه وتخالطه . ومنه قول شريح بن أوفى العبسي :

يَذْكُرُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحَ شَاجِرًا فَهَلَا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقْدُمِ^(٢)
يقول : لا تمنعه الحرب عن الجود ولا الجود عن الطمان .
(٢) يقول : كلما آمن بلاده من مهاجمة الأعداء سرى في طلب الغزو والفتح ،
وكلما خيف مكان نزله فدفع عنه المخافة وآمنه .

(١) يقول : لم أنس عهدك طي بعده ، فكما حنت عجول - وهي الفاقة ولدها من
الإبل وغيرها - أو ناحت حمامة ، رقت نفسي فذكرتك ؛ والهديل هنا صوت الحمامة
ونصبه طي للصدر ، والعامل فيه يدعو ، لأنه بمنزلة تهدل . ويجوز أن يكون الهديل
الفرخ الذي يزعم الأعراب أن جارحاً صاده في سفينة نوح فالحمام يبكي عليه ، كما
قال طرفة :

• كداعى هديل لا يُجَابُ ولا يُمْل •

فالهديل هنا الفرخ ، لأن الحمام تدعو نائحة عليه فلا يجيبها ولا تمل دعاءه .
(٢) قبله :

وَأَشْمَتْ قَسَوَامَ بَيَّاتِ رَبِّهِ قَلِيلِ الْأَذَى فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ مُسْلِمِ
شَكَكَتْ لَهُ بِالرَّمْحِ جِيبَ قَيْصِهِ نَفَرٍ صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ
عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ تَابِعًا عَلِيًّا وَمَنْ لَا يَقْبِيعُ الْحَقُّ يَظْلِمُ
يَذْكُرُنِي حَامِيمَ [البيت]

قال شريح هذه الأبيات يوم الجمل حين أمر أبو طلحة محمد بن طلحة أن يبرز للقتال
كان من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان كلما حمل عليه رجل قال نشدتك
بحاميم - لما فيها من آية « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » حتى حمل

وَكَلَّمَا جَاهِرَ الْقَدُوَّ ضَعَى أَمَكْنَ حَتَّى كَأَنَّهُ حَتَلَهُ^(١)
يَحْتَقِرُ الْبَيْضَ وَاللَّدَانَ إِذَا سَنَّ عَلَيَّوِ الدَّلَاصَ أَوْ نَفَلَهُ^(٢)
قَدْ هَذَبَتْ فَهْمَهُ الْفَقَاهَةَ لِي وَهَذَبَتْ شِعْرِي الْفَصَاحَةَ لَهُ^(٣)

(١) الحتل : الأخذ خدعة ؛ أى على بقتة . يقول : كلما حارب أعداءه جهاراً تمكن منهم وظفر بهم حتى كأنه خادعهم وأناهم بقتة ؛ وضمير « أمكن » للمعدو ؛ أى أمكنه من نفسه .

(٢) البيض - بكسر الباء - السيف ، وتزوى بفتح الباء : جمع بيضة ، وهى الخوذة التى تحمل على الرأس . واللدان : الرماح اللينة ، جمع لدن . وسن عليه درعه : إذا صب الدرع على نفسه بأن لبسها . والدلاص : الدرع اللينة اللساء . وتثل الدرع : ألحاه عنه : قال ابن جني : وذكر الدرع بقوله ثلثه ضرورة أو يكون ذهب إلى البدن يقول : إنه يحتقر السيف والرماح - دارعا كان أو حاسراً - وسن بالسين المهملة - يروى بالشين المعجمة ، وكلتاها بمعنى صب ، يقال سن عليه الماء : أى صبه ، وسن عليه الدرع يسنها سناً : كذلك إذا صبا عليها ، قال الجوهري : سفت الماء على وجهي : أى أرسلته إرسالاً من غير تفريق ، فإذا فرقته بالصب قلت « بالشين » ويقال شن عليهم الفارة : إذا فرقها .

(٣) الفقاهاة : الذم والمقنعة والعلم : فقه الرجل يلقبه فقاهاة . يقول : إن فقاهاة للمدح هذبت فهمه لى ، فهو يفهم شعري ويعرف جيده ، وفصاحي هذبت شعري له ، فانا آتية به فصيحاً لا غاب فيه .

عليه المبسى هذا ، فقتله ، ثم قال هذه الأبيات : يقول ورب أشعث من أثر العبادة كثير القيام والعمل بآيات ربه ، أو القيام في الليل بتلاوتها قليل الأذى . وروى الكرى أى النوم ، وروى القذى وهو ما يتساقط في العين فيغمضها ، كنى بقلته عن قلة النوم فيها ترى العين : أى في رأى العين ، شككت : أى خرقته له بالرمح جيب : أى طوق قميصه كناية عن طعنه به في صدره ومن خلفه حتى نفذ من صدره فسقط مطروحاً على طي يديه ووجهه وعبر بالقم مبالغة في التنكيل ، ولأنه أول ما يلقي الأرض من الوجه ، وكذلك بلا سبب ، غير أنه ليس تابعاً لعل بن أبي طالب ، وهكذا حال كل من لم يتبع الحق يذكرني حاميم . والحال أن رعي قد اختلط بأضلاعه ؛ وقد كان من حقه أن يذكرنيها قبل ذلك .

فَصِرْتُ كَالسَّيْفِ حَامِداً يَدُهُ لَا يَحْمَدُ السَّيْفُ كُلُّ مَنْ حَمَلَهُ^(١)

واستأذن كافوراً في المسير إلى الرملة ليخلص مالا كتب له به ، وإنما أراد أن يعرف ما عند كافر في مسيره ؛ فقال : لا والله لا نكلفك المسير ، نحن نبعث في خلاصه ونكفيك ، فقال أبو الطيب :

أَتَحْفُفُ لَا تُكَلِّفُنِي مَسِيرًا إِلَى بَلَدٍ أُحَاوِلُ فِيهِ مَالًا
وَأَنْتَ مُكَلِّفِي أَنْبِيَ مَكَانًا ، وَأَبْعَدَ شُقَّةً وَأَشَدَّ حَالًا^(٢)
إِذَا مِرْنَا عَلَى الْفُسْطَاطِ يَوْمًا فَلَقَّنِي الْفَوَارِسَ وَالرَّجَالَ^(٣)

(١) يقول : أنا أحمد محمد سيف إياه ، والسيف لا يحمد كل حامل له . وكذلك أنا : لا أحمد كل يد .

(٢) وأنت مكلفي : حال : وأنبي : تفضيل - من قولهم نبا به المكان : إذا لم يوافق ، وناب السيف : كل عن الضريبة ؛ والشقة : السافة . يقول : تمنعني من المسير خوفا على أن ينبو بي المكان الذي أنا قاصده وتتعبني مشقة السفر وأنت تكلفني من الإقامة عندك بما هو أنبي بي وأطول تعباً وأشدَّ حالا من السفر البعيد .

(٣) الفسطاط ، مدينة مصر قديماً . وأراد بلقي أجعلهم يلقونني : أي اجتمعهم خلفي ليردوني إليك . يريد إذا سرت عنك لم تقدر على ردِّي إليك . هذا : والرجال . الرجالة قال تعالى « فرجالاً أو ركبانا » يقال رجل الرجل رجلاً فهو راجل ورجل ورجل ورجيل ورجل ورجل ورجلان : إذا لم يكن له ظهر في سفر يركبه وشاهد رجلاً :

على إذا لاقيت ليلى بخلوة أن ازدارَ بيت الله رجلاً حافياً
والجمع رجال ورجالة ورجال ورجالي ورجالي ورجلاني ورجلاني ورجلة ورجلة ورجلة ورجلة وأرجلة وأرجل وأرجل ؛ قال أبو ذؤيب :

أهمَّ بنيه صيفهم وشتاؤهم وقالوا تعدَّ واغزُ وشط الأراجيل^(١)
قال ابن بري : الأراجيل هنا جمع أرجال ، وأرجال جمع راجل - مثل صاحب

(١) يقول : أهمهم نفقة صيفهم وشتائهم ، وقالوا لأبيهم تعد أي انصرف عنا وحارب وسط الرجالة . وقال الجوهري : أرجال هنا جمع رجل ، خلاف المرأة .

لِتَعْلَمَ قَدَرَ مَنْ فَارَقَتْ مِثِّي وَأَنَّكَ رُمْتَ مِنْ ضَيْمِي مُحَالًا^(١)
وقال يمدح أباشجاع فاتسكا^(*) وكان قد قدم من الفيوم إلى مصر فوصل أبا الطيب
وحمل إليه هدية قيمتها ألف دينار :

وأصحاب وأصحاب - إلا أنه حذف الياء من الأراجيل ، لضرورة الشعر قال أبو
التمم الهذلي :

يا صغُرُ واردَ ماءٍ قد تَتَابَعَهُ سَوْمُ الْأَرَاغِيلِ حَتَّى مَاءِهِ طَحِلَ^(١)
والرجلان بمعنى إراجل ، جمعه رجلى ورجال - مثل عجلان وعجلى وعجال -
ويقال رجل ورجالى : مثل عجل وعجالى ؛ وامرأة رجلى : مثل عجلى ؛ ونسوة رجال
مثل عجال ، ورجالى مثل عجالى . أما الرجل خلاف المرأة فجمعه رجال ؛ ورجالات .
جمع الجمع . قال الجوهري في جمع الرجل : أراجل ، واستشهد بيت أبي ذؤيب المتقدم
ويقال للمرأة « رجلة » قال الشاعر :

كلُّ جَارِ ظِلٍ مُفْتَبِطًا غَيْرَ حَيْرَانَ بَنَى جَبَلَهُ

خَسِرُوا جَيْبَ فِتَانِهِمْ لَمْ يَبَالُوا حَرَمَةَ الرَّجَلَةِ^(٢)

(١) مئى : تجريد . يريد أنه بطل شجاع لا يقبل الضيم - الظلم - وإن فوارسه
ورجالاته لا يقدرّون على رده إليه .

* قال ابن خلكان : هو « فاتك » الكبير المعروف بالجنون ، كان روميا أخذ
صغيراً من بلاد الروم بقرب موضع يعرف بذي الكلاع ، وهو ممن أخذه الأخشيد من
سيده بالرملة كرهاً بلائعاً وأعتقه ، فكان حراً عنده في عدة المالك ، وكان كريم
النفس ، بعيد الهمة ، شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « الجنون » ، وكان رفيق
الأستاذ كافور في خدمة الأخشيد ، فلما مات مخدمهما وتقرر كافور في خدمة ابن
الأخشيد أنف « فاتك » من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ويحتاج
أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له فانتقل إليها - وهى بلاد وبيّة
كثيرة الوحش - فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبه
المتنبى ، وكان أبو الطيب يسمع بكرم « فاتك » وشجاعته ، إلا أنه لا يقدر على قصد

(١) سوم الأراجيل : أى حر الرجال ؛ وماء طحل : كدر .

(٢) عنى بجيب فتانهم : هنها .

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالَ فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ^(١)

خدمته خوفاً من كافور ، و « فانتك » يسأل عنه ويراسله بالسلام ثم التقيا في الصحراء مصادفة وجرى بينهما مفاوضات فلما رجع « فانتك » إلى داره حمل إلى أبي الطيب هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن « التنبى » الأستاذ كافور في مدحه فأذن له ، فمدحه في التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بهذه القصيدة . انتهى ولعل في هذه القصة ما يفسر به قول التنبى :

فَأَمْسَكَ لَا يَطَّالُ لَهُ فِيرَعَى [البيت]

كأنه يقول لا يباح له أن يقصد خدمة غير كافور بمصر ، ولا كافور يرضيه ، ولا يطلق سراحه فيرحل عن مصر .

(١) الإسعاد : الإغاثة : يقول - مخاطباً نفسه - : ليس عندك من الخيل والمال ما تهديه إلى المدحوظ جزاء له على إحسانه إليك فليسعدك النطق : أى فامدحه ، وجاهزه بالثناء عليه إن لم تمنك الحال : أى على مجازاته بالمال ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول يزيد اللهلي :

إِنْ يُعْجِزِ الدَّهْرُ كُنْتُ عَنْ جَزَائِكُمْ فَإِنِّي بِالْهَوَى وَالشُّكْرِ مُحْتَمِدٌ

قال المكي : « وهذا من الابتداء الذي يكرهه السامع بأن يقول للمدحوظ : لا خيل عندك تهديها ولا مال . وهو أول ما يقول له وقال في إعراب « لا خيل » نصب الخيل بلا لأنها تنصب النكرات بغير تنوين ، وقال سيويو والخليل : يجوز أن ترفع النكرات بالتنوين » وأنشد العجاج :

تَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَحْشَ الطُّبَيْخُ بِنِ الْجَحِيمِ حِينَ لَا مُسْتَصْرَخُ^(١)

وما ارتفع بعدها عند بعض النحاة على الابتداء ، وفي قراءة من قرأ : « فلا رث ولا فسوق ولا جدال في الحج » برفع الثلاثة أنه على الابتداء ، والخبر في « الحج » وقرأ بعضهم برفع « الرث . والفسوق ، ونصب ، الجدال » ، وهو كقول أمية بن أبي الصلت .

فَلَا لَعُو وَلَا تَأْتِمَ فِيهَا وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقِيمُ^(٢)

(١) يريد بالطبخ : لللائكة اللوكلين بالمذاب ، وحش النار بالحطب : أوقدها ، ومنه حش الحرب يحشها حشاً : إذا أسعرها وهيجهها تشبها بإسعار النار .

(٢) قالوا في قوله تعالى « لا لعو فيها ولا تأتم » أن تأتم يجوز أن يكون مصدراً

فَرَبَّمَا جَزَى الْإِحْسَانَ مُؤْلِيَهُ خَرِيدَةً مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكَسَالٍ^(١)
وَأَنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي
ظُهُورَ جَزَى قَلِي فِيهِنَّ تَضْهِالٌ^(٢)

(١) الخريدة الجارية الحية . والمكسال ، من النساء : الفاترة القليلة التصرف ؛
وخريدة : فاعل جزی ؛ والإحسان : مفعول ثانٍ مقدم ؛ ومؤليه - أى معطيه - مفعول
أول . يقول : ربما حازت بالإحسان من بولي - يعطى - الإحسان امرأة عاجزة عن
كل شيء ؛ يعنى إن لم تمكن الكفاة فعلا فهى ممكنة قولاً كالـكفاة من هذه المكسال ،
يحث نفسه على الجزاء وترك التقصير فيما يمكن ، ثم ضرب لهذا مثلاً فيما يلى : هذا :
والجزاء المكفاة على الشيء جزاء به ، وعليه جزاء ، وجزاء مجازاة - قال الجوهري
جزيته بما صنع جزاء وجازيته : بمعنى ، ويقال جازيته لجزيته : أى غلبته وقوله تعالى
« لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » : يعنى يوم القيامة لا تقضى فيه نفس عن نفس شيئاً ،
يقال جزيت فلاناً حقه : أى قضيته . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا بى
بردة بن نيار حين ضحى بالجدعة « تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك » أى تقضى
قال الأصمى : هذا مأخوذ من قولك قد جزی عنى هذا الأمر ولا همز فيه ، قال ومعناه
لا تقضى عن أحد بعدك ويقال جزت عنك شاة : أى قضيت ، وبنو تميم يقولون أجزأت
عنك شاة - بالهمز - أى قضت ، وقيل فى قوله تعالى « لا تجزى نفس عن نفس
شيئاً » : لا تقضى .

(٢) الشكل - بالضم - جمع شكل ، وهو الحبل تشد به قوائم الدابة ؛ وبالفتح :
مصدر شكل الدابة إذا شدها بالشكال ، والظهور جمع ظهر ، والتضهال بمعنى الصهيل
أخرجه مخرج تسيار ونحوه : ضرب لنفسه للثل فى عجزه عن الكفاة بالفعل والاجترأ
عنه بالقول ، بفرس أحكم شكاه فمجز عن الجرى لكنه يصهل . يقول : إن لم يكن
عندى الفعل فعندى مكفاة بالقول يعنى إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافر
فإنى أمدحك إلى أوان ذلك كما أن الجواد إذا شكل عن الحركة صهل شوقاً إليها ، وقال
المعري : إن كانت حالى ضيقة عن مكافأتك فعلا جازيتك قولاً وجعل التضهال مثلاً لثناؤه
على المدوح : وكان « فانتك » هذا يسر خلافاً للأسود - كافر - وينطوى على بغضه
ومعاداته ، وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ، ولكن لا يمكنه إظهار ذلك خوفاً
من كافر

وَمَا شَكَرْتُ لَأَنَّ الْمَالَ فَرَحَنِي سَيِّئَانِ عِنْدِي إِكْثَارٌ وَإِقْلَالٌ^(١)
 لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا، وَأَنْتَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ مُخَالٌ^(٢)
 فَكُنْتُ مَنِيْبَةً رَوْضِ الْحَزَنِ بِأَكْرَهُ
 غَيْثٌ يَنْفِرُ سَبَاحِ الْأَرْضِ هَطَالٌ^(٣)
 غَيْثٌ يَبْسُتُ لِلنُّظَارِ مَوْفِعُهُ أَنْ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَالٌ^(٤)
 لَا يَذْرُكُ الْحَدَّ إِلَّا سَيِّدُ فِطْنٍ لِمَا يَشْقُ عَلَى السَّادَاتِ فَعَالٌ^(٥)
 لَا وَارِثُ جِهَتٍ يُمْنَاهُ مَا وَهَبَتْ وَلَا كُؤُوبٌ يَغْيِرُ السَّيْفِ سَثَالٌ^(٦)

(١) سيان : مثني « سي » بمعنى مثل ، والإكثار : الغنى ، والإقلال : الفقر : يقول : ليس شكريك عن فرح بما أهديته لي ، لأن الغنى والفقر عندي سواء لقلة مبالاة بالدنيا قال ابن جني : ما رأيت أبا الطيب أشكر لأحد منه لغاتك . وكان يقول حمل إلى ما قيمته ألف دينار في وقت واحد .

(٢) بخال : جمع باخل . يقول : إنما أشكر لأنني رأيت من القبيح أن يجادلني بالبر والنعمة وأنا بخيل بقضاء الحق ساكت عن الشكر والحمد : وقوله : « وأنتا » يجوز فيه فتح الهمزة على العطف ، وكسرها على الحال .

(٣) الحزن : خلاف السهل . والسباح : جمع سبيخة ، وهي الأرض لا تنبت لأنها ذات نز وملح ، وهطال : ساكب . يقول : لما وصل إلى بره ونعمته كنت كمنبت روض الحزن جاده بالبكرة غيث هطال فأفاده ، نضرة وذكاء . يعني أن مطر بره لم يصادف من سبيخة لا تنبت ، وخص روض الحزن لأنها أنضر لبعدها عن الغبار والثر والضعف والمعنى أن بره صادف من يعرف حقه ويذيع شكره .

(٤) يقول : إن موقع إحسانه مني يبين للناظرين أن غيره من الحسينين يخطئون مواقع الإحسان لأنهم لا يقدرونه من يستأله ويقوم بشكره . ولك أن تبقى الغيوث على معناها الحقيقي : يعني أن المدح أحكم من الغيوث لأنه يضع إحسانه في موضعه أما هي فإنها تمطر التربة الصالحة والرديئة .

(٥) لما يشق : أي لما يصعب ، متعلق بفعل والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

(٦) وارث : صفة أخرى لسيد ، وسثال : طلاب ؛ وبغير السيف : صلة . سثال ، يقول : لا يدرك الهد إلا سيد لم يرث أباه مالا - والمدح لم يرث أباه لأنه كان جواداً فلم

قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلًا فَأَفْهَمَهُ
تَذَرِي الْقَنَاءُ إِذَا أَهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ
كَأَنَّكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ
كَأَنَّكَ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ^(١)
أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ^(٢)
كَأَنَّكَ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ^(٣)

بخلف مالا - ويمينه تجهل ماوهب لكثرتة ، وليس هو كدوبا ولا مثالا بغير السيف
أى لا يطلب حاجته إلا بالسيف لما فيه من المشقة والمخاطرة بالروح
(١) الضمير في « له » للسيد ؛ والجملة : نعت آخر له : أى قال الزمان له - بلسان
حاله - إن المال لا يبقى على مالكه ، ففهم هذه المقالة عنه وفرق ماله في سبيل المجد .
وعبارة الواحدى : وقوله إن الزمان الخ : كلام مستأنف ؛ وعذال : مبالغة ، من العذل
وهو اللوم . يقول : إن الزمان يلوم على البخل لأن البخل يفوت على نفسه كسب
المحمدة والذكر باستبقاء ماله يساق . وقال ابن جني : أكرم الناس من تعب في جمع
الأموال بالسيف ثم يهبها بعد ؛ وقال التبريزي : من رأى المسكين وموتهم عن الأموال
وتخليتها للأعداء فقد أراه الزمان فيهم العبر فكانه حذره عن الإمساك ، والزمان لم يقل
قولا حقيقة ، وإنما رأى تصاريفه فاتعظ فكان كمن قال له .
(٢) القنأة : الرمح والبيت في صفة السيد أيضا . يقول : يعلم الرمح في يده أنه سيشتق
به خيل وأبطال إذ قد عوده ذلك .

(٣) فأنك : هو اسم الممدوح ، وأراد بالكاف : كاف التشبيه الداخلة على « فأنك »
والمنقصة : النقص . يقول : لا يدرك المجد إلا سيد صفاته هذه التي ذكرت ، ثم استدرك
فقال : دخول الكاف عليه تنقص من قدره في الظاهر ، لأنه يوم أن له شبيهها ، وإنما
هو كالشمس إذا شبت بها أحدا ، والشمس لا شبيه لها وهذه الكاف هي التي يقال لها
كاف الاستقصاء ، ذكرها أهل العربية ، ومثلوا لها بقولهم : من الحروف ما لا يقبل
الحركة كالألف . وقال ابن جني : إذا قيل كفأنك ودخول الكاف منقصة جعل له
شبيه ، فاتقص بذلك ، وإنما قولى كالشمس - وإن كانت لا شبيه لها والكاف زائدة -
كقول رؤبة :

* لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ فِيهَا كَالْمَلَقِ^(١) *

(١) من أرجوزة لرؤبة أولها

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْخَتَرِ *

راجعها في أراجيز العرب للبكري ، وفي خزانة الأدب للبغدادى ؛ ولواحق
الأقرب ؛ خماس البطون قد لحقت بطونها بظهورها ، والملقى : الطول ؛

الْقَائِدِ الْأَسَدَ غَذَتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَفَى أَشْبَالُ^(١)
الْقَاتِلِ السَّيْفِ فِي جَنْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَالسَّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ^(٢)
تَغْيِرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْأَرْضِ أَهْمَالُ^(٣)

أى فيها مقى ، وهو الطول ، ولا يقال فيها كالطول إلا على زيادة الكاف وقد أنكر الواحدى كلام ابن جنى هذا وقال : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكاف في كفاتك ، فقال الكاف ههنا زائدة ، وإعما معناه وتقديره : فأتك أى هذا المدوح فأتك ، مع أن جميع البيت مبنى على هذه الكاف ، فكيف يقام إنها زائدة ؟ وعبرة الإمام التبريزى : لا يدرك المجد إلا رجل صفاته هذه التى ذكرت ، ثم شبه بفاتك ثم استدرك ذلك بقوله : ودخول الكاف منقصة : أى كاف التشبيه الداخلة على « فأتك » : أى أن دخول الكاف عليه ينقص من قدره ، لأنه يوم أن له شبيها ، وليس له شبيه ، فهو كالشمس ، يشبه بها الشيء المستحسن على الظاهر ، وليس لها مثل .

(١) البرائن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان ؛ وبمثلها صلة غذته . والأشبال : جمع شبل ، وهو ولد الأسد . يقول : الذى يقود إلى الحرب رجلا هم أسود تغدوم برائنه - أى سيوفه وسلاحه فهن له كالبرائن . - رجال مثلهم من الأعداء أى أنه بغنمهم الأبطال وجعلهم كالأشبال له لأنه يقوم بتغديتهم ، قال الشراح : يشير إلى غلمان الذين رباهم وضراهم بأسلاب أعدائهم منذ كانوا أشبالا إلى أن صاروا أسدا . (٢) به صلة القاتل ؛ والسيوف خبر مقدم عن آجال . وقوله كما للناس : فما مصدرية وللناس : خبر عن محذوف ، والتقدير : لسيوف آجال كما للناس آجال . يقول : لجودة ضربه يقتل المقتول ويقتل ما يقتله به وهو السيف . يريد أنه يكسره في جسمه . فجعل ذلك قتلًا للسيف ، ثم قال : وإن لسيوف آجالا كما أن للناس آجالا .

(٣) وماله : يريد نعمه ؛ والأهمال : جمع همل ، وهى الإبل بلا راع . قال الجوهري الهمل - بالتحريك - الإبل بلا راع : مثل النفس ؛ إلا أن الهمل يكون ليلا ونهاراً ، والنفس لا يكون إلا ليلا ، يقال إبل همل وهاملة وهمال وهوامل ، وتركها هملا أى سدى إذا أرسلتها ترعى ليلا بلا راع . وفى المثل : اختلط المرعى بالهمل . والمرعى الذى له راع يقول : إن هيبتة تمنع الإغارة ، على ماله فكأنها تغير على الغارة وماله مهمل لا راعى له بأقاصى الأرض لا يغار عليه لهيبتة . ويجوز أن يكون المعنى : أن القوم يغيرون على الأموال فيحملونها إليه هبة له ، فكان هيبتة تغير على غارة غيره ، ثم قال : وماله بأقاصى الأرض أهمال لا يغار عليها . وحمة المعنى أنه - لجلالة قدره وبهاة شأنه وعظمه فى النفوس - تنهيه الفرسان فى غاراتها فلا تقدم على مقاتلة أهماله .

لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ

عَازِرٌ وَهَنِيْقٌ وَخَنَسَاءٌ وَذَيَالٌ^(١)

تُمْنِي الضُّيُوفُ مُشَاهَةً بِمَقْوَمِهِ كَانَ أَوْقَاتَهَا فِي الْعَلِيبِ آصَالٌ^(٢)

لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَادِلٌ مِنْهُ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالٌ^(٣)

(١) العير : حمار الوحش ، وهو بدل تفصيل من « ما » ؛ والهيق : الظليم - ذكر النعام - والخنساء : البقرة الوحشية ، سميت بذلك لخنس أنفها - والخنس قريب : من الفطس ، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه . والذبال : الثور الوحشى لأنه يجر ذنبه كالذيل . يقول : يقدر على صيد ما يختاره من الوحش لحذقه واقتداره ، وجعل الاختيار للأسنة مجازاً ، لأنه يطلب الصيد بها ، فكأنها هي التي تختار . وعبارة العكبرى : يعنى أنه كان ملازم الحروب في الفلوات ، وكان يتقوت بلحوم الوحش ، وكان عارفا بصيدها ، فما اختاره منها لا يفوت رغبته ولا يسبق أسننته .

(٢) مشاهة : أى تعطى ما تشبهه ، وإنما يقال في هذا المعنى أشباه - بالآلف - تقول تشبهت المرأة على زوجها فأشبهها : أى أنالها شبهاتها ، ولكن التنبي استعمل « فعل » في موضع « أفعّل » والعقوة : الساحة . والآصال : جمع أصل : جمع أصيل ، آخر النهار ، وهو مستطاب لدى العرب لغروب الشمس وانقطاع الحر وهبوب النسيم . يقول : إن أضيافه يعطون ما يشتهون إذا نزلوا بداره فتطيب أوقاتهم عنده كأنها آصال ؛ وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

أَيَّامُنَا مَصْقُولَةٌ أَطْرَافُهَا بِكَ وَاللَّيَالَى كُلُّهَا أَسْحَارُ

(٣) القارى : المضيف ، وقاريها : يعنى الممدوح ، والخرادل القطع - كأنها مقصورة من قولهم : لحم خراديل : أى مقطع - وهو من الجوع التى لا واحد لها والقدال فيه : لغة . وقال كعب بن زهير :

يَفْدُو قَيْلَحَمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا لَحْمٌ مِنَ الْقَوْمِ مَعْفُورٌ خَرَادِيلٌ^(١)

(١) من قصيدة « بانت سعاد » التى مدح بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أسدا . يقول : يذهب هذا الأسد أول النهار يتطلب صيدا لولديه فيطعمهما لحما . والعيش هنا : القوت ؛ ولحم معفور : أى ملقى في العفر - بفتحيتين - وهو التراب ؛ وخراديل : مقطع .

لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِي مَالِهِ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا إِذَا حَفَرَ الْأَضْيَافَ تَرَحَّالٌ^(١)
يُرْوَى صَدَى الْأَرْضِ مِنْ فَضْلَاتِ مَا شَرَبُوا
تَحْضُ اللَّقَاحَ وَصَافِي اللَّوْنِ سَلْسَالٌ^(٢)
تَقْرَى صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ غَبِطَ دَمٍ
كَأَنَّمَا السَّاعُ نَزَالٌ وَقُفَّالٌ^(٣)

والأوصال : جمع وصل ، وهو العضو ؛ والشيزى : خشب أسود تعمل منه الجفان -
القصاع - يقول : لو اشتئت أضيافه لجه لما يغل به عليهم ولأتام وشيكا ، قطع من لحمه
حرصاً منه على مسرتهم . قال العكبرى : وهذا من الإفراط الذى يجسر فيه بما لا يكون
إشارة إلى استيفاء الغاية فيما يمكن .

(١) الرزء : المصيبة وحفره واحتفره : دفعه من خلفه يحفره حفراً ، قال الراجز :
تَرِيحَ بَعْدَ النَّفْسِ الْمَحْفُوزِ إِرَاحَةً الْجَدَايَةِ النَّفُوزِ^(١)
يقول : إن المصيبة عنده فى المال والولد هى ارتحال الأضياف من داره أى أنه يناله
من ذلك ما ينال من يرزأ فى ماله وولده .

(٢) الصدى : العطش . وكان الوجه أن يقول فضلات - بفتح الضاد - ولكنه
سكنها للضرورة . والمحض من اللبن : الخالص الذى لم يشب بماء ؛ واللحاق : جمع
لقحة ؛ وهى الناقة الحلوب ؛ ومحض اللقاح : فاعل يروى . وأراد صافى اللون : الحمر
والسلسال : الذى يسهل جريه فى الحلق . يقول : إنه يكثر لهم من اللبن والحمر فيفضل
عنهم ما يروى الأرض من سؤر أقداحهم الذى يراق ، وقال ابن جنى : إذا انصرف
أضيافه أراق بقايا ما شربوه ولم يدخره لغيرهم . لأنه يلتقى كل وارد بقرى جديد من
اللبن والحمر . وعبارة ابن الأقلبي : يروى عطش الأرض بفضلات ما يسقيه أضيافه من
اللبن والحمر وما يتابع لهم من الأطاف والبر ، فيفضل عنهم من ذلك ما يقوم للأرض
مقام السقى . وما يحل لها يحمل المطر ، وهذا التفسير وما ذهبنا إليه قريب من قريب ،
وهو أوجه مما ذهب إليه ابن جنى .

(٣) تقرى : تضيف ؛ وصوارمه : سيوفه ؛ والغبط والعبيط : الطرى من الدم ،
والساع : جمع ساعة . ونزال وقفال : الاضياف - منهم من ينزل ، ومنهم من يرحل .

(١) يريد بالنفس المحفوظ : النفس الشديد المتتابع كأنه يحفز : أى يدفع والجداية :
الظبية ؛ ونفز الظبي : جمع قوائمه ثم وثب .

تَجْرَى النُّفُوسُ حَوَالِيَهُ مُحَلِّطَةً مِنْهَا عُودَةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالٌ^(١)
لَا يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلُهُ وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الْأَطْفَالُ^(٢)
أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ خُبَّةٌ وَالْبَيْضُ هَادِيَةٌ وَالشَّمْرُ ضَلَالٌ^(٣)

قال الواحدى : كل ساعة تأتى عليه يحدد فيها ذبحها ، كأن الساعات تزال ينزلون عليه ؛
وقال : رجوعا من سفر : يعنى أنه لا يطعم أضيافه اللحم القرب ، بل يحدد لهم الدجج
والنحر كل ساعة فيجربى دما عبيطا ؛ وقال ابن جنى : يقول هو كل ساعة يريق دما
طريا من أعدائه ، فكأنه يقرى الساعات ، وكأنها قوم ينزلون عليه . فجعل ابن جنى
الدم العبيط من الأعداء .

(١) أراد بالنفوس : الدماء قال السموءل بن عاديا .

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نَفُوسُنَا وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ^(١)
وأغنام : جمع غنم ؛ وآبال : جمع إبل . يقول : تجرى الدماء حوله مختلطة دماء
الأعداء بدماء الدبائح للأضياف ، كما قال البحرى :

مَا انْفَلَكَ مُنْتَضِعًا سَنَفَى وَغَى وَقَرَى عَلَى الْكُوَاهِلِ تَدَمَّى وَالْعَرَاقِبِ
(٢) نائله : عطاء . والأطفال : تصغير أطفال يصف عموم بره ، وأن القريب
والبعيد فيه سواء ، حتى الأطفال التى لا تقدر على النهوض إليه والتعرض لمعرفه ،
فبره يصل إلى كل أحد .

(٣) الأقران جمع قرن ، وهم الأكفاء فى الحرب . والبيض : السيوف . والظبة :
حد السيف . وهادية - من هدى اللازم - أى مهتدية . والسمر : الرماح . يقول :
إذا التقى الجيشان جيشه وجيش عدوه ، وتدانى الفريقان فأصبحت السيوف هادية -
لأنها تمضى قدما على استواء - والرماح ضالة لأنها تذهب يمينا وشمالا فى الطعن ، وهو
الطعن الشزر . فهو أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ سَيْفًا فى أقرانه . وقال العسبرى : أراد أن القوم
إذا دنا بعضهم من بعض تجادلوا بالسيوف ، فكأن الرماح ضالة فى الرجال ، فقصرت
الرماح وضلت عن مقاصدها ، وضاق المجال عن التطاعن بها ، وصار الامر إلى المجادلة

(١) من أبياته التى يقول فى مطلعها :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَذْنُسْ مِنَ اللَّوْمِ عَرْضُهُ فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ
والظبة : جمع ظبة ؛ حد السيف والسنان والنصل والخنجر ، وما أحبه ذلك .

يُرِيكَ نَجَبَهُ أَضْمَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرَّجَالِ وَفِيهَا الْمَاءُ وَالْآلُ^(١)
وَقَدْ يُلْقِيهِ الْمَجْنُونُ حَاسِدَهُ إِذَا اخْتَلَطَنَ وَبَغَضَ الْعَقْلُ عُقَالَ^(٢)
يَرْمِي بِهَا الْجَيْشَ لَا بُدَّ لَهُ لَهَا مِنْ شَقِّهِ وَلَوْ أَنَّ الْجَيْشَ أَجْبَالَ^(٣)

بالسيوف فصارت السيوف هادية مبصرة ، والرماح ضالة مقصرة ، حينئذ يكون أمضى الفريقين .

(١) الآل : السراب . يقول : إذا اخترته رأيته يرمي أضغافاً على ما أراك منظره . ثم قال : وفي الرجال الماء والآل : يعنى فى الرجال من هو كالماء أى رجل على حق الرجال وفيهم من هو كالآل : أى يشبه الرجال بصورته ، وليس عنده ما عندهم من المعاني ، كالآل ، يشبه الماء وليس بماء .

(٢) اختلطن : أى البيض والسمر . والعقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها يمنعها من اللبس . يقول : إذا اختلطت السيوف والرماح لدى الحرب لقبه حاسده بالمجنون حسداً له على فرط شجاعته التى تشبه الجنون ، والعقل ليس فى كل وقت محموداً ، لأنه فى مثل هذه الحال يمنع من الإقدام ، فيكون لصاحبه كالعقال قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا ، وقال العكبرى : كان « فانتك » يلقب بالمجنون ، ففسره أبو الطيب تفسيراً أذهب قبحه وحسن عند النكر له أن يلقب بمثله . وقد نظر فى لفظ البيت إلى قول أبى تمام :

رَأَى بَيْنَ حَيْطَانَا عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَوْلَيْكَ عُقَالَاتُهُ لَا مَعْلَقَهُ^(١)
وفى معناه إلى قول الكلابى :

أَلَا أَيُّهَا الْمُغْتَابُ عَرِصِي تَعْمِينِي تَسْمِينِي الْمَجْنُونُ فِي الْجِدِّ وَاللَّعْبِ
أَنَا الرَّجُلُ الْمَجْنُونُ وَالرَّجُلُ الَّذِي بِهِ تُتَقَى يَوْمَ الْوَعْدِ غِرَّةُ الْحَرْبِ

(٣) يقول : يرمى الجيش الذى يناسبه بالبيض - السيوف - ولا بد له وتلك السيوف من شق ذلك الجيش ، ولو كان فى القوة والثبات كالجبال ، فالضمير فى « بها »

(١) عقالاته : قيوده . وقبل البيت :

إِذَا مَارَقْتُ بِالْقَدْرِ حَاوِلَ غَدْرَةٍ فَذَاكَ حَرِيٌّ أَنْ تُثِيمَ حِلَالَتَهُ
فَإِنْ بَاشَرَ الْأَمْحَارَ فَالْبَيْضَ وَالْقَنَا قَرَاهُ وَأَحْوَاضَ الْمَنَاسِيَا مَنَاهَا

إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمْ حِلْمٌ وَرِثَالٌ^(١)
يُرْوَعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرَفُهُ أَبَدًا
مُجَاهِرٌ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَفْتَالٌ^(٢)
أَنَالَهُ الشَّرَفَ الْأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي يَتَوَقَّى مَا أَنَّى نَالُوا^(٣)
إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حَلِيقَتُهُ مُهَنْدٌ وَأَصْمُ الْكُفْبِ عَسَالٌ^(٤)

البيض ، قال بعض الشراح : الضمير للخيل ، وقوله : لا بد بالرفع على إعمال « لا » عمل « ليس »

(١) نشبت : علفت ؛ والمخالب ، للسبع والطير : بمنزلة الظفر للانسان ، أثبت له المخالب على إضمار تشبيهه بالأسد والحلم : الأناة والعقل . والريثال : الأسد . قال الواحدى : هذا كأنه عذر للذى يلقيه بالمجنون من أعدائه ، لأنهم يرونه كالأسد فى الشجاعة والأسد لا يوصف بالحلم . كذلك هذا المدوح : يبعد عنه الحلم إذا قاتل الأعداء . يقول : هو أسد على أعدائه إذا أنشبت فيه مخالبه زايله الحلم . لأن الحلم والأسد لا يجتمعان ، وقال ابن القطاع : إذا أنشب مخالبه فى قوم ذهب عنهم التدبير والشجاعة . (٢) يروعهم : يفرعهم ؛ ومنه : تجريد ؛ وصروف الدهر : حدثانه ؛ والاعتغال الإهلاك على غفلة . يقول : هذا المدوح دهر يقول الأعداء ، إلا أنه يغولهم جهاراً ، أما الدهر فإنه يقتال بصروفه ولا يؤذن بخطوبه ، وجعله كالدهر تعظيماً لشأنه ، ثم بالغ وفضله على الدهر .

(٣) « ما » : خبر مقدم عن « الذى » ؛ ونالوا : الضمير للعدى ؛ والجملة صلة « الذى » يقول : هو يجرأته وإقدامه واقتحامه الحروب والمهالك نال الشرف الأعلى ، فما الذى نال أعداؤه بإحجامهم وتوقيهم ما يأتبه من المخاوف والأهوال ؟

(٤) المهند : السيف الهندى القاطع . وأصم الكعب : الرمح ؛ والأصم : الصلب ؛ والكعب : الناشز بين أنبوي الرمح . والعسال : المهتز المضطرب . يقول : إذا تزينت للوك بالتيجان ونحوها زين هو بالسيف والرمح . يعنى أنه احتاز الرياسة مغالبة بنفسه واستحقها بشجاعته وإقدامه . هذا . و« حليته » تروى بالنصب على أنه خبر كان ، و« مهند » اسمها ، وهو وإن كان نكرة إلا أنه عطف عليه ، فكأنه أراد وصفه ، فقربه من المجرفة ، وتروى « حليته » ، بالرفع ، فتكون مبتدأ . خبرها ما بعدها . والجملة خبر كان ، واسمها ضمير الشأن أو ضمير المدوح .

أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةٌ هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنْ التَّهْجَاءِ أَهْوَالٌ^(١)
تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِفَتْخِيرٍ فِي الْحَمْدِ حَالٌ وَلَا مِيمٌ وَلَا دَالٌ^(٢)
عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَائِيلُ مُضَاعَفَةٌ وَقَدْ كَفَّاهُ مِنَ الْمَآذِي سِرْبَالٌ^(٣)
وَكَيْفَ اسْتَرُمَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ وَقَدْ غَمَرَتْ نَوَالًا أَيُّهَا النَّالُ^(٤)
لَطَفْتَ رَأْيِكَ فِي بَرِّى وَتَكَرَّمَتِي إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْقُلِيَاءِ يَحْتَالُ^(٥)
حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلْأَخْبَارِ تَجْوَالُ وَلِلْكَوَاكِبِ فِي كَفْنِكَ آمَالُ^(٦)

(١) أبو شجاع . كنية المدوح ، وهو خبر عن هذوف . أى هو أبو شجاع وأبو الشجمان . بدل وقاطبة . جميعا ، والمهول . ما أخاف وأفزح وهو خبر آخر ونمته . غزته وربته أو نسب إليها ، يقال . نساء جد كريم ونمته إلى فلان . والتهجاء . الحرب يقول . هو أبو شجاع كنية ، وهو أبو الشجمان كلهم حقيقة لأنهم كلهم دونه ، وهو هول عند الحرب في أعين الأعداء . ونمته أهوال الحرب لأنه نشأ فيها فصارت له كالغذاء ، أو قد صار ينسب إليها ويعرف بها .

(٢) يقول : إن الحمد كله له وليس لغيره جزء منه . يعنى أنه المحمود في أفعاله وأقواله وليس محمد دونه أحد .

(٣) السربال : الثوب ؛ والمآذى : الدرع اللينة . يقول : يكفيه في الحرب سربال واحد من الدرع ، أما الحمد فعليه منه سرايل كثيرة : يعنى أنه يتوقى الدم بأكثر مما يتوقى الحرب .

(٤) أوليت : أعطيت ؛ والنوال : العطاء ، وهو تمييز . والنال : للرجل الكثير النوال ، وهذا كما يقال : كبش صاف : أى كثير الصوف ، ويوم طيان : أى كثير الطين ويوم راح : كثير الريح ؛ ورجل خاف : كثير الخوف . يقول : أستطيع أن أستر إحسانك وقد غرقني فيه : أى هو أشهر من أن يستتر .

(٥) يقول : توصلت إلى إكرامى بالبر والإحسان بلطف وتديير ورأى تحصيلاً لثنائى عليك ؛ وكذلك الكريم : يحتال على تحصيل ما يفيد شرفاً وذكراً ، يشير إلى ما وصله به «فانك» وأنه كان وسيلة لاستئذان كافور في مدحه ، لأن أبا الطيب لم يكن يحسر أن يمدحه ابتداء خوفاً من كافور .

(٦) غدوت - هنا - تامة ، والتجوال : مصدر بمعنى الجولان . يقول : لم تزا

وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِي طَوْلُ لَا يَسِيْدُ إِنْ الشَّاءَ عَلَى التَّنْبَالِ تَنْبَالٌ^(١)
 إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِي بَشَرٍ
 فَإِنْ قَدَّرَكَ فِي الْأَقْدَارِ يَخْتَالَ^(٢)
 كَأَنَّ نَفْسَكَ لَا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلَّا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالٌ^(٣)
 وَلَا تُمَدِّدُ صَوَانَا لِمُهْجَتِهَا إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا فِي الرُّوْعِ بَذَالٌ^(٤)
 وَلَا التَّمَشُّقُ سَادَ النَّاسِ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ^(٥)

يختال على العلياء حتى غدت والأخبار تهول في الآفاق بحسن ذكرك والثناء عليك ،
 وصار لكل أحد أمل في كفيك حتى السكواكب تأملك .

(١) التنبال : القصير ، وجمه تنابل وتنابلة ، لما جعل الثناء لباساً للمدح : عبر
 عن طول معانيه بطول المدح وعن قصرها بقصره . يقول : إنما طال ثنائي لطول
 ما يتضمنه من وصف مناقب للمدح . وعبرة الواحدى يقول : مدح العريف يشرف
 الشعر ، ومدح اللئيم يؤدي إلى لؤم الشعر ، يعنى أن شعري قد شرف بشرف هذا
 المدح . وزاد على ذلك العكبري فقال : أى قد طال لسانى بالثناء ، وفتح لى باب
 المدح والإطراء ، جلالة قدر من مدحته ، وكثرة فضائل من وصفته ، وإنما أنا فى
 ذلك ذاكر لما عاينت والثناء إنما يقصر عن القصير الحال ، الراغب عن الكرم والإفضال
 (٢) اختال الرجل : أدركه الزهو والعجب فشى الخيلاء . يختال وقوله أن تختال
 أى عن أن تختال تخذف . يقول : إن كنت لكرمك وتواضعك وفضلك ترفع عن
 عن الكبر والعجب بين الناس ، فإن قدرك يختال ويزهى بين أقدار الناس ، لأنك
 أعظم قدراً من كل أحد .

(٣) المفضال : الكثير الفضل . يقول : لما جبلت عليه من الكرم وعلو الهمة
 كانت نفسك كأنها لا ترضاك صاحباً لها حتى تفضل كل مفضال وترى عليهم .

(٤) المهجة : دم القلب . والروغ : الفزع . والبذال : مبالغة من البذل ، ضد
 الصيانة . يقول : وكأن نفسك لا تمدك قائماً بحق صيانتها حتى تبذلها وتهود بها فى
 الروغ فتقتحم المهالك ، وتعرض لمواجهة الحروب والتألف .

(٥) يقول : لولا أن فى السيادة مشقة لصار الناس كلهم سادة ، ثم بين المشقة التى
 ، السيادة ، فقال : من جاد افتقر ، ومن أقدم على الحرب قتل ، ولا سيادة دون

وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَا كُلُّ مَا شِئَ بِالرَّحْلِ شِمْلَالٌ^(١)
 إِنَّا لَنِي زَمَنُ تَرْكُ الْقَيْحِ ۖ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالٌ^(٢)
 ذِكْرُ الْفَتَى غُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَتُهُ مَا قَاتَهُ وَفَضُولُ الْقَيْشِ أَشْقَالٌ^(٣)

الجود والشجاعة . والبيت مفرع على البيتين السابقين - كما لا يخفى - وهو من قول منصور النمرى :

الجودُ أَخْشَنُ مَسَايِفِي مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبْرُ كُمُوهُ كَفُّ مُسْتَلَبٍ
 مَا أَعْلَمُ النَّاسَ أَنَّ الْجُودَ مَكْسَبَةٌ لِلْمَجْدِ لَكِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّسَبِ

(١) الطاقة : اسم - من أطاقه : إذا قدر عليه - والشملال : الناقة القوية الخفيفة المتى السريعة . يعتذر عمن لم يسد من الناس . يقول كل إنسان يجرى في السيادة على على قدر طاقته ، فليس كل أحد أهلاً للاضطلام بأعباء السيادة حتى يستطيع أن يسود . ويبلغ مبلغ المدوح ، كما أنه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .

(٢) يقول : من يتجنب معك القبح ولا يعاملك به في هذا الزمان فقد أحسن إليك وفعل جميلاً ، اكثرة من يعاملك بالقبيح ، وقد أخذ هذا المعنى أبو فراس فقال .

وَصَرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُحْسِنٌ وَأَنَّ خَلِيلًا لَا يَضُرُّ وَصُولُ

وقال العكبرى : وهذا من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتسكن فضائله ترك الرذائل » .

(٣) يقول : إذا ذكر الإنسان بعد موته كان ذلك حياة ثانية له ، و احتاج إليه في دنياه قدر القوت ، وما فضل عن القوت فهو شغل له لا حقل به ولا غناء فيه ، كما قال سالم بن وابصة :

غَنَى النَّفْسُ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغَنَى فَقَرَا

قال ابن جني : مثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز أنه رأى يستقي ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال إنما فقدنا الفضول ..

ثم - بحون الله - الجزء الثالث ؛ يليه إن شاء الله - الجزء الرابع

فهرست

قوافى الجزء الثالث من شرح ديوان المتنبي

صفحة

مطلع القصيدة :

- أركائب الأحباب إن الأدمع . . . اليرما ٣
الحزن يفلق والتجمل يردع . . . طيع ١٢
بأبي من وددته فافترقنا . . . اجتماعا ٢١

قافية الفاء

- موقع الخيل من نذاك طفيف . . . ألوف ٢٢
أهون بطول الثواء والتلف . . . يا أبا دلف ٢٣
لجنية أم غادة رفع السجف . . . شنف ٢٥
به وبمثله شق الصفوف . . . الختوف ٣٥
ومنتسب عندي إلى من أحبه . . . حفيف ٢٥
أعددت للغادرين أسيافا . . . آنافا ٣٦

قافية القاف

- أيدري الدمع أى دم أراقا . . . شاقا ٢٩
لمينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي . . . وما بقي ٤٨
تذكرت ما بين العذيب وبارق . . . السوابق ٦٥
أرق على أرق ومثل يأرق . . . تترقق ٧٣
أى محل أرتقى . . . أتمى ٨١
هو البين حتى ما تأتى الخزائق . . . أطارق ٨٢
وجدت للدامة غلاية . . . أشواقه ٩٠
وذات غدائر لا عيب فيها . . . للصناق ١١
سقانى الحمر قولك لى بحقى . . . بمذق ٩١

صفحة

مطلع القصيدة .

٩٢

ما الدروج الخضر والحدائق ... العوائق

٩٨

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم ... الحمق

١٠١

أتراها لكثرة العشاق ... في المآق

١١١

لام أناس أبا العشائر في ... والورق

قافية الكاف

١١٣

رب نجيع بسيف الدولة انفسكا ... ملكا

١١٣

إن هذا الشعر في الشعر ملك ... فلك

١١٥

أما ترى ما أراه أيها الملك ... حبك

١١٥

بكيت ياربسع حتى كدت أبكيكا ... مغانيكا

١٢٠

تهنا بصور أم نهننها بكا ... لك

١٢١

لم تر من نادمت إلا كا ... ذاكا

١٢٢

يا أيها الملك الذي ندماؤه ... لا ملكه

١٢٢

قد بلغت الذي أردت من البر ... عليك

١٢٢

لئن كان أحسن في وصفها ... لك

١٢٣

فدى لك من يقصر عن مداكا ... فداكا

قافية اللام

١٣٦

رويدك أيها الملك الجليل ... تنيل

١٤٠

نعد المشرفة والعوالي ... قتال

١٥٢

إلام طماعية العاذل ... للعاقل

١٦٣

أعلى الممالك ما يبني على الأسل ... كالتقبل

١٧٠

بنا . نك فوق الرمل ما بك في الرمل ... يلى

١٧٩

لا الحلم جاد به ولا بمثاله ... وزياه

١٩٠

يؤم ذا السيف آماله ... أفضاله

١٩١

أيقده في الحيمة العذل ... يشمل

١٩٨

أجاب دمعى وما الداعى سوى طلل ... والأبل

٢١٢

أقل أنل إن صن احمل على سل أعد ... صل

صفحة

مطلع القصيدة :

٢١٢	عش ابق اسم سد قد جد مرانه رف اسرئل .
٢١٣	شديد البعد من شرب الشمول ... النخيل
٢١٤	أتيت بمنطق العرب الأصيل ... قيلي
٢١٥	لقيت العفاة بأمالها ... بأجالها
٢١٦	وصفت لنا ولم نره سلاحا ... التزال
٢١٧	ليالى بعد الظاهنين شكول ... طويل
٢٣٢	إن كنت عن خير الأنام سائلا ... فضاللا
٢٣٢	دروع لك الروم هذى الرسائل ... ويشاغل
٢٤٢	إن يكن صبر ذى الرزية فضلا ... الأجل
٢٥٤	ذى المعالي فليعلون من تعالى ... فللا
٢٦٧	مالنا كلنا جو يارسول ... للتبول
٢٧٩	لا تحسن الوفرة حق ترى ... القتال
٢٨٠	عجب قياى ما لذككم النصل ... القتل
٢٨٢	أحيا وأيسر ما قاسيت ماقتلا ... عدلا
٢٩٠	قد شغل الناس كثرة الأمل ... شغل
٢٩١	قفا تريا ودق فهانا الهائل ... قائل
٢٩٥	أحببت برك إذ أردت رجلا ... قليلا
٢٩٦	عزب أسى من داؤه الحدق النجل ... قبل
٣٠٩	صلة المجر لى وهجر الوصال .. الهلال
٣١٧	ومنزل ليس لنا بمنزل ... المطل
٣٢٥	أبعد نأى للليجة البخل ... الإبل
٣٢٧	بقائى شاء ليس هم ارتحالا ... الجمالا
٣٤٩	فى الحد إن عزم الخليط رجلا ... محولا
٣٦٢	أرى حلا مطواة حسنا ... اعتلالى
٣٤٦	عذلت منادمة الأمير عواذلى ... السائل
٣٦٥	بدر فنى لو كان من سؤاله ... ماله
٣٦٦	قد أبت بالحاجة مقضية .. تطويلها

مطلع القصيدة :

صفحة

٣٦٦

لك يا منازل في القلوب منازل ... أو اهل

٣٧٨

أمانكم من قبل موتكم الجهل ... النمل

٣٨٠

يا أكرم الناس في الفعال ... اللقال

٣٨٠

أنا في كلام الجاهل ابن كيف لا ... وسهولا

٣٨١

لا تحسبوا ربكم ولا طلقه ... قتله

٣٩٢

أنحلف لا تكلفى مسيراً ... مالا

٣٩٤

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... الحال

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبْطِ وَالِاسْتِيعَابِ، بَحْثَ تَلَاوُثِ
فِي هَذَا الشَّحِّ بِجَمِيعِ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُفِيدًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

الجزء الرابع

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح أبا الفوارس دليز بن لشكروز سنة ثلاث وخسين وثلاثمائة ،
 وكان قد جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب ،
 وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دليز إليها :
 كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدِي صِحَّةَ الْمُقْلِ ،

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْرَى بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ^(١)
 لَهْنِكَ أَوْلَى لَا تَعْمِ بِمَلَامَةٍ ، وَأُخْوَجُ يَمِّنَ تَفْذِلِينَ إِلَى الْعَذْلِ^(٢)
 تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِثْلَكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ بَجْدِي مِثْلِي^(٣)
 مُحِبٌّ كَفَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ^(٤)
 وَبِالشَّمْرِ عَنْ شَمْرِ الْقَيْسِ غَيْرِ أَتْنِي جَنَاهَا أَجْبَائِي وَأَطْرَافُهَا رُسُلِي^(٥)

(١) يقول - للعاذلة - : كل أحد يدعي لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعني أنك بلومك إياي تدعين أنك أصح عقلا مني ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء لئلا يجتمع حرفان للتوكيد في الصورة . يقول : أنت أولى باللوم وأخوج إلى العذل مني ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) مثلك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لها : إن وجدت لمحبوبي مثلا في الحسن وجدت لي مثلا في العشق : يعني كما أن محبوبي لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلي .

(٤) عجب خبر عن محذوف ضمير التكلم . والبيض : النساء . والمرهفات : السيوف . والضمير في « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا عجب أحشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيت به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكنى كذلك بالسمر عن الرماح السمر . ويعني بجناها ما يجتني منها من للمعالي التي يرتقى إليها بالحوالي . يقول : فالمعالي هي أجباي ورسل التي تترى - بيني وبينها : هي الأسنة - الرماح - يريد : أني أخطب للمعالي بالرماح .

عَدِمْتُ فَوَادًا لَمْ تَبْتَ فِيهِ فَضْلَةٌ لَغَيْرِ الثَّنَايَا الْغُرِّ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ^(١)
فَمَا حَرَمْتَ حَسَنَاهُ بِالْمَجْرِ غِبْطَةً ، وَلَا بَلَقْتَهَا مِنْ شَكَى الْمَجْرِ بِالْوَصْلِ^(٢)
ذَرِينِي أَنْزِلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَنَبُ الْعُلَى فِي الصَّنَبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ^(٣)
تُرِيدِينَ لِقْيَانَ الْمَعَالَى رَخِيصَةً ، وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ لَبْرِ النَّحْلِ^(٤)

(١) الثنايا : الأسنان التي في مقدم الفم . والغر : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو على قلب يميل إلى الحسان بالعدم - فقد - يقول : لا كان لي قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف في أجلها وأكرمها .
(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم للهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هي في كسب للمعالي ونيل المجد والشرف لا في نيل اللذات ومواصلة الغايات . فالهاء في « بلقتها » : مفعول أول بلغت ، وهي عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق بيلغها ؛ ومن شكى المجر هو العاشق : أي وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزي : نهى عن الحرص في طلب النساء . يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقعا عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها المجر وتذلل لها هنت في عينها ؛ فجرمتك وصلها فضلا عن تبليخك الغبطة .

(٣) يقول - للعاذلة - : دعيني أنزل من العلى ما لم ينل قبلي ، فإن العلى الصعبة الشاقة - وهي التي لم يبلغها أحد - في الأمر الصعب الذي لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعني لا يدرك من المعالي ما تجلي قيمته إلا بتسكف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فيحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد - بفتح الشين وضمها - العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول - للعاذلة - : تريدن أن أدرك المعالي رخيصة - أي دون أن أبذل فيها نفسي وأعرضها للأهوال - والمعالي لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتابي :

حَذِرْتُ عَلَيْنَا الْمَوْتَ وَالْخُلَيْلُ تَلْتَقِي ، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيْ عَاقِبَةٍ تُجَلِي ^(١)
 فَلَسْتُ غَيْبِنَا لَوْ شَرِيتُ مَنِيَّتِي يَا كَرَامَ دَلِيزِ بْنِ لَشَكْرَ وَزَّي ^(٢)
 ثَمَرُ الْأُنَابِيدِ الْخُوطِاطِرُ يَدْنُنَا ، وَنَذْكَرُ إِقْبَالَ الْأَمِيرِ فَتَحَلَّوْا لِي ^(٣)

وإن جسيمات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود ^(١)
 هذا : وقال الواحدى : قرئ على النبي لقمان - بضم اللام - وكذلك أملاه ،
 وهو خطأ ؛ والصواب : الكسر . ذكره سيويه : وقال : هو مثل عرفان وغشيان
 وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك .

(١) والخليل تلتقى : يروى والخليل تدعى : يريد أصحاب الخيل ؛ والجملة حالية ؛
 والادعاء في الحرب : الاعتزاء والانتساب - وهو أن يقول : أنا فلان ابن فلان :
 وتجلى : تنفرج وتكشف ، يقال أجلت المركبة عن كذا قتيلًا : يقول : تخافين
 علينا الموت عند التعام العرب وتبارز الفرسان ولم تعلمي عن أى طاقبة تنفرج الخيل :
 أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو ؟ قال العكبري : يشير إلى الموقعة التي
 شهداها في الكوفة مع الخارجى قبل وصول هذا المدوح إليها .

(٢) الغبين - - الغبون - فمیل بمعنى مفعول : كقتيل بمعنى مقتول من غبته في
 البيع والشراء : خدعه وغلبه ، وشريت ههنا : ابتعت ، وروى شربت ، « ودلير »
 و « لشكروز » : قال الواحدى . اسمان أعجميان من أسماء الديلم : ومعناها : الشجاع
 والسعود ، وقال البازجى : « لشكروز » مركب من « لشكر » وهو الجيش
 و « واواز » وهو الصوت : أى صوت الجيش . يقول : وطى فرض أن الدائرة
 كانت علينا ، وكنت أنا من جملة الهلكى : لم أعد ذلك غبنا على ، وإنما أعده رجحاً
 مقابل ما حصلت عليه لنفسي من إكرام هذا المدوح .

(٣) أمر الشيء يمر إمراً : صار مرأ ، ويقال مريم - بفتح الميم - وضجها -
 والأنابيب : جمع أنبوب ، وهو ما بين كل كعبين : والمراد هنا : الرماح أنفسها وخطر
 الريح اهتز ؛ و « تحلولى » تصير حلوة . يقول : إن الرماح الحاضرة بيننا وبين أعدائنا
 تصير مرة علينا ، يعنى أن الحرب شديدة للراة . فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة
 لنا ، لأننا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله . هذا : وقد عاب قوم عليه قوله « فتحلولى » مع
 قوله « تجلى » وقالوا : كيف جمع بينهما فى القافية ولا صحة للواو ؟ قال الواحدى : وليس الأمر كذلك

(١) الأساود : الحيات

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والمين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعي^(١)

يَرْبُّ سَدَّدَنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدَنِي لِنَفْسِي
* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

(١) الكسعي : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حى من اليمن رماة ، أو من بني ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به المثل في الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبله في واديه حمض وشوحط فلما ربه نبعة حتى اتخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط ثابتا في صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يَرْبُّ سَدَّدَنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِنْ لَدَنِي لِنَفْسِي

* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

أُنْحَتُ صَفَرَاءُ كُلُّونِ الْوَرَسِ كَبْدَاءُ لَيْسَتْ كَالْقِسِيِّ النَّكْسِ
حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هَنَّ رَبِّي أَسْهُمُ حِسَانُ يَلْدُ لِلرَّمِي بِهِ الْبَنَانُ

كأنا قوسها ميزان فأبشروا بالخصب يا صبيان

إِنْ لَمْ يُعْقِنِي الشَّوْمُ وَالْحَرَمَانُ

ثم خرج ليلا إلى قنطرة له - القنطرة : بيت الصائد - على موارد حمر الوحش ؛ فرمى غيراً منها ، فألقاه . وأورى السهم في الصوانة نارا ، فظن أنه أخطأ فقال :

أَعُوذُ بِالْمُهَيْمِنِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَ الْحَرَمَانِ

مَالِي رَأَيْتُ السَّهْمَ فِي الصَّوَانِ *

وقد قال البحرى

* إن سِرَّ الخليطِ حين استَقلا *

ثم قال فى هذه القصيدة :

كُنْتُ من بين البرايا به أحق وأولى *

وقل ابن جنى : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو فى « تحلولى » ردف لأنها ما كنة قبل حرف الروى . وليس فى هذه القصيدة قافية مرفعة غير هذه ، وهذا عيب عندهم ، يد أنه جاء فى الشعر القديم :

إذا كنت فى حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصو

يُورى شَرَارَ النارِ كالعِقيانِ أخلفَ ظَنِّي ورجَا الصبيانِ

ثم وردت الحمر ثانية فرمى غيرها منها فكان كالمضى من رمية فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القَدَرِ لا بارك الرحمن فى أمِّ القُتَرِ

أَمِطُ السهمَ لإرهاقِ الضرِّ أم ذاك من سوءِ احتمالٍ ونظرِ

* أم ليسَ يُعنى حَذَرٌ عندَ قَدَرٍ *

« المغط والإمقاط : سرعة النزاع بالسهم » ثم وردت الحمر ثالثة ؛ فكان كما مضى

من رمية فقال :

إنى لشؤمى وشقائى ونكدٌ قد شَفَّ منى ما أرى حرَّ الكيدِ

أخلفَ ما أرجو لأهلى وولَدَ *

ثم وردت الحمر رابعة ؛ فكان كما مضى من رمية الأول فقال :

ما بالُ سهمى يُظهرُ الحُجابِبا قد كنت أرجو أن يكون صائبًا

إذ أمكن العيرُ وأبْدَى جانبًا فصار رأبى فيه رأيا كاذبا

ثم وردت الحمر خامسة ؛ فكان كما مضى من رمية ، فقال :

أبعدَ خَسٍ قد حفظتُ عَدها أَجِلُ قوسى وأريدُ رَدها

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي أَنَّهُ سَبَّ لَهُ لَزَادَ سُورِي بِالزِّيَادَةِ فِي الْقَتْلِ^(١)

وإن بَابُ أمر عليك التوى فشاور ليبيًا ولا تعصب^(١)

(١) يقول : لو كنت أعلم علما ليس بالظن أن هذه الفتنة التي دعت إلى إعمال الرماح تكون سببا لمجيء المدوح إلينا والتخلي بقربه : ل زاد سروري بزيادة الفتنة وكثرة القتل . قال المبكرى : يشير إلى الوصية التي جرت بالكوفة ولم يشهدها المدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة .

أَخْزَى إِلَهِي لِيْنَهَا وَشَدَّهَا ، وَاللَّهِ لَا تَسْلَمُ عِنْدِي بَعْدَهَا
* وَلَا أَرْجَى مَا حَيَّيْتُ رَفْدَهَا *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضر بها حتى كسرهما ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبلة مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله مض إبهامه فقطعها ، ثم أنشأ يقول :

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تَطَاوَعَنِي إِذَا كَبَّرْتُ خُصْمِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَمَمَرُ اللَّهِ حِينَ كَسَرْتُ قَوْمِي
(١) وبعدها :

وَلَا تَنْطِقِ الدَّهْرَ فِي مَجْلَسِ حَدِيثًا إِذَا بَأْتِ لَمْ تُحْصِهِ
وَنُصْرُ الْحَدِيثِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي نَصِّهِ
وَلِنْ نَاصِحٌ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ، فَلَا تَنَأْ عَنْهُ وَلَا تُقْصِصْهُ
وَكَمْ مِنْ فَتَى شَاخِصٍ عَقْلُهُ ، وَقَدْ تَعَجَّبَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِهِ
وَأَخَّرَ تَحْسِبُهُ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ
وهي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفعه وأسنده ، والوثيقة في الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، وفص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فصي : يعنى من مخرجه الذى قد خرج منه .

فَلَا عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً دَعَتْكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْحِلِّ (١)
 ظَلَلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نَصُورَنَا نُجَرَّدُ ذِكْرًا مِنْكَ أَمْضَى مِنَ الْهَضَلِ (٢)
 وَتَرَمَى نَوَاصِيهَا مِنْ أَمِّكَ فِي الْوَعَى بِأَنْفَذَ مِنْ نُشَابِنَا وَمِنْ النَّبْلِ (٣)
 فَإِنْ تَكَ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءُ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ (٤)

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالاً . والخوف : يروى البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والحل : الجذب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سبباً لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك والجذب بمجود راحتك :

(٢) أنبى : جعلها نارية لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون تفاذها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فنفتت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ .

(٣) الضمير في « نواصيها » لحيل الأعداء . وإن لم يجر لها ذكر . وسكن الياء في « نواصيها » للضرورة . والوعى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا مئناك في الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن أَمِّكَ سهام تقع في وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أتيتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمنهم بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لأنحن . وجعل « قبلاً » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغَ لِي الشَّرَابُ وَكَفْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْحَمِيمِ (١)

(١) هو ليزيد بن الصق ، وقبلة :

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَعْتُ فِيكُمْ قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغَ لِي الشَّرَابُ « البيت »

وأغص : مضارع غصصت بالطعام غصصاً - من باب تعب - والنصة : ما غصص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم يلمعهما ، والحميم ، الماء الحار - وليس بمراد - بمن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازَلْتُ أَطْوَى الْقَلْبَ قَبْلَ أَجْتِمَاعِنَا عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالشُّبْلِ (١)
وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبٍ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ (٢)
وَحَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بَوَخْشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَغَبَهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَنْفِي (٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِي الْفَضْلِ شِرْكَةً

فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ (٤)
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ (٥)

(١) السنايك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت ألتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة . فهمى حاجة بين سنايك الحيل والطرق .

(٢) الجياد : الحيل ؛ ويؤثرن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التي لا توجد في غيرها ، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلاً للمجد وعليا المراتب .

(٣) خيل : عطف على « نفس » ؛ والرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بخيل سابقة طاردة للوحوش ، لا ترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذا امررتنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا الرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الخيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تسريح وترعى ؛ وهذا من قول امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلِدَانُ أَهْلِنَا تَمَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَيْدُ تَحْطَبُ

(٤) في الفضل : متعلق بشركة . يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق بحيثك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس .

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها في الثانية ، ومثله : أطير واثاقل : والوبل : للطر الغزير . والرأيد : الذي يرسله القوم يطلب لهم السكلا ومسقط الفيث . وقوله رأيد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب الطر كمن مطر وهو في داره ، يريد أنهم بسبب محبته إليهم صاروا كمن مطر يبلده لا يتعنى بنشدان الموضع للمطور ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفواً بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزي : أنت كالسحاب الذي جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبتة فيما بعد من الأماكن البعيدة التي تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدْعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ وَيَحْتَاجُ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ^(١)
أَرَادَتْ كَلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِذَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكَتْ رَغَى الشَّوْهِاتِ وَالْإِبِلِ^(٢)
أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَخَدَهَا
وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبُّ الْخَلِيثَ مِنَ الْأَكْلِ^(٣)

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتاج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذباً في دعواه ، لأن من عاجل الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن المدح لو تأخر عن المجد إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتاج بالشغل ؛ وبما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعِيدٌ عَنِ الْكَسْلَانِ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْمَشْتَاكِ فَهُوَ قَرِيبُ
(٢) كلاب : هي القبيلة الثائرة التي قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلها قبل قدوم هذا الديلمي المدح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام ، والشوّهات جمع شوهة ، تصغير شاة . يقول : إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؟ يعنى أنهم ليسوا أهلاً لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم ، وبأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التي حاولوها . . . هذا : والضب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضب ، مثل كف وأكف ، والأثنى ضبة ، والعرب تستقذر الورل ، وهو دابة على خلقة الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبه فلا تأكله ، وأما الضب فإنهم يحرسون على صيده وأكله ، وفي اللثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله - أولاده - حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفعله حتى يرد الضب للساء لأن الضب لا يشرب الماء ، ومن كلامهم الذي يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : ورداً يا ضب ، فقال :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا * لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرَدَا * إِلَّا عَرَادًا عَرَدًا
وَصِلَّيَانَا بَرَدًا وَعَنْكَثًا مُلْتَبِدًا

« صرداً : أى بارداً ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، ينبت في البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على المبالغة - والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد بارداً ؛ ويروى زرداً : أى سريع الازدرداد ؛ والعنكث ، شجر يشبهه الضب فيسحبه بذنبه حتى يتحات فيأكل اللتحات »

وَقَادَ لَهَا دَلِيزُ كُلِّ طِيَرٍ
وَكُلِّ جَوَادٍ تَلَطَّمُ الْأَرْضَ كَفَّهُ
فَوَلَّتْ تُرْبُغُ الْغَيْثِ وَالْغَيْثُ خَلَّتْ
وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرَّجُلِ

(١) الطمرة : الفرس العالية الوثابة . وتنيف : تشرف . والسحوق : النخلة الطويلة
يقول : قاد هذا المدوح لـكلاب كل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق -
طويلة - قد أشرف خداهما من فوقها ؟ وهذا من قول الآخر :

كَانَ الْجَنَسَمَ لِلرَّائِينَ طُودَ وَهَادِيهَا كَانَ جِذْعُ سَحُوقٍ
هذا : ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وبأسقة ؛ يريدون العلو ، وأنها ممتعة
لا يصل إليها أحد إلا بالتعب ، وأنشدوا :

يَا رَبِّ أَرْسِلْ خَارِفَ الْمَسَاكِينِ عَجَاجَةً سَاطِعَةً الْعَثَانِينَ
* تنفضُ ما في السُّحُوقِ الْمَجَانِينَ *

« يعني بخارف المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رؤوس النخل
وعثنون الريح هيدبها إذا أقبلت تبحر الغبار جرا » .

(٢) الجواد : الفرس الكريم ، وبأغنى : أي بخافر أغنى ، لحذف الحافر للعلم به ؛
والحديد : بيان للنعل . يقول : وقاد لها كل فرس جواد ، قوى الأسر . شديد الخلق
بضرب الأرض بخافر مستغن عن النعل بصلابة خلقته ، كما يستغنى النعل عن النعل .
وسمى حافره كفا : استعارة من الإنسان كما استعير للإنسان الحافر من الفرس في قول
جيبهء الأسدى يصف ضيفا طارقا أسرع إليه :

فَأَبْصَرَ نَارِي وَهِيَ شَقْرَاهُ أَوْقَدَتْ
فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ
يمر به : يستخرج ماعده من الجرى .

(٣) ولت : أدبرت . والضمير : للقبيلة . وترىغ : تطلب . وخلفت : تركت خلفها .
يقول : إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطعمها في الإمارة في أمن ونعمة ، فلما طعمت في الإمارة
وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا - يعني أمنا ونعمة -
أما كان في يدها فاصارت تطلب بأرجلها ما كان في يدها : أي تطلب بهربها وإغذاها - سيرها على

تُحَاذِرُ هَزْلَ الْمَالِ وَفِي ذَلِيلَةٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذَّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ^(١)
وَأَهْدَتْ إِلَيْنَا غَنِيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ
كَرِيْمَ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ^(٢)
تَتَّبِعَ آثَارَ الرِّزَايَا بِمُودِهِ تَتَّبِعَ آثَارَ الْأَسِنَّةِ بِالْقَتْلِ^(٣)

أرجلها - ما كان حاصلًا في أيديها . فدلّت بذلك على جهل وحمق وقل ابن فورجه :
يعنى أنها كانت في غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا
هاريين يطلبون مأمنا وحصنا وقد خلفوا أمنا كان حاصلًا لهم . وقوله تطلب بأرجلها
ما كان في أيديها ، أى تطلب بهربها وعدوها - جريها على أرجلها - ما كان حاصلًا في
أيديها ، والمعنى أنها تطلب ما كان في أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة
متوقفة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أراغ وارتاغ : بمعنى طلب
وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أى ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريد
كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويدبره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(١) المراد بالمال - هبنا - المواشى . والهزل - بفتح الهاء وضمة - الهزال : ضد
السمن . وقد هزل الرجل والدابة - على ما لم يسم فاعله - وهزل هو هزلا وهزلا ،
وهزلته أنا أهزله هزلا فهو مهزول ، وأهزل القوم : أى أصابت مواشهم سنة - جذب -
فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشهم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم
من الدل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعنى المدوح والسجايا :
الخلائق والطبايع يقول : أهدت إلينا كلاب - بتمردّها وعصيانها - من المدوح كريم
السجايا يسبق - فى الإحسان - فعلة قوله ، ويتقدم - فى الإفضال - إنجازه وعده ، يعنى
أنها كانت سببا فى قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : اللصائب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هى الجراحات التى
تحدثها : والقتل . جمع قتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب الرّم ليوصله إلى الجرح .
يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح ملحقهم من الرزايا والخسائر بسبب غارة بنى كلاب
وآسى جرووحهم وداواها بمجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتدأوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر
إلى قول بشامة بن حزن النهشلى :

شَفَى كُلَّ شَاكٍ سَنِيفُهُ وَنَوَّالُهُ
 مِنَ الدَّاءِ حَتَّى الثَّالِكَاتِ مِنَ الشُّكْلِ (١)
 عَفِيفٌ تَرَوْقُ الشَّمْسِ صُورُهُ وَجْهُهُ
 وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ (٢)
 شُجَاعٌ كَانَ الْحَرْبَ عَاشِقَةً لَهُ
 إِذَا زَارَهَا فَدَنَتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)
 وَرِيَّانٌ لَا تَصْدَى إِلَى الْخَمْرِ نَفْسُهُ
 وَعَطْشَانٌ لَا تَرَوَى يَدَاهُ مِنَ الْبَذْلِ (٤)
 فَتَمْلِكُكَ دَلِيلٌ وَتَنْظِمُ قَدْرَهُ
 شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْمَذَلِّ (٥)
 وَمَا دَامَ دَلِيلٌ يَهْزُ حُسَامُهُ
 فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلْيَيْثِ وَلَا شَيْبِلٍ (٦)

بَيْضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَّاجِلُنَا نَاسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
 (١) النوال : العطاء ؛ والثالكات : الفاقدت أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتل ، وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى الثالكات من حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الشكل بجوده . قال العكبري : والثالكات في موضع نصب عطفا على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والثالكات . ويجوز أن يكون في موضع جر ، ولكن المطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ، فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنثى حتى عن الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخيـل : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل ولا يقتل ، فكان الحرب تعشقه وتعبه ، فإذا زار الحرب وأناها استبقته وأفت من سواء من الفرسان والرجال ، فكانها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل مبتكر بدیع .

(٤) ريان : من الرى ، ومصدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء . يقول : إنه لا يشرب الخمر ، فكانه مرتو منها لا يعطش إليها ، ولا يفتر عن البذل ، فكانه عطشان لا يروى منه .

(٥) يقول : بملكته وعظم قدره يشهدان بوحداية الله تعالى وعدله ورافته بعباده ، إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول : مادام قائم سيفه في كفه فلا عادية تقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وَمَا دَامَ دَلِيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ

فَلَا خَلَقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلٍّ^(١)

فَتَى لَا يُرَجَّى أَنْ تَنِمَ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهَّرْ رَاحَتُهُ مِنَ الْبُخْلِ^(٢)

فَلَا قَطَعَ الرَّحْنُ أَضْلًا أَتَى بِهِ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأَضْلَ^(٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وهشودان بن محمد الكردي بالطرم ،

وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه وأخذ بلده :

إِثْلَتْ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلُّ نَبْكِي وَتُرْزِمُ تَحْتَنَا الْإِبِلُ^(٤)

الناس ، والليث والنايب : مثل - أى ولو كان القوى ليثا لكان بلا ناب - وقال ابن جنى :
يعنى لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه فى كفه . فكأنها ليست موجودة ،
وليس بشيء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يهود
أحد جوده .

(٢) يقول : هو محبوب على البذل والجود ، يحقت البخل ويحتويه ، فلا يرى طاهرا
مبرءاً من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلاً أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل القدى نشر علينا فضله
فإنى رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثاً - من قولهم ثلث الرجلين أثلثهما : إذا صرت ثالثهما - والطلال
ما شخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول - للطلال - كن ثالثاً فى
البكاء على فقد الأحبة ، فإننا نبكى والإبل تحن كأنها تبكى كذلك ؛ وعبرة العكبرى التى
كأنها شعر منشور : كن أيها الطلل ثالثاً فى البكاء على فقد الأحبة ، فنحن نبكى والإبل
تحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك
وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبابنا العاصرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإننا
نبكى فىك ، ونوقنا ترزم ، ونندب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول
البحتري :

أَطْلَبًا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْبَيْدِ

أَوَّلًا فَلَا عَتَبٌ عَلَى طَلَلٍ إِنَّ الطُّولَ لَمِثْلَهَا فَعُلُ^(١)
 لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُمْتَدِّرًا بِي غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٢)
 أَبْكَكَ أَنْكَ بَعْضُ مَنْ شَفَّوْا لَمْ أَبْكَ أَنِي بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا^(٣)
 إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَأَخْتَمَلُوا أَيَّامُهُمْ لِذِيَارِهِمْ دُولُ^(٤)
 الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا^(٥)

ومن هذا قول التهامي :

بَكَيْتُ فَحَفَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارَهَا

(١) أولا : عطف على محذوف : أى إن بكيت تخليق بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولئلا : أى لئلا هذه الفعلة - يعنى عدم البكاء - وفعل : جمع فصول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطلول ليس من عادتها البكاء ، فهى طاعة لئلا هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول - للطلل - : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يسكى لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأُحبة ، وهو قوله « بى غير ما بك » وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لآنى ، والضمير من « شفوا وقتلوا » للأُحبة والعائد محذوف : أى شففهم وقتلهم . والبيت من تمة قول الطلل ، وروى شففوا وقتلوا - بالبناء للمجهول - والأولى أجود . يقول : قلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم - الأُحبة - شففوك جفا فأذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا فأنهم قتلونى بارتحالهم - كناية عن دروسه بعدم - والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأُحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقت بهم أيامهم دول لذيَارهم : عمر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبرة العكبرى : أيامهم للذيَار التى يحلوها ، دول سرور مستقبلة ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى لصرف عنك من ذلك يوحشك وما منعته منهم لاحالة يؤلمك . وأقت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبرة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن لرحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لأمرهم ، ولا يتأخر عنهم كلأ بهم .

فِي مُقَلَّتِي رَشَاءٍ تَدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فُتِنَتْ بِهِمَا الْحِلَّ^(١)
تَشْكُو الطَّاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُّوْهَا وَمَنْ الْقَدَى تَصِلُ^(٢)
مَا أَسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنِ تَرَكَتُهُ وَهُوَ الْمِسْكُ وَالْعَسَلُ^(٣)

(١) في مقَلَّتِي رَشَاءٍ : متعلق بـ «يرحل» - في البيت السابق - والرشاء : ولد الطيبة .
والحلل : جمع حلة ، وهى القوم المجتمعون في بيوت مجتمعة للنزول : يقول : إن
الحسن يرحل في مقلتين مستمارتين من رشاء تديرهما امرأة بدويه - تقيم في البادية
حيثما نزلت افتتن بها القوم الذين تنزل بهم .

(٢) يقول : إن هذه المرأة قتين^(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها
وصدودها ، ثم قال : ومن الذى تصل ؟ وهو استمهام ، يعنى أن الهجر ديدنها فهى
لا تصل أحدا حتى الطعام ، وقوله وصدودها : قاله العكبرى : روايتنا فيه عن شيخى
بالنصب والجبر : فالنصب عطفًا على طول ، والجبر عطفًا على هجرتها .

(٣) ما أسارت ، أى الذى أسارت وأبقت : مبتدأ ؛ والجبر : تركته ؛ والقعب :
قدح من خشب مقعر : وجملة « وهو المسك » حالية . يقول : إذا شربت لبنًا من قدح
فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل .
يريد طيب نكهتها وعدوبة ريقها . وفيه نظر إلى قول جميل :

فَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لَمَادَ أَجَاغُ الْبَحْرِ مِنْ رَيْقِهَا عَذْبًا

هذا : وقد قلنا أسارت : أى أبقت ، فالسور : بقية الشيء ، والجمع أسار ، وفي
الحديث « إذا شربتم فأستروا » أى أبقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء والعت منه
سثار - على غير قياس - لان قياسه « مسثر » قال الجوهري : ونظيره أجبره فهو جبار
قال الأخطل :

وَشَارِبٍ مُرْجِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمٍ لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّارٌ

« سثار - بالهمز - بوزن سمار : معناه أنه لا يستر في الإناء سؤراً بل يشتهه كله ؛
والرواية للشهورة بسوار : أى بمعرب وقاب من سار : إذا وثب وثب للعربى على من
يشاربه والحصور الذى لا ينفق على الندامى ، وقيل الهيوب المحجم عن التئى ، وإعما
أدخل الباب لأنه ذهب بلا مذهب ليس لمضارعتة له في النفى . »

(١) امرأة قتين : قليلة الطعم ؛ وهذا من الصفات الممودة في النساء .

(٢ - التنبى ٤)

قَالَتْ أَلَا تَضْحَكُ فَقُلْتُ لَهَا أَغْلَمَتْنِي أَنْ أَلْهَوَى كَيْفَ تَمَلُّ^(١)
لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَّحَكُمْ وَبَرَزْتَ وَحَدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ^(٢)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَاثِبُهُ إِنَّ الْمَلَّاحَ خَوَادِعُ قُتِلُ^(٣)
مَا كُنْتُ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ^(٤)

(١) تمل : أى سكر . يقول : قالت لى - لائمة على العشق - ألا تصحومن بطالتك فقلت لها أخبرتنى - فى غوى كلامك حين أمرتنى بالصحو - أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه لشدة هيامه وأنها نهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فناخس : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أنا كم صباحا للغارة والغزل : السكف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة - مع جده وتوفره على تدبير الملك - أنا كم صباحا للغارة وبرزت له لقدحت فى قلبه غزلا فمال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن المهزومة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدًا : لو كانت هذه إحدى السعالي^(١) لما هزمت أحداً فكيف عضد الدولة ! وما وجه المهزومة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلا عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيفكم الخ ! وكيف يضاف المنهم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتائبه ، وإنما تفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل واللهو ولذة الظفر بالحبيب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : ولتفرقت كتائبه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان يخذعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة - وهو من هو ١٩ -

وتتفرق كتائبه من جرائك . فكانت هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شئ كنت فاعلة وقد أنا كم ملك الملوك ضيفا ، وسبيل من حل به أن يحتفل به وبكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالي : جمع سعاة ، قيل : هم سحرة الجن ، وقيل : الفيلان الحبيثة .

أَتَمْنَمِينَ قِرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ^(١)
 بَلْ لَا يَحِلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بُخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ^(٢)
 مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمَحُ أَدْرَكَهُ طَنْبٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَفْتَدِلُ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا^(٤)
 حَتَّى أَتَى الدُّنْيَا ابْنُ بَجْدَتِهَا فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٥)
 شَكَاوَى الطَّلِيلِ إِلَى الْكَفِيلِ لَهُ أَنْ لَا تَمُرَّ بِجِسْمِهِ الْمِلَلُ^(٦)

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهزمة وألقى حركتها على السين يقول : أ كنت لا تقومين بقراء فتفتضحى في فعلك أم تقومين بذلك فتخرجى عن اليهود من أمرك

(٢) الضمير في « به » : لحيث - والجور : خلاف العدل - وروى : ولا خور ؛ والخور : الضعف ، والوجل : الخوف . يقول : بل لا يسمعك حينئذ البخل ، لأن للكان الذى يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج في الرمح يقول : إنه - لاستقامته واعتداله في الأمور - إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح الموج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من الحزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها للعالم بالشئ للتقن له ، وهو عالم بيجدة أمرك وبيجة أمرك وبيجة أمرك - بضم الباء والجيم - أى بدخلته وبطائنه ، وعنده بيجدة ذلك - بفتح الباء - أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها وضبط أمورها وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكوا إليه السهل والجبل كما يشكو الطليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة . يعنى : إن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو - بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة - كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هذا قول الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاها

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدَمُ فَنَفْسُكَ مَا لَهَا أَجَلٌ^(١)
 فَهَوِ النَّهَايَةُ إِنْ جَرَى مَثَلٌ أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغَى مِنَ الْبَطْلِ^(٢)
 هُمُودُ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشَّكْلِ وَالْعَقْلِ^(٣)
 فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُحْتِهِ شُغْلٌ^(٤)
 تُمْنِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ^(٥)

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فمنا لنفسك أجل تغشاه كأجال الناس : يعنى أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال : لا كانت شجاعته كاذبة فيما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية في الشجاعة حين يراد ضرب المثل في الشجاعة أو يراد الدعاء إلى التزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكل ، وهو ما يجعل في قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التي يحتاجون إليها في قصدهم إياه هي شكل الخيل وعقل الإبل ثقة ببيل ما يرجون من عطاياه : وأسكن العين في «الشكل» على أمة تميم ، وضمنها في «العقل» على لغة أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية ، وهي غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعنى أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجاؤهم فيه فيعطيه من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلى أمر ماله من خيل وإبل وتصرف فيها ، فأمواله أبدأ جميعها على أيدي مواهبه توزعها على عفاة فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها في وقت معاً ، وإذا بقي منها شيء وهب لمن يقد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعنى أن جميع أمواله في تصرف مواهبه . وعبرة الخطيب التبريزي : خيله وإبله التي تأخذها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهي تسلم إليه وإما أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيره

بِشْتَاقٍ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَلُ^(١)
 سَبَلٌ تَطُولُ الْكُرُمَاتُ بِهِ ، وَالْمَجْدُ لَا الْخَوْذَانُ وَالنَّفَلُ^(٢)
 وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ^(٣)

فهم يأخذون البدل . وقال المعري : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب في الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : الطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا ما يجري على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح : أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلى ما يسقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما في البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبرة الواحدى والعبرى : إن الناس يشاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصعب يده : أى ليطعن بها ويستعملها في الحرب ، فقوله شوقا إليه الخ : أى وينبت الأسل شوقا إليه - أى إلى المدوح - أى إلى مباشرتها يده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛ يعنى أن ما يجري على يديه من العطايا والدماء تشتاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يسقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواء بالجر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جملة خبر مبتدأ محذوف والخوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الحيل . لما سقى عطاءه سبلا قال : هو سبل - مطر - ينبت للكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من المطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلل : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ والليل : قصر الأسنان - يقال رجل أيل ، والأثني يلاء - وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشَقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْمُضَلِّ وَلَا بِالْمُقْتَعِلِ^(١)
 رَقَمِيَّاتٍ عَلَيْهَا نَاهِضٌ تُكَلِّحُ الْأَرْوَاقَ مِنْهُمْ وَالْأَيْلُ^(٢)

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم ير برا جيدا . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر

إِنْ لَمْ تَخَالِطْهُ ضَوَّاحِيَهُمْ فَلَمَنْ تُصَانُ وَتُدْخَرُ الْقَبِيلُ^(١)
 فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ قُدْرَتِي الْآيَاتُ وَالرُّسُلُ^(٢)
 وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ رَضِيَتْ بِحُكْمِ سَيُوفِهِ الْقُلُلُ^(٣)
 وَإِذَا الْخَمِيسُ أَبَى السُّجُودَ لَهُ سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ^(٤)
 أَرْضِيَتْ وَهَشُوذَانُ مَا حَاكَمَتْ أَمْ تَسْتَزِيدُ لِأَمِّكَ الْهَبْلُ^(٥)

يقول : وبشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولكثرة ما قبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم الليل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جنى : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تنعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون الليل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التى بين الأنياب والأضراس ، وهى أربع ضواحك . يقول : إن لم تغالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شئ بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشئ وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدرة تقوم مقام الآيات والرسل ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تملكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسل فى بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره .

(٣) القل : الرءوس ، جمع قلة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فكأنها رضيت بحكم سيوفه .

(٤) الخميس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لضعفه بها - وذلك سجود القنا - فحمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشودان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم - موضع فى عراق العجم - والهبلى : الشكل - الفقد - تقول العرب : لأم

ناهض ، أى وفر جناحه ونهض للطيران ، وأكله الأمر : أى لشدة أصابه بالكسل وهو بدو الأسنان عند العبوس .

وَرَدَتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُعَمَّدَةٍ ، وَكَانَهَا بَيْنَ الْقَنَا شُغْلٍ ^(١)
وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ، وَأَخْلَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلٌ ^(٢)
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بَيْنَ أَتَوَا قَبْلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بَيْنَ نَأَوَا خَلَلٌ ^(٣)

فلان المبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشودان » ما حكمت به سيف ركن الدولة ، أم تهادى في طغيانك ، فمستزيد لك ولأصحابك من القتل والخزى والتسكيل ؟
(١) وردت : أى السيف ؛ وغير مغمدة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشغل : جمع شغلة ، القبس من النار ، شبه سيف المدوح المصلته بشغل النار ؛
(٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ، والقبل في الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل لعمرة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد ابن عبد المدان :

ولكننى أغدو على مفاضة ^(١) دلاص كأعيان الجراد المنظم

قال ابن جني : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأنفس : أى أتوك عليها ، قال ابن فورجه : كيف خص « ابن جني » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، سيما وأكثرهم ديلم ، والمدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خَزَرٌ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والحيل نشاط عزيزة الأنفس
(٣) يقول : أنك قومك وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جللتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى « وهشودان » ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يحتل بمن انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بمن أتوا الخ : حال . وقوله بمن أتوا : أراد بمن أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بمن نأوا : أى بمن نأوا عنه .

(١) للمفاضة : الدرع السابقة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة البراقة ، وشبه حلقها في الدقة والزرقعة ، وتقارب السرد ، بعيون جراد نظم بهذه إلى بعض وجمع

لَمْ يَذَرِ مَنْ بِالرِّىِّ أَنَّهُمْ فَصَلُوا وَلَا يَذَرِي إِذَا قَفَلُوا^(١)
فَأَنْتِ مُغْتَزِمًا وَلَا أُسْدٌ، وَمَضَيْتَ مُنْهَزِمًا وَلَا وِعْلٌ^(٢)
تُعْطِي سِلَاحَهُمْ وَرَاحَهُمْ مَا لَمْ تَكُنْ لِنِقَالِهِ الْمُقِلُّ^(٣)
أَسْخَى الْمُلُوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ مِّنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ^(٤)
لَوْلَا الْجَهْلُ مَادَلَّتْ إِلَى قَوْمٍ غَرِقَتْ وَإِنَّمَا تَقَلُّوا^(٥)
لَا أَقْبَلُوا سِرًّا وَلَا ظَفِيرًا غَدْرًا وَلَا نَصَرَتَهُمُ الْفِيلُ^(٦)

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جيوشه بالرى لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجوعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشودان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقولهم .

(٢) يخاطب « وهشودان » يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، فخر « لا » فى الموضعين محذوف - كما ترى - للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحديين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول - لوهشودان - : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والسكران^(١) والسلب ما لم تكن العيون لتطمح أن تراه ، لمنعته وبعد نيته .

(٤) يقول : أسخى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يصبها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسخت بملككتك لئلا ينتقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخر : ينتقل .

(٥) داف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بادنى حرب منهم ، فضرِب لهذا مثلاً بالفرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لفرقوك .

(٦) الفيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يهوى . يقول :

(١) السكران - بضم الكاف - اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقَتْ بِكَ أَحْيِيلُ^(١)
لَا يَسْتَحْيِ أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ نَضْلُوكَ آلُ بُوَيْهٍ أَوْ فَضَلُوا^(٢)
قَدَرُوا عَفْوًا وَعَدُوا وَفَوْا سُئِلُوا أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْ عَدَلُوا^(٣)
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ، فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا^(٤)
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمُهُمْ ، فَإِذَا تَمَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا^(٥)

إن جيشه لا يأتون أحداً في خفية ليظفروا غدراً وليقتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون في قهر عدوهم إلى الصدر والاعتيا ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً
(١) تعرفه : حال ؛ أي وأنت تعرفه . يخاطب « وهشودان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطررت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .
(٢) استحي يستحي : بمعنى استعجيا يستعجيا . ونضلوك : غلبوك - من اللناضلة ، وهي الرامة بالسهم : يقال تناضل الرجلان فضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه - وأتى بعلامة الجمع في « نضلوك » ، والعمل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلوني البراغيث ؛ وفضلوا : فاقوا في الفضل : أراد : أوفضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحي من ذلك ، لأنهم يغلزون كل أحد .
(٣) يقول : لما قدروا عفواً . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذي وعدوا ، ولما سئلوا أغنوا من سألهم ، ولما علوا أهلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أي فمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوهم فهو شديد الاغترار بهم .
(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبة وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذ هم وراء كل غاية .
(٥) الصوارم : السيوف . وتمذّر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر . قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتعذر بعدما بلججت وشطت من فُطَيْمَةٍ دَارُهَا
وقال ليبد يخاطب ابنته ويقول : إذا مت فنوحا وابكيا على حولا :
قموما قمولاً بالذي قد علمتا ولا تخمِشا وجهاً ولا تحلِقا الشمرَ
وقولا هو المرء الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولا غدرَ
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ، ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر

لَا يَشْهَرُونَ عَلَىٰ مُخَالَفِهِمْ سَيِّفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَدْلُ^(١)
فَأَبُوا عَلَىٰ مَنْ بِهِ قَهَرُوا وَأَبَوْ شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا^(٢)
حَلَفَتْ لِذَا بَرَكَاتٍ غُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهُمْ أَمَلُ^(٣)

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذباً قبلوا عذره تكرموا .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعذل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعنى لا يميلون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العذل يؤثر في المخالف لا يقصدونه بمساءة ولا ضرر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفانى الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفانى السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو على : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعضد الدولة كلت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و «أن» تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بهذا الأول إلى ركن الدولة ، وبالثاني إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ما علم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكان وجهه وهو في المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى «بركات نعمة ذا» يعنى أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شيء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعهد الدولة بإدراك الآمال . وروى «بركات نعمة ذا» يعنى أن أباه عرف بنغمته — صوته — لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يَمَنَّة وبَسْرَة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرز - وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ، فكانت الوحوش تضاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أمتختها الشباب هربت من رموس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه السنة قتل أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَأْسُ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي ^(١)
لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي فَتَيَّ بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَال ^(٢)
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهِيََا أَعْتَسَالِي لَا تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِي بِبَالٍ ^(٣)

(١) يقول : إن الأيام خليفة بأن تتظلم مني وتقول ما للتعني ومالي ؟ أي لأنني جشمتها من همي ما ليس في وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر الأيام والليالي ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ما أجدر الدهر ! ويقال فلان جدير بكذا : أي خليف ؛ وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجدديرون

(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالي لها بأن أنظلم منها ، فحذف « لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيداً بأن يقوم إليك لا أن تقوم : تريد إليه ، فتحذفه . وفق : خبر مبتدأ محذوف : أي أنا فتى . وصلى بالنار : قاسى حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم مني لا بأن أنظلم أنا منها ، لأنني فتى لا يزال يقاسى شدائد الحروب يعني أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفزه الأيام إلى الشكوى .

(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول مخالطته الحروب وتمرسه بها وانتقامه فيها حتى صارت نيرانها عنده كماء برداً فهو يشرب منها ويغتسل بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدائدها هانت عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعفة حتى لا تخطر الفحشاء على باله ، فضلاً عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور - الزنا -

لَوْ جَذَبَ الزَّرَادُ مِنْ أَذْيَالِي تُخَيِّرُ إِلَى صَنْعَتِي سِرْبَالِ^(١)
مَا سُمِّتُهُ سَرْدَ سِيَوِي سِرْوَالِ وَكَيْفَ لَا وَائِمًا إِذْ لَالِي^(٢)
بِفَارِسِ الْمَجْرُوحِ وَالشَّمَالِ أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الْأَبْطَالِ^(٣)
سَاقِي كُثُوسِ الْمَوْتِ وَالْجُرْيَالِ^(٤) لَمَّا أَصَارَ الْقَفْصَ أَمْسِي الْخِلَالِ^(٥)
وَقَتْلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى أَتَقَتَّ بِالْفَرِّ وَالْإِجْفَالِ^(٦)

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد : والزراد : صانع الزرد ، وهي الدروع . وأراد
يجذب الزراد لتدليه : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من
ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سراويل .
وسمته : كلفته . والسرد - وبروي الزرد - مداخلة خلق الدروع بعضها في بعض .
والسروال : معروف ، وهو أعجمي معرب وأكثر كلام العرب سراويل - بصيغة
الجمع وإن لم يقصد به الجمع - وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك : لحذف للعلم
به . والإدلال : الفخر والتباه - يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشمال : فرسان
كانا لعصبة الدولة . يقول لو خيرنى الزراد فى صنع سربال ألبسه بين أن يكون من
صناعة الدرع أو من صنعة الثياب - أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا - لما اخترت
إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما
حاجته أن يحصن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة المتنبي يترفع عن معاشره
النساء كبراً وتعففاً ، ثم قال - المتنبي - : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن
بالمدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الحجر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ،
وأولياءه كؤوس الحجر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجهال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛
وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم قصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب
« لما » يأتي بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : فذلهم ، ومنه قول امرئ القيس :

* فى أعشار قلبٍ مُقتلٍ *

أى مذل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورتها بالماء . والإجفال : الإسراع

فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي . وَأَقْتَنَصَ الْفَرَسَانِ بِالْعَوَالِي ^(١)
وَالْعُتْقِ الْمُخْدَتَةِ الصَّقَالِ سَارَ لَصِيدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ ^(٢)
وَفِي رِقَاقِ الْأَرْضِ وَالرُّمَالِ عَلَى دِمَاءِ الْإِنْسِ وَالْأَوْصَالِ ^(٣)
مُنْفَرِدَ الْمُهْرِ عَنِ الرَّعَالِ مِنْ عِظَمِ الْهَيْمَةِ لَا الْمَلَالِ ^(٤)
وَشِدَّةِ الضَّنِّ لَا الْأَسْتَبْدَالِ مَا يَتَحَرَّرُ كُنَّ سِوَى أَنْسِلَالِ ^(٥)

في الحرب . والسكرد : جيل معروف . يقول : ذلهم وأضعفهم ومنعمهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هربا .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالي : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلاوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفناه التعرض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفاً منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعق : عطف على العوالى - جمع عتيق - يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش للعصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذو منعة .

(٣) وفي رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يطاء الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال - من سار - والرعال : القطعة من الحبل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً من جيشه لا يريد أن يسيره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشيء أضن - وهى اللغة العالية - وضننت أضن ضنا وضنا وضنة ومضنة وضنائة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شيء تقيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسال : مصدر أنسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لوأذا » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنهم يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هية له .

فَهْنُ يُضْرَبَنَّ عَلَى التَّصْهَالِ كُلُّ عَلِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالٌ ^(١)
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةً الشُّعَالِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ ^(٢)
فَلَمْ يَبْنِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلٍ وَمَا عَدَا فَأَنْقَلَ فِي الْأُدْغَالِ ^(٣)
وَمَا أَحْتَى بِالمَاءِ والدُّحَالِ
مِنْ الْحَرَامِ اللِّحْمِ وَالْحَلَالِ ^(٤)

(١) التصهال : الصهيل . والمختال : المعجب بنفسه المستكبر . يقول : فالحيل تضرب على الصهيل تاديباً لها ، وفوقها كل رجل عليل في مكانه وتضاغره هية لعنذ الدولة ، وهو في نفسه وهمته غتال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .
(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس يسعل هية ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار إجلالاً له ، هكذا قال أكثر الشراح - قال بعضهم : ولعل الأتية بمراد اللتني أنهم كانوا يفعلون ذلك غفافة أن ينفر الصيد إذا سمع جليتهم كما يستدل عليه من السياق التالى هذا : ويقال طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعها ، ومطلماً ومطلماً ، وهو أحد ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلماً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل - مثل دخل يدخل وخرج يخرج وما أشبههما - آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفاً من الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك للمسجد والطلع والغرب والشرق والمسقط والفرق والمجزر والسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع »
(٣) بئل : ينبج ويرجع إلى موئل مضارع وأل أى نجاء . وغير آل : أى غير مقصر اسم فاعل من ألا يالو . وعدا : ركض وجرى . والأدغال : الآجام . وحى الشجر الكثير للثف . وانقل : دخل في الشجر . يقول : لم ينبج من صيده الطير الذى طار ولم يقصر في طيرانه : أى فكيف ينبج الذى قصر ؟ ولم ينبج كذلك ما عدا من الوحش ، فدخل واستر بالأدغال : أى فكيف ينبج الذى لم يلجأ إلى الأدغال ؟
(٤) الدحال : جمع دحل ، كالهوة في الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب و « من » يان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالخنزير والسبع والخنزير ونحوها . يقول : ولم ينبج أيضاً ما تحسن بالماء والدحال بما يحل أكله وما لا يحل .

إِنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الْآجَالِ سَقِيًّا لِدَشْتِ الْأَرْزَنِ انْطُوالِ (١)
 بَيْنَ الْمَرْوِجِ الْفَيْحِ وَالْأَغْيَالِ مُجَاوِرِ الْخَزِيرِ لِلرُّنْبَالِ (٢)
 دَانِي الْخَنَائِصِ مِنَ الْأَشْبَالِ مُشْتَرَفِ الدُّبِّ عَلَى الْغَزَالِ (٣)
 مُجْتَمِعِ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ (٤)
 كَانَ فَنَّا خُسْرًا ذَا الْإِفْضَالِ خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الْكَمَالِ
 فَجَاءَهَا بِالْفَيْلِ وَالْفَيْلِ (٥)

(١) دشت الأرزن : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصي . والطوال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرزن . يقول : إن النفوس معدة الاجال حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآجال عدد النفوس ، فقلب الكلام تغننا .

(٢) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح . والأغتيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والرئيل : الأسد . ويجوز في مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجور على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمروج ، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان ، فخريره مجاور للأسد .

(٣) الداني : القريب ؛ الخنائص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :
 * من كل مشترف وإن بعد المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قرية من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبلي والغزال سهلي .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترسين كالأسد ونحوه وغير للفترس كالظبي والأرنب وكل واحد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسار : اسم عضد الدولة ، والضمير في « عليها » للأضداد والأشكال . الفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن المددوح خاف على هذا الحيوانات

فَقَبِدَتِ الْأَيْلُ فِي الْجِبَالِ طَوْعَ وَهُوقِ الْخَلِيلِ وَالرَّجَالِ^(١)
تَنْبِيرُ سَيْرِ النِّعَمِ الْأَرْسَالِ مُنْعَمَةُ بَيْبَسِ الْأَجْدَالِ^(٢)
وَلِذَنْ نَحَتْ أَثْقَلَ الْأَحْمَالِ قَدْ مَنَعْنُنَّ مِنَ التَّفَالِي^(٣)

أن لا تكون كاملة فجاءها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، للذكور منه قرون متشعبة لا تنجوف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العسكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل - بضم الهمزة - على أنه جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب^(١) وفعل لا يجمع على فعل وإنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد أقول : وقد جاء في اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلاً لأنه يشول إلى الجبال . وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقليل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهوق وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخليل : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل وقيدت بالجبال والوهوق حتى صارت طوعاً لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهي الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيده النعم الإبل ، والشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعيم . والارسال : جمع رسل وهو القطيع من الإبل . ومنعمة : من العامة : والأجدال : جمع جذل ، وهو أصل الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير في الجبال سير أيلنا كما تسير الإبل بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو - الجرى - وهى ذات قرون كبار ملتفة كأنها قد اعتمدت بأعواد يابسة من الأجدال .

(٣) يريد بأثقل الأحمال : القرون ، يعنى أنهم خلقن كذلك ، لأنه يكون لمن قرون حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل - لا إلى صفاتها - يصف قرون الأيايل بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تقلى رءوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جني : يعنى بأثقل

(١) ضرب من السكتان .

لَا تَشْرُكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهَزَالِ ^(١) إِذَا تَلَقَّيْنَا إِلَى الْأُظْلَالِ ^(٢)
 أَرَيْنَهُنَّ أَشْنَعِ الْأَمْثَالِ كَأَنَّمَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ ^(٣)
 زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُهَالِ ^(٤) وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي حَالِ
 لِسَائِرِ الْجَنَسِ مِنَ الْخَبَالِ ^(٥)
 وَأَوْفَتْ الْفُؤَادُ مِنَ الْأَوْعَالِ مُرْتَدِّيَاتٍ بِقِسْيِ الضَّالِ ^(٦)
 نَوَاحِسِ الْأَطْرَافِ لِلْكَفَالِ يَكْذَنَ يَنْفُذَنَّ مِنَ الْأَطَالِ ^(٧)

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حملة حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . والمعنى : ولدت تحت الجبال وقرونها لطولها وتشعبها تمنعهم من فى رؤوسهم اموجهن . وما ذهبنا اليه أظهر .

(١) الهزال . رقة لجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .
 (٢) و (٣) و (٤) السبة : العار يسب به . يقول إذا انتفت الأيائل إلى ظلك قرونها رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعارجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة فى تعيير الجبال . يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضواً ، إذ ليس من جملة الأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لمجاورته العضو . والجبال : الفساد وشلل الأعضاء كفى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيائل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه - فى حال من الأحوال - من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؛ والفدر : جمع الفدور ، والفادر ، قال الاصمى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الحيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو السدر البرى . يقول : وأشرفت الوعول للسنة ترتدى بقرونها كأنها - لا نعطفها - القسى التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواخس : حال من القسى . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذ : يخرقن . يقول : إن أطراف هذه القرون تنخس أعجازها : أى تصيبها وتضرها وتكاد لطولها وانعطافها تنفذ من خواصرها .

لَمَّا لَحَى سُودٌ بِلَا سِبَالٍ يَصْلُحْنَ لِلِإِضْحَاكِ لَا الْإِجْلَالَ (١)
كُلُّ أُنَيْثٍ نَبْتُهُ مُتْقَالٍ لَمْ تُفَذَّ بِالْمِسْكِ وَلَا الْقَوَالِي (٢)
تَرْضَى مِنَ الْأَذْهَانِ بِالْأَبْوَالِ ، وَمِنْ ذِكْرِ الْمِسْكِ بِالْأَمَالِ (٣)

(١) اللحي : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الحدين والذقن ؛ والجمع لحي ولحي .. مثل ذورة وذري - والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحي ولكن لا شوارب لها ، وتلك اللحي تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشاعر :

أَتْنِي سُلَيْمٌ قَضَاهُ بِقَضِيضِهَا تُنَشِّرُ حَوْلِي بِالْبِقِيعِ سِبَالَهَا
يَقُولُونَ لِي يَا أَحِلْفُ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ أَخَادِعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمَا أَنَا لَهَا
فَفَرَجْتُ غَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحِلْفَةٍ كَمَا قَدَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا (١)
(٢) و (٣) كل أنيث : بدل من اللحي : أي كل لحية هذه صفتها . والأنيث : من الشعر : الكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أنيث ومتقال : خبيثة الرائحة . والقوالي : جمع غالية ، وهي أخلاط من الطيب . والدمال : زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحي كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقضاه بقضيضها : أي بأجمعهم ، وهو اسم منصوب موضع موضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انقضا ، وقال سيويه : كأنه يقول انقض آخرم على أولهم ، وأصل القض : الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الانقضا كقولهم عقاب كاسر أي منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولي الخ يروي تميم أراد أنهم يمسحون لحاهم ، وهم يتوعدونه ، وقوله يا أحلف أي يا رجل أحلف ، أو « يا » للتنية ؛ وأخادعهم عنها : أي عن الحلفة ، فأقول لهم لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لكَيْمَا أَنَا لَهَا : أي الحلفة . وقوله ففرجت الخ : يريد كشفت هذا الغم عنى باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

وَإِنِّي لَقَدْ وَحَلَفْتُ كَاذِبٌ إِذَا مَا اضْطَرُّرْتُ فِي الْحَالِ ضَيْقُ
وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُسَرٍّ يَدَافِعُ بِاللهِ مَا لَا يَطْبِقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضَتِي مُحْتَالٍ لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ^(١)
 بَيْنَ قَضَاءِ السَّوِّ وَالْأَطْفَالِ^(٢) شَبِيهَةَ الْإِدْبَارِ بِالْإِقْبَالِ
 لَا تُؤَثِّرُ الْوَجْهَ عَلَى الْقَذَالِ^(٣) فَاخْتَلَفْتَ فِي وَابِلَى نِبَالِ
 * مِنْ أَسْفَلِ الطُّودِ وَمِنْ مُعَالِ^(٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانباً الوجه .
 يقول : لو سرحت هذه اللحي حال كونها في وجه رجل ذي احتيال لكانت له شبكة
 يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤمن ، وإذا كان
 محتالاً خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : لعدّها شبكة من الشباك التي ينصّبها السوء لأخذ أموال اليتامى بما
 يظهرون من حلي المهابة والوقار وسنّاء الخير والتقى . هذا : والسوء : الاسم - من
 ساء يسوء سوءاً - والسوء : الفجور والنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وإذا
 دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل سوء ، قال الفرزدق :

وَكُنْتُ كَذِيبِ السَّوِّ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ^(١)
 قَالَ الْأَخْفَشُ : وَلَا يُقَالُ الرَّجُلُ السَّوِّ ، وَيُقَالُ الْحَقُّ الْيَقِينُ ، وَحَقُّ الْيَقِينِ جَمِيعًا ،
 لِأَنَّ السَّوِّ لَيْسَ بِالرَّجُلِ ، وَالْيَقِينُ هُوَ الْحَقُّ . قَالَ : وَلَا يُقَالُ هَذَا رَجُلُ السَّوِّ - بِالضَّمِّ
 - وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو قَوْلَهُ تَعَالَى « عَلَيْهِمْ ذَاتُ السَّوِّ » بضم السين ، يعنى الثمر
 والمزينة ؛ وقَرَأَ بَاقِي الْقُرَاءِ بفتح السين ، وهو من النساء . (راجع لسان العرب
 مادة « سوا »)

(٣) الإدبار والإقبال : مصدران أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبلة ، الجوهري
 ودبر كل شيء ودبره : آخره ، على المثل ، قال الكمي :

أَعْهَدَكَ مِنْ أَوْلَى الشَّبِيهِ تَطَلُّبُ عَلَى دُبُرِ هِيَمَاتٍ شَأْوٌ مُفَرِّبُ^(٢)
 والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحي رأيتها كما تستقبلها لعظمها
 وعرضها فهي تم الوجه والقفا .

(٤) فاختلفت : عطف على قوله « وأوفت » . والوابل : المطر الكثير . والطود :

(١) أحال القتب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضاً :
 فَنَحْنُ لَيْسَ لَابْنِ الْعَمِّ كَالْقَتَبِ إِذَا رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهُوَ آكِلُهُ
 (٢) شأو مغرب - بكسر الراء وفتحها - بعيد .

الجليل . وقوله : من معال ، يقال أتيته من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار .
بكسر اللام - ومن علا ؛ قال ذو الرمة في من «معال» :

فَرَجَ عَنْهُ حَلَقَ الْأَغْلَالِ جَذَبُ الْعُرَى وَجَرِيَةِ الْجِبَالِ

* وَنَفَضَانُ الرَّحْلِ مِنْ مُعَالٍ ^(١) *

وفي «أتيته من علا» يقول أبو النجم :

بَاتَتْ تَنْوُشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا نَوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَاثَ الْفَلَاحِ ^(٢)

وفي «من عل الدار» بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٣)

وفي «أتيته من عل» - بضم اللام - أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فِي كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتَرُهُ مِنْ عَلٍ الشَّفَانِ هُدَابُ الْفَنَنِ ^(٤)

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال - يعنى حلق الرحم - سيرنا . وكل

حركة في ارتجاف نفخ ونفضان والجرية - بالكسر - حالة الجريان

(٢) باتت : أى الإبل ؛ وتوش الحوض : تتناول ملء أفواهها من مائه ، ومن

علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النرش الذى تناله

هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول

ماء الحوض من فوق وتشرب شرابا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج

إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه المكر على العدو ،

ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله معا :

يعنى أن المكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله ، لأن فيها

تضادا ؛ ثم شبهه في سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال

إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هدايب

الفنن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفتن

الفنن أو ما تشعب من ورقه .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :
فَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَغَرَقَى بَيْضِ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُوٍّ^(١)
فإن الواو زائدة ، وهى لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله فى الكلام .
وفى « أتيت من عال » يقول دكين بن رجاء :
يُنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَامِ الْأَغْلَالِ وَقَعُ يَدِ عَجَلَى وَرَجُلِ شِمْلَالِ
* ظمأى النسا من تحت ريان من عال^(٢) *

وأُتيت من علو ؛ قال أعتى باهلة :
إِنِّى أَتْنَى لِسَانُ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلُوٍّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(٣)
ويروى من علو وعلو يقول : رشقت هذه الأيائل بالنبال من أعالى الجبال وأسافلها
فهى تجىء منها وتذهب بين نبال كالطير تأبى من كل جانب .

(١) الليط : جمع ليطة - كزيتى وريشة - قشرة القصبه والقوس والقناة وكل
شئ له متانة ، والقَيْض قشر البيض الأعلى اليابس وغرقى البيض : قشره الذى تحت
القيض ، وملك : شدد - من قولهم ملكت المرأة العجين : إذا عجنته وأنعمت
عجنه وأجادته - والذى : مفعول ملك لاسفة لليط ؛ يقول أوس : ترك شيئا من القشر
على قلب القوس تمالك القوس به - أى تقوى وتمشد - يكنها أى : يسترها لثلا يبدو
قلب القوس فيتشقق وهم يعملون عليها عقبا إذا لم يكن عليها قشر ، ولذلك مثله
بالقيض للفرق .

(٢) الأغلال : جمع غلل ، وهو الماء الذى يتخلل بين الشجر ، وشملال خفيفة
سريعة ، والنسا - بوزن العصا - عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر
بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمئت الدابة انفلقت غذاها بلحمتين عظمتين وجرى
النسا بينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان : جمع ربله
باطن الفخذ ، وخفى النسا . يصف دكين فرسا . يقول : ينبجى هذا الفرس من خيل
مثل حمام رد غلامن الماء وقع يد الخ يصفه بالسرعة ثم قال إن قوائمه ليست برهلة ولا
كثيرة اللحم ويحمد ذلك فيها ، ثم قال : إنها ريان من فوق يقال فرس ريان الظهر إذا
سمن متناه .

(٣) من كلته المشهورة التى رثى بها النثر ، واللسان هنا : يراد بها الرسالة والكلمة والخبر

قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَلُ الرِّجَالِ فِي كُلِّ كَبِدٍ كَبِدَى نِصَالٍ^(١)
 فَهِنَّ يَهُونَ مِنَ الْقِلَالِ مَقْلُوبَةُ الْأَظْلَافِ وَالْإِرْقَالِ^(٢)
 يُرْقَلْنَ فِي الْجَوْ عَلَى الْمَحَالِ فِي طُرُقٍ سَرِيَةٍ الْإِصْصَالِ^(٣)
 يَنْمَنَ فِيهَا نِيْمَةً الْمَكْسَالِ عَلَى الْقَفَى أَعْجَلَ الْعِجَالِ^(٤)
 لَا يَنْشَكِّنَ مِنَ الْكِلَالِ ، وَلَا يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّلَالِ^(٥)
 فَكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ تَشْوِيقُ إِكْثَارِ إِلَى إِقْلَالِ^(٦)

(١) العتل : القسى الفارسية . والرجال — بكسر الراء — و يروى بضمها ؛
 والتثقيل : جمع راجل ؛ والكبد : بالكسر وفتح فكسر — لغتان — والنصال : جمع
 نصل ، الحديد للركبة في السهم ؛ وكبداها الثاثنان وسط تلك الحديدية عن يمينها وشمالها
 يقول : رمت قسى الرجالة تلك الوعول فأدخلت في كبد كل منها نصلا من نصال السهام ،
 يعنى أن الرماة قد أثنحوها بالرمح .

(٢) يهون : يستعطن . والقلال : جمع قلة ، أعلى الجبل والظلف الحافر المشقوق
 والإرقال : ضرب من العدو . يقول : فهن يستعطن من أعالي العبال منحدرات على
 ظهورهن فصارت أظلا فهن مقلوبة وصار عدوهن — جريهن — على الظهور بعد أن
 كان على الأظلاف

(٣) يرقلن : يجريهن . والحال : فقار الظهر ، جمع محالة . يقول : هي تعدو في الجو
 نازلة على ظهورها في طرق تسرع إصاها إلى الحضيض كما هو شأن ما يهوى سفلا :
 (٤) النيمة : هيئة النوم . والمكسال : صيغة مبالغة من الكسل . وتروى : الكسال
 جمع كسلان . والقفى : جمع قفا . والمعجال : جمع عجل وعجلان وأعجل العجال : حال .
 لما زلت في تلك الطرق على قفها جعلها كالنائم المستلقى على ظهره كسلا ؛ ولكنها في
 ذلك أسرع العجال أسرعة هويها .

(٥) يقول : لا يشتكين في تلك السرعة نصبا ولا تعباً ولا إعياء ، لأنهن لا يقفن
 عن النزول ، ولا يخفن ضللا ولا تها في طريقهن لأنها تفضي بهن إلى الأرض البتة .

(٦) عنها : صلة الترحال ؛ والضمير للوحوش ؛ وسبب : خبر « كان » ؛ وتشويق :
 اسمها وتقدير الكلام : فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب ترحال عنها . يقول : لما
 أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال ، لانه مل الصيد لكثرة فكان
 ذلك سبب رحيله عنها .

فَوْحَشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ يَخْفَنَ فِي سَلَمَى وَفَى قِيَالٍ^(١)
نَوَافِرَ الضَّبَابِ وَالْأُوزَالِ ، وَالْخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرَّثَالِ^(٢)
وَالظُّبَى وَالْخُنْسَاءِ وَالذِّبَالِ يَسْتَمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الْأُزْوَالِ
مَا يَبْعَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ^(٣) * .

فُصُولُهَا وَالْعُودُ وَالْتَّالِي تَوَدُّ لَوْ يُنْتَحِـبُ فُحَا بِوَإِلَى^(٤)
يَرْكَبُهَا بِالْخَطْمِ وَالرَّحَالِ يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ^(٥)

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبل طيء ، والآخر أجا . وقيل : جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيد خافته الوحوش حتى بات وحش نجد في خوف وهم وكذا وحش جبل طيء ، فهي تخشى أن يقصد إليها .
(٢) نوافر - كما قال ابن جني - حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدويبة المعروفة يأكلها العرب . والأوزال - جمع ورل - دابة على حلقة الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقتة . والخاضبات الربد : النعام لا تنهار بد إلا لوان - في لونها غرة - فإذا أكلت الربيع انخضبت - احمرت سوقها - فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو دؤاد :

* لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَاضِبٍ فَوْجِيٍّ بِالرُّعْبِ *

« راجع لسان العرب - مادة - خضب » والرثال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحي نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : المها - بقر الوحش - لخنس أنفها . والذبال : الثور الوحشي لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الظريف من كل شيء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة في الصيد ما يبعث الحرس على السؤال عنه مع هجها عن السؤال :

(٤) غولها : جمع غل ، وهي رواية ابن جني : وتزوى غولها - بفتح الفاء التي هي للجواب - كما تقول أكثر من الجليل فالناس كلهم يشكرونك ، فأنتي بالفاء لأن فعل الجليل كان سبب الشكر . والحول : جمع حائل ، ضد الحامل . والعود : الحديثات التاج ، جمع عائد . والتالي : جمع للتلية ، وهي التي تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتمنى لو بعث إليها من يلى عليها فيذلها ، وتتمة الكلام فيما يلي .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زمته ، والرحال : جمع رحل ، وهو اللابل كالأسروج للخيول . يقول : هذا الوالي

وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلَا تُبَالَى ، وَمَاءٌ كُلُّ مُسْبِلٍ هَطَالٍ ^(١)
يَا أَقْدَرَ السُّفَارِ وَالْقُفَالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأُسْدَ بِالثَّعَالِي ^(٢)
أَوْ شِئْتَ غَرَقْتَ الْعِدَا بِالْأَلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الْإِلَالِ
* لَأَلَيْنَا قَتَلْتَ بِاللَّيْلِ ^(٣) *

يذلك الوحش حتى تنقاد في الأزيمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد وما يصيبها من خوف الصيد ؟

(١) خمس للال : أخذ خمسة ، والمسبل : من السحاب الهاطل ؛ والمطال : المتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذي ترده وترضى بذلك ولا تبالي :

(٢) السفار : المسافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر - في القياس - سافر ، مثل صاحب وصحب ، إلا أنه لم ينطق بـ «سافر» ، والقفال : جمع قافل ، وهو الراجع من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعاً : والثعالي : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأزاني ، جمع أرنب قال أبو كاهل اليشكري يشبه ناقته بعقاب :

كَأَنَّ رَجُلِي عَلَى شَفْوَاءٍ حَادِرَةٍ ظَلَمِيَاءٍ قَدْ بُلَّ مِنْ طَلٍّ خَوَافِيهَا
لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَرُّهُ مِنْ الثَّعَالِي وَوَحْزٍ مِنْ أَرَانِيهَا ^(١)

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع آلة ، وهي الحرية العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء . ولو طعنتم بالآلى ببدل الإلال - الحراب - لقامت الآلى في إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

(١) الشفواء : العقاب ، سميت بذلك من الشفى ، وهو انعطاف منقارها الأمل ؛ والحادرة : الفليضة ، والظمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافي ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشرازة ، وهي اللحم المجفف للدخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه في وكرها حتى يجف لكثرة ، والوخز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوخز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلى يروى رحلى ، والثعالي : الثعالب ، والأراني : الأرناب .

لَمْ يَبْقَ إِلَّا طَرْدُ السَّمَالِي فِي الظُّلَمِ الْغَائِبَةِ الْهَلَالِ (١)
 عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ الْأَبَالِ فَقَدْ بَلَغَتْ غَايَةَ الْأَمَالِ (٢)
 فَلَمْ تَدْعُ مِنْهَا سِوَى الْمُحَالِ فِي لَا مَكَانٍ عِنْدَ لَا مَنَالِ (٣)
 يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالْمَعَالِي النَّسَبُ الْحُلَى وَأَنْتَ الْحَالِي (٤)
 بِالْأَبِ لَا بِالشَّنْفِ وَالْخُلُخَالِ حَلِيًا تَحُلِي مِنْكَ بِالْجَمَالِ (٥)
 وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلَى ثِقَالِ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي الْمِعْطَالِ (٦)

(١) و (٢) الطرد : الصيد ، وهو مصدر طرد ، مثل الطرد - بالإسكان - والسعالى : جمع سعاله ، وهى القول ، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن . والظلم : الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر . والأبال : جمع أبل ، وهى التى تجزى بالكلا عن الماء . يقول : لم يبق إلا أن تصيد الغيلان فى الهامه على ظهور الإبل ، يعنى ملكت الإنس والوحش وكففت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تخلى للفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرین فى الليالى المظلمة ، وإنما خص الإبل لأن الخيل لا تعمل فى الفاوز ، وجعلها مكنتية عن الماء بالكلا لئلا تحتاج إلى الماء .

(٣) المحال : المستحيل الذى لا يكون . يقول : بلغت غاية آمالك وملكك كل شئ يوصف بالوجود ويدرك مكانه ولم تترك إلا اللعدم الذى لا يوصف بالمكان والوجود . وقوله فى : « لا مكان » كما يقال سافرت بلا زاد .

(٤) و (٥) الحلى : ما يصاغ من الجواهر للزينة : والحالى : صاحب الحلى ؛ وبالأب : متعلق بمحذوف - أى تتحلى - والشنف : القرط الذى يطلق فى أعلى الأذن ؛ وحليا : مفعول العامل المحذوف يقول : النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية ، فانت إنما تتحلى بأبيك لا بما تزين به النساء من حلين ، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال : يعنى أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضاً .

(٦) المعطال : الذى لا حلى عليها . يقول : إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لا بسها قبيحا ، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه ؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبح - بالثقاف والياء - وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت ، لأنه لا يحل أحد أن الحسن خير من القبح . وقال أحسن منها ، فعاد الضمير على الحلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر ، لأن الحلى مؤنثة

فَخَرُّ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالْأَخْوَالِ (١)

* * *

والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يغلّب المؤنث على الذكر ، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتح - بالفاء والتاء والحاء المعجمة - جمع فتحة ، يقال : فتحة وفتحة وفتح وفتحات وفتاخ وفتوخ ، وهى خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب فى أصابع أيديهن وأرجلهن . . . أقول : وما يستطرف إirاده هنا شاهدا على الفتح ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج - وكانت رفقة إلى الميرة بن شعبة . فقالت له : أصلحك الله إني منه بجمع : أى لم يفتضى ، فقال العجاج :

الله يعلم يا مغيرة إني قد دُستها دَوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المَقْصَبِ شاته عجلانَ يذبّنها لقُومٍ نُزِلَ
فقالت الدهناء :

والله لا تخدعنى بِشَمِّ ، ولا بتقبيل ، ولا بغمٍّ
إلا بزَعزاعٍ يُسَلِّى هُمى تسقطُ منه فَتْحَى فى كَسِّى
« الزعزاع : الاسم : من زعزعه زعزعة : أى حركه » .

(١) غر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالم : حال من الضمير المذكور ، وقال العكبرى : الباء فى قوله « بالم » متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى « قبله » وإن كانت ضمير المصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تملق حرف الجر به . ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى « قبله » وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالم ، كقولك هند مرت بها من الصالعات . يقول : إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحرى :

فما الفخرُ بالعظمِ الرميمِ وإنما فخارُ الذى يَبْنِي الفخارَ بنفسِه

قافية الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفريه بحصن برزؤيه ، وكان جالسا تحت فارة من الديباج * عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وفاؤكم كما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاء ساجه^(١)

* الفازة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خرف وغيرها تبنى في المساكن ، والجمع طاز :

(١) وفاؤكم كالربع : مبتدا وخبر . وأشجاء : أى أشده شجوا ، من قولك : شجاني هذا الأمر ؛ أى أحزننى . والطاسم : الطامس الدارس . و« بأن تسعدا » : أى تساعدا وتعاوننا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات اتقيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق بالمبتدا بعد الإخبار عنه شيء وسجع الدمع : سال وهطل بمخاطب خليليه الذي عاهداه على أن يساعدها على البكاء . عند ربع الأحبة يقول لها : إن وفاءكم بأن يسعداني على البكاء كهذا الربع ، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزاؤه وأشد جزنه لأنه لا يتسلى به الحب ، وكذلك وفاؤكم كلما ضعف وقل إسعادكم لى على البكاء اشتد حزنى إذ لا أحد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاء ساجه ، كأنه يقول : إن لى العذر فى البكاء ، أما أنتما غليان ، إذ لو كنتما محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن المحزون مثلى . يريد : أبكيا معى بدمع فى غاية السجوم فهو أشجى للوجد ، فإن الربع فى غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى وفاء كما معه ، ولذلك قال وفاؤكم كالربع : أى كلما ازددت بالربع وبوفائكم وجدآ ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع - بالجر - عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون المعنى : وفاؤكم كالربع الدارس فى الأدوية إذا لم تجربيا عليه الدمع الساجم ، وفى الشفاء إذا أجرينا عليه . وعبرة ابن القطاع : وفاؤكم لى بالإسعاد عفا ودرس كالربع الذى أشجاء للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى معه وفاء كما وشتفى الدمع الذى هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجه . وقال الإمام التبريزى : الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يملو بعض المم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ أَعْقُ خَلِيلِيهِ الصَّغِيرِينَ لَا مِثْلَهُ^(١)

أَلَمْ تَرَ أَنِي يَوْمَ جَوْ سُوَيْقَةٍ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هَيْدَةً مَالِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا^(٢)

قال التبريزي : لأمهما على البكاء . وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه . هذا : وللمناسبة « أشجاء » روى الرواة أن المتنبي لما أشهد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للمتنبي تقول أشجاء وهو هجاء ؟ فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . . . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أي أشده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . . . لأنه في الفصح يقال - كما أسلفنا - شجاء يشجوه شجوا : إذا حزنه ، وشجاء تذكر إلفه : أي هيجه ، وشجاء الغناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاء يشجيه إشجاء : فهو بمعنى أغصه ، والشجاء ما اعترض في خلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري : ويراني كالشجاء في حلقه عسرا تخرجه ما يُنتزع

وقد شجى به - بالكسر - يشجى شجاء ، قال المسيب بن زيد مناة الغنوي :

لَا تُنْكَرِ الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي حَلِقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا
« فِي حَلِقِكُمْ : أراد في حلقكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الحلة - الصداقة والود - من لابه في هواء ، وفي هذا تعريض بالنهي عن اللوم . يقول : إن من لامي منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه العقوق ، فكان لأتمكما أعقكما ؛ قال الواحدى : ومعنى الأعق ههنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إِنَّ الذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَا مِثْلَهُ أَغْزُ وَأَطُولُ
وكما قال الجاهلي :

خَالِي بَنُو أَوْسٍ وَخَالُ سَرَاتِهِمْ أَوْسٌ فَأَيُّهُمَا أَدْقُ وَالْأُمُّ

أي فأيهما الدقيق والاثم ؟ وليس يريد أن الدقة واللوم اشتغلا عليهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلاً » ولا خير في مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للمسك عن اللوم صفة عقوق . هذا : وروى

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهي أول قصيدة هجا بها جريرا والبيث

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِأَلْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُبْلَاهُهُ^(١)

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إلى عاشق كل عاشق مصف يعد خليفه العاق من لامة في هواء

(١) التزي : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض صاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصبغة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصبغة من لا يكون موافقا له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدا من الإسعاد . هذا : ولناسبة « يزيا » قال ابن جنى : سأله . . أى للتني . عن قوله « يزيا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أنرضى بشيء تورده العامة ؟ قال : ما عندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى يجمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على المحاجم^(٢) * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصنى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين . أى الخليل بن أحمد . فقال زيا فلان زى حسن وزيته تزية . بوزن نعية . فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن ديموا جاد وإن جادوا وبل^(٣) وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

(١) عجز بيت للأعشى ؛ و صدره :

يَزِيدُ يَفْضُ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى . . . الخ
وبعده :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

يقال زوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهم بن سبل ؛ و صدره :

أَنَا الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ سَبَلٍ إِنْ دِيمُوا . . . الخ

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التَّزْبِ خَاتِمُهُ^(١)

بِأَنَّ أَنَسَ بَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا لِحَفْنِهَا كَمَا قَالُوا فِي عِيدِ أَعْيَادٍ ، وَفِي تَحْقِيرِهِ عِيدٍ ، وَهُوَ مِنْ عَادٍ يَعُودُ ، وَكَانَ قِيَاسُهُ عَوِيدَ وَأَعْوَادٍ ، كَمَا قِيلَ فِي تَحْقِيرِ « رِيحٍ » رَوِيحٍ ؛ وَفِي جَمْعِهَا أَرْوَاحٌ ؛ وَحِكْيُ اللَّحْيَانِي فِي نَوَادِرِهِ : رِيحٌ وَأَرْوَاحٌ ، فَهَذَا مِمَّا أَجْرَى مَجْرَى الْبَدَلِ الْإِزْمُ لِحَفْنَةِ الْيَاءِ ، وَكَذَلِكَ يَتَرَدَّدُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ كَلَامِهِمْ ، فَهُوَ مِمَّا أُلْزِمَ بِدَلِّ الْيَاءِ مِنَ الْوَاوِ تَخْفِيفًا ، وَلِأَنَّهُ قَدْ أَبْدَلَهَا فِي زَيْ قَصْدًا مِنْ طَرِيقِ الْإِشْتِقَاقِ ، وَالْقِيَاسِ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ عَيْنُ الزَّيِّ وَآوَاءُ فِي الْأَصْلِ ، لِأَنَّ بَابَ طَوَيْتٍ ، وَرَوَيْتَ مِمَّا عَيْنُهُ وَآوٍ وَلَامُهُ يَاءٌ أَكْثَرُ مِنْ بَابِ حَيِّتٍ وَعَيَّيْتُ مِمَّا عَيْنُهُ وَلَامُهُ يَاءٌ إِنْ فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْقِيَاسُ وَالْإِشْتِقَاقُ عَلَى قَضِيَّتِهِ لَزِمَ قَبُولُهَا وَرَفْضُ مَا عَدَاهَا وَخَالَفَ وَضَعَهَا .

(١) الْأَطْلَالُ : آثَارُ الدِّيَارِ . يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَبْلِي بِبَلَى الْأَطْلَالِ ، إِنْ لَمْ يَقِفْ بِأَطْلَالِ الْأُحِبَّةِ مَتَوَجِّعًا لَهَا مِنْحِنًا ، كَمَا يَفْعَلُ الشَّحِيحُ إِذَا فَقَدَ خَاتِمَهُ وَوَقَفَ يَتَلَسَّسُهُ فِي التَّرَابِ ، قَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ : وَهَذَا مَا أَخُوذُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أُمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

وَقَدْ عَابَ ابْنُ جَنَى هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : لَيْسَ لِلْفَرْقِ عَجْزُهُ جَزَالَةٌ لَفْظُ صَدْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي وَقُوفِ الشَّحِيحِ عَلَى طَلَبِ خَاتِمِهِ مِبَالِغَةٌ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَبَالُغُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَجَاوِزُ الْحُدُودَ ، وَقَدْ تَقْتَصِرُ أَيْضًا وَتَسْتَعْمَلُ الْمَقَارِبَةَ . . . وَهَذَا بَعِينُهُ قَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ الْفَصِيحِ ، قَالَ جَرِيرٌ : * هُنَّ حَيَارَى كَفَضَلَاتِ الْحَدَمِ * وَالْحَدَمُ : جَمْعُ خَدْمَةٍ ، وَهِيَ الْخُلْخَالُ . . . قَالَ الْعَرُوضِيُّ - ذَائِدًا عَنِ التَّنْبِيْهِ : لَا عَيْبَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّحِيحَ إِذَا طَلَبَ الْخَاتِمَ اسْتَجَابَ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ لِيَقِفَ بِصَرِهِ عَلَى الْخَاتِمِ ، وَلَوْ كَانَ بَدَلُ الْخَاتِمِ شَيْئًا عَظِيمًا كَالْخُلْخَالِ وَالسَّوَارِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ مِنْ قِيَامٍ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ ، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالدَّرَةِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ قَاعِدًا مَكَانَهُ . يَقُولُ - أَيْ التَّنْبِيْهِ - : إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا - أَيْ بِالْأَطْلَالِ - مِنْحِنًا لَوْضَعَ الْيَدَ عَلَى الْكَبْدِ وَالْإِنْطَوَاءَ عَلَيْهَا كَوُقُوفِ الشَّحِيحِ الْطَّالِبِ لِلْخَاتِمِ . وَيَشْهَدُ لَصَحَّتِهِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ يَذُمُّ بِخِلَا ؛

يَمْدَحُ أَبَاهُ بِالسَّخَاءِ وَدِيمَا ، وَيُرْوَى دَوْمَا - عَلَى الْقِيَاسِ - مِنْ قَوْلِهِمْ دِيمَتِ السَّمَاءِ تَدِيمًا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا دَائِمًا فِي سَكُونٍ ، وَجَادُوا مِنَ الْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ ، أَوْ الْمَطَرُ الَّذِي لَا مَطَرَ فَوْقَهُ أَلْبَتَهُ ، وَوَبِلَ : مِنْ وَبَلَتِ السَّمَاءُ وَبَلَا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا شَدِيدًا ضَخْمَ الْقَطَرِ .

كثيبًا تَوَقَّانِي الْعَوَازِلُ فِي الْهَوَى كَمَا يَتَوَقَّى رَيْضَ الْخَلِيلِ حَازِمُهُ^(١)
قَفِي تَغْرَمُ الْأَوَّلَى مِنَ اللَّحْظِ مُهَجَّتِي بِثَانِيَةٍ وَالْمُتَلِفُ الشَّيْءَ غَارِمُهُ^(٢)

نَكَسَ لَمَّا أَتَيْتْ سَائِلُهُ وَاعْتَلَّ تَفَكُّيسَ نَاطِمِ الْخُرَزِ
فشبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق وتفكيس الرأس . على أنا نقول -
إن الزمننا بهذا السؤال - : قد يبلغ من قيمة الخاتم ما يحق للشحيح أن يطيل وقوفه
على طلبه . . . وقال الواحدى - مدافعا أيضا عن المتنبي - : يقال في جواب هذا
السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من
وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدَ مِنْ نَفْسِ الْعَالِ شَقَّ طُولا قَطْعَتُهُ بِاتِّحَابِ
وقد علمنا أن ساعة من - امات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس
العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية في الطول ،
وكقول الآخر :

وَلَيْلُ كَيْظِلِ الرَّمْحِ قَعَرَّ طَوْلَهُ دَمُ الزَّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاكَ الْمَزَاهِرُ^(١)
وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جملة الغاية في الطول . . .
(١) كشييا : أى حزيننا ، حال من قوله أقف بها - في البيت السابق - وتوقانى :
تباعدنى واجتنبنى . والريض من الخيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض
الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول :
إن العواذل اللأى يعذلننى - يلغنى - فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن - إذا وقعت
على الربع كشييا - كما يحذر حازم الريض من الخيل جماعه أن يعضه أو يرمحه
- يضربه برجله -

(٢) تغرم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تغرم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛
ومهجتي : مفعول تغرم ؛ وغرم ما أتلغه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة
أتلقت مهجته ، فهو يقول لها قفى لأنظرك نظرة أخرى رد مهجتي وتحيينى ، فإن فعلت
كانت النظرة الثانية غرما لما أتلفته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبة
تغرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتي بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد أتلقت مهجتي
فوجب عليها الغرم ، فإن لحظ ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت للهبطة الثانية ،

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَتَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ إِنَّمَا عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَأُلْخَدُورٌ كَمَا يُمُّهُ^(١)
وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَامِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكَ عَادِيَهُ^(٢)

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة ، فقال والتلف غارم ، وهي حكومة بحق
وعبارة الخطيب التبريزي : لما نظر إليها نظرة ألفت مهجته وأراد أن ينظر إليها
أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة في الحقيقة ، لأنها سبب التلف ؛
ومثله لقطرب :

أَشْتَاقُ بِالنَّظَرَةِ الْأُولَى قَرِينَتَهَا كَأَنِّي لَمْ أَقْدَمُ قَبْلَهَا نَظْرًا
وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال :

يَا مُسْتَقِمًا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظَرَةٍ فِي النَّظَرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَاؤِي

وروى الخوارزمي تعري - بالياء - وأضله تغريمين ، حذف النون للجزم والخطاب
للمعجوبة والمهجة هي المحبوبة ، فهم حق في موضع نصب بالدعاء ، والأولى مفعول ،
ويكون المعنى : قفى يامه حق تعري النظرة الأولى التي حرمتها بنظرة ثانية إليك .
ثم قال : ومن ألفت شيئاً غرمه : أى أنت ألفت على النظرة الأولى التي رميتها منك
أولا فاغرمها بنظرة ثانية والرواية الأولى هي الأوجه .

(١) العيس : الإبل البيض . والنور الزهر . والكأتم أغلفة الزهر قبل أن
تنتفخ . جعل هؤلاء النسوة زهراً في حسنهن ، وصفاء ألوانهن ، وطيب روائحهن
وجعل الخدود لمن بمنزلة الكأتم للزهر ، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ
السقي والتحية ؛ فإن الزهر نضرت به الماء ، وجرت العادة بأن يحني الناس بعضهم بعضاً
بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئاً منها ، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك ، وقد
كشف السرى الرفاء عن هذا المعنى بقوله :

حَيًّا بِهِ اللَّهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَصْبَحَ رِيحَانَةً لِمَنْ عَشَقَا

(٢) الأظعان : النساء في الموداج . وقوله «ما واجد لك عادمه» استئناف والضمير
للقمر . يقول : أى حاجة لهؤلاء النسوة للسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فإن من
وجدك لم يعدم القمر ، يعنى أنها في الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحترى :

أَضْرَتْ بِضَوْءِ الْبَذْرِ وَالْبَذْرُ طَالَعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَذْرِ لَمَّا تَفَيَّبَا
وقال الآخر :

إِنْ يَتَا أَنْتَ سَاكِنُهُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الشَّرْجِ

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْمُيُونُ بِنَظَرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطَى وَرَازِمُهُ^(١)
حَبِيبٌ كَانَ الْحَسَنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَأَثَرُهُ أَوْ جَارِي الْحُسْنِ قَاسِمُهُ^(٢)
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَابِهِ وَتُسَبِّحُ لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَامَتُهُ^(٣)
وَيُضْحِي غُبَارُ الْخَلِيلِ أَدْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمَلَازِمُهُ^(٤)

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه ، والمعنى : السكيل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم - كالرازح - الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الراضحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك عاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تمقل ، فما الظن بنا ، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجة : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقته حسناً وجمالاً ، وإنما ركاها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشئ ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى البالغة والتعمق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى البالغة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكان الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار - لم يعدل - فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيباً .

(٣) الخط : موضع بالجمامة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحقى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذلك ، كما قال :

* بَعْمٌ أَلْقَنَّا يُحْفَظْنَ لَا بِالْتِمَامِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه ليخدمته .

(٤) أدنى : أقرب . والكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشره : رائحته . قال اللحياني : ومثل للكباء الكبة ، قال : والجمع كباء ، وقد كبت ثوبه - بالتشديد أى بخره ، وتسكى واكتبى إذا تبخر بالعود ؛ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبَّةِ الْمَشَى تَى وَبُلُهُ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامُ^(١)
يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج - وهو العود - وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الحنى والحب .

وَمَا أُسْتَفْرِبْتُ عَيْفِي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا عَلِمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ^(١)
فَلَا يَتَّبِعُهُ فِي الْكَاشِحُونَ فَإِنِّي
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقُهُ^(٢)

عنك وأقربها منه - من الحبيب - دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه في غاية النعمة وغاية النعمة . وعبارة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار كالعجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : وروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول ستر دونها مما يليها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا يقال : أدنى ستر إليها من الستور دونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة التنبي في إشار للبالغة .

(١) يريد كثرة مالمقى من صروف الدهر ، وما مقى به من فراق الأحبة حتى لا يستغرب فراقاً رآه ، ولا تريبه عينه شيئاً لم يعلمه قلبه ، وللصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالِماً
عن حرفٍ واحدٍ ليكى أزدادها^(١)
ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبل ما صنعتُ بنا
قلماً دهنى لم تزدنى بها علماً
وقال الأعور الشنى :

لقد أصبحتُ لا احتاجُ فيما
يكونُ منَ الأمورِ إلى السؤالِ
وقال ابن الرومى :

وما أحدثَ المصرانِ شيئاً نكرتهُ
هما السَّالبانِ الواهبانِ هُما
(٢) الكاشع : الذى يضر لك العداوة . والعلام : جمع علقم ، وهو الحنظل .

(١) من كلته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها
وفها يقول فى وصف الغلية وولدها :

تُزجى أغنٌ كأن إبرة روقه
قلم أصاب من الدواة مدادها
تُزجى أغن : أى تسوقه برفق ؛ والروق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه كأنه إبرة .

مُشِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيَهُ هَادِمُهُ (١)
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَاً وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ (٢)

قال ابن جنى : سأله - أى التنبي - وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة في هذا اللوح ؟ قال : أن يظنوا بى جزعاً . يقول : لا يتهنى الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق ، فإنى قد ذقت المراتر حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، والعلم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلّاه . ولمنى رعبت الردى : رعبت أسباب الردى من المخاوف والمهلك ، وكنى بالعلام عن المراتر ، ولهذا قال « رعبت » لأن العلم بما يرعى ، يعنى إنى لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادى ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالى مِنَ النَّوَى وإنْ بَانَ جِيرَانِ عَلَى كِرَامٍ
وقال اللّؤج السدوسى :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وبالمصائبِ فى أَهْلِ وَجِيرَانِي
وهذا المعنى ظاهر فى قول الخريمى :

لقد وقَرَتْنِي الحَادِثَاتُ فَأَرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَبِّهَا أَنْتَوِّجِعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشيبه : خبره ؛ ولك أن تعكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير فى « توقيه » للباكي ، وفى « بانيه ، وهادمه » للشباب . يقول : إن الذى يحزع على فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقى من الشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومى :

تُضَعِّضُهُ الْأَوْقَاتُ وَهِيَ بَقَاؤُهُ وَتَفْتَلَهُ الْأَقْوَاتُ وَهِيَ لَهُ طُعْمُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يُبْلِيهِ عَمْرُهُ وَيُفْنِيهِ أَنْ يَنْتَقِىَ فَنَى دَائِهِ عَقْمُ

(٢) العارضان : جانبا الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا يياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب - من قدم يقدم : إذا ورد - وبالعائب : السواد الذى غاب بقدم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر ويياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد ويياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحَهُ^(١)
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلَّهُ حَيًّا بَارِقَ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمَةٌ^(٢)
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكَمْهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغْنِ حَامَتُهُ^(٣)

بالغائب : لون جلد العارض المستر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر الثابت ؛ وهذا هو الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيا ثم يافعا مترعرا ثم يئب شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكملة العيش ، لأن :

مَنْ شَابَ فِي النَّاسِ مَاتَ حَيًّا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَشَى هَالِكٌ
لَوْ كَانَ عَمْرُ الْفَتَى حِسَابًا لَكَانَ فِي شَيْبِهِ قَدَالِكُ^(١)
وبيت التنقي من قول ابن الرومي :

سُلبتُ سَوَادَ الْعَارِضِينَ وَقَبْلَهُ بَيَاضُهَا الْحَمُودَ إِذْ أَنَا أَمْرَدُ
(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض في الشعر حسن ، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر . وعبارة ابن جني : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهده فيه ، فإذا خضب ظهر للغواني أنه شاب فترغبين فيه .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحبا : المطر : والبارق : السحاب ذو البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول : أحسن من الشباب الذي فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر إليه ، يعني سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ؛ وكنت بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له في هذا البيت بين ضروب من المدح - الحسن والجود - واستحقاق التأمل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت : وتن - يحذف إحدى التاءين - وفي رواية : لم تن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصور رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبتت السحاب وحاكه - نسجه وصنعه - وأغصان تلك الأشجار لا تغني حماتها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

(١) فذلك : جمع فذلكه من قول الحاسب : فذلك كذا .

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجَّهِ
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَا جَ كَأَنَّهُ
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي النَّجَاحِ ذِلَّةٌ
تَقْبَلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ
فَيَسَامَا لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَثِيرُهُ
مِنَ الدَّرِّ سَمُطٌ لَمْ يُتَّقَبْهُ نَاطِمُهُ (١)
يُحَارِبُ ضِدَّ ضِدِّهِ وَيُسَالِمُهُ (٢)
تَجُولُ مَذَاكِرَهُ وَتَدَأَى ضَرَاغُهُ (٣)
لَا بُلَجَ لَا تَيْجَانُ إِلَّا عَمَامَتُهُ (٤)
وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُتْمُهُ وَبَرَاغُهُ (٥)
وَمَنْ بَيْنَ أَذُنِي كُلِّ قَرْنٍ مَوَاسِمُهُ (٦)

(١) الوجه : ذو الوجهين ؛ والسمط : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسط الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأثواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لياضها ، غير أن من نظمه لم يثقبه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول : ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن دينها التفارس والتهاش ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسألة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكي : السنة من الخيل . وتدأى : تختل - يقال : دأيت الصيد ودأوت له : أى ختلته - وروى بالذال المعجمة ، يقال ذأى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكأن الخيل التي صورت عليه جائلة ، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدا وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلج المشرق ، والذي قد وضع ما بين حاجبيه فلم يكن مقروء الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى : الأبلج ، وهو المتكبر العظيم في نفسه : بلغ - بالكسر - وتبلغ : أى تكبر ، فهو أبلج . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالذلة ، وعنى بالأبلج - أو الأبلج - سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربي ، وتيجان العرب : عمامتها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدها رجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونه يقولون بساطه ، ولا يلفنون أن يقبلوا كفه أو يده ؛ لأنه أعظم شأننا من ذلك (٦) قايما : مصدر لم يذكر فعله ، كأنه قال : قاموا - أى الملوك - قايما ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالا وهيبة ؛ وكفى بالكى عن ضربه وطعنه ولذعة حربه ، وبالذاء عن غوائل الأعداء وطفانيهم ؛ يعنى أنه يرد بالطنن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو مايوسم به

قَبَائِلُهُمَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيَبَةً وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُنُفُونِ عِزَايُمَهُ^(١)
لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَهَاجُهُ^(٢)

- المسكوة - ويقال أيضاً المياسم - على لفظ الميسم - كفى بجمل مواضعه بين آذان السادات - أى فى أقفائهم - عن قهرهم وإذلالهم .

(١) القبائع : جمع قبعة ، وهو ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . يريد قبائع سيوف الملوك . والجنفون : جمع جفن ، القمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتمظيها ثم قال : وعزائم أنفذ وأمضى من السيوف - وهى ما فى الجنفون .

(٢) يقول : إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبغه لكثرة وقائمه حتى تأكل من لحوم القتلى ، فكانت من عديد جيشه ؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجاهج ، لأن عسكر الخيل يقتلهم ، وعسكر الطير يأكل لحومهم ، والضمير فى « بها » . للخيل والطير ، فلما جعلهما جماعة كفى عنهما بلفظ الجمع ، ولم يكن بالثنائية للعسكرين . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال : لا أدرى كيف خص الجاهج بالبقاء دون سائر العظام ؟ ولا أعرف للخيل فى هذا معنى ، بل للطير ، لأنها - أى الطير - لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكته العدو فأنكلم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش . . . ومن ثم قال بعض الشراح : يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رهوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى ؛ فلماذا لم تبق إلا الجاهج . . . وبعد : فما أبداع قول النابغة فى هذا المعنى :

إِذَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ جَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ
يُصَاحِبِنَهُمْ حَتَّى يُغَرَّنَ مَفَارِمُ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَانِحُ قَدْ أَيَقَنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عَرَّضَ الْخَطَى فَوْقَ الْكَوَاتِبِ^(١)

(١) من الضاريات الخ : أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزراً عيونها : أى ضيقة العيون خلقة أو أنها تتخازر : أى تقبض جفونها لتحدد النظر . وقوله جلوس الشيوخ الخ : فالمراب جمع مرنبانى ، وهو الثوب البطن بفراء الأرناب . يقول

أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوَظِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ^(١)
فَقَدْ مَلَّ ضَوْؤُهُ الصُّبْحَ مِمَّا تَغْيِرُهُ ، وَمَلَّ سَوَادُ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاحِمُهُ^(٢)
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ ، وَمَلَّ جَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاحِظُهُ^(٣)

(١) الأجلة - جمع جل - ما يجعل على ظهر الدابة ؛ والملاغم - ما حول الفم مما يلفقه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفي الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته في الملاغم والملمم يشبه أن يكون مفعلاً من لغام البعير - وهو زبده - سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابي : متى السير ؟ فقال : تلغموا يوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لحيله ، ويوطئ حوافرها وجه كل باغ فيهم . قال العسكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإيمان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

(٢) الناء - فى « تغيره وتزاحمه » - إما للخطاب : وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، لحذف الجار ونصب الضمير - على حد قولهم : أتمت ثلاثاً ما أذوقهن طعماً : أى ما أذوق فيهن - وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الغارة : واضبعاء . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها وضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل . وقيل فى معنى البيت مما تغيره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكأنه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدى : أى ملت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والمجان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد للتنبي رماح جيشه

إن هذه الطير تقع على أعلى الأرض والمضاب كأنها فى ريشها ووقوفها ترقب القتل جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المراتب يحددون النظر إلى شيء بعيد وجوانح أى مائلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواكب : جمع كاتبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت السكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام التربوس يضع الفارس عليها رمحها مستعرضاً .

سَحَابٌ مِّنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ^(١)

وسيوفه ، على أن ترفع صدورهم ؛ يقول ؛ ملئت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك ؛ وملت سيوفك من الشيء الذي تلامحه لكثرة وقعها عليه . هذا ؛ وقد عاب ابن وكيع قوله تلامحه ، قال : الملامطة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدَبِّرٍ وَتَدَقُّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
وهكذا ابن وكيع تراء كثير التفتيد لأبي الطيب حتى ليبالغ في ذلك .

(١) أى هناك سحب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوى الخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثانى ، والتأنيث فى الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير فى الثانى : على اللفظ . جعل العقبان التى فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحاباً لما فيه من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً فى الصناعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويرحف تحتها سحب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أى صبغة الطير للجيوش — كثير فى كلامهم ، قال الأئوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنٍ ثَقَّةً أَنْ سَتَمَكُرَ

« أى تعطى الليرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إِذَا مَا غَرَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ

« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تَقَايَا الطَّيْرُ غُدُوته ثَقَّةً بِالشَّيْءِ مِنْ جَزَرِهِ^(١)

وأيت التنبي من قول أبى تمام :

وَقَدْ ظَلَمْتُ هِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضَحَى بِعِقْبَانٍ طَيْرٍ فِي الدُّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرِّيَاضِ حَتَّى كَانَهَا مِنَ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَاتِلِ

(١) تأيا الشيء : تعمد آيته : أى شخصه ، وقصده ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر

قطع اللحم .

هذا وقد أخبرنا العكبرى أن قوماً ممن هو مقصر في معرفة تدقيق المعاني قد تعتوا على التنبي بأمرين : أولهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسقي وإنما تستطم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذي أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه وإنما أنامه بمقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرتة وتزاحمه ، وغطاها كما يغطي السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها ، ولما جعله سحاباً جعله يسسقي فيسقي مع أن الطير لا تصيب من القتل ما تصيبه وهي في الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتل فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب في أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيماً لقدر الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطت بنعمة فحقُّ لشأس من نَدَاكَ ذنوب^(١)

وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأساً فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يثقه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المائحُ دَلَوِي دونكا إني رأيت الناس يحمّدونكا^(٢)

وهما لم يستقيما ماء في الحقيقة ، إنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

(١) خطبه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بصاء ليتناثر فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهي في الأصل الدلو المملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلقمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الفسائي ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على النذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة فقتله وقتل خلقاً كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلاً . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشباب عَصْرَ حان مَشِيبُ

(٢) الليح في الاستقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملاً الدلو بهذه يبيع فيها بيده ، ويميع أصحابه ، والجمع ماحة ؛ فالمائح : هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر ، والمائح : المستقي من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المائح بإست المائح ، تعني إن المائح فوق المائح ؛ فالمائح يرى المائح ويرى إسته .

سَدَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقِيْتَهُ عَلَى ظَهْرِ عَزَمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ ^(١)
 مِنْهَا لَيْتَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذُّنْبَ نَفْسُهُ ، وَلَا سَحَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهُ ^(٢)
 فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْبَحْرُ عَائِمُهُ ^(٣)
 غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِيْفَاتِهِ بِلَا وَاصِفٍ وَالشَّعْرُ تَهْدِي طِمَاطِمُهُ ^(٤)

(١) صُرُوفُ الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته .
 والمؤيد : القوى ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث
 الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى
 بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جملة
 مركوباً استعار له ظهراً وقوائمه وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوادم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهاالك : المفاوز ؛ ونصب « مهاالك »
 كأنه أبدلها من « الصرُوف » وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صُرُوف
 الدهر فى شيء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهاالك
 لو سلكها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعاً ، ولو سلكها الغراب لم
 تصحبه قوادمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع
 البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لهما « الأصرمان » ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهاالك
 فغيرها أعجز عن قطعهما ؛ وعبارة بعض الشراح : أراد بالمهاالك - أى المفاوز -
 مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صُرُوف الدهر . يقول : الصرُوف التى
 قطعها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعاً ولو سلكها الغراب لم يستطع
 قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب
 من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بَدْرًا فى الصباحة
 والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه
 بحرًا فى العلم والسخاء لا يرى الساج فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذياناً : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم :
 جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفصح ؛ قال عنترة :
 تَأْوَى لَهُ قُلُوصُ النِّعَامِ كَأَوْتِ حِرْزِ قِيَمَانِيَةِ الْأَعْجَمِ طِمْطِمِ ^(١)

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ وَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمَةٌ (١)
أَقْدَسَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا ؛ فَلَا الْمَجْدُ يُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَمَالَهُ (٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطمطامى وطمطمانى ؛ وفى لسانه طمطمانية . وفى صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات المدوح لا واصف لها مع كثرة طمطام الشعر - يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى - غضبت لأجله ، لقصور هؤلاء الشعراء ، عن بلوغ وصفه .

(١) يمت : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة سریت بالليل مشتتلا بالظلام كأنى سر والليل يكنم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى وطئِكَ سرّاً لو تكلفَ طيةٌ دُجى الليل عنا لم تسمعه ضمائرُه
وقد نقله البحترى من قول قنبر بن ضمرة العطفانى ، أحد شعراء الدولة الأموية :
سَرَيْنَا بِهِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ظَلَامُهُ فَكَانَ لَنَا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ سِرًّا

وقال الصاحب بن عباد - وقد نقله من المتنبي - :

تَجَشَّمْتُهُ وَاللَّيْلُ وَخَفَ جَنَاحُهُ كَأَنَّى سِرٍّ وَالظُّلَامُ ضَمِيرٌ (١)

(٢) قال الواحدى : يقول : هو سيف سلّه المجد ، يعنى أن الشرف ومعالى الأمور تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يغمده المجد ولا يثله الضرب لأنه ليس سيفاً من حديد يتثلّم بالضرب : وتقل العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من « المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما - بفتح اللام - وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عبي لا يفصح ... شبه الظليم فى سواده بهذا الراعى الحبشى وقيلص الزمام - أى صغارها - بإبل يمانية ، لأن السواد فى إبل اليمن أكثر ، وشبه أوبها إليه بأوى الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالى والعجبة ، لأن الظليم لا نطق له قال الفراء : سمعت المفضل يقول : سألت رجلا من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن من السحاب ما لا يكون لغيره من البلدان فى السماء ، وربما نشأت سحابة فى وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه فى جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ، فالخرق اليمانية : تلك السحاب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

قَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَغْرَ نِجَادُهُ ، وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ ^(١)
تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهِيَ عَبِيدُهُ ، وَتَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَهِيَ غَنَائِمُهُ ^(٢)
وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالْدَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَفْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ ^(٣)

يميز نفسه بعلامة في الحرب ؛ قالوا يعني هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللثام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالبين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيكون المراد المملكة . والعاتق : موضع الرداء من المنكب ؛ والأغر : الأبيض الكريم - ضد اللثيم - ونجاد السيف : حمايته : وقائمه : مقبضه . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين - ويضرب الله به أعداءه ، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق المملكة نجاده يزين به الملك فهو من الملك في أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالحد الذي يحضيه فيه في أعلى مواقعه ، وإذا كان ذلك اكتشفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

لَقَدْ خَابَ مَنْ أَهْدَى سَوِيْدَاءَ قَلْبِهِ لِحُدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلِهِ
وقد ذكره المتنبي في سيف الدولة بقوله :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ ، وَأَنْتَ لَوَاهِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبهم فيسترقهم ويملك رقابهم . ويدخرون الأموال وهي غنائم له ، لأنه يحنوها بالإغارة عليها . هذا : وعبيد جمع عبد - مثل كلب وكنيب - ، وهو جمع عزيز ، وقد جاء في جمع عبد : أعبد وعباد ، وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخفش :

أُنْسِبِ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ عُبْدُ

وفي الجمع أيضاً : عبدان - بالكسر - مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وعمران ، وعبدان مشددة الدال - . والعبداء والعبداء والمعبدة : أسماء الجمع . وروى بدل عبيده : عتيده - بالفاء اللثاء فوقها - والعتيد : الشيء الحاضر المهيأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت لشيء عتاده ؛ أي آلته .

(٣) يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم

وَإِنَّ الَّذِي سَمِيَ عَلِيًّا لَمُنْصِيفٌ ، وَإِنَّ الَّذِي سَمَاهُ سَيْفًا لَطَّالٌ لَهُ (١)
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمَهُ (٢)

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَهْذَا الْهَمَامُ نَحْنُ نَنْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ (٣)

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده في أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الرؤوس . ولزبات الزمان : شدائده ، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاي . قال الجوهري : أصابهم لزبة : أى شدة وقطع ، والجمع لزبات - بالتسكين - لأنه صفة . يقول : إن الذى سماه علياً قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذى سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جماد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما المدحوخ فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وبعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الرؤوس ولا يزيد ، ولكن هذا المدحوخ يقطع رؤوس الأبطال بمحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهام : الملك العظيم . والرُبَى : جمع ربوة . يقول : أين أرمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربى لا بقاء له إلا بالتمام ، إذ لا شرب له إلا من ماله ، أما نبت غير الربي فيمكن أن يشرب من الماء الجارى ؛ وهذا من قول الآخر :

نَحْنُ زَهْرُ الرُّبَى وَجُودُكَ غَيْثٌ هَلْ بَسِيرُ الْغَيْوُثِ يُونِقُ زَهْرُ؟

وبعبارة المكبرى : أين أرمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من آتق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله ﴿ كمثل جنة بربوة أصابها وابل ﴾ ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشدّه افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب

نَحْنُ مَنْ ضَاقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الْأَيَّامُ^(١)
فِي سَبِيلِ الْعَلَى قِتَالِكَ وَالسَّلَامُ وَهَذَا الْقَامُ وَالْإِجْدَامُ^(٢)

حاله به . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أديب لسؤاله ملكا جليلا بـ «أين أزمعت» قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فتن :

لعمرك إني وأبا علي كنبت الأرض تُصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فخرتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويشقه ويغار على قربيه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحاربني فيه رَبُّ الزَّمان كَانَ الزَّمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جني : اللام في «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى «ردف لكم» أي ردفكم ، وقوله جل شأنه «إن كنتم للرؤيا تعبرون» وقول الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل^(١)

وقال ابن فورجة : يريد نحن من ضايقة الزمان ، بخذف الراجع إلى الموصول ، والهاء في قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقتهم الزمان لنفسه ولاجله فيك : أي لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيه عمره له : أي لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثانٍ لـ «بخان» ، يقال بخان الزمان زيدا ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يصير ذما للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم في حال اقترابهم منه .

(٢) الإجدام : الإسراع في السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلتُ عليها بالقطيع فأجذمتُ وقدخب آلُ الأُمَـرِ التَّوقدُ^(٢)

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن الملوح وقيل لجبل وتمثل - بخذف إحدى التاءين - أي تمثّل وتخيّل ، ونراه في قصيدة طويلة جميلة لكثير في أمالي القالي .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطيع : السوط ، والإجدام : الإسراع في السير ، والآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب : ما كان

كَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَدْتَ لَكَ الْخَلِيلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْحِيَامُ^(١)
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ اخْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامٌ^(٢)

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسي .

وَحَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْزَمًا^(٣)

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : قاتلت أو سالت ؛ أقت أو سرت ،
فقصده في جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى ليتنا معك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى
سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث عني أن يكون بهيمة أو جحاشاً ، ولا يحسن
بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه ، فلا يحسن أن تقول : ليتنى امرأتك فأخدمك . قال
ابن جنى : طعن عليه قوم تمصبوا عليه فقالوا : الحيام يعلو من تحتها وقد جعله دونها ،
فأجاب عن ذلك نظماً فقال :
لقد نسبوا الحيام إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جنى : وتلخيص المعنى : ليتنا نفيك الأذى
وتتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل المسير ، وىروى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمي بمعنى
الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال
تأبط شراً ؟

* كثيرُ الهوى شقى النوى والمسالِكِ^(٢) *

نصف النهار ، والأُمز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت
على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت فى السير فى حال خيب آل الأماكن التى اختلط
تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس هو قيس بن زهير العبسي ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد
المعجم بعد إثارة الفتن فى حرب داحس . والبيت من أبيات فى الحماسة انظرها فى
« حماسة أبى تمام » .

(٢) صدره :

قليلُ التشكى للمهم يُصيبُهُ

وقليلٌ ههنا بمعنى النفى .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ^(١)

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ،
أو لأن المجد مقيم معك حينما كنت ، كما قال أبو تمام :

كَمَا زَرَّتْهُ وَجَدَّتْ لَدَيْهِ نَشْبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمًا

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

الْمَجْدُ صَاحِبُكَ الَّذِى حَافَتَهُ أَبْدًا فَرَوْضَتُهُ الْمَرْيَعَةُ مَرْتُكُ

فَإِذَا رَحَلْتَ سَرَيْتَ تَحْتَ ظِلَالِهِ وَإِذَا رَبَعْتَ فَنَى ذُرَاهُ مَرْبَعُكَ

« المريعة : المنصبه . وربعت : أمت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح
الذال : أى كنفه » .

(١) يقول : إذا عظمت الهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها ، وذلك
أن الهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمرزلة الدون ، ولا تستريح أو
تحصل على الرتب العالية ، كما قال العنابى :

وإن عليّاتِ الأمور مَشْهُوبَةٌ بِمَسْتَوْدَعَاتِ فِي بُطُونِ الْأَسَاوِدِ^(١)

قال العكبرى : ويبت للتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان
هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من
أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فَقَالُوا : أَلَا تَلْهُو لِنَذْرِكَ لَذَّةٌ ؟ فَقُلْتُ : وَكَيْفَ اللَّهْوُ وَالْهَمُّ حَاجِزُ

وَنَفْسِي تُعْانِي أَنْ تَقِيمَ مَرْوَعَتِي عَلَى غَايَتِي فِي الْمَجْدِ وَالْجَهْدِ عَاجِزُ
وَمِنْ قَوْلِ أَبِي زُرْعَةَ :

أَهْلُ مَجْدٍ لَا يَحْفِلُونَ إِذَا نَا لَوْ أَجْسِمًا أَنْ تُنْهَكَ الْأَجْسَامُ
وَمِنْ قَوْلِ الْحَصَنِ :

نَفْسِي مُوَكَّلَةٌ بِالْمَجْدِ تَطْلُبُهُ وَمَطْلَبُ الْمَجْدِ مَقْرُونٌ بِهِ التَّلَفُ
وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ جَابِرَ :

إِذَا مَا عَلَا الْمَرْءُ رَامَ الْعُلَى وَيَقْنَعُ بِالْأَثُونِ مَنْ كَانَ دُونَا

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلُقُ الْبُحُورُ الْمِظَامُ^(١)
وَلَسَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْرِ رَوْأَنَا سِوَى نَوَاكٍ نُسَامُ^(٢)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تَطْبُهُ حِمَامُ كَلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظِلَامُ^(٣)

ومن قول أبي تمام :

فَمَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ سِوَاكَ الْكَرِيمِ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبُ الْحَدِيدِ يورِثُ النَّفْسَ خَبَلًا وَهُمُومًا تُقْضِضُ الْحِزْمًا^(١)
وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

فَيَأْمَنُ يَكْدُ النَّفْسِ فِي طَلَبِ الْعُلَى إِذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الْفَقِي طَالَ شُفْلُهُ
(١) يقول : كذا يدن البدن : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر بموج
ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعني أنك بدر وبحر ،
فعدادتك عادتتهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لو كلنا غير فراقك .
لصبرنا صبراً جيلاً كما هي عادتنا في الصبر على المحن ، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة
لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ
(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام - اللوت - سواء ، وكل
شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنقص عيشه بعده ، وإظلام أيامه
بفراقه ، هذا : وقوله ما لم تكنها : على حد بيت أبي الأسود :

دَعِ الْحَمْرَ يَشْرِبُهَا الْغَوَاةُ فَإِنَّهُ رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِيًا بِمَكَانِهَا
فَالَا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَّتْهُ أُمُهُ يَلْبَانِهَا^(٢)

(١) الحبل : الفساد ، في الأصل ، والراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضض :
تكسر وتحطم .

(٢) يخال هو أخوه بلبان أمه - بكسر اللام - ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذي
يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيب ، وأطلقه على
منهجب الراقيين في الأنبة ، وحض على شربه وترك الخمر بينهما ، للاجتماع على
تخميرهما ، وجعل الزبيب أخا للخمر لأن أصلها الكرمة ؛ واستعار اللبان لما ذكر من الإخوة .
(• - المعنى ؛)

أَزَلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهْ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللَّهُامُ^(١)
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَا كِنَ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ^(٢)
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكُتَابَ حَتَّى تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ^(٣)
وَإِذَا حَلَّ سَاعَةٌ بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ^(٤)
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورُ ، وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ^(٥)

والأجود : تكن إياها .

(١) الخميس : الجيش . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شيء فهلكه ويذهب به .
يقول : أقم عندنا لتغنى الوحشة عنا يا من يأمن بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش
بمكانه ، فهم وإن كثروا يأمنون بك ، ويتشجعون على لقاء الأحوال ثقة بشجاعتك .

(٢) الذى : عطف على من - فى البيت السابق - والوعى : الحرب . والذمام :
العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده
على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبى تمام :

مُسْرَعِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

(٣) الكتبية : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذى يكون
على اللهاة ، وهو مركب الرأس فى العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول : والذى يضرب
الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإذا لم يكن به ساعة صار ذلك المكان فى ذمته ، فلا تلم به
الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جذب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة
إذا نزل ببلد أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه بركته .

(٥) والذى : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثانى من
البيت السابق . يقول : والذى تنبت به بلاد ذلك المكان الذى تحمل به سرور ، والذى
تمطره سماؤها مدام - خمر - أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحمل به ،
ولعله ينظر إلى قول البحترى :

ويومر بالمطيرة أمطرتنا سماء صوب وإبلها المقار^(١)

(١) المطيرة : قرية من نواحي سامراء ، وكافت من متزهات بغداد وسامراء : قال
البلاذرى : إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون ، والمقار : الخمر .

كَلِمًا قِيْلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا

كِرَامًا مَا أَهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ^(١)

وَكِفَا حَا تَكْعُ عَنْهُ الْأَعَادِي وَارْتِيَا حَا يَحَارُ فِيهِ الْأَنَامُ^(٢)

إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤْمِلِ سَيْفِ الدِّ وَلَّةَ الْمَلِكِ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ^(٣)

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَفَّى وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ^(٤)

* * *

وقال بمدحه أيضاً :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ وَمِنْ ارْتِيَا حَا فِي غَمَامٍ دَائِمٍ^(٥)

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية في الكرم أبدع كراماً لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طَلُوبٌ لَا تُعْصَى غَايَةٌ بَعْدَ غَايَةٍ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزِيدًا

(٢) تكع : تجبن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع - بكسر الكاف - فهو كع وكاع : أى لا يعضى فى عزم ولا حزم ، وهو الناكس على عقبيه ؛ وفى الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ، فلما مات اجترءوا عليه .. الكاعة : جمع كاع ، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي صلى الله عليه وسلم فى حياة أبي طالب ، فلما مات اجترءوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبذل واصطناع المعروف . يقول : وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجدود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيئته فى القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الأعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبي دلف :

وَيَصُولُ الْإِمَامُ فِي حَيْثُمَا صَالَ فِي صَوْلَةِ الْإِمَامِ الْحَامُ

(٤) يقول : إن تواقه الشجاع وحفظ نفسه منه فى الحرب فذلك منه كثير ، والبلغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيئته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للمطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهى أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هى صفات فعلك ، ومن اهتزازك للمطاء فى غمام لا يقلع مطره .

- وَمِنْ أَحْقَارِكَ كُلِّ مَا تَحْبُوبُهُ ؛ فَبِمَا الْأَحْظَهُ بِمَعْنَى حَالِمٍ (١)
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (٢)
 وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، وَإِذَا تَخْتَمُ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ (٣)
 وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرِكَ هَلَكُوا وَصَاقَتْ كَفَّهُ بِالْقَائِمِ (٤)
 أَبْدَى سَخَاوَتَكَ عَجَزَ كُلِّ مُشْمِرٍ فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرَعَ الْكَاتِمِ (٥)

(١) تحبوبة : تسخو به . و « ما » في قوله « فيما الأحظه » نكرة ، وليست موصولة ، كأنه قال في شيء أحظه ، والظرف معطوف على الخبر - في البيت السابق - . يقول : إنني استعظم احتقارك ما تعطيه وتجوّد به ، ومن ثم أرى نفسي كأنني لا أعينه في اليقظة وإنما أراه حلماً . وبعبارة أخرى : لاحتقارك ما تعطيه - على كثرته - أرى نفسي في حال كأنني أبصرها في النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك في اليقظة .

(٢) الهاء في « سيفها » : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم : القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارماً حقيقة لا يبدو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفل عزمك .

(٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تختم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالفص . يعنى أنك أرفع ما يرفع به الخليفة .

(٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وضاعت كفه عن قائم سيف أنت حقيقة : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعوك للنضج عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء . (٥) للشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرة يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكل من أبدع في وصفه أصبح منسوباً إلى العي

ومن كنتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويهلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .

وقال بمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميثاقارين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

إِذَا كَانَ مَذْحُ فَالنَّسِيبُ لِلْقَدَمِ أَكْلُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتِمًّا (١)
 حَلْبُ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْخَمُّ (٢)
 أَطْمَتُ الْغَوَائِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاطِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْفُرُنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ (٣)
 تَعْرِضُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَصِّمُ (٤)

(١) النسيب : التشبيب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبيب النار وتأريثها . وللتيم : الذي استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسيب في أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أكل فصيح يقول الشعر متمم بالحلب حتى يبدأ بالنسيب ؟ يعني ليس الأمر على هذا ، فلا تجارم في هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكر الجليل يكون به بدؤه وختامه ، يعني لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجليل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحلب من النساء اللاتي ينسب بهن الشعراء .

(٣) الغواني : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنا عن الزينة . وطمح بصره إليه : ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، خذف للعلم : يقول : كنت أرغب فى النساء قبل التقائى بسيف الدولة ، وتطمح عيني إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعبرة العكبرى : أطمت الغواني فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصبرى إلى مملكة هذا المدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند عايتها وقال ابن جنى : كنت متيا بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : معنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير : وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن المعالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض - جانب - . التطبيق : أن يصيب

فَجَازَ لَهُ فَحَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمٌ^(١)
 كَمَا أَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ؛ فَإِنْ شَاءَ حَازُوهَا وَإِنْ شَاءَ سَلُّوْا^(٢)
 وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَلْمِيسُ الْعَرْمَرَمُ^(٣)
 فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرِ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرِ لَهُ مَنْ لَهُ فَمٌ^(٤)

للفصل في الضرب ؛ والتصميم : أن يعض السيف في الفضيحة . يقول آتى الدهر عن عرض فذله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جعله سيفاً ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذى إذا أصاب الفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً في الفضيحة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يصبر عليه ما أراد ، كما قال في البيت التالى .

(١) يقول : فكحه جائز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البدر : أى أنه أحسن منه ، فاليسم الحسن^(١) . وهذا ما ذهب إليه ابن جنى ، وقال العروصى : إن جاز أخذ اليسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقاً للصراع الأول . يقول : كل شيء موسوم بأن أنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البدر ، وأشار باليسم على البدر إلى ما فى وجهه من السواد الذى هو أثر الخمو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأهم خلفاؤه ؛ حينما كانوا من الأرض ، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا بمالكهم إليه . والمعنى : أن أعداءه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والهاء فى « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل ظريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف - كظريفة وظرائف -

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفه رسلاً غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعنى أنه لا يقدره لا يعتمد فى إخضاعهم إلى الملاينة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل فى هذا نظراً إلى قول أبى تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتب فى حدهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
 (٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

(١) قال عمرو بن كلثوم فى معلقته .

ظلمائن من بنى جُشم بن بكر خلطن بميسم حسباً وديننا

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَانِهِ عُسُودٌ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمٌ ^(١)
 ضَرْوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحَسَامِينَ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعِينَ مُظْلِمٌ ^(٢)
 تُبَارَى نَجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نَجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَذْهَمٌ ^(٣)
 يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَتُهُ ، وَمِنْ قِصْدِ الْمَرَّانِ مَا لَا يُقَوْمُ ^(٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا : والمنبر مرقاة الخاطب ؛ ممي كذلك لارتفاعه وعلوه - من نبرت الشيء أنبره نبرا : رفعت ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسي معرب ؛ وأصله دينار - بالتشديد - بدليل قولهم : دنانير ودينير ؛ فقلت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تسمى على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة - القصير - لأنه آمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دنانير ؛ ومثله قيراط وديياج وأصله دباح ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديياج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قدما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصير وحذق بالحرب والزال ؛ فيضرب قرنه مكافئة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفيهما ؛ وإذا ستر الغبار - غبار الحرب - نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا غطىء مقتل قرنه ويجوز أن يكون معنى « وما بين الشجاعين مظلم » أنهما وقعا في أمر عظيم ؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بيني وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هي التي ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » ونجوم المدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكيت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء ؛ في السرعة والشدّة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ في الظلام ببريق الحديد ؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها

استغرق الكواكب ؛ فهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء
 (٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالا من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعني أبطال

فَهُنَّ مَعَ السَّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عُسْلٌ وَهُنَّ مَعَ النَّيْبَانِ فِي الْمَاءِ عَوْمٌ^(١)
 وَهُنَّ مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْوَادِ كُنَّ وَهُنَّ مَعَ الْعُقْبَانِ فِي النَّيْقِ حَوْمٌ^(٢)
 إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيحَ فَإِنَّهُ بَيْنَ وَفِي لَبَاتَيْنِ يُحْطَطُ سُمْ^(٣)
 يَفْرُتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ وَالْجَمْعَا وَبَذَلَ اللَّهُ وَالْحَمْدُ وَالْمَجْدُ مُعْلَمٌ^(٤)

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التي لا يمكن تقويمها لتكسرها ، وهذا من قول الحصين بن الحمام للرى :

يَطْأَنُ مِنَ الْقَتْلِ وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَجْمَا
 « الجبار : الأرض الرخوة ، تتمتع فيها الدواب ، وفي المثل : من تجنب الجبار أمن العثار » .

هذا . وقوله « من لا حملته » أراد ما حملته ، لأن « لا » لا تدخل على الماضي إلا مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عامل - من عسلان الذئب ، وهو الإسراع والاضطراب في الجرى - والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول : إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهي تعدو مع الذئب في البر وتعم مع الجيمان في البحر ، حين تقصد أعاديته .

(٢) في الواد : يرد في الوادي ، فاجترأ عن البقاء بالكسرة وكن : جمع كامن - من كمن : إذا اخفى - والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع في الجبل . والحوم : جمع حائم - من حومان الطير ، وهو دوزانها - يقول : إن خيله تكمن مع الغزلان في الأودية التي فيها كناسها ، يعني إذا كنت للعدو أو هبطت في الأودية فكنت فلم تظهر ، وتمتحم على الأعداء رؤوس الجبال مع العقبان التي فيها وكورها والحاصل أن المدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر . فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يتمتع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمه ونفاذه في مقاصده .

(٣) الوشيح : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب الناس الوشيح من منابته ليجمعوه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله - أي بأيدي فرسانها في الطعن - ويتكسر تارة في صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع للمدوح بالشدة والاستبسال .

(٤) يفرته : متعلق بمعلم - آخر البيت - والمراد يفرته : وجهه . والجبى : العقل . واللبى : العطايا ، جمع لبية . والعلم : الذي جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها ، يقول : هو معلم بوجهه في هذه الأشياء : أي أنه معروف يعرف بوجهه ، فكأنه معلم

يَقْرَأُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوْدُهُ ،

وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجِبُ^(١)

أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌّ وَجُرْهُمُ^(٢)

ضَلَالًا لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَذِيَا لِهَذَا السَّبِيلِ مَاذَا يَوْمُهُمُ^(٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الَّذِي رَامَ ثَنَيْنَا فَيُخْبِرُهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُتَلَمَّ^(٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا على رواية معلم - بفتح اللام - ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدة وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء مرصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسلم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :
ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرم : قبيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجار الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرم - على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول - فى أن يستعظم من يدالعدم فتطالبه بردهم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذتهم فى طريقهم كما قال :

بَكْرُنْ ضُرّاً وَبَكْرَتْ تَنْفَعُ *

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى المدحوح بالجوود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه . وقوله ماذا يؤم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى

(٤) الويل : للطر العزيز . وثنيئا : أى صرفنا ؛ وبخبره - بالنصب - لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيف التى ثلمتها وقاطعت أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فيعلم المطر أنه لا يقدر أيضاً على صرفك .

وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ
تَلَقَّاهُ أَغْلَى مِنْهُ كَفَبًا وَأَكْرَمُ^(١)
فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالِمًا بِأَشَرَ الْقَنَاءِ وَبَلَّ ثِيَابًا طَالِمًا بِلَهَاءِ الدَّمِ^(٢)
تَلَكَ وَبَعْضُ الْغَيْثِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ مِنْ الشَّامِ يَتَلَوُ الْحَاذِقَ الْمُتَعَلِّمُ^(٣)
فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَلِيلُ قَبْرَهَا وَجَشَّمَهُ الشُّوقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ^(٤)
وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بِهَاؤُهُ عَلَى الْفَارِسِ الْمُرْخَى الذُّوَابَةُ مِنْهُمْ^(٥)
حَوَالِيهِ بِحَرٍّ لِلتَّجَافِيفِ مَا نَجَّ بِسِيرِهِ بِهِ طَرْدٌ مِنَ الْخَلِيلِ أَيْهِمْ^(٦)

(١) بصوبه : أى بما ينسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان : أى أرفع منه قدراً وأصله فى التصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب للغلوب . يقول : لما استقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفاً وأوسع كرماً .
(٢) باشره : تولاه بنفسه . والقنا : الرماح . يقول : إن هذا المطر باشر منك وجهاً طالماً باشر الرماح فلم تنل منه ، وبلى ثياباً طالماً بلتها دماء القتلى فلم يثنه بلها ، فكيف يهاب وقع للمطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويغشى الماء من لم يغشى الدماء ؟
(٣) تلاك : تبعك . ومن الشام : متعلق بتلاك . يقول : تبعك الغيث وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضاً ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم لشيء يتبع من حذقه :
(٤) جشمه الشيء : كلفه إياه فتجشمه ، والذي : مفعول ثان لجشمه يقول : إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها : أى هو يشاقق قبرها كما تشاققه .

(٥) الذوابة - فى الأصل - الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا : ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها ، وأراد بالفارس المرخى الذوابة : سيف الدولة وإرخاء الذوابة : كناية عن كونه معيماً ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول : لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .
(٦) التجافيف : جمع تجفاف ، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً . والطود : الجبل . والأيمهم : الذى لا يهتدى فيه : يقال برأيهم وفلاة يهماء . جل كثرة التجافيف حوله بجرا مأجها ، وجعل خيله التى تسير بهذه الشجافيف طوداً عظيماً ؛ يعنى أن حوله من بريق الأسلحة ولعان التجافيف ما يشبه البحر .

نَسَاوتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَانَهُ ^(١) يُجْمَعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظَمُ
وَكُلُّ فَتَى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ^(٢) مِنَ الضَّرْبِ سَطَرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُنْجَمٌ
يَمْدُ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْقَمٌ ^(٣) وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمٌ

بكثرتة ، ويحكىه يريق جملة يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جعله
التجافيف بحراً يسير به من الحيل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلا قال : إنه حل بين الجبال
فملاً فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها للمتفرقة ، ونظم بهضها إلى
بعض ؛ وعبرة ابن جني : تحيط خيله بالجبال وهي كالجبل ، فكان جيشه يؤلف بينها
لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَغِيْبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِغَاراً إِذَا لَمْ تَغِيْبْ
وقال الواحدى : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحي
الأرض . وقال ابن الأفيلى - على رواية الأقطار بدل الأقطار - : الأقطار : الفبار :
يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرتة ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى
الرهج في السهل والوعر ، وفي الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير
كأنها فى ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يَظَلُّ بِهِ الْفَضَاءُ مُعْطَلًا يَدْعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَارَ ^(١)
(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف
الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحوله فتیان على وجوههم آثار الضرب والطمع
يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الطمع إعجاماً لذلك
السطر ، لندور جراحته فهى كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشْقًا وَنَمَمَةً ضَرْبًا وَطَعْنًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفًا ^(١)
(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ؛ والضيغم : الأسد ؛ والتركة : البيضة من الحديد ؛

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهى الراية ؛ وصحار : جمع صحراء .
(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبا دلف ؛ والمشق : مداحروف ؛ والنممة : النقش
ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتا له ؛ والهام : الرؤوس ؛ والصلف : بضمين -
جمع صليف : عرض العنق ؛ وهما صليقان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْنَاسِهَا زَايَاتُهَا وَشِمَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُسَمُّ (١)
وَأَدَبُهَا طُولُ الْقِتَالِ قَطْرُهُ يُشِيرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَقْتَهُمْ (٢)
تُجَاوِبُهُ فِعْلًا وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى وَيُسَمُّهَا لَحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ (٣)
تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرَقُّ لِمَيَّافَرِقِينَ وَتَرْحَمُ (٤)

تشبها بالتركة وهي : بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فركت . والأرقم : الحية الذكركر ؛ والضمير في يديه وعينه : لفق ؛ وضيف فاعل بمد ؛ وأراد بمد يديه منه ضيف فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد . وقوله وعينه : أى ويفتح عينيه منه أرقم ؛ وهذا من باب * علفتها تبنا وماء بارداً * يقول : إن هذا اللقي في الشجاعة كالأسد ؛ وفي حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم ؛ فإذا مد يديه في الدرع فقد مد يدهما أسد ؛ وإذا مد عينيه من تحت الحوذة فقد مد يدهما أرقم .

(١) الضمير في « كأجناسها » : للخيل ؛ والشعار : العلامة في الحرب . والمسمم : الذى سقى السم . يقول : إن هذه الخيل عربية وكل ما معها من الرايات والسهل والملابس عربى كذلك .

(٢) الطرف : النظر ، والضمير في « طرفه » للفارس ، وإن لم يجر له ذكر لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب . يقول : وأدب هذه الخيل طول تمرسها بالقتال والتغلب في شتات الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته . (٣) الوحى : الصوت الخفى ، وفلا ولحظا : منصوبان على نزع الخافض ، والواو بعدها : للحال . يقول : إن هذه الخيل - لأدبها - تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته ، ويفهما مراده باللحظ من غير أن يتكلم ، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاقِحَةٌ بِرِحَالِهَا لِرَوَاحِ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرْقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَكَذَلِكَ نُجَبَّرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا مَا فِي الثُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمْ

(٤) التجانف : الليل ، وفي التزيل : « فن اضطر في غمصة غير متجانف لإثم » أى مائل ، وقال الأعشى :

تَجَانَفُ عَنْ جَوِ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَاسِكَا
وَمَيَّافَرِقِينَ : بلدمن أعمال ديار بكر ، يقول : إن خيلك تميل عن مَيَّافَرِقِينَ رحمة لها ، لأن فيها قبر والده ، وخشية أن تدوسها بموافرها لو هى سارت بجانبها .

وَلَوْ زَحَمْتَهَا بِالْمَنَاكِيبِ زَحْمَةً دَرَّتْ أَى سُورِنَهَا الضَّعِيفُ الْمُهْدَمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنْ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنْ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميفارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميفارقين الخيل بمجردها - وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب - يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت - علت - ميفارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورا ، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا - قديما - هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة ؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علت ضعفها ، لأن « أيا » لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى « لنعلم أى الحزبين أحصى » ، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماض على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة للوضع بنعلم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة : فى موضع نصب بـ « درت » ؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سورينها » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخيصر الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستमित فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم لئلا كل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس - يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضميره كأنه ليس له غذاء ولا يشرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيخ :

لَمَّا فِي الْوَغَى زِيُ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَعَلِّمٌ^(١)
وَمَا ذَاكَ بَخْلًا بِالنَّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرُّ أَخْزَمَ^(٢)

أَكَلَ الْوَجِيفُ لَحْمَهَا وَلَحْمَهُمْ فَأَتَوْكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ^(٣)

(١) الوغى : الحرب . والحصان : الدكر من الخيل . والدارع : ذو الدرع . يقول :
إن لهذه الخيل في الحرب زى فوارسها ، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها ، فكل
فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه الن الحديد .
(٢) يقول : لم تحصنوا هم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها ، ضنا نفوسهم أن تنالها أسنة
الرماح ، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل ، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله ، ولك
فعل الحازم اللبيب ، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا ،
روى أن كثيرا أنشد عبد الملك بن مروان :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دَلَّاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمَسْدَى سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا
يَتَوَدُّ ضَيْلَ الْقَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِهَا وَيَسْتَضِلُّ الْقَرْمُ الْأَشْمُ احْتِمَالَهَا^(٤)
فقال له عند الملك : هلا مدحتى كما مدح الأعشى صاحبه فقال :

وَإِذَا تَسْكُونُ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ خَرَسَاءُ يُغْشَى الرَّائِدُونَ نَهَايَهَا
كُنْتَ الْمَقْدَمُ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَقْتُلُ مُعَلَّمًا أَبْطَالَهَا؟^(٥)

(١) الوجيف : ضرب من السير سريع .

(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها :

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا أَرَادَ رِجَالُ آخَرُونَ اغْتِيَالَهَا
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي غَزَا كَامِنَاتِ الْوَدِ مَنِ فَنَاهَا
تَبْلَجَ لَمَّا جَثَتْ وَاهْتَزَّ ضَاحِكًا وَبَلَّ وَسَلَاتِي إِلَيْهِ بَلَاهَا
وقوله وأذالها : أى أطلها .

(٣) ملومة : كملمة : مجتمعة ، وخرساء أى لا يسمع لدروعها صوت لينها ، ونهاها
عطاشها : أى يغشى القائدون عطاشها الأعداء وفي رواية يخشى ، وجنة - بالضم -
الدرع . وكل ما وقلقه فى جنة ؛ معلما - بكسر اللام وفتحها - من أعلم الفارس
نفسه : أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه . والبيتان من
قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن
الحارث الكندى .

أَتَحْسِبُ بَيْضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنْتَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَا تَوَهَّمُ^(١)
 إِذَا نَحْنُ تَمَيَّنَاكَ خَلْنَا سَيُوفَنَا مِنْ التَّيِّهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ^(٢)
 وَلَمْ نَرَ مَلَكًا قَطُّ يَدْعَى بِدُونِهِ فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ^(٣)
 أَخَذْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ تَنْذِيَةٍ مِنْ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرِمُ^(٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزامة ؛ ويريد المتنبي بالشر الأول شر الأعداء وما جاءوا به من العدد والأسلحة ، والثاني ما عارضهم به من سماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أنظن السيف - لأنك سميت سيفاً - أنها تشاركك في الأصل وأنتك من جملتها ، ساء هذا الوهم وهما : يعنى : أنك وإن سميت سيفاً فإنك أشرف من سيف الهند وأجل منها شأننا وأعظم أصلاً رغم جلالها ورفعها ونفاذها وهيبتها . فهى بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز فى مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفاً خلنا - حسبنا - سيفاً تتكبر . وتعجب بأن صرت لها سمياً فهى تتبسم فى أغمادها تها - كبرا وغرا - وهذا ينظر إلى قول أبى نواس :

تَنْذِيَةُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيرُ

قال العكبرى : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معانى الشعر وقال : قد وضع الشئ فى غير موضعه حيث قال تتبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه للتكبر ، وإنما يكون التبسم من الريح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من المعجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثاراً لما عنده واستقلالاً لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكان السيوف تبسمت إعجاباً بنفسها لمشاركة المدوح لها فى التسمية ، فخرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أى بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكاً يلقب بدون ما يستحق فيرضى بذلك وعمله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثانية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُنْقَسَمُ^(١)

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة - وأنشدها في محفل من العرب - وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتمريض له في مجلسه بما لا يجب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ يَمْنَنُ قَلْبَهُ شَيْمٌ وَمَنْ يَجْسِمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٢)

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، ونحرم من تشاء لأنك ملك في يدك البسط والقبض .

(١) هذا من قول أبي العتاهية :

فَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَغَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حَبَائِكَ

(٢) الشيم : البارد . والشيم : البرد ؛ وقد شيم الماء - بالكسر - فهو شيم ، ومطر شيم ، وغداة ذات شيم ، وقيل لابنة الحس^(١) ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سمنة ، في غداة شيمة ، بشفار خذمة ، في قدور هزمة . أرادت في غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطعة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشيم : الذي يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بِعَيْنِي قُطَامِي نَمَّا فَوْقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَيْمًا يَنْقَضُ بَيْنَ الْمَجَارِسِ^(٢)

يقول : واحر قلبي واحترقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل طي ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه ، سقيم الحال لفساد اعتقاده في . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما ثبتت في الوقف ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب في ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا لامرئ القيس :

(١) الحس : رجل من إباد ، وابنة الحس : الإيادية التي جاءت عنها الأمثال ، واسمها

هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامي - بضم القاف وفتحها - الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو القثي

اللحم ، والمجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تمس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .

مَا لِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَمَمِ^(١)
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِفِرْتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَفْتَسِمُ^(٢)
 قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُقَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ^(٣)
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيمِ^(٤)
 فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمْتَتُهُ ظَفَرُ فِي طَيْهِ أَسْفٌ فِي طَيْهِ نِعَمٌ^(٥)

وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْلَهُ يَا هَنَا وَيَمُكُّ أَلْحَقْتُ شَرًّا بِشَرٍّ^(١)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند التقاء الساكنين .
 (١) براه : أعلاه وأسناءه : وأكتم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمرة بعد الواو ، وسكبه ضرورة ، أو طلى لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذي برح بي وأسقمعي ، وأعين طلى نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الفرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعني وغيري أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة في حبه ، فليتنا نقسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيباً من غيري ، لأنى أوفر حبا من غيري . وقال ابن جني : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لفيرته ، فليت أنا نقسم به كما نقسم حبه .
 (٣) والسيوف دم : أى غضة بالدم . يقول : إنه خدمه في حالي السلم والحرب .
 (٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلقة والخلق . يقول إنه كان في الحاليين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه ، وإنما للرء خلقه .

(٥) يمتته : قصده . والأسف : الحزن . يقول : — وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته — فوْتُ العدو الذى قصده ففاته ، بأن فرمته لاستحكام جزعه ، ظفر حيث فرمته ، فكأنك ظفرت به وإن كان في طي هذا الظفر أسف -ين لم تدركه فقتله ، وفى طي ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

(١) قولهم ياهناه : أى يارحل ، لا تستعمل إلا في النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر

(٦ — الثاني :)

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَلَمَتْ

لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ بِهِمْ^(١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزِمُهَا أَنْ لَا يُوَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ^(٢)

أَكَلَمَّا رُمْتَ جَيْشًا فَأَنْتَنِي هَرَبًا تَصَرَّفْتَ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَبَمُ^(٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا^(٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَعَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللَّمَمُ^(٥)

(١) الهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم ، جمع بهمة ، ويقال للعبش بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جني : الهممة في الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكمة بهم لأنه لا يهتدي لقتالهم : من قولهم شئ بهم . يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك في شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك ما لا تصنعه عساكرك للشجعان ، يعني أن مهابتك في قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يواريهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئاً لم يكن يلزمها ، وذلك رغبتك في أن لا يوارى أعدائك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإياؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدرّكهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفي ما يكفي غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانتنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلما طلبت جيشاً فارتد هارباً منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أي ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) للمعرك : ملتحق الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك في مجال الحرب والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالحرب إشفاقاً منك وخوفاً من لقاءك فلم نظفر بهم .

(٥) بيض الهند : السيوف . واللهم : جمع لمة ، وهي الشعر إذا ألم بالنسك يقول ليس يحول لك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وهمورهم .

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ^(١)
أَمِيدَهَا نَفَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ
أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ^(٢)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَائِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٣)
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْيِي وَأَسْمَعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ^(٤)

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني ؛ وفيك خصامي وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحاطك إلى غيرك ، وإنما أستعدى عليك حكمتك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جني : هذه شكوى مفرطة لأنه قال في موضع آخر :

وَمَا يُوجِئُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ رَازِقٍ
وإذا كان عدلا في الناس كلهم إلا في معاملته فقد وصفه بأقبح الجور .

(٢) قال ابن جني : سألته - أي اللثني - عن الماء « في أعيدها » على أى شيء تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش في قوله تعالى « فإنها لا تعمي الأبصار » فقال : الماء راجعة إلى الأبصار وغيره من النحويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر الماء بالنظرات ، ونظرات - كما قال التبريزي - في موضع نصب على التمييز : أى من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى تى ، عرفته على ما هو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شعبا . وهذا مثل ، يقول : لانظن المنشاعر شاعرا كما يحسب الورم سمنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له في بصره ؟ يعنى : يجب أن تميز بينى وبين غيرى بمن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بينى وبين غيرى ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغى أن يستويا في عيني البصير .

(٤) يقول : إن الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى ، وكذلك الأصم سمع شعري ، يعنى : أن شعري سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه ، فكأن الأعمى رآه لتحقيقه عنده ؛ وكان الأصم سمعه . وكان للمعري إذا أشهد هذا البيت يقول : أنا الأعمى .

أَنَا مُمْلٌءٌ جَفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
وَجَاهِلٍ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَقَمِ^(٢)

(١) الشوارد : سوارث الأَشْعَار - من قولهم شرد البعير : إذا نفر - والضمير في « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جني : يحتمل أن يراد بالكلمات : جمع كلمة التي هي اللفظة الواحدة ، وهذا أشد في المبالغة . ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون الفصيذة كلمة . وملء جفوني موضع المصدر : أى أنام نوماً ملء جفوني . ويقال : فعلت ذلك جراك ومن جرائك : أى من أجلك . وكذلك من جلالك ومن إجلالك ، ومن جلالك ، كله من أجلك قال جميل :

رَسَمَ دَارَ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَفْضَى الْعِدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ
[أى من أجله . وقيل من جلالك : من عظمك في عيني . وقوله رسم دار : قال ابن سيده : أراد رب رسم دار ، فأضمر « رب » وأعملها فيها بعدها مضمرة] وأنشد الكسائي على قولهم : فعلته من جلالك - أى من أجلك - قول كثير :

حَيَاتِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَالْخَرْقُ بَيْنَنَا وَإِكْرَامِي الْقَوْمَ الْعِدَا مِنْ جَلَالِهَا
[الخرق : البعد] ووحد الضمير في « يختصم » على لفظ الخلق ، لا معناه . يقول أنا أنام ملء جفوني عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها متى شئت بسهولة ، أما غيرى من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . قال الواحدي : ومعنى الاختصام اجتذاب الشيء من النواحي والزوايا مأخوذ من الخصم ، وهو طرف الوعاء^(١) يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالا ويحتلبونها استكراهاً .

(٢) مدده : أمهله وطول له . وأصل الفرس : دق العنق ، ومنه سمى الأسد فراساً .

(١) جاء في اللسان : الخصم - بالضم - جانب العدل وزاويته ، يقال للمتناع إذا وقع في جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة : قد وقع في خصم الوعاء وفي زاوية الوعاء ، قال : وخصوم السعابة جوانبها . قال الأخطل يصف سحابة :

إِذَا حَطَّعَت فِيهِ الْجُنُوبُ تَحَامَلَتْ بِأَعْجَازِ جَرَّارٍ تَدَاعَى خُصُومُهَا
أى تجابو جوانبها بالرعد ، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه ، والجرار : الثقل ذو الماء ، وتحاملت بأعجازه دفعت أواخره خصومها : أى جوانبها

ظَلَرْتُ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَقُتْنِ أَنْ اللَّيْثُ مُنَبِّسٌ^(١)
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبَهَا أَذْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرُهُ حَرَمٌ^(٢)
رَجُلَاهُ فِي الرِّكْضِ رَجُلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ^(٣)
وَمُرْهَفٍ سِيرَتٌ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى صَرَبْتَ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ^(٤)
فَاتْلُخِيلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْفَرِطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٥)

يقول : رب جاهل خدعته مجاملي ، وتركه في جهله - خرقة - ضحكى منه حتى افترسته
ربطت به بعد زمان : يعنى أنه يغضى عن الجاهل ويعلم إلى أن يجازيه ويعصف به .
(١) يقول : إذا كثرت الأمد عن نابه فليس ذلك تبسما بل قصداً للافتراس . يريد
أنه وإن أبدى بشره وتبسمه للجاهل ، فليس ذلك رضا عنه ، وفي مثل هذا يقول :
أبو تمام :

قَدْ قَلَصْتُ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ نَخِيلَ مِنْ شِدْقِ التَّمْبِيسِ مُبْتَسِمًا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتى : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والجملة صفة لمهجة
والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : ما لا يعمل انتهاكه يقول
رب مهجة - مهة صاحبها مهجتى أى قتلى وإهلاكى أدركت هذه المهجة بفرس من ركه أمن
من أن يلحق ، فكان ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجله
رجل واحدة لأنه يرفعهما معاً ويضعهما معاً ، وكذلك يداه - ويسمى هذا الجرى النقل
والمناقلة - ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أى أن جريه يغنيك عن تحريك اليد
بالسوط والرجل بالاستحثاث ؛ وقال ابن الأفلح : وفعله فى السرعة ما تريد أقدام
التي بها يستعجل وفى المؤاناة وللواقعة ما تريد الكف التي بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل : الجيش الكثير . وروى ابن
جنى : بين الموحيتين : أراد موجتى الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما فى بعض . يقول :
ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أرواحه
وتضطرب .

(٥) البيداء : الفلاة ؛ وتعرفنى : يروى تشهد لى ، ويروى بدل السيف والرمح

صَحِبَتْ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنْ الْقُورِ وَالْأَكَمِ^(١)

الضرب والطمع وروى الواحدى : والحرب والضرب . يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفنى لكثرة سرائى فيه وطول ادراعى له ، والحيل تعرفنى لتقدمى فى فروسيته ، والبيداء تعرفنى ل مداومتى قطعها واستسهاى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقى فى الضرب بهما ، والقرطاس تشهد لإحاطتى بما فيها ، والقلم عالم بإبداعى فيما أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطاس كله الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لمخش العقيلي يصف رسوم الدار وأثارها كأنها خط زبور كتب فى قرطاس :

كَأَنَّ بِحَيْثُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلَهَا نَحْطَ زَبُورٍ مِنْ دَوَائِرِ وَقِرْطَاسٍ

(١) الفلوات : القنار ، والقور : جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء ، والقور أيضا : أصغر الجبال ؛ وأعظم الآكام - جمع أكمة - قال منظور بن مرثد الأسدى :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِي الْقُورِ قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورٍ

مَكْتَتِبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ مَطُورٍ أَزْمَانَ عَيْنَاهُ سُرُورُ الْمَسْرُورِ^(٢)

والقور : يروى القوز - بفتح القاف وبالزاي - وهو الكتيب الصغير . وجمعه أقواز وقيزان . قال ذو الرمة :

إِلَى ظَمْنٍ يَقْرَضُنْ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ شَمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسُ^(٣)

ويروى : القور ، وهو المظن من الأرض ، والأكم : جمع أكبة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش فى الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيواناتها حتى تعجب منى نجدها وغورها لكثرة ما تلقانى وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القور : أى بأعلى المكان الذى بالقور . وقوله قد درست غير رماد مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفراه . وقوله مكتتب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكتيب ، ومروح أصابته الريح ؛ ومطور أصابه المطر ، وعيناه مبتداً وسرور المسرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتكبه ، ومشرف والقوارس : موضعان يقول : نظرت إلى ظمن يحزن بين هذين الموضعين .

يَا مَنْ يَمُنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أَنْ مُنْفَارِقَهُمْ
وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(١)
مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْسَ^(٢)
إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجُوجُ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ^(٣)
وَبَيْنَنَا لَوْ رَغَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الشَّيْ ذِمَّ^(٤)
كُمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيَمُجِزُكُمْ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمَ^(٥)

(١) يقول : يا من يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدناه عدم ، يعنى لا يعنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .
(٢) ما أخلقه بكذا واقنه وأجدره وأحراره وأولاده : بمعنى ، وأمم قريب يقول :
يقول : ما كان أحرانا ببركم وتكرمتكم فى الاعتقاد لنا على نحو أمرنا فى الاعتقاد لكم أى لو تقارب ما بيننا بالحلب لكرمتونا ، لأننا أهل للتكرمة .
(٣) يقول : إن سررتكم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نحمد له ألما ، لأن كل سرورنا فى سرورنا فى سروركم ورضانا فى رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِرْتُ بِهِجْرِكَ لِمَا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَائِكَ فِيهِ سُرُورًا
وَلَوْ لَا سُرُورُكَ مَا سَرَّنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورًا
لَأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكِ مَهْلًا يَسِيرًا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رغيتم ذاك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رغيتم أن بيننا معرفة . والنهى : العقول . والذمم العهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها .
(٥) يقول : كم نحاولون أن تبهدوا لى عييا تعيونا وتتعلقون عليه وتعتذرون به فى معاملتي فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تنصفوني منكم وتكافئوني بالجميل . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثَّرِيَّ وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ^(١)
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَائِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ^(٢) الْوَيْسُ
أَرَى النَّوَى تَقْتَضِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوُخَادَةُ الرَّسْمَ^(٣)

(١) وذان : أى العيب والنقصان يقول : إن بعد ما بنيتى وبين النقصان والعيب كبعد الثريا من الشيب والهرم ، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحق العيب والنقصان .
(٢) الغمام : السحاب . والصوائق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن الصوائق مهلكة وهى التى تسكره وتخشى من الغمام ، والديم نافعة وهى المرجوة . من الغمام ، فهو يقول : ليت الممدوح الذى يشبه الغمام الذى يعصيني صواعقه - يعنى أذاه وسخطه - ويصيب غيرى مطره - يعنى بره ورضاه - يزيل ذلك الأذى إلى من عنده ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هذا الدهر أقصر شره^(١) كما قصرت عنا لها^(٢) ونأله^(٣)
ومثله قول ابن الرومى :

أَعْنَدِي تَنْقُضُ الصَّوَائِقُ مِنْكَ
وَعِنْدَ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالثَّرَى الْجَفْدُ^(٢)
وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناس سُقْيَا سَمَائِكُمْ فَحُظِّي وَمِيزُ الْبَرْقِ أَوْ زَجَلُ الرُّعْدِ
وأخذه السرى الرِّاء فقال :

وأنا الفداء لمن مَخِيلَةُ بَرْقِهِ حُظِّي وَحُظَّ سِوَايَ مِنْ أَنْوَاثِهِ
(٣) النوى : البعد . وتقتضي : أى تطالبني ، وقد ضمنه معنى تكلفني أو تجشمني ، ولذلك عداه إلى اثنين . والوخد والرسم : ضربان من السير ؛ والوخادة : الإبل التى تسير سيراً سريعاً . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها لسيورها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ والهمي : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء .
(٢) الحيا المطر ، ونرى جعد ؛ وتراب جعد : لين ندى .

لَيْفَن تَرَكَنْ ضَمِيرًا عَنْ مَيَّامِينَا لِيَحْدُثَنَّ لِيْنِ وَدَفْنُهُمْ نَدَمٌ^(١)
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تَفَارِقَهُمْ فَالْرَّاحِلُونَ هُمُ^(٢)
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّهُ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ^(٣)

الإبل السريعة الشديدة ؛ لبعدها وعدة أهوالها . وعبرة العكبري : أرى النوى التي أربدها ، والرحلة التي اعتقدتها ، تقتضي تحشم كل مرحلة وافية لا تستبد بها الإبل لبعدها منها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام في « ليحدثن » لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتماعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير « تركن » للوادة والرسم . وضمير : جبل عن عيني الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : لأن لحقت ركابي بمصر ليندم من سيف الدولة على فراقى . وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشراح قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره في فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتمنى إليه وقال الإمام التبريزي إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفارق ، لهم أسفوا له ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن السكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، وبمعناه إذا رحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائما في ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبري : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته بإسعاف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، واتقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكميم : من لم يردك لنفسه فهو البائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع - كمادته - : هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وَمَا الْقَفْرُ بِالْبَيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ الَّتِي نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِتُوهَا هِيَ الْقَفْرُ^(١)
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ .

(٣) يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

(١) القواء - بفتح القاف - الخالية لا أحد بها .

وَشَرُّهُ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبُرَاةِ سَوَالًا فِيهِ وَالرَّخْمُ ^(١)
بَأَى لَفْظٍ تَقُولُ الشُّعْرَ زِعْنَفَةٌ تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا هَجَمٌ ^(٢)
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقْمَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ ^(٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت - مع جلالها وسعتها - لا تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رحمة ، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبرة اللغة : الرحمة طائر أبقع على شكل النسر حلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالغدر والموق والقذر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البراة الشهب مع رفعتها والرخم مع ضعتها ودنايتها ؛ وهذا مثل . يعنى شر صيده ما شاركتنى فيه اللثام . يريد أن سيف الدولة يجربه في رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ١٢

(٢) الزعنف - وجمعه زعانف - اللثام السقاط من الناس . وهو مأخوذ من زعنف الأديم - الجلد - وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك - وهى أجنحته - أو من زعانف القميص وهى ما تخرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس . وتجاوز من جواز درهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلاً قرأ على حماد الراوية شعر عنتره

* إذ تسقيك بذرى غروب واضح *

فأبدل من الباء فى « تسقيك » نوناً ، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول - مخاطباً سيف الدولة - : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب ، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعجم : أى أنهم ليسوا شيئاً . وعبرة الواحدى : هؤلاء الخساس اللثام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئاً ؟ .

(٣) المقة : المحبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة .

وقال وقد عوفى سيف الدولة عما كان به :

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتِ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَفْدَانِكَ الْأُمُّ^(١)
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْفَارَاتُ وَأُبْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ^(٢)
وَرَاجَعَ الشَّمْسَ نُوْرُ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ^(٣)
وَلَا حَ بَرَفُكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَنْبَسِمُ^(٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين الهجين * ويبقى الود ما بقي العتاب * وهو در - يعنى حسن نظمه ولفظه - إلا أنه كلمات ، وعبارته العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأرجعك عجة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً في ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزومهم كما أشار إلى ذلك في البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى مكون . كانت الفارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الفارات عليها ، فكان الفارات كانت عليقة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكان فقد ذلك النور كان سقم لها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ومبالغاتهم التي قد تفضى بهم إلى مثل هذا الهذيان وقال بعض الشعراء : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسنها

(٤) العارضان : شقا القم ، وقيل جانباً اللحية ، وعارضاً الوجه وعروضه جانباً . يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساماً ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبسم ، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحيها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل القم ، أو هو الناب ؛ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثغره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرىك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بمجوده .

يَسْمَى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ^(١)
تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمَخْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرَبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ^(٢)
وَأَخَاصَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نَصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آيَاتِهِ الْأُمَمُ^(٣)
وَمَا أَخْصَصَكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذْ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا^(٤)

(١) الحسام : مفعول ثانٍ ليسمى ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير المدح والواو في « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشبهه : يتشابه يقول : إن المدح يسمى بالسيف والسيف لا يشبهه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السيف ، وإن تساويا اسما ، لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المحدث : الأصل يقول : هو عربى الأمل ، فاختصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفي مثل هذا يقول البحري :

غَدَا قِسْمَةٌ عَدَلًا فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سَرَوٍ نَبْهَانُ بْنُ عَمْرٍو مَأْثَرُهُ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة في إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبي العتاهية :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهُمْ مَاتَ - إِذَا مَا أَلِمْتَ - أَكْثَرُهُمْ

وقال سلوماء معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهري : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا - على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى

وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياناً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها في المنام فقال أبو الطيب (*) :

قَدْ تَمِمْنَا مَا قُلْتَ فِي الْأَحْلَامِ وَأَنْلَنَّاكَ بَذَرَةً فِي الْمَنَامِ^(١)
وَانْقَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَيْءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدَرُ الْكَلَامِ^(٢)
كُنْتُ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمٌ الْعَيْنِ فَهَلْ كُنْتُ نَائِمٌ الْأَقْلَامِ^(٣)
أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الْإِعْدَامُ لَا رَقْدَةً مَعَ الْإِعْدَامِ^(٤)
إِفْتَحِ الْجَفْنَ وَأَتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْمِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْأَنَامِ^(٥)
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْهُ هُ بِدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَاجِي^(٦)

* كان هذا الشاعر من بغداد ، وبسمى ابن النجم وأبياته هي :

كَانَ رَسْمُ النَّوَالِ مِنِّي شِعْراً فَأَقَى حُسْناً كَلَوُلُوْهُ فِي نِظَامِ
لَمْ يُقَدَّرْ لِقَاؤُكَ الْيَوْمَ فَاسْتَظْهَرْتُ فِيهِ بِالْكَتَبِ وَالْأَقْلَامِ
وَلِيَ الرَّسْمِ مِنْ تَطَوُّلِكَ الْجِسْمِ وَذَلِكَ الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ
فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقَّعْ فَإِنِّي مُوْتَقٍ الْحَالِ فِي يَدِ الْإِعْدَامِ
زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَعُـلُـوّاً وَسُروراً يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البذرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببذرة السخلة - جلدها -
(٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا في الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على
الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحقيقه إذ لم يجعل مدحه
لسيف الدولة غرضاً يقصده

(٣) كنى عن رداءة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديئاً لأنك قلت في
النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبتة حتى جاء الخط رديئاً أيضاً ؟

(٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المشتكى الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟

(٥) افتح الجفن : أي لا تكن غافلاً ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذي قلته في النوم
لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا مخاطبه كما مخاطب سائر الناس

(٦) يقول : لا يفتي عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ،
للجلالة قدره ، ولا يمنع منه أحد ما يطلبه ، لسعة قدرته

كُلُّ آبَائِهِ كَرَامٌ بَنِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمٌ الْكَرَامُ^(١)

وقال يمدحه ويذكر ببناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة^(*).

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ^(٢)
وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَصْفُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْمَغْطَامُ^(٣)

(١) يقول : إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى المستق بالآمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فزحف سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع القتال يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيرا ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع بيده آخر شرفة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث .

(٢) العزم : الجد - عزم على الأمر عزمًا : أى أراد فعله - وقال الليث العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم : جمع عزيمة ، وهى ما يعزم عليه من الأمر . والمكارم : جمع مكرمة ، فعل الكرم . يقول : إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الأمر الذى يعزم عليه عظيما ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها : فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرمات أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر :

إِنَّ الْفُتُوحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّاتِ الْوُلَاةِ وَإِقْدَامِ الْقَادِرِينَ

(٣) الضمير في « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول : إن صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظامها صغيرة في عين العظيم القدر . لأن في همته فضلا عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل في الواقعة التى ذكرنا من نفاذ أمره وجماله وقدره .

يَكْلِفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَهُـ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ^(١)

وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاغِمُ^(٢)

يُقَدِّى أُنْتُمْ الطَّيْرَ عُمَرَاءَ سِلَاحِهِ نُسُورَ الْمَلَأَ أَحْدَاتُهَا وَالْقَشَاعِمُ^(٣)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِفَيْرٍ مَحَابٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ^(٤)

(١) الهم : المهمة ، وهو ما هممت به من أمر لتفعله ، والخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير العظيم من كل شيء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات ، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به ، لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداماً . وذلك شيء لا تدعيه الأسود ، فكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أتم الطير ، أو عطف بيان ، وأحداها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . ويرى الفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء . والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والنية والفلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّ وَلَمْ يُفْرِغْ بِيُوتًا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْفَتْ رَحْلَهَا أَم قَشْعَمِ^(١)

وأراد بأنم الطير : عمر النسور ، وقد بينه بالمصراع الثانى . يقول : إن النسور صفارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الاقوات ، لكثرة القتلى في وقائمه .

(٤) « ما » : نفي ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق والخاب : جمع غلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للانسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور - أى الفراخ - والقشاعم - أى

(١) من معلقة زهير . يقول : فحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يفرغ بيوتا كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل النية ، وملقى الرجل المنزل لأن للسافر يلتقى به رحله . أراد عند منزل النية وجعله منزل النية لحلولها لـ حصين

هَلْ اَلْحَدَثُ اَلْحَمْرَاهُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَى السَّاقِيَيْنِ اَلْفَنَاءُ ^(١)
 سَقَتَهَا اَلْفَنَاءُ اَلْفَرْ قَبْلَ نَزْوِلِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَتَهَا اَلْجَمَاجِمُ ^(٢)
 بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَفَرَّعُ اَلْقَنَا رَمَوْجُ اَلْمَنَآيَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ ^(٣)
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ اَلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جُثِّ اَلْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ ^(٤)

المسنة التي ضعفت عن طلب القوت - وخص هذين النوعين لعجزها عن طلب الرزق - ليس يضر هذين أن لا يكون لها محالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، ولك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير محالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار يظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلماً . وعبارة العكبرى - وهي بمعنى التفسير الأول - : ما يضرها أن تخلق بغير محالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريده . وتطلبه . هذا : وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى ، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي - وقد أخذه من المتنبي - :

وَيَوْمَاكَ يَوْمٌ لِلْعَفَاةِ مُذَلَّلٌ ويوم إلى الأعداء منك عَصَبُصَبُ
 إِذَا حَوَمَتْ فَوْقَ الرِّمَاحِ نُسُورُهُ أطار إليها الفَرْبُ ما تَقَرَّبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأتاهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تلطخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم - وهل تعلم أى الساقيين لها هو الفَنَاءُ : أجماجم الروم التي سقتها بالدم ، أم السحائب التي سقتها بالمطر ؟ يعني أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء ، فهي لا تدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالفَنَاءُ لأنهما استويا في السقيا . وقد بين هذا المعنى في البيت التالي . وقوله أى الساقيين الفَنَاءُ : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الفناء : جمع غمامة ؛ والفَرْ : البيض .

(٣) فأعلى : أى فأعلاها . والقَنَا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع ورماح الروم والجيشان يتقاتلان والنبايا تسلب الأرواح ، واستعار للنبايا موجاً متلاطماً لكثرة قتلها : أى لكثرة القتل ، فكان النبايا بحر تتلاطم أمواجه

(٤) مثل : اسم كائن ، وهو خلف من موصوف : أى شيء مثل الجنون ؛ وأصبحت

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقَمَا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْحَطِيِّ وَأَنْدَهَرُ رَاغِمٌ^(١)
تَفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتُهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمٌ^(٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمائم : جمع تيممة ، وهى العوذة ، يتوقون بها مس الجن
جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها
فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت
الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ماها من الجنون . وهو
إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : مارد على أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته
ومن جيف القتلى ، فقال لى : منه ، قل : ومن جثث القتلى ، فقبلت وقلت كما قال لى .
قال ابن وكيع : وقد لا ذاب أبو الطيب بقول أبي تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُثُونَهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنَفْمَةِ طَالِبٍ

(١) الطريدة : الطروذة ؛ أى ما طردته من صيد أو غيره . والحطى : الرماح وراغم
ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام - أى التراب - يقول : إن هذه القلعة
كالطريدة أمام الدهر تعقبها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها
ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفوت ، وأفاته الشيء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير
المخاطب ، والليالى : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شيء : مفعول
ثان . وغوارمه جمع غارمة ، وغرم الدين والغصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت
الليالى شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمته
وروى أخذه - بالنون - ضمير الليالى ، فتكون الليالى فاعل « تفيت » وللمفعول الأول
عذوف : أى من عادة الليالى إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفите إياه ؛ فإن
أخذت منك شيئا غرمته : يعنى أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد
عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بَوَّزِهِمْ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرٌ
وقال الطرماع :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكُ أَخِيذَتُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَدَمَّى الْحَقُّ فِي الطَّلَبِ

وقال التبريزى وابن القطيع : من رواه بالنون أقصد للننى ، قال ابن القطيع : قال
لى شيخى محمد بن البراء النيمى : قال لى صالح بن رعد : قرأت على المتنبي أخذه بالنون
(٧ - المتنبي)

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَمُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُتْلَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(١)

فقال : صحفت يا أبا علي ، قلت : وكيف قلت ؟ فقال : قلت أخذته - بالتاء - لأنني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت ، وذلك أن تفتيت يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « الليالي » فاعله ونصبت « كل شيء » لم يكن مفعولا ثانيا ففسد الإعراب ، وإذا قلت بالتاء جعلت « الليالي » مفعولا أولا و « كل شيء » ثانيا . وأما فساد المعنى فلو جعلت « الليالي » الفاعلة لجمعتها فتفتيت كل شيء ولا تغرمه ، ثم نقضته بقولي : * وهن لما يأخذن منك غوارم * وإنما المعنى تفتيت يامسيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها فلا تغرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

(١) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا ، فالمضارع هنا المراد به المستقبل ، يقول : إذا نويت أن تفعل أمرا فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى ذلك الذي نويته قبل أن يحزم ذلك الفعل ؛ وأراد بالجوازيم : « لم ؛ و « لا ، ولام الأمر » أي إذا نوى أن يفعل أمرا مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق بما يهيم به نهى الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال : ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ما وعد به : أي أن ما ينوي فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهى أو طاب ، وبعبارة بعض الشراح : إذا نويت أن تفعل أمرا وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم ، وخمس أدوات الجزم من عوامل المضارع ، لأنها تغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو « لم » و « لا » ومنها للطلب ، وهو « لا » و « اللام » وبواقبها للشرط ، فكانه يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ، ولم تنتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء ، كأن يقال إن تفعل كذا يترقب عليه كذا لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط ، ولا يخاف وراءه عاقبة . وبعبارة العكبري : يريد : ما أسعده الله به وأظهره له من سعده في قصده ، فإذا كان ما ينويه فعلا مستقبلا - ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذي لم ينقطع وعلى التأخر الذي لم يقع - صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازيم ، فثبتته فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع ، قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول أبي تمام :

خرقاه يلعبُ بالمَقُولِ حَبَابُهَا كَتَلَاعِبِ الْأَفْعَالِ بِالْأَمْنَاءِ^(١)

(١) من قطعة في وصف الحر .

وَكَيْفَ تَرْجَى الرُّومُ وَالرُّومُ هَازِمًا
وَذَا الطَّنُّنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمٌ^(١)
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَآيَا حَاوَاكِمُ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ^(٢)
أَنْتُوكَ يَجْرُؤُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِحِيَادٍ مَا لَهَنَ قَوَائِمُ^(٣)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ نِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ^(٤)

قال العكبري : والبيت بناء على التورية .

(١) الآساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس - وهو أصل البناء - يجمع على إساس مثل عس وعساس : جمع الإساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهى عماد البيت ، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهى موثقة بطنك الذى أعملته فيهم ؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والنايا فى الحرب حاكمة بينهما حكمت للظلوم - وهو القلعة - بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها ، وحكمت على الظالم - وهو الروم - بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والحِيَاد : الخيل . يقول . أتوا مدججين فى السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وعلى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتعافيف التى على الخيول .

(٤) البرق : اللامعان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ ونياهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقوله نياهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبري : وأشار بهذا الوصف - أعنى كثرة سلاح هذا الجيش - إلى قوته ، وعبرة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع وروءوسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها : وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعائم على الاستتارة ، لأنها تلبس فى أمكنتها . قال العكبري : وصمعت بعضهم - وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَيْسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ زَخْفٌ
وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمٌ ^(١)
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ الْخُدَّاتِ إِلَّا التَّرَاجِمَ ^(٢)

الديوان - يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العمام والعمائم للعرب وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير في « مثلها » إلى أين يعود ؟ ليس إلى البيض ، وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخيس : الجيش العظيم . سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله الشيء مع تناقل . والجوزاء : نجمان معترضان في جوز السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التي لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة المتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرت طبع الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبي تمام :

مَلَأَ الْمَلَأَ عُصْبًا فَكَادَ بَأْنُ يُرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحدّات : جمع حادث ، بمعنى متحدث ؛ ومنه قول المجنون :

أَتَيْتُ مَعَ الْخُدَّاتِ لَيْلِي فَلَمْ أَبْنِ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَمَجَمْتُ عِنْدَ خِلَائِي
ذَهَبْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَبْنِ جَوَابًا كَلَّا الْيَوْمِينَ يَوْمُ بِلَائِي ^(١)
وقول سويد بن أبي كاهل :

يُسْمِعُ الْخُدَّاتُ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

والتراجم : جمع ترجمان - بفتح التاء وبضمها - اتباعا لضم الجيم - يقول : اجتمع في هذا الجيش بكل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

(١) قال الزجاجي في أماليه : أخليت : وجدت خالية - مثل أجبنته - أى وجدت خاليانا ؛ فلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفا : أى أخليت . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور حكاه منسوباً إلى عتي بن مالك العقيلي ، وفي الحكم : عند خلاصنا وبلايا .

فَلَّاهِ وَقْتُ ذَوْبِ النِّشِ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ^(١)
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٢)
وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٣)

ليس من أهل لغته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة

(١) عنى بالنش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجريء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت القدي قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان عموها مغشوشاً هلك وتلاشى لرداءه كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب في ذلك اليوم سبكت الناس وأسلمتهم فأفنت ما كان رديئاً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرّون على المصادمة ومن روى « قطع » أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعباً لم يبق معه إلا التخلص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت في ساحة القتال حين لا يشك واقف في الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك في جفن الردى وهو نائم فلم يبصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والقى بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدرهما وقال له كأن ينبغي أن تقول .

وقفت وما في الموتِ شكٌّ لواقِفٍ ووجهك وضاح وتفرُّكٌ بِاسْمِ
تمرُّ بك الأبطالُ كلِّى هزيمَةً كأنك في جفنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
ثم قال وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنى لم أركب جواداً لِلدَّةِ ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخالٍ
ولم أشبأ الرِّقَّ الرَّوِّىَ ولم أقلْ لِحْلَبَى كُرِّى كَرَّةً بعدَ إحفالٍ

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَفَرُّكَ بِأَسْمٍ^(١)

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني ، وعجز الثاني مع الأول ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الحيل مع الأمر للخيال بالسكر ، ويكون سبأ الخمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك : لأن البراز يعرف جلته ، والحائك يعرف جلته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردي ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يغلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وتفرك باسم * لأجمع بين الأضداد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار . قال الواحدى : ولا تطبيق بين الصدر والعجز أحسن من يبيق للتنبى ، لأن قوله * كأنك في جفن الردي وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما في الموت شك لواقف * فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحقق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة الموت . وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كلم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعل بمعنى مفعول ، والثناء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارته المسجوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزملك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحا غير متخوف ، وبساما غير متعجب ، وانقأ من الله نصره ، متيقنا بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يَفْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْجَرْبِ مُبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالْثَمَى
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(١)
صَمَّمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(٢)
بِضَرْبِ أُنَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(٣)

(١) انتهى : جمع نبيه ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتمة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها . يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكتفى في مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت في تلك الحال وضاحا بسبما لا تكثر لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى في تعليقاته على هذا البيت : في آخره بعض التنافر لأوله ، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطنة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان في ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر الموت .

(٢) بريد بالجناحين ؛ ميمنة الجيش وميسرته ، وهما جانبى العسكر . ولما سماها جناحين ؛ جعل رجالها خوافى وقوادم ؛ والجناح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله في طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جناحى العسكر - عسكر الروم - على القلب فأهلكك الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهامات : الرؤوس ؛ واللبات : النحور . بريد سرعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك في رأسه لم تعد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وبعبارة ابن فورجة : - وهى في عراض ما قلناه - إنما عذ

حَفَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرُّمَحِ شَاتِمًا^(١)
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِلَافُ الصَّوَارِمُ^(٢)
نَثَرَتْهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ كُلِّهِ
كَأَنَّ نَثَرَتْ فَوْقَ الْعُرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(٣)
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .
(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة بالجماعة كانت هي وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقارنة ما بين الفريقين في القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترتة ؛ ولما آثرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبرة العكبري - التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردتها لجمالها - قال : إنك طرحت الرماح واستقلت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالما بفضلها ، واعتمدتها لخبرتك بأمرها ، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانتها تسخفاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : للرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أي مفاتيح الفتح .

(٣) الأحياد : جبل الحدث . ونثرتهم : فرقهم . يقول : نثر جشهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس ، يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تفرق مواقع الدراهم إذا نثرت ، قال العكبري : وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم في الروم قتلاً وأسرًا ، وبتر جيشهم فوق هذا الجبل نثرًا .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيتة ؛ والجمع : وكور ؛ والذرى : أعلى الجبال ؛ يقول : إنك تمصهم بخيلك في ردوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تسكثر مطاعم الطير حول وكورها . وعبرة بعض الشراح : تدوس بك الخيل في آثار الروم وكور الطير في ردوس الجبال وقتن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتل حول الوكور

تُظَنُّ فِرَاحُ الْفُتُخِ أُنْكَ زُرْتَهَا بِأَمَانَتِهَا وَفِي الْعِتَاقِ الصَّلَادِمُ^(١)
إِذَا زَلَقْتَ مَشِيَّتَهَا يَبْطُونَهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ^(٢)
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدَّمِستَقِ مُقَدِّمُ قَفَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَائِمُ^(٣)
أَيْنَكِرُ رِيحَ اللَّيْلِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمُ^(٤)

بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلماذك ، وأشار بذلك - أى كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاع مواضعها وامتناع أماكنها - إلى ما كان الروم عليه من شدة الحرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب . وأنهم قتلوه في رءوس الجبال ، وأدركوهم في أبعد غايات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخ ، إناث العقبان ، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران والفتخ : لين المفاصل . والألمات : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعناق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلد ، وهى الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراح العقبان - لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها - أنها أمهاتها ؛ يعنى أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَصْعَدُونَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعَقْبَانِ
وقال ابن الأفلح : تظن فراح العقبان - لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى - أنك زرتها بأمانتها فأمدها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلادم خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال جعلتها تمشى على بطونها فى تلك المزلق مشى الحيات على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة مراقبتها فى الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه - إلى آخر البيت - حال من الضمير فى « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلاً له : لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب فى قفاه

(٤) الليث : الأسد . ويذوقه : معناه يجره ويختبره - يقال ذاق ما عند فلان : أى جربه - والضمير : لليث . يشبر إلى أن الدمستق أجهل من البهائم لأن البهائم إذا شمّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ويبلغ

وَقَدْ فَجَعْتُهُ بِابْنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمِ^(١)
مَضَى شَكْرُ الْأَصْحَابِ فِي قُوْتِهِ الظُّبَى

بِمَا شَفَّلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ^(٢)
وَيَنْفَعُهُمْ صَوْتُ الْمَشْرِقِيَّةِ فِيهِمْ^(٣)
يُسْرُهُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جِهَالَةٍ وَلَكِنْ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمٌ^(٤)

شجاعته ، فبأنه مقاتلاً ثم ينهزم ؛ ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان
أحزم .

(١) فجعه : رزاه بشيء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات . بفتح العين في الصحيح .
وإنما أسكن اليم من حملات ضرورة . والصر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل
بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت
فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحمرت بجوار أو نسب أو تزوج ، وقال ابن الأعرابي
الصر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته .
ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأسماء
والأختان جميعاً ، والغواشم : التي لا تبالي من أخذت ؛ يقول : هلا اعتبر بمن رزئه
من هؤلاء فلا يجترأ على العود إلى الإقدام ؛ وعبرة العكبري : يريد أن حملات سيف
الدولة فجعت الدمستق بآبائه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران ،
الغواصب لأنفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة
من الإيقاع ؟

(٢) الظبي : جمع ظبية ، حد السيف ، والهام : الرءوس ؛ والمعاصم : جمع معصم ؛
أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ،
فكانهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) المشرقية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ، وقيل
من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرقية : منسوبة إليها ، يقال سيف مشرفي
ولا يقال مشارفي ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالي ولا
جعافري ولا عباقرى . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنهم
تقتلهم ، فجذ في الحرب ، مع أن أصوات السيوف عجاء : أي ليست ذات لفظ يفهم
والغنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذه من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ الشَّرِكُ هَازِمٌ^(١)
تَشْرَفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَيْبَةَ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ^(٢)
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٣)
وَإِنِّي لَتَمْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ^(٤)
حَتَّى كُلُّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعِهِ الْغَمَاجِمُ^(٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجما هو واشتغل عسكري بها عنه ، وليس سروره جهلا بحالته ، وإن الذي انتهت أمواله ليس من شأنه أن يسر ، ولكنه حين نجما برأسه غانم وإن كان مغنوم . أى لايبالي بغيره إذا نجما هو ، لأن السلوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبري ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس في المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

(١) التوحيد : خبر أول لـ «كن» ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست في هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلما زعيم ملته .

(٢) الضمير في «به» : للمليك : قال العكبري : ولو كان بدل الماء «كاف» لكان أجود حتى يكون غاطبا . وعدنان : أبو العرب : وريبعة : بطن من عدنان ، وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبتها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخرك رهطك فقط ، وأنت غفر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى ، فأنت تعطينى المعانى بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

ودونك من أقاويل مديحاً غدا لك دُرُّهُ وَلِيَّ النظامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوغى : الحرب . يقول : إني أمتطى في الغزو خيلك التى أعطيتها ، فلست مذموما فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادما على ما أعطيتنى ، لقياى بحق ما أوليتنى .

(٥) «على» صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة «نادما» : أى لست نادما على هبتك لى كل فرس طيار ، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال : أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُقَمِّدًا وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ^(١)
هَنِيئًا لِفَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامِ أَنْتَ سَالِمٌ^(٢)
وَلَمْ لَا يَبْقِ الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ مَا وَفَى وَتَفْلِيغُهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمٌ^(٣)

يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والغمام : الأصوات المختلطة هي أصوات المتحاربين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز - ولعل بيت المتنبي ينظر إليه - :
وليلٍ ككحل العين خضتُ ظلامه بأزرقَ كساعٍ وأخضرَ صَارِمِ
وطيارةٍ بالرجل خوفًا كأنما تصافحُ رَضْرَاضَ الحمى بالجامحِ
(١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد - إذ هو دائماً مجرد على أعدائه - وليس يرتاب - يشك - في هذا أحد ، ولا يعصم - لا يعصى ولا يمنع - منك - شيء لا حصن ولا حديد ، وبرى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرؤوس . والعلی : الراتب العالية . وأنت سالم : فاعل هنيئاً ، وهي حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئاً : غذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئاً بأوفى من هذا . يقول : لتنهأ هذه المذكورات بسلامتك لأنك قوامها ، ففرب الهام أنت أحقق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلا أنت جامع شملها وراجى مكارمك التي لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعزته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الليم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ما وقي » ظرفية زمانية ، وتفليغه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيالاته للأشياء - أي أبداً - وأنت سيفه الذي يصلح به على أعدائه ؟

وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب الهدنة ، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هَمَامُ ، وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ^(١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ^(٢)
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيَا كَفَّاهَا لِمَامُ^(٣) لَوْ كَفَّاهُ لِمَامُ^(٤)
فَتَى تَتَّبِعُ الْأَزْمَانَ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ
لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ^(٥)

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ! والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء : صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم ؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فرعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟
(٢) دانت : أطاعت ، وقيام : أى قائمة - كأنه من باب صاحب وصحاب - يقول : هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسى فى تحصيل مراد وقامت الأيام تسمى فى تحصيل ما يريد ؟
(٣) اللام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بِنَفْسِي مَن تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَى مَن زيارته لِمَام

يقول : إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لكنه لا يكتفى حتى يبلغ أقصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة « تتبع » ، والخطو : نقل القدم أو الزمام : ماتقاد به الدابة يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ، حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعيه وإقبال جده .

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسُلُ أَمْنًا وَغِيْطَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ ^(١)
 حِذَارًا لِمُرُورِي الْجِيَادِ فَجَاءَةً إِلَى الطُّغْنِ قَبْلًا مَا لَهْنٌ لِحِلَامٍ ^(٢)
 تَعْطَفُ فِيهِ وَالْأَعْنَةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامٌ ^(٣)
 وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَاءُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامٌ ^(٤)
 إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمَّا أَتَوَالَهُ كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَبَتْ مَلَامٌ ^(٥)

(١) العبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك في البيت التالي . هذا : ولناسبة « ليس » من قوله ليس تنام ، قال العكبري : « ليس » هنا تحتل أمرين : أحدهما أن يكون استعمالها استعمال « ما » : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيديه ، والثاني أن يكون في « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ، والأجود أن تكون بمعنى « ما » فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .

(٢) حذارا : مفعول له ، وهو مصدر حاذر ، واعروري الفرس : ركه عريانا : وقوله إلى الطمن : متعلق بمروري . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذي أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا ههنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أي قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذي يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعني لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركبها .

(٣) الضمير من « فيه » في للصراعين : للطمن المذكور في البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام . والسياط : جمع سوط ، ما يضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها اتقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذا زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبري أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فصارح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنأ : الرماح . يقول : لا غناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بلام . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدَّمَامَ طَوَاعَةً
وَإِنْ نَفُوسًا أَمَمْتُكَ مَنِيعةً
إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِكٍ أَجْرَتُهُ
لَهُمْ عَنْكَ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ تَفَرُّقٌ
تَفَرُّ حَالَاوَاتُ النَّفُوسِ قُلُوبَهَا
وَشَرُّ الْحَمَامِينَ الزُّوَامِينَ عَيْشَةً
فَمَوْذُ الْأَعَادِي . بِالْكَرِيمِ دِمَامٌ ^(١)
وَإِنْ دِمَاءٌ أَمَلْتِكَ حَرَامٌ ^(٢)
وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجَوَارَ نُسَامٌ ^(٣)
وَحَوْلَكَ بِالْكَتَبِ اللَّطَافِ زِحَامٌ ^(٤)
فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامٌ ^(٥)
يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ ^(٦)

اللائمين لك في العطاء : أى كما أنك لا تصنى إلى ملامة لأثم في سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو للدح الوجه .

(١) الدمام : العهد ؛ وطواعية : حال : أى طائعاً . وعاذ به عوذا لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهداً وصلحاً طواعية فليأذم بك يوجب لهم الدمام ، لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة ، وإن كان عدواً : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم . ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أمتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجياً صار منيعاً بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت في حرمتك وراحيك لا يضيع .
(٣) الملك والملليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . ونسام : تكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لنسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم - الروم - إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجيرهم منه ، وإذا كنت تجير من غيرك فأنت بأن تجير من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيفهم ، بل يفرقون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلفنون فيها أسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته في الحرب وازدحامهم عليه في السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : الموت . يقول : إن حلاوة النفوس مر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشاً فيه ذليلاً أو تختار الحرب خوف القتل ، فمَوْذُ العيش هو الموت في الحقيقة ، بل هو شر من الموت ، كما ذكر في البيت التالى .

(٦) الزوام : العاجل ، أو السريع الوحى المجهز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامٌ^(١)
وَمَنْ لِفَرَسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِتَبْلِيهِمْ مَا لَا يَكَادُ يُرَامُ^(٢)
كَتَائِبُ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ،
وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ بَلَّحُمَا^(٣)
وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خِيُومُهُمْ وَعَزُّوا وَهَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا^(٤)
حَلَّى وَجْهَكَ اللَّيْمُونَ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالِي مِنْهُمْ وَسَلَامٌ^(٥)

يظلم : لما جعل عيش القليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لما فيه من تحمل الضيم وتجرع الدل والغيظ والمهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام : الشر الدائم لللازم ومالا يستطيع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفارسان الثغور ، لأن الصلح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما ، فكان ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) الن - هنا - : النعمة . وفارسان الثغور : يريد بهم فارسان طرسوس وأذنة والمصيصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة في طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرّون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا لا يظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنة ، إذ بلغوهم ما لم يكونوا ليلغوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتائب جاءوا إليك خاضعين فأقدهوا - اجترءوا - عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يحسروا على لقاءك .

(٤) تقول هو في ذراه : أى في ظله وكنفه . يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ كانوا في كنفك وظلك وحمايتك تحسن إليهم حتى غرقوا في برك وإحسانك .

(٥) اليمون : ذو اليمن والبركة . والغبارة : الحرب . وتوالى : تتناح والمراد بالصلاة والسلام : التمجيد . يقول : كلما سرت في غارة صلوأ عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت - والذي بعده - يؤكد البيت السابق .

وَكُلُّهُ أَتَانِسُ يَتَّبَعُونَ إِمَامَهُمْ ، وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْكُرُمَاتِ إِمَامٌ^(١)
وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بِمَثْنَةٍ ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِلِينَ قَتَامٌ^(٢)
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَمَا فَضٌّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامٌ^(٣)
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ^(٤)

(١) يقول : إن الكوام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الفبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أفتته مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا : وعنوان الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعنى الكتاب من ناحيته - أى يعرض - وأصله عنان - كرماني - وكلما استدلت بشيء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قاله حسان برقي عثمان :

ضَحَّوْا بِأَمْشَطِ عُنْوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقَرَأْنَا
وَالْعُنْوَانَ بِالضَّمِّ هِيَ اللَّغَةُ الْفَصِيحَةُ ، قَالَ أَبُو دَوَادِ الرُّوَاسِيُّ :
لِمَنْ طَلَّلُ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ بَيْطُنُ لُؤَاقٍ أَوْ بَطْنُ الذَّهَابِ^(١)
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتَهُ كَنَبْذِكَ نَمْلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِعَالِكَ
قَالَ اللَّيْثُ : وَالْعُنْوَانُ - لُغَةٌ فِي الْعُنْوَانِ - : غَيْرُ جَيِّدَةٍ ؛ وَقَدْ يُقَالُ عُنْوَانٌ وَعُنْيَانٌ .
(٣) الْبَيْدَاءُ الْأَرْضُ الْفَقْرَةُ الْبَعِيدَةُ . وَالنَّشْرُ : خِلَافُ الطِّيِّ . وَخِتَامُ الْكِتَابِ : الْطَائِفُ
الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ . وَفَضُّهُ : كَسَرُهُ . يَقُولُ : تَضِيقُ الْبَيْدَاءُ هَذَا الْجَوَابَ وَلَمْ يَنْشُرْ وَلَمْ يَفْضْ
عَنْهُ الْخَتْمَ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ تَضِيقُ بِهِ الْأَرْضُ الْوَادِعَةَ قَبْلَ انْتِشَارِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا
انْتَشَرَ وَتَفَرَّقَ لِلْحَرْبِ وَالْفَارَةِ ؟ وَقَدْ اسْتَعَارَ الْفَضُّ وَالْخَتْمُ وَهَذَا لِلْكِتَابِ وَالْجَوَابِ لِمَا جَعَلَ
الْجَيْشَ كِتَابًا وَجَوَابًا ، وَهُوَ تَخِيلٌ بِدَيْعِ رَائِعٍ :

(٤) الْجَوَادُ : الْفَرَسُ الْكَرِيمُ . وَالرَّمَحُ الذَّابِلُ : اللَّيْنُ الْحَسَامُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ
لِمَا جَعَلَ الْجَيْشَ جَوَابًا جَعَلَ حُرُوفَ هِجَائِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ؛ أَيْ أَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
كَمَا يُؤَلَّفُ الْجَوَابُ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ .

(١) هذا هو النص المصرح لهذا البيت ولواق : أرض معروفة ،
والذهاب : موضع .

(٨ - القنبي ٤)

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتَيْتَهَا قَالَهُ سَاعَةً لِيُفْعَدَ نَصْلٌ أَوْ يُحْلَ حِزَامٌ^(١)
وَأِنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهَيْدَتِهِ ، فَإِنَّ الَّذِي يَفْعَرْنَ عِنْدَكَ عَامٌ^(٢)
وَمَا زِلْتَ تُفْنِي الشُّمْرَ وَتَهْجِي كَثِيرَهُ ، وَتُفْنِي بَيْنَ الْجَيْشِ وَهُوَ لُحَامٌ^(٣)
مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ، وَفِيهَا رِقَابٌ لِلشُّيُوفِ وَهَامٌ^(٤)
وَرَبُّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ، وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتُ وَشَبٍّ غُلَامٌ^(٥)

(١) إذا الحرب : أى ياساحب الحرب ؛ ويروى : أخوا الحرب ؛ يقال هوأخو كذا أى ملازم له معروف به . ولهى الرجل عن الشيء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول لقد أتيت الحرب ، أى أتيت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فأتركها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتهل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر - من باب فهم - : أى طال عمره . يقول : إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه المدة ، وعبرة العكبرى : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزها ، لأن الانكسار يسرع إليها بدوامتك الطعن وأمد مهادنتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيبتك ، وما ترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، واللهام : الكثير الذى يلهم كل شيء ، يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، والهام : الرأس ، يقول : متى عاد الروم - الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها - إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ،

(٥) الكاعب : الذى قد بدا نديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم ربو أولادهم لئسبهم ، وقد صارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان للسي قال العكبرى : يشير إلى أن مسألة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يباودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لئسبهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العقوبة إصابتك إياها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم ، نوا وحزانة » ،

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا

إِلَى النَّايَةِ الْقَضَى وَجَرَيْتَ وَقَامُوا^(١)

فَلَيْسَ لَشَمْسٍ مِذْ أَنْزَتْ إِنْأَرَةً ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مِذْ تَمَمَّتْ تَمَامُ^(٢)

وَال يمدحه ويودعه ، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان :

أَيَا رَامِيًا يُضَيِّ فُوَادَ مَرَامِهِ تَرُبِّي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ^(٣)

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحُسَامِهِ^(٤)

(١) يقول : جارك الملوكة فيما نهجته من اللكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا في الخيل تجارى ، فإذا وى بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم — من الملوكة — إنارة مع ما يبدو من نورك ؛ ولا لبدر منهم تمام مع ما أتمه الله لك من الفضل : يعنى أن الملوكة صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبرة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة للقتل فى الرمي — يقال رماه فأصماه : إذا أصاب مثله . والرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفر به ، كالرامي يصيب فؤاد حرميه فيقتله لساعته . وقوله ترى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنقاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش ، وبأسه كالسهام الذى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه للمدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخاً فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذوه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكفى بالريش عن حسن الحال ، راش فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشاً ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذا جعل له غلتها رزقاً والإقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع يقول : إن جميع ما أنصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وصلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجل النابغة هذا المعنى فى قوله :

وَمَا مَطَرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَّا وَرُومَ الْعَبْدِيِّ هَاطِلَاتُ حَمَامِهِ ^(١)
 فَتَى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقَرَى وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ ^(٢)
 وَيَجْمَلُ مَا خُوِّلَتْهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءَ لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ ^(٣)

وما أغفلتُ شكرَكَ فانتصحتني وكيف ومن عطائك جُلُّ مالى
 وقد فصله النابعة أيضا فقال :
 وَإِنَّ تِلَادِي إِنْ نَظَرْتُ وَشِغْتِي ، ومُهرى وما ضمتُ إلى الأنايل
 حَبَاؤُكَ وَالْبَيْسُ الْعِثَاقُ كَأَنَّهَا هِجَانُ الْمَاهِ تَرْدِي عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ ^(١)
 وقال أبو نواس :

* وكلُّ خير عندنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدى : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكنات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرتني به سحب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعنى أنه وهبه العبيد بسلحها .
 (٢) الضمير فى «فرسانه وكرامه» : للإقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهري : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سُمى إقليبا : لأنه مقلوم من الإقليم الذى يتأخه : أى مقطوع .

(٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيد من الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبى تمام :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :
 طُولِال قَنَّا تَطَاعِنَهَا قَصَبَارُ وقطرك فى ندى ووغى بحار
 وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطعنى هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة المذكورة ، وأنا إنما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيها له ، لا لى .

(١) الشكة : ما يلبس من السلاح ، والجباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو - الجرى - والثنى الشديد - وجملة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالَعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِنَائِهِ ^(١)
وَلَا زَالَتِ تَجْتَازُ الْبَدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نَقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ ^(٢)

(١) أراد بالشمس التي في لثامه: وجهه . يقول : لا زال باقيا بقاء الشمس، فكما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها ، وأضاف السماء إليه مبالغة في اللدح ، كما قال الفرزدق :

* لنا قراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جني : أضاف السماء إليه لإعزازها عليه ، كما قال الآخر :

إذا كوكبُ الحرقاء لاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقِرَائِبِ ^(١)
أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه .

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدركل شهر . وتعجب : أى تعجب . يقول : لا زال باقيا على توالى الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكأله ، ولكنها تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما .

(١) بعده :

وقالت : سماء البيت فوقك مُنْهَجٌ ولما تُيسَّرُ أَحْبُلًا للركائب

والحرقاء : المرأة التي لا تحسن عملا ، ومنه الحرقاء صاحبة ذى الرمة ، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا ، وقال أخرزها لى ، فقالت : إني خرقاء : أى لا أحسن عملا . قالوا : فأضاف الكوكب إلى الحرقاء بملابسة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف ، ولم تستعد للشتاء استغرقت قرائها عند طلوع سهيل سحرا ، وهو زمان مجىء البرد ، فبسبب هذه الملابسة سمى سهيل كوكب الحرقاء . وسهيل : بدل أو عطف بيان لكوكب الحرقاء وأذاعت فرقت ، وجملة قالت في البيت الثاني عطف على « أذاعت » والسماء : السقف والمنهج من أنزع الثوب ، إذا أخذ في البلى وأجل : جمع جبل ، وهو الرسن ونحوه . والركائب : الإبل التي يسار عليها : أى وقالت لزوجها : سماء البيت فوق خلقى ولما تيسر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟

وأنشد سيف الدولة متمثلاً بقول النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلاً :

رَأَيْتُكَ تَوْسِعُ الشُّعْرَاءُ نَيْلًا حَـدِيثَهُمُ الْمَوْلَدَ وَالْقَدِيمَا^(٢)

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففزع الناس لحيل - جيش - لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم ، فأنشد سيف الدولة متمثلاً ببيت النابغة الذي يأتي :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
تُخَيِّرُنَ مِنْ أَرْزَامٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيوف . وحليمة : امرأة كانت تطعمهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل للشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته في عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان ومطلعها .

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطن الكواكب
يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة نخر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفي العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، ثم قال في البيت التالي : هى من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجه من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة المدوحين تثلث لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إليك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

فَتُعْطَى مَنْ بَقِيَ مَالًا جَسِيماً وَتُعْطَى مَنْ مَضَى شَرْقاً عَظِيماً^(١)
تَمِمْتُكَ مُنْشِداً بَيْتِي زِيَادِ نَشِيداً مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيماً^(٢)
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبِطْتُ بِذَلِكَ أَعْظَمَهُ الرَّيْجَا^(٣)

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمر بن حابس وبنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة
ولم ينشده إياها :

ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَاجِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتِ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي^(٤)

(١) بقى - بفتح القاف - هى لغة طيء ، ومنه قول زيد الخيل الطائى :
لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصْمُكُ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا
يقول : تعطى الباقيين منهم - أى الأحياء - عطاء جزيل ، والمضامين شرفاً عظيماً
بأن تنشدا أعمارهم وتمثل بها استحساناً لها فيكون ذلك شرفاً عظيماً لهم .
(٢) زياد : اسم النابتة الديانى ؛ والنابتة : لقب غلب عليه . ونشيداً مفعول مطلق ،
وضعه موضع الإنشاد .

(٣) الغبطة : أن تتمنى مثل حال للغبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ،
ورم العظم - رمزمة : بلى ، فهو رميم . وقوله أعظمه الرما : وصف الأعظم - وهى
جمع - بالمفرد ، لأن فعلاً وفِعْلاً يستوى فيهما الذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى
« من يحيى العظام وهى رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل
لأن تنشده شعره لكنى غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما
يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً فى
مجلسه قول المتنبي :

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفَ لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلهِ وَالْخِلَاقِ
وجعل رده استحساناً له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر
الأندلسى ، فأنشدا رتجالاً ،

لئن جاد شعرُ ابنِ الحُسَيْنِ فَإِنَّمَا بِقَدْرِ الْعَطَايَا وَاللَّهِ تَفْتَحُ اللَّهُا
تنبأ فى نَظْمِ الْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَزْوِي شَمْرَهَ لَتَأَلَّها

(٤) ذكر : جمع ذكرى ، كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعه - على حد : سدره
وسدر - وهو قياس عند الفراء والصبي : بمعنى اللهو والتصايب : ومراجع - بالجر -

دِمْنٌ تَكَاثَرَتْ اَلْهُمُومُ عَلَى فِي عَرَاصَتِهَا كَتَكَاثُرُ الْاَوْامِ (١)
فَكَانَ كُلُّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بَعِيْنِي عُروَةَ بِنَ حِزَامِ (٢)
وَلَطَالَمَا اَفْنَيْتُ رِيْقَ كَمَا بِهَا فِيهَا وَاَفْنَيْتُ بِالْعِقَابِ كَلَامِي (٣)
قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ بِحَاجَةٍ وَتَجْرُ ذَيْلِي شِرْقٍ وَغُرَامِ (٤)

معطوف على الصبي ؛ و يروى بالرفع عطفاً على ذكر ؛ والمراتب : جمع مرتع ، الموضع ترتع فيه الدواب ؛ أى تزعج كيف شاءت . و يروى مرابع : جمع مربع ، المكان الذى يربمون - يقيمون - فيه ، يريد ديار الأجرة والآرام : الظباء البيض . وأراد بهن النساء جمع رُءْم - على القلب المكاني - والحمام : الموت . يقول : إن ذكر الصبي ومراتب النساء اللاتي أهيمن بهن جلبت على حالة هى والموت سواء ، يعنى شدة وجده على فراقهن ، فكانه مات قبل موته لشدة الوجد .

(١) الدمن : جمع دمنة ، ما تليد من آثار الديار بعد رحيل القوم : ودمن خبر مبتدأ محذوف : أى تلك المراتع دمن ؛ والعراصات : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول : لما وقفت بآثار المحبوب تكاثرت هموى شوقا إلى من كان بها كتكاثر لواصى فى حبهن .

(٢) وكفت : أى قطرت ؛ وسالت : يروى وقفت ، وعروة بن حزام : هو صاحب عفرأ ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين . شبه هطلان السحاب فى تلك الدمن بيكاء عروة بن حزام على فراق صاحبه . يريد كثرة ما تجرى عليها السحب من المطر ، بدليل أنها تحت آثار تلك الديار ، ولعله ينظر فى هذا إلى قول أبى تمام

كَأَنَّ السَّحَابَ الْفَرَّ غَيَّبَتْ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِمْ (١)

ومثله ل محمد بن أبى زرة :

كَأَنَّ صَبَّيْنِ بَانَا طُؤُلَ لَيْلِيهِمَا بَسْتَمَطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا الْمَقْلَا

(٣) الكعاب : الجارية مدا نديها للنهود . يقول : طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هى - الكعاب : أى محبوبته - عتاني حق ألحمتنى عن الكلام ، فانا أذكر من كانه بهذه الدمن وارنجل عنها فيزيد وجدى وشوقى .

(٤) الحجاة : مثل الخلاعة ؛ والماجن : الذى لا يبالي بما يتكلم به ، والشرية الحدة

(١) السحاب جمع ، ولذلك وصفها بالفر ؛ وترقا : هو ترقا ، خفف ، ورقأت الدمعة . جفت وانقطعت

لَيْسَ الْقَبَابُ عَلَى الرَّكَّابِ وَلَا نَمَّا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ ^(١)
 لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْخَصَى خِلْفًا فِيهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي ^(٢)
 مُتَلَحِّظِينَ نَسَحُ مَاءَ شَوْوَيْنَا حَذَرًا مِنَ الرُّقْبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ ^(٣)

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الحبث ؛ قال شبيب بن البرصاء يصف إبلا سميت وحملت الشحوم :

كَأَنَّهَا مِنْ بُدْنٍ وَإِنْ بَارَزَ دَبَّتْ عَلَيْهَا عَارِمَاتُ الْأَنْبَارِ ^(١)

يقول - مخاطبا نفسه - : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدري وجد الفراق وعدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا ، تمرح في شرك وعرامك غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهوادج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب - على الركاب - مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب - بالنصب - قال العكبري : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون المعنى : ليس الذى تعينه القباب . يقول : ليس هذا الذى تراه هودج الأحبة على الإبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير فى خفافهن : للركاب - الإبل - وأراد أخفافهن ، لأن خف البعير يجمع على أخفاف ؛ والخفاف : جمع الخف ، اللبوس ، فوضع أحدهما موضع الآخر تجوزا . يقول - متمنيا - : ليت الذى خلق الفراق جعل أعزائى لأخفاف الإبل التى تحملوا عليها حصى حتى تطأنى بأخفافها .

(٣) متلاحظين . ^(٢) حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛ ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفى الأكمام : متعلق بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدها . والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيفار : مأخوذ من الشيء الوافر - وروى : وإبقار - يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمها ووفور شحمها ، كأنما لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاحظين : رواء الواحدى هكذا على التثنية ، وقد رواها العكبري على صيغة الجمع .

أَرْوَاحُنَا أَنهَمَلَتْ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا فَطَرَتْ عَلَى الْأَقْدَامِ (١)
 لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنِ كُنَّ كَصَبْرِنَا عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامٍ (٢)
 لَمْ يَنْزُ كُوَالِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى وَذَمِيلَ دِغْبِلَةَ كَفَحَلِ نَعَامٍ (٣)
 وَتَعَذَّرُ الْأَخْرَارِ صَبْرَ ظَنَرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَى فَرْجٍ حَرَامٍ (٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكه : خوفا من الرقباء . والأكام : جمع كم ؛ والكم : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذي في العكبري : الآكام بدل « الأكام » والأكام : جمع أكمة ؛ وهي التل ، والأكام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع - التي أجريتها - بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفاذها ، وفي مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها رُوحى تَذُوبُ فَتَقْطُرُ
 (٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه - أى يوم الرحيل - مثل صبرنا في ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد تجعل الكون زائدا في الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف تكلم من كان في المهدي صيبا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبي بكر تَسَامَى عَلَى كَانِ الْمَسُومَةِ الْعِرَابِ (١)
 و « كان » في هذا البيت زائدة بلا خلاف .

(٣) الضمير في يتركوا : للراحلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدغيلة : الناقة السريعة . وأراد بفحل النعام : الذكر . يقول : رحلوا وتركوني وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجدأ عليهم وسير ناقة كالظلم في عدوها وسرعنها في الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار - أى الكرام - حرم على ركوبها - أى الناقة إلا للقصد إليك ، لأنك الحر الذي يستحق أن يقصد ويزار ، فأنا أنجذب ركوبها إلا إليك كما أنجذب قُرْجاً حراماً على إتيانه - يعنى الزنا - وهذا من قول أبي نواس :

(١) المسومة : العملة بعلامة لتترك في المرعى ، أو هي من قولك : سومت فلانا :

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانِ أَهْلِهِ وَلِدْتَ مَكَارِمَهُمْ لِغَيْرِ تَعَامٍ^(١)
 أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ التَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ
 عَلِمًا عَلَى الْإِفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ^(٢)
 صَفَرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَاأُهُ وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ^(٣)

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَعْنَ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرُّجَالِ حَرَامُ
 وَأَخَذَهُ مَهْيَارُ الدَّيْلَمِيِّ فَقَالَ :
 يَا نَاقُ وَيْحَكَ عَجَلِي تَصِلِي هَذَا الْمَنَى فَلْيَهْنِكِ الطَّلَبُ
 فَإِذَا وَصَلَتْ بِنَا قِيَابَ قُبَا لَا مَسَّ ظَهْرَكَ بَعْدَهَا قَتَبُ
 وَهُوَ مَعْنَى قَدِيمٍ مُتَدَاوِلٍ .

(١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والناء فيه : للاسمية - كما في عجيبة ونحوها -
 وعبارة الواحدى المساء في « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية
 وعلامة : وقال التبريزي : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهباء ، ويقال ولد
 الولود لتمام ؛ وتمام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم
 ناقصو المكارم وأنت تام الكرم بينهم .

(٢) النوال : العطاء والعلم : العلامة التي يعرف بها الشيء : يقول : لم تزل يعرف
 بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعمًا مفضلًا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن
 الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويمتدئ إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .

(٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر
 منها ، وكبرت عن أن تشبه بشيء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ
 الحسنة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبار بعض الشراح : أى صغرت الأفعال
 الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم
 تدع لأحد مزبة عليك . مع أنك إذا عدت أيامك لم تتجاوز سن الغلام . هذا :

إذا خليت وسومه . أى وما يريد ؛ والعرب التي ليس فيها عرق هجين ؛ وتسامى -
 — بحذف إحدى التامين — أى تقسامى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراً هذا
 تختال على تلك الحيلول .

وَرَفَلْتُ فِي حُلْلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَآيَةُ الْإِغْدَامِ^(١)
 عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَعَى مَا يَصْنَعُ الصَّنْصَامُ بِالصَّنْصَامِ^(٢)
 إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ^(٣)
 مَلِكٌ زَهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى أَفْتَخَرَنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ^(٤)

واللام من «لكائه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكانه فلان أو كانه الأسد أو البحر ، لحذف خير «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر ااقول بالحكاية . وقال العكبري : وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن «كاف» التشبيه تكون في صدر الكلام : وقولك كأن زيدا عمرو : مؤد عن قولك كهمر و زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز في قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل يرفل في ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبخترا فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل خرق - حمق - باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعي :

* فِي الرَّكْبِ وَشَوَاشٌ وَفِي الْحَى رَفْلٌ *

«الوشواش : الخفيف السريع» الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة لإثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تبختر فيهن - يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه - ونهاية الإعدام - الفقر - هو عدم الثناء لعدم اثره ؛ وعبارة بعض اشراح : كأنه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو المثرى لأن ثناءهم باق والمال يندو ويروح :

(٢) ترى : أراد أن ترى ، لحذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوعى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم - القاطع - الذى لا ينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف في حدثك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) «كان» الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و«أوهو كائن» . عطف على الخبر . وقوله فبرئت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يكوث ، قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا - إذ قال المتنبي هذه القصيدة في صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه . فكان حقه أن يقول زهيت

وَتَخَالَهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلَامُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ فَهُمْ بِلَا أَحْلَامٍ^(١)
وَإِذَا أُمْتُحَنَتْ تَكْشَفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِيَّ النَّقْضِ وَالْإِبْرَامِ^(٢)
وَإِذَا سَأَلَتْ بَنَانَهُ عَنْ تَنِيْلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالْأُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ^(٣)
مَهْلًا إِلَّا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي عَمْرٍو حَابٍ وَضَبَّةٍ الْأَغْنَامِ^(٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء في قولهم بقي في بقي ، كذلك قال زهري في زهي فسكن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيده : وقد زهى الرجل على لفظ مالم يسم فاعله وللعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر ونتجت الشاة والناقة وأشباهها ، وحكى ابن دريد : زهازهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أرهأه ؛ وليس هذا من زهى ، لأن مالم يسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهجو العتي والفيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحبٌ مُولعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَا قَلِيلُ الْعَوَابِ
أَلْبَجُ بَلَسَاجًا مِنْ الْخُلْفِ سَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غَرَابِ

قال الجوهري : قلت لأعرابي من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب نفسه ، قلت : أقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا تكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .

(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام - عقول - الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت . ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : قتل الجبل ونحوه ، والنقض ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمها صادرة عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالذميا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها في قضاء حقك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا : وألا : استفتاح ؛ وقد : كلمة تعجب . والقنا : الرماح وقوله في عمرو حاب : أراد عمرو بن حابس - بطن من أسد - فرخم المضاف

إليه ؛ قال الواحدى : وذلك غير جائز ، لأن الترقيم حذف يلحق أواخر الأسماء فى النداء تخفيفا ، والكوفيون يميزونه فى غير النداء وينشدون :

أَبَا عُرْوَةَ لَا تَبْعَدْ فُكْلُ ابْنِ حُرَّةٍ سِيدُ عُرْوَةٍ دَاعِي مَوْتِهِ فَيُجِيبُ^(١)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أيا عرو ؛ وقال المصبرى : ذهب أصحابنا - يريد الكوفيين - إلى جواز ترقيم للضاف ، وأوقعوا الترقيم فى آخر الاسم للضاف إليه . وحجتهم : أنه قد جاء فى أشعار العرب القدماء ، كقول زهير بن أبى سلمى :

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكرَمٍ وَأَحْفَظُوا

أَوَاصِرَنَا وَالرَّحِمُ بِالْغَيْبِ تَذْكَرُ^(٢)

وقد جاء الترقيم فى قول جرير :

أَلَا أَضَحَّتْ حِبَالُكُمْ رِيَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أَمَامًا^(٣)

(١) عرو مرخم : عروة ، ولا تبعد : أى لا تهلك ؛ وهو دعاء خرج بلفظ النهى . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ فالجواب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولهم فى ذلك غرضان : أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدقون بموته . والثانى أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى ، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . وقوله : فكل ابن حرة : أراد فكل ابن امرأة .

(٢) من آيات قالها زهير لبنى سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . والحظ : النصيب . يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وعكرم : ترقيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر ، والأواصر : جمع أصرة ، وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . والرحم : موضع تكوين الولد ، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها ، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء : رحم ، فالرحم خلاف الأجنبي ، وهى مؤنثة فى اللعنين .

(٣) قال الأعم : الرمام : جمع رميم ، وهو الخلق البالى . يريد أن جبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، وقال غيره : الرمام جمع رمة - بالضم - وهى القطعة البالية من الجبل ، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير .

لَمَّا نَحَكَمَتِ الْأُسْنَةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهْنٌ يَجْرُونَ فِي الْأَحْكَامِ (١)
فَقَرَّ كَتَمَهُمْ خَلَالَ الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ (٢)
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومٌ يَبْضِي فِي سَمَاءٍ قَتَامٍ (٣)

فهذا ترخيم في غير النداء ، على من قال يا حار بالكسر وضبة قبيلة مشهورة والأغنام جمع غنم جمع أغتم ورجل أغتم ، وغتمى : لا يفصح شيئاً والفتمة عجمة في النطق والغم في الأصل : قطع اللبن الثخان ، ومنه قيل للثقل الروح : غتمى ، والغم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حَمْضُ بِلَادٍ فَلَّ وَغَمُّ نَجْمٍ غَيْرِ مُسْتَقِلٍّ (١)
* فَمَا تَكَادُ يَبِيهَا تُولَى *

أى غير مرتفع لثبات الحر المنسوب اليه ، وإليها يشتد الحر عند طلوع الشمري التي في الجوزاء . قال الواحدي : جعل هؤلاء أغتما لأنهم كانوا جاهلين حين عصو حتى فعل ما فعل .

(١) قال العلامة العكبري : يروى اللية بدل الأُسنة ، وليس بشيء ، والأصح الأُسنة ، ولهذا قال : وهن ؛ فجمع الضمير في اللبتد والخبر . ومن روى اللية أراد بها الناي ، وليس هو شيء ، إلا أنى وجدتها في بعض النسخ فذكرتها حتى لا أدخل بشيء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشيثين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم في عقر دراهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رؤوس كأن رؤوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة . والقَتَام : القبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف للمركة وكثرة القتلى . يقول : صارت الأرض دما وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوما لامعة في سماء من القبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث في ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلا الهواء خوذا تلعب كالنجوم في سماء من القبار .

(١) الفل : الأرض القفرة ؛ وأفلنا : أى صرنا - فى فل من الأرض - ومنه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فَلَانٍ كُنْيَةٌ حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ^(١)
عَهْدِي بِمَرْكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجَمَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ^(٢)
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَّاكَ رَامَ غَيْرِ مَرَامٍ^(٣)
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِّعٍ
وَسَقَى تَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامٍ^(٤)

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبي فلان : أى ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الإيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية - كما قال الواحدى - على الحال من أى فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً فى معنى جماعة لا يكون إلا شكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه ، ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعنى

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال سدت مسدخبر عهدي . وبروى وخيله - بالجزم - عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : الغبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركته إلا على هذه الحال ، فغلبه مقدمة بدأت تأخر عن التأخر : أى تأنف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومنالك . أى غايتك التى تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أى لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول فى الصحيح ؛ لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلاثمائة : لقبه به للثقى العباسى ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلباً وإن فارقت شخصاً . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كلاً احتراساً لمكان ذكر أبويه وهما قدماتا : أى وأنت حتى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحى صحبتك فأنت مشيع غير مودع .

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقَتِكَ الْقَمَقَامِ (١)
فَلَقَدْ رَمَى بِلَدِّ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أُرْعَنْ كَالْفِطْمِ لُهَاِمِ (٢)
قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَآيَا فِيكُمْ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٣)
تَاللَّهِ مَا عَلِمَ أَمْرُؤُا لَوْلَاكُمْ كَيْفَ السَّخَاةُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ (٤)

وقال ، وقد تُحَدَّثُ بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه
يمارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقه وعدده وعُدده ، ففعل ؛
نخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهي آخر ما أنشده بحلب :
عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ (٥)

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع
الماء ، من قولهم ققم الله عصيه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه
ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن :
الجيش المضطرب لكثرة والعظم : البحر الكثير الماء ، والهام : الجيش الكثير
يلتهم كل شيء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من
أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتهم كل شيء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والمنايا : جمع منية : اللوت . يقول : أنتم قوم تأملتكم
للمنايا وخبرتمكم فرأيتكم في الحرب صبرا كراما ، وإذا صبروا في الحرب كانت للمنايا
إلهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول
أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكف كان أمدح .

(٤) الهام : الرءوس . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا .

(٥) العقى : العاقبة ؛ وطى : متعلقة . يمين . يقول : من حلف على أن عاقبة
الحرب له — أى أنه ظافر لاعمالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم
لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تمكذيب البطريق
الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلتقى سيف الدولة في بطارقه ويجهتد في لقاءه
(٩ — الثاني)

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَادَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِعَادِ مُتَّبِعٌ^(١)
 آتَى الْفَتَى ابْنُ شُمَشَقِيقٍ فَأَخْبَتْهُ فَتَى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ^(٢)
 وَقَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلْفٍ عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمُ^(٣)
 كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّامُ^(٤)
 لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمِلَهُ تَحْمِلْتُهُ إِلَى أَغْدَانِهِ الْهَيْمُ^(٥)
 أَيْنَ الْبَطَارِيقُ وَالْخَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا يَمْفَرِقُ الْمَلِكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا^(٦)

بهم ففعل غيب الله ظنه ، فذكر المتنبي ذلك يرد عليه ويهجو . وكأنه يقول : لو كنت بمن إذا قال وفي لم تحتج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروى « ماذا يفيدك » .

(١) في اليمين : خبر مقدم عن الموصول - في الشطر الثاني - يقول : إذا حلفت على ما تعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آتَى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأخبت : الجأء إلى الحث ، وهو نقض الحلف في اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فتى - يعنى سيف الدولة - أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعد .

(٣) فاعل : عطف على قوله فتى . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعال : جمع فعل . يقول : وأخبت رجل يفعل ما يريد لأنه ملك لا معارض له . ويغنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه : أى أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أى المضاربة ؛ والسام : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لساير إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله « حتى لا تحمله » - بحذف إحدى التاءين - : أى تتحمله ، قال ابن جنى : الاختيار فيه الرفع : لأنه فعل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هي غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله :

(٦) البطاريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة في

وَلِي صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمْ - فَهِنَّ أَلْسِنَةً أَفْوَاهَهَا الْقِيمُ (١)
 نَوَاطِقُ تُخَيِّرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ - عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا (٢)
 الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُخَفَّاةً مُقَوَّدَةً - مِنْ كُلِّ مِثْلٍ وَبَارٍ أَهْلَهَا إِرَمُ (٣)
 كَتَلُ بِطَرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنَهَا - بَأَنَّ دَارَكَ قِنَسَرِينَ وَالْأَجَمُ (٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التي أقسموها برأس مليكهم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يشبثون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب يعني أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أي باشره . والصوارم : السيوف القواطع : والقيم جمع قمة ، وهي الرأس ، يقول : ولي سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبهم سيوفه بقطع رؤوسهم وجعلها - أي السيوف - كالألسنة تعبر عن تكذيبهم ؛ ولما جعلها ألسنة : جعل رؤوسهم كالأفواه ، لأنها - السيوف - تتحرك في تلك الرؤوس تحرك اللسان في الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت ألسنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصراع الثاني من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف في جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى المرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو - سيف الدولة - الذي يرد الخيل عن غزوانه وقد حفيت من كثرة اللدغ ، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار في الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « وبار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التي رد عنها خيله كانت كوار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . وبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أي من كل مدينة مثل وبار ، وإرم : جبل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسرون : من ألزمها الياء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهري في ترجمة قنسر : وقنسرون بلد بالشام - بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح - وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لذكرشة الضبي يرثي بنه :

وَلَمْ يَنْتَبِهْ أَنْكَ الْمَصْبَاحُ فِي حَلَبٍ إِذَا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ^(١)
وَالشَّمْسُ يَفْتَنُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ جَهَلُوا وَالْمَوْتُ يَدْعُونَ إِلَّا أَنَّهُمْ وَهَمُوا^(٢)
فَلَمْ تُنَبِّهْ سُرُوجُ فَتَحَ نَاطِرُهَا إِلَّا وَجَيْشُكَ فِي جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ^(٣)
وَالنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرًّا أَنَا وَبَقَعَتَهَا وَالشَّمْسُ تَسْفِرُ أَحْيَانًا وَتَلْتَمِمْ^(٤)

سقى الله فتياناً ورأى تركتهم بحاضر قنسرين من سبل القطر^(١)
والأجم : مكان بقرب الفراءيس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التي اغترسا كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .
(١) ظنهم : معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح فى حلب ، ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .
(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التي تم كل مكان بضئها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم يتمعرونكم إياك إنما يدعون الموت الذي لا يتعذر عليه مكان
(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت غافلة عن قدومك فلم تنبّه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .
(٤) النقع : القبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجداناً ورأى تركنها *

وحاضر قنسرين : موضع الإقامة على الماء من قنسرين . وبعد البيت :

لمعري لقد وارت وضمت قبورهم أكففا شداد القبض بالأسل الشمر
يذكرُ منهم كل خير رأيت وشرّاً فما أنفك منهم على ذكر
يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويجتنبون الشر ، فإذا رأيت من يأتى خيراً ذكرتهم ، وإذا رأيت من يأتى شراً لا ينهأ عنه أحد فذكرتهم .

سُحِبَ تَمْرُهُ بِحِصْنِ الرَّانِ مُنْسَكَةً وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهَا نَقِمٌ^(١)
جَيْشُكَ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ فَلَا أَرْضَ لَا أُمَّمَ وَالْجَيْشُ لَا أُمَّمَ^(٢)

وبقيتها : ضبطها أبو العلاء المعري بفتح الباء ، وقال : هي مكان كالبطحاء يعرف بقيمة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء في هذا الموضع ، لان النقع - وهو الغبار - إذا أخذ حران فقد أخذ بقيتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جني وجماعة معه فقد رويها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها للكان الواسع من الأرض ، وتفسير : من سفور للراءة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقيتها - وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيش - وحق حجب ضوء الشمس فهي تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسناء تسفر أحيانا ثم تعود فتلتئم .

(١) سحب : خبر عن مذهب يرجع إلى الجيش . وحسن الران : موضع من عمل سيف الدولة . ومنسكة : أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرة وانتشاره . يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب تقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء - في تطاوله - للأرض ، والهاء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك : أى تغالبه ط لا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أمم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم - اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أُمَّمٌ^(١)

ريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لا قرب فيه ، ثم بين هذا بالبيت التالى .

(١) قال ابن برى : ويروى :

وعبرة ما هم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعا . يقول : اهدروا به ، فقد سال بهم . وقوله ما هم : « ما زائدة » و « هم » مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه « وجيرة ما هم » فتكون « ما » استهزامية . أى أى جيرة هم

إِذَا مَضَى عَـلَمٌ مِّنْهَا بَدَأَ عَـلَمٌ ^(١)
وُسُزْبٌ أَحْمَتِ الشَّعْرَى شَكَا مَهَا ^(٢)
حَتَّى وَرَدَنَ بِسَمْنِينَ بِحَبْرَتِهَا ^(٣) تَنْشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا الْأَجْمُ

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش : كلما مضت كتيبة منه برأيتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تنفى ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء فى أمالى ابن الشجرى ما يأتى : قال الخطيب التبريزى : لو قال - المتنبي - وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثر فى البيت ، قال ابن الشجرى : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا فى صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم - الذى هو الجبل - مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم - الذى هو الراية - مرتين : وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما فى التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعنصر يعبر عنه عطف أو شرط أو غيرها من العلاقات ، وقد جاء فى الكتاب العزيز « وإن منهم لفرقا يلون بالسنةم بالكتاب لتعسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلائقهم فاستمتعتم بخلائقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلائقهم » والتكرار فى هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار فى الكتاب العزيز علمت أن التكرار فى بيت المتنبي غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ فى بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) سزب : عطف على جيش ، أو على علم - الأخير - وهى تجمع شازب : الفرس الضامر . وخيل سزب : ضوامر . والشمرى : يريد الشعرى الجمانية ، نجم يطلع فى فصل الصيف ، فهى تعد من نجوم القيقظ ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديدية المعترضة فى فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما أحاط من اللجم بالحكم . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعنى لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم - السكى -

(٣) سمنين : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت فى الماء فسمع للجمها نشيش فى أشداقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محماة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها - لسرعها - وردت الماء وشربت بلجمها .

وَأَصْبَحَتْ بَقْرَى هَنْزِيَطَ جَائِلَةً تَرْعَى الظُّبَى فِي خَصِيبِ نَبْتِهِ^(١) ،
فَمَا تَرَكْنِ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ^(٢) ،
وَلَا هَزْبًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاءَ لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَشَمٌ^(٣) ،
تَرْنِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَاتِرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنَ الْأَرْضِ وَالْفَيْطَانِ وَالْأَكَمِ^(٤) ،

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع يبلاد الروم . والظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبي : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قرى . يريد فى خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما ألم بالنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها فى مكان خصيب نبتة الشعور : يعنى رءوسهم وعبرة ابن جنى والواحدى : إن السيوف ترعى فى مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الروس إلى مكان مثل ما يصل إليه للمال الراعى - الماشية - فى البلد الحصب .

(٢) فما تركن أى الظبي - السيوف - والخلد ضرب من الفأر ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطاير والأسراب كالفأر إذا ريعت من شئ دخلت جحرها وفريقا توقلوا - صعدوا - فى الجبال واعتصموا بها كالبازي يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلداً ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين نساء والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطاير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبازي إلا أهلكته وعبرة ابن القطاع : « ما تركن من هو فى ضعفه وخفاء مكانه كالخلد ، إلا أنه ذو بصر - يعنى إنسانا - ولا تركن من هو كالبازي فى ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبدة ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ماعلى كتفيه من الشعر . والمهاة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الخدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبدة درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والفيطان : جمع غائط ، الطمئن من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم - هلاكهم - وحلول آجالهم - لم يجدم

وَجَاوَزُوا أَرْضَنَا مُعْصِمِينَ بِهِ وَكَيْفَ يَنْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْعَصِمُ^(١)
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرِ لَهْمٍ سَعَةً وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهْمٍ شِمَمٍ^(٢)
ضَرْبَتُهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قَدْ مَا فَقَدْ سَلُوا^(٣)
تَجَحَّلُ الْمَوْجُ عَنْ لِبَاتِ خَيْلِهِمْ كَمَا تَجَحَّلُ تَحْتَ الْفَاكَةِ الْقَعَمُ^(٤)
عَبَرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ سُكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمٌ^(٥)

ينفعهم - الحرب ، ولم ينجمهم من القتل ، حتى كأن الموضع الذي هربوا إليها من الشيطان والجبال كانت تقذف بهم وترميمهم على حدود السيف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى ممتنعين ؛ وأسله أن يستملك الراكب بشيء خوفاً من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ما ليس يعصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركه بالسفن والجسور وراهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت توکید للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تلوها وتصعدھا .

(٣) الضمير فى ضربته : للنهر - وهو أرسناس - وقدماء - أى إقداما - حال يقول : ضربته بصدر خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف فى الإقدام سلامة : أى لا يهابون التلف ، بل يتهافون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يسستعذبون مناياهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجحل - فى الصراعين بحذف إحدى التاءين - أى تتجحل ، والتجحل : الإسراع فى الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . و"نارة : الخيل الفائرة على العدو ؛ والنعم : اللواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى ساجدة فتتابع بسرعة كما تنهزم اللواشى عند الفارة عليها فتنهزم وتجحل بسرعة .

(٥) تقدمهم أى تقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرمم : العظام البالية . والحلم بوزن صرد : الرمد والفحم ، وكل ما احترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الآخر : إن رجلاً أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أنامت فأحرقونى بالنار ، ثم إذا صرت حمياً فاسحقونى ، ثم ذرونى فى الريح لعل أضل الله وقال طرفة :

وَفِي أَكْثَمِهِمُ النَّارُ الَّتِي عُيِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرُّمُ^(١)
 هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَفِّرْ مَفْشَرًا صَفَّرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تُعْظِمُ مَفْشَرًا عَظَمُوا^(٢)
 قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقٍ فَكَانَ لَهَا أَنْطَلُمَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ^(٣)

أشجاك الربع أم قدّمه أم رماد دارس حمه

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .
 (١) وفي أكثمهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكروهم في قوله حاملة قوما - وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أولا فيها من البريق واللحان . يقول : إنها - السيوف - نار كانت مطاعة في كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جني : يريد سيوفا كالنار في الصفاء والجواهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزي : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتملهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والمسيحيون بالصلب .
 (٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبري : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى في الشرط والجواب إذا كانا فعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين : ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس - كهذا « وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر في الشرط يريد أن يؤثر في الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم^(١)

وهذا قول مردود . لأن سبويه يجعل هذا ضرورة في الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الهاء من « قاسمتها » و« لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

(١) الخليل : المحتاج للعمد والفقير المختل الحال ، والسغبة : المجاعة . وحرم .

أى ممنوع .

تَلَقَّى بِهِمْ زَبَدَ الْتِيَّارِ مُقَرَّبَةً عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْجِهِ رَثِمٌ ^(١)
 دُهِمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابٌ أَبْطَنَهَا مَكْدُودَةٌ يَقُومُ لَابِهَا الْأَلَمُ ^(٢)
 مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كِدَتْ الْعَدُوُّ بِهَا وَمَا لَهَا خِلَاقٌ مِنْهَا وَلَا شِيمٌ ^(٣)
 تَتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ كَلَفَظَ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهَمٌ ^(٤)
 وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرَبِ فِي لَجَبٍ أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمَّوْا ^(٥)

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيفوك سكان هذه البلدة - تل بطريق - فجعلت أبطالها للسيف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم والزبد : رغوة اللوج . والتيار : اللوج الذى ينضح - يرش - والمقربة - فى الأصل - : الخيل المدناة من البيوت ، لسكرتها وإعدادها للغارة والجحافل : جمع جفلة ، وهى لدى الحافر كالشفة للإنسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم : بياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفر ؛ جعلها كالحيل للمقربة : يعنى عبر بالسبي الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل مالمصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دهم : أى هى - المقربة - دهم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجبودة بسرعة السير - خير آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم : مبتدأ خبره : يقوم يقول : هى سود - لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لاظهروها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متعبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا المتعب ينال من الملاحين لامنها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجورور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوشك إليهم ، إلا أنه ليس لها خلقة الخيل ولاطباعها .

(٤) فى وقت : صلة تتاج ؛ وعلى مجل : بدل من الظرف قبله والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كدمة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى اتخاذها كاللدة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قال الواحدى : ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم بما له معنى : ك«ع» ، من وعيت ، و«د» : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَدَدْتَهُمْ بِخَيْسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَصَمَرَيْتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ^(١)
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ^(٢)
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطَّرِيقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ^(٣)
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرَبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلُلٌ فِي الْجَوِّ تَضْطَدِمُ^(٤)

الموضع ؛ وفي لجب : حال من فاعل « تمنوا » واللجب : الصياح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى - أى تحيروا - أو تقول : تمنوا في ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سددت عليهم مذاهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخيس : الجيش . « والفترة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالفترة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

قَلَوُا أَنَّا شَهْدَانَا كُمْ نُصِيرُنَا بِذِي لَجِبٍ أَرْبَ مِنَ الْعَوَالِي

(الأرب - فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسوم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهمزت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج - فرس كريم كان لبني هلال - وولء - فى المصراعين - حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرقية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مائلة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تملو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأينما كان النهار كانت السيوف . وهذا - كما قال الواحدى - مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات - بسكون الراء - للضرورة والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء - لأن اليد ترفع للضرب - توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة

وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمَشَقِيقٍ أَلَيْتَهُ^(١) أَلَا أَنْتَنِي فَهَوَ يَنْأَى وَهِيَ تَبْقَسِمُ^(٢)
 لَا يَأْمُلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ^(٣) فَيَسْرِقُ النَّفْسَ الْأَذْنَى وَيَفْتَنِمُ^(٤)
 تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْطَانِ سَابِقَةً^(٥) صَوَّبُ الْأَسْنَةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيمُ^(٦)
 تَخْطُ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا^(٧) كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمُ^(٨)
 فَلَا سَقَى الثَّمِيثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ^(٩)
 لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخَصَهُ الرَّخْمُ^(١٠)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالردوس المقطوعة على قدر تلك الضربات ، لا تخطىء لهم ضربة عز
 قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم : أى قوادهم ؛ وأليته
 يمينه . وألا : أى أن لا ؛ و « أن » هنا : لتفسير ؛ ولا اثنى : حكاية اليمين ، وينأى
 يبعد . يقول : ترك يمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك ، فانهز
 وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى - وقد طابق بينهما - والمهجة : الروح .
 وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرفعه . يقول : ليأسه من نفسه لا يأمل
 أن يستتم النفس البعيد - أى الطويل - فهو يغتم أنفاسه القريبة سرقة من
 أبدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابقة : الدرع التامة الطويلة
 والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكون ، وفى أثنائها : أى فى
 تضاعفها ومطاوئها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابقة ، وقد تلطخت بالدماء
 التى تسيل من الأسنة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسنة فى هذه الدرع كديمة
 المطر قريبا .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى
 درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حتى كأن أسنتها أقلام تخط فى القراطس
 ولا تؤثر فيه ولا تخرقه .

(٥) الثيث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه ؛ ومن شجر : بيان لـ « ما » . وزل عنه :
 أخطأه ، والرخم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسر فى الحلقة ،
 يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهِىَ الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرِ قَفْلَتَ بِهِ شُرْبُ الْمَدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالنِّعَمُ^(١)
مُقْلَدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ^(٢)
أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا
فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ^(٣)
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ^(٤)
نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنِ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحِلْمُ^(٥)

فكانت تجتمع - الطير - عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لا يسقى الماء .

(١) الممالك : أى أصحاب الممالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر - الذى كسبته فى هذه الغزوة - لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقولدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذا شطب : أى سيفاً فى منته طرائق ، والضمير فى « منها » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفاً تمجده به أعداء الله ولا شيء يستديم النعم مثلها ؛ فقلوله : لا تستدام الخ استئناف ، قال العكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لا توصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، جرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ما قتلتهم منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلها بأنها لا تمتنع منك كلما أردت صفكها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لساتل دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرها . يقول : إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا خائف أنوفهم أو يهربوا من كبر السن . فيهلكون شاباً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والمهرم ؛ فما ترك منهم أحداً حتى يموت خائف أنه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ،

(٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمهاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين - يهد جفونه - والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

القَائِمُ الْمَلِكُ الْهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ
 قِيَامَتُهُ وَهَدَاهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ^(١)
 ابْنُ الْمُتَقَرِّ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا
 بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ^(٢)
 لَا تَطْلُبَنَّ كَرِيمًا بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَاخُتُمُوا^(٣)
 وَلَا تَبَالِ بِشِعْرِ بَعْدَ شَاهِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَجِدَ الصَّمَمَ^(٤)

إلى الأحلام ولا ما تزينه من بلوغ الآمال ، لأن مثله في قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقتضى عزمته . وقال العكبري : نفى رقاذه عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرج - بالحاء المهملة -

(١) القائم : إما بالرفع - على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو القائم - وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمور يديرها ويمضيها على وجهها الهادي إلى دين الله ، الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب ، وهده في الدين ؛ ولك أن تقول الهادي من هدى اللازم : أي المهتدى .

(٢) عنده : ألقاه على العفر : أي التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة - يقول : هو ابن قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون في التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أي الهيحاء للقرامطة وإفناءه إياهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبري : وأنت ضمير نجد - بقوله فوارسها - على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تميز . يقول : متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يدا .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، فخليق به ألا يسمع ، فالصمم حينئذ يحمى حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .

وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله
فى صباه :

كُنِّيْ أَرَانِيْ وَبِكَ لَوْمَكَ الْوَمَا هَمْ أَقَامَ عَلَى فُوَادِيْ أَنْجَمًا^(١)
وَحَيَالُ جَنَسٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنْجِلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمًا^(٢)
وَحُنُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لِهَيْبِهِ يَا جَنَّتِيْ لَظَنَنْتُ فِيهِ جَهَنَّمَ^(٣)

(١) كفى : دعى وتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . ووبك : أصلها وبلك ،
فحذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلمة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل
أرانى ؛ والياء - فى أرانى - مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و«الوما» مفعول ثالث
وأنجم أى أطلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أطلعت عن المطر ؛
وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه - للتنبي -
استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : تركى عدلى ، فقد أرانى الهم - المقيم على فؤادى
الراحل الذاهب مع الجيب - أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وعلى هذا يكون
«الوما» مبنيًا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذًا . وقال قوم :
«الوما» من الليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى
الإلامه واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم
المقيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الجيب - أن لومك أبلغ تأثيرًا وأشد على وذلك
أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى
وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تَقُولُ وَتُظْهَرُ وَجَدًا بِنَا وَوَجَدَى لَوْ أَظْهَرْتَ أَوْجَدَ

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستعنيا بنفسه: أى كفى لومك فإنى
أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون «هم» مرفوعا بابتداء مضمرة .
أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) حَيَالُ : عطف على «هم» ، جعل جسمه خيالًا ليدل بذلك على دقته ونحوه ،
فإن الحيال أيسر لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى محلا من
لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب «ينحله» لأنه جواب نفي بالفاء .

(٣) وخفوق . عطف آخر على «هم» ، والخفوق والخفقان : اضطراب القلب ،
واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد

وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبًّا أُبْرِقَتْ تَرَكْتُ حَلَاوَةَ كُلِّ حَبٍّ عَلَقَمًا^(١)
يَا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الَّتِي كَوَّلَاكَ مَا
أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِي وَرَضَّ الْأَعْظَمَا^(٢)
إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا السُّلُو فَاثْنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كِبْدِي وَمِنْهَا مُقَدِّمًا^(٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت ما في قلبي من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم في قلبي ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والتقصه واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تغزل على الهوى إلا ترى إلى قول أبي حية النميري :

عَذَلْتَنِي فِي عَشِقَتِي أَمْ عَمِرُوا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَاذِلِ لِلْمَعشُوقِ ؟
والبیت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينه في وداع محبوبته :

عَذَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهَا وَقَلْبِي غَدَا مِنْ مُجْبَاهَا فِي جَهَنَّمِ
(١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعلقم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شيء مر : علقم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقا . يقول : إذا ظهرت غيايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالته إلى مرارة .

(٢) قال ابن جني : داهية : اسم التي شيب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجير ، لعظيم ماحل به من بلائها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جني لترك صرفها في البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شيء : دقائه ، فالعنى . ضعفت حتى كأني قد كسرت عظامي .

(٣) المعدم : الفقير ؛ ذكره في مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلاعه سلوا : نسي ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلوقد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عديمها وعدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا معدم - فقير - منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وبعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بحبها ؛ فإن كان السلوقد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كبده وحبسته .

غُصْنٌ عَلَى نَقْوَى فَلَاةٍ نَابَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلًا مُظْلِمًا^(١)
 لَمْ تَجْمَعْ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهِ إِلَّا لَتَجْمَعَنَّ لَنِي لِعَرْمِي مَعْنَمًا^(٢)
 كَصِفَاتٍ أَوْجَدَنَا أَيْ الْفَضْلِ الَّتِي بَهَرْتُ فَأَنْطَقَ وَأَصْفِيهِ وَأَفْجَمًا^(٣)
 يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَلِنْ أَعْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَنْ قَدْ أَجْرَمًا^(٤)

لأنه قد حرهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جني « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المحقق والمناق والمبلط والمسر والمقتر والمفلس ، كل أولئك : الذي لا مال له ومن كلام العرب : كلاً تبع له كبد المضرم ، وهو الذي لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعيا في هذا السكلا فأوجعته كبده .

(١) نقوى : ثنية « نقام » ، وهو الكتيب من الرمل ، يقال في الثنية : نقوان ونقيان ، وسمى الكتيب من الرمل نقالاً لأن المطر إذا أصابه نقام وغسله كما ينقي الثوب بالغسل . والفلاة : المفازة . وتقل : تحمل ، يصف الحبيبة يقول : هي غصن - يعني قامتها - نابت على كتيب رمل « يعني ردفها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلامظما . (٢) يريد بالأضداد : ما ذكره في البيت السابق - من دقة قامتها ، وثقل ردفها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها - وهذه - على تضادها - مجموعة في شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص تماثل حسنه إلا لتجعلني هذه الأضداد غنا لعرمي : أي لما لزم من عشقها وهواها ، يعني إلا لتستعبدني وترتهن قلبي فقله « في متشابه » أراد شخصا الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه ، والغرم : الغرام ، وهو ما لزمه من عشقها وهواها ؛ والمغرم : الغنيمة ، وهو ما يقتنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار في كل ما يصيبه الإنسان من كسب أو هبة . ويروى « لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبة .

(٣) بهر الشيء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهر النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات المدح من كونه مرا على الأعداء ، حلواً للأولياء ، طلقاً لدى الندى ، جهما عند اللقاء - في الحرب - وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت واصفيا فلم يقدروا على وصفها فأنتطق واصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أخفهم لعجزهم عن إدراكها ، والإفهام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذي لا يقول الشعر ، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يبتدرك بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال تأخر عطاؤه عن سؤالك ، كأنه أتى بجرم - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال (١٠ - الثاني : ٤)

وَيَرَى التَّعَظَّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا
وَيَرَى التَّوَاضُّعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمًا^(١)
ذَرَّ النَّعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمًا^(٢)
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَعْنَى جَوْهَرًا
مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أُنَمَّى مِنْ مِمَّا^(٣)

جرم يجرم واجترم : أى كسب ، وهو يجرم لأهله ويحترم : أى يتكسب ويطلب
وبمحتمل ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمته : أى كاسبهم ، قال
أبو خراش الهذلي يصف عقابا شبه فرسه بها :

كَأَنِّي إِذْ غَدَوْتُ ضِمْنْتُ بُرِّي مِنْ الْعِقَابِ خَائِفَةً طُلُوبًا

جريمة ناهض فى رأس نيق ترى لعظام ما جمعت صليبا^(١)

(١) التَّعَظَّمَ : إظهار العظمة ؛ وضده التواضع ، وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع
التواضع موضع الضعة والحساسة ، كما وضع التعظم موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه
وارتفاع رتبته فى تواضعه ، واتضاعها فى تكبره والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ،
ويرى الضعة فى أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعال : اسم للفعل الجليل ، والمطال : الماطلة ، وهى المدافعة ، قال الواحدى :
ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعال ، يقول : نصر فعله على
القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام
على العطاء ، ولا يجوز إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ، قال الواحدى : وهذا
على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لا يوصف بأنه يجرم عليه شيء ، ولكنه أراد أن
يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجواهر : الأُصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ؛
يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرها « أى أصلا ونفسا » من عند الله : أى أن الله تعالى

(١) غدوت : أى للحرب . وبزى : أى سلاحى . وخائفة : أى منقضة . يقال
خانت العقاب : أى انقضت ، وطلوبا : صفة لخائفة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض :
فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه
العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تصيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طير أكلته
وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَا هُوتِيَّةَ ، فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُعْلَمَ^(١)
وَيُهِمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عُضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوهم . والفاظ مستكرهه فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف المدوح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردى المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه . وأسمى من سما : صفة لئى الملكوت - أما ابن جنى فإنه يجعله للمدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعا ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لا هوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لا هوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولا هوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لا هوت ، وللإنسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من اله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى - فى أحد قولى سيبويه - ويكون بوزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فىك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) يهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلم : صلة « يهم » يقول : ويهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فىك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فىك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى : أى يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفىك - فى أول البيت - يتعلق بأن يتكلم فى آخره ، وفىك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى : وليس للمعنى على ما ذكره - أى ابن جنى - من وجهين : أحدهما : أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا . واللفظ لا يشعر به ، إلا أن يقال : هم به ولم يفعله ، والآخر : أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * ويهم فىك كل عضو منك أن يتكلم * أفاد المعنى المراد ، فبقى ذلك الباقي لنوا ،

أَنَا مُبْعِرٌ وَأُظَنُّ أَيْ نَائِمٌ مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمُ^(١)
كَعَبَرِ الْعِيَانِ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهُمَا^(٢)
يَا مَنْ لِحُودِ يَدَيْهِ فِي أُمُورِهِ نَقِمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَقَايِ أَنْعَمَا^(٣)

واللغى أنه جعل التطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغي أن يقول هم - بأن يظهر - ولكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهي - أعنى به القوة الناطقة - وكانت هو للوجوب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : بهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا ، والغنى : لفصاحتك بفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولكن أعظم ما أرى منك وغرابته أظن أفي في الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : بمن يحلم بالآله حتى أحلم بك ؟ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة الشراح : أنا أبصرك وأظن أفي أراك في النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما ؛ أي أن مثل هذا لا يرى في اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أَبْطَحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِيَانًا وَهَذَا أَنَا

قال الواحدى : استفهم متعجبا بما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقى البيت والغنى : لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ؛ ولا يراه في النوم أحد حتى أراك أنا ؛ أي كما لا يرى الله تعالى في النوم : كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النوم ، فإن الأخبار قد تواترت بذلك . وقد ذكر للمبرون حكم تلك الرؤيا في كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على للمبرين فلم يتكلموا فيها بشيء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قد مات في بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر في البيت السابق . يقول : قد عظم على ما عاياه من المدح وحاله حتى شككت فيها رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار اللعاب كالنتوم . الظنون الذى لا يدرك بالعيان ، أى لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه ،

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا ، وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(١)
إِذَا كَارُ مِثْلُكَ تَرَكَ إِذَا كَارِيَ لَهُ إِذَا لَا تَرِيدُ لِمَا أَرِيدُ مُتَرَجِّمًا^(٢)

• • •

غير أن تلك النعم في أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .
(١) ماذا - في للصراعين « مركبة من « ما » النافية العاملة عجل « ليس » و « ذا » الإشارية . يقول : هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلما ، لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئا ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدْتُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى قِيلَ مَا هَذَا صَحِيحٌ

يريد أبو نواس : ما هذا صحيح العقل . وقد صرح بذلك في موضع آخر فقال :

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسَ حُمَقًا

وتبعه أبو تمام فقال ،

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَسْكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ عَمْسُومٌ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فسادا ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب العنبرى :

حَرَاهُ تَأَمِكَةُ السَّنَامِ كَأَنهَا جَلَّ بِهِودَجُ أَهْلِهِ مَظْمُونٌ

جَادَتْ بِهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلَّتَا يَدَايَ عُمَرَ الْغَدَاةِ يَمِينُ

مَا كَانَ يُعْطَى مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ الْخَلِيمُ أَوْ مَجْنُونٌ^(١)

(٢) أذكرته كذا : بمعنى ذكرته ، وللتعجب : للعبر عن الشيء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكراك بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تذكير ، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكراك إذكراكا لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقْضَاهُ بَتَرَكَ التَّقَاضَى

(١) تمك السنام . اكتنز وتزوى ؛ وفي الصحاح : أى طال وارتفع فهو تامك ، وناقاة تامك : عظيمة السنام .

وقال في صباه :

إِلَى أُمِّي حِينِ أَنْتَ فِي زِيٍّ مُحْرِمٍ . وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمْ^(١)
وَالْأَتَمْتُ تَحْتَ الشُّيُوفِ مُكْرَمًا . تَمَّتْ وَتُقَاسِ الذِّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ^(٢)
فَتَبَّ وَائْتَقًا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَا جِئِدِ
يَرَى الْمَوْتَ فِي الْهَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمِ^(٣)

وقال في مـصـباه :

ضَيْفُ أَلَمٍ بَرَأَمِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ . وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمِ^(٤)

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العري ، لأنه لا يلبس الخيط .
يقول - لنفسه - : إلى متى أنت عريان شقي بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب
شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو
الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن
الاستفهام ؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين ، قال العكبرى : فكأنه
قال : إلى كم التواني ؟

(٢) هذا حدث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل في الحرب
كريماً غير كريم في الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن
تبقى ثم لا تنحو من الموت في الذل

(٣) الهيجا : من أسماء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل .
يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .
(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِضَيْفٍ نَزَلَ . وَأَسْتَوْدِعَ اللَّهُ لِفَلَا رَحِلُ

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحي . واللهم : جمع
لله ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه
شامعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله « غير محتشم » ثم
فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحرى :

إِبْعَدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ^(١)

وَدِدْتُ بَيَاضَ السِّيفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حُلَّ بِمَفَرِّي^(٢)
« جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى :
إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان
الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمرة ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن
ظاهر قوله « أحسن فعلا منه باللحم » : يوجب أن الشعر المقطوع بالسيف أحسن من
الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع
اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً — من باب فرح — إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً
لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضاً ؛ تمييز ؛ وعنى بالبياض الأول : بياض
الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ في العين أبيض ناصعٌ ولكنه في القلب أسود أسفعٌ
وقد قال المتنبي في بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فكانها ببياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسماً لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول
إن بياض الشيب ليس ببياض فيه نور وسرور وهو أشد سواداً من الظلم ؛ لما يورى به
من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح في قوله *

* لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازه الكوفيون في نحو قول الراجز :

* أبيضٌ من أختِ بنى إِباضِ^(٣) *

(١) لقيننى : أى الفوانى المذكورة في البيت قبله وهو :

أجِدْكَ ما وصل الفوانى بِمُطْمِعٍ ولا القلب من رق الفوانى بمعتق

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقوله . .

لَهْدِ أَتَى فِي رَمَضَانَ الْمَاضِ جَارِيَةً فِي دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ

تَقَطَّعُ الْحَدِيثَ بِالْإِيْمَاضِ أَيْبِضُ مِنْ أختِ بنى إِباضِ

بِحُبٍّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبَ تَفْذِيَتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَارِغَ الْحُلُمِ^(١)

إذا الرجالُ شَتَّوْا واشتدَّ أكلهم فأنْتَ أبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخٍ^(٢)
وسمعت العروضي . يقول : اسود ههنا : واحد السود ، والظلم : الليالي الثلاث في
آخر الشهر التي يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شبيه أنت عندى واحد من تلك
الليالي الظلم . على أن ابن جني قد قال ما يقارب هذا ، فقال وقد يمكن أن يكون لأنْتَ أسود
في عيني كلاماناما ، ثم ابتداء يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا
يقارب ما ذكره العروضي ، غير أنه لم يحمل الظلم : الليالي .

(١) يريد بقائلته : حبيته ، لأن حبها قتله . وبحب قاتلتني : خبر مقدم ؛ وتنديق :

وبعده .

مثلُ الغزالِ زين بالْحُضاضِ قَبَاءَ ذاتُ كَفَلٍ رَضْرَاضِ

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بنى أباض
معروفة بالبياض ، وبنو أباض قوم . والحضاض : نوع من الحلى والقباء . الضامرة البطن
فعلاء من القبب وهو دقة الحصر . والرضراض . الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو
من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام ، وشبهه بوميض البرق في لمعانه وتقطع الحديث
بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن نقرها
ويحتمل أن تكون هي المحدثه وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة
الحلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم . أى نظرت . شغلهم حسن عيניהما
فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجاء بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا

أنت ابنُ هَنْدٍ فَأَخِيرُ مِنْ أَبوكَ إِذَا لَا يَصْلُحُ الْمَلِكُ إِلَّا كُلُّ بَذَاخِ

إن قلت : نصر فنصر كان شرفني قِدَمًا وأبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخِ

ما في المعالي لكم ظل ولا ورق ، وفي الخزازي لكم أسفاخ أسفاخ

مع أبيات آخر . قال ابن الكلبي . هذا الشعر منحول وقوله . واشتد أكلهم

أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهزمة . أى غلت أسعارهم . ومن روى أكلهم

بفتح الهزمة . جعل الأكل بمعنى المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون

الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالقوا في الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمْرُ بَرْنَمٍ لَا أَسْأَلُهُ ، وَلَا بَذَاتِ خِجَارٍ لَا تُؤَيِّقُ دَمِي ^(١)
تَنَفَّسْتُ عَنْ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِّعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِّمٍ ^(٢)
قَبْلَتْهُمَا وَدُمُوعِي مَزَجُ أَدْمُعِهَا وَقَبْلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِقَمٍ ^(٣)

مبتدأ مؤخر ، وهوأى وشيى : قال ابن الشعري : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين ، و«طفلا» ، و«بالغ» حالين سداسد الخبرين ، كما تقول ضربني زيداً جالسا وتقديره : هوأى إذ كنت طفلا ، وشيى إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالهما من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بعناه ، والعامل في الحالين على هذا القول : المصدران - هوأى وشيى - والتقدير : تغذيق بحب قاتلقى والشيب بأن هويت طفلا وشبت بالغ الحلم . وقد بين في المصراع الثاني وقت الهبة ووقت الشيب . يقول : إن تغذيق بهذين - الحب والشيب - ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلمت ، لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائي .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصاً ، والخمار ما غطى به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرني رسم دارها ، فأسأله تسلياً ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق « تسيل » دمي أى تغلغلي .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم « شعبته إذا فرقت » والملتئم المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تخسراً على فراقى عن وفاء : يعنى عما فى قلبها من وفاء صحيح غير منشق ، وفراق غير مجتمع يريد وحزن فراق لحذف المضاف : أى أنها كانت منطوية على وفاء صحيح ، وهم فراق لا يلتئم « لا يجتمع » وكان تنفسها عن هذين . والمعنى : إنا افرقنا بالأجساد « لا بالقلوب » لأنها كانت معى على الوفاء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع ، لارتحالهم وتفرقهم فى كل وجه .

(٣) يقول : بكيتنا جميعاً حتى امتزجت دموعى بدموعها فى حال التقيل ؛ يعنى أنهما

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذى يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغطت الأسعار واشتد القوت فسربال طبابخك نقي ، للأومك ، ولو كنت كريماً لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سربال الطباخين . ومثل هذا المعنى قول الآخر

نِيَابَ طَهَاتِكَ عِنْدَ الشِّتَا بِيضُ تَلَالُأٍ لَا تَدْنُسُ

وَقَدْرِكَ لَمْ يَمُرْهَا طَارِقُ وَكَابِكَ مِنْ جَعْرِ أُخْرَسُ

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذَقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقْبَلِهَا لَوْ صَابَ تَرْبَاً لَأَحْيَا سَالِفَ الْأُتَمِ^(١)
تَرَنُّوْا إِلَى بَيْنِ الظُّبَى مُجْهِشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ^(٢)

تقارباً حتى اختلطت دموعهما حال التقبيل ، ونصب « لما » على : الحال ، كقولك كلمته فاه إلى في : أى مشافهة ؛ ومزج : قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « ما يمزج بالشئ » سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها : أى ممتزجة بها .

(١) المقبل : موضع التقبيل : أى القم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر يصوب صوباً » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حي به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأتَم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لَوْ أُسْنَدَتْ مَيْتَا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجھشة ؛ منهيأة للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو في الأصل المطر الخفيف . والعنم : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به الأصابع الخضوبة ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَانَ بِنَانُهُ عِلْمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ^(١)

قال الجوهري : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر العوسج^(٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الحروب الشامى ، قال :

فَلَمْ أَسْمَعْ بِمَرْضِعَةٍ أَمَالَتْ لَهَا الطَّلَّ بِالْعَنَمِ الْمُسَوِّكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لها زهرة عديدة الحمرة ، جعل المتنبي عينها ظبي لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالعنم : أطراف بناتها حمرة بالخضاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يَا قُرْأَ أَبْصَرْتُ فِي مَا تَمَّ يَنْدَبُ شَجَوْاً بَيْنَ أَنْزَابِ

يبكى فيلقو الدَّرَّ مِنْ نَزْجِسِ ويلطم الوردَ بِعَنْابِ

(١) رخاصة الأنامل لينها .

(٢) العوسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .

رُوِيَ حُكْمُكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ
أَبْدَيْتَ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ
إِذَا كَبَزْتُكَ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْفَرُهُ
لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ (١)
وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أَجْنَنْتُ مِنْ أَلَمٍ (٢)
وَصِرْتَ مِثْلِي فِي ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمٍ (٣)
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي (٤)

ومثله لابن الرومي :

كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى
وَأَحْسَنَ فِيهِ الْوَأْوَاءَ الدَّمَشْقِي بِقَوْلِهِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ
وَرَدَا وَعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأملهه . ونصب
« حَكَمُكَ » به ، وغير منصفة : حال ، والعاقل فيه : حَكَمُكَ : أى أن تحكى غير
منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « يا غير منصفة » حذف حرف النداء
ومن حكم : فى موضع الحال : أى أفديك حاكمة ، أو تقول إنه فى موضع نصب على التمييز
و « من » زائدة . يقول : دعى أو ألقى حَكَمُكَ علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديك
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ من حاكم ؛ يعنى أنت حبيبة إلى وإن جرت على فى الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشيء : ستره وكتمه . يقول : وافقتنى فى
ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجهه . وهذا كما يقول الناشئ :
لفظى ولفظك بالشكوى قد اختلفا ياليت شعرى فقلباناً لم اختلفا
(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل
زيد بصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه
وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجنت من الألم ما أجنته إذن
لبزك - أى لسلبك - ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لاذهب حسنك
وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما ثنى الثوب
لأن العادة فى اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكانه قال :
وكساك حلة السقم كما كساك.

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشئ اليسير بعد الشئ . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زوجيت الشئ تزجية إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؛ أى
كيف تدافعها . وزجيت أيامى : دافعتها بقليل من القوت أجزئ به . وأكتفى ويقال
تزوجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْتَرُكُنِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طَرَفَهَا هِمِّي^(١)
لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَّتِي بَرَقَةَ الْحَالِ وَأَعْذَرَنِي وَلَا تَلُمُ^(٢)
أَرَى أَنَاكَ وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذِكْرُ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ^(٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال : الفقر وقلة ذات اليد . يقول : ليس من عادتي أن
أزجى الآمال وأدافع الوقت بشيء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أقنع باليسير ، يعنى أنه
يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ الْمَيْشَةِ بِالتَّمْنَى وَلَكِنْ أَلْتَى دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى : والعرب
تستعمل البنية والأخوة فىمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان
معتادا للأسفار ، وهو آخر معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعى
حق أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأضمار .
(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبياني :

أَضَعْتُ خَلَاءَ وَأَضْحَى أَهْلَهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ^(١)
والجدة : الغنى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول - لمن لومه فى الفقر -
لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى الغنى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له
مفعول أى عقل ، وقوله «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام . أى وأسمع
ذكر جود فهو من باب :

* غَلَقْتُهَا تَبْنًا وَمَاءَ بَارِدًا *^(٢)

(١) من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن النذر ويعتذر إليه بما بلغه عنه وهى
التي أولها .

يَادَارَ مِيَّةً بِالْعَلِيَاءِ فَالْسُنْدُ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
وليد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى
وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات صحر من
أظب عمر فى جبل وعمر لا يمسا القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر ،
فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبداء

(٢) وماء باردا : أى وسقيتها ماء باردا . جعله العيني صدرا ؛ وأورد له عجزاً
مكذا :

وَرَبُّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مَرْوَةٍ لَمْ يُثَرِّ مِنْهَا كَمَا أَثَرَى مِنَ الْقَدَمِ ^(١)
 سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَيْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ ^(٢)
 لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَأَنْ مُصْطَبِرٍ فَالآنَ أَفْجِمُ حَتَّى لَأَنْ مُمْتَحِمٍ ^(٣)

يقول : أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التجصيل كالغنم لا عقل لهم ،
 وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول
 السيد الجبيري :

قد ضيع الله ما جمعتُ من أدبٍ بين الحسير وبين الشاء والبقر
 قال المكبري : وهو من قول الحكميم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو
 بطبع البهائم . « لانا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئا غير ذلك .
 (١) رب مال : معطوف على « أنا » - في البيت السابق - والروءة . أصلها
 الهمز ، يقال امرؤ ذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى في الثانية ،
 وهى النخوة وكال الرجولية . والإثراء : الفنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له
 مروءة . ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أثرى بعد الفقر : أى لم يكثر الروءة
 عند كثرة المال . فقوله « أثرى من العدم » هو كما يقال استغنى من الفقر ؛ وهذا المعنى من
 قول أبى تمام :

لا يحسبُ الإِفْلالَ عُدْمًا بَلْ يَرَى أَنَّ الْقُلَّ مِنَ الرُّوءَةِ مُعْدِمٌ
 (٢) النصل : نصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه معنى
 الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلى : يتكشف . يقول
 سيفحسب السيف من رجلا مثل حده فى المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛
 يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع ؛ أى أنه أشجع
 الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : ربت ،
 ونمت ، قال ابن جنى : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

* حتى شئت همالة عيناها

وجمعه له غيره مجزأ وصدره لما حططت الرجل عنها وارداً
 ولا يعرف قائله ، وقيل : إنه لندى الرمة ، وشئت : أقامت شتاء وهمالة من هملت العين
 إذا صبت دمعها .

لَا تُرْكَنَّ وَجْوهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ (١)
وَالطَّنُّ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّيْمِ (٢)
قَدْ كَلَمَتْهَا الْعَوَالِي فَهِيَ كَالْحِلَّةِ كَأَنَّهَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللَّحْمِ (٣)

طَلَبُوا صَلَاحَنَا وَلَا تَأْوَانِ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار؛ والمقتحم؛ كذلك، بمعنى الاقتحام، وهو الدخول في الشيء. يقول: تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار؛ فالآن أقم: أى أقم نفسك، أى أوردتها للمهلك وأوقعها في الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام. وعلى هذا فيقول «أقم» محذوف، ولك أن تقرأها أقم: أى أقم، وقد ورد قم يقم - من باب خضع - بمعنى أقم.

(١) ساهمة: متغيرة لما يلحقها من شدة الحرب: يقال سهم وجهه يسهم سهوماً: إذا تغير وجهه والحرب أقوم الخ: حالية. يقول: لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولا تُركن الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم: أى شديدة.

(٢) يحرقها: يروى يحرقها؛ والضمير: للخيل؛ والجملة: عطف على الجملة الحالية في البيت السابق - والزجر: الصياح؛ واللهم: الجنون. يقول: والطعن يعمل في الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها، والزجر - أى الصياح بها عند اقتحامها في الحرب أو في الماء - يمنحها عن التأخر، ويقلقها - أى يحركها - حتى كأن بها جنوناً. يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكانت مجنونة، إذ لا تستقر ولا تثبت.

(٣) كلمتها: من الكلام الذي هو الجرح. والعوالى: الرماح. وكلح: كشر في عبوس. والصاب: شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزل منه نزية - أى قطرة - فتقع في معين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلي: إني أرقْتُ فِتَّ اللَّيْلِ مُشْتَجِراً كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ (٢)

(١) البيت لأبي زيد الطائي النصراني الشاعر الإسلامي من قصيدة راجعها في الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على «لات» هناك.
(٢) يروى:

* نام الخلى وبت الليل مشتجراً *

والمشتجر: الذى يضع يده تحت حنكه مذكراً لشدة همه؛ ومذبوح: أى مشقوق معصور. وأصل الذبح: الشق.

بِكُلِّ مُنْصَلَةٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي حَتَّى أَدَلْتُ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخُدَمِ (١)
 شَيْخٍ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَافِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ (٢)
 وَكَلَّمَا نَطِيعَتِ تَحْتَ الْعَجَّاجِ بِهِ أَسَدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ (٣)

يقول : هي عابسة فاتحة أفواهها لما أصابها من جراح الرياح ، فكان الصاب قد شد على لجلها فهي تجد ممراته ، ومعصوب : يروى معصوب ، ويروى مذكور .
 (١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت : الماضي في الأمور : وأدلت له من كذا : أى أعتته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض في الأمور طالما انتظر خروجى على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة ؛ يعنى بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .
 (٢) شيخ : إما بالجور على التبعية لمنصلت ، وإطلا بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهى ما يحسن فعله ولا يحرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أقصر على أعدائى بكل شيخ ماض في أموره ، لا يبالي بالعواقب ؛ مستحل للحارم ، مافك للدماء وهذا بالهجم أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف ، فإن الشيخ من أعماله ، وكذلك العجوز قال أبو القدام البصرى - واسمه جساس بن قطيب - :

رُبَّ شَيْخٍ رَأَيْتُ فِي كَفِّ شَيْخٍ يُضْرِبُ الْمُعْلَمِينَ وَالْأَبْطَالَ
 وَمَجْوُزٍ رَأَيْتُ فِي فَمِّ كَلْبٍ جُمِلَ الْكَلْبُ لِلْأَمِيرِ جَالَا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لبياضه تشبيها بالشيب ، وكذلك المعنى في العجوز والكلب : مسمار من ذهب أو فضة يجعل في قائم السيف . جاء في لسان العرب : قال ابن الأعرابي : الكلب مسمار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل : العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه . جديداً كان أو فضة .

(٣) العجاج : الغبار والكتائب : جمع كتيبة ، الفرقة من الجيش . ورأته : يريد رامت عنه : أى زالت عنه ولم يزل هو عنها ، لحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عُنْدِنَا فَإِنَّا بِمَخِيرٍ إِذَا لَمْ تَرَمْ

تَنْسَى الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجُرِّ بَارِقَتِي وَتَكْنِي بِالْدِّمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيمِ (١)
رِدَى حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَاتْرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعَمِ (٢)
إِنْ لَمْ أَذْرِكْ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنُ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ (٣)

وقال الجوهري : يقال رابه يربه ربما : أى برحه ، ويقال لازمه : أى لا تبرحه ، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورميت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو . قال ابن جني والواحدى : والنطح إنما هو للكبش ، ولا يستعمل في الأسود ، ولو قل كلما صدمت أورميت لكان أليق ، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقتى : يريد سيوفه التى لها بريق ولمعان . والدِّيم : جمع ديمة ، وهى للطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أسببه من الدماء . قال العكبرى : وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحد فى بويه أوفى أرتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وخماتها ، وأرباب المغازى وولاتها

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ وياهس : يروى : حواء ؛ أى ياحوواء ؛ والحوواء : النفس . والشاء : جمع شاة ؛ والنعم : الإبل خاصة . يقول — لنفسه — : ردى المهلك والحروب واتركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء : أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الذل . وقال ابن القطاع : قد صحف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شيعى : قال لى صالح بن ريشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت حياض — بالحاء المعجمة — لأنى لو قلتها بالمهملة كنت قد نقضت قولى : ردى حياض الموت ، فإنها هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلا بد أن يخوضه إما يبد ، أو قم ؛ والمعنى : ردى يانفس حياض الموت ، فلن الموت فى العز حياة ؛ واتركى خياض خوف الردى للحيوان الذى لا يعقل ، ولو قال لتنبى : خياض غير الردى بالحاء أو قال : واتركى ورد خوف الردى الخ : لم يحتج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يغمض معانيه حتى لا يفهمها إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه — : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أى إن لم أحضر العرب

أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ (١)
 مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلَتْ لَهُ فِي الْقَوْمِ لَمْ يَنْمِ (٢)
 مِمْعَادُ كُلِّ رَفِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدَاً
 وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْمَعْجَمِ (٣)

حق ليسيل الدم منى على الرماح - فلا دعيت أخا المجد والكرام ؛ قال العكبري : وهو من قول ابن أيوب .

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ السَّكَاةِ كَمَا خُبِّرْتُ قَبْلُ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
 وَإِنْ نَجَوْتُ لَوْ قَتَّ غَيْرُهُ فَعَصَى وَكُلُّهُ نَفْسٌ إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارُ
 (١) ظامئة : عطشى ، ولحم : فاعل « يملك » والوضم : الحشبة يقطع الجزار عليها اللحم ، ويضرب اللحم على الوضم مثلاً للضعيف الذى لا امتناع عنده ، ويقال للمرأة : لحم على وضم ، ومنه قول القائل :

أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يَلِمَ بِهَا فِيهِتَكَ السِّرَّ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
 وذلك أن الحيوان فيه نوع امتناع ، فإذا ذبح ووضع لحمه على الوضم كان عرضة لكل أحد ، حتى الطيور والذباب . وقوله : أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ : استفهام معناه الإنكار . يقول : لا يملك ملك ضعيف ذليل لا يدفع عن نفسه كاللحم على الوضم ، وأسافنا عطاش إلى دمه والطيور جائعة لم تشبعها من لحمه ، يعنى أنه يقتل ويلقى للطيور ولا يملك . قال ابن جني : يريد أن ملوك عصره ليس فيهم من يدفع عن نفسه .

(٢) من : بدل من قوله لحم على وضم . والظما : العطش ، ومثلت : اتصبت وروى هرقت ، بدل مثلت . يقول : من لو كنت ماء وكان عطشان لمعه خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا ، ولو رأى في النوم ماثلاً له لهجر النوم خوفاً من أن يراى في النوم ؛ وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبي حفصة :

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتُهِ وَإِذَا غَفَى سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
 (٣) ميمعاد : مبتدأ ، خبره ؛ غدا ، وكل رفيق الشفرتين : أى كل سيف رفيق الشفرتين ، وهو الذى رقت شفرتاه « حداه » بكثرة الصقل . ومن عصى : أى من عصانى ، عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك تجرب لإفقاد نار الحرب .
 (١٦ - لنتهى)

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهِمُ — وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ^(١)

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، على ما كان قد شاهده من
تهوره فقال (*)

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ إِنِّي خَفِي عَنْكَ فِي الْمِجْبَا مَقَامِي^(٢)
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَّبِي وَأَنَا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمَسْجِ الْجِسَامِ^(٣)

(١) يقول : إن أطاعوني وأجابوني إلى ما أَدْعُوهم إليه : فليست أقصدهم بسيوف ،
وإنما أقصدهم بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عني ومضوا في عصيائهم : فلا
أقتصر على قتلهم وحدهم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم
* جاء جاء في الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب التنبّي اللاذقية سنة نيف وعشرين
وثلثمائة وهو فقي ، فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن
الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتنما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ، قلت : والله
إنك لرجل خطير تصلح لندامة ملك كبير ، فقال : ويحك : أندري ما تقول ؟ أنا نبي
مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أنني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ،
فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل كما ذكرت ؟ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال
إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .
قلت : بماذا ؟ قال : بإدراة الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب
الأعناق لمن عصى وأبى ؟ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؟
وعذلتني على ذلك ، فأنشده يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال الكبري : ولو كان عطف
بيان لكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهيحاء : من
أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتي في الحرب ومقدار ما طبعته عليه من الجرأة
والبأس ، ومن ثم تلومني على ما أنا مقدم عليه لظنك في العجز عن بلوغه :

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبأرحمه الله » .
وكقوله الشاعر :

أَمِثْلِي تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ ^(١)
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصًا نَلْخُصِبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي ^(٢)
وَمَا بَلَغْتَ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي وَلَا سَارَتْ فِي يَدِهَا زِمَامِي ^(٣)
إِذَا أُمْتَلَأَتْ عُمُيُونُ الْخَلِيلِ مِنِّْي فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُّظِ وَالنَّسَامِ ^(٤)

* * *

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عُحِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفع ^(١)
قالوا : ويحتمل أن تكون « ما » بمعنى الذي ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ،
فإذا كانت نكرة فتقديره : جسم شيء هو طلي ، والمهج : الأرواح . يقول : عاتبتني على
محاولة الأمر العظيم وعاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .
(١) النكبات : الشدائد تنكب الإنسان . والجزع : تقيض الصبر ، والحمام : اللوت .
يقول : مثلي لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه ، وإما
لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) للفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان
الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصاً لم برز إلى محاربا لخصب شعر رأسه سيفي .
(٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده مني ، ومن تغير حالي وتوهين أمري ، وما
انقادت له انقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحترى :

لعمري أبا الأيام ما جارَ صرفها على ولا أعطيتها ثني مقودي

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل . يريد فويل لهم .
يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالين لأنهم يخافونني
أشد الخوف ، فلا يكون لهم أمن في اليقظة ولا لذة ولا راحة في منامهم .

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام في حماسه لجمع بن هلال قال :
غزا جمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يزيد بن سعد بن
زيد مناة ، فلم يصب شيئا فرجع من غزاته تلك فر بماء لبني تميم عليه ناس من بني
مجاشع فقتل فيهم وأسر فقال في ذلك . إن أمس ما شيخا . إلى آخر الأبيات . قال
للرزوقي في قوله إن أمس ما شيخا : « ما » زائدة . يقول : إن صرت شيخا طاعنا في السن
هدفا لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر ، ومن يكبر يهرم ، وطول العمر لا يجدي إذ
كان مؤداه إلى الضعف وغايته اللوت .

وقال له بعض بني كلاب : أَشْرَبَ هَذِهِ الْكَأْسُ سُرُورًا بِكَ ، فَقَالَ :

إِذَا مَا شَرِبْتُ أَخْلَفَرَ صِرْفًا مُهْنًا

شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ ^(١)

أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ نَدَامَاهُمْ الْقَنَا يُسْقَوْنَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْقَزْمُ ^(٢)

* * *

(١) صرفا : أى خالصة غير ممزوجة . والذي من مثله شرب الكرم : هو الماء . يريد أن شرا به الماء ، لا الخمر .

(٢) يقول : حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرمح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم : أى كأنها ندامام ، لأنهم لا يخلون من صحبتها ، ويسقونها ما يرونها من الدماء ، فهم سقاة رماحهم ، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء . هذا : والندامى جمع ندام ، والندام : جمع النديم ، وهو الشريب الذى ينادمه ؛ ويقال له النديمان أيضا ؛ قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتُ نَدَمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقَى وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَشَلِّمِ

لَمَلِّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَوْؤِهِ تَنَادُمْنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ

ولمناسبة حبذا : فقولهم حبذا الأمر : أى هو حبيب ، قال سيبويه ، جعلوا حب مع ذا بمنزلة الشيء الواحد ، وهو عنده اسم ، وما بعده مرفوع به ، ولزم ذاحب ، وجرى كالثل ، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى اللؤث « حبذا » ولا يقولون « حبذه » ؛ ومنه قولهم : حبذا زيد ، فحب : فعل ماض لا يتصرف ، وأصله « حبب » على ما قاله الفراء — و « ذا » : فاعله ، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة ، جعل شيئا واحداً ، انفصلا بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء ؛ و « زيد » : خبره ، ولا يجوز أن يكون بدلا من « ذا » لأنك تقول : حبذا امرأة ، ولو كان بدلا : قللت حبذت امرأة قال جرير .

يَا حَبْدَا جِبْلُ الرِّبَانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدَا مَا كُنَّ الرِّبَانِ مِنْ كَانَا

وقال وقد مدله إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربنها :
 وَأَخِرَ لَنَا بَمَثَ الطَّلَاقِ أَلِيَّةٌ لَا عَلَّانَ بِهِدِهِ أُخْرَطُومُ (١)
 فَعَلْتُ رَدِّي هِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمِ (٢)
 * * *

وقال يمدح الحسين بن إسحق التلخوي :
 مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلُمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ الشُّمِّ (٣)

وَجَبَّذَا نَفْعَاتٍ مِنْ يَمَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أحياناً (١)
 (١) الألية : اليمين . والتعليل : التلخيص . وقال الشراح في قوله لا علان : إنه
 من الملل ، وهو السقي مرة بعد أخرى . والخرطوم : من أسباء الحجر ، قيل لأنها إذا
 نزل الدن انصبت في صورة الخرطوم ، وقيل سميت بذلك لأنها لا تأخذها بخرطوم شراهم - أي
 أنوفهم - كما قيل :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْحَجَرَ حَتَّى خَلَّتْهَا أَفْمَى تَكْشَى عَلَى طَرِيقِ الْمُنْخَرِ
 « كَشِيشِ الْأَفْمَى : صوت تخرجه من فيها وقيل صوتها من جلدتها لا من فيها فإن
 ذلك من طبعها » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول : إن هذا الأثع حلف أن أشرب وإلا فامرأته طالق
 فجعلت ردى امرأته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الحجر وشربتها غير آثم ، إذ كان
 قصدي بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النوى : البعد وهي مؤنثة . يقول : إن لومي المراق - في تفرقه بيننا وظلمه
 إيانا بالبعد - غاية الظلم منا فلعله يشقها كعشق إياها ، فلذلك يحترها لنفسه ويحول
 بيني وبينها . وقد حقق هذا المعنى في البيت التالي ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

(١) من قصيدته التي مطلعها :
 بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعَتْ مَا بَانَ وَقَطَعُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
 وفيها يقول :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَاهُمْ لَمْ يَحْيَيْنِ قَتْلَانَا

فَلَوْ لَمْ تَقْرَ لَمْ تَزَوْ عَنِّي لِقَاءُكُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرْزِكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَضِي^(١)
أَمْنِعَةً بِالْمَوَدَّةِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي يَفْزِرُ وَلِيَّ كَانَ نَائِلَهَا الْوَسْمِيُّ^(٢)

وحاربني فيه ريبُ الزمانِ كأن الزمان له عاشقُ
وقال البحتري :

قد بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا عَشَقَ النَّوَى لِرَيْبِ ذَلِكَ الرَّبِّ
(١) زواه : نحاء وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تفار عليكم لما منعت عني لقاءكم
وطوته عني ، ولما خاصمني بسببكم . هذا : والحصم : الخصم ، يستوى فيه الجمع والواحد
والمؤنث يقول : هم خصم ، وهو خصم وهما خصم . وهي خصم .

(٢) الوسمي : أول مطر في السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ،
والولي : المطر الثاني ؛ وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به
وصالها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتها أنعمت علي رجوعهم إلى الوصل
مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذي الرمة :

إِنِّي وَلِيَّةٌ تُتَمَرَّعُ جَنَابِي فَإِنِّي لِمَا نَتُّ مِنْ وَسْمِي نُعْمَاكَ شَاكِرٌ
(لنى : أمر من الولي : أى أمطرنى ولية منك : أى معروفا بعد معروف) . والعنى
من قول بشار :

قد زُرَّتْنِي زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنِيٌّ وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيكِ^(١)
هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبرا مقدما ؛ والظبية مبتدأ مؤخر : أو تجعل
« الظبية » : قاعلا لمنعمة ، صلت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهْنُ أَضْعَفُ خَلْقُ اللَّهِ أَرْكَانًا
والريان : أطول جبال أجاء والجمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد في البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن
كان يعطى شيئا ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل
إن بيضة العقر هى بيضة الديك بيضها في السنة مرة واحدة ، وقيل يبيضها في عمره

تَرَشَفْتُ فَأَهَا سُحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِ^(١)
فَتَاةٌ نَسَاوَى عِقْدَهَا وَكَلَامَهَا وَمَيَسَّمَهَا الدُّرَى فِي الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ^(٢)

(١) الترشف : المص ، والسحرة : السحر . والظم : ماء الأسنان وبريقها ؛ وإنما خص
السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك ، وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح
لها ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْقَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامَى وَنَشْرَ الْقَطْرِ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أُنْيَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِيرَ
وَقَالَ الْحَارِثِي :

كَأَنَّ فِيهَا قَهْوَةً بِإِلْيَةِ بِمَاءِ سَمَاءٍ بَعْدَ وَهْنٍ مَزَاجِهَا
وَالْعَاشِقُ إِذَا مَصَّ رِيْقَ مَعشوقه زادت نار حبه تلهيا ، لذلك - قال :

* تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِ *

ولله ابن الرومي حين بسط هذا المعنى في هذه الأبيات البديعة :

أَعَانَقَهَا وَالنَّفْسُ بِمَدِّ مَشْوَقَةٍ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعَنَاقِ تَدَانِ
وَأَلْتَمُ فَأَهَا كَيَ تَزُولُ حَرَارَتِي فَيَسْتَدُّ مَا أَلْتَمُ مِنَ الْمَيَمَانِ
وَمَا كَانَ مَقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَفُ الشَّفْعَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ بِشَيْ غَلِيْلِهِ سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَانَ يَمْتَزِجَانِ

(٢) يقول ؛ إن كلامن قلاذتها ونطقها ونغرها الذي تبسم عنه سواء في الحسن
والنظم ، فهي درية العقد والكلام والنغر . وهذا معنى متداول ، قال البحرى :

فَمَنْ لَوْ لَوْ تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقَطِهَا
فَذَكَرَ شَيْئِينَ ، وقال اللؤلؤ بن أميل :

وإن نطقت دُرٌّ فَدُرُّ كَلَامُهَا وَلَمْ أَرُدُّهَا قَبْلَهَا يَنْظُمُ الدَّرَا

مرة واحدة فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التي لا يريها معطيها يري تناولها ،
وقيل : إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم بيض الأنوق والأبلىق الأعقوق ، مثل
لما لا يكون .

وَنَكَمَتْهَا وَالْمَنْدَلِيَّ وَقَرَفَتْ مُعْتَقَةً صَنْبَاءَ فِي الرِّيحِ وَالطَّقَمِ^(١)

فذكر شيئاً واحداً ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :
وَمُفَارِقِ نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَدَغْتُ صَبْرِي عَنْهُ فِي تَوَدِّعِهِ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مِثْلَ لَوْلُو عَقْدِهِ مِنْ تَغْرِهِ وَحَسْبِثِهِ وَدَمَوْعِهِ
فزاد ذكر الدمع على التثنية .

(١) النكمة : رائحة الفم ؛ والمندلي ، العود الذي يتبخر به ، نسبة إلى مندال : موضع
بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : ياقوت : بفتح القاف ويروى بكسرها : موضع
يذهب إليه العود ، قال هكذا نقوله العامة ، والذي ذكره أهل العرفة « قاسرون » موضع
ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية في الجودة ، قال ابن هرمة :

أَحِبُّ اللَّيْلِ إِنْ خِيَالِ سَلَمَى إِذَا نَمْنَا أَلَمْ يَنْسَا فَرَارَا

كأن الركب إذ طرقتك باتوا بمنى بدل أو بقارعتي قمارا

هذا : وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال
تبخرت بالمندل ، وهو يريد المندلي ، وبذلك على صحة ذلك دخول الألف واللام في المندل
قال عمر بن أبي ربيعة :

لَمِنْ نَارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَا تَخْبُو

إِذَا مَا أَخَذَتْ يُبْلَقِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عِزَّةَ مَوْهَنَّا وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

« يقال : لقيته موهنا ، أي حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو
ساعة تمضي من الليل » ومناسبة بيت كثير روي أن إحدى اللذيات قالت لكثير فاض
الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أردان عزة .. البيت ؟ فقال : نعم ، قالت : أرايت
لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدهم
امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيِّبْ ؟

والقرقف : من أسماء الحجر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل
« تساوى » - في البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحة

جَفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمَهَا وَأَطْفَنَهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورَةِ الدِّهْمِ (١)
يَحَاذِرُنِي حَتَّى كَأَنِّي حَتْفُهُ، وَتَذَكِّرُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي (٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى في الذوق شيان : النكهة والحجر ، لأن العودمر اللذايق ، ولكنه جمع بينها في الريح ، وأراد في الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها رائحة الفم ، واستفهام السلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره في الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر - أى الواحدى - لأنه - التنبي - قال : استوت نكهتها والمندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول في الريح والطعم ، ولم يرد سوى الحجر في الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدم : السود . يقول : جفتى بهجرها كأتى لست الأنصح الأشجع من عشبرتها ، وإنما قال هذا لأن نساء العرب يعلن إلى الشجاع الفصحى ألا ترى إلى قول العنبرى لما رآته امرأته يطحن فازدته :

تقول وصكت وجهها يمينها أتبلى هذا بالرحى حتى المتقاعس
فقلت لها لا تعجلى وتبئنى بلأنى إذا التفت على الفوارس (١)

قد ذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه غادرة ناقضة عادة أمثالها ، بجفائه ، وقوله « والشهب في صورة الدم » يريد إذا زوئت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدي :

وتفكر يوم الرّوع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا
(٢) الحنف : الهلاك ، ونكرته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنا بها قيل نشطته

(١) بعد البيتين :

أست أرد القرن يركب ردة وفيه سنان ذو غرارين يابس
إذا هاب أقوام تجشمت هول ما يهاب محيّا الألد المداعس
لعمرك أيلك الخير إني لخادم لضيقي وإنى إن ركبت لفارس

أبلى هذا - بإشارة التحقير - تعجب مما رأت ، والمتقاعس الذى يخرج صدره ويدهخل ظهره ، تقيض للتحادب ؛ وبالرحى : تبين ، وبلاى : مصدر أبلى الرجل إذا اجتهد فيه حرب أو كرم ، ويركب رده : يريد يصرع منكوسا رأسه أسفله ، والفرار : الخدان

طَوَالَ الرَّدَيْنِيَّاتِ يَنْصِفُهَا دِمِي وَبَيْضُ الشَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي ^(١)
 بَرْتَنِي السَّرِي بَرْنِي الْمَدَى فَرَدَدَنِي
 أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي ^(٢)

قال الوحدي : الحتف لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرني القدي منه حتفي لو قاتلني
 لحذرتني كأي حتفه : أي كأي أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرتني حذر من تيقن هلاكه من
 جهة إنسان ؛ ويعتدل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة في وصف شجاعته وقوله : وتنكرني
 الأفي : أي يتعرض لي أعدائي فأهلكه ، وقد جعل أعداءه قسمين : حاذراً يحاذره ،
 ومتعرضاً له يهلكه للتنبي ، ولما سمي عدوه أفي : سمي قوة نفسه وشجاعته بها ، لشدة
 تأثيره في عدوه .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . والسريحيات
 السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريج . يقول : إن الرماح تنقص قبل الوصول
 إلى إراقة دمي ، والسيوف تنقطع قبل أن تقطع لحمي . فجعل دمه يقصفاً لما كان السبب
 في قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سيماً فيه ، وعبارة التبريزي :
 أي أنا من نفسي وعشيرتي في منعة ، فإذا أصابني طعن كبر الطعن في طلب ثأري حتى
 تنقص الرماح ، وإذا ضربت تتكسر السيوف حتى يدرك ثأري .

(٢) يرتني : أي هزلتني ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نحت حتى يندق ، والسري
 جمع سريّة ، ومن ثم أنشأ ، وقال برتنى وهي سير الليل ، واللدى : جمع مدية ، وهي
 السكين ، وجرمي : أي جسدي ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجملة : حال من
 الضمير في «رددني» أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى
 منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولاً ثانياً . وجرمي : بدلا من الياء في ، «رددني» ،
 وإنما أبدل «جرمي» من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه
 ولا يجوز جعله فاعلاً لـ «أخف» ، لأن أفعول التفضيل لا يرفع الظاهر إلا في مسألة الكحل
 يقول : أذهبت السري لحمي فجعلتني في خفق على المركوب كنفسى الذي يخرج من في .

وياس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى فائس من فاس ينوس إذا تهرك واضطرب
 وهاب : يروى «خام» بمعنى نكص وجبن والحما : السورة والشدة ؛ والآله : الشديد
 الخصومة ، وللداعس : للطاعن ،

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءَ جَوٍّ لَأَنْتَى إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ^(١)
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِزْبَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَانَ دُرُ السَّدِّ مِنْ عَزَمِي^(٢)

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة - في البيت السابق - في رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » في رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة ؛ وزرقاء : اسم امرأة من أهل « جو » حديدة البصر ، ندرك يبصرها الشيء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستعاشه ورغبه في الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يعمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم قد أتكم الشجر أو أتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ خَيْرٌ قَدْ أَخَذْتُ شَيْئًا يُجْرُ

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخفض النعل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عروق سود من الإثم ، وكانت أول من اكتحل بالإثم من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم في شعرهم : مثل النابغة في قصيدته الدالية ، والاعشى في قصيدة هذيلة فضل المتنبي نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ أَيُّهُمَا لَا يَسْبِقَانِ عَلَيَّ فَإِذَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يَبْصُرُ عِلْمَتَهُ بَقْلِي . وروى ابن جني شأواهما على . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إِذَا انْظُرْتَ عَيْنَايَ فَعَيْنَايَا : أَنْ تَعْرِفَ مَا عِلْمَتُهُ بَقْلِي ؛ يعني أنه عارف بأعقاب الأمور . وروى شاءهما : أي سبقهما ، مقلوب « شأى » ؛ وروى أيضاً سَاوَاهُمَا عَلَيَّ ؛ والشأو : الهمة أي همة عيني أَنْ تَرَى مَا عَرَفْتُ .

(٢) الدحور : البسط ؛ والإسكندر : هو ذو القرنين - الذي بنى السد بين يابوج وبين سائر البلاد كما جاء في القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبين حقيقة هذا السد - وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدوني أو خلافه ؟ يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض وتقلبه في البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحق كأنه بسطها لعلمه بها . ويذكر قوة عزمه على الأمور ؟ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل

لَأَلْقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (١)
وَأَسْمَعَ مِنَ الْفَاطِلَةِ اللَّثْمَةِ الَّتِي يَلْدُ بِهَا تَمَعِي وَلَوْ ضَمَنْتُ شَتِي (٢)
يَمِينُ بَنِي قَحْطَانَ رَأْسُ قَضَاعَةٍ ، وَعِزَّيْنَهَا بَذَرُ الثُّجُومِ بَنِي فَهْمِ (٣)
إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءُ كَانَ أَسْمَاعُهُمْ صَرِيرُ الْعَوَالِي قَبْلَ قَمَقَمَةِ الثُّجَمِ (٤)
مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمِزُّ وَإِنْ يَبْنُ بِهِ يَتَمَهُمْ فَالْمَوْتُ الْجَابِرُ الْيَتَمِ (٥)

اللفة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقه فهو سد - بالضم - وما كان من عمل الناس فهو سد - بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله برثى السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمر البديعة للبتكرة التى لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت للشاق وكابدت شدايد الأسفار لألقى المدوح المذكور الذى دق فهمه وأبدع فى دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالغيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة (٢) يلد بها : يروى يلد لها . ويقال : لذت الشيء ولذت به : أى استلذذته . وقوله ولو ضمنت : يروى « وإن ضمنت » . يقول : إنه صحيح اللفظ ، مستحلى الكلام ، ياتذ السمع بكلامه ولو كان شتاً ، لصعته وعذوبته .

(٣) قحطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط المدوح ؛ والعرينين - فى الأصل - ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف . يقول إنه فى هؤلاء كاليمن من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرينين : أى أنه رئيسهم وبه عزم ، والعرينين يجعل مثلاً فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كاليسدر فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرهم ليلا . والصرير والقمقة : من مرادفات الصوت والعوالى الرماح : يقول : إذا وافى أعداءه ليلاً أخفى تديره ومكره وتحفظ من قبل أن يظن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة فى أحناك خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لإسراعه ولطف تديره . وقد زلت قدم ابن جنى فى تفسيره هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبه عريانا .

(٥) يبن - مضارع أن يبن - أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ وللموت اسم فاعل - من أيتم - يقول : هو مذل الأعراب ، ومعر الأذلاء ؛ برفع قوما ويضع

وَأِنْ تَمْسِ دَاءُ فِي الْقُلُوبِ قَتَاتُهُ فَمُسْكُهَا مِنْهُ الشَّفَاءُ مِنَ الدُّمِّ (١)
 مُقَلَّدُ طَاغِي الشُّفَرَتَيْنِ مُحْكَمٌ عَلَى الْهَامِ إِلَّا أَنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ (٢)
 تَحْرَجَ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ
 يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عَلَى جَنْبِ (٣)
 وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٤)
 مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكُهُ لِأَلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمهم - أى يتم الأعضاء - فهو الموت وهو فى الوقت حينه الجابر اليتيم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .
 (١) القنائة : الرمح ، ويريد بمسكها : نفسه . ومن روى فمسكها - بفتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل المدخل والمخرج ؛ ومنه : لتجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب اللطونيين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .
 (٢) الطاغى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرنا السيف : حداة . والهام : الرءوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيف جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ عكسا فى رءوس الأعداء ؛ جائرا فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحدا .
 (٣) تخرج عن الشيء : كف عنه وأمسك تأمنا وحقق الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها ، فكانه يرى ترك رأس من رءوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها : أى يتخرج من هذا كما يتخرج من ذلك .
 (٤) قال الواحدى : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده - وكان غازيا يقتل الكفار - فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتل وروى ابن جنى : كعده بالخاء وقال : أى كعد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشيء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إِنْ أَجْرَمْتَ لَمْ تَنْصَلْ مِنْ جَرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَاءْتَ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلَمْ
 (٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخا

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأْخُرًا لَأَخَّرَهُ الطَّبَعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقَدَمِ^(١)
لَهُ رَحْمَةً تُخَيِّمُ الْمِظَامَ وَغَضَبُهُ

بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ^(٢)
وَرِقَّةٌ وَجْهٌ لَوْ خَتَمْتَ بِنَظَرَةٍ عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْخُتْمِ^(٣)
أَذَاقَ الْفَوَائِي حُسْنَهُ مَا أَذَقْنِي ، وَعَفَّ لِحَاظَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ^(٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازماً للجزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازماً
لأن الجزم ملازم له ، والمعنى أنه لا ستيلاء الجزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد
ترك الجزم لم يمكنه ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

تَمُودُ بَسَطَ الْكَفَّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَّاكَاهُ لِقَبْضٍ لَمْ يُجْبِهْهُ أَنَايِلُهُ
وَلَكَّ أَنْ تَقُولَ إِنَّ الْمَعْنَى : أَنَّهُ لَوْ تَعَمَّدَ تَرْكَ مَا هُوَ حَزَمٌ فِي بَادِي الرَّأْيِ لَمْ يَكُنْ
تَرْكُهُ إِلَّا لَأَمْرٍ يَقْتَضِيهِ الْحَزْمُ ، لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ وَلَا يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي غَيْرِ
مَوَاضِعِهَا .

(١) في الحرب : عطف على « مع الجزم » ، والقدم : التقديم . يقول : هو صاحب
الحرب وفي الحرب أبداً ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدماً إذ ليس عنده إلا التقديم
والمعنى لأخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تخفي المظالم وهي رميم . قال الواحدى :
أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضله هي للجرم :
يعنى أنه يفتى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفتى الجرم القدى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه
بعد تنكيه المجرم لا يجترى أحد أن يأتي مثل جرمه خوفاً من غضبه فضله يفتى المجرم وجرمه
(٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه
حياء وكرماً ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك
الأثر ولا ينمحي .

(٤) الفوائى : جمع غانية ، وهي الشابة التى غنيت بهاها عن الحلى ، وقيل
التي غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التي غنيت ببيت أبيها فلم يقع عليها ساء .
واسكن « الفوائى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : المجرى والمقاطعة ،
يفتح الصاد وضماً - وقيل : الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تعشقه

فَدَىٰ مَنْ قَطَى الْغَبْرَاءُ أَوْلَهُمْ أَنَا هَذَا الْأَبَى الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرَمِ^(١)
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ

فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعَرَبِ وَالْعَجَمِ^(٢)
وَأَرْهَبَ حَتَّى لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ^(٣)

النساء ولكنه يعف عنهم ولا يواصلهن ، فكان ذلك منه جزاء لمن على مصارمتهم إياي .

(١) فدى خبر عن الوصول بعده ، والغبراء : الأرض . والآبى : بمعنى الآبى وهو الذى يأبى الدنيا . والجائد : الفاعل من جاد يحد ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا المدوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفي الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنس بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك العجم والعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نقاد الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صَالَ مِنْ غَضَبٍ أَبُو دُؤْلَفٍ عَلَى بَيْضِ السِّبْوَفِ لَذُبْنَ فِي الْأَغْصَادِ
هذا : ويقال غم وغم مثل نهر ونهر ، وفي المثل : لو كنت أنفخ في غم : أى لو كنت أعمل في عائدة . قال الأغلب العجلي :

هَلْ غَيْرُ غَارٍ هَذَا غَارًا فَانْهَدَمَ قَدْ قَاتَلُوا لَوْ يَنْفُخُونَ فِي فَحْمٍ
* وصبروا لو صبروا على أُمِّ *

يقول : لو كان قتلهم يغنى شيئا ، ولكنه لا يغنى فكان كالذى ينفخ نارا ولا غم ولا حطب ، فلا تنقد النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمرا لا يجدى عليه ، والفحيم كالفتحيم . قال امرؤ القيس :

وَإِذَا هِيَ سَوْدَاءُ مِثْلَ الْفَحِيمِ تَغَشَّى الْمَطَانِبَ وَالْمَنْكِبَا^(١)

(١) وإِذَا هِيَ سَوْدَاءُ : يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطانب : جمع المطنب ، وهو جبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ (١)
أَطْعَمَكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا ابْنَ ابْنِ يُوسُفَ
لَشَهَوْتِنَا ، وَالْحَاسِدُ لَكَ بِالرُّغْمِ (٢)

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الحمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر
وتغرق في الكرم ، فلولا أننا رأينا صاحبا لقلنا كريم هيجه الحمر فحركته إلى
الجود وابتغته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهذا من قول
البحرئى :

صَحًا وَاهْتَزَّ لِلْمَعْرُوفِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافا إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعمتك
كما أطعمك الدهر ، ولك أن تجعله مضافا إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعمتك غاية الطاعة
شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطعمتك
حاسدوك على الرغم منهم خوفا منك . هذا وقوله : الحاسدوك ، أراد والحاسدون ،
فحذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال
عبيد بن الأبرص :

وَلَقَدْ يَفْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْمُسْكُومُ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ
أَرَادَ الْمُسْكُونِ ، وَأَنْشَدَ جَمِيعَ النُّحَوِيِّينَ :

وَالْحَافِظُ عَوْرَةَ الْمَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وِرَائِنَا وَكَفْ (١)

(١) من قصيدة لعمر بن امرئ القيس الخزرجي ، وقوله :

نَحْنُ الْمَكِيثُونَ حَيْثُ تَحْمَدُ بِالْمَكْثِ وَنَحْنُ الْمَصَالْتُ الْأَنْفُ

والمكيثون : جمع مكث فعل من المكث وهو البث — الانتظار — والمزاد هنا الصبر
والرزاة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضي في الأمور لايهاب شيئا . والأقف : جمع
آنف ، من الأنفة ، وهى الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة :
المكان الذى يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ
عورة عشيرتنا فلا يأتهم من ورائنا شيء يهابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .
« راجع القصيدة وقصتها وشرحها فى الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الخزنة » طبعة « السلفية »

وَقِنَّا بَأْنَ تُعْطَى فُلُو لَمْ تَجْزِدْ لَنَا خِلْنَاكَ قَدْ أَعْطَيْتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ^(١)
 دُعَيْتُ بِتَقْرِيطِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُوْنَا إِيَّكَ أَسْمَى^(٢)
 وَأَطْعَمْتَنِي فِي نَيْلٍ مَا لَا أَنَالُهُ
 بَمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أَطْعَمُ فِي النَّجْمِ^(٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيمي الصلاة »
 بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالعطف على الضمير في « أطعناك » وحسن العطف
 على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكد ، لطول الكلام .

(١) خِلْنَاكَ : حسبناك ؛ والوهم : تخيل الشيء وتمثله كان في الوجود أولم
 يكن . وقال الجوهري : وهمت في الشيء - بالفتح - أم وما : إذا ذهب وهمك
 إليه وأنت تريد غيره ؛ وتوهمت : أى ظننت ؛ ووهم - بكسر الهاء - : غلط
 وسها . يقول : وثقنا بأنك تعطينا لما نتحققناه من جودك فلو لم تعطينا لظنناك
 قد أعطيتنا .

(٢) التقريظ : المدح . وقوله : الذي يدعو ، أراد يدعوني ، فحذف المفعول .
 يقول لكثرة مدحى إياك دعيت مادحك وشاعرك ، والذي يدعوني يظن أن اسمي
 ثنائى عليك فيقول يامثنى فلان - يامادح فلان - وبعبارة أخرى : لقد اشتهرت بمدحك
 بين الناس حتى سموني مادح فلان ، وصار الذي يريد أن يدعوني ، يناديني بهذا اللفظ ،
 لظنه أنى مسمى به ؛ وقال ابن جني : أنا أمدحك بالشعر ، فيقول الناس هذا شاعر
 الأمير ، فاشتق لى من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس : من أكثر من شيء
 عرف به ، وقد قال جعفر بن كثير لجليل قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك
 نسباً وإنى لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الطنبوب ، وقد نقل المتنبي هذا من قول
 البحترى

وما أنا إلا عبدُ نعمتك التي نُسِبتُ إليها دون رهطى ومعشرى
 (٣) يقول : قد نلت بمجودك كل ما أردت ، ولما أدركت ذلك طعمت فيما لا ينال ،
 لأن من نال ما أراد طمع فيما وراءه بما لا يناله ، ولم يزل في هذا الطمع حتى صرت
 أطعم في إدراك النجوم حتى أناها كما قال البحترى :

لَمْ لَا أُمْدُ يَدِي حَتَّى أَنَالَ بِهَا زُهرَ النجوم إذا ما كنت لى مُضْدا
 (١٧ - المتنبي ٤)

إذا ما ضربت القرن ثم أجزتني فكل ذهباً لي مرة منه بالكلم^(١)
 أبت لك ذمي نخوةً بمنيةً ، ونفس بها في مازق أبداً ترمي^(٢)
 فكلم قائل لو كان ذا الشخص نفسه لكان قرأه مكنن المسكر الدهم^(٣)
 وقائلة والأرض أغني تعجباً على أمرؤ يمشی بوقري من الحلم^(٤)
 عظمت فلما لم تكلم مهابةً
 تواضعت وهو العظم عظمًا عن العظم^(٥)

(١) القرن : الكفة في الحرب . وأجزتني : أعطيتني جائزة ، وهي العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطيني وقد ضربت أحد أقرانك في الوغى ، فأجعل عطائي ملء جرحه ذهباً ، فإن ذلك يكون كفيلاً لي بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) منية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنيا وعمها يورثه عيباً ؛ والمأزق : المضيّق ؛ والمراد به : ساحة الحرب . يقول : ترفعه عن النقائص ونفسك التي ترمي بها أبداً في مازق الحرب بإيثار ذمي لك : أي لا موضع للدم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزيى بك ، لأنك كريم شجاع

(٣) القرا : الظهر . والمكنن : الخبا . والدهم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاخفى وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أي ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعني ، وتعجبا : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف : أي أتعجب تعجبا . وعلى أمرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقري أي بمثل وقري : أي ثقل : يصف زرائته وثقل حمله . يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجبا يمشی على أمرؤ ثقل حمله كثقل .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والجملة : معترضة ، وعظما : مصدر في موضع الحال من « التاء » في « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظما . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظما عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقَدَمُ^(١)
وَأَتَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُزْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ^(٢)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُبُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمُّ^(٣)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ تُرْعَى بَعْدَ كَانِهَا غَمُّ^(٤)

(١) أحق - أى أولى وأجدر - : خبر مقدم عن الهمم : والعافى : الدارس الذاهب - من غفت النيار : درست - والقدم : خلاف الحدث . يقول : أحق عاف بأن ييكن عليه هو همم الكرام التى قد درست وذهبت : أى أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن أقدم أحدث الأشياء عهداً بها - أى بالهمم - أى أن دروسها قديم ، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جنى : سأله - أى للتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد غفت ودرست فصار أحدثها عهداً قديماً . وعبرة التبريزى : أحق عاف بأن ييكن عليه همم الكرام لأنها قد غفت كما تغفو الربوع ، فمن أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهداً بالهمم : أى أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض (٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملكهم العجم لم يملحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطباع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قريع :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ أُمُورٍ سَعَةٌ وَالْمُسَى وَالصَّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ

يعنى ليس مع كل الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يقتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعسده الإنسان من مفاخر آباءه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

بَسْتَحْشِنُ الْحَزَّ حِينَ يَلْسُهُ وَكَانَ يُبْدِي بِظُفْرِهِ الْقَلَمَ^(١)
 إِنِّي وَإِنْ لَمْتُ حَاسِدِي فَمَا أَنْكَرُ أَنِّي عَقُوبَةُ لَهُمْ^(٢)
 وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ أَمْرُو عَلمَ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَّةٍ قَدَمٌ^(٣)
 يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبُهْمُ^(٤)
 كَفَانِي الدَّمُ أَنَّنِي رَجُلٌ أَكْرَمُ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكِرْمُ^(٥)
 يَجْنِي الْغَنَى لِلنَّامِ تَوْ عَقَلُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ^(٦)

(١) الحز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصوف لا يشوبها قطن ولا كتان . يقول : يرى من كبريائه الحز خشنا ، وكان قبلاً رثاً حافياً طويلاً الأظفار .
 (٢) يقول : إني - وإن لمت حسادي - لا أنكر أنهم معذرون في حسدي لأنهم معاقبون بتقدي عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلي .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والمهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم في الحسد . يقول : لم لا يحسد من صار كالعلم في كل فضل . أى اشتهر وصار كالشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق المهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر في هذا إلى قول البحترى

واعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسنٌ في مثلها الحسدُ

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنسهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشيء : إذا أذهبت هيئته من قلبك . وتتقى : تحذر . والبهم : جمع بهمة ، البطل الذى لا يدرى من أين يؤتى من عدة بأسه . يقول : كيف لا يحسد من كان من الهية بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاه الشيء : صرفه عنه ؛ وإنى : فاعل كنى . والكرم : نقيض اللؤم : يقول : منع عنى الذم أنى رجل كريم أرى ما بى من الكرم أعز شئ أملكه وأصونه يبذل المال دونه وأبخل به بأجل غيرى بالمال .

(٦) اللثم الذى الأصل ، الشحيح النفس ، نقيض الكريم . والعدم - بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها - : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللثم لو علم بجنى عليه ما لا يجنيه اللؤم ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه ، لأنه لا يقصد فى حاجة ؛

هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسَنَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجَرْحُ يَلْتَمِمْ^(١)
 مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَمَلِي يَهْبُ الْأَلْفَ وَهُوَ يَنْتَقِمُ^(٢)
 وَيَطْمَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ كَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَايَا أَلَمِ^(٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطماع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير في «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن الثام مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون في سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهي كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمداً في الدنيا أو أجراً ومثوبة في العقبى ، فضلاء عن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف اللثيم المكثر ، كما قال حاتم الطائي .

إذا كان بعض المال رباً لأهله فإني بحمد الله مالى معبد
 وقال الآخر :

ذريني أكن للمال ربا ولا يكن لي المال رباً تحمدي غيبه غداً
 وقال أبو نواس :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتة فالمال لك
 وقال الخزومي :

إن رب المال آكله وهو للبخال أسكال
 ثم قال : إن العار أبقي من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من «كلى» : في موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجهه «وهو ينتقم» : في موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطمئن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لا يحس بالمشة الطعنة ، لأنها - لسرعته - تقتله قبل أن يدرك ألامها . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره في السيف

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فَقْلِهِ نَدَمٌ ^(١)
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلَاحُ وَالْيَيْبُضُ لَهُ وَالْقَيْدُ وَالْحَشْمُ ^(٢)
وَالسُّطُوتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَعُ ^(٣)

تَرَى ضَرْبَاتِهِ أَبْدَأَ خِطَابًا إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ قَتِيلٌ

(١) الموقع - ههنا - مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيعمله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلزم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبارة ابن جني : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الْأَلَمِيُّ الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَ

أى هذا الممدوح لا يندم لأنه لا يفرط في الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

(٢) السلاح : الحيل الطوال ، جمع سلب وسلمية ، يقال : فرس سلب وسلمية للدكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيوف والحشم : أتباع الرجل الذين يفضون لفضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له .

(٣) السطوت : جمع سطوة ، وهي القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا ووسطوة : صال . والقصم - بالقاف - أن ينكسر الشيء فيبين ، وأما القصم - بالفاء - فهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظبيا قد انحى في نومه فشبهه بدمليج - مايلبس في المعصم من الحلى - قد انقصم :

كَأَنَّهُ دُمْلِيْجٌ مِّنْ فِضَّةٍ نَّبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِّنْ عَذَارَى الْحَىِّ مَفْصُومٌ ^(١)

(١) شبه الغزال وهو نائم بدمليج فضة قد طرح ونسى ، وكل شيء سقط من إنسان لنسيه ، ولم يهتد إليه : فهو نبه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دمليج» ويقال أصله نهبأ : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمعي : أضلوه نهبأ لا يدرون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن بري إلى أن النبه هنا الشيء المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انمطف لما سقته أمه فروى بدمليج فضة نبه أى بدمليج أبيض نقي . كما

يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ أُسْتَمَاعٌ إِلَى الدَّاعِي وَفِيهِ عَنِ الْخَلْقِ صَمَمٌ^(١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَابِيبَهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخَاقُ النَّسَمَ^(٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتنتساع أخبارها والتي تنكاد الجبال تنصدع وتهد لها لشدها .

(١) يقال : أرعى سمعك - أى اصغ به إلى واستمع مني ؛ ومعناه اجعل سمعك الكلامي بمنزلة الموضع الذي يرعى فيه ويتصرف . والضمير من فيه في الشطرين للسمع ، والحناء : الفحش في الكلام . يقول : هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك مسمع ، ويعرض عن الفحش كأنه به صمماً ، هذا : والداعي رواها ابن جنى بدون ياء ، وقال : أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى « أجيب دعوة الداعي إذا دعان » وصلاً ؛ وحذفها وقفاً اتباعاً للمصحف ، وأثبتها البرزى وقفاً ووصلاً في قوله « يدع الداعي » في سورة القمر ؛ وأثبتها وصلاً أبو عمرو وورش ، وإلى الداعي أثبتتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقيون وصلاً ووقفاً اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أى إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهي : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صورَ اللهُ حينَ صورَها في سائرِ الناسِ مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من الكرام ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسَم ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جنى : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعاله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال في ملعب من عذارى الحى ؛ لأن ملعب الحى قد عدل به عن الطريق المساوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصيد . وقوله مفصوم ولم يقل مفصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبرى ، إنما يريد أن الخشف - ولد الظبية - لما جمع رأسه إلى خذه واستدار كدملج مفصوم : أى مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ^(١)
 مِنْ بَعْدِ مَا صَيَّغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ لِمَنْ أَحْبَبَ الشُّنُوفُ وَالْحَدَمُ^(٢)
 مَا بَدَلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ وَلَا تَهْدَى لِمَا يَقُولُ فَمُ^(٣)
 بَنُو الْعَفْرَنَى مَحْطَّةُ الْأَسَدِ الْأَسَدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ^(٤)

(١) يخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لوجئنا
 بإصاحي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتاه نفسه
 وهذا مبالغة في الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق في أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو ما يعلق
 في شحمة الأذن . والحدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال . وقوله من بعد : متعلق بـ «ملت»
 - في البيت السابق - يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندي حتى
 صغت لمن أحبه الشنوف والخلخال من الذهب الذي أعطاني : يعني أن عطائه وصل إلى
 قبل زيارته .

(٣) تهدي : اهتدي . يقول : لم تبذل يد ما يجود به ، ولا اهتدي فم لأن يأتي بما
 يقول ، يعني أنه أجود الناس بنا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرنى : مبتدأ ، خبره الأسد . والعفرنى : الأسد القوى ، والنون زائدة
 وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد المدوح وهو في موضع
 خفض ، لأنه بدل من «العفرنى» ، إلا أنه لا ينصرف ، والأسد : صفة لحطة - وروى
 الخوازمي محطة - بالجر - جعله من الحط ، وهو الوضع أى أنه يحط الأسد عن منزلته
 وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغاية يأوى إليها الأسد . يقول : إن بني محطة القدي
 هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التي يستعصمون بها ، إنما هي الرماح بدل الآجام
 التي يمتنع بها الأسود ، كما قال طي بن جبلة :

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ أَسَدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ
 وقال أبو تمام :

أَسَادُ مَوْتٍ مُنْخَدِرَاتٌ مَا لَهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا آجَامُ
 وقال أيضا :

أَسَدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الْمَوْتُ صَبَّحَهَا أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابَهَا الْأَسْلُ

قَوْمٌ بُلُوغُ الْفُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكِمَاةِ لَا الْحِلْمُ^(١)
كَأَنَّمَا يُولَدُ الْفَدَى مَعَهُمْ لَا صِفَرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرِمٌ^(٢)
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَدِيقَةً كَتَمُوا^(٣)

وانتدب إلى عفرني فنقول : يقال أسد عفرني ولبوة عفرني أيضا ، والنون لللاحق
بسفر جل ، وناقاة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجأ التيمى يصف إبلا
حملت أثقالا مصمّماتها غلبَ الذفارى وعفرنياتها^(١)

(١) قوم : أى هم قوم . والذخور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة . والسكاة : جمع
كمى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الفلام عندهم
أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لأن يبلغ سن الحلم ، فذاك
هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القوم فى بلوغهم أن يرضعوا السيف مهبجة البطل
وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين :

خرجنا نقيم الدين بعد أعوجاجه سويّا ولم نخرج لجمع الدرم
إذا أحكم التنزيل والحلم طفلنا فإن بلوغ الطفل ضرب الجماجيم

(٢) الذدى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا
مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ، فهم أجواد على كل حال :
وهذا من قول البحترى :

عريقون فى الإفضال يؤثف الذدى لفاشيتهم من حيث يؤثف العمر
(٣) الصنعة : المعروف . يقول : إذا عادوا أحدا جاهرُوا بعداوتِهِ ، لأنهم لا يخافون
عدوا ؛ وإذا اصطنعوا صنعة أخفوها ولم يباهوا بها ، حياء ونبلا .

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من
البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ . يقال غلب غلبا :
أى غليظ .

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَغْتَدَادَهُمْ أَهْمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)
 إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحُكْمُ^(٢)
 أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ^(٣)

(١) يقول : إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيمهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الحريري :

زاد معروفك عندي عظماً أنه عندك مستورٌ حقيرٌ
 تَنَدَّاهُ كَأَنَّ لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَثِيرٌ
 وقال الآخر :

وَمَنْ تَكَرَّهْتُمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ
 « المحل : الجلب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) الغموس : اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يخلفوا يميناً يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالقهم « خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شيء عليهم ومن أحسن ما سمع في انقاسم قول الأشتر النخعي الشاعر الصحابي ومن أنصار سيدنا علي كرم الله وجهه :

بَقِيتُ وَفَرَى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْمَلَأِ وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ
 لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ
 خَيْلاً كَأَمْتَالِ السَّعَالِي شُرْبًا تَعْدُو بَيِضَ فِي الْكَرْبَةِ شُوسٍ
 حَتَّى الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لَمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَمَاعُ شُمُوسٍ

« السعالي : جمع سعاة ، سحرة الجن ، أو الغول . والشرب : الضوامر . يصف الخيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقية أعراضهم . وفي الكربة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجريء . على القتال . يقول إنهم شجعان في الحرب . »

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسَرَّجَةٍ فَإِنْ أَفْخَاذَهُمْ نَهَا حُزْمٌ^(١)
 أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَا قِيحًا أَخَذُوا مِنْ مُهْجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا^(٢)
 تَشْرِيقُ أَعْرَاضِهِمْ وَأَوْجُوهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي نُفُوسِهِمْ شَيْمٌ^(٣)
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبَحِيرَةَ وَالْفُورُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَيْمٌ^(٤)
 وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةٌ تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطْمٌ^(٥)

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عريا لكثرة ما يطرقهم المستغيث فلم يمهلم حتى يسرجوا خيلهم صارت أخفاذهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب .

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبهت بالناقة إذا حملت . والمهجع : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكوا في الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، ما يمدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أي كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم . يصنفهم ببقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبي الطمعمان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَقَطَ الْجَزَعُ نَاقِبُهُ
 وقول الآخر :

فَإِنْ كَانَ خُطْبٌ أَوْ أَلْتْ مَلَمَةٌ كَفَى خَاطِبَ الظُّلَمَاءِ فَقَدْ الْمَصَاحِرُ

(٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والفور : منخفض بالشام ، بجوار بلد المدوح ؛ والشيم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجثت بلدك الدفء الحار . وقال بعضهم : المراد بالفور : السكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع ثل وتنصب مزبدة ، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول ، ولك أن تعكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر والضمير من « تهدر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفعل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقظام : شهوة الضراب وهياج الفعل عند ذلك شبه الأمواج في اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتدت

وَالطَّيْرُ فَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسَبُهَا فُرْسَانٌ مُبَاقٍ تَخُونُهَا اللَّجْمُ^(١)
 كَأَنَّهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا حَيْشًا وَغَىٰ هَازِمٌ وَمُنْهَزِمٌ^(٢)
 كَأَنَّهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفٌّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظَلَمٌ^(٣)
 نَاعِمَةٌ الْجِسْمُ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمٌ^(٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهاها؟ ومعنى تهدر فيها: تصيح في البحيرة هديرًا مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلق: أراد فرسان خيل بلق ، والبلق : التي فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر في كل وجه . وقال ابن جني : تخونها اللجم : فهي تكبو : يريد رفرقة الطير على الماء ثم انغماسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشئ لأن الفرس إذا انقطع لجأه لم يكب ، وليست الرفرقة والانغماس مما ذكر في البيت ، وإنما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كأنها : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع للهزوم . ولك أن تقول كأنها - أى الطير والموج ، لأن الريح تضربهما معا فتتتابع الطير على أثر الموج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى في الحديث « حفت الجنة بالسكارة » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البحيرة فى صفائه - وقد أحاطت به البساتين فى خضرتها الضاربة إلى السواد - بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فعداه تعديته على حد قوله تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن » أى لطف بي وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخافون عن أمره » أى يخرجون عن أمره .

(٤) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألغز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

يُنْقَرُ عَنْهُمْ بَطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشْكِي وَلَا يَسِيلُ دَمٌ^(١)
تَفَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِهَا وَجَادَتِ الرِّوَضَ حَوْلَهَا الدَّيْمُ^(٢)
فَهِيَ كَمَاوِيَةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرَّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ^(٣)
بَشِينَهَا جَزِيئًا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الْأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ^(٤)
أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِيعْ فَمَذْحُكُمُ فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمٌ^(٥)
وَقَدْ تَوَالَى الْعِهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطَرَةُ الَّتِي تَسِيمُ^(٦)
أُحَيْدُكُمْ مِنْ صُرُوفٍ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُيَمَّمٌ^(٧)

* * *

- (١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها نبات كفى عن استخراج ممكها وصيدها منها بالقر ، وهو شق البطن .
- (٢) جادت : من الجود - بفتح الجيم - وهو المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون .
- (٣) الماوية . المرأة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للقشاة . شبه البحيرة - مع ما يحقق بها من البساتين - بالمرأة وقد جردت مما تغلف به من الجلد
- (٤) يشينها : يعيبها . والأدعياء : الذين ينسبون إلى غير آبائهم والقزم : رذال الناس وسفاههم ، يستعمل للواحد وغيره ، يقال : هذا رجل قزم وناس قزم . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها في بلد أهلها لثام خساس .
- (٥) يقول : إن فعلكم مدحكم قبل أن ينظم في الشعر : أي أنه لحسنه يثنى عليكم ، ويروى في العقل : يعني أن الناس عقلا مدحكم قبل أن يتكلموا به .
- (٦) العهد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر ؛ وقيل أمطار بعضها في أثر بعض : ومنه : أي من المدح : والمطررة التي تسم : هي الوسمي ، وهو مطر الربيع الأول ، فهو الذي يسم الأرض بالنبات . شبه مدائحهم بالأمطار المتتابعة لأنها تنبت لها أنعامهم عليه وأراد بالتي تسم : هذه القصيدة .
- (٧) يقول : إن الدهر مولع بالكرام يأتي عليهم ويعصف بهم ، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه ، وفي هذا المعنى يقول البحترى :

وقال يمدح المغيث بن العجلي :

فَوَادٍ مَا تُسَلِّيهِ الدَّمَامُ وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ^(١)
وَدَهْرُ نَاسِهِ نَاسٌ صِفَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ مُجَثُّ ضِخَامُ^(٢)

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُتَلَى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول : الإفضال والتفضل »
وأصل المعنى لا شيء تمام :

إِنْ يَنْتَحِيلُ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمَ النَّاسُ بَيْنَ الْخَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءَ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَغْذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمَرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ^(١)

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتداً ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أو خبر مبتداً محذوف أى فؤادى فؤاد . والدما : الحمر . واللثيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ لست كالناس أرى بما يرضون به ويلهينى السكر ، ثم قال - المتنبى - : وعمر مثل ما تهب اللثام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلاً لرجوت أن أدرك أغراضى بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كربة اللثام يسيرة حقيرة ، فما أخوفنى أن لا أدرك طلبى بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكان هذا من قول أبى تمام :

وَكُنَّ الْأَنَامِلَ اغْتَصَرَسَهَا بَعْدَ كَدِّ مِنْ مَاءٍ وَجْهِ الْبَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان ابن ثابت :

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قِصَرِ جِسْمِ الْبَغَالِ وَأَحْلَامِ الْمَصَافِيرِ

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والأسن : الأسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ^(١)
 أَرَانِبُ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلْكُكُ مُفْتَحَةُ عِيُونِهِمْ نِيَامُ^(٢)
 بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ^(٣)
 وَخَيْلٍ مَا يَحْرُ لَهَا طَعِينُ كَانَ قَنَا فَوَارِسَهَا ثَمَامُ^(٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظَمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجنة : شخص الإنسان قاعداً أو نائماً ، وقيل جنة الإنسان شخصه متكناً أو مضطجعاً ، وقيل لا يقال له جنة إلا أن يكون قاعداً أو نائماً ، فأما القائم فلا يقال جنته إنما يقال قننه ، وقيل لا يقال حنة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما . حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلى في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال - مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة ، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن - أي ثبت - فيها .
 (٢) المعهود في مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم في طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم ؛ قال ابن جني : وهذا عادة له - للمتنبي - يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَأْمُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيَقَظْتَ هَاجِمُهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمْ سَهْرُ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبُ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أى مع أجسام . ويحر : يشتد - من قولهم حر يومنا يحمر حرارته . والاقتران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفو في الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالآكل ، ومن ثم يموتون بالنخمة من كثرة الأكل لا في وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرماح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِيْلِي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ^(١)
وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاطُ بِفَيْرٍ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عَنْقَ صَيْقَلِهِ الْحَسَامُ^(٢)
وَشِبَهُ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ^(٣)

ولو أن ما أبقيت مني معلق بمودئيم ما تأود عودها
وقولهم : هو على طرف الثمام : أى أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر في
المطعون لضعفهم ، فكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليلي خيلا
لك وإن كثرت تملته ، ولأن لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير
المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإن أناه خليل يوم مسغبة يقول : لا غائب مالى ولا حريم
« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام
والصقيل : الذى يعمل السيوف . والحسام : السيف القاطع يقول : لو كان فى الإمكان
أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصقيل
الذى صقله لا يقطعه ، يعنى أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطغام : رذال الناس وغر غاؤهم ؛ قال الأزهرى : وسمعت العرب تقول للرجل
الأحمق : طغامة ودغامة ، والجمع : طغام -- كنعامة ونعام -- . وروى ابن السكيت أن
رجلا كان يتردد إلى أبى مهندى الأعرابى ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهندى : كيف
حال الناس ؟ أو نحو ذلك -- فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهندى : ياطغامة لقد أحنيتنى
فى المسألة ، وأنت لا تدري ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطغامة ، فقال فيه بعض
النحويين :

مَنْ كَانَ يُنْجِهُ الطَّغَامَةَ كُلَّهَا فَقَلْبُهُ مَيُّمُونًا أَبَا الصَّحَّاحِ
رَجُلًا تَجَمَّعَتِ الطَّغَامَةُ كُلُّهَا فِيهِ وَحَالَفَهَا : بَرَاكِ بَرَاكِ
« قال الجوهري : يقال فى الحرب براك براك -- كقطام -- أى ابركوا »

يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيصة . فلذلك ألفت الحساس ، لأنهم
أشبهها فى اللؤم والخسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَنْقُلْ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْخَطَ الْقَتَامُ^(١)
 وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقٌّ لَرُتِبَتْهُ أَسْمَاهُ الْمَسَامُ^(٢)
 وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي سَيَلَا فِي بَوَاطِنِهِ ظِلَامُ^(٣)
 إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ^(٤)
 وَمَا كُلُّ بِمَمْدُورٍ بِبُخْلِ وَلَا كُلُّ عَلَى بُخْلٍ يُبْلَامُ^(٥)

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقتام . القبار . يقول : إن علومهم فى الدنيا لا يدل على علمهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع القبار فوق الجيش .
 (٢) رع : أى يكون راعيا ، وسامت الماشية . إذا رعت وهى سائمة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك-فى أوائل القصيدة - يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ، ورعيته ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : السيم الذى يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يل الأمر إلا من يستحقه خللا الناس من خليفة بلى أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .
 (٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التجميل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهم يتعبدون من يصبوا لهم ويعطى قلبه بحبهن .

(٤) الحمام : للوث . يقول : إذا كان الإنسان فى شببته كالسكران لهو وغفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من المم لضعفه واهتمامه لمسا فات من عمره - فإن حياته هى الموت على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيات . يريد أن الحياة فى الدنيا منصفة مكدره ؛ فالإنسا لدى المشيب يفكر فيما فات من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شببته غائبا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائبا فى بحر من المم حتى لا يرمى فى عمره شيئا - فحياته أشبه بالمات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواجد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن العصر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولدته الكرام ؛

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ حَيْرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ^(١)
 بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفْوَتْهَا إِلَّا الْكَرَامُ^(٢)
 قَهْلًا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا التَّامُ^(٣)
 بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخَرٍ وَفَخْرٍ أَنَا : ذَا الْمَغِيثُ وَذَا الْإِسْكَامُ^(٤)
 وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْقَمَامُ^(٥)

والذى لا يلام على بخله من كان آباؤه لثاماً بخلاء ؛ لأنه لم يتعلم غير البخل ، ولم ير في آبائه الكرم والجود ، فيكون هذا من قول أبي تمام :

إِكْلٌ مِنْ بَنَى حَوَاءَ عُدْرٌ وَلَا عُذْرٌ لِطَائِيٍّ لَتِيمٍ
 وقال ابن جني : هو من قول أبي نواس :

كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مُقْتَرِدٌ عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ بَخِيلٍ

(١) مقام : مصدر ميمي ، بمعنى إقامة . يقول : لم أر مثل حيراني في سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلي في مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو حيرانه ويلوم نفسه على الإقامة بينهم . وقوله لثلى : خبر مقدم عن مقام ،
 والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : أثلثي ؟ على الاستفهام التعجبى .

(٢) يقول : كل ما تشهى وتطلب تجده في هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » . يقول هلاكاً نقص أهل الأرض في الأرض ، وتمام الأرض — أى كمالها — في أهلها ؟ يعنى أن هذه الأرض كاملة في أحوالها ، وأهلها ناقصون في أخلاقهم ، فهو يتمنى أن يكون كمالها في أهلها ونقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قطانها ليس يجدى شيئاً .

(٤) أنا : أشرفاً وطالاً . والمغيث : هو الممدوح . والإسكام : جبل بالشام ، يقال له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر — وهو جبل الإسكام — والثانى من غر — وهو الممدوح — وقدم الصخر على الفخر صنعة وحذاقة . لما استعار للفخر جبلاً عطفه على الجبل الحقيقى .

(٥) القمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللَّهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي بِدَرٍّ مَا لِرَاضِعِهِ فِطَامٌ^(١)
وَمَنْ لِحَدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا وَمَنْ لِحَدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ^(٢)
فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَلِكِ الدَّرِّ يُخْفِيهِ النَّظَامُ^(٣)
تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلْذُّ لَهُ الْقَرَامُ^(٤)

ليست هذه البلدة موطن المدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَّرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون: سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالحسب والنماء ، والمنجية : التي تلد النجباء ، وابنها : هو المدوح ، يريد أنه نجيب ، والدري : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والفظام : انفصال الولد عن ثدي أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن بره .

(٢) من : عطف على ابن منجية . والدوام : يروى الدمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد المدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة أجنب وما إليها ، وعطاياه لا تنحصر في الأموال ، فإن منها العمد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خلصائه

(٣) السلك : الحيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوى الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه ملبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا المدوح . وقال آخرون : إن مآثر المدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر في السلك ، فامتلا الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أوكرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان ، وخفى الزمان الذى هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(١) المرودة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالفراغ هنا : العذاب اللازب . قال أهل اللغة الفراغ اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ومالا لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها

تَمَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَّيْلِ وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامٌ^(١)
يَرُوعُ رَكَاةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا نَذِرِي أَشِيخَ أُمِّ غُلَامٍ^(٢)
وَتَمَلِّكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ وَأُمًّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يَرَامُ^(٣)
وَقَبِضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبِضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامٌ^(٤)
أَقَامَتْ فِي الرَّقَابِ لَهُ أَيْادٍ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ^(٥)

كان غراما . يقول : الروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكليف ، وهى مع هذا تملذه كالمشوق لتبذ مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبي :

والمشوق كالمشوق يعذبُ قربه للمبتلى وينال من حوْبائه

(١) تملقها ، أى تملق الروءة : أى هوىها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول : عشق الروءة كما عشق قيس بن الملوح الجنون لىلى العامرية ، غير أنه واصل الروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق لىلى قيسا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يفرع ويخيف ؛ والركاة : الرزاة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ ويورى : فما يدرى .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول : إنه يتقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالحجة ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لا أخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللثام فهو عار . وهذا كقول بعضهم

عطاؤك زين لأمرىء إن أصبته بخير وما كلُّ العطاء يزِينُ
وليسَ بعار لامرئ بَذْلُ وجهه إليك كما بفضُّ السؤال يشِينُ
وكقول البحتري :

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي - لَوْلَا مَحَبَّتُكَ - الْفَقْرُ

(٥) الأيادى : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إِذَا عَدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عَجَلٌ كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تُمَدُّ عَامٌ^(١)
تَقَى جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهُمْ إِذَا بِشِفَارِهَا حَمَى اللَّطَامُ^(٢)

كالقمارى والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطَوَّفَتْ قَوْمًا فِي الرِّقَابِ صَنَائِمًا كَأَنَّهُمْ مِنْهَا الْحَمَامُ الْمَطْوِقُ
وقبلهما يقول أبو تمام :

أُبْقَيْنَ فِي الْأَعْنَاقِ فَمَلَكَ جَوْهَرًا أَبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ

(١) عجل : قبيلة المدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقيه من الشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عداهم ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشتمل جميع العام ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوء ، فإذا عدت تلك الأنواء فهي عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى - بفتح الذال - كل ما استترت به ، تقول : أنا في ذرى فلان ، أى في كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة - وهى حد النصل . والضمير في « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عن استدرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القرينى » :

نُعْرَضُ لِلْسِيفِ إِذَا التَّقِينَا خَدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلْطَّامِ

وروى :

* تَقَى جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذَرَاهُمْ *

فالذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . والمراد بما في ذراهم : السيوف لأنها تقلد في أعلى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاحظة بشفار السيوف

وَلَوْ يَمْتَنُّهُمْ فِي الْخَشْرِ تَجَسَّدُوا لَاغْطَوْكَ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا^(١)
فَإِنْ حَلَمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ خِفَافٌ وَالرَّمَاحُ بِهَا عُرَامٌ^(٢)
وَعِنْدَهُمُ الْجَفَانُ مُكَلَّلَاتٍ وَشَرَرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ الْقَوَامُ^(٣)

(١) بمصمتهم : قصدتهم . وتجدو : تطلب جدوام . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حق لو قصدهم سائل يوم القيامة لا أعطوه سالانهم وصياهم .
وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قَصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَمِزْ فِي قِسْمَةِ الْعُمَرِ حِيلَةً وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّهِ وَوَأَسَأَهُمْ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
ويقول أبو التتاهية :

فَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ لَيْتَ أَنِّي أَصْبَيْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
وَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَلَوْ جَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَائِلٌ تَعَرَّيَ لَهُ عَنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

(٢) المرام : الشراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حلاء ذوى وقار فإن خيلهم خفاف في العدو - الجرى - ورماحهم شرسة عارمة على الأعداء . هذا والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم - يحلم حلما فهو حلِيم ؛ أما الحلم - بمعنى الرؤيا في المنام - ففعله حلم - بالفتح - يقال حلم واحتلم إذا رآه في النوم ، أما الحلم - بالتحريك - وهو أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فيتنقب ففعله حلم - بالكسر - يقال حلم الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال على عليه السلام ، ويقول له أنت تسعى في صلاح أمر قد تم فسادك ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم - الذي وقعت فيه الحلة فتقبتته وأفسدته - فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَّابِقَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاع ، جمع جفنة ؛ ومكلمات : حال : أى مغطاة باللحم فهو عليها كالا كاليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نَصَرْتَهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَّاهُ وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِ السَّهَامُ^(١)
 قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالِي كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ^(٢)
 قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرُ الْمَلِكِ الْمُعَامُ^(٣)
 لِنِ مَالٍ تُمَزَّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرُكَ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ^(٤)
 وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لَأَنَّ بِصُحْبَتِهِ يَجِبُ الذَّمَامُ^(٥)

* ترى الجفان من الشيزى مكللة^(١) *

والشرر : ما كان عن يمين وشمال ، والتوأم : جمع التوأم - طى غير قياس - أى مزدوج ؛ والقياس : توأم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب التدارك التوالى ؛
 يعنى : أنهم مطاعين مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، ونبا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه .
 يقول : إنهم رفاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم - أى قدر عليهم
 - إذ يغلبهم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون
 السهام بأوجهم ، وفيه نظر إلى قول العطوى^(٢)

أَهَابُ الرِّيمِ أَرْمُقُهُ وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْأَسَدِ
 وَيَمْجَرُحُنِي بِمُقْلَتِهِ وَيَنْبُو السِّيفُ عَنْ جَسَدِي

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى المدحوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن
 المعالى مشتملة عليهم احتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام ،
 (٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت
 أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك غفرا ، وقد أخرج حرف العطف فى قوله « وأنت »
 وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما طى
 وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم « أن »

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل
 شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تَحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ تَصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامٌ^(١)
إِذَا مَا الْمَالِيُونَ عَرَوْكَ قَالُوا أَفِذَا أَتَاهَا الْحَبِيرُ الْإِمَامُ^(٢)

محذوف ضمير الشأن . والذمام : الحرمة والعهد . يقول : متمعبا ، لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطايك وبشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؟ ثم قال في البيت الثاني : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجبا عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبارة الشراح : لمن هذا المال الذي نراه عندك وعطايك تفرقه والخلق كلهم شركاء في رغبته، وأنت لا ترضى أن نقول هولاك وتدعوك صاحبه : لأن الصحة توجب ذمامه ، وأنت لا ترضى له ذماما : أي فلن هذا المسألة ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، خذف لدلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى بما ذكرناه ، ويرى فى رضى - بالياء - أى إذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحة .

(١) حاد عن الشيء : مال عنه ، وحايده محايده : جانبه ، والسامرى : واحد السرامرة ، وهم طائفة من اليهود شديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبد المجل القدى سمع له خوار ، قال الزجاج . وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف . يقول أنت تحيد عن هذا المال وتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن . يقول كأنك السامرى معرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل ، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته . وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبي من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراء واعتراه : إذا أناه وقصده طالبا معرفته ، ومنه قول النابغة الذبياني .

أَتَيْتُكَ عَارِيَا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تَظُنُّ بِي الظُّنُونَا

والحبر - بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهري : الحبر والحبر واحد أحباب اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو حبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تعبير الكلام : أى تحسينه . يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .

إِذَا مَا الْمُفْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا بِهَذَا يُفْلَمُ الْجَيْشُ اللَّهُامُ^(١)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ^(٢)
وَأُعْطِيتَ الَّذِي لَمْ يُفْطَ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

(١) العلم - بكسر اللام - الذي يشهر نفسه في الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذي يلتهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رآك الأبطال المعلومون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس في الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذي يكون فيه أى كما أن علامة الفارس تكون دليلاً على شجاعته تكون أنت دليلاً على قوة الجيش الذي تكون فيه ؛ قال الواحدى : يجوز أن يكون يعلم - بفتح اللام - من العلم : أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم - بكسر اللام - فعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدأت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجمعة عابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَبَضَحَكَ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفِهِ كَانَ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ

يقولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَتَهُمُ الْوَاشِينَ وَالْدَّمْعُ مِنْهُمْ ^(١)
وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ بَيْكُم ^(٢)
وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا غَفُولَانِ عَنَّا ظَلَّتْ أَيْكِي وَتَبْسِيم ^(٣)
فَلَمْ أَرْ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيْتًا يَتَسَكَّلُم ^(٤)
ظَلُمٌ كَمَتْنِيهَا لِيَصَبَّ كَغَضْرَاهَا ضَعِيفُ الْقَوَى مِنْ قِعْلِهَا يَتَعَلَّم ^(٥)

(١) البين : البعد والفراق . والواشى : التمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها ، وتهم الواشاة بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القاب من الوجد ، فهو أولى بأن تنهه بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشعري .

* نَرَى عِظْمًا بِالصَّدِّ وَالْبَيْنُ أَعْظَمُ *

يعنى أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكنم : يروى بالعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرك في جفحك كيف تقدر على كتمانك ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم البكاء ، فالدمع يظهر سره ويفتضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظلمت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقب في غفلة عنا ، ظلمت أَيْكِي من الوجد ، وهى تضحك تعجبا من حالى ودلالا على .

(٤) اللتان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والحصر : ما فوقهما . وتظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه في الدقة تنحصرها ، وجعل ظلمها إياه بتشكيله مالا يطبق حمله كظلم متنها لحصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدى — أن يصفوا الردف : بالعظم ، والحصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر من اللتان وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالحفة والرشاقة ، وهو يقول

بَفَرَعٍ يُمِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرٌ وَوَجْهٌ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ^(٣)
 فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيَا
 وَلَكِنْ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمَرَمٌ^(١)

منها يمتلئ ، يظلم خصرها بتكليفه حمله ، والصحيح في هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب .

صَبَا كَثِبَا يَنْشَكِي الْهَوَى كَمَا اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ رَدْفِكَ
 (١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو نسي ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر الرأس . يقول : تريك للنهار ليلاً بشعرها ، والليل نهاراً بوجهها وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح :

بَيْنَمَا تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوَّ جَنْلُ اسْحَمُ
 فَكَانَتْ فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَانَتْ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ
 « جَنْلُ : كَشِيف . وَأَسْحَمُ : أَسْوَد » وقول أبي تمام :

بَيْنَمَا تَبْدُو فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا وَتَسْرُبُ فِي النَّهَارِ فَيُظْلِمُ
 « تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً .

لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمِ الْهَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقَعُ
 فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَهُمْ مِنْ جَانِبِ الْحِدْرِ تَطْلَعُ
 نَضَاضُوها صَبْغَ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لِيَهْجَتْهَا ثُوبُ الظَّلَامِ الْجَزْعُ
 فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى الْأَخْلَامُ نَائِمٌ أَلَمْتُ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يُوشَعُ

« لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ الخ : أى قصدنا للتأخيرين منهم ، وقد جعل الهوى قلوبنا نحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقرهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام المجزع : جملة مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع في الشيء : أن يكون فيه لونان مختلفان »

(٢) العرمم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وترك دارها خالية ولكن قلبي ليس خاليا مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فجها ، لارم له لا يفارقه .

أَنَافِ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجَسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ^(١)
 بَلَلْتُ بِهَا رُذْنِي وَالْقَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عِبْرَتِي دَمٌ^(٢)
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا أَنَهَلَ فِي أَخْلَدٍ مِنْ دَمِي
 لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا بِسِيلٍ قَاسِمٍ^(٣)

(١) أناف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها : أو هناك أناف . والآنافى : جمع أنفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أنفية أفعولة من ثبت قال الأزهري : الأنفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أنافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : مابقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أناف بها من الصلاء ما بفؤادى ، يعنى أن النار حرقها وأتت فيها كما أحرقت الشوق والحب قلبى ، وكأن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كاه ، والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبدا : إذا حزن ، وامرأة عاب وعبرى وعبرة : حزينة . قال الحارث ابن وعله الجرمى :

يَقُولُ لِي النَّهْدَى هَلْ أَنْتِ مُرْدٌ فِي وَكَيْفَ رَدَا فُ الْفَرُّ أَمَكْ عَابِر
 يُذَكِّرُنِي بِالرُّحْمِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ كَانَتْ فِي نَهْدٍ وَجَرْمٍ تَدَابِر
 نَجْوَتْ نَجَاءً لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ كَأَنِّي عُقَابٌ عِنْدَ تَيْعَنٍ كَاسِرٍ^(١)
 والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يعطرك أنه يساعدنى فى البكاء ولكن دمه كان خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) أنهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دماً ما كان أحمر وما كنت هزات وسقمت بعد انهماله .

(١) عابِر : ناكل ؛ وتدابِر . تقاطع ، والنهدى : رجل من بني نهد يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدي فقتلوه .

بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي بَعْدَنَا الْغَمُضَ تَطْعَمُ^(١)
 سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ
 لَقُلْتُ أَبُو حَنْصٍ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ^(٢)
 مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ صُبُوءًا كَمَا يَصُبُّو الْمُحِبُّ الْمُتَمِّمُ^(٣)
 وَأَنْفِسُ لَوْلَا أَنْ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ لَهُ ضَيْغَمًا قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْغَمٌ^(٤)

(١) المجععة : الرقدة . وقوله بعدنا . أى - أبعدها بهزمة الإنكار - لحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتناهى بعد فراقنا ؟ وهل من فارقه أحبته ينأى ؟
 (٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتناهى بعد مفارقتنا ؟ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حنص ؛ كنية المدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يعود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لملئى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه المدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفاً من مفارقتة أو معاتبته على نومى ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت للمسلم على المدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للتنبى ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنوم ممكنٌ : غُرَّ غَيْرِي لَا تُتَوِّهُ فَلَسْتَ بِالْمُسْتَهَامِ

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذله ، والتيم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل التيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمعى ؛ تيمت فلانة فلانا تيممه وتامته تيممه تيماً فهو متيم بالنساء ، ومتيم بهن ، وأنشد للقيط بن زرارمة :

تَامَتْ فَوَادُكَ لَوْ يَحْزُنُكَ مَا صَنَعْتُ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي ذُهْلٍ بِنِ شَيْبَانَا

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفافة كما يصبو الحب إلى محبوبه .

(٤) الضيغم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ، ولولا ذلك لفلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنْقَضَهُ مِنْ حَظِّهِ وَهُوَ زَائِدٌ وَتَبَخَّسَهُ وَالْبَخْسُ شَيْءٌ مُحَرَّمٌ (١)
يَحْلُ عَنْ الْقَشْبِ لَأَنَّ الْكَفَّ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مُحْذَمٌ (٢)
وَلَا جَرْحُهُ يُؤَسَّى وَلَا غَوْرُهُ يُرَى وَلَا حَدُّهُ يَنْبُو وَلَا يَقْتَلَمُ (٣)
وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرَمٌ (٤)

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه وبخسناه حقه ، لأنه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه ينخسه فهو باخس أى نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمحذم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى - أسوت العليل آسوه أسوا - والآسى : الطبيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح - أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لا يبرأ بالعلاج ، ولا يرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير ، فلا يدرك غوره : وحده - على المعنى الأول - يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حد عزيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا الكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى محذم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولا جرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ، ولا حده وليس يريد أنه يقتل وي زيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى نفاه فى اللفظ والمعنى جميعا . قال : ألا ترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقص ، ولا الذى نقضه مبرم : يعنى أنه لا يخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب - شاعر أموى - :

وَلَا يَرْمَحُ الْأَذْيَالَ مِنْ جَبَرِيَّةٍ
وَلَا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَلِيَّاهُ تَخْدُمُ^(١)

مَمْلَأَ أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ خُلُقِي
أَنْتَى أَجُودُ لَأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا^(٢)
(١) الرمح : الرفس بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمح الأذيال ، وذلك إذا كان
يعطيل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القحيف العقبلي :

يَقُولُ لِي الْمَغْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةٌ بِمَكَّةَ يَرْمَحْنَ الْمُهْدَبَةَ الشُّحْلَا
« المهدبة : الثياب التي لها هدايب ، والسحل : البيض » والجبرية : الكبر ، والجبار :
المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية - بكسر الجيم
والباء - والجبرية والجبروه والجبروه ، والجبروت والجبروة والجبروة مثل الفروجة ،
والجبرياء والتعجار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :

قول مغلس بن لقيط الأسدي يعاتب رجلاً كان والياً على أصاح ؛
فإِنَّكَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضِبَ الْحَصَى عَلَيْكَ وَذُو الْجُبُورَةِ الْمُتَغَطِرِ
« يقول ؛ إن عاديته غضب عليك الخليفة ، وما هو في العدد كالحصى وللتنعطف ؛
المتكبر » .

يقول ؛ هو على عظمته ونخامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب همياً واختيلاً ،
وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون في طلب حطامها ، وإنما الدنيا تخدمه وتسوق
إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك .

(١) من قصيد له يقول فيها :
مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقًا نَمَّ لَيْسَ لَهُمْ
إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا
هُمْ إِذَا سَمِعُوا خَبيراً ذُكِرَتْ بِهِ
جَهْلًا حَلَّى وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ
وَيَقُولُونَ أَدْنَتْ لَهُ : أَى سَمِعَتْ لَهُ .
عَهْدٌ وَلَيْسَ لَهُمْ دِينَ إِذَا اتَّمِنُوا
عَنِ وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
وَمِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
لَبِئْسَ اتَّخَلَّتَانِ : الْجَهْلُ وَالْجَبْنُ

وَلَا يَشْتَهِي يَبْقَى وَتَفْنَى هَبَانُهُ وَلَا تَسْلُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلُمُ^(١)
 أَلَدُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرِ بَقَاءُهُ مُعْدِمُ^(٢)
 وَأَغْرَبُ مِنْ عَنَقَاءِ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ
 وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ^(٣)
 وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الْأَيَادِي أَيَادِيًا
 مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُنْجِمُ^(٤)
 سَنِيَّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ مِنَ اللَّوْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يَوْمُ^(٥)

(١) ولا يشتهي يبقى؛ يريد أن يبقى لحذف « أن » للضرورة . يقول ؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى ، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يحب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء ؛ الحمر ؛ واليسر ؛ الغنى ؛ والمعدم ؛ الفقير . يقول ؛ إن ذكره على الألسنة ألد من الحمر قد مزجت بالماء ، وأحسن من اليسر لدى المعدم .

(٣) عنقاء مغرب ؛ طائر ، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه ، وأعوز قال ابن جني ؛ كان الوجه أن يقول أهد إعوازا لأن ماضيه أعوز ، ولكنه جاء على حذف الإيالة ؛ والمسترفد ؛ السائل . يقول ؛ مثله في الناس أغرب من العنقاء في الطير ؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئا يحرمه ولا يعطيه ، وهو لا يخرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الأيادى ؛ النعم ؛ وأياديا ؛ تميز ؛ ومن القطر ؛ صلة أكثر ؛ والقطر ؛ المطر ، والوبل ؛ المطر الغزير ؛ والواو قبله ؛ للحال . وأنجمت السماء ؛ دام مطرها ، أراد . هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر ، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابعاً من قطر المطر حين يكون كثيراً دائماً المظللان .

(٥) السنى ؛ الرفيع الشريف ، واللؤم ، الحسة تقيض الكرم . وآلى ؛ أقسم . والتهويم ؛ اختلاس أدنى النوم ، وأصله النوم القليل ، كأنهم يريدون به أخذ النوم في هامة — رأس — الإنسان ، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر في سائر الجسد . يقول ؛ لو كان النوم الذى لابد منه للإنسان لؤما ، لحلف أنه لا ينام

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دَرَاهِمًا لَمْ أَجْزِ بِهِ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دَرْهَمٌ^(١)
وَلَوْ ضَرَّ مَرَّةً قَبْلَهُ مَا يَسْرُهُ لَا تَرَفِيضَ بَأْسُهُ وَالْكَرْمُ^(٢)
يُرْوَى بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَأَمَّى مِنَ الْأَغْمَادِ تَنْفَى فِتْنَتُهُ^(٣)
إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُورُجَهُ
مُذُ الْغَزْوُ سَارَ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُجَمَّ^(٤)

(١) يقول : إن جميع ما في أيدي الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أمجزم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكرمه ويسرهما ، فلو كان مايسر الإنسان بضره لضره الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهري : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحاً ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معرباً من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرء ومريرة . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع في هذه المادة فعليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أى بدم مثل الفرصاد في حمرته ، والفرصاد : ثمر الثوب الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم : إذا هجم عليهم في منازلهم — ويتأوى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتأوى : السيف الذى تفارق أغمادها ، جعلها يتأوى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالو الدين ، وتنضى : تسل . وتوتم ؛ مضارع أيتم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سيوفاً قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيف تيتم أولاد من يقتله بها في كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مذ الغزو . قال ابن جني : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغزو ، محذوف المضاف وقال الإمام التبرزى ؛ « الغزو » مجرور بـ « مذ » ، لأنها بمعنى « فى » ؛ كقولك أنت عندنا مذ اليوم أى فى اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو سار — يعنى المدح — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرها ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مذ الغزو إلى اليوم وهو مشتغل بعمله فى قداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحط هذا الاشتغال بسروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قل الواحدى وليس فى هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يغزو ولا يمنعه (١٤ — المتن ٤)

الفداء : قال ؛ وما بعد هذا من الآيات يدل على أن المعنى ما ذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبري النحوي الكوفي في إعراب مذ ومنذ ، وكان بودن أن تنبسط في هذا الموضع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكننا لا نبني أن نجد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح للتبني ليس غير ، لا نعدوه ، وحسبنا شرح الشواهد التي أوردوها ، وهو كل ما يعيننا في هذا الشرح الذي كررنا القول بأنه كأنه شرح للتبني وشروحه . قال العكبري : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فغيرا عن حالهما في أفراد كل واحد منهما لحذف الميمزة ووصلت « من » بالذال ، وضمت للميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب ؛ والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ - بكسر الميم - فدل « على أنهما مركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بعدهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن به « إذ » ، والتقدير ما رأيته « مذ » مضي يومان و« منذ » مضي شهران ، ومن خفض بهما فقد اعتبر « من » ولهذا كان الخفض عند أجود لظهور نون « من » فيها تعليل « من » ، والرفع به « مذ » أجود ، لحذف نون « من » منها تعليلاً لإذ ، ويدل على أن أصل « مذ ؛ منذ » أنك لو سميت بها قلت في تصغيره « منذ » وفي تكثيره « أمناذ » ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكثير يردان الأشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بعدهما بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التي بمعنى « الذي » وهي لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فإن الماء ماء أبي وجدّي و يري ذو حفرت وذو طويت^(١)

(١) أحد آيات خمسة أوردها أبو تمام في الحماسة لسنان بن الفحل الطائي قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العثراء من فزارة في ماء وهم غلظون متجاوزون ، والآيات .

وقالوا قد جُنْتُ فَقُلْتُ كَلًّا وَرَبِّي مَا جُنْتُ وَمَا انْتَشَيْتُ

ولكني ظَلِمْتُ فَكِدْتُ أَنْبَكِي مِنَ الظلمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيْتُ

فإن الماء ماء أبي « البيت »

وَقَبْلَكَ رَبِّ خَصِمٌ قَدْ تَمَّالُوا عَلَى مَا هَلَمْتُ وَلَا دَعَوْتُ

ولكنني نصبت لهم جِيئِي وآلة فارس حتى قرِيتُ

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقُ بِأَسْيَافِهِ وَالْجَوُّ بِالنَّقْعِ أَذْهَمُ^(١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِي فَكَمْ مِنْ كِتَابِيَّةٍ نَسِيرُ مِنْهُ حَتْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ^(٢)
وَمِنْ عَاتِقِ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ أَسِيلَةٌ خَدَّ عَنْ قَرِيبٍ سَتْلَطَمُ^(٣)
صُفُوفًا لِلْيَيْثِ فِي لُيُوثِ حُصُونِهَا مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيحُ الْمَقُومُ^(٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفي جر فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وإنما بنينا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » في قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره . وبنيت « مذ » على السكون . لأنه للأصل في البناء ، و« مذ » على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يفتحوا الضم بالضم .

(١) النقع : الغبار ، والأبلىق : ما فيه سواد وياض ؛ الأدهم : الأسود . يقول : يغترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه . يريد سواد الغبار ولعان السيوف والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ « يشق » والراد بالملك الطاعى : ملك الروم . والكتيبة : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحنف : الهلاك يقول : يغترق بلاد الروم إلى الملك الطاعى ، فكلم من كتيبة للروم تعارضه المدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حاتفها (٣) العاتق ؛ الشابة البكر . ونصرانية أى نصرانية ، تأنيث نصران . وخدا سبل ناعم طويل . يقول : كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للمدوح عن سترها . لأنها سبيت . فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الحد ؟

(٤) صفوفا ؛ أى برزت صفوفا ، لأن عاتق . ههنا . فى معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . وللتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكى ؛ الخيل للسنة ؛ والوشيح ؛ شجر

و « ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى اتقى لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع اللوصولات ولا يتغير لفظها . وتماثوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتقصبوا على ؛ وهلمت ؛ جزعت ، ولادعوت ؛ أى ما تاديت أحداً ولا استصرخت ، ولكنى كنت أرد الخصم بقوتى وجلادى . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أى جمعت ، يعنى أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فقلبهم ، وجمع الماء فى الحوض .

تَغِيبُ اللَّيَالِيَ عَنْهُمْ وَفَوَّغَائِبُ
أَجِدْكَ مَا تَنْفَكُ عَانَ تَفُكُهُ عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالُ تَقْسَمُ^(٢)

تتخذ منه الرماح : يقول ؛ برزت هذه العواتق صفوها لهذا المدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد ، وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالحيل والرماح .

(١) يقول : إذا غاب فلم يغزم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجدك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أتجد جدك ومعناه ؛ أجد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكك ، وجملة « عان تفكك » خبر « تفكك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجماع به قاله ابن جنى . وقال العكبرى : وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثى من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائي : لا يجوز وجملة . الكوفيين إذا كان سطره متحركا مناجاة من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل فى يد « يدى » ؛ وفى دم « دمو » بدليل قول بعض العرب فى تثنيته « دموان » وقيل أصله « دى » قال الشاعر .

فلو أننا على جُحْرٍ ذُبِحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ^(١)

(١) قبله ؛

لممرك إننى وأبا زباح على حال التكاسر منذ حين

ليُفَضِّلَني وأبفضله وأيضاً يرانى دونه وأراه دونى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ونسبها لعلى بن بدال

ابن سليم . والتكاسر : يروى التجاور ، والتكاسر الباسطة ، وعلى : بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وبسكون الحاء الشق فى الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين : ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي ؛ معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمي بمنه ودمه بسرة قال المتلمس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ يَدَا لَا تُؤْدِي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ^(١)
 عَلَى مَهْلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرْحِمُ^(٢)
 مَحَلَّكَ مَقْصُودٌ وَشَأْنِيكَ مُنْجَمٌ وَمِثْلَكَ مَقْصُودٌ وَنَيْلَكَ خِضْرَمُ^(٣)
 وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرَّجِي إِذَا عَنْ بَحْرٍ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيْمُمُ^(٤)

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز في مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط كزيد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لا نظير له ؛ بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفاً والثلاثي في غاية الحفظة . قوله : ومال تقسم ، أى تقسمه ، حذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الممزم ، ولكنه لينة للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والفم ؛ أى لا يؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هى عند الله الذى عززت دين رسوله بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الثانى ؛ المنقضى ، وأصله الممزم ، ولكن لينة للضرورة . وللضم ؛ الـاكت القى لا يقدر على النطق ، والنيل : العطاء ؛ والخضرم ؛ الكثير . يقول : محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لا يستطيع أن ينطق فيك بعب لأنه لا يجد لك عيباً يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التحرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تحرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تخط و قال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على جعر لعلم من الشجاع منا من الجبان يجرى دمه وجوده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لا يجرى .

فَمِنْ لَوْ فَدَىَ الْمَلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ^(١)

واجتاز بمكان يعرف بالفراويس من أرض قنشرين فسمع زبير الأسد فقال:

أَجَارِكِ يَا أَسَدَ الْفَرَائِيسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مُهَانَ فَمَسْلَمٌ^(٢)
وَرَأَيْتِي وَقَدْ أَمِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لَيْسَ وَبَيْنَكَ وَمِنْهُمْ^(٣)
فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي حَلًى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَغْلَمُ^(٤)
إِذَا لَأَنَّاكَ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثَرْتِ بِمَا تَقْنَمِينَ وَأَغْنَمُ^(٥)

أن أقصد غيرك من الملوك مع إمكان قصدك حملي هل إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر والملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ، كما قال أبو تمام .

لَيْسْتُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّعِيدِ
هذا ؟ والباء في قوله « وزارك بي » للتعدي . تقول : زرتك بزيد ، وزرتك زيدا ، وأزرت زيدا إليك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل الملوك فداء عن مالكة لم تمت مادام في الأرض مسلم واحد ، لأنهم يفدونك بأنفسهم
(٢) يقول - مخاطبا أسود هذا المكان - : هل يكون من جوارك مكرما عزيزا فتسكن نفسي إلى جوارك ، أو يكون مهانا مخذولا ؟ والفراويس موضع بالشام . وقوله : فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .

(٤) الحلق : اسم من المحالفة ، وهي المعاهدة . يقول : هل لك رغبة في معاهدتي على ما أريده من جوارك . فإنني أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف في كسب الرزق ؟ وهذا كالترغيب لها في جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت في

وقال في لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار :

مَا نَقَلْتُ فِي مَشِيئَةِ قَدَمَا . وَلَا أَشْتَكْتُ مِنْ دَوَارِهَا أَلَمًا^(١)
لَمْ أَرْ شَخْصًا مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْهَا . يَفْعَلُ أَعْمَالَهَا وَمَا عَزَمَا
فَلَا تَكُنْهَا حَتَّى تَوَاقِعِهِمْ^(٢) . أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَيْتُكَ مُبْتَسِمًا^(٣)

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس ، فنزل بأبي الحسين على بن أحمد المرى
الخراساني ، وكان بينهما مودة بطبرية ، فقال يمدحه :

لَا أَفْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ . مُدْرِكٍ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ^(٣)

جوارى أقبل إليك الخير والرزق وكثمت عندك المال ، مما تمنينه أنت من الصيد ،
وأكسبه أنا من المال والفضيلة .

(١) يقول : إنها لا تنقل قدما في مشيتها وإرادتها : يعني لا قصد لها ولا إرادة في
تحركها ، ولا يأخذها في دورانها دوار فتألم به ، لأنه لا شعور لها ولا حس ، ويروى « في
مشية » تصغير مشية .

(٢) تواقعه : أى وقوعها وسقوطها . قال ابن جني : هذا البيت يناقض الأول ،
لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ، ثم جعلها تضطرب لابتسام المدوح ، وليس
بمريب في صناعة الشعر لأنه مبنى على الحال .

(٣) يقول : لا نغر إلا لمن لا يظلم ، لاستنائه وقوته على دفع الظلم ، وهو إمامدرك
ما طلب ، أو محارب لا ينام ولا يفعل حتى يدرك مطلوبه . هذا : وكان الوجه أن يقول
لا افتخار - بفتح الراء - كما يقال : لا رجل في الدار ، وإنما يجوز الرفع مع النفي « لا »
إذا عطف عليه فيرفع وينون ، فيقال : لا رجل في الدار ولا امرأة ، ولكنه أجاز به غير
عطف ، لضرورة الشعر ، أو لأنه جعل « لا » بمعنى « ليس » كبيت الكتاب :

من صدّ عن نيرانه ——— فأنا ابن قيسٍ لا بَرّاحٍ^(١)

(١) من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل
وفرسانها وشعرائها في الجاهلية وأول القصيدة :

يا بُوَيْسَ لِلْحَرْبِ التّي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَحُوا

وبعد البيت :

لَيْسَ عَزَمًا مَا مَرَضَ الْمَرْءُ فِيهِ لَيْسَ هُمَا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ^(١)
وَأَحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبِهِ غِذَاءُ تَضَوَّى بِهِ الْجَسَامُ^(٢)
ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ بِعَيْشٍ رَبٌّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ^(٣)

وجعل « من » نكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال :
مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ما هممت به فى نفسك . يقول : لا يعد عزمًا ما قصر
الإنسان فيه ، إذ العزم على الشيء لا يقصر فيه ، ولا يهدمه ما حال الظلام دون طلبه ،
لأن ذا المهمة لا يحوقه دون إدراك طلبته شيء .

(٢) تضى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى
غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الحبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى
يفضى به إلى التحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتعمى زاول نعمته ،
وإلا كان حسداً . والحمام : اللوت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر .
يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الدليل
فهو ذليل ، لأن اللوت فى المز أخف من العيش فى الدل . قال العكبرى : وهذا من
قول الحكميم : إذا لم تصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، لحياتها موت ، ووجودها
عدم ؛ ومن قول تأبط شرأ :

هَما خُطْبًا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْخُرِّ أَجْدَرُ^(١)

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جِها التَّخْيِيلُ وَالْمِزَاجُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله : فأنا ابن قيس : أى أنا للشهور فى النجدة
كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة « لا أبرح » حال مؤكدة لقوله
أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والأبرح مصدر . برح الشيء من
باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من أبيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شرأ .

أَقُولُ لِلْحَيَّانِ وَقَدْ صَفَرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيُومِي ضَيْقُ الْجَحْرِ مُعَوِّرُ

كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى يَمْنِرُ اقْتِدَارِ حُجَّةٌ لَأَجَى، إِلَيْهَا اللُّثَامُ^(١)
 مَن يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا يُلْجِزُجِ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ^(٢)
 ضَاقَ ذُرْعًا بِأَنْ أَضِيقَ بِهِ دَرْ عَازَمَانِي وَأَسْتَكَرَمَتْنِي الْكِيرَامُ^(٣)

(أراد خطئان ، غدب النون ، طلباً للخفة)

(١) اللثيم ؛ الحسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزاً ، وهو حجة يحتاج بها اللثام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حملاً ، كما قال الآخر
 إِنْ مِنْ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
 (٢) يقول : إذا كان الإنسان هيناً في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كاليت الذي لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موسى بن جابر الحنفي — شاعر إسلامي ادرك بني أمية — .

إذا ما علا المرء رام المُسْلَا ويقنع بالدونِ من كان دونا
 وابن هذا من ذاك ؟

(٣) زماني ؛ فاعل ضاق ؛ والذرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أي ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الذرع وإنما

هُمَا خَطَا « البيت »
 وبعده :

وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنِهَا لَمُورِدُ حَزَمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
 فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلْ عَنْ الصِّفَا بِهِ جَوْجُوْ عَيْلُ وَمَوْتُ مُخَصَّرُ
 نَخَالِطُ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
 فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكْ أَبْيَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقْتَهَا وَفِي تَصْفِيرِ

وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على نابط شراً طريق جبل وجدوه فيه يحنى عسلاً ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو تقتلك ، فكره أن يستأسر وصب مامعه من العسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فعكس الحكاية في هذه الآيات ، وتأمل قوله « وللموت خزيان ينظر » يتجلى لك شعر الشاعر :

وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصٍ قَدَرِ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصٍ الْأُنَامِ^(١)
 أَقْرَارًا أَلَدَّ فَوْقَ شَرَارِ وَمَرَامًا أَبْنَى وَظَلِي يُرَامِ^(٢)
 دُونَ أَنْ يَشْرِقَ الْحِجَارُ وَنَجْدُ وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَاءِ وَالشَّامِ^(٣)
 شَرِقَ الْجَوُّ بِالْقُبَارِ إِذَا سَا رَ عَلَيَّ ابْنُ أَحْمَدَ الْقَنْقَامِ^(٤)
 الْأَدِيبُ الْمُتَهَذَّبُ الْأَصِيدُ الضَّرَبُ بَالِدٌ كَيْ الْجَفْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامِ^(٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله . وذرعاً — في قولهم — ضاق به ذرعاً — نصبوه ، لأنه خرج مفسراً محولاً ، لأنه كان ؛ في الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛ فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعاً » مفسراً ، ومثله ؛ طبت به نفساً وقررت به عينا . يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعاً وإن كثرت ذنوبه وإساءته إلى ، ثم قال : واستكرمتى الكرام . أى وجدنى الكرام كريماً صبوراً على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت كريماً فتمسك به .

(١) الأخص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « في البيت السابق » والثانية عن الضمير المستتر في « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت أحمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أخمصيه . يعنى أنه وإن بلغ هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبارة ابن جني . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ، والأُنَام وقوف تحت إخصى .

(٢) (٤، ٣، ٢) الهزمة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام المطلب ، وبشرق يخص ، والعراقان : العراق العربى والعراق العجمى ، والقنا الرماح والشام : الشام ، وأصله الهزمة ، والق مقام السيد ، يقول ، لا أستلذ « اقرار فوق شرار النار : أى لا أصبر على مقاساة الدل ، ولا أبغى مطلباً مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه يقول . لا أبغى مراماً بالم أذفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصّة بالرياح كما يخص الجو بالغيار عند ركوب هذا المدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت لآبائه — المتنبى — فاغتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها وهذا من حماقته المعروفة ولا بد له في كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبراً . والضرب . الماضى فى الأمور

وَالَّذِي رَبُّبُ دَهْرِهِ مِنْ أَسَارَا ۖ وَمِنْ حَاسِدِي يَدَيْهِ الْفَمَامُ^(١)
يَتَدَاوَى مِنْ كَثَرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالًا سَقَامُ^(٢)
حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَغْدَائِهِ أَقْبَحُ مِنْ ضَنْفِهِ رَأْتُهُ السَّوَامُ^(٣)

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقليل
فلان جعد اليدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم - من
الترى الجعد ، وهو الندى - والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهري : السرو
سخاء في مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى - بالكسر - يسرى سرواً فهما ، وسرو يسرو
سراوة : أى صار سرياً ورجل سري : من قوم أسرياء وسروء كلاهما عن اللحياني ، والسراوة
اسم للجمع ، وليس بجمع عند سيوبه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :

تلقى السرى من الرجال بنفسه وابن السرى إذا سرى أسراها
أى أشرفهما . وقولهم : قوم سراة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فليل
على فصلة . والهام الذى ينفذ ما يهيم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوابه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع
أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء
إلا ما يريد ولا يصيب أحدا إلا بإذنه ، وقد تخرق في الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى
صار الفم - السحاب - حاسدا لهما لقصوره عنهما في البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجودا ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ،
يقول ، كان المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال براء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة
المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلا ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى
هو الإكثار .

(٣) السوام ، للماشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، وهو
في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون ماله الراعى لأنه ينحر إليه للأضياف فهى
تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حبيبٌ إلى كلبٍ الكريمِ مُنَاخُهُ بفيضٍ إلى الكوماء^(١) والكلبُ أبصر

(١) الكوماء ، الناقة الضخمة السنام

لَوْ حَيَّ سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ لَحَمَاكَ الْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ^(١)
وَعَوَارٍ لَوَامِعٌ دِينَهَا الْحِلُّ وَلَكِنْ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ^(٢)
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامُ^(٣)

فقوله في عيون أعدائه ، ظرف لأقبح لا « لحسن » قدمه عليه ، كقولك زيد في الدار أحسن منك . قال ابن جني ، ويمكن أن يكون « في عيون أعدائه » ظرفا لحسن ، فالعنى هو في عيون أعدائه حسن ، إن قيل كيف يكون حسنا في عيون أعدائه وأقبح من ضيفه إذا رآته الإبل لأنه يذبحها للضياف فهي تكرههم ؟ جوابه أن أعداءه يرونه حسن الصورة فيجيب الفعل بهم ، فهم يرونه حسنا وقيحا ، وفي الأول قبيحا لا غير (١) لحماك الإجلال والإعظام ، أى لحماك من الموت إجلال الموت لك وإعظامه إياك فلم يجسر عليك تهيبا . وقال الواحدى . يقول : لو كان سيد محيا من الموت لحماك وحفظك منه إجلال الناس إياك ، وإعظامهم ، أى أنهم يقدونك بنفوسهم من الموت لوقبل انقضاء فكنت لا تموت ؟ قال ، وقال ابن دوست ، لأنهم بها بونك فلا يقدمون عليك ، وليس المعنى في إجلال الناس إياه ما ذكر ، لأنه ليس كل الموت القتل حتى يصح ما ذكره .

(٢) عوار ، عطف على « الإجلال » - في البيت السابق - أى ولحماك سيف وعوار - مجردة - من الأغماد ، ديتها استحلال قتل النفوس ، فهي لا تخرج من شئ ، ولكن زيتها الإحرام أى امرئ كالحرم في الحج ، فإنه يكون عاريا من الثياب .

(٣) يقول : كتب في صحائف المجد بسم الله - وهو افتتاح الكلام - ثم قيس - وهى قبيلة الممدوح - ثم السلام الذى يكتب في أواخر الكتب : يعنى أن بنى قيس قد تفردوا بالمجد ، فلا يقال لغيرهم أهل مجد . هذا ومن قال : بسم - بالرفع - أجرى « الباء » ك بعض حروفها لطول صحبتها الاسم ، كما أنشد الفراء :

فلا والله لا يُبْلَى لِي مَا بِي وَلَا لِلْمُيَاهِنِمْ أَبْدَأُ شِفَاءً^(١)

(١) لاسم بن معبد الوالى ، غاصر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، من قصيدة أولها :

بَكَتْ إِلَى وَحَقِّ لَهَا الْبِكَاءُ وَفَرَقَهَا الْمَظَالِمُ وَالْمَدَاءُ

وكان سبب هذه القصيدة أن مسلما كان غالبا ، فكتبت إليه المصدق - أى عامل الزكاة - وكان رقيق الوالى عريفا فظن مسلم أن رقيقاً هو الذى أغرى المصدق وكان مسلم ابن أخت رقيق ، ابن عمه فقال هذه الأبيات . « انظر خزنة الأدب » ج ٢ ص ٢٦٧ سلفية .

لَأَمَّا مُرَّةُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ سَفِيدٍ جَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ^(١)
لَيْلُهَا صُبْحُهَا مِنَ الدَّارِ وَالْإِصْبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تَمَامُ^(٢)

وأنشد الآخر:

وَكَاتِبٍ قَطَطَ أَفْلَامًا وَخَطَّ بِسْمَاءِ أَلْفًا وَلَا مَا

ومن قال بسم - بالخفض - خفضه بالباء وأدّاد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ما ليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث .

(١) الجمرات : كل قبيل انضموا فصاروا جملاً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نعيم ابن عامر . طفت منهم جمرتان : طفت « ضبة » لأنها حالت الرباب ، وطفت بنو الحرث لأنها حالت مذحج ، وبقيت نعيم لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال - لعبس وضبة ونعيم - : الجمرات ، وأنشد لأبي حية النخري :

لَنَا جَمَرَاتٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا كَرَامٌ وَقَدْ جُرُّنَا كُلَّ التَّجَارِبِ
نَعِيمٌ وَعَبْسٌ يُتَقَى نَفْيَاتُهَا وَضَبَةٌ قَوْمٌ بِأَسْهُمٍ غَيْرُ كَذِبِ
وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وعدتهم ، وقد فضل المتنبي هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لا تشتهيها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لا ذات جمر في الحقيقة فهي جمرات حرب - لا جمرات هب - والنعام تشتهي جمرات النار لفرط برودة في طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلاً ونهاراً فليلهم صبح بضوء النار التي أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يغيرون في النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار وهو معنى حسن ، وقد أخذ الحيص ييص فقال :

نَفَى وَاضِحَ الشَّرِيقِ عَنْ شَمْسِ أَرْضِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ مَجَاجَةٍ قَسَطَلِ
وقوله تمام بكسر التاء . فليل التمام أطول ليالي الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ما جاء ليل التمام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن اللحن تم بدونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هَمَّ بَلَّغْتَكُمْ رُبَّاتٍ قَصُرَتْ عَنْ بُلُغِهَا الْأَوْهَامُ
وَنُفُوسٌ إِذَا أَنْبَرَتْ لِقِتَالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدِ الْأَقْدَامُ^(١)
وَقُلُوبٌ مُوْطِنَاتٌ عَلَى الرُّوْجِ كَانَ أَفْتِحَامَهَا أُسْتِسْلَامُ^(٢)
قَائِدُو كُلِّ شَطْبَةٍ وَحِصَانٍ قَذَّبَرَاهَا الْأَسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ^(٣)
يَتَعَثَّرْنَ بِالرَّهْمِ كَمَا مَرَّ بَنَاتٍ نَطَقْنَهُ التَّمْتَامُ^(٤)
طَالَ غَشْيَانُكَ الْكَرَاهَةِ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْخُسَامُ^(٥)

(١) الانبراء التعرض للشيء ، ونفد الشيء : نفى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لا تزال مقدمة في الحرب حتى تنفى وإقدامها باقى على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفاذها قبل نفاذ إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيمنون وإقدامهم باقى ؛ ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقى هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشيء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلت له ، قال كثير :

فَقَلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وأراد بالروع : الحرب . والافتحام : الدخول في الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم في الحرب طلب للسلم لاسترسالهم وانبساطهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراه : هزلها وأنحلها . وأراد براهها : أى الشطبة والحصان ، فاكثنى بضمير الأول ، كافى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

(٤) يتعثرن : أى الخيل ؛ والتمتاء ، الذى يتردد لسانه بالناء . يقول : إن خيلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتاء بالناء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخيل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرَاهَةُ : جمع الكَرْهِيَّة ، والكَرْهِيَّة من أسماء الحرب - فعيلة فى معنى مفعولة - . والحسام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة

وَكَفَّنْتَ الصَّفَائِحُ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَّنْتَ الصَّفَائِحَ الْأَقْلَامُ^(١)
وَكَفَّنْتَ التَّجَارِبُ الْفِكَرَ حَتَّى قَدْ كَفَّاكَ التَّجَارِبَ الْإِلَهَامُ^(٢)
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرِازِكَ لِلْفَخْرِ بِقَتْلِ مُعْجَلٍ لَا يُلَامُ^(٣)
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْرُ عَلَيْهِ لِقَفْرِهِ إِنْغَامُ^(٤)
خَيْرُ أَعْضَائِنَا الرُّمُوسُ وَلَكِنْ فَضَّلْتَهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامُ^(٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجعل ذلك الانتلال كالقول من السيف .

(١) الصفائح . السيوف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتاج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفنتك الأقلام السيوف لما استقرت لك من الهيبة في القلوب ، وقال ابن دوست . كفنتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنت عنهم ولم تحتاج إليهم ؛ قال الواحدي : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يعملها ليحصل له الهيبة وهي بمجرد لا تكفيه الناس . والناس : يروى البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفت حق لا تحتاج إلى التفكير فيها ، ثم صار الصواب ديدنك حتى صرت لا نلهم سواء ، فكفأك إلهام الله التجارب قال العكبري . وهذا وما قبله من قول البحري .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا
وَيَوْذُ الْأَعْدَاءِ لَوْ تَضَعُ الْجِدْ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الْأَرَاءَ

(٣) البراز . البارزة ، وهي أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذي يجعل نفسه قريباً لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك نفراً عظيماً ، فإذا قتله كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذي ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك . أي دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه ، لأنه كان سبباً لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذي هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرءوس ، لأنها كانت آلة للشيء إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْدِ أَزْدِحَامٍ وَلِلْعَطَايَا أَزْدِحَامٍ^(١)
خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي فِي هَيْبَتِكَ الْأَقْوَامِ^(٢)
وَمِنْ الرَّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى الْقُرْبِ ب ، عَلَى الْبُعْدِ يُعْرِفُ الْإِلْتِمَامِ^(٣)
وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْنُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعَ السُّحْبِ فِي السَّيْرِ الْجَهَامِ^(٤)
قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرِ بِنِظَامٍ وَدُهَا أَنْهَكَ بَيْنَكَ كَلَامِ^(٥)
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنَاهَاهَا لَمْ تَجْزُ بِكَ الْأَيَّامِ^(٦)

وإن الفِتْخَامَ التي حَوَّلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْوُسُ

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول :
لم آتتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطايك ، وتمة المعنى في البيت
التالي .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهي خوفه أن تأخذه الوفود في جملة هيباته . وهذا
إغراق في وصف كثرة عطايه حتى يخاف شاعره وزأره أن يجعله من جملة تلك الهبات
وهذا كقول البحترى :

وَمِنْ لَوْ تَرَى فِي مِلْكِهِ عُدْتَ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرْجِيهِ مُقْتَرٍ
(٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعد . والإلتمام : الزيارة .
يقول : من إصابة الرعد أفي لم أزرك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا
كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسيب : العطاء ، والجهام : السحاب
الذي لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عني - أي تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتي
إليك - يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما - لاماء
فيه - أما ما يكون فيه الماء فإنه يكون ثقيل الذي :

(٥) النظام : خيط المقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر للتصيد مما بعده . يقول
- للمدوح - قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتعنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نطقك
وانتظام كلماتك .

(٦) لم تجز : لم تمر . يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيته عن المرور
بك لم يمر : أي لو أمرته أن يقف لوقف .

حَسْبُكَ اللَّهُ مَا تَضِلُّ عَنْ الْحَقِّ وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أَثَامٌ^(١)
لَمْ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْرِ الدُّنْيَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامٌ^(٢)
كَمْ حَبِيبٌ لَا عُذْرَ فِي الْيَوْمِ فِيهِ لَكَ فِيهِ مِنَ الثَّقَى لُؤَامٌ^(٣)
رَفَعَتْ قَدْرَكَ الزَّاهَةُ عَنْهُ وَثَنَتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِي الْجِسَامُ^(٤)
إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيضِ هَذَا لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامٌ^(٥)

(١) الأثام — كلام — جزاء الإثم ، قال تعالى « يلق أئاما » وهو هنا الإثم يقول : كافيك الله ، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة ، فأنت مع الحق لا تضل عنه ، ولا يجد الإثم سبيلا إليك ؛ لأنك لا تأتى ما تأثم به لعصاة الله إليك .

(٢) الدنيا . النقاىس . و « أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى — : يعنى ما بالك لا تحذر عاقبة شيء سوى الدنيا ؛ أما عليك شيء محرم تتق عاقبته ؟ وكأن هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق ، يعنى أن المحرمات معروفة عنه بعصاة الله له ، فلا يتبها له إتيانها ، فلم يبق عليه ما يخشى عاقبته إلا الدنيا وروى غيره : وما عليك حرام ، بأوالعاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنيا » أى ما هو حرام ، قال الواحدى : يعنى أنه يقدم على المهلاك وكل شيء ، لا يتفكر فى عاقبة شيء إلا ما كان من دينية أو شيء حرام فإنه لا يقدم عليه ، يريد لم تفعل ذلك ؟ قال اليازجى : وهذا يصح لولا هذا الاستفهام ، وإلا فهو تعجب فى غير محله ، وحاصله الإنكار لا للدخ ، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع . لم تلق نفسك فى المهلاك ؟ أو ماتظن أن ذلك حرام ؟ يشير إلى شجاعته ، وعجاجة ابن جنى — الذى روى « أما عليك حرام ؟ » . يعنى لإفراطك فى تولى الدنيا صار كأنه لأحرام عليك غيرها . يعنى أنه لا يفكر فى عاقبة شيء سوى الدنيا ، فكأنه لم يحرم عليه شيء .

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته . يقول . كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لوواصلته ، اسكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله ، فكأنك قد أقت عليك من التقوى لوأما يلومونك فيها لا يوافق مقتضاها وقدأ كد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول . زاهتك وتباعذك عن الآثام رفعا قدرك عن مواصلته ، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التى تسمى فيها .

(٥) القريض . الشعر ، من قرض الشعر . إذا قطعة ، كأن المرء يقطعه من فكره ، (١٥ — التنى ٤)

مِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاءَةَ وَالْفَضْلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامُ^(١)

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأنه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا^(٢) (١)

والتقريض : صناعة التقريض ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض . النقص ؛ والقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ، قاله للمنذر حين أراد قتله في يوم يؤسه فقال له : أنشدني من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهري . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قريض ، قال ابن بري . وقد فرق الأغلب المعجلى بين الرجز والقريض بقوله .

أَرْجَزًا تُرِيدُ أَمْ قَرِيضًا كَلِمَةً أَجِيدُ مُسْتَرِيضًا

« مستريضاً أى واسعاً ممكننا من استراض المكان أى فسح واتسع » وهذى يهذى هذاء وهذيانا : إذا قال قولاً لا طائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكمة » أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراءة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله ما يجلب : أى ما يجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط في مرضه . (٢) الأحداث : نوب الدهر ومصائبه . والبطش : الأخذ بغبلة وقوة . يقول : لا أحداث ، الحوادث السارة ولا أذى الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذنتنا لم يكن ذلك جهلاً منها ، وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حِلْمًا يعنى أن الفعل في جميع ذلك ليس لها ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة وعجازاً .

- (٢) إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِى كَأَزَمَى (١)
 (٣) لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةٌ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا (٢)
 (٤) أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمِثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا (٣)

(١) أبدى : هو أبدى : أى أبداه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشيء : نقص . وأرمى : أرمى وزاد . يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حالته الأولى كما أبدى . وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لا ذنب للحوادث حتى أدمها أو أحمدها . هذا : وأكرى - كما أنه بمعنى زاد - أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نقد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذَى زَادِ مَتَى مَا يُكْرِ مِنْهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزَادٍ
 وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَاكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَمَنْ أَهْلُهَا تُكْرِى
 « قسمت : عمت في القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فمن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله : دعاء لها ؛ و« من » - من مفعوعة - : زائدة ، ومفعوعة ، في موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفعوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق بما يلحق بها عيباً ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التي شربت بها : كأس الموت . ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب - لأجل مقامها في التراب - التراب وما ضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون في التراب . وجه التراب : يجوز أن يكون جبا لدفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كئوس وأكؤس . وكئاس ، قال أهل اللغة : الكئاس الزجاجة ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر نهى قدح ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين » بيضاء لذة للشاربين « وقال ية ابن أبي الصلت :

مَا رَغِبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْمِي قَلِيلًا فَاَلْمُوتُ لَأَحْمِيهَا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كِلَانَا كُلَّ صَاحِبِهِ قَدِمًا^(١)
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ مَضَى بِلَدٍ بَاقٍ أَجَدْتُ لَهُ صَرَمًا^(٢)

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأَنَّ وَالْمَرَّةَ ذَاتِهَا^(١)
(١) الشكل : القعد . وقدا : قديما . يقول : كنت أبكى عليها في حياتها
خوفا من فقدها ، وصرب الدهر من ضرباته وفرق بيننا وتغربت عنها فذاق كل
واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت : قالوا : وفي المصراع الأول انظر إلى بيت
الحماسة :

فِي بَيْتِ إِنْ نَأَوَّا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ^(٢)

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب
كما قتلها هجرى لقتل بلدها أيضا : يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى
أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح
وقد نفى في هذا البيت ما أثبتته في قوله :

لَا تَحْسَبُوا رِبْعَكُمْ وَلَا طَلَّاهُ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهُ

(١) قال ابن بري : عبطة : أى شابا في طرأته ، وانتصب على الصدر : أى موت
عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتما على الحال : أى ذا عبطة وذاهرم
فحذف المضاف أيضاً ، وأقام المضاف إليه مقامه .
(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقَّ مِنْ حَبَّةٍ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الذَّاقِ
تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِأَشْيَاقِ
فِي بَيْتِ [البيت]

وبعده :

فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَاسُلِ وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

(٧) عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا
فَلَمَّا دَهَنَتِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا^(١)
(٨) مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
تَغَدَّى وَتَرَوَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ^(٢)
(٩) أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتْ بِهَا غَمًّا^(٣)
(١٠) حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَ بِهِ بَعْدَهَا سُمًّا^(٤)

(١) بقول : كنت عالماً بالليالي وتفريقها بين الأحبة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهنتني هذه المصيبة لم تزدني بها علماً ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها . ومن قول أبي تمام :

حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له في ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير في « منافعها » للمريئة : يعني أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثاني تفسيراً للمصراع الأول فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع وتظمأ ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وربها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير في « منافعها » لليالي والأحداث : يعني أن منافع الليالي في مضره غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ربها وشبعها في جوعنا وظمئنا قال : ويزوي : نجوع ونظمأ ، بالنون على ما ذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظمأ بالتاء خبراً عن الليالي ، والمعنى غذاؤها وربها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لا تروى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر في نفع غيرها » ما أثر في نفع غيرها بالضرر كأنه قال : منافعها في ضر غيرها .

(٣) الترحه : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن — يقول : اعتد حزني عليها فكأنني مت بها غمًا ، وماتت هي من شدة سرورها بحياتي بعد إياسها مني .

(٤) يقول : السرور حرام على فإنني بعد موتها بالسرور أعدده مما فأجنبه وأحرمه على نفسى .

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِيٍّ وَلَفِطِيٍّ كَأَنَّهَا تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةً عُصْمًا^(١)
وَتَلْتَمِهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأُنْيَابَهَا سَحَابًا^(٢)
رَقًا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُجِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى^(٣)
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَلَانَمَا أَشَدُّ مِنَ السَّقَمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّنْمَا^(٤)

(١) تعجب - بحذف إحدى التاءين - أى تعجب ، والباء من قوله « بحروف » للتجريد . والأغربة : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه بياض والغراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تعجب من كتابى - عند رؤيته - حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكرثت النظر شغفاً به لا عجباً حقيقياً ، قال ابن جني : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب الأعصم .

(٢) المهاجر : ما حول العينين . وسحبا : سودا . يقول : لم تزل تقبل كتابى وتضعه على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودا بعداده - حبره - هذا : ويقال ثم فاها - بالكسر - إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة - وقيل لجبل بن معمر :

قالت وعيش أبى وحرمة إخوتى لَا نَبْنَئُ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
نَفَرَجْتُ خِيفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمتْ فَعَلْتُ أَنْ يَمِينَهَا لَمْ تُخْرَجْ
فَلْتَمْتُ فَاهَا آخِذَا بِقُرُونِهَا شَرِبَ النَّزِيفُ بِيْرِدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ^(١)
(٢) رقا الدمع والدم : انقطع ، فأصله الهمز ؛ ولكنه لينه هنا للضرورة يقول : لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وسليت عني بعدما أدمى حبي قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلبها عني إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً

(١) النزيف : المحموم الذى منع من الماء ، ونصب « شرب » على المصدر المشبه به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب النزيف للماء البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافياً رقيقاً ، والحشرج : كوز صغير لطيف .

(١٥) طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَقَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدَّرَضِيَّتْ بِي لَوَرَضِيَّتْ بِهَا قِسْمًا^(١)
 (١٦) فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
 (١٧) وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعْيَ وَالْقَنَا الصُّمًّا^(٢)
 وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
 فَقَدْ صَارَتْ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْمُعْطَى^(٣)

على ، ولكن الذي أذهب ذلك السم كان أهد عليها من السم ، كما قال أبو تمام :

أقولُ وقد قالوا استراح بموتها
 مِن الْكَرْبِ رُوحَ الْمَوْتِ شَرًّا مِنَ الْكَرْبِ
 ومثله له :

أجازرك المَكْرُوهُ مِنْ مثله فَاقِرَةٌ نَجَّتْكَ مِنْ فَاقِرَةٍ^(١)
 (١) يقول : إنما سافرت وفارقتها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتني هي بموتها وفاتني ذلك الحظ لأنني لم أدركه وكانت قد رضيت بي حظا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظا لي

(٢) أستسقي : طلب السقيا ، والغمام : السحاب . والوعْي : الحرب ، والقنا : الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقي الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقي السحاب قبرا فأقول : سقى الله قبرها - على عادة العرب في الدعاء للقبور بسقيا السماء - يعني تركت الحرب وجدأ بها واشتغلت بالدعاء لها : قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وَبِرَغْمِي أَصْبَحْتُ أَمْنَحُكَ الْوَدَّ وَأُهْدِي إِلَيْكَ صَوْبَ الْغَمَامِ
 (٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعني أن موتها أعظم من فراقها .

(١) الفاقرة : الداهية الكاسرة لفقار الظهر .

هَيِّبِي أَخَذْتُ الثَّارَ فِيكَ مِنَ الْعِدَا

(١٨)

فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فِيكَ مِنَ الْحَمَى^(١)

وَمَا أُنْسَدَتِ الدُّنْيَا عَلَى لِيْضِيْقِهِمَا وَلَكِنْ طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى^(٢)

(١٩)

قَوَا أَسَفًا أَنْ لَا أَكِبُّ مُقَبَّلًا لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مِلْنَا حَزَمًا^(٣)

(٢٠)

(١) يقول : اجعليني واحسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلك فكيف أخذ ثأرك من العلة التي قتلتك ، وهي العدو الذي لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

وَلَمْ يُفْنِ عَنْكَ الْمَوْتَ يَا حَزَمَ إِذْ أَنَى رِجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ سِيُوفٌ قَوَّاضِبٌ^(١)
واحسن فيه أبو الحسن التهامي :

لَوْ كُنْتُ تَمْنَعُ خَاضِ نَحْوِكَ فِتْنَةً مِنَّا بِحَارَ عَوَامِلٍ وَشِيفَارٍ^(٢)
(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « قوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشيء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . والذى : أراد الذين ، حذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هى لفة فى تثنية « اللذ » وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أَبْنَى كَلْبِيبٍ إِنَّ عَمَى اللَّذَا كَسَرَ الْقِيُودَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ^(٣)
وقول الأشهب بن ربيعة - شاعر غنضم أدرك الجاهلية والإسلام :

وَأَنَّ الَّذِي حَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمُ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(٤)

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواضب : قواطع :

(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح نفسها ، والشفار : جمع شفرة والشفرة ماعرض من الحديد وحدد ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بنى كلب ، بمن اشتهر من بنى تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبى حنص عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل للراير يوم الكلاب الأول .

(٤) بعده :

هُوَ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يُتَقَى بِهِ وَمَا ضَرَّكَ كَفَّ لَا يَنْوُءُ بِسَاعِدٍ
وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .

وَأَنْ لَا أَلَا فِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي (٢١)
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ (٢٢)
لَكُنْ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمِهَا (٢٣)
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَفْظًا غَيْرَ نَفْسِهِ (٢٤)
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ (٢٥)
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ (٢٦)

كَأَنَّ ذَكَرِي الْمُسْكُ كَانَ لَهُ جِسْمًا (١)
لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمَ كَوْنُكَ لِي أُمًّا (٢)
فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا (٣)
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِنَالِقِهِ حُكْمًا (٤)
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَتِهِ طَفْمًا (٥)
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسَمَّى (٦)

يقول : ما أشد حزني أن لا أكب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملأنا حزامه وعقلا . يتأسف لغيته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها .

(١) يقول : ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كان جسمه أى - جسم ذلك الروح - من المسك الذكى الشديد الرائحة .

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد لكنت ولادتك إياى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قيل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . ويومها : أى يوم موتها . ومنى تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى ياصقها بالرغام - التراب - أى يذلهم ويقهرهم .

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تغرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربة لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يغادر الدين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعام شئ إلا طعام المسكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمسكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشراح : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وقال العكبرى . «ما» واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شئ أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شئ أنت فإننا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم : إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

كَأَنَّ بَيْنَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنِّي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتِيمَا^(١)
وَمَا أَلْجَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْفَارِ فِي يَدَيَّ بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْعَلَ الْجَدَّ وَالْقَهْمَا^(٢)
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْقَشْمَا^(٣)
وَجَاهِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدُ الْبَطْلَانِ الْقَرْمَا^(٤)
إِذَا قُلَّ عَزْمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدِهِ فَأَبْعُدْ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزْمَا^(٥)

(٢٦)

(٢٨)

(٢٩)

(٣٠)

(٣١)

(١) اليتيماء : مفعول للجلوب ، والضمير في « معادنه » لليتيم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتيم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أى فهم لذلك يغضوننى .

(٢) الجد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أى فيها لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدوى :

إِنَّ الْمَقْدَمَ فِي حَذَقٍ بِصَنَعَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ

وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أى بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكننى إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم فى كل حال ؛ يعنى أظلم أعدائى بسيفى .

(٤) القرم فى الأصل : البعير الذى لا يحمل عليه وإنما يعد للفعلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحيى أعدائى يوم الحرب بسيفى : أى أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وَحِيلَ قَدْ دَلَّتُ لَهَا بِحِيلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعٌ^(١)

(٥) قل : يروى بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وقل السيف : ثلثه ، استعاره للعزم على تشبيهه بالسيف ،

(١) المراد بالهيل : الفرسان ؛ ودلت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا

مشى مشيا لنا — وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف . ووجيع بمعنى موجه ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .

وَأَمَّا لِمَنِ قَوْمٌ كَانَ نَفُوسًا
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ^(١)
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَاهِيهَا قُدَمَا^(٢)
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَ^(٣)

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة ، فصار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فدحه بهذه القصيدة :

والمدى: الغاية. وأبعد شيء : مبتدأ، خبره : يمكن. يقول: إذا أضعف عزمي عن غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا ينال أيضا إذا لم يكن لدى طالبه عزم : يعني لا يدرك شيء ألبته إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ، فأعزم أيضا على البعيد لتناوله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف : الاستكفاف من الشيء . يقول : إني من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا ، فكان نفوسنا ترى السكنى في أجساد هي لحم وعظم عارا تأنف منه ، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار : أى تختار القتل على الحياة . قال الواحدى ولو قال : كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ القبية ، لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولأن هذا أمدح .

(٢) الكراهة : جمع كراهية ، فيلة بمعنى مفعولة . يقول — للدنيا — : أنا كما وصفت نفسى لا أقبل ضيا ولا أسف لدنية فاذهبي عني إن شئت فليست أبالي بك؛ ويأنفس زيدى قدما — أى تقدما — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها . قال الواحدى : وإن شئت قلت فى كراهيها — أى فى كراه أهلها — يعنى زيدى قدما فى الحروب ، وهى — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب الكراهية ، فيكون الكلام من باب حذف للضاف .

(٣) يقول : لا مرت بي ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتنى نفس تقل أن يظلمها أحد .

أَنَا لَا أَيْمَى إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ ^(١)
 وَلَسِكُنِّي بِمَا شَدَّهْتُ مُتَيْمٌ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِأَيْحٍ مِثْلُ كَانِمِ ^(٢)
 وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجْدٍ قُلُوبِنَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ ^(٣)
 وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطَى تَرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أَسْتَشْفِي بِلْتَمِ الْمَنَاسِمِ ^(٤)

(١) أنا لا أَيْمَى : أى أنا لائِمٌ نفسى إن كنت الخ . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف . وقوله : رتت اللوائِم : أى وقت لوم اللوائِم . وللعالم أى معالم ديار الأُحبة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والحيام . يذكر وقوفه على ديار الأُحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائِم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لا أَيْمَى : أى فأنا لا أَيْم نفسى فى قصور محبى ، لأن ثبات علمى وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتعالمهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لا متنى اللوائِم على فرط جزعى وبكائى علمت بما عرأنى من ذلك فأنا لائِمٌ نفسى على تهتكى واستسلامى للوجد والعبء ، يذكر وقوفه فى ديار الأُحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انتهكت ستره ولم يعلم .

(٢) شدة الرجل - كدهش - فهو مشدوه : إذا تحير ، ويروى : بما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، وللتيم : الذى تيجع الحب - أى عبده وذله - يقول : ولكننى من فرط دهشنى ذهلت عن إدراك ما خاضعنى من الوجد ، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على السكمان ، وعبرة الواحدى : ولكننى من فرط دهشنى وذهولى حتى كأننى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالسكتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل . يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائِم إبلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٤) المناسم : جمع المنسم ، وهو الخنف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك العالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بِلْتَم - تقبيل - أخفافها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

دِيَارُ الْوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِطُولِ الْقَنَاءِ يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّائِمِ
حِسَانُ التَّنْقِي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلَهُ إِذَا مِسْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ النَّوَائِمِ (٢)
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقْلَدْنَ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِالنَّوَائِمِ (٣)
فَمَالِي وَلِلدُّنْيَا طِلَابِي نُجُومُهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ (٤)

أَمْسَحُ الرَّبْعَ بِخَدِّي أَنْ مَشَى فِيهِ الْخَلِيلُ

(١) القنا : الرماح . والتائم : جمع تيمة ، العودة . يقول : ديارهن منبعا لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرمح لا بالعود .

(٢) الوشي : النقش في الثوب وهي الثياب المنقوشة . و« مسن » تبخرن . يقول : لعمري أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخترات ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته ، كما قال السري الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الْوَشْيِ نَعْمَةً فَإِذَا صَافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَاهَا
وفي مثل هذا يقول الآخر :

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ نَمْلَةٌ مُنْقَلَةً أَرْجُلُهَا بِالْحَرِيرِ
لَأَثَرَتْ فِيهِ كَمَا أَثَرَتْ مُدَامَةً فِي عَارِضٍ مُسْتَدِيرِ

« العارض : الخد »

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام التي فوق الصدر . والباسم : جمع البسم ، الثغر . يقول : إن ثغورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي تقلدنه ، فكان تراقيهن حليت بشغورهن ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

تِلْكَ الثَّنَائِيَا مِنْ عِقْدِهَا نُظِمَتْ أَمْ نُظِمَ الْعِقْدُ مِنْ ثَنَائِيَا

(٤) طلابي : أي مطلوبي ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأرقام : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسمعه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالي وللدنيا أطلب معالي الأمور وأنا مرتبك في نوائها وخطوبها ؟ يعني أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالي وهي تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكفى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشدوق الأرقام عن الخطوب المهلكة والنوائب المفضلة .

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
 إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ ^(١)
 وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
 فَتَشْقَى إِذَا لَمْ يُسَقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ ^(٢)
 وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
 وَبِالنَّاسِ رَوَى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمِ ^(٣)
 فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ
 وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمْ بَأْسِمِ ^(٤)

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل : هنا - نقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة - بكسر اللام - وهي الظلم . يقول : إذا كان حلمك داعياً إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلماً ، كما قال النابغة الجعدي :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا
 وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكميم :
 ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ولدك ، وزوجتك ، وعبدك ؛ فسبب صلاحهم التعدي عليهم .
 (٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد للماء الذي كثر القتل عليه حتى
 امتزج بدماء للقتولين عليه . يعني أن زاحم على الأمر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى .
 من المحلم أن زاحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار
 نصفه من دم القتلى ، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا المهجوم الذي يزاحم
 الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مَنْ قَلِبَ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ
 (٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة - كعمر فق أنا بهم - قتلهم غير
 راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه ، فإذا قتلهم - والحالة هذه - فلا
 إنم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو
 مغزى قوله : « الردى الجارى عليهم » .

إِذَا صَلُّتُمْ لَمْ أَنْزُكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ وَإِنْ قُلْتُمْ لَمْ أَنْزُكْ مَقَالاً لِعَالِمٍ (١)
وَلَا فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقَفَنِي عَنْ ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ ضَعْفُ الْقَزَائِمِ (٢)
عَنِ الْمُقْتَنَى بَذَلَ التَّلَادِ تِلَادَهُ وَتُجْتَنَّبُ الْبُخْلُ أَجْقِنَابُ الْحَارِمِ (٣)
تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عَفَاتِهِ وَتَحْسُدُ كَفَيْهِ نِقَالُ الْغَنَائِمِ (٤)
وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمُهْجَةٍ مُعْظَمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعِظَائِمِ (٥)

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية في الشجاعة والعلم ، فلإذا صال أو قال أو في طي الغاية وكفى غيره ، وكان المقدم الذي لا يجارى ولا يشق له غبار .
(٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وفيت لي القوافي - أى الشعر - حتى أعجز عن نظمها ، وضعفت عزيمتى فى قصد المدح حتى يعوقنى عنه ضعف عزيمتى : أى فلا أصل بقعودى عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إنضاله كاللقوبة لى على ذلك .

(٣) التلاد والتلبد : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريف . يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التلاد كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبرة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام ما يقتنيه ؛ يعنى أنه يلزم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبرة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلاداً له يهب التلاد ويجعل بذله تلاداً له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى - بحذف إحدى التاءين - أى تمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والغنائم : السحائب ، وأراد بكونها ثقالا : أن ماءها كثير . يقول : إن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاة منه ، لأن عفاة منه فى أمان من نوايب الدهر ، وهذا أقصى ما يتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاة يغيرون على أمواله ويترقبون فى نعاثه ، وهذا ما يتمناه أعداؤه ، ثم قال : إن السحاب الثقيل بالماء يحسد كفيه ، لأنها أندى منه ، فلهذا يحسدهما لعجزه عن إدراكها .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنيا لا تسف لأمر دنى ، وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لا تسفى إلا بمثله .

وَذِي لَبِّ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُشَارُ بِسَالِمٍ^(١)
تَمَرُهُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ^(٢)
إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ^(٣)

(١) وذى لب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لب الخ .
واللبب : اختلاط الأصوات . والشار : الذى أثاره الخوف من مكمنه . قال ابن فورجه :
المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصحبه الفهود والبزاة والكلاب ، فلا الطائر
يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « النثار » ، فإن الجيش الكثير يشتر
ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الربيع :

بِجَيْشٍ لُهُامٍ يَشْمَلُ الْأَرْضَ جَمْعُهُ عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدْنَ مَنَازِلًا
وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ، وأن
ثار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايه :

* ثِقَّةٌ بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه - ناقداً - : صيد الطير بالنبل والسهم مستمر
معتاد ، فلم ينسبه إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب
جيش المدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة
غبارها أو من كثرة عقباتها التى تخيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضوؤها إليه إلا من خلال
ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة - بضم الفاء - الحلل بين الشيتين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى
التفصى من الهم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُنْ شَفُّ عَمَاوُهَا بَغَيْرِ احْتِيَالٍ
رُبَّمَا تَكْرَهُ الثُّفُوسُ مِنْ الْأَمْرِ مِرْلَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ
والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة
الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَأَلْتَقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفَرُّ مِنَ الْبَنَانِ
يريد هنا أنه لكثرة اشتبائك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من
منافذ ضيقة فيقع مستديراً .

- وَيَخْنِي عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ^(١) مِّنَ اللَّعْنِ فِي حَافَاتِهِ وَالْهَمَامِ^(٢)
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَرْقَةٍ^(٣) ضِرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَاغِمِ^(٤)
وَطَمَنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ^(٥) عَرَفْنَ الرَّدَيْنِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَاصِمِ^(٦)
جَمَعَهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
سُيُوفُ بَنِي طَنْجِجِ بْنِ جُفِّ الْقَمَاقِمِ^(٧)
هُمْ الْمُخْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوُغَى وَأَخْسَنُ مِنْهُ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٨)

(١) حافات: جوانبه . والهمام : جمع هممة . وهو صوت يتردد في الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما في ذلك الجيش من برق الأسلحة ولعائها يخنق عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لغلبة ضوئها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدها يخفي عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر المعروف ؛ وبرقة : قرية في العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع عاربة بالسيف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشي فوق جماجم القتلى .

(٣) طمن : عطف على « ضرابا » . والطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم المدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أي في طفولتهم .

(٤) الضمير في « جمته » : عائد على « ما بين الفرات وبرقة » . وطنجج بن جف : جد المدوح — قال ابن جني : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطنجج — في الأصل — بضم النين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمي اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقاقم : جمع ققام ، وهو السيد العظيم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قاقم » . ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حامي على الأعداء فلا يهومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طنجج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجلولان في الحرب ، وحومة كل شيء معظمه والوغى : الحرب . يقول : إنهم يكرون في الحرب على أعدائهم ، وكذلك يعددون

وَمُحْسِنُونَ الْعَفْوِ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ وَيَحْتَمِلُونَ الْفُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ^(١)
 حَيِّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نَزَالِهِمْ أَقْلٌ حَيَاءً مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ^(٢)
 وَلَوْلَا اخْتِفَارُ الْأُسْدِ شَبَهَتْهَا بِهِمْ وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ^(٣)
 سَرَى النُّومُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي صَنَائِئُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمٍ^(٤)
 إِلَى مُطْلِقِ الْأَسْرَى وَتُخْتَرِمُ الْعِدَا
 وَمُشْكِي ذَوِي الشُّكْوَى وَرَغْمِ الْمُرَاغِمِ^(٥)

في للكارم فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة .

(١) الفرم : ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أي لزمه ما يفرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف ، والصوارم السيوف القواطع : يقول هم حيون إلا في وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلينون لأقراهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِهِ حَيًّا وَصَدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِهِ وَقَاجِ
 (٣) قال العكبري يقول: الأسد - وهي جمع أسد - معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليلا . والصنائع : جمع صنعة ، وهي للعروف . يقول: ذهب النوم عني في مسيرى إليه - الممدوح - وهو الذي تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده . فضلا عما يقصده . هذا : ويقال : سريت سري ومسرى وأسريت - بمعنى - إذا سرت ليلا ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً ، قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النُّصَيْرَةِ رَبَّةَ الْخِذْرِ أَسْرَتْ لِيْلِكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي
 (٥) اخترمهم الدهر : أهلكهم واستأصلهم . ومشكى - من أشكيت الرجل : إذا

- كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمْ مَاجِفٌ مِّنْ زَادٍ قَادِمٍ^(١)
وَكَاذَ سُرُورِي لَا يَنِي بِنَدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمْرِي الْمُتَقَادِمِ^(٢)
وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً بِهَا عَلَوِيَّ جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ^(٣)
بَلَى اللَّهُ حُسَادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ وَأَجَلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَامِمِ^(٤)
فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْفَلَاحِمِ^(٥)

أزلت شكواه - والهمزة فيه للسلب ، مثلها في قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه - أى أرضيته - والرغم : القهر والإذلال ؛ والمراغم : اللغاضب ؛ والمراغمة : اللغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتعمد عليهم وعاداهم . يقول : إنه بمن على الأسرى فيطلقهم من الإسار ، ويختطف الأعداء في الحرب بسيوفه وأسننته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم - يذل - المراغم : أى الذى راغمه وبغاضبه .

(١) يقول : نفضت الناس لما بلغت نفص القادم حثالة زاده لاستغفائة عنها بعد القدوم وكذلك أنا : استغنيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا ينى بذلك الندم . قالوا : وهذا الملقى مثل قول أبى فراس :

أَيَّامُ عَزْمِي وَنَفَازِ أَمْرِي هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمْرِي
(٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية ، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم أنا فى وعيد الأعداء « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » . وجمله « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدعى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعهم فوقهم حتى يكون منهم مكان عمامهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت ، لأنهم يعيشون فى ذلة وخوف كما بين ذلك فى البيت التالى .

(٥) الغلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع النأتى فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والحنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم سوتا يتجدد على مر الاخطات .

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تَقَاوِمِ^(١)

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالاً :

حَيِّتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدَى الْمُقْسِمَ أَمْسَى الْأَنَامُ لَهُ مُجَلًّا مُنْظَمًا^(٢)
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الْأَحْرَمًا^(٣)

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرم في الليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلَمِنْ ذَا الْحَدِيثِ وَالْإِعْلَامُ
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَحِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْقَمَامُ^(٤)

* * *

(١) جاودنى : غالبنى فى الجود لجودته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا تعريض بالذين يبارون المدوح فى الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان الذى تباريه فى الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والظلبة له عليك ، وكأنك لم تقاومه فى الحرب ، لأن من غلبك فى الحرب لم تنفعك محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم - أى حساده - إياه - المدوح - لا تنفعهم إذ كانت للظلبة له .

(٢) الخطاب فى « حيت » : للقسم ؛ ومن قسم : فى محل نصب على التمييز « من » زائدة . وقوله أمسى الأنام له : فى موضع الحال من اللقسم ؛ ولك أن تجعلها فى موضع خفض على الصفة للقسم ، فيكون الضمير فى « له » عائدا على القسم ، لا للقسم .

(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرَمَ .

(٤) هم : ما بهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخور والحجر أمه :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْنَحْ بِمَا دُونَ الْجُومِ^(١)
فَطَّعْ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَّعِ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ^(٢)
سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمَهْرِي صَفَّاحُ دَمْعِهَا مَاءُ الْجُسُومِ^(٣)
قَرَبْنِ النَّارِ ثُمَّ نَشَانِ فِيهَا كَمَا نَشَأُ الْعَذَارَى فِي النِّعَمِ^(٤)

(١) الغامرة : الدخول في المهالك ؛ والغمرات : الشدائد . وفي شرف : أى في طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تفنح بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طعم الموت في الأمر الهين كطعمه في الأمر الشديد الصعب ، وإذن فلا سبيل للخاص إلا أن يقصد أسمى الأمور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » وفرسى مفعول ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛ والصفائح جمع ؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : ستبكي حزننا على فرسى ومهري سيوف دمعا الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلها فتكون دماء قتلاه التي تقطر من سيوفه دموا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة - كما ترى - والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قرين - من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلاً - قال الواحدى : يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل في ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذى ترده الشاربة ، والنار تهلك وتنفى ، وقد أتمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريد أنها تخلصت من الحب وحسنت صنعها بحسن تأثير النار في تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفاً - بعد أن كانت زبراً - قطعاً - بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى في النعيم ، وقرين : هى رواية ابن جني وتروى قرين - من القرى - : ما يقرى به الضيف - أى جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار - بالبناء للعلوم - جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الحب قارية لها . وكان حكم النماء أن يكون للمقرى - لاللقارى - فحس موجب القرى بأن جعل النشاء - النشاء - للقارى .

- وَفَارَقَنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتٍ وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ السُّكُومِ^(١)
 يَرَى الْجُبْنَائَةَ أَنَّ الْمَجْزَرَ عَقْلٌ^(٢) وَتِلْكَ خَدِيدَةُ الطَّنْبِجِ اللَّثِيمِ^(٣)
 وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي^(٤) وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ^(٥)
 وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَنَمِ السَّقِيمِ^(٦)
 وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَابُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْمُلُومِ^(٧)

(١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذي يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخش . والسكوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فأيدى الصياقل جراح منها .
 (٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يره العجز عن افتحام العظام في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته .
 (٣) تغنى : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغنى صاحبها وتكفيه مؤنة الحسف والعار ، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم ، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغنى عن الشجاعة وهي تغنى كيفما كانت فتستغنى عن العقل ، ولكن إذا اجتماعا تعززت الشجاعة بالعقل هذا : ومثل - من قوله ولا مثل - اسم لا ، وإن كان مضافا إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التي لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة .

(٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير في آفته : للعقل ، وهذا المعنى من قول أبي تمام - وقد قال له أبو سعيد الضرير : يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : يا أبا سعيد : لم لا تفهم ما يقال ؟

(٥) القرية - في الأصل - : أول ما يخرج من البرح حين تحفر ؛ وقرية الإنسان : طبيعته التي جبل عليها ، لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قرية جيدة ، يراد إستنباط العلم بمجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قرية صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبي الجاهل إذا سمع شيئا لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه ، وإنما آتى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية في سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعمور بن كيفلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يحالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أنحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحفته لا يمدح أحداً إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوماً ؛ فجهأ أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيفلغ خيلاً ورجلاً ، فأهجمهم ، وظهرت القصيدة وهي :

لَهْوَى النُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ ^(١)
يَا أُخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخْوِكَ نِمْ أَرَقُّ مِنْكَ وَأَرْحَمُ ^(٢)
يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ ^(٣)

قريحته . هذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعري :

والنجمُ تستصفرُ الأبصارُ صُورَتَهُ والذَّئِبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّفَرِ

(١) لهوى النفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى جفأة واعتراضا عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظراً عرضاً ، فيكون صفة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدري من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إِنْ الْحُبَّةَ أَمْرُهَا عَجَبُ تُلْقَى عَلَيْكَ وَمَا لَهَا سَبَبُ

ثم قال : إني نظرت إليها عن غير قصد - يعنى إلى المحبوبة - فعشقتها وكنت أظن أنى أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع ؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوعى : الحرب . ثم : هناك . ورنأ إليه يرنو : أدام النظر . وقد اضطريت كلمة

الشراح في هذين البيتين ، قال ابن جني : يرميه بأخته وبالأبنة وثم إشارة إلى المكان الذي يحلو فيه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجبن ؛ وقال العروضي : شيب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقة الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالأبنة وبأخته وهو يقول ينو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا في حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان في جماعة من نساء يداعبن ، فقلن له : ليتنا بناتك ، فقال : وأنا على دين كسرى . . . وقال ابن فورجه : عيب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال في أخرى :

مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
وكقوله أيضا :

دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ الْقَدَا يُحَفِّظَنَّ لَا بِالْتِمَامِ
وكقوله

* تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ *

ثم قال لحييته : أنت قاسية القلب ، وأخوك — على بسالته — إذا لقي العدو كان أرحم منك لي وأرق منك علي ، ثم أراد المبالغة في ذكر حسنها فقال : أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية في الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمي .

* تَخْشَى عَلَيْهَا أُمُّهَا أَبَاهَا *

وقال أبو تمام في مثل هذا :

بِأَبِي مَنْ إِذَا رَأَاهَا أَبُوهَا قَالَ حُبًّا : يَا لَيْتَ أَنَا بِجُوسٍ
ومثله لعبد الصمد بن اللعل في جارية كان سميها بنته .

أَحِبُّ بُنْيَتِي حُبًّا أَرَاهُ يَزِيدُ عَلَى مَحَبَّاتِ الْبَنَاتِ
أَرَانِي مِنْكَ أَهْوَى قَرَصَ خَدِّ وَرَشَفَا لَشَنَّا يَا وَاللَّاتِ
وَالصَّاقَا بَبْطِنٍ مِنْكَ بَبْطِنِي وَضَمًّا لِلْقُرُونِ الْوَارِدَاتِ

وَشَيْئًا لَسْتُ أَذْكَرُهُ مَلِيحًا بِهِ يَخْطَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْجُوسِ إِذَا التَّقَيْنَا يَكُونُ أَحَلَّ مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ

هذا وقد قال أبو علي الفارسي : الجوس واليهود إنما معرفا على حد يهودي ويهود ومجوسي ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان مجريا في كلامهم مجرى القبيلتين ولم يحملوا كالحيين في باب الصرف ، وأنشد :

أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا كَنَفَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتَعَارًا^(١)

(١) قال ابن بري : صدر البيت لامرؤ القيس ، وعجزه للتوأم اليشكري . روى أن امرأ القيس - وكان معنا عريضا - يتعرض للناس بالشر - ينازع كل من قال إنه شاعر - فأنى قتادة بن التوأم اليشكري وأخويه الحارث وأبشرج ؛ فقال لابن التوأم : إن كنت شاعرا فملط أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا *

فقال ابن التوأم

* كَنَفَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتَعَارًا *

فقال امرؤ القيس

* أَرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحَ *

فقال ابن التوأم

* إِذَا قُلْتُ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا *

فقال امرؤ القيس

* كَأَنَّ هَزْزَهُ بُورَاءَ غَيْبَ *

فقال ابن التوأم

* عِشَارُ وَلَهُ لَاقَتْ عِشَارَا *

رَاعَتْكَ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأُسْحَمُ^(١)

(١) رائعة البياض : الشعرة البيضاء التي تروع الناظر ، ورواها ابن جني : راعية البياض ، قال : والراعية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلًا بِرَاعِيَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةً تَنْعَى الشَّبَابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْفَزَلِ
وَالْأُسْحَمِ : الأسود ، والعارض : صفحة الحد ، يقول : راعك - أفزعك - شيب
ولو كان أول لون الشعر بياضا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى - إذن -
بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فَلَمَّا أَنْ عَلَا كَنَفِي أَضَاخ *

فقال ابن التوأم

* وَهَتْ أَعْجَازُ رَيْقِهِ لِحَارَا *

فقال امرؤ القيس

* فَلَمْ يَتْرِكْ بِذَاتِ السَّرِّ ظَلِيْمَا *

فقال ابن التوأم

* وَلَمْ يَتْرِكْ بِجَلْمَتِهِمَا حِمَارَا *

« هب وهنا : فالوهن بعد هده من الليل ، وتصغير برقا تصغير التعظيم ، كقولهم دويبة ؛ وخص نار الجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أُرقت له : أى سهرت من أجله مرتقباً له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهززه : صوت رعده ، وقوله بوراء غيب : أى بحيث أسمع ولا أراه . وقوله عشار وله : أى فاقدة أولادها فهي تسكر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشاراً مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاخ : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله : وهت أعجاز ريقه : أى استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهى مآخيره كما تسيل القربة الحلق إذا استرخت ، وريق اللطال أوله ، وذات السر . موضع كثير الطباء والحمر ، فلم يبق هذا المطر ظليما به ولا حمارا إلا وهو هارب أو غريق . والجلمة ما استبكتك من الوادى إذا وافته . »

لَوْ كَانَ مُمَكِّنِي سَفَرْتُ عَنْ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلْتُمُ^(١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَعْصِمُ^(٢)
وَالْتَمُّ يُخْتَرَمُ الْجَسِيمَ نَحْمَافَةً وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ^(٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَاهِلَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْفَعُ^(٤)

(١) سفرت -- من سفور المرأة -- أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صباى لكشفت عنه فإنى حدث السن ، ولكن الشيب جار على عاجلا فسترشبابى فكا أنه تلتئم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ ويعصم يحفظ . يقول : ليس يياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سراده وأقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) ترم : يمتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم - أسد وهزله حتى يأتى عليه من الهزال ، ويشيب الناصى قبل الأوان حتى يصير كالهرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مثليه ، وأن الهم هو الذى أهابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شَبْتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَسِكُنْ لَقِيتَ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا
(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحتري :

أَرَى الْحَلْمَ بُوْسًا فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ
وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ
وقال ابن المعتز :

وَحَالَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا
وقال ابن مكيال :

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عَقْلَةٌ عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ^(١)
لَا يَخْذَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ^(٢)
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٣)
يُوْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللَّثَامِ بِطَبْعِهِ مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ^(٤)

وَأَخُو الدَّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتَعَبٌ وَالْمَيْشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ
(١) نبذ الشيء : ألقاه وطرحه ؛ والحفاظ : المحافظة على الحقوق والعهود ؛
وأولاه كذا : أنعم به عليه . وعاف : من العفو عن الإساءة . يقول : إن الناس
لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة - جمع ذمة : الحرمة والحق - ويتركون
عرفان النعم ، فمطلق من الإيسار ينسى إحسان مطلقه ، وعاف عن مسيء يندم لما يرى
من كفران صنيعته وعدم شكرها . قال ابن جني : الندم على كل حال غير مستحسن :
قال الحطيئة .

مَنْ يَقِلُّ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(١)
(٢) يقول : لا تنخدع بىكاه عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن
رحمته وأبقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك .

(٣) يقول لا يسلم للشرى شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساد
وأعداءه ، فإذا أراق - سفك - دماءهم سلم شرفه ، لأنه يصير مهيباً فلا يتعرض له ،
قاله ابن جني : أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن
يتقدم عليهم ، قال العكبري : وهو منقول من كلام الحكيم : الصبر على مضض الرياسة
ينالك به شرف النفاسة .

(٤) القليل - هنا ليس قليل العدد وإنما هو الحسب الحقيق ؛ واللثام جمع لثيم ،
ضد الكريم . وضيم الفعلين الآخرين : للقليل يقول : إن اللثيم مطبوع على أذى
الكريم لعدم المشاكلة بينهما

« شوقي » إن الكرام مشاغل السفهاء

(١) قال ابن جني : ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز . أى لا يعدم جزاء عليه
وجاز أن يكون جمع جزاء - لمشابهة اسم الفاعل للمصدر - فلما جمع « سيل » على
سوائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء .

الظلمُ مِنْ شِمِّ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلَمِلَّةٌ لَا يَظْلِمُ^(١)
يَحْمِي ابْنَ كَيْفَلَعٍ الطَّرِيقَ وَعِزُّهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ^(٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
« الطرماح بن حكيم »

(١) الشِّمُّ : جمع شِمة ، وهى الخليفة والطبيعة ، ومن شِمَّ النفوس : يروى فى خلق النفوس . يقول . إن الناس جبلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فأما تركه الظلم لمة كالخوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكميم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدى : إنما قال هذا لأنه - ابن كيفلغ - كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرّب . ، ومعنى البيت من قول الفردق : وَأُنَحْتَ أُمِّكَ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ بَارَكَةٌ طَرِيقٌ مُعْمَلٌ
وقد أبدع ابن الرومى فى مثل هذا إذ يقول فى امرأة ابن المعلم :

وَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَابِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبَلٍ وَلْمُدْبِرِ
كَأَجْبَرِي الْمِنْشَارَ يَغْتَوِرَانِهِ مُتَنَارِعِيهِ فِي فَلَيْحِ صَنْوَبِرِ
وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمَلِمُ بِسَاحَةِ إِنْ شِئْتُ فِي أَسْتِي فَأَتْنِي أَوْ فِي حَرِي
أَنَا كَمَبَةُ النَّيْكِ الَّتِي خَلَقَتْ لَهُ فَتَلَقَّ مِنِّي حَيْثُ شِئْتُ وَكَبِرِ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَعْمَى الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ

أَنَا عِرْسُ ذِي الْقَرْنَيْنِ لِإِلَهِ الْإِسْمِ كَقَدِيرِ
قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِهَا تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ
فَإِذَا أَضَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قَالَتْ عَدِمْتُ مُصْلِيًا لَمْ يَوْتِرِ
مَا زَالَ دَبْدَنَهَا وَذَلِكَ دَبْدَنِي حَتَّى بَدَأَ عِلْمُ الصَّبَاحِ الْأَزْهَرِ
أَزِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلْكِهِ رِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيَّةِ أَعْجَبِ

أَقِمِ السَّالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سَكِينَةٍ إِنَّ الْمَنِيَّ بِمَحَلَّتَيْهَا خِضْرِمُ^(١)
وَأَرْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتَرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مُظْلِمُ^(٢)
وَعِثَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَبِشُكَ نَفْخَةٌ وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ^(٣)
وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرُّجَالِ فَإِنَّمَا تَقْوَى عَلَى كَثَرِ الْعَبِيدِ وَتُقَدِّمُ^(٤)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيٍّ وَخِطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ^(٥)
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَغْفَايِهِ تَحْتَ الْمُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ^(٦)

هَبْلٌ إِذَا قَلِقَ النَّسْلُ بِحَدِّهِ نِلْنِ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْسَرِ
(١) السَّالِحُ : اللواضع يعلق عليها السلاح ؛ والشفر، والشافران : حرفا فرج المرأة .
ويريد بمحلقته : الفرج والرحم : والحضرم : البحر الكثير الماء ؛ شبه المني -
لكثرته في رحمها - بالبحر .
(٢) وارفق بنفسك : يريد لا تتحكك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص -
لأنه أعور قصير - وأصلك ذنء لثيم .
(٣) يقول : أنت مكذ فَيَكُونُ غِثَاكَ فِي مَسْأَلَةِ النَّاسِ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ طَبِشِكَ حَقِيقَةٌ ،
وَإِنَّمَا ذَلِكَ نَفْخَةٌ نَفَخْتَ فِيكَ ، وَرِضَاكَ أَنْ تَرَى ذَا فَيْشَلَةٍ - ذَكَرَ - مَنْ عَبْدٌ أَوْ مِنْ مَائِلٍ
الْعَبْدُ : وَرَبُّكَ الَّذِي تَعْبُدُهُ دِرْهَمٌ يَعْنِي أَنَّهُ بِخَيْلٍ .
(٤) الْمُنَاوَاةُ : لِلْمَعَادَاةِ ، وَأَصْلُهُ الْمُنَاوَاةُ ، لِأَنَّهُ مِنَ النَّوْءِ وَهُوَ النَّهْوُ ؛ وَالْكَوْرُ
جَمْعُ كَمْرَةٍ ، وَهِيَ رَأْسُ الذِّكْرِ ، يَقُولُ : لَا تَعَادِ الرُّجَالَ فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِمْ وَلَا لَكَ بِهِمْ
طَاقَةٌ : وَإِنَّمَا قَدْرَتُكَ وَإِقْدَامُكَ عَلَى « أَيُّورِ الْعَبِيدِ » يَصِفُهُ بِالْأُبْنَةِ .
(٥) الْعَذْلُ : اللُّومُ ؛ وَيَرْعَوِي : يَكْفُ وَيَقْلَعُ ، وَهَنْ غِيٍّ : فَالْمَنِيَّ نَقِضَ الرِّجْدَ ،
وَيُرَوَّى : عَنْ جِهَلِهِ .
(٦) الْمُلُوجُ : جَمْعُ عَلِجٍ ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ : حِمَارُ الْوَحْشِيِّ ، لِاسْتِعْلَاجِ خَلْقِهِ وَغُلْظِهِ ،
وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْقَوِيِّ الضَّخْمِ مِنْ كِفَارِ الْعَجَمِ - غَيْرِ الْعَرَبِ - عَلِجٌ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا .
يَقُولُ : يَمْشِي الْقَهْقَرَى حَبَالًا لِاسْتِدْخَالِ ، أَيْ أَنَّ الْمُلُوجَ كَانَتْ تَرْكَبُهُ فَيَمْشِي إِلَى خَلْفِهِ عَلَى
غَيْرِ الْعَادَةِ ، فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُرْكُوبِ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى قَدَامِ ، وَهُوَ مُخْلَافٌ لِلْمُرْكُوبِ لِأَنَّهُ يُلْجَمُ مِنْ
وَرَاءِهِ هَذَا : وَقَوْلُهُ بِأَرْبَعَةٍ كَانَ الْقِيَاسُ أَنْ يَقُولَ بِأَرْبَعٍ . لِأَنَّهُ يَرِيدُ الْيَدَيْنِ
وَالرَّجْلَيْنِ ، لَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الْأَعْضَاءِ فَذَكَرَ عَلَى اللَّغَى عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْأَغْنَى :

أَرَى نَارَ جَلَا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَفْضُمُ إِلَى كَشْعِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا^(١)
وقد أثتوا المذكور على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانيا يقول :
فلان لغوب — أى أحق — جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابي ؟ فقال :
أليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث المذكور على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى « فله عشر
أمثالها » لأن الأمثال في المعنى حسنات . فالتقدير عشر حسنات أمثالها ؛ وإذا أنت
المذكر فتذكير المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل
على الفرع ؛ وقوله على أعقابهم : قال العكبري : جمع في موضع التثنية ، وحقه أن يقول
على عقبه — كما جاء في التنزيل : « نكص على عقبيه — » ولكنهم جمعوا في
موضع الإفراد فقالوا :

شابت مفارقة ؛ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على ترائبها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَاتُ وَالذَّخَرُ^(٢)

فجمع الترية واللبة بما حولهما ، وإذا كان هذا جائزا في موضع الواحد فالجمع في
موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبري في إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ،
والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ،
وإنما بنيت لان المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على
المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لا يعرب ، فإن نكروا شيئا
منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ^(٣)

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التنكير : فقوله « من وراء » على نية التنكير :
كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

(١) الأسيف : الغضبان . بقول : كأن يده قطعت فاخضبت بدنها ، وقال المبرد
أسيفا من التأسف لقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فخرج الغل — القيد — يده .

(٢) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، واحدها تريبة .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .

وروى « أغص بنقطة الماء الحميم » من أبيات لبزید بن الصمق

انظر « الحزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »

وَجَفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوقَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حَصْرِمٌ^(١)
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قَرَدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^(٢)

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشيء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبداً يحرك جفونه يستدعى العلاج ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفرعن التحريك : هذا : وقال المبركى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقه وليس من حق الفعل أن يمطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق وللغنى ولذلك عملاً فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى « صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضوا الله » وقال الراجز :

* تَبَيَّتْ لَا تَأْوِي وَلَا تُفَاشَا^(١) *

أى لا تأوى ولا تنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .
(٢) يريد : قبيح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه الكن عي لا يفصح ، ولهذا جعله مشيراً ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لامعنى لتشبيهه الحديث بالطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوهما ، لكن لما شبه صوت حديثه بهقهية القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لابد أن يصحبه صوت فلما اضطرتة القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و « أو » للإباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بهقهية قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه شيئين بشيئين ، شبه حديثه بهقهية القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لا يفهم ، وجعله مشيراً بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار بأقل لما عجزوا عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهماً ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

(١) نفشت الإبل والغنم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلاً فرعت بلاراع وخص بعضهم به دخول الغنم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم »

يَقْلِي مُفَارَقَةً إِلَّا كَفَّ قَذَالَهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَعَمَّمُ^(١)

وبلسانه درهما ، فشرد الطي ، وفي هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه ، فهو في القبح كوجه القرد ، وفي التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه شيئين بشيئين ، وعطف بـ «أو» وهى لأحد الشيئين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن مجيئها بمعنى الواو قوله حميد بن ثور :

قَوْمٌ إِذَا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^(٢)
وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن النذر :

وَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فِتْنَاءِ الْحَى إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَنَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدِ
فَحَسَبُونَهُ فَالْفَوْهُ كَمَا ذَكَرْتُ سَيِّئًا وَسَيِّئِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ^(٣)
ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أى ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاه وقلية يقلاه : لغة طى . ، والقلى : البغض . وقال ابن سيدهم : قلته قلى وقلاه ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيبويه قلى يقلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جنى : قلاه وقلية ، قال . وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابي قلته فى المجرى قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى فى البغض قلته — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

(١) الصريخ : أى للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .
(٢) واحكم يريد تبصر فى الأمر وكن حكيمًا معنى ولا تقبل بمن سعى إلى إليك وكن كفتاة الحى إذ وصفت فأصاب ، وفتاة الحى : هى زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فربها سرب من القطا ، فقالت :

لَيْتَ الْحَمَامَ لَيْتَهُ إِلَى حَمَامَتِيهِ أَوْ نِصْفُهُ قَدْرِيهِ تَمَّ الْحَمَامُ مِيَهُ
فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسعا وتسعين فبحمامتها تكمل المائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتحين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبُ مَا يَكُونُ وَيُقَسِّمُ^(١)
وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الدَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدٌ مِنْهُ لِمَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمُ^(٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأَكْف ، لأنه قد ألف صحبتها في الصنع فيكاد يتعمم على إحدى يديه ، لئلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صنعان تعود أن يصنع فيكاد يتعمم على يده لتصفحه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عي فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا خلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلَا تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَيْرُ بَرٍّ وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَ

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقد قال ابن الشجري في أماليه . فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى « ما » المصدرية . و « ناطقا » نصب على الحال ، وأفعل المضاف إلى المفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و « أكذب » حكاه في ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال ، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتعقير تناول الرؤية في اللفظ ، والمراد تحقير المرئى ؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكنا ؛ ويكون كلاما بمعنى يوجد ؛ وإن جمعت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يحز ، لما ذكرته من انتصاب « أكذب » على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر في « يكون » عائد على المهجو ؛ وخبر « كان » إذا كان مفردا فهو واسمها عبارة عن شئ واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو في قوله « ويقسم » واو الحال ؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والابتداء محذوف ، والتقدير وهو يقسم لحذف هو ، وقال اليازجى : الأظهر أن « أفعل » في الموضعين مرفوع على الابتداء . وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة فى محل نصب بالناسخ ، لأنها فى الأصل خبر ابتداء ، كما فى قولك : هند أحسن مآراها . أحسن ما تكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل فى المبتدأ الأول لفظا ، وفى جملة الخبر محذوف ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هنداً أحسن ما تكون سافرة . فتأمل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم : صرب من الحيات فيه سواد نوبياض

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ ^(١)
 أُرْسِلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً صَفَرَاهُ أَضَيَّقَ مِنْكَ مَاذَا أَرْغُمُ ^(٢)
 أُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكْشِبُهَا يَا ابْنَ الْأَعْيَرِ وَهِيَ فِيكَ تَكْرُمُ ^(٣)
 فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا وَلَشَدَّ مَا قَرَّبَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ ^(٤)

وفاعل « يود » ضمير الذليل ، والعائد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده .
 يقول : إن الذليل يظهر المودة - المحبة - لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع
 عنده فيتودد إليه ، على أن الحلية أقرب إلى المصافاة من الذليل إذا أظهر الود لمن يوده
 وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ الْمَوَدَّةَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ اللَّوَامِي ^(١)
 (١) قال ابن جني : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتتفع - يريد لا تضمر -
 وصدافته تدل على مناسبتها فتضمر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد
 القدوس :

عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقِ لَكَ الْوَاقِ الْإِثْمِ
 « الوامق : الحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع - هنا - ما هو أعم منه
 يعنى انتفاء الضرر والبيت مبنى على الذى قبله : أى أن عداوة الذليل الذى يطوى كشحه
 على البغض تظهر ما أضمر من الحب فتتفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه
 وبمكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يسارته العداوة ويترتب
 به نهزة للعدو .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى - على سعتها - أضيق منك ، فكيف يتجه لى
 مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه - واسمه إبراهيم - أعور .
 يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرماً .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول :
 ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وما أشد ما قربت الانجم عندك فطمعت
 فى نيلها ! وأرادت بالانجم : أبيات شعره .

(١) من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بن العباس على بني أمية .

وَأَرغَتْ مَا لِأَبِي الْعِشَائِرِ خَالِصًا إِنَّ الثَّغَاءَ لَمِنْ يُرَارَ قَيْمِمْ^(١)
وَلَمِنْ أَقَمَتْ عَلَى الْهَوَانِ بِيَابِهِ تَدْنُو فَيُوجِبُ أَخْذَكَ وَتُنْهَمُ^(٢)
وَلَمِنْ يَهِينُ الْمَالَ وَهُوَ مُكْرَمٌ وَلَمِنْ يَجْرُ الْجَيْشَ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ^(٣)
وَلَمِنْ إِذَا أَلْتَقَتِ الْكَمَاءُ بِمَازِقٍ فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِ، الْمَعْلَمُ^(٤)

(١) الإراغة : الطلب ؛ تقول أرغت الصيد وفلان يريغ كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويديره ، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيقُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٍ^(١)

« يدروني : كيربوني ، ويقال فلان يريغي أو يديرني على أمر وعن أمر : أى يرادني ويطلبه مني » . يقول : طلبت من اللديج ما هو خالص لأبي العشائر ؛ لأنه الذى ينعم على زواره وقصاده ، فقلوه « خالصا » حال ، أى الذى ثبت لأبي العشائر خالصا لا ينازع فيه .

(٢) ولمن : عطف على « لمن يرار » والأخذعان : عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا ، ويقال لأقيمنا أخذعيك : أى لأذهبن كبرك . والوجه : السكر والضرب ، ومراده بوجه أخذعيه : صفعه . والنهم . الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت إليه فأقمت بيابه ذليلا تصفع هزوا واستخفا ، ثم تزجر مطرودا ، والبيت من قول جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نُتِفَتِ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

(٣) وهو مكرم : أى والمال مكرم يضمن بمثله ، فالضمير عائد على المال ، ولك أن ترجمه للممدوح : أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمم . الكثير العظيم .
(٤) الكماء . جمع كمي ، وهو البطل للشملة بالسلاح . والمأزق : الضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقا . والعلم : الذى وسم نفسه بسماء الحرب . وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ مِثْمَتُهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(١) قال الجوهري : يقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا البيت ، قال : وهذا المعنى الذى أراد عبد الملك في جوابه عن كتاب الحجاج : إنه عندي كسالم والسلام ، قال ابن برى : هذا وهم قبيح - أى جعله سالما اسما للجلدة التى بين العين والأنف ، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لهبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنه

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاطَةَ بِفَارِسٍ وَتَنَى قَقْوَمَهَا بِأَنْعَرَ مِنْهُمْ^(١)
وَالْوَجْهَ أَزْهَرُ وَالْفَوَادُ مُشِيعٌ^(٢) وَالرُّمَحُ أُنَمَرُ وَالْحَسَامُ مَصْمَمٌ^(٣)
أَفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَرِيمَةً وَفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الْأَعَاجِمُ أُعْجَمٌ^(٤)

واجتاز بيمليك نخلع عليه على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد
السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :
رَوِينَا يَا أَبْنَ هَسْكَرِ الْمَمَامَا وَلَمْ يَثْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُبَامَا^(١)

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتأطر الرمح : تثنى . يقول : إذا اعوجت قناته
في مطعون طعن بها آخر فتقفها بذلك ، يريد شدة طعنه وتألمه
(٢) « ال » هنا نالبة عن ضمير المدح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو
أول البيت : للحال . يقول : إذا التقي هو والسكاة فى مأزق : فوجهه أزهر - نير مشرق
أبيض - وفؤاده مشيع - أى جرى - ورعحه يطعن به ، وسيقه مصمم : أى يطبق
المفصل ويصيب الهز ، فلا ينبو عن الضريبة .
(٣) الفعّال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل ، فمن كرمت مناسبة
كرمت أفعاله ، ومن كان لثيم النسب كان لثيم الفعل والأعاجم عند العرب لثام ، ولذلك
جعل الأعاجم فى مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميا . وم
يسمون من لم يتكلم بلغتهم أجم من أى جيل كان ، قال الراجز :
سَلُومُ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الْأَعْجَمِ^(١) فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّيْلَمِ
إِذَا لَزُزْنَاكَ وَلَوْ يَسْلَمُ

وقال حميد بن ثور :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ شَاقِهِ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أُعْجَمٍ
فإنه عنى بالأعجم : حمالة سمع صوتها .

(٤) الممام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

(١) يقال رجل أجم وقوم أجم

وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَ^(١)
وَلَمْ تَمَلَنَّ تَفْقِدَكَ الْمَوَالِي وَلَمْ تَذُمَّمْ أَبَايَكَ الْجَسَامَ^(٢)
وَلَكِنَّ الْقُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ بِأَرْضٍ مُسَافِرٍ كَرَّةَ الْمَقَامِ^(٣)

يقول : نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن بري .

يَهِيْمُ وليس الله شافِ هِيَامَهُ بِفِرَاءِ مَا غَقِيَ الْحَمَامُ وَانْجَدَا^(١)
والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا ؛ داء يأخذ الإبل فتحيم في الأرض لا ترمي ، يقال ؛ ناقة هيام ، قال كثير عزة .

فَلَا يَحْسَبُ الْوَاشُونَ أَنَّ صِبَابَتِي بِعِزَّةٍ كَانَتْ تَغْمِرُهُ فَتَجَلَّتْ
وَأَنْتَى قَدْ أَبْلَتْ مِنْ دَنْفِ بَهَا كَا أَذْنَقْتُ هِيَامَهُ ثُمَّ اسْتَبَلْتُ^(٢)

(١) القلى ؛ البغض ؛ ولغير قلى ؛ احتراس جميل . يقول ؛ قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك وإن لم عليك .

(٢) الموالى - بفتح الميم - جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبري ؛ الموالى - بضم الميم - أى الذى يلى بمضه بعضا . والأيدى ؛ النعم . والجسام ؛ العظام . يقول ؛ لسنا نرتحل عنك لأننا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولا لأننا ذمنا نعمك العظيمة .

(٣) توالى ؛ تتابعت ؛ والغمام ؛ السحاب ؛ وهذا تتمه لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثرت عليه المطرمل مقامه - إقامته - واحتباسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملك نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكره المقام ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره الغمام ، وقال ؛ المعنى ؛ إنما عفا الزيادة من إحسانك ، لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالطر يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

(١) شاف ؛ فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واعتبل ؛ برا من مرضه

وكان مع أبي العشاء ليلا على انشراح ، فكلما أراد النهوض وهب له شيئا ، حتى وهب له ثيابا وجارية ومهرا فقال :

أَعَنْ إِذْنِي تَهَبُ الرِّيحُ رَهْوَاً وَيَسْرِي كَلِّمَا شِنْتُ الْقَمَامَ ^(١)
وَلَكِنَّ الْقَمَامَ لَهُ طِبَاعٌ تَبَجَّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكَرَامَ ^(٢)

* * *

وقال يمدح كافورا ، وقد أهدى إليه مهرا آدم في شهر ربيع الآخر

سنة ٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأَمٌّ وَمَنْ يَمَّتْ خَيْرُ مُيَمَّمٍ ^(٣)
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلٍ إِذَا لَمْ أُبْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمٍ ^(٤)
سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِدِّحَةً مِنَ الْغَيْمِ مَرْمِيًّا بِهَا كُلُّ نَحْرَمٍ ^(٥)

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو : السير السهل . يقول : الريح لا تهب ساكنة سهلة ياذني ، وكذا القمام لا يسرى بمشيئتي ؛ ويريد بالريح والقمام : المدح على تشبيهه بهما في سرعة العطاء وكثرته — يعني أن الذي يفعله ليس يفعله ياذني ومشيتي إنما يفعله طبعا طبع عليه — كما بين في البيت التالي .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها : خبره ؛ والتبجس : التفرج .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أي لي فراق ؛ وقال العكبري : فراق خبر لمبتدأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أي حدث فراق . وأم : أي قصد ؛ ويمت : قصدت يقول — عند ارتحاله — : هذه الحالة التي أنا فيها فراق ، والذي أفارقه — يعني سيف الدولة — غير مذموم — وهذا الفراق هو في الوقت عينه قصد لإنسان آخر — يعني كافورا — وهو خير مقصود .

(٤) عنده ؛ أي فيه ، يقول : لا أقم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن بكرما معظما . لأنه مع الذل لا يطيب لي

(٥) ملدحة ، مشفقة خائفة ، يقال : ألح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والنحرم الطريق في الجبل . يقول : هذا الفراق أو هذا الذي أذكره من أنفق والاحتفاظ بكرامتي سجية — طبيعة — نفس التي هي أبدا خائفة من أن تظلم ويخس حقها من الإكرام ، وأنا أرمي بها كل طريق هاربا عن الضيم والذل .

رَحَلْتُ فَكَمَّ بِاِكِّ بِأَجْفَانِ شَادِنِ
وَمَا رَجَبُهُ الْقَرْطُ الْمَلِيحُ مَكَائُهُ
عَلَى وَكَمَّ بِاِكِّ بِأَجْفَانِ ضَنِيمِ
بَأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمُصَمِّمِ
هَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعِ
هَوَى كَاسِرٍ كَفَى وَقَوْمِي وَأُسْهُمِ
رَحَى وَاتَّقَى رَمِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَى
إِذَا سَاءَ فَعَلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَصَدَقَ مَا يَتَقَادُهُ مِنْ تَوْهُمِ

(١) الشادن : ولد الفزال ؛ والضنييم : الأسد . يقول : فكم من رجال ونساء بكوا على فراقى وجزعوا لا رتمالى عنهم ا قالباكي بجفن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ، والباكي بأجفان الضنييم : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جني . بأجفان ضنييم : يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لِيُحْدِثَنَّ لِيْنَ قَارِقَتُهُ نَدَمٌ

(٢) القُرط : الذى يعلق فى شحمة الأذن . ومكانه : فاهل المليح ؛ والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذى يطبق للفواصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن للمرأة بأجزع على فراقى من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذى أشكوه من الضربى كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة النساء الضدر ، ولكنه من رجل فلا أعذره . فكفى بالحبيب للفتح : عن المرأة ؛ وبالحبيب للمعم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدى : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى - أى سيف الدولة - ولم أحبه لحبى إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرسمى ، ولأنه من المكافأة - المجازاة - بالهجاء بالانتقاء ، بحب يكسر كفه وقومه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والعنى أن حبى إياه منعنى عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرمى وهو وراء جنة - سكرة - من حبى تمنعنى من أن أرميه .

(٥) يتقاده : يتناهب ؛ ومن توم : بيان له « ما » . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحا ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توم فى أحذية أسرع إلى تصديق ما تومهم لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبرة الواحدى : للسى يسى الظن ، لأنه لا يأمن من أحماء إليه . وما يخطر بقلبه من التوم على إساءة غيره يصدق ذلك ، فكلمنا سمع من شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وَمَا فَسَدْتُ لِي بِشَهِدِ اللَّهِ نِيَّةً عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتُ نِيَّةً فَاتَّهَمْتَنِي

وَعَادَى مُحِبِّهِ بِقَوْلِ هَدَانِهِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٌ ^(١)
 أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفَهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ ^(٢)
 وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزَاهُ حَلَّتْ عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ ^(٣)

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بوشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك في كل أحد ويصبح في كل أموره حائراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التي تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولاً ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام .

(٣) يقول : وأصغح عن خليلي علماً بأنني متى جازيته على سلفه وجهله بالعلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى واعتبني - أرضاني - ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن وابصة :

وَنَزِيبٍ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لِحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ ^(١)
 دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلْتُ أَطْفَارًا يَلَا جَلَمَ ^(٢)
 بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أَسْدِيهِ وَالْحِلْمُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَالِمُ يَرْعَ مِنْ رَحِمٍ
 فَأَصْبَحَتْ قُوَّتُهُ دُونِي مُؤْتَرَةً تَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مَكْتَمٍ
 إِنْ فِي الْحِلْمِ ذُلٌّ أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
 وَمَنْ رَوَى

وأحلم عن خلي وأعلم أنني متى أجْزَاهُ يوماً على الجهل أندم
 يكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهل على نعمت على ذلك ، لأن السفه والجهل ليسا من أخلاق في شيء

(١) رجل نيزب : وذو نيزب : ذوشر ونميعة ؛ والقمر : شدة الشهوة إلى اللحم
 (٢) القمر ؛ الحقد والغل . والجلم : أحد شقي القراض ، وإنما هما جلمان

وَأَنْ بَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودَ عَابِسٍ
وَأَهْوَى مِنْ الْفَتَيَانِ كُلِّ تَمَيِّذٍ
خَطَّتْ تَحْتَهُ الْعَيْسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ
وَلَا عَفْةً فِي سَنَفِهِ وَسِنَانِهِ
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
فِدَى لِأَبِي الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا
(١) جَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ
(٢) نَجِيبٌ كَصَدْرِ السَّمْعَرِيِّ الْقَوِّمِ
(٣) بِهِ الْخَيْلُ كَبَاتِ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ
(٤) وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ
(٥) وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ
(٦) سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَذْهَمِ

(١) يقول : إني لا آخذ من الإنسان الصلة - العطية - حتى يكون معها بشرو وباشاة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بجود التارك ؛ ولا معنى للتارك ، وإنما هو الباذل ، ومعناه ؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكافته .

(٢) السميع ، والسميع ؛ السيد الكريم الجليل الجسم الموطأ الأكناف وقيل هو الشجاع . والنجيب - الفاضل الكريم - ضد اللثم - والسمرى ؛ الرمح القوى الصاب وصدره ؛ مقدمه مما يلي السنان . يقول : أحب من الفتیان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة ، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم .

(٣) خطت ؛ جابت وقطعت ؛ والضمير من تحته ؛ للسميع . والعيس ؛ الإبل البيض والسكة ؛ الحملة فى الحرب - من قولهم كبه لوجهه ؛ إذا ألقاه - قال بعض العرب ؛ طعنته فى السكة ؛ طعنه فى السبة ، فأخرجتهما من اللبة ، فقل له كيف طعنته فى السبة ؟ هى حلقة الدبر - فقال إن رمحى كان قد سقط من يده فأكب لياأخذه فطعنته ، والخميس الجليل من خمس فرق . والعرمم ؛ الكثير . يقول : قد سافر كثير أو قطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها ، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها .

(٤) يقول : ليس بعفيف السيف والرمح ، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دماهم ، وإنما عفته فى كفه ، لا يأخذ من مال أحد شيئاً ، وفى فرجه لا يقرب الزنا ، وفى فمه ، فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا يأكل إلا من حل .

(٥) يقول : ليس كل من أحب الأمر الجليل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه
(٦) فدى : خبر مقدم ؛ والكرام : مبتدأ مؤخر والأدم : الأسود . جعل الكرام

أَغْرَ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَّضَ وَرَاءَهُ إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلَقَ مُطَهَّمٍ (١)
 إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا فَكَفَّ وَقَفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمُ (٢)
 يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَأَاهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ضَمِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ الْفُكْرُمِ (٣)
 وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا اخْتَلِيلُ أَحْجَمَتْ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي (٤)
 شَدِيدُ ثَبَاتِ الطَّرْفِ وَالنَّفْعِ وَاصِلٌ إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثَّمِ (٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأدهم يتقدم تلك السوابق وهن يحجرين على آثره . يعنى أنه إمام الكرام وسابقهم .

(١) أغر : أى يأدهم أغر ، فهو نعت لأدهم ؛ وبمعنى : متعلق بأغر ، وشخص رفعت أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهمن تام . إن هذا الأدهم أغر غير أن غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فوقفه واحدة في مجلسه . وهو يتعاطى سياسة - الأمور - تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقولوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعي : جمع مسعاة . وهى السعى فى طلب المجد . يقول : من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذرى أن يكون ضميم المساعي ، قليل الكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأضياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى الهجاء على معنى لم أر مثله فى حسنه ولؤم أصله إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لَا تَبْأَسَنَّ مِنَ الْإِمَارَةِ بَعْدَمَا خَفَقَ اللَّوَاهُ عَلَى عِمَامَةِ جَرُولِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكنتية - تأخرت - وقل من يحنها على ورود المعركة ؟ أى أنه يحث الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو . قال الواحدى : والرواية أقدمى - بضم الدال - أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى أقدمى - بفتح الدال - فمعناه ردى الحرب - من الورد - من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنفع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهاء ، وهى الأحمة المتندلة فى أقصى الحلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهات واللوزتين . من باب التغليب . يقول . إذا سطع الغبار وثار حق وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواء والغبار ،

أَبَا الْمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا وَآمَلُ هَذَا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْقَدَمِ^(١)
 وَيَوْمًا يَنْفِظُ الْخَالِصِينَ وَحَالَةً أَقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنْعَمِ^(٢)
 وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَلِكَ وَمَنْ يُرِذْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَائِبِ يَظْلِمُ^(٣)
 فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِصْرَ مَا سِيرْتُ نَحْوَهَا
 بِقَلْبِ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمُتَمِّمِ^(٤)
 وَلَا تَبَعَتْ خَيْلِي كِلَابُ قَبَائِلٍ كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيْلِ حَلَالَاتٍ دَيْلِمَ^(٥)

فهو حينئذ ثابت في المركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب إليه الفزع . ومن روى الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرى (١) ولا يتداخله الفزع .

(١) أبا المسك : أى يا أبا المسك ؛ والبيض : السيف . يقول : أرجو منك أن تصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتؤتىنى عزا أتمكن به منهم وأخضب سيفى بدمائهم
 (٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التمتع أى أشقى فى حرب الأعداء فأنتعم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون المعنى ؛ أنى أبادل تنعم الأعداء بالشقاء لما أوجب لهم من الحسد لنعق والفيظ لمكانى فيشقون بى .

(٣) يقول : أنت أهل لأن يرجى لديك مارجوته ، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه
 كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشئ فى غير محله حين رجوت للطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتمم : الذى ملك عليه الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم : جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عنترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّخْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلِمِ^(٢)

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب : إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عنترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلَا اتَّبَعْتُ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمٍ^(١)
وَمِنْهَا بِهَا الْبَيْدَاءُ حَتَّى تَفْغَرَّتْ مِنْ النَّيْلِ وَاسْتَذَرْتُ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ^(٢)

وقال ابن جني ؛ سألت أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أتريد بالدليل الأعداء أم هذا الجبل من العجم ؟ فقال ؛ من العجم . وحملت جمع حملة ، وأسكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالليل في طريقه إلى مصر على القنائل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .
(١) القائف : الذي يقفو الآثار - يقبعا - والنسم . خف البعير . يقول :
إن الذي اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن السير إليك لم ير إلا آثار الإبل والحيل . أى لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويحبوا الحيل ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذى (١) .

أولى فأولى يا امرأة القيس بعدما
[يقال خصفت الإبل الحيل : تبعها]

(٢) تغمرت : أى شربت قليلاً من الغمر ، وهو القدح الصغير ؛ واستذرت . نزلت في ذراه : أى في كنفه وناحيته ؛ والمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : ومننا البيداء بآثار خيلنا وركابنا - يعنى سرنا في أرض غفل لا أثر بها لسالك فصار آثار الحيل والإبل كالسمة لها - أى العلامة - حتى وردت النيل - نيل مصر - فشربت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل النضوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأمر أبيه وحوض الحياض ، وحى الأحماء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة فى ذلك ما قال ، والده خان مما دحرض ووسع - ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسع لبني أنف الناقة وقيل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاموا يَجْرُؤُونَ البرود جراً صُهِبَ السَّيَالُ يَبْتَغُونَ شراً

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلاً .

(١) مسهر بن النعمان من بني عائذة ، شاعر مقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات نحتها فى « الفضليات »

وَأَبْلَحَ بَعْضِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلَوْحِي (١)
 فَسَأَى إِلَى الْعُرْفِ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسَعَتْ إِلَيْهِ الشُّكْرُ غَيْرَ مُجْمَعَمٍ (٢)
 قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْتُ لَهُمْ بِنَا حَدِيثًا وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيِكَ فَاخْتَرْتُكُمْ (٣)
 فَأَحْسَنُ وَجْهِهِ فِي الْوَرَى وَجْهُ مُحْسِنٍ وَأَيْمَنُ كَفِّهِ فِيهِمْ كَفٌّ مُنْعِمٍ (٤)

أَخْنَفًا فَسَمَّاهَا النُّطَافَ فَشَارِبٌ قَائِلًا وَآبٍ صَدٌّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
 « النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي - قل أوكثر - » وسامه الأمر سوما :
 كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلح : العظيم في نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروى بالجيم ، فهو الجليل
 الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصدي : أي بقصدي إياه . يقول :
 واستدريت بطل الأبلح بعصى من يشير عليه بتركي بأن يختصني دون غيري ، كما أني
 عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إنه أراد بهذا ابن حنزابه -
 جعفر بن الفرات - وزير الأسود - ولم يكن للثني مدحه قال ابن جني : هو مما يجوز
 نقله إلى الهجاء . وابن جني يحاول دائماً أن يوجه مدائح للثني في كافور إلى الهجاء ،
 ولعل له عذراً في ذلك ، وهو أدرى بدهاء الثني ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف : والمجمع : من قولهم جمعهم كلامه ؛ إذا عماء وستره
 ولم يأت به على الوجه الذي يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بالبن ولم ينفضه
 بالأذى ، فكان شكره صريحاً خالصاً غير مشوب . قال ابن جني ؛ هذا الثني يشهد
 بمذاكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك - الملوك - نخذف « من »
 وأوصل الفعل ، كما في قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » . يقول ؛
 اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدي إياك دونهم ، فاخترتهم بنا حديثاً من
 مدح أو هجاء ، بمنع أو جرمان ؛ أي أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاخترنا تريد ؛
 من ثناء وإطراء بالبر والإعسان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان ، فأثت الحكم
 فيما تختار ؛ يعني إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيي في قصدك ومدحك وإلا شتموا
 بي وذموك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجاء

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُعْظَمٍ ^(١)
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْزَ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ ^(٢)
وَقَدْ وَصَلَ الْمَهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ مِنْ أَسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُقْوٍ وَمِقْصَمٍ ^(٣)
لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّأْسُ الْخَلِيلُ كُلُّهُ وَلَئِنْ كَانَ بِالنَّيْرَانِ غَيْرَ مُوسِمٍ ^(٤)

بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدي بالإنعام ، وكذلك البيت الذي بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم . قال الواحدي : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفا بعلوهم وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول : إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) للمصم : موضع السوار من الزند ، يريد أن «المهر» الذى أهداه إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالخيول ، فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوصموا حقيقة — كما كشف عن ذلك في البيت التالى — هذا : وللمهر هو الصغير السن من الخيل ، و«الأبق» مهرة وجمع المذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع اللؤث : مهر ومهرات . قال الريح بن زياد العبسى يعرض قومه في طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتله لما قتل حذيفة بن بدر الفزارى :

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِنَوَى الْحَجَى إِلَّا الْمَطَى تَشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
وَمُحَبَّاتٍ مَا يَذْفُقَنَّ عَذُوقَهُ يَقْدِرْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ ^(١)
(٤) أراد بالحيوان الراكب الخيل : الإنسان ؛ والموسم : للعلم . يقول : لك الخيل

(١) المحنات : الخيل تنجب إلى الإبل ويقال ماذا عذوقا ولا عذوفة — بالذال والذال — أى ماذا شيئا .

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كُمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَيَّرْتُ نُفْسَهَا أَنْتِظَارَكَ فَأَعْلَمُ^(١)
وَلَسَكُنَّ مَا يَمْنَعِي مِنَ الْعُمُرِ فَأَنْتُ فَجُدْ لِي بِحِطِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ^(٢)
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمَسْلَمِ^(٣)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ الْوَسِيطَ فَوَادُهُ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَنْكَلَمْ^(٤)

وقال يذكر محمى كانت تشاه بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك
في ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمْ بِحِيلٍ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ^(٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت خير معلة ، ومراده بالحيل ما هو أعم منها من الحيوان
وإنما خصها بالذكر لمكان ذكر اللهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه ، يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقاى في الدنيا
لجملت ثلثي ذلك المقدار مدة انتظار عطايتك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثْقَالُ يُحْلِدُنَا إِلَى الْأَشْيِبِ أَنْتَظَرْنَا سَلَوَةَ الْكِبَرِ

(٢) البادر : السريع ؛ والمتغنىم : الذى يغتنم الشئ . يقول : ما فات من العمر
لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل ، فإن الماضى غير مستدرك ، فجدى بحظ من
يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه
فأنا أَرْضَى بِهِ أَيْضاً مَحَبَّةً لَكَ ، وانجذاباً إلى هوائك وموافقة لرؤياك لأنى قدت نفسى إليك
قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٤) يقول : مثلك فى كرمك ومماحتك يكون فواده وسيطا بينه وبينى فيكلمه عنى
ولا يحوجنى إلى الكلام .

(٥) الفعال : بمعنى الفعل . يقول - لصاحبيه اللذين يلومانه على تحشم الأسفار
وإخطاره بنفسه فى طلب العالى - : ملومكما - يعنى نفسه - أجل من أن يلام ، لأن
فعله يجوز طرق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولا أنه لا مطمع للآثم فيه بأن
يطيعه أو يخذعه هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامٍ ^(١)
 فَأَنِّي اسْتَرَيْحُ بِذِي هَذَا وَأَنْتَعِبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمَقَامِ ^(٢)
 عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَرَّتْ عَيْنِي وَكُلُّهُ بُغَامٍ رَازِحَةٌ بُغَايِي ^(٣)
 فَقَدْ أَرَدُ الْمَيَاةَ بِغَيْرِ هَادٍ سِوَى عَذْيٍ لَهَا بَرَقَ النِّغَامِ ^(٤)

اللفظ ملوم كما يحل من لو مكا ووقع فعال لوم كما فوق الكلام : أى الجراحات ، والكلام بكسر الكاف - جمع كلم -

(١) ذراني : دعاني وانزكاني . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والهجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهي : عطف على «الياء» من ذراني ، والهجير حر نصف النهار يقول : دعاني مع الفلاة أسلكها بغير دليل لاهتدائي فيها وخبرني بمسالكها ، ودعاني مع الهجير أسير فيه بغير لثام يقي وجهي ، لأنني قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمي ، بمعنى الإقامة . وقوله بذى وهذا معنى بالفلاة والهجير . يقول : راحق فيهما وتعني في النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به ويغتمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تعده ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جني : معناه أن حارت عيني ، فانا بهيمة مثل رواحلي ، وعيني عينها وصوتي صوتها ، كما تقول : إن فعلت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل ، فيقول إن تحيرت فى المفازة فمعنى البصرة عين راحلي ، ومنطلق الفصح : بغامها ، وقال التبريزي : عيون رواحلي تنوب عني إذا ضللت أهدى بها وصوتها إذا احتجت إلى أن أصوت ليسمع الحى يقوم مقام صوتي ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء إلى دليل يدلنى سوى أن أعد برق النمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتابع موقعه ، على عادة العرب فى عدها بروق النمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مائة ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ما طر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سَقَى اللَّهُ جِيرَانَا حَدَثُ جِوَارِمٍ كَرَامًا إِذَا عُدُّوْا وَفَوْقَ كِرَامٍ
 يَمُدُّونَ بَرَقَ الْمُزْنِ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ فَمَا رَزَقُهُمْ إِلَّا بُرُوقُ غَمَامٍ

(١٨ - المتنبي ٤)

يَذِمُّ لِمُحَجَّتِي رَبِّي وَسَيِّفِي إِذَا احتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الدَّمَامِ (١)
وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبَخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قَرَى سِوَى مُخِ الدَّمَامِ (٢)
فَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَيْبًا جَزَيْتُ عَلَى ابْنِسَامٍ بِابْنِسَامِ (٣)
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ (٤)
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ (٥)

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهى العهد والحفازة ، والمهجة : الروح ، يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة ليا من بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سبى يعنى : لا استصحب أحداً فى سفرى لأمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخير « ليس » محذوف ، والجملة : حال . يقول : لا أُمْسِي ضيفاً للبخل وإن لم يكن لى طعام البتة - لأنه لا مخ للنعام - ويجوز أن يريد بهذا أن البخل لا قرى عنده ، ويروى مع - بالحاء المهملة - وهو صفة البيض وقيل ما فى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مع . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته ولم آت بخيلا .

(٣) الحُب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعاً يبشون بوجوههم وكشهم منطوق على الحبث عاملتهم بمثل ما يعاملوننى به ؛ فهم يكاشروننى وأنا أكاشرم أى ابتسمت إليهم كما يتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفت - اخترت - أحداً لمودنى لم أكن على ثقة من مودته لعلمى أنه من جملة الخلق . حكى عن الثنابى أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشدته يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدها فى وجهى إلى أن تفرقنا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهلى الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال - الحقى - لأنه ليس كل جميل النظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رافق اللون وبى المذاق .

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأبقارها - أى تلبدته فى مراتبها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبت هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن » قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء

وَأَتَفُّ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكَرَامِ (١)
أَرَى الْأَجْدَادَ تَفْلِحُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ اللَّثَامِ (٢)
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأْسٌ أَعَزَّى إِلَى جَدِّ هُمَامِ (٣)
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدٌّ وَحَدٌّ وَيَنْبُو نَبْوَةُ الْقَضَمِ الْكُهَامِ (٤)
وَمَنْ يَحْدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذَرُ الْمَطَى بِلَا سَنَامِ (٥)
وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْقَمَامِ (٦)

(١) آتف : أى استنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما - يعنى الأخ الشقيق -

(٢) يقول . إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لثما وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
وقال آخر :

لئن فخرتَ بآبَاءِ لَهْمُ شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقنع من الفضل بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغنى عنى فضل جدى

(٤) القد : القامة ، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : انشاب الذى لم يهدم الحرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، وبنا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم السيف الذى فيه خلول ؛ والكهام : الذى لا يقطع . يقول : عجبت لمن توافرت له قوة الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضيا .

(٥) المطفى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياها فى ذلك الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل : فى الثبت السوء « شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من السكلا له غضارة وهو وبى المرعى متى الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ فَلَا وَرَأَى تَحَبُّ بِيَ اللَّطِئِ وَلَا أُمَامِي ^(١)
وَمَلَنِي الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنبِي يَمَلُّ لِقِيسَاءَهُ فِي كُلِّ عَامٍ ^(٢)
قَلِيلٌ عَائِدِي سَقَمٍ فَوَادِي كَثِيرٌ حَاسِدِي صَنْبٍ مَرَامِي ^(٣)
عَلِيلُ الْجَنَمِ مُتَمَنِّعُ الْقِيَامِ ^(٤) شَدِيدُ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ ^(٥)
وَرَأَوْنِي كَأَنَّ بِيهَا حَيَاءً فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ ^(٦)
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبَهَا وَبَاتَتْ فِي غِلَظِي ^(٧)
بَضِيقُ الْجِلْدِ عَنْ نَفْسِي وَعَنْهَا فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّعَامِ ^(٨)
إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَّ لَتَنِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ ^(٩)

أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الايات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .
(١) الحجب : ضرب من السير ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسير إلى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .

(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة ، لأنه أبداً كان يكون على سفر .

(٣) يقول : إني بمصر غريب فليس يعودني بها إلى القليل من الناس ، وفوادي سقيم لتراكم الأحزان على ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى - مطلبى - صعب لأنى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير اللدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهموم
(٥) وزارتني : أى ورب زائرة لى - يريد الحمى وكانت تأنيه ليلاً - يقول : كأنها حية إذا كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهورداء من خز فى جنبه علمان . والحشاي : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعاقبتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة - يعنى الحمى - لا تنبت فى الفراش ، وإنما تنبت فى عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسمعها ولا يسمع أنفاسى للصعداء ، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده على من أنوع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفها على ما يوجب

كَانَ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِهَا بَارِبَةً سِجَامَ^(١)
 أَرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةً الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامَ^(٢)
 وَيَصْدُقُ وَغَدَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْفَاكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامَ^(٣)
 أَبْنَتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتَ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ^(٤)
 جَرَحْتَ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلشُّيُوفِ وَلَا السَّهَامِ^(٥)
 أَلَا يَأْلَيْتَ شَمَرَ يَدِي أُنْمِسِي تَهَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ^(٦)

الفصل ، وإنما خص الحرام للقافية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الفصل. وقال ابن الشجري : وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع : سال انسكب ، أى بأربعة أدمع . يقول : إنها تفارقه عند الصبح ، فكان الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكي بأربعة أدمع . يريد كثرة الرحضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من الموقين ، فإذا غلب وكثر جرى من الأعاطين أيضا . والموق : طرف العين مما يلي الأنف ؛ والأعاط : طرفها مما يلي الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا
 (٣) يقول : إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميعاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع ، كمن أوعده ثم صدق في وعده .

(٤) يريد بينت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر . هدامه . يقول : للحمى - عندى كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ قَلَمُ أَخْلَصُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
 (٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهام .

(٦) يقولون ليت شعري ما حال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعري حاصل ونحوه ؛ والعنان : سبير اللجام ، والزمام : اللقود . يقول : ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرا فاسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أَزْمِي هَوَايَ بِرَاقِصَاتِ مُحَلَّاتٍ الْمُقَاوِدِ بِاللَّغَامِ^(١)
 فَرُبَّمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَفَاةٍ أَوْ حُسَامِ^(٢)
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ تَخَلَّصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ^(٣)
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ^(٤)

(١) هواى : يعنى ما يهواه ويطلبه ، وراقصات : أى يابل تسير الرقص ، وهو ضرب من الحب ، يقال رقص البعير رقصة إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد يابل تسير الرقص وقد حمد الزبد على مقاوده انصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النخري :

وَيَقْطَعُ الْبَيْدَ مِنْهَا كُلُّ يَعْملَةٍ خُرْطُومُهَا بِاللَّغَامِ الْجَعْدِ مُلْتَفِعُ^(١)

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز في الصدر ، والقفاة : الرمح . والحسام : السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صعبا كان يسافر ويقاتل فيشفى غليله بالسيف إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الخطوة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل على فم الإبريق ونحوه ليصفي به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على غلصت منه كما تخلص الحمر من النسيج الذى تشد به أفواه الأبريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لمعلى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تَنْجُوا إِذَا جَعَلَتْ تَذْمَى أَخَشَتَهَا وَاغْتَمَ بِالزَّبْدِ الْجَعْدِ الْخُرَاطِيمُ
 « تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأخشتها جمع خشاش ، وهى حلقة تكون فى أنف البعير » .

يَقُولُ لِي الطَّيِّبُ أَكَلْتَ شَيْئًا وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامَ^(١)
وَمَا فِي طَبِيهِ أُنِّي جَوَادُ أَضَرَ بِجَسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ^(٢)
تَعَوَّدَ أَنْ يُفَقِّرَ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ^(٣)
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَزَعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ^(٤)
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرَضَ اضْطَبَّارِي وَإِنْ أُنْجَمَ فَمَا حَمَّ اعْتَزَامِي^(٥)
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أُنْبَى وَلَسِكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ^(٦)

(١) و (٢) الجمام : الراحة . يقول : إن الطيب يظن أن سيب دأى الأكل والشرب فيقول : أكلت كذا وكذا مما يضر ، وليس في طبه أن الذي أضرب بجسمي طول لبني وقعودي عن الأسفار ، كالفرس الجواد ، يضر بجسمه طول قيامه في اللرابط ، فيفتر ويبي .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش تسرى إلى العدو ؛ والقنام : الغبار وأراد بدخول القنام : حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد - يعنى نفسه أن يثير الغبار في الجيوش ويخرج من حرب فيدخل في غيرها .

(٤) فأمسك : أى الجواد . ولا يطال له : أى لا يرعى طوله ، وهو جبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرعى له الطول فيرعى فيه ولا هو في السفر فيشتف من الخلة - التى تعلق على رأسه - وليس هو في اللجام . وهذا مثل ضربه لنفسه ، وأنه حليف الفرائس ، ممنوع عن الحركة ، وجائز أن يكون هذا اللثل قد ضربه لحالته مع كافور .

(٥) أحمم : من الحمى . يقول : إن كنت قد مرضت في بدني فإن صبرى وعزى باقيا على ما كانا عليه لم يمرضنا بمرض جسمي .

(٦) الحمام : الموت . يقول : وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ، ولسكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوِيلِ الْمُرْحَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ^(١)

(١) الطويل : الجبل الطويل جدا ، أو جبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترحى .

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرْمِي تَحْتَ الرَّجَامِ^(١)
فَإِنَّ لِلثَّالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَقَامِ^(٢)

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَمِيَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي تَحْوِكَ الْكَرْمُ^(٣) أَيْنَ الْحَاجِمُ يَا كَافُورُ وَالْجَلْمُ^(٤)
جَازَ الْأُلَى مَلَكَتْ كَفَاكَ قَدْرَهُمْ فَمَرُّوْا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ^(٥)

ومن قول الآخر

إِذَا بَلَ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَاوَيْهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ^(١)

(١) السهاد . السهر والكرى . يريد به النوم ، والرجام . القبور - واحد هارجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مغفل : لا ترجوا قبوري أى لا تجعلوا عليه الرجم - أى لا تسنموه بل سووه بالأرض . يقول : مادمت حيا فتمتع من حالي السهر والنوم ولا ترج النوم في القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعَ بِالرُّقَادِ عَلَى شِمَالٍ فَنَوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حالي السهر والنوم

فلا يتمتع فيه بشئ .

(٣) المحاجم . جمع الحجمة ، وهى القارووة يحجم بها الجلد . والجلم . أحدثق المقرض وهما جلدان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شئ ، إنما أنت أهل لأن تكون حجما - مزينا - فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجما .

(٤) الألى . أى الدين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والظن . فلذلك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعنا من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

(١) بل : برا وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ خَلِّ لَهُ ذَكَرٌ تَقُوْدُهُ أُمَّةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمٌ ^(١)
 سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نَفُوسِهِمْ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ ^(٢)
 أَغَايِبَةُ الدِّينِ أَنْ تُخْفُوا شَوَارِبَكُمْ يَا أُمَّةَ ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ ^(٣)
 أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمًا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالْثَمَمُ ^(٤)
 فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤَذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالْقَطِيطُ وَالْقَدَمُ ^(٥)
 مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الدِّيِّ زَعْمَرَا ^(٦)

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر ، رجاله عسكروه ، وبالأمة التى لارحم لها . الأسود - كافورا - يوبخهم بانقيادهم له ، يقول : لاشيء اقبح فى الدنيا من رجل ينقاد لأمة حتى تقوده إلى ماتريد ؟ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طنج فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمة من حيث إنه خصى لكنه قد خالفها بكونه لارحم له ، فكأنه أنقص من أمة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة فى العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم - بضمتين - وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لثام ؟

(٣) أحفى شاربه : استأصله . يقول - لأهل مصر - : لاشيء عندكم من الدين إلا إحقاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره فى المملكة .

(٤) الهندي : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس ؛ يحرض على قتله ، يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تملك مثله يشكك العاقل فى حكمة البارى - جل شأنه - حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدير وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول - كما قال الواحدى - : إن الله

وقال يهجوهُ أيضاً :

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ^(١)
 أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمَقِيمُ^(٢)
 تَشَابَهَتِ الْبَهَائِمُ وَالْعَبِيدُ عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ^(٣)
 وَمَا أَدْرَى أَذَا دَاءٍ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَلَالَةٌ قَدِيمُ^(٤)
 حَصَلَتْ بِأَرْضٍ مِصْرَ قَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الْخُرَّ بَيْنَهُمْ يَتِيمُ^(٥)
 كَأَنَّ الْأَشْوَدَ اللَّابِي فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومُ^(٦)

تعالى قادر على إخراج الخليفة بأن يملك عليهم اثنا ساقطا من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدم الدهر . يشير إلى أن تأمير مثله إخراج للناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يغزي الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه - على كافور - من يقتله ويبطل حجبتهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التي وصل إليها قد عمها الأؤم والأذى ، أليس في الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بخوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد ، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد - أى الناس - وللموالى جمع مولى ، المملوك ، والصميم : الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله - حق التبتسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها في الجهل ، ومملك المملوكون فالتبتس الصميم - الأحرار - بالموالى - أى الذين كانوا عبيدا أرقاء - وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللثام : التبتسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللثام ظنوا كراما (٤) يقول : لست أدري أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللثام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحربينهم محفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهَوًا مَقَالِي لِلْأَخْيَمِيقِ يَاحْلِيمُ^(١)
وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيَا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَآلَثِيمُ^(٢)
فَقُلْتُ مِنْ عَازِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا قَدْ فُوعَ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ^(٣)
إِذَا أَنْتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَثِيمٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسِيءُ قَنَ الْوَمُ^(٤)

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاعلة نذر عليها اسم فانتك ، وكانت مما
أهداه له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبي :
يُذَكِّرُنِي فَاتَرَكَا حِلْمُهُ وَثَنِي مِنْ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ^(٥)

اللوبة والنوبة ، وهما في الأصل : الأرض التي ود البستها حجارة سود . واليوم : الطائر
المعروف الذي يسكن الحراب ، وبه يضرب المثل في الشؤم والرخم : طائر من الجوارح
الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالفراب — وهو طير خسيس كثير العيوب
وشبه أصحابه أيضا بخساس حول الفراب .

(١) أخذت : رواها الواحدى بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت
بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهوًا » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول .
يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاهيا . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما
ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : ف « أن » زائدة . والى : ضد الفصاحة :
عبي في منطقته عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه — وابن آوى : ضرب من
الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبى
إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان عى ، ومن قال لابن آوى — وهو
من الأم السباع وأخسها — بالثيم ، كان متكلفا .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى فى مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطرا
لم يكن لى فيهما اختيار ، كالسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره ؟
(٤) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضع لثيم ولم أوجه اللوم إليه
فإلى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَنَرَاتِ دَهْرٍ أُصِيتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ الْوَمُ
(٥) الند : عود يتبخر به ؛ والضمير فى « اسمه » : لفانتك .

وَأَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنِّي يُجَدُّ لِي رِيحُهُ شِمَهُ (١)
 وَأَيُّ قَتَى سَلَبَنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَذِرْ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ (٢)
 وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمْتَ هَالِكًا ضَمُّهُ (٣)
 بِمَصْرَ مُلُوكٍ لَمْ يَمَلْهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَمْ يَمَلْهُ (٤)
 فَأَجُودُ مِنْ جُودِهِمْ بِخُلَّةٍ وَأَحْمَدُ مِنْ تَحْدِهِمْ ذَمُّهُ (٥)
 وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِمْ عُدْمُهُ (٦)
 وَإِنْ مَنِيَّتُهُ عِنْدَهُ لَسَكَتْ لِرِيقِهِ كَرَمُهُ (٧)

(١) الضمير في « ريحه » : لفاتك ؛ وفي « شمه » : لند .

(٢) المنون : الموت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تذر » و « ولدت » أي لم تذر أمه ما ولدت .

(٣) هالكا : أفزعها . يقول : لو علمت أمه التي كانت تضمه إلى صدرها في صغره أنه شجاع فأتاك قتال : لفزعت منه ولهاها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أي همته — يقول : إن لهم مالا كثيرا مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته ، وهذا من قول أشجع السلمي :
 وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْفَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
 وقول الآخر :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتِيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَوْسَعَهُمْ ذِرَاعًا

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمدهم . وقال العكبري :
 للغي أنه لا يبخل بشيء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئا يهبه كان يعدمه من نفسه بخلا .
 قال : وقوله أحمد من أحمدهم : أي لا يذم إلا بالإسراف في الجود والمخاطرة بنفسه في الإقدام ، وهذا أحمد من حمدهم .

(٦) الوجد : الغنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو في حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ، وهم يبخلون مع الوجد والغنى ؟

(٧) اللية : الموت ؛ والحجر : تذكر وتؤنت ، فن ذكرها ذهب بها إلى النبيل . يقول :
 إن اللية كانت منه تنبث في الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبسبابة أخرى : إنه كان

فَذَاكَ الَّذِي عَبَّه مَأْوَاهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَعْمُهُ^(١)
وَمَنْ ضَاغَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْمَهُ^(٢)

وقال يذكر مسيره من معمر ويرثى فانسكا ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون
من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلْمِ وَمَا سُرَاهُ حَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ^(٣)

يسقى المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت في ذلك كالحجر التي أصلها الكرم ومنه
خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرحه وشربه ، قال ابن جني : يعني أن الزمان آق من موته بما فيه تقص
العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ، فموته كاتقلاب الأمر
وهو أن يحب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقاً . وقال ابن فورجة
عند ابن جني أن الضمير في « عبه » لفاتك ، وكذلك الماء في « ذاقه » — على ما ذكر
في تفسيره — وليس كذلك ، لأنه قد قال في البيت الذي قبله : إن اللوت الذي أصابه هو
بمنزلة الحجر سقيها الكرم : أي كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شراباً له ، ثم
قال : فذاك الذي عبه — يعني الحجر — هو ماء الكرم فعبه ، وذاك الذي ذاقه هو اللوت
وهو طعم نفسه الذي كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدي : والمعنى على ما قاله ابن فورجة
لكنه لم يبينه بياناً شافياً ، والمعنى أن هذا مثل ، وهو أن الكرم إذا سقى الحجر فشربه فقد
شرب ماء نفسه ، والذي ذاقه من طعم الحجر هو طعم الكرم : كذلك موت « فاتك »
لما أهلكه . فشراب شراب اللوت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب شراب نفسه وذاق طعم
نفسه .

(٢) حرى : أي خلى وخدير . يقول : إن من ضاغت الأرض عن همته لخلق
أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتياها هلك ، لعظم ما يطلبه
كما قال الآخر :

* كَلَى النُّفُوسِ جَنَائِيَاتٍ مِنَ الْمِمْمِ *

(٣) حتام : هي « حق » و « ما » ، حذف الف « ما » لامتزاجها بـ « حق » — وكثرة

وَلَا يُحْسُ بِأَجْفَانٍ يُحْسُ بِهِنَّ
تَسْوَدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلَا تَسْوَدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللَّمَمِ
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ أَحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكْمِ
وَتَنَزُّكُ الْمَاءِ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ مَاسَرًا فِي الْقَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ
لَا أَبْيَضُ الْعَيْسَ لِكُنْيِ وَقَيْتُ بِهِنَّ
قَلْبِي مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ

استعملها ، ويجوز إثباتها على الأصل . ونسارى : تفاعل — من السرى وهو السير
ليلا — والنجم : اسم جنس — أى النجوم — قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون » ، والواو
من « وما سراه » — حالية ، والخف للبعير : بمنزلة الحافر للدابة . يقول : إلى مقى نسرى
مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف — كالإبل — ولا على قدم كالناس
أى أن النجوم لا يصيبها السكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا .

(١) فاعل « يحس » الأولى ؛ يعود على « الفجم » ، وفاعل « يحس » الثانية :
غريب . يقول : إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد على أهله بات
يسرى ساهراً : يعنى نفسه .

(٢) العذر : جمع عذار ، وأصلها ، عذر « بنم الذال » ولكنه أسكنها هاء على لغة
والعذار : جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » والملم : جمع لمة ، وهو الشعر
المجاوز شحمة الأذن والذى يلم بالنكيب . يقول : إن الشمس تغير ألواننا فتسود وودجوها
البیض ؛ ولمكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البیض ، وهذا من قول أبى تمام :

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُ فِيهَا وَمَا أَخْلَقْنَا فِيهَا بِسُودِ

« القسما — بفتح السين وكسرها — الوجوه »

(٣) الحكم : الحاكم ؛ واحتكنا : تحاكنا . يقول : لو احتكنا إلى حاكم من حكام
الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر ، واسكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود
الوجه ولا تسود الشعر ، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس .

(٤) الأدم — بفتحين وبضمين — جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . يقول : ونحمل
الماء لا يزال مسافراً : إما فى السحاب ، وإما فى قربنا ، لأننا نعرفه من السحاب فتودعه
رواينا .

(٥) العيس : الإبل . يقول . ليست الإبل يغيضة إلى ، فليس إلتاعى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقَنَ بِنَا مِنْ جَوْشٍ وَالْعَلَمِ^(١)
تَبْرَى لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً تَعَارِضُ الْجُدْلَ الْمُرَخَّاةَ بِاللَّجْمِ^(٢)

بعضا لها منى ، ولكنى أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسر من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غر الهواء والماء وسافر صبح جسمه ، وكذلك المهزون : يتنسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسرفه بالإكرام .

(١) أيديها وأرجلها : أى العيس ، وأسكن الباء فى « أيديها » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدَى نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقَ^(١)
ومرقن : أى خرجن . من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حثثنا على السير وأعجلنا حتى كأن أرجلها طاردة لأيديها ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاوُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ^(٢)
وذلك أن اليد أمام الرجل كالطروء يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال : « مرقن » .
(٢) تبرى : تعارض - يقال برى له وانبرى له . إذا عارضه - قال أبو النجم :

* يَبْرَى لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأُشْمَلِ^(٣) *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الحيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الحيل . والجدل . جمع جديل ، وهو جبل من آدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تنبرى الحيل للعيس وتعارض أزمتها باجمها وأعنتها ؛ أى تباريها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الحيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول - المتنبي - : الحيل - لعلو أعناقها وإشرافها - تبارى أعناق الإبل : فتكون اللجم فى أعناقها كالجدل - الأزمة - فى أعناق الإبل .

(١) قاع : قرق : مستو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الشرح .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) يبرى : روى يأتى ؛ يصف ظلما ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أديها - وهو مبيضا - عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِي غَلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَا رِضًا الْأَيْسَارَ بِالزُّلْمِ (١)
 نَبْدُو لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عِمَامَتَهُمْ عَمَائِمٌ خَلَقَتْ سُودًا بِلَا لُثْمٍ (٢)
 بِيضُ الْعَوَارِضِ طَقَانُونَ مَنْ لَحَقُوا مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَالُونَ لِلنَّعَمِ (٣)
 قَدْ بَلَّغُوا بِقِنَاتِهِمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ (٤)
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ طَيِّبِينَ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ (٥)

(١) غلمة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم : أى خاطروا بها ولقينا : أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقاسرون ويجمعون على اليسر . والزلم : السهم من سهام اليسر . يقول : سرت من مصر في غلمة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى المقامرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثم ، ما يلقي على الوجه من طرف العمامة . يقول : إن هؤلاء الغلمة كلما ألقوا عمامتهم التي على رؤوسهم ظهر من شعورهم على رؤوسهم عمامة سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمامة بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ، فهو يقول إن شعورهم على رؤوسهم كالعمائم وليس فيها شيء على وجوههم : يعنى أنهم مردلم متصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس - كما بين ذلك في البيت التالى .

(٣) العوارض : جمع عارض ، صفحة الحد ، وشلالون : طرادون . والنعم : بالماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صعاليك (١) قتالون للفوارس طرادون للنعم ، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا - بالتشديد - مبالغة في بلغوا - بالتخفيف - ورواها بعض الشراح بلغوا - بالتخفيف - وقال في تعليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا - بتخفيف اللام - والباء بعده للتعدي ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متعكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استخرغوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية مهمهم :

(٥) الضمير في « به » للقنا . يقول : هم - أبداً - في القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكأنهم في الأشهر الحرم أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون في الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

(١) اصوص ، قطاع طريق ، وصعاليك العرب : ذؤبانها ولصوصها .

نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ قَمَلُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبَهْمِ (١)
تَحْدِي الرِّكَابُ بِنَا بِيضًا مَشَا فَرُهَا خُضْرًا فَرَّاسِنَهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَمِّ (٢)
مَكْمُومَةٌ بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
عَنْ مَنبِتِ الْعُشْبِ تَنْبِي مَنبِتِ الْكَرَمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : للمنى أنهم لتمرهم في الحرب والقتل في مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسهم غير خائفة من الحرب ، أشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم في الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهى ذو القعدة ، وذو الحجة والمهرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا- والبهمة : جمع بهمة ، وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لا تنطق فأسمعوا الناس صريرها في طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذا من قول هلال المازنى (١) .

تَصِيحُ الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوهَا
ومثله قول بعض العرب .

زُرُقُ تَصَابِحْنَ فِي الْمَتُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجُ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ
(٢) خدت الناقة تحدى . أى أسرع مثل وخذت وخودت قال الراعى .

حَتَّى غَدَتْ فِي بِيَاضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً رِيحَ الْمَبَاةِ تَحْدِي وَالْثَرَى عَمْدُ (٣)
والركاب ، الإبل ، والمشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان .
والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل واليتم : فبتان . يقول : تسير الإبل بنا وهى بيض المشافر باللغام - زيد أفواه الإبل - وقال ابن جني : لأنها لا تترك ترى لشدة السير فيجفف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها
هذين الثنتين

(٣) كهم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السياط

(١) شاعر إسلامي

(٢) ضمير « غدت » بكرة وحشية تقدم ذكرها ، ومباعتها : مكمنها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح للمبابة لما نون طيبة ، وكان حتما الإضافة ، فصارح قولهم : هو ضارب زيدا .

(١٩ - التنبيه ٤)

وَأَيْنَ مَنبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنبِتِهِ أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعَ الرُّمْبِ وَالْعَجَمِ ^(١)
لَا فَاتِكَ آخَرُ فِي مِصْرَ تَقْصِدهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ ^(٢)
مَنْ لَا نُشَابِيَهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْمٍ أَمْسَى نُشَابِيَهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّمَمِ ^(٣)

كانت تمنعها من الرعى ، فكأنما قد شدت أفواهاها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْمَاهُ خَابِطُهَا بِالْخُوفِ مَكْمُومٌ *

[أى لا يتكلم فيها خوفاً ، فكأن الخوف قد كتم فمه] وكنا نضربها عن الرعى في منبت العشب لأننا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأمدى :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا مِنَ الطَّلَحِ تَبْنِي مَنبِتَ الزَّرْجُونِ
« الزرجون : الكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشام ، لأنها أكثر البلاد عنباً » .

(١) القرية : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريباً لذلك ، ولأنه يقرع الناقة ، قال ذو الرمة :

وَقَدْ عَارِضَ الشَّعْرَى سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَرِيعٌ هِجَانِ عَارِضَ الشَّوْلِ جَافِرٌ ^(١)
يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الكرم وكان سيد العرب والعجم ! وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره في البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده وتقصده ، وليس له خلف مثله كرماً وشجاعة ، فقله : لا فانك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فانك » ومن ثم نعتة بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرَّمَم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه في العظام البالية : أى مات فأشبهه الأموات وأشبهوه .

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جهر فهو جافر وفي الأثر أن علياً كرم الله وجهه رأى رجلاً في الشمس فقال : قم عنها فإنها جفيرة : أى تذهب شهوة النكاح ، وعارضها : أى جانبها وهدل عنها .

عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ (١)
مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِبْلِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَصَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمِ (٢)
أَسِيرُهَا بَيْنَ أَضْنَامٍ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ (٣)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلِي أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ (٤)

(١) يقول : لكثرة أسفاري وترددى في الدنيا كأني أطلب له نظيرا ، ولكنى لا أحصل إلا على العدم : أى لا أجد مثله بعده .

(٢) إبل - بسكون الباء - تخفيف إبل - بكسرهما - يقول : مازلت أسافر على إبل إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها بما يضحك لضحكت إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختصبت أخفافها بالدم استخفافا به ، وفي الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختصبت أخفافها بدم في قصده أو في السير إليه : قال العكبرى : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسرها ، وروى أسيرها - مضارع سرت - أى أسير عليها .
وعنى بالأضنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للجرود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفصائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكرو ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى عدت إلى وطنى وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معانى المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكِتَابِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبرى : قطع - المتن ألف الوصل في أول النصف الثانى ، وقد ذكره سيويه في الضرورات - أى الضرورات الشعرية - وأنشد للأعشى

إِذْ سَأَمَهُ خَطَّتِي خَفَّ فَقَالَ لَهُ إِعْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعْهُمَا حَارَ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون في أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامي :

الضَّارِبُونَ عُثْرًا عَنْ بِيوتِهِمْ بِالْمُثَلِّ يَوْمَ مُحَرِّمٍ ظَالَمٍ هَادٍ

والثانية : هكذا لأبى الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أَكْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ (١)
فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْطُّلُومِ (٢)
أَتَمَّتْ بِنِي وَدَوَاتِي مَا أَشْرَتَ بِهِ (٣)
مَنْ أَقْتَضَى بِسُورَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ يَلْمُ (٤)

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْئَةً
وَكَقُولِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ يَنْتُ وَتَكْثِيرُ الْحَدِيثِ قَمِينَ (١)
والرابعة — وهي أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك
كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنين وقال الخليلين للتخلص من الضرورة وكذلك
الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .
(١) الكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأقلام . يقول : قالت لي
الأقلام أخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا ما فعلت بالسيف وما تقول من
الشعر في ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا
من قول البحتری :

تَعْنُو لَهُ وَزَرَاهُ الْمُلْكُ خَاصِمَةً وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَعْذِمَ الْعَلَمَا
(٢) هذا جواب منه للأقلام ، يقول — لها — : أسمعني قولك ، والذي أشرت
به على هو الدواء الذي يشفي ما بي ، فإن تركت مشورتك ولم أظن لها سار دأى هو
قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياي .
(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأقلام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب
حاجته بغير الهندي — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجل — بضم الجيم
وسكون الليم — اسم امرأة .
(٢) نث الحديث ينثته ثا : أفشاء : أي جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير
حظ على « بنث » . وبعده

وإن ضيغ الإخوان سراً فإنني كقوم لأسرار المشير أمين

نَوَهَمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التَّهَمِ^(١)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ^(٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه : كان الواجب أن يقول : عن هل بلا . لأن الطالب بغير السيف يقول : هل تبرع لي بهذا المال؟ فيقول المستول : لا ، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفي : قال الواحدى : وهذا ظلم منه — من القاضي — للمتنبي ، وقلة فهم من القاضي ، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ «هل» بـ «لا» ، لأن للمتنبى عجب ليس هو الحبيب ، والذى أراد المتنبي أن الناس يسألونه : هل أدركت حاجتك ؟ هل وصلت إلى بغيتك ؟ فيجيب ويقول لم أدرك ، لم أبلغ لم أظفر ، لم أصل إلى ما أطلب هذا ، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما ، وقال ابن جني : جعل «هل» و «لم» اسمين فجربا و «هل» حرف استفهام و «لم» حرف نفي ، قال : ويجوز أن تكون الكسرة فى «لم» كسرة الساكن إذ احتيج إلى تحريكه للقافية . كقول النابغة * وكان قد^(١) . وحكى الخليل قال قلت . لأبى الدقيش — الأعرابي — هل لك فى ثريدة كان ودكها عيون الضياون ؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرعه^(٢) (١) يقول : إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال : ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك ، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة ، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه .

(٢) الإنصاف : إعطاء الحق . قال ابن الأعرابي : أنصف إذا أخذ الحق وأعطى ، قال : وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف ، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك ،

(١) قطعة من بيت هو :

أزِفَ التَّرْحَلُ غَيْرَ أَنَّ رَكَبَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

(٢) قال الأزهري : أبو الدقيش كنية واسمه الدقيش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقيش ؟ فقال : لا أدري قلت : ما الدقيش ؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو ؟ قال : إنما الكنى والأسماء علامات ، وقال أبو زيد . دخلت على أبى الدقيش الأعرابي وهو مريض فقلت له كيف تجدك يا أبا الدقيش ؟ قال أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجد وأنا فى زمان سوء ، زمان من وجد لم يجد ، ومن جاد لم يجد . والضياون جمع ضيون : السنور الذكر أو دويبة تشبهه .

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمْ أَيْدِي نَشَانٍ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذْمِ^(١)
 مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالمَوْتِ شَفَرَتُهُ مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمٍ^(٢)
 صُنَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
 مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَزَمِ^(٣)
 هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَعُ الْعَيْنُ كَالْحِلْمِ^(٤)

والرحم : القرابة . يقول : إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب
 فما الظن بمن لا قرابة بينهم . يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه
 في قصده لهم . وهذا من قول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمْعِلُ
 (١) الخدم : جمع خذوم : أى القاطع : يعنى السيوف ، وأيد فاعل تزورهم يقول :
 فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت فى صحبة السيوف ، يعنى إذا لم
 ينصفوا فإنى لا أزورهم إلا محاربا .

(٢) من كل . بيان للمصقولة الخدم ، وشفرته : أى حده فاعل قاضية : يقول : من
 كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين ، الظالم والمظلوم :

(٣) قوائمها : مقابضها ؛ واللؤم : خسة الأصل ضد الكرم ، والكزم : قصر اليد ،
 وناقة كزماه : قصر خطاها ، يقول : صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا فى أيدينا التى
 لا لؤم فيها ولا قصر : يعنى أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا
 معها ، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فتقع فى أيديهم التى هى مواقع اللؤم والقصر عن
 بلوغ الحاجة ،

(٤) ما شق منظره : ماصعبت رؤيته . يقول : هون على العين ما شق عليها النظر
 إليه مما تراه من المكاره ، وهبك تراه فى الحلم . لأن ماتراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى
 المنام ، لأنهما يمكنان قليلا ثم يزولان ، فكأنهما لم يكونا . وروى منظره — بفتح الراء
 فيكون المراد الشئ الذى يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر إليه ؛ والضمير على هذا :
 للبصر ، وعلى الرواية الأولى لـ « ما » . قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى شيئا من هذا وقال
 يقال شق بصر الميت شقوقا ، الفعل للبصر ، قال : ومعنى البيت : هون على بصرك
 شقوقه ومقاساة النزع . . . وهذا كلام — كما تراه — فى غاية الفساده والبعد عن الصواب
 وقال ابن القطاع : قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والخشجة

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِتَهُ
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْفَرَبَانِ وَالرَّخَمِ^(١)
 وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَشْتَرُهُ^(٢) وَلَا يَفْرُكَ مِنْهُمْ نَقْرٌ مُبْتَسِمِ
 غَاضٍ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ^(٣) وَأَعُوزَ الصَّدْقِ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ
 سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَذَّتْهَا^(٤) فِيهَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ
 الدَّهْرُ يَنْجَبُ مِنْ حَمَلِي نَوَائِبُهُ^(٥) وَصَبْرُ جِسْمِي عَلَى أَحْدَانِهِ الْخُطَمِ
 وَقْتُ يَضِيعُ وَغَمْرُ لَيْتَ مُدَّتَهُ^(٦) فِي غَيْرِ أُمَّتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأُمَمِ

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : كروا الأيام أحلام ،
 وغداؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بساحتك من ضرر وشدة فتشمته بشكواك ،
 فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله ، وعبرة التبريزي
 الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكا حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير
 لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن الفرغان - جمع غراب - والرخم
 جمع رحمة - طائر من الجوارح الخسيسة - إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلوا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرك منهم ولا تقربا بتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون
 في قلوبهم مالا يريدون لك من القدر والحداد . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم
 الحيوان كله متغلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشيء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء
 في عدة : أي إذا وعدك أحد بشيء لم يف به ، ولا يوجد الصدق في إخبار ولا قسم : أي
 إذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته في جوب المفاوز والتمرس بالمهاياك واقترامها
 وهو غاية ألم النفوس . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى
 الموت بقاء لدركها أما كن البقاء ، وهذه حالة تمجيز الخلق عن ركوبها .

(٥) الخطم - بالضم - جمع حطوم ، وبفتح الطاء . جمع الحطمة : أي التي تحطم
 من ألت به . وصبر جسمي : يروي : وصبر نفسي .

(٦) وقت : أي لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو
 وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيع في مخالطة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ^(١)

وقال بمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه :

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا أَنْكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمًا^(٢)
كَأَنَّمَا مَائِجُ الْهَوَاءِ بِهِ بِحَرٍّ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ عَنَمًا^(٣)

أهل هذا الدهر ومصاحبهم ، لأنهم سفلت أنذال يضيع الوقت بصحبهم؛ ولت مدة عمرى كانت في أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكون أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فبرهم وأتاهم بما يفرحون ، ونحن أتيناهم وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البسقى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لَا غَرَوْا إِنْ لَمْ نَجِدْ فِي الدَّهْرِ مُحَرَفًا فَقَدْ أَتَيْنَاهُ بِمَدِّ الشَّبَابِ وَالْخُرُوفِ
وقد نظر المتن فى بيته إلى قول من قال :

وَنَحْنُ فِي عَدَمٍ إِذْ دَهَرْنَا جَدَعٌ فَالآنَ أَمْسَى وَقَدْ أَوْدَى بِهِ الْخُرُوفُ

(٢) نثره . أى منثوره - أى ما نثر منه - والديم : جمع الديعة ، وهى المظرة الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لسكرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأننا نراه كذلك .

(٣) مائج : يروى مازج ، والنعيم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها اللبان المخضوب ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبِ رَخْصِ اللَّبْنَانِ كَأَنَّهُ عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ^(١)

يقول : كأن الهواء - وهو مائج بهذا الورد عند نثره بجر من النعم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بجر قد حوى النعم مثل مائه كثرة .

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .

نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُوفِ دَمًا وَكُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكْمًا^(١)
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَلَ الضِّيَاعَ بِهَا وَالنِّعَمَ السَّابِغَاتِ وَالنِّقْمَ^(٢)
فَلِيرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلَامًا^(٣)
وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرَ مَا نَثَرْتُ وَإِنَّمَا عَوَّذْتُ بِكَ الْكَرَمًا^(٤)

(١) يقول : إن الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف : أى يفرقها فى أعدائه وهى دم - أى متطلحة بالدم - فكأنها دم ، وينثر كل قول يقولوه وهو حكم : أى إذا قال قولاً قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد فى قراءة الحرمين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدي : والسابغات : التامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الخرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شئ آخر ، هذا هو الأصل فى تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلاً ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوماً ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* تَعَرَّضَ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ^(١) *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل : أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلاً . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد . يقول : إنه ينثر الخيل - أى يفرقها فى الغارة - ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التى ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدي ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده - عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفاً على « السيوف » أى الذى ينثر الخيل - أى يفرقها - فى الضياع فينظمها بها ، والذى ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثان لـ « يرنا » ، والضمير فى « منه » للورد . يقول : إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد - يريد الدنانير والدرهم - فإن كان الورد يشكو يده - لأنها نثرته - فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عوذه : رقا رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

(١) من معاقته ، وصدرة :

* إِذَا مَا الثَّرَىٰ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ *

خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى^(١)

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه عين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فنترك وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفا : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يعان » من قولهم عين الرجل فهو معين ومعين : إذا أصابته العين . وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات فى نثر الورد غير مليحة ، وليس التنبي من أهل الأوصاف ، قال العبرى : إنما التنبي من يحسن الأوصاف فى كل فن ، وإنما هذا الذى يأتى له فى البديهة والارتجال — أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به . ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لكان أسقطه من شعره .

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنْبوس سنة أربعين وثمانئة وبلغه أن
المدو في أربعين ألفا ، فتهيبتهم أصحابه ، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش :

تَزُورُ دِيَارًا مَا نَحِبُهُ لَمَّا مَفَنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَأْكِينَهَا الْإِذْنَ^(١)
نَقُودُ إِلَيْهَا الْأَخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيْهَا السَّكَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّ^(٢)
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْفَى أَبَا الْحَسَنِ الْهُوَى
وَنُرْضِي الَّذِي يُسْنَى الْإِلَآهَ وَلَا يُسَكْفَى^(٣)

(١) المفعي : المنزل الذي كان به أهله ففنى بهم . لما قال تزور والزيارة تقتضي المحبة
فنى أن يكون محبا لتلك الديار ، لأنها ديار أعداء . يقول : تزور هذه الديار على غير محبة
لغنى من مغانيها لأنها ديار عدو ، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن في ذلك من غير
ما كتبنا أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة : سيف الدولة ، لأصحابها
الروم .

(٢) المدى : الغاية . والسكاة : جمع كفى ، وهو البطل المستقر في السلاح . يقول :
نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نترامى إليها وتحرز لنا قصب السبق ،
عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها .

(٣) نصفى : نمحص . وأراد بالذى يكفى أبا الحسن : سيف الدولة ، لأن اسمه على ،
والذى : مفعول أول لنصفى ؛ مفعول ثان . وقوله يسمى الإله ولا يكفى : أى أنه
سبحانه لا كنية له ، وتعالى عن الولد حتى يكفى به يقول : ونصفى سيف الدين مودتنا
فنتقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب . هذا ويقال كنى
فلانا ، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه . والعرب - كما قال العكبرى - كانت
تكفى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء . وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله
عليها وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم - وهى
أم أنس بن مالك - فكان يقول له - أى لولده - « يا أبا عمير : ما فعل النغير (١) » .

(١) النغير تصغير النغر ، وهو فرخ الصفور أو طائر يشبه الصفور أو من صغار
المصاير تراه أبدا صغيرا ضاويا ، وكان لهذا الولد نغر .

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدُنَا^(١)
وَأَنَّا إِذَا مَا أَلَمْتُ صَرَحَ فِي الْوَغَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ^(٢)
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِيَّانَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمْنَا^(٣)
وَحَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكْدُسُنَ مِنَّا هُنَا عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا^(٤)

(١) يقول : إذا أبنا من أرضهم عدنا إليها : أى فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوغى : الحرب . يقول : إذا صار للوت صريحاً في الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرمح والضرب بالسيوف : أى اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه .

(٣) لقاءه مرفوع بـ « حبيت » : أى المحبوب لقاءه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يحب لقاءه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، وحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « اليم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة ولأئمة النحوي هلم كلام كثير ولعل أوجه ما قلناه الخليل بن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أى جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أى اقرب و « ها » للتنبيه ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعل اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير فى لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون لل اثنين : هلمنا ، وللجمع : هلموا ، والمرأة : هلمى ، وللنساء : هلمن . والأول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لى ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، والمرأة هلمن - بكسر اليم - وفى التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجل ، وهلمنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم - بفتح الألف والماء - كأنك قلت : إلام « ألم » وتركك الماء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهله ، أى لا أعطيه .

(٤) يريد بالخيـل : خيل العدو ، وحشوناها الأسنة : أى جعلنا الأسنة حشوا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أى الخيل - أى خيل العدو - أى اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و « هنا » بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهَنَا وَهَلَى الْمَسْجُوحِ *

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَا^(١)
تَعَدَّ الْقُرَى وَالْمُسُ بِنَا الْجَيْشَ لَمَسَةً نُبَارُ إِلَى مَا تَشْتَهِي بِذِكِّ الْيُمْنِ^(٢)
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسُ نُتَبِّعُ الْبَارِدَ الشَّخْصَا^(٣)

« يصفه بالغطاء : أى يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى منجيته : أى طبيعته . وقد أخذ المتنبي قوله حشوناها الأسمه من قول الوليد بن المغيرة :

وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ الْجَدُّ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَآخَرَ يَهْوِي قَدْ حَشُونَاهُ ثَمَلِبَا
« يقال للقتيل ركب رده : إذا خر لوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطيح بالزعفران ، والثعلب . طرف الرمح الداخل في جبة السنان »

(١) قال ابن جني : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا سيف الدولة فظنوم روما ، فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى « حشئن » ونحوه .

(٢) تعد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسماع يقول - لسيف الدولة - : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدنا . منهم دنو اللامس من الملموس نسابق يدك اليمنى إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم : أى أن الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيدك ، هذا : وقد قال العكبرى في تفسيره الغريب من هذا البيت : المباراة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للكيت .

قَبِيحٌ بِمَثَلِي نَمْتُ الْفَتَاةِ إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا
ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور . قال الأصمى : بار يبور بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه جرب بها ، فإن كان كاذبا فقد ابترها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، افتعال - من برت الشيء أبوره : إذا خبرته - وأنشدوا بيت الكيت هذا ، وقول الكيت « إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا » أى إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دماؤهم وقد برد ماسفكتناه وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لانفك من سفك دماؤهم فإذا برد ماسفكتناه أتبعناه دما طرياحارا .

وَإِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَضْبَ فِيهِمْ
 فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضَّرَابِ الْقَنَا اللُّذْنَا^(١)
 فَمَنْهُ الْإِلَى لَا نَأْتِي لَكَ نُصْرَةٌ وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَخَذَهُ أَغْنَى^(٢)
 يَفِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الثَّمَلَا وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضِي مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَذْنَى^(٣)
 فَلَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ الدِّمَاءُ وَلَا اللَّهُا وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا مَعْنَى^(٤)
 وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا^(٥)

(١) العضب : القاطع ؛ والقنا : الرماح ؛ والاذن : اللينة . ويقال رمح لذن -
 بفتح اللام - ورماح لذن - بضمها - يقول : إن كنت فيهم سيفاً قاطعاً فدعنا تقدم
 إليهم تقدم الرماح ، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف . قتل إن سيف
 الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفاً ،
 فتهيب جيشه للمسير إليهم ، فلما أنشد هذا البيت ، قاله سيف الدولة قل لهؤلاء - وأشار
 بيده إلى من حوله من العرب والعجم - يقولوا كما تقول حتى لا ننثني عن الجيش ، فما
 تجعل أحد منهم بكلمة .

(٢) الأولى : الدين ؛ ولا نأتى : لا نقصر ، ونصرة : تميز . يقول : نحن الذين
 لا نقصر في نصرتك ، وأنت لو اكتفيت بنفسك في قتال الأعداء لاستغنيت عنا .

(٣) الردى : الموت ، والأذنى : الدون : يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بخدمته العلى
 ولا يرضى عنده بالعيش الدنى ، فكأنه يقول أفيك بنفسى .

(٤) اللهيا : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود ،
 لأن الدماء إنما تجري بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجري بجهودك ، ولولاك لم
 يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى .

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه أراغهم على الذهاب إلى الروم ،
 تخافوا خوفاً منهم على أنفسهم . يقول : الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفاً ،
 « فإن خاف شيئاً غير مخوف فقد صار خوفاً ، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ؛
 وهذا من قول دعبيل :

هِيَ النَّفْسُ مَا حَسَنَتْهُ فَمَحَسَنَ لَهَا وَمَا قَبَحَتْهُ فَمَقَبَحَ

وخال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورحا وفرساً ممها مهرها ، وكان
المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حَيَاتَهَا إِذَا نَشِرتْ كَانَ الْهَبَاتُ صِيَوَانَهَا^(١)
تَرِينًا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكَهَا وَتَجَلُّو عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا^(٢)
وَلَمْ يَكُنْهَا تَصْوِيرُهَا الْخَلِيلَ وَخَدَهَا فَصَوَّرَتِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا^(٣)
وَمَا أَذْخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوِّرٍ سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا^(٤)
وَتَتَمَرَاهُ بَسْتَقْوَى الْفَوَارِسِ قَدْهَا وَيَذْكُرُهَا لَرَاتِهَا وَطِعَانَهَا^(٥)

(١) ثياب - بالرفع - على أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل للفعل محذوف : أى
هندى ثياب كريم . أو أنتهى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب
ويحفظها . يقول : أنتهى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، وإنما يهبها ، فليس لها
صوان غير الهبات : أى أنه لا يصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله
« كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من اللاف ومتديل كان هبة أيضا ، كما قال
فى موضع آخر :

• أَوَّلُ تَحْمُولِ سَبِيهِ الْحَمَلَةِ •

(٢) الصنّاع : المرأة الحاذقة بالعمل . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية . يقول :
إن ناسجتنا من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فمى ترينا إيام فيها ،
وترينا كذلك صورة نفسها وجواربها .

(٣) يقول : لم تكنف بتصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن
تصويره فلم تترك شيئا إلا صورته ماعدا الزمان ، لأنه لا صورة له ، فذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصنّاع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئا هو فى وسع المصور
إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم
تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لا يتعدى إلى مفعولين لكنه ضمير فعلا فى معناه
يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وما حرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم — فى البيت الأول . - وقد كانت فى
جملة الهبات . يريد قناة سمراء ، واستنواء قدها الفوارس إطاعه إيام بطوله وملات
وشرائط كاله فى تصريفه واستعماله ، وإظهار مجزى عنه إذا باشروا ذلك ، وتذكيرهم
السكر والطمع .

رُدِّيْنِيَّةٌ تَمَّتْ فَسْكَادَ نَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا رُجُهَا وَسِفَانُهَا^(١)
وَأُمُّ عَتِيقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مِنْ أَعْجَبَتِهِ فَقَانَهَا^(٢)
إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنْتُهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا^(٣)
فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطَى سِوَاىَ أَمَانَهَا^(٤)
وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمَحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى بَدَى عِنَانَهَا^(٥)
وَمَالَى ثَنَاءً لَا أَرَاكَ مَسْكَاةً قَهْلَ لَكَ نَعْمَى لَا تَرَانِى مَكَانَهَا^(٦)

(١) ردينية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والرج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يجعل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها - الذى أنبته الله - كاد نباتها يجعلها ذات زج وسان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : الكريم من الخيل . وهانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الصنف دون عمه ؟ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الحال والأم أخوان ، فإذا كان العم أكرم من الحال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ . يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقها . يريد أن الفرس كانت قبيلة ، أما المهر فكان جملا .

(٣) شانتة : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايَرَت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيتة عليها ، لأن للمهر أكرم من الأم وأجمل فهي تشين للمهر بقبحها ، ولأنها أمه ، وللمهر يزينها بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا أهديت إلى فرسا إذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشرى ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) السنان : سير الأجسام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعت عليها وقرطت عنانها (*) يبدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجه يرحمه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أنى عليك به ، قهل لك نعمى - نعمة - لا تعرفى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مديده بالعنان فجعله على قذان فرسه ، وهى تخضر تجرى - والمراد : أرخى العنان

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ الماء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :
 حَجَبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارِ دُونَهُ يَذْمُهَا النَّاسُ وَيَحْمَدُونَهُ^(١)
 يَا مَاهُ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِنَهُ أَمْ اشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ^(٢)
 أَمْ انْتَجَعْتَ لِلْفِي يَمِينَهُ أَمْ زُرْتَهُ مُكْتَرَأَ قَطِينَهُ^(٣)
 أَمْ جِئْتَهُ مُحْنِدًا حُصُونَهُ إِنْ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ^(٤)
 يَا رَبِّ لَجَّ جُمِلَتْ سَفِينَتُهُ وَعَازِبِ الرُّوضِ تَوَقَّتْ عُونَهُ^(٥)

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هي دونه في الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فمنعت الناس من زيارته ، فهي لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبري : يقال إن سيف الدولة رأى في المنام أن حية طوقت داره ، فعظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان يحمي رجل ضرير من أهل العلم يفسر للنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوى على دارك . فأمر به فأخرج بعنف ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتلوا على دار سيف الدولة ، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) للمعين : الماء الذي يخرج من الأرض ، من عين ونحوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله في الندى فزخرت وزدت .

(٣) أصل الانتجاع : طلب للرعى ، ويقال انتجعه : أى قصده يطلب معروفه .
 والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمه وأتباعه وأهل منزله قال :

نَهْتَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجَاهَا قَطِينُهَا

يقول : أم جثته تطلب معروفه لتصبح غنيا ، أم أتيت زائرا لتكثير من عنده في مجلسه ؟

(٤) الخندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم جثته لتعفر خندقا لحصونه نمنا للعدو ؟ لاجابة به إلى الخندق ، لأن جياده - خيله - ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعاذب :

(٢٠ — التنبئ ٤)

وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُفُونَهُ وَشَرَبَ كَأْسَ الْكُفْرِ رَيْنَهُ^(١)
وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ أَيْنَهُ وَضَمَّتْ أَوَّلَهَا عَرِينَهُ^(٢)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِينَهُ يَقُودُهَا مَسْمُوداً جُفُونَهُ^(٣)
مُبَاشِراً بِنَفْسِهِ شُشُونَهُ مُشْرِقاً بِطَفْنِهِ طَمِينَهُ^(٤)
• عَفِيفَ مَا فِي تَوْبِهِ مَأْمُونَهُ^(٥) •

البعيد والعون : جمع غانة ، وهي القطعة من حمر الوحش . وتوقفها : أخذتها وافية ،
وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فصكن له كالسفين ، ورب
روض بعيد الراعى أهلكته خيله حمرة وجميع مافيه من أنواع الوحش فصادتها
بجملتها .

(١) وذى جنون : أى ورب ذى جنون - يعنى عامياً متمرداً مغروراً بهمهله -
أذهبت الخيل جنونه : أى أذلته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب - اسم جمع
بمعنى الشاربين - أى رب قوم لاهين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل
حتى كثر رنينهم - أى صياحهم وبكاؤهم - على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على
« شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ السَّمْعَاتِ الشُّرُوبِ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكُتَنِ^(١)

(٢) الضمير فى « غنائه ، وأينته » للشرب ؛ والضميم : الأسد ، والعرب :
مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطريه أيننا ، لما ألم به من
قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطئها
وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطئت خيله جبينه وهويقودها
إليه لا يعطى جفنه حظاً من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طمينه : مطمونه . يقول : إذا طمن إنساناً شرفه بطمعه إياه ، لأنه رآه أهلاً
للمبارزة والمحاربة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونة لا يقرب الزنا .

(١) الكتن : الكتان ، حذف الألف « الألف » من الكتان وصماه الكتن للضرورة
قال ابن : لم أسمع الكتن فى الكتان إلا فى شعر الأعمش ، وللمسمعات : اللغنيات
جمع مسمعة .

أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيِّمُونَهُ^(١) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ^(٢)
 * شَمْسٌ تَمْتَحِي الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ^(٣) *

إِنْ تَدْعُ بِأَسِيفٍ لِنَسْتَعِينَهُ يُجِبْكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سَيْفَهُ^(٤)
 أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمَكِينَهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ^(٥)

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وأنشده
 إياها بآمد :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي^(٦)
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرْقَةٍ بَلَفَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(٧)

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير المعطاء — يصخر كل ملك
 بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تمتحى أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر
 الضمير في «تكونه» لأنه عنى بالشمس الأولى المدحوح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت ياسيف — مستعينا — أجابك قبل إتمام سبيل
 السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء يقول : أدام الله — الذى صان هذا المدحوح
 وصان دينه من أعدائه — تمكينه منهم — من أعدائه — فالضمير في « نفسه » للمدحوح ،
 وفي « دينه » لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استئناف . يقول :
 إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها
 وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هي خرق . والحاصل أن العقل — في
 ترتيب للنائب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) ها : فاعل المحذوف يفسره المذكور ، والأصل : إذا اجتماعا اجتماعا ، فحذف الفعل
 الأول وانفصل ضميره ، والظرة — بكسر الميم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وهزة
 النفس ، وأصل المرة لإحكام القتل . يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ^(١)
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَعِيفٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٢)
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ الْنُفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكِمَاءِ عَوَالِي الْمُرَانِ^(٣)
لَوْلَا سَيْئُ سَيْوفِهِ وَمَضَاؤُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكِنَّ كَالْأَجْفَانِ^(٤)
خَاضَ الْحِمَامَ بَيْنَ حَتَّى مَا دُرِيَ أَمِنْ اخْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانٍ^(٥)

وتروى مرة - بضم الميم - من الرارة : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى
الذل والضم ولا تلين قناتها للأعداء : بلغت أعلى المبالغ من العلى .
(١) الأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو السكفة في الحرب ، يؤكد
تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالسكفة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل
أن يصرح بالقتال .

(٢) و(٣) الضيفم : الأسد ، والمراد بأدنى ضعيف : أدون ؛ فأدنى : أخس وأدون .
وأدنى إلى شرف : أى أقرب . والكساء : جمع كمى ، وهو البطل للشملة بالسلاح .
والعوالى : صدور الرماح . والمران : الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان
بالعقل ، فالأدنى أفضل من البهيمة بعقله ، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال
الأمون : الأجسام أبضاع ولحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لا لحم أطيب من لحم .
وقوله ودبرت : أى ولما دبرت أى إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل ،
ولولا العقل ما عرفت الأيدى تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل
بالعقل . قال الخطيب التبريزي : غزت «تميم» حنيفة فاستأقت أموالاً ورجالا ، فبانت
حنيفة ثلاثاً ، ثم تبعوهم ، فقبل لعلام منهم : كيف صنع قومك بهوافر الخيل حتى
لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جملوا المران أرضية الموت ؛ فاستبقوا بها
أرواحهم .

(٤) سمى سيوفه : يعنى سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد
السيف . يقول : لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيئاً ، ولكانت في قلة الغناء
كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب
الزبيدي أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال :
إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول : خاض الحمام الموت - بسيوفه حتى لم يعلم ذلك الخوض من احتقار الموت أم

وَسَمَى فَقَصَرَ عَنْ مَدَاهُ فِي اللَّغَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ^(١)
تَخَذُوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنْ الشَّرُوحَ بِمَجَالِسِ الْفُقَيَّانِ^(٢)
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنَ فِي الْمَهْجَاءِ غَيْرِ الطَّعْنِ فِي الْمِيدَانِ^(٣)
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْضِ إِلَّا إِلَى الْمَعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ^(٤)
كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُفِيرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْإِحْزَانِ^(٥)
إِنْ خُلِيتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى فَدَعَاوَهَا يُفْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ^(٦)

نسيان للموت وغفلة عنه ؟ ودرى : مجهول « درى » لغة طيء . وثانى مفعولى « درى » محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) اللدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أصحاب أهل الزمان الحاضر : فـ « أل » فيه للعهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) اتخذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفنى لا يلبق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى أيامه عليها فى الغارة على أعدائه .

(٣) الوغى والمهجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطعن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لعب : أى إذا لعبوا فى الميدان فظاعنوا بالرمح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطعن فى اللعب غير الطعن فى الحرب ، لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ما هو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من المعركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابقه : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوغى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تفرج من مكانها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونَ غِبَارُهُ فَكَأَنَّمَا يُبْعِرُونَ بِالْأَذَانِ^(١)
يَرْمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانٌ^(٢)
فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتَرْبَةٍ مَنبِجٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ^(٣)
حَتَّى عَبْرَنَ بِأَرْسَنَاسٍ سَوَاحِمًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ^(٤)
يَقْمُضْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهْنٌ كَالْخُصْيَانِ^(٥)

فكانها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جني : وهذا كقوله .

تَمَطَّطُ فِيهِ وَالْأَعْفَى شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسِّيَاطُ كَلَامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفي جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون ؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسم نظرها ؛ ولما سكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكانها تبصر بآذانها ، وهذا من بديع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحتري :

وَمُقَدِّمُ الْأُذُنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ بِهِمَا رَأَى الشَّخْصَ الَّذِي لِأَمَامِهِ

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شيء ، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام : — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها في العدو — الجري — يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها ، أي كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جني : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أرسناس : نهر بالروم ، بارد للماء جداً ، يريد — لسرعته في السباحة — تنتشر عمايم فرسانها .

(٥) يقمصن : يثبن . والمدي : جمع مديّة — السكين . يقول : إن الخيل تثب في هذا النهر الذي هو كالمدى — السكاكين — لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدي من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصي لتقلص . خصيته لشدة برده .

وَالْمَاءَ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ ^(١)
 رَكْضَ الْأَمِيرِ وَكَالْعَجِينِ حَبَابُهُ وَتَفَى الْأَعْنَةُ وَهُوَ كَالْعَقِيَانِ ^(٢)
 فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْفَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينَ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ ^(٣)
 وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِفَيْرِ قَوَائِمِ عَقَمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ ^(٤)
 تَأْنِي بِمَا سَبَتْ الْخُيُولُ كَانَهَا تَحْتَ الْحَسَانِ مَرَايِضُ الْغِزْلَانِ ^(٥)

(١) المعجاجة : الغبرة . يقول : إن الجيوش صار فريقين في عبور هذا النهر : فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج - غبار - والماء بينهما ، فالمعججتان تفترقان بالماء وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جني : يعنى معجاجة المسلمين ومعجاجة الروم قال الواحدى : وليس بما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد . ولكن البيت التالى يؤيد ما ذهب إليه ابن جني . قال ابن جني : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقنا ، وقلما تثور المعجاجة في الشتاء ؛ قال : وسألته : أى المتن - عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان في حزيران - وقال هو من أبرد المياه في كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تملو للماء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يصكون في رأس الفرس ؛ والعقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والماء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الفدائر : جمع غديرة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة . يقول : اتخذ جبال سفنه من ذوائب سبايه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معابدهم ، وذلك لكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماض ، والضمر للماء . وعادية : أى راكضة ، من العدو - الركض - وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة - مطلية بالقار - شبه السفن بالحيل العادية والحيل لها قوائم ، ومن عادتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول : إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتهن الفوارس وكانهن غزلان والسفن

رَرَّ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَمَلَوَارِقِ الْحَدَثَانِ^(١)
 قَتَرَتْ كُتْبَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى رَاعَاكَ وَاسْتَنْقَى بَنِي حَمْدَانَ^(٢)
 الْمُخْفَرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ صَارِمٍ ذِمَمَ الدُّرُوعَ عَلَى ذَوَى التَّيْجَانِ^(٣)
 مُتَصَلِّكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ^(٤)
 يَتَقَيَّلُونَ غِلَالًا كُلُّ مُطَهَّمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ^(٥)

مرايض لها ، هذا : والمرريض جمع مريض ، وهو ماوى الغنم والوحش ويجمع مريض على مرايض وأرباض ، قال المعجاج يصف الثور الوحشى ؛

واعْتَادَ أَرْبَاضًا لَهَا أَرَى مِنْ مَعْدِنِ الصَّيْرِانِ عُدْمِي^(١)
 (١) و (٢) بحر أى هو - النهر - بحر الح . وأذم له من فلان . أجاره منه .
 والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق .
 وبنو حمدان : عشرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف الدولة ببحر تعود
 أن يجبر أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته
 أنت تركته يجبر أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على
 عبوره .

(٣) المخفرين : نعمت بنى حمدان ، أو منصوب على اللدح . ويقال : خفرت الرجل :
 إذا أجرته وأخفرتة : إذا نقضت عهده . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع . والذمم
 جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيوفهم
 لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاء لهم ، فكأنهم فى خفارتها
 جعل سيوف بنى حمدان تنقض تلك الذمم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لا مال لهم وعلى كثافة
 ملكهم : أى مع عظمة ملكهم وغنمته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك .
 لتعرضهم للغارات وشدايد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماء ولينا
 (٥) الثقيل : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق
 من الحيل . والأجل وقت الشيء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها أرى : أى لها آخية من مكانى البقر
 لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قال ابن السكيت . وقد تسمى الآخية
 آريا ، وهو جبل تشد به الدابة فى محبسها ، والعدلى : القديم

خَضَعَتْ لِمَنْصُلِكَ الْمَاصِلُ عَنُوةً وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الْأَدِيَانِ^(١)
وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ وَالسَّيْرُ مُتَمَتِّعٌ مِنَ الْإِمْكَانِ^(٢)
وَالطَّرِيقُ ضَيْقَةٌ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ^(٣)
نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَضَعَدْنَ بَيْنَ مَنَاقِبِ الْعِقْبَانِ^(٤)

والظلم القدر من النعام . والربقة : العروة من جبل يشد بها والسرطان : القدر .
يقول : إذا خرجوا في الغارات استظلوا عند اعتداد الحر بظل خيولهم ، يعنى أنهم مثل
البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا - من القيلة - لجأوا إلى ظلال خيلهم .
ومعنى قوله :

* أجل الظلم وريقه السرطان *

أنها - الخيل - إذا طردت النعام والذئب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو :
وهذا من قول امرئ القيس :

بُمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ

وامرؤ القيس : هو أول من قال « قيد الأوابد » ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومي في الغزل :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُعْلَلْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحَدَّثُ أَنَهَا لَمْ تُوجَزِ
شَرُّ الْعُقُولِ وَتَرْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطْمَئِنِّ وَعَقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ

ورواية يتقيلون : هي رواية ابن جني ، وذهب في معناها مذهبا غير القدي أسلفنا ،
قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين
في الشرف والسبق إليه كالفرس المظم . وقال ابن فورجه وابن القطائع : إنما الراوية
يتفياون ، يعنى أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالغرب والتبدي - أى
التقشبه بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنوة : أى قهرا .

(٢) و(٣) و(٤) على الدروب : صلة نظروا في البيت الثالث - أو حال من ضميره ؛

والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : الغلة والعار - أى ما يغض منه الإنسان ؛
والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة : وهى القطعة
من الحديد والبراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَارِسُ يُخَيِّمُ الْجَمَامُ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَوَانِ^(١)
مَا زِلْتَ تُضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذَّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ^(٢)
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانٍ^(٣)

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تصذر علينا الانصراف والرجوع ، لما في ذلك من العار والغضاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أماننا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم - في هذه الأحوال وفي هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء - عند رفع الأبطال إياها للضرب - كأنها تصعد يا مناكب العقبان ، فلا يرونها إلا فوق رؤوسهم أو تقول : في هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون في الحديد ، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشبهاله عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان في خفتها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والجمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا في الحرب حيوا : أي يرون حياتهم في قتلهم في الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيى بهلاكه ، يعني أنهم غزاة مجاهدون في سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقاً عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَسْتَعِذُّونَ مَنَآيَاهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلاً :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تَمْطِيهِ الذِّى أَنْتَ سَائِلُهُ

وهو من الأخذ الخفي ، لأن زهيراً جعل المدح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل التنبئ هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : للتابعة . والذرى جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . يقول : مازلت تضربهم ضرباً متتابعاً في أعالي أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضاً ، فكأنه سيفان . وقال ابن جني : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير في « خص » يعود على الضرب والجمام : جمع جمعة ، وهى عظم الرأس الشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا في وجه أو في رأس ، لأنه

فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَذْبَرُوا يَبْغِشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً حُرْمُوا الَّذِي أُمِلُوا وَأَذْرَكَ مِنْهُمْ وَإِذَا الرِّمَاحُ شَفَلْنَ مُهْجَةً نَائِرٍ يَطْوُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانَ^(١) يُمْتَقِفُ وَمُهَنْتِدِرٍ وَسِنَانٍ^(٢) أَمَّالُهُ مَنْ عَادَ بِالْحِرْمَانِ^(٣) شَفَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنْ الْإِخْوَانِ^(٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكان أجسامهم أمت إليك بأمان ، ومن ثم لا تعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التي يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مدبرين يطوان في هزيمتهم تلك القسي . التي رموك بها .

(٢) مفصلاً : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة وللتقف : المقوم ، يعني الرمح . والمهند : السيف الهندي . والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطرياتي دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالطر الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهي تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرمح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان بعد نفسه مدركا أملة ، لأنه نجا بنفسه ، و« عاد » يروى عاذ — بالذال للمعجمة — من عذت بالشئ : امتنعت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أملة منهم من لجأ إلى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشئ : تأملا ، وأملته أملة أملا .

(٤) المهجة : الروح . والثائر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب ثأر شغلته سيانة روحه عن إدراك ثأر إخوانه . يعني أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك ثأر قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه في مدح سيف الدولة ، وظهره هجاء محض ، لأنه يقول : شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية الهجو ، لأن العرب مهدت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فحذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة ثأر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبُ كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَ الْعَانِي ^(١)
وَمَهْذَبُ أَمْرِ التَّنَايَا فِيهِمْ فَأَطَاعْنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ ^(٢)
قَدْ سَوَدَتْ شَجَرَةَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ فَكَأَنَّ فِيهِ مُسْفَةَ الْغُرَبَانِ ^(٣)
وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ ^(٤)
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانِ ^(٥)

والثاني يكون « شغلته » صفة لثأر ، وهذا إن سلم من المجيء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل في الحذف مالا يحتمله ، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله « عن » بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغلت سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » أى بالهوى .

(١) العواد : للعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والعاني : الأسير . يقول : بعد ما أملاوا من العود إلى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتل منهم وقل من يفرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعنى سيف الدولة — أطاعته للتناي في إهلاكهم — أى الروم — وهذه الطاعة : أى طاعة التناي له هى طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد في سبيل الله .

(٣) للسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه . والضمير في قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلام حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكأن الغربان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقاني : الشديد الحرارة . وأصله الهمز فلينه لتصریح . والنارنج : معروف . يقول : لما بعثر شعورهم على الأشجار اسودت ، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحرته كأنه النارنج في الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لا يفرعون في الحرب ، كما لا تفزع هى ولا ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا بَرْغَادٍ لَزِيْفَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ حَامِلُهُ
قال ابن جنى : قوله إن السيوف مع : يدل على معنى النصر والمهونة ، كما تقول : الله معنا : أى معين وناصر ، وليست في معنى الصلبة ، لأنها لو كانت كذلك لم يكن لها

تَلَقَى الْحَسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَدٍّ مِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفُ كُلُّ جَبَانٍ^(١)
رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيِّرَانِ^(٢)
أَنْسَابُ فَخْرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَصْلِهِمْ إِلَى عَدْنَانِ^(٣)
بَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحَتْ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ^(٤)
فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فَيْكِ لِسَانِي

وقال في صباه في المكتب :

أُبَلَى الْهَوَى أَسْفَا يَوْمَ النَّوَى بَدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ^(٥)

نفع ، والمراد أن السيوف تنصر الدين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين في الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية .

(١) تلقى : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءة حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه في الضريبة ، فعبر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان في يد الجبان لم يغن في يده شيئاً ، كما لا يغنى الجبان ، لأن الفعل للضارب .

(٢) العِمَاد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال : فلان رفيع العِمَاد : إذا كان في قومه شريفاً ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب ؛ وانقمم : جمع قمة وهى أعلا الرأس ؛ وللواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رؤوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رؤوسهم وجعلوا جماجمهم أئناً فى ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لا يمتنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتني بإحسانك حتى قتلني : أى استعبدتني بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه غيره يبله إبلاء . والآنسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه ، لأن « إبلاء

رُوحٌ تَوَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِينِ^(١)

الهوى بدنه « يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف له « أبلى » ويجوز أن يكون معمول المصدر الذى هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومعنى إلباء الهوى البدن : إذهابه كله وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح الهوى إنما يشتد عند العراق . والهوى عذب مع الوصال ، سمع مع الفراق ، كما قال السرى الرفاء :

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أُرْيَةَ مَا لَمْ يَشُبْ يَوْمًا حَلَاوَتَهَا الْفِرَاقُ بِصَابِهِ
« أُرْيَةَ : فعلة من الأرى ، وهو العسل » . يقول : أفضى الهوى ييدنى إلى الأسف
والهزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفنى والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .
(١) روح : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛
ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا - على تكبير الروح - وأن تجعله مضارعا -
على تأنيها - وأصله تردد - بتاءين - فحذفت إحداها للتخفيف . والخلال : هو ذلك
العود الدقيق الذى تغلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتبقى فى بدن مثل الخلال
فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى
إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز أن يكون معنى « لم يبين »
لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لحفته . قال الواحدى : وأقرأنى أبو الفضل
العروضى فى مثل الخيال ، قال - العروضى - : أقرأنى أبو بكر الشمرانى خادم المتنبي :
الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الواواء الدمشقى
سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وَمَا أَتَبَقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مِنِّى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ
خَفِيتُ عَلَى النَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِ كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّى فِي مَحَالِ
وهذا المعنى - كما قال الواحدى والمكبرى - كثير قد آلت به الشعراء القدامى
والحدثون ، وأحسن ما قيل فيه قول بعضهم :

بَرَانِ الْهَوَى بَرَى الْمُدَى وَأَذَابِنِ صُدُودُكَ حَتَّى صِرتُ أُنْجَلٍ مِنْ أُنْسِ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أُرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ الذَّرِّ فِي أَتَقِ الشَّمْسِ
وقول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجُلٌ نَوَلًا مُحَاطَبِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي^(١)

(١) الباء في « بجسمي » : زائدة ؛ وجسمي : مفعول « كفى » ونحوها : تمييز ؛ وأنني رجل : في تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول — صاحبه — : كفاني فعل النحول بي أنني رجل لو لم أنسلكم لم يقع على البصر : أي إنما يستدل على بصوتي ، كما قال أبو بكر الصنوبري :

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنِّي حَيٌّ إِلَّا بِبَعْضِ كَلَامِي
وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ
وزولا على حكم خطئنا في هذا الشرح نورد ما ذكره ابن الشجري في تعليقته النحوية على هذا البيت قال فيه سؤال في الإعراب يبي « كفى بجسمي نحولا » وبين « كفى باقه » و « أن » المفتوحة تسكن مع مدخولها في تأويل المصدر كقولك : بلغني أنك ذاهب ، أي ذهابك ، فبأي مصدر تتقدر ؟ وجملة « لولا مخاطبي » وصف لرجل ، و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال : لولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » بماعلت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله ، وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله . والمعنى : كفى الله ، والذي يدل على أنها مزيدة في « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففي مثل قول حسان :

* وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرُنَا^(١) *

وكفى بجسمي ، لأن فاعل كفى : « أن » وما بعدها ، وأسبك لك من ذلك فاعلا بما دل الكلام عليه من النفي بـ « لم » ، وامتناع الشيء لوجود غيره بـ « لولا » ، والتقدير : كفى بجسمي نحولا انتفاء رؤيتي لولا وجود مخاطبي ، و « نحولا » نصب على التفسير ، والتفسير في هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيفا » فوكيلا لتفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا *

لاسم الله ، ونحوها : تفسير لاتتفاء الرؤية ، كما أن « فضلا » في بيت حسان تفسير لحب النبي صلى الله عليه وسلم بإمام ، فهذا فرق في الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى بحمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و« بحمى » مفعولا ، وإنما زيدت الباء في نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك يزيد ، وأما قوله : « أنى رجل » فغير موطن ، والخبر في الحقيقة هو الجملة التي وصف بها رجل ، والخبر الموطئ هو الذي لا يفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة في نحو : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرنا هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته ، فالخبر كإضافة في الكلام ، فلذلك عاد الضمير ان المذان هما « الياء ان » في « مخاطبى » و « ترى » إلى الياء في « أنى » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة في الحقيقة خبر عن « الياء » في « أنى » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما كان هو الياء التي في « أنى » من حيث وقع خبراً عما عاد الضمير ان إليه على المعنى كأن قولاً ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذى » في قول على عليه السلام :

* أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ * (١)

لما كان في المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله في القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل الغيبة ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذي هو « أتم » في الخطاب ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء في الشعر بغير ضرورة قوله :

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فِتْنَتَنِي بِهِ الْجَاهُ أَمْ كُنْتُ أَسْرَأَ لَا أُطِيعُهَا

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعلى بن أبى طالب رضوان الله عليه :

أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي الْحَيْدَرَهُ كَلَيْتَ غَابَاتٍ غَلِيظَ الْقَصَرَهُ

* أَيْ كَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّفْدَرَةِ *

الحيدرة : الأمد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكبال كبير ، وقيل اسم امرأة كانت تمكيل كيلا واقيا .

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَتَى الَّذِي إِذْ خَرْتُ إِعْرِوْفِ الزَّمَانِ^(١)
وَتَجِدُنِي بِدُلْهِ بَنِي خَنْدِفٍ عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانٍ^(٢)

أعاد من « أطيعها » ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرئى ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفق : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتي تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلياس بن مضر ، ينسب إليها أحد خندى مضر . يقول : إن شرفي يدهم على أن كل كريم يعنى - أى من قبائل اليمن - لأنى منهم . ولنعُد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاة ، وهى امرأة إلياس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابخة وقعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابخة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يرعونها فصاد عامر وعمرو صيدا ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمر : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال عمرو : أنت طابخة ، فجاءت أمهما تمنى فقال لها : أنت خندف^(١) وأما قعة فيقال إن خزاعة من ولده ، من ولد عمرو بن لحي الذى هو ابن قعة ابن إلياس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت يجر قصبة فى النار »^(٢) .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاة بن معد - وكان قضاة بكر معد ، وكان به يكنى - وقنص ابن معد ، فأما قضاة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

(١) الخندفة : مشية كالهرولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أمر ابنها : أى أسرع ، وأما « قعة » فسمى كذلك لأنه انقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أَنَا ابْنُ اللَّفَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ^(١)
 أَنَا ابْنُ الْفَيَافِ أَنَا ابْنُ الْقَوَافِ أَنَا ابْنُ الشَّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ^(٢)
 طَوِيلُ النُّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْفَنَاءِ طَوِيلُ السَّنَانِ^(٣)

سمى سبأ ، لأنه أول من سبى في العرب ، واليمن تقول : قضاة ابن مالك ، وأنشد
 عمرو بن مرة الجهني :

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْمُهْجَانِ الْأَزْهَرِ^(١) قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ
 * النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرَ الْمُنْكَرِ *

وأما « قنس » فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن النذر ؛ وقوله « كل
 كريم يمان » يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبأ ، وقد جاء في مدح اليمن ما فيه
 كفاية ؛ ويكفيهم نفرا قوله عليه الصلاة والسلام : « الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن
 من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا »

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء :
 ابن الماء . واللقاء : ملاقة الاقتران في الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب
 ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو
 من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا أطارقها .

(٢) الفيافي : جمع فيفاء ، وهي الفلاة ؛ والقوافي : جمع قافية ، وهي في الأصل
 آخر البيت ، وقد يقولون للقصيدة قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل
 الشاخص منه . يقول : أما صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجدها
 وأبدع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح
 به العرب .

* وَإِنْ أَعَزَّاءَ الرِّجَالِ طِيْلُهُمَا *

والعماد : عمود الخيمة الذي تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

(١) المهجان : الكريم ؛ والمهجان من كل شيء : الخالص ، مأخوذ من المهجان ،
 وهو الأبيض .

حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ حَدِيدُ الْحَمَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ^(١)
يُسَابِقُ سَيْنِي مَنَآيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانٍ^(٢)

غاشيته وزواره . وطول القناة - الرمح - يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحات : طرف العين مما يلي الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه في الحروب . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والحمام : السيف القاطع . والجنان : القلب . يقول : هذه الأشياء منى حديدة - قوية -

(٢) الناي : جمع منية ، وهى الموت . والرهان : السباق . يقول : سيني يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال حنتره :

وَأَنَا الْمَنِئَةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّمَنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ
ومثله قول أبي تمام :

يَكَادُ حِينَ يُبْلَغِي الْقِرْنَ مِنْ حَفَنِي قَبْلَ السِّنَانِ قَلَى حَوْبَانِهِ يَرْدُ^(١)
هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا - أى خاطرته - وهو الرهن الذى كانوا يرهنون فى سباق الخيل ، وقد جاء رهنته وأرهنته بمعنى ، وأشدوا لهم بن مرة وفى الصحاح لبيد الله بن همام السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالَكَا
غَرِيبًا مُقِيمًا بَدَارِ الْمَوَا نَ أَهْوَنَ عَلَى بِي هَالَكَا
وَأَخْضَرْتُ عُذْرِي عَلَيْهِ الشُّهُوَ دَمَانٌ هَازِرًا لِي وَإِنْ تَارَكَا
وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا مَ أَنَى عَدُوِّ لِأَعْدَائِكَا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمى فإنه رواء وأرهنهم عطفاً لفعل مستقبل على فعل ماض وشبهه بقولهم : قت وأصك وجهه ، لأن الواو واو الحال . فيجعل « أصك » حالا للفعل ، وقد تاب الأخفش قراءة ابن كثير وابن العلاء فرهن مقبوضة وقال : هى قبيحة ؛ لأنه لا يجمع فعل على فعل إلا شاذاً ، إلا أن يكون رهن جمع رهان مثل ثمر وثمار ، ورهان جمع رهن ؛ وغاب عن الأخفش

(١) الحوباء : النفس .

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي^(١)
سَاجِدُهُ حَكَمًا فِي النَّفْسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي^(٢)

وقال أيضا في صباه :

كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ مُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي^(٣)

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « وليونهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعبرى »

(١) الضمير في « حده » للسيف ، والهبوة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة في الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيني قلوب الأعداء فيتهدى إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الخيل :

وَأُتِمَّرَ مَرْفُوعٌ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بِصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ
[يريد إذا هيأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدُ

هذا : قوله : لا أراي قال الواحدى : لا يجوز أراي بمعنى أرى نفسى ، وإنما يجوز ذلك فى أفعال معدودة نحو ظننتى وحسبنتى وباهما ؛ وقد جاء شاذاً : فقدتني وعدمتنى ، ولا يقال ضربتنى ولا رأيتنى ولا أكرمتنى ، وإنما يقال ضربت نفسى وأكرمت نفسى فكان الواجب أن يقول : لا أرى نفسى ، وقد جاء رأيتنى ، فعمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أعدائى من شئت ولسانى كسيفى فى الحدة ، فلو جعلت لسانى مكان سيني لا كتفيت به ، لأنى أبلغ من التأثير فى أعدائى بلسانى ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون اللغى : ولو ناب اللسان عن السيف — بأن يطيعوا أمرى — لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكلمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا — ويجوز أن يكون معنى

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سَقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَتْمَانِي^(١)

* * *

ودخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إِذَا مَا الْكَأْسُ أُرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي^(٢)

تكريمة : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعني لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان ؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد على ملء الإناء ، وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان : أي سقم كتمانِي وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبرة ابن الشجري في أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفَيْض ثم قال — المتنبي — فصار سقمي لما أفرط حبي في الزيادة وصار كالشيء الفاض — صار سقمي قويا به وانتقل إلى جسم كتمانِي فأذا به وأضعفه . فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف محبيه . قال : وقال أبو الفتح — ابن جني — دل الكتمان على ، قال وهذا في بدائمه ، وفي هذا القول اختلال في الإعراب وفساد في المعنى وتناقض في اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التي بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمي به — أي بالكتمان — في جسم كتمانِي ؛ ففي هذا اختلال في الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذي أسقمه ، مع أن الحب هو المسقم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهي الرعدة : أي حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بيني وبين أي بيني وبين عقلي . يقول : غيري يشرب الخمر حتى ترعش يداه سكرا ، أما أنا فإني أبقي على صحوى : أي لا أشربها حتى لا تحول الكأس بيني وبين عقلي ، قال ابن جني . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَقْنَيْتَنِي بِمَقَامٍ خَلَفْتُ أَنْكَ أَنْتِي

هَجَرْتُ أَنْفَرَكُمْ كَالذَّهَبِ الْمَصْنُوعِ فَخَعَرِي مَاءُ مُزْنٍ كَاللَّجِينِ^(١)
 أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهِيَ تَجْرِي عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ^(٢)
 كَانَ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدَقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ^(٣)
 أَتَيْنَاهُ نَطْلِبُ بِهِ رِفْدٍ يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ^(٤)

(١) الزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ واللجين : الفضة . وقوله كالذهب المصنوع : حال من « الحجر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لا اشرب الحجر وحسبي الماء .

(٢) هذا من قول أبي تمام :
 أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ خَافَةٌ أَنْ يُلَامِسَهُ الْقَمِيصُ
 ومن قول الجيز أرى :

مِنْ لُطْفٍ إِشْفَاقٍ وَدِقَّةٍ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكِيكَ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ جَرَحْتُ لِفُظِّكَ غَيْرَةً أَنِّي أَرَاهُ مُقَبَّلًا شَفَتَيْكَ

وقال الواحدي : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأمراء لا يغار على شفاهم : ويقول من يعذره - التنبي - إنما يغار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والحجر ، لأنهما - أي شفتيه - للأمر والنهي والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجاة نالت ما لم ينله أحد ، فهو يغار حيث لا تستحق الزجاجاة ذلك

(٣) الضمير في « بياضها » للزجاجاة ، والراح : الحجر ؛ وأحرق به : أحاط به ، يقول : كأن الزجاجاة البيضاء - وفيها هذه الحجر السوداء - بياض محرق بسواد عين .

(٤) الرfid : العطاء . يقول : إن الرfid الذي سألتناه إياه عده هو ديننا على نفسه واجب الأداء لمكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِّلْمَلِكِ بِهِ وَحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُعَاظَلَةِ الْغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلَّا نَدَى كَالَّذِينَ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُتَغَفِيهِ غَرِيمٌ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد صار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ أَلَالَسْنَا وَأَلَدُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَعْلَنَّا^(١)

(١) ما - في الشطرين موصولة بمعنى « الذي » خبر عن الرفع قبلها . يقول : حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما في قلبه منه كما قال المهنون :

وَلَمَّا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي فَمَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَمَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْحَشَا وَتَخْرُسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمَنَادِيَا
وكما قال قيس بن ذريح :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبَيْتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
قال الواحدى : والظاهر أن « ما » - في قوله ما منع - نفي ، لأن الصراع الثانى
حدث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :
قُبِعَ بِأَسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِرُّ

ويقول على بن الجهم :

تَهْتِكُ وَيُخْ بِالعَشْقِ جَهْرًا فَقَلَّمَا يَطِيبُ الْمَوَى إِلَّا لِمِنْهَتِكَ السِّرِّ
ويقول السرى الرفاء :

ظَهَرَ الْمَوَى وَتَهْتَكُ أَسْتَارُهُ وَالْحُبُّ خَيْرُ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ
أَعْصَى الْعَوَازِلَ فِي هَوَاهُ جَهَارَةً فَأَلَدُّ عَيْشِ الْمُشْتَهَامِ جِهَارُهُ
ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نفيًا ؛ هو ما يظهر من التناقض
في البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما
شرحناه للتفصى من هذا التناقض . فقد وقع الحب فى بلاء بين هذين أى بين كون حق
الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألد الشكوى : الإعلان . هذا : و« الألسنا » يروى
بفتح السين - أى الذلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللفظة
أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِ هَجَرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَأَصْلِي صِلَةَ الضَّنَا^(١)
 بَنًا فَلَوْ حَلَيْتُنَا لَمْ تَذَرِ مَا أَلَوَانُنَا جَمًّا امْتَقِنَ نَلَوَانَا^(٢)
 وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَازِلُ بَيْنَنَا^(٣)

لَمْنِي أَتَقْنِي لِسَانُ لَا أَسْرُهُ بِهَا مِنْ عُلُوٍّ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(١)
 وإذا ذكر : كان على معنى الكلام ، قال الخطيئة :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بِأَنَّهُ فِي جَوْفِ عَيْكُم^(٢)
 ومن أنه : قال في جمعه السن ؛ كذراع وأذرع ؛ ومن ذكره : قال في جمعه السنة
 كحمار وأحمرة ، وهذا قياس ما جاء على فعال من للذكر والمؤنث ، وقد تقدم ذلك في
 هذا الشرح مستوفى .

(١) هجر وصلة : مفعولان مطلقان ؛ وواصل : خبر « لیت » ؛ والكرى : النوم ؛
 والجرم : الذنب ؛ والضي : المرض والهزال . يقول : ليت الحبيب الذي هجرني من غير
 ذنب كهجر النوم لأجفاني يواصلني كواصل الضي الجسمي من أجل صده وبعده عني ؛
 يعني أن الضي ملازم له ، فتمني أن يكون وصل الحبيب ملازما له ملازمة
 الضي جسده .

(٢) بنا : افترقنا ، ويروى « بتنا ولوحيتنا » و « بتنا » تامة ؛ والواو بعدها حالية ،
 و « امتقن » يروى سفعن ؛ وهو بمعنى امتقن ؛ وحليتنا : وصفت حليتنا ؛ وهي هيئة الشخص
 وما يتميز به ، وامتقن لونه : تغير حياء أو خيعة ؛ وتلونا : مفعول له . يقول : فارقنا
 أحبابنا ولعظم مانالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ما قدرت لتغير ألواننا ، فكنت
 لا بدري بأن لون تصفنا .

(٣) أشفقت : خفت . وقوله تحترق : أراد أن تحترق ، خذف « أن » وبقي الفعل
 مرفوعا ، وقد مررت له نظائر . والعوازل : جمع العاذلة - اللأمة - يقول : لشدة حرارة
 الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العوازل أن يحترقن فيما بيننا ، قال
 الواحدى : وإنما خاف ذلك لأنه كان يتم على ما في قلوبهم من حرارة الهوى . وقال

(١) مطلع قصيدته التي يرثي بها المنتشرين وهب الباهلي .
 (٢) فليت بأنه : يروى فليت بياؤه : ويروى وددت بأنه ؛ والمعكم : داخل الجنب ،
 على المثل بالعكم الذي هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .

أَفْدَى الْمَوَدَّعَةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا نَظَرًا فُرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتٍ ثَمًا^(١)
 أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا^(٢)
 وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحَ وَرَكَابِي فِيهَا وَوَقَّتِي الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا^(٣)

الخطيب التبريزي : وجه الإشفاق أن ينم إحراقهم على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم .
 هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، وزيد هنا أن الشفقة الحيفة والمحبة ، وهى الاسم
 من الإشفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو
 لابن المولى :

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
 وَأَشْفَقْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مَشْفُقٌ وَشَفِيقٌ ، وإذا قلت أشفقت منه فأبما تعنى حذرته ،
 وأسلمها واحد ، ولا يقال شفت ، وقال ابن دريد : شفت وأشفقت بمعنى ، وأنكره
 أهل اللغة .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس العار ،
 وسكن « فاء » ضرورة . و« ثنا » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما
 قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فكلمنا
 نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين ، لشدة ما فى صدرى من
 حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه
 وهجره وهجيراه .

يقول . أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت
 فى قصدى ، ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتيني ، فصارت عادة لى لا
 تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُؤِغْتُ بِالْأَيْبِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وَبِالْحَوَادِثِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي

(٣) الفلا : جمع فلاة ، المفازة البعيدة . والركائب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛
 والموهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات
 بالمسير ، وقطع المركوب أيضا بكثرة الإتعاب ، وقطع الليل والثمار بقطع المسافات ، يعنى
 أنه قطع ملكان والزمان والمركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال
 صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنت ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،

وَوَقَفْتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَفْتُ مِنْ بَذْرِ بْنِ عَمَارٍ الْمَفَا^(١)

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتقر (١) ، وهو ظرف غير متمكن ؛ مثل سحر ، يقول لقيته ضحى وضحى ، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه ، قال ابن بري : ضحى مصروف على كل حال ، قال الجوهري : ثم بعد الضحى : الضحاء ، ممدود مذكر ، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى ، تقول منه أقمت بالمكان حتى أضحيته ، كما تقول من الصباح أصبحت ، ومنه قول عمر رضى الله عنه : أضحوا بصلاة الضحى : أى صلوا لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى ، ويقال أضحيته بصلاة الضحى : أى صليتها في ذلك الوقت ؛ وقد أسلفنا القول على « الضحى » في هذا الشرح بأن وفى من ذلك .

(١) منها : أى من الدنيا ؛ وبرى : فيها . ويقال وقفت ووقفتى زيد ووقفت دابق ووقفت وقفا للسالكين ، فقوله أوقفنى الندى : معناه عرضنى للوقوف ، قال أبو عمرو بن العلاء : لو قال رجل فلان أوقفنى - أى عرضنى للوقوف - لم أر بذلك بأساً ؛ وأوقفته : لغة عند بعضهم : والمضى : جمع منية ، وهى الشئ الذى يتمناه . يقول : وقفت من الدنيا حيث حبسنى الجود - يريد عند الممدوح - أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر ، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه ، وهذا من الخالص الحسنة . هذا : وحذف التنوين من « عمار » - كما قال الشراح وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك - لالتقاء السالكين كقوله تعالى « وآتينا ثمود الناقة » ، قال المكي : قرأه القراء كلهم بغير تنوين ، وكلهم صرف « ثمود » إلا حمزة وحفصا وواقفهما أبو بكر فى آخر سورة النجم ، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى « لثمود » ، قال : وقد يجوز عندنا - وهو كوفى - إسقاط التنوين فى الكسر ، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم خيبر للنبي صلى الله عليه وسلم :

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعٍ^(١)

فكلهم رووه مرداس - من غير تنوين .

(١) الصرد : طائر ضخم الرأس ، أبيض البطن ، أخضر الظهر ، يصطاد صغار الطير ، الجمع صردان ، والنعر : طائر يشبه العصفور ، تراه صغيراً ضاوياً ، وتصغيره نعر ، وجمعه نعران .

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح .

لِأَبِي الْحُسَيْنِ جَدِّي يَضِيقُ وَعَاوُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَزْمُنَا^(١)
وَشَجَاعَةً أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا^(٢)
نِيطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مِخْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا أُنْثَى^(٣)
فَكَأَنَّهُ وَالطَّعْنُ مِنْ قَدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطَقْنَا^(٤)
نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذَهَبِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيَقُّنًا^(٥)

(١) الجدا : العطاء - أى ماتهطيه مجتديك - يقول : إن عطاء لا يسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شيء فحسبك به عظم .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » - فى البيت السابق - يقول : إن ذكر شجاعته واشتارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ، لأنه يسمع ما يتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت : علفت . والحائل : علائق السيف والعاتق : ما بين النكب والعنق . والمخرب : صاحب الحرب المارس لها ، ويعنى به : المدوح - على جهة التجريد - وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ واثنى : رجع . يقول : علفت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بعد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

أَلَلَّهُ يَفْلَمْ إِنِّي لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

قله لمن جنى الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قديسون الكرم بعد الأحمياز ، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراد والطرء - إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثنى . (٤) يقول : أشدة إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعننا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّعْنِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفِرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
(٥) التوهم : خلاف التيقن . وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تقفه على عواقب الأمور حتى يعرفها بقينا ، لا وهما

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَفْتَاتِهِ فَيَظَلُّ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّفًا^(١)
أَمَضَى إِرَادَتُهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدٌّ وَاسْتَقْرَبَ الْأَقْصَى قَمًّا لَهُ هُنَا^(٢)
يَجْدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخَفَّ مِنَ الْحَرِيرِ وَأَلْيَنًا^(٣)
وَأَمْرٌ مِنْ قَدِّ الْأَحْبَبِ عِنْدَهُ فَقَدْ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفُنَا^(٤)

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبفتاته، جمع بفته، وهو ما يفعل فجأة؛ ولتكنف: لابس الكنف. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بفته ويهجم عليه من حيث لا يدري فيظل لابس كنفه توقعًا لبفته وتأهبًا للموت. ومتكفنا: قال الواحدى: يروى متلفنا؛ والتلفن: التندم على ما فات؛ يعنى أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: الاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. وثم: للمكان البعيد المتراخى؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعنى أن ما يكون من العزائم مستقبلًا عند غيره بعده ماضيًا لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، وما يكون من المطالب بعيدًا على غيره بعده حاصلًا بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين، يقول: إنه تعود لبس الدروع فى الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونعومته، وفى هذا نظر إلى قول البحرى:

مُلُوكٌ يَمْدُودُونَ الرِّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَغَزَعُوهَا وَالدَّرُوعَ غَلَاثِلًا^(١)
(٤) أمر: خبر مقدم؛ وقعد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبيب، فإذا قد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة للجفونها — أغمادها — لأنها أبدأ مستعملة فى الحروب.

(١) المخاصر: جمع محصرة، ما يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والغلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.

لَا يَسْتَسْكِنُ الرَّغْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنًا^(١)
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًَا^(٢)

(١) استسكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حدقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، والإحسان : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان اللغى سواء — فإن قولك أعجبني ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبني الضرب زيدا . يقول : إن الرغب — الحوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لا يخشى مخلوقا ، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنُ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رَامَ سَوَى الْإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا الإحسان : الهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشعري : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بحرف الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيدِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(١)

والثانى : يكون بمعنى إجادة العمل إذا كان حاذقا فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمْتُ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنْتَى كَبِزْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهُ أَمْثَالِي

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعلمه . ودون الشيء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب — . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكأن ما سيكون قد كتب فى علمه . وللمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، وروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

(١) تقلى الشيء : تبغض ؛ وقد خاطبها ثم غاب ،

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْأَفْهَامُ
مَنْ لَيْسَ مِنْ قِتْلَاهُ مِنْ طَلْقَائِهِ مَنْ لَيْسَ يَمُنُّ دَانَ يَمُنُّ حِينًا^(٢)
لَمَّا قَفَلَتْ مِنَ السَّوَاخِلِ نَحْوَنَا قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَخَشَّةٌ مِنْ عِنْدِنَا^(٣)
أَرَجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَزْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْقُوطًا^(٤)

(١) الدنيا : جمع دنيا - مثل كبر وصغر ، في جمع كبرى وصغرى - . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا المدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحدا لا يعرف ما وراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل . فقوله «مثل» بالنصب - صفة لمصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك القدي الخ . ورواها بعضهم مثل - بالرفع - على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل القدي الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل - بالرفع - ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تتقاصر عن هذا المدوح في معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثيرين يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جني : لقد أفرط - المتنبي - جدا ، لأن الذي فيه الأفلاك والدنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذي أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إيساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحينا - بضم الحاء - أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى ممن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه ومن عليه بالعفو ومن لم يطعمه وليس من أهل طاعته فهو من المالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهبت إلينا تلك الوحشة من عندنا إلى المكان الذي انصرفت منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلي :

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالَةً لَطَمِيَّةً لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّائِتَيْنِ أَرِيحُ^(١)

(١) أراد بالبالة الرائحة والشمة ، مأخوذ من بلوته ، أى شمته وأصلها بلوة قدم

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَانُ^(١)
سَلَكَتْ تَمَائِيلَ الْقَبَابِ الْجَنُّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَذْرَنَ فِيكَ الْأَغْصَانُ^(٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال المعبر السلوى، وقيل لمرو بن الأطنابة :
إذا ما مَشَتْ نَادَى بِمَا فِي ثِيَابِهَا ذِكْرُ الشَّذَا وَالْمَنْدَلِ الطَّيْرِ^(١)
يقول : طاب الطريق الذى سلكته ففاحت رائحته ، فامررت بطريق إلصارت
الرائحة الطيبة مقبلة فيه لا تريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » : والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق
بـ « مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكْنُ الحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقال البحتري :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنِيرُ
(٢) القباب : جمع قبة ، وهى الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب .
والمراد بالتأويل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التى فيها تكاد من
صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخلصتها — شوقاً إليك فأدارت — الصور
— أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر قد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ،
ثم قال : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى :
المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتأويل القباب للنظر إليك : وتمايل القباب : هى
القباب فيكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعنى أن الجن من الشوق الذى بها إلى رؤيتك
دخلت فى الصور للنقوشة على القباب التى فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة واللطيمة العبرة التى لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت
رائحتها والداية : فغار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا انتكأت : وقيل الشذا فى هذا البيت له الملهك ،
والمندلى : العود الهندى ، منسوب إلى « مندلى » بلد بالهند يجلب منه العود والطير ،
قال ابن جنى : هو العود ، وإذا كان كذلك كان بدلا من المندلى ، وقيل ضرب من
صنعه ، وقيل الطير المشفق للكسر .

طَرَبْتُ مَرَاكِبُنَا فَخَلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِمَا رَقَصَتْ بِنَا^(١)
 أَقْبَلْتُ تَبَسُّمُ وَالْجِيَادُ عَوَائِسُ يَحْجُبُنَ بِالْحَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا^(٢)
 عَقَدْتُ سَنَابِكَهَا عَلَيْهَا غَنِيْرًا لَوْ تَبَتَّنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا^(٣)
 وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافُ فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيَّةِ وَالْمَوْتِ^(٤)
 فَمَجَّبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا^(٥)

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعنى الخيل . يقول : لسرورها
 بقدمك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعنى أن السرور بقدمك غلب
 حتى ظهر في البهيمه التي لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : في موضع الحال - أى باسم - والجياد : الخيل ، جمع جواد - على
 غير قياس - والعوايس : جمع عابس ، وهو المكبح الوجهه والحجب : ضرب من
 العدو . الحلق المضاعف : الدروع - والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ،
 والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وجيادك عوايس لطول سيرها وإثقالها بالدروع
 والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنايك : جمع سنك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعشير : الغبار . والعنق :
 ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنايك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب
 السير عليه لأمكن من كثافته ، وهذا المعنى من قول العتابي :

تَبَتَّنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوَاسِهِمْ سَقَفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْبَوَاتِيرُ
 وأخذه العتابي من قول الأول :

وَأَرْعَنَ فِيهِ السَّوَابِغَ لُجَّةً وَسَقَفُ سَمَاءٍ أَنْشَأَتْهُ الْخَوَافِرُ
 [الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدروع] .

(٤) خوافق : مضطربة ؛ والمنية : الموت ؛ والمنى : جمع منية ، ما يتمناه الإنسان
 من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس
 بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قذلقى منيته ، وقاتل قد
 أدرك أمنيته : أى فإن كنت في هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟ .

(٥) الظبى : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء .
 يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا فِي عَسْكَرٍ وَمِنَ الْعَمَالَى مَعْدِنًا ^(١)
 فَظَنَ الْفُؤَادُ لِمَا أُتِيَتْ عَلَى النَّوَى وَلِمَا تَرَكْتَ خَافَةً أَنْ تَفْطِنَا ^(٢)
 أَضْحَى فِرَاقَكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّفًا ^(٣)
 فَاغْفِرْ فِدَايَ لَكَ وَاحْبُبْنِي مِنْ بَعْدِهَا لِيَخْصُنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا ^(٤)
 وَأَنَّهُ الْمَشِيرَ عَلَيْكَ فِي بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُتَمَحِّنٌ بِأَوْلَادِ الزَّوْنَا ^(٥)

كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعبزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظري ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قلوا : وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلَّهَا عَجَائِبٌ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إني أراك عسكراً في عسكر من الكارم : أي أنت في نفسك عسكراً وحولك عسكراً آخر من الكارم ، وأراك معدناً من المعالي : أي أصلاًها ، فهي تؤخذ منك .

(٢) فظن للشئ — بكسر الطاء وفتحها — يقول — كما قال الواحدى — : إن قلبك يعرف ما فعلته في حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعابني عليه : أي فليست في حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قدوشى به إليه ، وكأنه قد اعترف بتقصيره — كما يدل على ذلك سياق الأبيات — وقال اليازجى : إن فؤادى لم يغفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير في خدمتك وما أهملته من السير معك ، لآتي كنت خائفاً أن تظنن له فتعابني عليه : يعنى أنى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبي ، وليس بشئ .

(٣) عليه : أي على ما فعلته . والضمير في « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لى على ما فعلته مما كرهته ، أي خسبى هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أي فاغفر لى — أي ذنبى أو تقصيرى — وفدى : خبر عن محذوف . أي أنا فدى لك . وحباه : أعطاه . والحباء — بكسر الحاء — العطاء ومن بعدها : أي من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لى هذا الذنب الذى فرط منى فدى لك خفى ، وأعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسى : يعنى إذا عفوت عني وأعطينى كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جلته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به ابن بدر

(٢٢) — المتنبي ٢٢٤

وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضًا فِي تَجَالِسِ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعَنًا^(١)
وَمَكَائِدُ الشُّفَهَاءِ وَاقِعَةً بِهِمْ وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِنَسِ الْمَقْتَنَى^(٢)
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّثِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يَجْرُ مِنْ النَّدَامَةِ ضَيْفًا^(٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجراني وحرمانى ، وهذا ضلال ، لأننى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جنى : ضلة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضلالت ، يهدده بالهجوم ، وعنى بالحر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة : مَا ضَرَفَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو الْتَقْصِيرِ
وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مُجْدِدَ ابْنِ يُوسُفَ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلَّعَ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناء ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناء به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفية : الذى لا عقل له ولا رأى ، وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفت الريح الفصون : حركتها واستخفها قال ذو الرمة :

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ الْنَوَاسِمِ
وتسفت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقاة سفية الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفا :

وَأَبْيَضَ مَوْشَى الْقَمِيصِ نَصَبَتْهُ عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتِ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقلاات التى تلد واحدا ثم تقلت رحمها فلا تحمل] . وتسفت فلانا عن ماله : إذا خدعته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر الحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجوم

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضياقة ، وإن أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير اللحم — فوزنه فعل قال الشاعر :

غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِيًا رُزُّهُ أَخَفُّ عَلَىَّ مِنْ أَنْ يُوزَنًا^(١)
أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنًا^(٢)
خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَا اللَّهُ كَنَى لَا تَحْزَنًا^(٣)

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفٌ فَأَوْدَى بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيْفُ مِنْ
الضيافين : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقرأ الضيوف « .
يقول : إن محالطة اللثيم مذمومة ملعونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف
يليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ما جاء فى بعض الآثار : « الجليس السوء
كصاحب الكبر — أى الحداد — إن لم يصبك من شره أصابك من دخانه ، والجليس
الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه » .
(١) الرزء : اللصية . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكرث بعد ذلك لغضب
الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن
لم يستحق أن يوزن لحقته ،

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛
ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا
بفضلك : أى أن من يخالفنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الغزالة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها
عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جنى : إن سيوبه لا يجيز
تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك ما فعل الرجل الذى أعطاهك
زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير المنفصل وتدع المتصل ، وأبو العباس
يجيزه ، فالصواب عند سيوبه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز
فيه ما لا يجوز فى غيره قاله العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب
والغائب فالواحب تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضها الله : ويقال عاضه
وأعاضه وعوضه

وقال وقد سأله الجلوس :

يَا بَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكُونُ^(١)
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جَبْرِينُ^(٢)
بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونِ^(٣)

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :
وَقَدْ أَدْرَكْتَنِي وَالْحَوَادِثُ جَعَةً أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافَ وَلَا عَزْلَ^(١)
وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق
مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى :
وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين »
معانى كثيرة لا تحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمرة ، على تقدير « قد » بعدها : أى
لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل :
إسرائيلين . يقول : لو كنت أمانة لكانت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن بتأديتها
جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز
حد يدل على قلة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ،
فأعربهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها
بعضا ، فإذا حضرت بينهم استواوا كلهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلام دونك .

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنوهم فلما أنشداه إياها أطلقوه ، وقبله :
وَقَائِلُهُ مَا بِالْبُلْهِ لَا يَزُورُنَا وَقَدْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعد :
لَعَلَّهُمْ أَنْ يُمَطَّرُونِي بِفِعْمَةٍ كَمَا صَابَ مَاءُ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْمَخْلِ
فَقَدْ يُنْعِشُ اللَّهُ الْفَقِي بَعْدَ عَثَرَةٍ وَتَصْطَلِعُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَنِي عَجَلٍ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الحصببي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفْاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِدَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنْ أَلَمٍ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ (١)
وَلِئَمَّا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْخُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)
حَوْلَى بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلَقٌ تُخْطِئُ إِذَا جُمْتُ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِنِ (٣)

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير في « أخلام » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالحن ، فلا يزالون محزونين لبعدهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بما دق وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفاضل ، قال حكيم : على قدر الهم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهجوما ، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا . وفي هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الأصبع العدوانى :

أَطَافَ بِنَارِيبِ الزَّمَانِ فَذَا سَنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بِصِيرُ
ويقول البحتري :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَابِيبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

(٢) الجيل : ضرب من الناس . وسواسية : يعنى متساوين في الشر والأثم ، ولا يقال في الخير ؛ وشر تفصيل بمعنى أشر ، والمراد بالخر هنا : الكريم - ضد اللئيم - يقول : نحن في جيل من الناس قد تساوا في الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقة ، وهى الصورة التى يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح والأشخاص . ويروى : خلق - بالحاء - جمع حلقة ، وهى القوم يجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عن يعقل ، و « ما » عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أنتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغتم هى أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولى من هؤلاء الناس جماعة كالبهاائم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل : بما أنتم ، ولا تقل : من أنتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا - وفى البيت - نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لَا أَفْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمُرُّ بِمَخْلُقٍ غَيْرِ مُضْطَفِنٍ ^(١)
وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمَّلَاكِهِمْ أَحَدًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ ^(٢)
إِنِّي لَأَعْذِرُهُمْ مِمَّا أَعْتَفُّهُمْ حَتَّى أَعْتَفُّ نَفْسِي فِيهِمْ وَإِنِّي ^(٣)
فَقَرُّ الْجَهُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى أَدَبٍ فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ^(٤)

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد . والغرر : الاسم - من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلاكه - ومضطفن : ذو ضغن وحقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعنى أنهم جهال أعداء لدوى الفضل والعلم ، فلجهمهم وفصلى يعادونى .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن : الصنم . يقول : لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان . ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم - أى الملوك - صور لا معنى وراءها . كالأصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعبير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أى مما أعتفهم عليه و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتى ، قال تعالى : « ولا تنيا فى ذكرى » ومنه : الأثناة من النساء ، وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبو حية النيرى :

رَمَتْهُ أَثَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ نَوُومُ الضُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَى مَأْتَمٍ ^(١)
يقول : إنى أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللوم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى - أى أقصر - فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المسكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى .
(٤) الجهول : الكثير الجهل - والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذى تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

(١) قال الجوهري : المأتم عند العرب : النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .

وَمُذْقِعِينَ بِسُبُوتِ صَحْبَتِهِمْ^(١) عَارِينَ مِنْ حُلَلِ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ^(٢)
خَرَابٍ بَادِيَةٍ غَرْنِي بَطُونِهِمْ^(٣) مَكْنُ الضَّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا أَمْنٍ^(٤)
يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ^(٥)
وَحَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَقِيهِ بِهَا كَيْمًا يُرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ^(٦)

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللَّجَامِ أَسِيلُ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ^(١)
يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان :
العقل الذي به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلاً لم يحتج إلى أدب ، كالبحار
ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .
(١) الواو : واو « رب » ؛ وللدفع : الذي لا شيء له ، من دفع - بالكسر - إذا
لصق بالتراب ، والدقعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبروت : الأرض لا نبات
فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبروت . ويقال للقبر : سبروت من ثم . والحلل : جمع
حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقيص ، وتماها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول :
رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ
والقذر صحبتهم .

(٢) خراب : جمع خراب وهو الذي يسرق الإبل خاصة ، ثم معنى به كل امرئ .
وغرني : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرني : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر
ومكن الضباب : بيضها ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول :
هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون
عليه بلائمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهي
ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونني عن خبري فلا أخبرهم وأكتمهم
أمرى وهم لا تخطئ ظنونهم بأنني أنا المتنبي الذي سمعوا به ، ولكفي أكتم خبري عنهم
خوفاً من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « أتقيه » . والحلة : الحصلة المحمودة والذمومة ، ويرى

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقةشة ،
وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شديقه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ،
ولم يصفه بقصر الحد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله : طويل عذار الرسن :

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أَعْرِبُهَا فَيَهْتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ ^(١)
 قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَكِنَّ الْقَرْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ ^(٢)
 كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَتْلَةٍ قَرَنْتُ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ ^(٣)
 لَا يُعْجِبُنِي مَضِيًا حُسْنُ بَرْتِهَ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الْكَفْنِ ^(٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة في جليس لي أستقبله بمثلها من نفسى -
 أى أتخلق بمثلها - حتى يظننى مثله في ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَالِقَهُ

يريد المتنبي أنه يغنى نفسه وفضله خوفا من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها ، وقد تقدم لذلك نظائر . وأصل الإعراب التبيين ،
 ومنه الأثر « والثيب : تعرب عن نفسها » وأصل معنى اللحن : العدول عن الظاهر إما خطأ
 وإما إلغازا وفطنة . ويسمى الفطن لحنًا ، ومنه الحديث « ولعل بعضهم ألحن بحجته » أى
 أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى
 إلى ولا يطلع على أنى التنبي فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر
 أن يعيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الحشن
 ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحق سهلة هينة ، وعزى
 ألان المركب الحشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستحسن الخطوب
 الصعبة لقوة عزى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم للمكان العالى ، ثم استعملت بمعنى
 الرفعة والشرف والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعولمى خاض المهالك
 وكم من قتل مع القدم للعبان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهالك للقدم عليها مع
 ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار .

(٤) المضمين : المظلوم ؛ والبزة : اللباس ، وراقه الشئ : أعجبه ، والدفين : المدفون
 وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لا ينبغي للمظلوم أن يسر بسعة رزقه - التى من آثارها حسن البزة - مع ما هو
 فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفنه . شبه المظلوم
 الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .

للهِ حالٌ أرَّجِيها وتُخْلِفُنِي وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمِطُّنِي ^(١)
 مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِنْاثِ الْخَيْلِ وَالْحَصَنِ ^(٢)
 تَحْتِ الْعِجَاجِ قَوَافِيهَا مُضْمَرَةٌ إِذَا نُنْوِشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنٍ ^(٣)
 فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُذْرِ وَلَا أَصَالِحُ مَفْرُورًا عَلَى دَخَنِ ^(٤)
 تُخَيِّمُ الْجَمْعُ بِالْبَيْتِ دَاءٌ يَصْهَرُهُ حَرُّ الْمَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ ^(٥)

(١) يقال عند التعجب من شيء : لله هو : والإخلاف : ضد الإنجاز وأقتضى : أطلب ، وكونها - أي حصولها - مفعول ثان لأقتضى ؛ ودهرى : مفعول أول : أى أطلب دهرى بمصولها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حال ترضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطلب دهره بمصولها فمطله في تبليغه إياها : وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكينى من هذه الحال التى أرجو بلوغها وهى تخلفنى : أى لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهرى بمصولها وهو يعطى - هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون اللدح - لشحمهم وجهلهم - ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التى مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة : حال ، والعجاج الغبار . والمضمرة من الخيل : العدة للسباق ، يقول : قوافى هذه القصائد خيل ، مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافى التى إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبرى : وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافى فى الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابى : استعبدوا القوافى فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك مفرورا . والجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة فى القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم فى الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائى إذا غرونى وناقونى أى لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جنى : مرفوعا ؛ أى يرفع إلى الجدر فيخارب عليها .

(٥) تخيم : خبر عن محذوف : أى أنا ؟ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخيم فى المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذا به والمواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الْكَرَامُ الْأُلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيْبِيِّ عِنْدَ الْفَرَضِ وَالسَّنَنِ ^(١)
 فَهَنْ فِي الْحَجَرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمَنْ ^(٢)
 قَاضٍ إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرَانِ عَنْ لَهُ رَأَى يُخْلَصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّيْنِ ^(٣)
 غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدٌ فَجَرُ كَيْلَتِهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ ^(٤)

وهى منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره فى البيت السابق يقول : إن عسا كره قد نصبوا خيامهم فى الصحراء يذيبهم حر الهواجر فى قتن صم — شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول فى قتن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التى لا تحبب الراقى .

(١) الألى : الذين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبي : هو المدوح ، نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا المدوح : أى ورثوه بإيها وفوضوها إلى عهده ، فهى عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبرة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفرصة ، وعند ما لا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ، وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهور — أى بدأ . والمن جمع منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها فى حجره يربها ويكفلهم فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى : وإنما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورج فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء ، فلما هلكوا كفلوها هذا المدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ، ففعلوه كفلا ، فهو يربها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كلما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمن » أراد بدأ بالمكارم ، فأقام « المجد والمن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول : هو قاض ذكى فطن ألمى إذا تبس الأمران واشتبه بهضما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا متمزجين امتزاج الماء باللبن :

(٤) شباب غص : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد فجريلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيها يعكسبه من الدين والعلم ،

شَرَابُهُ النَّشْعُ لَا لِلرَّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَافُهُ لِقَوَامِ الْجَنَسِ لَا السَّمَنِ^(١)
 أَلْفَايِلُ الصَّدَقِ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السَّرِّ وَالْعَلَنِ^(٢)
 أَلْفَايِلُ الْحُكْمِ عَنِ الْأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقِّ لِلْسَّاهِي عَلَى الذَّهْنِ^(٣)
 أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا
 جَدَى الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ^(٤)

وليس هو ممن يقصر ليلته باللذات . والثاني : أنه أراد بالفجر : بياض الشيب ؛ وبالليل
 سواد الشباب ، والمعنى أن بياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « بجانب
 العين للفجشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم
 أيضا لطول سهره .

(١) نشع الشارب نشحا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة
 يصف الوحش :

فَانْصَاعَتْ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَارِيَّ وَلَا هِيمُ
 (الحقب : الدهر وقيل السفة . وانصاعت : فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء
 إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل
 العطاش : أى ولا هى هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا ينال من الطعام والشراب
 إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرى ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك
 شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة لياكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجرّه على الإضافة تشبيها بالحسن
 الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسهه الإنسان ؛ والعلن ضده يقول
 هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضمّر خلاف ما يظهر رياء الناس
 وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاء وقطع به ؛ وعيى بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى :
 الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه
 السابقون ، ويظهر حق الخصم الذى على الخصم الذكى .

(٤) جدى الخصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشع ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتجيب ثم اليغر وهو عطش
 يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

الْعَارِضُ الْمَتْنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ (١)
 قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا أَبَاوَهُ مِنْ مُغَارِ الْعِلْمِ فِي قَرْنٍ (٢)
 كَانَتْهُمْ وَلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وَلِدُوا أَوْ كَانَ قَتْلُهُمْ أَيَّامَ لَمْ يَكُنْ (٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب ؛ حتى لو لم يقل
 جذى فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه ، كما يستدل بالنصن على الأصل ، وهذا
 المعنى من قول بعضهم :

وَإِذَا جَهَلْتَ مِنْ أَمْرِهِ أَعْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 ومثله قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَنَّا إِلَّا شَهِدَتْ بِهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ
 (رف النبات : اهتز فاضارة ؛ والأروم - بفتح الهمزة - الأصل ، وبضم الهمزة :
 ج)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض في الأفق . والمتن : الكثير العصب ، مثل الهطل
 يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « متن » على المتنبي لأنه يقال
 سحاب متن ولا يقال متن ، ولكن جاء به قياساً على « هطل » وهو من النوادر .
 وقال العكبري : وقد عاب قوم أيضاً هذا البيت على المتنبي وقالوا : من إلى تكرار
 اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا
 عيباً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم
 ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر اللفظ لشرف الآباء .

(٢) إغار : الجبل المحكم القتل ؛ والقرن : الجبل يقرن به البعيران . ومن مغار :
 في موضع خال من قرن مقدمة ، وفي قرن : في موضع المفعول الثاني لصيرت . مدحهم
 بكثرة التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علماً بأحوال الدنيا —
 ماضيها وغابرها — حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جني : هذا مثل ضريبة ،
 يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول
 أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون في الدنيا وتجري فيها . والمعنى أن آباءه كانوا
 علماء ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنها ضابطون للأيام عارفون
 بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولاً هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما في البيت السابق ؛ و« كان » هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،

الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَدًا مِنْ الْحَمَامِدِ فِي أَوْقٍ مِنَ الْجَنِّ (١)
لِلنَّاطِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ يُزِيلُ مَا يَجِبَاهُ الْقَوْمُ مِنْ غَضَنِ (٢)
كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُفْتَرَفٌ مِنْ رَاحَتِيهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ (٣)
لَمْ تَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَتَقِ وَلَا مِنَ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالشُّفَنِ (٤)
وَلَا مِنَ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ (٥)

ومن ثم تكتفى بالفاعل . يقول : إنهم — لعلهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة القديمة ، كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا في الأيام التي لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجنن : جمع جنة ، وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من الحماد ما يبقى أعراضهم من الدم أكثر مما يبقى السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بضمير : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الفضن : تسكر الجلد . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبتسج وجوههم ، والسرور يكون بشأ طلقا ، والمحزون يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياهم عمت القريب والبعيد فهي تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فكأنها تؤخذ من راحته في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصى قربه من الدانى ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فإقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه ، ليطابق بين القريب والبعيد ، وإن عطاهم يعم القريب والبعيد .

(٤) اللزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . والاشق : الوحل الذى يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم تفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذى يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لمواصف الرياح ، يعنى أن الممدوح سحاب وبحر ، ولكن نغمه خالص لا يشوبه ما يكرهه ؛ قال المعبرى : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .
(٥) يقول : ولم تفقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ أَحْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِيَّةَ أَغْتَدَلْتُ حَتَّى كَأَنَّ ذَوِي الْأَوْتَارِ فِي هُدَنٍ ^(١)
وَمُنْذُ مَرَرْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرَعْتَ مِنَ الشُّجُودِ فَلَا نَبْتَ عَلَى الْقَنْ ^(٢)
أَخَلَّتْ مُوَاهِبُكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ ^(٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ،
وجميع القايح منفية عنك .

(١) الاحتباء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بحمائل سيفه أو نحو ذلك ،
وقد يحتجب بيديه ، والاسم الحبوة ، والحبوة ، والثوب الذى يحتجب به ، وجمعها
حبى - مكنسور الأول - وحى ، قال ابن السكيت فى إصلاحه وروى بيت الفرزدق :
وَمَا حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبِّ حُلُمَانِنَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ
بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدرة وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ،
وتحجب مثل احتجب ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرَى الْجَوَارِسَ فِي ذُوَابَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النَّسُورُ كَمَا تَحْبَى الْمَوَكِبُ ^(١)
والأوتار : جمع وتر ، وهو الثُّرْدُ . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين
المتحاربين . يقول : مذجلست محتبياً للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حق كأن
أصحاب الأحقاد قد تعالخوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك
وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب
شعره ؛ و « لا » عاملة عمل « ليس » ؛ والقنن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل .
يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلماً - مع بعدها
من التميز - غلضت هيبة لك ، وجعل الخضوع شجوداً لما بينهما من الملاسة ؛
وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها
من الثبت فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

(١) الأرى : العسل ، وجرست النحل الشجر للعسل : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل :
جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى
ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .

ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنٍ ^(١)
وَهَذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُوْتِنَهَا بَشَرٌ وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي الْمُنَنِ ^(٢)
فَمُرْ وَأَوْمِرْ تَطْعُ قُدْسَتْ مِنْ جَبَلٍ تَبَارَكَ اللَّهُ يُجْرِي الرُّوحَ فِي حَضَنِ ^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكي :
قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمِي وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا ^(٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناعات حق عطلوها استغناء بعبائك عما كانوا يعملون، يعني أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذي نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للأحداث . ، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بعمارتها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمُنن : جمع منة - بضم الميم - وهي القوة . يقول : لك هيبة وعظمة في قلوب الناس لم يؤتها أحد ، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أومى ؛ حذفت الهمزة ، وتروى : وأومى ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تمييز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل بنجد ؛ ومنه المثل : أتجد من رأى حضنا - يقال للذي يبلغ حاجته وإن كان في غير بلاد تجددولا قريبا منها - يقول : مر من شئت وأومى - أشر - فإنك مطاع كجبل ذي روح في ثباته ووقاره ورزاقته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجفان » مقدمة عليها ؛ والبين : مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول ، وتدمي : صفة ؛ لـ « أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزي : أراد أن تدمي ، « لحذف » أن يقول : إن فراق الاحبة علم أجفانا الدامية - من طول البكاء - أن يبتعد بعضها عن بعض - كفى به عن ادامة السهر - كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ *

وجمل الفراق يؤلف الحزن إغرابا في الصنعة ، مثله :

أُمْتُ سَاعَةٍ سَارُوا كَشَفَ مِغْصِمَهَا لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانًا^(١)
وَلَوْ بَدَتْ لَأَنَاهُتَهُمْ فَحَجَّجَهَا صَوْنٌ عَقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانًا^(٢)
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ يَبْظُلُ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِذْرِ حَشِيَانًا^(٣)

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمَتْنِي فَمَا تَلَقَّتْنِي إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، لدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ولبث : يقيم ؛ والحي : القوم النازلون والظاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عند حيل الأحبة أن تكشف معصمها - أي تظهره - عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن السير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه بيقه ويتوه : ضل وتغيره ، وأناهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعني أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أي لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتعدي ، والواخدات : السرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخد : للنعام واستعمل في سير الإبل . وخد البعير يخذو وخدا ووخدانا : وهو أن يرمى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادي : الذي يسوق الإبل بالغناء . والخذر : خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة - السرعة - في السفر ومحاديها وبنفسى قمر يظل في خدره خائفا مذعورا من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » - من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشاعر :

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدُ^(١) عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشَى قَطِيعِ

(أي ذات نفس متقطع من صمها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنمط : جمع نمط ،

(١) خبد : نعت لبهكنة في قوله .

وَلَوْ أَنِّي أَشَاهُ كَفَنْتُ نَفْسِي إِلَى بَيْضَاءَ بَهَكْنَةٍ شَمُوعِ
وَالْبَهَكْنَةُ : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَقَرَّى مِنْ... مَحَاسِنِهِ إِذَا نَضَّاهَا وَيَكْتَسِي الْحُسْنَ عُرْيَانًا^(١)
يَصْنَعُهُ الْمِسْكُ صَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانًا^(٢)
قَدْ كُنْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيرٍ بِمَدَّ كَلِّمِ هَانَا^(٣)

ضرب من البسط له خل رقيق) : وفي حديث عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته - تظن أنه دخل بهض حجر نسائه فلما أحس سوادها قصد قصدتها ، فعدت ؛ فمدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها ، فدنا منها - وقد وقع عليها البهر والربو - فقال لها : مالى أراك حشياً رابية ؟ » أى مالك قد وقع عليك الحشى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والاحتد فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول للتنبى : إن وخدها يزعبه لشدة ترفه فيتتابع نفسه . قال العكبرى : وأفكر بهض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم اسمها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر - هو أبو جندب الهذلى - :

فَنَهْنَهْتُ أَوَّلَى الْقَوْمِ عَنْهُمْ بِضَرْبَةٍ تَنْفَسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانٍ مُحْجَرٍ
(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوبا أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بعسسه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسوا بالحسن .
(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتمكن بطن الجارية . يقول : إن المسك يحبه كالمستهام به ويلف عليه حتى يصير للمسك أعكانا على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق - أخاف - على عيني من البكاء ، أما وقد افترقنا فقد هان على كل عزيز لبعدهم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ، وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتُ السَّوَادَ لِلنَّاطِرِ قَمَلَيْكَ يَبْكِي النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بِمَدَّكَ فَلَيْمْتُ قَمَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

(٢٣ التنبى - ٤)

تَهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلَافَ الْمِيَاهِ لَكُمْ
إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعِي
أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالشَّوْءِ يَذْكُرُنِي
وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي
مُحْسَدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي
وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانًا^(١)
قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمْ خَانًا^(٢)
وَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا^(٣)
إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْنَمَا كَانَ^(٤)
أَلْقَى الْكَمِيَّ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَ^(٥)

(١) البوارق: السحاب ذوات البرق . والأخلاف: الضروع ، واستعار للمياه
أخلافاً لأنها تغزو النبات كما تغزو الأم بالإرضاع ولدها . يقول: إذا برقت السحاب
بشرتكم بالمطر - الطر - فهي تهدي إليكم الماء وتنت لكم الكلال وتهدي للمحب نيراناً
أي تذكي نيران شوق - لأنها تلمع من جانبكم الذي ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،
(٢) قدمت - بفتح الدال - تهمت ، وبكسر ها : وردت . وشيئني: تبعني؛ وأسلاك
مثل أسلوكم : يقول: قلبي يتبعني ويطيعني في كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعني
وإنما يخونني ؛ وفيه نظر إلى قول البحرى:
أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فَوَادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدُ عَنْكَ وَوَجْهٌ وَدِّي مُقْبِلُ
وَإِذَا طَلَبْتُ وَصَالَ غَيْرِكَ رَدِّي وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعُ لَكَ أَوَّلُ
(٣) الصنع: الإعراض . والإهوان: الإهانة - أخرجه على الأصل للضرورة ،
كما قال الآخر :

صَدَدْتُ فَأَطُولُ الصَّدُودَ وَقَلَمًا وَصَالَ حَتَّى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ
(يريد: فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول: إذا ظهرت لمن يذكركني بالسوء في
غيبق عظمي وخضع لي ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضاً عنه واحتقاراً له ، لأنه لا يقدر
أن ينظر إلى في حضرتي .

(٤) يقول: وكنت وأنا في وطني وبين أهلي غربياً قليل المرافق والمساعد ، ثم قال
وكذلك النفيس العزيز: غريب حيث كان ، ولو في وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة
إنما هي لفقد النظير ، لا لفقد النسيب ؛ قال أبو تمام:

غَرَبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثَرَةِ الْأَهْلِ لِي فَأَضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبَا
فَلَيْطُلُ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرٍّ وَمُقِيمًا بِهَا لَمَاتَ غَرِيبَا
(٥) محسد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا محسد الفضل؛ والمحسد: من يحسد كثيراً

لَا أَشْرَبُ إِلَى مَا لَمْ يَفْتُ طَمَعًا وَلَا أُبَيِّتُ عَلَى مَا فَاتَ حَسْرَانًا^(١)
 وَلَا أُسْرِ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَلَّتْ إِلَى الدَّهْرِ مَلَانًا^(٢)
 لَا يَجْذِبُنِي رِكَابِي نَحْوَهُ أَحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلَقُنِي كِيرَانًا^(٣)
 لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانًا^(٤)

والكمي : البطل المستر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل في كل مكان ويكذب على إذا قت وخرجت من مشهد وجمع والشجاع إذا حان حينه لقي في المعركة ؛ فقله مكذوب على أترى : أي يكذب على أعدائي على أترى وخلقى ووقت خروجي من محفل ، وهو من قول البرج التغلبي :

يَفْتَكِبُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاَقَيْنَا اقْشَعَرُ
 وقال سويد بن أبي كاهل :

وَيُحْيِيَنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ

(١) أشرب إلى الشيء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : « اشرب النفاق وارتدت العرب » ، قال أبو العبيد : اشرب ارتفع وعلاوكل رافع رأسه مفرج وأنشد لقي الرمة يصف الظبية ورفمها رأسها :

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أَمَامَ الْمَطَايَا تَشْرَبُ وَتَسْنَحُ

وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أطلع إلى ما لم يفت من الدنيا ، ولا أنحسر على ما فات : أي لا أبالي بالدنيا ، فلا أطلع إلى شيء ، ولا أنحسر على شيء ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

إِنَّ الْفَنَى الَّذِي يَرْضَى بِعَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَظَالُ عَلَى مَا فَاتَ مُكْتَبًا

(٢) الحميد : الحمود . يقول : لا أسر بالشيء الذي آخذ من غيري ، لأنه هو الحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لي عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقلني : حركني . والكيران : جمع كور ، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحدا ما حييت وما حركت ركابي أكوارها ، يعني ليس هناك من يستحق أن أقصده وأتبع إليه . قال العكبري : هذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرانا : جمع بعير ، وهو حال من « الناس » . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالْعَيْسُ أَهْقَلُ مِنْ قَوْمِ رَأَيْتُهُمْ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُيْمَانًا^(١)
 ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قُلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانًا^(٢)
 ذَاكَ الْمَعْدُ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أَصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَانًا^(٣)

كما يدل على ذلك البيت التالي . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ما وراء
 ظواهرهم من المعاني البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ،
 وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال صاحب ابن عباد ينقد المتنبي : أراد أن
 يزيد على الشعراء في ذكر اللطايا ، فأنى بأخزى الحزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل
 ينشط لركوبها ؟ وللمدوح أيضا عصبه لا يجب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس
 الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيرا من الناس
 كما قال السرى الرفاء :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا

أَسِيرَ تَقْيِفٍ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت . وإن
 كان قد أكد بقوله حياً وميتاً - على أن المتنبي خصص في البيت التالي .

(١) العيس : الإبل البيض . وعما : متعلق بعيماناً ؛ و « عيماناً » مفعول ثانٍ لرأيت
 وفاعل يراه : ضمير المدح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه
 هذا المدح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتنطى من
 الناس اللثام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه ما رآه المدح .

(٢) الجواد : السخى الذى يجود بماله ، والأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو
 الكف فى الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه فى جوده بصفة فوق الجواد وإن كان
 لفظ الجواد قليلا عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قربنا من يقال لهم شجعان
 يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع
 إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) المعد : المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقنى - يقال قنوت الشيء
 أقنوه قنوا - وعزيت الرجل : سلبته عن حزنه . يقول : إن ما يجمعه من المال ويقتنيه
 إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشيء من ذلك للمال عزاناً ، لأن ذلك المال لنا
 وإن كان فى يده .

خَفَ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أَمَلِهِ حَتَّى تَوَهَّمَنَ لِلْأَزْمَانِ أَرْسَانًا^(١)
يَبْلُغُ الْوَعَى وَالْفَنَاءَ وَالنَّازِلَاتِ بِهِ

وَالسَّيْفِ وَالضَّيْفِ رَحْبَ الْبَاعِ جَذَلَانًا^(٢)

تَحَاَلَهُ مِنْ ذِكَاةِ الْقَلْبِ مُحْتَبِيًا وَمِنْ تَكْرُمِهِ وَالْبَشْرِ نَشْوَانًا^(٣)

وَتَسَحَّبُ الْحَبْرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجْرُ الْخَيْلُ أَرْسَانًا^(٤)

يُعْطَى الْمُبَشِّرُ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانًا^(٥)

جَزَتْ بَنِي الْحَسَنِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغَرِّ عَدْنَانًا^(٦)

(١) الأمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان في يده ونحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أنامله أزمان للأزمان لتقليبها إيها ، والزمان يقلب الأحوال وأنامله تغلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ والقنا : الرماح ؛ والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقي الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتبياً : متوقداً شديد الحرارة ، والبشر : طلاقة الوجه وتهله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران .

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهي ثياب تعمل في اليمن ، والقينات : جمع قينة وهي الجارية للغنية ، ورفل في ثيابه يرفل . إذا أطالها وجراها متبخترا .

والأرسان : جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ما تنفقه هو من ماله ، فماتلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ما تجر خيلنا من الأرسان

(٥) عطشاناً : حال من « الماء » في يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والعفاة قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، معنى : أنه يعطى

القصاد ويعطى الذى بشرهم من قبلهم أيضاً لشدة كرمه وارتياحه للبذل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبي تمام :

يُبَشِّرُهُ خَدَامُهُ بِمِفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظُّنَّانَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهُ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛

والوشل : الماء القليل والماء الكثير ، فهو من الأضداد :

(٦) الضمير في « مثلهم » عائد على القوم . والغر : جمع الأغر ، وهو السيد الشريف .

مَاشِدَ اللَّهِ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ إِلَّا وَتَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمْ الْآثَانَا^(١)
 إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجِدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانَا^(٢)
 كَأَنَّ أَلْسِنَهُمْ فِي النَّطْقِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خِرْصَانَا^(٣)
 كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظُلْمٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِ رِيحَانَا^(٤)

وعدنانا : بدل من الفر . قال ابن جني : كان للمدوح من ولد الحسن بن علي عليها السلام . والحسنى : ضد السواى . وقالوا : المراد بها الجنة يقول : كانت الحسنى جزاء لهم ، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان الفر ؛ يعنى أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزاء الحسنى » .

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فهم الآن كما كان قديما . وأصل التشديد والإشادة إحكام البناء ورفعها ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أى رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهري الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعوا والسالف : واحد السلف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله في البيت الذى قبله : يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاته الاقتران في القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنما يريد ملاقاته الاقتران في الخطابة والمكاملة .

(٣) الحرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الأُسنة نفسها . يقول : إن أسنتهم ماضية نافذة مضاء أسنتهم في النطق . فكأن ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فمكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الأُسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحتري :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ أَلْ مَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

(٤) الظما : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع بالجمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم قديذا كالماء للظمان ؛ وصارت الرماح شبيهة كالريحان الذى يشم وهذا بسبيل من قول البحتري :

الْكَاثِبِينَ لِمَنْ أُنْبِئِي عَدَاوَتَهُ أَعْدَى الْعَدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانًا^(١)
خَلَائِقُ لَوْ حَوَّاهَا الزَّنْجُ لَا نَقْلِبُوا ظَمَى الشَّفَاءِ حَمَادَ الشَّعْرِ غُرًّا^(٢)
وَأَنْفُسُ يَلْعَبِيَّاتٌ تُحْمِيهِمْ ————— لَهَا اضْطِرَارٌّ وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَفَانَا^(٣)

يَتَزَاخَمُونَ عَلَى الْقَتَالِ لَدَى الْوَعَى كَتَزَاخَمَ الْإِبِلَ الْعِطَاشُ بِمَوْرِدِ
(١) نصب « الكاثنين » على « المدح » كأنه قال: أمدح ، أو أعني . وأعدى العدى
خبر الكاثنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخْ لِي لَا يَذْنِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ لَشَيْءٍ وَلَا يَرْضَى الَّذِي أَنَا سَاخِطُهُ
(١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليفة ،
وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاء : دقاق الشفاء مع سمرة
كأنها لم ترنو فتغلظ ؛ والزنجى يوصف بغلظ الشفاء حتى شبهوها بمسافر الإبل ،
قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتُ ضَبًّا عَرَفْتَ قَرَابِي وَلَكِنْ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ^(١)
وغران : جمع أغر . وهو الأبيض المشرق ؛ والجعد من الشعر : خلاف للسترسل .
يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لو حواها الزنج على قبج صورهم لفظت
هذا القبح وصاروا عند الناس كمن خلقهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم
بيض ، ومع غلظ مشافرهم كأنهم ظمى الشفاء . وعبرة بعض الشراح : هذه الخلائق
الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من
الحسة والهمجية لصيرتهم كراما بيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ
عليه فى هذا البيت قوله « جماد الشعر » إذ كأنه قال : لا تغلبوا من الجعودة إلى
الجعودة ، لأن شعور الزنج جماد ، قال : والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن
شعور الزنج زائدة الجعودة .

(٣) أنفس : معطوف على « خلائق » واليلمى : الألمى الحاد الفطنة . وقوله لها :
أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعدوك ؛ والشنآن : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

(١) هجا الفرزدق رجلا من ضبة ففناه ونسبه إلى الزنج ، وأصل للشعر
للبيعر . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقرابة التى بين ضبة وبينه أنه
من تميم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .

الْوَضِيعِينَ أَبْوَاتٍ وَأُجْبِنَةَ وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَابًا وَأَذْهَانًا^(١)
يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ لِلرَّهْوَ بِجَانِبِهِ إِنَّ الْيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدَانًا^(٢)
وَوَاهِبًا كُلُّ وَقْتٍ وَقْتٍ نَائِلِهِ وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوَهَابُ أَحْيَانًا^(٣)
أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الْأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَالَ خَزَانًا^(٤)
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيَتْ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِي السَّرِّ مَالَمَ تَأْتِ إِعْلَانًا^(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم - أيها المخاطب - ليُجلها ضرورة ، ولو أبعدوك بفضالك ؛
يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطنة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضعين : نصب على الدح : أى اذكر ، أو أعنى ، ونحوها . والأبوة :
مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجينة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ،
يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة - أو متهلة -
كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن النظر
بها ، كما قال ابن غنمة :

* كَانُ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ *

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحدانا : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول :
أنت تصيد الجيش كله واليـث يصيد الناس واحداً واحداً ، فأنت أشد بطشاً من اليـث .
(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء .
الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد
يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك - على تضمينه معنى
حول - وللمكرمة فعل السكرم : يقول : إنه سبك أمواله وأحاطها مكارم ثم جعلها فى أيدى
العفاة فكانه اتخذهم خزاناً لأمواله . وعبارة الواحدى : سبك الأموال - أى جمعها
وصفها واستخلصها - ثم اتخذ السؤال خزاناً مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى
الحازن ، وهذا من قول البحرى :

جُلِّ مِنْ مَلَى يَشْكُكُنْ فِي الْقَوِّ مِ أَمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خَزَانُهُ^(١)
(٥) أخليت : يروى بالبناء المجهول - أى وجدت خالياً - ويروى بفتح المحزة :

(١) الأبا : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزلها .

لَا أُسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَأَمَّ إِنَّ نَبَّهْتُ يَنْظُرَانَا^(١)
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيْتُ السَّكْرَامَ بِهِ وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْإِيَّامِ رِضْوَانَا^(٢)
وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا وَكِبْرَهُمْ قَدَّرَا وَأَرْفَعُهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا^(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أ كذبت به : أى صادفته كذابا ، وأجيبته : صادفته جيانا والمرتب : الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا ما لا تفعله فى الملا ، وفى السر ما لا تفعله فى العلان ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَمَّا لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّما عَلَى بَظْهِرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية فى السكرم . فلو أنى استزدتك كرما كنت جاهلا محلك من السكرم . وكنت كمن به يعظان واليعظان لا ينبه ، كذلك أنت لا تستزاد كرما ، قال العكبرى : إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان فى الضمير ذم لم يردده إلى نفسه ، وهذا من أدق ما فى شعره وأدله على حكمه واستيلائه على نصب السبق فى شعره ، ولولا تأملت شعره لوجدت فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان فى الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَأَمَّا لِيَنَّ قَوْمٌ كَأَنَّ نَفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحدق .
(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر ، يقال بكسر الراء وضما . يقول : مثلك من أواخر السكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك يرد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لا يعجبنى قوله سواك لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك أو نحوه لكان أليق . قال العروضى : سبحانه الله : أنليق هذه اللفظة بشرف القرآن ولا تطبيق بلفظ للتنبى ؛ قال الله تعالى : « ألقى خلق فسوى » وقال « بشرا سويا » وقال « فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء للمعرى ومنزلته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضرابا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى ظففتها ثم قال لى : لا تظن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فحرب إن كنت مرتابا ، وها أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق بحمد الأمر على ما أقول :

وقال في مجلس أبي محمد بن طنج وفد أقبل الليل وهما في بستان :
 رَالِ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا أَنْ لَمْ يَزَلْ وَلِجْنَحِ اللَّيْلِ لِمَجْنَانٍ^(١)
 فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمَسِّكُنَا فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانٍ^(٢)

وقال في بطيخة من الند في غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها
 هنبر قد أدير حولها كانت في يد أبي العشائر^(*) :
 مَا أَنَا وَالتَّمَرُ وَبَطِيخَةٌ سَوْدَاهُ فِي قِشْرِ مِنَ الْخَيْزُرَانِ^(٣)

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسر ها — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله
 وجهه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل ،
 مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقى في هذا البستان رغبة في البستان فسر منه ، فكل
 مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى في هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الحجر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع »
 وإعراب بطيخة : إعراب الحجر ، وأنشدوا :

يَا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَيَبَ أَيْكَ وَالْفَخْرُ^(١)
 وقال المذلي :

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَافٍ يُبْرِحُ بِالذِّكْرِ الضَّابِطِ^(٢)

(١) للمخبل السعدي ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا فِي بَنِي خَافٍ كَالْإِسْكَتَيْنِ عَلَاهُمَا الْبُظْرُ

ومعنى ويب أليك : التصغير له والتحقير ، وبنو خاف : رهط الزبرقان بن بدر .
 يقول : من ساد مثل قومك فلا غر له في سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله
 بالظرتين الإسكتين والإسكتان — بكسر الهمزة — جانباً الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) المتلف : اللقاة ، والتبرج : للشقة ، وأراد بالذك جلا . لأن الذك أقوى
 من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالى أعجم للشاق بالسير في الفلوات للثقة ، والشاهد
 نصب السير « أنظر شرح ابن يعيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْغَلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوَطَّيْنِي النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعْمَانِ^(١)
وَكُلُّهُ نَجَسٌ لَهَا صَائِكٌ يَخْضُبُ مَا بَيْنَ يَدَيِ وَالسَّكَّانِ^(٢)

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نموه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :
يَمِ التَّعْتَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ^(٣)

وقد جعل غلاف البطيخة قفراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين
القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك
قال النابغة الجعدي :

أَنَا نِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِلَادُ الْخِيزُرَانِ
وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحوضر ، وقيل أراد
أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران :
الرياح لتثنيها ولينها . قال العكبري : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم
يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى عَلَى خِيزُرَانَةٍ يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيْنِهَا
هتفت الحمامة : ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف .

(١) وطن نفسه للأمر : ذلها ومهدا . يقول : مالي ولهذه البطيخة : إني مشغول
عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والطعن يوم الطعن .

(٢) كل - بالرفع - عطف على توطيئني ؛ ومن خفضه عطفه على الطعمان ؛ والنجلاء
الواسعة ، وصائك : لازق - صاك به الطيب يصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلُكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا

« أجداد الإنسان وتجايله : جسمه وبدنه ، لأن الجلد يحيط بهما ، وجمع الأجداد :
أجداد ، وهي الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغلي كل طعنة واسعة يسيل منها دم
يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدي إلى السنان .

(٣) يم : أي بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول
في مثل ذلك . وتعلل بالشئ تلبي به . والسكن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما
السكن - بسكون الكاف - فأهل الدار اسم لجمع ما كن كشارب وشرب ، أنشد
الجوهري لذي الرمة :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ^(١)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ^(٢)
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ^(٣)

فَيَا كَرَمَ السَّكَنِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا عَنْ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ^(١)
يشكو الزمان يقول : بأى شيء أعلل نفسي وأنا بعيد عن أهلى ووطنى ، وليس لى
شيء ألهو به ولا أحد أسكن إليه . قال العبرى : وكتب رجل إلى امرأته من مصر ، وهى
يغداد مستشهدا بهذا البيت ، فكتبت إليه : لست كما قلت ، وإنما أنت كما قال صاحب
هذه القصيدة :

سَرَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَخَشَّةَ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَعَرَّ مَرِيرِي وَازَعَوَى الْوَسَنُ^(٢)
(١) يقول : إن همته أعلى من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتمنى
على الزمان أن يبلغه همته . قالوا . ويجوز أن يكون المعنى : أطلب من الزمان استقامة
الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه لا يثبت على حال ، ويجوز أن يريد أنه
يطلب الزمان بأن يغليه من الأضداد ، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه ، فإن الليل
والنهار كالتضادين ، ويجوز أن يريد : إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه
البقاء ، فيكون قد ألم بقول البحرى :

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَعَرُّفِهِ الزَّمَانُ^(٣)
(٢) يقول : مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى ،
والذى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط .

(٣) هذا تأكيد للذى قبله . يقول : لا تبال بما يحدثه لك الدهر ، فإن للفروح به
لا يدوم فرحه ، لأنه لا يدوم ، والحزن على الغائب لا يردده إليك هذه رواية الواحدى ،
وتبعه العبرى ، وعلى هذا فسرور : مضاف إلى ما بعده ، قال بعضهم : وهومن التجوزات
للاستقبة فى الوزن ، ومن ثم قال ولعل الأظهر :

* فَمَا يَدِيمُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

(١) قوله فىا كرم : يتعجب من كرمهم ، والاستخفاف للتبدل : قال ابن برى أى
صار خلفا وبدلا للظباء والبقر .
(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة .

بِمَا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا ^(١)
تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَنَمَا وَأَنفُسُهُمْ فِي لَأْسِ كُلِّ قَبِيحٍ وَجْهَهُ حَسَنٌ ^(٢)
تَحَمَّلُوا حَمَلَتَكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمِنٌ ^(٣)
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُنْجَى عَوْضٍ إِنْ مِتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا تَمَنٌ ^(٤)
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَمِنٌ ^(٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت . يقول : المتنبي سرورك بالشئ لا يديمه عليك ؛ لأن كل شئ زائل ، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يبرده ، لأن ما فات لا يعود .

(١) يقول : بما أضرب بالحسين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبع وطبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاكلة ، ولو هم فطنوا لذلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبري : وهو من قول الحكميم : العشق ضرورة داخلة على النفس ، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى : يعنى بأهل العشق الذين يعيشون الدنيا : تخصيص لا معنى له ، وتعميمه أنسب .
(٢) دمعاً مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره ما بعده ، والجملة حال . يقول ليكون حقى تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن في الظاهر قبيح عند الاختيار .
قال الواحدى - وتبعه العكبري - : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبري : وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

(٣) تحملوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقة للسرعة . والدين : البعد والفراق وطى : متعلق بمؤمن . قال ابن جني : هذا تشبيب من يضر في نفسه عتياً وموجدة يقول : - لمن شبب بهم بعد القى ذكره من حال العاشق وللعشوق : ارتحلوا عني فإن الفراق اليوم - أى بعد اختباري لأحوال الدنيا وأهلها - مؤتمن على ، أى أَرْضَى بِحُكْمِهِ وَلَا تَضُرُّنِي غَائِلَتُهُ ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفي الكلام تعريض لا يخفى .

(٤) الهودج : مركب النساء . واللجة : الروح . يقول لستم أهلاً لأن تمذل فيكم الأرواح شوقاً إليكم ومحبة لكم . فليست تعرضوننى روحاً غيرها إذا ألفتها :

(٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدِمْتُ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَأَى الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ^(١)
قَدْ كَانَ شَاهِدًا دَفَنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا^(٢)
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفِينُ^(٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أي انعه ،
أي أظهر خبر وفاته ، قال الكمي :

نَعَاءُ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ^(١)

يقول : إني قد نعت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتين بالموت لا بد له منه فلا يفرح
أحد بنى أحد .

(١) يقول : كم قد أخبرتم بموتى وتحقق ذلك عنكم ، ثم بان الأمر بخلاف ذلك
فكأنني كنت ميتاً ثم خرجت من القبر ؟

(٢) قوله قبل قولهم : أي قبل قول الناعين . يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا
أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتني ، أي فقد بان كذبهم فيما ادعوا .

(٣) يقول : إن أعدائي يمتنون موتى ولكنهم لا يدركون ما يمتنون ، ثم ضرب
لذلك مثل السفن قال : إن السفن — يعني أهلها — تشتهي الرياح الموافقة لسيورها ،
ولكن الرياح كثيرا ما تجرى على غير ما تشتهي . هذا : ويجوز في كل — كما قال
العسكري — الرفع والنصب ، فالنصب بفعل مضمر ، يريد ما يدرك المرء كل ما يمتنى ،
فلما أخبر الفعل فسر به بقوله يدركه كقولك ما زيدا ضربته فيختار النصب لأجل النفي
ومضارعة ، وهذا في لغة تميم ، لأن « ما » عندهم غير عاملة ، فتجربى مجرى « لا »
في نحو قول زهير :

(١) يقول الكمي هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدى بن عمرو بن سبأ
ومؤاخذتها للخم بن عدى بن عمرو والسكيت من أمد بن خزيمه بن مدركة ، وكان
متعصباً لمضر وهاجياً لليمن ، وجذام فيما يزعم بعض النسابين قبيلة من ولد أمد بن
خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكمي محققاً لذلك : انع جذاماً غير ميتين ولا
مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنسبين إلى غيرهم من اليمن

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمْ اللَّيْنُ ^(١)
جَزَاهُ كُلُّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ نَحْبٍ مِنْكُمْ ضَغْنٌ ^(٢)
وَتَفْضُوفٌ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِلْنُ ^(٣)

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدِي الْأَنْيْسُ وَلَا بِالْأَرْلِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمٌ ^(١)
أنشده سيدييه بنصب الدار لأجل حرف النني ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل »
به « ما » ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيدييه
لمزاعم العقيلي :

وَقَالُوا تَعْرِفُهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مِثْنِي وَمَا كُلُّ مَنْ وَافَى مِثْنِي أَنَا عَارِفٌ ^(٢)
أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ما تقدم ؛ والقرآن
قد جاء بالحجازية في قوله تعالى « ما هذا بشرا » وفي قراءة السبعة « ما هن أمهاتهم »
بكسر التاء .

(١) العرض : ما يمدح به الرجل ويذم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول :
من جاوركم لا يقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندهم فلا تكثرثون لثتمه ولا تحامون
عنه ، وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدربنها على مراكم لوخامته . وهذا مثل ، يريد :
أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنا أخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تعريض
لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن
أحبكم حقدتم عليه ، أي لستم تجازون الحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرfid : العطاء . والمثلن : جمع منة اسم من امتن عليه إذا عده له صنائعه يقول :

(١) وصف زهير داراً خلّت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فغيروا ماعهد من
آثارها ورسومها . ويروى بعد الأنيس : أي هي باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد
من عهدت من الأنيس فيها . والأنيس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت
بها فسألتها وناديتها بمقدار ما أصعبها لو أجابت ولكنها لم تجب فكأن بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته في الحج فجعل يتفقداه فليل له تعرفها بالنازل من
منى - وهي حيث ينزلون أيام رمي الجمار فزعم أنه لا يعرف كل من وافى منى حتى تسأله
عنها لأنه لا يسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .

فَقَادَرَ الْمَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَهْمَاءَ تَكْذِيبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ^(١)
تَحْبُوُ الرِّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضَ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّقِينِ^(٢)
إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنٌ^(٣)

لا يخلو عطاؤكم من اللن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنقيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض - كما أسلفنا - بسيف الدولة .

(١) الهباء : الأرض التي لا يهتدى فيها ، يقال برأيهم وفلاة بهاء ، يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له ، لكثرة ما يخيل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك الهجر بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات ما لا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك للفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .
ومن هذا قول ذي الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِيْنَا لِيَسْمَعَ نَبَأَهُ صَوِّمَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيُّ الْمَسَامِيعُ
« النبأ الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التي سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلة وهي مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والكركرة - الزور - وإنما سميت ثفنات ، لأنها تغلظ في الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل . يقول : لطول السير في هذه الهباء ومتابعتها تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفنتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها - على الثفنات - بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أي لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عمن يؤذيني مادام حلمي يعد كرمًا ، فإذا كان يعد جبنًا لا أحلم قال الفند الزماني :

وبعضُ الحلمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

وَلَا أَقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ
سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلٍ وَخَشَّةَ لَكُمْ
وَأَنْ يُبْلِيَتْ بُودَةٌ مِنْ لِيٍّ وَدَّكُمْ
أَبْلَى الْأَجَلَةِ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ
عِنْدَ الْهَمَامِ أَبِي الْمِسْكَ الَّذِي غَرِقَتْ
فِي جُودِهِ مُضَرُّ الْحَمَرَاءِ وَالْيَمَنِ (٥)

(١) الدرر : الوسخ ، يقول : لا آخذ للال بالذل وكل مال يحصل لي بذل تركته ، ولا أستطيب شيئاً يلطخ عرضي بأخذه .

(٢) أصل المرير : الحبل الشديد القتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحك أمره عليه وقويت شكيمة فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : النعاس . يقول : لما فارقتم استوحشت لفراقكم حتى امتنع رقادي ، أي لأنني إياكم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفراق مثله : أي بفراق مثل رحيلي عنكم . وقن : خليق وجدير . يقول : إن كنت في قوم آخرين فعاملوني معاملتكم فارقتم كما فارقتم ، وهذا تعريض بكافور ، يعني إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارقه كما فارقتم . قال الواحدى : ومثل هذه الآيات مانسدة للبرد :

لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ بِامْتِنَانٍ وَلَا تَرُدِّ عُرْفَ ذِي امْتِنَانٍ
وَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنِهِ فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
أَشَدُّ مِنْ فَاقَةٍ وَجُوعٍ إغضاهُ حُرٌّ عَلَى هَوَانٍ
فَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ يَقُومُ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

(٤) الجبل : واحد الجبال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو ما يتجبل به الفرس . والمذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من اللجام . والفسطاط : ناسم للهمز . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامي بمصر لا كرام مثواى هناك حتى بايت جلال فرسي وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول اللقام ببلى هذه الأشياء .

(٥) الهمام : العظيم الهمة . ومضر الحمراء - بالإضافة - هو مضر بن نزار وإنما قيل له ذلك لأن نزاراً لما مات تهاكم أولاده - ربيعة ومضر وإياد وأنمار - إلى جرم في (٢٤ - النبي ٤)

وَلَا تَأْخُرْ عَنِّي بَعْضُ مُوعِدِهِ فَمَا تَأْخُرُ أَمَالِي وَلَا تَهِنُ^(١)
هُوَ الْوَفِيُّ وَلَيْكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ مُوَدَّةَ فُتُوٍّ يَنْبُلُوهَا وَيَمْتَحِنُ^(٢)

قال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا^(٣)
وَتَوَلَّوْا بِمُضَصَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانَا^(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ،
قال القائل :

قُولُوا لِقَطَطَانٍ مِنْ ذَوِي يَمَنِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَيْبَةَ الْفَرَسِ
وأعطى إياد الإبل والغنم ، فسموا إياد النعم ، وإياد الشمط قالوا :
إِذَا مَا إِيَادُ الشَّمَطِ يَوْمًا تَجَشَّمَتْ ظَنَنْتُ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيدُ
وأعطى مضر الذهب وقبه حمراء فسموا بذلك ، قال قائلهم :

إِذَا مُضَرُّ الْحُمْرَاءِ عَبَّ عُجَابُهَا فَمَنْ يَتَصَدَّى مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ
وأعطى أنمار الحمار والأرض وما شاكلها فسميت أنمار الحمار وأنشدوا :

فَلَوْ أَنَّ أَنْمَارَ الْحِمَارِ تَنَاصَرَتْ لَكَانَ لَهُامِنْ بَيْنِ فَيْدٍ إِلَى هَجَرَ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر
يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر - بحذف إحدى التائين - أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله
وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
عني ما آله ولا يضعف رجائي عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من
خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره في البيت التالي .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
له من المودة والمحبة ، فلماذا يتأخر عني ما وعدي به

(٣) عنه الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه »
أى لا يهيمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كأنهم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصة : ما غصت به من هم وحزن ونحوهما ، وأصلها الشج

رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَاكِلِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ^(١)
وَكُنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا رِيبَ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا^(٢)
كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاقَةً رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاقَةِ سِنَانًا^(٣)

ينص به في الحرقدة ، تقول غصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمه فوات بنصته وإن سر في بعض الأحيان.

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فما يعطى ، ويعسن ولكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينقصه ، كما قال الآخر :

الدَّهْرُ أَخَذُ مَا أُعْطِيَ مُكَدِّرٌ مَا أَصْفَى وَمُفْسِدٌ مَا أَهْدَى لَهُ بِيَدٍ

(٢) قال ابن جني : في « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره « من أعانا » وأضمره.

قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . وروى لم ترض - بالتاء - والضمير لليالي . يقول : هذا الذي أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبني من محنة حتى أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرَكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلَّتُهُ بِي كَافِيًا^(١)

قال ابن جني : هذا البيت — والذي قبله — أحسن ما قيل في الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فالיום لا يوصف بسعد ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القنقة : عود الرمح والسنان زجه الذي يظمن به . يقول : إذا انتدب الزمان

للاساءة بما جبل عليه صارت عداوة للمعادي مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القنقة » مثلاً لما في طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلاً للمداوة . وعبارة ابن جني سوتقلها الخطيب

(١) البرك : كل شكل البعير وصدرة الذي يدوك به الشيء تحت . يقال حكه يركه ،

ومن المجاز حكمت الحرب بركها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدها :

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرَكُهَا بِهِمْ وَأَعْطَتْ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنِي بَيَّانٍ

وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدي :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرَكُهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُفَادِرْ غَيْرَ فَلَّ

وَمُرَادُ النَّفُوسِ أَضْفَرُ مِنْ أَنْ نَتَمَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى ^(١)
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُبْلِقِ الْمَنَآيَا كَالْحَاتٍ وَلَا يُبْلِقِ الْهَوَانَا ^(٢)
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَّى لِحَى لَمَدَدْنَا أَضْلَلْنَا الشُّجْعَانَا ^(٣)
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا ^(٤)
كَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا ^(٥)

التبريزى - - الزمان إذا غابت قناة إنما ينيها بالطبع ولا يشعر لأى شىء تصلح. فيتكافئ بنو آدم اتخذ القناة توصلا إلى هلاك النفوس ، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به .
(١) هذا نهى عن المعادة والتعاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاء الدنيا وحطامها أقل وأحق من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .
(٢) كالحات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهوانا .

(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذى يتعرض للقتل أضل الناس ، يعنى أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقرب داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول : إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينبجو منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن - من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : فى جسدى مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفى ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،

(٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويكون : تامة ، وكذا « كانا » - آخر البيت - . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحرى :

لَعَمْرُكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتِقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
والأصل فى هذا قول أعشى باهلة :

لَا يَصْغُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرِ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ

وبعد : فقد وفق المتنبي فى هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه بمن كانوا يسترقون السمع ، فتلقي هذه الآيات من ذات الرجوع - السماء - فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العقيلي على الأستاذ كافر وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ ^(١)
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُصْلَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْمِدَاخِرِبِ مِنَ الْهَذْيَانِ ^(٢)
أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانِ ^(٣)
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْقَدْرَ يُبْتَلَى بِقَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِقَدْرِ زَمَانِ ^(٤)
بِرَغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَضْطَحِبَانِ ^(٥)

وَقَافِيَةٌ عَجَبَتْ بِلَيْلٍ رَزِيئَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
فَقَدْ دَرَهُ .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهالته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصارامذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جني : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاويه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التكلم بغير معقول ؛ قال ابن جني : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس في جملة . يقول : لله سبحانه سر فيها أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يخوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدى : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطا باتفاق من القضاء .
(٣) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد القدي رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا في البيت التالي :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمرك خلافا غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأربا ؛ أو غدر به الدهر فهلك بأفة تصييه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلي ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب مرة النعمان دهر أطويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانُ (١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَافَا غَايَةَ الْحَيَوَانِ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا الْفَارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانِ (٣)
فَنَالَ حَيَاةَ يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يَشْهِي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ (٤)
نَفَى وَقَعَ أَطْرَافِ الرَّمَايحِ بِرُغْخِهِ وَلَمْ يَحْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالْذَّبْرَانِ (٥)

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألفت عليه رحي فصهرته فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق فقتلوه . يقول : إنه هلك بفارقه سيفه كفه ، وكانا لا يفترقان على الملأ — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شيبيا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يمنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .

(٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل شئ فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتشير : حال من « النار » ، أو نعت لها على أن « أل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان غبيب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشر ، غير أنه يشير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَأْوَى يَارُبَّتَمَا غَارَةَ شَعْوَاءُ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ
« غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ وللميسم : اللكواة ، أو الشيء الذى يوسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشهى الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم يتقدمه ألم ولا مرض . هذا : ويشهى لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو ريد ، فكانه قال : يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، حذف ؛ والذبران : قال الجوهري خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَذَرْ أَنْ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرِانِ^(١)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذْلٍ مَكَانٍ^(٢)
أَتَتْهُ الْمَنَائِيَا فِي طَرِيقٍ خَفِيفَةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوَالَهُ وَعِيَانٍ^(٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفى عن نفسه الرماح برعحه ، يعنى أنه كان شجاعا يلقى نفسه برعحه ولكنه لم يحرق في حساباته مناحس النجوم — والدبران من النحوس في حكم النجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التى قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد في أخيه أربد : أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْخُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ^(١)

(١) الشواة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خير « أن » ؛ ومعار : خبر ثان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يدر أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حق لكنأنه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبارة الواحدى : ولم يدر أن الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيها يقال : إن امرأة أدات على رأسه رعى من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء في الحرب . قال الواحدى : ذكر في قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شيء وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع في تلك الساعة فانهمز أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن في أذل مكان ، يعنى في غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافر قال كافر : لا والله إلا بأشد قرن في أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافر .

(٣) يقول : إنه مات فجأة من غير أن يستدل أحد على موته بمرتى أو مسموع ، كما قال يزيد الملهي :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِجَةً هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَائِيَا وَالْقَنَا قِصْدُ

« قصد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تنكسرت »

(١) انظر الكلام على « الأنواء » في لسان العرب — مادة « نوا » — والسمك : نجم معزوف ، وهما سماكان راح وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط في مواضعه .

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَسَاعِ جَنَانٍ^(١)
تَقْصِدُهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِاحِبِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ^(٢)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ^(٣)
وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْمَكْنَانِ^(٤)
أَتُمْسِكُ مَا أَوْلَيْتُهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتُمْسِكُ فِي كُفْرَانِهِ بَعِينَانِ^(٥)

(١) سلكت : أى النايا . والجنان : القلب . يقول : لو أته للنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده ورسمة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . وللقدر : واليراد : القضاء . والطرفان بعده : حالان من الماء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وعلى غير : متعلق به ، والاتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معاناً بتأييده كما لم ينفع شيئاً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والميت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والمكنان : الإبل الكثيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدي :

هَلْ بِاللَّوَى مِنْ عَكَرِ عَكْنَانٍ أَمْ هَلْ تَرَى بِأَخْلٍ مِنْ أَظْمَانٍ^(١)
يقول : أذى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الدين قتلهم .

(٥) أوليته : أعطيته ، والضمير لشبيب ، والعائد إلى «ما» محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطيه على تمسك قفرقه ، ولك أن تقول أن الواو للمصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب - فى عجز البيت التالى - والضمير من « كفرانه »

(١) المكر . القطيع الضخم من الإبل ، والحل : الطريق النافذ بين الرمال المتركة .

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتُهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهَرَ حِصَانٍ^(١)
 تَفَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانٍ^(٢)
 وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانٍ^(٣)
 قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانٍ^(٤)

للموصول - في صدر البيت - والعنان : سير اللجام . يقول : هل يمكك عاقل مثل النعمة التي أنعمت بها على شبيب ثم يمكك عنان فرسه في كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أي لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبرة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العنان في الكفران ، لأن من كان عاقلاً لم يكفر نعمة للنعم عليه ، وهذا إغارة إلى أن « شيبيا » كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جني ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عنانه فهاذلا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو في معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التي أركبتها شيبياً ثم يركب حصانه لعصيان من أكرمه ؟ أي لا يجتمع لأحد إكرامك ومصيتك .

(٢) تفي يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جني : ملك يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على اللوهور فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهي مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت - بإسناد الفعل إلى اليد - كان المعنى أن يده وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له - صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أي ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشبيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من يفي لصاحبه اليوم ؛ أي لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس فادر كـشبيب ، فهما في ذلك أخوان في القدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسَىٰ وَإِنَّمَا (١)
وَمَا لَكَ تُعْتَنِي بِالْأُسْنَةِ وَالْقَنَا (٢)
وَلِمَ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نَجَادُهُ (٣)
أُرِدُّنِي جَمِيلًا جَذَتْ أَوْ لَمْ تَجْذُ بِهِ (٤)
لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَعْيِيهِ (٥)
عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانَ (١)
وَجَذَكَ طَعْمَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ (٢)
وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحُدَّ ثَانٍ (٣)
فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِي أَتَانِي (٤)
لَعَوَّ قُهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ (٥)

في السكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ما سبقت إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك .

(١) القسى : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اختيار القسى لرمى أعدائه بها ، يقول : لا حاجة لك باستجادة القسى لرمى بها أعداءك فإن أعداءك - أكانوا من الإنس أم من الجن - يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسى سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لا تحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عني بالشيء - بصيغة المجهول - اهتم به ، والأسنة : جمع سنان ؛ والقنا : الرماح والجد : الحظ . والبيت في معنى البيت الأول ، يقول : لم تعتنى بادخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا ؛ وإسكان الليم خاص بالشعر والنجاد : سمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجاد بالطول دل على طول حامله . والحديثان : حوادث الدهر ونوائبه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف في قتل أعدائك ، يشير في هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح .

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطى شيئاً وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد به خيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبى تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغراً ما نأمرُهُ *

(٥) الفلك : يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة في قوة

سعدته ومؤاناة الاقدار لمراده ، وهو المعنى الذى تخور إليه أكثر هذه الآيات ، قال الواحدى ؛ هذه الآيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة ونزولا على حكم خطتنا فيه - أن نورد كل ما أورده الشراح - نذكر هنا ما قاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يعنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود ، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضم له فعلا ينصبه ، ويكون الفعل الذى نصب سعى للضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للضمير كقولك ؛ لو أخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيدا وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » - بالنصب - قدرناه « فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضم له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شئ ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالٌ بَلَفَتْهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أَذُنَيْكَ جَاوِرٌ^(١)

(١) أذنك يروى عينك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظيمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، وكان ذو الرمة كثير اللدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَفْتَنِي وَحَلَّتْ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَأُشْرِقِي بِدَمِ الْوَتِينِ
وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين عهد ابن الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَقْنِ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ
والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية للأسورة بمكة وقد كانت نجحت على ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما وصلت إليه قالت له يارسول الله : إني نذرت إن

ونظر يوما إلى كافر فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الْآكُلِ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَأَوْسَعْنَاهُ إِحْسَانًا^(١)

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؛ ثم فسر به بيلغته ، وهذا فيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم الرفوع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسير له ، وحببتنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم الرفوع معها فيرتفع بالاعاد ، لأن المكسب للرفوع فى الفعل : الاسم الاول ، فينبى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الظريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يقتصر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ، فلم يقدّر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخفش من البصريين : هو الرفوع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر . وقوله لاوسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لاوسعناه الإحسان : فمدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفا لى لاكثر من الإحسان إليه : أى لو أنانى وقصدنى ضيفا لأحسننت إليه ، وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعَانُ يَأْكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي *

قال الواحدى : ولاكل زاده وجهان : أحدهما أن التنبى أناه بهدايا والطف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن التنبى يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه مما حمله ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بشس ماجزيتها . . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيقتى وأغنيقتى إلا أن الشماع وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح .

لَكِنَّا فِي الْمَنِّ أَضْيَافُهُ يُوسِفُ زُورًا وَبُهْتَانًا^(١)
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبُلَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَانًا^(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعي في بلبيس يطلب منه دليلا
فأنفذه إليه :

جَزَى عَرَبًا أُمَسْتُ بِبُلْبِيسَ رَبِّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقَرَّرَ بِذَلِكَ هُمُومَهَا^(٣)

وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلنامه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئا .
(١) يقول : نحن في الظاهر أضيافه لأننا أتينا ، غير أنه لا يعطينا قرى غير الزور
والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنيا : ليت أطلقنا ! ثم قال : أعانته الله على تخليط طرفنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا
الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سبل ؛ والسبل : الطريق ،
يذكر ويؤنث ؛ وفي التنزيل العزيز : « وإن يروا سبيل النى يتخذوه سبيلا » فذكر ،
وفيه « قل ، هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة » فأنت .

(٣) بلبيس : هو ذلك البلد الذي بمصر ؛ والسعاة : السكرمة والملاة في أنواع المجد
والجود ، والعرب تسمى مأثر أهل الشرف والفضل : مساعي ، لسمهم فيها كأنها
مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى
شيئا فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء
وبردونها في الفقراء ؛ وسى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء السكابي في
عمرو بن عتبة بن أبي سفيان - وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم - :

سَعَى عِقَالًا فَلَمْ يَنْزُكْ لَنَا سَدًّا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ
لَأَضْبَحَ الْحَيُّ أَوْبَادًا وَلَمْ يَحْدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَالَيْنِ^(١)

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، ونصب « عقالا » على الظرف أراد
مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى
ماله ذو وبر ولا صوف متلب ، يكنى بهما عن الإبل والغنم ، والأوباد : جمع وبذ ، ورجل
وبذ فقير سوء الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالا ههنا
وجمالا ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كَرَّاكَرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْمَلَا وَجُفُونَهَا^(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبري : أراد لتقرر ، على الأمر ، فحذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفَتْ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا^(٢)
وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبُؤْسَةِ فَأَخْشَى

لَكَ الْوَيْلُ حَرُّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكُ مَنْ بَسَكِي^(٣)

وقرت عنه تقرر : هذه هي اللغة الأمل ، أعني فعات تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحرارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمة السرور باردة ، ودمة الحزن حارة . يقول : جرى رب العرب التي أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقرر عيونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة - بكسر الكاف - وهي الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهرا : نعت سبيى لكراكر : وجفون ظبها فاعل ساهر ، والظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والمراد السيوف أنفسهم ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد . يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لا تزال جفونهم ساهرة في طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصلها ، لأن سيوفهم لا تزال مسلوطة ، قال ابن جني : لما وصف جفونهم بالسر في طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصلها ، فكانها

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكان التاء بدل من الواو : أي إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سبيويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ «أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذي بعده ، قال الأعلم وهذا من أقبح الضرورات لأن الجازم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضم

(٢) البيت لثمن بن نويرة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحذف على البكاء عليهم ، ومعنى اخشى : الطمى : وقطى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول اخشى ، وهو ما بدا من الوجه ، أراد : لييك ، فحذف اللام .

وَحَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفٍ فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا^(١)
فَتَى زَانَ فِي غَيْثِي أَنْصَى قَبِيلِهِ وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا^(٢)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه
بشعب بؤان :

مَعَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَعَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ^(٣)

ساهرة مع جفون عيونهم في طلب المعالي والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون
العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرِيهَا وَجَفْنِ سَيْفِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسْنُ
(١) الضمير في « به » يعود على الجزاء ؛ والغيث : اللطر ؛ وللعين : الماء الجاري .
يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذي هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيث
وكالمعين ، لأحياة لهم بدونه . وغيثها : رواها العكبري « عنها » قال : والعين من الشيء
خيرته وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة يحلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته
وربطه وإن تباعدوا عنه في النسب : أى أنه زين عشيرته - القريب منها والبعيد -
أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المعاني : جمع معنى والغنى : للزل الذى غنى - أقام - به أهله ثم ظعنوا عنه
والشعب : المنعرج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بؤان ، وهو موضع عند شيراز ،
كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمي : متزهات الدنيا
أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بؤان ، وصغد سمرقند ، وطيبيا :
تميز . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمته ، يعنى أنها تفضل
سائر الأماكن طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمته . هذا : وقد قال ابن جني في إعراب
« طيباً » : الشاميون ينصبون طيباً بإضمار فعل : أى تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ،
كقولك : زيد سيراً ؛ أى يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ،
أو من نصبه فعل التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ،

وَلَكِنْ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ^(١)
مَلَأِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سَلِيمَانٌ لَسَارَ بَرْجَانِ^(٢)

كقول الآخر:

أَتَجَرُّ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ
قال: ووجه الرفع أن اللغز: مبتدأ؛ وطيب: خبره.

(١) معنى بالفتى العربى: نفسه. يقول: إني بها غريب الوجه في عيون أهلها، إذ يعرفني أحد هناك، أو لأنه أسمر اللون، إذ غالب ألوان العرب السمرة، وأهل السبب شقر الوجوه، وغريب اليد: أى لا ملك له في هذه البقعة، فیده أجنيبه فيها، أو لأن سلاحه الرمح وبده تستعمل الرمح، أما أسلحة أهل الشعب التى يستعملونها بأيديهم فهى الرايات والزازيق، أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية، وغريب اللسان: لأن لفتى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون.

(٢) الجنة: الجن. وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدى: جعل الشعب — لطيه وطوب أهله — ملاعب، وجعل أهله جنة — جنة — لشجاعتهم في الحرب؛ والعرب إذا بلغت في مدح شيء نسبتته إلى الجن، كقول الشاعر:

• يَخِيلُ عَلَيْهَا جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ •

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاها لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحسكل^(١)
هذا: والترجمان — وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها؛ والجمع: وترجم، مثل زعفران وزعفر، وصحصحان وصحاصح، قال نقادة الأسدي:

(١) الحسكل من الحيوان: ما لا يسمع له صوت كالقدر والنخل، قال:

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُسْكَلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْهَمْ سِوَادَهَا

وقيل الحسكل: العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج — وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ماسنك مامالك ما كذا؟ فأنشأ يقول

لَمَّا أَزْدَرْتُ نَقْدَى وَقَلْتُ لِمِثْلِي تَسْأَلُنِي عَنِ السِّنِّينِ كَمْ لِي
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمَرَ الْحُسْلِ أَوْ عُمَرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفَطْحِ

طَبْتُ فُرْسَانَنَا وَانْخَيْلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرَّمَنَ مِنَ الْحِرَانِ^(١)

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ الْقَطَا

إِلَّا الْحَمَامَ الْوُزُقِ وَالْقَطَا

* كَالْتَرُجْمَانِ لِقَى الْأَنْبَا^(٢) *

(١) طباه يطبوه وبطبيه طبيا وطبوا : إذا دُعا . قال ذو الرمة :

لِيَأْلَى اللَّهُوْ يَطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ إِنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ

[أى يدعوني اللهو فأتبعه] ويقال أطباء على افتعله فقبلت التاء طاء وأدغمت ، وفي حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حتى ماتعدل به : أى تحجب إلى قلوب الناس وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسَطَ الْمَجَالِسِ شُمْتُ^(٢)

والحيران في الدواب : أن تقف ولا تبرح المكان . يقول : إن هذه المغاني استملت قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحيران وأن تقف بها فلا تبرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لا يعرفوها هذا الداء — داء الحيران —

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ أَوْ أَتْنَى أَوْ تَيْتُ عِلْمِ الْحَسَنِ

عِلْمِ سَلِيَانَ كَلَامِ النَّعْلِ كُنْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلٍ

[السواء : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررت : والحسل : ولد الضب ، وسئل ربيعة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ، قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشيء التقاطا : إذا هجمت عليه بغتة ولم تحسبه ، وفراط القطا :

متقدماتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغظ القطا والحمام بصوته وألغظ وأصل اللغظ : الصوت للمهم الذى لا يفهم والأنباط جبل يزلون سواد العراق :

(٢) حرك حرف الحلق من نعل لا فتتاح ماقبله ، ففتحتها ليس بلغة ، والنعل مؤنثة

وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .

(٢٥ — التني ٤)

غَدَوْنَا تَنْفُصُ الْأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجَمَانِ^(١)
 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِئْتُ مِنَ الضِّيَاءِ بِمَا كَفَانِي^(٢)
 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفْرِئُ مِنَ الْبَنَانِ^(٣)
 لَمَّا تَمَرَّرْتُ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفَنَ بِلا أَوَانِي^(٤)

(١) تنفص الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللالىء ، يقول : سرنا بين أشجار هذه المغانى صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكان الأغصان تنفصه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى .

(٢) الضمير من حجبين : الأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جنى : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو ما يقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : للشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول كما قال النبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضاء الشمس يدخل من خلاله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه . وعبرة بعض الشراح : يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من الشرق ألقى الشراب بطولها دنانير لا تمسك باليد . فالشرق بمعنى الشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن نمار هذه الأغصان رقيقة القشة فهى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه النمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليس لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البحترى :

يُخْفَى الرُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ

وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْحَلْيِ فِي أَيْدِي الْقَوَانِي^(١)
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقَ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثَّرْدِ صِينِي الْجَفَانِ^(٢)
يَلَنْجُوجِي مَارُفَعَتِ لِضَيْفٍ بِهِ النَّيْرَانُ نَدَى الدُّخَانِ^(٣)

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها : أى بتلك الأمواه ، يعنى بحريها وروى ابن جني لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : ما يلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والقواني : جمع غانية ، المرأة التي غنيت بحسبها شبه الأمواه ، في اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذي يلبس في المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — في الأصل — سير العجاء . واللبيق : العاذق الرقيق بما يعمل كالبقي . والثرد : جمع ثريد ، وهو الحزيفت وييل بالمرق . وروى ابن جني بفتح الثاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة وصيني الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هذه المغاني الطيبة دمشق — أى لو كنت في غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عناني إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافني هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد المعجم . وقال ابن جني — لو كانت هذه المغاني كغوطة دمشق في الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا الممدوح الذي ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال — أى ابن جني — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر الممدوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاه لغوطة دمشق في الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلنجوجى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذي يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير : ل«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للنعير : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للضيف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :

تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبِ شُجَاعٍ وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانٍ^(١)
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ بُشِيعٌ مَنِي إِلَى الْفَوْبِ بَنَدَجَانٍ^(٢)
إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُ الْقِيَانِ^(٣)

(١) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت ، ولعل أحسنها ماذهب إليه الواحدى ، قال : تحل به أنت - أيها الرجل - أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم - على قلب شجاع جرى على الإطعام والقرى غير بخيل - لأن البخل جبن - وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان - على هذا وعلى ماذهب إليه الواحدى - قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه - أى ابن جنى - يظن أنها قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد - التنبي - ما قال لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلمما معنى غير ماذهب إليه - أى ابن جنى - وإنما يريد - التنبي - أنك إذا حللت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تبالي بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنْ نَفُوسًا أَمْتَكْ نَمِيعةٌ *

فالقلبان في البيت : قلبا من يحل ويرحل - أى قلبا المضيف .

(٢) نوبندجان : بلد بفارس ؛ ويشيعى : يتبعى . قال الواحدى : يريد أنه : يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، خيال منازل دمشق يقبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها بياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحامة والذئبة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلَا تَكُونِي يَا ابْنَةَ الْأَشْمِ وَرَقَاءَ دَمِي ذُنْبَهَا الْمَدَى^(١)

(١) الذئباب إذا رأت ذنبا قد عقر وظهر دمه أكتبت عليه فقطعته وأثناء معها وقيل الذئب إذا دى أكلته أثناء فيقول هذا الرجل لامرأته : لا تكونى إذا رأيت الناس قد ظلموني معهم على فتكونى كذئبة السوء .

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَخْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا غَفَى وَنَاحَ إِلَى النَّيَّانِ^(١)
 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاعِدَانِ^(٢)
 يَقُولُ بِشَبِّ بَوَّانٍ حِصَانِي أَعَنْ هَذَا بِسَارُ إِلَى الطَّعَانِ^(٣)
 أَبُو كُمْ آدَمُ سَنَ الْمَعَاصِي وَعَلَّكُمْ مُفَارَقَةَ الْجَنَانِ^(٤)
 فَقُلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ^(٥)

والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية اللغنية . يريد لطيفها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يحاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب - شعب بوان - وقطانه أخرج إلى البيان من حمامه فى غنائه ونوحه ، لأنهم أحاجم لايان لهم ولافضاحة ، فلا يفهم العرب كلامهم ؛ قال اليازجى : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالنساء لأنه يعطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشعبى ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران فى أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والوصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفها فى الاستعجاب وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسى يقول لى حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به - منكرها على السير منه إلى الحرب - أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : إنما تفعلون ذلك اقتداء بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذى سن لكم ركوب المعاصى ومفارقة موطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لى يتخلص إلى ذكر المدح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أخرج به عما كان سبيلى إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول - مجيئا فرسه - : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى مقى رأيتة نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده ما يسلى عن كل شئ .

فَإِنَّ النَّاسَ وَالْدُّنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالُهُ فِي النَّاسِ ثَانٍ^(١)
لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَمْلِيمِ الطَّرَادِ بِلَا سِنَانٍ^(٢)
بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ اِمْتَنَعْتُ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لَغَيْرِ ذِي عَضْدٍ يَدَانِ^(٣)
وَلَا قَبْضٌ عَلَى الْبَيْضِ الْمَوَاضِي وَلَا حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللَّدَّانِ^(٤)
دَعَتْهُ بِمَفْرَاجِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا أَيَّوْمِ الْحَرْبِ بِكَرٍ أَوْ عَوَانٍ^(٥)

(١) يقول : إن الناس كلهم - والدنيا بأجمعها - طريق إليه لا يمكنني شيء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسي القول في الناس بالشعر في مدائحهم قبله كما يتعلم الطعان أولاً بغير سنان ليصير المتعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر في مدح الناس لا تدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشعراء : يريد أنه لم يكن يقصد الجدل في مدح غيره ، وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المدح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروى له علمت - أى لأجله - وذلك أظهر في المعنى .

(٣) قال الواحدى : أى أن الدولة امتنعت بعصدها وعزت ولا يدلن لأعضده ولا يدفع عن نفسه من لا يد له ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير في قوله « امتنعت » عائداً على المضاف إليه من قوله « بعصد الدولة » فهو على حد قولك : بعلام هند مرت : أى مرت هند بعلامها ، وهو كما تراه ، قال ابن جني : يعرض بدولة غيره من الملوك التي لا يذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفياً وتعريضاً بجميع من لا عضد له دولة كان أو إنساناً بقوله « وليس لغير ذي عضد يدان » هذا : وعصد - بسكون الصاد - تخفيف عضد - بضمها -

(٤) البيض : السيوف . والمواضي : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين اللين . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطمئن بالرمح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه في الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يد له ، ومن لا يد له لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولا حظ » يروى ولا حظ - بالطاء المهملة - وهو خفض الرماح بالطمعن .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أو عوان

فَا يُسَمِّي كَفَنًا خُسْرَ مُسَمٍّ وَلَا يُكْنِي كَفَنًا خُسْرَ كَانِي^(١)
وَلَا تُحْصِي فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ^(٢)
أَرُوضُ النَّاسِ مِنْ تَرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانٍ^(٣)

والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكرة . وقوله بمفرع الأعضاء رواها ابن جني : بموضع الأعضاء ، وقال أي دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح . أي اجتذبه واسمائه ؛ قال ابن فورجه هذا ما ذهب إليه ابن جني - مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفرع الأعضاء يعني دعته الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع - ملجأ - الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ما قل - ابن فورجه - يريد أن الدولة صمته عضدها وهى - العضد - مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هى الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعته بعضدها وهو ملجؤها الذى تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماء وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثلة أحد . فالمسمى : الداعى بالاسم ؛ والسكنى : الداعى بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن - على اتساعه - ولا تستوفى الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس - لاسماع - فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد فى جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خالق الإنسان من عجل » لما كان فى أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة - وأرض المدح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمان لها ، والمعنى أن أحدا لا يبعث فى نواحي مملكته هيبة له وخوفاً منه .

تَذِمُّ عَلَى الْأُصُوصِ لِكُلِّ تَجَرٍّ وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلِّ جَانِيٍّ (١)
إِذَا طَلَبْتَ وَدَائِمَهُمْ نِقَاتٍ دُفِنَ إِلَى الْمَحَانِي وَالرَّعَانِ (٢)
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صَحَابٍ نَصِيحُ بَمَنْ يَمُرُّ : أَمَا تَرَانِي (٣)
رُفَاهُ كُلُّ أَبْيَضٍ مَشْرِفِي لِكُلِّ أَصَمٍّ صِلَ أَفْعُوَانِ (٤)

(١) تَذِمُ : أى الأرض . وفى رواية يَذِمُ : أى المددوح ، وأذم له أعطاه التمام وهو العهد والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن التنبي أجرى التجار مجرى الواحد ذهاباً إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* نُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلِّ رَكَبِ *

يقول : إن أرض هذا للمدودح تجر كل تاجر من اللصوص فلا يخافون اللصوص ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هبة وخوفاً من المددوح ، وهى تضمن لسيوف المددوح كل من يخون جنابة أن يكون طعمة لها إذ لا ينبجو من يده .

(٢) النِقَاتُ : الذين يوثق بهم . والمحاني : جمع محنة ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند نقات أمناء ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحدًا . لأن هبة المددوح تحميها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أَمَا تَرَانِي ؟ لأنه يعرض عنها فلا يحسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يحسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحدًا . قال البازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا تَرَانَا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهجت ضمير الواحدة فى قوله نصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل النية .

(٤) الرقى : جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والمشرقى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل : ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهياً نكراً فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفْعُوَانُ ذكر الأفعى . جعل اللصوص كالأفاعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفاعى ، فكأن الحية بدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية اللصوص بسيوفه .

وَمَا تُرْقَى لَمَاهُ مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ^(١)
حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمْرَى يَحْضُرُ عَلَى التَّبَاقِي بِالتَّفَاقِي^(٢)
بَضْرِبِ هَاجَ أَطْرَابَ الْمَنَآيَا سِوَى ضَرْبِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي^(٣)
كَأَنَّ دَمَ الْجَاحِمِ فِي الْعَنَاصِي كَسَا الْبُلْدَانَ رِيَشَ الْحَيَقُطَانِ^(٤)

(١) اللهى : جمع لهى ، وهى العطية . يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أفاعى
الاصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أى لا تحمى منه ، ولا ماله الكريم يرقى
من هوانه ، لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل فى أيدى الناس .

(٢) شمرى : جاد مشيع فى الأمور ، كثير التشمير والانكماش فيها . وأراد بالتباقي
البقاء ؛ وبالتفاني : الفناء . يقول : إن المدحوح رجل شمرى حمى بلاد فارس بمضائه .
يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم فى الحرب ليبقى ذكركم فكأنكم باقون ببقائه ، وقال العروضى
إن للعى : حمى فارس بقتل الاصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل
فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان فى ذلك زجر لغيرهم فيصير ذلك حثا
لهم على اغتنام التباقي ، فيكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة »
ولكن يدل على للعى الأول : البيت التالى .

(٣) بضرب : متعلق بعمى . والأطراب : جمع طرب ؛ والمثالث والمثانى : من أوتار
العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثانى . يقول : حمى أطراف فارس بضرب
يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه
أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه يضرب بالسيوف ولا يميل إلى ضرب العود
وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس
قال أبو النجم :

إِنْ يُمِسْ رَأْسِي أَشْمَطَ الْعَنَاصِي كَأَنَّمَا فَرَقَهُ مُنَاصِ

عَنْ هَامَةِ كَالْحَجَرِ الرَّبَاصِ

[مناص : لعله من أناص الشيء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينتزعه .
والرباص : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه
أرقط بسواد وبياض قصير المنقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه

فَلَمْ تُطْرِحْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَّا خَافَتْ مِنْ الْخَدَقِ الْحَسَنِ (١)
وَلَمْ أَرْ قَبْلَهُ شَيْئًا هَزَبَ كَشْبَلِيهِ وَلَا مُهْرِي رِهَانِ (٢)
أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ وَأَشْبَهَ مَنَظَرًا بِأَبِ هِجَانِ (٣)
وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فَلَانٌ دَقَّ رُحْمًا فِي فَلَانِ (٤)
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأْيَا الْمَعَالِي فَقَدْ عَلِقًا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطفة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكان دماءهم قد كست
البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان .

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول : إن الأمن عم بلاد فارس حتى
لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :
(٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أساء الأسد ؛ وللهر : الحدث من الخيل .
والرهان : السباق . يقول : لم أر في الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد في الشجاعة
ومهرى رهان في المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أعد : صفة لمهرى رهان . والمهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أر قبلهما
ولدين أشد تنازعا — أى تجاذباً — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحد منهما ينزع إلى
أصله نزوعاً شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون
حظه أوفر من حظ صاحبه في الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص
النسب .

(٤) الضمير في « مجالسه » : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رحما في فلان » :
حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول : ولم أر ولدين أكثر منهما استماعاً في مجالس أبيهما
لمثل هذه العبارة ، وهى فلان دق — كسر — رحما في فلان : يعنى أنه لا يجرى في مجلس
أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك .

(٥) راية : فلة من الرأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها .
والمعالي : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول : أول شئ رأياه هو للمعالي ، فقد
عشقها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول داية ، والداية : الظئر — التى ترضع
للولود — فيكون المعنى : إن المعالي توات تربيتهما فهما يميلان إليهما ويحبانها . حب
الصبي من ربه .

وَأَوَّلُ أَفْقَافٍ فَمَهْمَا وَقَالَ إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ عَانٍ^(١)
وَكُنْتَ الشَّمْسُ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا أَثْفَالَانِ^(٢)
فَعَاثَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوْفِهِمَا وَلَا يَتَحَاثَدَانِ^(٣)
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرَثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ^(٤)
وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْخُذُ حُرُوفٍ أَنْيْسِيَانِ^(٥)
دُعَاءَ كَالثَّنَاءِ بِلَا رِثَاءِ يُؤَدِّيهِ الْجَفَانُ إِلَى الْجَفَانِ^(٦)

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والعانى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و«لفظة» : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلاً يقول : كنت شمسا تبهر العيون بهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولدك ثمان آخران ؟

(٣) يدعو لها بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوئهما ، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لا يبيها بالحياة يقول : لا ملكا ملكك بل ملك الأعادى ، ولا وراثك إنما ورثا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كأثره : فآخراه بالكثرة ويأى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضا . يقول : عدوك الذى له ابنان وكأثرك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه ونفخه بأن يكونا ساقطين خسيسين كياء أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فآخرا — أى ابنا المدحوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة اليادين فى أنيسيان : أى آيلين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسبق يدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرثاء : التظاهر بغير مافى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رثاء فيه ، لأنه إخلاص من القلب

فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي فِرْنَدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانٍ^(١)
وَلَوْلَا كَوْنُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانِي^(٢)

إلى القلب يخرج من قلبي فتفهجه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لا يشوبه رثاء .
(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : السيف القاطع . واليماني : نسبة إلى اليمن ، شبه الممدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للممدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليماني وهو أجود السيوف .
(٢) في الناس : خبر كونكم : والمراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَاهُرَاءَ وَلَا تَزُرُ^(١)
يقول : بكم صار للناس معنى ، ولولاكم لكان الناس كالغف من الكلام الذى لا معنى له ، وهذا كقوله :

* وَالْأَهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَفْنَاءُ *

(١) ويحتمل أن يكون المراء — في البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والتزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد المذر والإكثار ، وذاهب في التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولا تزر فلستنا ندفع أن الحفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجري منه وإن خف وتزر أقل من الجمل التي هي قواعد الحديث الذى يشوق موقعه وبروق مسمعه .

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جدّ أبي العشار وأباه فقال :

أَغْلَبُ الْحِيزَيْنِ مَا كُنْتُ فِيهِ وَوَلِيَّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ^(١)
ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ دِنْيَةٌ دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ^(٢)

* * *

(١) الحيز : السكان الذى يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا :
الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شيء رفعتة فقد نمتته ومنه قول النابغة .

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَأَنْتُمْ الْقُتُودُ عَلَى عَيْرَانِهِ أَجْدُ^(١)

يقول : الجانب الذى أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعنى أن عشيرة تنسب إليها تكون
منها يغلبون بك غيرهم لدى الساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم فى زيادة ورفعة . هذا
ولنعد إلى الحيز ، فنقول : قاله العكبرى . الحيز فيعمل من حاز يحوز وهو السكان ،
وسيبويه يجمعه حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيبويه : هو تفعل
من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم
قال القطامي :

تَحْيِيزُ مِنِّي خَشْيَةً أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتْ الْأَفْنَى بِخَافَةٍ ضَارِبِ^(٢)

(٢) يقال هو ابن عمى دنية ودنيا — بالتثنية — أى أدنى — أقرب — بنى
العم إلى . يقول : هذا الذى أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشار — يعنى أنه
ريبب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .
يقول : اتصاله بك فى القرابة يغنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك
يفتخر لاهما .

(١) القتود : جمع قَد — بالتحريك — اسم لأداة الرحل . العيرانة : الناقة الناجية
فى نشاط ، أوهى التى شبت بالعر — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة
لجهد موقفة الخلق .

(٢) يقول : تنحى هذه العجوز وتتأخر خوفاً أن أنزل عليها ضيفا .

وأجل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُهُ تَأْتِي الْفَدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ^(١)
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضًا أَيْقَنْتُ أَنْ اللَّهَ يَنْبِغِي نَصْرَهُ^(٢)

وقال بمدح أبا العشائر ويودعه وقد أراد سفرًا :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالْدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ^(٣)
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ^(٤)

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النمام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخو وتهب على ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرت بك بالجوّد كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : ما يمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لا تتعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرصى وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه - يعنى للثبتي بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرف على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحنى وتحمى القول فى - هذا : والروى - فى هذين البيتين - هو الهاء - لا الراء - وإن اتفقت الفافيتان الأخيرتان فى التزامها - أى الراء - وقول من قال إن هاء الإضمار إذا تحرك ما قبلها لا تكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لكلا يكون من قبيل الإيطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرَتْ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونَا

ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

وَاللَّهُ يَمْلِكُ وَالرَّاضِي وَشِيمَتُهُ أَنْ الْوِزَارَةَ لَفْظٌ أَيْتَ مَقَامٌ

(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد البدين ؛ وباع

أَفْدَى الَّذِي كُلُّ مَازِقٍ حَرَجٍ أَغْبَرَ فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ^(١)
أَعْلَى قَنَاةِ الْحَسَنِ أَوْسَطَهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رَجُلَاهُ^(٢)

الحبل يبوعه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته - من الشبر - وربما عبر
بالباع عن الشرف والكرم ، قال المعجاج :

إِذَا السِّكْرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرُ تَقَضَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ^(٣)
وقال حنبل بن خالد أحد بني قيس بن ثعلبة :

نُدْهِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالْفَدَى وَبِمَضْمُومٍ تَعْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِعُهُ
« الدهدقة : دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل
أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنفعة » . يقول المتنبي : أنت من
الجلود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة اليمين من الباع ، وهذا من قول
علي بن جبلة :

وَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَى فَتَجَزَّأَتْ لَكَ الْوَعِيَانُ وَالْأَذْنَانُ

(١) المآزق : الضيق ، يراد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل :
مبتدأ ؛ خبره : جملة « فرسانه تحاماه » ، والضمير في فرسانه : يعود على للمآزق ؛
وفي تحاماه : يعود على الذي ؛ وأغبر : أى كثير الغبار ، صفة للمآزق ؛ وتحاماه
— يحذف إحدى التاءين — أى تتحاماه . يقول : أفدى الذى تتحاماه الا بطل فى الحرب
لأنها تكره ملاقاته لشجاعته .

(٢) فيه : أى فى ذلك المآزق ؛ والكَمِي : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى
هذا المددوح الذى يشهد كل مآزق ضيق تتأطر فيه — تتثنى وتموج — قناتة ربحه
لأنها حين يحمل قرنه برمح فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمى منكسا ، كما
قال امرؤ القيس :

* أَرُجُلُهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ *

قال ابن جنى : سألته — المتنبي — عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل
البيت الآخر :

(١) كسر اللطائر : ضم حناحيه حتى ينقض بريد الوقوع ، وتقضى البازي انقض وأصله
تقضض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .

تَنْشِدُ أَنْوَابَنَا مَدَامَحَهُ بِالْأَسْنِ مَا لَهْنُ أَفْوَاهُ^(١)
 إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصْمِ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنِ مِسْمَعِيهِ عَيْنَاهُ^(٢)
 سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِأَلْجُودِ وَلَوْ نَانَ كُنْ جَدْوَاهُ^(٣)
 لَوْ كَانَ ضَوْوهُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ لَصَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ^(٤)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاقَةَ بِفَارِسٍ وَتَنَى فَقَوَّامَهَا بِآخِرَ مِهْمُ
 (١) هنا زلت قدم ابن جني وتبلد حماره ولج به عثاره إذ قال : يخلع عليهم ثيابا تنشدهم فيها بالأسن ما لهن أفواه تقعقع لجدها والأصم يستغنى برؤيتها عن صونها . قال العروضي : هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يرو الكثير منه ، وكنت أربأ بأبي الفتح عن مثل هذا القول ، ألم يسمع قول نصيب .

فَعَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
 ولم يكن للحقائب جمعجة . إنما أراد أنهم يرونها عتمة ، كذلك أراد المتنبي أنا نلبس خلمه وأنوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه ، فكأنها قد أثنت عليه وأنشدت مدامحه بالأسن لا تتحرك في أفواه لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده ، فكأنها أخبرت ونطقت .

(٢) المسمع : الأذن . والبيت تأكيد للذي قبله . يقول : إذا مررنا على الأصم الذي لا يسمع — وهذه الأنواب علينا علم أن المدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن أن تخبره بعطائه .

(٣) خار الله له كذا وبكذا : إذا اختار له ذلك ؛ ونلن : أى كن مما ينال ويحرز . قال المكي : وهى بالكسر — أى كسر النون — أفصح من الضم وقال الواحدى : نلن : وزنه فعلن — بضم الفاء — مثل بعن ، يستوى فيه فعلن وفعلن ، ومنهم من يجعلها بين الضم والكسر — مثل قيل — لئلا يلتبس فعان وفعلن — أى المعلوم بالجهول — والجدوى : العطية . يقول : سبحان الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها لونيلا وأحرزت لفرقها المدوح في جملة عطايه .

(٤) صاعه : فرقه ، يقال صاع الشجاع أقرانه : أى حمل عليهم ففرق جمعهم ، وصاع الراعى ماشيته : أى فرقها في المرعى وجمع الشمس على تقدير أن ليكل يوم شمسا .

يَا رَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودَّعُهُ مُودَّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ^(١)
إِنْ كَانَ فِيمَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ فِيكَ مَزِيدٌ فَرَادَكَ اللَّهُ^(٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا المشار وأنت تعرف بكنتيك فقال :
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَمْ أَكُنْ ذَلِكَ عِثًّا إِذَا وَصَفْنَاهُ^(٣)
لَا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَائِرِ مِنْ لَبْسٍ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ^(٤)

(١) قال الواحدى : يريد أنه لا دين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ «نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول : لا مزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنتيه . والعى : ضد الإفصاح . يقول : إنا إذا وصفناه كان ذكر كنتيه عيا منا ، لأن وصفه يغنى عن كنتيه بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك ، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالا إن الاستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس في جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحٍ
أى أستم خبر من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « أَلَمْ تَكُنْهُ » معناه كنتيه والقوم — الذين لا حظوا على المتنبي — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفي السكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبي — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أيا الطيب فقال : أَلَمْ تَكُنْهُ ، أى هل كنتيه ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه — والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئا قلت : أفعأت كذا أو لم تفعل ؟ ألم تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يغشى أن تلبس معاني الورى بمعناه . أى أن تخلط صفاته ومعاني مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنتيه (٢٦ المتنبي : ٤)

أَفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الْجِيَادُ بِهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْحَدِيدَ أَمْوَاهُ^(١)

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فأتاه فيها خمسون غلاماً، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى، فقال وأنشده إياها في شهر الحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُسَمَّى مُبَارَكَةً دَارُ مُبَارَكَةِ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهَا^(٢)
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُنْقَى بِسَاكِنِهَا دَارُ غَدَا النَّاسِ يُسْتَنْقُونَ أَهْلِيهَا^(٣)
هَذِي مَنَازِلَكَ الْآخَرَى نَهْنُهَا فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى يُسَلِّهَا^(٤)

ولا يتوقى: رواها الواحدي: لا يتوفى، قال؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية، وهذا اللفظ رجلاً يزيد معناه على معاني الورى كلهم، لأن فيه من معنى الكرم وللدح مالميس فيهم، وليست هذه الرواية بشيء.

(١) أفرس: أى هو أفرس؛ وأفرس من الفروسية. والجياد: الخيل وسببها: عدوها — جريها — حق كأنها تسبح في بحر. ونصب «الحديد» على أنه استثناء مقدم، واسم «ليس» أمواه، وخبرها محذوف، والتقدير: وليس في الأرض أمواه إلا الحديد. يقول: هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه، لما ذكر سبب الجياد جعل الحديد أمواها.

(٢) الملك: تخفيف الملك. يقول: أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة.

(٣) استسقاء: سأله السقيا. يقول: أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس، يعنى إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فتلحق الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشعلها بركاتهم ومبراتهم.

(٤) يقول: هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنّها بعودك إليها، فمن الذى يأتى الدار التى فارقها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفرافك إياها؟

إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَمَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تَبِيهَا^(١)
لَا يُنْكِرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارَتِكَ بَهَا فَإِنْ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَفَاتِيحِهَا^(٢)
أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَاكَ أَوَّلَهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيَهَا^(٣)

ونزل أبو الطيب في أرض حسنى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي فاستغوى
وردان عبيد أبي الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك
ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم —
وقال يهجو وردان :

لَيْتَنُ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ لِي ثَامًا فَأَلَامُهَا رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ^(٤)
وَلِنْ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانُ لَيْسَ بِهِمْ أَبُوهُ^(٥)

(١) تاه فلان تبها إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت
عن مكان آخر تاه الثانى — الذى حللته — على الأول — الذى فارقت — وافتخر عليه
بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى « لا ينكر الحس » والمعنى جمع معنى وهو النزول والسكن
يقول : لا ينكر على الدار التى تحلها أن تكون ذات شعور تفرح بسكنائك وتحزن
بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعوه له . ولقائك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لئن تك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعه هو أبو وردان ،
و« أو » من قوله أو بنوه : لك أن تبقيها على معناها ولك أن تبطلها بمعنى الواو . يقول : إن
كانوا لثاماً فألامهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا كراماً فأبو وردان ليس منهم ، أى هودعى
فيهم ، وقال العكبرى : تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد ، ولوميت رجلا
بوردان تشبه ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجريه مجرى مروان فتعربه كما عرابه
ولا تصرفه ؛ والثانى أن تلفظ التشبيه ، تقول فى رفعه : جاءنى وردان ، وفى نصبه رأيت
وردن ، وفى جره مررت بوردين .

مَرَزْنَا مِنْهُ فِي حِسْتَى بِمَبْدٍ بِمَجِّ اللُّؤْمِ مَنخِرُهُ وَفُوهُ^(١)
أَشَدَّ بِعِزِّهِ عَنِّي عَيْدِي فَأَتَلَفْتَهُمْ وَمَالِي أَتَلَفُوهُ^(٢)
فَإِنْ شَقِيتَ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي لَقَدْ شَقِيتَ بِمَنْصِلِي الْوُجُوهُ^(٣)

وقال يمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَّا خُسْرَوْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ :
أَوْهَ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرُهَا^(٤)

(١) مررنا منه بعبد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومعج الشراب والشيء
من فيه يحبه بما ومعج به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل في الأعراض ، كما قال القائل :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدَّةٍ فَمَجَّوْا النَّصِيحَ ثُمَّ ثَنَوْا فَعَاءُوا

(الد : في الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الآخر
الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا في هذا المكان من وردان
بعبد قد أقسم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أى لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .

(٢) شد العبد : إذا هرب وأشده غيره : هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل .
يقول : فرق عني عبيدي بسبب امرأته ، يعنى أغرامهم بالفجور بها ودعاهم إلى ذلك فأتلغهم
لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلغوا مالى لأنهم أتلغوه على امرأته .

(٣) الجياد : الحيل ، وللنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت .
يقول : إن كانت خيلي قد شقيت بأخدم إياها فقد شقي وجه الآخذ بسيفي ، يشير إلى العبد
الذى ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبيد له ركبا فرسين من خيله وأخذ
أحدهما سيفاً لأبى الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ،
فلحق أحد العبيد قتلته ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك في قافية الفاء .

(٤) أوه : كلمة تعجب قل :

فَأَوْهَ لَدَكْرُهَا إِذَا مَا ذَكَّرْتَهَا وَمِنْ بَعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءٍ
وَوَاهَا : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .

وَاهَا لَرِيَا ثُمَّ وََاهَا وََاهَا

أَوْهٍ لِّمَنْ لَا أَرَى مَحَاسِنَهَا وَأَضِلُّ وَاهَاً وَأَوْهٍ مَرَّآهَا^(١)
شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبْصِرُ فِي نَظَرِي مُحَيَّاها^(٢)
فَقَبَّلْتُ نَظَرِي ثَمَّ لَطَنِي وَإِنَّمَا قَبَّلْتُ بِهِ فَأَهَا^(٣)
فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا^(٤)

ونأت : فارقت وبعدت . يقول : كنت أتعجب من وصلها — الحبيبة — وأستطيب قربها فصرت الآن أتوجع لفراقها ، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة ، وصار ذكرى إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى ، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكرها : أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه ، فقوله لمن نأت : أى لأجل من نأت .

(١) يقول : أتوجع لأننى لا أرى محاسنها ولولم أرها لم أستطع قربها ولم أتوجع لفراقها ، أى إنما أتانى هذان بسبب رؤيتها .

(٢) الناظر : العين أو إنسانها والحبلى الوجه . قال الواحدى : هذا يحتمل معنيين أحدهما : أنه يريد فرط قربها منه ، حتى أنها منه بحيث ترى وجهها فى نظره ، وهذا عبارة عن غاية القرب ، والآخر : أنه أراد حبها إياه ففى انتظار إلى وجهه وتدنو منه لحبه حتى ترى وجهها فى نظره .

(٣) قال ابن جنى : معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابله شيء أدى صورته ، فهو يقول : أوهمتنى أنها قبلت عيني وإنما قبلت فأها الذى رأته فى ناظرى ، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها ؟

(٤) يقول : ليت ناظرى مأواها أبدا ، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى . يريد أنه يتمنى دوام قربها الذى ذكره . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها . يقول : لو أوت إلى ناظرى فاتخذته مأوى لهالكان ذلك منى . هذا : وقوله « آوية » رواها ابن جنى آوية واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصا آوية ، كما قل الآخر .

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
أى تركتنى شخصا ذا غربة .

كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَلَامَتُهُ إِلَّا فُؤَادًا دَهَنَهُ عَيْنَاهَا^(١)
تَبِلُ خَدَى كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ ثَنَائِيهَا^(٢)
مَا نَفَضْتُ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا جَعَلَتْهُ فِي الدَّمَامِ أَفْوَاهَا^(٣)
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَسْنٍ أَشْبَاهَا^(٤)

(١) دهنه : أصابته ، ويروى رمنه . يقول : من أصابته بينها فئيمته لم ترج سلامته .

(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهي السن في مقدم الفم . وهنا عثر ابن جني عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيقظنا وقتت عليه تبكي حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعي كالطر تبل خدي ، كلما ابتسمت بكيت ، فكأن دموعي مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائي في حال ابتسامها كقوله :

* ظَلَّتْ أَبْكِي وَتَبَسُّم *

وكقول غيره :

أَبْكِي وَيَضْحَكُ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى هَجِيئًا كَحَاضِرٍ ضِجْكَ وَبُكَائِي
ونحو هذا قول أبي بكر الخوارزمي :

عَذِيرِي مِنْ ضِجِّكَ غَدَا سَبَبَ الْبُكَاءِ وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِي جَهَنَّمِ
(٣) الغدائر : الضفائر ، وهي الذوائب من الشعر ؛ وللدَّام الحُر . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غداؤها لكثرة ما ضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غداؤها الطيب في يدي طيبت به الدَّام .

(٤) في بلد : هذه المحبوبة في بلد الخ . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالقبة يزین بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهي حجلة العروس . يقول : هي في بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشهنها في الجمال ، أي أنها تفضلهن في الحسن والجمال . قال الواحدي : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهم بعضا .

لَقِينَا وَالْحُمُولُ سَارِيَةٌ وَهْنٌ دُرٌّ فَذُبْنَ أُمَوَاهَا^(١)
 كُلُّ مَهَاةٍ كَأَنَّ مُقْلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا^(٢)
 فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرُ السُّيُوفُ دَمًا إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَّاهَا^(٣)
 أَحِبُّ خِصَمًا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ نَحْيَاهَا^(٤)
 حَيْثُ التَّقَى خَدُّهَا وَتُفَاحَ لُبِّ نَانَ وَتَغْرَى عَلَى حُمَيَّاهَا^(٥)
 وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ شَتَوْتُ بِالصَّخْصَحَانِ مَشْتَاهَا^(٦)

(١) الحمول : الإبل عليها الهودج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسناء لقيننا وقد سارت الركاب بين وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرايا لما بعدن عنا ، وقال ابن جني معنى : « فذبن أمواها » أجبرين دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكنين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدي : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرها : إن المعنى نزلن في الوادي سائرات فاستجبن منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكأن مقْلَتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسيبكم ، يعنى أنها مهابة صائدة لاصيدة .

(٣) فهين : أى فى كل مهاة . يقول : فهين من هى منبعة لا يجرو العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنحها ويغار عليها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء .

(٤) حمص وخنصرة : بلدان بالشام . وحياها : موطن حيانها . يقول : أحب حمص وما يلها إلى خنصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغر : مقدم الفم . والحميا : الحمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الموضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وتغرى وتُفَاح الشام — وهو أحمر — وشرب اللدام .

(٦) صفت : أقت الصيف . وشتوت : أقت الشتاء والصخصحان : الأرض

إِنْ أَغْشَبَتْ رَوْضَةً رَعَيْنَاهَا أَوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا^(١)
 أَوْ عَرَضَتْ عَائَةً مُقَزَّعَةً صِدْنَا بِأَخْرَى الْجِيَادِ أَوْلَاهَا^(٢)
 أَوْ عَبَّرَتْ هَجْمَةً بِنَا تُرِكْتَ تَكُوسُ بَيْنَ الشَّرُوبِ عَقْرَاهَا^(٣)
 وَالْخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ تَجْرُ طُولَى الْقَنَا وَقُصْرَاهَا^(٤)

المستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأقيمت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأقيمت بالصحرى حين شتاء كشتاء أهل البادية : أى على رسم أهل البادية وعاداتهم فى الصيد والغزو ونحوها مما ذكره فى الأبيات التالية .

(١) الروضة : الأرض فيها بقل وعشب ؛ والحلة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان وهذا البيت كالتفسير للذى قبله . يقول : إذا أعشب مكان رعيناه ذلك المكان كعادة أهل البادية فى تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم وأغرنا عليهم .

(٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . ومقزعة : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى قطع السحاب ، ورواها ابن جنى مقزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد على قانسها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بأخر خيلنا أولاهها ، يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو — الجرى —

(٣) الهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق ، وكأس البعير يكوس : إذا مشى على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شرب ، جمع شارب ، يريد الذين يشربون الخمر ، وعقراها جمع عقير — أى معقور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ، يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مربنا قطيع من الإبل سطونا عليه فعقراناه يمشى بين الشاربين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ، وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والقصير منها ، هذا : والطولى : تأنيث الأطول ، والقصرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعلى إذا كانت تأنيث أفعل ، مثل طولى وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف ، وإن كان قد قرئ « ووقلوا للناس حسنى » بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك آتى فى شعر أبى نواس :

يُنَجِّبُهَا قَتْلَهَا الْكِمَاةَ وَلَا يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا^(١)
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلَاهَا^(٢)

كَانَ صُفْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِمِهَا حَصْبَاهُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
أراد صُفْرَى وكُبْرَى فقاقمها ، على إسقاط حرف الجر .

(١) الكِماة : جمع كَمَى ، وهو البطل اللطيف بسلاحه ؛ وينظرها : يميلها ، أضاف
القتل إلى الخيل ، وهو يريد أصحابها ، يقول : يعجب فرسان الخيل قتلهم الكِماة : أى
يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بعدهم لكثرة المغاورة وفشو الحرب وطلب
الثأر : وقال ابن جنى : يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل - لا عن أصحابها -
أى يعجب خيلنا قتل الكِماة ، إلا تراه يقول فى موضع آخر :

تَحْمَى الشُّوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَمَّةُ كَأَنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ
فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى فالخيلان الذى يعرف كثيرا من أغراض صاحبه
أحرى ، لأنه معلم مؤدب ، قال ابن جنى : أما قوله « وَلَا يَنْظُرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا »
فالمنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه ، قال زياد الأحمج :

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْرِضْ لَهُ كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرَفِ سَابِجٍ^(١)
ورد ابن فورجة على ابن جنى قال : ليس هذا بشئ لأنه يريد بقتلاها من قتلته وقتله
أصحابها ، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين ، والمعنى : أن أصحابها يهلكونها
بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلهم فلا بقاء لها بعدهم . وبعد : فالمنى على هذا أن
فرسانها يقتلون الكِماة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضا لأنهم يهلكونها
بكثرة الركض فى الغارات أو لأنهم ينحرونها للأضياف .

(٢) قاطبة : أى جميعا حال ، قال المعرى : إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما
بلغ إلى هذا البيت قال : ترى هل نحن فى الجملة ؟

(١) بغير أ كوم وناقة كوما : عظيمة السنام عاليا ، والهجان : الإبل البيض
الكرام ، يستوى فيه الذكر وللؤث والجمع ، يقال بغير هجان وناقة هجان
والطرف ، الفرس الكريم الأطراف ، يعنى الآباء والأُمهات ، والسابج : السريع فى
مشبه كأنه يسبح .

وَمَنْ مَنَّا يَأْمُرُ بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا^(١)
 أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَصَدَ الـ دَوْلَةَ فَنَاشَرُوا شَهْنَشَاهَا^(٢)
 أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَا^(٣)
 تَقُودُ مُسْتَحْسِنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عَظْمَاهَا^(٤)
 هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفُسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا^(٥)

(١) يقول : ومن منا يأمُر بكفه يصرفها فيهم كيف شاء ، فهو يحى من شاء منهم - من الملوك - أى يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أبا شجاع : بدلا من قوله مولاها ، وشهنشاه : أى ملك الملوك ، وهو لقب بنى بويه قال ابن جنى : هذا البيت طى أنه قصير الوزن قد جمع فيه كنية الممدوح وبلده واسمه ونعته وسماء بملك الملوك وهو من أحسن الجمع واللدح .

(٣) الأسماء جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإظهار فعل كأنه قل ذكرت أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التى ذكرت لها لم تزد معرفته فوق شهرته فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرت لها استلذاذا بلفظها وسماعها : قال ابن جنى : وهذا كلام النحويين فى أحد ضربى الوصف تناوله منشورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما يذكر الوصف للاسم إما للإيضاح كى يتميز عن غيره كقولك مررت بأبى محمد الكاتب وإما للاطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يحىء للإيضاح لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف ؛ وإنما ذكر للاطناب فى الثناء وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حق رأيت مولاها ، فقد علم أنه لا معنى إلا أبا شجاع فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لأنه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أى معظمها . يقول : إذا ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام فى مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعانى التى يثنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبرة الواحدى : هذه الأسماء محمولة على المعانى فهم ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بقودها مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكرفى مقدمة معان أذكرها بعد وأصلها به ، كما نود معظم السحاب سائرهم - باقية -

(٥) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس : أى يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها

لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا^(١)
لَا تَجِدُ الْخُمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا أَنْتَشَى خَلَّةً تَلَاَفَاهَا^(٢)
فَصَاحِبُ الرِّاحِ أُرِيحِيَّتُهُ فَتَسْقُطُ الرِّاحُ دُونَ أَذْنَاهَا^(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جني : قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها للمدح وأن تعجبه لأنه إذا رضىها وأعجبته وهبها لزمريه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهي لا ترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والخلّة : الحصة والثلّة : وملافاها : بمحذف إحدى التاءين أي تتلافاها : أي تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا يزيد الخمر جوداً ؛ وليس في مكارمه خلّة تتلافاها الخمر ، وأول هذا المعنى لعنّرة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَأَمْ عَلِمْتَ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي
وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُهُ
وقول أبي نواس :

فَتَى لَا تَلُوكُ الْخُمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيْادٍ عُودٌ وَبَوَادِي^(١)
وقول البحتري :

تَكْرَمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكُثُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمْنَ أَنْ يُحَدِّثَنَّ فِيكَ تَكْرَمًا
والمصابي بيت المتن في بعض محاوراته فقال : ولقد آن الله في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب بحامد الاستكمال ؛ فلا نجد الكهولة خلّة تتلافاها بتطاول المدة وثلّة يسدها بمزايا الخنكة .

(٣) الرّاح : الخمر . والأريحية : الاهتزاز للمكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الرّاح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء ما لا تجلبه الرّاح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الرّاح ، فلا تطبق الرّاح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

(١) لا تلوك : تروى « لا تذيب » ولا كه يلوكه : مضغه .

نَسْرُهُ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنُهُ ثُمَّ تَزِيلُ الشُّرُورَ عُقْبَاهَا (١)
 بِكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلَّوَةٍ قَاطِعَةٍ زِيَرَهَا وَمَشَاهَا (٢)
 تَعُومُ عَصُومَ الْقِذَاءِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الْأَمِيرِ يَفْشَاهَا (٣)
 تُشْرِقُ تَيْجَانُهُ بِفَرَّتِهِ إِشْرَاقَ الْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا (٤)
 دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِيلُ دُنْيَاهَا (٥)

(١) طرباته : جمع طربة ، وهي الزرة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛
 والسكرائن : جمع كرينة ، وهي الجارية اللينة . وقال ابن جني : السكرائن :
 الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواريه اللينيات بما يفيض عليهن من
 الأموال والمطايا ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال
 به حتى يب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن
 لا يرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ «تزيل» . وللولة : الداعية بالويل من شكل أو غيره والزر :
 الوتر الدقيق من أوتار العود . ولثنى : الوتر الثاني بعده يقول : يزيل سرورهن بكل
 جارية منهن يهبها وهي تولول جزئاً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً
 لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبنة
 ونحوها . والزبد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويفشاه : يملوها . يقول : هذه الجارية
 التي وهبها تعد في جملة عطاياء الجملة بمنزلة القذاة العائمة في بحر مزبد يملوها ويغلبها
 سائر مواهبه كما يعلو الزبد القذاة ، وروى ابن جني زبد — بكسر الباء — وهو الكثير
 الزبد لكثرة ماله .

(٤) غرته : وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما
 تشرق ألفاظه بمعانيها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران في شرقها ومغربها : يعودان على
 الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب
 ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدي : وكذا كان يقول عضد الدولة :
 سيفان في غمد محال ، يعني أن الدنيا يكنى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على
 جميع الدنيا .

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ هَمَمٌ مِثْلُهُ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا (١)
فَإِنْ أَنَّى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا (٢)
وَصَارَتْ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً تَفَرُّ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا (٣)
وَدَارَتْ النَّصِيرَاتُ فِي فَلَكَ تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لِأَبْنَاهَا (٤)

(١) يقول : قد اجتمع في فؤاده هم لعظمها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان مع سعة - لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقي همه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر في البيت التالي ، هذا : والهمم جمع همه ، وأصل الهممة من الهميم ، وهو الديب ، وهمت الهوام ، على وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم بهم في القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سيفا :

تَرَى أَثَرَهُ فِي صَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ مَدَارِجُ شَبَّانٍ لَهْنٍ مِثْمِ

[الشبان جمع شبث ، وهو العنكبوت]

(٢) يقول : فَإِنْ أَنَّى حظ همهمة بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن همه يعنى عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداها في تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى : الضمير في « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأناها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا للمدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأثنته باعتبار الكتبية والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة في جميع الأرض - عند إظهار تلك الهمم - نخلط الجيش ، فصارا - لاختلاطهما - كالجيش الواحد ، وتعرّ الأحياء منهما بالموتى ، قال ابن فورجه يرد على ابن جنى - ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها في شيء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت في فؤاده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يبدىها ، لأنه لا يجد زمانا يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها وبغتها بأزمنة أوسع من هذا حينئذ يظهر تلك الهمم ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئا واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يسر جيهم بعتهم للزحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا في ذكر الزحمة وقوله أيضاً :

سُبِقْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنْفَعًا بِهَا مِنْ جَيْشَةٍ وَذُهُوبٍ

(٤) قال الواحدي : أراد بالنيرات والأقمار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا في زمان

الْفَارِسُ الْمُتَّقِي السَّلَاحُ بِهِ الْمُنَى عَلَيْهِ الْوَعَى وَخَيْلَاهَا^(١)
لَوْ أَنْكَرْتَ مِنْ حَيَاتِهَا يَدَهُ فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا^(٢)
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سَيَاهَا^(٣)
الرَّاسِعُ الْمَذِيرُ أَنْ يَنْبِيَهُ عَلَى الدُّنْيَا وَأَنْبَاهُهَا وَمَاتَاهَا^(٤)

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأتقار : خضوع الملوك له ، فحينئذ
يبدى همه ، وعبارة ابن جني : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه
نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأتقار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم
وتسجد : تذل وتخضع والضمير في أبهاها يعود على النيرات .

(١) السلاح : نائب فاعل للمتنق ؛ والوعى : الحرب ، وهى فاعل للمتنق وخيلاها :
تثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح
الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن طي قال :
كنا إذا احمر البأس اتقينا برحول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو .
وتثنى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل
الوعى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثنى عليه لأنه يرى من
شجاعته وإقدامه ما لا يسمعه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى
لا يعمل معه شيئا .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار
يده لأن غيره لا يقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته —
والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لا توصف بالإنكار ولا بالجاء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — هنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول
المرار الفقعسى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرِ أَيْدٍ زِيَادَتُهُنَّ سَوِّطُ أَوْ جَدِيلُ

والناقع من الملوت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتاً فى نفس
شاربه حتى يقتله . وسماها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف
سيلمها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها والملوت به موت علاماتها ، أى أن من
ضربه بسوطه قتله .

(٤) أى يتنبأ : أى فى أن يتيه ، وتاه : يتيه تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على

لَوْ كَفَرَ الْمَالُونَ نَفَعْتَهُ لِمَا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا^(١)
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَدِي بِمَا صَنَعَتْ مَنَفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا^(٢)
وَلِ السَّلَاطِينِ مَنْ تَوَلَّاهَا وَانْجَأَ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا^(٣)
وَلَا تَقْرُنْكَ الْإِمَارَةُ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ يَهَا بَاهِي^(٤)
فَإِنَّمَا الْمَلِكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَتَمَ الْخَافِقِينَ سَرِيَّاهَا^(٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لسكان له العذر الواسع لظهور مزيته عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزِدْ هِينَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزَارًا

(١) كفر : جحد . وعدت : تجاوزت : والسجاي : الطبايع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجاي الكريمة لأنه لا يجود للشكر حتى إذا لم يشكر قطع المطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُعْطِيكَ الرَّجَاءُ وَلِلْخَوْ فِ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمُ التَّطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تحور ومنها تحصل ثم هي لا تبتنى - لا تطلب - بصنعها منفعة عند الناس ولا جأها وذلك أنها مسخرة لتلك للنافع . كذلك هو - للمدوح - مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضاتها وهو في الأصل اسم من تحدها إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك في هذا الأمر أى ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدَيَّا النَّاسِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنِهِمْ عَنْ بَيْنِنَا

يقول : كل أمر الملوك إلى من يتولاهم ، أى لا تخدمهم ودعهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجا إلى المدوح تكن مثل الملوك . وهذا من قول بعض الواعظين : يا عبدا لله صانع وجهها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) في غير أمير حال من الإمارة ، و«إن» وصلية ؛ والجملة حال من «غير» وبأهى فاخر . يقول : لا يفرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمر حقيقة وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عداه فهو أمير مجازاً .

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، ويقال فعمته الراححة إذا ملأت

مُنْتَسِمٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ سَلِمَ الْمَدَى عَنْهُ كَهَيْجَاهَا^(١)
النَّاسُ كَالْعَابِدِينَ أَلَمَ وَعَبْدُهُ كَالْمَوْحِدِ^(٢) اللَّهُ

خيائمه والخافقان : أفقا للشرق والغرب ، والربا الریح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذى ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل المدوح ، وفهم : يروى فعم أى ملأ ، ويقال أقم المسك البيت أى ملأه بريحه ، وفهمت للمرأة فصامة وفعموة وهى فعمة : استوى خطها وغلظ ساقها ، وساعد فعم ، وغلخل فعم قال :

فَعَمَّ تَحْلُخَاهَا وَغَثَّ مُوَزُّهَا عَذَبٌ مُقْبِلُهَا طَعْمُ السِّدَا فُوهَا^(١)

وأفعمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كهيجاهها : كحريها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحقر أعداءه ، ولا يكثر لهول الحرب وشدها ، فإذا كانت الوجوه طيبة لشدة الحال وضيق الأمر كان هو مبتسما ضاحكا ، واصلح الأعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبد : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من اللوك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبرة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم للوحدون لله لا يفركون به فلا يرجون سواء ومن يخدم سواء لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلع الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو الصل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .

قافية الباء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخلى له كافور داراً وخلع عليه وحل إليه آلافاً من الدراهم ، فقال يمدحه وأنشده إياها في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا^(١)
تَمَنِّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَيْتَ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا^(٢)
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنْ الْحُسَامَ الْيَمَانِيَا^(٣)

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا في للفعول كما زاد في الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تميز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأمانى : جمع أمنية ، الذى القى تمنى ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول مخاطباً نفسه -- : كفاك داء رؤيتك الموت شافياً ، أى إذا أفضت بك الحال إلى أن تمنى للمنية -- الموت -- فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه للموت أقسى الأدوية ، والمنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية ، وفارقة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أى المنايا . وأهياه الأمر : أعجزه . والمداجى : المدارى السائر للمداوة واشتقاقه من الدجى : أى الظلمة . يقول : تمنيت المنية -- الموت -- لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافى والعدو المداجى يتمنى المراءى المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء ، قال الواحدى : هذا تفسير الداء المذكور فى البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والحسام : السيف القاطع . والجمانى المنسوب إلى اليمن . يقول -- : مخاطباً نفسه -- إنما يتخذ السيف ليرفع به القل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلاً فما تصنع بالسيف الجمانى تعده ؟ قال ابن جنى : استعمل انتهى موضع الاستفهام الذى استعمله غيره فى قوله :

فَلَمْ طَالَ حَمْلِي جَفَنَهُ وَبِحَادَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا
(٢٧ - الننى ٤)

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِفَارَقِهِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِثَاقَ الْمَذَاكِيَا^(١)
فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوْىِ وَلَا تُتَقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا^(٢)
حَبَبُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا^(٣)

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد، والعِثَاق: الخيل الكريمة والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذليلا، لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٢) الطوى: الجوع. وتتقى: تحذر، وضرى السكب بالصيد: تعودوه ولهج به ولم يكذبصر عنه وروى عن عمر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له - للحم - عادة طلاقة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف، في النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكذبصر عنه فدخل في باب الإسرف في نفقته وقد نهى الله عن الإسراف. وهذا البيت حث على الوقاحة والتجلبع^(١) وقد ضرب المثل بالأسد يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقي جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد.

(٣) قلبي: منادى، ونأى: بعد. يقول - لقلبه - : أحبيتك قبل أن تحب أنت هذا الذي بعد عنا - يمرض بسيف الدولة - وقد كان غدارا فلا تمدر بي أنت، أي لا تمكن مشتاقا إليه ولا محبا له، أي فإنك إن أحبيت الغدار لم تف لي، وقال ابن جني يعاتب قلبه على حنينه إلى من فارقه: « هذا » و « حبيت » لغة في أحبيت، يقال حبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب قال الجوهري وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف تفعل - بالكسر - إلا ويشركه يفعل بالضم إذا كان متمديا ما عدا هذا الحرف، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول غيلان بن شعاع النهشلي:

أَحِبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْزَقُ
فَأَقْسِمُ لَوْلَا تَمَرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمَشْرِقُ^(٢)

(١) التجلبع: الإقدام الشديد، والتصميم في الأمر والمضي.

(٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق: هي رواية أبي العباس البرد وقد رواه غيره.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ بِشَيْئِكَ بَعْدَهُ فَلَسْتَ فَوَادِيَّ إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِياً^(١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ لِأَثَرِ الْعَادِيَّاتِ جَوَارِياً^(٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا أَمَالُ بَاقِياً^(٣)

« وبعد » فإن الأثر أكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهري : وقد جاء المحب شاذاً في الشعر قال عنتره :

وَلَقَدْ زَلْتُ فَلَا تَطْطِي غَيْرَهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكيت فلاناً : إذا فعلت به فعلاً يحوجه إلى الشكوى ، وأشكيتته أيضاً : إذا أعتبتته وأزات شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أنهبها السير فهي تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكها ، وشكواها فاعلمها من سوء الحال والمزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمْدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَنْفِيهَا وَتَشْكِي لَوْ أَنَّكَ نُشْكِيهَا
* مَسَّ حَوَايَا قَلَمًا نَجْفِيهَا *^(١)

والمراد هنا الأول . يقول - لقلبه - : اعلم أنك تشكو فراقه لإفك إياه . ثم هدهه فقال : إن شكوت فراقه تبرأت منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادرين : يروى الظاعنين . يقول : إذا جرت الدموع على فراق الغادرين كانت غادرة ربها - أى صاحبها - لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاءه كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع ، يريد لا ينبغي أن تنفى لغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من اللئى به - وهو المراد بالأذى - لم يحصل الحمد

* ولا كان أدنى من عبید ومُشْرِق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهي كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفها أى قلما نرفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيتها إذا رفضته عنه

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَقَى أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيًا^(١)
أَقْلَ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا رَأَيْتُكَ تُصْنِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا^(٢)

ولم يبق للمال ، لأن المال يذهب به الجود والاذى - أى اللئ - يطل الحمد ، فالمان بما يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكان هذا للفقى ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم باللئى والاذى » و« لا » فى البيت عاملة عمل « ليس » ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا برّاح^(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء : وقوله أكان سخاء الخ : بدل اشتغال من الفق ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال الأحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهري : وقول عمرو بن كلثوم : مُشْفَعَةً كَأَنَّ الْخُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِيًا^(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جني : جميع عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبري وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الرّجى المبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول - لقلبه - : لا تشتق إلى من فارقت ، فإنك تحب من ليس بمجازيك بالحب ، كما قال البحتري :

لَقَدْ حَبَّوتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ عَنِّي وَأَقْرَضْتُهُ مِنْ لَا يُجَازِيَنِي

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقلبه . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرهما : فالفتح طلبا للخفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

(١) سعد بن مالك شاعر جاهلى والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .

خُلِقْتُ أُلُوفًا لَوَزَحْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبَى مُوجِعِ الْقَلْبِ بَاكِيًا^(١)
وَلَكِنْ بِالْفُسْطَاطِ بِحُجْرًا أَرْزَتْهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْقَوَايَا^(٢)
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنِ خِفَانَا يَتْنِغْنَ الْعَوَالِيَا^(٣)

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس فى صفة الألف ، وذلك أن كل أحد يسمي مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقت شيبى إلى الصبا لبكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت أُلُوفًا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق ذاما لأنه جعله كالشيب : أى لو فارقت الشيب القديم برحيل إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبي مبكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفستاط وفستاط وكسر الفاء لغة فيهن : وأزرته : تعديت زار والهاء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحي : إخلاصى . والقوايى القصائد يقول : ولكن فى الفسطاط بحرا - يعنى كافورا - قد هون على فراق إلفى لما فيه من المحامد التى تنسى من فارقتها ، فزرتة بخياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحي ومودتى وشعرى ، وعبارة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه أُلُوف لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكننى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلي السنان يقول : وأزرتة خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فبانت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأخيلية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِأَلْحُدُودِ شَبَا الْعَوَالِي^(١)

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدَتْ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ
الأرب الكثير شعر الدراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأرب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتْ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا^(١)
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقٍ فِي الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَأَهْيَا^(٢)
وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلَنَ مُفَاجَأَةً الضَّمِيرُ تَفَادِيَا^(٣)
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ كُلَّ الْأَفْنَانِ مِنْهَا أَفَاعِيَا^(٤)

(١) تماشى - بحذف إحدى التامين - أى تماشى . والصفاء : الصخر . والبراة : جمع باز ؛ وحوافا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تماشى بأيد إذا وطئت الحجارة أثرت فيها مثل صدور البراة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْقَمَنَّ فِي الرَّكْضِ أَمَامَ الشُّبُقِ حَوَافِرًا كَأَلْمَنْبَرِ الْمُفَلَقِ

* يَنْقُشْنَ فِي الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرْقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباهق] .

(٢) وتنظر : تروى وينظرون . ومن سود : أى من عبون سود ، وصوادق : ترمها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجبة ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى - لصدق نظرها - فى ظلمة الليل ، والحيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبرة الشراخ : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فما تنظره فى ظلمة الليل فترى الشخص البعيد كبيتته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صغر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذاناً ، جمع سامعة . ويخلن : يحسن . وللنجاة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتصب له آذاناً - كماداتها إذا أحست بشيء - تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالتناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد بفرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أخفل ما يكون الناس فصار الصباح اسماً للغارة . والأعنة : جمع عنان سير العجاء ، وهى

بِعِزْمٍ يَسِيرُ الْجَنْسُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجَنْسِ مَاشِيًا^(١)
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا^(٢)

مفعول ثان لـ «تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعنتها ثم شبه أعنتها في طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقة:

رَجِيْعَةُ أَصْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى بُسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرِقٌ^(١)
(١) بعزم متعلق بمحذوف: أى سرنا بعزم ونحو ذلك ؛ وبه: أى بالعزم يقول: سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج وكان القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جني: لقوة العزم يسكاد القلب يتحرك عن موضعه، ولو تحرك في الحقيقة لمات صاحبه، وفي معناه لأبى تمام:

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ كَمَا رَأَوْكَ تُمَشِّي نَحْوَهُمْ قَدَمًا
وطريق أبى تمام أسلم، لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة؛ ألا تراهم يقولون: انخلع قلبه فمات؛ والمعنى: لقوة عزمنا إذا سار الفارس في سرجه سار قلبه في جسمه؛ يعنى ذكاهه وتيقظ فؤاده، فكان قلبه ماش في جسده.

(٢) قواصد: حال من الجرد، والسواقي: جمع ساقية؛ وهى النهر الصغير يقول قصدا بها كافورا وتركنا غيره من الملوك؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية، وهذا من قول البحرى:

وَلَمْ أَرَ فِي رَنْقِ الصَّرَى لِي مَوْرِدًا فَحَاوَلْتُ وَرَدَ الْفَيْلَ عِنْدَ احْتِفَالِهِ
«الصرى: نهر» روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال: له الويل! جعلنى ساقية وجعل الأسود بحرا. قال العكبرى: وإذا كان للتنبي قصد هذا فلقد أبان عن نقض عهد وقلة مروءة؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحدا ما أعطاه على بن حمدان — سيف الدولة — ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربى من سادات

(١) الرجعية والرجيع من الإبل: ما رجسته من سفر إلى سفر وهو آلكال والشجاع: الأفعى.

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِي زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَا قِيَاً^(١)
نَجُوزَ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي تَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيَاً^(٢)

تغلب عالم بالشعر ، ولم يمدح مثله في الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفي الحسن .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو المثال الذي يرى في السواد . والمآقي جمع مآق والمآق والموق : طرف العين مائل الأنف ، والملاحظ طر : فهم مائل الأذن ؛ قال الواحدى جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبنائه وأن من سواء فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر في سواد العين وما حوله جفون ومآق لامع فيهما ، وعبرة التبريزى : شبه الناس بياض العين لأنه لا ينتفع به في النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جني : وهذا البيت في معناه قول ابن الرومي :

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَهَا صُيِفَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ^(١)
ولأن الشيء يذكر بالشيء فمن بديع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهِيَ بَيَضَاءُ مَعْنَى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ الْعُمَيْونِ يَحْسِبُهُ النَّاسُ ظِرُّ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ
هذا : وإذا أردت التوسع في الكلام على اللوق وما فيه من اللغات وتعميقه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) نجوز : نتخطى ، وعليها : أى الحيل ؛ والأيدى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الحيل تتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذي

(١) من أبيات جيدة لابن الرومي في وصف سواداء حسناء يقول فيها :

سَوْدَاءَ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشَّ قَرَّ وَلَا كَلْفَةٍ وَلَا بَهَقِ
لَيْسَتْ مِنَ الْعَبَسِ الْأَكْفِ وَلَا لَفِ لَحِ الشِّفَاءِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ
بَلْ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوكِ نَاعِمَةٍ تَنْشُرُ بِاللَّذْلِ مَيِّتَ الشُّبَقِ
إلى آخر الأبيات :

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا تُرَجَّى التَّلَاقِيَا^(١)
تَرْفَعُ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا^(٢)
يُبِيدُ عَادَاوَاتِ الْبَغَاةِ بِالطَّفَةِ فَإِنْ لَمْ تَبْدُ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا^(٣)

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على المتنبي إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد تتخطى عليها أناسا فى ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه - خلعه وعطاياه - ولو أنه قال :

* نرى عنده إحسانهم والأأياديا *

على معنى تتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يعصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى لأن إحسانه هو وحده ينفى غناء إحسانهم مجتمعين - لكان عسى أن يكون مقبولا ولكان فى باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السير مطلقاً ، وترجى ؛ فى موضع الحال : تقديره مرجين ، فصرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان يرجو لقاءه منذ قديم ، حين كان ينتقل فى أصلاب آبائه ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستمرار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذاً من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا للماضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقاً إليه . هذا ؛ و « فتى » قال العكبرى : يجوز أن يكون فى موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو تقصد فتى .

(٢) العون : جمع عون ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عينها للضرورة . والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسه رجل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المعكرات فعلا قد سبق إليه وإنما أتى بالمكارم ابتداءً واختراعاً كما قال أيضاً يَمْشِي الْكَرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتَى وَتَبْتَدِعُ

(٣) البغاة : جمع باغ ، وهو العتدى ؛ يقول . يسل سخائم الأعداء برقعه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أحقادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِعًا^(١)
لَقِيتُ الْمُرُورَى وَالشَّخَايِبَ دُونَهُ وَجِئْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيًا^(٢)
أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَخَذَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَخَصَّ الْفَوَادِيَا^(٣)
يَدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلٌّ فَآخِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا^(٤)

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا - في الشطرين - إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذي أراه هو الوجه الذي كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذي أنا فيه هو الوقت الذي كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع اللوراة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشخايب : جمع شخوب وشخاب ، وهى ناحية الجبل المشرفة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهري : شخايب الجبل : رؤوسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقي من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر الهواجر التى تبيس الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش الماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ماذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لثقتين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكدده قوله لما هجاء « وأسود مشفره . . . البيت » وقلماسلم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولا أن تجره عطفنا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والفواى جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالا ودلالا ودالة ، أى يجترى عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجهالها . يقول : كل ذى غفر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكك وضحك المتنبي وعرف غرضي

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَ^(١)
وَعَبْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَرْوَرَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا^(٢)
فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيَا لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا^(٣)
وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا^(٤)

(١) يقول : إنما يجود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود ، وأنت تعلى من تعطيه وتشرفه بعطائك فالأخذ منك يكسب الأخذ شرفا ويعلى عمله ، كما قال أبو تمام :

مَا زِلْتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَحْتَنِي شَرْفًا
قال الواحدى : ويجوز أن يريد بقوله « تعطى المعالى » أنه يب الولايات والأمر الذى يشرف بها الناس فالمعالى من عطايها كما قال البحرى :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَذُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعَلَى فِي تَيْلِهِ الْمَوْهُوبِ
وقال ابن جنى - وكان يسيء الظن بدائع المتنبي فى كافور ، ويحاول أن يحيلها هجاء : المعنى : عطاؤك يعلى عمل آخذه ، وهذا مما يمكن قلبه ، يريد : إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها . لأنك لا تحسن تديرها ، فكانك قد سلمتها إلى من يحسن تديرها ، فهم يقيم عنده .

(٢) غير كثير : خبر مقدم عن الصدر المتأول بعده ؛ والراجل : الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، والعراقان : الكوفة والبصرة ، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم ، قال ابن جنى : هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالى وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص - وقد صرت إلى هذا العلو - ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغت وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب للمكارم ، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا ، وهكذا يأبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر المتنبي - الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء ، وليس يبعد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدرك الناس به وبمراميه .

(٣) العافى : السائل واحد العفاة . يقول : إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أذاك يسألك ، يصفه بالشجاعة والجود .

(٤) المجرب : - بالكسر - الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأُمور وأحكمتها ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وفانيا : مفعول ثانٍ ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرفها وعلم أن جميع ما فيها ينفى ولا يبقى ولذلك تمها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما ينفى ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للسلام واستعمالا للأدب في مخاطبة الملوك ؛ قال الفصيح : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها في الحشوات قول عوف بن محم :

إِنَّ السَّمَانِينَ وَبُلَّتْنَهَا قَدْ أُحْوِجَتْ سَمِي إِلَى تَرْجُحَانِ^(١)

(١) من أبياته التي يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فلم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات :

يَا ابْنَ الذِّى دَانَ لَهُ الْمَشْرِفَانُ طَرًّا وَقَدْ دَانَ لَهُ الْمَغْرِبَانُ
وبعده : البيت وبعده :

وبدلتني بالشطاط انحنًا	وكنت كالصمدة تحت السفان
وبدلتني من زجاج الفتى	وهمتي هم الجبان الهدان
وقاربت مني خطًا لم تكن	مقاربات وثقت من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى	عنانة من غير نسج العنان
ولم تدع في المنتمع	إلا لسانى وبحسبى لسان
أدعوه به الله وأثني به	على الأمير المصطفى الهجان
فقرّباني بأبي أنتم	من وطنى قبل اصفرار البنان
وقبل منعمى إلى نسوة	أوطأنها حران والرقتان

« الشطاط : حسن القوام ، والصمدة : القناة المستوية ، والزجاج : المضاء في الأمر والهدان : الوخم الثقيل في الحرب ، والعنان : السحاب واحده عنانة يشير إلى ضعف بصره مكانه يرى من وراء سحابة . والهجان : الكريم واصفرار البنان : كناية عن الموت » .

وَمَا كُنْتَ بِمَنْ أَدْرَكَ الْمَلِكَ بِالْمَنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامِ أَشْهَنِ النَّوَاصِيَا^(١)
عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا^(٢)
لَبِستَ لَهَا كُدْرَ الْمَجَاجِ كَأَنْتَمَا
تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا^(٣)
وَقُدْتَ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدٍ سَاجٍ يُؤُدُّ بِكَ غَضْبَانَا وَيَنْزِكَ رَاضِيَا^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتحنى . والنواصى : جمع ناصية شعر مقدم الرأس . والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى « وذكروهم بأيام الله » قال المفسرون : يريد وقائع الله فى الأمم الخالية . يقول : لم تدرك الملك بالمنى والاتفاق ، ولكن بالسمى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصى الأعداء وهذا من قول البحترى :

فَتَنَى هَرَّ الْقَنَا فَجَوَى سَنَاءَ بِهَا لَا بِالْأَحَاطِلِ وَالْجُدُودِ
ومثله قول يزيد الهلبلى :

سَعَيْتُمْ فَأَذَرَ كُتْمُ بِصَالِحِ سَفِيكُمُ وَأَذَرَ كَ قَوْمُ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِرِ
وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ الشَّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَى فَإِنَّكُمْ قُدُمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ
(٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمراقى جمع مراقبة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تعتقد فى المعالي أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمعنى — على ما قال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقي فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) المجاج جمع عجاجة : وهى الغبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلمة كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيت غير صاف لكرهيتك لصفائه من الغبار .

(٤) كل . أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والساج السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . ويثنيك : يصرفك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يورثك الحرب وأنت مغيظ محقق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب بظفرك بأعدائك .

وَنُخْزِرَ طِرْ مَاضٍ يُطِيعُكَ أَمِراً

وَيَفْعَى إِذَا اسْتَنْذَنْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيًا^(١)

وَأَمَرَ ذِي عَشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِداً وَيَرْضَاكَ فِي إِمْرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيًا^(٢)

كُتَابٍ مَا أَنْفَكْتَ نَجُوسُ عَمَائِرَ مِنْ الْأَرْضِ قَدْ جَاسَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيًا^(٣)

(١) نخزط : عطف على أجرد . وأراد بالخنزط السيف المنتضى المسلول وأمر : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك فمضى في الضريبة وإن نهيته واستنذنت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتي عليهم لسرعة نفاذه في الضريبة .

(٢) وأمر : يريد رعا أمر ذا عشرين كعباً أو ذراعاً . وواردا : حال من الهاء في ترضاه وقوله في إمراده الخيل . أى في إمرادك إياه الخيل . يقول : وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه وارداً لدماهم ويرضاك ساقياً له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إياها . فكل منكماً راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر في السيف :

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاهُ فِي الرُّوْعِ صَاحِبًا وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنْتِي أَنَا صَاحِبُهُ
أى هو يرضى بى أيضاً صاحباً فوق الرضا

(٣) كتاب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتاب ، أو ما أنفكت لك كتاب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتاب تكون فيها هذه الأشياء . والكتاب : جمع كنية القطعة من الجيش . ونجوس تتخلل وتدوس . والعائر : جمع عمارة والعارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظفنها وإقامتها ونجستها ، وهى من الإنسان الصدر مسمى الحى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأخنس بن شهاب التغلبي :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعَدَّةِ عِمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبٌ^(١)

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان في عروض ما يعجبني أى في طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف ومن رواء عروض - بضم العين - جملة جمع عرض وهو الجبل .

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتَ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَعَانِيَا (١)
وَأَنْتَ الَّذِي تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ أَوَّلًا وَتَأْنِفُ أَنْ تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ ثَانِيًا (٢)
إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِيْ كَرِيهَةٍ فَسَيْفُكَ فِيْ كَفِّ تَزِيلِ النَّسَاوِيَا (٣)
وَمِنْ قَوْلِ سَامَ لَوْ رَأَاكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِيْ نَسْلِيْ وَنَفْسِيْ وَمَالِيَا (٤)
مَدَى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَفْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا (٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالاً مقدمة عن فيافيا . والفيافي : الفاويز والفلوات
يقول : إن لك كتاب أو قدت كتاب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن
قطعت إليها الفلوات البعيدة ، يعنى أن كتابه لا تزال تأتى الأعداء للغارة عليهم .

(١) بها : أى بالكتاب . والسنايك : أطراف الحوافر . والهامات : الرؤوس .
والمعاني : جمع معنى وهو المنزل يعنى - يقيم - به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتاب
ديار الملوك حتى قتلهم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون
الملوك ، فيكون الضمير فى هاماتهم للعماير ويكون المعنى : غزوت العماير دون الملوك لأن
الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تنفشي : تأتى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشيء : استنكف واستكبر
يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن
يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) السكريه : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت — صنعت — الهند سيفين
جعلنهما سواء فى الحدة واللضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى
لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه
حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ،
ولنسله صلة القول . يقول : لو رآك سام بن نوح من لكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى
ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابته وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم
فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ
الرئيس . قال الجواليقي : واصطلحت العامة إذا عظموا الحصى أن يخاطبوه بالأستاذ
وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع - وقد حرفت فى مصر إلى الأستاذ -

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْمُلَا وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا^(١)
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيَا^(٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتنس إليه الأسود ونهض فلبس
نملا فرأى أبو الطيب شقوفاً برجليه وقبحاً ، فقال يهجوهُ :

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا^(٣)
أَمِينًا وَإِخْلَاقًا وَغَدْرًا وَخِيَاةً وَجُبْنًا أَشْخَصًا لَحْتُ لِي أُمُّ مَخَازِيَا^(٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ في حسن الأدب . وأتصاه : أبعدهُ ،
ونفس : عطف على ربه . يقول : إن الذي ذكرته من مناقبه مدى بلفه الله غايته
ونفسه التي تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دَعَتْهُ : أى النفس ، و « إلى » متعلق بدعته أو لبهاها على طريق التمازُع يقول
دعته نفسه إلى المجد فللبهاها وأجابها ، أما غيره فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛
لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أتاها
هو ، فقيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نَائِيَا : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق الناس فهم يرونه
بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكبره يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوءها فقريب .

(٣) الخافي : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتكَ
الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء ما في نفسي من البغض لك والكراهة لقصدك لكنت
أريك ارضى ولكنى لست براض عن نفسي في قصدى إليك ، ولا عنك أيضاً لتقصيرك
في حقى .

(٤) اللين : الكذب . والإخلاف : خاف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة
بعوامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى آمين مينا وتختلف إخلافاً وتغدر غدراً ، وهلم
جراً ، والمخازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال :
خزى الرجل يخزى خزيًا : إذا وقع فى بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال فى
الحياء : خزى يخزى خزاية وخزيت فلاناً إذا امتحيت منه ، ورجل خزيان وامرأة
خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشتد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :

تَنْظُنْ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغَيْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيَا^(١)
وَتَعْجِبُنِي رِجْلَاكَ فِي الْفَعْلِ إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيَا^(٢)
وَأَنَّكَ لَا تَذَرِي أَلْوَنُكَ أَسْوَدُ مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا^(٣)
وَيُذَكِّرُنِي تَخْيِيطُ كَعْمِكَ شَقَّهُ وَمَشْيِكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا^(٤)

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزَيَانُ يَنْظَارُ^(١)
يقول : أجمع بين هذه المخازي ؟ كما تقول العرب أحشفا وسوء كيلة : أى أجمع
بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أنت شخص ظهرت لى أم محاز ؟ أى
كانك محاز ومقايح لاجتماعها فيك وحصولها منك .

(١) الغبطة : السرة وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامي رجاء لك
وغبطة بقربك . وإنما أنا أضحك من رجائي لثلك ومثلك لا يرجى .

(٢) يقول : إني أعجب منك إذا كنت ناعلا لأنني أراك إذا كنت حافيا ذا نعل
لغالب جلد رجلحك ، وقوله تعجبني : استحسان تهكم ، فهو من التعجب يريد أنك تلبس
النعال تشبها بالترفين كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجلحك نعالا ،
وإننى : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأننى .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدرى لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف
أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض فى اللون كما توهمت أنك
أشبهتهم فى الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرنى الشقوق التى كانت بهوت ما كنت
مجلوبا ، وذكرنى الأيام التى كنت فيها تمشى عاريا ، وقوله فى ثوب من الزيت :
فقد ذكروا أن مولاه كان زياتا وأن الأسود كان يحمل الزيت عاريا ويمشى متلطحاً به
فكانه فى ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون
الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع البواد زيتيا ، أى أنت فى حال كونك
عاريا فى ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح فى إعراب هذا
البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضع بحيث ترى ففاعل يذكر تخييط
وشقه : مفعول ثانٍ ليدكر ، ومشيك عطف عليه .

(١) من أبيات ، أنظرها فى حماسة أبى تمام .

وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيًا^(١)
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيًا^(٢)
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَفَدْتَ فَإِنِّي أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيَا^(٣)
وَمِثْلَكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِ يَا^(٤)

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك في سري وإن مدحك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لاتفطن لذلك ولا تفرق بين المديح والهجاء ، ولكن الناس فهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذى أتاك به هجاء لاميح .
(٢) هذا تفرع على البيت الذى قبله . يقول : كنت تسر بإنشادى هجاءك إذ تظنه مديحاً وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبهيّتين بمشفرى البعير فى اللفظ ، وأفدت فى المصراع الثانى : إما بمعنى استفتدت ، وإما على معنى أفدت نفسى فيكون المفعول الأول مقدراً . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تغدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإننى استفتدت للملاهى برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى للملاهى بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثالكات اللابسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثالكات — حزناً ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور . يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره ، وتغلبى به النساء الثالكات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلمهن بذلك عن الحزن والأسى ، والبيت كما ترى يقرر به ما ذكره فى الأبيات قبله . قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ما كان أخفاه فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه السكافورية :
وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَاةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَاطْرَبُ

تم الديوان والشرح بمون الله وتوفيقه

فهرس الجزء الرابع

من شرح ديوان المتنبي

تابع قافية اللام

مطلع القصيدة :

الصفحة

٣	كدعواك كل يدعى صحة العقل جهل
١٥	إثنت فإنا أيها الطلل الإبل
٢٧	ما أجدر الأيام واليالي ومالي

قافية لليم

٤٣	وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه
٦١	أين أزمعت أيهذا الحمام
٦٧	أنا منك بين فضائل ومكارم
٦٩	إذا كان مدح فالنسب المقدم
٨٠	واحر قلباه ممن قلبه شبم
٩١	المجد عوفى إذ عوفيت والكرم
٩٣	قد سمعنا ما قلت في الأحلام
٩٤	على قدر أهل العزم تأتي العزائم
١٠٩	أراع كذا كل للوك هام
١١٥	أيا راميا يصمى فؤاد مرامه
١١٨	رأيتك توسع الشعراء نيلا
١١٩	ذكر الصبا ومراتع الآرام
١٢٩	عقب اليمين على عقب الوغى ندم
١٤٣	كفى أراني وبك لومك ألوما
١٥٠	إلى أى حين أنت فى زى عرم

مطلع القصيدة :

الصفحة

١٥٠	باللحم	ضيف ألم برأسى غير محتشم
١٦٢	مقامى	أيا عبد الإله معاذ إنى
١٦٤	السكرم	إذا ما شربت الخمر صرفاً منها
١٦٥	الخرطوم	وأخ لنا بعث الطلاق ألية
١٦٥	السقم	ملاى النوى فى ظلمها غاية الظلم
١٧٩	القدم	أحق عاف بدمعك الهمم
١٩٠	اللاثام	فؤاد ما تسليه المدام
٢٠٢	منهم	نرى عظمها بالبين والصد أعظم
٢١٤	ففسلم	أجارك يا أسد الفردائس مكرم
٢١٥	ألسا	مانقلت فى مشية قدما
٢١٥	لاينام	لا افتخار إلا لمن لا يضام
٢٢٦	حلمنا	ألا لا أرى الأحداث حداثاً ولا ذماً
٢٣٦	المعالم	أنا لأئى إن كنت وقت اللوائم
٢٤٤	معظما	حييت من قسم وأفدى المقسم
٢٤٤	والإعلام	غير مستنكر لك الإقدام
٢٤٥	النجوم	إذا غامرت فى شرف مروم
٢٤٧	أسلم	لهوى النفوس سريرة لاتعلم
٢٦١	هيناما	روينا يا ابن عسكر الهاما
٢٦٣	الغمام	أعن إذنى تهب الريح رهواً
٢٦٣	ميمم	فراق ومن فارقت غير مذمم
٢٧٢	الكلام	ملومكاً يحل عن الملام
٢٨٠	والجلم	من أية الطرق يأتى نحوك السكرم
٢٨٢	الهموم	أما فى هذه الدنيا ككرم
٢٨٣	اسمه	يذكرنى فانك حله
٢٨٥	قدم	حتام نحن نساوى النجم فى الظلم
٢٩٦	ديما	قد صدق الورد فى الذى زعما

قافية النون

٢٩٩	الإذنا	نزور دياراً مانحاً لها منفى
٣٠٣	صوانها	ثياب كريم ما يصون حسانها
٣٠٥	ومحمدونه	حجب ذا البحر بحار دونه
٣٠٧	الثاني	الرأى قبل شجاعة الشجعان
٣١٧	والوسن	أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
٣٢١	الزمان	قضاة تعلم أنى الفتى الذى
٣٢٤	وإعلاني	كتمت حبك حق منك تسكرمة
٣٢٥	وبيني	إذا ما الكأس أرعشت الديدن
٣٢٧	ما اعلنا	الحب ما منع الكلام الألسنا
٣٤٠	تكوين	يابدر إنك والحديث شجون
٣٤١	الفطن	أفاصل الناس أغراض لدا الزمن
٣٥١	أحزاننا	قد علم البين منا البين أجفانا
٣٦٢	إجنان	زال النهار ونور منك يوهنا
٦٦٢	الحيزران	ما أنا والخمر وبطيخة
٣٦٣	سكن	بم التطل لا أهل ولا وطن
٣٧٠	عنانا	صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
٣٧٣	القرمان	عدوك مذموم بكل لسان
٣٨٠	إحسانا	لو كان ذا الآكل أزوادنا
٣٨١	عيونها	جزى عرباً أمست بيليس ربها
٣٨٣	الزمان	مغافى الشعب طيباً فى المغافى

قافية الهاء

٣٩٧	تنميته	أغلب الحيزين ما كنت فيه
٣٩٨	فكره	أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه
٣٨٩	معناه	الناس ما لم يروك أشباه

مطلع القصيدة :

الصفحة

٤٠١	قالوا ألم تكنه فقلت لهم وصفناه
٤٠٢	أحق دار بأن يسمى مباركة فيها
٤٠٣	لئن تك طيء كانت لثاماً بنوه
٤٠٤	أوه بديل في قولتي واهما ذكرها

قافية الياء

٤٠٧	كفى بك داء أن ترى الموت شافيا أمانيا
٤٣٢	أريك الرضالوأخفت النفس خافيا راضيا

استدراكات وتصحيحات

وهذه تصحيحات واستدراكات وزيادات بدت
لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء في صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لدى الرمة:
جَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرٌ مُشَبَّرٌ
وهنا سقطت هذه الكلمة التي يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا
« مشبرق : ممزق »

وجاء في صفحة ١٣٩ ج أول:
مَا زِلْتُ أَسْعَى مَعَهُمْ وَأَخْتَلِطُ حَتَّى إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ الْخَتَلُطُ
* جَاءُوا بِضَمِّحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا الرجز بما يأتي :
هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للمعاج وقد رواه المبرد في
الكامل على هذا الوجه :

بَنَيْنَا بِحَسَانٍ وَمِعْزَاهُ تَخَطُّ مَا زِلْتُ أَسْعَى بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطُ
حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَخْتَلَطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذَّنْبَ قَطُ
وروي بعضهم بعد قوله بنينا بحسان ومعزاه تشط هذا البيت :

تَلَحَّسُ أَذْنِيهِ وَحِينًا تَمْتَخُطُ فِي سَمْنٍ مِنْهُ كَثِيرٌ وَأَقِطُ
وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان
وتشط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ،
وفي ممن : متعلق بقوله تتمخط ، والسمن بسكون الليم وفتحها هنا للضرورة والاقط :
اللين الخفيض يطبخ ثم يترك حتى يوصل ، والضمير في بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ،
وأسمى بينهم : أى أردد إليهم ، وأختبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل
على كمال شعهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعرفهم ، أما التبط في

الرواية الأخرى فعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وسره حتى « إذا جن الظلام واختط » غاية لقوله أسمى وألتبط ؛ يريدستر الظلام كل شيء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعدسى ، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

* * *

وجاء في صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وصحة البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي قالها في الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لَأَسْمَاءَ رَسَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات وهي :

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصْبِحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقْيِيفَا فَوَارِسَا
أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إِذَا مَا حَمَلْنَا خَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحَ الدَّاعِسَا
إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيحٍ نَكَّرُهَا عَلَيْهِمْ فَأَيَّ يَرْجِعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة في كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم - ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بثلاث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل من كبار مرادسة ، وقتل من بني سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السنين وهي إحدى النصفات ... وقوله فلم أر مثل الحي الخ أراد بالحي المصبح بنو زيد بن مراد قال المروزقي : أي لم أر مغاراً عليه كالذين صبحناهم ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم قسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حياً مصباحاً على التمييز ، وكذلك فوارسا ، ويجوز أن يكونا في موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالمرع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زيد والثاني إلى عشيرته

وأصحابه ، والراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حامية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس
بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من
الحماية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار . قال ابن العاجب
قوله أكر وأحمى الخ تبين لما ادعاء فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما
تقدم لثلاث يفصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تميزا ، ويجوز أن يكون
صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعلها غير تميز كأنه قال جاءني زيد وعمرو العاقل
والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لهما مصبعا وأضرب منا صفة للموارسا وقوله :
إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح
والرماح للعدة للطن فالمراد بالمداعس الرماح الطائفة ، وفرس مذك : تم سنه ومكات قوته
وقوله إذا الخيل جالت الخ أي إذا الخيل دارت عن مصروع منا كرنا عليهم لنصرع
مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقننا ذلك
منهم بل نكرها عليهم لثله وإن كرهت السكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالج .

وجاء في صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثاني هكذا :

قَطُّ لَا يُدْفَعُ عَنْ سَبْقِ عِرَاب

وصوابها :

غَيْرُ مُدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوي طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح
البيت وهذا هو : هذا : وقد قال أبو حيان في تذكرته إن هذا البيت في الإعراب نظير
بيت أبي نواس :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقَضِي بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ

قال ابن حيان : فد «العرب» مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصبر
التقدير ، العرب غير مدفوع عن السبق ، والعرب جمع فلا أقل من أن يقول غير
مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يغير تذكيره وتأنيته بتقديمه وتأخير . وإليك آراء النحاة
في إعراب غير ، قال ابن هشام في المغني : فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له
بل لما أضيف إليه ^(١) مرفوع يعني عن الخبر ، وذلك لأنه في معنى النفي ، والوصف بعده

(١) لما : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أي بل للاسم الذي أضيف إليه غير مرفوع
وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد

مغفوض لفظاً وهو في قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مأسوف على زمن ينقضي مصاحباً
للهم والحزن ، فهو نظير مأمضروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن السجري
وتبعه ابن مالك ، والثاني : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقضي بالهم والحزن غير
مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور
بعلی على غير مذکور فأني بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جني وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن
قيل فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو في مثل هذا ممتنع ، قلنا : في النثر
هذا شعر فيجوز فيه كقوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا ابن رجل جلا الأمور
وقوله .

* تَرَمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرَمِي الْبَشَرِ *

أي بكفي رجل كان والثالث : أنه خبر لمحذوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول
كالعسور واليسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفته ،
قاله ابن الجني ، وهو ظاهر التمسف .

وجاء في صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الْخُفَّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرِ
جاء في شرحه أنه للحسن بن عرفة وصوابه أنه لحسيل بن عرفة وجاء في شرحه
أيضاً هذا البيت هكذا :

بَآيَةَ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَّابَ وَبَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وصوابه هكذا :

بَآيَةَ مَا وَقَفْتُ وَالرَّكَّابَ بَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وإذن يجب أن ما يذكر في شرح البيت هو هذا : وبعده :

غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ عِرْفَانِهِ خُرْقُ الرِّيحِ وَطُوقَانُ الْمَطَرِ
والبيتان لشاعر جاهلي يسمى حسيل بن عرفة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب
مقتضى الحكمة ، أي ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر ، وهاج هنا متعب
بمعنى أثار ، والهأج مفعول مقدم ضمير العاشق في بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف
أي هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعنى مبالغة عفا أي دثرودرس ، والسرر
موضع والجدة : مصدر جد الشيء يجد جدة خلاف القديم ، والمرقان للفرقة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهي الريح التي تتخرق في الجبال، وطوفان انظر كثرته . يقول
غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم .

وجاء في صفحة ١٩ ج ثاني هذا البيت :

وقد أدركتني والحوادثُ جَمَّةً أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافٍ وَلَا عُزْلَ
وقد قاتنا التعليق عليه كوكدنا في مثله ، وهذا هو التعليق الذي يحمل أن يوضع في
موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابي في أوراقه إنها لرجل
من بني دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدتم إياها أطفقوه وقبله » :
وقائلة ما باله لا يَزُورُنَا وقد كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعده .

لعلهم أن يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كما صابَ ماءَ المِزْنِ فِي البِلَدِ الحُلِ
فقد يُنْعِشُ اللهُ الْفَتَى بَعْدَ عَنَرَةٍ وَتَصْطَلِعُ الحُسْنَى سَرَّاءُ بَنِي عِجْلِ

وجاء في صفحة ١٠٠ ج ثان هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة بدون شرح :
قلت إذ أَقْبَلْتُ وَزُهر تهَادَى كِفَعِاجِ الفَلَا تَعْتَفَنَ رَمَلًا
وهذا هو شرحه الذي يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها في حميدة
جارية ابن ماجة ومطلعها :

حَمَلِ القَلْبُ مِنْ حَمِيدَةٍ ثِقَلَا إِنْ فِي ذَاكَ لِلْفَوَادِ لَشَفَلَا
وبعد بيت الشاهد :

قد تَنَقَّبَنَ بِالْحَرِيرِ وَأَبْدَيْنَ عِيُونَا حُورَ المَدَامِجِ نَجَلَا
والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشيا رويداً
بسكون ، والنعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها في سكون المشى في الرمل ، وتعتفن :
ركبن ، وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشيتها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا »
هي الفلاة الواسعة .

وجاء في صفحة ٣٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخا على كرسية معمما
وإليك شرحه الذى فانتنا أن نضعه في مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعادطبعه
وضع هذا الشرح في مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة
أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب - كما ذكره البندادى في الخزانة - وأولها :
عَبَسِيَّةٌ لَمْ تَزَعْ قَفًّا أَدْرَمًا وَلَمْ تُعْجَمْ عُرْفُطًا مُعْجَمًا
كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكْفِ الْحَالِيَيْنِ كَلَمًا
شَدَّ عَلَيْنِ الْبَنَانِ الْحُكْمَا سَحِيفُ أَفْعَى فِي خَشَى أَغْشَمَا
وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قِيَمًا مَثْنَى الْوِطَابِ وَالْوِطَابِ الزُّمَّا
وَقَمًا يَكْسَى مُمَالًا قَشَمًا يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَالَمَ يَعْلَمًا
شَيْخًا طَلَى كُرْسِيَهُ مُعَمَّمًا لَوْ أَنَّهُ أَبَانُ أَوْ تَكَلَّمًا
لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أَعْجَمًا إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيلة ، ولم ترع ، من الرعى
والقف : ما ارتفع من الأرض وغلط ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ،
والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تمضغ والعرفط كقنفذ شجر من
أشجار البادية والمعجم المعضض ، وقوله كأن صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت
درتها بصوت أفاع في خشى ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج
من الضرع ، وهى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب والبنان مفعوله على
تقدير اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أنمى : خبر كأن والسحيف الصوت
والأففى : الحية ، والحشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقيل جمع قائمة والقياس
قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى مل مثنى الوطاب والمثنى هنا
بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيادى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب
وهو سقاء اللبن خاصة . والزعم جمع زام من زم القرية ملاءها . والقمع آلة تجعل في
فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والتمال الرغبة ، وكل شئ يكون ضحفا فهو
قشعم . وقوله يحسبه أى يحسب التمال ، وما مصدرية ظرفية ، ويعلم بمعنى يعرف ويعوله
محذوف ضمير التمال وشيخا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغبة التى
تملو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف ، ولم يصب الأعمى الشفتمريج

شارح شواهد سيديه في قوله : وصف جبلا قد عمه الحصب وحفه النبات وعلاه فجعله
كشيخ مزمل في ثيابه معصب بعمامته الخ ، فكأنه لم يقف على هذه الآيات وقوله لو أنه
أبان أي لو أن ذلك الثمال الذي يشبه الشيخ أبان أي أفصح عما في نفسه لكان إياه
أي لكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزائن الأدب للبغدادي ج ٤ ص ٥٦٩ ط
أميرية » .

وجاء في صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت المشهور :

* * *

بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّغْرِ مَقْلَاتُ نَزْوَرُ
وقد قلنا فائنا شرحه لشهرته . وهذا هو شرحه الذي يجهل أن يوضع في موضعه
« البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بغاث الطير وبغاثها :
الائتمها وشرارها وما لا يصيد منها ، وقيل الأضعيف من الطير والمقلات : التي لا يعيش
لها ولد ، وقيل هي التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أقلت المرأة إقلاتافى
مقلات ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والنزور : القليلة
الولد »

* * *

وجاء في صفحة ٢٩٥ ج ٢ ما يأتي :

« وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

أَتَوْا نَارِي قُلْتُ مَنُونُ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجَنُّ قُلْتُ عِمَّوْا ظِلَامَا

..... إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « سمير بن الحارث الضبي » لا « شمر » ويوضع

في الشرح ما يأتي :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شرأ ، وقيل للفرزدق وقيل شمر النساني وأول

هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَضَّتْ بُعَيْدَ وَهْنٍ بَدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامَا

سَوَى تَرْجِيلٍ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَاثِمُهَا مَخَافَةٌ أَنْ تَنَامَا

أَتَوْا نَارِي الأبيات

وبعدها :

أَمِطْ عَنَّا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ لَأَكْلَهُ النَّقَاصَةَ وَالسَّقَامَا
يصف قائلها نفسه بالجرأة واقتحام المهالك . يقول : رب نأرق قد حضأتها — أى
أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد ، والوهن والموهن : نحو من نصف الليل — أى أوقدتها
في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل
عين أكلها — أى أحافظها — فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظني من العدو ،
ومنون أنتم : استفهام وكان حقه من أنتم ، وعموا ظلاما : أى تنعموا في وقت الظلام ،
وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وقينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ،
والنقاسة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

وجاء في صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتي : « هذا المصراع من أبيات نسبت إلى
سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه » وهى :

مَجِيئُ الْجَارِعِ بَأَكِّ مُصَابٍ بِأَهْلِ أَوْ حَبِيبِ ذِي الْكِتَابِ
شَقِيقِ الْيَتِيمِ دَاعِيِ الْوَيْلِ جَهْلًا كَأَنَّ الْمَوْتَ كَالشَّيْءِ الْمُعْجَابِ
وَسَوَّى اللَّهُ فِيهِ الْخَلْقَ حَتَّى نَبَى اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُحَابِ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
ريحاب أى يحابى . يقال حاباه : أى خصه . قال البغدادى : ورأيت أيضاً في جمهرة
أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب : قد روى أن بعض اللائكة قال :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ بِصِيرٍ إِلَى ذَهَابِ

وجاء في صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ
وصحة البيت :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي جَوَارِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ

ويزاد في شرحه مايلي : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يناول بعضهم بعضا ، والورق : الدرهم ، وقال الشريف المرتضى في أماليه : القرق الحسن الذى فيه الحصى ، وشبه حذف مناسمهم له بحذف جوار يلعبن بدرهم ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : للمستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيق إنهما لرؤبة بن العجاج قال البغدادى : ولم أرهما فى ديوانه .
